سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٥٠٢)

عندما ترثي النساء

من أشعار النساء في الرثاء

من مصنفات الأدب والتراجم

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

قالت الفارعة بنت طريف، **ترثي** أخاها الوليد بن طريف الشيباني الشاري

ألا يا لقوم للحمام وللردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين النجوم لقد هوى ... وللشمس لما أنعمت بكسوف

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة ... وأجرد ضخم المنكبين عطوف

بتل نباثي رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف." (١)

"ويجمع البديع النادر والضعيف الساقط. فبينا، هو يصوغ أفخر حلي، وينظم أحسن عقد، وينسخ أنفس وشيء، ويختال في حديقة ورد، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة، أو تعويص اللفظ، أو تعقيد المعنى، إلى المبالغة في التكليف، والزيادة في التعمق، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة، والركاكة والتبرد والتوحش، باستعمال الكلمات الشاذة، فمحا تلك المحاسن، وكدر صفاءها، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها، واستهدف لسهام العائبين، وتحكك بألسنة الطاعنين: فمن متمثل بقول الشارع (من الكامل):

أنت العروس لها جمال رائق ... لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام وضر، وشراب عكر، أومن يتبخر بالند المعشب المثلث، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب، ثم يرنقه بإسار الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الـردية، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم، وطرائف الحكم، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول: اعذرني فإن العذرة متعذر فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله (من

الخفيف):

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في الآقي؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله، ومعنى تفرد بابتداعه، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال:

كيف **ترثي** التي كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

---

(١) الوحشيات = الحماسة الصغرى، أبو تمام ص/١٥٠

وقوله (من الطويل):

ليالي بعد الظاعنين شكول ... طوال، وليل العاشقين طويل." (١)

"لف في خرقة في أعين الناس لقماءته في أطماره ودناءته وصغر جسمه.

وقال في قصيدة أولها:

(أتراها لكثرة العشاق؟ ... .)

(كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راق؟)

قال أبو الفتح: أي كيف ترثي التي ترى كل جفن رآها غير راقئ للبكاء من هجرها غير جفنها، فإنه لا يبكي لهجرها، لأنها لا تهجر نفسها، فغير الأولى منصوبة على الاستثناء، وغير الثانية منصوبة إلى الحال، إن جعلت رأيت من رؤية العين، وإن كانت من رؤية القلب، فهو منصوب لأنه مفعول ثان لرأيت، ورأيت على هذا بمعنى علمت.

قال الشيخ: الصواب أن يقال: غير راق من حبها لا من هجرها، إذ لا طمع للناس في وصلها حتى يبكوا من هجرها، ولو قدرت على هجر نفسها، وهي في الأحياء وتنبأت لكان ذلك لها معجزة من معجزات الأنبياء.." (٢)

"إذا فعله نهارا، وبات يفعل كذا، إذا فعله ليلا، وأصل ظل ظلل، فكرهت العرب الجمع بين حرفين متحركين من جنس واحد، فأسقطوا حركة الحرف الأول وأدغموه في الثاني، والعذارى: اسم ظل، ويرتمين: خبرها، والكاف في قوله (كهداب) في موضع جر؛ لأنها نعت للشحم، أي مثل هداب.

(ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت: لك الويلات! إنك مرجلي)

قوله (ويوم) معطوف على قوله (يوم عقرت) ويجوز فيه ما جاز فيه، والخدر: الهودج، ويروى (ويوم دخلت الخدر يوم عنيزة) فعنيزة على هذه الرواية: هضبة سوداء بالشحر ببطن فلج، وعلى الرواية الأولى اسم امرأة، وقوله (لك الويلات) دعاء عليه، و (مرجلي) فيه وجهان: أحدهما أن يكون المراد: أني أخاف أن تعقر بعيري كما عقرت بعيرك، والثاني – وهو الصحيح – أن يكون المراد إنها لما حملته على بعيرها ومال معها في شقها كرهت أن يعقر البعير، يقال: رجل الرجل يرجل، إذا صار راجلا، وأرجله غيره، إذا صيره كذلك، وقال ابن الانباري: في قوله (لك الويلات) قولان: أحدهما أن يكون دعاء منها عليه إذ كانت تخاف أن

---

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، الثعالبي، أبو منصور ص/٦٨

(٢) قشر الفسر، الزوزني، أبو سهل ٢/٢١٥

يعقر بعيرها، والقول الآخر: أن يكون دعاء منها له في الحقيقة كما تقول العرب للرجل إذا رمى فأجاد: قاتله الله ما أرماه، قال الشاعر:

لك الويلات أقدمنا عليهم ... وخير الطالبي الترة الغشوم

وقالت الكندية **ترثي** اخوتها:

هوت أمهم، ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أسباب مجد تصرما؟." (١)

"وأقول: ومما يؤكد ما قاله ابن فورجة قول عتبة بن ربيعة في بدر، وقد أشار على قريش بأن يرجعوا عن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فقال أبو جهل: انتفخ سحره! فقال عتبة: سيعلم مصفر أسته من ينتفخ سحره!

والظاهر قول ابن جني أن صفراء أمه لقول أبي الطيب: الكامل

أرسلت تسألني المديح سفاهة ... صفراء أضيق منك ماذا أزعم

وقوله: الخفيف

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

قال: يصف المعشوقة؛ يقول لصاحبه: أتظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم إنه خلقة فهي لا **ترثي** لمن يبكي.

وأقول: الجيد في هذا ان يكون القول لنفسه لا لصاحبه وذلك كقول ذي الرمة: البسيط

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... ." (٢)

"وقول الراعي: الكامل

ما بال دفك في الفراش مذيلا ... .

وأشباه ذلك.

يقول لنفسه: أتظنها تحسب الدمع خلقة، وإذا كانت كذلك فلا **ترثي** لباك فلا يحصل منها لعاشق راحة ولا رحمة، كما ذكره في البيت الذي يليه.

وقوله: الخفيف

حلت دون المزار فاليوم لوزر ... ت لحال النحول دون العناق

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/١٧

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٥/١٥٦

قال: يقول: منعتني من زيارتك حتى نحلت شوقا اليك، فلو زرتني اليوم لم تقدري على معانقتي لشدة النحول ورقة الجسم.

وأقول: إن قوله: لم تقدري على معانقتي ليس بجيد، والجيد أن تقول: لم اقدر على معانقتك. كأنه يقول: منعتني الوصال في حال عدم الزيارة وفي حال وجودها فلم أقدر عليه في الحالين للهجر والنحول.

وقوله: الخفيف

كاثرت نائل الأمير من الما ... ل بما نولت من الإيراق." (١)

"وقالت سلمى أم الأسود ترثيه:

نبا بي مضجي ونبا وسادي ... وعيني ما تهم إلى رقادي

كأن الليل أوثق جانباه ... وأوسطه بأمراس شداد

أبعد الأشتر النخعي نرجو ... مكاثرة ونقطع بطن وادي

ونصحب مذحجا بإخاء صدق ... وإن ينسب فنحن ذوي أيادي

نصفت عمنا وإخوته وإخوتنا ... [. . . . .]

أكر إذا الفوارس محجمات ... وأفرث حين يختلف الصوادي

وقال المثنى يرثيه:

ألا ما لضوء الصبح أسود حالك ... وما للرواسي زعزعتها الدكادك

وما لهموم النفس شتى شئونها ... تظل تناجيها النجوم الشوابك

على مالك فليبك ذو اللب معولا ... إذا ذكرت في الفيلقين المعارك

إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج ... ونودي بها ابن المظفر مالك

فلهفى عليه حين تختلف القنا ... ويرعش للموت الرجال الصعالك

ولهفي عليه حين دب الردى ... رديف له سمر من الموت حانك

فلو بارزوه حين يبغون هلكه ... لكانوا – بإذن الله – ميت هالك

ولو مارسوه مارسوا ليث غابة ... له كالي لا يرقد الليل فاتك." (٢)

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ١٥٧/٥

(٢) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٣٦/١١

"٣٧٦٠ - (س) علي بن حرب بن محمد بن علي بن حسان بن مازن بن الغصوبة أبو الحسن الموصلي الطائي.

قال أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي في كتابه " تاريخ الموصل "، وذكره في الطبقة السابعة، أخبرني موسى بن محمد قال: سمعت علي بن حرب يقول: قال لي عبد الله بن عبد الصمد، وحدثني سعيد بن محمد التنوري قال: سمعت رجلا يقول لعلي بن حرب فذكر كلاما، وحدثني العلاء بن أوس، ثنا علي بن حرب قال: سألت هشام بن محمد عن نسب الأزد فأملى علي أبيات حسان بن ثابت، وأنشدني ابن أبي حرب، أنشدني علي يرثي أخاه محمد بن حرب، وكان توفي بمرج سر من رأى:

تقول لي مليحة إذ رأين ... لدمعي من ماقيه وكيف

ومن جوارحي زفرات حزن ... يضيق بحملها بدن نحيف

يحن إلى موت الفرح شوقا ... كما حنت مولهة العرف

فقلت لها أقلي اللوم إني ... عن الدنيا وما فيها عزوف

أبعد محمد الخير بأمر ... يلذ به المجاور الحصيف

أنى لي ذلك أحزان توالت ... علي فهن في قلبي عكوف

أفول إذا الرياح جرين هنا ... وهيجت البروق لي الخريف

فذكر أبياتا طويلة.

حدثني صدقة بن محمد بن علي بن حرب قال: قلت لجدي: يا أبه، لم لم ترثي عمي الحسن، وقد وجدت فيه مقالا؟ فقال ما رثيت أحدا إلا ذهب حزني عليه، وأحببت أن يبقى حزني على الحسن، ولكن ما عرفت ما رثيت ابنه أبا نصر؟ فقلت: لا، فأنشدني:

وكافر على يصون قصدا إلا لبلى ... وأصبح مثل النسر في جانب الوكر." (١)

"شرحه فلا يوصف ولا يحد.

وقلت له: أما ترثي لصب دمعه مثل اسمه، وقد جرى على شرحه وعادته ورسمه، وقد صار السلو أوفر سقمه.

فقال: لا تشك لي سائل دمعك، فما لي طاقة برد سائل، ولا تشرح لي شرح حبك، فهو شرح طويل وليس تحته طائل، وليكن لك في فوت هو جميل الحب جميل، فما لي برد التسلي سبيل.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مغلطاي ٢٨٨/٩

فلما كسر قلبي بهذه المقالة، وأسمعني مختصر الشرح خوف الإطالة، نكست رأسي مكمدا، وصعدت أنفاسي منشدا:

أقول له أما ترثي لخدي ... وتسمع من دموعي ما تقول

وتبصر ما جرى منها عليه ... لأجلك قال ذا شرح يطول

فنظر إلي نظرة المحب الشفوق، ولاحظني ملاحظة الصديق الصدوق، وقال: ما الذي يبكيك وأنا بين يديك حاضر؟! وما الذي يشجيك وأنا لك منادم ومسامر؟! ما الذي يقلقك وأنا محدثك ومناجيك؟! وما الذي يحزنك وأنا تحت أوامرك ونواهيك؟!

فقلت: والله ما أبكاني وأودى بي وآذاني، إلا ما تحققه من الفراق الداني، فأبكي وأنت حاضر ومقيم، لأنني بالذي يصنع الفراق عليم:

في كل يوم لأرباب الهوى شان ... وجد وشوق وتبريح وأشجان

دموعهم كالغوادي وهي سائلة ... وفي حشاشتهم للحب نيران

يبكون في الوصل خوف الهجر من شفق ... فكل أوقاتهم هم وأحزان." (١)

"أفديك من ظبي مروع ... نضر الجمال

أحللته بين الضلوع ... فبات سالي

يا ما نعي عند الهجوع ... طيف الخيال

طلت على هجري مباح خلو الجنان ... كالمهى يعشق المراح تحت العنان

لا أنس لا رشف المدام ... فصل الربيع

في روضة شقت كمام ... زهر مريع

والنور في ظل الغمام ... غض الفروع

قد كسيت منه البطاح بخسروان ... والنهر يخرق الأقاح كالأفعوان

ولا لذكر القاسم ... كاس تدار

أين من الكارم ... مجد أنار

ملك لسان ناظم ... فيه يحار

ذو غرة مثل الصباح ملء العيان ... وهمة تأتي السماح مثل السنان

---

(١) لوعة الشاكي ودمعة الباكي، الصفدي ص/٢٥

لح يا أبا الفضل إنما ... لك الأباء

حزت من العلوم ما ... منه الثناء

كان الزمان مظلما ... فهو ضياء

فنور ما علمت لاح إلى الزمان ... وعنبر الثناء فاح على اللسان

لما كساني الصبا ... ثوب التصابي

وراقني من الظبا ... رود الشباب

قلت ونفحة الصبا ... ترثي لما بي

من يعجبو حب الملاح يحيى في شاني ... يعجبني يا قوم افتتاح ورد المرواني." (١)

"وحياك – وقد اجترى واجترح، وأذهب المسرة والفرح، وضيق رحب الفضا، وقلب القلب على جمر الغضا، وأورث الكمد، وأذاب جليد الجلد، وجاب. وجال، ونثر عقود الاحتمال، وأوجد الوجد والهيام وأحوج الصب إلى العبث بالأقلام:

كتبت وعندي من فراقك لوعة ... تزيد بكائي أو تقل هجوعي

فلو أبصرت عيناك حالي كاتبا ... إذا كنت ترثي في الهوى لخضوعي

أخط وداعي الشوق يملي، وكلما ... تعديت سطرا رملته دموعي

يا لها لوعة أسعرت وقد الضلوع، ومالت إلى الصبر فأذوت منه الأصول والفروع وصبابة صبت النفس إليها، ووقفت لامتثال الأمر طائعة بين يديها، وغراما يلازم غريم الفؤاد، ويتكلم من الدموع بألسنة حداد، وشوقا إلى تلك الليالي المستنيرة، والأيام التي تطول الشرح في وصف محاسنها وإن كانت قصيرة:

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل ... والدهر يقضي لنا من وصلك الغرضا

لئن تعوضت عني غير مكترث ... فعنك، ما دمت حيا، لم أجد عوضا

إلى الله أشكو جور أحباب، لا شك في ظلمهم ولا ارتياب:." (٢)

"ومن قولهم في الحث على ترك التكلف وتعجيل الحاضر: سئل أقرى أهل اليمامة للضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأن لا نتكلف ما ليس عندنا. . . وقال بعضهم: الضيف إلى القليل العاجل أحوج منه إلى الكثير الآجل، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾. وقال تعالى: ﴿إلى طعام

---

(١) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/١٠٧

(٢) نسيم الصبا، ابن حبيب الحلبي ص/٦١

غير ناظرين إناه﴾. . . أي غير منتظرين نضجه وإدراكه وبلوغه، يقال: أني يأنى: إذا نضج.

ومن قولهم فيمن آثر على نفسه: قول صوفي لآخر: كيف يعمل فقراؤكم؟ قال: إذا وجدوا أكلوا، وإذا عدموا صبروا، فقال: هذا فعل الكلاب، إن الفقير منا إذا عدم صبر، وإذا وجد طعاما آثر به غيره. . .

وقالوا في وصف الرجل الكريم يسوء خلقه مع أهله خوف التقصير: والقائل زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد:

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الأهل حتى تستقل مراجله

يعينك مظلوما وينجيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

العذور: السيئ الخلق ال‍قليل الصبر فيما يريده ويهم به، وإنما جعلته عذورا لشدة تهممه بأمر الأضياف وحرصه على تعجيل قراهم حتى تستقل المراجل على الأثافي، والمراجل:

القدور واحدها مرجل، وقوله: وينجيك ظالما، أي إن ظلمت فطولبت بظلمك حماك ومنع منك.." (١)

"جمع مرنباني، وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب. وجوانح: مائلات للوقوع. والخطي: أي القنا المنسوبة إلى الخط - بلد بالبحرين - والكواثب - بالثاء المثلثة - جمع كاثبة، وهي من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرصا، يقول: اعتادت الطير أن الرماح إذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها.

وقال أبو تمام:

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى ... بعقبان طير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها ... من الجيش إلا أنها لم تقاتل

وقالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثيه:

تمشي النسور إليه وهي لاهية ... مشي العذارى عليهن الجلابيب

الجلباب: ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي بها المرأة رأسها وقيل: الملاءة التي تشتمل بها، ومعنى قوله وهي لاهية: أن النسور آمنة منه لا تفرقه لكونه ميتا فهي تمشي إليه مشي العذارى، وأول هذه المرثية:

كل امرئ بطوال العيش مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وقال المتنبي:." (٢)

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٣١/١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢٥٠/٢

"افر منك إليك لأجد

مكانا ألجأ إليه. وفي ظلك

أختبئ من غضبك

إلى أن تهدأ سورتك،

حتى تستمع إلي **وترثي** لي،

ولن أفك قبضتي

حتى تهبط علي نعمتك.

وقد اجتمع في أسرة ابن عزرا بغرناطة ما كان للثقافة اليهودية في أسبانيا الإسلامية من ثراء متعدد المناحي. وكان يعقوب ابن عزرا يشغل منصبا رفيعا تحت رياسة شمويل بن نجدلا في بلاط الملك. وكان بيته ندوة للآداب والفلسفة ونبغ ثلاثة من أولاده الأربعة الذين نشئوا في هذا الجو العلمي، فكان اسحق شاعرا، وعالما طبيعيا، ومتبحرا في التلمود، وكان موسى ابن عزرا (١٠٧٠ - ١١٣٩) عالما وفيلسوفا، وكان أعظم شعراء اليهود قبل هلوي. وقد انتهت سعادة شبابه حين أحب بنت أخ له حسناء زوجها أبوها اسحق أخوه الأكبر بأخيه الأصغر أبراهام. فما كان من موسى إلا أن هاجر من غرناطة، وهام على وجهه في بلاد نائية يغذي بالشعر عواطفه المكبوتة البائسة: "ألا فعيشي، وإن كانت شفتاك يسيل منهما الشهد ليمتصه غيري، وتنفسي بالند يستنشقه سواي. وسأظل وفيا لك حتى تستعيد الأرض الباردة وديعتها، وإن لم تكوني أنت وفية لي. إن قلبي ليطرب لغناء العندليب، وإن كان المغنى يعلو على وينأى عني" (٩). ووجه قيثارته آخر الأمر، كما وجهها ابن جبيرول. إلى الأغاني الدينية، وأخذ ينشد مزامير من الاستسلام الصوفي.
وكان أبراهام بن مإير بن عزرا-الذي يعده براوننج Browning." (١)

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤/٩٩

"بهيمية وعيون وحشية، متوحشة، وأنوف ضخام وشفاه ممطوطة سمجة نهمة. ولما تحول إلى قصص القديسين، فقد أظهر القديس يوحنا الإنجيلي في صورة رقيقة إلى حد عجيب، في مهاد غير عادي من المشاهد الطبيعية بين جزر وبحر، بيد أنه وضع في أحد الأركان شيطانا يتأمل–له قلنسوة قسيس وذنب فأر وأرجل حشرة–وينتظر في صبر أن يرث الأرض–وفي صورة "إغراء القديس أنطوني" أحاط الناسك المتوحد اليائس، بفاجرات مبتهجات وتخيلات سحرية–قزم غرست رجلاه في كتفيه وطائر له ساقا ماعز وقرد له أرجل بقرة وفأر تتخطاه عليه ساحرة ومنشد متجول يضع على رأسه جمجمة حصان. وأخذ "بوش" العجائب من الكاتدرائيات القوطية وجعل منها عالما قائما برأسه.

وكان أبعد ما يكون عن الواقعية. ولكنه كان ينقل بين حين وحين مشهدا من الحياة، كما في "الابن السفيه"، إلا أنه بالغ هنا في إظهار الدمامة والفقر والخوف. وليست صورته "ركبة الدريس" نسمة في أوائل الربيع، ولكنها تصوير مرير لعبارة "كل الحشائش لحم" وكل شيء مثالي فوق الحمل: شاب يعزف الموسيقى لفتاة تغني، وخلفهما عشيقان يتبادلان القبلات وملاك يجثو على ركبتيه، وفوقهما يرفرف "المسيح" في السحاب. بيد أنه يصور على الأرض قاتلا، يطعن عدوه المترنح، وقوادة تغوي فتاة على الفجور، ودجالا يبيع الدواء لكل داء وقسيسا بدينا يتسلم النذور من الراهبات، وعجلات العربة تدهس بعض المحتفلين غير **المكترثين**. وإلى اليمين، فريق من الشياطين، تعاونهم قردة، يسحبون الأشرار إلى الجحيم. ولقد علق فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي غلبت الكآبة عليه هذه القطعة الفنية في الاسكوريال. ووضع بالقرب منها، زميلة لها هي "مباهج الدنيا". وفيها نرى غديرا، يغتسل فيه العرايا من الرجال والنساء، وحوله موكب راكب من العرايا على متون الحيوانات نصفها طبيعي ونصفها الآخر من." (١)

"مرة ثانية، لأنها إذا ماتت بلا زوج، فإن أخاها الدوق يرث أموالها. **فترثي** الدوقة للطهارة المتكلفة التي أكرهت عليها:

إن الطيور التي تعيش في المروج وفق هوى

الطبيعة الجامحة، تحيا حياة أسعد من

حياتنا، حيث تستطيع أن تختار رفيقاتها

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٤٩/٢٢

وتشدو بألحانها العذبة للربيع (٣٦).

واستبدت بها الشهوة والحرمان، فأغرت قهرمانها أنطونيو بالزواج سرا، وبمضاجعة عاجلة. فدبر أخوها فرديناند قتلها. وفي الفصل الأخير نرى شخصا يقتل في كل دقيقة تقريبا، فالأطباء يستعدون بالسموم، والمتوحشون بخناجرهم، ولم يتذرع أحد بالصبر انتظارا لقصاص عادل أو حكم مشروع. أما أسوأ الأشرار الأوغاد في الرواية-الذي قتل الدوقة واستولى على ممتلكاتها، واتخذ له خليلة ثم قتلها-فهو كاردينال، ولم يكن وبستر من أنصار البابوية. وهان أيضا توجد توريات في صراحة بالغة، وتصميم على استنفاد ألفاظ اللعنة والبغض، واستنكار وحشي مشوش لحياة الإنسان. وترى شيئا من النبل أو الإخلاص أو الرقة في الأركان السحيقة لهذه الحلبة المظلمة، فإن فرديناند ينسى نفسه، ويبتسم بالشفقة لبعض الوقت، وهو ينظر إلى أخته التي لا تزال جميلة في رقدة الموت.
"غطوا وجهها! عيناي تنبهران! لقد ماتت في عنفوان شبابها (٣٧)! ولكن سرعان ما يستعيد وحشيته.
ولنأمل في شيء أعذب وأحلى من هذا كله عند الرجل الذي كتب
"اشربي من أجل أنا وحدي، بعينيك"

.Drink to me only with thline Eyes

٥ - بن جونسون

١٥٧٣ - ١٦٣٧

ولد في وستمنستر بعد وفاة أبيه بشهر واحد، وعمد تحت اسم بنيامين جونسون. وأسقط من اسمه حرف الباء تمييزا لشخصه، ولكن دور الطباعة ظلت تستخدمه،." (١)

"الطالبان اللذان صدتهما أيضا فتعزيان باختها ليفيا، ولكن كبريان لا يقوى على تخليص ذاكرته من فتنة خوستينا.
رائعة الجمال هي-

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢١٩/٢٨

وأنا نهب بين حبي وغيرتي؛

يعتصرني الأمل والخوف؛

مهما بدا هذا شأننا-

ما أمر الحياة التي أحيا،

فأنصتي الآن يا جهنم!

إنني لأبذل لروحك البغيضة

نفسي ترثينها إلى الأبد،

وأحتمل العذاب والسقم،

نظير أن أملك هذه المرأة (٤٧)

ويقول الشيطان «قبلت»، ولكن خوستينا تستعصي عليه. وأخيرا يأتي بها إلى كبريان، ولكن حين يحاول العالم ضمها إلى صدره ينكشف قناعها فلا يبدي غير جمجمة. ويعترف لوسيفر (ابليس) أن قوة المسيح وحدها هي التي استطاعت أن تجيز عليه هذه الحيلة. وأخيرا، وبينما يساق كبريان وخوستينا إلى الاستشهاد المسيحي، تعترف بحبها له.

ومن التمثيليات التي ترجمها فتزجيرالد ظفرت «عمدة سلاميا» بالاطراء الشديد لتفوقها التقني. ولكن لمسرحية «الحياة حلم» مسحات باطنة أكثر عمقا. فهي تنحي موضوعات الشرف والحب القديمة جانبا، وتعرض على المسرح في جرأة مشكلة تكاد تكون شرقية: فالى أي حد تكون صروف الدهر وانتصارات الحياة دائمة وحقيقية؟ ألعلها ليست سوى أوهام، وخدع، وجزء من القناع الذي يحجب ما خلفه من حقيقة

جوهرية خالدة؟ هنا نرى باسليوس ملك بولندة يسجن ابنه الحديث الولادة، الذي تنبأ الطوالع بتمرده على أبيه، ويربي سجسموند في الأغلال وسط حيوات." (١)

"يقينا أن العدد الأكبر منهم، الذين لم يكن لهم صوت في إدارة الأمور كان يجدر ألا يتحملوا وزر أخطاء رؤسائهم، إذا كان هذا التفريق بين هؤلاء جائزا من الوجهة العملية. وهناك آلاف من الأبرياء خلطنا مع الأسف بينهم وبين عشرين شخصا مذنبين ... إن القضاء على جماعة يسوع سيعود بأكبر النفع على العقل، شريطة ألا يرقى تعصب الجانسنيين إلى مستوى تعصب اليسوعيين.

وإذا كان لنا أن نختار بين هاتين الطائفتين، فإننا نؤثر جماعة يسوع التي هي اقل طغيانا وجورا. فإن الجزويت الذين يخدمون الناس ويتكيفون معهم، شريطة ألا يعلن المرء عداءه لهم أجازوا للمرء أن يفكر كيفما يشاء. أما الجانسنيون فإنهم يفرضون على كل الناس أن يفكروا كما يفكرون هم. وإذا قدر لهم أن يسودوا لفرضوا على الناس تحكما شديدا في الأذهان والكلام والأخلاق (٦٢).

وكأنما أراد برلمان باريس الذي سيطر عليه الجانسنيون أن يضرب أمثلة توضح وجهة النظر هذه فأصدر في نفس عام ١٧٦٢ الذي أمر فيه بحل جماعة يسوع أمرا بإحراق كتاب روسو "إميل القرن الثامن عشر"، وهو كتاب لا يتعارض مع الدين نسبيا. وفي تلك السنة أعدم برلمان تولوز الذي تحكم فيه كذلك، جان كالاس، وأحرق برلمان باريس في ١٧٦٥ قاموس فولتير الفلسفي. وبعد ذلك بعام واحد ثبت حكم التعذيب والإعدام الصادر على الشاب شيفاليه دي لابار من محكمة آبفيل.

وفي ٢٥ سبتمبر ١٧٦٢ كان دالمبير قد كتب إلى فولتير: "هل تعلم ماذا سمعت عنك بالأمس؟ سمعت أنك بدأت ترثي لحال اليسوعيين، وأنك واقع تحت إغراء الكتابة في مصلحتهم" (٦٣) لقد كان في قلب فولتير دائما رصيد من شفقة والعطف، والآن وقد بدا أن المعركة ضد جماعة يسوع قد كسبت تماما فإنه كان يسمع أصواتا من اللوم والعتاب من معلميه الذين قضوا نحبهم. وأخذ إلى داره في فرني أحد اليسوعيين السابقين." (٢)

"تولوز، ولكنهما ليسا أكثر إيمانا منك ومني، وأكدت له أني مؤمن. وأبلغني مسيولي روى الفيلسوف أني أنا الوحيد المدرك الواعي الذي عرف أنه مسيحي" (١٠٨).

وكان الإلحاد بعض الأصدقاء حتى في الأديار. وتجنبا للفضيحة والعامة كان دوم كولينيون يسمح لعشيقته

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٣٧/٢٩

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٤٤/٣٨

بأن تكونا معه على المائدة حين يكون الضيوف الآخرون من الأصدقاء الموثوق بهم. ولك يكن يسمح لطائفة الرسوليين أن تتدخل في ملذاته، ولكنه أعتبر الديانة نظاما جديرا بالإعجاب للحفاظ على الأخلاق عند العامة (١١٠). وتحدث ديدرو (١٧٦٩) عن يوم قضاه مع راهبين: "قرأ أحدهما المسودة الأولى لرسالة حديثة قوية جدا عن الإلحاد، زاخر بالأفكار الجديدة الجريئة. وعلمت في شيء من الدهشة أن هذه هي النظرية السائدة في أديارهم. وبالنسبة للبقية كان هذان الراهبان نموذجا فذا للأديار. وكانا يتحليان بالتفكير والمرح والانبهاج وحسن النية والمعرفة (١١٠).

ويروي لنا مؤرخ كاثوليكي غيور أنه في أواخر القرن الثامن عشر كان قد حل شعور بالاحتقار، مبالغ فيه، ولكنه عام شامل، في كل مكان، محل التبجيل الذي كانت الأديار الكبرى قد بثته في العالم الكاثوليكي (١١١).

إن ازدياد التسامح نتج أساسا من تدهور الإيمان الديني. فمن السهل أن نكون متسامحين إذا كنا غير مكترثين. إن نجاح فولتير في قضيتي كالاس وسيرفنس حرك عددا من حكام الأقاليم إلى مطالبة الحكومة المركزية بتخفيف القوانين ضد البروتستانت، وتم هذا بالفعل ولم تلغ قوانين الهرطقة ولكنها كانت تطبق بشيء من الاعتدال. وترك الهيجونوت في سلام كما كان فولتير قد اقترح، وأبدى برلمان تولوز ندمه، بتطبيق مبدأ التسامح إلى حد أزعج الملك (١١٢). وأصدر بعض الأساقفة -مثل فيتز جيمس أسقف سواسون ١٧٥٧ - رسالة كهنوتية يدعو فيها كل المسيحيين إلى اعتبار الناس أخوة (١١٣).." (١)

"لشعب حر" (٤١). وقد أكسبته بلاغته ووطنيته تجاوبا حارا من الأمة، ولكنهما لم تحركا قلوب رجال السياسة. وفاز حزب الطواقي -أصدقاء الدستور وروسيا- الذين تمولهم كاترين الثانية بأربعين ألف جنيه، بأغلبية في ثلاث من مجالس الطبقات الأربع. ورد جوستافس باقتراض ٢٠٠. ٠٠٠ جنيه من المصرفيين الهولنديين ليشتري انتخاب مرشحه رئيسا للمجلس. ولكن كان عليه أن ينتظر تتويجه، فراجعت مجالس الطبقات التي يسيطر عليها حزب الطواقي يمين التتويج ليربط الملك بتعهد يلتزم فيه بقرار "أغلبية مجالس الطبقات" وأن تكون الكفاية وحدها أساسا لجميع الترقيات. وقاوم جوستافس نصف عام هذه الخطوة نحو الديمقراطية، وأخيرا وقع (مارس ١٧٧٢)، ولكنه في دخيلة نفسه اعتزم الإطاحة بهذا الدستور الكريه لأول بادرة تسنح له.

وقد مهد أرضه بتوطيد شعبيته. ففتح أبوابه للجميع، و "أغدق الهبات كأنه يتلقاها"، ولم يصرف أحدا غير

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٢٦٠/٣٨

راض. وقد وافقه نفر من قادة الجيش على أنه لا يستطيع تخليص السويد من تسلط روسيا وبروسيا–اللتين كانتا في هذا الوقت بالذات (٥ أغسطس ١٧٧٢) تقطعان أوصال بولندة–إلا حكومة مركزية قوية لا يعوق حركتها مجلس أمة مرتش. وساهم فرجيين السفير الفرنسي بمبلغ ٥٠٠. ٠٠٠ دوقاتية في نفقات الانقلاب. وفي ١٨ أغسطس رتب جوستافس أن يقابله ضباط الجيش في الترسانة صباح الغد. وجاء مائتان منهم، فطلب إليهم أن ينضموا إليه في الإطاحة بنظام حكم فاسد قلق يدعى عمه أعداء السويد، فوافقوا كلهم على أن يتبعوه إلا واحدا. أما الخارج على الإجماع، وهو رودبيك الحاكم العام، فقد ركب مخترقا شوارع ستوكهولم داعيا أفراد الشعب إلى حماية حريتهم، ولكنهم ظلوا غير **مكترثين**، لأنهم كانوا معجبين بجوستافس، ولم يحبوا هذا المجلس الذي كان في رأيهم يستر أولجركية من النبلاء ورجال الأعمال وراء أشكال ديمقراطية. وقاد الملك الشاب (وقد بلغ السادسة والعشرين) الضباط إلى ثكنات حرس ستوكهولم فتحدث إليهم حديثا بلغ من الإقناع مبلغا جعلهم." (١)

"حتى الألمان أذهلها وضعهم: "مدفأة وبيرة (جعة) وتدخين التبغ tobacco حول كل تجمع شعبي، فيصبح الجو ثقيلا حارا مع هذا فهم لا يميلون أبدا إلى التخلي عنه وكانت **ترثي** للبساطة الريفية التي يتصف بها اللباس الألماني، وميل الرجال الألمان للمسالمة (كونهم مروضين أو داجنين) واستعدادهم للتخلي عن السلطة. والانفصال بين الطبقات... أكثر ما يكون وضوحا في ألمانيا منه في أي مكان آخر... فكل شخص محتفظ برتبته (المقصود وضعه الطبقي) ومكانه.. كما لو كان منصبا أو وظيفة مخصصة له منذ زمن طويل"

لقد افتقدت في ألمانيا هذا التلاحم الخصب بين الارستقراطية والمؤلفين والفنانين والجنرالات والسياسيين، ذلك التلاحم الذي وجدته في المجتمع الفرنسي، فهنا في هذا المكان "ليس لدى النبلاء سوى القليل من الأفكار، وليس لرجال الأدب خبرة عملية كثيرة بالأمور العامة". والطبقة الحاكم ظلت إقطاعية والمفكرون أضاعوا أنفسهم في أحلام لا أساس لها على أرض الواقع (أحلام في الهواء) . وهنا اقتبست مدام دي ستيل القول المأثور الشهير الذي قال به جان بول ريختر (ريشتر) Jean Paul Richter:

" إمبراطورية البحار لإنجلترا، وإمبراطورية البر لفرنسا، أما ألمانيا فلها إمبراطورية الهواء" وأضافت قائلة "إن

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٤١/٤٠٩

انتشار المعارف في العصر الحديث يؤدي إلى إضعاف الشخصية إذا لم يتم تدعيم هذا الانتشار بعادة العمل في المجالات المختلفة وتحقيق الإرادة".

وأعجبت مدام دي ستيل بالجامعات الألمانية كأفضل جامعات في العالم في ذلك الوقت، لكنها كانت تأسى للغة الألمانية بما فيها من حروف صامتة متوالية، كما بغضت تركيب الجملة الألمانية وطولها، تلك الجملة التي تجعل الفعل الحاسم في آخرها (أي الفعل الأساسي الذي يحدد المعنى)، وبذا تكون المقاطعة أو المداخلة أثناء الحوار أمرا صعبا، وكانت تشعر أن المداخلة أو المقاطعة إنما هي حياة المناقشات. كما أنها وجدت في ألمانيا القليل جدا من المناقشات المفعمة بالحيوية والمهذبة في الوقت نفسه. تلك المناقشات التي تعد خاصية من خواص الصالونات الباريسية." (١)

"بلنسية إلى أوائل القرن السابع عشر الميلادي. وقد حافظ المدجنون على دينهم الإسلامي في ظروف سيئة للغاية تشبه العبودية. وضعفت مع السنين اللغة العربية بينهم، وأصبحوا يكتبون كتبهم ورسائلهم باللغة الأعجمية. وهذه اللغة تختلف عن اللغة التي رأيناها في أيام الدولة الأموية أو ملوك الطوائف كالتي في أزجال بن قزمان. بل هذه لغة دارجة تكتب بالحروف العربية وهي حسب المناطق أما قشتالية (إسبانية اليوم) أو برتغالية أو أراغونية (اندثرت اليوم) أو كتلانية. وأصبح لهذه اللغة أهمية كبيرة بين المسلمين بعد سقوط غرناطة.

أما سكان مملكة غرناطة فكان عددهم يساوي، على صغر رقعتها، عدد سكان ما تبقى من الجزيرة الإيبرية أو يقاربه. وكانوا جميعا مسلمين إذ لم تبق بينهم أقليات نصرانية، كما أن اللغة الأعجمية اندثرت وأصبحت اللغة العربية بلهجتها الأندلسية هي لغتهم الوحيدة، بينما لم تكن الإسبانية سوى لغة أجنبية. وكانت مملكة غرناطة هي ملجأ الأندلسيين المدجنين وغيرهم، فحدودها دائما مفتوحة لهم، وتستقبل كل سنة عددا كبيرا من المهاجرين من الشمال ومن المجاهدين من المغرب.

وفي هذه الفترة المظلمة التي أدت إلى ظهور مملكة غرناطة كتب أبو الطيب صالح بن شريف الرندي رائيته الشهيرة التي يصف فيها أوضاع الأندلس أرضا وشعبا من ظلم وبؤس وهلاك، إذ يقول:

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

إلى أن قال:

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ملحق/٦١٨

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الألف هيمان

على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

ثم يقول:

يا من لذلة قوم من بعد عزهم ... أحال حالهم كفر وطغيان

بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان." (١)

"البحر : موشح (قمر يجلو دجى الغلس ** بهر الأبصار مذ ظهرا) (آمن من شبهة الكلف **) (ذبت في جبيه بالكلف **) ٤ (لم يزل يسعى إلى تلفي **) ٥ (بركاب الدل والصلف **) ٦ (آه لولا أعين الحرس ** نلت منه الوصل مقتدرا) ٧ (يا أمير جار مذ وليا **) ٨ (كيف لا ترثي لمن بليا **) ٩ (فبثغر منك لي جليا **)٠ (قد حلا طعما وقد حليا **)

". (٢)

"البحر : طويل (أما لك ترثي لحالة مكمد ** فينسخ هجر اليوم وصلك في غد) (أراك صرمت الحبل دوني وطالما ** أقمت بذاك الحبل مستمسك اليد) (و عوضتني بالسخط من حالة الرضا ** ومن أنس مألوف بحالة مفرد) ٤ (و ما كنتم عودتم الصب جفوة ** و صعب ، على الإنسان ، ما لم يعود) ٥ (طويت شغاف القلب موسى على الأسى ** وأغريت بالتسكاب جفن المسهد) ٦ (وما أنت إلا فتنة تغلب الأسى ** وتفعل بالألحاظ فعل المهند) ٧ (و توجك الرحمن تاج ملاحة ** وبهجة إشراق بها الصبح يهتدي) ٨ (يميل بذاك القد غصن شبابه ** كميل نسيم الريح بالغصن الندي) ٩ (و يهفو فيهفو القلب عند انعطافه ** فهلا رأى في العطف سنة مقتد)٠ (أبى الله إلا أن عز جماله ** يسوم به الأحرار ذلة أعبد)

---

(١) انبعاث الإسلام في الأندلس، علي المنتصر الكتاني ص/٣٨

(٢) ديوان الشاب الظريف، ص/٤٥٣

(١) ".

"٣(فتى سمته سمت النبي وما انتقى ** مواخاته إلا لعظم مقامها)(فدت نفسه نفس الرسول بليلة ** سرى المصطفى مستخفيا في ظلامها)(تعاهد فيها المشركون وأجمعوا ** على الختر بئس العهد عهد لئامها)٤ (على الفتك بالذات الشريفة عيلة ** على طمس أنوار الهدى باصطلامها)٥ (فبات علي في فراش محمد ** ليبتاع ما تهذي به في سوامها)٦ (لعمري هل تدري بأن أمامها ** على الفرش ساقيها حميم حمامها)٧ (له فتكات يوم بدر بها انثنت ** صناديد فهر همها في انهزامها)٨ (تذوب على أهل القليب قلوبها ** أسى **وترثيها** بعض بنامها)٩ (سقى عتبة كأس الحتوف وجرع الوليد ** ابنه بالسيف مر زؤامها) ٤٠ (وفي أحد أبلى تجاه ابن عمه ** وفل صفوف الكفر بعد التئامها)

---

(٢) ".

" ٪ (بجيش تضل البلق في حجراته ٪ ترى الأكم فيه سجدا للحوافر) ٪ ٪ (وجمع كمثل الليل مرتجس الوغي ٪ كثير تواليه سريع البوادر) ٪ |

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروي عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول ٪ (بجيش تضل البلق في حجراته) ٪ قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه . | قالوا وقتلت خثعم رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته **ترثيه** : ٪ (لعمري وما عمري على بهين ٪ لنعم الفتى غادرتم آل خثعما) ٪ ٪ (وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ٪ إلى جنب أشراج أناخ فألجما) ٪ ٪ (فأرسلها رهوا كأن رعالها ٪ جراد زهته ريح نجد فأتهما) ٪ | فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلافرسه . قوله (تضل البلق في حجراته) غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فإذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شئ ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر . |

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن النبي & لما إنصرف من بدر الموعد لم يلق كيدا وأصحابه سبعون راكبا وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد قال حسان بن ثابت : ٪ (أقمنا على الرس النزوع لياليا ٪ بأرعن جرار عريض المبارك) ٪ ٪ (ترى العرفج الحولي تذري أصوله

---

(١) ديوان ابن سهل الأندلسي، ص/٣٧

(٢) ديوان ابن شهاب، ص/٢٥

٪ مناسم أخفاف المطى الرواتك) ٪ ٪ (إذا أرتحلوا عن منزل خلت أنه ٪ قريب المدى بالموسم المتعارك) ٪ ٪ (نسير فلا تنجو اليعافير وسطنا ٪ وإن داءلت منا بشد مواشك) ٪

" (١).

"أو قلما يكتب بي ما ألقا ... من أدب مستحسن قد صنفا

يا ليتني كنت لعمرو عوده ... أوحلة يلبسها مقدوده

أو بركة باسمه معدوده ... أو بيعة في داره مشهوده

يا ليتني كنت له زنارا ... يديرني في الخصر كيف دارا

حتى إذا الليل طوى النهارا ... صرت له حينئذ إزارا

واكبدي من خده المضرج ... واكبدي من ثغره المفلج

لا شيء مثل الطرف منه الأدعج ... اذهب للنسك وللتحرج

إليك أشكو يا غزال الإنس ... ما بي من الوحشة بعد الأنس

يا من هلالي وجهه وشمسي ... لا تقتل النفس بغير النفس

جدلي كما جدت بحسن الود ... وارع كما أرعى قديم العهد

واصدد كصدى عن طويل الصد ... فليس وجد منك مثل وجدي

ها أنا في بحر الهوى غريق ... سكران من حبك لا أفيق

محترقا ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق

فليت شعري فيك هل **ترثي** لي ... من سقم ومن ضنى طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمين المجتهد ... إن أمرا أسعدته لقد سعد

يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... ألا استمعت القول من فصيح

---

(١) ديوان المعاني، ٦٩/٢

يبيح عن قلب له جريح ... ناح بما يلقي من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال فس قتوم الاقدم ... يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قمصا ... مشوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيامخلصا ... يشفي ويبري ألمها وأبرصا
بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور
ومن إليه من الأمور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا ... وعالجوا طول الحياةبوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مستعملين يعبدون عيسى
بحق ماري مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون ... من نافع الأدواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر ... وعيدا نسموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر ... وعيد مرماري العظيم الذكر
بحق شعباء وبالهياكل ... والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل ... ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد ... قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهادي
بحق اثني عشر من الأمم ... ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
وقوله فأقسطت الصواب فقسطت تأمل:

حتى إذا أصبح الدجى جلا الظلم ... ساروا إلى الله ففازوا بالحكم

بحق ما في محكم التنزيل ... من محكم التحريم والتحليل." (١)

"٣(أما ترثي لأطفال صغار ** أبوهم من محلتهم طريد)(يمر العيد بالصبيان لهوا ** و ليس لهم مع الصبيان عيد)(فأين مكارم الأخلاق يا من ** ببهجة وجهه ابتهج الوجود)٤ (فثم بواعث بعثت غرامي ** و أهوال يشيب لها الوليد)٥ (و ما جسمي على الحدثان صخر ** و لا قلبي على السلوى حديد)٦ (فكن يد نصرتي وجناب عزي ** إذا ما جار جبار عنيد)٧ (و قلللمعتدين على بعدا ** لمدين مثل ما بعدت ثمود)٨ (فلا عدد ولا مدد يقيهم ** و لا مصر ولا قصر مشيد)٩ (و أنت المستعان لكل خطب ** وما يبدي الزمان وما يعيد) ٤٠ (و سيفك في النوائب غير ناب ** وسهمك ماء مورده الوريد)

". (٢)

" ١ – (فلا تطمع أبيت اللعن فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع)

٢و – قالت امرأة من طيىء

٣ – (دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم)

٤ – (فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

---

١ – فلا تطمع أي ادفع طمعك في تحصيل هذه الفرس ودفعك عنها نقدر عليه ونستطيعه

٢ – هي بنت بهدل بن قرفة الطائي أحد لصوص العرب وكان في زمن بني أمية وكان من حديث هذا الشعر إن عون بن جعدة خرج حاجا في خلافة عبد الملك بن مروان فعرض له لصوص فيهم بهدل ومروان ابنا قرفة فطلبوا منه ما كان عنده وألحوا في الطلب وكلما عرض عليهم شيء أبوا قبوله فعلم أنهم لصوص فأخذلهم أهبته وأناخ رواحله وقاتلهم وقاتلوه وكان بهدل لا يسقط له سهم فرماه فأقصده ومات لوقته وأغاروا على متاعه فلم يروا ما كانوا يظنون فلما رأوا ذلك هربوا وتركوه صريعا ملقى على الأرض فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى عماله أن يطلبوا قتلة عون وأن يأخذوا السعاة بذلك أشد الأخذ ومازالوا

---

(١) ديوان الصبابة، ص/٩٥

(٢) ديوان البرعي، ص/٣٢٣

يطلبون واحدا بعد واحد حتى ظفروا ببهدل فقتله عثمان بن حيان وكان أميرا على المدينة فقالت بنت بهدل هذه الأبيات ترثيه بها

٣ – الشرى مكان والحفيظة الغضب أي استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب وقولها يكلم أي يجرح وهو هنا كناية عن الغلبة والقتل

٤ – فيا ضيعة الفتيان لفظه لفظ النداء ومعناه التعجب والعتل القود بعنف والفنيق من قولهم تفنق في عيشه إذا تنعم وهو الفحل المصنوع للفحلة والمسدم المشدود الفم من خوف عضاضه ." (١)

" ١ – (أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر)

٢ – (وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر)

٣ – (ولما حضرنا لاقتسام تراثه ... أصبنا عظيمات اللهى والمآثر)

٤ – (وأسمعنا بالصمت رجع جوابه ... فأبلغ به من ناطق لم يحاور)

٥و – قالت امرأة من بني شيبان

يمكنه إعماله وقد قطع فيه نصل سيف طالب الثأر وهو كناية عن أن المرثي كان كسيفه الذي يدفع به الأعداء فلما مات لم يمكنه مقاومتهم

١ – أمجدنا أكثر لنا والقرى الضيافة والدخيل المتمكن من القلب والمخامر من الخمر وهو الستر والمعنى وفدنا عليه فلم يمنعنا قراه لكن هذا القرى هو ما تزودنا به من الحزن والوجد والكآبة

ح آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ – التراث الميراث واللهى جمع لهوة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيئا من المال لكثرة البذل

٤ – المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

---

(١) ديوان الحماسة، ٦٨/١

٥ – هي بنت فروة ابن مسعود ترثي فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابن ." (١)

" ١ – (يعقوب لا تبعد وجنبت الردى ... فلنبكين زمانك الرطب الثرى)

٢ – (ولئن تعهدك البلاء بنفسه ... فلقيته إن الكريم ليبتلى)

٣ – (وأرى رجالا ينهسونك بعد ما ... أغنيتهم من فاقة كل الغنى)

٤ – (لو أن خيرك كان شراكله ... عند الذين عدوا عليك لما عدا)

وقالت صفية الباهلية ترثي أخاها

المهدي ونال منه ما نال قال أبو حنش هذه الأبيات

١ – تبعد تهلك والردى الهلاك أيضا ولم يرض بالحرى على عادة الناس من قولهم عند المصاب لا تبعد حتى زاد عليه وجنبت الردى ليكون الكلام أدل على التوجع ويشير بقوله زمانك الرطب الثري إلى كثرة إحسانه إلى الناس فكأنه كان لهم كالمطر تحيي به الأرض وسكانها والثرى التراب الندي والمعنى يا يعقوب لا تهلك والهلاك بعيد منك فنحن لحزننا عليك نبكي على أيامك التي عم فيها إحسانك إلى الناس

٢ – تعهدك تفقدك والبلاء هنا المحنة التي نزلت به ويبتلى يختبر يقول فلئن كان البلاء بحث عنك وتفقدك بنفسه فلقيته بعزيمة صادقة وصبر جميل فلا يهلك ذلك ولا تسأم فإن الكريم مبتلى ومختبر

٣ – ينهسونك يغتابونك وأصل النهس بمقدم الفم والنهش بجميعه التفت بهذا الكلام إلى رجال يذمون يعقوب وينالون من عرضه فيقول إني أرى رجالا نهسوا عرضك وجحدوا فضلك وإحسانك بعد ما أغنيتهم من فقر وأنقذتهم من بلاء وشقاء يصفهم باللؤم وجحد المعروف وإنكار الفضل ودناءة الفعل والأصل

٤ – المعنى لو كان ما صار إليهم من إحسانك الوافر يفرض شرا لما جاوزهم إلى غيرهم ولما كان الأذى ينالك من جهته ." (٢)

" ١ – قالت قتيلة بنت الحرث بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف

٢ – (يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق)

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٣٦٤

(٢) ديوان الحماسة، ١/٣٩٣

٣ – (بلغ به ميتا فإن تحية ... ما إن تزال بها الركائب تخفق)

٤ – (مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمائحها وأخرى تخنق)

أشد تلك المصيبة وأعظمها

١ – هي من الشعراء المخضرمين قال محمد بن إسحاق لما انصرف رسول الله من بدر حتى إذا كان بالصفراء وقال عمر بن شبة في حديثه بالأثيل قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار أمر عليا رضي الله عنه أن يضرب عنقه وكان النضر يؤذي رسول الله والمسلمين ويقول محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة فلما قتل قالت أخته قتيلة بنت الحارث هذه الأبيات **ترثيه** بها فيقال إنه لما سمع النبي كلامها قال لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته هذا وإن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه

٢ – الأثيل موضع فيه قبر النضر والمظنة موضع الظن تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة وقولها وأنت موفق أي إن وفقت لطريقك ولم تحد عنه والمعنى يا راكبا إن الأثيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم تزغ عنه

٣ – إن زائدة وتخفق تتحرك

٤ – مسفوحة مصبوبة والمائح النازل في البئر ليملأ الدلو ومعنى البيتين إذا وصلت هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لا تزال الركائب تتحرك بها مني إليه وبلغه عبرة مصبوبة استنزفها من العين فقده وأخرى آخذة بالحلق ." (١)

" ١ – (لحا الله قوما أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضمرا)

وقال آخر

٢ – (كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت ... فقص مر الليالي من حواشيها)

٣ – (أضحى أبو القاسم الثاوى ببلقعة ... تسفى الرياح عليه من سوافيها)

٤ – (هبت وقد علمت أن لا هبوب به ... وقد تكون حسيرا إذ يباريها)

٥ – (أضحى قرى للمنايا رهن بلقعة ... وقد يكون غداة الروع يقريها)

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٤٠٠

٢ – آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ – التراث الميراث واللهى جمع لهوة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيء من المال لكثرة البذل

٤ – المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

٥ – هي بنت فروة ابن مسعود ترثي فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابن

فتى حنظلي بلغ من جوده أن ركابه لا تزال تأمر بمعروف وتنهي عن منكر وإذا كان هذا حالها فكيف حال صاحبها

١ – لحا الله قوما هذه الكلمة تستعمل في الذم والسب وأسلموك أي خذلوك وقعدوا عن نصرتك وجردوا عناجيج أي جردوها للركض في الهرب والعناجيج جمع عنجوج الطويل من الخيل والضمر جمع ضامر والمعنى قبح الله قوما لم ينصروك بل جردوا الخيول العظيمة التي وهبتها لهم للركض في الهرب فركبوها وهربوا

٢ – ما اتسعت ظرف كأنه قال مقدار الأرض كلها وأصل القص التتبع والحواشي الأطراف والمعنى كانت خزاعة كثيرة تكاد تملأ الأرض لكن أتى عليهم الزمان فأخذ من أطرافهم من شاء

٣ – الثاوي المقيم والبلقعة المكان الخالي وتسفى تطير التراب والمعنى دفن أبو القاسم بمكان خال من الناس تأتي العواصف بالتراب فتلقيه عليه

٤ – أن لا هبوب به أن مخففة من الثقيلة والهبوب الانتباه والحركة من النوم وحسيرا ضعيفة والمعنى أن الرياح إنما تهب لعلمها أنه ميت لا يقدر على مباراتها ولو كان حيا لم تهب لقصورها عنه

٥ – القرى طعام الضيف والمعنى أنه صار طعمة للمنايا بمكان ." (١)

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٤٠٩

" ١ – (فإن يك نوء من سحاب أصابه ... فقد كان يعلو في اللقاء ويظفر)

٢و – قالت زينب بنت الطثرية **ترثي** أخاها يزيد بن الطثرية

٣ – (أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله)

---

١ – النوء أصله النجم مال إلى الغروب والمراد به هنا الصاعقة التي أصابته وقوله فقد كان يعلو في اللقاء أي يسمو على غيره في الحرب يقول فإن تك قد أصابت أخي صاعقة من السماء فلقد كان شجاعا مظفرا

٢ – واسم أبيها الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير والطثرية أمها وهي شاعرة محسنة مجيدة من شعراء الإسلام وهي أخت يزيد بن الطثرية الشاعر المفلق الغزل المجيد وكان يزيد قد قتل في خلافة بني العباس قتلته بنو حنيفة بن لجيم وذلك أن بني حنيفة أغارت على طائفة من بني عقيل معهم رجل من بني قشير جار لهم فقتل القشيري ورجل من بني عقيل واطردت بنو حنيفة إبل بني عقيل فجاء الصريخ قومهم فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجلا وعقروا أفراسا ثلاثة من خيلهم وانصرف بنو حنيفة ثم إن بني عقيل لبثوا سنة فانحدرت منتجعة من بلادها إلى بلاد بني تميم فذكر ذلك لبني حنيفة وحذر العقيليون منهم وأتتهم النذر من نمير فانكشفوا وجمعوا جمعا لغزو بني حنيفة فالتقوا بالعقيق والتحم بينهم القتال وفي الأثناء نشب ثوب يزيد بجزل حطب فانقلب عن فرسه وضربه بنو حنيفة بسيوفهم فقتلوه فقالت أخته زينب **ترثيه** بهذه الأبيات

٣ – الأثل شجر وعقيق واد ببلاد بني عقيل مما يلي اليمامة وغاله أهلكه ومجاوري صفة لبطن العقيق ومقيما مفعول ثان لأرى والمعنى أني أرى الأثل من بطن العقيق المجاور لي مقيما على حاله لم يتغير ." (١)

" ١ – (وقالت مية ابنة ضرار الضبية **ترثي** أخاها قبيصة بن ضرار)

٢ – (لا تبعدن وكل شيء ذاهب ... زين المجالس والندي قبيصا)

٣ – (يطوي إذا ما الشح أبهم قفله ... بطنا من الزاد الخبيث خميصا)

وقال عكرشة العبسي يرثي بنيه

٤ – (سقى الله أجداثا ورائي تركتها ... بحاضر قنسرين من سبل القطر)

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٣٢/١

١ – وقبيصة بن ضرار الضبي كان أحد الفرسان المشهورين عند العرب وكان مع قومه يوم الكلاب الثاني يوم اجتمع بنو الحرث بن كعب وكان قائدهم عبد يغوث بن صلاءة الحارثي وغزا بني تميم فظفرت به بنو تميم وقتلوه وكان ذلك في الجاهلية قبل الإسلام بقليل

٢ – وكل شيء ذاهب هذا تسل وتصبر أي قالت متوجعة لا تبعدن ثم عقبته بالتسلي فقالت وكل حي منا سيذهب ويموت وزين المجالس منادى حذف منه حرف النداء والندى مكان اجتماع الناس وقبيص عطف بيان على لفظ زين المنادى والمعنى كنت أتمنى دوامك يا زين الأهل والعشيرة ولكن كل حي ميت

٣ – يطوي يجيع بطنه والفعل طوى يطوي من باب رمي يرمي إذا تعمد الجوع وعدم الأكل والشح أشد الحرص وأبهم قفله جعل الفعل للشح على معنى أن الشح جعل قفله مبهما لا يدري كيف يفتح وهذا كناية عن تملك البخل للناس وعدم الجود بما في أيديهم تقول هذا الرجل كان يطوي بطنا خميصا من الزاد السيئ الغذاء إذا اشتد الزمان فصار كل مالك لشيء يبخل به حتى لا يمكن انتزاعه منه تصفه بالكرم والجود حين الجدب والقحط

٤ – الجدث القبر وقنسرين بلد بالشام وحاضر موضع به والسبل المطر السابل وهو مفعول ثان لسقى ." (١)

" ١ – (ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري)

٢ – (وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري)

٣ – (وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفرى)

وقالت امرأة **ترثي** أباها

٤ – (إذا ما دعى الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب)

٥ – (وكم من سمي ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب)

وقال رجل من كلب

٦ – (لحا الله دهرا شره قبل خيره ... ووجدا بصيفي أتى بعد معبد)

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٤٣٦

١ – المعنى أتمنى أن أمي لم تلدني وأنني سبقتك إلى الموت حين ما كنا نتسابق إليه إذ هو الغاية التي ينتهي إليها كل أحد

٢ – المعنى أني كنت أكنى به في حياته فالآن كلما أكنى به بعد مماته تراءت لي صورته فأبكي جزعا وحزنا عليه

٣ – المعنى كنت في حياته ذا شوكة وبأس تهابني الأعداء فالآن بعد فقده صرت ذليلا بينهم

٤ – العجول الناقة التي فقدت ولدها والمهيب الراعي الذي ينادي الإبل والمعنى أنني كلما نادى واحد باسم علي أو يذكره أجد في نفسي فزعا يعتريني كما يعتري الناقة التي فقدت ولدها وقت نداء الراعي لها لأن فقده صيرها ترتاع بأدنى سبب

٥ – المعنى وكم من شخص تسمى باسم علي لكن والدي كان بمعزل عنهم إذ لا يقاس به أحد

٦ – لحاه الله دعاء على الدهر الذي وصفه ومعنى شره قبل خيره أن ما كان يخشى شره في الأحبة سبق ما كان يرتجي من خيره بهم ثم دعا بعد ذلك على وجد تعجل ." (١)

" ١ – (وهون وجدي أنني سوف أغتدي ... على إثره يوما وإن نفس العمر)

٢ – (فتى كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر)

٣ – (فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر)

وقالت عمرة الخثعمية **ترثي** ابنيها

٤ – (لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما)

٥ – (هما أخوافي الحرب من لا أخاله ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما)

---

١ – هون فاعل خفف وموضع أنني رفع لأنه فاعل هون ونفس أطيل والمعنى وخفف وجدي وقلقي أني ذاهب في أثره وإن نفس في أجلي وأطيل

٢ – ثوب رجع صوته في الدعاء مرة بعد أخرى والمعنى أذكر فتى إذا استغاث به مستغيث أو دعاه داعي الحرب أمضى السيف في الأعداء حتى يؤدي حق الضرب وتشقى به الإبل فينحرها للأضياف

٣ – يدنيه يقربه والمعنى أنه كان يعد التفرد في الغنى لؤما فيشرك أصدقاءه فيه كما أنه في حال الفقر يعد مخالطتهم لؤما أيضا لما فيه من التعرض لما في أيديهم فيبعد عنهم لعفته

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٤٤٥

٤ – كأنها لما استشرف الناس جزعها أظهرت الإنكار والتكذيب فيما زعموه فقالت وهل جزع الخ وأحرف ندبة بمعنى أتألم وابأباهما أصله بأبيهما فرت من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فقلبت الياء ألفا والمعنى ما صدقوا فيما قالوا بأني جزعت على ولدي حق الجزع وهل قولي وبأباهما يعد جزعا

٥ – فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله في الحرب ونبوة السيف كلاله وعدم مضائه هذا في الأصل ثم استعيرت للشدة والمعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له فإذا خاف ضعفا أو ظلما استغاث بهما فيدفعانهما عنه ." (١)

" ١ – (لنعم الفتى أدى ابن صرمة بزه ... إذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

٢ – (إذا ذكر الأخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا)

٣ – (وطيب نفسي أنني لم أقل له ... كذبت ولم أبخل عليه بماليا)

٤ – (وذي إخوة قطعت أقران بينهم ... كما تركوني واحدا لا أخاليا)

٥و – قالت أخت المقصص الباهلية

---

١ – ابن صرمة هو هاشم بن حرملة الذي رد على صخر سلاح معاوية وسلبه والبز السلاح والشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة والمعنى لنعم الفتى هو إذ أدى ابن صرمة إلى صخر سلبه وسلاحه في وقت راح فيه فحل الشول خاوي البطن نحيف الجسم لتغير المرعى

٢ – رقرق الدمع صبه ولية اسم موضع والثاوي المقيم والمعنى أني كلما ذكر الأخوان صببت دموعا على تذكر هذا الفقيد وأخذت أحيي قبرا مقيما بلية

٣ – المعنى وهون ما ألقاه من الحزن عليه أني لم أخجله مرة بقولي له كذبت ولم أبخل عليه بمالي

٤ – الأقران الحبال وانتصب واحدا على الحال والمعنى ورب رجل صاحب إخوة قطعت الأسباب الجامعة بيني وبين إخوته بقتلي إياهم كما أنهم تركوني وحيدا فريدا ويعني بالرجل نفسه

٥ – هي ميسون من بني الصموت من عبد الله ابن كلاب بن عامر بن صعصعة شاعرة من شعراء الإسلام كانت أيام عبد الملك بن مروان وهي ترثي بهذه الأبيات أخاها المقصص حين قتله هلال أخو بني

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٤٩/١

سمال بن عوف وكان من حديثه أن المقصص أخا بني الصموت خرج أيام فتنة ابن الزبير يأخذ الصدقات ممن يمر به من الناس حتى أتى بني قنفذ ." (١)

" ١ – (لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم يأتكم قوم ذوو أحساب)

٢ – (فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب)

٣ – (وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بكاليء معشاب)

٤و – قالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها

٥ – (أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهر والأيام أن أتصبرا)

٦ – (وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا)

---

١ – المقصص اسم المرثي والمعنى إن لم يأتكم قوم ذوو حسب يطلبون ثأر المقصص فهو رجل منكم مهدور الدم لامنا

٢ – الفكه الحسن الخلق الضحوك والنكباء ريح عادلة عن مهب الرياح المعروفة والخوان ما يؤكل عليه الطعام والأطناب حبال الخيمة والمعنى أنه حسن الخلق ضحوكا عند قربه من الخوان مع من يطعمهم من المحتاجين حين هبوب الريح التي تقلع أصول الخيام وتهلك الزرع فينشأ عنها شدة الجدب

٣ – ينبتون يجتمعون والفراخ دود يكون في العشب والكالئ موضع الكلأ وهو العشب والمعشاب الكثير العشب والمعنى أنه كان ملجأ لليتامى متفقدا لأحوالهم فكانوا يجتمعون عند بابه كاجتماع الدود في العشب

٤ – هي أخت العباس بن مرداس السلمي شاعرة مجيدة مقلة مخضرمة أمها الخنساء بنت عمرو الشاعرة

٥ – ختله خدعه والمعنى يا عيني ما خدعتكما بخيانة ولا حذرتكما من البكاء وأنتما مديمان له وما رضيت الأيام مني سلوا وتصبرا

٦ – تحسر البعير سقط تعبا والمعنى أني كنت قبل هذه الرزية واثقة بصبري إلى أن أخبرت بموت أخي فصرت كأني بعير حمل فوق الطاقة فسقط تعبا ." (٢)

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٥٦/١

(٢) ديوان الحماسة، ٤٥٨/١

" ١ – (كأنهم تحت الخوافق إذ غدوا ... إلى الموت أسد الغابتين الهواصر)

٢و – قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

٣ – (آليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

٤ – (فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)

٥ – (إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الموت أحمرا)

---

١ – الخافق المضطرب والهصر الدفع والكسر والهواصر واحده هاصر والمعنى أنهم لما ساروا في الصباح إلى لقاء العدو والرايات عليهم خافقة أشبهوا الأسود الكواسر في غاباتها

٢ – شاعرة فصيحة صحابية لها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة في رأيها تزوجت بعبد الله بن أبي بكر الصديق فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف خطبها عمر بن الخطاب فتزوجت به فلما قتل خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما قتل عنها بوادي السباع تزوجها الحسين بن علي رضي الله عنهما فلما قتل بكربلاء كانت أول من رفع خده عن التراب ثم تأيمت بعده وكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة قال أبو رياش هذه الأبيات قالتها عاتكة **ترثي** بها زوجها عبد الله بن أبي بكر وكان قد أصابه سهم يوم الطائف رماه به أبو محجن فماطله حتى مات في خلافة أبيه

٣ – آلى حلف والمعنى أقسمت لا أترك البكاء عليك ولا يمس جلدي ماء أغتسل به من الغبار حزنا على فقدك

٤ – الهياج الحرب والمعنى أنه كان عديم المثال ومن العجيب رؤية إنسان فتى مثله أكثر منه كرا وحماية وصبرا على القتال

٥ – فيه الأسنة الضمير يرجع إلى الهياج ويترك الموت أحمر أي شديدا والمعنى أنه كان ." (١)

" وقالت العوراء بنت سبيع

١ – (أبكي لعبد الله إذ ... حشت قبيل الصبح ناره)

٢ – (طيان طاوى الكشح لا ... يرخى لمظلمة إزاره)

٣ – (يعصي البخيل إذا أراد ... المجد مخلوعا عذاره)

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل **ترثي** عمر

---

(١) ديوان الحماسة، ١/٤٦٠

٤ - (من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طول السهد)

٥ - (جسد لفف في أكفانه ... رحمة الله على ذاك الجسد)

مشهور الذكر لكرمه وعفته فلو رميت به نواحي الريان لزالت هضابها عن أماكنها لشدة بأسه وهيبته

١ - حشت أوقدت والمعنى أني أبكي لفقد عبد الله حين أوقدت نار حربه قبل الصبح فقتل

٢ - الطيان أصله الجائع فأستعير له طاوي الكشح أي مضمر البطن ليس بضخم الجنبين ويقال رجل طوى كشحه أي أعرض بوده والمظلمة المرأة التي أظلم عليها الليل والمعنى أنه كان ضامر البطن معرضا عمن لا يريد وده عفيفا وكان من عادتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا طرق امرأة بالليل لفاحشة وقضى منها مراده أرخى إزاره راجعا على أثر قدمه لئلا يخرج الأمر من حد الخفاء

٣ - العذار للفرس اللجام والمعنى أنه كان لا يطيع بخيلا على بخله إذا أراد المجد ولا يبالي بقول عاذل كالفرس الذي خلع لجامه فلا يستطاع رده

٤ - عادها جاءها وابتدأها وشفها أضر بها ونقصها والمعنى من أستنجده لنفس نزلت بها الأحزان ومن لعلاج عين أضر بها ونقصها طول السهر

٥ - رحمة الله الخ اعتراض بين الأوصاف ." (١)

" وقال آخر

١ - (وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق)

٢ - (تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق)

٣ - (فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق)

٤ - (فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي)

٥و - قال ابن الطثرية

٦ - (عقيلية أما ملاث إزارها ... فدعص وأما خصرها فبتيل)

---

(١) ديوان الحماسة، ٤٦٢/١

يا خليلي بارك الله فيكما انزلا بهند وإن كان قصدكما غيرها وما حملتكما على النزول إلا لصدق إحائكما وتبليغ رسالتي إليها فاستعطفاها وقولا لها ما عدلنا عن الطريق ضلالا عنها ولكن نزلنا عندكم عمدا لمحض لقائكم

١ – يقول ليس في الأرض أشقى من صاحب الحب وإن كان يجده حلو المذاق

٢ – نصب مخافة على المصدر

٣ – معنى البيتين تراه في كل حالاته دائم البكاء وذلك ليس إلا خوف الفرقة أو لما به من شدة الشوق فبكاؤه في النأي لأجله وفي القرب لأجل الفراق

٤ – المعنى أن عينه عند البعد تسخن بدمعة الحزن وعند التلاقي تسخن بدمعة الحزن أيضا خوفا من الفراق

٥ – هو يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير والطثرية أمه وهو شاعر إسلامي وكان جميل الوجه حسن الشعر حلو الشمائل وكان يقول من أفحم عند النساء فلينشد من شعري وكان كثيرا ما يتحدث إلى النساء وقد قتله بنو حنيفة يوم الفلج وكان لبني عامر على بني حنيفة ولأخته زينب شعر جيد ترثيه به

٦ – ملاث الإزار الموضع الذي يشد عليه الإزار وهو العجز والكفل والدعص قطعة ." (١)

"البحر : – (هوى أفنى الوجود فزال رسم ** ولا روح ولا وأبيك جسم) (وشخص في المحبة ماله اسم ** وهذا من جنون العشق قسم) (دور **) ٤ (بما بجفون عينك من فتور ** وما بالخد من نار ونور) ٥ (دع الهجران واسمح بالحضور ** وهذا من جنون العشق قسم) ٦ (دور **) ٧ (قوامك إن مشى يحكي العوالي ** وأنت على ملاح الكون والي) ٨ (أما ترثي أما ترثي لحالي ** وهذا من جنون العشق قسم) ٩ (دور **)٠ (محب قد أمات النفس قتلا ** ولم يقبل بمن يهواه عدلا)

". (٢)

"٣(وحياك الغمام بمستهل ** يصوب فترتوي الهيم الظماء)(قد ستودعت أكرم من عليها ** فأنت لكل مكرمة وعاء)(وقد واريت من لو كان حيا ** لضاق بفضله الواقي الفضاء)٤ (وقد أفعمت من كرم السجايا ** وطيبها كما فعم الإناء)٥ (فأصبح منك في جنات عدن ** بدار الخلد لو كشف الغطاء)٦

---

(١) ديوان الحماسة، ٢/١٢٤

(٢) ديوان عبد الغني النابلسي، ص/١٣٣٧

(مضى فيمن مضى وكذاك نمضي ** وغايتنا – وما نبقى – الفناء)٧ (فما يأتي الزمان به بثان ** إلى الدنيا ولا تلد النساء)٨ (فقدناك ابن عثمان فقلنا ** فقدنا الجود وانقطع الرجاء)٩ (ستبكيك الأيامى واليتامى ** وترثيك المكارم والعلاء) ٤٠ (وكنت علمت أنك سوف تمضي ** ويبقى الحمد بعدك والثناء)

". (١)

"البحر : – (مقيم في اقترابي وابتعادي ** على عهد المحبة والوداد ؛) (خيالك لا يبرح قيد فكري ** وحبك ليس ينزح عن فؤادي ؛) (خلقت لشقوتي ولطول حيني ** على شرط اختياري وانتقادي ؛) ٤ (ولولا سحر عينك لم تجدني ** وحقك في الهوى سلس القياد ؛) ٥ (فزدني ما استطعت فلى وصدا ** فحاكمنا غدا رب العباد . .) ٦ (وقد يعمى الهوى بصري فأدعو ** عليك بغير قصد واعتماد) ٧ (ولولا أن تنم بنا اللواحي ** وتسلقنا بألسنة حداد ؛) ٨ (لكنت أريك صبرا في انتقاص ** بليت به ووجدا في ازدياد) ٩ (وقلبا لا ترق له وترثي ** وقد رقت له فيك الأعادي ؛)٠ (وخال عن هواك أطال لومي ** ودون سماعه خرط القتاد ؛)

". (٢)

"البحر : بسيط تام (إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحم ** فلا مشت بي في العلا قدم) (لا بد أن أتداوى بالقنا فلقد ** صبرت حتى فؤادي كله ألم) (عندي من العزم سر لا أبوح به ** حتى تبوح به الهندية الخذم) ٤ (لا أرضعت لي العلى ابنا صفو درتها ** إن هكذا ظل رمحي وهو منفطم) ٥ (إلية بضبا قومي التي حمدت ** قدما مواقعها الهيجاء لا القمم) ٦ (لأحلبن لدي الحرب وهي قنا ** لبانها من صدور الشوس وهو دم) ٧ (مالي أسلم قوما عندهم ترثي ** لاسالمتني يد الأيام إن سلموا) ٨ (من حامل لولي الأمر مألكة ** تضوى على نفثات كلها ضرم) ٩ (يابن لألى يقعدون الموت أن نهضت ** بهم لدى الروع في وجه الضبا الهمم)٠ (الخيل عندك ملتها مرابطها ** والبيض منها عرى أغمادها السأم)

(١) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٥١٩

(٢) ديوان الهبل، ص/٣٤٤

____

". (١)

"٣(وجاعل الفضل فيما بيننا نسبا ، ** إذ كان في نسب الآباء تبعيد)(قد كان يجدي التناسي عنك دفع أسى ، ** لو أن مثلك في المصرين موجود)(قد أخلقت ثوب صبري فيك حادثة ** أضحى بها لثياب الحزن تجديد)٤ (برغم أنفي أن يدعوك ذو أمل ، ** فلا يسح عهاد منك معهود)٥ (وأن يرى ربعك العافي ، وليس به ** مرعى خصيب ، وظل منك ممدود)٦ (أبكي ، إذا ما خلا أوصاف مجدك لي ، ** فكري وأطلب صبري ، وهو مطرود)٧ (وألتجي بالتسلي أن ستخلفها ** أبناؤك الغر أو أبناؤك الصيد)٨ (فسوف ترثيك مني كل قافية ، ** بها لذكرك بين الناس تخليد)٩ (وأسمع الناس أوصافا عرفت بها ، ** حتى كأنك في الأحياء معدود) ٤٠ (فلا عدا الغيث تربا أنت ساكنه ، ** مع علمنا أن فيه الغيث ملحود)

____

". (٢)

"١(ترثي صروح الخير بانيها الذي ** لم يدخر فيها له مجهود)(والى رعايتها وفي أيامه ** لم يبطل التأسيس والتشييد)(فاليوم إن لم يبكه عقب له ** فمن الأولى ربى بكاه عديد)٤ (كم نشأ النشء الضعيف ورصانه ** فأعد جيل للبلاد جديد)٥ (ترثي الحصافة والثقافة والتقى ** من عاش لا ذم ولا تفنيد)٦ (هيهات أن تنسى مناقبه التي ** في كل ناد فاح منها عود)٧ (أين الصداقة لا مداجاة بها ** والجود أنفع ما يكون الجود)٨ (آداب حبر ملكته بلينها ** ما ليس يملك والمراس شديد)٩ (أخلاق حر لا يخالف عهده ** وعن السبيل القصد ليس يحيد)٠ (تلك الفضائل بلغته مكانة ** عزت وكان بها له تمهيد)

____

". (٣)

____

(١) ديوان حيدر بن سليمان الحلي، ص/١٣٥

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٥٦٧

(٣) ديوان خليل جبران، ص/٧٤٨

"١(لم تعتقد إلا الولاء وقد أبى ** لك أن تلبي داعي الإخفار)(وسموت عن أن يستميلك خادع ** بالمنصب المزجى أو الدينار)(فظللت مبدؤك القويم كعهده ** عند الوفاء وفوق الاستئثار)٤ (تزداد صدق عزيمة بمراسه ** ورسوخ إيمان بالاستمرار)٥ (تصل العشايا بالغدايا جاهدا ** ومجاهدا فيها بلا استقرار)٦ (حتى إذا أيقنت أن القول لا ** يعلو ودون الحق طوق حصار)٧ (رمت الشخوص إلى شعوب طلقة ** ترثي لشعب في أسى وإسار)٨ (إن الحكومة قد تداري مثلها ** والشعب قد يأبى فليس يداري)

---

(١) ".

"البحر : خفيف تام (بت في رحمة المهيمن فابلغ ** أربا من نعيم خير جوار) (ما لذي العنصر الكريم بهذي الدار ** إلا ابتغاء أكرم دار) (يا نصير الآداب تبكيك ** باكوراته اليوم بالدموع الحرار) ٤ (ومعز الأخلاق ترثيك عنها ** ألسن الأوفياء والأحرار) ٥ (إن أفعالك الحميدة في الشرق ** لتبقى حميدة التذكار) ٦ (وعلى الدهر بين آلك والصحب ** لك الخالدات في الآثار)

---

(٢) ".

"٢(يلقي الأدلة وهي كل سلاحه ** في وجه كل مناهض ومكابر)(لا لفظة تنبو لا لغو به ** يحشو الكلام ولا قذيفة ثائر)(ما بالصواب إلا الإفاضة حاجة ** كلا ولا يعليه رفع عقائر)٤ (في المجمع اللغوي وفى جاهدا ** قسطيه من أدب وعلم وافر)٥ (كانت له في وكانت قبله ** في خدمة الفصحى ضروب مآثر)٦ (وشجت بها أعراق مجد غابر ** وتوثقت أعراق مجد حاضر)٧ (ترثي العروبة من رثى لشقائها ** وعناه ضم نظامها المتناثر)٨ (أعلى منازتها وحاجة قومها ** أمثالها من عاليات منائر)٩ (لم يألها مددا لحسن مصيرها ** والوقت للأقوام وقت مصاير)٠ (رجل به رجحت على نظرائه ** شيم أبين تشبها بنظائر)

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/٩٠٠

(٢) ديوان خليل جبران، ص/٩٥٧

(١) ".

"٢(أمين طواك ليل خفت ألا ** يكون ظلامه الداجي هزيعا)(وأن يفنى بفخر منك فيه ** فيأبى فجره الثاني طلوعا)(على أني إخالك غير قال ** سكينته ولا باغ رجوعا)٤ (وكنت المرء شارف من يفاع ** فجال العمر واجتنب الوقوعا)٥ (فلم تسمع وأنت هناك لغوا ** ولم تك رائيا إلا ربيعا)٦ (وتنضي واضح الحدين رأيا ** فيملأ كل غامضة سطوعا)٧ (**وترثي** للأنام من الليالي ** ولا يلقاك حادثها هلوعا)٨ (وتأنف أن تبيت على رجاء ** ولست لما ترجي مستطيعا)٩ (يضيع المرء ما كسبت يداه ** بمطمعه ويملكه قنوعا)٠ (فضائل أعطت الدنيا جمالا ** ولكن لم تدعك بها ولوعا)

---

(٢) ".

"٢(أفرغت جهدك في المناقب ** مالئا منها مزادك)(لا تمسك الزمن الذي ** يجري ولا تنسى معادك)(حتى رحلت عن الحياة ** فكان حسن الذكر زادك)٤ (كم موقف أطربت فيه ** سامعا لك فاستعادك)٥ (يزداد إعجابا بما ** تشجي وتشجي ما استزادك)٦ (حتى بشت اليوم بثك ** وانفردت به انفرادك)٧ (**ترثي** فريدا والنزوع ** إليه مقتدح زنادك)٨ (وأخاك تذكر في أسى ** لو لم تكن ثبتا أبادك)٩ (نجمان بعدهما لبست ** لغير ما أجل حدادك)٠ (ولبثت مذ فقدا تطيل ** لنهضة الشعب افتقادك)

---

(٣) ".

"البحر : كامل تام (فجع القريض وقد ثوى حسان ** وخلا ببيت المقدس الميدان) (جزعت فلسطين وقبل رداه لم ** يجزع لرزء قومها الشجعان) (إن بان شاعرهم فإر فعالهم ** شعر وما الأبحار والأوزان) ٤ (أبطال صدق ما بهم من لوثة ** يوم الحفاظ وما لهم اقران) ٥ (إن تكد من أحسابهم ربوعهم ** زادوا وإن تكد المحاسن زانوا) ٦ (من لا يحييهم ويرفع ذكرهم ** ممن عليه تكرم الأوطان) ٧ (أمم العروبة شاطرتهم حزنهم ** أو ما بنوها كلهم إخوان) ٨ (وأشد ما ربطت أواصر رحمة ** في

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٠٤٢

(٢) ديوان خليل جبران، ص/١٣٦٣

(٣) ديوان خليل جبران، ص/١٥٧٦

الأهل أن تتقاسم الأحزان) ٩ (لا بدع في بث الكنانة شجوها ** وكرام جيرتها بهم أشجان)٠ (ترثي فقيدهم رثاء فقيدها ** ويشف عما تضمر الإعلان)

". (١)

"٥(كان في أهله وهم خير أهل ** نعم رب الحمى ونعم القرين) ٥(لهم من هداه نجم مضيء ** ولهم من نداه كنز ثمين) ٥(عاد حب البنين في ذلك المرشد ** للعالمين وهو جنون) ٥٤ (إن تواروا في دارة الدار عنه ** جد شوق به ولج حنين) ٥٥ (أي عذب الخطاب حلو المعاني ** رزئته أسماعهم والعيون) ٥٦ (كيف يسلونه وفي كل أفق ** لحديث عنه صدى ورنين) ٥٧ (غيه سركيس إن بكينا فإن الباقي ** الحزن والسرور الظعين) ٥٨ (لا على الذاهبين لكن علينا ** حين يمضون تستدر الشؤون) ٥٩ (مصر قامت حيالك اليوم **ترثيك** ** وفي قلبها عليك لشجون) ٦٠ (كنت بالروح تفتديها وما من ** يفتديها بروحه مغبون)

". (٢)

"٢(فطل إلى نصف النهار يلفه ** بذي الحرث يوم ذو قطار وحاصب)(فأصبح مرتبيا إلى رأس رجمة **كما أشرف العلياء للجيش راقب)(يقلب زرقاوين في مجرهدة ** فلا هو مسبوق ولا الطرف كاذب)٤ (فحمت له أصلا وقد ساء ظنه ** مصيف لها بالجبأتين مشارب)٥ (فعارضها يهوي وصدت بوجهها **كما صد من حس العدو المكالب)٦ (فلم أر ما ينجوه ينخو لطائر ** ولا مثل تاليها رأى الشمس طالب)٧ (فأهوى لها ما لا ترى وتحردت ** وقد فرقت ريش الذنابى المخالب)٨ (بلمع كطرف العين ليست **ترثيه** ** وركض إذا ما واكل الركض ثايب)٩ (فعارض أسراب القطا فوق عاهن ** فممتنع منه وآخر شاجب)٠ (إذا غشي حسيا مل حساء درت له ** صوادر يتلون القطا وقوارب)

". (٣)

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/٢٤٩٤

(٢) ديوان خليل جبران، ص/٢٥٤١

(٣) ديوان الأخطل، ص/٣٥

"البحر : بسيط تام (تعجبت جارتي مني وقد رقدت ** عني العيون وبات الهم محتشدا) (قالت لسعدى وأخرى من مناصفها ** ما هاج هذا وقد خيلته هجدا) (قالت فقلت لها ما زلت أكتمكم ** وساوس الحب حتى ضاف فاعتمدا) ٤ (أرقت من خلة باتت وساوسها ** تسري علي وباتت دارها صددا) ٥ (حوراء كانت هوى نفسي ومنيتها ** لو قرب الدهر من لقيانها أمدا) ٦ (ولو تكلم محمولا جنازته ** قد مات بالأمس أو ترثي له خلدا) ٧ (فالقلب صب معنى حين يذكرها ** والعين عبرى تقاسي الهم والسهدا) ٨ (ما إن رأيت كمشعوف بحبكمو ** يبقى ولا مثلكم يعتل لو رقدا) ٩ (وعدتني ثم لم توفي بموعدة ** فكنت كالمزن لم يمطر وقد رعدا)٠ (إذ١ نأيت دعاني منكمو نكد ** فإن دنوت منعت النائل النكدا)

". (١)

"١٩ - ؟ أم الجراح العدوية

- ٣٢ -

قالت ترثي أبا بلال وعروة

١ - وما بعد مرداس وعروة بيننا ... وبينكم شيء سوى عطر منشم

٢ - فلست بناج من يد الله بعدما ... هرقت دماء المسلمين بلا دم البيتان في أنساب الأشراف ٤ / ١: ١٦٠، ٢: ٦٤ (م)

٢٠ - ؟ امرأة من بني سليط

- ٣٣ -

قالت ترثي مرداسا وأصحابه في أبيات

١ - سقى الله مرداسا وأصحابه الألى ... شروا معه غيثا كثير الزماجر

٢ - فكلهم قد جاد لله مخلصا ... بمهجته عند التقاء العساكر البيتان في أنساب الأشراف ٤ / ١: ١٦٢؛ ٢: ٦٤ (م)

-

- ٣٢ -

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص/٤٥٨

١) – منشم: قيل إنه اسم امرأة كانت تبيع الطيب، فكلما استعمل طيبها زادت الحرب فصارت مثلا في الشر. وقال أبو عمرو: منشم: الشر بعينه.

– ٣٣ –

١) – الزماجر: جمع زمجرة وهي الصوت، تعني مطرا شديد الرعود.." (١)

"٣٧ – ؟ حيي بن وائل

– ٦٠ –

قال وقد قيل له أتخرج راجلا تقاتل السلطان:

١ – أما أقاتل عن ديني على فرس ... ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

٢ – لقد لقيت إذن شرا وأدركني ... ما كنت أزعم في خصمي من العاب البيت في النوادر: ٥ وأنساب الأشراف ٢: ١٧٤ (م) والأول في البارع: ١٢٤ وشرح الفصل ١: ٧٣٢

٣٨ – ؟ أخت الحازوق الحنفي أو ابنته

– ٦١ –

قالت ترثي أخاها الحازوق في أبيات

١ – أعيني جودا بالدموع على الصدر ... على الفارس المقتول بالجبل الوعر

٢ – فإن يقتلوا الحازوق وابن مطرف ... فإن لدينا حوشبا وأبا جسر –

١) – أما: مخفف الميم مفتوح الألف، رجلا: راجلا، كأنه قال: أما أقاتل فارسا ولا كما أنا راجلا إلا ومعي أصحابي، فلقد لقيت إذا شرا، أي أني أقاتل وحدي.." (٢)

"٣ – مطعون ذا كم منه في لذة ... وأم مطعون بذا ثاكل

٤ – مروا بنا نرجع إلى ديننا ... فكل دين غيره باطل

٥ – وملة الضحاك متروكة ... لا يجتبيها أحد عاقل الأبيات ١ ؟ ٥ في بلاغات النساء: ١٩١.

١٠٨ – ؟ امرأة من الخواج

– ٢٤٩ –

قالت ترثي أخاها وقتل مع الضحاك

---

(١) شعر الخوارج، ص/٥٣

(٢) شعر الخوارج، ص/٧٦

١ – من لعين ريا من الدمع عبرى ... ولنفس من المصائب حرى

٢ – أفسدت عيشنا صروف الليالي ... ووقاع من الكتائب تترى

٣ – كلما سكنت حرارة وجد ... من فقيد منا تجينا بأخرى الأبيات ١ ؟ ٣ في أنساب الأشراف ٨: ٣٦٧، ٣: ١٣٨ (م).

– ٢٥٠ –

وقال أيضا

١ – يا عين جودي بالدموع ... وابكي بجهد المستطيع

٢ – يا موت ويحك ما تزا ... ل مفرقا بين الجميع ٣ أبكي ما يغني التلهف والبكاء عن الجزوع ... الأبيات ١ ؟ ٣ في أنساب الأشراف ٨: ٣٦٧، ٣: ١٣٨ (م).." (١)

"الاستدراكات

قال مليكة الشيبانية ترثي الضحاك بن قيس الخارجي وأصحابه:

– ١ –

١ – قولي مليك عليك بالصبر ... تستوجبين فضائل الأجر

٢ – قولي فإنك غير كاذبة ... يا عدتي لنوائب الدهر

٣ – أورثتني كمداص يؤرقني ... وتلهفا وحرارة الصدر

٤ – ومرارة في العيش دائمة ... وحرارة كحرارة الجمر

٥ – ذهب الذي قد كان يأمرنا ... بالخير والمعروف والذكر (٢)

وقال مليكة الشيبانية ترثي أخاها:

٦ – من لجارتك الضعاف إذا حل بها نازل من الحدثان؟ ... ٧ من لضيف ينتاب في ظلمة الليل إذا مل منزل الضيفان؟ ... ٨ سوف أبكي عليك ما سمعت أذناي يوما تلاوة الفرقان ... ٩ أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجة اللهفان؟ ... ١٠ ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسان ... ١١ ويكف الأذى ويبتذل المعروف سمح اليدين سبط البنان ... (٣)

وقالت مليكة الشيبانية ترثي أخاها:

١٢ – يا عين جودي بالدموع ... بواكف حتى الممات ١٣ قولا لمن حضر الحروب من النساء الشاريات

---

(١) شعر الخوارج، ص/٢٠٧

...

١٤ – أمسين بعد غضارة ... ونعيم عيش مثبتات

١٥ – من بعد عيش ناعم ... صارت عظامهم رفات

١٦ – وإذا المنية أقبلت ... لم تغن أقوال الرقاة

١٧ –كنت المؤمل والمرجى ... في الأمور المعضلات ١٨ كنت المؤامر والمؤازر والمطالب للترات ...

(٤)

وقالت مليكة الشيبانية **ترثي** عمها:

١٩ – أ صبرت عن عمي الذي ... قد كان بالمعروف آمر؟

٢٠ – أ صبرت عن عمي الذي ... كان المؤامر والمؤازر؟

٢١ – إخوانه النفر الشراة ... ذوو الفيلة والبصائر ٢٢ يا عم كنت لسان قومك ين يجتمع المعاشر ...

٢٣ – فلا بكينك بالغداة ... وبالأصائل والهواجر ٢٤ ولئن بكيت لقد رزئت بفارس بطل مغاور ... (٥)

وقال أيضا **ترثيه**:

٢٥ – ما بال دمعك يا مليكة جار ... أم ما لقلبك لا يقر قرار؟." [١]

"٢٦ – أم ما لنفسك ليس يسكن حزنها ... ليلا، وليس نهارها بنهار؟

٢٧ – جزعا على من كان يجمع شملنا ... ونعده لنوائب وعثار

٢٨ – لو كنت أملك دفع ذلك لم تكن ... يا عم بين نضائد وغبار

٢٩ – ألقيت جلبابي لعظم رزيتي ... وبرزت سافرة بغير خمار

٣٠ – زرت المقابر كي أسلي عبرتي ... هيهات ممن زرت بعد مزار

٣١ – فلتبك نسوان الشراة بعبرة ... عند الحروب وكل كهل شاري

٣٢ – وليبكيه المولى وطالب حاجة ... عند العشاء وكل ضيف طاري

٣٣ – أين الذين إذا ذكرت فعالهم ... عرفوا بحسن عفافة ووقار؟

٣٤ – أين الذين إذا أتاهم سائل ... بذلوا له أموالهم بيسار؟

٣٥ – أين الذين إذا ذكرنا دينهم ... قالت عشائرهم: هم الأخيار (٦)

وقال أيضا:

---

(١) شعر الخوارج، ص/٢٥٥

٣٦ – أبكي المغيب في الثرى ... بين النضائد والصفائح ٣٧ أبكي وحق لي البكاء مع الغوادي والروائح ...

٣٨ – فلا بكينك ما غدت ... شمس وما جرت البوارح

٣٩ – من ذا يرجى للنصيحة ... حين تعتقد النصائح؟

٤٠ – أم من يرجى للقريب ... ومن يكون لكل نازح؟

٤١ – أم من يؤمل لليتيم ... وكل ذي غرب ونائح؟

٤٢ – أم من يعم صديقه ... خيرا ويجحر كل نابح؟ (٧)

وقالت ترثي الضحاك:

٤٣ – ما بال دمعك دائم السجم ... مثل الجمان وهي من النظم؟

٤٤ – جلت مصيبتنا وقد عظمت ... لما فجعت بسيد ضخم

٤٥ – حلو الشمائل حين تخبره ... حسن السريرة ماجد شهم

٤٦ – يصل القرابة والجوار إذا ... قطع القرابة صاحب الظلم

٤٧ – فلا بكينك كلما وخدت ... عيس بارحلها على رسم

٤٨ – ولا بكينك عند مجتمع الإملاء تطاول الخصم ... مصادر التخريج:

جميع الأبيات المستدركة من مخطوطة " أشعار النساء " للمرزباني رقم ٨ أدب ش بدار الكتب المصرية ؟ الورقات ٥٣ ؟ ٥٥.

هلال ناجي.." (١)

"وقال بعض المتكلمين في ذم الغنى: ألم تر ذا الغنى ما أدوم نصبه، وأقل راحته، وأخس من ماله حظه، وأشد من الأيام حذره، وأغرى الدهر بثلمه ونقضه، ثم هو بين سلطان يرعاه، وحقوق تسترثيه، وأكفاء يتنافسونه، وولد يوذون فراقه، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن ذوي الحقوق الذتم، ومن الولد الملامة، لاكذي البلغة قنع فدام له السرور، ورفض الدنيا فسلم له الجسد، ورضي بالكفاف فتنكبته الحقوق.

شعر لأعرابي فقير كثير العيال

ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد مع الفقر وبلغه أن الوباء بخيبر شديد فخرج إليهم بعياله يعرضهم للموت،

---

(١) شعر الخوارج، ص/٢٥٦

وأنشأ يقول:

قلت لحمى خيبر استعدي ... هاك عيالي واجهدي وجدي

وباكري بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فأخذته الحمى فمات هو وبقي عياله.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي ابنه عبد الله

وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله: يا بني، اتق الله، فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عماد عينيك وجلاء قلبك، وآعلم أنه لاعمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.

شعر لمحمود الوراق في مدح الفقر

وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقرألأ تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصي الله تبغي الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر:

ليس لي مال سوى كرمي ... فيه لي أمن من العدم

لا أقول: الله أعدمني ... كيف أشكو غير متهم

قنعت نفسي بما رزقت ... وتمطت بالعلى هممي

وجعلت الصبر سابغة ... فهي من قرني إلى قدمي

فإذا ما الدهر عاتبني ... لم يجدني كافرا نعمي

التجارة والبيع والشراء

للنبي (

قال: حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابن إسحق عمن حدثه يرفعه قال: قال رسول الله (: " بعثت مرغمة ومرحمة ولم ابعث تاجرا ولا زراعا وإن شر هذه الأمة التجار والزراعون إلا من شح عن دينه " .

وفي حديث آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جبير. سئل النبي (أي

الكسب أطيب؟ قال: " عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور " .

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في التجارة

حدثني يزيد بن عمرو قال: حدثنا عون بن عمارة عن هشام بن حسان عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من تجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب فيه فليتحول منه إلى غيره.

وقال: فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين ولا تلثوا بدار معجزة.

وقال: إذا اشتريت بعيرا فاشتره عظيم الخلق فإن أخطأك خير لم يخطئك سوق.

وقال: بع الحيوم ن أحسن ما يكون في عينك.

وللحسن في الأسواق

وقال الحسن: الأسواق موائد الله في الأرض فمن أتاهم أصاب منهم .

للنبي (

ابن المب ارك عن معمر عن الزبيري قال: مر رسول الله (برجل يبيع شيئا، فقال: " عليك بالسوم أول السوق فإن الرباح مع السماح " .

وفي بعض الحديث المرفوع: " أمر رسول الله (الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج " .

وقيل للزبير: بم أبلغت ما بلغت من اليسار؟ قال: لم أرد ربحا ولم أستر عيبا.

ولمعاوية في التجارة

دخل ناس على معاوية فسألهم عن صنائعهم، فقالوا: بيع الرقيق. قال: بئس التجارة ضمان نفس ومؤونة ضرس.

بين رجل باع ضيعة ومشتريها

باع رجل ضيعة فقال للمشتري: أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤونة قليلة المنفعة. فقال: وأنت والله لقد أخذتهم بطيئة الاجتماع سريعة التفرق.

واشترى رجل من رجل دارا فقال له المشتري: لو صبرت لم شتريت منك الذراع بعشرة.

فقال: وأنت لو صبرت بعتك الذراع بدرهم .

لعمر بن أبي زائدة في أبي سفيان بن العلاء يصفه بالحمق." (١)

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٠٦

"وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يا أهلاه، الدلجة الدلجة، إنه من يسبق إلى الماء يظمأ؛ يا أهلا، الدلجة الدلجة، إنه من يسبق إلى الظل يضحى.

لأي سليمان الداراني قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء.

قول عيسى عليه السلام للحواريين خرج عيسى عليه السلام على الحواريين، وعليهم العباء وعلى وجوههم النور، فقال: يا أبناء الآخرة، ما تنغم المتنغمون إلا بفضل نعيمكم.

للحسن في المتهجدين وقيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؛ فقال: إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره.

لهمام حصين بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال: كان رجل يقال له همام يقول: اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهرا في طاعتك. وكان يصبح وجفته مرخلة؛ فيقول بعضهم لبعض: إن جمة همام تخبركم أنه لم يتوسدها الليلة.

لعبد الله بن داود قال عبد الله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه، وكان بعضهم يحيي الليل، فإذا نظر إلى الفجر قال: " عند الصباح يحمد القوم السرى " .

بين الفضيل بن عياض وحسين بن حسن حدثنا حسين بن حسن قال: أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال: يا حسين، يقول الله: كذب من ادعى محبتي وإذا أجنه الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه! هأنذا مطلع على أحبائي، إذا أجمهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور.

لعطاء الخراساني الوليد بن مسلم قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا نعازي عطاء الخراساني فكان يحيي الليل صلاة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحن في فسطاطنا: يا عبد الرحمن بن يزيد، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، قوموا فتوضؤوا وصلوا، فإن قيام الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومن مقطعات الحديد، فالوحا الوحا ثم النجاء النجاء، ويقبل على صلاته.

لعلي كرم الله وجهه في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن مغول عن رجل في جعفي عن السدي عن أبي أراكة قال: صلفى علي الغداة ثم جلس حتى ارتفعت الشمس كأن عليه كآبة، ثم قال: والله، لقد رأيت أثرأ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأى أحدا يشبههم، والله إن كانوا

ليصبحون شعثا غبرا صفرا، بين اعينهم ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم ريح، وانهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، وكأنهم والله، باتوا غافلين. يريد أنهم يستقلون ذلك.

لأبي هريرة في أهل السماء وأهل الذكر المحاربي عن الإفريقي قال: حدثنا أبو علقمة عن أبي هريرة قال: إن أهل السماء ليرون بيوت أهل الذكر تضيء لهم كما تضيء الكواكب لأهل الأرض.

لعبد الله بن عيسى يعلى بن عبيد عن محمد بن عون عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال: كونوا ينابيع العلم، مفاتيح الهدى، أحلاس البيوت، جدد القلوب، خلقان الثياب، سرج الليل، تعرفوا في أهل السماء، وتخفوا في أهل الأرض.

لإبراهيم النخعي في الرجل يرى الضوء بالليل حدثني محمد بن داود قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا أبو عوانة عن المغيرة بن إبراهيم، في الرجل يرى الضوء بالليل؛ قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأوثر أهل بدر.

الموت

بين محمد بن كعب وعمر بن عبد العزيز حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال: نطرت إلى عمر بن عبد العزيز فأدمت النظر إليه؛ قال: ما تنظر يا محمد؟ قلت: أنظر إلى ما ابيض من شعرك، ونحل من جسمك، وتغير من لونك. فقال: أما والله لو رأيتني في القبر بعد ثالثة؛ وقد سالت حدقتاي على وجنتي، وسال منخراي صديدا ودودا، لكنت أشد نكرة.

لجارية ترثي ميتا وقال الأصمعي: دخلت بعض الجبابين، فإذا أنا بجارية ما أحسبها أتت مكليها عشر سنين، وهي تقول:." (١)

"حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعيدي عن محمد بن مصعب: أن ابن السفاك قال يوم مات داود الطائي في كلام له: إن داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته، فأعشى بصر القلب بصر العين، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه تنظرون، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بحتها قلوبكم استوحش منكم، فكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى، حي وسط أموات. يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك؛ أهنت نفسك وإنما تريد إكرامها، وأتعبتها وإنما تريد راحتها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه وأخشنت

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٤٨

الملبس وإنما تريد لينه، ثم أمت نفسك قبل أن تموت، وقبرتها قبل أن تقبر، وعذبتها ولما تعذب، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تذكر، رغبت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدرا إلى الآخرة، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت؛ كان سيماك في سرك ولم يكن سيماك في علانيتك، تفقهت في دينك وتركت الناس يغنون، وسمعت الحديث وتركتهم يحدثون، وخرست عن القول وتركتهم ينطقون، لا تحسد الأخيار، ولا تعيب الأشرار، ولا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية؛ آنس ما تكون إذا كنت بالله خاليا، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس؛ فمن سمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك! لا أحسبك إلا وقد أتعبت العابدين بعدك، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا سترعلى بابك ولا قلة يبرد فيها ماؤك ولا صحفة يكون فيها غداؤك وعشاؤك، مطهرتك قلبك وقصعتك تورك. داود ما كنت تشتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيبه ولا من اللباس لينه، بلى! ولكن زهدت فيه لما بين يديك، فما أصغر ما بذلت وما أحقر ما تركت في جنب ما أملت، فلما مت شهرك ربك بموتك، وألبسك رداء عصلك وأكثر تبعك، فلو رأيت من حضرك عرفت أن ربك قد أكرمك وشرفك، فلتتكلم اليوم عشيرتك بكل ألسنتها، فقد أوضح ربك فضلها بك، ووالله لو لم يدع عبدا إلى خير بعمله إلا حسن هذا النشر من كثرة هذا التبع، لقد كان حقيقا بالاجتهاد والجهد لمن لا يضيع مطيعا ولا ينسى صنيعا شاكرا ومثيبا.

لمحمد بن سليمان عند قبر ابنه وقف محمد بن سليمان على قبر ابنه فقال: اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه، فحقق رجائي وآمن خوفي.

لمالك بن أنس عند قبر ابنه مات ابن لأنس بن مالك فقال أنس عند قبره: اللهم عبدك وولد عبدك وقد رد إليك فارأف به وارحمه، وجاف الأرض عن بدنه، وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله بقبول حسن. ثم رجع فأكل وشرب وادهن وأصاب من أهله.

شعر لجرير يرثي امرأته وقال جرير في امرأته:

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا ... والطيبون عليك والأبرار

أعرابية ترثي ابنها وقفت أعرابية على قبر ابنها فقالت: والله ما كان مالك لعرسك، ولا همك لنفسك، وما كنت إلا كما قال القائل:

رحيب النراع بالتي لا تشينه ... وإن كانت الفحشاء ضاق بها ذرعا

شعر لعدي بن زيد كان سفيان بن عيينة يستحسنه حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال: كان

سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدي بن زيد:

أين أهل الديار من قوم نوح ... ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما هم على الأسرة والأن ... ماط أفضت إلى التراب الخدود

ثم لم ينقض الحديث ولكن ... بعد ذا الوعد كله والوعيد

وأطباء بعدهم لحقوهم ... ضل عنهم سعوطهم واللدود

وصحيح أضحى يعود مريضا ... وهو أدنى للموت ممن يعود

أخذه علي بن الجهم فقال:

كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود

لربعي بن حراش." (١)

"وفي فصل آخر: لو كان ما يمسك من أذى يشتري أو يفتدي، رجوت أن أكون غير باخل بما تضن به النفوس، وأن أكون سترا بينك وبين كل ملم ومحذور. فأعظم الله أجرك، وأجزل ذخرك، ولا خذل صبرك ولا فتنك؛ ولا جعل للشيطان حظا فيك ولا سبيلا عليك.

بين الوليد وعبسي المدائني قال: قدم رجل من عبس، ضرير محطوم الوجه، على الوليد؛ فسأله عن سبب ضره، فقال: بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فأذهب ما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا، فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لأحبسه، فما جاوزت إلا ورأس الذئب في بطنه قد أكله، فتركته وأتبعت البعير، فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني، فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد. فقال الوليد: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه. وكان عروة بن الزبير أصيب بابن له وأصابه الداء الخبيث في إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة - يعني بنيه - فأبقيت ثلاثة وأخذت واحدا، وكن أربعا - يعني يديه ورجليه - فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا. أحمدك، لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت أبقيت لقد عافيت. وشخص إلى إلى المدينة فأتاه الناس يبكون ويتوجعون؛ فقال: إن كنتم تعدونني للسباق والصراع فقد أودى، وإن كنتم تعدونني للسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

شعر لعلي بن الجهم وقال علي بن الجهم:

من سبق السلوة بالصبر ... فاز بفضل الحمد والأجر

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٥٤

يا عجبا من هلع جازع ... يصبح بين الذم والوزر

مصيبة الإنسان في دينه ... أعظم من جائحة الدهر

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

ليت شعري ضلة ... أي شيء فتلك

والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك

كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

ليت نفسي قدمت ... للمنايا بدلك

أي شيء حسن ... للفتى لم يك لك

وقال آخر:

غر امرؤ منته نف ... س أن تدوم له السلامة

هيهات! أعيا الأولي ... ن دواء دائك يا دعامه

شعر لصفة الباهلية ترثي أختها وقالت صفية الباهلية في أختها:

كنا كغصنين في جرثومة سموا ... حينا بأحسن ما تسموا له الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب قنواهما واستنظر الثمر

أخنى على واحدي ريب الزمان ولا ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل وسطنا قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

للطائي وغيره ومن هذا أخذ الطائي قوله:

كأن بني تبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

وقال آخر:

لكل أناس مقبر بفنائهم ... فهم ينقصون والقبور تزيد

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت ... وبيت لميت بالفناء جديد

هم جيرة الأحياء أما جوارهم ... فدان وأما الملتقى فبعيد

وقال آخر:

لا يبعد الله أقواما لنا ذهبوا ... أفناهم حدثان الدهر والأبد

نمدهم كل يوم من بيتنا ... ولا يؤوب إلينا منهم أحد

وقال النابغة:

حسب الخليلين أن الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي

وقال آخر:

وقد كنت أرجو أن أملاك حقبة ... فحال قضاء الله دون رجائيا

ألا ليمت من شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا

وقال آخر:

لعمرك ما وارى التراب فعاله ... ولكنه وارى ثيابا وأعظما

لفضالة بن شريك فضالة بن شريك:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بفادحة سمدن لها سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

وقال آخر:

أما القبور فإنهن أوانس ... بجوار قبرك والديار قبور

عمت مصيبته فعم هلاكه ... فالناس فيه كلهم مأجور

ردت صنائعه عليه حياته ... فكأنه من نشرها منشور." (١)

"قال الأصمعي: دخلت على ابن روح بن حاتم المهلبي وحضر الإذن وهو عاكف على غلام، فقلت له: عمدت إلى الموضع الذي كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي فيه اللهى، وتركب فيه ما تركب! فقال:

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته ... بنات السوء يوشك أن يضيعا

باب مساوئ النساء

لوهب بن منبه عن وهب بن منبه قال: عاقب الله المرأة بعشر خصال: شدة النفاس، وبالحيض، وبالنجاسة في بطنها وفرجها، وجعل ميراث امرأتين ميراث رجل واحد، وشهادة امرأتين كشهادة رجل، وجعلها ناقصة العقل والدين لا تصلي أيام حيضها، ولا يسلم على النساء، وليس عليهن جمعة ولا جماعة، ولا يكون منهن نبي، ولا تسافر إلا بولي.

وكان يقال: ما نهيت امرأة قط عن شيء إلا أتته.

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٠٢

وقال طفيل في هذا المعنى:

إن النساء كأشجار نبتن معا ... منها المرار وبعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لا بد مفعول

لمعاذ في النساء عن رجاء بن حيوة قال: قال معاذ: إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وإني أخاف عليكم فتنة السراء، وإن من أشد من ذلكم عندي النساء، إذا تحلين الذهب ولبسن ريط الشأم وعصب اليمن، فأتبعن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد.

لبعض الشعراء قال بعض الشعراء:

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ... عليك شجا يؤذيك حين تبين

وإن هي أعطتك الليان فإنها ... لغيرك من خلانها ستلين

وإن حلفت لا ينقصن النأى عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

خبر عاتكة بنت زيد أبو علي الأموي قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت قد غلبته في كثير من أمره؛ فقال له أبوه: طلقها. فطلقها وأنشأ يقول:

لها خلق سهل وحسن ومنصب ... وخلق سوي ما يعاب ومنطق

فرمي يوم الطائف بسهم؛ فلما مات قال ترثيه:

وآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عين ما رأت مثله فتى ... أعز وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب، فلما أولم قال عبد الرحمن بن أبي بكر: ياأمير المؤمنين اتأذن لي أن أدخل رأسي على عاتكة؟ قال: نعم، يا عاتكة استتري. فأدخل رأسه فقال:

وآليت لا تنفك عيني قريرة ... عليك ولا ينفكذ جلدي أصفرا

فنشجت نشجا عاليا؛ فقال عمر: ما أردت إلى هذا! كل النساء يفعلن هذا! غفر الله لك. ثم تزوجها الزبير بعد عمر وقد خلا من سنها، فكانت تخرج بالليل إلى المسجد ولها عجيزة ضخممة؛ فقال لها الزبير: لا تخرجي؛ فقالت: لا أزال أخرج أو تمنعني. وكان يكره أن يمنعها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تمنعوا إماء الله مساجد الله " ، فقعد لها الزبير متنكرا في ظلمة الليل، فلما مرت به قرص عجيزتها؛ فكانت لا تخرج بعد ذلك؛ فقال لها: ما لك لا تخرجين؟ فقالت: كنت أخرج والناس ناس، وقد فسد الناس فبيتي

أوسع لي.

لرجل من العرب يخاطب امرأته قال المدائني: احتضر رجل من العرب وله ابن يدب بين يديه؛ وأم الصبي جالسة عند رأسه؛ واسم الصبي معمر فقال:

وإني لأخشى أن أموت فتنكحي ... ويقذف في أيدي المراضع معمر

وترخى ستور دونه وقلائد ... ويشغلكم عنه خلوق ومجمر

فما لبث أن مات، ثم تزوجت، ثم صار معمر إلى ما ذكر.

عمر بن الخطاب وشاب قتل يهوديا كان عند امرأة أخيه عن الحسن: أن شابين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأغزى أحدهما، فأوصى أخاه بأهله؛ فانطلق في ليلة ذات ريح وظلمة إلى أهل أخيه يتعهدهم، فإذا سراج في البيت يزهر، وإذا يهودي في البيت مع أهله وهو يقول:

وأشعث غره الإسلام مني ... خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت على ترائبها ويضحي ... على جرداء لاحقة الحزام." (١)

" فيه فهذه الباءات والراءات فيه كأنها سلسلة ولا خفاء بما في ذلك من الثقل

قال وكذلك يجري الحكم في كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان إلا أنه لم يطلق على ذلك اسم التنافر وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتي وعد هذا من أنواع المعاظلة اللفظية ثم ذكر من أمثلته قول الحريري في مقاماته

(وازور من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه)

وقول كشاجم

(والزهر والقطر في رباها ... ما بين نظم وبين نثر)

(حدائق كف كل ريح ... حل بها خيط كل قطر)

وقول الآخر

(مللت مطال مولود مفدى ... مليح مانع مني مرادي)

وقول المتنبي

(كيف ترثي التي ترى كل جفن ... زاءها غير جفنها غير راقي)

وعاب بيت الحريري لتكرر العين فيه في قوله

---

(١) عيون الأخبار، ص/٤٠٥

(وعاف عافي العرف عرفانه ...)

وعاب البيت الثاني من بيت كشاجم لتكرر الكاف فيه في كف وكل الأولى وكل الثانية وقال هذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره له وعاب البيت الذي يليه لتكرر الميم فيه في أوائل الكلمات وقال هذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض وعاب بيت المتنبي لتكرر الجيم والراء في أكثر كلماته وقال هذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوبه في بعض الأيام

قال وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا ." (١)

"بتقديم سنان على هريم، لأن هريما هو الميت، وسنان هو سنان بن عمرو ابن يربوع بن طريف بن خرشبة بن عبيد بن سعد بن كعب بن حلان بن غنم بن غني، وكان فارسا حسيبا وقد كان قاد ورأس، وهو صاحب ابن هدم العبسي طريد الملك، قال له الملك: كيف قتلته؟ قال: حملت عليه في الكبه - يعني معظم الجيش - فطعنته في السبه، حتى خرج الرمح من اللبه.

وهريم عم سنان، وقد قاد ورأس. وأسماء بن واقد من بني رياح بن يربوع ابن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن حلان بن غنم بن غني، وهو من النجوم. وحصن بن يربوع بن طريف، وأمه جيدع بنت عمرو بن الأعرج بن مالك ابن سعد بن عوف. وقيس هو ابن يربوع بن طريف.

وكان قيس هذا قدم على بعض الملوك، فقال الملك: لأضعن تاجي على أكرم العرب، فوضعه على رأس قيس، وأعطاه ما شاء، ثم خلى سبيله إلى بلده. فلقيته طيء برمان وهو راجع إلى أهله فقتلوه، ثم عرفوه بعد ذلك، وذكروا أيادي كانت له عندهم فندموا، فدفنوه وبنوا عليه بيتا.

وهو قيس بن جيدع وهي أمه، وإخوته هريم وعمرو وحصن والأعرج، أمهم جيدع بنت عمرو، وأبوهم يربوع بن طريف. و حقيل في بلاد بني أسد، قتلت فيه بنو أسد الحارث بن مويلك الغنوي، وفي بلاد عكل له حقيل وهو غير هذا الموضع، وهو الذي ذكره الراعي:

من ذي الأبارق إذ رعين حقيلا

وقوله وبالسهب هو تصحيف، والصواب: وبالشهد، يعني بديل ابن واقد. وكان أسماء وبديل ابنا واقد صاحبي الوقائع في طيئ، وأصابا عشرة كلهم يأخذ لواء قومه يقال لهم بنو حمل، فقالت أخت لهم **ترثيهم**:

يا عين إلا ما بكيت بني حمل ... فوارس أبطالا على شدة الوهل

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد ذهبت منا غني على مهل

---

(١) صبح الأعشى، ٢/٢٩٣

فإن تقد الأيام غنم بن واقد ... وأسماء تثقفه الرماح على علل

ثم إن طيئا لقيت غنيا فأصابت بديلا، وكان سيدا ورئيسا، فخاف أن تمثل به طيئ لما أوقع بهم، وكان مرداس بن مويلك يسعى في أمره ليفتديه فأبوا، فقتل نفسه، وقتلوا أسماء. فقال مرداس بن مويلك يرثي بديلا:

تشكى إلي الأين والسام خلتي ... وتنسين ما يلقى أسير الملاقط

قال ابن السيرافي قال شقيق بن جزء الباهلي، يرد على جحل بن نضلة الباهلي

أتوعدني بقومك يا بن جحل ... أشابات يخالون العبادا

بما جمعت من حضن وعمرو ... وما حضن وعمرو والجيادا

إذا خطرت بنو سعد ورائي ... وذادوا بالقنا عني ذيادا

قال: يخالون: يظنون أنهم عبيد، وحضن وعمرو والجياد: قبائل.

قال س: هذا موضع المثل:

كري إلى أهلك يا عجوز ... إن بياع الليل لا يجوز

هذا أفضح ما جاء به ابن السيرافي، وذلك أنه ذكر أن الجياد قبيلة، وهذا يدل على غباوة تامة وجهل ظاهر. إن الجياد ها هنا عتاق الخيل، يقول: ما هؤلاء وعتاق الخيل، أي ليسوا فرسان الخيل العتاق.

وقوله: وعنى بالعباد ها هنا العبيد، خطأ أيضا. فإنما عنى بالعباد قوما كانوا يجتمعون على باب النعمان خولا من كل قبيلة. شبه هؤلاء بأولئك، أي أنهم أخلاط.

والبيت الأول فيه خبط أيضا، وذلك أنه قال: أتوعدني بقومك يا بن جحل، وإنما الخطاب لجحل نفسه لا لابنه، فكيف يقول يا بن جحل، والصواب:

أتوعدني برهطك يا جحيلا

وفي الأبيات التي أوردها تقديم وتأخير وخلل كثير، وستأتيك على نظامها بمعونة الله.

قال جحل بن نضلة يجيب شقيق بن جزء الباهلي:

لقد منتك نفسك يا بن جزء ... أحاميقا سيسر عن النفادا

أردت لكي تشتت أمر قوم ... وحاولت القطيعة والفسادا

فمهلا يا شقيق فإن حربي ... تكون لمن يلقحها فسادا

وكم من معشر قد حاربونا ... عبأت لهم مجلحة نآدا

فلم يك غير أن شاموا سناها ... فكان مبينها خيلا تعادا

عليها من بني عمرو كهول ... وشبان يهزون الصعادا

فظلوا يخصفونهم بسمر ... كما نظمت في الجلل الجرادا

فآبوا بالرجال محنبيها ... يسوقون الطرائف والتلادا

ونصرك نازح عني بطيء ... كأن بكم إلى خذلي جوادا

فأجابه شقيق بن جزء فقال:." (١)

"سرحت على بلادكم جيادي ... فأدت منكم كوما جلادا

بما لم تشكروا المعروف عندي ... وإن شئتم تعاودنا عوادا

أتأمل أن تساوي حي أعيا ... وصحبا، خاب ما ترجو وزادا

بما جمعت من حضن وعمرو ... أشابات يخالون العبادا

إذا خطرت بنو سعد ورائي ... وذادوا بالقنا عني ذيادا

رأيت الموت دوني فانتهيتم ... ولم تسطع دعائمها الشدادا

أتوعدني برهطك يا جحيلا ... وما عمرو بن حصن والجيادا

قال ابن السيرافي قال سيبويه قالت درني بنت عبعبة من بني قيس بن ثعلبة، والذي وجدته قالت درنى بنت سيار بن صبرة ابن حطان بن سيار بن عمرو بن ربيعة

وقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

قال س: هذا موضع المثل:

بين المطيع وبين المدبر العاصي

هذا التفسير يحير الإنسان، فلا يدري ما الصواب من الخطأ، ولا يدري بأيهما يتعلق: أبدرنى بنت عبعبة، أم بدرنى بنت سيار وهذا يدل على أنه لم يكن يتصور الغث من السمين منهما.

والصواب: درنى بنت سيار على النسب الثاني، قالت ترثي أخويها، وهي أبيات رائقة، دخل نظامها – على ما أنشدها ابن السيرافي – في خلل. ونظامها وتمامها:

أبى الناس إلا أن يقولوا هما هما ... ولو أننا اسطعنا لكانوا سواهما

---

(١) فرحة الأديب، ص/٦

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

إذا افتقرا لم يلحما خشية الردى ... ولم يخش رزءا منهما موليا هما

إذا استغنيا حب الجميع إليهما ... وجاد على الأدنين فضل غناهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

وقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما

وأهلي فداء العاصمين كليهما ... ولا عشت إن كان الفؤاد قلاهما

إذا هبطا الأرض المخوف بها الردى ... يسكن من جأشيهما منصلاهما

ولا يلبث العرشان يستل منهما ... عظام الرواسي أن يميل غ‍اهما

قال ابن السيرافي قال جرير

خل الطريق لمن يبني المنار به ... وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

قال: برزة: أم عمر بن لجأ.

قال س: هذا موضع المثل:

ضرط وردان بأرض قي

هذا باطل، أخبرنا أبو الندى رحمه الله قال: برزة إحدى جدات عمر بن لجأ المغنيات.

قال ابن السيرافي قال الراجز

أأنت يا بسيطة التي التي

هيبنيك في المقيل صحبتي

لقد علمت أي حين عقبتي

هي التي عند الهجير قالت

إذا النجوم في السماء ولت

قال: البسيطة: الأرض المنبسطة الممتدة.

قال س: هذا موضع المثل: لا يدعى لنجدة إلا أخوها غلط ابن السيرافي ها هنا آنفا، لأنه لم يكن يعرف منازل العرب ومحالها، ومن فسر أيضا مثل هذا الشعر ولم يتقن ثلاثة أنواع من العلم: النسب، وأيام العرب، ومحالها ومنازلها – كثرت سقطاته.

والبسيطة ها هنا هي أرض بعينها، وهي بين الكوفة فالحزن، حزن بني يربوع بن عمرو، وفيها يقول عدي بن

عمرو الطائي:

لولا توقد ما ينفيه خطوهما ... على البسيطة لم تدركهما الحدق

قال ابن السيرافي قال ثروان بن فزارة بن عبد يغوث

فإنك لا تبالي بعد حول ... أظبي كان أمك أم حمار

فقد لحق الأسافل بالأعالي ... وماج اللؤم واختلط النجار

قال: الذي في الكتاب: أظبي كان أمك أم حمار، والذي في شعره: أظبي كان خالك أم حمار.

قال س: هذا موضع المثل: كان حمارا فاستأتن كيف يكون الحمار والظبي أمين وهما أذكر الحيوان، حتى إن المثل يضرب بالحمار فيقال: من ينك العير ينك نياكا.

والصواب ما أنشده أبو الندى رحمه الله: أظبي ناك أمك أم حمار." (١)

" أي مالت خلته فلم تستقم ويقال قوام الأمر وقوامه وملاكه وملاكه يقول : لا تصرمه عند أول عوج وروى محمد بن حبيب : ولشر واصل خلة صرامها والأولى رواية الأصمعي والخلة : الصديق والخلة : الصداقة

قال أبو عبيد : والعامة تقول في هذا (لو كرهتني يميني ما صحبتني)

ع : هذا المثل منظوم لشاعر جاهلي وهو المثقب العبدي قال :

(فلو أني تعاندني شمالي ... عنادك ما وصلت بها يميني)

(إذا لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني) ٤٩ باب الرجل يأبى الضيم فيأخذ حقه قسرا (إذا أعياه الرفق)

قال أبو عبيد : قال بعض الأعراب يمدح رجلا :

(فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف)

ع : ليس كما قال أبو عبيد إنما هذا البيت لفارعة بنت طريف **ترثي** أخاها الوليد بن طريف الشيباني وكان خرج على الرشيد فاشتدت شوكته فبعث إليه ." (٢)

" يزيد بن مزيد الشيباني فقتله وقد تقدم ذكر ذلك فقالت أخته **ترثيه** :

(أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف)

---

(١) فرحة الأديب، ص/٧

(٢) شرح كتاب الأمثال، ص/١٦٥

(فتى لا يحب الزاد إلا من التقى . . . . البيت)

وقال كراع : ويروى أيا شجر الخافور بالفاء وهو شجر وهذا تصحيف صراح لأن الخابور الذي ذكر ونسب إليه الشجر إنما هو نهر بالجزيرة وهناك قتل الوليد بن طريف قال الأخطل :

(فأصبحت منهم سنجار خالية ... فالمحلبيات فالخابور فالسرر)

هذه كلها بالجزيرة

وظن كراع أن الخابور شجر فقال : ويروى شجر الخافور بالفاء والخافور ليس من الشجر وإنما هو من التجم وهو ضرب من الحبق وهو المرو العريض الورق والعرب تسميه أيضا : الزغبر والزبعر قال الشاعر :

(والشاهد الإسفنط يوم لقيتها ... والضومران تمله بالزغبر) ." (١)

" فقالت حين سمعت ذلك وضربت بيدها على منكب زوجها (هذا ومذقة خير) فذهبت مثلا

وذكر أبو سليمان أن هذا المثل يروى (الصيف ضيحت اللبن) بالحاء بدلا من العين من الضياح والضيح وهو اللبن الممذوق الكثير الماء يريد : الصيف أفسدت اللبن وحرمته نفسك

وقد ذكر أبو عبيد في الكتاب وجهين في تخصيص الصيف وهما صحيحان

وقالت دختنوس **ترثي** عمير بن معبد بن زرارة ابن عمها الذي خلف عليها بعد عمرو بن عمرو بن عدس :

(أعين ألا فابكي عمير بن معبد ... وكان ضروبا باليدين وباليد)

تعني بالسيف والقداح . ١٥٠ باب إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة

قال أبو عبيد : من أمثالهم المشهورة :

(ليت حظي من أبي كرب ... سد عني خيره خبله)

وقال : ويقال إنه لإمرأة من الأوس قالته في تبع أبي كرب حين قدم المدينة فأطمعت أن تنال من خيره فقالت هذه المقالة ." (٢)

"أي إذا رأته الشمس وهو يجول في ميدانه على الفرس مترددا تردد نوره في جسم الشمس لأنه أضوء منها فالشمس تستفيد منهالنور وهذا كقوله أيضا، تكسب الشمس منك النور طالعة، البيت.

---

(١) شرح كتاب الأمثال، ص/١٦٦

(٢) شرح كتاب الأمثال، ص/٣٥٩

إن يقبح الحسن إلا عند طلعته

فالعبد يقبح إلا عند سيده

أي هو مولى الحسن والحسن في كل أحد قبيح إلا في طلعته كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه

قالت عن الرفد طب نفسا فقلت لها

لا يصدر الحر إلا بعد مورده

قالت العاذلة لا تطلب العطاء فإنه غير مبذول فقلت لها إن الحر إذا قصد أمرا لم ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه أي لا بد لي من بلوغ إلى ما اطلبه ومعنى طب نفسا أي دعه ولا تطلبه

لم أعرف الخير إلا مذ عرفت فتى

لم يولد الجود إلا عند مولده

نفس تصغر نفس الدهر من كبر

لها نهى كهله في سن أمرده

يقول نفسه في عظمها وكبرها تصغر نفس الدهر التي هي مجمع والشر والضمير في الكهل والأمرد يعود إلى الدهر.

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان

أتراها لكثرة العشاق

تحسب الدمع خلقة في المآقي

يقول لصاحبه اتظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترثي لمن يبكي وهو قوله

كيف ترثي التي ترى كل جفن

راءها غير جفنها غير راقي

يقول كيف ترحم المرأة التي ترى كل جفن من أجفان الناس غير راق للبكاء من هجرها غير جفنها وغير الأولى منصوبة على الاستثناء والثانية على الحال ومعنى راق منقطع الدمع من قولهم رقا الدم والدمع يرقأ رقؤا إذا انقطع

أنت منا فتنت نفسك لكن

ك عوفيت من ضني واشتياق
يقول أنت أيضا من معشر عشاقك أي أنت عاشقة لنفسك حين منعتها منا إلا أنك عوفيت مما نحن فيه من الضني والاشتياق لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ومعنى قتنت نفسك أي بالحب فأنت مفتونة بعشق نفسك بقال فتنته وأفتنته وأبي الأصمعي افتتنه
حلت دون المزار فاليوم لو زر
ت لحال النحول دون العناق." (١)

"فإن قيل: الشرط والجزاء لا يصحان إلا فيما كان مستقبلا؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول القائل: إن خرجت أمس أعطيتك فيه درهما؛ لأن الوقت وقد انقضى لا يصح تعليق الشرط والجزاء به، وإنما يعلقان أبدا بما يستأنف من الزمان، حتى يصح من الفاعل إيقاع فعله به واستحقاقه الجزاء عليه. قلت: إن الأمر في الشرط على ما ذكرت إلا في لفظ كان، لأنهم جوزوا أن يقول القائل: إن كنت خرجت أمس إلى موضع كذا أعطيتك اليوم كذا، والمعنى إن ثبت في علمي وقوع الخروج منك أمس. وجوزوا هذا في لفظة كان لقوته في العبارة عن الأحداث، فأما الجزاء فلا يجوز فيه مثل هذا لا بلفظة كان ولا بغيره. ويمتنع أن يقال: إن تجئني اليوم أعطيتك أمس، على أن تكون العطية سلفا في جزئه على فعله. فإن قيل: كيف جاز أن تقول على هذا " فربما أقام " وأقام بناء ماض؟ قلت: إن الجواب في قوله فربما ليس بالفعل، وإنما هو بجملة من مبتدإ وخبر، ك أنه قال: ففناؤك ربما أقام به بعد الوفود وفود فيما مضى. والفاء في جواب الجزاء إنما تجلب إذا كان الجزاء غير موافق للشرط، وهو أن يكون مبتدأ وخبرا، لا فعلا وفاعلا، وإذا كان كذلك فقد سلم اللفظ وصار المعنى: إن أمسى فناؤك مهجورا الساعة فربما كان مألوفا من قبل. والعرب تقول: هذا بذاك. أي عوض من ذاك. فأما وقوع الماضي بعد إن فلأن إن ينقله بكونه شرطا إلى المستقبل، وهذا كما ينقل لم بناء المستقبل إلى الماضي. وهذا ظاهر.
؟؟وقال آخر:
لو كان حوض حمار ما شربت به ... إلا بإذن حمار آخر الأبد
حمار اسم أخيه، وكان في حياته يتعزز به فلا يعترض عليه أحد فيما يفعله، ولا يطمع إنسان في اهتضام جانبه وقصده فيما يختصه، فلما أصيب به استلين جانبه، واستبيح حريمه، حتى إنه جبى ماء في حوض ليسقي إبله منه، فجاء من زاحمه فيه واستبد به دونه، فقال متلهفا: لو كان هذا الحوض حوض حمار أخي

(١) شرح دي وان المتنبي، ٣٧١/١

ما جسرت على شرب مائه، ولا على امتهانه فيه، بل كنت تستأذنه ثم تقدم عليه. وقوله آخر الأبد يتعلق بقوله ما شربت به. فأما تكريره لفظة حمار فهم يفعلون ذلك في الأعلام وما يجري مجراها، وفي أسماء الأجناس، ويكون القصد إلى التعظيم في التكرير. على ذلك قوله تعالى: " رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته " وقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى الفقيرا

وقد قيل إن حمارا المذكور اسم رجل كان يضرب به المثل في الذل، فلذلك ذكره. ولا يجوز أن يراد به واحد من الحمر، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يقول في الثاني إلا بإذن الحمار؛ لأن النكرة إذا أعيد ذكرها يجب تعريفه بالألف واللام إشارة إليه. على هذا كتب في أواخر الكتب وقد قدم في أوائلها: سلام عليك: والسلام عليك.

لكنه حوض من أودى بإخوته ... ريب الزمان فأمسى بيضة البلد

هذا الكلام فيه تنبيه إلى شدة فاقته إلى من يذب عنه، وتأكد جزعه لما فاته من الصيانة بإخوته، فيقول: لكنه حوض رجل فرق الدهر بينه وبين من كان يعتز به، ويدفع الظلم والهضيمة عن نفسه بمكانه، فأمسى لا ناصر له، ولا دافع دونه، كبيضة البلد. وقد قيل في بيضة البلد: إنه أراد بيض النعام، لأنها سيئة الهداية، فتضع بيضها في موضع، ثم تتركه ضلالا عنه فتضيع، وربما تذهب وتحضن بيض غيرها تظن أنها بيضها. وقد ضرب المثل بها فقيل:

كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

وقد قيل: إن بيضة البلد هي الكمأة البيضاء تنشق عنها الأرض - وهي الفقع - فتطؤه الماشية، وتنقره العافية، ولذلك قيل: أذل من فقع بقاع. وكما ضرب المثل ببيضة البلد في الذل ضرب المثل بها في العز أيضا. وقد مضى ذكرها. وأنشدني بعضهم لأخت عمرو بن عبد ود **ترثي** أخاها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قاتله:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ما أقام الروح في جسدي

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد

والمراد إذا مدح أنه لا نظير لها، ولا أخت معها، فالنعامة تطيف بها إشفاقا عليها. ومما يحتج به في الذم

قول الآخر:

إن أبا نضلة ليس من أحد ... ضل أباه فهو بيضة البلد." (١)

"وقوله (مجاور قوم لا تزاور بينهم) هذا حال الأموات فيما بينهم، يتجاورون ولا يتزاورون، ومن زارهم من الأحياء منا انصرف عنهم بالخيبة، والزيادة في الغمة والحسرة. والهمد: جمع هامد، وهو الميت؛ وأصله من همود النار. ويقال للثوب إذا بلى: قد همد.

وقال لبيد

لعمري لئن كان المخبر صادقا ... لقدرزئت في حادث جعفر

أخا لي أما كل شيء سألته ... فيعطى وأما كل ذنب فيغفر

يرثي بهذا أربد أخاه. وقوله (إن كان المخبر صادقا) فهو قد علم صدق الحديث، لكنه لاستعظامه للنبأ، وفخامة أمر المتوفى في النفوس وعنده، يرجع على المخبر بالتكذيب، ويدخل الشك على المشهود والمسموع، كما قال الآخر:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم

واللام من (لعمري) لام الابتداء، ومن قوله (لئن) هي الموطئة للقسم، ومن قوله (لقد) هي جواب القسم . والمعنى: وبقائي لئن ورد هذا الخبر من صادق بريء من الحسد والتزيد مؤد لما تحققه سماعا أو عيانا. لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمرزئة عظيمة فظيعة.

وقوله (أخا لي) انتصب عن (رزئت جعفر)، أي رزئت شقيقا لي هذا صفته، وهو أن سماحته وتكرمه كانا يبعثانه عل بذل كل حسنة تقترح عليه، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التجافي عن كل سيئة تبدر إليه.

وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

الأثل: شجر. وإنما قالت ما قالت منكرة ومستوحشة، إذ كان الحكم عندها أن تتغير الأمور عن مقارها لموت أخيها، فتتحول الأحوال وتتبدل الأبدال، وتتخشع الجبال، وتقتلع الأشجار؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرت متوجعة ومتحسرة، فقالت: إن بطن العقيق ومنابت أثله بما تحويه أرى مقيما في جواري على ماكان عليه، وأخي يزيد قد دعاه محتوم القضاء فذهب به غوائله. ويقال غالته الغوائل، أي أهلكته المهلكات، وهذا كما يقال: علقت به العلوق. وانتصب (مقيما) على أنه مفعول ثان لأرى، ومجاورى في موضع الجر

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٢٤٩

على أنه صفة لبطن العقيق.

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وأباجله

وصفه بأنه في خلقةالسيف تجريدا واقتضابا، وعلى خلقه مضاء ونفاذا. وقوله (لا متضائل) يريد أنه شهم حي النفس والقلب، جريء المقدم، لا يتخاشع لشيء ولا يتماوت على حدث. والضؤولة، أصله الدقة. والرهل: المسترخي. يصفه بقلة اللحم على الصدر والساق.و الأباجل: جمع أنجل، وهو عرق.وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها. وجمعه كما يقال وهو ضخم الثعانين، كأنه أراد ما حوله.

اذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحى حتى تستقل مراجله

العذور: السئ الخلق، القليل الصبر فيما يطلبه ويهم به. واذا ظرف " لقوله(كان عذورا). وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع، لسيادته وجلالة محله،وأنه اذا نزل به الأضياف قام بنفسه في اقامة القرى لهم، غير معتمد على أحد فيه، وأنه يعرض له وفي خلقه عجرة يركبها، و تشدد في الأمر و النهي على جماعة الحي به يصرفها، حتى تنصب المراجل، و تهيأ المطاعم؛فاذا ارتفع ذاك على مراده عاد الى خلقه الأول. و المراجل: جمع مرجل، وهي القدر العظيمة النحاسية، و استقلالها: انتصابها على الأثافى. وحتى تستقل، أراد لتستقل وكى تستقل. أي كان عذورا لذلك الشأن.

مضى وورثناه دريس مفاضة ... وأبيض هنديا طويلا حمائله

يقول: أجاب داعيه فمضى لوجهه، وورثناه دريس مفاضة. فانتصب دريس على أنه مفعول ثان. ويقال: ورثته كذا وورثت منه كذا. فعلى هذه اللغة كان أصله ورثنا منه، فحذف الجار، ووصل الفعل فعمل. و الدريس: الخلق من الدرع وغيره، لأنه كأنه فعيل بمعنى مفعول. و الجمع الدرسان. و المفاضة: الدرع الواسعة. وأبيض، أي وسيفا أبيض. وجعله طويل الحمائل لطول قوامه. والمعنى أنه أنفق ماله في ماادخر له أجرا،ونشر له حمدا وشكرا، فلم يكن ارثه الا ما ذكر من السلاح.

وقد كان يروى المشرفى بكفه ... ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله." (١)

"النعش: شبيه بالمحفة، كان يحمل عليه الملك اذا مرض؛ ثم كثر حتى سمى النعش الذي فيه الميت نعشا.يقول: كنت أؤمل في حكيم ابنى أن يمهل و ينفس من عمره، فيقوم على اذا مت، ويرتدى نعشى اذا حملت، ثم بعد ذلك يقضى فيما أخلفه عليه، وأعتمد على كفايته وخلافته، فخاب أملي وكذبني ظني، وقدم قبلى فارتديت أنا نعشه، فوابلاء نفسي من رداء علاني بنعشه.وقوله " ارتدانيا " تفسير لقيامه عليه وقد

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٣٢٢

وضع الماضي موقع المستقبل؛ أي يرتديني في ذلك الوقت. ولو ساق الكلام على تلاؤم لقال: قيامه على وارتداءه اياي اذا ما النعش زال ارتدانيا، أي يرتديني، فيكون اذا ما النعش زال ظرفا، وارتداني مفعول أرجى. أي أرجوه يرتديني اذا ما النعش زال.

وقال منقذ الهلالي

الدهر لاءم بين ألفتنا ... وكذاك فرق بيننا الدهر

وكذاك يفعل في تصرفه ... والدهر ليس يناله وتر

نسب ما اتفق عليه وعلى محبيه الى الدهر، فقال: الدهر جمع بيننا وسوى ألفتنا، فلما أراد كل منا أن يفرح بصاحبه كما يهواه، ويتمتع به و يتملاه، فرق بيننا و شتت شملنا، فعاد ما كنا نأمله من التملي و الاستمتاع تباينا و توجعا.ومعنوكذاك فرق بيننا: ومثل ذك.وأشار الى مادل عليه لاءم من التأليف.يريد: وكتأليفه فرق أيضا.وكرر لفظ الدهر تفخيما. وموضع كذاك نصب على الحال من فرق بيننا. و قوله " وكذاك يفعل في تصرفه " يريد أن الدهر في مصارفه فعال لمثل ما فعل بنا، يهب و يرتجع، و يؤلف و يفرق، ولايترك شيئا على حاله الا ريث ما يسلط عليه التغيير. و قوله:

والدهر ليس يناله وتر

يريد أنه يتر غيره فلا يوتر، وينكى فلا يجازى،فليس معه الا الاستسلام لحكمه، و الرضا بمحتومه.وهذا الذي جعله للدهر، الفاعل له القادر على كل شيء، تعالى عن الأشباه.

كنت الضنين بمن أصبت به ... فسلوت حين تقادم الأمر

ولخير حظك في المصيبة أن ... يلقاك عند نزولها الصبر

قوله "كنت الضنين " تشك من الفراق الواقع بينه و بين من يرثيه، واظهار لضنه كان به،وتنافسه فيه.فيقول: كنت لاأصبر عنه ، وأعد الأوقات التي لاأراه فيهاكثلمة في العيش،و نقيصة من زاكي الحظ،اذ كنت لاأرى طيب العيش الا معه، ولا أعرف طعم الحياة الا في صحبته فلما افترقنا وتقادم العهد بيننا سلوت عنه، حتى كأنني لم يجمعني و اياه حال. وهذا الكلام منه استقصار لجزعه، واعتراف بأنه لم يفعل كنه الواجب عليه عند الرزيئة.وقوله: " ولخير حظك " يريد: خير انصبائك فيما تصاب به وتعنوله، أن يتلقاك الصبر عند الصدمة الأولى لتصون به دينك ونفسك وعقلك؛ لأن المرجع اليه، فألايتسلى الانسان تسلي البهائم أحسن وفي هذه الطريقة قول الخريمي:

واني وان أظهرت صبرا وحسبة ... وصانعت أعدائي عليك لموجع

ولو وشيت أن أبكي دما لبكيته ... عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وقالت ابنة ضرار الضبية

ترثي أخاها قبيصة بن ضرار:

لا تبعدن وكل شيء ذاهب ... زين المجالس والندى قبيصا

(لا تبعدن) لفظة قد مر القول فيها فيما تقدم. وقوله (وكل شيء ذاهب) تسل. كأنها قالت متوجعة: لا تبعد، ثم عقبته بالتسلى فقالت: وكل حي منا ميت، وكل أمر فينا متغير يا زين المجالس والندى يا قبيصة. وقولها (وكل شيء ذاهب) اعتراض بين المنادى وبين الدعاء له. والجمل المعترضة بين أنواع الكلم تفيد فيها التأكيد وتحقيق معانيها. وقولها (زين المجالس والندى)، إنما ذكرتهما وهما واحد لأنها أرادت بالمجالس مجالسة خاصة إذا قصد لإنزال الحاجات به، واستخراج المطالب منه، وأرادت بالندى نادي الحي. وانتصب قبيصة على أنه عطف البيان ليا زين. ويجوز أن يكون على تكرير النداء وقد رخمه، فكأنه قال: يا زين المجالس يا قبيصة.

يطوى إذا ما الشح أبهم قفله ... بطنا من الزاد الخبيث خميصا." (١)

"اللام من (لئن) موطئة للقسم المضمر، وجوابه (لقد بقيت). وخلى مكانه، أي ترك مكانه من العيون والقلوب خاليا. ويجوز أن يريد ترك مكانه من دنياه لمن شاء. على حين شيبي، أي في وقت استبدلت بالشباب شيبا، وبالقوة ضعفا، لقد بقي مني إباء شديد، ولجاج على من يقصد اهتضامي بليغ؛ فقناتي صلبة على غامزها، ممتنعة على مثقفها، وإن كانت المصيبة نالت مني فنحل جسمي، وذبل جلدي، وحال لوني، وتحول عما كان عليه أمري وشأني. وقد تقدم القول في القناة وطريقتهم في استعارتها وجعلها مثلا. وقوله(وما حالة إلا ستصرف حالها) يريد: وما خطه إلا ستحول صورتها إلى صورة أخرى ما بقيت وأمهلت، ثم من بعد سوف تزول فلا تبقى، ونحول عن المعهود فتفنى. والمعنى: إن شيئا من أسباب الدنيا وأعراضها لا يدوم على حد، ولا يستمر على طريق ووجه، لكن يسلط عليه التغير والتبدل، فيزداد عما يكون عليه، أو يتراجع هذا إذا سلم، ومن بعد سوف يكون مغيره مهلكة، ومدبرة مدمرة.

وأنشد أيضا :

وقاسمني دهري بنى بشطره ... فلما تقضى شطره عاد في شطري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٢٤/١

كانت رواية الناس برهة(وقاسمني دهري بني بشطره) مضافا ، (فلما تقضى شطره) بالضاد، وارتفاع الشطر به، فجاء شيخ لنا فرواه:

بشطرة فلما تقصى شطره

وكان يقول: هذه ضالة أنا وجدتها، وهو مما حكاه أبو زيد من قولهم: بنو فلان شطرة، إذا كان ذكورهم بعدد إناثهم. يريد: ناصفني. ومعنى (تقصى شطره) بلغ أقصاه واستوفاه. والذي أختاره أن يروى (بشطره) على الإضافة. ومن الظاهر أن تقصى أحسن من تقضى في اللفظ، وأبلغ في المعنى. ومعنى بشطره كأن الدهر ادعى أنه قسيمة في بنيه وأن له منهم الشطر، وهو النصف، فقاسمه على ذلك، فلما استوفى حظه أقبل بأخذ من نصيبه الذي كان أفر له به، وساهمه عليه، وإنما اخترت بشطره على (شطرة)، لأن شطرة لم يستعمل في الانصباء والسهم، والشطر في النصف معروف ومستعمل، ومنه شاة شطور، إذا يبس أحد ضرعيها. وكذلك قولهم: حلب الدهر أشطرة، إذا جرب الأمور، وأصله من الحلب، أي حلب شطرا من الخير وشطرا من الشر، حتى تبصر وعرف مواضع النجاة من مواضيع العطب والهلكة.

وقوله (ألا ليت أمي لم تلدني) تمنى السلامة بأن كان لا يخلق ولا يخترع فينجو من الابتلاء، وملابسة أنواع البلاء، والتردد بين السعادة والشقاء؛ وتمنى بعد أن أوجد وخلق ألا يكون فاقدة والمعزى فيه، بل كان السابق له والمقدم عليه، سيما وهما جاريان إلى غابة من العطب لا محيص عنها، ولا مفر منها.

وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري

وقد كنت ذا ناب وظفر على العدى ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

جرى على افتتنانهم في تحويل الكلام عن الاخبار إلى الخطاب، وصرفه عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكر. ألا ترى أنه أخبر في قوله (وقاسمني دهري بني) ثم قال (ليتني سبقتك) فرجع إلى خطاب واحد منهم، ثم قال (وكنت به أكني) فأخبر به عن أحد بنيه. والمعنى: كنت اكتنيت به حبا لذكره واسمه، وتفاؤلا ببقائه وداومه، فبقي الاسم والشخص مفقود، فلا جرم أني متى كنيت به تجدد لي حزن أفاض عبرتي، وأغاض ماء عيشتي.

وقوله (وقد كنت ذا ناب وظفر على العدى) يريد: إني كنت تام السلاح بهم، موفور العدد والعدد بمكانهم، مخشي الجانب، لا يطمع في استنزالي عن حجة أركبها، أو شبهة اتعلق بها . وذكر الناب والظفر مثل ضربه لسلاحه وآلاته التي كان يدفع الخصوم بها، ويقهر الأعداء باستعمالها. وقوله (لا يخشون نابي ولا ظفري) يريد لا ناب لي بعدهم ولا ضفر فيخشى. فهو مثل:

ولا ترى الضب بها ينجحر

وأنشد لامرأة ترثي أباها

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب

وكم من سمى ليس مثل سميه ... وإن كان يدعي بأسمه فيجيب

يقول: متى قرع أذني دعاء داع بإسم ولدي أذعن وأقلق، كما يذعر الثكلى مهيب، وهو الداعي. والثكلى تفزع لأدنى صبحة ترهقها، أو قرعة تصدم قلبها. ويجوز أن يريد بالعجول ناقة فقدت ولدها بنحر أو موت، فهي في حنينها تنفر من أخفض إهابة، وأدنى بعث وإزعاجة.." (١)

"وقوله(من بين ليلة) من دخل للتبيين، والمعنى: كنت أعد مفارقت له في ليلة كالموت، أو قاسى مثل الموت من أجل مفارقة ليلة منه، فكيف يكون حالي وقد فرق بيني و بينه بين موعد الالتقاء بعده يوم القيامة. ومثل قوله (من بين ليلة) قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان). ولك أن تجعل من بين، في موضع المفعول لأرى، وتجعل من زائدة على طريقة الأخفش في جواز دخوله زيادة في الواجب، فيكون التقدير: كنت أرى بين ليلة، أي فراق ليلة، كالموت. فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني. وقوله(كان ميعاده) وضع الماضي موضع المستقبل أي يكون ميعاده، والهاء يرجع الى البين، كأنه وعده الزوال و الالتقاء معه من بعده في يوم الحشر.

وقوله(وهون وجدي أنني) موضع رفع، لأنه فاعل هون والمعنى: خفف وجدي وقلقي أنني ذاهب في إثره، ومخل مكاني في الدنيا بعده يوما، وإن أطيل عمري، ونفس في أجلي.

فتى كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر

فتى كان يدينه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

يريد أن المرثي كان إذا حضر الوغى تصور السيف عليه حقا، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرر: يال فلان !! مرارا. والتثويب في الآذان معروف. وقوله (وتشقى به الجزر) يريد وقت نزول الأضياف، وأنه كان لا يرضيه أقرب المنازل في نزل الضيف، بل كان يرتقى إلى أعلاها.

وهذا المعنى قد مضى قريبا، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله. ومعنى يدينه الغنى من صديقه أنه كان يعد التفرد بالغنى لؤما، وكان يشرك أصدقائه فيه، كما يعد في حال الإضافة والفقر ملابسة الأصدقاء كالتعرض لخيرهم، فيبتعد عنهم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٣٣٠

وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنيها

لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت: وا بأباهما

الزعم يستعمل كثيرا فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكمت عن القوم: زعموا. كأنها لما استشرف الناس جزعها وهلعها، فتذاكروا أمرها فيما بينهم أظهرت الانكار والتكذيب فيما توهموه، فقالت: وهل جزع أن قلت وأباباهما، من التوجع لهما على قدر القائل: وأباباهما. ولفظة (وا) تألم وتشك، وهي حرف للندبة. و(بأباهما) أرادت: بأبي هما، ففر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفا. على ذلك قولهم: باداة وناصاة، في بادية وناصية. وقولها (وهل جزع) ارتفع جزع على أنه خبر مقدم، (وأن قلت) في موضع المبتدأ، وبأبا خبره. هذا على طريقة سيبويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف. ورواه بعضهم: (بأناهما)، أي أفديهما بنفسي وأنا هو ضمير المرفوع، وقد وقع موقع المجرور، وكقولهم: هو كأنا، وأنا كهو.

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

ألمت في هذا بقوله:

إذا لم أجن كنت مجن جان

تقول: كان ينصران من لا ناصر له من القوم إذا خشي نبوة من نبوات الدهر يوما فاستغاث بهما. وقولها (أخوا في الحرب من لا أخا له) فصلت فيه بين المضاف إليه والمضاف بالظرف، فلذلك حذفت النون من أخوان فهو كقوله:

كأن أصوات من إيغالهن بنا ... أواخر الميس أصوات الفراريج

ففصل بقوله (من إيغالهن بنا). قولها (من لا أخا له) نوت الإضافة ثم أدخلت اللام تأكيدا للإضافة التي قصدتها، لذلك أثبتت الألف من لا أخا، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الأفراد يقال اخ. وخبر لا محذوف كأنها قالت: لا أخا موجودا وفي الدنيا. ولوقالت: لا أخ له، لكان له خبرا للا، على قولهم: لا أب لك، وإنما قلت أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها، لأن الإضافة غير معتد بها هنا، فلا تعرف الأخ، واللام تبطل الإضافة في الأصل. وهذه اللام لا تدخل إلا في بابين: أحدهما باب النفي، وهو ما نحن فيه، والثاني باب النداء في مثل قولهم: يابوس للحرب، لأن المراد: يابوس الحرب.

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٣٣/١

"وقوله (ومرجم عنك الظنون) وصفه بأن الآفاق على بعدها كانت قريبة عليه لما أيد به من العزم وتسهل له وفي نفسه من وعورة السير، فيقول: رب مكاشح لك كان على تنائيه عنك، وتحزمه معك، واستظهاره بإبعاد الدار منك، يرجم الظن فيك، ويوسوسإليه ما يعرفه من إبعادك في الغزو، وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التعب، وعوارض الخطر - أنك تقصد وتوقع به آمن ماكان منك، وهو فيه وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع في خلده، ولا بالكشف عما ارتاب له، إذ أنت أتيته من حيث لا يحتسبه، واستبحت حريمه، واتسغنمت. وقوله(قبل تأمل المرتاب) يجوز أن يريد به قبل تأمله، فيكون المرتاب هو المرجم المكاشح. ويجوز أن يكون جعله مثلا.

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله:

أسرت لك الآفاق عزمة همة ... جبلت على أن المسير مقام

فأفأت أدما كالهضاب وجاملا ... قد عدنا مثل علائف المقصاب

لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم تأتكم خيل ذوو أحساب

يقول: غزوته فجعلت ماله فيئا وغنيمة: نوقا كالجبال سمانا، وذكورة عظاما ضخاما، عدنا كالتي يسمنها الجزار للنحر.

وقوله: (لكم المقصص لا لنا) يقول: إن لم تأتكم خيل إذا طلبوا الثأر طلبوه عن إمتعاض وشدة أنفة، وجد في الأمر واجتهاد، فعل الحسيب الكريم الذي لا يغمض عن قذى، ولا يصبر فيما يحق له على أذى، فأنتم أولياء دمه من دوننا، والمالكون له سوانا. وقد تركنا لكم، وفزتم بما أصبتموه، واستمرأتم ما طعمتموه. وقوله (أفأت) من الفيء: الغنيمة، لا من الفيء الرجوع. والجامل موحد اللفظ مصوغ للجمع ، ويراد به الإبل، لكنه مشتق من لفظ الجمل كالباقر من البقر. والعلائف: جمع العلوف، وهو ما يسمن في البيوت. ويقال: شاة معلفة، أي مسمنة. والمقصاب، بناه بناء مايكون آلة، فهو كالمفتاح، لا بناء ما يكون الحرفة والمزوالة. والواجب أن يكون (القصاب)، وهو من القصب: القطع والفصل، لأنه يقصب الشاة أي يقطعها.

وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بمكلىء معشاب

فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب

قوله (و أبة اليتامى) أي كان يكفلهم و يعولهم، ويشفق عليهم ويتحدب، حتى كأنه ابوهم. وارتفع (أو) كأنه خبر ابتداء محذوف كأنها قالت: وهو لليتامى أب. ومعنى (ينبتون ببابه) يروى (فناءه) ، وانتصابه على أنه أخرجه الى باب الظروف، كما فعل ذلك بمقعد القابلة، ومناط تاثريا وما أشبههما. و المعنى أنهم يتربون

في فنائه و يتنعمون، تري فراخ الطير بمكان كثير العشب و الكلأ. ويقال: أكلأ الموضع، اذا صار ذا كلإ وعشب. و المعشاب: الكثير العشب.

وقوله (فكه الى جنب الخوان) فالفكه: الكثير المزاح واللعب، تأنيسا للضيف وبسطا منه، كما قال الآخر:

أحدثه إن الحديث من القرى

وقوله (اذا غدت) ظرف للفكه. يريد: يفاكه الضيف عند الأكل بملح الكلام، كي يستأنس ويتسع الوقت له فيستوفى. وا‌ﻟﺮى من قوله(إلى جنب الخوان) تعلق بفعل مضمر دل عليه فكه، كانه مع قرب الخوان يفكه. و (اذا غدت نكباء) يريد البرد و هبوب الريح الباردة المزعزعة للبيوت، القالعة لأوتادها وحبالها. وأطناب البيوت: حبالها. ومنه إطنابة الحزم و القسى. و الجميع الأطانيب . قال:

يركضن قد قلقت عقد الأطانيب

وقالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها عباسا

أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهروالأيام أن تتصبرا

و ما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير اذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخى مهابة ... وليس الجليس عن أخى تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخى مهابة ... وليس الجليس عن أخى بأزورا

تقول: يا عيني لأقول إنكما لم تجزعا ولم تذرفا، ولم تخلطا بدمع دما ، فاكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما. وكيف لا تكونان كذلك والأيام و الليالي امتنعت عليكما أن تتصبرافيها، اذ كانت حملتكما من أعباء الرزية ما استنفد وسعكما، واستغرق طوقكما، حتى نزفت دموعكما، و توقفت عن الإجابة شؤونكما، فما بقي منكما إلا شفا.." (١)

"[دعي البكر لا ترثي له من ردافنا ... وهاتي أيقينا جناة القرنفل

بثغر كمثل الأقحوان منور ... نفي الثنايا أشنب غير أثعل

فمثلك جبلى، قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

يعني ولدا ذا تمايم وهي العود، وروى الأصمعي وأبو عبيدة عن ذي تمايم مغيل يقال اغتيلت المرأة فهي مغيلة، ومغيل، ومغيل والولد مغيل، إذا أرضعت ولدها وهي حبلى أو وطئت، وهي ترضعه يقال: أغالت، وأغيلت، إذا سقط ولدها غيلا والغيل أن ترضع على حمل أو تؤتى أمه، وهي ترضعه.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ١/٣٣٨

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتي شقها لم يحول

وروى أبو عبيدة انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول أي لما قبلها أقبلت تنظر إليه وإلى ولدها فأمالت طرفها إليه وخدها تحته.

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت ... علي وآلت حلفة لم تحلل

تعذرت: تمنعت، يقال تعذر فهو متعذر وعذر فهو معذر إذا تعلل بالمعاذير ومنه قوله تعالى (وجاء المعذرون) أي الذين ي أتون بالعلل وقيل معناه المعتذرون وأسكنت التاء ودغمت في الذال لقرب المخرج ومن قال المعتذرون فهذا معناه وأسكنت التاء لأنها جاءت بعد العين والعرب تبدل التاء بعدها حسب الحرف الذي يليه، المعذرون أي الذين جاءوا بالعذر وآلت من العذر أي لم يجدها على ما يريد ونصب يوما بتعذرت والكثيب الرمل المجتمع المرتفع على غيره.

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

يقال أزمعت عن الأمر، وعزمت عليه وأجمعت عليه سواء، والصرم القطيعة، وقوله فأجملي أي في اللفظ، وقال أبو عبيدة: أفاطم أبقي بعض هذا التدلل.

وإن تك قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

الخليقة: الخلق، والثياب: كناية عن اللقب، نسل ريشه ينسله: إذا رماه. أي أخرجي قلبك من حبي تنسل أي تبين.

أي أغرك مني أن أحبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل

الغر الذي لم يجرب الأمور وقال:

يا رب مثلك في النساء غ ريرة ... بيضاء قد متعتها بطلاق." (١)

"شرح المعلقات السبع

حياته ونتاجه

بالرصانة والتعقل، وهو شخصية ممتازة من شخصيات الشعر الجاهلي، شخصية فيها بر ورحمة وفيها نزعة قوية إلى الخير.

وآراؤه ليست إلا من أوليات التفكير الإنساني وتفكير الشعب، وهذه الآراء هي التي جعلته قريبا من الشعب؛

---

(١) شرح المعلقت التسع، ص/٥٥

لأنه كان يكلمه فيها بما يعرف ويألف. وتحكيمه عقله في شعره، وإعماله تفكيره فيه، أضعفا عمل خياله، وعمل عاطفته، فلا تجد لهما عنده من الحظ إلا يسيرا، ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه في معلقته.

وقد جمع خلاصة التقاضي في بيت واحد وهو:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

ولا ريب أن لكبر سنة تأثيرا في خمود عاطفته وضعف خياله، فكل شعره يدلنا على أنه نظمه في حرب داحس والغبراء، وبعدها خاصة عندما بلغ الثمانين على حد قوله، أو تجاوزه، فمن البديهي أن يغلب عليه التعقل والترصن، وأن يكون للعقل العمل المهيمن في نتاجه الشعري.

وحياة زهير من الوجهة الأدبية طريفة، يقول الأصبهاني: "كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، وهي القائلة **ترثيه**:

وما يغني توقي الموت شيئا ولا عقد التميم ولا الغضار ١

إذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار ٢

وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر، وهو القائل:

إني لأحبس نفسي وهي صادية عن مصعب ولقد بانت لي الطرق

رعوى عليه كما أرعى على هرم جدي زهير وفينا ذلك الخلق

---

١ الغضار: الخزف الأخضر، كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خزفا أخضر.

٢ قدار: هو قدار بن سالف عاقر الناقة.

١٢٩ ٢٨٨." (١)

"فإذا وذلك ليس إلا ذكره ... وإذا مضى شيء كأن لم يفعل

وقال لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني، /

وقال:

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

قال:

الأبيات الموضحة

وهي ما استقلت أجزاؤها، وتعاضدت وصولها، وكثرت فقرها، واعتدلت فصولها، فهي كالخيل الموضحة، والفصوص المجزعة، والبرود المحبرة. ليس يحتاج واصفها إلى: لو كان فيها سوى ما فيها. وهي كما قال الطائي في صفة مثلها:

تختال في مفوف الألوان ... من فاقع وناضر وقان

وكما قال ابن قنبر:

كل فرد في محاسنها ... كائن في نعته مثلا

ليس فيها ما يقال له ... كملت لو أن ذا كملا

وقال امرؤ القيس:

فيدركها فغم داجن ... سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس حني الضلوع ... تبوع طلوب نشيط أشر

وقال أيضا:

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقال أيضا:

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

وقال زهير:

عبأت له حلمي وأكرمت غيره ... وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وقال الأعشى:

طويل العماد رفيع الوسا ... د يحمي المضاف ويعطي الفقيرا

وقال زهير:

وفي الحلم إدهان وفي العفو دربة ... وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق

وقال منقذ بن الطماح:

يا نضل للضيف الغريب ولل ... جار المضاف ومحدث الجرم

وقال ذو الرمة:

كحلاء في برج صفراء في دعج ... كأنها فضة قد مسها ذهب

وقالت الخنساء:

المجد حلته والجود علته ... والصدق حوزته إن قرنه هابا

خطاب معضلة فراج مظلمة ... إن هاب مضلعة أتى لها بابا

وقالت ليلى الأخيلية:

ألا رب مكروب أجبت ونائل ... فعلت ومعروف لديك ومنكر

فياتوب للمولى وي ا توب للندى ... وياتوب للمستنبح المتنور

وقالت أخت مسعود بن شداد العدوية ترثيه:

حمال ألوية شهاد أندية ... شداد أوهية فراج أسداد

قتال طاغية رباء مرقبة ... قوال محكمة فكاك أقياد

الأبيات المرجلة

التي يكمل معنى كل بيت منها بتمامه، ولا ينفصل الكلام منه ببعض يحسن الوقوف عليه غير قافيته، فهو أبعدها من عمود البلاغة، وأذمها عند أهل الرواية؛ إذ كان فهم الابتداء مقرونا بآخره، وصدره منوطا بعجزه، فلو طرحت قافية البيت وجبت استحالته، ونسب إلى التخليط قائله؛ كما قال الطائي:

عدلا شبيها بالجنون كأنما ... قرأت به الورهاء شطر كتاب

وقال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

وقال النابغة:

هذا الثناء فإن تسمع لقائله ... فما عرضت أبيت اللعن بالصفد

وقال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

وقال عمرو بن براقة الهمداني:

متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وقال مالك بن حريم الهمداني:

وما أنا للشيء الذي ليس نافعي ... ويغضب منه صاحبي بقئول

بذلك أوصاني حريم بن مالك ... فإن قليل الذم غير قليل

وقال حسان بن ثابت:

لو يدب الحولي من ولد الذ ... ر عليها لأندبتها الكلوم

وقال الحارث بن حلزة:

بينا الفتى يسعى ويسعى له ... تيح له من أمره خالج

وقال جرير:

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقال أبو ذؤيب:

حميت عليه الدرع حتى وجهه ... من حرها يوم الكريهة أسفع

وقال نهيك بن إساف:

سأكسب مالا أو تبيتن ليلة ... بقلبك من وجد علي غليل

وقال جرثومة بن مالك القريعي يمدح هلال بن أحوز المازني:." (١)

"فتى إن تجده معوزا من تلاده ... فليس من الرأي الأصيل بمعوز

وقالت الخنساء ترثي صخرا:

يهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

تم الكتاب، هو قواعد الشعر لثعلب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه.." (٢)

" ٤٧٣ - بيضة البلد

البلد : أدحي النعام والنعام تترك بيضها يضرب لمن لا يعبأ به

ويجوز أن يراد به المدح أي هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ويقبل قوله وأنشد [ص ٩٨] ثعلب لآمرأة ترثي عمرو بن ود حين قتله علي رضي الله عنه

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ما أقام الروح في جسدي

---

(١) قواعد الشعر، ص/٧

(٢) قواعد الشعر، ص/٨

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد ." (١)

"طويل طامح الطرف ... لي مفزعة والكلب

نبيل سلجم اللحيي ن صافي اللون كالقلب

حديد الطرف والمنك ب والعرقوب والقلب

الطرف الفرس الكريم والهيكل الضخم والميعة النشاط والسكب السريع الجري الذي يسيل في سيره وأسيل طويل الخد سبطه وسلجم طويل ومقبله رأسه وعيناه والشخت الدقيق والجأب الغليظ وطامح الطرف أي رافع الطرف إلى ترقب وثوب الكلب على الصيد فيبادره إليه من نشاطه ويقال هو ينظر إلى حيث ينبح الكلب والقلب سوار من فضة شبه صفاء لونه بصفاء الفضة.

قال أبو محمد " وهم يصفونها بالقبل والشوس والخوص وليس ذلك عيبا فيها ولا هو خلقة إنما تفعله لعزة أنفسها قالت الخنساء " :

ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي

كذا أنشد رأيت بضم التاء ونسب الشعر إلى الخنساء وليس لها والصواب رأيت بفتح التاء على الخطاب والشعر لليلى الإخيلية ترثي توبة وتعير قابضا فراره عنه وهو قابض بن عبد الله ابن عم توبة وأول الأبيات:

ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي

صرمت حباله وصددت عنه ... بعظم الساق ركضا غير آل

على ربذ القوائم أعوجي ... شديد الأسر منكمش التوالي

قولها تبارى تعارض وتسابق والشبا أطراف الأسنة الواحد شباة والعوالي جمع عالية الرمح وهي ما دون السنان إلى نصف القناة يقول كأن الخيل تريد أن تسبق أسنة الرماح والمعنى إنها لا تالو جهدا ويروى لما أن رأيت صرمت حباله تقول لما رأيت الخيل على هذه الحالة صرمت حبال ابن عمك توبة وأسلمته وجعلت تركض فرسك وأنت فار غير مقصر تستحثه بعظم ساقك في الركض والآلي المقصر وقولها على ربذ القوائم أي خفيف القوائم وأعوجي منسوب إلى أعوج الأكبر وهو فرس لغنى وأعوج الأصغر لبني هلال بن عامر والأسر الخلق والقوة ومنكمش سريع والتوالي يريد آخر عدوه ويقال عجزه ورجلاه وإنما يصف أنه سريع اليدين منكمش الرجلين ويروى منكفت النوالي أي منقبضهما. قال أبو محمد " ،يستحب في المنخر السعة لأنه إذا ضاق شق عليه النفس فكتم الربو في جوفه فيقال له عند ذلك فقد كبا " الربو البهر وهو أن يعدو الرجل

(١) مجمع الأمثال، ٩٧/١

أو الفرس حتى يغلبه البهر وكبا الفرس يكبو إذا ربا وانتفخ من فرق أو عدو حتى يقوم فلا يتحرك من الأعياء والكبو الامتلاء. قال ويستحب في الأفواه الهرت قال وأنشد:

هريت قصير عذار اللجام ... أسيل طويل عذار الرسن

وقد فسره والهريت الواسع الشدقين الطويل شق الفم وأنشد أبو محمد لأبي داود:

قربا مربط النعامة إن ... الحرب فيها تلاتل وهموم

كتفاها كما يركب قين ... قتبا في أحنائه تشميم

ولها منخر كمثل وجار الض بع تذري به العجاج السموم

وهي شوهاء كالجوالق فوها ... مستجاف يضل فيه الشكيم

قربا أدنيا مربط العرادة والعرادة اسم فرسه ومربطها الموضع الذي تشد فيه أي شداها بالقرب مني لأركبها إذا فجئتني العدو فإني مستعد للحرب وتلاتل أي حركات وعناء وشبه كتفيها بالقتب لارتفاعهما وذلك مما يستحب والقين للبعير بمنزلة الأكاف للبغل وإحناؤه ما عطف من خشبه وكل شيء فيه إنفراج وإعوجاج فهو حنو وتشميم إرتفاع وقوله تذرى به العجاج السموم يقول إذا هبت السموم رمت بالعجاج في وجار الضبع فأخبر أن منخرها واسع كوجار الضبع والوجار حجر الضبع والثعلب والشوهاء التي في رأسها طول وفي فمها سعة ولا يقال للذكر من الخيل أشوه إنما هي صفة للأنثى فإذا قيل امرأة شوهاء فهو من الأضداد تكون الحسنة وتكون القبيحة وشبه فمها بالجوالق لعسته ومستجاف أجوف واسع ويضل فيه الشيكم أي يضيع فيه فأس اللحام. قال وقال طفيل ويكنى أبا قران:

وعارضتها رهوا على متتابع ... شديد القصيري خارجي محنب

كأن على أعطافه ثوب مائح ... وإن يلق كلب بين لحييه يذهب

المعارضة أن يسير حيالها ويحاذيها ويقال عارض فلان فلانا إذا أخذ في طريق وأخذ هو في غيره فالتقي؛ وعارضه أيضا إذا فعل مثل فعله والضمير في وعارضتها يعدو إلى رعال الخيل التي ذكرها في قوله: كأن رعال الخيل لما تبددت." (١)

"وروى المبرد قال: كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم في وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالرشاب، فقال زياد: كيف لي باطراح رجل يسايرني مذ دخلت العراق، فلم يصكك ركابي ركابه، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٧٧

عني فأدرت عنقي إليه، ولا أخذ علي الشمس في الشتاء قط، ولا الروح في صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لا يحكم غيره، فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة: أيها الأمير ما هذا مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة، فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب، ولا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب علي، وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت رائحة الشراب منك، لا آمن أن يظن بي، فدع النبيذ وكن أول داخل وآخر خارج عني، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي، أفأدعه للمال عندك، قال: فاختر من عملي ما شئت، قال: توليني رام هرمز، فإنها أرض طيبة وسرق فإن شرابا وصف لي، فولاه إياها، فلما خرج شيعه الناس، فقال أنس بن أبي أنيس:

أحار بن بدر قد وليت ولاية ... فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئا وليته ... فحظك من ملك العراقيين (سرق)

وباه تميما بالغنى، إن للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق

فإن جميع الناس إما مكذب ... يقول بما تهوى وإما مصدق

وحكى الهيثم بن عدي قال: بعث الحجاج بن يوسف أربعة آلاف رجل من أهل الكوفة إلى خراسان فاصطحب في الجيش ثلاثة فتيان يقال لأحدهم أوس بن خلد، وللآخر نصر بن غالب والآخر أنيس بن بدر، فنزلوا مدينة مرو فأقبلوا على لذتهم، مدمنين على شرابهم بالخوض في مستعذب الحديث وإنشاد الشعر ومذاكرة أيام الناس والمؤانسة، فاعتل أوس فمات، فاشتد عليه جزع أخويه وطال بكاؤهما وحنينهما إليه وكانا يخرجان كل يوم إلى قبره فيرثيانه ويتحدثان ويتناشدان كالذي كانوا يفعلون، وإذا دارت الكأس شرب كل واحد كأسه لاوصبا على قبر أوس كأسا، فإذا أمسيا رجعا إلى رحلهما فلبثا على ذلك برهة من زمانهما، ثم إن أنيسا مرض أياما فمات، فدفن إلى جنب صاحبه، فكان نصر يخرج كل يوم فيجلس بين قبريهما فيرثيهما ويبكي عليهما، وكلما شرب كأسا صب على قبر كل واحد منهما كأسا ومعه غلام كان يخدمهم، قال: فلما عمل الشراب فيه ذات يوم جعل يلزم هذا القبر تارة وهذا أخرى ويبكي ويقول:

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجدكما ما تقضيان كراكما

أجدكما ترثيان لموجع ... حزين على قبريكما قد رثاكما

أقيم على قبريكما لست نازحا ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

تنامان عمن لا ينام صبابة ... كأن الذي يسقي العقار سقاكما

أناديكما وجدا وشوقا إليكما ... فلا تسمعان الصوت ممن دعاكما

أصب على قبريكما من مدامتي ... فإلا تذوقاها ترو ثراكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي ... يرد على ذي لوعة إن بكاكما

فلم يزل يردد هذا الشعر حتى زفر زفرة فاضت فيها نفسه فدفن إلى جانب صاحبيه، فقبورهم تسمى قبور الإخوة، وفتيان المدينة ينتابون قبورهم فيشربون ويصبون من شرابهم عليها.

وكان يحيى بن عبيد الله الحارثي ماجنا شاعرا متهما في دينه، وهو القائل:

أقول لذي طرب فاتك ... إذا مل ذو النسك من نسكه

دع النسك ويحك لا تبغه ... وعاون أخاك على فتكه

لا تقع الدهر في صاحب ... وإن أكثروا فيه بل نكه

ولا تبكين على ناسك ... وإن مات ذو طرب فابكه

ومنهم علي بن الخليل وكان مشتهرا في الشراب مدمنا عليه، وهو الذي قال:

لا تكمل اللذات إلا بالقيان وبالخمور

هتك الستور وإنما اللذات في هتك الستور

واخلع عذارك في الهوى ... واصبر لنوبات الدهور

ودع العواذل لا يفقن عليك من دق الصدور

واعلم بأنك راجع ... حقا إلى رب غفور." (١)

"كم من مضيع لذة قد أمكنت ... لغد، وليس غد له بمواتي

حتى إذا فاتت وفات طلابها ... ذهبت عليه نفسه حسرات

ابن المعتز:

ألا فاسقياني قبل أغبر مظلم ... بعيد من الخلان من هو نازله

رأيت الفتى إن مات يورث ماله ... وتنكح أزواجا سواد حلائله

ذران أنعم في الحياة معيشتي ... وآكل مالي قبل من هو آكله

محمد بن أمية:

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه ... وقد دعاك إلى اللذات داعيه

وجاد بالقطر حتى خلت أن له ... إلفا نآه فما ينفك يبكيه

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٤٤

فبادر اللهو واغنم طيب ساعته ... فإن للدجن دينا يقتضنيه

وقال آخر:

اعص من لامك في الشرب تعش عيشا لذيذا

ليس من عمرك يوم ... لم تذق فيه نبيذا

وقال آخر:

ومن عرف الأيام لم يغترر بها ... وباكر باللذات قبل العوائق

بحمراء قبل المزج، صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها شعاعا فاكتست لون عاشق

عبد الوهاب:

كن عن العذل ذا صمم ... وانف عن نفسك الندم

واقطع الدهر بالسرو ... ر على رغم من رغم

فالذي تتقي وترجوه قد خطه القلم

ذكر ما جاء في المنادمة

قالوا: اشتقاق النديم من الندم لأنه يندم على فراقه، وقد فخر امرؤ القيس مع شرفه وملكه فقال:

ونادمت " قيصر " في ملكه ... فأوجهني وركبت البريدا

وقالت الخرنق بنت بدر التغلبية **ترثي** بشر بن عمرو زوجها وبنيها، وكانت العرب لا **ترثي** إلا بأفضل الأشياء وأرفعها:

فكم بعلاه من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

ندامى للملوك إذا لقوهم ... حبوا وسقوا بكاسات الرحيق

وقوالوا: لسان الملك كاتبه، ووجهه حاجبه، وجليسه كله، وقالوا: إذا وليت عملا فانظر من كاتبك، فإنما يعلم مقدارك من بعد عنك بكاتبك، وأنظر حاجبك، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك، واستكرم نديمك وجليسك، فإنما يزنك الداخل عليك بمثقال من يراه معك، وقال رسول الله (ص): المرء على دين خليله فلينظر أحد من يخالل.

وقال طرفة:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي

وفاخر كاتب نديما، فقال الكاتب: أنا معونة وأنت مئونة، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للذة، وأنا للحرب وأنت للسلم، فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة، وأنا للحضرة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مؤانس، تدأب لراحتي وتشقى لما فيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين. وقال بعضهم في فضل النديم:

أرى للكأس حقا لا أراه ... لغير الكأس إلا للنديم

هو القطب الذي دارت عليه ... رحى اللذات في الزمن القديم

ولم تفتتح أبيات في مدح نديم بأحسن مما ابتدأ به أبو مسهر الطائي:

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت وقد تغورت النجوم

رفعت برأسه وكشفت عنه ... بمعرفة ملامة من يلوم

فلما أن تنشا قام خرق ... من الفتيان مختلق هضيم

إلى وجناء ناجية فكاست ... وهي العرقوب منها والصميم

فأشبع شربه وجرى عليهم ... بإبريقين كأسهما ردوم

تراها في الإناء لها حميا ... كميتا مثل ما فقع الأديم

فنشرب ما شربنا ثم نصحو ... وليس بجانبي أحد كلوم

فبتنا بين ذاك وبين مسك ... فيا عجبا لعيش لو يدوم

نطوف ما نطوف ثم يأوي ... ذوو الإكثار منا والعديم

إلى حفر أسافلهن جوف ... وأعلاهن صفاح مقيم." (١)

"أي مالت خلته فلم تستقم (١) ، ويقال قوام الأمر وقوامه، وملاكه وملاكه، يقول: لا تصرمه عند [أول] عوج.

وروى محمد بن حبيب: ولشر واصل خلة صرامها، والأولى رواية الأصمعي، والخلة: الصديق، والخلة: الصداقة.

قال أبو عبيد: والعامة تقول في هذا " لو كرهتني يميني ما صحبتني " .

ع: هذا المثل منظوم لشاعر جاهلي وهو المثقب العبدي، قال (٢) :

فلو أني تعاندني شمالي ... عنادك (٣) ما وصلت بها يميني

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٧١

إذا لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني ٤٩ ؟ باب الرجل يأبى الضين فيأخذ حقه قسرا [إذا أعياه الرفق]

قال أبو عبيد: قال بعض الأعراب يمدح رجلا:

" فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف " ع: ليس كما قال أبو عبيد، إنما هذا البيت لفارعة بنت طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني، وكان خرج على الرشيد فاشتدت شوكته، فبعث إليه

---

(١) ص: يستقم.

(٢) المفضليات: ٥٧٥ وأمالي اليزيدي: ١١٢.

(٣) هذه رواية أبي عبيدة، وروى الطوسي: فإني لو تخالفني شمالي، خلافك.." [1]

"يزيد بن مزيد الشيباني فقتله، وقد تقدم ذكر ذلك، فقالت أخته ترثيه (١) :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... . (البيت) وقال كراع: ويروى، أيا شجر الخافور، بالفاء، وهو شجر، وهذا تصحيف صراح لأن الخابور الذي ذكر ونسب إليه الشجر إنما هو نهر بالجزيرة، وهناك قتل الوليد بن طريف، قال الأخطل (٢) :

فأصبحت منهم سنجار خالية ... فالمحلبيات فالخابور فالسرر هذه كلها بالجزيرة. وظن كراع أن الخابور شجر فقال: ويروى شجر الخافور ؟ بالفاء ؟ الخافور ليس من الشجر وإنما هو من النجم وهو ضرب من الحبق، وهو المرو العريض الورق، والعرب تسميه أيضا: الزغبر والزبعر (٣) قال الشاعر:

والشاهد الإسفنط يوم لقيتها ... والضومران تمله بالزغبر (٤)

---

(١) راجع قصيدة الفارعة في رثاء في ابن خلكان (ترجمة الوليد)، وحماسة البحتري: ٣٩٨ والأغاني ١١: ٨ والعقد ٣: ٢٦٩ وأمالي القالي ٢: ٢٧٤، وقال البكري في السمط: ٩١٣ اختلف في قائله (أي الشعر) فقيل إنه لأخته ليلي بنت طريف (وسماها الفارعة في شرح الأمثال، وقيل أيضا فاطمة)، وقال دعبل وابن الجراح: هو لمحمد بن بجرة؛ فقول أبي عبيد، قال بعض الأعراب... ليس ببعيد عن الصواب.

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/١٦٥

(٢) انظر ديوان الأخطل: ١٨.

(٣) في اللسان: (زبعر): الزبعر ضرب من المرو ليس بعريض الورق وما عرض ورقه منه فهو ماحور. وهذا مخالف لما ذكره البكري، وذكر في مادة (زبغر) - بالعين المعجمة أن الزبغر هو المرو الدقاق الورق. أما أبو حنيفة فيقول أنه الزغبر. والمرو: شجر طيب الريح أو ضرب من الرياحين؛ ووردت اللفظتان بالعين المهملة في س ط.

(٤) الاسفنط: ضرب من الأشربة، ولفظه فارسي معرب، وقال الأصمعي: هو رومي الأصل والضومران والضيمران والضومر: من ريحان البر طيب الريح.." (١)

"فقالت حين سمعت ذلك وضربت بيدها على منكب زوجها " هذا ومذقة خير " ؟ فذهبت مثلا -

.

وذكر أبو سليمان أن هذا المثل يروى " الصيف ضيحت اللبن " ؟ بالحاء بدلا من العين ؟ من الضياح والضيج، وهو اللبن الممذوق الكثير الماء، يريد: الصيف أفسدت اللبن وحرمته نفسك. وقد ذكر أبو عبيد في الكتاب وجهين في تخصيص الصيف، وهما صحيحان.

وقالت دختنوس ترثي عمير بن معبد بن زرارة ابن عمها الذي خلف عليها بعد عمرو (١) بن عمرو بن عدس (٢) :

أعين ألا فابكي عمير بن معبد (٣) ... وكان ضروبا باليدين وباليد تعني بالسيف والقداح (٤) .

١٥٠ - ؟ باب إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة

قال أبو عبيد: من أمثالهم المشهور:

" ليت حظي من أبي كرب ... سد عني خيره خبله " قال: ويقال إنه لامرأة من الأوس، قالته في تبع أبي كرب حين قدم المدينة فأطمعت أن تنال من خيره فقالت هذه المقالة.

---

(١) ص: عميِر.

(٢) انظر البيت في المعاني الكبير: ١١٥٣ والميسر: ١٤٠.

(٣) المعاني والميسر: عبيد بن معمر، وهو خطأ - على الأرجح، إن كانت دختنوس تزوجت ابن عمها، وعمها اسمه معبد على التحقيق، ويؤيد هذا ما ذكره ابن حبيب في المحبر: ٤٣٦ عن دختنوس وأزواجها،

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأم ثال، ص/١٦٦

فالثاني هو عمير بن معبد بن زرارة.

(٤) حقه أن يقول بالقداح والسيف، لأن ضرب القداح باليدين وضرب السيف باليد؛ في س: بالسيف وبالقداح.." (١)

" ٪ أقول لنفسي في الخلاء ألومها ٪ لك الويل ما هذا التجلد والصبر ٪ ٪ ألم تعى أن لست ما عشت لاقيا ٪ أخي إذا أتى من دون أكفانه القبر ٪ فناداها مؤمن من الجن يا خنساء قبضه خالقه واستأثر به رازقه وأنت فيما تفعلين ظالمة وفي البكاء عليه آثمة

ومثل قوله ٪ فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ٪ إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر ٪ قول المقنع الكندي ٪ لهم جل مالي إن تتابع لي غني ٪ وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا ٪ وقول إبراهيم بن العباس الصولي ٪ رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا ٪ لزاما وإن أعسرت زرت لماما ٪ ٪ فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه ٪ أغب وإن زاد الضياء أقاما ٪ وقوله أيضا ٪ ولكن الجواد أبا هشام ٪ نقى الجيب مأمون المغيب ٪ ٪ بطئ عنك ما استغنيت عنه ٪ وطلاع عليك مع الخطوب ٪ وفي ص ٨٥ س ١٧ وأنشد أبو علي رحمه الله لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها ٪ أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ٪ مقيما وقد غالت يزيد غوائله ٪

". (٢)

"[تدار علينا بالسديف صحافها ويؤتى إلينا بالعبيط المثمل]

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي

الخدر: هو الهودج، الويلات جمع ويلة، وعنيزة اسم امرأة من بني كندة، ويقال موضع. إنك مرجلي أي تعقر بعيري، فتدعني راجلة أمشي ونصب خدر عنيزة على البدل من الخدر.

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وقال الأصمعي: إنما قال بعيري ولم يقل ناقتي لأنه كما قال فأجاز الناقة على الذكور لأنها أقوى والبعير يقع على المذكر والمؤنث والغبيط قتب.

وقال أبو عمرو الشيباني الغبيط: الهودج بعينه.

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص/٣٥٩

(٢) كتاب التنبيه، ص/٩٨

وقال غيرهما مركب من مراكب النساء. معا منصوب لأنه في موضع الحال، وأما قولك جئت معه قال سيبويه نصبها بالألف لأنه ظرف وقال سيبويه سألت الخليل عنه قال لأنه كثر استعمالهم لها مضافة فقالوا جئت معه وجئت من معه، فصارت بمنزلة أمام يعني إنها ظرف.

فقلت لها سيري وأرخي زمامه ‌ول تبعديني من جناك المعلل

قال الأصمعي جعلها بمنزلة ثمرة الشجرة فجعل لها ما للشجرة من رائحة، وحديثها بمنزلة ما يصيب من رائحة الشجرة وثمرتها، والمعلل بفتح اللام الذي قد عل بالطيب والمعلل بكسر اللام الشاغل ويقال الملهي.

[دعي البكر لا ترثي له من ردافنا وهاتي أيقينا جناة القرنفل

بثغر كمثل الأقحوان منور نفي الثنايا أشنب غير أثعل

فمثلك جبلى، قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

يعني ولدا ذا تمايم وهي العود، وروى الأصمعي وأبو عبيدة عن ذي تمايم مغيل يقال اغتيلت المرأة فهي مغيلة، ومغيل، ومغيل والولد مغيل، إذا أرضعت ولدها وهي حبلى أو وطئت، وهي ترضعه يقال: أغالت، وأغيلت، إذا سقط ولدها غيلا والغيل أن ترضع على حمل أو تؤتى أمه، وهي ترضعه.

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول

وروى أبو عبيدة انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول أي لما قبلها أقبلت تنظر إليه وإلى ولدها فأمالت طرفها إليه وخدها تحته.

". (١)

"البحر : مديد تام (يا قرير العين بالوسن ! ** ما الذي ألهاك عن شجني) (كيف لا ترثي لمكتئب ** شفه برح من الحزن ؟) (هبك لم تسمع شكاة فمي ** أو لم تبصر ضنى بدني ؟) ٤ (يا عباد الله ! من لفتى ** بيد الأشواق مرتهن ؟) ٥ (رعت الأشواق مهجته ** وبراه الوجد ؛ فهو ضني) ٦ (آه من ظبي خلعت به ** في ميادين الهوى رسني) ٧ (ساحر العينين ما برحت ** لحظتاه مصدر الفتن) ٨ (سلمت بعض الوشاة به ** من نميم الغي في سنن) ٩ (صرفوه عن طبيعته **)٠ (صرفوه عن طبيعته ** وعنان القلب في الأذن)

---

(١) شرح المعلقات التسع للشيباني، /

(١) ".

"البحر : طويل (لعل خيالا منك يطرق مضجعي ** وإن ضل يهديه الأنين بموضع) (تصدق به وابعثه في سنة الكرى ** وما شئته من بعد ذلك فاصنع) (وإن عاد فاسأله يجبك بما يرى ** لعلك ترثي أو لعلك تقنع) ٤ (وإلا فمن لي بأيسر نائل ** بأن أشتكي وجدي إليك وتسمع) ٥ (عرفت الهوى حلوا ومرا مذاقه ** وما صادق في حبه مثل مدع) ٦ (فما ذقت أدهى من مشاهدة النوى ** وأعظم من بين الحبيب المودع) ٧ (ولم أنس إذ عانقتها لوداعنا ** فخالط در العقد جوهر أدمع) ٨ (فتسمح باليمنى دموع جفونها ** وتجعل يسرى فوق قلب مروع) ٩ (وقالت دموعي واشتياقي وزفرتي ** شهود على ما من غرامك أدع)، (فإن غبت غاب الأنس عني بأسره ** ومالي من عيش إذا لم تكن مع)

---

(٢) ".

"يعني أن الإبل يأكل الخلة تشتهي الحمض فضربه مثلا، يقول جاءوا يشتهون القتال فلاقوا من يقاتلهم ويشفيهم. والخلة كل ما ليس بحمض والعرب تقول الخلة خبز الإبل والحمض لحمها، ويقال فاكهتها. والحمضة الشهوة إلى الشيء وإنما أخذ من شهوة الإبل إلى الحمض إذا أجمت الخلة، تقول المرأة إذا ملت نعمة نقلها إلى مثلها. وحمله آخرون على حديث الليث عن الحارث بن يعقوب عن سعيد بن يسار قال قلت لابن عمر: كيف ترى في التحميض. قال: وما التحميض. قلت: أن يأتي الرجل المرأة في دبرها. قال: أو يفعل ذلك أحد من المسلمين. ويروى عن ابن عمر في حديث آخر: كنا نشتري الجواري ونحمض فيهن. وقولها بعد هذا وإن دسر أغمض يقوي التأويل الأخير، والدسر الدفع، والإغماض الإيلاج الشديد، والغمض من الأرض الشديد الاطمئنان حتى يغيب من فيه.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٨،١٦ "

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروى شربة الغمر

قال المؤلف: البيت لأعشى باهلة من قصيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث ويكنى أبا قحافة. وقال قطرب: إنه للدعجاء بنت وهب وإنها هي التي ترثي أخاها المنتشر بالقصيدة المعروفة التي أولها:

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي، ص/٣٢٢

(٢) ديوان لسان الدين الخطيب، ص/٦١٥

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من علو لا عجب فيها ولا سخر

وبعد البيت الشاهد:

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا تراه أمام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ومن وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

التأري: التحبس والمكث. والاقتفار: أن يأكل خبزه قفارا دون أدم جشعا قبل أن يدرك الطعام. والصفر: حية في البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه. وقيل الصفر داء يعالج بقطع النائط. قال الراجز:

قطع الطبيب نائط المصفور

وكانت العرب تزعم أنه يعدي. وفي الحديث: لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر. وقال قوم: معنى صفر في الحديث غير هذا ويروي:

ولا يزال أمام القفر يقتفر

أي لا يزال هاديا لهم متقدما يقتفر الآثار.

وكان في حديث المنتشر وكان يغير على بني الحارث بن كعب فقتل منهم عمرو بن عاهان. فقالت نائحته تبكيه:

يا عين فابكي على عمرو بن عاهان ... لو كان قاتله غير الذي كانا

لو كان قاتله حيا نعج به ... لكن قاتله بهل بن بهلانا

ثم أغار المنتشر فقتل نائحة عمرو، وأسر صلاءة بن عمرو الحارثي، وكان من ساداتهم وقطعه آرابا، فرصدته بنو الحارث حتى أخذوه، وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي، ففعلوا به ما فعل هو بصلاءة. قولها بهل بن بهلانا: هذا يقال للمحتقر ويقال للذي لا يعرف هيان بن بيان وصلمعة بن قلمعة.

وقال ابن دريد العشي من الشعراء ثمانية، وتتبعتهم أنا فوجدتهم خمسة عشر أعشى وهم: أعشى بن بكر، وأعشى بني تغلب، وأعشى بني ربيعة، وأعشى همدان، وأعشى شيبان، وأعشى باهلة، وأعشى بني الحرماز، وأعشى عكل، وأعشى عنزة، وأعشى طرود، وأعشى بني أسد، وأعشى بني عقيل، وأعشى بني مالك، وأعشى بني تميم، وأعشى بني سليم. وقد ذكرتهم بأنسابهم وأخبارهم ومتخير أشعارهم في كتابي الكبير الموسوم بكتاب الإحصاء لطبقات الشعراء.

وقال أبو علي " ١ - ١٦،١٨ " في خطبة عتبة بن غزوان حين خطب.." (١)

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٢

"فلولا الهوى لم يملك الحر طائعا ... ولولا الهوى لم يغلب الباطل الحقا

وإنما نهج له السبيل بعض المحدثين بقوله:

لما بكيت استرابوني فقلت لهم ... سقوط نجم المعالي نوء أجفاني

والخبزرزي هو أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بصري الدار من شعراء الدولة الهاشمية أحد المطبوعين المجودين، وكان لا يعدل به أحد في زمانه، وقد تقدم أبا الطيب الذي ألم فيه بهذا المعنى وهو:

كل جريح ترجى سلامته ... إلا جريحا دهته عيناها

تبل خدي كلما ابتسمت ... من مطر برقه ثناياها

وإلى نحو هذا ذهب أصحاب المعاني في قول مجنون بني عامر:

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

وهو الساقط الذي له النوء: قال أبو علي " ١ - ٢١٢،٢٠٩ " وكان ابن دريد يستحسن قول أبي نواس:

لا جزى الله دمع عيني خيرا ... وجزى الله كل خير لساني

ع وهذا الشعر للعباس بن الأحنف لا لأبي نواس بلا اختلاف.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢١٣،٢١٠ " :

ولذ كطعم الصرخدي تركته ... بأرض العدي من خشية الحدثان

ع ومن مختار ما ورد من أبيات المعاني في النوم أيضا قول رجل من هوازن:

قاسمت جنان الفلاة ففتهم ... بمهجة نفسي واستبدوا بصاحبي

ولم أحتمل عارا ولكن نجدة ... غداري شقيق النفس بين السباسب

وأنشد أبو علي " ١ - ٢١٤،٢١٠ " :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه ... فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر

ع هو لرجل من بني الحارث بن كعب. وقوله وجوز الليل مضطرب الكسر: جوزه وسطه. وكسره جانبه. والكسر: أيضا الشقة السفلى من الخباء، يقال أرض ذات كسور: أي ذات صعود وهبوط وفيه:

وكادت تطير الشول عرفان صوته ... ولم تمس إلا وهي خائفة العقر

ع ظاهر قوله وكادت تطير الشول عرفان صوته أنه يريد سرورا بقدومه، فلما نحرها وعقرها له عاد ذلك السرور خوفا وحزنا، لأن المعروف أن يقال طار فرحا ولا يقال طار فزعا فإن كان مقولا فهو وجه المعنى في البيت، وكان ينبغي أن يقول ولم تصبح إلا وهي خائفة العقر لأنه إنما نزل به ليلا وقراه ليلا ولا يجب

أن يؤخر النحر إلى الغد فإن ذلك لؤم. والمعلوم أن توصف الإبل بكراهة قدوم الضيفان، وإنما تحب ذلك الكلاب كما قال الآخر:

ومستنبح تهوي مساقط رأسه ... إلى كل صوت فهو للسمع أصور

حبيب إلى كلب الكريم مناخه ... كريه إلى الكوماء والكلب أبصر

ويروى:

بغيض إلى الكوماء

وقال ابن هرمة:

ومستنبح تسكشط الريح ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب أو ليسمع نوم

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى ... له مع إتيان المهبين مطعم

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو أعجم

المهبين: الأضياف الموقظون للنوام. وقال ابن هرمة:

وفرحة من كلاب الحي يتبعها ... شحم يزف به الراعي وترعيب

وما أحسن قول ابن هرمة أيضا ويروى لغيره:

استوص خيرا به فإن له ... عندي يدا لا أزال أحمدها

يدل ضيفي علي في غسق ... الليل إذا النار نام موقدها

قال أبو علي " ١ - ٢١٤،٢١١ " : حكى عن بعضهم أنه قال: دخلت على الناطفي فبشرني ببشر حسن ع هذا أبو خالد الناطفي صاحب عنان الشاعرة اليمامية، وكانت بارعة الأدب سريعة البديهة. كان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصب منهم. واشتراها الرشيد بعد موت الناطفي في سوق من يزيد، وعليها رداء رشيدي ومسرور الخادم يتزايد فيها مع الناس بمائتي ألف وخمسين ألفا، وأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين. وقالت عنان ترثي الناطفي:

يا موت أفنيت القرون ولم تزل ... حتى سقيت بكأسك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازح ... ما كنت أول من دعوه فوافى

وأنشد أبو علي " ١ – ٢١٤،٢١١ " عن اللحياني:

خفاهن من أنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من سحاب مركب." (١)

"ع يرثي العجير بهذا الشعر رجلا من قومه يقال له سليمان بن خالد بن كعب، هلك بمر الظهران وهو صادر إلى المدينة. وبيتان من هذا الشعر قد اختلف في قائلهما أشد اختلاف. وهما قوله:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهن لباته وبآدله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

فقال السكري: إنهما لثور بن الطثرية يرثي أخاه يزيد، وأنشدهما في أبيات أولها:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وأنشد أبو تمام هذه الأبيات لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها، وقيل إنها لأم يزيد ترثي ابنها، وقيل إن البيتين للأبيرد اليربوعي. وقوله:

فتى ليس لابن العم كالذئب

قد مضت أمثلته والقول في معناه ٥٩. وقوله:

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما

يريد إن ظلمت أدرك بثأرك ونصرك، وإن ظلمت أذم لك وخفرك وأنشد أبو علي " ١ – ٢٧٩،٢٧٥ " للحسين بن مطير:

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ع يرثي معن بن زائدة. ومن مختاره قوله يخاطب ابنه ولم ينشده أبو علي:

تعز أبا العباس عنه! ولا يكن ... عزاؤك من معن بأن تتضعضعا

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا

وفيما أنشده:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

يريد أن عطاءه كان جزيلا وافرا وسابغا فاضلا، فلما مات بقي في أيدي الناس منه ما عاشوا به، ويحتمل أن يريد أنه أوصى للناس بالمال، وشبه عيشهم في معروفه بعد موته بمجرى السيل بعد انقضائه يكون مرعى

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٤٤

ومتبقلا، ومثله:

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما رعيت بعد الربيع مسائله

يهمز ولا يهمز.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " للبيد:

يحيلون السجال على السجال

ع وقبله:

كأن دموعه غربا سناة ... يحيلون ،السجال على السجال

إذا أرووا بها زرعا وقضبا ... أمالوها على خور طوال

القضب: الفصفصة، يقول: إذا أرووا بها زرعا وقضبا أمالوها على النخل. والخور: الغزار الكثيرة الحمل كالناقة الخوارة، وهي الصفي الغزيرة اللبن.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " لمسلم بن الوليد:

قبر بحلوان استسر ضريحه ... خطرا تقاصر دونه الأخطار

يرثي به يزيد بن مزيد الشيباني. وتمام الشعر:

أبقى الزمان على معد بعده ... حزنا كعمر الدهر ليس يغار

قال أبو علي " ١ - ٢٧٩،٢٧٦ " : أنشدنا ابن در ستويه قال أنشدني عبد الله بن جوان صاحب الزيادي:

ع كان ثابت بن محمد الجرجاني يقول: جوان اسم فارسي ومعناه: صغير السن أي فتى، وكان من أعلم الناس بالفارسية.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨١،٢٧٧ " لرجل من بني شيبان:

وما أنا من ريب الزمان بجبإ ... ولا أنا من سيب الإله بيائس

ع وقبله:

أبكي على الدعاء في كل شتوة ... ولهفي على بشر سمام الفوارس

والشعر لمفروق بن عمرو الشيباني، وكان قيس والدعاء وبشر إخوته، هلكوا في غزوة بارق بشط الفرات في طاعون شيرويه، فبكاهم مفروق. وقوله: في كل شتوة يريد أن الدعاء كان جوادا مطعاما في الشتاء عند انقطاع الألبان وقلة الزاد.

وقوله:

وما أنا من ريب المنون بجبإ

يعني أن ما أصابه من المصائب قد هون عليه أمر النون، وهو مع ذلك غير يائس من فضل الله عز وجل.

وأنشد أبو علي لحميد بن ثور:

ليست إذا سمنت بجايئة ... عنها العيون كريهة المس

ع وغيره يرويه إذا رمقت وهو أحسن لأن العين إنما تجبأ عن المرأة العجفاء لا عن السمينة، وكذلك كراهية المس. وقد وصف حميد من ضخم صاحبته التي ينسب بها ما لم يصفه شاعر ولا ذكره ذاكر فقال: وبعده:

وكأنما كسيت قلائدها ... وحشية نظرت إلى الإنس

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨١،٢٧٨ " لبعض البصريين:

كم من فتى تحمد أخلاقه ... ويسكن العافون في ذمته." (١)

"لا تفخرن بلحية ... كثرت منابتها طويلة

ع من جيد ما ورد في الهجاء بطول اللحية قول ابن الرومي:

ولحية يحملها مائق ... مثل الشراعين إذا أشرعا

تقوده الريح بها صاغرا ... قودا حثيثا يتعب الأخدعا

لو غاض في البحر بها غوصة ... صاد بها حيتانه أجمعا

وقال الناجم:

لابن شاهين لحية ... طوله شطر طولها

فهو الدهر كله ... عاثر في فضولها

وذكر أبو علي " ١ - ٢٨٦،٢٨٣ " خطبة ابن الزبير التي أنشد فيها:

قد جربوني ثم جربوني

ع هذا الرجل لجميل. وأوله:

أنا جميل فتعرفوني ... تالله ما جئت لتنكروني

ولا تغيبت فتسألوني ... بحر يدق رجح السفين

تنحل أحقاد الرجال دوني ... قد جربوني ثم جربوني

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨٦،٢٨٣ " :

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٧٨

نهار شراحيل بن طود يريبني ... وليل أبي ليلى أمر وأعلق

ع هو للأعشى وبعده:

وما كنت شاجردا ولكن حسبتني ... إذا مسحل سدى لي القول أنطق

شريكان فيما بيننا من هوادة ... صفيان جني وإنس موفق

وروى أبي عبيدة شاقردا: وهو المتعلم. ومسحل: شيطانه، وحسبتني: هنا في معنى اليقين.

وروى أبو عبيدة:

إنسي وجن موفق

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨٧،٢٨٣ " لأعرابي:

خطبت فقالوا هات عشرين بكرة ... ودرعا وجلبابا فهذا هو المهر

ع رواه غيره:

ودرعا وجلبابا فذا أيسر المهر

فيكون أبلغ في المعنى، ويسلم الشعر من الإقواء.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٨٧،٢٨٤ " :

وشعثاء غبراء الفروع منيفة ... بها توصف الحسناء أو هي أجمل

ع وهما لرجل من بني سعد. ومثل هذا في الإلغاز، وتشبيه المرأة الحسناء بالنار قول الآخر.

ومشوبة لا يقبس الجار ربها ... ولا طارق الظلماء منها يؤنس

متى ما يزرها زائر يلق عندها ... عقيلة داري من العجم تفرس

يعني امرأة شبهها بنار مشبوبة من حسنها كما قال العجاج:

ومن قريش كل مشبوب أغر

ثم ألغز فقال:

لا يقبس الجار ربها

يعني زوجها، أي لا يبديها حتى يراها الجار فيقبس من حسنها. والعقيلة: الخيار من كل شيء أراد مسكا أو طيبا نسبه إلى دارين. وتفرس: تشق فتفوح، أي لا تعدو أن يكون عندها طيب.

تم هنا شرح الجزء الأول من الأمالي //بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني

شرح الجزء الثاني من الأمالي

أنشد أبو علي لمتتم بن نويرة شعرا، منه:

فقلت له إن إن الشجي يبعث الشجي ... فدعني فهذا كله قبر مالك

ع قد مضى ذكر متمم، ويروى: إن الأسى والأسى الحزن، وكلا المعنيين واحد، يقول: إذا رأيت محزونا أذكرني حزني، أو قبرا أذكرني قبر أخي، وهذا قريب من قولهم: العاشية تهيج الآبية ويروى: إن الأسى – بضم الهمزة – يبعث الأسى بفتحها، وهذه رواية أبي تمام، ولها وجهان، أحدهما: أن يكون الأسى جمع أسوة وهي التعزية، يقول: تعزيتكم تبعث حزني، ويجوز أن يكون قيل له لك اسوة في فلان وقد قتل أخوه، وفي فلان وقد قتل حميمه، فعرف فضل أخيه على المفقودين فبعث ذلك حزنه.

ويقوي هذه الرواية قوله في البيت الأول:

لقد لامني عند القبور على البكا

ويروي:

لقبر ثوى بين اللوى فالدوانك

وهذه مواضع في ديار بني أسد، وكذلك الملا المذكور في أول الحديث، قال متمم أيضا:

قاظت أثال إلى الملا وتربعت ... بالحزن عازبة تسن وتودع

وأنشد أبو علي لفاطمة بنت الأحجم:

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله

ع قال السكري هذا الشعر لليلى بنت يزيد بن الصعق، ترثي ابنها قيس بن زياد ابن أبي سفيان ابن عوف بن كعب، وقال الأخفش: إنه لامرأة من كندة. وأوله في رواية من رواه لفاطمة كما قال أبو علي:

يا عين جودي عند كل صباح ... جودي بأربعة على الجراح

والجراح: زوجها.

وفيه:

وإذا دعت قمرية شجنا لها

أخبرني غير واحد عن أبي العلاء المعري أنه كان يرد هذه الرواية ويقول: إنها تصحيف وينشده:

وإذا دعت قمرية شجبا لها." (١)

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٨١

"تقدمني نهدة سبوح ... صلبها العض والحيال

قال يعقوب الفعل من الأجئلال اجلأل: بتقديم اللام على الهمزة كراهية لاجتماع اللامات، ويروى: للقلب من خوفه أوجال والربيع: المطر في أيام الربيع، ويكون الربيع في الوقت الذي ينبت فيه الكلأ، ويكون الربيع أيضا المرتبع. والقريان: مجاري الماء إلى الرياض، الواحد قرى، شبه أنوار النبت والزهر بالطنافس وهي الرحال.

والنهدة: الضخمة. والسبوح: التي تمد ضبعيها في جريها كالسابح في الماء. والعض: القت. والحيال: أن لا تحمل، وقد حالت الناقة حيالا، ومن هذا أخذ الأعشى قوله:

من سراة الهجان صلبها العض ورعى الحمى وطولا الحيال

وأنشد أبو علي:

فريخان ينضاعان في الفجر كلما ... أحسا دوى الريح أو صوت ناعب

ع البيت لصخر الغي، وقبله:

ولله فتخاء الجناحين لقوة! ... توسد فرخيها لحوم الأرانب

فخاتت غزالا جائما بصرت به ... لدى سمرات عند أدماء سارب

فمرت على ريد فأعنت بعضها ... فخرت على الرجلين أخيب خائب

تصيح وقد بان الجناح كأنه ... إذا نهضت في الجو مخراق لاعب

وقد ترك الفرخان في جوف وكرها ... ببلدة لا مولى ولا عند كاسب

قوله فتخاء الجناحين: أي لينة مفصل الجناح. واللقوة: المتلقفة التي إذا أرادت شيئا تلقفته. وخانت انقضت. وأدماء: يعني ظبية. سارب: أي تسرب تمشي مطمئنة. وقوله تصيح: أي تصرصر هذه العقاب لانكسار جناحها. وقوله ببلدة لا مولى: أي لا ولي لهما يقوم بأمرهما إلا الله.

وأنشد أبو علي لأبي ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه ... شبب أفزته الكلاب مروع

ع وبعده:

شعف الكلاب الضاريات فؤاده ... فإذا بدا الصبح المصدق يفزع

يرمي بعينيه الغيوب وطرفه ... مغض يصدق طرفه ما يسمع

الشبب: الثور المسن، وكذلك المشب والشبوب. والشعوف: الذي كأنه ذاهب الفؤاد، ومنه شعف الحب

قلبه. والمصدق: الصبح الصادق، ويقال للصبح الأول الكاذب. والغيوب: المواضع التي لا يرى ما وراءها، يرميها بطرفه يخاف أن يأتيه منها ما يكره. ثم قال: إذا سمع شيئا رمى ببصره، فكان ذلك منه تصديقا لما سمع، لأنه لا يغفل عن النظر حتى يسمع.

وأنشد أبو علي:

أيغسل رأسي أو تطيب مشاربي؟ ... ووجهك معفور وأنت سليب!

ع أنشد ابن أبي طاهر هذه الأبيات لبنت علي بن الربيع الحارثي **ترثي** أباها، والبيت إنما هو:

وإني لأستحيي أبي وهو ميت ... كما كنت أستحييه وهو قريب

لا أخي كما أنشده أبو علي، وبعده:

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب

وكم من سمى ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب

وأنشد أبو علي:

ترعية قد ذرئت مجاليه ... يقلي الغواني والغواني تقليه

ع هو لأبي محمد الفقعسي، وقبله:

قالت سليمي إنني لا أبغيه ... أراه شيخا عاريا تراقيه

محمرة من كبر مآقيه ... ترعية قد ذرئت مجاليه

يقلى الغواني والغواني تقليه

قوله ذرئت: أي شابت، يقال ذرئت أذرأ إذا شبت، والأسم الذرأة، وقال الراجز:

وقد علتني ذرأة بادي بدي ... ورثية تنهض في تشددي

ومجاليه: مقدم شعره، وقال يعقوب يقال للرجل قد غشيته ذرأة: إذا شمط موضع جلحه، وأصله في الشاة الذرآء، وهي التي في وجهها وأذنيها نقط بيض، ومنه ملح ذر آني.

وأنشد أبو علي لعمر بن لجإ:

فصادفت أعصل من أبلائها ... يعجبه النزع على ظمائها

ع وبعده:

في قصب ينضح من أمعائها ... طبطبة الميث إلى جوائها

فوردت قبل إني ضحائها ... تجر بالأهون من إدنائها
جر العجوز الثنى من خفائها." (١)

"الميثاء: مسيل مرتفع إلى الوادي، والجواء: بطن من الأرض. والطبطبة: صوت تلاطم السيل، يقول: تسمع صوت جرعها كصوت السيل في الوادي. وقوله بالأهون من إدنائها: أي بأهون ما تدني به الإبل إلى الماء. والخفاء: كساء يلقي على وطب اللبن، يقول: إذا حملته العجوز ثقل عليها فجرته. وكان سبب التهاجي بين جرير وعمر بن لجإ أنه عاب عليه هذا، فقال له يا ابن برزة ألا قلت! جر العروس البكر من ردائها وأنشد أبو علي بعد هذا بيتا للراعي. قد تقدم موصولا مفسرا.

وأنشد أبو علي:

قد عنت الجلعد شيخا أعجفا ... محجن مال أينما تصرفا

ع وبعدهما:

لا يكلف الفتيان ما تكلفا

يروى للفقعسي، ويقال إنها لجوشن. والجلعد والجلاعد: الشديد القوي.

وأنشد أبو علي لحميد بن ثور:

إزاء معاش لا يزال نطاقها ... شديدا وفيها سورة وهي قاعد

ع وقبله:

عريبية لا ناحض من قدامة ... ولا معصر تجري عليها القلائد

إزاء معاش.

مداخلة الأرس ا غ في كل إصبع ... من الرجل منها واليدين زوائد

كأن مكان العقد منها إذا بدا ... صفا من خزير سهلته الموارد

عريبية: منسوبة إلى عريب. ويقال نحض اللحم: إذا اتضع من كبر أو غيره. وسورة: شدة، يقول لا تزال منتطقة للتعمل. وقاعد: لا تلد، قد قعدت عن الولد. وقوله:

في كل إصبع ... من الرجل منها واليدين زوائد

من كثرة العمل والأمتهان فيه، وكذلك يوصف الراعي، قال الراعي:

ترى كعبه قد كان كعبين مرة ... وتحسبه قد عاش حولا مكنعا

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٧٦

يقال كنعت يده: إذا قطعت. والحزير: الغليظ من الأرض، شبه صدرها بصخرة ملساء. يصف امرأة ضافها هو ورفيق له يقال له أبو الخشخاش، وفي ذلك يقول:

تأوبها في ليل نحس وقرة ... خليلي أبو الخشخاش والليل بارد

فقام يحييها فقالت تريدني ... على الزاد، شكل بيننا متباعد

وأنشد أبو علي لزهير:

تجدهم على ما خيلت هم إزاؤها ... وإن أفسد المال الجماعات والأزل

ع وقبله:

إذا لقحت حرب عوان مضرة ... ضروس تهر الناس أنيابها عصل

قضاعية أو أختها مضرية ... يحرق في حافاتها الحطب الجزل

تجدهم على ما خيلت.

يمدح سنان ابن أبي حارثة المرى وقومه. وقوله حرب عوان: أي ليست بأول حرب قد قوتل فيها مرة بعد مرة. ومضرية: ملحة. وقال أبو عمرو ابن العلاء: قال زهير حرب مضرة: ولو كان إلى لقلت مصرة: أي تعتزم وتمضي. تهر الناس: أي تصيرهم يهرونها: أي يكرهونها. وأنيابها عصل: أي معوجة، وإنما يعصل ناب البعير إذا أسن، فأراد أنها حرب قديمة. وقوله قضاعية أو أختها مضرية: لأن قضاعة هو ابن معد، ومضر هو ابن نزار بن معد أي حرب منكرة توقد بالجزل لا بالدقيق لشدتها، ويروى:

يكونوا على ما كان منها إزاءها ... وإن أفسد المال الجماعة والأزل

وقال الأصمعي على ما خيلت: على ما شبهت، هم إزاؤها: أي الذين يقومون بها، أي تجدهم مؤيديها، وإن أهلك المال الجماعة، أي يجتمعون في مكان واحد لا تخرج إبلهم للمرعى فتنحر، فذلك هلاك المال. وقال الأصمعي: يريد إن حبس الناس أموالهم فلا يسرحون وجدتهم يسرحون، وإن اشتد أمر الناس حتى يبلغ الضيق وجدتهم ينحرون.

وأنشد أبو علي قصيدة أولها:

يا عين بكى لمسعود بن شداد ... بكاء ذي عبرات شجوه باد

وقال إنها تنسب إلى عمرو بن مالك، وإلى أبي الطمحان، وإلى فارعة بنت شداد ترثي أخا ها مسعود بن شداد ع هو عمرو بن مالك بن يثربي النخعي، ثم الكعبي جاهلي. وأبو الطمحان قد تقدم ذكره ونسبه، وهو مخضرم. وقد خلط أبو علي في هذا الشعر كل التخليط، فأدخل فيه بضعة عشر بيتا من شعر أنشده

ابن الأعرابي في نوادره لجبلة بن الحارث يرثي مسعودا العدوي، لم ينسب منها أحد بيتا واحدا إلى الشعراء الذين ذكرهم أبو علي، وأول شعر جبلة بن الحارث:

يا من رأى عارضا قد بت أرمقه؟ ... يسرى على الحرة السوداء والوادي

الخمسة الأبيات على الأتصال، كما أنشدها أبو علي، ثم الباقية تسعة، مفترقة من تضاعيف الشعر قبل هذا. وفيه:

حتى يجيء من القبر ابن مياد." (١)

"وابن مياد: رجل ذهب على وجهه في قديم الدهر، فلم يوقع له على خبر.

وأنشد أبو علي:

إذا ما جلسنا لا تزال ترومنا ... تميم لدي أبياتنا وهوازن

ع هذا البيت للمعطل، وقبله:

فأي هذيل وهي ذات طوائف ... يوازن من أعدائنا ما نوازن؟

وفهم بن عمرو يعلكون ضريسهم ... كما صرفت فوق الجذاذ السواحن

إذا ما جلسنا لا تزال ترومنا ... سليم لدى أبياتنا وهوازن

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشد أبو علي رحمه الله بيتا لأبي محمد التيمي في كتاب الحجاج إلى قتيبة - ع وصلته:

إذا كانت السبعون سنك لم يكن ... لدائك إلا أن تموت طبيب

وان امرأ... الخ

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

إذا ما انقضى القرن الذي كنت فيهم ... وخلفت في قرن فأنت غريب

وقد أنشدها له الليثي والقتبي وغيرهما. قال دعبل: وتزعم الرواة أنها لأعرابي من بني أسد. قال خلاد الأرقط: كنا على باب أبي عمرو ابن العلاء ومعنا التيمي، فذكرنا كتاب الحجاج إلى قتيبة هذا، فانتشله التيمي فاجتلبه في شعره؛ ومر نسب التيمي، فذكرنا كتاب الحجاج إلى قتيبة هذا، فانتشله التيمي فاجتلبه في شعره؛ ومر نسب التيمي - هذا ورأيت ابن عساكر ذكر من طريق جعفر بن شاذان قال: وفد عمرو بن عامر السلمي على معاوية فدخل عليه وهو يرتعش كبرا، فقال له معاوية: كيف تجدك؟ قال: اجتنبت النساء وكن

(١) سمط اللآلي، ص/٢٧٧

الشفاء، وفقدت المطعم وكان المنعم، وثقلت على الأرض، وقرب بعضي من بعض: فنومي سبات، وفهمي هبات، وسمعي تارات، وأنشد ثلاثة أبيات ٤و ٢ يتخللهما:

وما للعظام الباليات من البلى ... شفاء وما للركبتين طبيب

وللخبر بقية، والله أعلم وأنشد أبيات محارب بن دثار ع وهو ذهلي والأبيات أنشدها ابن الجوزي وزاد أول الأبيات:

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت يا عمر

وروى في البيت ٤ سعيا لهم سنن بالحق تقتفر وفي ٥ تأتي رواحا وأنشد لامرأة ع الأبيات لأبي العتاهية حقا رواها له الليثي ومحمد بن يزيد والزجاجي والأصبهاني وابن عبد ربه وآخرون يرثي بها علي بن ثابت وكان صديقا له وله فيه مراث وروى هؤلاء: بكيتك يا علي، وزاد الليثي بعد الثاني

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا

وأنشد للأبيرد كلمة ع رواها اليزيدي في نوادره والأصبهاني وأبو تمام وابن الأعرابي والليثي والآمدي. ولكن روى القالي والطائيان كلمة لسلمة بن يزيد قد اختلطت بهذه كل الأختلاط، وأغرب البحتري في روايته بعضها في موضع آخر لليلي بنت سلمة **ترثي** أخاها، وقد نعي البكري هذا التخليط على القالي وما هو بأبي عذره فقد سبقه إلى ذلك محمد بن يزيد، وأني للبكري أن يجزم بصحة نسبة بعض الأبيات إلى أحد المنسوبين بعد أن طال بها الأمد، وأخني عليها الذي أخني على لبد، وتشعبت فيها مذاهب الرواة، ولم أر فائدة في تقييد هذه الاختلافات كما قال تعالى: وأني لهم التناوش من مكان بعيد فأضرب عنها صفحا، وتقدم نسب الأبيرد وترجمته، وروى الآمدي في البيت ٧ ليس الفتيان، والأصبهاني في ب ١٣ بأخباره السفر وهو أقعد، وعنده في ب ١٤ ابن عزيز. وقوله ب ٢٢ غدوتها شهر أي تسير في غدوتها مسيرة شهر وما قاله في التمام ع فكله مختلف فيه على أن أبا علي رح حجر الواسع ومتأخرو اللغويين يسيغون كل ما منعه المثل أبي قائلها إلا تما بالكسر، وقيل مثلثا الميداني والمستقصي وأنشد لعبد الصمد ع الأبيات لأبي تمام وتوجد في شعره وغيره وأنشد لعدي بن زيد بيتا ع وهو من قصيدة أنشدها الأصبهاني دونه وقبله:

وبيتي مقفر إلا نساء ... أرامل قد هلكن من النحيب

يبادرن الدموع على عدي ... كشن خانه خرز الربيب

قالها وهو في حبس النعمان في خبر وأنشد بيتا لكثير ع ومضى الكلام عليه حيث أنشده القالي والغمر الحقد بالكسر وفيه لغة التحريك قوله سموا الشمال محوة لأنها تمحو السحاب." (١)

"ع قد اختلف في نسبتها إلى أحدهما غير أن عامة الرواة رجحوا كونها لزياد كالقتبي والطيالسي والأصبهاني والمرتضى وقد أغرب هذا في عزوه في موضع آخر إلى الصلتان وابن رشيق والبكري وابن عساكر وابن خلكان والعيني والبغدادي إلى غيرهم ورووا أخبارا تدل على ذلك كخبره في حمامة، إلا أن بعض الأثبات عزوها إلى الصلتان كابن الأنباري والمرتضى وعامة من تقدم وكما وجد بآخر نسخة عتيقة من دواوين الشعراء الخمسة بخزانة السلطان محمد الفاتح حيث القصيدة بنقصان ثلاثة أبيات وزيادة ثلاثة وقد عارضنا بها نسخة القالي. وقال ابن مكرم: رأيت في حاشية بعض نسخ حواشي ابن بري أن الكلمة للصلتان لا لزياد، قال ولها خبر رواه زياد عن الصلتان مع القصيدة فذكر ذلك في ديوان زياد، فتوهم من رآها فيه أنها له، وليس الأمر كذلك قال وقد غلط أيضا في نسبتها لزياد صاحب الأغاني وتبعه الناس على ذلك اه. وزياد هو أبو أمامة بن سليم وقيل سليمان وقيل جابر وقيل سلمى بن عمر ومولى عبد القيس، وسمى الأعجم للكنة في لسانه أو لأنه نشأ بفارس شاعر جزل القول معمر كان في بدء الدولة الأموية، ومر نسب الصلتان الجنود معصب أو قافل ومعقبا... الخ أيضا. وأرى المنية. هلا ليالي فوق بزاته يغشى... الخ وبعد زيادة

وإذا يصف مجففا ومضت... ... لقيت طلائع أردفت بمسالح

وإذا الضراب لدى الصعاق. بكتيبة تردى براكبها برأس الناطح، ويودي صوابه يردى كما في نوادر اليزيدي. حامي الحقيقة في المقام الكالح. فتلهفي يا لهف نفسي كلما خيف الغزاة... الخ وبعده زيادة

يغدو على الأبطال بعد رواحه ... بكتيبة كالأحلس المتباطح

تعفو بحلمك. دأب غداة تجاوح وفي رواية اليزيدي تجايح قال يجتاح بعضهم بعضا. في نسخة الفاتح زيادة

غيثا إذا قحط السنون رأيته ... يندي بفضل تدفق ونوافح

جمة مستق فسقي به ويتلو البيت في رواية اليزيدي

تردى بكل مدجج في نجدة ... كالأسد بين عرينها المتناوح

المتقابل – والملح البيض

يا عين فابكي ذا الفعال وذا الندى ... بمدامع سكب تجيء سوافح

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٧٨

وابكيه في الزمن العثور لكلنا ... ولكل أرملة ورهب رازح

رهب كبير لا يطيق الحركة، ورازح مهزول لا نهوض به

فلقد فقدت مسودا ذا نجدة ... كالبدر أزهر ذا جدى ونوافح

كان الملاك لديننا ورجائنا ... وملاذنا في كل خطب فادح

فمضى وخلفنا لكل عظيمة ... ولكل أمر ذي زلازل جامح

ما قلت فيك فأنت أهل مقالتي ... بل قد يقصر عنك مدح المادح اه

وأنشد لأخت ربيعة **ترثيه** ع وكان قتل يوم الكديد في خبر، والأبيات رواها ابن طيفور والأصبهاني، ولكني وجدتها للخنساء في صخر أيضا والله أعلم وذكر من قدح في الأحنف ولم يسمه ع وهو حارثة بن بدر الغداني وأنشد أبياتا لمحمد المخزومي في يحيى الجمحي ع هما نكرتان لم يعرفا، وكيف أغفل أبو علي رح عن رواية المبرد والأصبهاني والشعر عندهما أتم والرجدان من المعارف وهما مطيع ابن إياس الليثي يقوله ليحيى بن زياد الحارثي ولا مخزوم ولا جمح ولهما أخبار ذكراها هما وغيرهما، وكان الرجلان يرميان بالزندقة وأنشد بيتين لحسان ع والمعروف عند الرواة كالقتبي وابن عبد ربه والمسعودي أنهما لابن عباس ورواهما الليثي للخريمي وهما بحاله أشبه فله كثير من الكلمات في ذهاب بصره ولم يروهما أحد ممن يوثق به فيما أحاطه نظري لحسان، ولا ذكرهما السكري في شعره وعزاهما بعض المتأخرين لأبي العيناء وأنشد لاسحق ع وللأبيات خبر رواه الأصبهاني معها وروي في ب ٢ لما استحفظته منك وأنشد لرؤبة شطرا ع وصلته

فقل لذاك المزعج المحنوش ... أصبح فما من بشر مأروش

وازجر... الخ المحنوش الذي لسعته الحنش وهي الحية وغيرها من الهوام. ومأروش معيب. والفشوش الضروط أو هي كالنجاحة وأنشد: وأنت بين القرو والعاصر ع صدره: أرمى بها البيد إذا أعرضت. وهو للأعشى من قصيدته السائرة في هجو علقمة بن علاثة ومدح عدو الله عامر بن الطفيل العامريين وأنشد لثبيت في خبر." (١)

"ثنت أربعا منها على ثني أربع. الخ ولا توجد في شعر كعب وأنشد لم تناكر ع وبطرة نسخة من الذيل أنه لكعب قلت: وهو وهم سرى من البيت المار آنفا. وهذا البيت لجبيهاء الأشجعي من قصيدة في ٤٣ بيتا توجد في بعض نسخ المفضليات، وصلة البيت:

فقمت إلى بلهاء ذات علالة ... معاودة المقرى جموم الأباهر

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٨٠

علاه علنداة كأن ضلوعها ... كتائف شيزى عطفت بالمآسر

رقود لوان الدف ينفر تحتها ... لتنفر من الخ

والكتائف قطع الشيزى المتكسرة يصفها بعرض الأضلاع. والمآسر الأسر والشدة ولتنحاش لتنفر. والقاذورة من الإبل التي تبرك ناحية، والقاذورة ما يتقذر أيضا. ولم تناكر لم تستنكرها فلم تنفر وأنشد لأعرابي كناه أبا الخيهفعي ع ذكره المرزباني في معجمه في الكني باسم أبي الخيعهفي بتقديم العين على الهاء والفاء. والنسخة بخط الحافظ مغلطاي بن قليج مصححة بقلم الرضى الشاطبي. ومشيمة أو مثيمة لا أعرفهما في أعلام النسىاء. وأبو عبد الله أحمد بن أبراهيم بن اسمعيل بن داود بن حمدون النديم روى عنه ثعلب ترجم له أبو جعفر الطوسى وياقوت وسرد لامية الشنفري ع تقدم نسبه ويقال إنها منحولة، وقد شرحها بعض أصحاب ثعلب والزمخشري والتبريزي وابن الشجري وابن أكرم وبعض هذه الشروح متداول فاستغنيت به عن إطالة القيل من غير فائدة وأنشد لجرير بن الغوث ع بن مروان أخي بني كنانة بن القين بن جسر من شيع الله شاعر إسلامي يمدح يزيد. ويروى: طرقت سمية..... من سمية تقضب. كما في المؤتلف. ب١١ تشسب تدق وتضمر، والشسيب القوس وتوصف بالدقة، قال البحتري يصف النوق:

كالقسى المعطفات بل الأس ... هم مبرية بل الأوتار

ب١٢ النطاف قارة معروفة ببلاد بني كلاب. وصيهب وصيهد شديد الحر. ب١٤ ولد مخفف ولد كما قال الآخر:

عجبت لمولود وليس له أب ... وذي ولد إيلده أبوان

ولقاه على اللغة الطائية وأنشد على جمل ع البيتان يرويان لجميل برواية: لقد رابني من جعفر أن جعفرا. في خبر وهو أنه أضاف رجلا وخبز له خبزة من مكوك وثردها في لبن وسمن وقدمها له فجعل الرجل يحدث جميلا عن بنت عم له يحبها ويأكل حتى أتى على الخبزة، فقال جميل: لقد رابني الخ، ورواهما المبرد لأعرابي برواية: لقد رابني من زهدم أن زهدما وأنشد والحزم ع لابن الزبعري، ومرت من أبيات مرت آنفا وأنشد مجنونا ع هو لتميم بن أبي بن مقبل من قصيدة له في ٥٠ بيتا رواها محمد ابن أبي الخطاب وأولها:

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا ... ودون ليلى عواد لو تعدينا

وتمام البيت وصلته:

في ظهر مرت عساقيل السراب به ... كأن وغر قطاة وغر حادينا

ثم يقول بعد أبيات:

واطأته بالسرى حتى تركت به ... ليل التمام ترى أسدافه جونا

حتى استبنت الهدى والبيد هاجمة ... يخشعن في الآل غلفا أو يصلينا

واستحمل الشوق مني عرمس أجد ... تخال باغزها بالليل مجنونا

المرت: القفر. عساقيل السراب: قطعه. وغِر صوت. غلفا عليها أغطية. يصلين: يرفعن وأنشد دعبوب ع البيت من قصيدة لأخت عمرو ذي الكلب الهذلي ترثيه قيل هي جنوب وسماها البحتري عمرة وقيل إنهما امرأة، وقال البغدادي: إنها لأخت له أخرى تسمى ريطة وأخافه قد وهم والله أعلم وأنشد اختلاجها ع أبو جعفر محمد بن وهيب الحميري صليبة البصري من أهل بغداد يعد وسطا في طبقة دعبل وأبي سعد المخزومي وأبي تمام كان يتشيع ويستميح الناس بشعره، مدح المأمون والمعتصم وهو جيد الشعر مطبوع مكثر له أبيات نادرة والمعنى من أوهامهم وأوابدهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال أرى من أحبه فان كان غائبا توقع قدومه، وإن كان بعيدا توقع قربه، قال بشر ابن أبي خازم:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها ... فتاة بني عمرو بها العين تلمع

ولآخر:

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني ... أراك وإن كان المزار بعيدا

ولغيره:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها ... لرؤيتها تهتاج عيني وتطرف

وهذا الوهم باق في الناس إلى اليوم ولا يختص بالعرب منهم وأنشد لابن دريد ع في المعنى للأول:." (١)

"فلا تعدل إلى الواشين سمعا ... فإن كلام أكثرهم كلام

وإن الود عندهم نفاق ... إذا طاوعتهم والحمد ذام

وأقوال إذا سمعت سهام ... تقصر عن موقعها السهام

فلما نصحوا لمجدك بل مرادا ... لما قد ساءني قعودا وقاموا

فليتك تسمع القولين حتى ... تبين في من الحق الخصام!

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثي أخاها وقيل ليلى بنت يزيد بن الصعق ترثي ابنها قيس بن زياد:

لقد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أضحى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البراز وكنت أنت جناحي

---

(١) سمط اللآلي، ص/٣١٦

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح

وأغض من بصري وأعلم إنه ... قد مات خير فوارس ورماح

وإذا دعت قمرية شجبنا لها ... يوما على فنن دعوت صباحي

و تمثلت بها فاطمة أم السبطين رضي الله عنها يوم وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم. ومعنى: دعوت صباحي أي قلت: وأسوء صباحاه! لعدم ناصري فيه. وفي معنى الأول قول أبي الوفاء يرثي غازي:

أيا تاركي ألقى العدو مسلما ... متى ساءني بالجد قمت ألاعبه

وقال سعد بن قيس:

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر الصراح

فالهم بيضات الخدور ... هناك لا النعم المراح

و الضمير في كشفت للحرب في قوله:

يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا

و كشف الساق كناية عن اشتدادها، أخذ من كشف الرجل عن ساقه وتشميره إذا جد في الأمر، كما قيل:

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة ... اشمر حتى ينصف الساق مئزري

و الصارح: الخالص أصله اللبن الذي ذهبت رغوته، كما مر؛ فالهم بيضات الخدور الخ . . فيه وجهان: أحدهما إنه يقول: أما حينئذ لا نبالي بأموالنا أن تذهب، وإنما همنا الدفع عن حريمنا؛ والآخر: إن يريد: أنا ظهرنا على العدو ولم نلتفت إلى أموالهم وأخذها، وإنما همنا منهم القتل والسباء وهو أفخر.

وقال أحد بني يشكر:

إلا أبلغ بني ذهل رسولا ... وخص إلى سراة بني البطاح

بأنا قد فتلنا بالمعلى ... عتيبة منكم وأبا الجلاح

فإن ترضوا فأنا قد رضينا ... وإن تأبوا فأطراف الرماح

مقومة وبيض مرهفات ... تبين جماجما وبنان راح

وقال الحيض بيض:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى فنعفو ونصفح

ويحكى عن بعضهم قال: رأيت الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في المنام، فقلت له: يا أمير

المؤمنين، تفتحون مكة وتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يؤثم على ولدك الحسين مآثم؟ فقال لي: أسمعت أبيات الصيفي في هذا، وهو الحيص بيض؟ فقلت: لا. قال: اسمعنا منه! قال: فانتبهت، فلما أصبحت بادرت إلى دار الحيص بيص فأخبرته بالقصة فبكى وحلف بالله ما خرجت من فيه إلى أحد وما نظمها إلا في ليلته، فأنشدني: ملكنا فكان العفو منا البيتين.

وقال الحماسي أحد بني الحارث بن كعب:

لنا حمد أرباب المئين ولا يرى ... إلى بيتنا مال مع الليل رائح

وقال مالك بن أسماء، من شعراء الحماسة أيضا:

وحسبك تهمة ببرئ قومهم ... يضم على أخي سقم جناحا

و قبله:

هجوت الأدعياء فنا صبتني ... معاشر خلتها عربا صحاحا

فقلت لهم وقد نجوت طويلا ... إلى وما أجبت لهم نباحا

أمنهم أنتم فأكف عنكم ... وأدفع عنكم الشتم الصراحا؟

وحسبك " البيت "

والمناصبة: المعاداة. ويقول: إن عاديتموني بسببهم وذهبتم عنهم، فأنتم منهم ولا أهجوكم للؤمكم، وكفى بكم ريبة إن تضموا الجناح على المريبين.

وقال الآخر:

وإني لأغلي لحمها وهي حية ... ويرخص عندي لحمها حين تذبح

بذا فآندبيني فإنني ... فتى تعتريني هزة حين امدح

و تقدم هذا الشعر وما كان بمعناه.

وقال الآخر:

ونصر الفتى في الحرب أعداء قومه ... على قومة للمرء ذي الطعم فاضح

وقبله:

دعاني أبو نصر وأهدى نصيحة ... إلي ومما أن تعز النصائح

لأجزر لحمي كلب نبهان كالذي ... دعا القاسطي حتفه وهو نازح." (١)

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٠٧

"لمال المرء يصلحه فيغني ... مفاقره أخف من القنوع

و المفاقر جمع فقر على غير قياس مثل مذاكير لذكر ومحاسن لحسن على ما في ذلك من كلام عند النحويين. ومنه قول النابغة:

فأهلي فداء لامرئ إن أتيته ... تقبل معروفي وسد المفاقرا

وقال عدي بن زيد العبادي:

وما خنت ذا عهد وأنت بعهده ... ولم أحرم المضطر إذ جاء قانعا

أي سائلا. وفي كلامهم: نسال الله القناعة ونعوذ به من القنوع.

وقلت في هذه المادة من قصيدة:

إن دعا القنوع ليس بشافيه ... هذا المرء نيل اقصى الأماني

ومن اعتز بالقناعة أمسى ... في نعيم وعزة وأمان

و قد يكون القنوع بمعنى القناعة وهو الرضى بالقسم على الضد وهذا هو المراد في المثل. قال الشاعر:

وقالوا قد ذهبت فقلت كلا ... ولكني أعزني القنوع

و القانع: الراضي. قال لبيد:

فمهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقى بالمعيشة قانع

و يقال إنما سمي السائل قانعا لنه يرضى بما أعطي وإ، كان قليلا. فيكون معنى القنوع والقناعة واحد أبدا؛ غير أن فعل القناعة هو بالكسر يقال قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقانع وقنوع وقنيع. ة الفقر بفتح الفاء الحاجة: والخضوع: التذلل.

ومعنى المثل واضح في صيانة الحر نفسه عن خسيس المكاسب. وهو من كلام أوس بن حارثة.

روي أنه عاش دهرا وليس له إلا ابنه مالك. وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد: عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب. فلما احتضر أوس قال له قومه: كنا نأمرك بالزواج في شببك فلم تتزوج حتى حضرك الموت. فقال: الأوس: لم يهلك هالك ترك مثل مالك يعني مالك بن أوس ولده وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد. فلعل الذي استخرج العذف من الجريمة والنار من الوثيمة أن يجعل لمالك مسلا ورجالا بسلا يا مالك المنية ولا الدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لا التبلد!و أعلم أن القبر خير من الفقر؛ وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المقتف؛ وذهاب البصر خير من كثير من النظر؛ ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم ومن قل ذل ومن أمر فل. وخير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة؛ والدهر يومان: فيوم لك ويوم عليك فإذا كان لك

فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فكلاهما سينحسر.فإنما تعز من ترى ويعزك من لا ترى. ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا ولكن الناس فيه مستوون: الشريف الأبلج واللئيم المعلهج؛و الموت المفيت خير من أن يقال لك هبيت. وكيف بسلامة من ليست له إقامة؟ وشر من المصيبة سوء الخلف وكل مجموع إلى تلف. حياك إلاهك! انتهى.

فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج. والعذق بالفتح النخلة نفسها وبالكسر كباستها كما مر في الهمزة؛ والجريمة النواة؛ والوثيمة الموطوءة من الحجارة بحوافر الخيل ونحوها من الوثم وهو الكسر كما قال عنترة:

خطارة غب السرى موارة ... تطس الاكام بذات خف ميثم

و هذا الكلام يحلف به العرب يقولون: لا والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة! ومن أيمانهم أيضا: لا والذي شقهن خمسا من واحد! أي الأصابع ولا والذي أخرج قابية من قوب! أي فرخا من بيضة كما مر؛ و: لا والذي وجهي زمم بيته! بفتحتيناي تلقاءه وتجاهه؛ والبسل: الشجعان وأحدهم باسل والبسالة: الشجاعة؛ والمشتف هو المستقصي ما في إنائه ومنه حديث أم زرع: إن شرب اشتف. والمقتف: الآخذ للشيء بعجلة؛ وأمر الرجل: كثر عدده؛ وتعز: تغلب؛ والمعلهج: المتناهي في الدناءة واللؤم، وقيل هو العريق فيه اللئيم بن اللئيم، والهبيت: الأحمق الضعيف، ويقال له الجبان المخلوع القلب. وضده الثبيت. قال طرفة:

فالهبيت لا فؤاد له ... والثبيت قلبه قيمه

و يروى: فهمه قيمه.

وقد علمت أن لفظ المثل في هذه الوصية التي سردنا من كلام أوس: خير الغنى والقناعة، وشر الفقر الضراعة. ورواية المثل على هذا الوجه هو رأي من لا يرى أن القنوع يكون بمعنى القناعة، وبذلك اعترض البكري على أبي عبيد في إيراده المثل على الالفظ السابق، وقد علمت مما مر إنه صحيح ومثل هذا المثل قول الفارعة بنت طريف **ترثي** أخاها:

فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا مال إلا من قنى وسيوف

و قول الأبيرد اليربوعي:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر." (١)

"ورفع إلى جعفر بن يحيى كتاب يشتكى فيه بعامل فكتب على ظهره: يا هذا قد قل شاكروك وكثر شاكوك فإما اعتدلت وإما اعتزلت! ورفع إلى الصاحب بن عباد كتاب فيه: إن إنسانا هلك وترك يتيما وأموالا

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٢٦

جليلة لا تصلح لليتيم وقصد الكاتب إغراء الصاحب. فأخذها فوقع الصاحب فيها: الهالك رحمه الله وو اليتيم أصلحه الله والمال ثمرة الله والساعي لعنه الله! ونحو هذا من التوقيعات. والتوقيع في الأصل التأثر في الشيء. يقال: حمار موقع الظهر أي أصابته في ظهره دبرة فسمي هذا توقيعا لنه تأثر في الكتاب حسنا أو في الأمر معنى؛ أو في الوقوع لأنه سبب لوقوع الأمر المذكور أو لأنه إقاع لذلك المكتوب: فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه. وأما العنوان فهو ما يجعل عليه ليستدل به عليه ويقال قيه: عنوان وعنيان بضم الأول فيهما وكسره. وأصله عنان على مثل رمان لأنه مشتق من قولك: عن لي الأمر يعن إذا عرض لأنه هو يعرض للكتاب من ناحية وعننه وعنونه وعناه: كتب عنوانه. ويقال فيه أيضا علوان باللام وعلون الكتاب وعلاه تعلية: كتب عنوانه وكل ظاهر شيء استدلت به على باطنه فهو عنوان له. قال الشاعر:

رأيت لسان المرء رائد عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون!

وقال الآخر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

و ما أصناف الكتب فكثيرة منها: كاتب التدبير وهو أجلها وأعلاها درجة وهو كاتب السلطان الذي يكتب سره؛ ومنها كاتب أرباب الأحكام وأجلها كاتب القاضي ثم كاتب صاحب المظالم ثم كاتب صاحب الديوان وهو الخراج ثم كاتب صاحب الشرطة؛ ومنها كاتب العامل وكاتب المجلس إلى غير وكل واحد منها له أحكام وآداب ذكرت في محلها.

ولهم أقلام مختلفة اصطلحوا عليها في الكتابة. انتهى. مجموعها بحسب ما ذكروا إلى أحد وعشرين وهي الجليل والسجلى ويسمى قلم الثلثين والقلم الرئاسي والنصف وخفيف النصف والثلث وخفيف الثلث و المسلسل وغبار الحلبة وصغير الغبار وهو قلم المؤامرات وقلم القصص والحوائجي والمحدث والمدمج وثقيل الطومار وخفيف الطومار والشامي ومفتح الشامي والمنثور وخفيف المنثور وقلم الجزم.

واختلف في أول من كتب: فقيل آدم عليه السلام كتب الصحف قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه. فلما كان بعد الطوفان أصاب كل قوم كتابهم؛ وقيل أول من كتب إدريس عليه السلام؛ وقيل أول من وضع الكتابة إسماعيل عليه السلام وضعها بلفظه ومنطقه؛ وقيل أول من كتب قوم من الأوائل أسمائهم أبجد هوز حطي إلى آخرها. وكانوا ملوك مدين وقيل هم أبجد هوز إلى قرست ملوك مدين فوضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم وكان سيدهم كلمن فهلكوا يوم الظلة فقالت ابنة كلمن **ترثيه**:

كلمن هدم ركني ... هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه ... الحتف نار وسط ظله

جعلت نار عليهم ... دراهم كالمضمحله

و يروى أيضا:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة ... سبقت بها عمرا وحي بني عمر

ملوك بني حطي هوز منهم ... وسعفص أهل للمكارم والفخر

و قيل هم ملوك الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم عليه السلام فألقيت إلى العرب؛ وقيل أسماء ملوك الجبابرة.

وقيل أول من وضع الخط العربي نفر من طيء من بولان وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن حدرة. فساروا إلى مكة فتعلمه منهم شيبة بن ربيعة بن حرب بن عبد شمس وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهشام بن المغيرة المخزومي. ثم أتوا الأنبار فتعلمه نفر منهم. ثم أتوا الحيرة فتعلمه منهم جماعة منهم: سفيان بن مجاشع بن عبد الله بن دارم وولده يسموه بالكوفة بني الكاتب. ثم أتوا الشام فعلموه جماعة فانتهت الكتابة إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحاك وإسحاق بن حماد واخترع منه خطا أخف فسماه الثلثين السابق. ثم جعل الناس يختصرون ويغيرون حتى انتهى إلى ما مر. وليس هذا محل تفصيل هذا.

وأما ما قيل من الشعر في وصف الكتاب أو الأقلام أو المحابر أو تفضيل القلم على السيف أو العكس فأكثر من أن يحصى. وقد وضعت في ذلك موضوعات مستقلة. فمن مستحسن ذلك قول أبي الفتح البستي:

إن هز أقلامه يوما ليعملها ... أنساك كل كمي هز عامله

وإن أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

وقال الآخر:." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٦ """"""""

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه . . . والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له . . . والجن والإنس فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت نوافلها . . . من كل صوب إليها وافد يفد

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٣٢

حوض هنالك مورود بلا كدر . . . لا بد من ورده يوما كما وردوا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مكة : الطويل :

ألم تر أن الله أظهر دينه . . . على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما . . . تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها . . . مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره . . . وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض .

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل زوجته **ترثيه** : الخفيف :

عين جودي بعبرة ونحيب . . . لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع . . . لم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الده . . . ر وغيث المحروم والمحروب." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٧ """""""

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا . . . قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا **ترثيه** : الطويل :

وفجعني فيروز لا در دره . . . بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا . . . أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله . . . سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعاتكة هذه ، هي أخت سعيد بن زيد ، أحد العشرة الذين شهد لهم النبي ، (صلى الله عليه وسلم) ، بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر ، رضي الله عنه ، فقتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقتل عنها ، فكان علي ، رضي الله عنه يقول : من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج بعاتكة

ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٦/١

:

ما يزع الله بالسلطان ، أكثر مما يزع بالقرآن . سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عي بيانا ، وأنتم إلى إمام فعال ، أحوج منكم إلى إمام قوال ، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه .

وكتب إلى علي ، رضي الله عنه ، وهو محصور : أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين ، وطمع في من كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب ؛ فأقبل إلي ، معي كنت أو علي ، على أي أمريك أحببت الطويل :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي . . . وإلا فأدركني ولما أمزق." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٧٠ """""""

أنسهن ، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان . لم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها . وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وأنشد المفضل الضبي لامرأة من العرب ترثي ابنا لها : الكامل :

يا عمرو مالي عنك من صبر . . . يا عمرو يا أسفي على عمرو

لله يا عمرو ، وأي فتى . . . كفنت يوم وضعت في القبر ؟

أحثوا التراب على مفارقه . . . وعلى غضارة وجهه النضر

حين استوى وعلا الشباب به . . . وبدا منير الوجه كالبدر

ورجا أقاربه منافعه . . . ورأوا شمائل سيد غمر

وأهمه همي فساوره . . . وغدا مع الغادين في السفر

تغدو به شقراء سامية . . . مرطى الجراء شديدة الأسر

ثبت الجنان به ، ويقدمها . . . فلج يقلب مقلتي صقر

ربيته دهرا أفتقه . . . في اليسر أغذوه وفي العسر

حتى إذا التأميل أمكنني . . . فيه قبيل تلاحق الثغر

وجعلت من شغفي أنقله . . . في الأرض بين تنائف غبر

أدع المزارع والحصون به . . . وأحله في المهمه القفر

ما زلت أصعده وأحدره . . . من قتر موماة إلى قتر

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٧/١

هربا به والموت يطلبه . . . حيث انتويت به ولا أدري

حتى دفعت به لمصرعه . . . سوق المعيز تساق للعتر." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٦ """""""""

يثيران من نسج الغبار عليهما . . . قميصين أسمالا ويرتديان

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلى وغيرهما من النساء :

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي : أنشد أبو السائب المخزومي قول الخنساء : البسيط :

وإن صخرا لمولانا وسيدنا . . . وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به . . . كأنه علم في رأسه نار

فقال : الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها ، وتنظر في عطفها .

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها **ترثي** أخاها صخرا : البسيط :

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل . . . مناع ضيم وطلاب لأوتار

قد كنت فينا صريحا غير مؤتشب . . . مركبا في نصاب غير خوار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة . . . وما أضاءت نجوم الليل للساري

أبكي فتى الحي نالته منيته . . . وكل نفس إلى وقت بمقدار

وقولها تعنيه : البسيط :

شهاد أنجية شداد أوهية . . . قطاع أودية للوتر طلابا

سم العداة وفكاك العناة إذا . . . لاقى الوغى لم يكن للموت هيابا." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣١٠ """""""""

الدرع فاندمل عليه ، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها ، فما عاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير الخفاجي ، وكان لها محبا ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عقيل ، قتله عبد الله بن سالم : الطويل :

نظرت وركن من عماية دوننا . . . وأركان جسمي أي نظرة ناظر

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ١/٣٧٠

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢/٣٠٦

فآنست خيلا بالرقي مغيرة . . . سوابقها مثل القطا المتواتر

فإن تكن القتلى بواء فإنكم . . . فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فلا يبعدنك الله يا توب إنما . . . لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

أتته المنايا بين درع حصينة . . . وأسمر خطي وجرداء ضامر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ . . . قلائص يفحصن الحصى بالكراكر

ولم يدع يوما للحفاظ وللنهى . . . وللحرب ترمي نارها بالشرائر

وللبازل الكوماء يرغو حوارها . . . وللخيل تعدو بالكماة المساعر

فتى لا تخطاه الرفاق ، ولا يرى . . . لقدر عيالا دون جار مجاور

فتى كان أحيا من فتاة حيية . . . وأشجع من ليث بخفان خادر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣١٩ """""""

وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، لأم الضحاك المحاربية وكانت تحب رجلا من الضباب حبا شديدا : البسيط :

يا أيها الراكب الغادي لطيته . . . عرج أبثك عن بعض الذي أجد

ما عالج الناس من وجد تضمنهم . . . إلا وجدت به فوق الذي وجدوا

حسبي رضاه وأني في مسرته . . . ووده آخر الأيام أجتهد

وقالت : الطويل :

هل القلب إن لاقى الضبابي خاليا . . . لدى الركن أو عند الصفا يتحرج

وأزعجنا قرب الفراق ، وبيننا . . . حديث كتنفيس المريضين مزعج

حديث لو أن اللحم يشوى بحره . . . غريضا أتى أصحابه وهو منضج

وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الخضرية ، وقد أنشدها المبرد لنبهان العبشمي وهو أشبه : الطويل :

يقر بعيني أن أرى من مكانه . . . ذرى عقدات الأبرع المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به . . . سليمى وإن مل السرى كل واخد

وألصق أحشائي ببرد ترابه . . . وإن كان مخلوطا بسم الأساود

وقالت الفارعة بنت شداد ترثي أخاها مسعودا : البسيط :

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٣١٠/٢

يا عين بكي لمسعود بن شداد . . . بكاء ذي عبرات شجوه بادي

من لا يذاب له شحم السديف ولا . . . يجفو العيال إذا ما ضن بالزاد

ولا يحل إذا ما حل منتبذا . . . يخشى الرزية بين المال والنادي

قوال محكمة ، نقاض مبرمة . . . فتاح مبهمة ، حباس أوراد

قتال مسغبة ، وثاب مرقبة . . . مناع مغلبة ، فكاك أقياد

حلال ممرعة ، فراج مفظعة . . . حمال مضلعة ، طلاع أنجاد

حمال ألوية ، شهاد أندية . . . شداد أوهية ، فراج أسداد

جماع كل خصال الخير قد علموا . . . زين القرين ونكل الظالم العادي

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى . . . يوما رهين صفيحات وأعواد." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤١ """""""

رثاء الأشخاص

وقالت امرأة من العرب ، يقال : إنها امرأة العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) ، **ترثي** بنيها : البسيط :

رعوا من المجد أكنافا إلى أجل . . . حتى إذا كملت أظماؤهم وردوا

ميت بمصر ، وميت بالعراق ، ومي . . . ت بالحجاز ، منايا بينهم بدد كانت لهم همم فرقن بينهم . . . إذا القعاديد عن أمثالهم قعدوا

بث الجميل ، وتفريغ الجليل ، وإع . . . طاء الجزيل الذي لم يعطه أحد

وقال عبدة بن الطبيب في قيس بن عاصم : الطويل :

عليك سلام الله قيس بن عاصم . . . ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة . . . إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد . . . ولكنه بنيان قوم تهدما

وقيس بن عاصم هو القائل : الكامل :

إني امرؤ لا يعتري حسبي . . . دنس يغيره ولا أفن

من منقر في بيت مكرمة . . . والأصل ينبت حوله الغصن

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٣١٩/٢

خطباء حين يقول قائلهم . . . بيض الوجوه أعفة لسن

لا يفطنون لعيب جارهم . . . وهم لحسن جواره فطن." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٤٢ """""""""

وقالت أخت الوليد بن طريف الشيباني **ترثيه** : الطويل :

أبا شجر الخابور ما لك مورقا . . . كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يعد الزاد إلا من التقى . . . ولا المال إلا من قنا وسيوف

عليك سلام الله وقفا ؛ لأنني . . . أرى الموت وقاعا بكل شريف

فقدناك فقدان الربيع ، وليتنا . . . فديناك من فتياننا بألوف

وخرج الوليد في أيام الرشيد ، فقتله يزيد بن مزيد ، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح الحنفي : الخفيف :

يا بني تغلب ، لقد فجعتكم . . . من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد . . . قارعته لاقت خلاف السعود

واتر بعضها يقتل بعضا . . . لا يفل الحديد غير الحديد

عود إلى المديح

وكان بكر كثير التعصب لربيعة والمدح فيهم ، وهو القائل : الطويل :

ومن يفتقر منا يعش بحسامه . . . ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

ونحن وصفنا دون كل قبيلة . . . بشدة بأس في الكتاب المنزل." (٢)

"وليس حذفه لجوار ذلك الحرف، وإنما هو محذوف للزيادة، ولا ينكسر بهذا ما أصلت. ولو رخمت منطلقا لقلت: طليق، فحذفت الميم والنون، وليس هذا الحكم متعلقا بالأول والآخر، وإنما هو متعلق بالزائد والأصلي.

وكأني بوالي هذا المصر كامل صنيعة السيد " عزيز الدولة " - أعز الله نصره - وقد ركب لحياطة الجالية وكف الدعرة، وقد سكنت الدموك المجعجعة لطعامه على النقمى، وهرب الفعفعى الذي كان يسحط له النقد ويشصب أولاد الحذف، وخمد حميس الحضاء الخامط لخوانه البذج أو العمروس في أين الآزة من المغرغرات، من يلقي إلى صاحب قناعه شبيهات الزبرقان. وهو بإقبال السيد " عزيز الدولة أمير الأمراء " -

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، ٣٤١/٢

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، ٣٤٢/٢

أعز الله نصره، متجلد على ذلك لم يبن فيه الخور ولا الضعف.

فمثله مثل سميه من الشعر وهو الوزن الكامل تذهب منه ست حركات فلا يغيض ذهابهن منه، بل يمكث على السجية المعهودة، ولا يعلم ما ذهب منه إلا أهل الخبرة، كما قال " عنترة " :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت من غرض الحتوف بمعزل

فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

إني امرؤ من خير عبس منصبا ... شطري، وأحمي سائري بالمنصل

فالبيت الذي قافيته: بالمنصل، قد ذهبت منه حركات ست، وهو في الغريزة كغيره من الأبيات لم يبن فيه الخلل ولا التقصير. وكذلك أهل الفضل والبقية يصبرون في الشدائد ويتحملون، ولا يشعر عامة الناس بما عندهم من فقر المال ومعاناة الخطوب. وأهل الشفقة والخفة تبدو منهم الشكية ويظهر الشكع. فمثلهم مثل قول " الأعشى " :

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل

أول حرف ذهب منه عرف خلله وظهرت شكيته، ولم يتجمل فيصبر كما صبر قول " امريء القيس " :

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

قد ذهبت منه أربعة أحرف ولم يعلم بذهابهن.

وأما صاحب المعونة فكان مثله مثل " ما " الحجازية بطل عملها فكأنها صارت التميمية، لأنك إذا قلت: ما زيد قائما، ف " ما " قد علمت الرفع والنصب. وإذا قلت: ما زيد قائم، فما لم تعمل شيئا.

وأما القاضي فتربك هذه الأرض ولحق بوطنه " بالس " ردته إليها الضرورة، فكان مثله مثل المرفوع من الأعلام في النداء لما لحقته الضرورة فنون، رجع إلى أصله وهو النصب، كما قال " مهلهل " :

ضربت صدرها إلي وقالت ... يا عديا لقد وقتك الأواقي

وكما قال الآخر:

دعوت عديا والمهامه بيننا ... يا عديا يا عدي بن نوفل

وأما العدول، فوضعوا السيجان والمشاوذ وتهيئوا للنفر إن صاح الصائح فكان مثلهم مثل الأسماء المتغيرة عن هيئتها عند الضرورة، كما قال الراجز:

جاءت عجوز من أعالي البر

قد تركت حيه وقالت حر

ثم أمالت عنق الحمر

سيرا على جانبها الأيسر

فنبى الحمار، وهو فعال، على فعل. وقالت أخت " حازوق الخارجي " **ترثيه**:

أقلب عيني في الفوارس لا أرى ... حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

فنقلته من فاعول إلى فعال. وكذلك قول " دريد " :

أخناس قد هام الفؤاد بكم ... واعتاده نصب إلى نصب

وكأني بأصحاب البز وقد كفت عن أرجلهم الحيش، وخلط هلعهم بين ثياب العطب وثياب الشريع، جعل السبيبة مع المخيط، وأضاف البجد إلى ما رق من البرود. فكان مثلهم مثل من ركب قصيدة مقيدة جمع في رويها المسكن، بين أشتات الحروف، ولم يبال إذا سلمت له القافية من لحاق العيوب كيف وقع ترتيب الكلمة في الأصل.

ألا ترى أن قول " الأعشى " :

لعمرك ما طول هذا الزمن ... على المرء إلا عناء معن

قد جمع بين قوافيه وهي مختلفة النجار، لأنه قال: الزمن، فسكن ونونه في الأصل م كسورة، ثم قال: معن، فحذف من الكلمة حرفين وجعل النون التي أصلها السكون مع النون التي أصلها الكسرة؟ وقال فيها:

وأشرب بالريف حتى يقال ... قد طال بالريف ما قد رجن

فجاء بنون أصلها الفتح. وقال فيها:." (١)

"رجال المعلقات العشر مصطفى الغلاييني الصفحة : ٣٠

وسأل (عمر بن الخطاب) – رضي الله عنه – أحد أولاد (زهير): "ما فعلت الحلل التي كساها (هرم) أباك؟"، قال: "قد أبلاها الدهر". قال عمر: ولكن الحلل التي كساها أبوك (هرما) لم يبلها الدهر".

ويروى عنه أيضا أنه قال لبعض ولد (هرم): "أنشدني بعض مدح (زهير) أباك، فأنشده". فقال: "إنه كان ليحسن فيكم المدح". قال: "ونحن والله كنا لنحسن له العطية". قال: "قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم".

وقيل: لم يترك (زهير) من آل (أبي حارثة) وهوجد (هرم) غنيا ولا فقيرا إلا مدحه.

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج، ص/٨٢

موت زهير

كان (زهير) قد رأى في منامه في آخر عمره أن آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده (كعب). ثم قال: "إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه". هم توفي قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام بسنة. فلما بعث الرسول – عليه الصلاة والسلام – خرج إليه ولده (كعب) بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة، وأسلم.

وروي أيضا أنه رأى في منامه أن سببا تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس يمسكونه. وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه. فأوله بنبي آخر الزمان، فإنه واسطة بين الله وبين الناس، وإن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه. فأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره.

وكانت وفاته سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام.

ولما مات (زهير) قالت أخته (خنساء) **ترثيه**: وما يغني توقي المرء شيئا، وعلا عقد التميم ولا الغضار

إذا لاقى منيته فأمسى يساق به، وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم، كما من قبل لم يخلد قدار

الكلام على شعره

." (١)

" قتله رسول الله صبرا فقال له وقد أمر بذلك فيه يا محمد أأنا خاصة من قريش قال نعم قال فمن للصبية بعدي قال النار فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار واختلف في قاتله فقيل إن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه تولى قتله وهذا من رواية بعض الكوفيين حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام

أن النبي أمر عليا يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله وأن الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام النضر بن الحارث بن كلدة

---

(١) رجال المعلقات العشر للغلاييني، /

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه قالوا

قتيلة بنت الحارث ترثي أخاها

قتل رسول الله يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبرا أمر عاصم بن ثابت ." (١)

" فضرب عنقه ثم أقبل من بدر حتى إذا كان ب الصفراء قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار أمر عليا عليه السلام أن يضرب عنقه قال عمر بن شبة في حديثه ب الأثيل فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه

(يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق)

(أبلغ به ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق)

(مني إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بدرتها وأخرى تخنق)

(هل يسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع هالك لا ينطق)

(ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق)

(صبرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق) ." (٢)

" الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده وقد قيل إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة

سلامة القس ترثي معبدا

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب ابن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال حدثني كردم بن معبد المغني مولى ابن قطن قال

مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه فنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس جارية يزيد بن عبد الملك وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تبكي أبي وتقول

(قد لعمري بت ليلي ... كأخي الداء الوجيع)

(ونجي الهم مني ... بات أدنى من ضجيعي)

---

(١) الأغاني، ٢٢/١

(٢) الأغاني، ٢٣/١

(كلما أبصرت ربعا ... خاليا فاضت دموعي)

(قد خلا من سيد كان ... لنا غير مضيع) ." (١)

" (فبينا المرء في عيش ... له من عيشة خفض)

(أتاه طبق يوما ... على مزلقة دحض)

(وهم كانوا فلا تكذب ... ذوي القوة والنهض)

(وهم إن ولدوا أشبوا ... بسر الحسب المحض)

(لهم كانت أعالي الأرض ... فالسران فالعرض)

(إلى ما حازه الحزن ... فما أسهل للحمض)

(إلى الكفرين من نحلة ... فالداءة فالمرض)

(لهم كان جمام الماء ... لا المزجى ولا البرض)

(فكان الناس إذا هموا ... بيسر خاشع مغضي)

(تنادوا ثم ساروا برئيس ... لهم مرضي)

(فمن ساجلهم حربا ... ففي الخيبة والخفض)

(وهم نالوا على الشنا ... ن والشحناء والبغض)

(معالي لم ينلها الناس ... في بسط ولا قبض)

رثاء أمامة بنت ذي الإصبع لقومها

قال أبو عمرو قالت أمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة **ترثي** قومها ." (٢)

" (ولا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود)

(على بدر سراة بني هصيص ... ومخزوم ورهط أبي الوليد)

(وبكي إن بكيت على عقيل ... وبكي حارثا أسد الأسود)

(وبكيهم ولا تسمي جميعا ... فما لأبي حكيمة من نديد)

(ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا)

ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة **ترثي** أباها

---

(١) الأغاني، ٤٤/١

(٢) الأغاني، ١٠٣/٣

صوت

(من حس لي الأخوين كالغصنين ... أو من راهما)

(قرمان لا يتظالمان ... ولا يرام حماهما)

(ويلي على أبوي والقبر ... الذي واراهما)

(لا مثل كهلي في الكهول ... ولا فتى كفتاهما)

ذكر الهشامي أن الغناء لابن سريج رمل وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض وتمام هذه الأبيات

(أسدان لا يتذللان ... ولا يرام حماهما)

(رمحين خطيين في ... كبد السماء تراهما)

(ما خلفا إذ ودعا ... في سودد شرواهما) ." (١)

" (سادا بغير تكلف ... عفوا يفيض نداهما)

هند بنت عتبة تعاظم الخنساء بعكاظ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد ابن سعد عن الواقدي وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال

لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك

فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت إقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا

---

(١) الأغاني، ٤/٢٠٩

فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو وبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة وأخي الوليد

قالت الخنساء أو سواء هم عندك ثم أنشدت تقول

(أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلي هجودها)

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها) ." (١)

" ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري

وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئا من الإعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه

فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها فقال له كريب بن عبد الرحمن خذها فإنها مكرمة فقال إنها لراية مشؤومة ما أخذها أحد إلا قتل

فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها إليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن

فأخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن

وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع راسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية

ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم ليس بهم طرق ولا بالخوارج

فقالت امرأة من الشراة وهي أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثي ابنها عمران

(ألله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله في السحر) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٢١٠/٤

(٢) الأغاني، ١٥٤/٦

" (فإذا ذكرت أنينه ... ومغيبه تحت المغيب)

(هاجت لواعج عبرة ... في الصدر دائمة الدبيب)

(أسفا لحسن بلائه ... ولمصرع الشيخ الغريب)

(أقبلت أطلب طبه ... والموت يعضل بالطبيب)

الشعر لمكين العذري يرثي أباه وقيل إنه لرجل خرج بإبنه إلى الشأم هربا به من جارية هويها فمات هناك

والغناء لحكم الوادي رمل في مجرى البنصر وقيل إن الشعر لسلامة **ترثي** الوليد بن يزيد

ابن جامع وأم جعفر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين فأرسلت إليه يا أمير المؤمنين إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع

فأرسل إليها عندي ابن جامع فأرسلت إليه أنت تعلم أني لا أتهنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه فأرسل إليها إني سائر إليك الساعة

ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال لحسين الخادم امض إليها فأعلمها أني قد جئت وأقبل الرشيد فلما نظر ." (١)

" كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي فلقيني أبو العتاهية فقال لي يا حسين أنا إليك مائل ولك محب وقد علمت مكانك من الأمين وإنه لحقيق بأن **ترثيه** إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلبا له وتحريضا عليه وهذا المأمون منصب إلى العراق قد أقبل عليك فأبق على نفسك يا ويحك أتجسر على أن تقول

(تركوا حريم أبيهم نفلا ... والمحصنات صوارخ هتف)

(هيهات بعدك أن يدوم لهم ... عز وأن يبقى لهم شرف) أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك وتلاف ما فرط منك فعلمت أنه قد نصحني فجزيته الخير وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو

---

(١) الأغاني، ٦/٣٢٤

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال وقف علينا حسين بن الضحاك ومعنا فتى جالس من أولاد الموالي جميل الوجه فحادثنا طويلا وجعل يقبل على الفتى بحديثه والفتى معرض عنه حتى طال ذلك ثم أقبل عليه الحسين فقال

(تتيه علينا أن رزقت ملاحة ... فمهلا علينا بعض تيهك يا بدر)

(لقد طالما كنا ملاحا وربما ... صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر) وقام فانصرف

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي قال حدثني ابن عجلان قال غنى بعض المغنين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك وهو ." (١)

" لم تريديني لمثلت بك ولكن خذوا بيدها فأخرجوها فأخذوا بيدي فأخرجت

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

(هل مسعد لبكاء ... بعبرة أو دماء)

(وذا لفقد خليل ... لسادة نجباء) الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون والغناء لمتيم ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى منها

(ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني ...) وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره وشرحت أخباره فيه ولحنه رمل بالوسطى ومنها

صوت

(أولئك قومي بعد عز ومنعة ... تفانوا وإلا تذرف العين أكمد) وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنيا فيه من مراثيهما في بني أمية ولحن متيم هذا الذي غنت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى ومنها

صوت

(لا تأمن الموت في حل وفي حرم ...)

ذكر الهشامي انه مما وجده من غناء متيم غير أن لها لحنا فيه يذكر في ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٧/٢٣٠

(٢) الأغاني، ٧/٣٢٢

" مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطثرية نشبب ثوبه في جذل من عشرة فانقلب وخبطه القوم فقتل فقال القحيف يرثيه

(ألا تبكي سراة بني قشير ... على صنديدها وعلى فتاها)

(فإن يقتل يزيد فقد قتلنا ... سراتهم الكهول على لحاها)

(أبا المكشوح بعدك من يحامي ... ومن يزجي المطي على وجاها)

وقال القحيف أيضا يرثيه

(إن تقتلوا منا شهيدا صابرا ... فقد تركنا منكم مجازرا)

(عشرين لما يدخلوا المقابرا ... قتلى أصيبت قعصا نحائرا)

(نعجا ترى أرجلها شواغرا ...)

وهذه من رواية ابن حبيب وحده وقال القحيف أيضا ولم يروها إلا ابن حبيب

(يا عين بكي هملا على همل ... على يزيد ويزيد بن حمل)

(قتال أبطال وجرار حلل ...)

قال ويزيد بن حمل قشيري قتل يومئذ أيضا وقالت زينب بنت الطثرية **ترثي** أخاها يزيد وعن أبي عمرو الشيباني أن الأبيات لأم يزيد قال وهي من الأزد ويقال إنها لوحشية الجرمية ." (١)

" مهدي بن سابق قال أنبأنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال

تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت **ترثي** حارثة

(بدلت بشرا شقاء أو معاقبة ... من فارس كان قدما غير خوار)

(يا ليتني قبل بشر كان عاجلني ... داع من الله أو داع من النار)

وقالت أيضا فيه

(ما خار لي ذو العرش لما استخرته ... وعذبني أن صرت لابن شعاف)

(فما كان لي بعلا وما كان مثله ... يكون حليفا أو ينال إلافي)

(فيا رب قد أوقعتني في بلية ... فكن لي حصنا منه رب وكاف)

(ونح إلهي ربقتي من يد امرىء ... شتيم محياه لكل مصافي)

---

(١) الأغاني، ١٩١/٨

(هو السوأة السوآء لا خير عنده ... لطالب خير أو أحذ قوافي)

(يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه ... وما تلك زلفى يال عبد مناف)

(وإن حادث عض الشعافي لم يكن ... صليبا ولا ذا تدرأ وقذاف)

أخبرني محمد بن مزيد قال أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال لقي أنس بن زنيم الدئلي حارثة بن بدر فقال له يا حارثة قد قلت لك أبياتا فاسمعها فقال هاتها فأنشده ." (١)

" وقال مرة بن خليف يرثيه

(إن العزيمة والعزاء قد ثويا ... أكفان ميت غدا في غار رخمان)

(إلا يكن كرسف كفنت جيده ... ولا يكن كفن من ثوب كتان)

(فإن حرا من الأنساب ألبسه ... ريش الندى والندى من خير أكفان)

(وليلة رأس أفعاها إلى حجر ... ويوم أور من الجوزاء رنان)

(أمضيت أول رهط عند آخره ... في إثر عادية أو إثر فتيان)

وقالت أم تأبط ترثيه

(وابناه وابن الليل ...)

قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جزيئا شاعرا فاتكا انه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن ." (٢)

" من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة

---

(١) الأغاني، ٤٢٢/٨

(٢) الأغاني، ١٧٧/١٠

فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط انه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه ترثيه

فقالت أمه وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة ترثيه

(قتيل ما قتيل بني قريم ... إذا ضنت جمادى بالقطار)

(فتى فهم جميعا غادروه ... مقيما بالحريضة من نمار)

وقالت أمه ترثيه أيضا

(ويل ام طرف غادروا برخمان ... بثابت بن جابر بن سفيان)

(يجدل القرن ويروي الندمان ... ذو مأقط يحمي وراء الإخوان)

وقالت ترثيه أيضا ." (١)

" انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر اليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة

ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه

(فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

(دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم)

(أما كان في قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

(فيقتل جبرا بامرئ لم يكن به ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد

---

(١) الأغاني، ١٧٩/١٠

تساجل هو والكميت بن معروف

قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة ." (١)

" أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال قلت لابن سيرين ما تقول في الشعر قال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح

قلت فما تقول في النسيب قال لعلك تريد مثل قول الشاعر

(إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا)

(أليس يزيد العيس خفة أذرع ... وإن كن حسرى أن تكوني أماميا)

قال وأراد بإنشاده إياهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه وأنشدتك إياه فلو كان به بأس ما أنشدته

صوت

(فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر)

(فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر)

عروضه من الطويل

البواء بالباء التكافؤ يقال ما فلان لفلان ببواء أي ما هو له بكفء أن يقتل به

وما في قولها فتى ما قتلتم صلة

وآل عوف نداء

وخفان موضع مشهور

وخادر مقيم في مكمنه وغيله وهو مأخوذ من الخدر

الشعر لليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

والغناء لإسحاق بن ." (٢)

" (فإن يك عبد الله آسى أبن أمه ... وآب بأسلاب الكمي المغاور)

(وكان كذات البو تضرب عنده ... سباعا وقد ألقينه في الجراجر)

---

(١) الأغاني، ١٠/٢٤٨

(٢) الأغاني، ١١/٢٠٨

(فإنك قد فارقته لك عاذرا ... وأنى لحي عذر من في المقابر)

(فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر)

(على مثل همام ولابن مطرف ... لتبك البواكي أو لبشر بن عامر)

(غلامان كانا استوردا كل سورة ... من المجد ثم أستوثقا في المصادر)

(ربيعي حيا كانا يفيض نداهما ... على كل مغمور نداه وغامر)

(كأن سنا ناريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر)

وقالت أيضا **ترثي** توبة عن أم حمير وأمها أبنة أخي توبة عن أمها

قال أبو عبيدة أم حمير أخت أبي الجراح العقيلي

قال

وأمها بنت أخي توبة بن حمير

قال وكان الأصمعي يعجب بها

(أيا عين بكي توبة بن حمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر)

(لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون الغبرة المتحدر)

(سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر) ." [١]

" (ممر ككر الأندري مثابر ... إذا ما ونين مهلب الشد محضر)

(فألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور)

(ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر)

(قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... إذا الخيل جالت في قنا متكسر)

(فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور)

(ألا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر) وقالت **ترثيه**

(أقسمت أرثي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر)

(لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه في الحياة المعاير)

(وما أحد حي وإن عاش سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر)

(ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر)

---

(١) الأغاني، ٢٣٣/١١

(وليس لذي عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر) ." [1]

" (ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر)

(وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرىء يوما إلى الله صائر)

(وكل قريني ألفة لتفرق ... شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر)

(فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

ويروى

(فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

(فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر)

(قتيل بني عوف فيا لهفتا له ... وماكنت إياهم عليه أحاذر)

(ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر)

وقالت **ترثيه**

(كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف إذ تدعى وللجار)

(وتوب للخصم إن جاروا وان عدلوا ... وبدلوا الأمر نقضا بعد إمرار)

(إن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار)

وقالت **ترثيه**

(هراقت بنو عوف دما غير واحد ... له نبأ نجديه سيغور)

(تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هضب الردهتين نصير)

وقالت **ترثيه**

(يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم) ." [2]

" (سبوح إذا جال الحزام كأنه ... إذا انجاب عنه النقع في الخيل أجدل)

(يواغل جردا كالقنا حارثية ... عليها قنان والحماس وزعبل)

(معاقلهم في كل يوم كريهة ... صدور العوالي والصفيح المصقل)

(وزعف من الماذي بيض كأنها ... نهاء مرتها بالعشيات شمأل)

---

(١) الأغاني، ٢٣٥/١١

(٢) الأغاني، ٢٣٦/١١

(فما ذر قرن الشمس حتى تلاحقت ... فوارس يهديها عمير ومعقل)

(فجالت على الحي الكلابي جولة ... فباكرهم ورد من الموت معجل)

(فغادرن وبرا تحجل الطير حوله ... ونجى طفيلا في العجاجة قرزل)

(فلم ينج إلا فارس من رجالهم ... يخفف ركضا خشية الموت أعزل)

وليزيد بن عبد المدان أخبار مع دريد بن الصمة قد ذكرت مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع

زينب بنت مالك **ترثي** يزيد بن عبد المدان

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكري قال حدثني ." (١)

" محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي قالوا أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بني عامر فأسر عامر بن مالك ملاعب الأسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما فلما مات يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو وكنيته أبو يزيد وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة **ترثي** يزيد بن عبد المدان

(بكيت يزيد بن عبد المدان ... حلت به الأرض أثقالها)

(شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها)

(فككت أسارى بني جعفر ... وكندة إذ نلت أقوالها)

(ورهط المجالد قد جللت ... فواضل نعماك أجبالها)

وقالت أيضا **ترثيه**

(سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم)

(رماح من العزم مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم)

قال فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد فقالت زينب

(ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريما يمانيا)

(ومالي لا أبكي يزيد وردني ... أجر جديدا مدرعي وردائيا) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٢/٢٥

(٢) الأغاني، ١٢/٢٦

" (فلا تجزعا يا ابني طريف فإنني ... أرى الموت نزالا بكل شريف)

(فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا بألوف)

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه وكان يزيد بن مزيد قتله

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدهم بأسا وصولة وأشجعهم فكان من بالشماسية لا يأمن طروقه إياه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد فأغروا به أمير المؤمنين وقالوا إنما يتجافى عنه للرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب يقول فيه لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان فيقال إن يزيد جهد ". (١)

" خبر يزيد بن مزيد وذاك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معنا في يزيد وقالت إنك لتقدمه وتؤخر بنيك وتشيد بذكره وتحمل ذكرهم ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال معن إن يزيد قريب لم تبعد رحمه وله على حكم الولد إذ كنت عمه وبعد فإنهم ألوط بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة من تقديمهم ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده ولوكان ما يضطلع به يزيد من بعيد لصار قريبا وفي عدو لصار حبيبا وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسج به اللوم عني ويتبين به عذري يا غلام اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على أسماء ولده فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال يا غلام ادع لي يزيد وقد أسبل سترا بينه وبين المرأة وإذا به قد دخل عجلا وعليه السلاح كله فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يحضر فلما رآه معن قال م ا هذه الهيئة أبا الزبير وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد فقال جاءني رسول الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجه فقلت إن كان مضيت ولم أعرج وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسر الخطب فقال لهم انصرفوا في حفظ الله فقالت المرأة قد تبين عذرك فأنشد معن متمثلا

---

(١) الأغاني، ١١٥/١٢

(نفس عصام سودت عصاما ... وعودته الكر والإقداما)

(وصيرته ملكا هماما ...)

من شعر اخته في رثائه

وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه ." (١)

" صوت

(هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي)

(الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مضرج بعد ما جادت بإزباد)

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السلمي ترثيه وكان بنو سهم وهن بطن من هذيل أسروه في حرب كانت بينهم ولم يعرفوه فلما عرفوه قتلوه وكان قد عطش فاستسقاهم فمنعوه وقتلوه على عطشه وقيل إن هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شداد ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه استهلال

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قتلت بنو سهم وهو بطن من هذيل عمرو بن عاصية السلمي وكان رجلان منهم أخذاه أخذا فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ثم قتلاه فقالت أخته ترثيه وتذكر ما صنعوا به

(شبت هذيل وبهز بينها إرة ... فلا تبوخ ولا يرتد صاليها)

ويروى شبت هذيل وسهم وهو الصحيح ولكن كذا قال عمر بن شبة

(إن ابن عاصية المقتول بينكما ... خلى علي فجاجا كان يحميها)

وقالت أيضا ترثيه

(يا لهف نفسي لهفا دائما أبدا ... على ابن عاصية المقتول بالوادي)

(هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي) ." (٢)

" فنزل فربأ لأصحابه على جبل مشرف على القوم فإذا هم حذرون فقال لأصحابه أرى القوم حذرين إن لهم لشأنا ولقد أنذروا علينا فكمن في الجبل يطلب غفلتهم فأصابه وأصحابه عطش شديد فقال ابن عاصية لأصحابه هل فيكم من يرتوي لأصحابه فقال أصحابه نخاف القوم وأبى أحد منهم أن يجيبه إلى

---

(١) الأغاني، ١٢٠/١٢

(٢) الأغاني، ١٢٧/١٢

ذلك قال فخرج على فرس له ومعه قربته وقد وضعت هذيل على الماء رجلا منهم رصدا وعلموا أنهم لا بد لهم من أن يردوا الماء فمر بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخ وفتيان من هذيل فلما نظروا إليه هم الفتيان أن يثاوراه فقال الشيخ مهلا فإنه لم يركما فكفا فانتهى ابن عاصية إلى البئر فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر فرفع رأسه فأبصر القوم فقالوا قد أخزاك الله يابن عاصية وأمكن منك قال ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه وشغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ ووثب ابن عاصية من البئر شدا نحو أصحابه وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه فقال لهما حين أخذاه أروياني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه فقالت أخت عمرو بن عاصية ترثي أخاها

(يا لهف نفسي يوما ضلة جزعا ... على ابن عاصية المقتول بالوادي)

(إذ جاء ينفض عن أصحابه طفلا ... مشي السبنتى أمام الأيكة العادي) ." [1]

" (هلا سقيتم بني جرم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي)

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرية أخت مسعود بن شداد ترثيه فذكر من الأبيات البيت الأول وبعده

(يا من رأى بارقا قد بت أرمقه ... جودا على الحرة السوداء بالوادي)

(أسقي به قبر من أعني وحب به ... قبرا إلي ولو لم يفده فادي)

(شهاد أندية رفاع أبنية ... شداد ألوية فتاح أسداد)

(نحار راغية قتال طاغية ... حلال رابية فكاك أقياد)

(قوال محكمة نقاض مبرمة ... فراج مبهمة حباس أوراد)

(حلال ممرعة حمال مضلعة ... قراع مفظعة طلاع أنجاد)

(جماع كل خصال الخير قد علموا ... زين القرين وخطم الظالم العادي)

(أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد)

---

(١) الأغاني، ١٢/١٢٩

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالبنصر قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يشيع شيء من هذا ولا ينسب إليه لأنه كان يترفع عن الغناء وما جس بيده وترا قط ولا تعاطاه ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا ." (١)

" قال فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني ترثيه به فقال إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي قال كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس فمات فجزع عليه جزعا شديدا وقال يرثيه

(جزى الله عني عنبسا كل صالح ... إذا كانت الأولاد سيئا جزاؤها)

(هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب إليه ولاؤها)

(جهول إذا جهل العشيرة يبتغى ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها)

وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول

عبد الملك يفضله على شاعر ثقيف

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيرا من شاعرهم في الإسلام فقيل له من يعني أمير المؤمنين فقال لهم أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول

(فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا)

(عقائل من عقائل أهل نجد ... ومكة لم يعقلن الركابا)

(ولم يطردن أبقع يوم ظعن ... ولا كلبا طردن ولا غرابا)

وقال شاعرهم في الجاهلية ." (٢)

" فأجابته فقالت

(أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرا ... فمت كمدا أو عش وأنت ذليل) - طويل -

بنت يحيى بن زياد ترثيه بشعره

---

(١) الأغاني، ١٣١/١٢

(٢) الأغاني، ٣٣٧/١٢

قال أبو عمرو في روايته وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيى بن زياد ابن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله

(أحقا عباد الله أن لست رائيا ... صحاري نجد والرياح الذواري) - طويل -

وقد تقدمت في صدر أخباره وفي هذه القصيدة يقول جعفر

(وددت معاذا كان فيمن أتانيا ...)

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلما لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه

(أبا جعفر سلب بنجران واحتسب ... أبا عارم والمسمنات العواليا)

(وقود قلوصا أتلف السيف ربها ... بغير دم في القوم إلا تماريا)

(إذا ذكرته معصر حارثية ... جرى دمع عينيها على الخد صافيا)

(فلا تحسبن الدين يا علب منسأ ... ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا) ." (١)

" يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل فقال له انج بنفسك فإني سأرضي خصومك ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم

أخبرني الحرمي بن العلاء قال

حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس ابن عبد الصمد السعدي قال قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي أصدقت فيما قلته لابن عمك قال نعم يا أمير المؤمنين إلا أني قلت

(فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله) - طويل -

هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثرية ترثيه به ." (٢)

" (سيوفهم تعشي الجبان ونبلهم ... يضيء لدى الأقوام نار الحباحب)

(فغير قتالي في المضيق أغاثني ... ولكن صريح العدو غير الأكاذب)

(نجوت نجاء لا أبيك تبثه ... وينجو بشير نجو أزعر خاضب)

---

(١) الأغاني، ٦١/١٣

(٢) الأغاني، ٦٧/١٣

(وجدت بعيرا هاملا فركبته ... فكادت تكون شر ركبة راكب) – طويل –

وقال أبو عمرو اجتاز قوم حجاج من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزا فجمع جمعا من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز

(يا ضمر هل نلناكم بدمائنا ... أم هل حذونا نعلكم بمثال)

(تبكي لقتلي من فقيم قتلوا ... فاليوم تبكي صادقا لهلال)

(ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفة على الأكفال)

(يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقحت على الدكاء بعد حيال) – كامل –

اخته ترثيه بعد انقطاع أخباره

قال أبو عمرو خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد ولا عرف له ." (١)

" خبر فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضل فقالت أخته ترثيه

(أحي حاجز أم ليس حيا ... فيسلك بين جندف والبهيم)

(ويشرب شربة من ماء ترج ... فيصدر مشية السبع الكليم) – وافر –

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار لقي عامرا فهرب منهم فنجا وقال

(ألا هل أتى ذات القلائد فرتي ... عشية بين الجرف والبحر من بعر)

(عشية كادت عامر يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكر)

(فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجله ... وقد كاد يلقي الموت في خلفة الصقر)

(بمثلي غداة القوم بين مقنع ... وآخر كالسكران مرتكز يفري) – كامل –

وفر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي ففاته حاجز وقال في ذلك ." (٢)

" لكعاء فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي والسلام فكتبت إليه ساءني تهجينك إياي عند أبي الحسين وإن من أعيا العي الجواب عما لا جواب له والسلام

دنانير ترثي صديق أبي الحسين

---

(١) الأغاني، ١٣/٢٣٩

(٢) الأغاني، ١٣/٢٤٠

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال جئت يوما إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ووجدت جاريته دنانير جالسة فقالت لي مالك محزونا يا أبا الحسين فقلت رجعت من دفن أخ لي من قريش فسكتت ساعة ثم قالت

(بكيت على أخ لك من قريش ... فأبكانا بكاؤك يا علي)

(فمات وما خبرناه ولكن ... طهارة صحبه الخبر الجلي) - وافر -

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره فقال لهم مجيبا عن ذلك

(تؤنبني أن صنت عرضي عصابة ... لها بين أطناب اللئام بصيص)

(يقولون لو غمضت لازددت رفعة ... فقلت لهم إني إذن لحريص)

(أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم ... مطامع عنها للكرام محيص)

(معاشي دوين القوت والعرض وافر ... وبطني عن جدوى اللئام خميص) ." [1]

" (لا يقيم العزيز في بلد الهون ... ولا يكبت الأريب الجليد)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برا به قال وهذا من جيد شعره وقد سرق البحتري معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم

(أعدو على مال بسطام فأنهبه ... كما أشاء فلا تثنى إلي يدي)

(حتى كأني بسطام بما احتكمت ... فيه يداي وبسطام أبو الأسد)

رثاؤه إبراهيم الموصلي

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثنا أبو هفان قال حدثني أبو دعامة قال لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد وكان صديقه ألا **ترثيه** فقال يرثيه

(تولى الموصلي فقد تولت ... بشاشات المزاهر والقيان)

(وأي ملاحة بقيت فتبقى ... حياة الموصلي على الزمان)

(ستبكيه المزاهر والملاهي ... ويسعدهن عاتقة الدنان)

---

(١) الأغاني، ٣٦٦/١٣

(وتبكيه الغوية إذ تولى ... ولا تبكيه تالية القران)

فقيل له ويحك فضحته وقد كان صديقك

فقال هذه فضيحة عند من ." (١)

" قال الزبير كان تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فغاب مدة وكتب إليها أن تشخص إليه فلم تفعل فكتب إليها قوله - مجزوء الوافر -

(إذا ما أم عبد الله ... لم تحلل بواديه)

وذكر البيتين فقط فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري وهما لأب وأمهما عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك

فاشخصي إليه

صوت متقارب

(أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى)

(ألا تبكيان الجري الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا)

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ترثي أخاها صخرا والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق

وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وحبش ." (٢)

" (معاذ الله ينكحني حبركى ... يقال أبوه من جشم بن بكر)

(ولو أصبحت في جشم هديا ... إذا أصبحت في دنس وفقر)

وهذا الشعر ترثي به أخاها صخرا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وأضفت إليه رواية الأثرم عن أبي عبيدة قال غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلي في بني سليم بني أسد بن خزيمة قال أبو عبيدة وزعم السلمي أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويوم ذي الأثل في بني عوف وبني خفاف وكانا متساندين وعلى بني خفاف صخر بن عمرو الشريدي وعلى بني عوف أنس بن عباس

قال فأصابوا في بني أسد بن خزيمة غنائم وسبيا وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة

---

(١) الأغاني، ١٣٨/١٤

(٢) الأغاني، ٧١/١٥

قال وأصابت صخرا يومئذ طعنة طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين وكان سبب موته

قال أبو عبيدة وقال غيره بل ورد هو وبلعاء بن قيس الكناني

قال وكانا ." (١)

" (كأني وقد أدنوا إلي شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب)

(أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما أقام عسيب)

عن أبي عبيدة عسيب جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة فقبره هناك معلم

وقال أبو عبيدة فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب

فقالت الخنساء ترثيه - متقارب -

(ألا ما لعينك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها)

(أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها)

(فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها)

(سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها)

(فإن تصبر النفس تلق السرور ... وإن تجزع النفس أشقى لها)

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر

قال السلمي ليست هذه في صخر هذه إنما رثت بها معاوية أخاها وبنو مرة قتلته

ولكنها قالت في صخر - بسيط ." (٢)

" بالمعروف

والدسيعة العطاء

الطخية من الطخاء وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي

وقالت الخنساء أيضا ترثي صخرا - وافر -

(بكت عيني وعاودها قذاها ... بعوار فما تقضي كراها)

(على صخر وأي فتى كصخر ... إذا ما الناب لم ترأم طلاها)

---

(١) الأغاني، ٧٤/١٥

(٢) الأغاني، ٧٧/١٥

الطلا الولد أي لم تعطف عليه من الجدب

(فتى الفتيان ما بلغوا مداها ... ولا يكدي إذا بلغت كداها)

(لئن جزعت بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو فتاها)

غنى في هذه الأبيات ابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

وذكر حبش أن له أيضا فيه خفيف رمل بالبنصر

(ترى الشم الجحاجح من سليم ... وقد بلت مدامعها لحاها)

إذا وصف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة ولا يضع لها أنفه

(وخيل قد كففت بجول خيل ... فدارت بين كبشيها رحاها) ." (١)

" (فجادت له يمنى يدي بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا)

(أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... به أدرك الأبطال قدما كذلكا)

(فإن ينج منها هاشم فبطعنة ... كسته نجيعا من دم الجوف صائكا)

فحقق خفاف في شعره أن الذي طعن معاوية هو هاشم بن حرملة

وقالت الخنساء **ترثي** أخاها معاوية - طويل -

(ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه)

(بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانيه)

(ألا لا أرى كفارس الورد فارسا ... إذا ما علته جرأة وغلابيه)

(وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه)

(وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانيه)

(بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه)

(فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه)

وقالت الخنساء في كلمة أخرى **ترثيه** أيضا - متقارب -

(ألا ما لعينيك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها)

(أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٥/٨١

(٢) الأغاني، ١٥/٨٩

" (بمعترك ضيق بينه ... تجر المنية أذيالها)

(وبيض منعت غداة الصباح ... تكشف للروع أذيالها)

(ومعملة سقتها قاعدا ... فأعلمت بالسيف أغفالها)

(وناجية كأتان الثميل ... غادرت بالخل أوصالها)

(إلى ملك لا إلى سوقة ... وذلك ما كان إعمالها)

(وتمنح خيلك أرض العدو ... وتنبذ بالغزو أطفالها)

(ونوح بعثت كمثل الإراخ ... آنست العين أسبالها) التفسير عن أبي عبيدة

قوله حلت به الأرض قال بعضهم حلت من الحلية أي زينت به الأرض موتاها حين دفن بها

وقال بعضهم حلت من حللت الشيء

والمعنى ألقت مراسيها كأنه كان ثقلا عليها

قال اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر كما قال جرير – وافر –

(ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح)

قال جواب أبعد في آسى أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة ما لها وقال أبو عبيدة هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية ترثي أخاها

قال أبو الحسن ." (١)

" يدعوه وإن أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور

فلم يجبنا وسمعنا علزا شديدا ومراسا في الموضع الذي دخله وقصدناه فإذا به حمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق

فقالت امرأته الجعفية ترثيه – طويل –

(لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا)

(فقل لزبيد بل لمذحج كلها ... فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا)

(فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ... ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا)

---

(١) الأغاني، ١٥/٩١

والأبيات العينية التي فيها الغناء وبها افتتح ذكر عمرو يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباها الصمة بن بكر وكان أغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة وانهزمت زبيد بين يديه وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أن عمرا اتبعه يناشده أن يخلي عنها فلم يفعل فلما يئس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها يا عمرو فلم يقدر على انتزاعها وقال - وافر -

(أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع)

(سباها الصمة الجشمي غصبا ... كأن بياض غرتها صديع)

(وحالت دونها فرسان قيس ... تكشف عن سواعدها الدروع)

(إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع) ." (١)

" جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا ثم انصرفتا

صوت - وافر -

(سألناه الجزيل فما تأبى ... فأعطى فوق منيتنا وزادا)

(وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا)

(مرارا ما دنوت إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا)

الشعر لزياد الأعجم والغناء لشارية خفيف رمل بالبنصر مطلق ." (٢)

" التي أدوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية

(بان الشباب وكل إلف بائن ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعن)

(قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... وأراك ذا بث ولست بدائن)

(غضي ملامك إن بي من لومكم ... داء أظن مماطلي أو فاتني)

(أبلغ كنانة غثها وسمينها ... الباذلين رباعها بالقاطن)

(أن المذلة أن تطل دماؤكم ... ودماء عوف ضامن في العاهن)

(أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كلف لهم بظعائن)

(طلبوا فأدرك وترهم مولاهم ... وأبت محاملكم إباء الحارن)

---

(١) الأغاني، ١٥/٢١٦

(٢) الأغاني، ١٥/٣٦٩

(شدوا المآزر فاثأروا بأخيكم ... إن الحفائظ نعم ربح الثامن)

(كيف الحياة ربيعة بن مكدم ... يغدى عليك بمزهر أو قائن)

(وهو التريكة بالعراء وحارث ... فقع القراقر بالمكان الواتن)

(كم غادروا لك من أرامل عيا ... جزر الضباع ومن ضريك واكن)

وقالت أم عمرو أخت ربيعة **ترثي** ربيعة

(ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سحا ولا عازب لالا ولا راقي)

(أبكي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حزنا بعده باقي) ." (١)

" قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله

ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ ثيابه فقال له يا عم أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وصهره وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس

وقال هشام بن الكلبي كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن فخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله

قال المدائني حدثني أبو إسحاق المالكي قال

قيل لسكينة واسمها آمنة وسكينة لقب أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيرا فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة - تعني فاطمة بنت رسول الله - وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله

الرباب **ترثي** زوجها الحسين

أخبرني عمي قال حدثنا الكناني عن قعنب بن المحرز الباهلي عن محمد بن الحكم عن عوانة قال رثت الرباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت

(إن الذي كان نورا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون)

(سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٦/٧٠

(٢) الأغاني، ١٦/١٤٩

" (وأنحر للشرب الكرام مطيتي ... وأصدع بين القينتين ردائيا)

(وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفي وقد أنحوا إلي العواليا)

(كأني لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلي كري نفسي عن رجاليا)

(ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا)

قال فضحكت العبشمية وهم آسروه وذلك لما أسروه شدوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم وأبوا إلا قتله فقتلوه بالنعمان بن جساس

فقالت صفية بنت الخرع ترثي النعمان

(نطاقه هندواني وجبته ... فضفاضة كأضاة النهي موضونه)

(لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت ... وما قتلنا به إلا امرأ دونه)

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد

(لما رأيت الأمر مخلوجة ... أكرهت فيه ذابلا مارنا)

(قلت له خذها فإني امرؤ ... يعرف رمحي الرجل الكاهنا)

قوله يعرف رمحي الرجل الكاهنا يريد أن عمرو بن الجعيد كان كاهنا وهو أحد بني عامر بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولده ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهن ثم طلب خلاف أهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليه السلام فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادي في الليل وذلك قبل مبعث النبي خير أهل ." (١)

" أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال حدثنا علي بن إبراهيم ابن المعلى قال حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي قال

استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - في أيام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت جعلت فداك إني قلت فيكم شعرا أحب أن أنشدكه فقال يا كميت اذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات فأعاد عليه الكميت القول فرق له أبو جعفر عليه السلام فقال هات فأنشده قصيدته حتى بلغ

(يصيب به الرامون عن قوس غيرهم ... فيا آخرا سدى له الغي أول)

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال اللهم اغفر للكميت

---

(١) الأغاني، ٣٦٢/١٦

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي قال حدثني أبي قال حدثنا أرطأة بن حبيب عن فضيل الرسان عن ورد بن زيد أخي الكميت قال

أرسلني الكميت إلى أبي جعفر فقلت له إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية قال نعم هو في حل فليقل ما شاء

أخبرني محمد بن العباس قال أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب عن ابن كناسة قال مات ورد أخو الكميت فقيل للكميت ألا **ترثي** أخاك فقال مرثيته ومرزيته عندي سواء وإني لا أطيق أن أرثيه جزعا عليه ." (١)

" فبكت بنية له منها فضرب بها الأرض فقتلها وقال متمثلا لا تتخذن من كلب سوء جروا

قال الزبير في خبره عن عمه مصعب عن حميد بن أنيف قال

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليه فحبسه وقالوا جميعا قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول وهي من خثعم **ترثي** ابنها وتحضض مصعبا وجناحا أخويه

(بأهلي ومالي بل بجل عشيرتي ... قتيل بني تيم بغير سلاح)

(فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم ... فتظهر فيه للشهود جراح)

(فلا تطمعوا في الصلح ما دمت حية ... وما دام حيا مصعب وجناح)

(ألم تعلموا أن الدوائر بيننا ... تدور وأن الطالبين شحاح)

قالوا فلما طال حبسه ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول رجلا من خثعم مكان المقتول وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة

رواية مقتله

قالوا وأقبل ابن الدمينة حاجا بعد مدة طويلة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وقد كانت أمه حرضته عليه وقالت اقتل ابن الدمينة فإنه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا ." (٢)

" (ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور)

---

(١) الأغاني، ١٧/٣٣

(٢) الأغاني، ١٧/١٠٢

(تنعمت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير)

الشعر لامرأة من كندة ترثي حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي ." (١)

" قال وجعل معاوية يقول عند موته أي يوم لي من ابن الأدبر طويل

رسول عائشة إلى معاوية في أمر حجر

قال أبو مخنف وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له أين غاب عنك حلم أبي سفيان فقال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت

قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لولا أنا لم نغير شيئا قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان لمسلما ما علمته حاجا معتمرا

وقالت امرأة من كندة ترثي حجرا

(ترفع أيها القمر المنر ... لعلك أن ترى حجرا يسير)

(يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير)

(ألا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير)

(ترفعت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير)

(وأصبحت البلاد له محولا ... كأن لم يحيها مزن مطير)

(ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور)

(أخاف عليك سطوة آل حرب ... وشيخا في دمشق له زئير)

(يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير)

(فإن تهلك فكل زعيم قوم ... إلى هلك من الدنيا يصير) ." (٢)

" أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية فعاوده بالمدح فقال له يا ماص كذا من أمه ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه

---

(١) الأغاني، ١٣٦/١٧

(٢) الأغاني، ١٥٨/١٧

(فاضت دموعي على نصر وما ظلمت ... عين تفيض على نصر بن سيار)

(يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت ... يا نصر بعدك أو للضيف والجار)

(الخندفي الذي يحمي حقيقته ... في كل يوم مخوف الشر والعار)

(والقائد الخيل قبا في أعنتها ... بالقوم حتى تلف القار بالقار)

(من كل أبيض كالمصباح من مضر ... يجلو بسنته الظلماء للساري)

(ماض على الهول مقدام إذا اعترضت ... سمر الرماح وولى كل فرار)

(إن قال قولا وفى بالقول موعده ... إن الكناني واف غير غدار)

والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبدا قال فخرج من عنده وقال عدة قصائد يذمه فيها منها

(فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار)

وقال أيضا

(أليس الله يعلم أن قلبي ... يحب بني أمية ما استطاعا) ." (١)

" حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي عن سعيد بن محمد الجرمي عن أبي الأحوص عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ولا أحسبه إلا قال

كنت قاعدا عند علي عليه السلام فأتاه آت فقال هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن على الباب قال ليدخلن قاتل ابن صفية النار إني سمعت رسول الله يقول (إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير)

أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن علي بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن عمرا أو عويمر بن جرموز قاتل الزبير أتى مصعبا حتى وضع يده في يده فقذفه في السجن وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره فكتب إليه عبد الله بئس ما صنعت أظننت أني أقتل أعرابيا من بني تميم بالزبير خل سبيله فخلاه

عاتكة **ترثي** الزبير

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه قال قتل الزبير وهو ابن سبع وستين أو ست وستين سنة فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل **ترثيه**

(غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد)

---

(١) الأغاني، ٣٣٣/١٧

(يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش اللسان ولا اليد)

(شلت يمينك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المستشهد)

(إن الزبير لذو بلاء صادق ... سمح سجيته كريم المشهد)

(كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يابن فقع القردد) ." (١)

" (فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)

(إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا)

(فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

(مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة ... وما طرد الليل الصباح المنورا)

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال فاستفتي فاستفتت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ردي الحديقة على أهله وتزوجي فتزوجت عمر فسرح عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه – يعني دعاهم – لما بنى بها فقال له علي إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال يا عاتكة

(فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

فقال له عمر ما أردت إلى هذا فقال وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج فقال عمر ما حسن الله فهو حسن فلما قتل عمر قالت ترثيه

(عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الإمام النجيب) ." (٢)

" (فجعتنا المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتلبيب)

(عصمة الله والمعين على الدهر ... غياث المنتاب والمحروب)

(قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب)

---

(١) الأغاني، ١٨/٦٣

(٢) الأغاني، ١٨/٦٦

قالت ترثيه أيضا

صوت

(منع الرقاد فعاد عيني عيد ... مما تضمن قلبي المعمود)

(يا ليلة حبست علي نجومها ... فسهرتها والشامتون هجود)

(قد كان يسهرني حذارك مرة ... فاليوم حق لعيني التسهيد)

(أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد)

غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي

فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجراء بادنة فقالت يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر فيه قال فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت ." (١)

" (غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد)

(يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش اللسان ولا اليد)

(هبلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد)

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فكانت أول من رفع خده من التراب – صلى الله عليه وآله ولعن قاتله والراضي به يوم قتل – وقالت ترثيه

(وحسينا فلا نسيت حسينا ... أقصدته أسنة الأعداء)

(غادروه بكربلاء صريعا ... جادت المزن في ذرى كربلاء)

ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله

---

(١) الأغاني، ١٨/٦٧

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثنا أسامة بن زيد عن القاسم بن محمد قال

لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند ابي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال من يعرف هذا منكم فقال سعيد بن عبيد من بني علاج هذا سهمي وأنا بريته وأنا رشته وأنا عقبته وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر فهذا السهم الذي قتل عبد الله والحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده ." (١)

" طويس يغني شعرا لعاتكة

أخبرني اليزيدي عن الزبير عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال

لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت له إني لأضن بك على القتل يابن عم رسول الله

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال حدثني أبي قال

بينا فتية من قريش ببطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم يا أبا عبد الله غننا شعرا مليحا له حديث ظريف فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثي عمر بن الخطاب

(منع الرقاد فعاد عيني عيد ... مما تضمن قلبي المعمود)

الأبيات فقال القوم لمن هذه الأبيات يا طويس قال لأجمل خلق الله وأشأمهم فقالوا بأنفسنا أنت من هذه قال هي والله من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة نبي الله وثنت بخليفة خليفة نبي الله وثلثت بحواري نبي الله وربعت بابن نبي الله وكلا قتلت قالوا جميعا ." (٢)

" وقال مرة بن خليف يرثيه

(إن العزيمة والعزاء قد ثويا ... أكفان ميت غدا في غار رخمان)

(إلا يكن كرسف كفنت جيده ... ولا يكن كفن من ثوب كتان)

(فإن حرا من الأنساب ألبسه ... ريش الندى والندى من خير أكفان)

(وليلة رأس أفعاها إلى حجر ... ويوم أور من الجوزاء رنان)

---

(١) الأغاني، ١٨/٦٨

(٢) الأغاني، ١٨/٦٩

(أمضيت أول رهط عند آخره ... في إثر عادية أو إثر فتيان)

وقالت أم تأبط ترثيه

(وابناه وابن الليل ...)

قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جريئا شاعرا فاتكا أنه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن ." (١)

" من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه وليس مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه ترثيه

فقالت أمه - وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة - ترثيه

(قتيل ما قتيل بني قريم ... إذا ضنت جمادى بالقطار)

(فتى فهم جميعا غادروه ... مقيما بالحريضة من نمار)

وقالت أمه ترثيه أيضا

(ويل ام طرف غادروا برخمان ... بثابت بن جابر بن سفيان)

(يجدل القرن ويروي الندمان ... ذو مأقط يحمي وراء الإخوان)

وقالت ترثيه أيضا ." (٢)

---

(١) الأغاني، ١٧٧/٢١

(٢) الأغاني، ١٧٩/٢١

" انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة

ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه

(فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

(دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم)

(أما كان في قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

(فيقتل جبرا بامرىء لم يكن به ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد

تساجل هو والكميت بن معروف

قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة ." (١)

" (أبى ليلي أن يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب)

وهو يتزايد فيه ويقومه حتى استوى له ثم قام إلى عود مصلح معلق كان يكون في بيت منامه فأخذه فغنى الصوت حتى صح له واستقام عليه وأخذته عنه فلما فرغ منه قال أين دمن فقلت هو ذا أنا ها هنا فارتاع وقال مذ كم أنت ها هنا قلت مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدك فقال خذي العود فغنيه فأخذته فغنيته حتى فرغت منه وهو يكاد أن يتميز غيظا ثم قال قد بقي عليك فيه شيء كثير وأنا أصلحه لك فقلت أنا مستغنية عن إصلاحك فأصلحه لنفسك فاضطجع في فراشه ونام وانصرفت فمكث أياما إذا رآني قطب وجهه

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قتل في حروب الفجار من قريش ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٢٤٨/٢١

(٢) الأغاني، ٥٧/٢٢

" يومئذ فقال ما سرني أني لم أشهده إنهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم فأبوا

قال وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن فوادهم حرب بن أمية فيما تروي قريش وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم وأنهم هم ودوهم

وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب عليهما السلام شهدوا هذه الحروب ولم يرد ذلك أهل العلم بأخبار العرب

قال أبو عبيدة ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته فجعل أنفه بين ثدييها وقال أنا بالله وبك فقالت كلا زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي اجلس فأنت آمن

أميمة ترثي قومها

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها والأبيات التي فيها الغناء منها

(أبى ليلك لا يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب)

(ونجم دونه الأهوال ... بين الدلو والعقرب)

(وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب)

(بعقر عشيرة منا ... كرام الخيم والمنصب) ." (١)

" بأصحاب نخل ولا زرع وليس للرجال منهم إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات والأموال لليهود فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا

أبو جبيلة أمر أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه فما بالكم ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له أعلمهم أني سائر إليهم فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود

---

(١) الأغاني، ٧٨/٢٢

إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلا فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض ثم أرسل إلى الأوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم له وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصنوا في آطامهم فيمنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم فأمر ببنيان حائر واسع فبني ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ويدخلوهم رجلا رجلا فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم فقالت سارة القريظية ترثي من قتل منهم أبو ." (١)

" (كأنك لم تعلم محل بيوتكم ... مع الحي بين الغور والمتنجد)

(فلولا رجال من جذيمة قصرة ... عددت بلائي ثم قلت له عدد)

وأمه سعدة القائلة له وقد تزوج بنت أبي مهوش على مراغمة لها وكراهة لذلك فغضبت سعدة وقالت فيه

(عليك بأنقاض العراق فقد علت ... عليك بتخدين النساء الكرائم)

(لعمري لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذنابى لا بريش القوادم)

(بنى لك معروف بناء هدمته ... وللشرف العادي بان وهادم)

وهي القائلة ترثي ابنها الكميت

(لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكناف طورى من عفاف ونائل)

(ومن وقعات بالرجال كأنها ... إذا عنت الأحداث وقع المناصل)

(يعزي المعزى عن كميت فتنتهي ... مقالته والصدر جم البلابل)

أخوه يرثيه

وأعشى بني أسد أخو الكميت واسمه خيثمة الذي يقول يرثي الكميت وغيره من أهل بيته ." (٢)

" امرأة قيسية ترثي قتلى قيس

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم

(أصبتم يا بني نهد بن زيد ... قروما عند قعقعة السلاح)

---

(١) الأغاني، ١١٦/٢٢

(٢) الأغاني، ١٤٨/٢٢

(إذا اشتد الزمان و كان محلا ... و حاذر فيه إخوان السماح)

(أهانوا المال في اللزبات صبرا ... و جادوا بالمتالي و اللقاح)

(فبكي مالكا وابكي بجيرا ... و شدادا لمشتجر الرماح)

(و كعبا فاندبيه معا و قرطا ... أولئك معشري هدوا جناحي)

(و بكي إن بكيت على حسيل ... و مرداس قتيل بني صباح)

قال و أسر عبد الله بن العجلان رجلا من بني الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعده الوحيدي الثواب فلم يف فقال عبد الله

(و قالوا لن تنال الدهر فقرا ... إذا شكرتك نعمتك الوحيد)

(فيا ندما ندمت على رزام ... و مخلفه كما خلع العتود)

قال أبو عمرو ثم أن بني عامر جمعوا لبني نهد فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر فقال أفعل فحملته على ناقة لزوجها ناجية وزودته تمرا ووطبا من لبن فركب فجد في السير و فني اللبن فأتاهم و الحي ." (١)

" قال ها هي ذه أنا فيها قال وعن له رجل من القوم فرماه عمرو فقتله فقالوا أقتلته يا عدو الله فقال أجل ولقد بقيت معي أربعة أسهم كأنها أنياب أم جليحة لا تصلون إلي أو أقتل بكل سهم منها رجلا منكم فقالوا لعبدهم يا أبا نجاد ادخل عليه وأنت حر فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه فقال له عمرو ويلك يا أبا نجاد ما ينفعك أن تكون حرا إذا قتلتك فنكص عنه فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه ثم رموه حتى قتلوه وأخذوا سلبه فرجعوا به إلى أم جليحة وهي تتشوف فلما رأوها قالوا لها يا أم جليحة ما رأيك في عمرو قالت رأيي والله أنكم طلبتموه سريعا ووجدتموه منيعا ووضعتموه صريعا فقالوا والله لقد قتلناه فقالت والله ما أراكم فعلتم ولئن كنتم فعلتم لرب ثدي منكم قد افترشه وضب قد احترشه فطرحوا إليها ثيابه فأخذتها فشمتها فقالت ريح عطر وثوب عمرو أما والله ما وجدتموه ذا حجزة جافية ولا عانة وافية ولا ضالة كافية

اخته ريطة ترثيه

وقالت ريطة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه

---

(١) الأغاني، ٢٤١/٢٢

(كل امرئ لمحال الدهر مكروب ... وكل من غالب الايام مغلوب) ." (١)

" قومك شيئا لحقنا بقومنا فقال أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة فاحتبسهم فيها وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له مطر بن عوص وكان فاتكا فأراد حميدا على قتلهم فأبى وكره الدماء فلما سار حميد وقد عاد زفر أيضا مغيرا ليرده عما يريده فنزل قرية له وبلغه مسير زفر فاغتاظ وأخذ في التعبئة فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعا له انتهازا لدماء الذين في يده من النميريين فقال ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قتل أهل مصبح فقال وهو لا يعقل من الوجد اذهب فاقتلهم

فخرج مطر يركض إلى تدمر تخوف ألا يبدوا له فلما أتى تدمر قتلهم وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال أين مطر حتى أوصيه قالوا انصرف قال أدركوا عدو الله فإني أخاف على من بيده من النميريين

وبعث فارسا يركض يمنع مطرا عن قتلهم فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الأسرى إلا رجلين وكانوا ستين رجلا فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال النميريان الباقيان خل عنا فقد أمرت بتخلية سبيلنا فقال أبعد أهل المصيخ لا والله لا تخبران عنهم ثم قتلهما

فلما بلغ زفر قتل النميريين بسط يده على كل من أدرك من كلب واستحل الدماء وأخذ في واد يقال له وادي الجيوش وقد انتشرت به كلب للصيد فلم يدرك به أحدا إلا قتله فقتل أكثر من خمسمائة ولم يلقه حميد

ثم انصرف إلى قرقيسياء

وذكر بعض بني نمير أن زفر أغار على كلب يوم حفير ويوم المصيخ ويوم الفرس فقتل منهم أكثر من ألف رجل قال وأغار عليهم زفر في يوم الإكليل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستاق نعما كثيرة

وذكر عرام قال قتل زفر يوم الإكليل جبير بن ثعلبة من بني الجلاح وحسان بن حصين من بني الجلاح ومحمد بن طفيل بن مطير بن أبي جبلة وعمرو بن حسان بن عوف من بني الجلاح ومحمد بن جبلة بن عوف أخوان لأم

وقالت امرأة من بني كلب **ترثيهم** ." (٢)

" قال ولحق أسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمان بن زرعة فقال له يا نعمان هلم إلي فأنا خير آسر لك وخير لك من العطش

---

(١) الأغاني، ٣٥٥/٢٢

(٢) الأغاني، ٢٨/٢٤

قال ومن أنت قال الأسود بن بجير فوضع يده في يده فجز ناصيته وخلى سبيله وحمله الأسود على فرس له وقال له انج على هذه فإنها أجود من فرسك وجاء الأسود بن بجير على فرس النعمان بن زرعة وقتل خالد بن يزيد البهراني قتله الأسود بن شريك بن عمرو وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر فقالت أمه ترثيه

(ويح عمرو بن عدي من رجل ... حان يوما بعدما قيل كمل)

(كان لا يعقل حتى ما إذا ... جاء يوم يأكل الناس عقل)

(أيهم دلاك عمرو للردى ... وقديما حين المرء الأجل)

(ليت نعمان علينا ملك ... وبني لي حي لم يزل)

(قد تنظرنا لغاد أوبة ... كان لو أغنى عن المرء الأمل)

(بان منه عضد عن ساعد ... بؤس للدهر وبؤسى للرجل)

قال وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تيم الله يقال له أبو ثور فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها فنهاه أصحابه أن يفعل فقال والله ما في فرس إياس ما يعز رجلا ولا يذله وما كنت لأقطع رحمه فيها فقال إياس

(غذاها أبو ثور فلما رأيتها ... دخيس دواء لا أضيع غذاؤها)

(فأعددتها كفأ ليوم كريهة ... إذا أقبلت بكر تجر رشاؤها)

قال وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى أصبحوا ." (١)

" (إذا قلت : لا قالا : بلى ثم أصبحا ... جميعا على الرأي الذي يريان)

(تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان)

(فيا رب أنت المستعان على الذي ... تحملت من عفراء منذ زمان)

(كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان)

في تحملت من عفراء

والذي بعده ثقيل أول يقال إنه لأبي العبيس بن حمدون

يموت فترثيه عفراء وتموت بعده

---

(١) الأغاني، ٧٠/٢٤

قال فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال وبلغ عفراء خبر وفاته فجزعت جزعا شديدا وقالت ترثيه

(ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام)

(فلا تهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام)

(وقل للحبالى : لا ترجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام)

قال ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه بها حتى ماتت بعده بأيام قلائل

خبر عن معرفته بتزويجها

وذكر عمر بن شبة في خبره

أنه لم يعلم بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها وأنه كان توجه إلى ." (١)

" الحسب المؤثل فعطف عليه الرجل فقال يا جرول بن نهشل إن الوهل فشل وليس هكذا البطل والقول يرفعه العمل ثم إنه طعن فرمى جرولا طعنة فكبا جواده فأخذه وكتفه ثم ساقه وهو يقول

(إذا ما لقيت امرأ في الوغى ... فذكر بنفسك يا جرول)

حتى انتهى به إلى قائد الجيش ورئيس القوم وكان قد عرف جبن جرول فقال له يا جرول ما عهدناك تقاتل الأبطال ولا تحب النزال فقال جرول مكره أخوك لا بطل فأعطاه رأس رجل من بني دارم ثم قال انطلق فالجبن شر من الإسار فعمد إليه الذي كان أسره فجرحه وقال له جئت تستنقذ الظعائن يا لها من ظعينة ما كان أضيعها ثم خلى سبيله وجرول يرى أن الرأس الذي أعطي من رؤوس حزبه فأتى أباه فقال يا أبت هكذا تلقى الأبطال وتسلم الأنفال الجدع خير من النفي ثم قال هذا رأس رجل قتلته فنظر إلى الرأس فإذا رأس رجل من أصحابه فجاء إخوة المقتول فقالوا أقيدونا جرولا بأخينا فإنه قتله فلما رأى جرول الشر وما وقع فيه أخبر أباه والقوم الخبر فعرفوا جبنه

وأنه لم يكن يقتل الرجال فخلوا عنه وقالت عمرة أخت المقتول ترثي أخاها وتذكر جرولا

(ألا يا قتيلا ما قتيلا معاشر ... ثوى بين أحجار صريعا وجندل)

(وقد يصبح الخيل المغيرة فيهم ... ويسرع كر المهر في كل جحفل)

(ويهدي ضلول القوم في ليلة السرى ... أمين القوى في القوم ليس بزمل)

---

(١) الأغاني، ١٣١/٢٤

(فأدى إلينا رأسه ثم جرول ... فلله ماذا كان من فعل جرول) ." (١)

"و العجم اسم للجنس، و له اشتقاق يطول ذكره في هذا الموضع، و العجم جمع أعجم. و العرب و إن كان جمعا كما ذكرناه فإنهم لم يروا أن يتصرفوا فيه بواحد يوردونه له، لأنهم لو قالوا: عارب لجاز أن يدل على أنه فاعل فعلا من أحد الأقوال التي ذكرناها أن اشتقاق العرب يتوجه منها، و لخرج عن أن يكون دلالة على نسبه، إلى أن يصير دلالة على فعله، فاستغنوا عن ذلك بالنسبة إليه فقالوا: عربي. و قال أبن دريد في مصدره: يقال عربي بين العرابة و العروبة و قد سموا بعربي كما سموا برومي و في ضبة شاعر محسن يقال له رومي بن شريك، و في و في بني عبد الدار رجل يقال له أبو الروم عبد مناف بن عمير العبدري. و ممن أسمه عربي: عربي بن منكث أحد بني عبيد الرماح بن معد بن عدنان، و عبيد بن معد هؤلاء انقسموا قسمين: ففرقة دخلت في مزينة، و فرقة دخلت في كنانة و التي دخلت في كنانة هي التي يقال لها عبيد الرماح، و أبن عربي هذا: إبراهيم بن عربي، و كان مكرما عند بني أمية، و السبب في ذلك أن أمه كانت فاطمة بنت شريك بن عبدة بن مغيث بن الحد بن عجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام بن جعل بن عمرو بن جثم بن ودم بن ذبيان بن هميم بن ذهل بن هنيئ أبن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، و شريك هو الذي يعرف بشريك بن سحماء، و سحماء أمه، و هي في قول بعضهم: سحماء بنت عبد الله الليثية، و قال آخرون هي يمانية. و شريك هو الذي اتهمه عويمر العجلاني من الأنصار بامرأته فنزل بسسببها اللعان، في حديث طويل ليس هذا موضعه، فلما كان يوم دار عثمان ضرب مروان بن الحكم و سعيد بن العاص فسقطا، فوثبت فاطمة بنت شريك فأدخلت مروان بيتا فأفلت، فكان بنو مروان يحفظون إبراهيم بن عربي لذلك و ولاه عبد الملك اليمامة و أعمالها، فتزوج بنت طلبة بن قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد ين مقاعس – و هو الحارث – بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، و أوفد إبراهيم مقاتل بن طلبة إلى عبد الملك و معه أشراف من تميم و عامر بن صعصعة، و كتب إلى الحجاب أن يحسنوا أذنه فأذن له أول الوفد، فلما دخل على عبد الملك أدناه و أكرمه فقال:

و فضلني عند الخليفة أنني ... عشية وافت عامر و تميم

و جدت أبي عند الإمام مقدما ... لكل أناس حادث و قديم

فقال رجل من عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

لو لا حر قدمته لابن منكت ... مقلم ناب الاسكتين أزوم

---

(١) الأغاني، ٢٢٧/٢٤

لما كنت عند الباب أول داخل ... عشية وافت عامر و تميم

و كان إبراهيم اسود، ففيه يقول البعيث – و اسمه خداش بن بشر بن أبي خالد،و قد يقال: بشر بن خالد بغير كنية بن بينة بن قرط بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم:

ترى منبر العبد اللئيم كأنما ... ثلاثة غربان عليه وقوع

و في هذه القصيدة يقول:

و إن لها جارا إذا ما دعوته ... تحرد عاري الاشجعين منيع

أغر إذا ما شد عقدا لذمة ... حماها و طير في الدماء كروع

و سنقصي – إن شاء الله – ذكر البعيث عند ذكر ضبة بنت البعيث فإنها كانت شاعرة، و هي التي تقول **ترثي** أباها، و كان لما مات نعاه رجل من عكل:

نعاه لنا العكلي لا درده ... فيا ليته كانت به النعل زلت

فلن تسمعي صوت البعيث مماريا ... إذا ما خصومات الرجال تعلت

و إبراهيم هذا هو الذي استعداه منازل بن فرعان بن الأعرف من بني عبد منبه أبن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد، أخوه منقر بن عبيد على أبنه خليج بن منازل و قال:

تظلمني حقي خليج و عقني ... على حين صارت كالحني عظامي

رجاء لغول من حرام كأنما ... تسعر في بيتي حريق ضرام

يعني إن أبنه تزوج امرأة من حرام بن كعب بن ربيعة بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

لعمري لقد ربيته فرحا به ... فلا يفرحن بعدي أمرؤ بغلام

– في أبيات – فأراد إبراهيم بن عربي ضرب خليج فقال له: أصلح الله الأمير لا تعجل علي!! أتعرف هذا؟! منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه:

جزت رحم بيني و بين منازل ... جزاء مسيء يفتر طالبه." (١)

"١-الارتفاع بالانتساب إلى الأجداد والأمجاد، وقد جاء في اللسان: (انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب) ((١)). والانتساب إلى الأجداد هو الرابطة الرئيسة في ظاهرة الانتماء، وعظمة الأجداد الأماجد ترفع منزلة أبنائهم وتمنحهم الثقة الدافعة إلى الفخر والاعتداد بالنفس وبالآباء كالذي رأيناه في بيتي دريد وضرار السابقين.

---

(١) ادب الخواص، ص/١٣

٢- الإبعاد في المرعى، وهو دليل على الثقة بالنفس في المجتمع الجاهلي، فالأقوياء هم الذين يبعدون في الرعي إذ لا يخافون الغزو، ولا استلاب العدو لأموالهم. ويضاف إلى المعنين السابقين ما يلي:

٣-تقريب الشيء إلى الشيء في قول الطفيل الغنوي((٢)):

أرى إبلي عافت جدود فلم تدق ... بها قطرة إلا تحله مقسم

وبنيان لم تورد، وقد تم ظمؤها ... تراح إلى جو الحياض وتنتمي

وقد فسر شارح الديوان تنتمي بـ (ترفع إلى هذه الحياض). والرفع في اللسان (تقريبك الشيء من الشيء) ((٣))، والانتماء ظاهرة يتقارب المنضوون تحت لوائها.

٤-الهمة العالية في قول الخنساء **ترثي** صخرا:

"فنال التي فوق أيديهم ... من المجد ثم انتمى مصعدا

انتمى مصعدا، أي: عاليا للأمور)((٤)) ولا يكون ذلك إلا بكثيرة الأفعال المجيدة التي لا تكاد تتحقق في المجتمع القبلي إلا في ظل الانتساب (الانتماء) إلى أجداد أماجد.

---

(١) -اللسان: (نمي). وانظر امرأ القيس الكندي، ١٩٩٠م، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ص٢٠٤.

(٢) -الطفيل الغنوي، ١٩٦٨م، ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص٧٦. وعافت: كرهت. وجدود: ماء بعينه. والمقسم: الذي يقسم الماء في الإناء. وبنيان: موضع. وتراح: تستخف.

(٣) -اللسان :(رفع)

(٤) -ديوان الخنساء ص٨٥.." (١)

"وفي مقابل إعزاز البعل لزوجه كانت الزوج تحترم بعلها، وتجله. وقلة الشعر الدال على ذلك ترجع إلى إعراض المرأة عن البوح بمشاعرها، فإظهار المرأة لمشاعرها تجاه زوجها أو خطيبها أو حبيبها أمر تأباه

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٢٨/١

طبيعة المرأة التي اعتادت أن تكون مرغوبة لاراغبة، وأن تظهر مشاعر حبيبها، وتخفى مشاعرها. وثمة مجال كانت تظهر فيه مشاعر المرأة في الشعر الجاهلي، وهو رثاء الأقارب، ومنهم الزوج، كقول الخرنق بنت بدر **ترثي** زوجها(١):

آلا أقسمت آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق

وقولها تبين أسى الزوجات لمقتل أزواجهن(٢):

وبيض قد قعدن وكل كحل ... بأعينهن أصبح لا يليق

ومن إكرام الزوجة لزوجها ولأسرتها الزواجية أن تمدح أهل زوجها، وتعلي شأنهم كقول ضباعة بنت عامر القشيرية، وهي ترقص ابنها المعيرة بن سلمة المخزومي (٣):

نمى به إلى الذرى هشام ... قرم وآباء له كرام
جحاجح خضارم عظام ... من آل مخزوم هم الأعلام
الهامة العلياء والسنام

إن العرف الجاهلي يحتم على الزوج أن تكون مخلصة لزوجها، وأن تتفانى في بناء أسرتها الزواجية فبذلك تحمد، وبنقيضه تذم. يقول عمرو بن شأس يصف ظعائن كريمات من بني ليث بن بكر(٤):

ظعائن من ليث بن بكر كأنها ... دمى العين، لم يخزين عما ولا بعلا
هجان إذا استيقظن من نومة الضحى ... قعدن فباشرن المساويك والكحلا

---

(١) ديوان الخرنقص٣٩.
(٢) المصدر السابق ص٤٢. ورثت الخنساء زوجها مرداس بن أبي عامر. انظر ديوان الخنساء ص١٧٠-١٧٩.

(٣) الأمالي ٢/١١٦-١١٧.

(٤) شعر عمرو بن شأس ص٤٥. والهجان: النساء الكريمات.." (١)

"من مال يجبي ويجبى له ... سبعون قنطارا من العسجد

ولقد سعى سادة السوقة بالوفادة إلى تحقيق مكاسب سياسية ترفع شأنهم، وتعزز منازل قبائلهم بين العرب، ولذلك "جعلوا من ملوك المناذرة والغساسنة حكاما يرجعون إليهم في خصوماتهم، وتنافسوا في كسب ودهم" (١)، فكان سادة السوقة يخطبون بين أيدي الملوك، ويتناشدون الأشعار ليحكموا في خصوماتهم، ومن أشهر الأخبار الدالة على ذلك اجتماع وفدي تغلب وبكر عند عمرو بن هند، وإنشاد معلقتي عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة في حضرة عمرو الذي حكم لبكر على تغلب (٢). وقد تكون وفادة سادة السوقة لاسترضاء الملك واستتخلاص أسراهم من يده(٣).

لقد عظم السوقة الملوك بالوفادة إليهم، وبتحكيمهم في خلافاتهم، وباسترضائهم لنيل العطايا، وفك الأسارى، ورأى السوقة في التقرب من الملوك والتشبه بهم مفخرة عظيمة، ومثلما افتخر السوقة بالوفادة على الملوك فقد افتخروا بالخطابة وبإنشاد الأشعار في حضرتهم(٤)، ورأوا في منادمة الملوك ارتقاء يستدعي الاعتزاز: وعظم السوقة بقرن أسمائهم بالملوك كقول الحرنق ترثي زوجها عبد عمرو بن بشر (٥):

ألا هلك الملوك وعبد عمرو ... وخليت العراق لمن بغاها

ومدح سادة السوقة بالإصهار إلى الملوك، كقول زهير في مديح هرم(٦):

فضلة فوق أقوام، ومجده ... مالم ينالوا، وإن جادوا، وإن كرموا

---

(١) -السفارة السياسية ص٤٣.

(٢) -انظر شرح القصائد العشر ص ٣١٧-٣٦٩،٣١٩-٣٧١.

(٣) -انظر اشعارا دالة على ذلك في ديوان النابغة ص٦٧-٧٢، وديوان شعر حاتم ص١٨٠-٢٦٦،١٨٥، وديوان علقمة ص٤٨.

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ١/١٣٣

(٤) –انظر أشعارا دالة على ذلك في ديوان أوس ص١٠٣، وشرح ديوان لبيد ص ١٩٣–١٩٦ وشرح ديوان الحماسة ٧٢٨/٢.

(٥) –انظر ديوان الخرنق ص٤٢ وشعر النابغة الجعدي ص٣٦–٣٨.

ديوان الخرنق ص٥٣.

(٦) –شعر زهير ص١٠٧.." (١)

"ولقد أراك ولا تؤبن هالكا ... عدل الأصرة في سنام الأكوم

ما يوضح موقف أصحاب الإبل من الرعي، إنهم يفتخرون بامتلاك الإبل وتوفير المراعي لها، وبالرعي، ولكن افتخارهم لا يعدو أن يكون اعتداد رب عمل بعمله، فاعتداده بعمله لا يمنعه من امتهان من يشتغلون عنده، وبذلك يمكن أن نفهم ذم الأعراب (الرعاة) للرعي، كقول الخنساء **ترثي** أخاها صخرا((١)):

إن أخي ليس بترعية ... نكس هواء القلب ذي ماشيه

وكان قيام الرجال بالرعي أقل هوانا من قيام النساء به، فحرصت النساء على ألا يمارسن الرعي، وعلى أن يبعدن عن كل ما يدمغهن به((٢))، وقد افتخر ذو الإصبع العدواني بقوله: ((فما أمي براعية))((٣))، وهجا الحطيئة قوما بأن نساءهم يعملن بالرعي((٤)).

---

(١) ديوان الخنساء ص٣٢١، والترعية: الراعي الذي يلزم الإبل، ويحسن القيام عليها. ونكس: ضعيف. وهواء القلب: قلبه خال. وافتخر أبو خراش الهذلي (شرح أشعار الهذليين ١٢٣٢/٣) بأنه يغزو مع صديق ليس راعيا، وافتخر الحارث بن همام الشيباني (شرح ديوان الحماسة ١٤٦/١) بأنه لا يمارس الرعي، وذم غيره به، وهجا خداش بن زهير (أشعار العامريين الجاهليين ص٤٦) قوما بأنهم يمارسون الرعي، ونفى تأبط شرا (ديوانه ص١٧٣، ١٧٦) عن نفسه أن يكون راعيا. وانظر مثل ذلك في الأغاني ٢١/١٩، وشعر عبدة ص٣٨.

(٢) غاب عن امرأة رجالها الحلابون، وعندها صبي قد جاع وعطش، فجاءت إلى شاة، فوضعت يده على

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٣٣٩/١

طبيها (حلمة ضرعها)، وهي تعصر فوق يده، وتقول: يحلب بني وأضب على يديه. وقد فعلت ذلك فرارا من أن تذم بالحلب، وهو من أعمال الرعاة. انظر النقائض ٣٣٢/١.

(٣) ديوان ذي الإصبع ص٩٣.

(٤) ديوان الحطيئة ص١٦٤. وانظر ديوان عامر ص١٤، وديوان النابغة ص١٤٢.." [1]

"وكانت بعض تحالفات الأفراد متينة بدليل مدح بعضهم بعضا((١))، واستشارة بعضهم بعضا في أمور جليلة؛ ففي يوم ذي قار كان يزيد بن حمار السكوني حليفا لبني شيبان فقال لهم ((أطيعوني، وأكمنوا لهم كمينا، ففعلوا، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم))((٢)). وفي هذا الخبر ما يظهر بجلاء عظمة منزلة الحليف، وشدة ارتباطه بحلفائه، بحيث يغدو واحدا منهم بل رئيسا لهم أحيانا، وإن في إطلاق لفظة المولى على الحليف وعلى ابن العم ما يؤكد متانة العلاقة بين الحلفاء في الجاهلية، يقول الحصين بين الحمام المري مفرقا بين المولى النسيب والمولى الحليف((٣)):

موالينا: مولى الولادة منهم ... ومولى اليمين، حابسا، متقسما

وقد أكثر الشعراء من الامتداح والافتخار بحماية المولى ورعايته، والحلم عليه، ومن غمز قناة من يخذل المولى، ولا يرعى حقوقه، ومن ذلك الشعر قول الخنساء **ترثي** صخرا((٤)):

لهفي عل صخر لقد كان عصمة ... لمولاه إذ نعل بمولاه زلت

يعود على مولاه منه برأفة ... إذا ما الموالي من أخيها تخلت

---

(١) انظر معجم الشعراء ص٣٦.

(٢) النقائض ٦٤٢/٢.

(٣) شرح اختيارات المفضل ٣٢٣/١. ومولى اليمين: الحليف، وسمي بذلك لأن الذي يحالف يضرب بيمينه على من يحالفه. وفيه: ((كأنه حبس نفسه عل الشر..(و) يريد أنه قد أقسم لا يرجع عن ظلمنا)). وانظر اللسان: (حلف) وفيه: ((ابن العم مولى، وابن الأخت مولى، والجار والشريك والحليف؛ وقال

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤١٣/١

الجعدي: موالي حلف لا موالي قرابة)).

(٤) ديوان الخنساء ص٣٣٩. وانظر مثل ذلك في ديوان ذي الإصبع ص٦٦، وديوان حسان ص١٤٥، وديوان الحطيئة ص١٨٩، وديوان دريد ص٩٩، وديوان عمرو بن قميئة ص٧٩، وديوان شعر حاتم ص٢٢٤، ٢٣٧، وشعر زهير ص٢٨٠، وأشعار العامريين الجاهليين ص٥٠، والأمالي ١٢٢/٢، والمعاني الكبير ٤٩٨/١، ومعجم الشعراء ص٨٣.." (١)

"ولكن تعظيم الحلة للحمس ليس مطلقا، فتأله الحمس هوالسبب الرئيس لتعظيمهم، والتأله يوجب الإحجام عن غزو الناس وقتلهم، فإن كان للحلة ثأر عند الحمس فلا تعظيم للحمس، ولا حرمة لهم، قتل بنوعامر لقيط بن زرارة التميمي، وهو من الحلة، يوم شعب جبلة، قالت ابنته دختنوس **ترثيه**، وتهدد بني عامر الحمس(١):

فإن تعقب من عامر يكن ... عليهم حريقا لا يرام إذا سما

ليجزيهم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماءالحمس يامال من بوا

وأما الطلس، فهم (سائر أهل اليمن، وأهل حضرموت، وعك، وعجيب، وإياد بن نزار)(٢)، وكانت الطلس بين الحلة والحمس (يصنعون في إحرامهم مايصنع الحلة، ويصنعون في ثيابهم، ودخولهم البيت مايصنع الحمس)(٣). ويبدو من شعرلعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وهو من الطلس، أن الطلس كانوا يقرون للحمس بعظمة منزلتهم الدينية، وذلك في قول عمرو مهددا العباس بن مرداس السلمي(٤):

أعباس لو كانت شيارا جيادنا ... بتثليث، مانصايت بعدي الأحامسا

ومن المعروف أن سلما نازعت الأحامس (قريشا) في حروب الفجار (٧)، فكأن عمرا أراد بقوله السابق، ذم سليم لمحاربتها قريشا، بأنه سينتصر الحمس معبرا بذلك عن تعظيم الطلس للحمس.

---

(١) النقائض ٦٦٥/٢.

(٢) المحبر ص ١٧٩

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٤٤٧/١

(٣) المصدر السابق ص١٨١

(٤) شعر عمرو بن معد يكرب ص١١١، وشيارا: سمانا، وتثليث: واد بنجد، وناصيت: نازعت وباريت، وقيل في تفسير الأحماس: أراد قريشا.

انظر شعرا لضرار بن الخطاب الفهري(شعره ص٤٧) يدل على ذلك.." (١)

"ومن ذلك الرثاء قول زينب بنت مالك العامرية ترثي يزيد بن عبد المدان الحارثي، وكان له يد عندها(١):

سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم

رماح من العزم مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم

ومن تواصل القبائل الرضا بإشهاد الأباعد على حسن الفعال كقول حاتم الطائي يخاطب ملكا(٢):

فتجمع نعمى على حاتم ... وتحضرها من معد شهودا

وإذا كان حاتم، وهو من عرب الجنوب، يرضى بإشهاد عرب الشمال (معد)، فإن بعض الشعراء افتخروا بإشهاد القبائل كلها على أفعالهم، ومنهم عبد الله بن رواحة في قوله(٣):

وقد علم القبائل غير فخر ... إذا لم تلف مائلة ركودا

بأنا تخرج الشتوات منا ... إذا ما استحكمت حسبا وجودا

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧.

(٢) ديوان شعر حاتم ص ١٩٧، وأراد بالنعمى: فك الأسر.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص٩٠.." (٢)

---

(١) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٢/١٤

(٢) الانتماء في الشعر الجاهلي * دراسة *، ٢/٣٣

"وقد زعم أناس أن عبد الله بن عمر بن العاص كان أعسر يسر، لأنه كان يقاتل في حرب صفين بسيفين وهذا لا يكون.

وممن كان يتقلد سيفين في الحرب ولا يضرب بهما معا بيد ولا بيدين عباس النخشي، وأنا رأيت رمحه وكان كله من حديد. وكان الصفري الذي قتله ابن راعول أيام المبيضة يتقلد بسيفين، وكان الفضل بن سهل يتقلد بسيفين يجعلهما كالوشاح، وقد تقلد خالد بن الوليد في يوم مؤتة عدة أسياف، وانقطعت في يده تسعة أسياف. وكان عمرو بن معدي كرب يقول: عليكم بالنفح وإياكم والهبر فإنه يقطع متن السيف. ولم يكن عمرو أعرف بذلك من خالد.

وقد يستعمل الرجل يديه جميعا في مواضع نحن ذاكروها إن شاء الله، وقالت امرأة ترثي عمير بن معبد بن زرارة:

أعيني ألا فابكي عمير بن معبد ... وكان ضروبا باليدين وباليد

تعني باليد السيف، وتعني باليدين القداح، وقربوا إلى حسان بن ثابت طعاما بعد أن كف بصره، فقال لابنه: أطعام يد أو يدين، طعام اليد الثريد وما أشبه ذلك من الحريرة والعصائد والحيس والوطيئة والأرز والفالوذج وما أشبه ذلك، وطعام يدين كالشواء وما أشبه ذلك.

وقال يزيد بن أسيد لغلام له وقد أتوه بأسير اضرب، ولم يزده على ذلك، فقال الغلام: بيدين أو بيد، فقال: بيدين، فضرب عنقه، فأعتقه يزيد بن أسيد وزوجه وأدناه للذي رأى من فهمه وجودة استفهامه.

وقال الفرزدق مثل ذلك حين ضرب عنق الرومي فنضا سيفه فضحك الناس:

أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم ... خليفة الله يستسقى به المطر

ولن تقدم نفس قبل ميتتها ... دمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

لأنهم كانوا يفعلون ذلك إذا ضربوا الأعناق، وقالت بنت عتيبة بن مرداس ترثي أباها:

وكان عتيبة....... ... ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروب باليدين إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا

قالوا: كان يلحق الفارس والفارس مستخذ له حتى يجمع يديه على مقبض سيفه ثم يضربه، لأن ذلك لا يمكن في نفس المعركة وعند المشاولة والمنازلة، وقالت خرنق بنت هفان:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

الضاربين لدى أعنتهم ... والطاعنين وخيلهم تجري

ولم ترد أنهم يطعنون بالرماح ويضربون بالسيوف، ولكنها خبرت أنهم كانوا فرسانا ولم يكونوا رجالا ولا ركبانا.
وحدثني حسين بن عبيد، وكان من خاصة أبي السرايا، قال: كان أبو السرايا إذا لحق الفارس لا يضربه بسيفه حتى يجوزه ثم يستقبله بضربة.
ويقال: قد أخذ فلان فلانا باليدين، وقال الشاعر:
وإذا صنعت صنيعة أتممتها ... بيدين ليس نداهما بمكدر
وإذا تباع كريمة أو تشتري ... فسواك بائعها وأنت المشتري
ومما يحفظ مع هذين البيتين وإن لم يكن فيه ذكر اليدين قول الشاعر:
إذا لبسوا عمائمهم طووها ... على كرم وإن سفروا أناروا
يبيع ويشتري لهم سواهم ... ولكن بالطعان هم تجار
إذا ما كنت جار بني خريم ... فأنت لأكرم الثقلين ج١ر
وقال سليم:
وذي كلب تعادي القوم منه ... تركت مجدلا والقوم زور
جمعت له يدي بذي كعوب ... عشا سوآته عني تطير
فذكر أنه طعن بيديه جميعا، وهذا عند أهل الحرب اليوم، وإنما هو طعنة رجل إلا أن يكون في حال استخذاء من المطعون وقد أمن ما وراء ظهره، وقد قالوا في معنى قول القائل أخذ فلان فلانا باليدين، قال الحارث بن الوليد وكان شاعرا:
ألا أبلغ بني أروى رسولا ... وما أربي إلى كذب ومين
فإني قد طلبت العذر منكم ... كما طلب البراءة ذو رعين
فلولا الله والإسلام مني ... وما قد لف بينكم وبيني
رحلتكم بقافية شرود ... من المثال عينا غير دين
كأنكم وتركتكم أخاكم ... وأخذكم المحير باليدين
كعاطلة أرادت أن تحلي ... فخيرت الرصاص على اللجين." (١)
"""""""" صفحة رقم ٧٧ """""""
شرب أعرابي شربة من لبن فقال : من رزقه الله الشكر من النعمة باللبن فقد ألهمه الشكر على جميع النعم

---

(١) البرصان والعرجان، ص/٦٥

لأنه يجمعها . قيل لأحيحة بن الجلاح : أي المال أحب إليك ؟ قال : ودية ملمة ، أونعجة مرمة . أنشد أبو نصر غلام الأصمعي : الطويل لنا صرم ينحرن في كل شتوة . . . إذا ما سماء الناس قل قطارها ونحمي بها العرض الكريم ونتقي . . . ويروي ظماء المعتفين شعارها قال أعرابي من أهل اليمامة : عندنا ثمرة تسمى البردي لهي أحسن من العقيان في صدور الفتيان ، فإن جعلتها نبيذا فهي سم الأساود ، والقائم فيها ساجد . وصف أعرابي رجلا فقال : كان الفهم منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ، لم أر أحدا أرتق لخلل ثأى منه ؛ كان بعيد مسافة الرأي ومراد الطرف ، إنما يرمي بهمه حيث أشار له الكرم ، يتحسى مرار الإخوان ويسقيهم العذب . أعرابية ترثي : المتقارب ألا هلك الجود والنائل . . . ومن كان يعتمد السائل." (١)

(ضربت لهم أبط الشمال فأصبحت ... يرد غواة آخرين نكالها)

وقال شتيم بن خويلد

(وقلت لسيدنا يا حليم ... إنك لم تأس أسوا رفيقا)

(أعنت عديا على شأوها ... تعادي فريقا وتبقى فريقا)

(زجرت بها ليلة كلها ... فجئت بها مؤيدا خنفقيقا)

وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولها لابن له

(يا بأبي انت ويا فوق بأب ... يا بأبي خصيك من خصي وزب)

(أنت الحبيب وكذا قول المحب ... جنبك الله معاريض الوصب)

(حتى تفيد وتداوي ذا الجرب ... وذا الجنون من سعال وكلب)

(والحدب حتى يستقيم ذو الحدب ... وتحمل الشاعر في اليوم العصب)

(على مباهير كثيرات التعب ... وان أراد جدل صعب أرب)

(خصومة تنقب أوساط الركب ... أطلعته من رتب الى رتب)

(حتى ترى الأبصار أمثال الشهب ... ترمي بها أشوس ملحاح كلب)

(مجرب الشدات ميمون مذب ...)

وقالت ابنة وثيمة ترثي أباها وثيمة بن عثمان

---

(١) البصائر والذخائر ، ٣/٧٧

(الواهب المال التلا ... دلنا ويكفينا العظيمة)

(ويكون مدرهنا إذا ... نزلت مجلحة عظيمة)

(وآحمر افاق السما ء ... ولم تقع في الارض ديمه)

(وتعذر الآكال حتى ... كان أحمدها الهشيمة)

(لا ثلة ترعى ولا ... إبل ولا بقر مسيمه)

(ألفيته مأوى الأرامل ... والمدفعه اليتيمه)

(والدافع الخصم الألد ... اذا تفوضح في الخصومه)

(بلسان لقمان بن عاد ... وفصل خطبته الحكيمه)

(ألجمتهم بعد التدافع ... والتجاذب في الحكومه)

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والأصغر ولقيم بن لقمان في النباهة والقدر وفي العلم والحكم وفي اللسان وفي الحلم وهذان غير ." (١)

"وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالا: " أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل، نزلوا في عدنان بن أد بن أدد، أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص قرشت، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا حروفا ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والطاء والغين قسموا بالروادف " . وقد روي أنهم كانوا ملوك مدين، وأن رئيسهم كلمن وأنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه:

كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه آل ... حتف نارا وسط ظله

كونت نارا فأضخت ... دار قومي مضمحله

وقيل: إن هؤلاء أخذوا كتاب إسماعيل عليه السلام، فعملوا منه كتابا يتعلم منه، لأن الأحاديث عنهم أنهم استعربوا وضعوا الكتاب العربي والله أعلم.

وروي عن ابن جعدة " أن أول من كتب العربية مرامر بن مرة. وأسلم بن الدرة، اجتمعا حتى وضعا مقطعه وموصله، وهما من أهل الأنبار " . قال: وسئل المهاجرون من أين تعلموا الكتاب فقالوا: من أهل الحيرة. فسئل أهل الحيرة من أين تعلموا، فقالوا: من أهل الأنبار.

---

(١) البيان والتبيين، ص/١٠٧

وقد أعرب الناس أبا جاد وسعفصا، فقال معاذ الهراء يخاطب رجلا عاب النحو والعربية:

عالجتها أمرد حتى إذا ... شبت ولم تعرف أبا جادها

سميت من يعلمها جاهلا ... يصدرها من بعد إيرادها

وقال آخر:

وخطوا لي أبا جاد وقالوا ... تعلم سعفصا وقريشات

حدثنا الحسين بن مرثد، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا يونس، قال: سمعت أبا عمرو يقول: العرب كلها أولاد إسماعيل فأصهر إليهم، والعربية التي روى محمد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم، أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام فإنما يعني اللسان الفصيح الذي نزل به القرآن وعربية حمير وبقايا جرهم، غير هذه ليست بفصيحة.

أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداؤه

قال الصولي: سألت أبا خليفة بن حباب الجمحي عن ابتداء الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سأل ابن عائشة عبيد الله بن محمد بن حفص عن ذلك، فقال: حدثني أبي أن قريشا كانت تكتب في جاهليتها " باسمك اللهم " ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم نزلت سورة هود وفيها " بسم الله مجراها ومرساها " فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكتب في صدر كتبه: " بسم الله " ، ثم نزلت في سورة بني إسرائيل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى " ، فكتب: " بسم الله الرحمن " ، ثم نزلت في سورة النمل: " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم " . فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة. وكتب " بسم الله الرحمن الرحيم " في أول كل سورة من القرآن، إلا في أول سورة التوبة، فإنه يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: لم يكتب بين الأنفال بسم الله الرحمن الرحيم والأنفال من أول ما أنزل الله في المدينة، وبراءة من آخره، إلا أنها تشبهها، وقصتها كقصتها. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ربما تلا الآيات فيقول: " هذه مكانها في سورة كذا، فاجعلها تليها " . وهذا بفضل من الله عز وجل عليهم.

كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه

والمعنى: اقرأ يا محمد بسم الله وقل بسم الله، ثم حذفت قل ليعلم المخاطب أن معناه الأمر.

والباء صلة فعل محذوف حذف لعلم القارئ به وهو: أبدأ بسم الله وأقرأ بسم الله، لأن جبريل كان إذا نزل بالوحي قال: " اقرأ يا محمد، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ بسم الله " . والمعنى في الابتداء بها، في غير القرآن،

بدأت بسم الله. ثم كثر ذلك وعلم حتى أسقطوا بدأت. وقال سيبويه: معنى الباء الإلصاق تقول: كتبت بالقلم، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم. وهي مكسورة أبدا لأنه لا معنى لها إلا الخفض، فوجب أن يكون لفظها مكسورا.

والله تبارك اسمه، اسم خاص للمعبود جل وعلا، لا يسمى به سواه. قال الله تعالى: " هل تعلم له سميا " . قال المفسرون: لا يعلم من تسمى الله إلا الله عز وجل، ولا يعرف لهذا الإسم اشتقاق من فعل. ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه لأنه يكلف لا يضر تركه.." (١)

"كم ليل بتيه تلالي في ظلام حالك ما حد مناس خد بيدك دعك منهم

واشكي لرب السما مللي ظلم حالك

(وقلت)

أهيف من الروم قده يزدرى لين آس في مصر والروم قده ما صف إلى ناس

بعدين أقول إيه صده صيره لي ناس في كل حاليه عبده ما نسى أنسه

مين يا ترى ليه صده عن صفا ليناس

(وقلت)

أهيف بقربه وبعده في هواه أودان احترت ما عرفت أن كان هو بعيد أودان

أو هو عصى أمر حسادي عليه أو دان سر يا نسيم أنت واستعرف لنا بلطفك

في السربس أحسن الحيطان لها اودان(وقلت)

قلت للعذول استفدت ايه أنت ويش نابك عمال تفتل في دقنك بس واشنا بك

طول النهار دردشه والله اندوشنابك وتبات من الغيظ تتقرمش على أسنانك

حتى المنام شتته منا جوش نابك

(الكلام على المواليا)

قيل أول من نطق بالموالي أهل واسط أو جارية للبرامكة قالته **ترثيهم** به وجعلت تنشده وتقول يا مواليا وقد كان الخليفة بعده مقتلهم أمر أن لا يرثيهم أحد بشعر أو سمى بهذا الاسم الموالاة قوافيه بعضها البعض أولان أول من استحدثه الموالي (موالي بني برمك) اولانهم كانوا إذا نعى أحدهم به مواليه قال يا مواليا فهو على الأول (موالي) بضم الميم وفتح اللام وعلى ما بعده (موالي) بفتح الميم

---

(١) أدب الكتاب للصولي، ص/٣

وكسر اللام أو (مواليا) بإضافة موالي إلى ياء المتكلم وإدغام الياء في الياء وزيادة الألف للإشباع ويحتمل عدم تشديد الياء تخفيفا ذكر ذلك عصرينا الأديب السيد شهاب الدين رحمة الله عليه قال وهو من بحر البسيط ووزنه واحد على اختلاف تنويع آره مع قوافيه على وزن فاعل ومفعول وفعال وفعل وأفعل وغير ذلك اه وحكى صاحب العقيدة الدر ويشية في سبب تسميته وجها آخر وهو أن الجارية التي استحدثته اسمها موالي وأن هارون بعد قتل البرامكة أمر أن لا يرثيهم أحد بفن من الفنون (فنون النظم) الموجودة إذ ذاك وهي (الشعر والتوشيح والدربيت والزجل وكان وكان والقومه)." (١)

"" مطلب وفادة مسلم بن الوليد الشاعر على يزيد بن مزيد وما رثاه به بعد وفاته " وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثنا أبو الحسن بن البراء قال حدثنا عبد الرحمن بن أحمد الجعفي قال: كان شاعر يفد إلى يزيد بن مزيد في كل سنة، فقال له يزيد: كم يطفيك في كل سنة؟ فقال: كذا وكذا، فقال: أقم في بيتك يأتك ذلك، ولا تتعبن إلينا. فلما مات رثاه بهذه الأبيات: - والشاعر مسلم بن الوليد، قال وقال أبو الحسن بن البراء قال لي ابن أبي طاهر: الشاعر هو التيمي -

أحق أنه أودى يزيد ... تأمل أيها الناعي المشيد

أتدري من نعيت فكيف فاهت ... به شفتاك كان به الصعيد

أحامى المجد والإسلام أودى ... فما للأرض ويحك لا تميد

تأمل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمه وهل شاب الوليد

وهل شيمت سيوف بني نزار ... وهل وضعت عن الخيل اللبود

وهل تسقي البلادعشار مزن ... بدرتها وهل يخضر عود

أما هدت لمصرعه نزار ... بلى وتقوض المجد المشيد

وحلذ ضريحه إذا حل فيه ... طريف المجد والحسب التليد

أما والله ما تنفك عيني ... عليك بدمعها أبدا تجود

فإن تجمد دموع لئيم قوم ... فليس لدمع ذي حسب جمود

أبعد يزيد تختزن البواكي ... دموعا أو تصان لها خدود

لتبك قبة الإسلام لما ... وهت أطنابها ووهى العمود

ويبكك شاعر لم يبق دهر ... له نشبا وقد كسد القصيد

---

(١) الآثار الفكرية، ص/٤٤٩

فمن يدعو الأنام لكا خطب ... ينوب وكل معضلة تؤد

ومن يحمي الخميس إذا تعايا ... بحيلة نفسه البطل النجيد

فإن تهلك يزيد فكل حي ... فريس للمنية أو طريد

ألم تعجب له أن المنايا ... فتكن به وهن له جنود

لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

" مرثية زينب بنت الطثرية في أخيها يزيد " قال أبو علي: وقرأت على أبي بكر بن دريد أبيات زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد، وأملاها علينا أيضا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله عن أحمد بن يحيى - وفي الروايتين زيادة ونقصان - وأنا آتي على جميعها؛ وفيها أبيات تروى للعجير السلولي ولها، وقد أملينا أبيات العجير:

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهى القميص كواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

إذا ماطها للقوم كان كأنه ... حمي وكانت شيمة لا تزايله

إذا القوم أموا بيته فهو عامد ... لا حسن ما ظنوا به فهو فاعله

إذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطل إن شئت أرضاك باطله

مضى وورثناه دريس مفاضة ... وأبيض هنديا طويلا حمائله

فتى كان يروى المشرفي بكفه ... ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

كريم إذا لاقيته متبسما ... وإما تولى أشعث الرأس جافله

ترى جازريه يرعدان وناره ... عليها عدا ميل الهشيم وصامله

يجران ثنيا خيرها عظم جاره ... بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

ولو كنت في غل فبحت بلوعتي ... إليه للانت لي ورقت سلاسله

ولما عصاني القلب أظهرت عولة ... وقلت ألا قلب بقلبي أبادله." (١)

"كأن الليل محبوس دجاه ... فأوله وآخره مقيم

لمهلك فتية تركوا أباهم ... وأصغر مابه منهم عظيم

يذكرنيهم ما كنت فيه ... فسيان المساءة والنعيم

فبالخدين من دمعي ندوب ... وبالأحشاء من وجدي كلوم

فإن يهلك بني فليس شيء ... على شيء من الدنيا يدوم

قال وأنشدني إسحاق بن الجنيد قال أنشدني أحمد الجوهري:

واحزني من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والأسد والمزن والرواسي ... والخفض والأمن والسكون

فكل نار لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

" قصيدة فارعة بنت شداد ترثي أخاها – وقيل أنها لعمرو بن مالك وقيل لأبي الطحمان – وشرحها " وأملى علينا علي بن سليمان الأخفش قال قال عمرو بن مالك بن يثربي يرثي مسعود بن شداد قال وقال يعقوب: هي لأبي الطحمان القيني ثم شبك، قال والصحيح أنها لعمرو، وقد قالوا: إنها لأمراة من جرم، وإنما وقع الخلاف ها هنا.

قال أبو علي وقرأتها على أبي عمر المطرز ءن أبي العباس عن ابن الأعرابي لفارعة بنت شداد ترثي أخاها مسعود بن شداد – وفي الروايتين اختلاف وتقديم وتأخير وزيادة ونقصان – ورواية أبي الحسن على الأخفش أتم، وهي هذه الأبيات:

يا عين بكى لمسعود بن شداد ... بكاء ذي عبرات شجوه بادي

من لا يذاب له شحم السديف ولا ... يجفو العيال إذا ماضن بالزاد

ولا يحل إذا ما حل منتبذا ... يخشى الرزية بين الماء والباد

قال أبو علي: لم يرو هذا البيت ولا الذي قبله ابن الأعرابي، ويروى: معتنزا مكان منتبذا وهما سواء، وقال لنا أبو الحسن الأخفش وحفظي والنادي:

قول محكمة نقاض مبرمة ... فتاح مبهمة حباس أوراد

---

(١) أمالي القالي، ص/١٧٢

وروى ابن الأعرابي: فراج مبهمة.

حلال ممرعة فراج مفظعة ... حمال مضلعة طلاع أنجاد

قتال طاغية رباء مرقبة ... منذاع مغلبة فكاك أقياد

وروى ابن الأعرابي:

قتال طاغية نحار راغية ... حلال رابية... ... ...

حمال ألوية شداد أنجية ... سداد أوهية فتاح أسداد

وروى ابن الأعرابي: " شهاد أنجية رفاع ألوية " وزاد هاهنا بيتين وهما هذان:

جماع كل خصال الخير قد علموا ... زين القرين ونكل الظالم العادي

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بني جرم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي كربة صادي

نعم الفتى ويمين الله قد علموا ... يخلو به الحي أو يغدو به الغادي

هو الفتى يحمد الجيران مشهده ... عند الشتاء وقد هموا بإخماد

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر بعد ما تغلى بازباد

والسائي الزق للأصحاب إذ نزلوا ... إلى ذراه وغيث المحوج الجادي

لاه ابن عمك لا أنساك من رجل ... حتى يجيء من القبر ابن مياد

قال أبو الحسن ويروي:

لاه ابن عمك لا أنسى ابن شداد ... حتى يجيء من الرمس... ... ...

ويروى:

لاه ابن عمك لا أنساك يا رجلا ... حتى يجيء الرمس... ... ...

إني وإياهم حتى نصيب به ... منهم أخا ثقة في ثوب حداد

لم يرو ابن الأعرابي من قوله: أبا رارة إلى هذا البيت إني وإياهم، وروى:

يا من يرى بارقا قد بت أرمقه ... يسري على الحرة السوداء فالوادي

ويروى: قد بت أرقبه، وروى ابن الأعرابي: جودا على الحرة السوداء، وأتبع هذا البيت البيت الذي هو أول القصيدة:

برقا تلألأ غوريا جلست له ... ذات العشاء وأصحابي بأفناد

بتنا وباتت رياح الغور تزجله ... حتى استتتب تواليه بأنجاد

ألقى مراسي غيث مسبل غدق ... دان يسح سيوبا ذات إرعاد

أسقى به قبر من أعني وحب به ... قبرا إلي ولما يفده فادي." (١)

"فهم سراع إليكم بين ملتقط ... شوكا وآخر يجني الصاب والسلعا

لو أن جمعهم راموا بهدته ... شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا

في كل يوم يسنون الحراب لكم ... لا يهجعون إذا ما غافل هجعا

خزر عيونهم كأن لحضهم ... حريق نار ترى منه السنا قطعا

لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم ... من دون بيضتكم ريا ولا شبعا

وأنتم تحرثون الأرض عن عرض ... في كل معتمل تبغون مزدرعا

وتلحقون حيال الشول آونة ... وتنتجون بذات القلعة الربعا

وتلبسون ثياب الأمن ضاحية ... لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا

أنتم فريقان هذا لا يقوم له ... هصر الليوث وهذا هالك صقعا

وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هول ظلم تغشاكم قطعا

مالي أراكم نياما في بلهنية ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

فاشفوا غليلي برأي منكم حسن ... يضحِ فؤادي له ريان قد نقعا

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا ... إذ يقال له افرج غمة كنعا

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا

صونوا خيولكم واجلوا سيوفكم ... وجددوا للقسي النبع والشرعا

واشروا تلادكم في حرز أنفسكم ... وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلعا

ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة ... كما تركتم بأعلى بيشة النخعا

اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا ... حتى ترى الخيل من تعدائها وجعا

فإن غلبتم على ضن بداركم ... فقد لقيتم بأمر حازم فزعا

لا تلهكم إبل ليست لكم إبل ... إن العدو بعظم منكم فزعا

هيهات لا مال من زرع ولا إبل ... يرجى لغابركم إن أنفكم جدعا

---

(١) أمالي القالي، ص/٢٨٥

لا تثمروا المال للأعداء إنهم ... إن يظفروا يحتووكم والتلاد معا

والله ما انفكت الأموال مذ أبد ... لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا

يا قوم إن لكم من أرث أولكم ... عزا قد أشفقت أن يودي فينقطعا

وما يرد عليكم عز أولكم ... إن ضاع آخره أو ذل واتضعا

ولا يغرنكم دنيا ولا طمع ... أن تنعشوا بزماع ذلك الطمعا

يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها ... إني أخاف عليها الأزلم الجدعا

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا

هو الجلاء الذي تبقى مذلته ... إن طار طائركم يوما وإن وقعا

هو الفناء الذي يجتث أصلكم ... فشمروا واستعدوا للحروب معا

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد أذاه يحطم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم ... يؤم منها إلى الأعداء مطلعا

ما زال يجلب در الدهر أشطره ... يكون متبعا يوما ومتبعا

وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قمحا ولا ضرعا

كمالك بن قنان أو كصاحبه ... زيد القنا يوم لاقى الحارثين معا

إذ عابه عائب يوما فقال له ... دمث لنفسك قبل اليوم مضطجعا

فساوره فألفوه أخا علل ... في الحرب يختبل الرئبال والسبعا

مستنجدا يتحدى الناس كلهم ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا إن خير القول ما نفعا

وقالت الخنساء بنت عمرو **ترثي** أخاها صخرا

أقذى بعينك أم بالعين عوار ... لا بل بكيت لمن أقوت له الدار." (١)

---

(١) أمالي المرزوقي، ص/٥٠

"وبعينيه إذا ينوء بأيدي ... هم ويكبو في صائك كالفصيد

الصائك الدم المتغير.

نظر الليث همه في فريس ... أقصدته يدا نجيد معيد

ساندوه حتى إذا لم يروه ... شد إجلاده على التسنيد

يئسوا ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود

وهم ينظرون لو طلبوا الو ... تر إلى واتر شموس حقود

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد ثناهم بعديد

يا بن حسناء شق نفسي يا لج ... لاج خليتني لدهر شديد

يبلغ الجهد ذا الحصاة من القو ... م ومن يلف واهيا فهو مود

كل عام أرمى ويرمى أمامي ... بنبال من مخطئ أو سديد

ثم أوحدتني وأخلت عرشي ... بعد فقدان سيد ومسود

وثللت عرشي.

من رجال كانوا جبا لا بحورا ... فهم اليوم صحب آل ثمود

خان دهر بهم وكانوا أهم أهل ... عظيم الفعال والتمجيد

مانعي بابة العراق من النا ... س بجرد تعدو بمثل الأسود

كل عام يلثمن قوما بكف الدهر ... حمقا وأخذ حي حريد

وأخذ حي - وخد حي.

جازعات إليهم خشع الأو ... داة تسقى قوتا ضياح المديد

الأوداة جمع واد، ضياح تضيح لها بالماء.

مسنفات كأنهن قنا الهن ... دونسي الوجيف شغب المرود

مسنفات متقدمات، والمسنفات التي قد قلقت سروجها فسنفت إلى صدورها لضمر بطونها حتى لا تقلق حزمها، والمرد المارد، مسنفات ضوامر.

مستقيم بها الهداة إذا يقطعن ... نجدا وصلنه بنجود

فإنا اليوم قرن أعضب منهم ... لا أرى غير كائد ومكيد

غير ما واضع جناحي لقوم ... حين لاح الوجوه سفع الوقود

قال خاضع جناحي أود.
كان عني يرد درؤك بعد ال ... له شغب المستصعب المريد
من يردني بسيئ كنت منه ... كالشجا بين حلقه والوريد
أسد غير حيدر وملد ... يطلع الخصم عنوة في كؤود
وخطيب إذا تمعرت الأو ... جه يوما في مأقط مشهود
ومطير اليدين بالخير للح ... مد إذا ضن كل جبس صلود
أصلتي تسمو العيون إليه ... مستنير كالبدر عام العهود
معمل القدرنا به النار باللي ... ل إذا هم بعضهم بخمود
يعتلى الدهر إذا علا عاجز القو ... م وينمي للمستتم الحميد
يعني أن الدهر يعلو عاجز القوم وينمي للحازم وهو المستتم.
وإذا القوم كان زادهم اللحم ... قصيدا منه وغير قصيد
وقصيد منه وغير قصيد.
وسما بالمطي والذبل الصم ... لعمياء في مفارط بيد
مفارطها أوائلها وما تقدم منها.
مستحن بها الرياح فما يجتا ... بها بالظلام غير هجود
الهجود هاهنا اليقظان، وهو من الأضداد والهجود النائم واليقظان.
وتخال العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مشهود
العزيف صوت الجن، مشهود محضور.
قال سيروا إن السري نهزة الأكيا ... س والغزو ليس بالتمهيد
وإذا ما اللبون سافت رماد النا ... ر قصرا بالسملق الأمليد
قصرا عشيا، والأمليد والأمليس ما اتسع من الأرض، وسافت شمت.
بدل الغزو أوجه القوم سودا ... ولقد أبدأوا ولسن بسود
ويروي: وغزوا حين أبدأوا غير سود.
ناط أمر الضعاف واجتعل الليل ... كحبل العادة الممدود
في ثياب عماد هن رماح ... عند جرد تسمو سمو الصيد

كالبلايا رؤوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود

إن تفتني فلم أطلب عنك نفسا ... غير أني أمنى بدهر كنود

كل عام كأنه طالب ذح ... لا إلينا كالثائر المستقيد

أنشدنا ابن حبيب وأبو العباس الأحول وأحمد بن يحيى لأعشى باهلة وهو عامر بن الحارث ويكنى أبا قحفان يرثي المنتشر بن وهب الوائلي. ويقال أنها للدعجاء أخت المنتشر ترثي أخاها.

إني أتيت بشيء لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

ويروى من علو، ومن عل، ويقال أتيتك من علا، ومن معال، ومن عل، وقوله لا عجب أي ليس ببديع لأن الناس يموتون ويقتلون فلا سخر من ذلك أي لا عجب فيه ولا هزء منه، وروى الأصمعي: قد جاء من عل أنباء أنبؤها.

فظلت مكتئبا حران أند به ... وكنت أحذره لو ينفع الحذر." (١)

"كانت تبدو كالمشنقة، "كل حرف عصب يلهث في صدرك رعبا "كما أن الخيط كان صورة من المشنقة أيضا، كان " حبالا من جليد " ، وقد هرب المحب من مشنقة حقيقية إلى أخرى رمزية، وكانت حياته ؟في نظر الشاعرة – ضرورية ليتعذب ويقاسي أهوال الندم ويغرق في لحج الضياع. وقد كانت الشاعرة قادرة على أن تجعل ذلك الخيط جزءا من الذكريات، فيصير في يد المحب شيء من الماضي، ولكنها أبت حتى ذلك عليه، إذ أنه بعد فراق شهرين، عاد ليرى الخيط وهو لا يدري متى شد في موضعه؟ من شده؟ ولماذا علقوه، أنه شيء لم يكن له في تاريخ الحب علاقة بالمحبوبة، ومع ذلك فقد تعلق به المحب، لعله أن يكون أثرا من آثار تلك التي ماتت، لعله؟ ألم يكن مشدودا إلى شجرة السرو، وهذه الشجرة ترمز إلى المحبوبة، أتراها هي التي وضعته هنالك ليرمز إلى أنها أحكمت ربقة الموت حول نفسها وحول حبها وحول الماضي؟؟ علالة نفس هي كل ما تبقى له من " الحب العميق " ، وعدم اتصال الخيط بأي شيء من ذكريات الماضي يعمق مشاعر التشفي والشماتة، ويومئ في سخرية خفية إلى أن المحب حين فقد كل شيء انتحل لنفسه وجود لغز حسبه متصلا بالماضي ليتأمله على البقاء.

وقد قسمت الشاعرة قصيدتها في سبعة مقاطع (أو دورات)، ولكن هذه القسمة لم تكن ذات قيمة في البناء الفني للقصيدة، لأنها لا تمثل مراحل دقيقة في نموها واسترسالها، ولهذا يستطيع الدارس أن يغفل هذا المظهر دون أن يجوز بذلك على المبنى العام للقصيدة، وهو مبنى قائم في جملته على التوازي المستمر

---

(١) أمالي اليزيدي، ص/٣

بين شيئين أظهرهما: موت " البطلة " وتحولها إلى جزء من الطبيعة الأم المخصبة تلك الطبيعة ترثي المحبوبة إلى الكون بترديد الخبر عن." (١)

"إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أبو نواس أحسن رعاية حيث يقول:

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

ومثل الأول قول ذي الرمة:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين وصليك جازر

فإنه لولا هذا الشعر لما ذكر اسمه، ولا عرف رسمه، ولا فاز له قدح، ولا أشرق له صبح، ولكن سار بهذا الشعر صيته، وعلا صوته، وحي ذكره وإن تقادم موته، وقد كان الأجواد يتغايرون على بنات الأفكار كتغايرهم على البنات الأبكار.

كما حكي أن أبا دلف العجلي كان يساير أخاه فبصرت بهما امرأتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه علي بن جبلة الطوسي:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قالت: نعم فبكى أبو دلف، فقال أخوه: مم تبكي، قال: كوني لم أجاز عليا على شعره، قال: أولم تعطه مائة ألف درهم، قال: بلى ولكني والله نادم إذ لم أجعلها دنانير. أخذتها أنا فقلت:

إنما الدنيا ابن نصر ... ونداه والعطاء

فإذا ولى ابن نصر ... فعلى الدنيا العفاء

وقد كررهما ابن جبلة، فقال:

إنما الدنيا حميد ... وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد ... فعلى الدنيا السلام

ووفد عليه أبو تمام ومدحه بقصيدته التي أولها:

على مثلها من أرسم وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص/٤١

إذا افتخرت يوما هذيل بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى يقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

مناقب لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

فطرب له، وأحسن صلته، وقال: أنشدني قصيدتك الرائية التي ترثي بها محمد بن حميد فأنشده:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

هذا البيت مأخوذ من النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سرة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبق منهن كوكب

وأخذه النابغة من بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند:

تكاد تميد الأرض بالناس إن رأوا ... لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت ... على كل شمس والملوك كواكب

وقال نصيب:

هو البدر والناس الكواكب حوله ... وهل تشبه البدر المضيء الكواكب

ومثله لصفية الباهلية:

أخنى على واحدي ريب الزمان ولا ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... هو الدجى فهوى من بيننا القمر

نعود إلى خبر أبي دلف، قال: فبكى، وقال: والله وددت أنها في، فقال أبو تمام: بل يطيل الله عمر الأمير، فقال: فإنه لم يمت من قيل فيه مثل هذا الشعر.

فانظر إلى هذه الأنفس الكريمة التي ترغب في الذكر الجميل فتختار الحمام وتصبو إلى ابتناء المجد فتهجر في تحصيله الراحة والمنام.

ولو تصدى متصد لذكر هذا النمط فحسب، لملأ به بطون الدفاتر، واستنفد به أنفاس المحابر، وعطر الآفاق منه بما هو أضوع من أنفاس المجامر. وقد سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، الشعر وأنشد في مجلسه وأجاز عليه، وقصة كعب بن زهير وقصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول." (١)

"أيام أحكم في الحبيب مخيرا ... فأبيت لا أرضى بطيف خيال

واليوم أقنع بالنسيم إذا سرى ... وأشيم ومض البارق المتعالي

قد كنت آمل منك عطفة راحم ... ترثي لفرط تذللي وسؤالي

فحصلت منك على الإياس وليته ... لم يتبعه مرارة الترحال

فلك الأمان دنوت أم بعد المدى ... وهجرت أو واصلت لست بسال

وقال أيضا:

لو رعى من أحبه حين سارا ... مهجا في يد الغرام أسارى

أيها السائق الركائب يحملن ... الشموس الحسان والأقمارا

قف قليلا فقد نفضت من المق ... لة نورا أو زدت في القلب نارا

وكنا جلوسا فعمل، رحمه الله تعالى:

يا نار أسود قلبي ... ونور أسود عيني

وقال أجز فقلت بديها:

كن راحما لمحب ... أباحك الأسودين

فوقع منه بموقع وحل من قلبه بموضع ونعود إلى أبياته:

رحلوا فالنهار ليل وقد أع ... هد ليلي بالقرب منهم نهارا

قد تقدمت أبيات مثل هذا.

لا تسمني صبرا فقد حكم البي ... ن بأني لا أملك الاصطبارا

كان يرجى السلو لو أنهم أب ... قوا علينا القلوب والأبصارا

حبذا ذلك الحمى وهو مأهو ... ل النواحي بآنسات عذارى

كل هيفاء تخجل البان أعطا ... فا وتحكي طرف المهاة احورارا

---

(١) التذكرة الفخرية، ص/٢

كلما أومضت بروق ثنايا ... هن أنشأن من جفوني قطارا

هذا معنى مستعمل كثير جدا، قال ابن الساعاتي:

وكذاك لا تبسم فثغرك بارق ... والدمع غيث ما أضاء له همى

وقال محيي الدين:

لله كم لخياله ... من نعمة عندي سنيه

وجلا محبا مشرقا ... كالشمس طلعته بهيه

وبياض ثغر واضح ... كالدر قبلته شهيه

صنم عكفت على محب ... ته عكوف الجاهليه

يبري سهاما من جفو ... ن حاجباه لها حنيه

ما أرسلت لحظاتها ... إلا وأثبتت الرميه

ملكت محاسنه القلو ... ب فما تركن بها بقيه

أخذ الأبيات من مهيار، وقد تقدمت أبياته، وقوله:

صنم عكفت على محبته

من المستعمل فمن ذلك قول الأبله البغدادي الشاعر:

ياله في الحسن من صنم ... كلنا في جاه ليته

ويحكى أن الخليفة الناصر، رحمه الله، سخط على مغنيته وشفع لها أحد مماليكه فرضى عنها فغنت هذه الأبيات فلما انتهت إلى هذا البيت قالت:

ياله في الحسن من صنم ... كلنا في جاه ليته

وقوله:

يبري سهاما

مستعمل، ومثله لابن الساعاتي:

فلا ذقتما ما ذقت ساعة فوقت ... سهام جفون عن قسي حواجب

وقوله:

ما أرسلت لحظاتها

مأخوذ من مهيار:

يا قاتل الله خلقت ... جوارحا فكيف عادت أسهما
لم يدر من أين أصيب قلبه ... وإنما الرامي درى كيف رمى
وقال، رحمه الله:
فداؤك قلب لا يقل ولوعه ... وجفن أبت إلا الدموع جفونه
حملت غراما منك لست أطيقه ... وأكثر واش فيك لست أطيعه
فداك قلب لا يقل في الهوى ولوعه
وجفن عين تستهل دائما دموعه
حملته ثقل اشتياق ليس يستطيعه
وأكثر الواشي ولكن فيك لا يطيعه
رعاك بما يرضيك من خالص الهوى ... فؤاد بأصناف الصدود نزوعه
و أعطاك أقصى غاية من حفاظه ... وأنت بنسيان العهود تضيعه
رعاك صب للغرام والأسى جميعه
طالب وصل لا يزال بالجفا نزوعه
يصون سر حبكم ودمعه يذيعه
ويحفظ العهد الذي بغدركم تضيييعه
ضلال تمنيه الخيال وقد نأى ... عن الطرف لما أن نأيت هجوعه
ولو أن وصلا رام وصلا لصده ... توقد نار ضمنتها ضلوعه
نرجو خيالا من مسيء حسنه شفيعه
وهل يزور الطيف من فارقه هجوعه
ولو أراد سلوة يشفى بها موجوعه
ثنته نار لوعة تجنها ضلوعه
وقال:
لله قلب محبه كلف ... ومدمع من جفائه يكف
أحوى غرير الصبا منعمه ... مشتمل بالجمال ملتحف

من لي به كالهلال قابله ال ... سعد وكالغصن زانه الهيف

يخلف بدر الدجى وما عنه بال ... أقمار في حال تمها خلف." (١)

"صفحت برغمي عنك صفح ضرورة ... إليك وفي قلبي ندوب من العتب

خضعت وما ذنبي إنما الحب عزني ... فأغضيت ضعفا عن معالجة الحب

وما ذاك بي فقر إليك منازع ... يذلل مني كل ممتنع صعب

إلى الله أشكو أن ودي مضيع ... وقلبي جميع عند مقتسم القلب

وقالت امرأة من الأعراب:

بنفسي وأهلي من لو اني أتيته ... على البحر فاستسقيته ما سقانيا

ومن لو رأى الأعداء ينتضلونني ... لهم غرضا يرمونني لرمانيا

ومن قد عصيت الناس فيه جماعة ... وصرمت خلاني له وجفانيا

فيا أخوي اللائمي على الهوى ... أعيذكما بالله من مثل ما بيا

سألتكما بالله لما جعلتما ... مكان الأذى واللوم أن ترثيا ليا

ولا تغفلا إن لامني ثم لائم ... ولو سخط الواشون أن تعذرانيا

فأقسم لو خيرت بين فراقه ... وبين أبي اخترت أن لا أبا ليا

ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه ... لشيء ولا ماء من المزن صافيا

وقال كثير:

وقائلة دع وصل عزة واتبع ... مودة أخرى وابلها كيف تصنع

أراك عليها في المودة زاريا ... وما نلت منها طائلا حيث تسمع

فقلت ذريني بئس ما قلت إنني ... على البخل منها لا على الجود أتبع

وقال البحتري:

أميل إليك عن ود قريب ... فتقصيني على النسب البعيد

فما ذنبي بأن كان ابن عمي ... سواك وكان عودك غير عودي

وفي عينيك ترجمة أراها ... تدل على الضغائن والحقود

وأخلاق عهدت اللين فيها ... غدت وكأنها زبر الحديد

---

(١) التذكرة الفخرية، ص/٢٢

وقد عاقدتني بخلاف هذا ... وقال الله أوفوا بالعقود

وما لي قوة تنهاك عني ... ولا آوي إلى ركن شديد

سأرحل عاتبا ويكون عتبي ... على غير التهدد والوعيد

وأحفظ منك ما ضيعت مني ... على رغم المكاشح والحسود

هذا الكلام وإن كان فيه شيء من التواضع والاستكانة فإن فيه ضربا من الضجر الداعي إلى الخيانة لأن صاحبه لم يصبر على التذلل نفسه على ما صبر عليه من بدأنا بذكره.

وفي نحو هذا المعنى قول الآخر:

فإن يك هذا منك جدا فإنني ... مداوي الذي بيني وبينك بالهجر

ومنصرف عنك انصراف ابن حرة ... طوى وده والطي أبقى على النشر

وفي مثله يقول البحتري:

وكنت أرى أن الصدود الذي مضى ... دلال فما إن كان إلا تجنبا

فوا أسفا حتام أسأل مانعا ... وآمن خوانا وأعتب مذنبا

سأثني فؤادي عنك أو أتبع الهوى ... إليك إن استعصى فؤادي أو أبى

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في نحوه:

ما لي أقرب منك نفسي جاهدا ... وأراك مني جاهدا تتباعد

قدمت دون أخيك من هو دونه ... وعندت عنه وهو منك يعاند

أيأستني بعد الرجاء فمن ترى ... يرجوك بعدي أو عليك يحاسد

أم كيف يأمل منك يوما صالحا ... أحد ورأيك في رأي فاسد

وقال ابن حازم في نحو ذلك:

لا ترض عيشا على امتهان ... ولا ترد وصل ذي امتنان

أشد من عيلة وفقر ... إغضاء حر على هوان

إذا نبا منزل بحر ... فمن مكان إلى مكان

وهؤلاء كلهم ومن جرى في هذا القول مجراهم إنما يتضاجرون على خلانهم لتقلهم إياهم عن عاداتهم ومنعهم إياهم ما استعبدوه من مواصلاتهم لتغلب الحيرة على قلوبهم يحسبون أن انحرافهم عن أحبابهم أقل أذى عليهم من الصبر لهم على محباتهم ولو قد أنفذوا ما عزموا عليه من الفراق والهجر لشاهدوا ما يضطرهم

إلى الرجوع بالصغر والتوسل إلى الصفح بالعذر ما لم يسمع الذي يقول:
مزحت بالهجر ولا عدم لي ... أنك مشتاق إلى الهجر." (١)

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما غبنت صفقتك يا ضرار.
وروي أن النابغة الجعدي أنشد النبي – صلى الله عليه وسلم – :
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلى أين؟ قال: إلى الجنة بك يا رسول الله. قال: لا يفضض الله فاك.
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ينشد:
إني امرؤ حميري حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولا مضر
فقال: ذاك أبعد من الله ورسوله والوجه في هذا والله أعلم أن افتخاره بأنه لا من ربيعة ولا من مضر هو الذي أوجب له الذم والتباعد من الله عز وجل ورسوله عليه السلام لا أن كونه من حمير موجب لذلك.
والذي يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشده واستنشده أكثر من ذاك. وقد روي عن ابن الشريد عن أبيه قال: استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته مائة قافية لامية فقال: إن كان ليسلم ماذا كان قد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم من شعر رجل واحد مقدار ما حددناه نحن للباب فكيف يتهيء لنا استيعاب ما استنشده وما مدح به في باب غير أن الاستقصاء أصلح من طلب الغاية بالتطويل والإكثار ونحن الآن نذكر طرفا مما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رثي به بعد وفاته. وقال أبو بكر الصديق رحمة الله عليه يرثي رسول الله صلى الله عليه:
أمست تأوبني هموم جمة ... مثل الصخور قد أمست هدت الجسدا
ليت القيامة قامت عند مهلكه ... كي لا نرى بعده مالا ولا ولدا
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرثيه:
ما زلت مذ وضع الفراش لجسمه ... وثوى مريضا خائفا أتوقع
شفقا عليه أن يزول مكانه ... عنا فنبقى بعده نتفجع
نفسي فداؤك من لنا في أمرنا ... أمن نشاوره إذا نتوجع

---

(١) الزهرة، ص/٢٠

وإذا تحل بنا الحوادث من لنا ... بالوحي من رب سميع نسمع

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرثيه:

أمن بعد تكفيني النبي ودفنه ... بأثوابه آسى على هالك نوى

رزينا رسول الله فينا فلن نرى ... بذلك عدلا ما حيينا من الردى

وكان لنا كالحصن من دون أهله ... لهم معقل فينا حريز من العدى

وكنا برؤياه نرى النور والهدى ... صباح مساء راح فينا أو اغتدى

فقد غشيتنا ظلمة بعد موته ... نهارا فقد زادت على ظلمة الدجى

فيا خير من صم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى

كأن أمور الناس بعدك ضمنت ... سفينة نوح البحر والبحر قد سما

فضاق فضاء الأرض عنهم برحبه ... لفقد رسول الله إذ قيل قد قضى

فقد نزلت بالمسلمين مصيبة ... كصدع الصفا لا شعب للصدع في الصفا

فإن يستقل الناس تلك مصيبة ... ولن يجبر العظم الكسير إذا وهى

وفي كل وقت للصلاة يهيجه ... بلال ويدعو باسمه كلما دعا

ويطلب أقوام مواريث هالك ... ولله ميراث النبوة والهدى

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

ألا طرق الناعي بليل فراعني ... وأرقني لما استقل مناديا

فقلت له لما رأيت الذي أتى ... أغير رسول الله إن كنت ناعيا

فحقق ما أشفقت منه ولم تبل ... وكان خليلي غريا وجماليا

فوالله ما أنساك أحمد ما مشت ... بي العيس في أرض وجاوزت واديا

وكنت متى أهبط من الأرض تلعة ... أرى أثرا منه جديدا وباليا

شديد جرى في الصدر نهد مصدر ... هو الموت مغدوا عليه وغاديا

وقالت صفية بنت عبد المطلب **ترثيه** عليه السلام:

طال ليلي أسعدنني أخواتي ... ليس ميتي كسائر الأموات

ليس ميتي من مات في النا ... س ولا كان مثله في الحياة

طال ليلي لنكبة قطعتني ... لا أرى مثلها من النكبات

وقالت صفية:

ما لعيني لا تجودان ريا ... قد رزينا خير البرية حيا

يوم نادى إلى الصلاة بلال ... فبكينا بعد النداء مليا

كل يوم أصبحت فيه ثقيلا ... لا ترد الجواب منك إليا

لم أجد قبلها ولست بلاق ... بعدها غصة أمر عليا." (١)

"لا غرو إن قتلوا صبرا وإن جزعوا ... والقتل للصبر في حكم الفتى جزع

وقالت الخنساء **ترثي** أخاها صخرا:

ألا ما لعينك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها

فأقسمت أأسى على هالك ... وأسأل باكية ما لها

وخيل تكدس مشى الوعو ... ل نازلت بالسيف أبطالها

بمعترك بينهم ضيق ... تجر المنية أذيالها

تقابلها فإذا أدبرت ... بللت من الطعن أكفالها

ومحصنة من بنات الملو ... ك قعقعت بالرمح خلخالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

أنشدنا أحمد بن أبي طاهر لأبي تمام قالت الخنساء:

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... تراك ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا ليس مؤتسيا ... مركبا من نصاب غير خوار

مثل السنان كضوء البدر صورته ... جلد المريرة حر وابن أحرار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاء نجوم الليل للساري

أبلغ خفافا وعوفا غير مقصرة ... عميمة من نداء غير أسرار

شدوا المآزر حتى تستقاد لكم ... وشمروا إنها أيام تشمار

وأبكى فتى البأس لاقته منيته ... وكل نفس إلى وقت ومقدار

كأنهم يوم راموه بجمعهم ... راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار

متى تفرجت الآلاف عن رجل ... ماض على الهول هاد غير مختار

---

(١) الزهرة، ص/١٥٠

تجيش منه فويق الثدي من يده ... معايد من نجيع الجوف فوار

لو منكم كان فينا لم ينل أبدا ... حتى تلاقوا أمورا ذات آثار

أعني الذين إليهم كان منزلة ... هل تعلمون ذمام الضيف والجار

خفاف بن ندبة وعوف هذان اللذان عاتبتهما من الفرسان المعدودين وكانا مع صخر فهربا عنه، وقد أدرك خفافا الإسلام فأسلم، وشعر الخنساء هذا من أجود الشعر لفظا وأحسنه معنى، ألا ترى إلى اعتذارها من قتله أنه لم يقتله رجل مثله، وإنما تفرجت الألف عنه وحده، ثم○○ أبى معاينتها من فزعته واستنهاضها الشجعان لاستغاثة النسوان، وقد كانت الخنساء من أحسن أهل زمانها، ثم رزئت أخاها معاوية ثم عمرو، فلم تزل تبكيه وتحسن القول في مراثيه حتى رزئت أخاها صخرا بعده، قد رزئتها المصايب، وهذبت شعرها النوائب، وقل من ناله من الجزع مثل ما نالها، لقد بلغني أن أخوتها أن استعدوا عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تبكي عليه فإنه من أهل النار. قالت ذلك أعظم لحزني عليه، وبلغني عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: دعوها فكل ذي شجو تبكي شجوه وهذا الذي اعتذرت به لأخيها من قبله هو من أحسن ما تهيأ الاعتذار به اعتذرت بالمقدار الذي لا شيء يجاوز مثله، ولا أحد يخرج عن قبضته ثم لم تقتصر عليه وحده حتى وضعت كثرة المؤازرين على قبله.

وما قصر أبو تمام فيما ذكرناه، وما نذكره إن شاء الله من اعتذاره لمن يرثيه ...... للقتل ...... للصبر على الفرار من اللقاء، والجزع عند معاينة الأكفاء، وأحسب أن أبا تمام كان معجبا بهذا المعنى الذي قد وقع له فلذلك كان كثيرا ما يردده. وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

إن ينتخل حدثان الموت أنفسكم ... ويسلم الناس بين السر والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه ... يفنى ويمتد عمر الآجن الآسن

رزء على طيء ألقى كلاكله ... لا بل على أزد لا بل على اليمن

لم يثكلوا ليث حرب مثل محطبة ... من بعد قحطبة في سالف الزمن

إلا تكن صهرت عن منظر حسن ... منه فقد صدرت عن مسمع حسن

رأى المنايا خيالات النفوس ولم ... تسكن سوى المنية العليا إلى سكن

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا ... لمات لو لم يمت من شدة الحزن." (١)

---

(١) الزهرة، ص/١٥٩

"أما صدر الكلام فحسن، وأما البيت الأخير ففيه إفراط شديد، ومعنى ليس بالعذب، ولا بالشديد، وذلك أن الشجاع إنما يؤثر الموت على الفرار خوفا لما يلحقه من العار، فإنما إيثاره قتل الأعداء له على قتله لهم، وظفرهم به وبقومه على ظفره بهم وبقومهم. فهذا يخرج عن حد الشجاعة، ويدخل في حد الرقاعة، وليس ينبغي لكل من تمكن من معنى، وتسهل له نظمه أن ينظمه في شعره، ويحتمل ما يدخل فيه من المجال، رغبة في التوفيق في الحال، وطلب التوسط والاعتدال، خير على كل حال، لأنه لا يخرج عن حد التقصير والإخلال، ولا يبلغ بصاحبه إلى درجة المحال.

قالت بنت بدر **ترثي** الزبير بن العوام:

غد ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

وكان ق‍تل الزبير فيما بلغنا أنه لما انصرف عن البصرة تبعه ابن جرموز فعطف عليه الزبير فقال له: نشدتك بالله فكف عنه، فلما جاوزه تبعه فلما عطف عليه الزبير رحمه الله ناشده فكف عنه، فلما صار على قريب من فرسخين من البصرة نام فضربه بن جرموز مغتالا، فقال: ما له قاتله الله يذكرني بالله ثم ينساه فأخذ رأسه وصار به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال للآذن ائذن له، وبشره بالنار، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار فقال ابن جرموز:

أتيت عليا برأس الزبير ... وقد كنت أرجو به الزلفة

فبشر بالنار قبل العيا ... ن فبئس بشارة ذي التحفة

فسيان عندي رأس الزبير ... وضرطة عنز بذي الجحفة

أنشدنا ابن أبي طاهر:

دموع أجابت داعي الحزن هجع ... توصل منا عن قلوب تقطع

عفاء على الدنيا طويل فإنها ... تفرق من حيث ابتدت تت‍ج‍مع

ولما قضى ثوب الحياة وأوقعت ... به نائبات الموت ما يتوقع

غدا ليس يدري كيف يصنع معدم ... درى دمعه من وجده كيف يصنع

وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الثوى ... به ما يقال للسحابة تقلع

ألم تك ترعانا من الدهر إن سطا ... وتحفظ من آمالنا ما نضيع

وتربط جأشا والكماة قلوبهم ... تزعزع خوفا من فتى يتزعزع

فأنطق فيه حامد وهو مفحم ... وأفحم فيه حاسد وهو مصقع

وقال البحتري:

قبور بأطراف الثغور كأنها ... مواقعها منها مواقع أنجم

حتوف أصابتها الحتوف وأسهم ... من الموت كر الموت فيها بأسهم

ترى البيض لم تعرفهم حيث واجهت ... وجوههم في المأزق المتجهم

بلى أن حد السيف أعذر صاحب ... وأكفر من نالته نعمة منعم

الباب السادس والخمسون

ذكر

النوح على من مات من الأبناء والقرابات

ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قتل النضر بن الحارث بن كلدة جاءت أخته فعلقت بزمام راحلته صلى الله عليه وأنشأت تقول:

يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

بلغ به ميتا بأن تحية ... ما إن تزال به النجائب تخفق

مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمائحها وأخرى تخنق

هل يسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت لا ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

النضر أقرب ما أخذت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فيقال أن النبي صلى الله عليه قال: لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته، وليس هذا مستنكر من أخلاقه. وذكروا أن أبا بكر الصديق رحمه الله صلى الصبح يوما فلما انفتل قام متمم بن نويرة في مؤخر الناس، وكان رجلا أعور ذميما فاتكى على سية قوسه ثم قال:

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور." (١)

---

(١) الزهرة، ص/١٦٠

"فمروا على حادثات الزما ... ن كمر الدراهم بالناقدينا

وما زال ذلك دأب الزما ... ن حتى أماتهم أجمعينا

وحتى بكى لي حسادهم ... وقد أقرحوا بالدموع الجفونا

وحسبك من حادث بامرئ ... ترى حاسديه له راحمينا

فمن كان يسليه مر السنين ... فحزني تجدده لي السنونا

وقال محمد بن حسان الضبي:

هيئ لأحمد في الثرى بيت ... وخلا له من أهله بيت

وكأن مولده ويوم وفاته ... صوت دعا فأجابه صوت

ومات ابن لأرطاة بن سهية من غطفان، فأقام على قبره حولا يأتيه كل غداة فيقول: يا عمرو إن أقمت حتى أصبح هل أنت غاد معي. وينصرف، فلما كان عند رأس الحول انصرف عن قبره وأنشأ يقول:

وقفت على قبر ابن ليلى ولم يكن ... وقوفي عليه غير مبكى ومجزع

هل أنت ابن ليلى إن نظرتك ليلة ... من القوم أو غاد غداة غد معي

وذكروا أن خالد بن الوليد قتل رجلا من بني عذرة يقال له فطن بن شريع، فأقبلت أمه فقالت:

ألا تلك المسرة لا تدوم ... ولا يبقى على الدهر النعيم

ولا يبقى على الحدثان عقر ... بشاهقة لها أم رؤوم

وقالت أيضا:

يا جامعا جامع الأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم انكبت عليه وشهقت وماتت.

وقالت امرأة ترثي ابنها:

لا يبعد الله فتيانا رزئتهم ... بانوا لوقت مناياهم وقد بعدوا

أمست قبورهم شتى وتجمعهم ... حوض المنايا ولم يجمعهم بلد

ميت بمصر وميت بالعراق ... وميت بالحجاز منايا بينهم بدد

دعوا من المجد أحيانا إلى أجل ... حتى إذا أكملت أطمارهم وردوا

كانت لهم همم فرقن بينهم ... إذا القعاديد عن أمثالهم قعدوا

بذل الجميل وتفريج الجليل ... وإعطاء الجزيل إذا لم يعطه أحد

وقال آخر:

لقد شمت الأعداء بي وتنكرت ... عيون أراها بعد هلك أبي عمرو

تجرى علي الدهر لما فقدته ... ولو كان حيا لاجترأت على الدهر

أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا ... فدينا وأعطينا بكم ساكن الظهر

وقاسمني دهري بني بحكمه ... فلما ترقى شطره مال في شطري

فأضحوا ديونا للمنايا ومن يكن ... عليه لها دين قضاه إلى العسر

كأنهم لم يعرف الدهر غيرهم ... فثكل على ثكل وقبر جدا قبر

وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري

وقال بعض الشعراء يرثي ابنا له مفقودا:

فلو صارفونا الناس قبلي بينهم ... أتيح له موت فأضمره قبر

إذن لصبرت النفس ثم احتسبته ... وفي الصبر لله المثوبة والأجر

ولكن طوت عني المقادير علمه ... فما لي به منذ انثنى شخصه خبر

أموت فيسلى أم حياة فترتجى ... أبر أتى من دون مثواه أو بحر

فرحمتك اللهم قد بلغ الأسى ... نهاية مجهودي فقد غلب الصبر

وقال الفضل بن العباس الكاتب:

نفسي فداء فقيد خفف المؤنا ... طول الحياة وعند الطعن إذ طعنا

فما حمينا له زادا يزوده ... ولا كفلنا له نعشا ولا كفنا

مضى على وجهه لا عن مراغمة ... تشجيه منا وإلا استدعت له الإحنا

قد كنت تذكر أن الأمر مقترب ... في سفرة لم تزل منها تحذرنا

فليت شعري أمقتولا ثويت بها ... أو في عراض الردى أمسيت مرتهنا

يقربنك لأم الأرض أكلة ... لم يبق فيه لنا روحا ولا بدنا

أودى الزمان بعباس وخلفني ... من بعده كمدا حيران مرتهنا

كأنني واله اغتيل واحدها ... فليس تألف من ثكل به وطنا

فإن تضمنه ربي إليه فما ... أحصي السوالف من نعماه والمننا

وفي نحو ذلك وهو من نفس الكلام:

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك

أعدو لم تخف ... ه أم رصيد ختلك." (١)

"فخطبها رواحة بن عبد العزي السلمي، فولدت له عبد الله، وهو أبو شجرة، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي، فولدت له زيدا ومعاوية وعمرا.

وهي الجاهلية كنت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني، وكان النابغة تضرب له قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السلمية فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفا لقلت إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك! فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا بن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال للخنساء: أنشديه، فأنشدته، فقال: والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك، فقالت له الخنساء والله ولاذا خصيين.

وكان أخوها صخر بن عمرو شريفا في بني سليم، وخرج في غزاة فقاتل فيها قتالا شديدا، وأصابه جرح رغيب، فمرض من ذلك فطال مرضه، وعاده قومه، فكانوا إذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت: لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسي، وصخر يسمع كلامها، فشق عليها، وإذا قالوا لأمه: كيف صخر اليوم؟ قالت أصبح صالحا بنعمة الله، فلما أفاق من علته بعض الإفاقة عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت وقال: غيره بل قال: ناولوني سيفي لأنظر كيف قوتي وأراد قتلها، وناولوه فلم يطق السيف، ففي ذلك يقول:

أهم بأمر الحزم.......... ... .البيت

وأول الشعر:

أرى أم صخر ما تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان

فأي امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في أذى وهوان

---

(١) الزهرة، ص/١٦٢

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

لعمرى لقد أنبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها ... محلة يعسوب برأس سنان

ثم نكس بعد ذلك من طعنته فمات، فكانت أخته خنساء **ترثيه**، ولم تزل تبكيه حتى عميت.

ودخلت خنساء على أم المؤمنين عائشة، وعليها صدار لها من شعر فقالت لها عائشة رضي الله عنها: يا خنساء إن هذا لقبيح، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبست هذا، قالت: إن له قصة: قالت: فأخبريني، قالت: زوجني أبي رجلا، وكان سيدا معطاء، فذهب ماله، فقال لي: إلى من يا خنساء.؟ قلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطانا خيرهما، فجعل زوجي أيضا يعطي ويحمل، حتى نفد ماله، فقال: إلى من؟ فقلت: إلى أخي صخر، فأتيناه، فقسم ماله شطرين، فأعطانا خيرهما، فقالت امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها أفضل النصيبين؟ فأنشأ يقول:

والله لا أمنحها شرارها ... ولو هلكت مزقت خمارها

وجعلت من شعر صدارها

فذلك الذي دعاني إلى أن لبست هذا حين هلك.

وكانت تقف بالموسم فتسوم هودجها بسومة، وتعاظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ابني عمرو، وتنشدهم فتبكي الناس.

وكان أبوها يأخذ بيدي ابنيه صخر ومعاوية ويقول: أنا أبو خيري مضر، فتعترف له العرب بذلك، ثم قالت الخنساء بعد ذلك: كنت أبكي لصخر من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار.

ومما سبقت إليه قولها:

أشم أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وفيها تقول:

مثل الردينى لم تكبر شبيبته ... كأنه تحت طى الثوب إسوار

لم تره جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار

فما عجول لدى بو تطيف به ... قد ساعدتها على التحنان أظآر." (١)

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٦٩

"وإن عرارا إن يكن ذا شكيمة ... تقاسينها منه فما أملك الشيم

وإن عرارا إن يكن غير واضح ... فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

ووفد على عبد الملك بن مروان وفد أهل الكوفة، فلما دخلوا عليه وكلمهم رأى فيهم رجلا آدم طويلا، فكلمه فأعجبه بيانه، فلما تولى بمثل عبد الملك بقول عمرو بن شأس:

وإن عرارا إن يكن غير واضح......... ... .البيت

فالتفت الآدم إلى عبد الملك فضحك، فقال عبد الملك: علي به، فلما جيء به قال: ما أضحكك؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين عرار! فأقعده معه، وقدمه وسامره حتى خرج.

ومما سبق إليه عمرو بن شأس فأخذ منه قوله:

وأسيافنا آثارهن كأنها ... مشافر قرحى في مباركها هدل

أخذه الكميت فقال:

تشبه في الهام آثارها ... مشافر قرحى أكلن البريرا

البرير: نبت تأكله الإبل، وهو ثمر الأراك، وقال أبو النجم يصف الجراحة:

تحكى الفصيل الهادل المقروحا

الهادل: الذي قد أرخى شفتيه.

ابن الطثرية

هو يزيد بن الطثرية، والطثرية أمه وهي من طثر بن عنز بن وائل، وقتلته بنو حنيفة يوم الفلج، فقالت أخته ترثيه:

أرى الأثل في جنب العقيق مجاورا ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متقاذف ... ولا رهل لباته وأباجله

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحى حتى تستقل مراجله

وهو القائل:

وأبيض مثل السيف خادم رفقة ... أشم ترى سرباله قد تقددا

كريم على غراته لو تسبه ... لفداك رسلا لا تراه مربدا

يعجل للقوم الشواء يجره ... بأقصى عصاه منضجا أو مرمدا

حلوف لقد أنضجت وهو ملهوج ... بنصفين لو حركته لتقصدا

يجيب بلبيه إذا ما دعوته ... ويحسب ما يدعى له الدهر أرشدا

وقوله أيضا:

هبينى امرءا إما بريئا ظلمته ... وإما مسيئا تاب منه وأعتبا

وكنت كذي داء تبغى لدائه ... طبيبا فلما لم يجده تطببا

وهو القائل:

بنفسى من لو مر برد بنانه ... على كبدى كانت شفاء أنامله

ومن هابنى في كل أمر وهبته ... فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

أبو الغول

هو من بني نهشل واسمه علباء بن جوشن، وهو من بني قطن بن نهشل وكان شاعرا مجيدا، وهو القائل:

وسوأة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخير زل عن يده ... فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

وهو القائل:

ولا يجزون من خير بشر ... ولا يجزون من غلظ بلين

هم أحموا حمى الوقبى بضرب ... يؤلف بين أشتات المنون

فنكب عنهم درء الأعادى ... وداووا بالجنون من الجنون

زياد الأعجم

هو زياد بن سلمى، ويقال زياد بن جابر بن عمرو بن عامر، من عبد القيس، وكان ينزل إصطخر، وكانت فيه لكنة، فلذلك قيل له الأعجم وله عقب.

وكان يهاجي قتادة بن مغرب اليشكري، ويقال مغرب، وفيه يقول:

يشكر لا تستطيع الوفاء ... وتعجز يشكر أن تغدرا

وقتادة هو القائل:

بت بحش في شر منزلة ... لا أنا في لذة ولا فرسى." (١)

"قال معن بن زائدة: كنا في الصحابة سبعمائة رجل، فكنا ندخل على المنصور في كليوم، فقلت للربيع: اجعلني في آخر من يدخل عليه، فقال لي: لست بأشرفهم فتكون في أولهم ولست بأخسهم نسبا

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٨٧

فتكون في آخرهم، وإن مرتبتك لتشبه نسبك. فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حتفي أقرع بنعله الأرض، وعمامة قد سدلتها من قدامي ومن خلفي، فسلمت عليه وخرجت، فلما صرت عند الستر صاح بي: يا معن، صيحة أنكرتها فلبيتها، فقال: إلي، فدنوت منه فإذا به قد نزل عن فرشه إلى الأرض، وجثا على ركبتيه، واستل عمودا من بين فراشين، واستحال لونه، ودرت أوداجه وقال: إنك لصاحبي يوم واسط لا نجوت إن نجوت مني. قال، قلت: يا أمير المؤمنين، تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك؟ فقال: كيف قلت؟ فأعدت عليه القول، فما زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره واستوى متربعا وأسفر لونه وقال: يامعن إن باليمن هنات، قلت: يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي، وهو أول من أرسلها مثلا، فقال: أنت صاحبي فاجلس، قال: فجلست، وأمر الربيع فأخرج كل من كان في الدار، وخرج الربيع. فقال لي: إن صاحب اليمن قد هم بالمعصية، أريد أم آخذه أسيرا، ولا يفوتني شيء من ماله. قال، قلت: ولني اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه، ومر الربيع أن يزيح علتي في كل ما أحتاج إليه، ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر. قال: فاستل عهدا من بين فراشين، فوقع اسمي فيه وناولنيه، ثم دعا الربيع فقال: يا ربيع إنا قد ضممنا معنا إلى صاحب اليمن فأزح علته في ما يحتاج إليه من السلاح والكراع، ولا يمس إلا وهو راحل. قال: ثم ودعني فودعته وخرجت إلى الدهليز. فلقيني أبو الوالي فقال: يا معن أعزز علي بأن تضم إلى ابن أخيك. قال فقلت: إنه لا غضاضة على الرجل بأن يضمه سلطانه إلى ابن أخيه. وخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيرا، وقرأت عليه العهد، وقعدت في مجلسه.

استأذن زياد معاوية في الحج فأذن له، وبلغ ذلك أبا بكرة، وكان أخاه من أمه، أمهما سمية، وكان حلف أن لا يكلم زيادا يحث رجع عن الشهادة على الغيرة، وأن لا يظله وإياه سقف بيت أبدا. فدخل أبو بكرة دار الإمارة عل زياد، فأمر زياد بكرسيين فوضعا في صحن القصر ليمينه، فجلس أبو بكرة على أحدهما وزياد على الآخر، ومع زياد بني له حيث مشى. فقال أبو بكرة لابنه: تعال يا ابن أخي، فجاء الصبي فجلس في حجره، فقال له: كيف أنت؟ كيف أهلك؟ اسمع مني يا ابن أخي، وإنما يريد أن يسمع زيادا: إن أباك هذا أحمق، فجر في الإسلام ثلاث فجرات ما سمعنا بمثلهن. أما أولهن فجحوده الشهادة على المغيرة، والله يعلم أنه قد رأى ما قد رأينا فكتم، وقد قال الله تعالى " ومن يكتمها فإنه آثم قلبه " " البقرة: ٢٨٣ " فحلفت ألا أكلمه أبدا؛ وأما الأخرى فانتقاؤه من عبدي وادعاوه إلى أبي سفيان، وأقسم لك يا ابن أخي صادقا ما رأى أبو سفيان سمية قط في ليل ولا نهار، ولا جاهلية ولا إسلام؛ وأما الثالثة فأعظمهن: إنه يريد أن يوافي العام الموسم، وأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم تأتي الموسم كل عام،

فإن هو أتاها فأذنت له كما تأذن الأخت لأخيها فاعظم بها مصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن هي حجبته فأعظم بها حجة عليه. ثم نهض، فقام زياد في أثره وأخذ بقميصه وقال: جزاك اللهم أخ خيرا فما تركت النصيحة لأخيك على حال، وترك الحج.

قال الحسين بن الضحاك: كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله، وأشفي لوعتي، فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إلي مائل، ولك محب، وقد علمت مكانك من الأمين، وأنت حقيق بأن **ترثيه**، إلا أنك قد أطلقت لسانك في التلهق عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلبا له وتحريضا عليه، وهذا المأمون منصبا إلى العراق قد أقبل إليك فأبق على نفسك، ويحك يا حسين أتجسر على أن تقول: من الكافر المرفل

تركوا حريم أبيهم نفلا ... والمحصنات صوارخ هتف

هيهات بعدك أن يدوم لهم ... عز وأن يبقى لهم شرف

اكفف غرب لسانك، واطو ما قد انتشر عنك، وتلاف ما فرط منك. فعلمت أنه قد نصح لي فجزيته الخير، وقطعت القول، فنجوت برأيه، وما كدت أن أنجو.

قال المثقب العبدي: من الطويل." (١)

"وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: " لا يزال الرجل يصاب في ماله وحامته حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة " .

وقال علقمة في قوله تعالى: " ومن يؤمن بالله يهد قلبه " التغابن: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وعزى علي عليه السلام الأشعث بن قيس عن ابن له فقال: يا أشعث، ن تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف. يا أشعث إن صبرت جرى القدر عليك وأنت مأجور، وإن جزعت جرى القدر عليك وأنت مأزور، سرك وهو بلاء وفتنة، وحزنك وهو ثواب ورحمة.

وعزى عليه السلام قوما فقال: عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم، وإليه يرجع الجازع.

وقال الحسن بن علي: المصائب مفاتيح الأجر.

وقال علي بن الحسين حين مات ابنه ولم يجزع: أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره.

وقال محمد بن علي بن الحسين: استتر من الشامتين بحسن العزاء عن المصائب.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٧٧/١

وقال ابن السماك: المصيبة واحدة، فإن كان فيها جزع فهي اثنتان.
وكان محمد بن واسع يقول: المصيبة في إثر المصيبة خير حط للخطيئة.
وقال آخر: إنما الجزع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرضى والتسليم.
وقال أوس بن حجر: من المنسرح
أيتها النفس أجملي جزعا ... إن الذي تحذرين قد وقعا
وهي أبيات مختارة نذكر تمامها هاهنا في غير موضعه لئلا تنقطع:
إن الذي جمع السماحة وال ... نجدة والبر والتقى جمعا
الألمعي الذي يظن لك ال ... ظن كأن قد رأى وقد سمعا
والمخلف المتلف المرزأ لم ... يمتع بضعف ولم يمت طبعا
ليبكك الشرب والمدامة وال ... فتيان طرا وطامع طمعا
والحي إذ حاذروا الصباح وقد ... خافوا مغيرا وسائرا قلعا
وازدحمت حلقتا البطان بأق ... وام وجاشت نفوسهم جزعا
ونعود إلى المعنى الذي بدأنا به.
قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمرا، فأحببت ما أحب الله.
وقال صالح المري: إن تكن مصيبتك في أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك.
الفصل الأول
مراثي الأكابر والرؤساء
وقف علي بن أبي طالب عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة دفن وقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل.
وألم الشعراء بهذا المعنى فأكثروا. فمن ذلك قول إبراهيم بن إسماعيل في علي بن موسى الرضا عليه السلام: من الكامل
إن الرزية يا ابن موسى لم تدع ... في العين بعدك للمصائب مدمعا
والصبر يحمد في المواطن كلها ... والصبر أن يبكي عليك ويجزعا

وقال الشماخ يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من الطويل

جرى الله خيرا من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليلحق ما قدمت بالأمس يسبق

أتيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائج في أكمامها لم تفتق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

وقال زهير بن أبي سلمى يرثي النعمان بن المنذر: من الطويل

ألم تر للنعمان كان بنجوة ... من الشر لو أن امرءا كان ناجيا

فغير عنه رشد عشرين حجة ... من الدهر يوم واحد كان غاويا

فلم أر مسلوبا له مثل قرضه ... أقل صديقا معطيا ومؤاسيا

فأين الذين كان يعطي جياده ... بأرسانهن والحسان الغواليا

وأين الذين كان يعطيهم القرى ... بغلاتهن والمئين الغواديا

رأيتهم لم يشركوا بنفوسهم ... منيته لما رأوا أنها هيا

وقالت أعرابية ترثي ابن عمها: من الطويل

عجبت لطود للمعالي وزاخر ... من الجود أتى صير اللحد مضجعا." (١)

"فلم يلتحد جهم وحيدا وإنما ... حوى لحده طود المكارم أجمعا

ولم يخترمه الدهر فردا وإنما ... أصاب به بحر الندى والسدى معا

وقد كانت الدنيا بجهم نضيرة ... فأحر بها من بعده أن تخشعا

وقالت ليلى بنت وهب ترثي أخاها المنتشر بن وهب الباهلي، وإنما أثبتناها في هذا الفصل لأنها أبنته تأبين الأكابر، والمقصود معنى المرثية لا من قيلت فيه، وبعض الرواة ينسبها إلى أعشى باهلة: من البسيط

تنعى الذي لا يغب الحي جفنته ... إذا الكواكب أعمى نورها القتر

من ليس في خيره شر ينكده ... على الصديق ولا في صفوه كدر

وليس فيه إذا استنظرته عجل ... وليس فيه إذا ياسرته عسر

أخو رغائب يعطيها ويسألها ... جم المواهب مقسوم له الظفر

لم تر أرضا ولم تسمع بساكنها ... إلا بها من بوادي غزوه أثر

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٨٢/١

لا يأمن القوم ممساه ومصبحه ... من كل أوب وإن لم يأت ينتظر

يكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويكفي شربه الغمر

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل شيء سوى الفحشاء يأتمر

فإن جزعنا فمثل الخطب أجزعنا ... وإن صبرنا فإنا معشر صبر

إن تقتلوه فقد أشجاكم حقبا ... كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

إما علاك عدو في منازلةيوما فقد كانت تستعلي وتنتصروقالت الخنساء **ترثي** أخاها صخرا: من الوافر

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا

دفعت بك الجليل وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا: من الطويل

ألا هبلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يواري القبر تحت ترابه ... من الجود يا بؤس الحوادث والدهر

فشأن المنايا إذ أصابك ريبها ... لتغد على الفتيان بعدك أو تسري

وقال الأبيرد الرياحي يرثي أخاه: من الطويل

تطاول ليلى لم أنمه تقلبا ... كأن فراشي حال من دونه الجمر

أراقب من ليل التمام نجومه ... لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر

تذكرت قرما بان منا بنصره ... ونائله يا حبذا ذلك الذكر

فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد عذرتنا في صحابته العذر

وكنت أرى هجرا فراقك ساعة ... ألا لا بل الموت التفرق والهجر

فتى إن هو استغنى تخرق في الغنى ... وإن قل مالا لم يؤد متنه الفقر

وسامى جسيمات الأمور فنالها ... على العسر حتى أدرك العسر اليسر

ترى القوم في العزاء ينتظرونه ... إذا ضل رأي القوم أو حزب الأمر

فليتك كنت الحي في الناس ثاويا ... وكنت أنا الميت الذي غيب القبر

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... إذا السنة الشهباء قل بها القطر

ولما نعى الناعي بريدا تغولت ... بي الأرض فرط الحزن وانقطع الصبر

عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة مالت بهامته الخمر

إلى الله أشكو في بريد مصيبتي ... وبثي وأحزانا تضمنها الصدر

وقد كنت أستعفي إلهي إذا اشتكى ... من الأجر لي فيه وإن سرني الأجر

وما زال في عيني بعد غشاوة ... وسمعي عما كنت أسمعه وقر

على أنني أقنى الحياء وأتقي ... شماتة أعداء عيونهم خزر

فحياك عني الليل والصبح إذ بدا ... وهوج من الأرواح غدوتها شهر

حلفت برب الرافعين أكفهم ... ورب الهدايا حيث حل بها النحر

ومجتمع الحجاج حيث تواقفت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر." (١)

"وقال زياد الأعجم: من الكامل

مات المغيرة بعد طول تعرض ... للقتل بين أسنة وصفائح

والقتل ليس إلى القتال ولا أرى ... حيا يؤخر للشفيق الناصح

إن السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

هلا ليالي لا يزال مشمرا ... يغشى الأسنة فوق نهد قارح

الآن لما كنت أكمل من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح

وقالت الخنساء ترثي معاوية أخاها: من البسيط

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... أباء ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب ... مركبا في نصاب غير خوار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاءت نجوم الليل للساري

كأنه يوم راموه بجمعهم ... راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار

وقال ابن الغريرة، ويروي لكثير: من البسيط

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٨٣/١

ي، أوس ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا ذكرتك والمحزون يذكر

إني يذكرنيه كل نائبه ... والخير والشر والإيسار والعسر

وقال منصور النمري: من الطويل

أبا خالد ما كان أدهى مصيبة ... أصابت نزارا يوم أصبحت ثاويا

لعمري لئن سر الأعادي وأظهروا ... شماتا لقد مروا بربعك خاليا

وأوتار أقوام لديك لويتها ... وزرت بها الأحداث وهي كما هيا

يعزي فؤادي عن يزيد بن مزيد ... وأيامه أن المنايا أماميا

وقال الرقاشي يرثي البرامكة: من الطويل

ألان استرحنا واستراحت ركابنا ... وقل الذي يجدي ومن كان يجتدي

فقل للمطايا قد أمنت من السرى ... وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولن تظفري من بعده بمسود

وقل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي

ودونك سيفا برمكيا مهندا ... أصيب بسيف هاشمي مهند

دخل البلاذري على علي بن موسى الرضا يعزيه عن أبيه فقال له: أنت تجل عن وصفنا، ونحن نقصر عن عظتك، وفي علمك ما كفاك، وفي ثواب الله ما عزاك.

وقال علي بن موسى للفضل بن سهل يهنيه ويعزيه: التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

وقال علي عليه السلام: من صبرت صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار. وفي خبر آخر أنه قال للأشعث بن قيس: إن صبرت صبر الأكارم، وإلا سلوت سلو البهائم.

وأتى نصراني مسلما يعزيه فقال: مثلي لا يعزي مثلك، ولكن انظر ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه.

وقال الحسين بن الضحاك يرثي محمدا الأمين: من الوافر

أعزي يا محمد عنك نفسي ... معاذ الله والأيدي الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لي يوم الحمام

كأن الموت صادف منك غنما ... أو استشفى بقربيك من سقام

وللحسين في الأمين مراث مختارة فمنها قوله: من الطويل

ومما شجا قلبي وكفكف عبرتي ... محارم من آل النبي استحلت

ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها ... كعاب كقرن الشمس حين تبدت

إذا حفزتها روعة من منازع ... لها المرط عاذت بالخشوع ورنت

وسرب نساء من ذؤابه هاشم ... هتفن بدعوى خير حي وميت

أرد يدا مني إذا ما ذكرته ... على كبد حرى وقلب مفتت

فلا يأت ليل الشامتين بغبطة ... ولا بلغت آمالها ما تمنت

ابن القزاز المغربي: من الطويل

ألا قل لركب فرق الدهر شملهم ... فمن منجد نائي المحل ومتهم

إذا يمم الحادي بكم قصد بلدة ... فسرتم على قبر هناك معظم

تحل بمثواه الوفود رحالها ... وينحر أبناء الجديل وشدقم." (١)

"استأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني ولا أرمي

لو كان لي قرنا أناضله ... ما طاش عند حفيظة سهمي

أو كان يعطي النصف قلت له ... أحرزت قسمك فاله عن قسمي

يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست معقبنا ... يا دهر ما أنصفت في الحكم

أجلت صروفك عن أخي ثقة ... حامي الذمار مخالط الحزم

وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير: من الطويل

أقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على امرئ ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

فلا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر

وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرئ يوما إلى الله صائر

وكل قريني ألفة لتفرق ... شتات وإن ضنا وطال التعاشر

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إذ دارت عليك الدوائر

فأقسمت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٨٦/١

وقالت عمرة أخت عمرة أخت عمرو ذي الكلب: من البسيط

تعلما أن طول العيش تعذيب ... وأن من غالب الأيام مغلوب

وكل حي وإن طالت سلامته ... طريقه في سبيل الشر دعبوب

أبعد عمرو وخير القوم قد علموا ... ببطن شرية يعوي عنده الذيب

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من دم الأجواف مسكوب

تمشي النسور إليه وهي لاهية ... مشي العذاري عليهن الجلابيب

والمخرج الكاعب الحسناء مذعنة ... في السبي ينفح من أردانها الطيب

فلن يروا مثل عمرو ما خطت قدم ... وما استحثت إلى أوطانها النيب

بينا الفتى ناعم راض بعيشته ... تاح له من بوار الدهر شؤبوب

وقال ابن سكرة الهاشمي: من البسيط

لا عذب الله ميتا كان ينعشني ... فقد لقيت بضري مثل ما لاقى

طواه موت طوى عني مكارمه ... فذقت من بعده بالموت ما ذاقا." (١)

"لقد شمت الأعداء بن وتغيرت ... عيون أراها بعد موت أبي عمرو

تجر علي الدهر لما فقدته ... ولو كان حيا لاجترأت على الدهر

وقاسمني دهري بني مشاطرا ... فلما توفى شطره مال في شطري

وقال أبو ذؤيب الهذلي يرثي بنيه وتتابعوا: من الكامل

أمن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أمامة ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتدلت ومثل مالك ينفع

أم ما لجسمك لا يلائم مضجعا ... إلا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتها أما لجسمي إنه ... أودى بني من البلاد فودعوا

أودى بني وأعقبوني حسرة ... بعد الرقاد وعبرة ما تقلع

فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهي عور تدمع

سبقوا هوي وأعتقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٤٩٠

وتجلدي للشامتني أريهم ... أني لريب الدهر لا تضعضع

كان لزهير بن أبي سلمى ابن يقال له سالم، جميل الوجه، حسن الثغر، وبعث إليه رجل بردتين فلبسهما الفتى وركب فرسا، فمر بامرأة من العرب فقالت: ما رأيت كاليوم قط رجلا ولا بردتين ولا فرسا، فعثرت به الفرس فاندق عنق الفرس وعنق سالم وانشقت البردتان، فقال زهير يرثي ابنه سالما: من الطويل

رأت رجلا لاقى من العيش غبطة ... سلامة أعوام له وغنائم

فأصبح محبورا ينظر حوله ... بمغبطة لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده ... فقلت تعلم إنما أنت حالم

لعلك يوما أن ترعي بفاجع ... كما راعني يوم النساءة سالم

وقالت ليلى الأخيلية: من الطويل

آليت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

وقالت امرأة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها: من المنسرح

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من لليتامى إذا هم شغبوا ... وكل عان وكل محتبس

أمن لبر أمن لقائدة ... أمن لذكر الإله في الغلس

وقالت الذلفاء بنت الأبيض ترثي زوجها وابن عمها نجدة: من البسيط

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ... ولا سلوتك عن صبر ولا جلد

لكن بكيتك حتى لم أجد مددا ... من الدموع ولا عونا على الكمد

وأيأستني جفوني من مدامعها ... فقلت للعين جودي من دم الكبد

فلم أزل بدمي أبكيك جاهدة ... حتى بقيت بلا روح ولا جسد

وقالت أيضا ترثيه: من الطويل

سئمت حياتي يوم فارقت نجدة ... ورحت وماء العين ينهل هامله

ولم أر مثل الموت للنفس راحة ... يعاجلها من بعده أو تعاجله

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي زوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عنهما:

من الطويل

آليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من أر مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الجون أشقرا

وكان عبد الله بن أبي بكر يجد بعاتكة وجدا شديدا، فاجتاز به أبوه راجعا من الجمعة وعبد الله يناغيها، فقال: يا عبد الله أجمعت؟ قال: أوصلي الناس؟ قال: نعم، وقد كانت شغلته عن سوق وتجارة كان فيها، فقال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الله، طلقها، فطلقها تطليقة، وتحولت إلى ناحية الدار، فبينا أبو بكر يصلي على سطح له في الليل إذ سمعه وهو يقول: من الطويل

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق

لها خلق جزل ورأي ومنصب ... وخلق سوي في حياء ومصدق." (١)

"لما كانت وقعة بدر فقتل فيها عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة، أقبلت هند بنت عتبة **ترثي** أباها وعمها وأخاها، وتقول فيهم الأشعار، وبلغها تسويم الخنساء هودجها بالموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها، وقد كانت أصيبت بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، فجعلت تشهد المواسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية، وكانت تقول أنا أعظم العرب مصيبة، وعرفت لها العرب بعض ذلك. فما أصيبت هند بنت عتبة بما أصيبت وبلغها ما تصنع الخنساء قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة، فأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وكانت سوقا يجتمع إليها العرب، فقالت: اقرنوا جملي بجمل الخنساء، ففعلوا، فلما دنت منها قالت لها الخنساء: من أنت يا أخية؟ قالت: أنا هند بنت عتبة بن ربيعة، وأنا أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم؟ فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو. فبم تعاظمينهم أنت؟ قالت هند: بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة وأخي الوليد. قالت الخنساء: أوسواء هم عند؟ ثم أنشأت تقول: من الطويل

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ... قليل إذا نام العيون هجودها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبة الأبطال قب يقودها

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/٢

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند مجيبة لها: من الطويل

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها

أبي عتبة الخيرات ذلك فاعلمي ... وشيبة الحامي الحقيق وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها وأبيها في الجاهلية حتى أدركت الإسلام، فأقبل بها بنو عمها إلى عمر بن الخطاب وهي عجوز كبيرة، فقالوا: يا أمير المؤمنين هذه الخنساء لم تزل تبكي على أبيها وأخويها في الجاهلية حتى ذهبت عيناها، وأدركت الإسلام وهي تبكي، وقد قرحت مآقيها كما ترى، فلو نهيتها رجونا أن تنتهي. فقال عمر لها: حتى متى يا خنساء؟ اتقي الله وأيقني بالموت، فقالت: إني أبكي أبي وخيري مضر: معاوية وصخرا، وإني لموقنة بالموت يا ابن الخطاب، فكأن عمر رحمه الله رق لها وقال: خلو سبيل عجوزكم لا أبا لكم، فإن كل امرئ يبكي شجوه، نام الخلي عن بكاء الشجي.

الفصل الثالث

ما جاء من المراثي والتعازي

في الصغار والأطفال

عزى عبد الله بن عباس عمر بن الخطاب رضي الله عنهم على بني له فقال: عوضك الله منه ما عوضه منك. وهذا الصبي هو الذي قال فيه عمر رضي الله عنه: ريحانة أشمها، وعن قريب ولد بار أو عدو حاضر.

وقال علي بن عبيدة لرجل يعزيه عن ابنه: كان أبوك أصلك، وابنك فرعك، فما بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرعه؟ وقال أبو الشغب: من البسيط

قد كان شغب لو أن الله عمره ... عزا تزاد به في عزها مضر

فارقت شغبا وقد قوست من كبر ... بئس الحليفان طول الحزن والكبر

ليت الجبال تداعت عند مصرعه ... دكا فلم يبق من أركانها حجر

وقال آخر: من الطويل

تعز أمير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغذي الصغير ويولد

هل ابنك إلا من سلالة آدم ... لكل على حوض المنية مورد

وقال أبو حكيم المري: من الطويل

وكنت أرجي من حكيم قيامه ... علي إذا ما النعش زال ارتدانيا

فقدم قبلي نعشه فارتديته ... فيا ويح نفسي من رداء علانيا

وقال العتبي: من الطويل

وقاسمني دهري بني مشاطرا ... فلما تقضى شطره عاد في شطري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا على غاية نجري

وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري

وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال الفرزدق: من الوافر

ولو أن البكاء يرد شيئا ... على الباكي بكيت على صقوري." (١)

"وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي معروفا بالكذب على رئاسته في قومه وتقدمه وبسالته، وكان أشرف الكوفة يظهرون بالكناسة على دوابهم فيتحدثون إلى أن تطردهم الشمس. فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد ابن الصقعب النهدي، فأقبل عمرو يحدثه فقال: أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب، فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه. فقال له خالد: حلا أبا ثور، إن قتيلك هو المحدث، فقال له: يا هذا إذا حدثت بحديث فاستمع، فإنما نتحدث بمثل ما تسمع لنرهب به هذه المعيدية. قوله مسترعفين أي متقدمين، يقال: جاء فلان يرعف الجيش، ويؤم الجيش إذا جاء متقدما لهم، وقوله: حلا أي استثن، يقال: حلف ولم يحلل.

وقد زعموا أن رجلا نظر إلى ظبية فقال له أعرابي: أتحب أن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فأعطني أربعة دراهم حتى أردها إليك، ففعل؛ فخرج يمحص في أثرها، وجد حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول: من الرجز

وهي على البعد تلوي خدها ... تريغ شدي وأريغ شدها

كيف ترى عدو غلام ردها

ويحكون في خبر لقمان بن عاد أن جارية له سئلت عما بقي من بصره، فقالت: والله لقد ضعف، ولقد بقيت منه بقية، وأنه ليفصل بين أثر الأنثى والذكر من الذر إذا دب على الصفا.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٨/٢

قال حماد الرواية: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: أرأيت قول أبيك: من الطويل

بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم منه سجدا للحوافر

يقول: لكثرة الجيش يطحن الأكم حتى يلصقها بالأرض.

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

أبت عادة للورد أن يكره الوغى ... وعادة رمحي في نمير وعامر

هل حضرت مع أبيك هذه الوقعة؟ قال: نعم، قلت: فكم كانت خيلكم؟ قال: ثلاثة أفراس أحدها فرسه. فذكرت هذا لابن أبي بكير الهذلي، فحدثني عن أبيه وقال: حضرت يوم جبلة – وقد بلغ مائة سنة وأدرك أيام الحجاج – قال: فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان لابني الجون ثلاثين فرسا. قال: فحدثت بهذا الحديث الخثعمي، وكان راوية أهل الكوفة، فحدثني أن خثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته **ترثيه**: من الطويل

لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل خثمعا

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فحمحما

فأرسلها زهوا رعالا كأنها ... جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك؟ قالت: اللهم إني لا أعرف إلا فرسه.

وسأل الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي عن قوله في أخته زينب بنت يوسف حيث شبب بها: من الطويل

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من أن يلقينه حذرات

كم كان ركبك يا نميري؟ قال: و الله إن كنت إلا على حمار هزيل ومعي رفيق لي على أتان مثله. ويقال بل قال كان معي ثلاثة أحمرة أجلب عليها القطران.

وعلى هذا قول مهلهل: من الوافر

فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

وإنما كانت الواقعة بعنيزة، وهي من حدود الشام فكم بينها وبين حجر اليمامة؟ وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى عمن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل تميم فقالوا إن علم بنا السليك أنذرهم، فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك، فبصرا به فقصداه، وخرج يحضر كأنه ظبي، وطارداه سحابة يومهما،

فقالا: هذا النهار ولو جن الليل لقد فتر. فجدا في طلبه، فإذا بأثره قد بال فرغا في الأرض وقد خدها، فقالا: قاتله ما أشد متنه، ولعل هذا كان من أول الليل. فما اشتد به العدو فتر، فاتبعاه، فإذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها كمكان تلك، وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها في الأرض فنشبت. فقالا: قاتله الله، والله لا نتبعه بعد هذا، فرجعا عنه. فأتم إلى قومه فأنذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية عنه. ففي ذلك يقول: من الطويل

يكذبني العمران: عمرو بن جندب ... وعمرو بن عمرو والمكذب أكذب

ثكلتهما إن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها إلى الحي موكب." (١)

"قال ألا ترثي لمكتئب يحبك لحمه ودمه ألا ترثي لمكتئب يحبك لحمه ودمه وقال المكفوف في آل محمد عليه السلام : أحبكم حبا على الله أجره تضمنه الأحشاء واللحم والدم وفي مثل هذا قول الحسن بن هانئ : وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق فإذا خافه أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر : أن النطف التي أخذ الله عليها ميثاقها يجوز أن يضاف إليها ما هي لا بد فاعلة من قبل أن تفعله كما جاء في الأثر : إن الله عز وجل عرض على آدم ذريته فقال : هؤلاء أهل الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء أهل النار وبعمل أهل النار يعملون .

ومن قولنا في الهيبة : يا من يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم رعت العدو فما مثلت له إلا تفزع منك في الحلم أضحى لك التدبير مطردا مثل اطراد الفعل للاسم رفع الحسود إليك ناظره فرآك مطلعا مع النجم تسمو العيون إلى إمام عادل معطى المهابة نافع ضرار ونرى عليه إذا العيون لمحنه سيما الحليم وهيبة الجبار حسن السيرة والرفق بالرعية قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية : " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير كله .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما : أشيرا علي .

فقال له سالم : اجعل الناس أبا وأخا وابنا فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك .

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٩٣/٢

وقال له محمد بن كعب : أحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك واعلم أنك لست أول خليفة .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبت ما لك لا تنفذ في الأمور فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور .." (١)

"فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان: قتلتني يا شيخ قاتلك الله. ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان، وقتل من ساعته.

ودخل شبل بن عبد الله بن علي، وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضا على بني أمية، وعنده منهم ثمانون رجلا:

أقصهم أيها الخليفة واقطع ... عنك بالسيف شأفة الأرجاس

دلها أظهر التودد منها ... ولها منكم كحز المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربها من نمارق وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الل ... ه بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسى ... ثاويا بين غربة وتناسي

فلما سمع بذلك تنكر، وأمر بهم فقتلوا، وألقى عليهم البساط، وجلس للغذاء وإن بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد، حكى ذلك جماعة من المؤلفين، واختلفوا في رواية الشعر وحده؛ فأكثر الروايات موضع البيت الأول:

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل رقلة وأواس

ويروي وغراس وبعضها على ما في النسخة، ولا أدري كيف صحة ذلك، وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة، اللهم إلا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور. وأكثر الناس يروي هذه الأبيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح، غير أن في الرواية الأولى:

نعم شبل الهراس مولاك شبل ... لو نجا من حبائل الإفلاس

وهو يشهد لما روي أولا.

---

(١) العقد الفريد، ص/٢١

وحكى غيرهم قال: دخل العبدي الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين، وقد دعي به، وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلا، والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه مصلاه، قال العبدي: فاستنشدني عبد الله بن علي فأنشدته قولي:

وقف المتيم في رسوم ديار

وهو مصغ مطرق حتى انتهيت إلى قولي:

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار

وبنو أمية دوحة ملعونة ... ولهاشم في الناس عود نضار

أأمي مالك من قرار فالحقي ... بالجن صاغرة بأرض وبار

ولئن رحِلت لترحلن ذميمة ... وكذا المقام بذلة وصغار

قال: فرفع الغمر رأسه إلي، وقال: يا بن الزانية ما دعاك إلى هذا؟ وضرب عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الأرض، وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسان، فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا، وأمر بالغمر فضربت عنقه صبرا.

وكان ابن حزم أميرا على المدينة، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملا شديدا، فشخص إلى الوليد بن عبد الملك، فأنشده قصيدة يمتدحه فيها، فلما بلغ إلى قوله كالذي يشتكي ابن حزم وظلمه:

لا **ترثين** لحزمي ظفرت به ... يوما ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار

فقال له الوليد:

صدقت والله، لقد غفلنا عن حزم وآل حزم، ثم كتب عهدا لعثمان بن حيان المري على المدينة، وعزل ابن حزم، وأمر باستئصال أموالهم، وإسقاطهم جميعا من الديوان.

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون اقترض من التجار مالا كثيرا. فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار، فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، منها قوله:

تذكر أمير المؤمنين قيامه ... بأيمانه في الهزل منه وفي الجد

إذا هز أعواد المنابر باسته ... تغنى بليلى أو بمية أو هند

ووالله ما من توبة نزعت به ... إليك، ولا ميل إليك، ولا ود

وكيف بمن قد بايع الناس، والتقت ... ببيعته الركبان غورا إلى نجد!؟

ومن صك تسليم الخلافة سمعه ... ينادي بها بين السماطين عن بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب في اللحد؟

وعرضها على إبراهيم وهو حينئذ خامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله إبراهيم كتمانها، واستحلفه على ذلك، وأدى مال أبيه دون سائر التجار، ومثل ذلك كثير لو تقصي لطال به الكتاب.

باب احتماء القبائل بشعرائها." (١)

"ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع، ونبهت على بعض المغلبين منهم؛ لما تدعو إليه حلجة التأليف، وتقتضيه عادة التصنيف، غير مفرط ولا مفرط، إن شاء الله.

فمن المقلين في الشعر: طرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة الفحل، وعدي بن زيد، وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء، وهي المعلقة:

لخوله أطلال ببرقة تمهد.

وله سواها يسير؛ لأنه قتل صغيرا حول العشرين فيما روى، وأصح ما في ذلك قول أخته **ترثيه**:

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

أنشده المبرد، والقحم: المتناهي في السن. وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في أيدي الناس على قدم ذكره، وعظم شهرته، وطول عمره، ويقال: إنه عاش ثلاثمائة سنة، وكذلك أبو دواد، وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين قتلت بنو أسد أباه حجرا:

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره:

فلو أدركت علباء بن قيس ... قنعت من الغنيمة بالإياب

لأن امرأ القيس قد كان قد قال:

وقد طوقت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

وقتل عبيدا النعمان بن المنذر يوم بؤسه، وقيل: عمرو بن هند. وعلقمة ابن عبدة حاكم امرأ القيس في شعره

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٦

إلى امرأته، فحكمت عليه لعلقمة، فطلقها، وتزوجها علقمة فسمي الفحل لذلك، وقيل: بل كان في قومه آخر يسمى علقمة الخصي من ربيعة الجوع.
ولعلقمة الفحل ثلاث قصائد مشهورات إحداهن: ذهبت من الهجران في كل مذهب ويروي في غير مذهب وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرئ القيس، والثانية قوله: طحا بك قلب في الحسان طروب والثالثة قوله: هل ما علمت وما استودعت مكتوم وأما عدي بن زيد فلقربه من الريف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لانت ألفاظه فحمل عليه كثير، وإلا فهو مقل، ومشهوراته أربع: قوله:
أرواح مودع أم بكور؟.
وقوله:
أتعرف رسم الدار من أم معبد؟.
وقوله:
ليس شيء على المنون بباقي.
وقوله:
لم أر مثل الفتيان في غير ال ... أيام ينسون ما عواقبها
وقال بعض العلماء وأحسبه أبا عمرو : وعدي في الشعراء مثل سهيل في النجوم: يعارضها ولا يجري معها.
هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها، قليلة في أيدي الناس، ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها.
ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل، وحصين بن الحمام المري، والمتلمس، والمسيب بن علس: كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة.
ويروى عن أبي عبيدة أنه قال: اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة: المتلمس، والمسيب بن علس، وحصين بن الحمام المري، وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي، وهو الحكم الصواب.
ومنهم عنترة، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، من أصحاب المعلقات المشهورات، وعمرو بن معدي كرب، صاحب:
أمن ريحانة الداعي السميع.
والأسعر بن أبي حمران الجعفي صاحب المقصورة:
هل بان قلبك من سليمى فاشتفى؟.
وسويد بن أبي كاهل، صاحب:

بسطت رابعة الحبل لنا.

والأسود بن يعفر، صاحب:

نام الخلي فما أحس رقادي

وله شعر كثير، إلا أنه لا ينتهي إلى قصيدته هذه.

وكان امرؤ القيس مقلا، كثير المعاني والتصرف، لا يصح له إلا نيف وعشرون شعرا بين طويل وقطعة، ولا ترى شاعرا يكاد يفلت من حبائله، وهذه زيادة في فضله وتقديمه.

وأما المغلبون فمنهم نابغة بني جعدة، ومعنى المغلب: الذي لا يزال مغلوبا. قال امرؤ القيس:

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ... ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب

يعني أنه إذا قدر لم يبق، فإذا قالوا: غلب فلان فهو الغالب. وقد غلب على الجعدي أوس بن مغراء القريعي، وغلبت عليه ليلى الأخيلية، قال الجمحي: وقد غلب عليه من لم يكن إليه في الشعر ولا قريبا منه: عقال بن خويلد العقيلي وكان مفحما بكلام لا بشعر، وهجاه سوار بن أوفى القشيري، وهاجاه وفاخره الأخطل، وله يقول عبيد بن حصين الراعي يتوعده:." (١)

"البديع " حصاة القلب " . ومن كلام المولدين قول أبي التواس:

بصحن خد لم يغض ماؤه ... ولم تخضعه أعين الناس

البديع كل البديع عجز البيت. وقال أيضا:

فإذا بدا اقتادت محاسنه ... قسرا إليه أعنة الحدق

البديع " أعنة الحدق " وقوله: " اقتادت " . وقال أبو الطيب:

ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم

أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته، وبالقلب موضع الملك، والخوافي والقوادم السيوف والرماح، وهذا تصنيع بديع، كله حسن الاستعارات.. وقال:

صدمتهم بخميس أنت غرته ... وسمهريته في وجهه شمم

وهذا كالأول جودة.. وقال السري والموصلي:

يشق جيوب الورد في شجراته ... نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد

فالبديع قوله: " متى ينظر " .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٣١

باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك أن تمثل شيئا بشيء فيه إشارة، نحو قول امرؤ القيس وهو أول من ابتكره، ولم يأت أملح منه:

وما ذرفت عيناك إلا لتقذحي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلى، وله سبعة أنصباء، والرقيب، وله ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين الذين مثل بهما عينيها، ومثل قلبه بأعشار الجزور؛ فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل.

وقال حريث بن زيد الخيل:

أبانا بقتلانا من القوم عصبة ... كراما، ولم نأكل بهم حشف النخل

فمثل خساس الناس بحشف النخل، ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذقا أو إشارة.. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة:

لقد جاز أبو ليلى بقحم ... ومنتكث عن التقريب وان

إذا هبط الخبار كبا لفيه ... وخر على الجحافل والجران

وإنما عيره بالكبر، وإنما هو شاب حديث السن.. وقال بعض الرواة: إنما تهاجيا في مسابقة فرسين، وهو غلط عند الحذاق.

ومن التمثيل أيضا قوله:

فنحن أخ لم تلق في الناس مثلنا ... أخا حين شاب الدهر وابيض حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا...

وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة، وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسورا:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

يقول: نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل، وإلا فكنا نقتل قاتله، وهو من قول الله عز وجل في بني إسرائيل " ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياء رخص فيها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدي كرب حين خفقه عمر رضي الله عنه بالدرة، فقال له: الحمى أضرعتني لك، يعني الدين، وإن كان مثل قديما إنما هو الحمى أضرعتني للنوم.

ومن جيد التمثيل قول ضباعة بنت قرط ترثي زوجها هشام بن المغيرة المخزومي:

إن أبا عثمان لم أنسه ... وإن صمتا عن بكاه لحوب

تفاقدوا من معشر! ما لهم ... أي ذنوب صوبوا في القليب؟

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله: " الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة " وقوله: " ظهر المؤمن مشجبه، وخزانته بطنه، وراحلته رجله، وذخيرته ربه " وقوله: " المؤمن في الدنيا ضيف، وما في يديه عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤداة، ونعم الصهر القبر " .

ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل:

إني أقيد بالمأثور راحلتي ... ولا أبالي وإن كنا على سفر

فقوله أقيد بالمأثور تمثيل بديع، والمأثور هو السيف الذي فيه أثر، وهو الفرند، وقوله ولا أبالي حشو مليح، أفاد مبالغة عجيبة، وقوله إن كنا على سفر زيادة في المبالغة، وهذا النوع يسمى إيغالا، وبعضهم يسميه التبليغ، وهو يرد في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان!!؟

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يماني." (١)

"ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول، فهلا قال مثل قول فاطمة رضي الله عنها:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضر وكل يماني

وليبكه الطود المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

صلى الله عليه وسلم، ورحم وكرم وعظم.

والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة.

وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء، كما قال أبو تمام:

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٩١

لولا التفجع لادعى هضب الحمى ... وصفا المشقر أنه محزون

فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا، حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه!! وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنت تبينت التي ... عندها اللوم فلومي واعذلي

إن تكن أخت امرئ ليمت على ... جزع منها عليه فافعلي

فعل جساس على ضني به ... قاطع ظهري ومدن أجلي

لو بعين فديت عيني سوى ... أختها وانفقأت لم أحفل

تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأم قذى ما تفتلي

إنني قاتلة مقتولة ... فلعل الله أن يرتاح لي

يا قتيلا قوض الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

ورماني فقده من كثب ... رمية المصمى به المستأصل

هدم البيت الذي استحدثته ... وسعى في هدم بيتي الأول

مسني فقد كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليومين كمن ... إنما يبكي ليوم ينجلي

درك الثائر شافيه وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل

ليته كان دمى فاحتلبوا ... دررا منه دمى من أكحلي

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات. ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حنوط ... على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا: ماله ولهذه العجوز يصف جمالها؟ وقال الصاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فان كان أراد بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال العجوز فقد اعترض في موضع اعتراض إلى مواضع كثيرة في هذه القصيدة، على أن فيهما ما يمحو كل زلة، ويعفى على كل إساءة قال الصاحب بن عباد: ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله:

رواق العز فوقك مسبطر ... وملك علي ابنك في كمال

ولغل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق الرقيق، وأنا أقول: إن أشد ما هجن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بفوقك؛ فجاء عملا تاما لم يبق فيه الإفض اء.

ومن صعب الرثاء أيضا جمع تعزية وتهنئة في موضع، قالوا: لما مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبيد الله بن همام السلولي فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيما، وأعطيت جسيما، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت، فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، ففارقت جليلا، ووهبت جزيلا؛ إذ قضى معاوية نحبه، ووليت الرياسة، وأعطيت السياسة، فأورده الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور.

فاصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا." (١)

"إذا ما رأوني طالعا من ثنية ... يقولون: من هذا؟ وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي:

إذا أبصرتني أعرضت عني ... كأن الشمس من حولي تدور

فأما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس:

نمشي بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال عبدة بن الطبيب بعده:

ثمة قمنا إلى جرد مسومة ... أعرافهن لأيدينا مناديل

فكشف المعنى وأبرزه.

وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنترة العبسي: وكما علمت شمائلي وتكرمي رزق جدا واشتهارا على قول امرئ القيس:

وشمائلي ما قد علمت، وما ... نبحت كلابك طارقا مثلي

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/١٦٢

ومنه أخذ عنترة، والمخترع معروف له فضله، متروك له من درجته، غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره إن كان طويلا، أو يبسطه إن كان كزا، أو يبينه إن كان غامضا، أو يختار له حسن الكلام إن كان سفسافا، أو رشيق الوزن إن كان جافيا فهو أولى به من مبتدعه، وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر، فأما إن ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه، وسقوط همته، وضعف قدرته.

فمما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال أبو النواس:

أقول لناقتي إذا بلغتني ... لقد أصبحت مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا ... ولا قلت " اشرقي بدم الوتين "

وكرره فقال:

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الحصى ... فلها علينا حرمة وذمام

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس فلو أنها نفس البيت، وقول عبدة بن الطبيب فما كان قيس البيت.

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته، نحو قول أبي تمام:

باشرت أسباب الغنى بمدائح ... ضربت بأبواب الملوك طبولا

فقال أبو الطيب:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته.

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ:

يا ناق سيري واشرقي ... بدم إذا جئت المغيره

سيثيبني أخرى سوا ... ك، وتلك لي منه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته؟؟ ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... عليها الأسد تهتصر اهتصارا

وقول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

وقول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... فدارت بين كبشيها رحاها

ومثله:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... ترى فرسانها مثل الأسود

وأمثال هذا كثير.

وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتا، وأعلاهما سنا، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان، وإن كانا في مرتبة واحدة لهما جميعا، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي حازه قائله، واقتطعه صاحبه، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا

موروثة مجدا، وفي الأصل رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فأخذ النابغة فقال:

شعب العلا فيات بين فروجهم ... والمحصنات عوازب الأطهار

وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره، وبما فيه من المناسبة بذكر الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك، وأخذه الناس من بعده، فلم يغلبه على معناه أحد، ولا شاركه فيه، بل جعل مقتديا تابعا، وإن كان مقدما عليه في حياته، وسابقا له بمماته.

وقال أوس بن حجر:

كأن هرا جنيبا عند غرضتها ... والتف ديك برجليها وخنزير

فلم يقربه أحد، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري هذا المجرى.." (١)

"وهذه رسالة نذكرها، فإذا استحسنا ألفاظها، واستغربنا معانيها، ووقفنا على إبلاغ عظاتها، وهي رسالة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن من الحبس إلى أبي مسلم: بسم الله الرحمن الرحيم من الأسير في يديه، بغير ذنب إليه، ولا خلاف عليه. أما بعد؛ فإنك مستودع ودائع، ومولى صنائع، فاذكر القصاص،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٢١٠

واطلب الخلاص، وأنبه للفكر قلبك، واتق الله ربك، وآثر ما يلقاك غدا على ما لا يلقاك أبدا، فإنك لاق ما سلفت، غير لاق ما خلفت، وفقك الله لما ينجيك، وآتاك شكر ما يوليك.

فخلى سبيل إخوته. ومات عبد الله في السجن، فعاقب الله أبا مسلم ببغيه وأسلمه بغدره، وأتاح له من قتله.

ويروى أن المنصور بعد قتله أبا مسلم خطب فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غش الأئمة، فإنه من غش إمامه أظهر الله سريرته في فلتات لسانه، وسقطات أفعاله، إنا لن نبخسكم حقكم، ولا نبخس الدين حقه عليكم، وأنه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه خبئ هذا العمل وأن أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بنا فقد حل ماله ودمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه فيه، والسلام.

وفي قتله يقول أبو دلامة الأسدي:

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الأسد الورد

باب

مراث بليغة

وعظات موجزة وأبيات مستحسنة

أنشدني أبو محمد التوزي عن أبي عبيدة لأخت عمرو ذي الكلب ترثيه في كلمة وصفته فيها فأطنبت، وعددت فضائله فأكثرت، وذكرت عظم فقده ومبلغ قدره في حياته وانحطاط كل فخر وذكر بعد موته، وهو:

يا من بمقتله زهى الدهر ... قد كان فيك تضاءل البدر

كنت المجير عليه تقهره ... فإذا سطوت فقد سطا القهر

وإذا سكت فإنها عدة ... وإذا نطقت تدفق البحر

وإذا نظرت إلى أخي عدم ... أثرى وزال بلحظك الفقر

وإذا رقدت فأنت منتبه ... وإذا بدوت فوجهك البدر

والله لو بك لم أدع أحدا ... إلا قتلت لفاتني الوتر

ما زال يحسد بطن أرضك ظهرها ... إذا تم أمرك واستوى القدر

حتى حللت ببطنها فتقدست ... فاليوم يحسد بطنها الظهر

وهذا من أحسن المعاني وألطفها، ولها فيه أيضا كلمة أولها:

سألت بعمرو أخي صحبه ... فأوحشني حين هابوا السؤالا

وقالوا تركناه في غارة ... بآية ما قد ورثنا النبالا

أتيح له نمرا أجبل ... فنالا لعمرك منه منالا

فأقسم يا عمرو لو نبهاك ... إذن نبها منك داء عضالا

إذن نبها ليث عريسة ... مفيدا مفيتا نفوسا ومالا

وكان سببه وفاته أن النمر وثب عليه فقتله. وفي هذه القصيدة من حر الكلام وصادق المدح قولها:

وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

فما بلغت مدحتي لامرئ ... يزم الكماة ويعطي النوالا

وينزل في غمرات الحروب ... إذا كره المحجمون النزالا

ومما اخترناه منها قولها:

وخوف وردت وثغر سددت ... وعلج شددت عليه الحبالا

ومال حويت وخيل حميت ... وضيف قريت يخاف الوكالا

وأبراد عصب وخطية ... بنيت لقومك منها الظلالا

وقالت امرأة من بني أسد ترثي ابنها:

لنعم الفتى أضحى بأكناف حائل ... قرى للصفيح الأبيض والأسل السمر

لعمري لقد أرديت غير مزند ... ولا مغلق باب السماحة بالعذر

فتى لم يزل مذ شد عقد إزاره ... مشيد معال أو مقيما على ثغر

فتى لم يكذب فعله نادباته ... بما قلن فيه لا ولا المادح المطري

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

فيقال إن هذا أرثى بيت قالته العرب.

وقال أحد المحسنين أيضا:

وأخ رماني الدهر فيه بفقده ... فالوجد من قلبي عليه دخيل." (١)

---

(١) الفاضل، ص/١٩

"فقصرت بيتا، فبكى الحطيئة فقالوا: ما يبكيك؟ أخوفا من الموت؟ قال: لا والله ولكني أبكى للشعر من رواية السوء؟ فأرسلها مثلا. قالوا أوصنا قال: أوصيكم بالمسئلة طول أعماركم، فان است المسؤل أضيق فأرسلها مثلا، قالوا: أوصنا، قال: اوصيكم " ١١٢:ألف " أن غلامي يسارا ومالكا مملوكان ما بقى من آل أبي مليكة أحد، قالوا: أوصنا في مالك قال: هو للذكر دون الإناث؟ قالوا: ليس كذلك قال الله تعالى، قال فاني أقوله؟ قال فلما اشتد نزعه قال: حملوني على حمار، وكوفوا بي على طرق المدينة، فانه بلغني أن الحمار لم يمت عليه كريم قط، فلعلى لا لأموت فحملوه على حمار فمات عليه.

وقوله " ٣٦٤،٥١٦٦ " وهو ابن مريم السلولي.

ش: ليس بالسلولي، ولكنه الحنفي، وأما أبو مريم السلولي، فهو مالك بن ربيعة، من الصحابة، فهو بصري، روى عنه ابنه يزيد بن أبي مريم وغيره، والحنقي هذا هو يزيد، قاتل زيد، أخي عمر " بن الخطاب رضي الله عنه " باليمامة.

وقوله " ٣٤٦،٥١٦٨ " فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج.

ش: يرد قوله هذا، وقله بعده، أن ابن هبيرة فعل به ما ذكره في خلافة يزيد ما قاله أبو يوسف بن السكيت في " لإصلاح المنطق " قال: قالت بنو تميم للحجاج، وكان قتل صالحا وصلبه، وان بني تميم قالت للحجاج: أقبرنا صالحا، وهذا خلاف قول أبي العباس.

؟؟؟؟؟؟

الباب التاسع والثلاثون

وقوله " ٣٤٧،٥١٦٩ " فان: قبح الله رجلا أجرك رسنه.

ش: رسنكن وهذا المعروف، وفي غير هذا الكتاب، في هذا الخبر كالبيان الجاحظ، وهو الوجه فيه، لأن هنالك: على رجل أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنه الله، وقال يعقوب بنالسكيت: أجررته زسنة إذا تركته يصنع ما يشاء، وعلى هذا يكون في الخطاب: رسنك.

وقوله " ٣٤٧،٥١٧٠ " الدألى: مشي كمشيء الذئب.

ط: المعروف الدألن " ١٢٢:ب " لأنه، من المشى الخفيف، ومنه سمى الذئب دؤالة، والدألاني الذي كأنه يبغى في مشيه من النشاط، قاله الأصمعي، وفي كتاب " العين " الدألان مشية فيها ضعف وعجلة، وقال في الدألان مثل قول الإصمعي.

وقوله " ٣٤٧،٥١٧١ " تعارضه مربية دؤؤل.

ط: الذي رواه غير أبي العباس: تعارضها بتأنيث الضمير وهو الصحيح لأن صدر البيت:

" حقيبة رحلها بدن وسرج "

وقبله " الوافر " :

اجدك لن تريه ولن تراه ... تخب به عذافرة ذمول

فانما بالعذافرة ناقة يركبها، وفرسه مجنونة معها، فالفرس تعارضها في المشي

وقول الراجز " ٣٤٨،٥١٧٢ " .

لو أنني عمرت عمر الحسل ... أو عمر نوح " من الفطحل "

ط: وبعده، وفيه تمام المعنى: "كنت رهين هرم أو قتل " في هذا قولان أحدهما أن الحسل لا يسقط له سن، لأن أسنانه خلقة في فكيه، وليست بمركبة، إذا قيل: لاآتيك سن الحسل، وما دام للحسل سن، والآخرونان العرب تزعم أن الضب يعيش ثلاث مائة سنة.

وقوله " ٣٤٩،٥١٧٤ " فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقيعة؟

ط: كذا وقع في جميع النسخ، وهي الرواية، والصواب:قال فقلت.

وقوله " ٣٤٩،٥١٧٥ " فقالت أخته ترثيه: لعمري وما عمري بهين... لاالبيت.

ش: إنما هذا بمعنى شعر الخنساء، ترثى رجلامن بني سليم وقولها فيه: " جنب أشراج أناخ فألجما " إنما هو غي شعرها، أقام، وما الخيل والإناخة؟ ط: هذا الشعر لريطة بنت عباس بن عامر، وكان غزا ختعم وأصابته رمية فمات، وبعده " الويل " .

" ١١٣:ألف " فآبت عيشا بالنهاب وكلها يرى قلقا تحت الرحالة أهضما فأمسى الحو في قد تعفين بعده كأن الحصى يكسو دوابرها دما الحوافي: الخيل وتعفين: صلحت حالهن، وزال الحفى عنهن.

وقوله " ٣٤٨،٥١٧٣ " لعبيد بن أيوب العنبري.

ش:هو أليف الذئب وله في صفته أشعار.

وقوله " ٣٤٩،١٥٠،٥١٧٥ " قد شد عقد الدوابر

ط:إنما معنى قوله: " قد شد عقد الدوابر " أنهم كانوا يشدون دوابر البيض إلى الدروع لئلا تسقط عن رؤسهم عند الجري والضرب، وقد بين هذا المنجل في قوله:

شدوا دوابر بيضهم ... في كل محكمة القتير

فالدوابر على هذا دوابر البيض، لا دوابر الدروع، وقد يشمرون أيضا دوابر الدروع ليخف عليهم، قال أبو

قيس بن الأسلت. " السريع " :

أعددت للأعداء موضونة ... فضافضة كالنهى بالقاع

أحفرها عني بذى رونق ... أبيض مثل الملح قطاع." (١)

"ثم قال فيها: قاتلا، ففتح. ولم نسمعه ولا شيئا من نحوه إلا شاذا وزعموا أن هذه الأبيات من قول العرب:

يا نخل، ذات السدر والجداول

تطاولي ما شئت أن تطاولي

إنا سنرميك بكل بازل

رحب الفروج لين المفاصل

نخلة: اسم موضع، فرخم. قال أبو عثمان: سمعت أفصح الناس ينشد هذه الأبيات. وقال صخر الغي:

لو أن أصحابي بنو معاويه

أهل جنوب نخلة الشآميه

لم يسلموني للذئاب العاويه

وفي القوافي الإقواء والإكفاء والسناد والإيطاء.

أما الإقواء فمعيب. وقد تكلمت به العرب كثيرا. وهو رفع بيت، وجر آخر، نحو قول الشاعر:

لا بأس بالقيوم من طول ومن عظم ... جسم البغال، وأحلام العصافير

ثم قال:

كأنهم قصب جوف أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير

جر قافية، ورفع أخرى. وقال النابغة:

سقط النصيف، ولم ترد إسقاطه، ... فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد

وقد سمعت مثل هذا من العرب كثيرا ما لا يحصى. قل قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء، ثم لا يستنكرونه، وذلك لأنه لا يكسر الشعر. وكل بيت منها شعر على حياله.

وزعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء. وقد سمعته من غيره من أهل العلم. وسألت العرب الفصحاء عن

---

(١) القرط على الكامل، ص/١٥٠

الإكفاء، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر، والاختلاف، من غير أن يحدوا في ذلك شيئا. إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف وأنشدته:

كأن فا قارورة لم تعفص

منها حجاجا مقلة لم تلخص

كأن صيران المها المنقز

فقال: هذا إكفاء. وأنشده آخر قوافي على رحوف مختلفة، فعابه، ولا أعلمه إلا قال: قد أكفأت. إلا أنني رأيتهم إذا قربت مخارج الحروف، أو كانت من مخرج واحد، ثم اشتد تشابهها، لم يفطن لها عامتهم. والمكفأ في كلامهم هو المقلوب. وإلى هذا يذهبون. قال الشاعر، وسمعته من العرب:

ولما أصابتني من الدهر نبوة ... شغلت، وألهى الناس عني شؤونها

إذا الفارغ المكفي منهم دعوته ... أبر، وكانت دعوة يستديمها

فجعل الميم مع النون لشبهها بها، لأنهما يخرجان من الخياشم، وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن بنت أبي مسافع، امرأة من العرب، قالت **ترثي** أباها، وقتل وهو يحمي جيفة أبي جهل:

وما ليث غريف ذو ... أظافير وإقدام

كحبي إذ تلاقوا، و ... وجوه القوم أقران

وأنت الطاعن النجلا ... ء، منها مزبد آن

وفي الكف حسام صا ... رم أبيض خذام

وقد ترحل بالركب ... وما تخنني بصحبان

جمعت بين النوم والميم لقربهما، وهو فيهما كثير. وقد سمعت من العرب مثل هذا مالا أحصي.

وسمعت الباء مع اللام، والميم مع الراء، كل هذا في قصيدة.

قال الشاعر:

ألا قد أرى لم تكن أم مالك ... بملك يدي أن البقاء قليل

وقال فيها:

رأى من رفيقيه جفاء، وبيعه ... إذا قام يبتاع القلاص ذميم

خليلي حلا واتركا الرحل إنني ... بمهلكة، والعاقبات تدور

فليناه يشري رحله قال قائل: ... لمن جمل رخو الملاط نجيب؟

وهذه القصيدة كلها على اللام. والذي أنشدها عربي فصيح لا يحتشم من إنشاده كذا. ونهيناه غير مرة. فلم يستنكر ما يجيء به. ولا أرى قول الشاعر:

قد وعدتني أم عمرو أن تا

تمسح رأسي، وتفليني وا

وتمسح القنفاء حتى تنتا

إلا على هذا، لأن قوله أن تا أخذ التاء من تمسح، وكانت مفتوحة فزاد معها الألف، ثم أعادها حين قال تمسح. وكذلك الذي في وتفليني، إنما هي الواو التي في وتمسح القنفاء جعل ما قبل الألف حرف الروي، وخالف بين الحروف، لأن التاء قريبة المخرج من الواو، وليست بأبعد من الواو من الراء، واللام من الباء في قوله قليل وتدور ونجيب. وهذا من أقبح ما جاء، لبعد مخارجها.

فأما الميم والنون واللام فكثير. وعلى ذلك قول أبي جهل:." (١)

"إذا اضطرمت نار الجلاد ببيضهم ... غدا ساقطا فيها فراش الحواجب

وتشرق في ليل العجاج رماحهم ... كأن العوالي نصلت بالكواكب

وإنا لنسقي الأرض غيثا من الطلى ... وآخر يجري من عيون الشوارب

وتخضع أعناق الأعادي لعزنا ... كما خضعت أموالنا للمواهب

وإن أعشبت بالبغي هام قبيلة ... أسمنا بها بيضا رقاق المضارب

لعمري لقد سار الزمان بفخرنا ... إلى غاية تنأى على كل طالب

نجز باب الفخر والحمد لله رب العالمين

باب

المراثي

ما رثي به رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير، وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تمحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد

---

(١) القوافي للأخفش الأوسط، ص/٧

بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد

وهل عدلت يوما رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد

تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد

وقال أيضا:

إلى صلوات الله تترى ورحمة ... تزيد، على من طاب حيا وميتا

على من ينادى للصلاة بذكره ... إذا ما دعا الله المنادي وصوتا

وقال أيضا:

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا ... يا خير من وطئ الثرى: لا تبعد

وجهي يقيك الترب، لهفي، ليتني ... غيبت بعدك في بقيع الغرقد

فظللت بعد وفاته ﷺ تبلدا ... متلددا، يا ليتني لم أولد !

يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

وقالت فاطمة ابنته ترثيه:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه، كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان

وليبكه الطود المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلى عليك منزل القرآن

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك مما ... أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول

ويهدينا فلا تخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل

فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

وقال حسان بن ثابت يرثي النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما:

ثلاثة برزوا بسيفهم ... نصرهم ربهم إذا نشروا

عاشوا بلا فرقة حياتهم ... واجتمعوا في الممات إذ قبروا

فليس من مسلم له بصر ... ينكرهم فضلهم إذا ذكروا

وقال أيضا يرثي أبا بكر رضي الله عنه:." (١)

"كان يهدى إليه ما بين صنعا ... ء فمصر إلى قرى يبرود

وترى خلفه زرافات خيل ... حافلات تعدو بمثل الأسود

فرمى شخصه فأقصده الده ... ر بسهم من المنايا سديد

ثم لم ينجه من الموت حصن ... دونه خندق وبابا حديد

وملوك من قبله عمروا الأر ... ض أعينوا بالنصر والتأييد

فلو أن الأيام أخلدن حيا ... لعلاء أخلدن عبد المجيد

ما درى نعشه ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود

ويح أيد حثت عليه وأيد ... دفنته ما غيبت في الصعيد

حين تمت آدابه وتردى ... برداء من الشباب جديد

وسقاه ماء الشبيبة فاهت ... ز اهتزاز الغصن الندي الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا ... ن عليه لزائد من مزيد

---

(١) الحماسة المغربية، ص/٧٨

وكأني أدعوه وهو قريب ... حين أدعوه من مكان بعيد
فلئن صار لا يجيب لقد كا ... ن سميعا هشا إذا هو نودي
يا فتى كان للمقامات زينا ... لا أراه في المحفل المشهود
فبرغمي كنت المقدم قبلي ... وبكرهي دليت في ملحود
كنت لي عصمة وكنت سماء ... بك تحيا أرضي ويخضر عودي
وقال عبد العزيز بن عبد الرحيم الهاشمي:
بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر ... تفاحش صدع الدين عن ألؤم الكسر
فيابن النبي المصطفى وابن بنته ... ويابن علي والفواطم والحبر
ويابن اختيار الله من آل آدم ... أبا فأبا، طهرا يؤدي إلى طهر
ويابن سليمان الذي كان ملجأ ... لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر
ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا ... وروى حجيجا بالملمعة القفر
فوا حزنا لو في الوغى كان موته ... بكينا عليه بالردينية السمر
وكنا وقيناه القنا بنحورنا ... وبات كذا في غير صيح ولا نفر
وقال الحسين بن مطير الأسدي:
ألما على معن فقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عشت في معروفه بعد موته ... كما كان السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
وقال آخر:
واحزني من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون
والأسد والمزن والرواسي ... والخفض والأمن والسكون
لم تتنكر لنا الليالي ... حتى توفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

وقال أشجع السلمي:

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ... ولا مغرب إلا له فيه مادح

وما كنت أدري ما فواضل كفه ... على الناس حتى غيبته الصفائح

وأصبح في لحد من الأرض ميتا ... وكانت به حيا تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض ... فحسبك مني ما تجن الجوانح

كأن لم يمت حي سواك ولم تقم ... على أحد إلا عليك النوائح

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... لقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثيه:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

فقدناه فقدان الربيع وليتنا .. فديناه من ساداتنا بألوف

عليك سلام الله وقفا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

وقال أبو محمد التيمي وتروى لمسلم بن الوليد:

أحق أنه أودى يزيد ... تأمل أيها الناعي المشيد." (١)

"شدوا المآزر حتى تستقيد لكم ... وشمروا إنها أيام تشمار

وابكوا فتى الحي لاقته منيته ... وكل نفس إلى وقت ومقدار

كأنهم يوم راموه بجمعهم ... راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار

والشكيمة: شدة النفس وصحة العزيمة. والشكيمة. الحديدة المعترضة في اللجام.

حتى تفرجت الآلاف عن رجل ... مجدل خر كرها غير مختار

تجيش منه فويق الثدي مزبدة ... بعاند من نجيع الجوف ثوار

لو منكم كان فينا لم ينل أبدا ... حتى تلاقوا أمورا ذات آثار

أعني الذين إليهم كان منزله ... هل تعرفون ذمام الضيف والجار ؟

تعاقب خفاف بن ندبة وعوفا لأنهما هربا عنه وهما من المعدودين من الفرسان. وكان خفاف من فرسان العرب وأدرك الإسلام فأسلم.

---

(١) الحماسة المغربية، ص/٨٤

لا صلح حتى تكروا الخيل عابسة ... تعدو وترمي بمهرات وأمهار

فتغسلوا عنكم عارا تجللكم ... غسل الجواري حيضا عند أطهار

قال: هذا مثل وقالت أيضا **ترثي** صخراً: المتقارب

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

فأقسمت آسى على هالك ... وأسأل نائحة ما لها

أبعد ابن عمرو بن آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

معنى حلت به الأرض أثقالها: من الحلية: أي زينت به أثقالها، تعني الموتى. قال الله عز وجل: وأخرجت الأرض أثقالها قالوا: يعني الموتى.

لعمر أبيه لنعم الفتى ... تحش به الحرب أجذالها

أي توقد به الحرب أجذالها. والجذل: أصل الشجرة. فضربته مثلا لشدة الاتقاد، وأنه صاحب ذلك.

حديد السنان ذليق اللسان ... يجاري المقاريض أمثالها

وخيل تكدس مشي الوعو ... ل نازلت بالسيف أبطالها

بمعترك بينهم ضيق ... مجر المنية أذيالها

تقابلها فإذا أدبرت ... بللت من الطعن أكفالها

الأكفال: واحدها كفل وهو الردف من الرجل والمرأة.

تهين النفوس وهون النفوس ... غداة الكريهة أوفى لها

يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: رب منية سببها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت.

ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف زفنا لها

تعني بقولها: زفنا لها أي جئنا نمشي إليها هونا.

ككرفئة الغيث ذات الصبير ... ترمي السحاب ويرمى لها

الكرفئة واحدة الكرافيء وهو تكاثف الغيم واسوداده.

قال: وحدثنا المازني بإسناد آخره رؤبة بن العجاج قال: خرجت مع أبي، نريد الوليد بن عبد الملك، فأهدي لنا جنب من لحم عليه كرافيء الشحم ووطب من لبن، فطبخنا هذا بهذا، فما زالت ذفرياي تنتحان منه حتى رجعنا. وإنما شبهه لكثرة الشحم وركوب بعضه على بعض بكرفئة الغيم.

وداهية جرها جارم ... تبيل الخواصر أحبالها

كفيت ابن عمرو لم تستعن ... ولو كان غيرك أدنى لها

وعيرانة كأتان الثمي ... ل غادرت بالخل أوصالها

قولها: وعيرانة تعني: ناقة تشبه بالحمار الوحشي. وأتان الثميل: صخرة تكون في الحوض معروفة. والثميل: بقية الماء. فتقول هي صلبة كصلابة هذه الصخرة. والخل: الطريق في الرمل. فتقول: غادرتها هناك لشدة السير.

إلى ملك لا إلى سوقة ... وذلك ما كان إكلالها

ومحصنة من بنات الملو ... ك قعقعت بالرمح خلخالها

وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

فزال الكواكب من فقده ... وجللت الشمس أجلالها

هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها

لأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها

ومما يؤثر ويقتفى من قولها: البسيط." (١)

"شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عسرا علي طلابك ابنة مخرم

ومثل هذا كثير جدا.

أمطعمكم وحاملكم تركتم ... لدى غبراء منهدم رجاها

ترى الشمط الجحاجح من سليم ... تبل ذرى مدامعها لحاها

ليبك الخير صخرا من معد ... ذوو أحلامها وذوو نهاها

وخيل قد لفقت بجمع خيل ... فدارت بين كبشيها رحاها

محافظة ومحمية إذا ما ... نبا بالقوم من جزع لظاها

وقالت: الوافر

ألا يا عين فانهملي بغزر ... وفيضي عبرة من غير نزر

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٢٤

ولا تعزي عزاء بعد صخر ... فقد غلب العزاء وعيل صبري
لمرزئة كأن الجوف منها ... بعيد النوم يسعر حر جمر
على صخر وأي فتى كصخر ... لعان عائل علق بوتر
وللأضياف إن طرقوا هدوا ... وللكل المبر وكل سفر
إذا نزلت بهم سنة جماد ... أتى بالدر لم يكسع بغبر
كان من شأنهم، إذا أجدبت السنة أو خافوا الجدب، أن تنضح الضروع بالماء البارد ليبقى اللبن فيها ادخارا واستءدادا وبخلا من بعضهم. فلذلك يقول الحارث ابن حلزة: السريع
لا تكسع الشول بأغبارها ... إنك لا تدري من الناتج
الغبر: بقية اللبن، وغابر كل شيء: باقيه. ويقول: لا تبخل فتحبس لبنك، فإنك لا تدري لمن يكون ذلك اللبن، ألك أم لوارثك أم لمغير عليك.
واصبب لأضيافك ألبانها ... فإن شر اللبن الوالج
وكل مردود مكسوع.
هنالك كان غيث حيا وعزا ... لمن أرسى إليه غير وعر
وأحيا من مخبأة كعاب ... وأشجع من أبي شبل هزبر
هريت الشدق رئبال إذا ما ... غدا لم تنه غدوته بزجر
تدين الخادرات له إذا ما ... سمعن زئيره في كل فجر
غياث إن تأوبه غريب ... لعسر في الحوادث أو ليسر
إذا ما الوفد حل إلى ذراه ... تلقاهم بوجه غير بسر
تفرج بالندى الأبواب عنه ... ولا يكتن دونهم بستر
دهتني الحادثات به فأضحت ... علي همومه تغدو وتسري
وقالت أيضا: البسيط
يا عين مالك لا تذرين تسكابا ... إذ راب دهر وكان الدهر ريابا
فابكي أخاك لأيتام وأرملة ... وابكي أخاك إذا جاورت أجنابا
وابكي أخاك لخيل كالقطا قطف ... فقدن لما ثوى سبيا وإنهابا
يعدو به سابح نهد مراكله ... مجلبب من سواد الليل جلبابا

حتى يصبح قوما في ديارهم ... فيسلبوا دون صف الموت أسلابا

هو الفتى الكامل الحامي حقيقته ... مأوى الغريب إذا ما جاء منتابا

يهدي الرعيل إذا جار السبيل بهم ... نهد التليل لزرق السمر ركابا

المجد خلته والجود علته ... والصدق حوزته إن قرنه هابا

ركاب مفظعة، حمال مضلعة ... إن خاف معضلة سنى لها بابا

شهاد أندية، هباط أودية ... حمال ألوية للوتر طلابا

سم العداة وفكاك العناة إذا ... كان الوغى لم يكن للموت هيابا

قال أبو العباس: والجود علته أي أن الناس إذا سئلوا اعتلوا في الجود بالعلل، فجعلته هو علته الجود، كما قال الله جل وعز: النار وعدها الله الذين كفروا معناه: الوعد النار.

وقالت أيضا ترثي أخاها معاوية بن عمرو: الوافر

هريقي من دموعك واستفيقي ... وصبرا إن أطقت ولن تطيقي

وقولي إن خير بني سليم ... وفارسهم بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي ... وأيام لنا بلوى الشقيق

وإذ فينا معاوية بن عمرو ... على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد ولى حميدا ... أصيل الرأي محمود الصديق." (١)

"وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج غازيا، فلما كان في بلاد جشم بن بكر ابن هوازن، نزل فأخذ صفنته ويقال صفنه وخلا لحاجته بين الشجر ورأى غفلته قيس ابن الأسوار الجشمي فتبعه وقال: هذا قاتل معاوية، لا وألت إن وأل. فلما قعد لحاجته تستر له بين الشجر حتى إذا كان خلفه أرسل عليه معبلة ففلق قحقحه، وهو العصعص الذي عليه عجب الذنب، فقالت الخنساء: الوافر

فدى للفارس الجشمي نفسي ... وأفديه بمن لي من حميم

فداك الحي حي بني سليم ... بظاعنهم وبالأنس المقيم

كما من هاشم أقررت عيني ... وكانت لا تنام ولا تنيم

وكان هاشم من أشد العرب، وله يقال: مشطور الرجز

أحيا أباه هاشم بن حرمله ... يوم الملوك حوله مغربله

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٢٦

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

فقالت الخنساء ترثيه وأخاها صخرا: الوافر

بكت عيني وعاودت السهودا ... وبت الليل جانحة عميدا

لذكرى معشر ولوا وخلوا ... علينا من خلافتهم فقودا

فكم من فارس لك أم عمرو ... يحوط سنانه الأنس الحريدا

الحريد: البعيد

كصخر أو معاوية بن عمرو ... إذا كانت وجوه القوم سودا

يرد الخيل دامية كلاها ... جدير يوم هيجا أن يصيدا

يكبون العشار لمن أتاهم ... إذا لم تصمت الأم الوليدا

فتابع بينهم ورد فأضحوا ... مع الهلاك قد لحقوا ثمودا

وقالت أيضا ترثي صخرا: الطويل

ألهفي على صخر لكل عظيمة ... إذا الخيل من طول القياد اقشعرت

إذا الخيل شكت في السريح وطابقت ... طباق الكلاب في الهراش وصرت

يقال: شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلعت ظلعا خفيفا كما قال ذو الرمة: البسيط

.... كأنه مستبان الشك أو جنب

وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع. وطابقت أي وقعت أرجلها مكان أيديها وصرت آذانها.

وخيل تنادى لا هوادة بينها ... مررت بها دون السوام ومرت

كأن مدلا من أسود تبالة ... يكون لها حيث أستدارت وكرت

شددت عصاب الحرب إذ هي مانع ... فألقت برجليها مريا ودرت

وكان أبو حسان صخر يصدها ... ويرغثها بالرمح حتى أقرت

وكانت إذا ما حالب يستدرها ... تقته بإيزاغ دما واقمطرت

اقمطرت: معناه اشتدت وقالت أيضا ترثيه: الطويل

أمن حدث الأيام عينك تهمل ... تبكي على صخر وفي الدهر مذهل

ألا من لعين لا تجف دموعها ... إذا قيل تفنى تستهل فتحفل

على ماجد ضخم الدسيعة سيد ... له سورة في قومه ما تحول

قال: السورة ها هنا: الدرجة من الملك والقدرة العالية، من ذلك قول النابغة: الطويل

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

ويقول الرجل: سرت، فمعناه: ارتفعت وعلوت. قال العجاج: الرجز

يا رب ذي سرادق محجور ... سرت إليه من أعالي السور

وقال الأخطل يصف خمرا خرجت حين فتح مبزلها: البسيط

لما أتوها بمصباح ومبزلهم ... سارت إليه سؤور الأبجل الضاري

فما بلغت كف امريء متناول ... من المجد إلا حيث ما نلت أطول

وما بلغ المهدون في القول مدحة ... وإن كثرت إلا الذي فيك أفضل

وما الغيث في جعد الثرى دمث الربى ... تبعق فيه الوابل المتهلل

بأجزل سيبا من نداك ونعمة ... تعم بها بل سيب كفك أجزل

وجارك محفوظ منيع بنجوة ... من الذل لا يؤذى ولا يتذلل

من القوم مغشي الرواق كأنه ... إذا خاف صبحا خادر متبسل

شرنبث أطراف البنان ضبارم ... له في عرين الغاب عرس وأشبل

هزبر هريت الشدق رئبال غابة ... مخوف اللقاء كاليء العين أنجل." (١)

"لعمرك ما خشيت على حيي ... متالف بين حجر والسلي

ولكني خشيت على حيي ... جريرة رمحه في كل حي

وقال امرأة من كندة ترثي إخوتها: الطويل

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ... فماتوا وأطراف القنا تقطر الدما

ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أسباب مجد تصرما

وقال رجل من الخوارج يرثي عددا منهم: الوافر

ألا في الله لا في الناس سالت ... بداوود وإخوته الجذوع

مضوا قتلا وتشريدا وصلبا ... تحوم عليهم طير وقوع

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٢٨

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقالت الكندية: البسيط

لا تخبروا الناس إلا أن سيدكم ... أسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا

أعني فتى لم تهب الريح رائحة ... يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا

الواهب الألف لا يبغي لہا ثمنا ... إلا من الله والحمد الذي صنعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي: البسيط

قد كنت أبكي على من فات من سلفي ... وأهل ودي جميع غير أشتات

والآن إذ فرقت بيني وبينهم ... نوى بكيت على أهل المودات

وما بقاء امريء كانت مدامعه ... مقسومة بين أحياء وأموات

وكان أبو عبد الرحمن وسيطا في قريش، من ولد عتبة بن أبي سفيان. وكان معدنا من معادن العلم بالأخبار جاهليتها وإسلاميتها وكان بالإسلامي أخبر. وتوالى له بنون موتا. ورثاهم مراثي كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم من المراثي إن شاء الله.

فمن ذلك قوله: الكامل

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحمد في المصائب كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

يا واحدا من ستة أسكنتهم ... حفرا تقسم بينهم ورجوم

لولا معالم روسهن لما اهتدى ... لحميمه بين القبور حميم

وقال أيضا: المنسرح

كل لساني عن وصف ما أجد ... وذقت ثكلا ما ذاقه أحد

وأوطنت حرقة حشاي فقد ... ذاب عليها الفؤاد والكبد

إن أزمعت بالعزاء لج بها الش ... وق فنيران حرها تقد

ما عالج الحزن والحرارة في ال ... أحشاء من لم يمت له ولد

فجعت بابنين ليس بينهما ... إلا ليال ليست لها عدد

فالنفس تطوى على أحر من ال ... جمر وأدنى أرجائها الكمد

وكل حزن يبلى على قدم الد ... هر وحزني يجده الأبد

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: قدم علينا بشر بن مروان وهو أشرف الناس، وأجمل الناس، وأشب الناس، ابن خليفة وأخو خليفة، فلبث خمسة وأربعين يوما ثم طعن في نيطه فمات. فخرج به إلى قبره والناس معه. وجاء سودان ثلاثة يحملون أسود، فدفن هذا وهذا. وخرجت إلى الصحراء ثم رجعت وقد انصرف عنهما، فلم أعرف قبر هذا من قبر هذا.

قال أبو العباس: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات وحدثني بهذا الحديث الذي أذكره غيره أيضا أن محمد بن عبد الملك كانت له جارية وكان بها ضنينا، وكان له منها ابن يقال له عمر وهو باق الآن، فماتت وابنها هذا صغير. وسمعت أبا أيوب سليمان ابن وهب يتحدث بقطعة من خبر محمد بن عبد الملك في ضنه بابنه هذا. فرثاها ببيتين هما جاريان على ألسن الناس مشهوران: الطويل

يقول لي الخلان لو زرت قبرها ... فقلت: وهل غير الفؤاد لها قبر ؟

على حال لم أحدث فأجهل عهدها ... ولم أبلغ السن التي معها الصبر

ورثاها فقال شعرا يقرب من القلب، ويضطر إلى تصديقه، ويرتاح لعهد قائله، ويرحم لشكوى بثه وهو: الطويل

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بعيد الكرى عيناه تنسكبان ؟." (١)

"٩ - لا تشر في رأس اليفاع فإننيلذي الشوق من رأس اليفاع نذير

١٠ف - لم يبق مني الحب ال سمامةتكاد بها الريح الهبوب تطير

١١و - أصبح أهلي يقتنون سمامتيكما تقتنى بعد الهيام جفور

٢١* - الفروق من النوق، والجمع الفرق. وهي الجذعة فما فوقها إذا أجذعت ولم تلقح وإنما حقها أن تلقح حقة والجذعة فوق الحقة، فإذا بلغت الأجذاع وما فوقه ولم تلقح، فهي فروق وإنما تحمل بنت اللبون وهي دون الحقة العرب تهتجن بنات١٣ اللبن وهي الهجن، والفعل الأهجان، وقيل لبعض العرب بما ثروتم؟ فقال: بإهتجان الشبان وتغبر الشيخان معناه: أنا نعجل بالشباب بالنكاح، ونتغير الشيخ بقية ما فيه من الماء على الكبر.

٢٢* - العوار في العين هو الغمض الأبيض التي تقذفه إلى الموق، واللحاظ العين الرمدة. والطلون من البثار بعيدة القعر. والطلوب إسم بئر بعينها وهي بين السقيا وبين العرج عندها آجام، وكانت مسكنا وهي اليوم خراب وكانت منزل فضلة بن عمرو الغفاري صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - . والعقاب

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٤٢

والضرس مانتأ من الطي والجمع العقبان والضروس.

٢٣* - وأنشدني الأشجعي

فيارب...١٤

....

.... ١٥

٢٤* - وسألت الباهلي عن تيمن فقال: ١٦

هضبة برأس الزرود الشريف مغرب الشمس من حصن إبن عصام بيوم وسيل تيمن يصب على الكلاب والكلاب وآد به نخل وسدر وطلح وبجانب الكلاب ثهلان، جبل عظيم علم أسود به الوحوش عرضه يوم. به ذو فلجى وذو يقين والريان و الريا واطيا واليريض، واليريض خسف في الأرض به ماء وكل ماءا أسمينا بالشريف، وجذنة هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب.

٢٥* - وأنشدني إبن بال الكلابي. وهذا إبن عم ثومة وروايته في النمري، زوج إبنته وأستهداها فشاقها فقالت: " الطويل "

١ - ألم تر يا يوم الجنينة للهوى وللأمر لما عزني الأمر فاعله ١٧

٢و - لي كدت ألقى الله فرط صبابةعلى عجوي ب يوم ولت رواحله

٣س - عينا فأشرفنا اليفاع ففاتنيبها ذو أفانين قد إشتق بازله

٢٦* - وأنشدني أبو جعفر مسلم محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى، لبدوية **ترثي** أخاها: " المتقارب ".

١أ - لا هلك العرف والنائلومن كان يعتمد السائل

٢و - من كان يطمع في مالهغنى العشيرة والعائل

٣ف - من قال خيرا وأثنى بهعليه فقد صدق القائل

٢٧* - وأنشدني المسلم بن أحمد بن يزيد بن عبد الله بن الخيار الحربي لمحمد بن زيد البكاي صاحب صبية: " الطويل "

١ - أترضين لي نومي وقلة همتي ومالي مال يا مليح ولا لك ١٨

٢س - ارمي بهذا الرأس كل تنوفةمخوف رداها كراهة من جلالك

٣ف - إن أكتسب مالا وارجع نحوكمهناك ألذ النوم بين حجالك

٤و – إن يكن الرحمن سيب منيتيفللموت أرخى عندنا مشن زيالك

٢٨* – أنشدني الخشعمي أحمد بن أويس وهو إلى شهران: " الطويل "

١و – جاءت ينثو أود◌ ولم تأل غيرهلنا ذرعاء مستهان سفيرها

الواحد ذريع، وسفير: للذي يسفر بين الناس: ٢ – وفاءت رجال المصعبين وخيمت رجال وهابت صيدها وصقورها المصعبين من شهران من خشعم، ورجال، أخو المضعبين.

٢٩* الغفر ولد الروية:." (١)

"في هذا البيت دلالة على فساد قول من قال إن قولهم: " يا لزيد " معناه: يا آل زيد، ألا ترى إنه لا تضاف " آل " هذه " إلا " إلى الأخص الأعرف فتقول: هؤلاء آل الله، " قال سبحانه " : (أدخلوا آل فرعون اشد العذاب). فلا تقول: رأيت آل رجل، ولا: كلمت آل امرأة وقد قال: " يا لقوم " وهو نكرة غير معرفة فقد ثبت إن معناه يا قوم، زقزم ليس من الأعلام ولا من الخواص.

(٣٣) وقال خالد بن زهير بن المجرب " من الطويل "

لعمر بني هند لقد دق مضغكم ... ويؤتم إلى أمر إلي عجيب

قال: " دق مضغكم " : صغر شأنكم، هذا تفسير على المعنى لا على اللفظ، ألا ترى إن أحدا لا يسمه الشأن مضغا. وتفسير معناه إنه استصغر شأنهم فسماه مضغا لأن هذه كلمة بكنى بها عن الضعة والصغار كقولك: جاءني يمضغ كلامه، أي وكلامه فاتر ساقط.

ومنها:

ولم يجد فعلي نقرة بمسافع ... فيثنى أمنا كان غير مثيب

معناه: فعلي بمسافع، فإن حملته على هذا كان فيه الفصل بالأجنبي، ألا ترى إن الباء كانت تكون من صلة " فعلي " وقد فصلت بينهما بقولك " نقرة " أجنبية منهما لأنها منصوبة ب " يجد " فإذا كان كذلك حملته على مضمر محذوف يدل عليه " فعلي "كأنه قال فيما بعد: فعلت بمسافع، ونظيره قول الله سبحانه: (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون)، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.

(٣٤) وقالت أم تأبط شرا ترثيه

يجدل القرن ويروى الندمان ... ذو مقط يرمي وراء الأخوان

---

(١) التعليقات والنوادر، ص/٣

المأقط: مجتمع الجيش للحرب وهو " مفعل " من الأقط لأنه لبن يجمع، وقالت أيضا فيه:

وآ ابناه وآ أبن الليل ... ليس بزميل شروب للقيل

يضرب بالذيل ... كمقرب الذيل

زميل: ضعيف وهو " فعيل " من الزمل والزميل، وهو الرديف كأنه ملصق مستضعف.

(٣٥) وقال شاعر بني قريم " من الوافر " :

تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب

أي الذين يصابون، ذهب بالمصاب إلى الجنس كقوله أنشدناه أبو علي وقرأته على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى " من الرجز " :

إن تنجلي يا مي أو تعتلي ... أو تصبحي في الظاعن المولى

يريد في الظاعنين المولين وانشد أبن الأعرابي " من الرجز " :

يا حبذا نضحك بالمشافر ... وبالعثانين وبالحناجر

على رؤوس كرؤوس الطائر

يريد: الطير.

وفيها:

فزلتم تهربون ولو كرهتم ... تسوقون الخزائم بالنقاب

قال: يريد ما زلتم، وهي لغة لهم. الشائع في هذا إنما هو حذف " لا " كقوله " من الطويل " :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي: لا ابرح، إلا إنه شبه " ما " ب " لا " كما شبه " لم " ب " ما " ، قال الأعشى " من المتقارب " :

أجدك لم تغتمض ليلة ... فترقدها مع رقادها

أي: ما تغتمض، وأنشدنا أبو علي " من الوافر " :

أجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيدان ناجية ذمولا

أراد " ما ترى " ، وذلك إن الفعل بعد " أجدك " إنما هو للحاضر والحال ونفى فعل الحال إنما هو ب " ما " دون غيرها. وينبغي أن تكون " الخزومة " وهي البقرة سميت بذلك لأنها تخزم إلى غيرها أي تشد إليها ليحرث عليها، وكذا العرف في البقر في غالب الأمر. قال الله عز وجل: (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث).

(٣٦) وقال شاعر فهم واسمه كاثف " من الطويل " :

غداة تساهمنا الطريق فبزنا ... سوام كقلس البحر جون وأبقع." (١)

"حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أصحابنا أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج: أنفذ مع عبد الله بن كعب أربعة آلاف إلى خراسان ففعل، فشخص في المعسكر ثلاثة كانوا متؤاخين متصاحبين على اللذات ومعاقرة الشراب، يقال لهم: أوس بن حارثة وأنيس بن خالد وبشر بن غالب، وكانوا إذا نزلوا منزلا انفردوا دون الناس فخلوا بشرابهم ولذاتهم، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلوا سجستان ونزلوا رزداق راوند وخزازى..قال أحمد بن يحيى: الصواب ما ذكره وهو رزداق، ورستاق خطأ – فمات أوس – قال القاضي: أصل هذا الكلام بالفارسية وعرب فقيل: رزداق ورستاق، وهو أكثر في كلام من تقدم ومن تأخر فيما وردت الأخبار عنهم به فعظم حزنهما عليه وجزعهما له، وقال أنيس يرثيه:

تخطى إلي الموت من بين من أرى ... فأتلف ندماني لقد جار واعتدى

أثلبني فتى كان النديم حياته ... لنا دون خلق الله كان أبا الرضا

حليما أديبا ماجدا ذا سماحة ... بعيدا عن الفحشاء والشر والخنا

أمينا جوادا غير كز مخالف ... ولا جاعلا ربا من المال ما حوى

يخونه الدهر الخئون بريبة ... فأصبح رهنا للصفائح والصفا

أناديه يا أوس بن حارثة الذي ... به كنت أنفي الهم عني والأذى

أجبني لقد أنفذت بالوجد عبرتي ... عليك أما ترثى لباك إذا بكى

وقد كنت ذا رأي وسمع وفطنة ... سريعا إلى الداعي مجيبا الندا

فليس لنا إذا مات أوس منادم ... سوى قبره حتى يحل بنا الردى

وقال فيه أيضا:

وردنا خزازي إذ وردنا ثلاثة ... كأنا جميعا أيها الناس واحد

أنيس وأوس الحارثي بن خالد ... ونصر أخوهم والمنايا رواصد

فكنا ولا نبغي من الناس رابعا ... كأنا أثاف لا نريم رواكد

فلما رمانا الناس بالأعين التي ... متى يرمقوا شيئا بها فهو بائد

رمتني بنات الدهر منا بأسهم ... ونبل المنايا للرجال قواصد

---

(١) التمام في تفسير أشعار هذيل، ص/٣٢

فأردين أوسا لهف نفسي لفقده ... سقي قبره صوب الغمام الرواعد

فمات أنيس فعظم حزن نصر عليه، واتصل بكاؤه وجزعه له، وقال يرثيه:

أنيس فدته النفس ميتا فقدته ... فنفسي له حرى عليه تقطع

أنيس فدتك النفس أصبحت مفردا ... وحيدا فما أدري أخي كيف أصنع

أنيس فدتك النفس خلفت حسرة ... علي فعيني الدهر ما عشت تدمع

أنيس فدتك النفس ماذا رزئته ... لقد خفت أن أقضي وشيكا فأسرع

فكيف بقائي بعد أوس أخي الفدى ... وبعد أنيس لست في العيش أطمع

ثم جعل يجلس بين قبريهما فيشرب قدحا ويصب في كل قبر قدحا، ويقول:

خليلي هبا ما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كراكما

ألم تعلما ما إن راوند كلها ... ولا بخزازي لي صديق سواكما

أصب على قبريكما من مدامة ... فإلا تذوقا أرو منها ثراكما

مقيم على قبريكما لست بارحا ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

أجدكما ما ترثيان لموجع ... حزين على قبريكما إذ بكاكما

جرى النوم بين اللحم والعظم منكما ... كأنكما كأسي عقار سقاكما

ألم ترحماني أنني صرت مفردا ... وأني مشتاق إلى أن أراكما

أناديكما بالجهر مني صبابة ... كأنكما لم تسمعا من دعاكما

فإن كنتما لا تسمعاني فما الذي ... خليلي عن سمع الدعاء عداكما

سأبكيكما حتى الممات فما الذي ... يرد على ذي عولة إن بكاكما

فلم يزل يشرب ويردد هذا الشعر حتى مات، فدفن إلى جانبهما، فقبورهم هناك تسمى قبور الإخوة.

تعليق لغوي." (١)

"قال القاضي رحمة الله عليه: هذه المراثي من أحسن المراثي وأبلغها من القلوب، للطف معانيها، ورقة حواشيها، وقرب ألفاظها وعذوبتها، وسماحة مجاريها وطلاوتها، وقل ما أثر في قلبي منظوم تأثيرها عند أنشادها، وكانت لي ابنة لطيفة المحل من قلبي، نفيسة المنزلة في نفسي، ذات محاسن كثيرة، وفضائل غزيرة، ورزقت حظا من حفظ التلاوة والآداب الدينية، مع عقل رصين ونزاهة ودين، وهبها الله ليبفضله

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/١٢١

ونعمته، ثم استأثر بها بعدله ومشيئته، فسلمت للرب جل جلاله قضاءه فيها وعرفت حسن اختياره لي ولها، إذ كان خالقها أملك بها من والدها ومنشيها، وأرحم بها من ثاكلها، وصابرت عظيم المصاب بها، ورضيت بثواب الله عوضا منها، ولهجت بهذه الأبيات التي قدمت ذكرها فمكثت زمانا أقطع ليلي ونهاري بترجيعها والترنم بها، وأستشفي بفيض دموعي ورفع عفيرتي بتردادها، ولإعجابي بها رأيت إتباعها بذكر ما حضرني من الأخبار التي تضمنتها أنسا مني بإعادتها، ولم أدخل بعض الآتية بها في بعض إذ كانت قد وقعت إلي من جهات شتى وطرق مختلفة.

فمن ذلك ما حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: أخبرنا الزبير، قال: قال عبد الملك بن قريب الأصمعي: خرجت ذات يوم في البادية فإذا أنا بامرأة إلى جانب قبر وهي تشير بيدها، فقلت: ينبغي أن تكون هذه تندب أو ترثي، فدنوت حتى قربت منها فإذا هي تقول:

هل خبر القبر سائليه ... أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما ... بالجسد المستكن فيه

لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كل من بليه

يا قبر لو تقبل افتداء ... كنت بنفسي سأفتديه

أنعي بريدا إلى حزوب ... تحسر عن منظر كريه

أندب من لا يحيط علما ... بوصفه ندب نادبيه

يا جبلا كان فا امتناع ... ةركن عز لآمليه

أنعي بريدا لمجتنيه ... أنعي بريدا لمعتفيه

يا نخلة طلعها نضيد ... يقرب من كف مجتنيه

تحلو نعم عنده سماحا ... وطيبها راتب بفيه

أيا صبورا على بلاء ... كان به الله مبتليه

قال: عبد الملك فحفظت ما قالت، ثم دنوت إليها، فقلت لها: أعيدي لفظك رحمك الله، قالت: أما والله لو علمت أن أحدا يسمعني ما تفوهت به، قال: فقلت لها: إني أسألك ألا أعدتيه، فقالت: يا شيخ سوءة لك، أقول لك ما أقول وتعيد علي الكلام فقلت لها: إني أسألك إلا سمعتيه مني، فأقبلت علي بوجهها، وسفرت عن قناعها، وقالت: اللهم إن يأت في الدنيا أصمعي فهذا هو، فقلت: أنا هو، من الفتى تندبين؟ فقالت: أخي وابن أمي.

ورواية ثالثة حدثنا الحسن بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا إبراهيم بن عمر، قال: سمعت الأصمعي أنه أتى المقابر ذات يوم فإذا جارية كادت أن تختفي بين قبرين قلة ودمامة، وهي تبكي بقلب موجع، وكلام حزين، ولفظ كأنه خرزات نظمن تحدرن، وقد أدخلت رأسها في لوح القبر، وهي تقول:

هل أخبر القبر سائليه ... أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما ... بالبدن المستكن فيه

لو يعلم القبر ما يواري ... تاه على كل من يليه

يا موت لو تقبل افتداء ... كنت بنفسي سأفتديه

أنعي بريدا لمجتنيه ... أنعي بريدا لمعتفيه

أبكي بريدا إلى حزوب ... تحسر عن منظر كريه

يا جبلا كان ذا امتناع ... وركن عز لآمليه

يا نخلة طلعها هضيم ... يقرب من كف مجتنيه

ويا مريضا على فراش ... تؤذيه أيدي ممرضيه

ويا صبورا على بلاء ... كان به الله مبتليه

يا دهر ماذا أردت مني ... حققت ما كنت أتقيه

دهر رماني بفقد صبري ... أذم دهري وأشتكيه

ذهبت يا موت بابن أمي ... بالسيد الفاضل الوجيه

المجلس الثاني والأربعون

فضل ابن عباس." (١)

"قال القاضي: قوله أحذني أي أعطني فأعطاه، يقال: أحذى فلان فلانا شيئا من ماله إذا رضخ له؛ قال رجل من بني سعد لرؤبة بن العجاج: أحذ أبا الجحاف إذ حبينا

أعرابية ترثي قوما هلكوا

حدثنا علي بن محمد بن الجهم الكاتب أبو طالب، قال حدثني أبو الحسين الحسن بن عمرو السبيعي، قال حدثني رجل من الأعراب وفد إلى ابن البعيث، قال حدثني عم لي قال: نزلت ماء لبني فزارة ثم ارتحلت

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/١٩٩

عنه وأتيته في العام المقبل فإذا ليس من الحي أحد خلا عجوز في سفح جبل تبكي، فقلت: ما يبكيك يا عجوز؟ قالت: على أثر الحي، قلت لها: أعسى حييا نزلت به عام أول؟ قالت: أقلت حييا؟ والله لقد كان حي ربحل، إذا ارتحلوا على ألف فحل، لقد كان فيهم مليل، وما مليل؟ سحاب ذيل على ذيل عطاؤه سيل، وغضبه ويل، لم تحمل مثله إبل ولا خيل، ولقد كان فيهم مالك وما مالك؟ خير من هنالك. ولقد كان فيهم مهجعة وما مهجعة؟ فارس كأربعة، يك‍ر والخيل معه، ولقد كان فيهم عمار وما عمار؟ يوم الفخر فخار، ويوم الجر جرار، لم تخمد له نار طلاب بأوتار، ولقد كان فيهم هجين لهم يقال له حممة، وما حممة؟ له ألف ناقة مسنمة، وألف مهرة مسومة، وألف نعجة مزنمة، وألف عبد وأمة، قعد ذات يوم قعدة له حسنة فأنهبها كلها في ساعة لم يقض نهمه، قال: فكأنما ألقمتني عنها وعن قومها حجرا.

شرح الغريب في حديث الأعرابية

قال القاضي: قولها حي ربحل أي حي قيل كريم نبيه، واسع عطاؤه، رحب فناؤه، ومنه قول القائل: مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا، وملكا ربحلا، يعطي عطاء جزلا. وأما قولها: ولقد كان فيهم هجين لهم فالهجين الذي أمه أمة، ومنه قول عنترة قبل أن يحرره أبوه:

أنا الهجين عنترة

وجمع الهجين هجناء مثل أمين وأمناء، وقرين وقرناء، وكمين وكمناء. ومن الهجين قول الشاعر:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ... ألا قضب الرحمن ربي يمينها

وقول الشماخ:

إذا بركت على نشز وألقت ... عسيب جرانها كعصا الهجين

والمسنمة من الإبل: العظيمة الأسنمة؛ والمسومة من الخيل: المحسنة المهيأة. وقيل في قول الله عز وجل: " واتلخيل المسومة " آل عمرا:١٤ هي المطهمة، أي التي يعنى بها ويقام عليها، والغنم المزنمة: ذوات الزنمات التي تحت ألحيها الزنمات. وعسيب الجران: الحلقوم، والجران: باطن العنق.

رؤيا المأمون وما قال أرسطاطاليس

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال حدثنا ابن أبي سعد قال أخبرني محمد بن يحيى بن خالد بن يزيد بن مثنى المروزي، قال حدثني منصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين، قال حدثني عبد الله بن طاهر قال: عجبني أمير المؤمنين من رؤيا رآها، فسألته عنها فذكر أنه رأى في منامه كأن رجلا جلس مجلس الحكماء فقلت له: من أنت؟ قال: أنا أرسطاطاليس الحكيم، فقلت له: أيها الحك ما أحسن الكلام؟ قال: ما يستقيم

في الرأي قلت: ثم ماذا؟ قال: ما يستحسنه سامعه، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما لا تخشى عاقبته، قلت: ثم ماذا؟ قال لا ثم. قال المأمون: لو كان حيا ما كان يتكلم بأكثر مما تكلم به.

الكندي رأي جالينوس في المنام

وحدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو الحسن الأشج قال قال: حدثني يعقوب الكندي قال: رأيت جالينوس فيما يرى النائم فقلت بأبي أنت، رجل من الملوك اعتل لا يبرئه إلا فتح الباسليق وليس يوجد له فما ترى؟ قال: افتح له عرقا بين الخنصر والبنصر يقال له الأسيلم، قال الكندي: فأنا أول من فصد الأسيلم.

أعرابي يسأل

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحم بن عبيد عن ابن الأعرابي قال: قدم أعرابي من البادية فوقف على الناس فقال: أنا عكاب بن عدينة أبوت عشرة وأخوت عشرة، وكنت مفزعا للجمة، مقنعا للهمة، أهنأ الفقير، و أفك الأسير، وأذيل العسير، فانباق علي الدهر متخوفا لإخوتي وبنيه يوديهم واحدا واحدا حتى اخترم ظهرتي، وأفنى عمارتي، وأساف ماليه، وأباد رجاليه، وكنت أورد إبلي سحرا، وأصدرها طفلا، عكرا دثرا، ومالا وفرا، قليلة الفرش والإفال، حسنة الحلية والفحال، فانتسفها الزمان، واجتملها الحدثان، حبجا وغدة، فقرع مراحي، وفنت أوضاحي، فهل من راحم أخا جهد ولأواء وشصاصاء، شملكم الله بإسباغ الرزق.." (١)

"أوفى وأعطى للجزيل لمجتد ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة حددت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله ... وسط الأباءة خادر في مرصد

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وكساه حلة.

شرح لفظتين

قال القاضي: الأباءة الغيضة أو القطعة من القصب، والأباء القصب، قال الشاعر:

يا من ترى ضربا يرعبل بعضه ... بعضا كمعمعة الأباء المحرق

والخادر: المستكن في غيضته أو غابته وهي كالخدر له، قالت الخنساء فيما ترثي به أخاها صخرا:

فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٣٠٦

ابن عباس ينشد الشعر في المسجد الحرام فينتقده ابن الأزرق

حدثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب قال، حدثنا عمر بن شبة قال، حدثني أبو يحيى الزهري قال، حدثنا ابن أبي ثابت قال، أخبرني أبو سيار عن عمر البركا قال: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ابن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين.

قال القاضي: الممصران: اللذان فيهما صفرة.

يسير حتى سلم وجلس. فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أو رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس، إنا لنضرب إليك أكباد المطي من أقاصي الأرض لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال، قال:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت، قال: نعم، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتكما، قال: فإني أشاء، قال: فأنشده القصيدة حتى جاء على آخرها، ثم أقبل على ابن ربيعة فقال: أنشد، فقال:

تشط غدا دار جيراننا

فقال ابن عباس: وللدار بعد غد أبعد.

فقال: كذاك قلت أصلحك الله، أسمعته؟ قال: لا ولكن كذلك ينبغي.

شرح ألفاظ تتصل بالبيت السابق

قال القاضي: وقد روى بعض الرواة بيت ابن أبي ربيعة فقال: أيما إذا الشمس، وايما بالعشي، وهي لغة معروفة. وقوله فيضحى قيل: معناه يمسه الحر، وقيل: تعلوه الشمس وهو ضاح لها غير مستتر منها، والضح، الشمس، والعرب تقول: الضح والدح. وروي أن عبد الله بن عمر رأى رجلا قد استظل من الشمس وهو محرم فقال له: أضح لمن أحرمت له. ومن هذا قول الله عز وجل. " وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى " " طه:١١٩ " أي لا يصيبك فيها حر و لا يعلوك شمس؛ وقد قال جل اسمه في أهل الجنة: " لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا " " الإنسان:١٣ " . والزمهرير: البرد الشديد، ومن وقي أذاهما فقد أنعم الله عليه، قال

الأعشى:

مبتلة الخلق مثل المهاة ... لم تر شمسا ولا زمهريرا

وقد زعم بعضهم أن الزمهرير من أسماء القمر، وأنشد في هذا المعنى:

وليلة فيها الظلام معتكر ... قطعتها والزمهرير ما زهر

وأما الخصر فإنه البرد القارس، يقال: قد خصر الرجل يخصر إذا أصابه البرد، كما قال الفرزدق:

إذا أنسوا نارا يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

ويقال: ماء خصر أي بارد، كما قال امرؤ القيس:

فلما استطابا صب في الصحن نصفه ... وجاءوا بنصف غير طرق ولا كدر

بماء سحاب زل عن ظهر صخرة ... إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر

أحسن ما قيل في وصف الماء

قال بعضهم: هذا أحسن ما قيل في صفة الماء. وقال قائلون: بل أحسن ما قيل في صفة الماء أبيات أتت في خبر حدثناه أبو بكر ابن الأنباري لم يحضرني إسناده، وقد ذكرته في بعض مجالسنا هذه، وهو أنه ذكر أن عاتكة المرية عشقت ابن عمها فأرادها عن نفسها، فأنشأت تقول:

ما برد ماء أي ماء تقوله ... تنزل من غر طوال الذوائب

بمنحدر من بطن واد تقابلت ... عليه رياح الصيف من كل جانب." (١)

"حمي الحديد عليهم فكأنه ... ومضان برق أو شعاع شموس

قال

أبو علي البصير

عباسي

أكذبت أحسن ما يظن مؤملي ... وهدمت ما شادته لي أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها ... قدما من الإتلاف والإخلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها ... وقريت عذرا كاذبا أضيافي

إن لم أشن على علي حلة ... تضحي قذى في أعين الأشراف

قال

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/٤٧٤

القتال الكلابي

عبادة بن مجيب بن المضرحي

إذا هم هما لم ير الليل غمة ... عليه، ولم تصعب عليه المراكب

قرى الهم، إذ ضاف، الزماع وأصبحتمنازله تعتس فيها الثعالب

يرى أن بعد العسر يسرا ولا يرى ... إذا كان يسر أنه الدهر لازب

قال

عامر بن الطفيل العامري

وإني وإن كنت ابن فارس بهمة ... وفي السر منها والصريح المهذب

فما سودتني عامر عن كلالة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها، وأتقي ... أذاها، وأرمي من رماها بمقنب

قال

بشامة بن الغدير

جاهلي

وجدت أبي فيهم وجدي قبله ... يطاع ويؤتى أمره وهو محتب

فلم أتعمد للرياسة فيهم ... ولكن أتتني طائعا غير متعب

قال

آخر

قد قال قوم أعطه لقديمه ... جهلوا، ولكن أعطني لتقدمي

فأنا ابن نفسي لا ابن عرضي، أجتدي ... بالسيف، لا برفات تلك الأعظم

وقالت

كبشة بنت معديكرب

الزبيدية، جاهلية

ترثي أخاها عبد الله بن معد يكرب

أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه: لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

ودع عنك عمرا، إن عمرا مسالموهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

ولا تشربوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم

قال

سالم بن دارة

مخضرم

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... على نأيهم مني القبائل من عكل

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل

وجرد تعالى بالكماة كأنما ... تلاحظ من غيظ بأعينها القبل

عليها رجال جالدوا يوم منعج ... ذوي التاج ضربو الملوك على وهل

بضرب يزيل الهام عن سكناته ... وطعن كأفواه المقرحة الهدل

وكـ◌ن◌◌ا حسبنا فقعسا قبل هذه ... أذل على وقع الهوان من النعل

فقد نظرت نحو السماء، وسلمتعلى الناس واعتاضت بخصب عن المحل

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل

وبيعوا الردينيات بالحلى، واقعدواعن الحرب، واعتاضوا المغازل بالنبل

قال

آخر

خذوا العقل إن أعطاكم القوم عقلكموكونوا كمن سيم الهوان فأربعا

ولا تكثروا فيها الضجاج، فإنه محا ... السيف ما قال ابن دارة أجمعا

قال." (١)

"وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

حامي الحقيقة، مرضي الخليقة، مه ... دي الطريقة، نفاع وضرار

جواب قاصية، جزاز ناصية، ... عقاد ألوية،للخيل جرار

---

(١) الحماسة البصرية، ص/٣٣

لم تره جارة يمشي بساحتيها ... لريبة حين يخلي بيته الجار

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي

يذكرني غروب الشمس صخرا ... وأذكره لكل طلوع شمس

وقالت أيضا

وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا ا‌قشعرت

فيدرك ثأرا، وهو لم يخطه الغنفمثل أخي يوما به العين قرت

فلست أزرى بعده بزرية ... فأذكره إلا سلت وتجلت

وقالت أيضا

أبعد ابن عمر من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

فأقسمت آسى على هالك ... وأسأل نائحة ما لها

لتجر الحوادث بعد الفتى ... المغادر بالمحو أذلالها

سأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها

هممت بنفسي كل الأمور ... فأولى لنفسي أولى لها

وخيل تكدس بالدارعي ... ن نازلت بالسيف أبطالها

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

وقافية مثل حد السنا ... ن نبقى ويذهب من قالها

وقالت أيضا وتروى لصخر أخي الخنساء

إذا ا‌مرؤ أهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا

وهون وجدي أنن‌ي لم أقل له ... كذبت، ولم أبخل عليه بماليا

وقالت أيضا

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

طويل النجاد، رفيع العما ... د ساد عشيرته أمردا

يكلفه القوم ما غالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

وقالت الفارعة بنت شداد المرية في أخيها

هلا سقيتم بني جرم أسيركم، ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي

شهاد أندية، رفاع ألوية ... سداد أوهية، فتاح أسداد

نحار راغية، قتال طاغية، ... حلال رابية فكاك أقياد

قوال محكمة نقاض مبرمة ... فراج مبهمة، طلاع أنجاد

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في لحياة المعاير

وما أحد حي وإن كان سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

وليس لذي عيش من الموت مهرب ... وليس على الأيام والدهر غابر

وكل جديد أو شباب إلى بلى ... وكل امرئ يوما إلى الله صائر." (١)

"وصول إذا استغنى، وإن كان مقترامن المال لم يحف الصديق مسائله

إلى الله أشكو لا إلى الناس فقده ... ولوعة حزن أوجع القلب داخله

أبى الصبر أن العين بعدك لم تزليخالط جفنيها قذى ما تزايله

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله

يذكرني هيف الجنوب ومنتهى ... نسيم الصبا رمسا عليه جنادله

وسورة أيدي القوم إذ حلت الحباحبا الشيب واستغوى أخا الحلم جاهله

لعمرك إن الموت منا لمولع ... بمن يرجى نفعه ونوافله

فعيني إن أبكاكما الدهر فابكيا ... لمن نصره قد بان عنا ونائله

إذا استعبرت عوذ النساء وشمرت ... مآزر يوم لا تـُوارى خلاخله

أخي لا بخيل في الحياة بماله ... علي، ولا مستبطأ الفرض خاذله

فما كنت ألقى لامرئ عند موطن ... أخا كأخي لو كان حيا أبادله

وقالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب الهذلية، جاهلية

سألت بعمرو أخي صحبه ... فأفظعني حين ردوا السؤالا

---

(١) الحماسة البصرية، ص/٩١

أتيح له نمرا أجبل ... فنالا لعمرك منه منالا

فأقسم يا عمرو لو نبهاك ... إذن نبها منك داء عضالا

إذن نبها ليث عريسة ... مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

إذن نبها غير رعديدة ... ولا طائشا دهشا حين صالا

وقد علم الضيف والمرملون ... إذا اغبر أفق وهبت شمالا

بأنك كنت الربيع المغيث ... لمن يعتفيك وكنت الثمالا

وخرق تجاوزت مجهوله ... بأدماء حرف تشكى الكلالا

فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

وقالت الخنساء

وقائلة، والنعش قد فات خطوها ... لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يوارى اللحد تحت ترابه ... من الجود والأفضال والنائل الغمر

فشأن المنايا إذ أصابك سهمها ... لتعدو على الفتيان بعدك أو تسري

وقالت أيضا

وما الغيث في جعد الثرى دمث الربى ... تعبق فيه العارض المتهلل

بأجزل سيبا من يديك ونعمة ... تجود بها، بل سيب كفك أجزل

وجارك ممنوع منيع بنجوة ... من الضيم، لا يزرى ولا يتذلل

فما بلغت كف امرئ متناولا ... من المجد إلا حيث ما نلت أفضل

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... ولو أكثروا إلا الذي فيك أفضل

وقالت عمرة الخثعمية **ترثي** ولديها

لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت: وابأباهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة من دعاهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان، ما اسطاعا عليه كلاهما

شهابان منا أوقدا ثم أخمدا ... وكان سنا للمدلجين سناهما." (١)

---

(١) الحماسة البصرية، ص/٩٣

"إذا نزلا الأرض المخوف بها الردى ... يخفض من جأشيهما منصلاهما

إذا استغنيا حب الجميع إليهما ... ولم ينأ عن نفع الصديق غناهما

إذا افتقر لم يجثما خشية الردى ... ولم يخش رزأ منهما مولياهما

وقالت صفية الباهلية

كنا كغصنين في جرثومة سمقا ... حينا بأحسن ما يسمو له الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب فيئاهما واستينع الثمر

أخنى على واحدي ريب الزمان، وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى، فهوى من بينها القمر

فاذهب حميدا على ما كان من مضض ... فقد ذهبت وأنت السمع والبصر

وقالت الخرنق بنت هفان **ترثي** زوجها

لا يبعدن قومي الذي هم ... سم العداوة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبين معاقد الإزر

قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأييه والزجر

والخالطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر

هذا ثنائي ما بقيت لهم ... وإذا هلكت أجنني قبري

وقالت امرأة في أبيها

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب

وكم من سمي ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب

وقالت زهراء الكلابية

تأوهت من ذكرى ابن عمي، ودونه ... نقا هائل جعد الثرى وصفيح

وكنت أنام الليل من ثقتي به ... وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح

فأصبحت سالمت العدو ولم أجد ... من السلم بدا والفؤاد جريح

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية

يا عين جودي عند كل صباح ... جودي بأربعة علي الجراح

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البراز وكنت أنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه، وأدفع ظالمي بالراح

وأغض من بصري وأعلم أنه ... قد بان حد فوارسي ورماحي

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... يوما على فنن دعوت صباحي

وقالت الخرنق بنت قحافة

أعاذلتي على رزء أفيقي ... فقد أشرقتني بالعذل ريقي

فلا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق

وقالت ليلى بنت طريف التغلبية وقيل اسمها سلمى ترثي أخاها الوليد

بتل بناثا رسم قبر كأنه ... على علم فوق الجبال منيف

تضمن جودا حاتميا ونائلا ... وسورة مقدام وقلب حصيف

ألا قاتل الله الجثا حيث أضمرت ... فتى كان للمعروف غير عيوف

خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف." (١)

"وكان اسم بوران، خديجة. وكانت وفاتها في سنة إحدى وسبعين ومائتين، في أيام المعتمد، ولها ثمانون سنة.

ولبوران، ترثي المأمون:

أسعداني على البكا مقلتيا ... صرت بعد الامام للهم فيا

كنت أسطو على الزمان فلما ... مات، صار الزمان يسطو عليا

ذكر ابن خرداذبه: أن المتوكل، أنفق على الأبنية التي بناها، وهي: بركوارا، والشاة، والعروس، والبركة، والجوسق، والمختار، والجعفري، والغريب، والبديع، والصبيح، والمليح، والسندان، والقصر، والجامع، والقلاية، والبرج، وقصر المتوكلية، والبهو، واللؤلؤة: مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم. ومن العين مائة ألف ألف دينار. تكون قيمة الورق عينا بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار.

---

(١) الحماسة البصرية، ص/٩٤

قال: شرب المتوكل يوما في بركوارا، فقال لندمائه: أرأيتم إن لم يكن أيام الورد لا نعمل نحن شاذكلاه ؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، لا يكون الشاذكلاه إلا بالورد. فقال: بلى. أدعوا لي عبيد الله بن يحيى. فحضر، فقال: تقدم بأن تضرب لي دراهم، في كل درهم حبتان. قال: كم المقدار يا أمير المؤمنين ؟ قال: خمسة آلاف ألف درهم. فتقدم عبيد الله في ضربها، فضربت، وعرفه الخبر. فقال: اصبغ منها بالحمرة والصفرة والسواد، واترك بعضها على حاله. ففعل. ثم تقدم إلى الدم والحواشي، وكانوا سبعمائة، أن يعد كل واحد منهم قباء جديدا وقلنسوة على خلاف لون قباء الآخر وقلنسوته، ففعلوا. ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح، فنصبت له قبة لها أربعون بابا، فاصطبح فيها، والندماء حوله. ولبس الخدم الكسوة التي أعدها، وأمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد. فنثرت أولا أولا، فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد. فكان من أحسن أيام المتوكل وأظرفه.

وكان البرج من أحسن ابنيته. فجعل فيه صورا عظاما من الذهب والفضة، وبركة عظيمة جعل فرشها ظاهرها وباطنها صفائح الفضة، وجعل عليها شجرة ذهب، فيها كل طائر يصوت ويصفر، مكللة بالجوهر، وسماها طوبى. وعمل له سرير من الذهب كبير، عليه صورتا سبعين عظيمين، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام. وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب. فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار. وجلس فيه على السرير الذهب، وعليه ثياب الوشي المثقلة. وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا في ثياب وشي منسوجة أو ديباج ظاهره. وكان جلوسه فيه في سنة تسع وثلاثين ومائتين. ثم دعا بالطعام، وحضر الندماء وسائر المغنين والملهين، وأكل الناس. ورام النوم فما تهيأ له. فقال له الفتح: يا مولاي، ليس هذا يوم نوم. فجلس للشرب. فما كان الليل، رام النوم، فما أمكنه، فدعا بدهن بنفسج، فجعل منه شيئا على رأسه وتنشقه فلم ينفعه. فمكث ثلاثة أيام بلياليها لم ينم. ثم حم حمى حادة. فانتقل إلى الهاروني قصر أخيه الواثق، فأقام به ستة أشهر عليلا، وأمر بهدم البرج وضرب تلك الحلي عينا.

دير مرمار

وهذا الدير بسر من رأى، عند قنطرة وصيف. وهو دير عامر كثير الرهبان. حوله كروم وشجر. وهو من المواشع النزهة والبقاع الطيبة الحسنة.

وللفضل بن العباس بن المأمون، فيه:

أنضيت في سر من رى خيل لذاتي ... ونلت فيها منى نفسي وشهواتي

عمرت فيها بقاع اللهو منغمسا ... في القصف ما بين أنهار وجنات
بدير مرمار إذ نحيي الصبوح به ... ونعمل الكاس فيه بالعشيات
بين النواقيس والتقديس آونة ... وتارة بين عيدان ونايات
وكم به من غزال أغيد غزل ... يصيدنا باللحاظ البابليات." (١)

"هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية، أرقى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب. كان أبوها عمرو، وأخواها معاوية وصخر، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه، وآثرت التزوج من قومها فتزوجت منهم، وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر، جزعت عليهما جزعا شديدا،وبكتهما بكاء مرا، وكان أشد وجدها على صخر: لأنه شاطرها هي وزوجها أموالها مرارا ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلمت وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول هيه يا خناس، ويومئ بيده.
وما فتئت تبكي صخرا قبل الإسلام وبعده حتى عميت، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المسرة وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا، فقال: الحمد الله الذي شرفني بقتلهم، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها، وتوفيت سنة ٢٤هـ.
شعرها: أغلب علماء الشر على أنه لم تكن امرأة قبل الخ=نساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها ارثى النساء وكان شار يقول لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر العف فيه لقيل وكذلك الخنساء فقيل تلك التي غلبت الفحول، ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها:
قذى بعينيك أم بالعين عوار

أمة ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت أنك اشعر من بالسوق، وسئل جرير من أشعر الناس قال أنا لولا الخنساء، قيل فبم فضلتك قال بقولها:
إن الزمان (وما يفنى له عجب)

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/٣٨

أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس

إن الجديدين في طول اختلافهما

لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخرا:

أعيني جودا ولا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل." (١)

"ألا تبكيان الفتى السيدا

رفيع العماد طويل النجا

د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم

إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم

من المجد ثم انتمى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم

---

(١) جواهر الأدب، ٣٢٢/١

وإن كان أصغرهم مولدا

وإذن ذكر المجد ألفيته

تأزر بالمجد ثم ارتدى

ومن قولها **ترثيه** أيضا:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني

فقد أضحكتني زمنا طويلا

دفعت بك الخطوب وأنت حي

فمن ذا يدفع الخط الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل

رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومن بديع قولها:

يذكرني طلوع الشمس صخرا

وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي

على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا

ونائحة تنوح ليوم نحس

هما كلتاهما تبكي أخاها

عشية رزئه أو غب أمس

وما يبكين مثل أخي ولكن

أسلي النفس عنه بالتأسي

فقد ودعت يوم فراق صخر

أبي حسان لذاتي وأنسي

فيا لهفي عليه ولهف أمي

أيصبح في الضريح وفيه يمسي

(٣) الخطيئة

هو أبو بكر جرول الحطيئة العبسي، نشأ كما قال الأصمعي جشعا سؤولا ملحفا دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلا قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين، وعاش الحطيئة مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاش متنقلا في القبائل يمدح تارة ويذم تلك أخرى، وينتسب إلى عس طورا وطورا إلى ذهل ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس، وكل قبيلة تخطب وده وتنقي شر لسانه حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبس الحطيئة فما زال يستشفع إليه الناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدده بقطع لسانه إن هجا أحدا، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وكنه نكث وأوغل في الهجاء بعد موت عمر، وبقي كذلك حتى مات أوائل خلاف معاوية.." (١)

---

(١) جواهر الأدب، ٣٢٣/١

"تبكي الحنيفية البيضاء من أسف

كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية

قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما

فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنابر **ترثي** وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة

إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه

أبعد حمص تغز المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها

وما لها من طوال الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة

كأنما في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة

كأنها في ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة

لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس

فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم

قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم

وأنتم يا عباد الله إخوان

ألا نفوس أبيات لها همم

أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لذلة قوم بعد عزوهم

أحال حالهم جور وطغيان

بالأمس كانوا ملوكا في منزلهم

واليوم هم في بلاد الكفر عبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم

عليهم ف ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم

لهالك الأمر واستهوتك أحزان

يا رب أم وطفل حيل بينهما

كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت

كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكروه مكرهة

والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا
الحزن يقلق والتجمل يردع

والدمع بينهما عصى طيع

يتنازعان دموع عين مسهد." (١)
"لريبة حين يخلى بيته الجار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته

كأنه تحت طي البرد أسوار

طلق اليدين بفعل الخير معتمد

ضخم الدسعية بالخيرات أمار

حمال ألوية هباط أودية

شهاد أندية للجيش جرار

وقالت أعرابية **ترثي** ابنها
أيا ولدي قد زاد قلبي تلهبها

وقد حرقت مني الشؤون المدامع

وقد أضرمت نار المصيبة شعلة

---

(١) جواهر الأدب، ٢/٢

وقد حميت مني الحشا والأضالع
وأسأل عنك الركب هل تخبرونني

بحالك كيما تستكن المضاجع

فلم يك فيهم مخبر عنك صادق

ولا فيهم من قال إنك راجع

فيا ولدي غبت كدرت عيشتي

فقلبي مصدوع وطرفي دامع

وفكري مسقوم وعقلي ذاهب

ودمعي مسفوح وداري بلا قع

وقالت ليلى الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ
لعمرك ما بالموت عار على الفتى=إذا لم تصبه في الحياة المعابر
وما أحد حي وإن عاش سالما

بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا

فلا بد يوما يرى وهو صابر

وليس لذي عيش عن الموت مقصر

وليس على الأيام والدهر غابر

ولا الحي مما يحدث الدهر معتب

ولا الميت أن لم يصبر الحي ناشر
وكل شباب أو جديد إلى بلى

وكل امرئ يوما إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ
إن سأل من غرب العيون بحور

فالدهر باغ والزمان غدور

فلكل عين حق مدرار الدما

ولكل قلب لوعة وثبور

ستر السنا وتحجبت شمس الضحى

وتغيبت بعد الشروق بدور

ومضى الذي أهوى وجرعني الأسا

وغدت بقلبي جذوة وسعير

يا ليته لما نوى عهد النوى

وافى العيون من الظلام نذير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي

نار لها بين الضلوع زفير

لو بث حزني في الورى لم يلتفت

لمصاب قيس والمصاب كبير." (١)

"فأجبتها والدمع يحبس منطقي

والدهر من بعد الجوار يجور

بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي

قد زال صفو شانه التكدير

لا توصي ثكلى قد أذاب فؤادها

حزن عليك وحسرة وزفير

قسما بغض نواظري وتلهفي

مذ غاب إنسان وفارق نور

---

(١) جواهر الأدب، ٢/٦

وبقلتي ثغرا تقضي نحبه

فحرمت طيب شذاه وهو عطير

والله لا أسلو التلاوة والدعا

ما غردت فوق الغصون طيور

كلا ولا أنسى زفير توجعي

والقد منك لدى الثرى مدثور

إني ألفت الحزن حتى أنني

لو غاب عني ساءني التأخير

قد كنت لا أرضى التباعد برهة

كيف التصبر والبعاد دهور

أبكيك حتى نلتقي في جنة

برياض خلد زينتها الحور

إن قيل على "توحيدة" الحسن التي

قد غاب بدر جمالها المستور

قلبي وجفني واللسان وخالقي

راض وباك شاكر وغفور

متعت بالرضوان في خلد الرضا

ما ازنيت لك غرفة وقصور

وسمعت قول الحق للقوم داخلوا

دار السلام فسعيكم مشكور

هذا النعيم به الأحبة تلتقي

لا عيش إلا عيشه المبرور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي عائشة هانم تيمور

ألا يا موت ويحك لم تراع

حقوقا للطروس ولا اليراع

تركت الكتب بالكية بكاء

يشيب الطفل في عهد الرضاع

ولم تهب الفضائل والمعالي

وطول السعي في خير المساعي

ولم يمنعك مما رمت نثر

ولا شعر ولا حسن ابتداع

نراك تجود بالأرزاء حتى

عددنا البخل من كرم الطباع

فذب يا قلب لا تك في جمود=وزد دمع لا تك في امتناع
ولا تبخل علي وكن جموما

فكنز العلم أمسى في ضياع

سنبقى بعد عائشة حيارى

كسرب في الفلاة بغير راع

لقد فقدت ولم تفقد علاها

وهل شمس تغيب بلا شعاع

هي الدر المصون ببطن أرض." (١)

"تجتاب أودية الأفزاع آمنة ... كأنها أسد تقتادها أسد
فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمدا ... على الطعان، وقصر العاجز الكمد
ولم أقل: لم أساق القتل شاربه ... في كأسه، والمنايا شرع ورد
وقال أيضا:
إلى كم تغاريني السيوف ولا أرى ... مغاراتها تدعو إلي حماميا
أقارع عن دار الخلود ولا أرى ... بقاء على حال لما ليس باقيا

---

(١) جواهر الأدب، ٨/٢

ولو قرب الموت القراع لقد أنى ... لموتي أن يدنو لطول قراعيا

أغادي جلاد المعلمين، كأنني ... على العسل الماذي أصبح غاديا

وأدعو الكماة للنزال إذا القنا ... تحطم فيما بيننا من طعانيا

ولست أرى نفسا تموت وإن دنت ... من الموت حتى يبعث الله داعيا

وقال أيضا، وقيل لغيره:

أبت لي عقتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإمساكي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح

وقولي، كلما جشأت وجاشت: مكانك ! تحمدي أو تستريحي

وقال مسلم بن الوليد:

إن يقعدوا فوقي لغير نزاهة ... وعلو مرتبة، وعز مكان

فالنار يعلوهما الدخان وربما ... يعلو الغبار عمائم الفرسان

الباب الثاني في

المراثي

قالت ليلى الأخيلية، ترثي توبة بن الحمير:

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد، فجعت به ... ماذا أجن به في حفرة الرجم

من كل صافية صرف، وقافية ... مثل السنان، وأمر غير مقتسم

ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشئم

وقال أشجع السلمي:

ويحها هل درت على من تنوح ... أسقيم فؤادها أم صحيح ؟

قمرا أطبقوا عليه ببغدا ... د ضريحا، ماذا أجن الضريح ؟

رحم الله صاحبي ونديمي ... رحمة تغتدي وأخرى تروح

وقالت الخنساء:

وقائلة، والنعش قد فات خطوها ... لتدركه: يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين مشوا به ... إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر ؟

وقال محمد بن مناذر:

إن عبد الحميد يوم توفي ... هد ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه، ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود

وقال آخر:

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت ... بطون الثرى، واستودع البلد القفر

بدورا، إذا الدنيا دجت أشرقت بهم ... وإن أجدبت يوما فأيديهم القطر

أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها ... وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر

وقالت سعدة بنت فريد **ترثي** ابنها الكميت بن زيد:

لأم البلاد الويل، ماذا تضمنت ... بأكناف طورى من عفاف ونائل ؟

ومن وقعات بالرجال كأنها ... إذا أعيت الأحداث وقع المناصل

يعز المعزي بالكميت فتنتهي ... مقالته، والصدر جم البلابل

وقال آخر:

لعمرك ما المصيبة هدم دار ... ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن المصيبة موت حر ... يموت بموته بشر كثير

وقال آخر:

عجبت لهذا الدهر أفنى محمدا ... وكان الذي يسطو به ويصاول

مضى فمضى مجد تليد وسؤدد ... وأودى فأودى منه بأس ونائل

وكان سراج الأرض، فالأرض مظلم ... قراها، وحلي الدهر، فالدهر عاطل

وقال أبو سعيد إبراهيم، يرثي ببني أمية:

بكيت، وماذا يرد البكاء ... وقل البكاء لقتلى كراء

أصيبوا معا، فتولوا معا ... كذلك كانوا معا في رخاء

بكت لهم الأرض من بعدهم ... وناحت عليهم نجوم السماء

وكانوا ضياء، فلما انقضى ال ... زمان بقومي تولى الضياء

وقال أيضا:

أثر الدهر في رجالي، فقلوا ... بعد جمع، فراح عظمي مهيضا

ما تذكرتهم فتملك عيني ... فيض دمع، وحق لها أن تفيضا

وقال أيضا:

أولئك قومي بعد عز وثروة ... تداعوا، فإلا تذرف العين أكمد

كأنهم لا ناس للموت غيرهم ... ولإن كان فيهم منصفا غير معتد." (١)

"وقالت بنت عمرو بن يثربي، **ترثي** أباها:

يا ضب إنك قد فجعت بفارس ... حامي الحقيقة قاتل الأقران

عمرو بن يثربي الذي فجعت به ... كل القبائل من بني عدنان

لم يحمه وسط العجاجة قومه ... وحنت عليه الأزد أزد عمان

فلهم علي بذاك حادث نعمة ... ولحبهم أحببت كل يمان

لو كان يدفع عن منية هالك ... طول الأكف بذابل المران

أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم ... وسط العجاجة والحتوف دوان

ما نيل عمرو والحوادث جمة ... حتى ينال النجم والقمران

وقالت بثينة، **ترثي** جميلا:

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما جاءت، ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

وقال مطرود الخزاعي:

يا عين جودي وأذري الدمع واحتفلي ... وابكي حبيسة نفسي في الملمات

وابكي على كل فياض أخي حسب ... ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات

ماضي الصريمة ع ٍالي الهم ذي شرف ... جلد النحيزة حمال العظيمات

صعب المقادة لا نكس ولا وكل ... ماض على الهول متلاف الكريمات

محض توسط من كعب إذا انتسبوا ... بحبوبة المجد في الشم الرفيعات

وابكي على هاشم في وسط بلقعة ... تسفي الرياح عليه وسط غزات

يا عين بكي أبا الشعث الشجيات ... يبكينه حسرا مثل البنيات

يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه ... سمح الشجية بسام العشيات

---

(١) حماسة القرشي، ص/٦

يبكينه معولات في معاوذها ... يا طول ذلك من حزن وعولات

وقال أبو طالب يرثي نديما له مات غريبا:

ليت شعري مسافر بن أبي عم ... رو، وليت يقولها المحزون

كيف كانت مذاقة الموت إذ م ... ت، وماذا بعد الممات يكون ؟!

رحل الركب قافلين إلينا ... وخليلي في مرمس مدفون

بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضر الريحان والزيتون

رزء ميت على هبالة قد حا ... لت فياف من دونه وحزون

مدره يدفع الخصوم بأيد ... وبوجه يزينه العرنين

كم خليل وصاحب وابن عم ... وحميم قضت عليه المنون !

فتعزيت بالجلادة والصب ... ر، وإني بصاحبي لضنين

وقال آخر:

لقد غادرت أرماح بكر بن وائل ... قتيلا عن الأهوال ليس بمحجم

قتيلا يظل الحي يثنون بعده ... عليه بأيد من نداه وأنعم

لقد فجعت طي بحلم ونائل ... وصاحب غارات ونهب مقسم

وقد كان خالي ليس خال كمثله ... دفاعا لضيم واحتمالا لمغرم

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأندبه لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي ... على أمواتهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن ... أسلي النفس عنه بالتأسي

وقال أبو الهيذام يرثي أخاه:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإن بها ما يطلب الماجد الوترا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها في جفن مقلته عصرا

وإنا أناس ما تفيض دموعنا ... على هالك منا، وإن قصم الظهرا

وقال مطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد:

انظر إلى الموت كيف بادهه ... والموت مقدامة على البهم

لو قد تدبرت ما صنعت به ... قرعت سنا عليه من ندم

فاذهب بما شئت إذ ذهبت به ... ما بعد يحيى للرزء من ألم

وقال يرثيه أيضا:

قد مضى يحيى، وغودرت فردا ... نصب ما سر عيون الأعادي

وأرى عيني مذ غاب يحيى ... بدلت من نومها بالسهاد

وسدته الكف مني ترابا ... ولقد أرثي له من وساد

بين جيران أقاموا صموتا ... لا يحيرون جواب المنادي

أيها المزن الذي جاد حتى ... أعشبت منه متون البوادي

اسق قبرا فيه يحيى، فإني ... لك بالشكر مواف مفاد

وقال ضرار بن نهشل، يرثي أخاه:

لعمري لئن أمسى يزيد بن نهشل ... حشا جدث تسفي عليه الروائح." (١)

"وقال عروة بن أذينة:

سرى همي، وهم المرء يسري ... وغار النجم إلا قيد فتر

أراقب في المجرة كل نجم ... تعرض في المجرة كيف يجري

بحزن ما أزال له مديما ... كأن القلب أسعر حر جمر

على بكر أخي ولى حميدا ... وأي العيش يحسن بعد بكر

وقال الوليد بن يزيد يرثي نديمه القاسم بن الطويل:

عيني للحدث الجليل ... جودا بأربعة همول

جودا بدمع، إنه ... يشفي الفؤاد من الغليل

لله قبر ضمنت ... فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن إذ ثوى ... فيه من اللب الأصيل

قد كنت آوي من هوا ... ك إلى ذرا كهف ظليل

أصبحت بعدك واحدا ... فردا بمدرجة السيول

وقال أبو طالب يرثي نديمه مسافر بن أبي عمرو:

ألا إن خير الناس غير مدافع ... بسرو لنجم غيبته المقابر

---

(١) حماسة القرشي، ص/٧

تبكي أباها أم وهب، وقد نأى ... وريسان أمسى دونه ويحابر

على خير حاف من معد وناعل ... إذا الخير يرجى، أو إذا الشر حاضر

تنادوا ولا أبو أمية فيهم ... لقد بلغت كظ النفوس الحناجر

وقال الحسين بن الضحاك يرثي الأمين:

سألونا أن كيف نحن فقلنا: ... من هوى نجمه، فكيف يكون ؟

نحن قوم أصابنا حدث الده ... ر، فظلنا لريبه نستكين

نتمنى من الأمين إيابا ... لهف نفسي، وأين مني الأمين !

وقال أيضا:

أعزي يا محمد عنك نفسي ... معاذ الله، والأيدي الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا ... ودوفع عنك لي يوم الحمام

كأن الموت صادف منك غنما ... أو استشفى بقربك من سقام

وقال الحطيئة يرثي علقمة بن علاثة حين قصده فوجده ميتا:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى أعلقته الحبائل

فإن تحي لا أملل حياتي، وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

وقال أبو العباس الأعمى، واسمه السائب بن فروخ، يرثي بني أمية:

آمت نساء بني أمية منهم ... وبناتهم بمضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط، والجدود نيام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

وقال أيضا:

ليت شعري أفاح رائحة المس ... ك، وما إن إخال بالخيف أنسي

حين غابت بنو أمية منه ... والبهاليل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ... ن عليها، وقالة غير خرس

لا يعابون صامتون، وإن قا ... لوا أصابوا، ولم يقولوا بلبس

بحلوم، إذا الحلوم تقضت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

وقالت الخنساء **ترثي** أخويها صخرا ومعاوية وأباها عمرا:

من جش لي الأخوين كال ... عضين أو مذراهما

قرمين لا يتظالما ... ن، ولا يرام حماهما

ويلي على الأخوين وال ... قبر الذي واراهما

لا مثل كهلي في الكهو ... ل، ولا فتى كفتاهما

رمحين خطيين في ... كبد السماء سناهما

ما خلفا، إذا ودعا ... في سؤدد شرواهما

سادا بغير تكلف ... عفواص بفيض نداهما

وقارت أيضا:

أعيني جودي ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ... الا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد، رفيع العما ... د، ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد، ثم مضى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل المجد أن يحمدا

وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد، ثم ارتدى

وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير:

فإن تكن القتلى بواء، فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

فتى كان للمولى سناء ورفعة ... وللطارق الساري قرى غير ياسر." (١)

"وقد كان طلاع النجاد وبين ال ... لسان ومدلاج السرى غير فاتر

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر

وقالت الفارعة **ترثي** أخاها الوليد بن طريف:

---

(١) حماسة القرشي، ص/١١

بتل نهاكى رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف

تضمن مجدا عدلميا وسؤددا ... وهمة مقدام، ورأي حصيف

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

ولا الدخر إلا كل جرداء صلدم ... معاودة للكر بين صفوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف

ولم تسع يوم الحرب، والحرب لاقح ... وسمر القنا ينكزنها بأنوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لا يرضى الندى بحليف

فقدناك فقدان الشباب، وليتنا ... فديناك من ساداتنا بألوف

وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجا لعدو أو نجا لضعيف

ألا يا لقومي للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجوف

ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عفيف

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوف

ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف

ألا قاتل الله الحشا حيث أضمرت ... فتى كان للمعروف غير عيوف

فإن يك أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف لفها بزحوف

عليه سلام الله وقفا، فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

وقالت أيضا:

يا بني وائل لقد فجعتكم ... من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد ... قاتلته لاقت خلاف السعود

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد غير الحديد

وقال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي:

إنني أتتني لسان لا أسر بها ... من علو لا عجب فيها، ولا سخر

فظلت مكتئبا حران أندبه ... وكنت أحذره، لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد ... حتى التقينا، وكانت دوننا مضر

إن الذي جئت من تثليث تندبه ... منه السماح ومنه النهي والغير

تنعى امرءا لا تغب الحي جفنته ... إذا الكواكب أخطأ نوءها المطر

وراحت الشول مغبرا مناكبها ... شعثا تغير منها الني والوبر

وألجأ الكلب موقوع الصقيع به ... وألجأ الحي من تنفاخها الحجر

عليه أول زاد القوم قد علموا ... ثم الطي، إذا ما أرملوا جزروا

قد تكظم البزل منه حين تبصره ... حنى تقطع في أعناقها الجرر

أخو رغائب يعطيها ويسلبها ... يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

لم تر أرضا، ولم تسمع بساكنها ... إلا بها من بوادي وقعه أثر

وليس فيه، إذا استنظرته عجل ... وليس فيه، إذا ياسرته العسر

فإن يصبك عدو في مناوأة ... يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر

من ليس في خيره من يكدره ... على الصديق، ولا في صفوه كدر

أخو حروب ومكساب إذا عدموا ... وفي المخافة منه الجد والحذر

مردى حروب ونور يستضاء به ... كما أضاء سواد الظلمة القمر

مهفهف أهضم الكشحين منخرق ... عنه القميص، لسير الليل محتقر

طاوي المصير على العزاء منجرد ... بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

لا يغمز الساق من أين ولا نصب ... ولا يزال أمام القوم يقتفر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... في كل فج، وإن لم يغز منتظر

يكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء، ويروي شربه الغمر

لا تأمن البازل الكوماء غدوته ... ولا الأمون، إذا ما اخروط السفر." (١)

---

(١) حماسة القرشي، ص/١٢

"كانه بعد صدق الناس أنفسهم ... باليأس تلمع من قدامه البشر

لا يعجل القوم أن تغلي مراجلهم ... ويدلج الليل حتى يفسح البصر

عشنا به حقبة حيا، ففارقنا ... كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء، لا يهنئ لك الظفر

لو لم تخنه نفيل، وهي خائفة ... لصبح القوم وردا ما له صدر

وأقبل الخيل من تثليل مصغية ... وضم أعينها رعوان أو حضر

إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب، فلا يبعدنك الله منتشر

وقالت الفارعة المرية **ترثي** أخاها مسعود بن شداد:

يا عين جودي لمسعود بن شداد ... بكل ذي عبرات شجوه باد

يا من رأى بارقا، قد بت أرمقه ... جودا على الحرة السوداء بالوادي

أسقي به قبرا من أعني، وحب به ... قبرا إلي، وإن لم يفده فاد

شهاد أندية، رفاع أبنية ... شداد ألوية ، فتاح أسداد

نحار راغية، قتال طاغية ... حلال رابية، فكاك أقياد

قوال محكمة، نقاض مبرمة ... فراج مبهمة، حباس أوراد

حلال ممرعة، حمال معضلة ... قراع مفظعة، طلاع أنجاد

جماع كل خصال الخير، قد علموا ... زين الندي وخطل الظالم العادي

أبا زرارة لا تبعد، فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد

وقالت أم حكيم الكنانية **ترثي** ابنيها:

ألا من بين الأخوي ... ن أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها ... وتستسقي فما تسقى

فلما استيأست رجعت ... بعبرة واله حرى

تتابع بين ولولة ... وبين مدامع تترى

وقال الأسود بن يعفر النهشلي:

ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد ؟

أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به ... يوما يصير إلى بلى ونفاد

وقال أيضا يرثي مسروق بن المنذر بن سلمى:

أقول لما أتاني هلك سيدنا ... لا يبعد الله رب الناس مسروقا

من لا يشيعه عجز ولا بخل ... ولا يبيت لديه اللحم موشوقا

مردى حروب، إذا ما الخيل ضرجها ... نضح الدماء وقد كانت أفاريقا

والطاعن الطعنة النجلاء تحسبها ... شنا هزيما يمج الماء مخروقا

وجفنة كنضيح البئر متأقة ... ترى جوانبها باللحم مفتوقا

يسرتها ليتامى أو لأرملة ... وكنت بالبائس المتروك محقوقا

يا لهف أمي إذ أودى وفارقني ... أودى ابن سلمى نقي العرض مرموقا

وقال أرطأة بن سهية يرثي قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين:

أعاذلتي ألا لا تعذلينا ... أقلي اللوم إن لم تنفعينا

فقد أكثرت لو أغنيت شيئا ... ولست بقابل ما تأمرينا

فلا وأبيك لا تنفك تبكي ... على قتلى هنالك ما بقينا

على قتلى هنالك أوجعتنا ... وأنستنا رجالا آخرينا

سنبكي بالرماح إذا التقينا ... على إخواننا وعلى بنينا

بطعن ترعد الأحشاء منه ... يرد البيض والأبدان جونا

كأن الخيل إذ آنسن كلبا ... يرين وراءهم ما يبتغينا

وقال الأبيرد الرياحي يرثي أخاه بريدا:

إذا ذكرت نفسي بريدا تحاملت ... إلي، فلم أملك لعيني مدمعا

وذكرنيك الناس حين تحاملوا ... علي وأضحوا جلد أجرب مولعا

فلا يبعدنك الله خير أخي امرئ ... فقد كنت طلاع النجاد سميدعا

وصولا لذي القربى بعيدا عن الخنا ... إذا ارتادك الجادي من الناس أمرعا

أخو ثقة لا ينتحي القوم دونه ... إذا القوم خالوا أو رجا الناس مطمعا

ولا يركب الوجناء دون رفيقه ... إذا القوم أزجوهن حسرى وظلعا

وقال غيلان بن سلمة الثقفي يرثي ابنه نافعا

ما بال عيني لا تغمض ساعة ... إلا اعتلتني عبرة تغشاني." (١)

"قال: لان منى ما كان جاسيا، وجسا مني ما كان لينا، ونمت في الملا، وانتبهت في الخلا، وذكرت القديم ونسيت الحديث، وابغضت بيت النساء، واحببت بيت الرجال. فما بقى من لذتك انت يا امير المؤمنين؟ قال: صحة البصر، ولي لذة اخرى قال: وما هي؟ قال: لا ارى مكرمة في يدي قومي الا احببت ان انزعها فأجعلها في ولدي من بعدي.

وكان معهما وردان مولى عمرو، فقال معاوية: ما بقى من لذتك انت يا وردان؟ قال: انا وابو عبدالله نجرى في مضمار واحد، ولى لذة لم يذكرها واحد منكما.

قال: وماهي؟قال: عثرة كريم انعشها، ويد بيضاء اصطنعها.

فغضب معاوية، وقال له: ما انت وذاك ايها العبد، مولاك احق بها.

فقال: انت يا امير المؤمنين كنت احق بها. فأما الان فقائلها احق بها

ملحق بأمالي ابن دريد في امالي القالي ومظهر السيوطي

(١)وأنشدنا أبو بكر بن دريد فيما أملاه علينا من معاني الشعر:

إذا ما أجتلى إليها بطرفه ... غروب ثناياها أنار وأظلما

الغروب: حد الأسنان، واحدها غرب. والراني: المديم النظر.

وقوله: انار واظلم، أي ضوءا وظلما، والظلم: ماء الاسنان.

(٢) وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: قدم أعرأبي البصرة فنزل على قوم من بني العنبر وكان فصيحا، فكنا نسير إليه فلا نعدم منه فائدة، فجدر ثم برأ، فأتيناه يوما فأنشدنا.

ألم ياتها إني تلبست بعدها ... مفوفة صناعها غير أخرقا

وقد كنت منا عاريا قبل لبسها ... فكان لباسيها أمر وأعلقا

قال أبو علي: أعلق: أشد مرارة، وهذه الكلمة أول كلمة سمعتها من أبي بكر بن دريد، دخلت عليه وهو يملي على الناس، العرب تقول: هذا أعلق من هذا، أي أمر منه، وأنشدنا:

نهار شراحيل طود يريبني ... وليل أبي ليلى أمر وأعلق

---

(١) حماسة القرشي، ص/١٣

أي أشد مرارة.

(٣) قال أبو علي: وأملى علينا رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حاتم أن أبا عبيدة أنشدهم لربيعة الأسدي يرثي ابنه ذؤابا:

ابلغ قبائل جعفر مخصوصة ... ما إن أحاول جعفر بن كلاب

ان المودة والهوادة بيننا ... خلق كسحق الريطة المنجاب

قال ويروي:

ان البقية والهوادة بيننا ... سمل كسحق الريطة المنجاب

إلا بجيش لايكت عديدة ... سود الجلود من الحديد غضاب

قال ابو علي وقال ابو بكر من كلام العرب: لا تكته أو تكت النجوم أي لا تعده.

ولقد علمت على التجلد والاسي ... أن الرزية كان يوم ذؤاب

أذؤاب إني أهبك ولم اقم ... للبيع عند تحضر الاجلاب

إن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

بأحبهم فقد إلى اعدائهم ... وأشدهم فقدا على الأصحاب

ويروي:

بأشدهم أواقا على أعدائهم ... واجلهم رزءا على الاصحاب

وعمادهم في كل يوم كريهة ... وثمال كل مصعب قرضاب

قال ابو علي: القرضاب والقرضوب: الفقير، والقرضاب في لاغير هذا الموضع: اللص.

أهوى له تحت العجاج بطعنة ... والخيل تردي في الغبار الكأبي

الكأبي: المنتفخ. يقال فلان كأبي الرماد إذا كان سخيا، ومن هذا قيل: كبا الفرس يكبو إذا ربا وانتفخ.

اذؤاب صاب على صداك فجداه ... صوب الربيع بوابل سكاب

ما انس لا أنساه آخر عيشنا ... مالاح بالمعزاء ريع سراب.

قال أبو علي: الريع: الرجوع، وريعان الشباب: اوله، والريع أيضا: الزيادة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: املكوا العجين فإنه أحد الريعين.

واملى علينا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة لخرنق بنت هفان ترثي زوجها عمرو بن مرثد وابنها علقمة بن عمرو واخويه حسان وشرحبيل:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداةوافة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الازر

ويروي: النازلين والطيبين معاقد الازر، ويروي النازلون والطيبين.

ان يشربوا يهبوا وان يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهجر." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٤ """"""""

فوارس أجلى شاؤها عن عقيرة . . . لعاقرها فيها عقيرة عاقر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا ومن محاسنها في توبة :

أتته المنايا بين زعف حصينة . . . واسمر خطى وجرداء ضامر

على كل جرداء السراة وسابح . . . دوان بشباك الحديد زوافر

عوابس تغدو التغلبية ضمرا . . . فهن سراح بالشكيم الشواجر

فلا يبعدنك الله يا توب إنما . . . لقاك المنايا دارعا مثل حاسر

فإن لم يكن بالقتل بر فإنكم . . . ستثقون يوما ورده غير صادر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا برى . . . لقدر عيالا دون جار مجرور

ولا تأخذ الابل المهاري رماحها . . . لتوبة من صرف السري في الصنابر

إذا ما رأته قائما بسلاحه . . . نفته الخفاف بالثقال البهاذر

إذا لم يجز منها برسل فقصره . . . ذرى المرهفات والقلاص التواجر

قرى سيفه منها مشاشا وضيفه . . . سنام المهاري السباط المشافر." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٦٩ """"""""

يا ليتني كنت له زنارا . . . يديرني في الخصر كيف دارا

حتى إذا الليل طوى النهارا . . . صرت له حينئذ ازارا

أضمه إلى طلوع الفجر

قد والذي يبقيه لي أفناني . . . وابتز عقلي والضنى كساني

ظبي على البعاد والتداني . . . حل محل الروح من جثماني

---

(١) تعليق من أمالي ابن دريد، ص/٣٥

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٢٦٤/١

فليس لي عن قربه من صبر

واكبدي من خده المضرج . . . واكبدي من ثغره المفلج

لا شيء مثل الطرف منه الأدعج . . . اذهب للنسك وللتحرج

الا جمال ثغرة بالدر

إليك أشكو يا غزال الأنس . . . ما بي من الوحشة بعد الأنس

يا من هلالي وجهه وشمسه . . . لا تقتل النفس بغير النفس

وجد بوصل لسقام يبري

جد لي كما جدت بحسن الود . . . وارع كما أرعى قديم العهد

واصدد كصدي عن طويل العهد . . . فليس وجد بك مثل وجدي

وليس ذكر لك مثل ذكري

ها أنا في بحر الهوى غريق . . . سكران من حبك لا أفيق محترق ما مسني حريق . . . يرثي لي العدو والصديق

من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي . . . من سقم لي وضنى طويل." (١)

"٢(ما منهم إلا خبيث غادر ** متربص بالناس شر مصير)(ويود لو ملك الوجود بأسره ** ورمى الورى في جاحم مسجور)(ليبل غلته التي لا ترتوي ** ويكظ نهمة قلبه المغفور)٤ (وإذا دخلت إلى البلاد فإن أفكا **كاري ترفرف في سفوح الطور)٥ (حيث الطبيعة حلوة فتانة ** تختال بين تبرج وسفور)٦ (ماذا أود من المدينة ، وهي غارقة ** بموار الدم المهدور)٧ (ماذا أود من المدينة ، وهي لا ** ترثي للصوت تفجع الموتور ؟)٨ (ماذا أود من المدينة ، وهي لا ** تعنو لغير الظالم الشرير ؟)٩ (ماذا أود من المدينة ، وهي مرتاد ** لكل دعارة وفجور ؟)٠ (يا أيها الشادي المغرد ههنا ** ثملا بغبطة قلبه المسرور !)

". (٢)

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٢/٦٩

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي، ص/٦٥

"١٤ (بعد القضاء الأخير . . . **)٤ (معيدا على مهجتي بحفيف ** ضي وخلى النحيب في شفتيا ،)٨ (ويرى الأعشاب وقد سمقت ** بين الأشجار تشاهده)٠ (يا إله الوجود ! ما لك لا **ترثي** ** لحزن المعذب الأواه ؟)(جف سحر الحياة ، يا قلبي البا ** إن الدهور البواكي)(يردده حزننا في سكون ** على قبرنا ، الصامت المطمئن)(وزرعت الأحلام في قلبي الدا ** مي ، ولا أستطيع حتى بكاها ؟)٤ (ثم لما حصدت لم أجن إلا ** الشوك ، ما ترى فعلت ؟ إلهي !)٥ (م واليأس ، والأسى ، حيث شينا ** هم ، ويرنو لهم بعطف إلهي)

---

(١) ".

"خليلي مرا بي على أم جندب ... نقضي لبانات الفؤاد المعذب

وإنما عظم ابتداء معلقة امرئ القيس في النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت، فإنه يشغل الفكر بحسنه عن النظر في ملاءمة عجزه أو عدم ملاءمته، وهو الذي قيل عند سماعه للمنشد: حسبك، فإن قائل هذا الكلام أشعر الناس، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت ولم يستنشد العجز منه شغلا بحسن الصدر عنه، وإذا تأمل الناظر في نقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين، فعلم جملة أن الابتداء غير موصوف بحسن الابتداء، إذ حسن الابتداء عبارة عن ملاءمة القسمين.

ومن جيد ابتداءات المولدين قول أبي نواس وهو في غاية الحسن طويل:

خليلي هذا موقف من متيم ... فعوجا قليلا وانظراه يسلم

وقوله طويل:

لمن دمن تزداد حسن رسوم ... على طول ما أقوت وطيب نسيم

ومن إنشادات ابن المعتز لأبي تمام بسيط

يا بعد غاية دمع العين إذ بعدوا ... هي الصبابة طول الدهر والكمد

وإذا وصلت إلى قول البحتري طويل:

بودي لو يهوى العذول ويعشق ... ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

وصلت إلى الغاية التي لا تدرك، وما سمع أشد مباينة كبيت جميل وهو قوله: طويل

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... أسائلكم ل يقتل الرجل الحب؟

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ص/١٨٤

وهذا البيت الذي قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبي أو غيره: هل تعرف بيتا نصفه بدوي في، شمله وباقيه مخنث في بذلة فأنشده البيت فاستحسن ذكره.

ولقد أحسن أبو الطيب ما شاء في قوله خفيف:

تراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

لو لم يكدر صفوه ويقبح حسنه بقوله:

كيف ترثي التي برى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وأكثر ابتداءات أبي العلاء المعري تأتي على سنن الصواب، كقوله: بسيط

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر ... لعل بالجزع أعوانا على السهر

وكقوله طويل:

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وقوله طويل:

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال ... وفي النوم مغنى من خيالك محلال

وكقوله خفيف:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

فهذه أمثلة ابتداءات القصائد.

وأما أمثلة براعة الاستهلال فمنها قول محمد بن الخياط طويل:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأنفدت ما عندي

ولقد أحسن البحتري اتباعه في هذا المعنى حيث قال كامل:

أعدت يداه يدي وشرد جوده ... بخلي فأفقرني كما أغناني

ووثقت بالخلق الجميل معجلا ... منه فأعطيت الذي أعطاني

وإذا نظرت إلى فواتح السور الفرقانية جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه، ومن أراد الوقوف على ذلك فليقف على كتابي المنعوت بالخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح والله أعلم.

باب صحة الأقسام

وهذا أول أبواب قدامة وصحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئا، ومثال ذلك قوله تعلى: " هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا " وليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين.

ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق تقع من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد توافر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع، فلا تخطئ الغيث والكلأ، والى هذا أشار المتنبي بقوله وافر:

وقد أرد المياه بغير هاد ... سوى عدي لها برق الغمام." (١)

"أجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم في سواها مختلف

وأخذ أبو تمام هذا المعنى وطرده إلى المدح فقال:

لو أن إجماعنا في فضل سؤدده ... في الدين لم يختلف في الأمة اثنان

آخر:

يا مفردا بالحسن والشكل ... من دل عينيك على قتلي

البدر من شمس الضحى نوره ... والشمس من نورك تستملي

يوسف الجوهري:

وإذا الغزالة في السماء تعرضت ... وبدا النهار لوقته يترجل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها ... تلقى السماء بمثل ما تستقبل

ليس يبالي من أنت حاضره ... ما غاب من شمسه ومن قمره

أنت عليه، وإن عنفت به، ... أعز من سمعه ومن بصره

بشار وأحسن في تشبيهه:

قامت تبدى إذ رأتني وحدي ... كالشمس بين الزبرج المنقد

ضنت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنفس المرتد

أخذه من قول بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الصولي، وليس في شعره سوى هذه القطعة وأخرى دالية:

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/٢٢

يا شيبة البدر لولا ... كلف البدر ونقصه

وقريبا حاضر الذكر ولو غيب شخصه

بدن يعقد لينا ... ناعم الملمس رخصه

خصني بالهجر منه ... إذ رأى وصفي يخصه

كم أسمي غيره في الشعر والوصف يخصه

وقال ديك الجن:

وإن الذي أزرى بشمس سمائه ... فأبداه نورا والخلائق طين

تأنق فيه كيف شاء وإنما ... مقالته للشيء كن فيكون

آخر:

وفي أربع مني حلت منك أربع ... فما أنا أدري أيها هاج لي كربي

أوجهك في عيني، أم الريق في فمي، ... أم النطق في سمعي، أم الحب في قلبي

وسمعه يعقوب بن إسحاق الكندي فقال: هذا تقسيم فلسفي؛ وجعله العلوي خمسة فقال:

وفي خمسة مني حلت منك خمسة ... فريقك منها في فمي طيب الرشف

ووجهك في عيني ولمسك في يدي ... ونطقك في سمعي وعرفك في أذني

وأما قول أبي تمام:

يقول فيسمع ويمشي فيسرع ... ويضرب في ذات الإله فيوجع

فقد صرع في غير موضعه، ونظم اللفظ من قول من قال: كان عمر، رضي الله عنه، إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع.

وأكثر ما جاء من شعر العرب، في التقسيم ثلاثة. كقول طرفة:

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي

وسمعه عمر رضي الله عنه فقال: لكني، والله، لولا الضرب بالسيف في سبيل الله، والتهجد بالليل لوجه الله، ومجالسة أقوام أنتقي حديثهم كما تنتقى أطايب التمر، ما باليت أي وقت حانت منيتي.

وقال ابن الطثرية:

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام رامسي

وقال الأسدي:

ثلاثة أحباب: فحبٌ علاقة ... وحب تملاق وحب هو القتل

وقال جرير:

صارت حنيفة أثلاثا: فثلثهم ... من العبيد، وثلث من مواليها

ومما يجري مجرى الملح ما أنشده الخليل في كتاب العين:

إن في دارنا ثلاث حبالى ... قد وددنا أن لو وضعن جميعا

جارتي، ثم هرتي، ثم شاتي ... فإذا ما ولدن كن ربيعا

جارتي للرضاع، والهر للفأر، وشاتي ... إذا اشتهيت مجيعا

وكذلك المرصع الوارد عنهم، كقول امرئ القيس، وهو أبدعه:

فالعين قادحة واليد سابحة ... والرجل ضارحة والمتن ملحوب

والماء منحدر والشد منهمر ... والقصب مضطمر واللون غربيب

أنشد منهمر.

وتبعته الخنساء فقالت ترثي صخرا.

حامي الحقيقة معتاق الوسيقة نسال الوديقة جلد غير ثنيان

آبي الهضيمة وهاب الكريمة حمال العظيمة سرحان لفتيان

قال الشيخ: البيتان لأبي المثلم الهذلي.." (١)

" (كتمت غرامي في هواك ولم أبح ... بسر فناحت أدمعي برسائلي)

(سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى ... فقد عاد لي له رق عاذلي)

(لعل تجودي للكئيب وتسمحي ... بوعد بعد الوعد إن شئت ما طلي)

(عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي ... فبالسقم أعضائي وهت ومفاصلي)

(خفيت عن العواد لولا تأوهي ... وعظم أنيني لا يراني مسائلي)

(فرقي فقد رقت عداي لذلتي ... وفاضت على حالي عيون عواذلي)

(قطعت زماني في عسى ولعلها ... وما فزت في الأيام منك بطائل)

(فما آن أن ترضى علي وترحمي ... ضنى جسدي فالوجد لا شك قاتلي)

(توسلت بالمختار في شملنا ... نبي له فضل على كل فاضل) وله رحمه الله تعالى

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٢٣

(يا ربة الحسن من بالصد أوصاكي ... حتى قتلت بفرط الهجر مضناكي)

(ويا فتاة بفتان القوام سبت ... من في الورى يا ترى بالقتل أفتاكي)

(لقد جننت غراما مذ رأى نظري ... في النوم طيف خيال من محياكي)

(ومذ رآه جفا طيب المنام وقد ... أضحى عليلا حزينا لم يزل باكي)

(عذبتني بالتجني وهو يعذب لي ... فهل ترى تسمحي يوما برؤياكي)

(إن كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا ... فالله يعلم أنا ما نسيناكي)

(ما آن أن تعطفي جودا علي فقد ... أضحى فؤادي أسيرا لحظ عيناكي)

(ما كنت أ حسب أن العشق فيه ضنى ... ولا عذاب نفوس قبل أهواكي)

(حتى تولع قلبي بالغرام فما ... أمسى أسيرا سوى في حسن معناكي)

(رقي لعبدك جودا واعطفي وذري ... ولا تطيلي بحق الله جفواكي)

(يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى ... ومهجة تلفت ما هند أقساكي)

(رق العذول لحالي في الهوى ورثى ... وأنت يا هند لا **ترثي** لمضناكي)

(والله لو مت ما أسلاك يا آملي ... ولو فنيت غراما لست أنساكي) ." (١)

" قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك إلا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لأبي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الأبيات

(فوالله لا أنساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق)

(فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها

ولا مثلها في غير شيء يطلق)

(لها خلق عف ودين ومحتد ... وخلق سوي في الحياء ومنطق) فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت **ترثيه**

(فآليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

(فتى طول عمري ما أرى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)

---

(١) المستطرف، ٣٨٢/٢

(إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى القرن حتى يترك الرمح أحمرا) ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس إلى وليمته فأتوه فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت إن أبا الحسن فيه مزاح فائذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فإذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

(فآ ليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا) ." (١)

"إن كنت ساقية ببز ... ل الأدم أو بحقافها

فأسقي بني هد إذا ... شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف ... تلحقها غداة لحاقها

بأسنة رزق صبحنا ... القوم حد رقاقها

حتى ترى قصد القنا ... والبيض في أعناقها

قال أبو عمر الشيباني: لما طلق عبد الله بن العجلان هند أنكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات جمعت نهد لبني عامر جمعا فأغاروا على طوائف منهم فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وينو الحريش وينو قشير ونذروا بهم فأقتتلوا قتالا شديدا، ثم إنهزم بنو عامر وغنمت نهد أموالهم وقتل في المعركة إبن لمعاوية إبن قشير بن كب وسبعة بنين له وقرط وجدعان إبنا سلمة بن قشير ومرداس إبن جدعة بن كعب وحسين بن عمرو بن معاوية ومسحقة بن المجمع الجعفي، فقال عد الله بن العجلان في ذلك:

ألا أبلغ بني العجلان عني ... فلا ينبيك بالحدثان غيري

بأنا قد قتلنا قرطا ... وجرنا في سراة قشير

وأفلتنا بنو رجالا ... حاة يربؤن على سمير

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

أصبتم يا بني زيد ... قروما عند قعقعة السلاح

إذا إشتد الزمان وكان محلا ... وحادر فيه إخوان السماح

أهانوا المال في اللزيات صبرا ... وجادوا بالمتالي واللقاح

فبكى مالكا وأبكى بجيرا ... وشدادا مستجر الرماح

---

(١) المستطرف، ٤٨٣/٢

وكعبا فأندبيه معا وقرطا ... أولئك معشري هدوا جناحي

وبكى إن بكيت على حسيل ... ومدراس قتيل بني صباح

قال: وأسر عبد الله بن العجلان جلا من بني الوحيد من عليه وأطلقه ووعده الوحيدي من الثواب فلم يف فقال عبد الله:

وقالوا لن تنال الدهر فقرا ... إذا شكرتك نعمتك الوحيد

فيا ندما ندمت على رزام ... ومخلفه كما خلع العتود

قال أبو عمر: ثم أن بني عامر جمعوا لبني نهد قالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال أفعل، فحملته على ناقة لزوجها ناجية وزودته مرا ووطبا من لبن فركب فجد في السير وفنى اللبن فأتاهم والحي خلوف في غزو وميرة فنزل هم وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم وأومأ لهم إلى لسانه فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فأسخن وسقاه إياه فأبتل لسانه وقال لهم: أتيتكم أنا رسول هند إليكم تنذركم، فأجتمعت بنو نهد وأستعدت ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل فأقتتلوا قتالا شديدا فأنهزمت بنو عامر. فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

أعاود عيني نصبها وغرورها ... أهم عناهم أم قذاها يعورها

أم الدأر أمست قد تعفت كأنها ... زبور يمان رقشته سطورها

ذكرت بها هند وأترابها الأولى ... بها يكذب الواشي ويعصي أميرها

فما معول تبكي لفقد أليفها ... إذا ذكرته لا يكف زفيرها

بأغزر مني عبرة إذ رأيتها ... بحث بها قبل الصباح بعيرها

ألم يأت هندا كيفما صنع قومها ... بني عامر إذ جاء يسعى نذيرها

فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم ... وإنا نحيي أرضكم ونزورها

فقلنا إذا لا ننكل الدهر عنكم ... بضم القنا اللائي الدماء تميرها

فلا غزوان اخيل تنحط في القنا ... نمطر من تحت العوالي ذكورها

تأوه مما مسها من كريهه ... وتصفي الخدود والرماح تصورها

وأربابها صرعى ببرقة أخرت ... بجررهم ضبعانها ونسورها

فأبلغ أبا الحجاج عني رسالة ... مغلغلة لا يفلتنك بورها

فأنت منعت السلم يوم لقيتنا ... بكفيك تسدي غية وتثيرها

فذوقوا على ما كان من فرط إحنة ... خلائبنا إذ غاب عنا نصيرها

قال أبو عمرو:." (١)

"وقوله:

سلوا ورق الآس لم حددت ... وقد وضح الصبح آذانها

ولم ذا أقيمت على ساقها ... وبلت من الطل أجفانها

أأطربها هاتف قد غدا ... يهز من الطيب أغصانها؟

وله رسائل، وموشحات، وأزجال.

بيت بني قزمان

أثنى على هذا البيت الحجازي في بيوت قرطبة، وأنهم لم يزالوا ما بين وزير وعالم ورئيس.

أبو بكر محمد الأكبر بن عبد الملك

ابن عيسى بن قزمان القرطبي

ذكر ابن بسام: أن المتوكل صاحب بطليوس أول من اتخذه كاتبا، وأثنى على بيته وذاته، وأثبت له رسالة طويلة من غير طائل، وشعرا تركه أولى من إيراده.

وأثنى عليه صاحب القلائد، وذكر أن تكدر عشيه في آخر عمره، وأساء في حقه القاضي أبو عبد الله بن حمدين، وأن أخلاقه كانت صعبة، ففلت من غربه، وكانت سببا لطول كربه، ولم يورد له إلا قوله:

ركبوا السيول من الخيول وركبوا ... فوق العوالي السمر زرق نطاف

وتجللوا الغدران من ماذيهم ... مرتجة إلا على الأكتاف

أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك

ابن عيسى بن قزمان الأصغر

إمام الزجالين بالأندلس، وسيرد من عجائبه في الأهداب، ما يشهد له بالتقدم في هذا الباب. وذكر الحجاري أنه كان في أول شأنه مشتغلا بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس.

ومن شعره على طريقة المعرب قوله، وقد رقص في مجلس شرب، فأطفأ السراج بأكمامه:

---

(١) المرقصات والمطربات، ص/٤٩

يا أهل ذا المجلس السامي سرارته ... ما ملت لكنني مالت بي الراح

فإن أكن مطفئا مصباح بيتكم ... فكل من قد حواه البيت مصباح

وقوله في يحيى بن غانية الملثم سلطان الأندلس:

ولله يحيى إذ تأبط للوغى ... من السمر حزم أرقما ثم أرقما

وثارت به الهيجا كزند بناره ... فصير كافور الصوارم عندما

لدى موقف رد العجاج سماءه ... ثرى والثرى من أنجم البحر كالسما

ومن كتاب بلوغ الآمال في حلى العمال

عبد الله بن حسين بن عاصم

الثقفي القرطبي

ذكر ابن حيان: أن جده عاصم المعروف بالعريان صاحب عبد الرحمن الداخل، لقب بذلك لأنه عبر نهر قرطبة يوم القتال وهو عريان.

ورحل عبد الله إلى المشرق، وأدرك عصر معلى الطائي، ولقي ببغداد مخارقا المغنى، واستظرفه رؤساء العراق، وقال له أحدهم: يا غليظ ما أرقك! وكان أكولا حتى لقب بالزير، كثير السعاية والنميمة، شاعرا مفلقا.

ولي الشرطة بقرطبة، فمر به فتى حسن الشارة، يترنح سكرا، فأمر بحده، فقال: أنشدك الله ، من الذي يقول:

إذا عاب شرب الخمر في الدهر عائب ... فلا ذاقها من كان يوما يعيبها؟

فقال ابن عاصم: أنا، وأستغفر الله، فقال الفتى: ما تستحي من الله حين تغري بالشراب، ثم تعاقب فيه؟!

فكان ذلك سببا لأن تركه.

وأخبر الحميدي أنه كان من جلساء الأمير محمد وأنه شرب معه يوما، وغلام جميل الصورة يسقيهم، فألح الأمير على الغلام في سقي عبد الله، فقال:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ... ما لحسان الوجوه والصلف؟!

يحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف

فخيره بين بدرة والغلام، فاختار البدرة خوفا من الظنة.

أبو الأصبغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي

ذكر محمد بن عبد الملك بن سعيد: أنه كان من عمال قرطبة في مدة لمتونة، واختص بأميرها الزبير بن عمر الملثم، ونادمه، وكان عارفا بالغناء، وأنشدني لنفسه قوله:

عاد من بعد ما أطال الصدودا ... وأتى مرغما بذاك الحسودا

وتناسى ما كان منه قديما ... وأعاد الزمان خلقا جديدا

إن يوما قضى لنا باجتماع ... لحقيق بأن يسمي سعيدا

وقوله:

قم هات كأس فالروض ممطور ... والأفق مسك والأرض كافور

ري وخمر فحثها عجلا ... فكلنا عاطش ومقرور

لا حفظ الله من يضيعها ... في مثل ذا اليوم فهو مسحور." (١)

"""""""" صفحة رقم ٧٥ """""""

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها . . . من الشواء ويروى شربة الغمر

قال المؤلف : البيت لأعشى باهلة من قصيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي ، واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث ويكنى أبا قحافة . وقال قطرب : إنه للدعجاء بنت وهب وإنها هي التي **ترثي** أخاها المنتشر بالقصيدة المعروفة التي أولها :

إني أتتني لسان لا أسر بها . . . من علو لا عجب فيها ولا سخر

وبعد البيت الشاهد :

لا يتأرى لما في القدر يرقبه . . . ولا تراه أمام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ومن وصب . . . ولا يعض على شرسوفه الصفر

التأري : التحبس والمكث . والاقتفار : أن يأكل خبزه قفارا دون أدم جشعا قبل أن يدرك الطعام . والصفر : حية في البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه . وقيل الصفر داء يعالج بقطع النائط . قال الراجز :

قطع الطبيب نائط المصفور

وكانت العرب تزعم أنه يعدي . وفي الحديث : لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر .." (٢)

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/١٩

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي . ، ١/٧٥

"""""""""" صفحة رقم ٥٠٠ """"""""

ومستنبح تسكشط الريح ثوبه . . . ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه . . . لينبح كلب أو ليسمع نوم

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى . . . له مع إتيان المهبين مطعم

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا . . . يكلمه من حبه وهو أعجم

المهبين : الأضياف الموقظون للنوام . وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلاب الحي يتبعها . . . شحم يزف به الراعي وترعيب

وما أحسن قول ابن هرمة أيضا ويروى لغيره :

استوص خيرا به فإن له . . . عندي يدا لا أزال أحمدها

يدل ضيفي علي في غسق . . . الليل إذا النار نام موقدها

قال أبو علي ' ١ - ٢١٤ ، ٢١١ ' : حكى عن بعضهم أنه قال : دخلت على الناطفي فبشرني ببشر حسن ع هذا أبو خالد الناطفي صاحب عنان الشاعرة اليمامية ، وكانت بارعة الأدب سريعة البديهة . كان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصب منهم . واشتراها الرشيد بعد موت الناطفي في سوق من يزيد ، وعليها رداء رشيدي ومسرور الخادم يتزايد فيها مع الناس بمائتي ألف وخمسين ألفا ، وأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين . وقالت عنان **ترثي** الناطفي :

يا موت أفنيت القرون ولم تزل . . . حتى سقيت بكأسك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازح . . . ما كنت أول من دعوه فوافى

وأنشد أبو علي ' ١ - ٢١٤ ، ٢١١ ' عن اللحياني :

خفاهن من أنفاقهن كأنما . . . خفاهن ودق من سحاب مركب." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٦٠٨ """"""""

فلبس عليه الحق وشككه في اليقين ، ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ، وزين له إتيان السيئات ، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والمآب ، والثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من تخلف من بعده ، فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٢٧٨ ، ٢٧٥ ' للعجير السلولي :

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي.، ١/٥٠٠

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا . . . بمر ومردى كل خصم يجادله ع يرثي العجير بهذا الشعر رجلا من قومه يقال له سليمان بن خالد بن كعب ، هلك بمر الظهران وهو صادر إلى المدينة . وبيتان من هذا الشعر قد اختلف في قائلهما أشد اختلاف . وهما قوله :

فتى قد قد السيف لا متضائل . . . ولا رهن لباته وبآدله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما . . . وكل الذي حملته فهو حامله

فقال السكري : إنهما لثور بن الطثرية يرثي أخاه يزيد ، وأنشدهما في أبيات أولها :

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري . . . مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وأنشد أبو تمام هذه الأبيات لزينب بنت الطثرية **ترثي** أخاها ، وقيل إنها لأم يزيد **ترثي** ابنها ، وقيل إن البيتين للأبيرد اليربوعي . وقوله :

فتى ليس لابن العم كالذئب

قد مضت أمثلته والقول في معناه ٥٩ . وقوله :

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٢٦ """""""

وأنشد أبو علي لفاطمة بنت الأحجم :

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله

ع قال السكري هذا الشعر لليلى بنت يزيد بن الصعق ، **ترثي** ابنها قيس بن زياد ابن أبي سفيان ابن عوف بن كعب ، وقال الأخفش : إنه لامرأة من كندة . وأوله في رواية من رواه لفاطمة كما قال أبو علي :

يا عين جودي عند كل صباح . . . جودي بأربعة على الجراح

والجراح : زوجها .

وفيه :

وإذا دعت قمرية شجنا لها

أخبرني غير واحد عن أبي العلاء المعري أنه كان يرد هذه الرواية ويقول : إنها تصحيف وينشده :

وإذا دعت قمرية شجبا لها يعني فرخها الهالك وهو الهديل ، والشجب : الهلاك ، والشجب : الهالك . وهذه رواية حسنة مقبولة ، والحق أحق أن يتبع . وكان الأحجم بن دندنة أحد سادات العرب . ويقال

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ، ١/٦٠٨

الأجحم بتقديم الجيم ، قال ابن دريد جحم إذا فتح عينيه كالشاخص ، وبذلك سمى الرجل أجحم ، وقال الخليل الأجحم : الشديد حمرة العيٍن مع." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٦٦ """"""""

شعف الكلاب الضاريات فؤاده . . . فإذا بدا الصبح المصدق يفزع

يرمي بعينيه الغيوب وطرفه . . . مغض يصدق طرفه ما يسمع

الشبب : الثور المسن ، وكذلك المشب والشبوب . والشعوف : الذي كأنه ذاهب الفؤاد ، ومنه شعف الحب قلبه . والمصدق : الصبح الصادق ، ويقال للصبح الأول الكاذب . والغيوب : المواضع التي لا يرى ما وراءها ، يرميها بطرفه يخاف أن يأتيه منها ما يكره . ثم قال : إذا سمع شيئا رمى ببصره ، فكان ذلك منه تصديقا لما سمع ، لأنه لا يغفل عن النظر حتى يسمع .

وأنشد أبو علي :

أيغسل رأسي أو تطيب مشاربي ؟ . . . ووجهك معفور وأنت سليب

ع أنشد ابن أبي طاهر هذه الأبيات لبنت علي بن الربيع الحارثي ترثي أباها ، والبيت إنما هو :

وإني لأستحيي أبي وهو ميت . . . كما كنت أستحييه وهو قريب

لا أخي كما أنشده أبو علي ، وبعده :

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني . . . أراع كما راع العجول مهيب." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٩٧٠ """"""""

وتمضي . تهر الناس : أي تصيرهم يهرونها : أي يكرهونها . وأنيابها عصل : أي معوجة ، وإنما يعصل ناب البعير إذا أسن ، فأراد أنها حرب قديمة . وقوله قضاعية أو أختها مضرية : لأن قضاعة هو ابن معد ، ومضر هو ابن نزار بن معد أي حرب منكرة توقد بالجزل لا بالدقيق لشدتها ، ويروى :

يكونوا على ما كان منها إزاءها . . . وإن أفسد المال الجماعة والأزل

وقال الأصمعي على ما خيلت : على ما شبهت ، هم إزاؤها : أي الذين يقومون بها ، أي تجدهم مؤيديها ، وإن أهلك المال الجماعة ، أي يجتمعون في مكان واحد لا تخرج إبلهم للمرعى فتنحر ، فذلك هلاك المال . وقال الأصمعي : يريد إن حبس الناس أموالهم فلا يسرحون وجدتهم يسرحون ، وإن اشتد أمر الناس

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ، ٢/٦٢٦

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ، ٢/٩٦٦

حتى يبلغ الضيق وجدتهم ينحرون .

وأنشد أبو علي قصيدة أولها :

يا عين بكى لمسعود بن شداد . . . بكاء ذي عبرات شجوه باد

وقال إنها تنسب إلى عمرو بن مالك ، وإلى أبي الطمحان ، وإلى فارعة بنت شداد ترثي أخا ها مسعود بن شداد ع هو عمرو بن مالك بن يثربي النخعي ، ثم الكعبي جاهلي .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤ """""""""

وأنشد أبيات محارب بن دثار ع وهو ذهلي والأبيات أنشدها ابن الجوزي وزاد أول الأبيات :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه . . . لعدله لم يصبك الموت يا عمر

وروى في البيت ٤ سعيا لهم سنن بالحق تقتقر وفي ٥ تأتي رواحا وأنشد لامرأة ع الأبيات لأبي العتاهية حقا رواها له الليثي ومحمد بن يزيد والزجاجي والأصبهاني وابن عبد ربه وآخرون يرثي بها علي بن ثابت وكان صديقا له وله فيه مراث وروى هؤلاء : بكيتك يا علي ، وزاد الليثي بعد الثاني

كفى حزنا بدفنك ثم إني . . . نفضت تراب قبرك من يديا

وأنشد للأبيرد كلمة ع رواها اليزيدي في نوادره والأصبهاني وأبو تمام وابن الأعرابي والليثي والآمدي . ولكن روى القالي والطائيان كلمة لسلمة بن يزيد قد اختلطت بهذه كل الأختلاط ، وأغرب البحتري في روايته بعضها في موضع آخر لليلي بنت سلمة ترثي أخاها ، وقد نعي البكري هذا التخليط على القارى وما هو بأبي عذره فقد سبقه إلى ذلك محمد بن يزيد ، وأني للبكري أن يجزم بصحة نسبة بعض الأبيات إلى أحد المنسوبين بعد أن طال بها الأمد ، وأخني عليها الذي أخني على لبد ، وتشعبت فيها مذاهب الرواة ، ولم أر فائدة في تقييد هذه الاختلافات كما قال تعالى : وأني لهم التناوش من مكان بعيد فأضرب عنها صفحا ، وتقدم نسب الأبيرد وترجمته ، وروى الآمدي في البيت ٧ ليس الفتيان ، والأصبهاني في ب ١٣ بأخباره السفر وهو أقعد ، وعنده في ب ١٤ ابن عزيز . وقوله ب ٢٢ غدوتها شهر أي تسير في غدوتها مسيرة شهر وما قاله في التمام ع فكله مختلف فيه على أن أبا علي رح حجر الواسع ومتأخرو اللغويين يسيغون كل ما منعه المثل أبي قائلها إلا تما بالكسر ، وقيل مثلثا الميداني والمستقصي." (٢)

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي. ، ٢/٩٧٠

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي. ، ٣/٤

"""""""" صفحة رقم ٩ """"""""

يا عين فابكي ذا الفعال وذا الندى . . . بمدامع سكب تجيء سوافح

وابكيه في الزمن العثور لكلنا . . . ولكل أرملة ورهب رازح

رهب كبير لا يطيق الحركة ، ورازح مهزول لا نهوض به

فلقد فقدت مسودا ذا نجدة . . . كالبدر أزهر ذا جدى ونوافح

كان الملاك لديننا ورجائنا . . . وملاذنا في كل خطب فادح

فمضى وخلفنا لكل عظيمة . . . ولكل أمر ذي زلازل جامح

ما قلت فيك فأنت أهل مقالتي . . . بل قد يقصر عنك مدح المادح اه

وأنشد لأخت ربيعة ترثيه ع وكان قتل يوم الكديد في خبر ، والأبيات رواها ابن طيفور والأصبهاني ، ولكني وجدتها للخنساء في صخر أيضا والله أعلم وذكر من قدح في الأحنف ولم يسمه ع وهو حارثة بن بدر الغداني وأنشد أبياتا لمحمد المخزومي في يحيى الجمحي ع هما نكرتان لم يعرفا ، وكيف أغفل أبو علي رح عن رواية المبرد والأصبهاني والشعر عندهما أتم والرجلان من المعارف وهما مطيع ابن إياس الليثي يقوله ليحيى بن زياد الحارثي ولا مخزوم ولا جمح ولهما أخبار ذكراها هما وغيرهما ، وكان الرجلان يرميان بالزندقة." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٧ """"""""

(٢١٣ ، ٢٠٨) وأنشد والحزم ع لابن الزبعري ، ومرت من أبيات مرت آنفا وأنشد مجنونا ع هو لتميم بن أبي بن مقبل من قصيدة له في ٥٠ بيتا رواها محمد ابن أبي الخطاب وأولها :

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا . . . ودون ليلى عواد لو تعدينا

وتمام البيت وصلته :

في ظهر مرت عساقيل السراب به . . . كأن وغر قطاة وغر حادينا

ثم يقول بعد أبيات :

واطأته بالسرى حتى تركت به . . . ليل التمام ترى أسدافه جونا

حتى استبنت الهدى والبيد هاجمة . . . يخشعن في الآل غلفا أو يصلينا

واستحمل الشوق مني عرمس أجد . . . تخال باغزها بالليل مجنونا

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ، ٣/٩

المرت : القفر . عساقيل السراب : قطعه . وغر صوت . غلفا عليها أغطية . يصلين : يرفعن وأنشد دعبوب ع البيت من قصيدة لأخت عمرو ذي الكلب الهذلي ترثيه قيل هي جنوب وسماها البحتري عمرة وقيل إنهما امرأة ، وقال البغدادي : إنها لأخت له أخرى تسمى ريطة وأخافه قد وهم والله أعلم وأنشد اختلاجها ع أبو جعفر محمد بن وهيب الحميري صليبة البصري من أهل بغداد يعد وسطا في طبقة دعبل وأبي سعد المخزومي وأبي تمام كان يتشيع ويستميح الناس بشعره ، مدح المأمون والمعتصم وهو جيد الشعر مطبوع مكثر له أبيات نادرة والمعنى من أوهامهم وأوابدهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال أرى من أحبه فان كان غائبا توقع قدومه ، وإن كان بعيدا توقع قربه ، قال بشر ابن أبي خازم :

إذا اختلجت عيني أقول لعلها . . . فتاة بني عمرو بها العين تلمع

ولآخر :

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني . . . أراك وإن كان المزار بعيدا." (١)

"لامرأة من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيىء

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيىء.

لا تحمدن الدهر أخت أخالها لها ... ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة ... وهم طرحوها في الأقاصي الأباعد

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رق لينظر امرؤ من يرق كريمته. وعلى هذا جاءت اللغة، فقالوا كنا في إملاك١ فلان، وفي ملك فلان، وفي ملك فلان، وفي ملكة فلان. وفي ملكان فلان، ويقول الرجل: ملكت المرأة وأملكنيها وليها، ومن ذلك أن يمين الطلاق إذا وقع فيها حنث غنما يكون محلها محل الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق.

وقال رسول الله: "أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عوان" أي أسيرات، ويقال، عني فلان في بني فلان إذا أقام فيهم اسيرا،ويقال: فلان يفك العناة، وأصل التغنية التذ ليل،وأصل الإسار الوثاق، ويقال للقتب مأسور إذا شد بالقد، هذا أصل هذا، فأما المثل في قولهم: إنما فلان غل قمل، فإنهم كانوا يتخذون الغلال من القد، فكانت تقمل.

_

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . ، ٩٧/٣

١ الإملاك: مصدر أملك، وهو النرويج.." (١)

"موضعي هذا، فقالوا: شأنك، فصرخ بقومه بعد أن قالا له: شأنك، فأسمعهم على مسيرة ليلة.

ويروى عن حماد الرواية قال: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: أرأيت قول أبيك:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم منه سجدا للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

أبت عادة للورد أن يكره الوغى ... وحاجة رمحي في نمير بن عامر

فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقعة فقال: نعم. فقلت: فكم كانت خيلكم قال: ثلاث افراس، أحدها فرسه، قال: فذكرت هذا لابن أبي بكر الهذلي، فحدثني عن أبيه قال: حضرت يوم جبلة، قال: وكان قدبلغ مائة سنة؛ وكان قد أدرك أيام الحجاج، قال: فكانت الخيل في الفريقين، مع ما كان مع ابني الجوني-، ثلاثين فرسا، قال: فحدثت بهذا الحديث الخثعمي - وكان رواية أهل الكوفة - فحدثني: أن حثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور، فقالت أخته **ترثيه**:

لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل حثعما

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها روا رعالا كأنها ... جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك فقالت: اللهم إني لا اعرف غلا فرسه.

قوله: "قد شد عقد الدواير" يريد عقد دوابر الدرع، فإن الفارس إذا حمى فعل ذلك.

وقوله: "تضل البلق في حجراته" يقول: لكثرته لا يرى فيه الأبلق، والأبلغ مشهرو المنظر؛ لاختلاف لونيه، من ذلك قوله:

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا ... ولئن هربت ليعرفن الأبلق." (٢)

"لليلى الأخيلية **ترثي** عثمان بن عفان

وقال ليلى الأخيلية، أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته ... وكان آمن من يمشي على ساق

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢/٥٥

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١٤٩

خليفة الله أعطاهم وخولهم ... ما كان من ذهب جم وأوراق

فلا تكذب بوعد الله وارض به ... ولا توكل على شيء بإشفاق

ولا تقولن لشيء: سوف أفعله ... قد قدر الله ما كل امرئ لاق

لآخر يرثيه أيضا

وقال آخر:

ألا قل لقوم شاربي كأس علقم ... بقتل إمام بالمدينة محرم

قتلتم أمين الله في غير ردة ... ولا حد إحصان ولا قتل مسلم

تعالوا ففاتونا فإن كن قتله ... لواحدة منها يحل لكم دمي٢

وإلا فأعظم الشامتين قد أتيتم ... ومن يأت ما لم يرضه الله بظلم

فلا يهنين الشامتين مصابه ... فحظهم من قتله حرب جرهم٣

وأنشدني الرياشي عن الأصمعي:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبي:]

لعمر أبيك فلا تذهلن ... لقد ذهب الخير إلا قليلا

وقد فتن الناس في دينهم ... وخلى ابن عفان سرا طويلا

-

١ ر: "التجوني" صوابه في الأصل. س. منسوب إلي تجيب. قبيلة.

٢ ففاتونا، فحاكمونا، وفي ر: "فحل"، على الفعل الماضي، وما أثبته عن الأصل.

٣ نقل المرصفى عن الطبري أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق.." (١)

"أن اقتتلوا زهاء شهر، فاختلفا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمر عمران ترثيه:

الله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرا وإعلانا ليرزقه ... شهادة بيدي ملحادة غدر

ولى صحابته عن حر ملحمة ... وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع: "استشلتني"، أي أخذتني إليها واتنفذتني. يقال: استشلاه واشتلاه. وفي الحديث "إن السارق إذا قطع سبقته يده إلى النار، فإن تاب استشلاها"، قال رؤبة:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢٢/٣

إن سليمان اشتلانا ابن علي

وقول الناس: "اشليت كلبي" أي أغريته بالصيد، خطأ، إنما يقال: آسدته وأشليته: دعوته.

وقولها: "بيدي ملحادة" "مفعال" من الإلحاد، كما تقول: رجل معطاة يا فتى، ومحسان، ومكرام، وأدخلت الهاء للمبالغة، كما تدخل في رواية وعلامة ونسابة.

و"غدر" "فعل" من الغدر، ول"فعل" باب نذكره في عقب هذه القصة، إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضرغامة: من أسماء الأسد.

والهصر: الذي يهصر كل شيء، أي يثنيه، قال امرؤ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والأزراقة والبيهسية والإباضية تفسير، لم نسب إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبي بيهس بالكنية المضاف إليها، ونسب إلى صفر ولم ينسب إلى واحدهم، ونسب إلى ابن إباض فجعل النسب إلى أبيه وهذا نذكره بعد باب "فعل".." (١)

"من مراثي الخنساء

فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخرا:

يا صخر وراد ماء قد تناذره١ ... أهل المياه وما في ورده عار

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان: أنياب وأظفار٢

وما عجول على بو تحن له ... لها حنينان: إغلان وإسرار

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

يوما بأوجع مني يوم فارقني ... صخر، وللعيش إخلاء وإمرار

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار

ـ

١ تناذره، أي أنذر بعضهم بعضا وأخافه

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٣/٢١٤

٢ الهيجاء: الحرب.." (١)

"فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم١ ... ولكن أولى يترك القوم جوعا

وقالت الخنساء **ترثي** أخاها معاوية بن عمرو – وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها، وكان صخر أخاها لأبيها، وكان أحبهما إليها بعيدا٢، وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور: منها أنه كان موصوفا بالحلم، ومشهورا بالجود، ومعروفا بالتقدم في الشجاعة، ومحظوظا في العشيرة –:

أريقي من دموعك واستفيقي ... وصبرا إن أطقت، ولن تطيقي

وقولي إن خير بني سليم ... وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي ... وأيام لنا بلوى الشقيق٣

وإذ نن الفوارس كل يوم ... إذا حضروا وفتيان الحقوق

وإذ فينا معاوية بن عمرو ... على أدماء كالجمل الفنيق٤

فبكيه فقد أودى حميدا ... أمين الرأي محمود الصديق

فلا واله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

قولها:

أريقي من دموعك واستفيقي

معناه أن الدمعة تذهب الوعة

ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب، لعمر بن

–

١ قال المرصفي: "يريد صدت لهم"

٢ ساقطة من ر.

٣ العقيق: ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم

٤ أدماء؛ أي ناقة أدماء، في الإبل: البياض مع سواد المقلتين، والجمل الفنيق: كريم على أهله لا يهان.." (٢)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٤/٤٠

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٤/٤٤

"لليلى الأخيلية ترثي توبة

وقالت ليلى الأخيلية:

آليت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير." (١)

"وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها١:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من لليتامى إذا هم سغبوا ... وكل عان وكل محتبس!

أم من لبر أم من لفائدة ... أم من لذكر الإله في الغلس!

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله:

ليت شعري بأي ذنب لملك ... كان هجري لقبرها واجتنابي!

ألذنب حقدته كان منها ... أم لعلمي بشغلها عن عتابي!

أم لامني لسخطها رضاها ... حين واريت وجهها في التراب!

ما وفى في العباد حي لميت ... بعد يأس منه له في الإياب

وفي هذا الشعر:

إنما حسرتي إذا ما تذكر ... ت عنائي بها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين ... أتأتى لذاك من كل باب٢

فاجتمعنا على اتفاق وقدر ... وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها ... كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البش ... رى فيا قرب أوبة من ذهاب!

_

١ نسبة بعضهم إلى لبانة بنت موسى الهادي في محمد المين.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٧٥/٤

٢ أتاتي: أتعرض له.." (١)

"فإذا المنية أقصدت ... كنا جميعا ميتينا

ومن هاهنا أخذ محمد بن يزيد:

لا مت قبلك يا أخي، لا بخلة ... بالنفس عنك، ولا تمت قبلي

وبقيت لي، وبقيت منك كذا ... متمتعين بأجمع الشمل

حتى إذا حضر الحمام لبيتنا ... فرمى لمدة غاية المهل

متنا جميعا، لا يؤخر واحد ... عن واحد، لحرارة الثكل

وكفاك من نفسي شهيد صادق ... يا صاح إنك عندها مثلي

وحكى الأصمعي قال: عرضت على الرشيد جاريتان، فقالت الأولى منهما وسابقت: السابقون السابقون، أولئك المقربون. ثم تقدمت الثانية فقالت: وللآخرة خير لك من الأولى، فاشتراهما لظرفهما. فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أفاكههما؟ قال: شأنك. فقلت لإحداهما: من أحسن عيشا؟ قالت: من قنع ثن ساعده القدر، فاستمتع بهواه قبل أن تخلفه الأيام. ثم أقبلت على صاحبتها لأسألها، فقالت: يا بغيض، الجواب واحد، والقلوب متفقة، ولا فرق بيننا، ونحن كما قال الشاعر:

نحيى معا، ومعا نمو ... ت، ولا نموت، كذا، سريعا

وكما اجتمعنا في الحيا ... ة، نفارق الدنيا جميعا

وله أيضا فيها:

يا أعظم بليت في قعر مظلمة ... في حفرة قد سلا عنا بواكيها

لو تسمعين دعائي لاستجبت له ... وهل تجيب عظام من يناديها

صوت يناديك أن لو تعلمين به ... أغررت دعوته ألا تجيبيها

هذا الذي كنت في الدنيا ضجيعته ... لم تستعض نفسه إلفا يسليها

وله أيضا:

حتى إذا افتر اللبان، وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا، كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٨٠/٤

فلما أكثر يعقوب المراثي وأفرط، وبقي لا ينام الليل، وقل أكله، وكثر جزعه، خيف عليه الهلاك. وكان لملك رفيقة يقال لها طرب أنس بها، فاشتروها له، وأمروها بمداعبته وملازمته، ليسلو بها عن ملك. فكان ذلك كما راموا، أن طربا تمكنت من قلبه. فقال:

فجعت بملك وقد أينعت ... وتمت، فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها ... وأمست بحلوان ملك غريبه

أراني غريبا، وإن أصبحت ... منازل أهلي مني قريبه

حلفت على أختها بعدها ... فصادفتها ذات عقل، أديبه

وقلت لها: مرحبا، مرحبا ... بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

سأصفيك ودي حفاظا لها ... كذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كملك، وإن لم تكن ... لملك من الناس عندي ضريبه

فلم تلبث، أيضا، طرب أن لحقت بملك. فلقي جهدا، واشفى على الموت، وقال:

لقد سخنت عيني بملك، وسهدت ... فما رقدت حتى وصلت سهادها

وكانت لنا نار توقد في الحشا ... فما خبأت، حتى شببت وقودها

أنست بروعات المصائب بعدها ... وبعدك، حتى ما أبالي مزيدها

رأيت ثياب الناس في كل مأتم ... إذا اختلفوا، بيض الثياب وسودها

وإني على ملك لبست ملاءة ... من الحزن لم يبل الزمان جديدها

قال مؤلف الكتاب: وجدت أبا الحسن محمد بن عبد الله الموصلي، مؤلف كتاب أصناف الشعراء قد أطنب في وصف بيت واحد في هذه القطعة، وهو:

أنست بروعات المصائب بعدها ... وبعدك، حتى ما أبالي مزيدها

وذكر أنه من نادر الشعر، مع ما فيه من الجزالة والرقة. وللخنساء في معنى هذا البيت، ولليلى الأخيلية، ولخرنق بنت هفان، وعقيل بن علقمة. فأما الخنساء فقالت:

وقائلة، والنفس قد فات خطوها ... لتدركه: يا لهف نفسي على صخر

ألا هبلت أم الذين اغتدوا به ... إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر

فشأن المنايا إذ أصابك ريبها ... لتغدو على الفتيان بعدك، أو تسرى

وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

وقلت خرنق ترثي زوجها بشرا:

فلا، وأبيك، آسي بعد بشر ... على حي يموت، ولا صديق

وقال عقيل:." (١)

"فقال ابن سليمان: شرب الخمر يا أمير المؤمنين، فسله بأي نار طبخت؟ قال أبو دلامة: بنار الله الموصدة، التي تطلع على فؤاد من علمك. فضحك المنصور منه وأجازه.

الإماء من شواعر النساء

وهن: عنان، والذلفاء، وربيم، وفضل، وملك، وخنساء، وصرف، ومخنثة، ومدام، وخشف، وعلم، وريا، وسكن. وسكن أغزرهن وأشهرهن ذكرا، وإنما أكثرهن افتنانا عنان، جارية الناطفي.

عنان جارية الناطفي وهي صاحبة أبي نواس، وبينهما معاتبات ومضاحكات، وتهاجيا في آخر أمرهما. وكان لها ظرف بارع، وأدب كامل، في سرعة جواب. وكان لها مجلس ينتابه السراة والشعراء وأهل الأدب، يطارحونها الأشعار ويناشدونها.

فمن شعراها ترثي مولاها:

يا موت أفنيت القرون، ولم تزل ... حتى سقيت، بكأسك، النطافا

يا ناطفي، وأنت عنا نازح ... ما كنت أول من دعوه فوافى

وقالت:

نفسي على زفراتها موقوفة ... فوددت لو خرجت من الزفرات

لا خيِر بعدك في الحياة، وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

قال محمد بن سليمان الكاتب: إفتصد الرشيد يوما، فأهدى له يحيى بن خالد جارية عوف الخياط. فأقامت عنده شهرا، ثم وهبها لخزيمة بن خازم.

ففي ذلك تقول عنان، تمدح يحيى، وتطلب أن يبتاعها:

نفى النوم عن عيني حوك القصائد ... وآمال نفس، همها غير واحد

إذا ما نفى عني الكرى طول ليلتي ... تعوذت منه باسم يحيى بن خالد

وزير أمير المؤمنين، ومن له ... فعالان من جود: طريف وتالد

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٤٢

على وجه يحيى غرة يهتدي بها ... كما يهتدي ساري الدجى بالفراقد
بلغت الذي لم يبلغ الناس مثله ... فأنت مكان الكف من كل ساعد
تعود إحسانا، فأصلح فاسدا ... وما زال يحيى مصلحا كل فاسد
وكانت رقاب من رجال تعطلت ... فقلدها يحيى كرام القلائد
على كل حي من أياديه نعمة ... وآثاره محمودة في المشاهد
ففعلك محمود، وكفك رحمة ... ووجهك بدر، نوره غير خامد
مننت على أختي منك بنعمة ... صفت لهما منها عذاب الموارد
فمن بما أنعمت منها عليهما ... علي، وقاك الله كيد المكائد
أعوذ من الحرمان منك بخالد ... وطيب تراب، فيه أعظم خالد

وذكرها يحيى لهارون الرشيد، فأمر بشرائها، فاشتراها بثلاثمائة ألف درهم، وأمر صاحب بيت المال برفع المال إلى مولاها. فقال لمولاها: اجعل لي من هذا المال عشرة آلاف درهم، فأبى أن يفعل. فأمر صاحب بيت المال بثلاثين حمالا، فحملت البدر، وأدخلها على الرشيد، فقال: ما هذا؟ قال: هذا ثمن عنان. قال: ويلك هذا كله سرف، رده إلى بيت المال. وأبطل شراءها. ثم بعد ذلك عزم يحيى على معاودة الرشيد في أمرها، فعاق عن ذك حادثهم.

وقال: أحمد بن إبراهيم: هويت عنان فتى من أهل بغداد، لا نبات له بعارضيه، في غاية من الحسن، وكان يدعي النسك والعفاف. فطلبت وصاله فأبى. ثم أن الفتى بعد ذلك نبتت لحيته، وضجر من طول الزهد، فأتاها يلتمس منها ما كانت تلتمس منه، فأنشأت تقول:

هلا وأنت بماء وجهك تشتهي ... رؤد الشاب، قليل شعر العارض
ألآن إذ نبتت بخدك لحية ... ذهبت بملحك، ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها ... بعد اللذاذ خل خمر، حامض

وقالت:

إلى الله أشكو طارقات من الهوى ... لها في فؤادي جمرة تتضرم
فلا مشتكى إلا إليه، فأنه ... أرق، وأحفى بالعباد، وأرحم

وحكى عنها أبو ثابت قال: خطر بقلبي بيت شعر قلته، وتعسر علي ثانيه، وطلبت من يجيزه. فتذكرت عنان جارية الناطفي، فأتيتها وأوردت عليها الشعر، فقلت:

وما زال يشكو الحب حتى سمعته ... تنفس في أحشائه، أو تكلما

فأطرقت، ساعة، ثم قالت:

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه ... إذا ما بكى دمعا بكيت له دما." (١)

"وأتعب عندي من مطايا بقفرة ... وبعدها منها شقة وترحلا

حشا يمتطيها الشوق في كل ساعة ... تقربها البلوى إلى الحتف منزلا

وأما مدام: فكانت جارية، وكانت للعباس بن الفضل مواصلة. فكتب إليها:

كوني بخير، وإن أصبحت في شغل ... القلب قلبك أعيت دونه حيلي

لو كنت أحسن هجرا ما هجرتكم ... أو كنت أعرف غير الوصل لم أمل

أقررت بالذنب، خوفا من عقابك لي ... وقلت: ما الذنب إلا لي، ومن عملي

لما لحظت سوائي لحظ مكتتم ... علمت أنك قد وفيتني أجلي

كتبت، والدمع في القرطاس منحدر ... وإن شككت تبينيه في البلل

فأجابته:

كم قد تعللت بالتسويف والأمل ... وكم تجرعت من لوم، ومن عذل

وكم رجوت، إذا ما الدهر باعدني ... بأن أدال على قلبي، فلم أدل

لم يكف أن حزت نومي عن مسالكه ... فليس يطرق في ريث، ولا عجل

إن كنت خنتك في عهدي مختالة ... أو عمد عين، أو استبدلت من بدل

فلا رأيتك يوما إذا ... عني بغير، ولا من أملي

أمسى كتابك مبلولا، وقد درست ... منه السطور، ورسم الدمع لم يزل

إذا بي، أو خنت خالصتي ... أو غبت عني، فذا أقصى عقابك لي

وكتب إليها أيضا:

تبرمت بعذالي ... وبث القيل والقال

فما يخطر من بعد ... ك في الحب على بالي

فكفي من تجنيك ... الذي هيج بلبالي

وعودي كالذي كنت ... لنا في الزمن الخالي

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٥٩

وإلا كان شكوانا ... إلى الشاه بن ميكال

فكتبت إليه:

بنفسي أنت من قال ... وبالأهل، وبالمال

إذا ما كنت أرعى ل ... ك حبيك، وترعى لي

ولم تسأل من واش ... فما الشكوى إلى الوالي

وأما ريا: فكانت جارية لابن القراطيسي، وكانت شاعرة. أنشد السيد بن أنس التليدي:

وإذا ترعرع من تليد ناشئ ... جعل الحسام ضجيعه في المسهد

فكتبت:

قوم لهم شرف وعز تالد ... يفنى الزمان وعزهم لم ينفد

الله خص قديمهم وحديثهم ... دون البرية بالعلى والسؤدد

أضحى يقرهم بكل فضيلة ... من كان يجحدهم، ومن لم يجحد

وتمام فخرهم إذا ما فاخروا ... يوم التناصل بالنجيب السيد

وأما مخنثة: فكانت جارية لزهير. وقال ابن أبي خلصة: بعث يوما زهير إلى أبي نواس فأحضره، وعرض عليه مخنثة، وكانت من أطرف الناس. فلما رآها قال:

للحسن فيه صنيع ... له القلوب تريع

فما إليه سبيل ... ولا إليه شفيع

فقالت في وقتها:

أبو نواس خليع ... له الكلام البديع

وواحد الناس طرا ... له أقر الجميع

وقالت ترثي ابن مولاها، وقتل ببغداد مع الأمين:

أسأل ناعيه، والذي شهد ال ... ليث عليه الكلاب تقتتل

تنهش شلوا، أعزز علي به ... يسحب طورا والمتن منخذل

أأنت أبصرته يلاب به ... في أرض بغداد أيها الرجل

إن كنت أبصرته كذاك فما ... ينجو شديد القوى، ولا فشل

فلو تراه عليه شكته ... والموت دان، والحرب تشتعل

لخلت أن القضاء في يده ... أو المنايا في كفه رسل

كأنه آمن منيته ... في الروع لما تشاجر الأسل

فانظر، بالله، أيها المتصفح هذا الكتاب ما أحسن هذه المعاني العجيبة، والألفاظ المرققة العذاب! فما الذي أبقت هذه المرأة العبدة للرجال الأحرار؟.

وأما سكن: فكانت جارية لمحمود بن الحسن الوراق الشاعر. وكانت شاعرة مجيدة، حسنة النظر في العلوم. وهي القائلة تمدح أبا عدنان دلف بن أبي دلف:

أهدت لقلبك غصة التلف ... ودعت إليك دواعي الأسف

عادات مقلتها إذا نظرت ... رشق القلوب بأسهم الشغف

كم من أسير هوى لمقلتها ... بادي الصبابة، ظاهر الكلف

وقف على الأسقام مهجته ... سمح المقادة، غير منتصف

إن المكارم بعد قاسمها ... ألقت أعنتها إلى دلف." (١)

"أداعيك ما مستصحبات على السرى ... حسان وما آثارها بحسان

قال هي السيوف وآثارها القطع. وأنشد الأصمعي في آخر كتاب الأبيات:

وما مائل عند القتال برأسه ... وما راكب في الحرب قد مات طائره

يعني المح وقذذ السهم.

وقوله يرى ساكتا والسيف عن فيه يقول ضربه بسيفه ينطق بسالة صدره، كما روي ابن دريد في الجمهرة أنهم قالوا في صفة علي رضوان الله عليه: كان علي إذا سطا قد وإذا استعرض قط فكانوا إذا رأوا هاتين الضربتين حكموا أنها لذي الفقار.

وقال أبو الفتح في هذا البيت إذا قيل من اجتمعت فيه هذه الأوصاف المضادة، والجواب هو فلان.

وقال المتنبي:

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... رءاها غير جفنها غير راق

قال أبو الفتح: أي إذا رأت كل جفن أبصرتها غير راق من الدمع ظنت ذلك خلقة في الناس فلم ترث منه لأحد. وقوله غير جفنها أي جفنها وحده راق لأنها لا تعشق نفسها فتدمع عينها.

قال أبو القاسم: أما قول أبي الفتح لا تعشق نفسها فتدمع عينها ليس بشي وإنما المعنى أنها لم تذق طعم

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٦٢

العشق فهي غافلة عنه فلا تبكي كما قالت الشعراء وأحدهم عمر بن أبي ربيعة:

وكنت إذا ما حدث الناس بالهوى ... ضحكت وهم يبكون من حرقات

فصرت إذا ما قيل هذا متيم ... تلقيته بالنوح والعبرات

أي عشقت صرت مثلهم.

وقال المتنبي:

يا ابن من كلما بدوت بدا لي ... غائب الشخص حاضر الأخلاق

قال أبو الفتح: أي لشدة شبهك بأبيك إذا رئيت فكأنه رئي.

قال أبو القاسم: البارع في هذا المعنى قول سعيد بن عمرو بن العاص حين قال له معاوية بما أوصى أبوك فقال: أوصاني ألا يفقد إخوانه إلا وجهه. فلما سمعه معاوية قال: إن ابن عمرو هذا لأشدق بهذه الكلمة.

وقال المتنبي:

والأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراق

قال أبو الفتح: النصف الأول من البيت احتجاج على من يشح بنفسه. ومصراعه الثاني اعتذار له لأنه إذا فارق الروح الجسد لم يصح هناك أسى ولا صبر والأسى واقع لا محالة في الدنيا فلا بد إذا منه.

قال أبو القاسم: أول هذا:

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس ... أن الحمام مر المذاق

وما أورده أبو الفتح عبارات فارغة، والمعنى أن حب الإنسان الحياة أمر الموت في نفسه ثم ذكر في البيت الثاني إن جزع الإنسان من الموت قبل إتيانه عجز به فإذا مات فالجزع معدوم أصلا.

وأنشد الجاحظ في الأبيات:

لا يملأ الهول صدري قبل وقعته ... ولا أضيق به صدرا إذا وقعا

وقال المتنبي:

فلا غيضت بحارك يا جموما ... على علل الغرائب والدخال

قال أبو الفتح: غيضت نقصت، وبئر جموم كثيرة الماء، والغرائب الإبل الغريبة ترد الحوض والناس يسقون، والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليعرض على الماء ثانية. يدعو له يقول لا نقصك الله فإنك ثابت الكرم والعطاء إذا كدرت بوفود العفاة عليك. كما تجم البئر الكثيرة الماء إذا كثر ورادها.

قال أبو القاسم: تقول العرب في كلامها لأضربنك ضرب غرائب الإبل ولأعصبنك عصب السلمة. وإنما

ذكر المتنبي الغرائب لأنها تضرب أشد الضرب وتذاد أعنف الذود كما قال الحارث بن حلزة:

فجئنا بهم قسرا تقود سراتهم ... كما ذيد عن ماء الحياض الغرائب

وذكر أبو عبيد في الغريب المصنف أن الدخال إن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا لقلة الماء وأنشد قول كعب بن زهي يصف الأتن والعير:

فأوردها ظلمة بالعراك ... بالا عراك وألا عطونا

معنى البيت انه يعطى للأبعد فالأبعد فضلا عن الأقرب فالأقرب، وإلى هذا ذهب أبو تمام في مدح ابن طوق:

الود للقربى ولكن عرفه ... للأبعد الأوطان دون الأقرب

وقال المتنبي:

يشمر لج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل

قال أبو الفتح: كان يموه هذا الخارجي بحسره عن ساقه عند الماء يرى انه يخوض وأراد بذلك أن يموه.

قال أبو القاسم: معنى البيت أن هذا الخارجي لما ادعى النبوة افتراء اكتفته البلايا والشدائد لبطلانه وهو في مبتكر أمره فكيف يكون إذا توسط أمره وتسامع به الناس وتألبوا عليه لقتله.

وقال المتنبي:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر ... كما تضر رياح الورد بالجعل." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٢٧٨

وكثير من أشعار النساء يضعه الرواة ويهيئون له أخبارا يجري فيها ذلك الشعر، ولكن ما تقوله المرأة في لوعتها لا يحسن الرجل أن يقول مثله مهما تكلف لذلك ولبسه على تصنع، وبهذا تستطيع أن تميز الصحيح والمنحول من شعر النساء.

وقد [يمسك] لسان امرأة في مصيبتها زمنا إلى الحول إذا فجعت بحبيبها، فلا تقول شيئا مع قدرتها على القول؛ لأنها لا تسلو ولا تفيق، ولا تريد أن تسلو لا تفيق، كامرأة مالك بن عمرو الغساني، فلما زوجوها بعد زوجها الأول نطقت **ترثيه** ليلة عرسها؛ فكان شعرها طلاقها من بعلها الثاني! ومن نادر الشعر في مراثي النساء أبيات تروى لامرأة من بني الحارث بن كعب كان لها طفلان من عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان عبيد الله هذا عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن، فوجه معوية إلى يمن بسر بن أرطأة

---

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي، ص/١٦

فأرشد على الطفلين، فوارتهما أمـهما تحت ذيلها، فأخذهما وذبحهما تحت عينيها؛ فكانت تقول في رثائهما وندبهما أبياتا، منها: يا من أحس بنيي اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بنيي اللذين هما سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من أحس بنيي اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

ولا أبلغ من البلاغة ولا أحسن حكاية لصوت البكاء والندب من قولها "بنيي" فهاتان الياءان المشددتان تعصران الدموع عصترا وتصوران غصص العبرات مترددة في حلق الباكية أبدع تصوير.

ولم يكن نساء العرب يقلن في الغزل ووصف الهوى إلا قليلا، لمكان المرأة بينهم وشدة الغيرة فيهم، ثم لا يكون غزلهن إلا عفيفا، كهذه الأبيات التي رواها تعلب لامرأة من العرب تقول فيها تصف خلوة مع حبيبها:

[الطويل] وبتنا خلاف الحي لا نحن منهم ولا نحن بالأعداء مختلطان

وبتنا يقينا ساقط الطل والندى من الليل بردا يمنة عطران

نذود بذكر الله عنا من الصبي إذا كان قلبانـ بنا يردان

". (١)

"الكثير، وقوم يشربون فكنت أقول لهم: والله ما زجرتكم الموعظة ولا وقرتم المقبرة، قال: فكانوا يقولون لي: أو ما تعرف قبر من هو؟ فكنت أقول لهم: لا. قال: فقالوا لي قبر أبي علي الحكمي الحسن ابن هانئ. قال فكنت أولي، فيقولون والله لا تبرح أو **ترثيه** قال: فكنت أقول:

جادك يا قبر نشاص الغمام ... وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعا ... (١) واستترت عنا عيون الكلام فاستعاروا بعض معانيه في الغزل بالمذكر وفي وصف الخمر، فمن المعاني التي اقتبسوها: ان الكأس تكون ثقيلة فإذا صبت فيها الخمر خفت، قال إدريس بن اليمان (٢) :

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا ... حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت ان تطير بما حوت ... إن الجسوم تخف بالأرواح ومنها قول آخر في وصف كأس (٣) :

هواء صيغ من ضد الهواء ... وشكل ماثل في شكل ماء

إذا عاينته ملآن أخفى ... عليك إناؤه ما في الإناء

وان مزجت به كأس تبدى ... كنوز الشمس في ثوب الهواء غير أن ما وصلنا من خمريات هذه الفترة ليس

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

كثيرا، بحيث يكشف عن مدى أثر أبي نواس بدقة.

أبو تمام

أما أبو تمام فانه أعمق المحدثين أثرا في الشعر الأندلسي من حيث المبنى الشعري والشكل، ومن تأمل الشعر الأندلسي ؟في هذا العصر –

---

(١) الجذوة: ٢٥٥.

(٢) الجذوة: ١٦٠.

(٣) الجذوة: ٢٤٣.." (١)

"الشرقية وقد رثاه كثيرون بالمراثي النفيسة ومن أجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشق الشام فقد عزيزها مع الموصل الحدباء إذ قام مشهد

سأبكي عليه ما تقطر مدمعي وراح يمام في الأراك يغرد

بكته طروس واليراع ونثره وناح عليه الشعر إذ بات ينشد

بكته علوم الأولين بأسرها بدمع غزير سيله لا يجمد

وراح عليه المجد يبكي تأسفا وقلب المعالي بالمرائر يفسد

وراح من السريان مجمع شرفة يقر له بالفضل في ما يحدد

ومجمع واتيكان يندب فقد من لديه تقاليد الطوائف توجد

وهي طويلة منها قوله في قبر الفقيد:

عليك سلام الله ما ضاء فرقد ودمت بقطر الغيث تسقى وتقصد

سألت الهي أن يمن بفضله علي بتقبيل الضريح فأحمد

واغسل ذاك القبر بالدمع فرجة لأن غليلي بالدموع يبرد

وممن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) المارديني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل إلى أميركا سنة ١٨٨٠ وسطر أخبار رحلته في كتاب دعاه إرشاد القريب والبعيد إلى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٧٩.

وكذلك عرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلال)

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص/٩٧

تولى كتابة الأسرار للبطريك جرجس شلحت زمنا طويلا وكان شاعرا مجيدا. ومن آثاره روايات أدبية كإحسان الإنسان والنفح في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. وله ديوان شعر غير مطبوع فمن أقواله الزهدية:

أرى الدنيا بهاها لا يطول وزخرفها برمته يزول

فعزتها وبهجتها خيال وزهر الحقل برهان دليل

فهذا الزهر عند الصبح يزهو ويفتك في المساء به الذبول

فكيف الناس في لهو حيارى ورأسهم تدور به الشمول

ألا ليت الأنام يعون قولي ففي الأخرى لهم خير جزيل

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرنا لاوون من قدرا سما وتعالى سؤددا دون مثل." (١)

"ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقابي

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت صعب السباق مطامح الركاب

بل صولتي في راحتي وتفرسي في حسن ما أسعى لخير مآب

ومما قالته ترثي أبنتها وكان موتها في رمضان:

طافت بشهر الصوم كاسات الردى سحرا وأكواب الدموع تدور

ومضى الذي أهوى وجر عني الأسى وغدت بقلبي جذوة وسمير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي نار لها بين الضاوع زفير

آني ألفت الحزن حتى أنني لو غاب عني ساءني التأخير

قد كنت لا أرضي التباعد برهة كيف التصبر والبعاد دهور

أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض خلد زينتها الحور

هذا النعيم به الأحبة تلتقي لا عيش إلا عيشه المبرور

والله لا أسلو التلاوة والدعا ما غردت فوق الغصون طيور

ولعائشة تيمور قصائد مختلفة في الأوصاف والأخلاق والغزل والمديح وإنما أخذت في كل ذلك أخذ كتبه زمانها فلم تعالج المواضيع المبتكرة. وكذلك نثرها في نتائج الأحوال لا يخلو.

---

(١) تاريخ الآداب العربية، ٢٧٨/١

من التصنع في نظم سجعاته. هذا فضلا عما يحتويه من التخيلات والأقاصيص المصنوعة التي قصدت بها ترويح الأفكار وتلهية الأحداث.." (١)

"قال: كنت بين يدي المتوكل، وقد أتاه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل، فقال علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول، وهو يرتجز:

أهلا وسهلا بك من رسول ... جئت بما يشفى من الغليل

برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل: التقطوا هذا الجوهر لا يضيع.

قال علي بن ظافر: إسحاق بن إسماعيل هذا مولى لبني أمية، خرج بتفليس في سنة سبع وثلاثين ومائتين، حين وثب أهل أرمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن يوسف. وتولى قتل إسحاق هذا بغا الكبير في سنة سبع وثلاثين؛ ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة، لأنه نفاه إلى خرسان في سنة ثمان وثلاثين.

وذكر ابن أبي طاهر في أخبار بغداد

عن محمد بن عبدوس الفارسي أنه قال: سرت يوما إلى علي بن الجهم، فأنشدني لنفسه في العناق:

ولم أنسى ليلا ضمنا بعد فرقة ... وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب

فانقدح زني لإيراد مثله، فأطرقت وقلت بديها:

لا والمنازل من نجد وليلتنا ... بفيد إذ جسدانا في الهوى جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه ... سيرا فما أنفك لاخد ولا عضد

ما أنصفوني، دعوني فاستجبت لهم ... حتى إذا قربوني منهم بعدوا

أنبأني المقدسي

عن القيروان عن السرقسطي عن الحميدي، قال: حكوا أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة كان أديبا شاعرا سريع البديهة، كثير النوادر من جلساء الأمير عبد الرحمن – ذكره غير واحد – وحكوا أنه دخل عليه في يوم غيم، وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزي، لين الأخلاق. فقال له: ما يصلح ليومنا هذا؟ فقال: عقار تنفر الذبان وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخي علي

---

(١) تاريخ الآداب العربية، ٣٦٠/١

عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح. فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء، فلما دارت الكئوس واستمطر الأمير نوادره واستطرد بوادره. وأشار إلى الغلام أن يلح عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ... ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الأمير بديهته، وأمر له ببدرة. ويقال إنه خيرة بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه.

وذكر أن الخليع حضر مجلس المتوكل في جملة الندماء

وقد كبر سنه، وضعف جسمه، وبين يديه شفيع خادمه ينضد وردا، وعليه قراطق موردة، ولم يكن في عصره خادم أحسن منه، فأمره المتوكل أن يحييه بوردة، ويغمز يده ليحرك خاطره، ففعل فارتجل:

وكالوردة البيضاء حيا بوردة ... من الحمر يمشي في قراطق كالورد

سقاني بعينيه وكفيه شربة ... فأذكرني ما قد نسيت من العهد

له عبثات عند كل تحية ... بكفيه تستدعي الخلي إلى الوجد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة ... من الدهر إلا من حبيب على وعد

قال علي بن ظافر

وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح ابن خاقان في قلائد العقيان أوردتها ها هنا قاطعا ترتيب الحكايات طلبا للمجانسة حتى إذا نجزت عدنا لترتيب الأخبار على ترتيب الأعصار، قال الفتح بن خاقان: أخبرني الوزير أبو عامر بن يشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات، ونامت عنه أعين المضرات، وأظهر سقاته غصونا تحمل بدورا، وتطوف من المدام بنار مازحت من الماء نورا، وشموس الكاسات تشرق في أكف سقاتها كالورد في السوسان، وتغرب بين أقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الأجفان. وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي، وهو يومئذ قد بذل الجهد، في التحلي بالزهد، فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه، ويحييه بزبرجد آسه، ويغازله بطرفه، ويميل عليه بعطفه، ففعل ذلك عجلا، فأنشد أبو الحسن مرتجلا:

ومهفهف مزج الفتور بشدة ... وأقام بين تبذل وتمنع

يثنيه من فعل المدامة والصبا ... سكران: سكر طبيعة◌ وتصنع
والله لو لا أن يقال هوى الهوى ... منه بفضل عزيمة وتمنع." (١)
"أراد حرا يجده ووهجا في صدره من الجوع والجهد. والإرزيز الشيء تغمزه وأنشد ابن الأعرابي:
يبرز للراكب حين يؤنسه ... بزأمات خبر لا تحبسه
يقال ما زأمني زأمة أي ما كلمني كلمة، يريد أنه يلقي الضيف بكلام قبيح حين يراه يقول من أنت؟ أظنك لصا. وقال المتنخل في ضد ذلك:
فلا وأبيك نادي الحي ضيفي ... هدوا بالمساءة والعلاط
نادي أي لا ينادي، والعلاط أصله سمة في عنق البعير ويقال علطه بشر إذا وسمه ولطخه.
سأبدؤهم بمشمعة وأثنى ... بجهد من طعام أو بساط
أي أفرش له وأوطئ، ومشمعة مزاح ومضاحكة يقال قد شمع وما جد.
وأكسو الحلة الشوكاء خدني ... وبعض القوم في حزن وراط
الشوكاء الحسنة من الجدة لم يذهب زئبرها، والحزن جمع حزنة وهو ما غلظ من الأرض، والوراط جمع ورطة وهو أن يقع في موضع لا يقدر أن يخرج منه.
العقر للأضياف
قال النمر بن تولب:
أزمان لم تأخذ إلي سلاحها ... إيلي بجلتها ولا أبكارها
يقول لم أمتنع من أن أعقرها إن حسنت بجلتها وهي الكبار والأبكار الصغار أي أعقرها لأضيافي ولا يمنعني من ذلك حسنها، وجعل حسنها سلاحا تمتنع به من ذابحها لأنه ينفس بها ويضن، وقالت ليلى:
لا تأخذ الكوم الجلاد سلاحها ... لتوبة في صر الشتاء الصنابر
وقال رجل من بني عكل:
ولا يتحشى الفحل إن أعرضت به ... ولا يمنع المرباع منه فصيلها
يتحشى يباليه من حاشى يحاش، يقال: شتمتهم فما تحشيت منهم أحدا وما حاشيت ما باليت، أعرضت به أي جعلته في عرضها والمرباع التي تنتج في أول الربيع، يقول ينجرها ولا يمنعها منه ولدها فيدعها له تغذوه، وقال المرار:

---
(١) بدائع البدائه، ص/٩٧

لا تتقيني الشول بالفحل دونها ... ولا يأخذ الارماح لي ما أطارد

أي لا تتستر بالفحل فإذا نظرت إليه امتنعت من عقرها والأرماح حسنها وسمنها، ومثله:

لا أخون الخليل ما حفظ العهد ... ولا تأخذ الرماح لقاحي

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة وتذكر الإبل:

إذا ما رأته مقبلا بسلاحه ... تقته الخفاف بالثقال البهارز

البهرزة الجسيمة الغليظة. وقال عتيبة بن مرداس:

وما أتقى الساق التي تتقي بها ... إذا ما تفادي الراتكات من العقر

أراد ساق الفحل والناقة الكريمة أي لا أمتنع من ضرب الساق التي تتقي بها، وقال ابن أحمر:

ويوم قتام مزمهر وهبوة ... جلوت بمرباع تزين المتاليا

أي ذهبت بغبرة البؤس فيه ما نحرت، والمرباع التي تنتج في أول الربيع والمتلية واحدة المتالي، مزمهر من المزمهرير، وقال الفرزدق: وذكر ناقة نحرها للأضياف:

شققنا عن الأفلاذ بالسيف بطنها ... ولما تجلد وهي يحبو بقيرها

يريد شققنا بطنها، وبقيرها ولدها الذي بقر بطنها عنه، ولما تجلد تسلخ، جلد فلان بعيره وسلخ شاته، والفلذ الكبد.

وقال الأخطل يصف ضيفا نزل به فأمر أن يذبح له.

فقال ألا لا تجشموها، وإنما ... تنحنح دون المكرعات لتجشما

المكرعات من الإبل ما ألبس الدخان رؤوسها وكواهلها. وقال الكميت:

يضج رواغي أقرانهم ... لهلاكها ويكيس العقيرا

الهلاك الفقراء أي يعطي الإبل فتشد في الأقران وهي الحبال فترغو والكوس أن تعرقب البعير فيمشي على عرقوبيه.

ومثله للآخر:

رغاقرن منها وكاس بعير

وقال الراعي:

إني تأليت لا ينفك ما بقيت ... منها عواسر في الأقران أو عجل

أي لا أزال أعطي منها مخاضا تعسر بأذنابها في الحبال أو عجلا وهي الثكل وذلك أن لها لبنا فهي أنفس

من غيرها.

وقال آخر يمدح قوما:

ترى فصلانهم في الورد هزلي ... وتسمن في المقاري والحبال

الورد حيث ترد الماء، يقول إذا وردت الماء سقوا الناس من ألبانها وتركوا الفصلان فتهزل وإن جاءهم سائل لم يقرنوا له إلا سمينا ولا يقرون الأضياف إلا سمينا.

وقال أوس:

نحل الديار وراء الديا ... ر ثم نجعجع فيها الجزر

يقول نحن من عزنا وكثرتنا ننزل حيا وراء حي، نجعجع نحبسها حتى تنحر وكل محبس جعجاع، ومنه قول أبي قيس ابن الأسلت:." (١)

"وما المرء إلا هامة أو بلية ... يصفقها داع له غير غافل

يقول إما أن يموت سريعا فيصير هامة، والعرب تزعم أن عظام الموتى تصير هامة فتطير، وإما أن يتأخر أجله فيتعذب بالهرم فيكون كالبلية التي تعذب حتى تموت هزلا وضرا، والبلية الناقة تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف حتى تموت.

وقال أبو زبيد:

كالبلايا رؤوسها في الولايا ... ما نحات السموم حر الخدود

الولايا البراذع واحدتها ولية، وكانوا إذا فعلوا هذا بالإبل قوروا البرذعة وأدخلوها في عنق البعير.

وقال زهير:

بلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فإن أوجشت منهم فإنهم بسل

بسل حرام، يقول إن أقفرت منهم أي خلت فإنهم كانوا حراما ممتنعين لا يطمع فيهم أحد أن يغزوهم.

وقالت الخنساء ترثي أخاها:

أبعد ابن عمرو من ال الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

حلت زينت، وأثقالها موتاها.

وقال الفرزدق:

وجفن سلاح قد فقدت فلم أنح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا

---

(١) المعاني الكبير، ص/٩٥

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لوان المنايا أنسأته لياليا

يريد في جوف الجفن وهو البطن، وكان أتى وليدة فماتت وهي حامل، والسلاح الجنين نفسه، يريد أن الولد عدة وقوة بمنزلة السلاح. وقال آخر:

فأصبح في غبراء بعد إشاحة ... من العيش مردود عليها ظليمها

أراد حفرة غبراء، إشاحة محاذرة وإشفاق، ظليمها ما أخرج من ترابها والمظلومة الأرض التي تحفر في غير موضع الحفر. وقال آخر:

فبعض اللوم عاذلتي فإني ... ستكفيني التجارب وانتسابي

أي تكفيني تجاربي الأشياء وأني أنتسب فأجد آبائي قد ماتوا فأعلم أني ميت ولي في ذلك كفاية من لومك لي.

ومثله للبيد:

فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسب ... لعلك يهديك القرون الأوائل

فإن لم تجد من دون عدنان والدا ... ودون معد فلتزعك العواذل

أي تعرف أنهم قد ماتوا فتتعظ.

أبيات المعاني في الشيب والكبر

قال النمر بن تولب:

أودى الشباب وحب الخالة الخلبة ... وقد برئت فما بالصدر من قلبه

الخالة المختالون واحدهم خائل مثل بائع وبائعة، أي كبرت وذهب حبهم عني، والخلبة الذين يخلبون النساء ويخدعونهن، وقد برئت أي بريء صدري من ودهم فلم يبق فيه شيء منه.

وقد تثلم أنيابي وأدركني ... قرن علي شديد فاحش الغلبة

وقد رمى بسراه الدهر معتمدا ... في المنكبين وفي الساقين والرقبة

قرن يعني الهرم، والسرى جمع سروة وهي السهم ذو القطبة المدورة يرمى به بين الهدفين. وقال الشماخ:

لقوم تصابيت المعيشة بعدهم ... أعز علي من عفاء تغيرا

تصابيت جعلت آخذ منه قليلا قليلا كما يتصاب الإناء أي تؤخذ صبابته والصبابة البقية تبقى في الإناء، من عفاء يعني من شعر أبيض، والعفاء وبر البعير والحمار فضربه مثلا لابيضاض شعره.

وقال أبو كبير:

فإذا دعاني الداعيان تأيدا ... وإذا أحاول شوكتي لم أبصر

تأيد تشدد، لأني لا أسمع صوتا ضعيفا، يقول قد ثقل سمعا وإذا أراد إخراج شوكة دخلت في يده أو بعض جسده لم يبصرها لضعف بصره. وقال آخر وهو أبو خراش:

فقدت بني لبني فلما فقدتهم ... صبرت ولم أقطع عليهم أبا جلي

بنو لبني إخوته، أي لم أقتل نفسي ولم أجزع جزعا قبيحا، والأبجل عرق. وقال طفيل يذكر قوما ماتوا:

مضوا سلفا، قصد السبيل عليهم ... وصرف المنايا بالرجال يقلب

يريد أن طريقنا عليهم لا نستطيع أن نجوز عن ذلك.

وقال الحطيئة وذكر الكبر:

فمنها أن يقاد به بعير ... ذلول حين تهترش الضراء

أي لا يستطيع أن يركب بعيرا صعبا لضعفه، والضراء الكلاب لئلا ينفر إن اهترشت، وهذا توكيد لذل البعير.

وقال آخر: عامر بن جوين:

ماذا أرجي من الحياة إذا ... خلفت وسط الظعائن الأول

معتنزا أطرد الكلاب عن ال ... ظل إذا ما دنون للجمل." (١)

"فلا أنت بلوطي ... ولا أنت ، بزناء

ولكنك حا لام ... وقاف بعدها ياء

حدث أبو اليزيدي قال: حدثني ابن أبي السري قال: حدثني رزين العروضي قال: رأيت غلاما لمحمد بن يحيى بن خالد يضرب أبا الحارث جمين بباب الجسر، فقلت له في ذلك . فقال: شتم مولاي فقلت له: لم فعلت ؟ فقال: والله لو أن يوسف الصديق جاء إلى مولاه ومعه النبيون والملائكة شفعاء في أن يعيرهم إبرة يخيط بها ما قد من قميصه، وله طور مملوء إبرا ترسل المهر في أوله فلا يبلغ إلى آخره حتى يقرح، لما أعارهم . قال رزين: فقلت:

لو أرك أنبتت لك واحتشت ... إبرا يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

عنان

جارية الناطفي، شاعرة ظريفة أديبة، كانت تجلس للشعراء ويجتمعون إليها فيلقي عليها كل رجل منهم

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٩٣

الأبيات الغريبة والمعاني النادرة فتجيبه بديها.

وكان أبو نواس يظهر التعشق لها، وأعطى مولاها مالا جليلا وطلبها الرشيد فلم يبعها ثم باعها بعد من عبد الملك بن صالح الهاشمي بمائة ألف درهم.

ومن قولها تمدح الفضل بن يحيى بن خالد أنشده أبو هفان:

بديهته وفكرته سواء ... إذا اشتبهت على الناس الأمور

وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... إذا عمى المشاور والمشير

وصدر فيه للهم اتساع ... إذا ضاقت من الهم الصدور

وأخبرني محمد بن يزيد النحوي أنها قالت ترثي مولاها الناطفي:

يا موت أفنيت القرون ولم تزل ... حتى سقيت بكأسك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازحما كنت أول من دعوه فوافى

أبو العباس المبرد قال: دخل أبو نواس إلى عنان يوما ، فكتب إليها بيتا يمازحها:

ما تأمرين لصب ... يكفيك منه قطيره

فأجابته:

إياي تعني بهذا ... عليك فاجلد عميره

فأخجلته،وأدهشته، إلا أنه أدركها ببيت فأخجلها وانقطعت عنه وهو:

أريد ذاك وأخشى ... على يدي منك غيره

وأخبر المبرد قال: دخل أبو نواس عليها يوما وقد ضربها – وهي تبكي – فقال، وذكر أبو زيد عمر بن شبه أن أحمد بن معاوية حدثه قال: حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت بيت الناطفي وقد ضرب عنان فقال:

بكت عنان فجرى دمعها ... كالدر قد توبع في خيطه

قال فقالت – والعبرة في حلقها:

فليت من يضربها ظالما ... تجف يمناه على سوطه

فقال مروان: هي والله أشعر الجن والإنس.

ويروى أنها هجت أبا نواس بعدما كان بينهما من المودة فأفحشت، وهجاها، فمن قولها فيه:

مت متى شئت قد ذكرتك في الش ... عر وجزر أثواب ذيلك فخرا

لا تسبح فما عليك جناح ... جعل الله بين فكفيك دبرا

أنت تفسو إذا نطقت ومن سب ... ح بالفسو نال إثما ووزرا

قال أبو زيد عمر بن شبه: حدثني أحمد بن معاوية، عن رجل قال: وجدت بيتا على كتاب، فلم أجد من يجيزه، فأتيت به عنان فأنشدتها إياه. وهو:

ومازال يشكو الحب حتى سمعته ... تنفس من أحشائه أو تكلما

فما لبثت أن قالت:

ويبكي فأبكى رحمة لبكائه ... إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

عبد الجبار بن سعيد

ابن سليمان بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة القرشي، من بني عامر بن لؤي، شاعر أديب ظريف مدني. أنشدني له أحمد بن يحيى قال: أنشدنيه عبد الله بن شبيب، وأنشدنيه أحمد بن أبي خيثمة عن الزبير بن بكار عنه يعني عبد الجبار قال: هي لأبي سعيد بن سليمان:

بلوت إخاء الناس يا عمرو كلهم ... وجربت حتى حنكتني تجاربي

فلم أرود الناس إلا رضاهم ... فمن يرز أو يسخط فليس بصاحب

فهونك في بغض وحب فربما ... بدا جانب من صاحب بعد جانب

وخذ عفو من أحببت لا تنزرنه ... فعند بلوغ الكدر رنق المشارب." (١)

"وشجن لي ببلاد الهند ...

ولا كقول الآخر:

هوى بالغور لي، وهوى بنجد، ... فما أدري أأنجد أم أغور

بكل حاجة، وهوى مقيم ... بقلبك قد تضمنه الضمير

بشرقي العراق، بباب عمرو، ... وبالغورين زينب والقدور

هذا والله من ألفاظ الشعر أسمج جدا، وقد كذب هؤلاء، وادعوا وجدا، وهل يجتمع وجدان في موضع؟ ولكن قد أحسن جميل حيث يقول:

وقلت لنسوان تعرضن دونها: ... إليكن إني غيركن أريد

وحيث قال أيضا:

---

(١) الورقة، ص/١٠

وكم من بديل قد وجدنا وطرفة، ... فتأبى علي النفس تلك الطرائفا

فهذا هو الصادق الهوى الخالص الوفاء، لا جرير وصاحبه، ولا الذي يقول:

أرى ذا، فأهواه، وأبصر غيره، ... فأترك ذا ثم استبد بذا عشقا

ثمانون لي في كل يوم أحبهم، ... وما في فؤادي واحد منهم يبقى

فقبح الله هذا اللفظ لفضا، ولا أعطي قائله حظا، فليس من شعر وامق، بل هو من فعل مماذق، ولا والله ما التنقل من شأن الأدباء، ولا الاستبدال من فعل الظرفاء، وإنما الهوى ما حسن سريرته، وهيهات ذوو الوداد الخالص، والصفاء الدائم، والحب اللازم، ودود الحفاظ، ورعاة العهود، والمتمسكون بالوفاء، والراغبون في صحيح الإخاء إليك. فقد تنقضت وثائق الحب، وانفصمت عرى الهوى، وتقطعت أسباب العشق، وتكدر صافي المودة، والناس كما قال الشاعر:

قل الثقات، فما أدري ثمن أثق، ... لم يبق في الناس إلا الزور والملق

الغدر طبع في النساء

وإن الغدر في النساء طبع، والمطل منهن غريزة، وهو في النساء أكثر منه في الرجال، فقد أنشدني بعض الأدباء:

وكنا جعلنا الله شاهد بيننا، ... وفي الله بين المسلمين شهيد

فخست بعهد الله لو تعلمينه، ... وفيكن من ليست لهن عهود

واعلم أنهن لا عهود لهن، ولا وفاء لحبهن، ولا دوام لودهن، وأن أقبح ما روي من غدرهن ما حدثنيه ابن أبي خيثمة عن شيوخه: أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فأحبها حبا شديدا شغلته عن تجارته، فأمره أبو بكر، فطلقها، ثم اطلع عليه وهو يقول:

فلم أر مثلي طلق، اليوم، مثلها، ... ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل، وحسن، ومنصب، ... وخلاق، سوي ما يعاب، ومنطق

أعاتك قلبي، كل يوم وليلة، ... إليك ما تخفي النفوس معلق

أعاتك لا أنساك ما حج راكب، ... وما لاح نجم في السماء محلق

فرق عليه أبو بكر وأمره فراجعها، فقال لما رجعت إليه:

أعاتك! قد طلقت من غير بغضة، ... وروجعت للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح، ... على الناس، فيه ألفة وتباين

وما زال قلبي للتفرق بائنا، ... فقلبي لما قد قرب الله ساكن

ليهنك أني لم أجد منك سخطة، ... وأنك قد جلت عليك المحاسن

وأنك ممن زين الله أمرها، ... وليس لما قد زين الله شائن

فلن تزل عنده، حتى قتل يوم الطائف، رمي بسهم فمات، فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت **ترثيه**:

أآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أشد، وأحمى في الهياج، وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت، حتى يترك الرمح أشقرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب، فتزوجها، فأولم عليها، ودعا أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: فقال له علي بن أبي طالب: ائذن لي لأدخل رأسي إلى عاتكة أكلمها؛ قال: افعل، فأدخل رأسه إليها فقال: يا عدية نفسها! أهكذا كان قولك:

أآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا!." (١)

"فبكت، فقال له عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ غفر الله لك، أنهن يفعلن هذا، قال: أردت أن أعلمها أنه لا عهد لهن، فمكثت عنده، حتى قتل أبو لؤلؤة، فقالت **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الأمير النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتأتيب

عصمة الله، والمعين على الده ... ر، غياث الملهوف والمكروب

قل لأهل البأساء والضر: موتوا، ... قد سقته المنون أم الرقوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام، فمكثت عنده حتى قتل عنها، منصرفا من الجمل، بوادي السباع، قتله ابن جرموز فرثته، وفيه تقول:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة، ... يوم اللقاء، وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا، رغب الجنان، ولا اليد

ثكلتك أمك أن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

فخطبها علي بن أبي طالب، فبعثت إليه: إني لأضن بك عن القتل، وإنما استحيت فامتنعت، وقد تزوجت باثنين من بعد قولها:

---

(١) الموشى، ص/٣٥

أآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا

قال: وحدثني أبو الفضل الربيع قال: حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال: دخلت المدلة البكرية، زوجة المغيرة بن أبي ضمام البكري، وكان يحبها حبا شديدا، على المغيرة بن أبي عقيل، تخاصم في بعض أمورها، فلما خرجت المدلة قال: أنت التي يقول فيك المعذل:

قل للمدلة طال ذا التعديد، ... فدعي التعلل والمطال قليلا

ويزيدها حلي النساء ملاحة، ... ويزيد ذلك بعضهن خبولا

قالت: نعم. قال: فلم تزوجت بعده؟ أف لكن! قالت: أتنصف ما كنت بديا، وما بنيا! فضحك منها وأمرها بالانصراف.

وروي أن امرأة من نساء العرب تزوجت رجلا من خشعم، فوجد كل واحد منهما بصاحبه وجدا شديا، وأنهما تحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد صاحبه، فمات قبلها، فتزوجت، فلامها بعض أهلها، وقالوا: أين ما كنت تجدين به؟ فأنشأت تقول:

وقد كان حبي ذاك حبا مبرحا، ... وحبي لذا إذ مات ذاك شديد

وكان هواي عند ذاك صبابة، ... وحبي لذا، طول الحياة، يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي، ... كذاك الهوى، بعد الذهاب يعود

وقال صالح بن حسان: لما احتضر حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: على فراقك، ابن عم، قال: مه! ما صنعت؟ فإياك أن تنكحي عبد الله بن عمرو بن عثمان، وقد علم أن أحدا لا يجترئ على خطبتها غيره. قالت: ما كنت لأفعل. وهلك، وله منها عبد الله بن حسن، وإبراهيم بن حسن. فلما انقضت عدنها دعت مولاة لها يقال لها: زير، فقالت: إيتي عبد الله بن عمرو، فقولي له: أعرنا بغلتك الشهباء برحالتها، فإني قد أردت أن أسير إلى بعض أموال ولدي بالعالية. فأتته، فقال: يا زير لو كان لي إلى مولاتك سبيل! ارحلوا لها البغلة. فلما جاءت قالت: هل لقيته؟ قالت: نعم! قالت: فما قال لك؟ قالت قال: لو كان لي إلى مولاتك سبيل! قالت: يلك، وأين المذهب عنه؟ فرجعت زير، فدخلت عليه وأعلمته، فأرسل إليها، فخطبها، فتزوجته، وولدت له الهيثم ومحمدا ورقية، وكان لها من الحسن ثلاثة، ومن عبد الله ثلاثة.

وروي عن سماك بن حرب أنه قال: كانت العرب تقول: لم تنه امرأة قط عن رجل إلا تزوجته.

وقال ابن عباس: حدثني شيخ من بني ضبة قال: كان رجل منا ظريفا شريفا احتضر، فبينا هو يجود بنفسه،

وبني له يسمى معمرا يدب بين يديه، فنظر إليه وبكى، ثم التفت إلى امرأته، فقال: يا هذه،

إني لأخشى أن أموت، فتنكحي، ... ويقدف في أيدي المراضع معمر

فحالت ستور بعده ووليدة، ... وأشغلهم عنه نحور ومجمر

قالت: ما كنت فاعلة. قال الشيخ: فوالله ما انقضت عنها عدتها حتى تزوجت بشاب من الحي، ورأيت كما مصف.." (١)

"قال: وأنشدني بعض الشعراء:

إن من غره النساء بشيء، ... بعد هند لجاهل مغرور

كل أنثى، وإن بدا لك منها ... غاية الحب، حبها خيتعور

وإن الوفاء فيهن عزيز، وغير موجود، ووالله لئن كان كذاك وعرفن بذاك، ففي الرجال من هو أكثر منهن غدرا، وأسرع منهن خترا، وأسمح منهن تنقلا، وأقبح منهن تبدلا.

غدر الرجال

خبرت عن الأصمعي قال: كان رجل من الأعراب يظهر الوجد لامرأته، والحب لها. وكانت تظهر له مثل ذلك، فتعاهدا ألا يتزوج منهما الباقي بعد صاحبه، فاخترمت المرأة قبله، فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك، فقيل له: أتخطب بعد يمينك وعهدك؟ فقال:

خطبت، كما لو كنت قد مت قبلها، ... لكانت، بلا شك، لأول خاطب

إذا غاب بعل كان بعل مكانه، ... ولا بد من آت وأخر ذاهب

وخبرت أن بعض ولاة العهود كانت له جارية، فكان يظهر الميل إليها، والاستهتار بحبها. وكان يقول لها: إذا أفضت الخلافة إليه أن يفضلها على نسائه، ويقدمها في البر والكرامة عليهن، فلما بلغ من ذلك أمله جفاها واطرحها وقلاها، فكتبت إليه:

أين ذاك الود والقبول، ... وأين ما كنت لنا تقول؟

فكتب إليها:

قد قال في أشعاره لبيد: ... يا حبذا الطارف والتليد

فعلمت أنه لا حاجة له فيها. فهذا في القبح يتجاوز غدر النساء، ويعلو على كثير من جنايات الإماء، وإنهن، والله، على ما فيهن من الغدر والخيانة والشر، لربما عشقن فاشتهرن، ووفين فأحسن.

---

(١) الموشى، ص/٣٦

وفاء النساء

وإن من حسن ما بلغ من وفائهن ما صنعته ابنة الفرافصة مع عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان من قصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكليبة، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فكتب إلى سعيد: أما بعد، فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب، فاكتب إلي بنسبها وجمالها. فكتب إليه سعيد: أما بعد، أما نسبها، فه ابنة الفرافصة بن الأحوص، وأما جمالها، فبيضاء، مديدة، والسلام. فكتب إليه عثمان: إن كانت لها أخت فزوجنيها. فبعث سعيد إلى أبيها، فخطب إليه إحدى بناته على عثمان، فقال الفرافصة لابن له يدعى ضبا، وكان قد أسلم، وأبوه نصراني: يا بني! زوج عثمان بن عفان أختك، فزوجه. فلما أراد حملها قال لها أبوها: أي بنية! إنك ستقدمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني اثنتين: تكحلي وتطيبي بالماء، حتى تكون ريحك كريح الشباب التطهرين. فلما حملت شق عليها الغربة واشتاقت إلى أهلها، فقالت:

ألست ترى، يا ضب بالله، أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا خرقا تخب ركابها، ... كما زعزعت ريح يراعا مقصبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم، ... لك الويل، ما يغني الخباء المطنبا

قلما قدمت على عثمان بن عفان قعد على سرير، وألقى لها سريرا حياله، فجلست عليه، ورفع العمامة عن رأسه، فبدا الصلع فقال: يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من الصلع، فإن من ورائه ما تحبين. قالت: إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض، السادة. فقال: إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك. فقالت: ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك. ثم قامت إليه، فجلست إلى جانبه، فمسح رأسها، ودعا بالبركة، وقال: اطرحي عنك خمارك، فطرحته، ثم قال: اخلعي درعك، فخلعته، ثم قال: حلي إزارك، فقالت: ذاك إليك، فحله، فكانت من أحظى نسائه عنده. فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف، فألقت نفسها عليه، فضرب عجيزتها، وكانت من أعظم النساء عجيزة، فقالت: أشهد أنك فاسق لم تأت غضبا لله ولرسوله! فأهوى إليها بالسيف ليضربها، فاتقته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها، فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... قتيل التجوبي الذي جاء من مصر

وما لي لا أبكي، وتبكي قرابتي، ... وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو." (١)

"أخبرنى محمد بن يحيى، قال: حدثنا ميمون بن هارون، قال: حدثنى على بن أبى المنذر العروضى، قال: لما مات سعيد بن وهب حضر أبى جنازته، و حضرها الفضل بن الربيع، و كان قد ظهر أيام المأمون، فلما دفن أثنى عليه الفضل، و أقبل على أبى العتاهية يحدثه أنه أودع القضاة و العدول أموالا فما و فواله، و أنه أودع سعيد بن وهب مالا فوفى به.

فقال أبى لأبى العتاهية: ألا **ترثيه**؟ قال: بلى. قال أبى: ثم صرت بعد أيام إلى الفضل بن الربيع فأخرج إلى رقعة فقال: اقرأ مرثية أبى العتاهية لسعيد بن وهب. فإذا فيها «٥٠»:

مات و الله سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عينى يا أبا عثمان أوجعت قلبى

فقلت: ما أدرى ما أقول. فقال لى الفضل: أبو العتاهية بأن يرثى فى حياته أولى من سعيد بعد موته.

قال الصولى: و له شبيه بهذا؛ حدثنى أحمد بن يزيد، قال: حدثنى الفضل اليزيدى، قال: قيل لأبى العتاهية: مات محمد بن يزيد المسلمى! فقال:

الموشح، ص: ٣٢٧

قد مات خلى و أنسى محمد بن يزيد

ما الموت و الله منا خلافه ببعيد

قال الشيخ أبو عبيد المرزبانى رحمه الله تعالى: و قول أبو العتاهية فى مرثية عيسى بن جعفر أشبه بقوله فى سعيد بن وهب مما ذكره الصولى و هو:

بكت عينى على عيسى بن جعفر عفا الرحمن عن عيسى بن جعفر

حدثنى على بن محمد الكاتب، قال: حدثنى أحمد بن عبيد الله، قال: مما أنكر على أبى العتاهية قوله لما ترفق فى نسيبه بعتبة:

إنى أعوذ من التى شعفت «٥١» منى الفؤاد بآية الكرسى [١٤٦]

و آية الكرسى يهرب منها الشياطين و يحترس بها من الغيلان، كما روى عن ابن مسعود فى ذلك.

قال: و أبو العتاهية مع رقة طبعه، و قرب متناوله، و سهولة نظم المنثور عليه، و سرعته إلى ما يعجز المتأنى

---

(١) الموشى، ص/٣٧

بلوغه- لا يخلو من الخطأ الفاحش و القول السخيف.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزبانى رحمه الله تعالى: و مما أنكر على أبى العتاهية من سفساف شعره قوله فى عتبة:." (١)

"وهذا جار على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل ف يالبعد بالصين، وأن يوقعوا التهديد به؛ فيقولوا: لو أنك بالصين لما بعدت على، فكيف لا يهتدي البحتري إلى مثل هذا؟ ٦ - ومن ذلك قول أب يتمام:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحتري:

فإذا لقيتهم فموكب أنجم ... زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل: جاء به النابغة وغيره، وكثر على الألسن حتى صار أشهر من كل مشتهر، وبيت أب يتمام خاصة فإنما سرقة على سياقه من مريم بنت طارق ترثي أخاها:

كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

أو من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

٧ - ومن ذلك قول أبي تمام:

همة تنطح النجوم وجد ... آلف للحضيض فهو حضيض

وقل البحتري:

متحير يغدو بعزم قائم ... في كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد، ولفظهما مختلف، وهما شائعان في الكلام، وجاريان في الأمثال، يقال: فلان علي الهمة، وهمته في الثريا وحاله في الحضيض، وفلان يسامي بهمته النجم ولكن قعد به حظه، ونحو هذا من اللفظ؛ فليس يجوز أن يعتور هذا المعنى شاعران فيقال: أحدهما أخذه من الآخر.

٨ - ومن ذلك قول أب يتمام:

وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع

وقول البحتري:

---

(١) الموشح، ص/٢١٥

ما لشيء بشاشة بعد شيء ... كتلاق مواشك بعد بين

وهذا معنى مستفيض معروف، ومنه قول الحجاج بن يوسف: لولا فرحة الأوبات لما عذبتهم إلا بالأسفار، وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا من شجاه وأحزنه التوديع، وأراد البحتري أنه ليس شيء من المسرة والجذل إذا جاء في أثر شيء ما كالتلاقي بعد التفرق؛ فليس – وإن كان جنس المعنيين واحدا – يصح أن يقال: إن أحدهما أخذ من الآخر؛ لأن هذا قد صار جاريا في العادات وكثيرا على الألسن؛ فالتهمة ترتفع عن أن يأخذ أحد عن آخر.

٩ – ومن ذلك قول أبي تمام:

لهم نشب، وليس لهم سماح ... وأجسام، وليس لهم قلوب

وقول البحتري:

خلق ممثلة بغير خلائق ... ترجى، وأجسام بلا أرواح

وهذا الكلام أيضا هو أعرف في كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعر أن يأخذه من الآخر، وهم دائما يقولون: ما فلان إلا شبح من الأشباح، وما هو إلا صورة في حائط، أو جسد فارغ؛ ونحو هذا من القول الشائع المشتهر.

١٠ – ومن ذلك قول أبي تمام:

لا تدعون نوح بن عمرو دعوة ... للخطب إلا أن يكون جليلا

وقول البحتري: يا أبا جعفر! وما أنت بالمد – عو إلا لكل أمر كبار ونسى قول الناس: اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس، ولكبير الأمور كبيرهم، وقال رجل لابن عباس: إن لي إليك حاجة صغيرة، فقال: اطلب لها رجلا صغيرا.

١١ – ومن ذلك قول أبي تمام:

بيض فهن إذا رمقن سوافرا ... صور، وهن إذا رمقن صوار

وقول البحتري:

أنى لحظت فأنت جوذر رملة ... وإذا صددت فأنت ظبي كناس

وهذا تسبيه أعين النساء بأعين البقر، وتمثيلهن بالصوار، وبالظباء؛ وجل كلام العرب عليه يجري، فلا تكون الشعراء فيه إلا متفقين.

١٢ – ومن ذلك قول أبي تمام:

ولقد جهدتم أن تزيلوا عزه ... فإذا أبان قد رسا ويلملم

وقول البحتري:

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما ... تمكن رضوى واطمأن متالع

وهذا المعنى أيضا شائع من معانيهم، وكثير من أشعارهم، ومنه قول الفرزدق:

فادفع بكفك إن أردت بناءنا ... ثهلان ذا الهضبات، هل يتحلحل

وقوله يخاطب جريرا أيضا:

فرم حضنا فانظر متى أنت ناقله

أفترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ولا من قول غيره فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله؟ ١٣ – ومن ذلك قول أبي تمام:

وفي شرف الحديث دليل صدق ... لمختبر على شرف لاقديم

وقول البحتري:

على أنا نوكل بالأداني ... وتخبرنا الفروع عن الأصول." (١)

"@ ٤٦٤ @ الأحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها قد أنذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الأحرار منكم # قال الأحوص فإنا فاعلون وآخذون برأيك فإنه لم تنزل بك شدة إلا رأيت المخرج منها قال فإذا قد رجعتم إلى رأيي فأدخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمؤها هذه الأيام ولا توردوها الماء فإذا جاء القوم أخرجوا عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم # ففعلوا ما أشار به وعاد كرب بن صفوان فلقي لقيطا فقال له أنذرت القوم فأعاد الحلف له أنه لم يكلم أحدا فخلى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لأبيها ردني إلى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة # فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم إلا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الإبل ففعلوا ذلك فخرجت الإبل مذاعير عطاشا وهم في أعراضها وأدبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا في الشعب وأبرزتهم إلى الصحراء على غير تغبية وشغلوا عن الاجتماع إلى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى في تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو بن الجون

---

(١) الموازنة، ص/٧٧

وأسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط وأسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع إليه نفر يسير فتحرز برايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح أنا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنه قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فألقاه متشحطا في دمه فذكر ابنته دختنوس فقال # (يا ليت شعري عنك دختنوس ٪ إذا أتاها الخبر المرموس) # (أتحلق القرون أم تميس ٪ لا بل تميس إنها عروس) # ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الإبل وفدوا عمر بن عمرو بمائتين من الإبل وعاد من سلم إلى أهله وقالت دختنوس ترثي." (١)

"@ ٤٨٩ @ # (الشقيقة) أرض صلبة بين جبلي رمل (والحسنان) نقوا رمل كانت الوقعة عندهما وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه # (لبيك ابن ذي الجدين بكر بن وائل ٪ فقد بان منها زينها وجمالها) # (إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم ٪ نجوم سماء بينهن هلالها) # (فلله عينا من رأى مثله فتى ٪ إذا الخيل يوم الروع هب نزالها) # (عزيز المكر لا يهد جناحه ٪ وليث إذا الفتيان زلت نعالها) # (وحمال أثقال وعائد محجر ٪ تحل إليه كل ذاك رحالها) # (سيبكيك عان طالما لم يجد من يفكه ٪ ويبكيك فرسان الوغى ورجالها) # (وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم ٪ وأرملة ضاعت وضاع عيالها) # (مفرج حومات الخطوب ومدرك الحروب ٪ إذا صالت وعز صيالها) # (تغشى بها حينا كذاك ففجعت ٪ تميم به أرماحها ونبالها) # (فقد ظفرت منا تميم بعثرة ٪ تلك لعمري عثرة لا تقالها) # (أصيبت به شيبان والحي يشكر ٪ وطير يرى إرسالها وحبالها) # (عنمة) بفتح العين المهملة والنون." (٢)

"@ ٣٣٧ @ # ولما بلغ خبر حجر عائشة أرسلت عبد الرحمن بن الحارث إلي معاوية فيه وفي أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم أبي سفيان قال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت # وقالت عائشة لولا أنا لم نغير شيئا إلا صارت بنا الأمور إلي ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا وقال الحسن البصري أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه علي هذه الأمه بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس

---

(١) الكامل في التاريخ، ٤٦٤/١

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٨٩/١

الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا كان الناس يقولون أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعوة زياد وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حجرا وكانت تتشيع # (ترفع أيها القمر المنير ٪ تبصر هل تري حجرا يسير) # (يسير إلي معاوية بن حرب ٪ ليقتله كما زعم الأمير) # (تجبرت الجبابر بعد حجر ٪ وطاب لها الخورنق والسدير) # (وأصبحت البلاد له محولا ٪ كأن لم يحيها مزن مطير) # (ألا يا حجر حجر بني عدي ٪ تلقتك السلامة والسرور) # (أخاف عليك ما أري عديا ٪ وشيخا في دمشق له زئير) # (فإن تهلك فكل زعيم قوم ٪ من الدنيا إلي هلك يصير) # وقد قيل في قتله غير ما تقدم وهو زيادا قد خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر بن عدي الصلاة فمضي في خطبته فقال له الصلاة فمضي في خطبته فلما خشي حجر بن عدي فوت الصلاة ضرب بيده إلي كف من حصى وقام إلي الصلاة وقام الناس معه فلما رأي زياد ذلك نزل فصلي بالناس وكتب إلي معاوية وكثر عليه فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله إليه فلما أراد أخذه قام قومه ليمنعوه فقال حجر لا ولكن سمعا وطاعة # فشد في الحديد وحمل إلي معاوية فلما دخل عليه قال السلام عليم يا أمير." (١)

"@ ٣٠٣ @ عطشا حتى رمى بخامته في فيه وجعل يلوكه ويقول اللهم إنها شدة شديدة فاسترها # وقال لأصحابه فداكم أبي وأمي إنما هي الخوارج ولهم حملة فاثبتوا فإذا نقضت حملتهم فاحملوا عليهم فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا فكان كما قال حملوا عليهم حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته ثم حمل عليهم فانكشفوا فيقال إن أسد بن يزيد كان شبيها بأبيه جدا لا يفصل بينهما إلا ضربة في وجه يزيد تأخذ من قصاص شعره منحرفة على جبهته فكان أسد يتمنى مثلها فهوت إليه ضربة فأخرج وجهه من الترس فأصابته في ذلك الموضع فيقال لو خطت على ضربة أبيه ما عدا # واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه فأخذ رأسه فقال بعض الشعراء # (وائل بعضهم يقتل بعضا ٪ لا يفل الحديد إلا الحديد) # فلما قتل الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع فجعلت تحمل على الناس فعرفت فقال يزيد دعوها ثم خرج إليها فضرب بالرمح قطاة فرسها ثم قال اعزبي الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول ترثي الوليد # (بتل تباثا رسم قبر كأنه ٪ على علم فوق الجبال منيف) # (تضمن جودا حاتميا ونائلا ٪ وسورة مقدام وقلب حصيف) # (ألا قتل الله الجثي كيث أضمرت ٪ فتى كان بالمعروف غير غفيف) # (فإن يك أراده يزيد بن مزيد ٪ فيا رب خيل فضها وصفوف) # (ألا يا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٣/٣٣٧

لقومي للنوائب والردى ٪ ودهر ملح بالكرام عنيف) # (وللبدر من بين الكواكب قد هوى ٪ وللشمس همت بعده بكسوف) # (فيا شجر الخابور مالك مورقا ٪ كأنك لم تجزع على ابن طريف) # (فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ٪ ولا المال إلا من قنا وسيوف) # (ولا الخيل إلا كل جرداء شدبة ٪ وكل حصان باليدين عروف) # (فلا تجزعا يا أبتي طريف فإنني ٪ أرى الموت نزالا بكل شريف) # (فقدناك فقدان الربيع فليتنا ٪ فديناك من دهمائنا بألوف)." (١)

"

وحدثني محمد بن بسطام قال حدثنا أبو الزنباع قال حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا عمر بن عثمان يعني الحمصي عن أبي اسماعيل الجعفي قال قالت أم الهيثم بنت عوثان الخثعمية ترثي عليا رحمه الله ورضي عنه

(ألا يا عين ويحك أسعدينا ** ألا تبكي أمير المؤمنينا)

(رزئنا خير من ركب المطايا ** وخيسها وخير الناصرينا)

(ومن لبس النعال ومن حذاها ** ومن يقري الثماني والمئينا)

(وكل مناقب الخيرات فيه ** وحب رسول رب العالمينا)

(وكنا قبل مقتله بخير ** يقيم شرائع الإسلام فينا)

(يقيم الخير لا يرتاب فيه ** ويقضي بالفرائض مستبينا)

(وليس بكاتم علما لديه ** ولم يخلق من المتحزبينا)

(ويدعو للجماعة من أتاه ** ويهتك قطع أيدي السارقينا)

". (٢)

"...فعندما عجز الرجال من بني أمية عن جعل عمر يخاف أو يلين عن سياسته إزاءهم، لجأوا إلى عمته فاطمة بنت مروان، وكانت عمته هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/٠٣٣

(٢) المحن، ص/١٠٢

يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقى لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجمر فنشى وقتر فقال: أي عمه أما ترثين لابن أخيك من هذا٥٣٩٤؟ وتؤخذ العمة بهذا المشهد المؤثر، وتلتفت إلى عمر طالبة م نه أن يستمر في الكلام واسمعوه يقول وكأنه يرسم لوحة فنية رائعة للعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام لكي يجعلها تفجر الخير والنعيم على الجميع قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه٥٣٩٥ وجاء في رواية: إنها قالت لهم:.. أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا٥٣٩٦

....تلاشي المعارضة الجماعية لابني أمية:." (١)

"فجذر أوله ربع لآخره ... وجذر آخره ربع لثانيه

وإن ثانيه خمس لثالثه ... فافهم فقد لاح للأفهام خافيه وقال أيضا:

أما الذي بي فإني لا أسميه ... لكن سألقي رموزا جمة فيه

إذا أردت من الأعداد نسبته ... فجذر أوله عشر لثانيه

وإن أضفت إلى ذي الجذر رابعه ... رأيت ثالثه زهرا معانيه

ونصفه أولعت أخت الرشيد به ... فقد تبين ماضيه وباقيه وله فيها أيضا:

عساك بحق عيساك ... مريحة قلبي الشاكي

فإن الحسن قد ولا ... ك إحيائي وإهلاكي

وأولعني بصلبان ... ورهبان ونساك

---

(١) الدولة الأموية عو ا مل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ١٦٧/٣

ولم آت الكنائس عن ... هوى فيهن لولاك

وها أنا منك في بلوى ... ولا فرج لبلواك

ولا أسطيع سلوانا ... فقد أوثقت أشراكي

فكم أبكي عليك دما ... ولا ترثين للباكي

فهل تدرين ما تقضي ... على عيني عيناك

وما يذكيه من نار ... بقلبي نورك الذاكي -

حجبت سناك عن بصري ... وفوق الشمس سيماك

وفي الغصن الرطيب وفي ال ... نقا المرتج عطفاك." (١)

"لو رامت الأيام أن تحصي الذي (١) ... فعلت سيوفك لم تكن تحصيه

إنا لمفجوعون منك بواحد ... جمعت خصال الخلق أجمع فيه

وإذا سمعت حمامة في أيكة ... تبكي الهديل فإنما (٢) ترثيه

ومضى قد استرعى رعيته ابنه ... فأقام فيهم حق مسترعيه

وإذا هزير الغاب ضرى شبله ... في الغاب كان الشبل مثل أبيه

وإذا علي كان وارث ملكه ... فالسهم ملقى في يدي باريه وله من مرثية:

وناع نعى والقلب كالقلب خافق ... مروع ومما رابني لم أصدق

بكت رحمة لي عين كل غمامة ... وساعدني نوح الحمام المطوق

فيا مزن لا (٣) [تؤذن] بتسكاب أدمعي ... فإن مدمع من لجة الحزن يستقي

فلولا التهاب النار ما بين أضلعي ... لأصبحت في بحر من الدمع مغرق

دعوني أشكو الدهر للدهر (٤) معتبا ... على أنني أشكو إلى غير مشفق

فما فوق هذا الرزء رزء وإنما ... رمى كبد العليا بسهم مفوق

مضى بابن عشر كابن عشر وأربع ... فهلا هلال مثل نون معرق

مضى بـفتى تزري أسرة وجهه ... بضوء الصباح المشرق المتألق وله فيه:

---

(١) ط د: التي

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٢/٧٠٧

(٢) س: فإنها.

(٣) زيادة من س.

(٤) ط: معنيا.." (١)

"وبكاء الولدان، وعلت الأصوات وفشت المنكرات، وتمرد الشيطان، واشتهر الطغيان، وظهرت الصلبان، وأفصحت النواقيس، وجلحت الأباليس، وسعرت طغاة الخنازير، وصارت الدور كالتنانير، دماء تسفك، وستور تهتك، وحرم تنتهك، ونعم تستهلك، وأقفاء تصفع، وأعضاء تقطع، وأعياث ترتكب، وأثاث ينتهب، ومصاحف تمزق، ومساجد تحترق، فلا الأخ يغي أخاه، ولا الابن يدعو أباه، ولا الأب يدني بنيه.(لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (عبس: ٣٧) ولا المرضعة تلوي على رضيعها، ولا الضحجيعة **ترثي** لضجيعها، كأنهم في مثل اليوم الذي ذكره الجليل، في محكم التنزيل،(يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتر الناس سكارى وما هم بسكارى) (الحج: ٢)؛فما ظنكم - معشر المسلمين - وقد سيقت النساء والولدان، وما بين عارية وعريان، قودا بالنواصي إلى كل مكان، طورا على المتون، وطورا على البطون، ومشيخة الرجال، مقرنين في الحبال، مصفدين في السلاسل والأغلال، مقتادين بشعور السبال، ان استرحموا لم يرحموا، وان استطعموا لم يطعموا، وان استسقوا لم يسقوا، وقد طاشت أحلامهم، وذهلت أوهامهم، وسخنت أعيانهم، وتغيرت ألوانهم.." (٢)

"لا تأمنن من الزمان تقلبا ... إن الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني ... وأخافني من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ونقيصة ... ألا يزال إلى لئيم يطلب

وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها ... فالدهر يأتي بالذي هو أعجب وحدث غير واحد أنه استعطف المنصور بهذه الأبيات :

هبني أسأت فأين الفضل والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... **ترثي** لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الجزيري :

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٨٣٢/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ١٧٦/٥

ألآن يا جاهلا زلت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم

ندمت إذ لم تفز منا بطائلة ... وقلما ينفع الإذعان والندم ومنها:

نفسي إذا جمحت ليست براجعة ... ولو تشفع فيك العرب والعجم." (١)

"رأيت على ركن من أركانها مكتوبا بحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة إذا ركبته المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة، وأشد العذاب تطاول الأعمار في حال الإدبار وأنا القائل:

ولي همة أدنى منازلها السهى ... ونفس تعالى في المكارم والبها

وقد كنت ذا حال بمرو قوية ... فبلغت الآمال في بيعة الرها

ولو كنت معروفا بها لم أقم حيا ... ولكنني أصبحت ذا غربة بها

ومن عادة الأيام إبعاد مصطفى ... وتفريق مجموع وتبغيض مشتهى

رهاط (١) :

بضم أوله، قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة بها كان سواع، صنم لهذيل، وقال أبو صخر:

فماذا ترجي بعد آل محرق ... عفا منهم وادي رهاط إلى رحب

روذبار (٢) :

هو اسم لساحل جيحون كله.

روذان (٣) :

بلدة حسنة من كور الجبل، وهي إقليم حسن وناحية شريفة، ومنها إلى نهاوند عشرون ميلا، وبينها وبين همذان ثلاثة فراسخ، ويعمل بها الزعفران، فهي تعرف ببلد الزعفران.

روذة (٤) :

بضم أوله وبالذال المعجمة، موضع من قرى نهاوند، قالوا: خرج عمرو بن معدي كرب الزبيدي في جماعة من بني مذحج زمان عثمان رضي الله عنه يريد الري ودستبى، فنزلوا خانا من تلك الخانات، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يستعجل عنها، فأمعن عمرو في حاجته وأبطأ، وأرادوا الرحيل، وكره كل منهم أن يدعوه وذلك من إعظامهم إياه حتى طال عليهم، فجعلوا يقولون: أي أبا ثور، أي أبا ثور، وجعلوا يسمعون علزا ونفسا شديدا، قال: فخرج عليهم محمرة عيناه مائل الشق والوجه مفلوجا، وإذا الشيطان قد ساوره، فسار معهم محمولا مرحلة أو دونها فمات فدفن بروذة، وقالت امرأته **ترثيه**:

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٦٩/٧

لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا وروي أيضا أنه شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن وقاتل يومئذ فأثبتته الجراحات، فحمل فمات بروذة من قرى نهاوند، وقال ابن دريد: مات عمرو بن معدي كرب على فراشه من حية لسعته.

رومة (٥) :

بضم أوله، بئر رومة بالمدينة، وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين وله بها مشرب في الجنة " ؟ فاشتراها عثمان رضي الله عنه بعشرين ألفا.

ومن بئر رومة كانت تحمل المرأة الزريقية الماء إلى تبع في القرب فأثابها، فلذلك صار ولدها أكثر بني زريق مالا.

وَرومة أيضا مدينة عظيمة للنصارى هي ركن من أركانهم وكرسي من كراسيهم (٦) ، وبأنطاكية كرسي، وبالإسكندرية أيضا كرسي، وببيت المقدس كرسي لكنه محدث لم يكن في أيام الحواريين واتخذ بعدهم ليعظم بيت المقدس. ويذكر أن محيطها تسعة أميال ولها سوران من الحجر، وعرض السور الداخل اثنا عشر شبرا وسمكه اثنان وسبعون ذراعا.

وكانت (٧) رومة دار مملكة الروم، ونزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا ثم نزل بعمورية (٨) منهم ملكان، ثم انتقلت مملكتهم إلى رومة فنزلها ملكان ثم ملك بها قسطنطين الأكبر فانتقل إلى القسطنطينية.

---

(١) معجم ما استعجم ٢: ٦٧٨.

(٢) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٤، وعند ياقوت عدو مواضع بهذا الاسم.

(٣) قارن بياقوت (روذان).

(٤) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٤.

(٥) معجم ما استعجم ٢: ٦٨٥.

(٦) أول المادة عن الادريسي (م): ٧٣، وانظر مروج الذهب ٣: ٤٠٧، وصبح الأعشى ٥: ٤٠٧، وابن الوردي: ٥٠.

(٧) البكري (ح): ١٩٢، وبضعه عند ابن خرداذبه: ١٠٤، ومروج الذهب ٢: ٣١١.

(٨) ابن خرداذبه: نقمودية.." (١)

"وهي أكبر (١) من الترمذ ولها ربض وعليه سور تراب، وبها أسواق وتجار وقرى وعمارات وصنائع، ولها أحواز وقرى عامرة ومنافع وغلات، ولها ربض عليه سور حصين ومساكنها وشوارعها فساح وأهلها قليلون، والترمذ أكثر منها أهلا وأعظم أموالا، ولها مسجد جامع وخطبة، وفقهاء وطلاب العلم، ولها رستاق وبها مياه جارية (٢) .

وفي ما وراء النهر من معادن الذهب والفضة والزئبق ما لا يقاربه معدن في سائر البلاد كثرة، وليس في الأقطار مثل النوشادر عندهم، وبصقلية نوشادر لا يعدل به ولا يدانيه، وإليهم يصل مسك التبت ومن عندهم يرفع، وهو يفوق كل مسك طيبا ويربي عليه ثمنا، ويرفع من الصغانيان من السمور والسنجاب وسائر الأوبار ما لا يرفع من سائر البلاد. وما وراء النهر أخصب الأقاليم خصبا وأكثرها متنزها، والصلاح على أهله غالب والخير فيهم فاش، ولهم الغنى والثروة والوفر والجدة، وليس بينهم في شيء من ذلك تنافس ولا يتخرقون فيه تخرق أهل زمانهم ممن همته دنيا ينالها ولذة يبلغها، بل يصرفونه إلى قرى الأضياف ومواساة الناس وسبل الجهاد وعمارة الطرق والمنازل وتعاهد المراحل والمناهل، فما ينزل بأحدهم ابن سبيل ولا يحل به إلا غمره ببره وأنساه وطنه.

الصغد (٣) :

من بخارى إليها سبع مراحل، وهو قطر واسع له مدن جليلة متسعة حصينة منها: دبوسية وكشانية وكش وغيرها.

افتتحها قتيبة بن مسلم الباهلي أيام الوليد بن عبد الملك.

والصغد (٤) بين بخارى وسمرقند، وهم رهط من الترك، وأهل بيت المملكة منهم بفرغانة، وفيهم كان الملك وهو خاقان الخواقين، وكان يجمع ملكه سائر الممالك، ثم انتثرت مملكتهم، وتسمى بهذا الاسم فريق منهم ببلاد التبت، وكان ممن ينقاد إلى خاقان، فلما انحل عقد نظامهم تسمى بهذا الاسم تشبها به.

ومن كش مدينة الصغد العظمى إلى سمرقند أربع مراحل.

والصغد (٥) هم الهياطلة، وهم بين بخارى وسمرقند.

وحكوا أن مسلم بن عقبة لما خرج من المدينة بعد وقعة الحرة يريد مكة متوجها إلى حرب عبد الله بن

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٢٧٤

الزبير رضي الله عنهما فبلغ المشلل دون قديد مات هناك، أخزاه الله، فأخبرت بذلك أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة، وكانت تنزل قريبا من قديد فجاءته فنبشته فحرقته بالنار، وحرقت كفيه وبقرت بطنه وضربت بكبده أنفه، أخرجتها رطبة، وكانت خراسانية أو صغدية، فقالت قريش: لا تشتروا إلا الخراسانيات والصغديات فإنهن يطلبن بالثار، فذكر من رآه مصلوبا على المشلل أنه رآه يرمى بالحجارة كما يرمى قبر أبي رغال......

والصغد أكبر من الترمذ وبها ربض وعليه... الخ (٦)

الصفراء (٧) :

قرية فوق ينبع، على ست مراحل من المدينة وهي كثيرة المزارع والنخل، ماؤها من عيون يجري فضلها من ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل ويسكن في الصفراء جهينة والأنصار ونهد.

وبالصفراء مات عبيدة بن الحارث بن المطلب وكانت قطعت رجله ببدر، فوصل إليها مرتثا، وقالت امرأته ترثيه:

لقد ضمنوا الصفراء مجدا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل وفيها أو بقرب منها قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث مرجعه من بدر بموضع يقال له الأثيل، وقد مر هذا (٨) .

الصفا (٩) :

في قوله تعالى " إن الصفا والمروة من شعائر الله "

---

(١) نزهة المشتاق: ١٤٧، وقارن الكرخي: ١٦٧، ١٦٢، وابن حوقل: ٣٩٤، ٣٨٥، وياقوت (صغانيان) والمقدسي: ٢٨٣.

(٢) ما بين معقفين كان مدرجا تحت ((مادة صغد)) وهي التالية، ولكن الصغد منطقة لا مدينة، فلا يقال فيها ((أكبر من الترمذ)) وقد راجعت نسختي نزهة المشتاق فوجدت العبارة فيهما تبدأ هكذا ((والصغانيان أكبر من الترمذ))ثم يستمر الحديث عن الصغانيان لا عن الصغد.

(٣) انظر في الصغد: المرخي: ١٧٧، والمقدسي: ٢٦٦، وابن حوقل: ٤٠٥، وياقوت (الصغد).

(٤) مروج الذهب ١: ٢٨٧، والبكري (مخ) ٤٦ - ٤٧.

(٥) مروج الذهب ٢: ١٩٥.

(٦) هنا كان موقع الفقرة التي نقلتها إلى المادة السابقة.

(٧) معجم ما استعجم ٣: ٨٣٦.
(٨) راجع مادة ((الأثيل)).
(٩) البكري (مخ): ٧٣.." (١)

"إليهم سرايا الروم فيستنقذون منهم غنائمهم ويخرجونهم من أرضهم، والروم تعلم بأسهم وبسالتهم فيتجنبونهم.

غيارو (١) :

في بلاد السودان، بينها وبين غانة نحو عشرين يوما في عمائر متصلة، وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلا، وفيها كثير من المسلمين، وفي أهلها نجدة ومعرفة، وهم يغيرون على بلاد لملم ويسبونهم ويأتون بهم ويبيعونهم من تجار غانة، وبين غيارو ولملم ثلاث عشرة مرحلة، وبينها وبين غانة إحدى عشرة مرحلة، وهي طاعة لصاحب غانة، وإليه يؤدون لوازمهم.

الغدير (٢) :

مدينة بقرب المسيلة من البلاد الزابية، وبينها وبين قلعة بني حماد ثمانية أميال، وهي مدينة حسنة أهلها بدو، ولهم مزارع وأرضون مباركة، والحرت بها قائم، والمسافة بينها وبين المسيلة ثمانية عشر ميلا.

وهي مدينة (٣) أولية بين جبال، فيها عين ثرة عذبة عليها الأرحاء، وعين أخرى وتحتها عين خرارة، ومن هناك ينبعث نهر سهر، وبمدينة الغدير جامع وأسواق عامرة وفواكه كثيرة، وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار، قنطار عنب فيها بدرهم، وسكانها هوارة يعتدون في ستين ألفا، وهي ما بين سوق مهرة وطبنة، وهي على مرحلتين من طبنة.

غدامس:

في الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة.

وهي (٤) مدينة لطيفة قديمة أزلية إليها ينسب الجلد الغدامسي، وبها دواميس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التي كانت بإفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين، وفيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الأرض يحار الناظر فيها إذا تأملها، تبين أنها آثار ملوك سالفة وأمم دارسة، وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وأنها كانت خصيبة عامرة. وأكثر طعامهم التمر والكمأة، وتعظم الكمأة في تلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أجحارا. ومن غدامس يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٣٦٢

وبينهما أربعون مرحلة، وأهلها بربر مسلمون وملثمون على عادة ببربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرهم.

الغريان (٥) :

بالكوفة، يقال إن النعمان بناهما على قبر عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة لما قتلهما، قالت هند بنت معبد بن نضلة ترثيهما:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

غرغة (٦) :

اسم جبل في بلاد زغاوة من أرض السودان فيه نمل على قدر العصافير، هي أرزاق لحيات طوال غلاظ تكون في هذا الجبل، يقال إنها قليلة الضرر، والسودان يقصدون هذا الجبل يتصيدون فيه هذه الحيات ويأكلونها.

غرنتل (٧) :

في بلاد السودان، بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنها مسلمون ولكنهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق إذا دخلوا بلادهم، وعندهم الفيلة والزرافات ومن غرنتل إلى غيارو.

وهي على (٨) ضفة النيل، وهي مدينة لطيفة القدر في سفح جبل وشرب أهلها من النيل، وأكلهم الذرة، ولباسهم الصوف، وعندهم الحوت والألبان، وهم يضربون في تلك البلاد بضروب التجارات التي تدور بين أيديهم.

الغربال:

أكمة كبيرة يجوز عليها ماء الحنية العادية المجلوب من جبل زغوان إلى معلقة قرطاجنة قبل الإسلام، أظنه سمي الغربال لأن فيه كان الماء يتصفى فيخرج عنه صافيا خالصا، وهو موضع مشرف منفرج، وهو الذي عنى العابد محرز بن خلف في القصيدة المنسوبة إليه يقول فيها:

ومن بعده التدمير يا صاح قد بنى ... بها طيطرا (٩) ثم القناة فأبدعا

---

(١) الإدريسي (د/ ب): ٩/ ١٠ (OG: ٢٦).

(٢) الإدريسي (د/ ب): ٩٢/ ٦٤.

(٣) البكري: ٥٩، وقارن بالاستبصار: ١٦٦.

(٤) الاستبصار: ١٤٥، وقارن بالبكري: ١٨٢.

(٥) معجم ما استعجم ٣: ٩٩٥ – ٩٩٦.

(٦) الإدريسي (د/ ب): ٣٦/ ٢١ (OG: ١١٢).

(٧) ص ع: غربيل، وكذلك عند الإدريسي (د): ٩٠٥، وأول المادة عن البكري: ١٧٧.

(٨) الإدريسي (د/ ب): ٩/ ١٠ (OG: ٢٦).

(٩) الطيطر او الطياطر: هو الملعب (المسرح: (Theatre)..") [١]

"فيه أخلاط من العرب لها نخيلات يعيشون منها، وبين قديد والبحر خمسة أميال، وبينه وبين الجحفة ستة وعشرون ميلا، وبها كانت للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب مناة، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب، ويقال علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فهدمها.

وبها مات مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرة منصرفه عن أهل المدينة بعد وقعة الحرة، فإنه لما عمل بأهل المدينة ما عمل، أخزاه الله تعالى، توجه بجنده إلى مكة قاصدا لحرب ابن الزبير، فمات بقديد لأربع بقين من محرم سنة أربع وستين، بعد أن عهد إلى الحصين بن نمير بالتوجه بالجيش إلى مكة لحرب ابن الزبير.

وقديد كثيرة الماء والبساتين.

وروي (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم صام حتى أتى قديدا فأفطر حتى أتى مكة، وفي خبر آخر: حتى بلغ الكديد ثم أفطر، وهو أصح وأثبت. وسميت قديدا لتقدد السيول بها.

وبقديد كانت وقعة الخارجي الذي يقال له طالب الحق مع أهل المدينة، قالت امرأة ترثيهم:

يا ويلتا ويلا ليه ... أفنت قديد رجاليه وهناك مات القاسم بن محمد حتف أنفه. وفي الكتب القديمة أن قديدا هو الوادي الذي وقعت فيه الريح لسليمان عليه السلام، وأنه هو الذي أتي فيه بصاحبة سبأ.

قردى:

من بلاد الموصل وهي ديار بني حمدان، وقد تقدم لها ذكر في ذكر بازبدى.

قرسقة (٢) :

جزيرة في قطعة من البحر الشامي، فيها مدينة حسنة متوسطة عامرة، وطولها ثمانية وخمسون ميلا، وعرضها سبعة وعشرون ميلا، وهي جزيرة خصيبة كثيرة العمارة، وأهلها يتجولون في أرض الروم، وهم أكثر الروم سفرا.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٤٢٧

قرسقة (٣) :

جزيرة للنصارى تقابل مدينة رومة. ويقال هي بالقرب من سردانية، وبينها وبين ساحل إفريقية نصف يوم، وبينها وبين ساحل تونس أربعة أيام، وكانت للرومانيين، خربها المسلمون قديما، وقيل هي عامرة، ولها مراس مشاتي كثيرة، ومن مراسيها مرسى البوالص وآخر يعرف بمرسى الزيتونة، وبها زوايا كثيرة وجبال داخلة في البحر، وطولها مائة وستون ميلا، وهي كثيرة الخير وافرة النعم، وقد غنمها المسلمون أيام عبد الرحمن بن الحكم، وآبارها قريبة الأرشية، وفي القبلة منها جزيرة سردانية، بينهما في البحر عشرون ميلا.

قربليان (٤) :

بالأندلس، بينها وبين أوريولة عشرون ميلا وهي كثيرة الزيتون، وبها سقي كثير.

قرقيسيا:

كورة من كور ديار ربيعة، بين الحيرة والشام (٥) ، وفي الجانب الشرقي من الفرات، فتحها عنوة عمرو (٦) بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، أمر عمر بن الخطاب (٧) سعد بن أبي وقاص أن يوجهه في جند فخرج يعارض الطريق حتى جاء قرقيسيا في غرة فأخذها عنوة، فأجاب أهلها إلى الجزية.

وإلى قرقيسيا (٨) فر زفر بن الحارث العامري ثم الكلابي بعد وقيعة مرج راهط، وكان مع الضحاك بن قيس الفهري، فلما قتل الضحاك ولى زفر، ومعه رجلان من بني سليم فقصر فرساهما فغشيتهما اليمانية من خيل مروان، فقال له صاحباه: انج بنفسك

---

(١) معجم ما استعجم ٣: ١٠٥٤.

(٢) ص ع: قرقسة، والقاف الثانية غير معجمة في ع، وقد ذهبت إلى الظن بسبب صورة الاسم بأنها هي التي يذكرها الإدريسي (م): ٦٤ باسم: قرفس (وهي دائما قرقس في أصول نزهة المشتاق) وهي جزيرة (Corfu) انظر الترجمة: ٧٧؛ غير أنني وجدت المؤلف ينقل هنا وصف ((قرسقة)) (Corsica) عن نزهة المشتاق: ١٧٥؛ ولا لبس إذن في أن هذه المادة عن الإدريسي هي وصف جزيرة ((كورسكا)). ثم وجد المؤلف - ولعل ذلك عند البكري - وصفا آخر للجزيرة، فجعلهما مادتين منفصلتين، لاختلاف صورتي الاسم في الأصول التي ينقل عنها.

(٣) راجع الحاشية السابقة.

(٤) بروفنسال: ١٥١، والترجمة: ١٨٠ (Crevillente) قرية صغيرة بمقاطعة لقنت.

(٥) نقل هذا التحديد عن معجم ما استعجم ٣: ١٠٦٦، وفي لفظة ((الحيرة)) خطأ واضح؛ وقارن بياقوت (قرقيسيا).

(٦) الطبري: عمر.

(٧) الخبر في الطبري ١: ٢٤٧٩.

(٨) مروج الذهب ٥: ٢٠٢.." (١)

"وبكفر توثا كان الوليد بن طريف الشاري (١) حين قابله يزيد بن مزيد قال لأصحابه في الليلة التي عزم على مواقعة الوليد بن طريف في غدها وهو بنصيبين وكان الوليد بكفر توثا، وولد له في تلك الليلة خالد بن يزيد: أبشروا فإنه لم يولد لي غلام قط في حرب إلا رزقت الظفر. فلما التقيا كانت الحرب بينهما بالسواء إلى أن خرج رجل من أصحاب الوليد فدعا للبراز فبارزه يزيد فقتله، فكان ذلك سببا للهزيمة، وانصرف أنس بن يزيد وقد ضربه حوقل الشاري في جبينه، وكان سيف حوقل لا يمر بشيء إلا هتكه، فقال له يزيد: من ضربك؟ قال: حوقل، قال: ما يسرني أنها في الحائط دونك، عد إلى الحرب وإلا والله ضربت عنقك، فلحقوا بالوليد حتى قتلوه، وفيه تقول أخته **ترثيه**:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

كفر طاب (٢) :

بالشام أيضا، سميت بذلك لأن حواليها أرضا كريمة وثمارا كثيرة من زيتون ورمان وكروم وأشجار، كذا ذكر، وهو مخالف لما تقدم من أنها منسوبة إلى رجل. وهي أرض صحيحة الهواء، ليس لها ماء إلا من الأمطار، ومن سكنها لا يكاد يمرض، ومن قلة مائها يتبايع فيها الماء ثلاث مرات، لأن أصحاب الحمامات يبتاعونه من السقائين، ويجمعون فضلات ما يخرج منه من الحمامات في صهاريج فيشتريه منهم الدباغون، ثم يجمع الدباغون فضلاته فيبيعونه من الذين يصنعون اللبن للبنيان.

كسكر:

من أعمال واسط (٣) ، قالوا: تفسيرها أرض الشعير.

وبها كان (٤) النعمان بن مقرن المزني واليا لعمر رضي الله عنه، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين، إنما مثلي ومثل كسكر مثل شاب عند مومسة تلون (٥) له كل يوم وتعطر، وأنا أذكرك الله تعالى ألا بعثتني في جيش

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٤٥٥

إلى ثغر غازيا ولا تبعثني جابيا، فلما اجتمع الأعاجم بنهاوند عازمين على إخراج المسلمين مما في أيديهم من البلاد، وعلى غزو عمر في عقر داره، وندب عمر أهل البلاد إلى أعاجم نهاوند وسيرت إليهم الجيوش، كتب إلى النعمان أن سر إلى نهاوند فأنت على الناس، فسار وكان من وقعة نهاوند ما كان.

كسير وعوير (٦) :

جبلان في بحر عمان، وهو بحر فارس، وهم يقولون: كسير وعوير وثالث ليس فيه خير، وهي جبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان فيها، يحيط بها موج من البحر متلاطم تجزع منه النفوس، ولا بد للمراكب من الدخول في وسطها والاجتياز بها، فمخطئ ومصيب، وهي على طريق من قطع من عمان إلى سيراف، ولا تكاد تسلم عندها سفينة، وهما غائران تحت الماء لا يظهر منهما شيء، فانظر هل يناقض هذا ما تقدم من أنهما ذاهبان في الجو والماء يكسر على أعلاهما، وأهل البحر يعرفون مكانهما فيتجنبوهما.

كس (٧) :

بالسين المهملة، بلد يقارب سمرقند، وبعضهم يكسر الكاف، وبينها وبين سمرقند مرحلتان، وكس مدينة جليلة كثيرة الأهل عامرة بالناس والتجار، ولها ربضان وعليها سور بها مسجد جامع وقصبة غير حصينة، وطولها نحو تسعة أميال في مثلها، وبناؤها بالطين والخشب، وبها فواكه كثيرة يحمل فاضلها إلى سمرقند وبخارى، وللمدينة أربعة أبواب خشب مصفحة بالحديد، ولها نهران كبيران، ويرتفع من كس الملح الدراني المعدني، ويحمل إلى سائر الآفاق، ويقع بجبالها الترنجبين كثيرا، ولكس مدن كثيرة.

---

(١) كان خروجه سنة ١٧٨ في خلاقة الرشيد.

(٢) قارن بياقوت (كفر طاب)، وآثار البلاد: ٢٤٨، وتقويم البلدان: ٢٦٢، وفي صبح الأعشى ٤: ١٢٥ نقل عن الروض.

(٣) معجم ما استعجم ٤: ١١٢٨، وانظر مادة ((كسكر)) عند ياقوت.

(٤) الطبري ١: ٢٦١٥.

(٥) ص ع: كلون.

(٦) ذكرهما في مادة ((الدردور))، والبكري في معجمه ٤: ١١٢٨ يقول إنهما جبلان في البحر، وكذلك قال ياقوت (كسير وعوير)، بينما يقول صاحب نزهة المشتاق: ٥٦ إنهما غائران تحت الماء.

(٧) نزهة المشتاق: ٢١٥ (كش) وقد اختلط ما قاله عنها بما جاء في المادة التالية، وقارن بالكرخي:

١٨١، وابن حوقل: ٤١٢، أما ياقوت فإنه فرق بين التي بالمهملة والتي بالشين المعجمة فقال في الأولى: مدينة تقارب سمرقند، وفي الثانية: قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ولم يأت لها بوسف موضع. ويبدو أن المادة في الحالتين – سوى تحديد الموقع – تنصرف إلى كش، بالشين، لأن المؤلف بعد قليل يذكر أن كش قريبة من سمرقند، وبذلك يفسد تحديده المذكور في أول المادة، إذ أين جرجان من سمرقند؟!." (١)

"وما برحت مع صاحبي الفاضل ألقى من فوائده انتفاعا، وأرى من أخلاقه انطباعا واجد من أكنافه رحبا واتساعا. وأرد من موارد كرمه مناهل أشيم برق الجنى من سحائبها لماعا، وهو وإن كان أمامي الذي به اقتديت فقد روى عنى كما عنه رويت فإنه لم يمهلني سوى ريثما نزلت عن ظهر الجواد، حتى طلبني بما حصلت بعده من الفوائد والأناشيد في تلك البلاد، فأرسلت عليه سيلا عرما من الأنشاد، وهمت معه من الأدب في كل واد، فكان مما أطربه من ذلك وأعجبه ولم يلبث أن قيده ساعته تلك وكتبه من فلق فيه، وبديع قوافيه شيخنا الإمام عز الدين أبو إسحاق بن حباسة المتقدم الذكر لشهاب الدين التلعفري مقدم شعراء الناصر وذلك قوله:

أي دمع من الجفون أسأله ... إذ أتته مع النسيم رسالة

حملته الرياح أنفس عطر ... أودعتها السحائب الهطالة

مر فيه والزهر زاه فأضحى ... ناشرا فوق نوره أذياله

نشر القلب نشره من غرام ... بات فيه مكابدا بلباله

عذبته من قلبه عذبات ... وفروع على اللوى مياله

يا خليلي وللخليل حقوق ... اجبات الأحوال في كل حاله

سل عقيق الحما وقل إذ تراه ... خاليا من ظبائه المختالة

أين تلك المراشف العسليا ... ت وتلك المعاطف العسالة

وليال قضيتها كلئال ... بغزال تغار منه الغزالة

بابلي الألحاظ والرمق والألفا ... ظ، كل مدامة سلساله

ونقى الجبين والخد والثغر ... فطوبى لمن حسا جريا له

وسقيم الجفون والعهد والخصر ... وكل أراه يشكو اعتلاله

وطويل الصدود والشعر والمطل ... فمن لي بأن يديم مطاله

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص/٥٠٠

ما كساني ثوب السقام دقيق ... النسج إلا جفونه الغزالة

وإعذابي بعذب تلك الثنايا ... وأغليلي بما حوته الغلالة

من بنى الترك كلما جذب القوس ... رأينا في قوسه بدر هالة

يقع السهم حين يرمي فما تدري ... يداه أم عينه النبالة

قلت لما استباح دين وصالي ... وهو مثر وقادر لا محالة

بيننا الشرع قال سر بي فعندي ... من جمالي لكل دعوى دلالة

شهودي من خل خدي قدي ... لي شهود معروفة بالعدالة

أنا وكلت مقلتي بدم الخلق ... فقالت قبلت هذي الوكالة

وقوله:

تولهي بك شيء عنك غير خفي ... فراقب الله في الهجران لي وخف

واعدل عن الظلم واعدل في النفوس ولا ... تجر على المستهام المغرم الدنف

يا راميا أسهما من لحظ ناظره ... فوق فغير فؤادي ليس من هدف

سبحان معطيك خصرا غير مختص ... من العذاب وعطفا غير منعطف

إذا شكوت لترثي لي وترحم ما ... ألقاه من وجدي المضني ومن كلف

يردني آيسا من ذاك عارضك اللا ... مي والمنثني من قدك الألف

وأنشدته مقطوعات كثيرة فكان مما أعجبه منها قول بعض المشارقة:

بهت العذول وقد رأى ألحاظها ... تركية تذر الحليم سفيها

فثنى الملام وقال دونك والأسى ... هذي مضائق لست أدخل فيها

وقول بعضهم:

همت في حبها وهامت بهجري ... أنصفتنا فكلنا مستهام

وادعت أن في فؤادي هواها ... صدقت فيه لوعة وغرام

وقول أبي الحسن علي بن طاهر بن مفوز:

أعرضت حين أبصرت شعرات في ... عاري كأنهن الثغام

قلت هذا تبسم الزهر قالت ... قد سعى في صدودك الابتسام

ورأيته معجبا بالرباعيات المشهورة بالدوبيتين، وهي التي أولع المشارقة بها. فجلت معه في هذا الميدان

مجالا، وقلت وخير الشعر أشرفه رجالا، وكان مما أنشدته منها قول الملك المعز، بن طغدكين أيوب صاحب اليمن:

قم نشربها سلافة كالذهب ... من قبل حلول عائق أو سبب

لما برزت ولم تزل في حجب ... من خجلتها تبرقعت بالحجب

وقول الشهاب التلعفري المذكور:

قالت: وقد انتضت سيوف اللحظ ... والسحر ممازج لذاك اللفظ

ذا حظك ما ألقه قلت لها ... لو شئت لما كنت قليل الحظ

وقول الملك الأمجد ابن أيوب صاحب بعلبك:

كم حلفت بكل أم وأب ... أن تسمح لي فأعقبت بالكذب

حتى حلفت على التجني فوفت ... ما تصدق إلا في يمين الغضب

وقول مظفر الدين صاحب أربل:." (١)

" طالب إلا العرفج لدب إلينا فيه ثم انصرف ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج فقال السلام عليك أيها الأمير قال وعليك السلام قال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لي فقال الزبير إنه ليس فيهم فقال بلى والله إنه لفيهم قال والله ما جعله الله فيهم فقال والله لقد جعله الله فيهم قال والله ما جعله الله فيهم فلما رأى الرجل يخالفه قال لبعض أهله اركب فانظر أحق ما يقول فركب معه فانطلقا وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلا ثم رجعا إلينا فقال الزبير لصاحبه ما عندك قال صدق الرجل قال الزبير يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه قال محمد بن عمارة قال عبيدالله قال فضيل لا أدري أيهما قال ثم أخذه أفكل فجعل السلاح ينتفض فقال جون ثكلتني أمي هذا الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قد سمعه أو رآه من رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف ثم جاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه فنزلا فأتيا فأكبا عليه فناجياه ساعة ثم انصرفا ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الأحنف فقال أدركته في وادي السباع فقتلته فكان يقول والذي نفسي بيده إن صاحب الزبير الأحنف

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ص/١٣٣

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا بشير بن عاصم عن الحجاج بن أرطاة عن عمار بن معاوية الدهني حي من أحمس بجيلة قال أخذ علي مصحفا يوم الجمل فطاف به في أصحابه وقال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو فقال أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فدفعه إليه فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقتل رضي الله عنه فقال علي الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى بعد ذلك فيما **ترثي** ... لا هم إن مسلما دعاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم ... وأمهم قائمة تراهم ... يأتمرون الغي لا تنهاهم ... قد خضبت من علق لحاهم ...

حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي قال حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة رضي الله عنها أكثرهم ضبة والأزد وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ويقال إلى أن زالت الشمس ثم انهزموا فنادى رجل من الأزد كروا فضربه محمد بن علي فقطع يده فنادى يا معشر الأزد فروا واستحر القتل بالأزد فنادوا نحن على دين علي بن أبي طالب فقال رجل من بني ليث بعد ذلك ... سائل بنا يوم لقينا الأزدا ... والخيل تعدو أشقرا ووردا ... لما قطعنا كبدهم والزندا ... سحقا لهم في رأيهم وبعدا ...

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد أن تقتلني قال لا انصرف وقال ." (١)

" حتى امتلأ موزجه دما فلما ثقل قال لمولاه أردفني وابغني مكانا لا أعرف فيه فلم أر كاليوم شيخا أضيع دما مني فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها فمات في تلك الخربة ودفن رضي الله عنه في بني سعد

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن البختري العبدي عن أبيه قال كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة وكانت تعبيتهم مضر ومضر وربيعة وربيعة واليمن واليمن فقال بنو صوحان يا أمير المؤمنين ائذن لنا نقف عن مضر ففعل فأتى زيد فقيل له ما يوقفك حيال الجمل وبحيال مضر الموت معك وبإزائك فاعتزل إلينا فقال الموت نريد فأصيبوا يومئذ وأفلت صعصعة من بينهم

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٤٢/٣

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية قال كان رجل منا يدعى الحارث فقال يومئذ يال مضر علام يقتل بعضكم بعضا تبادرون لا ندري إلا أنا إلى قضاء وما تكفون في ذلك

حدثني عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي حدثني سليمان قال حدثني عبدالله بن المبارك عن جرير قال حدثني الزبير بن الخريت قال شيخ من الحرامين يقال له أبو جبير قال مررت بكعب بن سور وهوآخذ بخطام جمل عائشة رضي الله عنها يوم الجمل فقال يا أبا جبير أنا والله كما قالت القائلة ... بني لا تبن ولا تقاتل ...

فحدثني الزبير بن الخريت قال مر به علي وهو قتيل فقام عليه فقال والله إنك ما علمت كنت لصليبا في الحق قاضيا بالعدل وكيت وكيت فأثنى عليه

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن ابن صعصعة المزني أو عن صعصعة عن عمرو بن جأوان عن جرير بن أشرس قال كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح فلم يفجأها إلا الناس فأحاطت بها مضر ووقف الناس للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلي كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلي فبدر بين الصفين يناشدهم الله عز و جل في دمائهم وأعطي فرمى بها تحته وأتى بترسه فتنكبه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه رضي الله عنه ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم والتحم القتال فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن مخلد بن كثير عن أبيه قال أرسلنا مسلم بن عبدالله يدعو بني أبينا فرشقوه كما صنع القلب بكعب رشقا واحدا فقتلوه فكان أول من قتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها فقالت أم مسلم ترثيه ... لا هم إن مسلما أتاهم ... مستسلما للموت إذ دعاهم ... إلى كتاب الله لا يخشاهم ... فرملوه من دم إذ جاهم ... وأمهم قائمة تراهم ... يأتمرون الغي لا تنهاهم ...

كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن جده قال لما انهزمت مجنبتا الكوفة عشية الجمل صاروا إلى القلب وكان ابن يثربي قاضي البصرة قبل كعب بن ." (١)

" قال أبو مخنف وحدثني عبدالملك بني نوفل بن مساحق أن عائشة رضي الله عنها بعثت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبدالرحمن أين غاب عنك حلم أبي ثفيان قال غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٥٢/٣

قال أبو مخنف قال عبدالملك بن نوفل كانت عائشة تقول لولا أنا لم تغير شيئا إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا قال أبو مخنف وحدثني عبدالملك بن نوفل عن سعيد المقبري أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله عليها فاستأذن عليها فأذنت له فلما قعد قالت له يا معاوية أأمت أن أخبأ لك من يقتلك قال بيت الأمن دخلت قالت يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم

قال أبو مخنف حدثني زكرياء بن أبي زائدة عن أبي إسحاق قال أدركت الناس وهم يقولون إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد

قال أبو مخنف وزعموا أن معاوية قال عند موته يوم لي من ابن الأدبر طويل ثلاث مرات يعني حجرا

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن قال أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا ويلا له من حجر مرتين وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصارية وكانت تشيع ترثي حجرا ... ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجرا يسير ... يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير ... تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير ... وأصبحت البلاد بها محولا ... كأن لم يحيها مزن مطير ... ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور ... أخاف عليك ما أردى عديا ... وشيخا في دمشق له زئير ... يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير ... ألا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير ... فإن تهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير ...

وقالت الكندية ترثي حجرا ويقال بل قائلها هذه الأنصارية ... دموع عيني ديمة تقطر ... تبكي على حجر وما تفتر ... لو كانت القوس على أسره ... ما حمل السيف له الأعور ." (١)

"لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٣/٢٣٢

وينتضي كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان ؟

وأين ما شاده شداد في إرم ... وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟

وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان ؟

أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على (دارا) وقاتله ... وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... يوما ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها ... وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل (بلنسية) ما شأن)مرسية(... وأين (شاطبة) أم أين)جيان(

وأين (قرطبة)(دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وأين (حمص (وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من ! ؛أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان." (١)

" سمعت أبا العباس بن سريج يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه فنظرت إليهم فرآني المعتضد وأنا أن أتأمهلم فلما أردت القيام أشار إلي فمكثت ساعة فلما خلا قال أيها القاضي والله ما حللت سراويلي علي حرام

---

(١) تاريخ الأندلس من خلال مخطوط قيم، ص/٤١

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد أخبرنا احمد بن علي عن علي بن المحسن قال حدثني أبي عن أبي محمد عبد الله بن حمدون قال قال لي المعتضد ليلة وقد قدم إليه العشاء لقمني وكان الذي قدم دراج وفراريج فلقمته من صدر فروج فقال لا لقمني من فخذه فلقمته لقما ثم قال هات من الدراج فلقمته من أفخاذها فقال ويلك هو ذا تتنادر على هات من صدورهن فقلت يا مولاي ركبت القياس فضحك فقلت أنا الا كم أضحاك ولا تضحكني قال شل المطرح وخذ ما تحته فاشلته فإذا دينار واحد فقلت آخذ هذا قال نعم فقلت بالله هو ذا تتناذر أنت الساعة على خليفة يجيز نديمه بدينار قال ويلك لا أجد لك في بيت المال حقا أكثر من هذا ولا تسمح نفسي أن أعطيك شيئا من مالي ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار فقبلت يده فقال إذا كان غدا وجاء القاسم يعني إبن عبيد الله فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه سرارا طويلا ألتفت إليه كالمغضب وانظر أنت إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر **المترثي** له فإذا انقطع السرار فأخرج ولا تبرح من الدهليز ويخرج فإذا خرج خاطبك بجميل وأخذك إلى دعوته عن حالك فأشك الفقر والحاجة وقلة حظك مني وثقل ظهرك بالدين والعيال وخذ ما يعطيك واطلب كل ما تقع عليه عينك فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار فإذا أخذتها فسيسألك عما جرى فأصدقه وإياك أن تكذبه وعرفه أن ذلك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا وحدثه بالحديث كله على شرحه وليكن أخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد وإحلاف لك ." (١)

" استرعاء من هولها خير منى وقال لولا أن القلوب توقن باجتماع يابنى لتفطرت المرائر لفراق الأحباب قال المصنف ونقلت من خطة قال لما اصبت بولدى عقيل خرجت الى المسجد اكراما لمن قصدنى من الناس والصدور فجعل قارئ يقرأ يايها العزيز إن له ابا شيخا كبيرا فبكى الناس وضج الموضع بالبكاء فقلت له يا هذا ان كان قصدك بهذا تقبيح الاحزان فهو نياحة بالقرآن وما نزل القرآن للنوح انما نزل ليسكن الاحزان فأمسك ونقلت من خط ابى الوفاء ابن عقيل قال ثكلت ولدين تجيبين احدهما حفظ القرآن وتفقه مات دون البلوغ يشير الولده ابى منصور وقد ذكرناه فى سنة ثمان وثمانين والآخر مات وقد حفظ كتاب الله وخط خطا حسنا يشارةاليه تفقه وناظر فى الاصول والفورع وسهد مجلس الحكم وحضر الموكب وجمع اخلاقا حسنة ودماثة وادبا وقال شعرا جيدا يشير الى عقيل هذا قال فتعزيت عمرو بن عبدود العامرى الذى قتله على علية السلام فقارت امه **ترثيه** ... لوكان قاتل عمر وغير قاتله ... ما زلت ابكى عليه دائم الابد ... لكن قاتله من لايقاد به ... من كان يدعابوه بيضة البلد ...

---

(١) المنتظم، ٥/١٢٥

فقلت سبحان الله ... كذبت وبيت الله لو كنت صادقا ... لما سبقتنى بالعزاء النساء ...

كما قال الشاعر ... كذبت وبيت الله لوكنت عاشقا ... لما ستبقتنى بالبكاء الحمائم ... وذاك ان ام عمرو كانت يسليها ويعزيها جلاله القاتل والافتخار بأن ابنها مقتوله فهلا نظرت الى قاتل ولدى وهو الابدى الحكيم المالك الاعيان المربى بانواع الدلال فهان القتيل والمقتول بجلاله القاتل وقتله احياء في المعنى اذ كان اماتهما على احسن خاتمة الاول لم يجر عليه قلم والاخروفقه للخيروختم له بلوائح وشواهددلت علىالخير قال ابن عقيل وسألنى رجل فقال هل للطف من ." (١)

"وقد أشير إلى "حي لقمان" في شعر لأبي الطحان القيني، كما أشير أليه في شعر ينسب إلى "لبيد بن ربيعة الجعفري". وفي شعر للفرزدق، وفي شعر لبنت وثيمة بن عثمان **ترثي** به أباها.

وأضافوا إلى "لقمان" أمثالا كثيرة نسبت أليه في الإسلام، ولم تكن معروفة في الجاهلية. ونسب أليه بعض الأخباريين الميل إلى إنشاء المدن والبناء، وضربوا به أيضا المثل في كثرة الأكل، فقالوا: "آكل من لقمان". وزعم "وهبه بن منبه" انه قرأ من حكمة "لقمان" نحوا من عشرة آلاف باب، وزعم الرواة إن عرب الجاهلية كانت عندهم "مجلة لقمان"، وفيها الحكمة والعلم والأمثلة، وان جماعة منهم كانوا قد قرأوها وامتلكوها، ذكروا من جملتهم "سويد بن الصامت". وقد رووا انه كان يقرأها، وانه أخبر الرسول بها لما قدم عليه. وقد جمع الناس، فيما بعد، حكمته وأمثاله والقصص المروي عنه، ويشبه ما نسب أليه المنسوب إلى "ايسوب" Aesop صاحب الأساطير والحكم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان.

وبالغوا في حكمته وفي علمه حتى زعم انه كان يدرك من الأشياء ما يعجز عن إدراكه الإنسان السوي.. وضرب المثل في أيساره، وعظم أمره، حتى قيل "أيسار لقمان"، كالذي ورد في شعر "طرفة"، وورد في الأخبار: "إذا شرف الأيسار، وعظم أمرهم قيل: هم أيسار لقمان. يعنون لقمان بن عاد". واستشهدوا على ذلك ببيت طرفة: وهم أيسار لقمان، إذا أغلت الشتوة أبداء الجزر

وقد زعم أن "زرقاء اليمامة"، التي اشتهرت بحدة بصرها وقوة رؤيتها حتى أنها كانت ترى من مسرة ثلاثة أيام، كانت امرأة من بنات لقمان بن عاد، وكانت ملكة اليمامة واليمامة أسمها، فسيمت الأرض باسمها. وقد زعم أن النابغة الذبياني أشار إليها في شعره.

---

(١) المنتظم، ١٨٧/٩

وقد ورد في بعض الأشعار "لقمان بن عاد"، إذ جاء: تراه يطوف الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد." (١)

"فلم تقتصر السقاية على تقديم الماء بلا ثمن إلى العطشان والمحتاج إلى الماء. بل اشتملت على تقديم اللبن والنبيذ بل والعسل كذلك إلى المحتاج بلا ثمن. وقد ذكر أن "سويد بن هرمي بن عامر الجمحي"، كان " أول من وضع الأرائك وسقى اللبن والعسل بمكة". وأن "أبا أمية بن المغيرة المخزومي": المعروف ب "زاد الركب"، و " أبا وادعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم"، "كانا يسقيان العسل بمكة بعد سويد بن هرمي". وكل هذه الأعمال، هي من الأعمال الخيرية النافعة، التي تدل على نفس طيبة، تسعى للتخفيف عن مصاعب الناس، وعن رغبة في مساعدة الفقراء والمحتاجين. فصار في وسع من يقصد البيت الجلوس على أرائك ليرتاح عليها، كما صار في وسعه الحصول على ماء أوسقاء لبن أو ماء معسل، أي محلى، مجانا إن لم يتمكن من دفع الثمن.

وفي حلف "الفضول" دعوة ل "مواساة أهل الفاقة ممن ورد مكة بفضول أموالهم"، وذلك لمنع الظالمين من أهل مكة من اغتصاب أموال أهل الفاقة والغرباء ممن يرد إلى المدينة وليس لهم من جار ومعين، ومن أهل مكة كذلك.فهو توثيق وتتمة لعمل "هاشم".

ونجد هذه الدعوة الانسانية في مساعدة الجار والفقير في الشعر: في مثل قول الشاعر: يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا

وهو بيت يمثل المثل الجاهلية العليا التي تجسمت في الجوار وفي المروءة والاحسان والحمية وأمثال ذلك.

ونجد مثل هذه النزعة في قول الشاعر: هنالك إن يستحبلوا المأل يخبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وفي قول "الخرنق بنت هفان" ترثي زوجها "عمرو بن مرثد" وابنها "علقمة بن عمرو" وأخويه حسان وشرحبيل، حيث قالت في جمله ما قالته: والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر." (٢)

"والولولة والنياحه على الميت من النقاليد التي تشدد فيها أهل الجاهلية وكانت عندهم سمة من سمات التقديس. ولهذا كان أهل الجاه والشراف يستأجرون النائحات للنياحة على الميت في بيته وخلف نعشه إلى القبر وفي مأتمه، ويبالغون في ذلك تبعا لمنزلة المتوفى. وتلك عادة متبعة عند غيرهم أيضا،

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٤٠/١

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٤٧/٦

فقد كان العبرانيون يستاجرون النادبات ليندبن الموتى. كما كان الرومان يتبعون هذه السنة.

وكلمة "الرثاء" من الكلمات الجاهلية وهي تعني بكاء الميت وتعديد محاسنه ونظم الشعر فيه، ويقال للمراة النواحة، والتي ترثي بعلها أو غيره من الأقارب والأعزاء ممن يكرم عندها "الرثاءة" و "الرثاية". وأما "المناحة" فهي إجتماع النساء في مناحة لاظهار حزنه على الميت. ويقال للاجتماع نياحة أيضا. والكلمة من الكلمات الجاهلية كذلك. ويفهم كثير من الناس من كلمة "مأتم" المصيبة واظهار الحزن والنوح والبكاء،وليس هو كذلك، وإنما "المأتم" في عرف أهل اللغة المجتمع يجتمع فيه النساء في حزن أو فرح في خير أو شر، ويطلق على اجتماعات الرجال والنساء.

وفي الشعر الجاهلي أبيات يحث فيها الشعراء أهلهم ويوصونهم بالبكاء وبالنوح عليهم إذا –ماتوا. قصد ذكروا أن طرفة بن ا لعبد خاطب ابنة أخيه بهذا البيت: فإن مت فانعيني بما أنا أهله=وشقي علي الجيب يا ابنة معبد وذكروا أن الشاعر حازم بن أبي طرفة الحارث بن قيس الشداخ الكناني، وهو شاعر جاهلي أوصى ابنته لما شعر بدنو أجله بأن تبكي والدها وأن تندبه وتذكر محامده وفعاله، وذلك في هذين البيتين:

بنية إن الموت لا بد لاحق بشيخك ماضي الانام المودع

فإن قمت تبكيني فقولي أبوالندى ومأوى رجال بائسين وجوع

أما الشاعر لبيد فقد أوصى ابنته بهذه الوصية لما حضرته الوفاة: تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أومضر

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر." (١)

"وذكروا أن "دختنوس" أخذت ترثي أباها بأبيات ذكروها. وليس في كل هذه القصة أية اشارة إلى تزوج لقيط بابنته، بل هي تنص على ان زوجها كان "عمرو بن عدس". وأن قصة زواج "حاجب" بابنته قصة مصنوعة.

وقد أشار أهل الأخبار إلى نوع آخر من الزواج قالوا له "نكاح الخدن".

وقد أشير اليه في القرآن الكريم)وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان(، ومعناها اتحاذ أخلاء في السر، وذلك باتخاذ الرجل صديقة له، أو اتحاذ المرأة صديقا لها. ويكون ذلك بالطبع بتراض واتفاق و "ذات الحدن" هي من اتخذت لها صديقا واحدا، وقد نهي عن اتخاذ الأخدان في جملة ما نهى عنه الإسلام. وكان الرجل في الجاهلية يتحذ حدنا لجواريه، ليحدث الجارية ويصاحبها

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/٤١٠

ويؤنسها لكي لا تستوحش، وقد يتصل بها، وقد نهى عن هذا النوع من المحادنة أيضا الإسلام.

و"نكاح الخدن" لا يمكن عده نكاحا وإن أطلق الأحبار عليه صفة النكاح. لأنه أو يكن بعقد وخطبة، وانما كان صداقة، وآية ذلك ورود "ولا متخذات أخذان" بعد جملة "غير مسافحات" في القران الكريم، والنهي عن القتران بصاحبات الأخذان والمسافحات، لأنهن غير محصنات، فحكم صاحبة الحدن هة حكم المسافحة في الجاهلية على السواء.

وقد ذكر علماء التفسير إن "أهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفى. ويقولون أما ما ظهر منه، فهو لؤم، وأما ما خفى، فلا بأس بذلك". فالزنا عند أهل الجاهلية، الزنا العلني، فهو عيب عندهم، أما اتحاذ الحدن فلا يعد عيبا، لان المرأة تصادق الرجل، والرجل يصادق المرأة، وقد وقع عن قبول ورضى، فهو عمل حلال، ولا بأس به.

نكاح الظعينة

وإذا سبى رجل امرأة، فله أن يتزوجها إن شاء، وليس لها أن تأبى علية ذلك، لأنها في سبائه، وهي في ملك سابيها. ويكون هذا الزواج بغير حطبة ولا مهر، لأنها مملوكة وليس لها خيار.

أمر الجاهلية في نكاح النساء." (١)

"وذكر بعض العلماء إن أول من وضع الخط العربي وألف حروفه وأقسامه ستة اشخاص من طسم، كانوا نزولا عند عدنان بن أدد، وكانت اسمائهم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، فوضعوا الكتابة والخط على اسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في اسمائهم ألحقوها بها، وسموها الروادف، وهي: ثخذ ضظغ.

وذكر بعض اهل الأخبار إن "كلمن" كان رئيس ملوك مدين الذين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم، وقد هلكوا يوم الظلة، فقالت ابنة كلمن **ترثي** اباها:

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله

ويوم الظلة غيم تحته سموم، أو سحابة أظلتهم، فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالتهم من الحر، فأطبقت عليهم. وقد أشير إلى عذاب يوم الظلة في القرآن الكريم. وذكر أن هذا العذاب أصاب قوم "شعيب"

---

(١) ا لمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٢٥/٧

لتكذيبهم رسالته، فرفع الله غمامة فخرجوا اليها ليستظلوا ب ه ١ فأصابهم بها عذاب عظيم. التهبت عليهم وأحرقتهم. ولما كان أبجد هوز ملوك مدين، وأهل مدين هم قوم شعيب، ربط اهل الأخبار مصيرهم بمصير قوم شعيب، وجعلوا نهايتهم. يوم الظلة، فالكتابة على رأي هؤلاء تعود إلى هؤلاء الملوك، الذين هلكوا بذلك اليوم.

ورويت الأبيات على هذه الصورة: كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه ال حتف تحت ظله

كونت نارا،وأضحت دار قومي مضمحله

ووردت على هذه الصورة: كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله." (١)

"ولعلماء الشعر قصص في تفسير تسمية هذا الشاعر ب "تأبط شرا"، فزعم بعض منهم أنه "إنما سمي تأبط شرا لأنه أخذ سيفا وخرج، فقيل لأمه أين هو قالت: لا أدري، تأبط شرا وخرج. وقيل أخذ سكينا تحت أبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم، فقيل تأبط شرا. وزعم بعض آخر أن أم تأبط شرا قالت له يوما: إن الغلمان يجنون لأهلهم الكمأة فهلا فعلت كفعلهم، فأخذ جرابه ومضى فملأه أفاعي وأتى متأبطا به، فألقاه بين يديها فخرجت الأفاعي منه تسعى فولت هاربة. فقال لها نساء الحي: ما الذي كان ابنك متأبطا له فقالت: تأبط شرا! وقيل: إنه رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليط طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فرمى به، فإذا هو الغول. فقال له قومه: ما كنت متأبطا يا ثابت قال: الغول. قالوا: لقد تأبطت شرا، فسمي بذلك. وانه قال في ذلك: تأبط شرا ثم راح أو اغتدى يوائم غنما أو يشف على ذحل

وقيل سمي بهذا البيت. قال رجل لتأبط شرا: بم تغلب الرجال وأنت دميم ضئيل قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شرا، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت". وقيل إنما سمي "تأبط شرا"، لأن أمه رأته وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوسا، فقالت له: هذا تأبط شرا، أو تأبط سكينا فأتى ناديهم فوجأ بعضهم، فسمي به لذلك، وكان لا يفارقه سيفه. قتلته هذيل في رواية، وقالت أخته ترثيه: نعم الفتى غادرتم

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١١/٤٩٩

برخمان بثابت بن جابر بن سنان

وكانت تسمى "ريطة". وذكر أن أمه هي التي رثته. وقد ذكر في أشعار هذيل.." (١)

"ويقال: أصحت السماء والاسم الصحو. ويقال: أقصر المطر وأقلع وأقشع إذا أنقطع. ويقال: طل القوم وهم مطلولون.

ويقال: من المطر الرثاث وهي القطار المتتابعة يفصل بينهن أقل ما بينكن ساعة، وأكثر ما بينهن يوم وليلة.

ويقال: أرض مرثة ترثيثا.

ويقال: أرهجت الأرض إرهاجا وأضبت إضبابا ومن الرهج السيق من الغمام الذي يسوقه الريح. والإغصان المطر الدائم الذي ليس فيه فرج، والفرج اليوم والليلة أو أكثر من ذلك قليلا. ومثله الإلثاث.

الفصل الثاني

في علة ما ذكرنا من كلام الأوائل: قالوا: إن العلة في المطر والثلج والجليد والريح واحدة وهي أن الشمس إذا مرت بموضع ندى أثارت بخارا بحرارة مرورها فيكون كيفية ذلك البخار على طبيعة الموضع الذي يثور منه البخار. فأما كمية فعلى قدر كبر ذلك الجسم المهيأ للثوران إن كان كثيرا وكانت الشمس قوية عليه أثارت بخارا كثيرا من ذلك الجنس الذي هو طبيعة ذلك الموضع. فإذا أشرقت الشمس بدورانها على موضع ندي إذا سخن ثار منه بخار وذلك أن الحرارة إذا خالطت الرطوبة لطفت أجزاؤها فصيرتها هواء. فإذا كثر ذلك البخار وتباعدت الشمس عن ذلك الموضع الذي ثار منه البخار استقبل ذلك البخار البرد الذي هو فوق الأرض الذي يرد الهواء فرده إلى الأرض، فتكاثف بالعصر فصار ماء فانحدر. فإن كان ذلك المنحدر شيئا يسيرا صغير الأجزاء سمي ندى. ولذلك تكون الأنداء في الشتاء أكثر لكثرة برودة الهواء وضغطها البخار الرطب إلى الأرض ولذلك تكون الأنداء بالليل أكثر منها بالنهار.

وإن كان المنحدر كثيرا كثير الأجزاء سمي مطرا، فهذه علة الندى والمطر وإن كان الذي يصعد من البخار يسيرا، وكان اثني هجم عليه من فوق شديدا جدا، صير ذلك البخار جليدا، وإن كان ذلك البخار الصاعد كثيرا وكان الذي هجم عليه شديدا جدا، صار ذلك البخار ثلجا، ففرق بين الثلج والجليد خلتان، إحداهما: كثرة البخار وقلته، كما فرق بين الندى والمطر كثرة البخار وقلته. والخصلة الأخرى: أن الجليد إنما هو بخار جمد في الهواء لا في السحاب، والثلج إنما هو بخار جمد في السحاب.

وكذلك الفرق أيضا بين الندى والمطر، هذا لاختلاف أن الندى إنما هو بخار انحدر إلى الأرض من دون

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٦٢/١٤

السحاب، وأن المطر انحدر من السحاب ولكن البخار الذي يصعد من الأرض تمتز منه اللطيف فصار هواء، والغليظ هو الذي يكون منه الندى والمطر.

وقال أبو زياد الكلابي: إذا احتبس المطر اشتد البرد. فإذا مطر الناس مطرة كان البرد بعد ذلك فرسخ، أي سيكون من قولهم تفرسخ عني المرض وإنما سمي الفرسخ فرسخا لأنه إذا مشي صاحبه استراح عنه وجلس.

وروى الأصمعي عن المنتجع بن نبهان أن شيخا من العرب كان في غنيمة له، فسمع صوت رعد فتخوت المطر، وهو ضعيف البصر، فقال لأمة ترعى معه: كيف ترين السماء؟ فقالت: كأنها ظعن مقبلة، فقال: ارعي. ثم قال: كيف ترين السماء. قالت: كأنها بغال دهم تجر جلالها، قال: ارعي. ثم قال: كيف ترين السماء. قالت: كأنها ثروب مغزى هزلى، فكأنها بطون حمير صحر. قال: انجي ولأنجأ بك، فلجأ إلى كهف وأدخل غنمه، وجاءت السماء بما لا يقام ليلة، فقال الشيخ: هذا والله كما قال عبيد:

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكن كمن يمشي بقرواح

الباب الحادي والثلاثون

في السحاب وأسمائه وتحليه بالمطر

وهو فصلان قال الله تعالى في ذكر ما عدد من نعمه على خلقه فيما نصبه من الأدلة على وحدانيته في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار فقال تعالى:)وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض) سورة البقرة، الآية: ١٦٤، والمراد أن في تعاقب الظلم والأنوار وما ينشئه تعالى جده من أنواع السحاب بين السماء والأرض وينزله من الأمطار ويخرجه من النبات أعظم الأدلة على حدوثها لما فيها من إحكام الصنعة وثباتها على ما ثبت عليه من العبرة، إذ لا تفاوت فيها ولا اضطراب، ولا تناقض، ولا فساد فمن تدبرها وتأمل الأحوال التي تعتورها من الحركة والسكون، والزيادة والنقصان، والانكشاف والتروية والإقلاع، أداه الاعتبار إلى أنه واحد ليس كمثله شيء، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """"""""

ومما قاله في صباه :

---

(١) الأزمنة والأمكنة، ص/١٧١

يا دعوة شاك ما قد . . . دهاه من لحاظ رشاك

ظبي تصدى للقلوب يصيدها . . . من ناظريه في سلاح شاك

ورمى وإن قالوا رنا عن . . . فاتر ساج عليه سيم النساك

قدكنت أحذر بطشه لو أنني . . . أبصرت منه مخايل الفتاك

أو ما عليه ولا عليه حاكم . . . يحمي ثغورك أو يحوط حماك

أو ما لجارك ذمة مرعية . . . أبذا يظل دم الغريب طلاك

إني استتمت إلى ظلالك ضلة . . . فإذا ظباءك ماضيات ظباك

ما لي أخاطب بانة ما أن تعي . . . قولا ولا ترثي لدمعة باك

أكريمة الحيين هل لمتيم . . . رحمي لديك فأرتجي رحماك

أصبتني بعد المشيب وليس من . . . عذر لمن لم يصبه ثراك

ولا ما جذبت عنائي لوعة . . . والله يشهد أنني لولاك

لما دعا داعي هواك أجبته . . . من لا يجيب إذا دعت عيناك

أصليتني نار الصدود وإنني . . . راض بأن أصلى ولا أسلاك

وأبحت ما منع التشرع من دمي . . . باللـه من أفتاك قتل فتاك

وتركت قلبي طايرا متخبطا . . . شباك ختلك أو بطعن سباك

ومنعت أجفاني لذيذ منامها . . . كي لا يتيح لي الكرى لقياك

ولقد عجبت وأنت جد بخيلة . . . أن أعرت الشمس بعض حلاك

إني لأيأس من وصلك تارة . . . لكن أعلل مطمعي بعلاك

أسماك أنك قد خفضت مكانتي . . . هلا خلعت علي من سيماك

إني معناك المتيم فليكن . . . حظي لديك مناسبا مغناك

تثني معاطفك الصبا خوطية . . . وكذا الصبا فصباك مثل حماك

أبعدتني منها بطعنة رامح . . . ألذاك سمتك الورى بسمك

أأموت من عطش وثغرك مورد . . . فيه الحياة استودعتها فاك

هلا تني عن حلوة فلعله . . . وضعت أداة النفي في اسم لماك." (١)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، ٢/٢٩٦

وعاد إلى العدوة . ثم أجاز البحر ثانية إلى منازلة حصن لييط ، وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس ، وعاد إلى العدوة ، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، عاملا على خلعهم ، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور ، ودخل القصر بالقصبة العليا منها ، واستحسنه ، وأمر بحفظه ، ومواصلة مرمته . وطاف بكل مكان منه ثم تملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ، في أخبار يطول اقتضاؤها ، والبقاء لله .

وفاته توفي رحمه الله بمدينة مراكش يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسماية . وممن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره :

ملك الملوك وما تركت لعامل . . . عملا من التقوى يشارك فيه

يا يوسف ما أنت إلا يوسف . . . والكل يعقوب بما يطويه

إسمع أمير المؤمنين وناصر الدين . . . الذي بنفوسنا نفديه

جوزيت خيرا عن رعيتك التي . . . لم ترض فيها غير ما يرضيه

أما مساعيك الكرام فإنها . . . خرجت عن التكييف والتشبيه

في كل عام غزوة مبرورة . . . تردي عديد الروم أو تفنيه

تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا . . . حتم القضاء بكل ما تقضيه

ويجييء ما دبرته كمجيئه . . . فكأن كل مغيب تدريه

متواضعا لله مظهر دينه . . . في كل ما تبديه أو تخفيه

ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم . . . ملك الملوك الأمر بالتمويه

لو رامت الأيام أن تحصي الذي . . . فعلت سيوفك لم تكد تحصيه

إنا لمفجوعون منك بواحد . . . جمعت خصال الخير أجمع فيه

وإذا سمعت حمامة في أيكة . . . تبكي الهديل فإنها **ترثيه**

وميض قد استرعى رعية أمة . . . فأقام فيهم حق مسترعيه

وإذا هزبر الغاب صرى شبله . . . في الغاب كان الشبل شبه أبيه

وإذا علي كان وارث ملكه . . . فالسهم يلقى في يدي باريه." (١)

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ٣٠٦/٤

"وفي سنة ٢٧٥ كان لأهل صقلية على المشركين صولة، فقتل فيها من المشركين أكثر من سبعة آلاف وغرق نحو من خمسة آلف، حتى أخلى الروم كثير من المدن والحصون التي تجاور المسلمون. ووصلت سرايا المسلمين إلى الأرض الكبيرة فسبت وانصرفت.

وكانت بإفريقيا هيجة تعرف بثورة الدراهم.

ثورة الدراهم على إبراهيم بن أحمد

وذلك أن إبراهيم بن أحمد ضرب الدراهم الصحاح، وقطع ما كان يتعامل به من القطع. فأنكرت ذلك العمة وغلقوا الحوانيت، وتألفوا، وصاروا إلى رقادة، وصاحوا على إبراهيم، فحبسهم في الجامع. وتصل ذلك بأهل القيروان فخرجوا إلى الباب وأظهروا المدافع. فوجه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيره أبا عبد الله بن أبي إسحاق فرموه بالحجارة وسبوه. فانصرف إلى السلطان إبراهيم بن أحمد، فأعلمه بذلك. فركب إبراهيم إلى القيروان، ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند، فناصبه أهل القيروان القتال. فتقدم إبراهيم بن أحمد إلى المصلى، فنزل وجلس وكف أصحابه عن قتاله. فلما اطمأن به مجلسه، وهدأ الناس، خرج إليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مغيث، فمان بينهما كلام كثير. ودخل أبو عبد الله بن أبي إسحاق الوزير مدينة القيروان مع أحمد بن مغيث فشق صماطها وسكن أهلها. فرجع إبراهيم بن أحمد إلى رقاده، وأطلق المحبوسين بالجامع. وانقطعت النقود والقطع من أفريقيا إلى اليوم، وضرب إبراهيم بن أحمد دينارا ودرهما وسماها العاشرية، في كل دينار منها عشرة دراهم.

وفيها، عزل عبد الله بن أحمد بن طالب بن سفيان عن قضاء أفريقيا وحبسهة، ثم أرسل إليه بطعام مسموم وأكله في الحبس، فمات من فوره في رجب، واستقضى إبراهيم بن أحمد محمد بن عبدون بن أبي ثور، وكان جده طحانا، وكان يكتب أسمه: محمد بن عبد الله الرعيني.

وفي سنة ٢٧٦ كان الجهاد بصقلية في غزوة سوادة بن محمد إلى طرمين، فحاصرها. وفيها حبس إبراهيم بن أحمد كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدي فكتب إليه من السجن)بسيط(:

هبني أسأت فأين العفو والكرم

إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما

ترثي لصب نهاه عبدك القلم

بالغت في السخط فأصفح صفحا مقتدرا

أن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

قال: فلما قرا إبراهيم بن أحمد أبياته، قال:)يكتب إلي:)هبني أسأت!(وهو قد أساء! أما إنه لو قال)وافر(:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرم الكاتبينا

لعفوت عنك!(ثم أمر – قبحه الله – به، فجعل في تابوت حتى مات – رحمه الله تعالى! – ٢٧٧ قتل إبراهيم بن أحمد حاجبه نصر بن الصمصامة بان ضربه خمسمائة صوت، فلم ينطق بكلمة ولا تحرك من موضعه ثم أمر بضرب عنقه. فقال لنن حوله)لا تظنوا أني أجزع من الموت!(وودهم إنه يفتح يده ويغلقها ثلاث مرات بعد ضرب عنقه ففعل، فأخبر إبراهيم بذلك فتعجب وأمر بشق بطنه شقا لطيفا ويؤتي إليه بقلبه. فنظر م نه إلى منظر عجيب وذلك أمه كان فأتى في كبده ووجت فيه شعيرات نابت في أكثر أجزائه.

وفي سنة ٢٧٨ كانت ولاية أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب للمظالم، وولاية محمد بن الفضل صقلية، وعرض ديوان الخراج على سوادة النصراني على أن يسلم، فقال:)ما كنت لأدع ديني على رياسة أنالها!(فقطع بنصفين وصلب.

وفي سنة ٢٧٩ كانت ولاية محمد بن الفضل صقلية. ودخل حضرة بلرم لليلتين خلتا من صفر.

وفيها، قتل إبراهيم بن أحمد من أهل أفريقية من قتل بطرا وشهوة فممن قتل في هذه السنة: إسحاق بن عمران المتطبب المعروف بسم ساعة؛ قتله وصلبه، ومنهم حلجبه فتح، ضربه بالسياط حتى مات. وقتل فيها جميع فتيانه؛ وسبب ذلك إنه كان كثير الإصغاء إلى قول المنجمين والكهنة، وكانوا قالوا له إنه يقتله رجل ناقص العقل، وانه يمكن أن يكون فتى، فكان إبراهيم، إذا رأى أحد من فتيانه، فيه حركة ونشاط وجدة، يتقلد سيفا، قال:)هذا هو صاحبي!(فلما قتل منهم جماعة، وقع بقلبه إنه قد استفسد إليهم فضمه الحذر منهم إلى قتل جميعهم، فقتلهم في هذا العام، واستخدم عوضا عنهم السودان. ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبة: فقتل السودان أجمعين.." (١)

"وكان ابن حزم عليها قبله لأخيه الوليد، فإنه حكى أنه تحامل على الأحوص الشاعر تحاملا شديدا، فسار إلى الوليد يشكوه، وأنشد قصيدة يمتدحه بها، من جملتها:

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص/٥٠

لا ترثين لحزمي ظفرت به ... يوما، ولو ألقي الحزمي في النار
الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار
فقال له الوليد: صدقت، والله لقد أغفلنا حزما وآل حزم.

ثم كتب بولاية عثمان بن حيان المري، وبعزل ابن عمر، واستصفاء أموالهم، وإسقاطهم جميعا من الديوان. واستعمل ابن عمهما عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم عليها خالد ابن أبي الصلت، وعلى القضاء أبا طوالة عبد الله بن عبد العزيز بن معمر بن حزم، بل كان أبو طوالة خليفة لابن عمه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في القضاء، وولي قضاء المدينة لعمر عبد الرحمن بن يزيد بن جارية.

واستعمل هشام بن عبد الملك – الذي حج قبل خلافته بالناس سنة ست ومائة – كلا من خاليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، على مكة والمدينة والطائف، وكأنه ولى إبراهيم أولا، فإنه قدم المدينة وهو أمير في جمادي الثانية سنة ست ومائة، ثم عزله في سنة أربع عشرة ومائة بأخيه خالد بن عبد الملك، وكأنه صرفه أيضا، ثم أعاده سنة سبع عشرة ومائة لكل من مكة والمدينة والطائف وحج بالناس.

ثم صرفه في التي بعدها بمحمد بن هشام أخي إبراهيم، فكان واليها سنين، كأنه إلى خمس وعشرين آخر أيام هشام، وحج بالناس في أول سنيه.

وكان القاضي بها أيام إبراهيم: سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت، والقاضي في خلافة هشام إما زبيد بن الصلت، أو والده الصلت.

ثم لما صارت الخلافة لابن أخيهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك كتب إلى يوسف بن عمر – أمير المدينة – بالقبض على محمد وإبراهيم المذكورين، ففعل وعذبهما حتى ماتا سنة خمس وعشرين ومائة.

وولي مكة والمدينة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان: لمروان بن محمد، وحج بالناس سنة سبع وعشرين ومائة، بل كان واليها قبل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، ثم أثبته مروان عليهما، ثم عزله عنهما – وكان في خلافه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على قضاء المدينة – بشيبة بن نصاح المقري التابعي، وعلى إمرتها – مع مكة والطائف عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي وليها سنة ثلاثين ومائة، ولم يلبث أن قتل مروان، وانقضت دولة بني أمية.

وولى أبو العباس السفاح – أول خلفاء العباسيين – عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس الحرمين وغيرهما في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ولم يلبث أن مات بعد أفعال ذميمة من قتل ونحوه كما سيأتي،

فاستعمل عليهما خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي، وكان على المدينة عبد الله بن الربيع الحائثي، فعزله المنصور أبو جعفر الهاشمي، وولى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، فدام ثلاث سنين، ثم عزله بالحسن بن زيد العلوي والدي السيدة نفيسة، فدام خمس سنين، ثم عزله بعمه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان زيد بن الحسن والد الحسن هذا – لشرفه في بني هاشم وسنه – على صدقات آل عمر، ثم عزله بسليمان بن عبد الملك، وكذا استعمل المهدي جعفرا عليهما في سنة إحدى وستين.

وكان المنصور قد جمع لجعفر بين إمرة مكة والمدينة، فكان أول من خطب بهما في خلافة بني هاشم، ثم من بعده داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الآتي في الأمين ثم ابنه محمد الآتي في المتوكل.

ولما قدم جعفر المدينة على إمرتها – وكان أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة القاضي بها للمنصور، أيام إمرة زياد بن عبيد الله الحارثي الماضي عليها معزولا محبوسا – أكرمه جعفر، وأطلقه من الحبس بإشارة المنصور، فسار إلى المنصور فأعاده.." (١)

" وقال حسان أيضا ... لقد علمت قريش يوم بدر ... غداة الاسر والقتل الشديد ... بأنا حين تشتجر العوالي ... حماة الحرب يوم أبي الوليد ... قتلنا ابني ربيعة يوم سارا ... إلينا في مضاعفة الحديد ... وفر بها حكيم يوم جالت ... بنو النجار تخطر كالأسود ... وولت عند ذاك جموع فهر ... وأسلمها الحويرث من بعيد ... لقد لاقيتموا ذلا وقتلا ... جهيزا نافذا تحت الوريد ... وكل القوم قد ولوا جميعا ... ولم يلووا على الحسب التليد ...

وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب ... لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل ... عبيدة فأبكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذل ... وبكيه للأقوام في كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل ... وبكيه للأيتام والريح زفرف ... وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي ... فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل ... لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستنبح أضحى لديه على رسل ...

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٣٠/١

وقال الاموي في مغازيه حدثني سعيد بن قطن قال قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدرا ... ألما تكن رؤياي حقا ويأتكم ... بتأويلها فل من القوم هارب ... رأى فأتاكم باليقين الذي رأى ... بعينيه ما تفري السيوف القواضب ... فقلتم ولم أكذب عليكم وإنما ... يكذبني بالصدق من هو كاذب ... وما جاء إلا رهبة الموت هاربا ... حكيم وقد أعيت عليه المذاهب ... أقامت سيوف الهند دون رءوسكم ... وخطية فيها الشبا والتغالب ... كأن حريق النار لمع ظباتها ... إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب ... ألا بأبي يوم اللقاء محمدا ... إذا عض من عون الحروب الغوارب ... مري بالسيوف المرهفات نفوسكم ... كفاحا كما تمري السحاب الجنائب ... فكم بردت أسيافه من مليكة ... وزعزع ورد بعد ذلك صالب ... فما بال قتلى في القليب ومثلهم ... لدى ابن أخي أسرى له ما يضارب ." (١)

"كثيرة يطول ذكرها ولما قتل الزبير بن العوام بوادي السباع كما تقدم قالت امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه رضي الله عنها وعنه ... غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد ... يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد ... كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طراد يا ابن فقع القردد ... ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... فيمن مضى فيمن يروح ويغتدي ... والله ربك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد ...

ومنهم رضي الله عنهم زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبيد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الانصاري النجاري أبو سعيد ويقال أبو خارجة ويقال أبو عبد الرحمن المدني قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة وهو ابن احدى عشرة سنة فلهذا لم يشهد بدرا لصغره قيل ولا أحدا وأول مشاهده الخندق ثم شهد ما بعدها وكان حافظا لبيبا عالما عاقلا ثبت عنه في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأه على النبي صلى الله عليه و سلم اذا كتبوا اليه فتعلمه في خمسة عشر يوما وقد قال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود ثنا عبد الرحمن عن ابي الزناد عن خارجة بن زيد أن أباه زيدا أخبره أنه لما قدم رسول الله المدينة قال زيد ذهب بي الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعجب بي فقالوا يا رسول الله هذا غلام من بني النجار معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فأعجب ذلك رسول الله وقال يا زيد تعلم لي كتاب يهود فاني والله ما آمن يهود على كتابي قال زيد فتعلمت لهم كتابهم ما مرت خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم اذا كتبوا اليه وأجيب عنه اذا كتب ثم رواه احمد عن شريح بن النعمان عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه

---

(١) البداية والنهاية، ٣/٣٣٩

فذكر عن أبيه فذكر نحوه وقد علقه البخارى في الأحكام عن خارجة ابن زيد بن ثابت بصيغة الجزم فقال وقال خارجة بن زيد فذكره ورواه أبو داود عن احمد بن يونس والترمذي عن علي بن حجر كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه به نحوه وقال الترمذي حسن صحيح وهذا ذكاء مفرط جدا وقد كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من القراء كما ثبت في الصحيحين عن أنس وروى احمد والنسائي من حديث أبي قلابة عن أنس عن رسول الله أنه قال أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر وأصدقها حياء عثمان وأقضاهم علي بن أبي طالب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت ولكل أمة امين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ومن الحفاظ من يجعله مرسلا إلا ما يتعلق بأبي عبيدة ففي صحيح البخاري من هذا الوجه وقد كتب الوحي ." (١)

" وأمها ثوبا فتحادثنا إلى الغروب قال كثير فرجعت حتى انخت بهم فقال أبو بثينة ما ردك يا ابن أخي فقلت أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك فقال وما هي فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب ... فقلت لها يا عز أرسل صاحبي ... * إليك رسولا والرسول موكل ... بأن تجعلي بيني وبينك موعدا ... * وأن تأمريني مال الذي فيه أفعل ... وآخر عهدي منك يوم لقيتني ... * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل ...

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه وجاء جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادمات وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن قط ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله قال أظنه قد نجا وأرجو له الجنة فمن هذا قال أنا فقلت الله ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة ببثينة فقال لا نالتني شفاعة محمد (ص) وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة قال فما برحنا حتى مات قلت كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال شديدا واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين

---

(١) البداية والنهاية، ٣٤٦/٥

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلا قال له هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي قال نعم قال إذا أنامت فاركب ناقتي وألبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتا منها قوله ... قومي بثينة فاندبي بعويل ... * وابكي خليلا دون كل خليل ...

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدر سرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له ويحك إن كنت صادقا فقد قتلتني وإن كنت كاذبا فقد فضحتني فقلت بلى والله صادق وهذه حلته وناقته فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتا ترثيه بها وتتأسف عليه فيها وأنه لا يطيب لها العيش بعده ولا خير لها في الحياة بعد فقده ثم ماتت من ساعتها قال الرجل فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق لو تركت الشعر وحفظت القرآن فقال هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله (ص) أنه قال إن من الشعر لحكمة ." (١)

" إذا مالبرمكي غدا عشر ... فهمته أمير أو وزير ...

وقد اتفق للفضل في هذه السفرة الى خرسان أشياء غريبة وفتح بلادا كثيرة منها كابل وما وراء النهر وقهر ملك الترك وكان ممتنعا وأطلق أموالا جزيلة جدا ثم أقفل راجعا الى بغداد فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجوه الناس اليه وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس فجعل يطلق الألف ألف والخمسمائة ألف نحوها وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره إلا بتعب وكلفه وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدر موضوعة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال

... كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد ... وجود يديه يخل كل بخيل ...

فأمر له بمال جزيل وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفير بن عاصم وغزا الشاتية سليمان ابن راشد وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس نائب مكة

وفيها توفي جعفر بن سليمان وعنتر بن القاسم وعبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن عمرو بن حزم القاضي ببغداد وصلى عليه الرشيد ودفن بها وقد قيل إنه مات في التي قبلها فالله أعلم

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة)

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل فولى الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك على الحجوبة وردها الى الفضل بن ربيع وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني وكان من أمره ماسيأتي طرف منه وفيها رجع الوليد بن

---

(١) البداية والنهاية، ٩/٤٥

طريف الشاري الى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر اتباعه فبعث اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق أصحابه فقالت الفارعة في أخيها الوليد بن طريف **ترثيه**

... أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف ... فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف ...

وفيها خرج الرشيد معتمرا من بغداد شكر لله عز و جل فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة فمشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيا ثم انصرف الى بغداد على طريق البصرة وفيها توفي

(اسماعيل بن محمد)

بن ابن يزيد ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد كان من الشعراء المشهورين المبرزين فيه ولكنه كان رافضيا خبيثا وشيعيا غثيثا وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة أي بالدور قال يوما لرجل أقرضني دينارا ولك عندي مائة دينار إذا رجعنا الى الدنيا فقال له ." (١)

" الساجي وملك الروم الدمستق فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رمادا أحمر يشبه رمل أرض الحجاز فامتلأت منه البيوت وفيها توفي من الأعيان أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوي كان عالما بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف

أحمد بن مهدي بن رميم

العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلثمائة ألف درهم ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراش وقد روى الحافظ أبو نعيم أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له إني قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي وأن هذا الحمل منك فاسترني سترك الله ولا تفضحني فسكت عنها فلما وضعت جاءني أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئا حلوا وأطعمتهم وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد في كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود وأقول أقرئها مني السلام فإنه قد سبق مني ما فرق بيني وبينها فمكثت كذلك سنتين ثم مات الولد فجاؤني يعزونني فيه فأظهرت الحزن عليه ثم جاءتني أمه بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد قد جمعتها في صره عندها فقالت لي سترك الله وجزاك خيرا وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها فقلت إني كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت **ترثينه** فهي لك فافعلي بها ما شئت فدعت وانصرفت

---

(١) البداية والنهاية، ١٠/١٧٣

بدر بن الهيثم

ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر أبو القاسم البلخي القاضي الكوفي نزل بغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة وكان ثقة نبيلا عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة توفي في شوال منها بالكوفة

عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز

ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي ويعرف بابن بنت منيع ولد سنة ثلاث عشرة وقيل أربعة عشرة ومائتين ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام ولم يسمع منه وسمع من أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وعلي بن الجعد وخلف بن هشام بن البزار وخلق كثير وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة وقال يريد أن يجمع بين الثلاثة وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخا وكان ثقة حافظا ضابطا روى عن الحفاظ وله مصنفات وقال موسى بن هارون الحافظ كان ابن بنت منيع ثقة صدوقا فقيل له إن ههنا ناسا يتكلمون فيه فقال يحسدونه ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق وقال ابن أبي ." (١)

"كيف احتل الإنجليز مصر؟!

إعداد

سليمان بن صالح الخراشي

http://www.saaid.net/

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرؤا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

من قرأ تاريخ الاحتلال الإنجليزي للبلاد المصرية المسلمة في القرن الماضي وتابع خطواته، متأملا ما تبين من سبيل المجرمين للوصول إلى هذا الأمر الجلل؛ وجد في ذلك الكثير من العبر التي تستحق التدوين، ويمكن الاستفادة منها لمنع تكرار ما حدث في دول أخرى –لا قدر الله-. لأن طرائق مكر الأعداء –

---

(١) البداية والنهاية، ١٦٣/١١

على اختلاف دولهم- متشابهة؛ يبني اللاحق منهم على خطط السابق، وينسج على منواله، كما هو واضح جدا الآن في العراق؛ حيث استفاد الأمريكيون كثيرا من الملف الإنجليزي القديم للإيقاع من جديد بهذا البلد المسلم.

وتاريخ الإنجليز مع الدول العربية والإسلامية – عامة – في هذا العصر مليئ بالخبث والحقد والمؤامرات المتنوعة في أماكن شتى من بلاد الإسلام . فمامن مصيبة تحل بهم إلا وتجد من ورائها كيد الإنجليز وتدبيرهم ، والشواهد على هذا كثيرة لاأظنها تخفى على متابع . حتى وصفهم شاعر العراق الرصافي زمن احتلالهم لبلاده بقوله في ديوانه (٣/٢٤٠-٢٤٣) :

دع اللوم واسمع ما أقول فإنني *** قتلت طباع " التيمسيين " بالبحث

كأنهم والناس عث وصوفة *** وهل يستقيم الصوف في عثة العث

فكم حرثوا في أرض مستعمراتهم *** مظالم سودا كن من أسوأ الحرث

وكم أيقظوا والناس في الليل نوم *** بها فتنا كالدجن يهمي على الوعث

وهم يأكلون الزبد من منتجاتها *** ويلقون للأهلين منهن للفرث

يقولون إنا عاملون لسعدكم *** ولم يعملوا غير الكوارث والكرث

إذا مارأيت القوم في فخ مكرهم *** رققت لهم تبكي على القوم أو **ترثي**

فلا ترج في الدنيا وفاء لعهدهم *** فلا بد في الأيام للعهد من نكث." (١)

"يا لهف نفسي فاتني معاويه ... فوق طمر كالعقاب الضابيه

وقدم عمروبن العاص من مصر على معاوية في بعض الأيام، فلما رآه معاوية قال:

يموت الصالحون وأنت ... حيي تخطاك المنايا لاتموت

فأجابه عمرو:

فلست بميت مادمت حيا ... ولست بميت حتى تموت

وذكر أن معاوية لما نظر إلى معسكر أهل العراق – وقد. أشرفت وأخذت الرجال مراتبها من الصفوف – ونظر إلى علي على فرس أشقر حاسر الرأس يرتب الصفوف كأنه يغرسهم في الأرض غرسا فيثبتون كأنهم بنيان مرصوص، قال لعمرو: يا أبا عبد الله، أما تنظر إلى ابن أبي طالب وما هو عليه. فقال له عمرو: من

---

(١) كيف احتل الإنجليز مصر، ص/١

طلب عظيما خاطر بعظيم.

بسر بن أرطاة:

وقد كان معاوية في سنة أربعين بعث بسر بن أرطاة في ثلاث آلاف حتى قدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري فتنحى، وجاء بسر حتى صعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل، فأجابوه إلى بيعة معاوية، وبلغ الخبر عليا فأنفذ حارثة بن قدامة السعدي في الذين ووهب بن مسعود في الذين، ومضى بسر إلى مكة، ثم سار إلى اليمن، وكان عبيد الله بن العباس بها، فخرج عنها ولحق بعده واستخلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحارثي، وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند أمهما جويرية بنت قارظ الكناني، فقتلهما بسر وقتل معهما خالا لهما من ثقيف وقد كان بسربن أرطاة العامري – عامر بن لؤي بن غالب – قتل بالمدينة وبين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعة وغيرهم، وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان، وقتل بصنعاء خلقا كثيرا من الأبناء، ولم يبلغه عن أحد أنه يمالىء عليا أو يهواه إلا قتله، ونما إليه خبر حارثة بن قدامة السعدي فهرب، وظفر حارثة بابن أخي بسر مع أربعين من أهل بيته، فقتلهم، وكانت جويرية أم ابني عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بسر تدور حول البيت ناشرة سعرها وهي من أجمل النساء وهي تقول ترثيهما:

هامن أحس من ابنى اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

هامن أحس من ابني للذين هما ... سمعي وقلبي، فعقلي اليوم مختطف

هامن أحس من ابني اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

نبئت بسرا، وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي وصفوا

أنحى على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة، وكذاك الإثم يقترف

بين معاوية وعمرو بن العاص ووردان

وذكر الواقدي قال: دخل عمرو بن العاص يوما على معاوية بعد ما كبر ودق ومعه مولاه وردان، فأخذا في الحديث، وليس عندهما غير وردان، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، ما بقي مما تستلذه. فقال: أما النساء فلا أرب لي فيهن، وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهى بها جلدي فما أدري أيها الين، وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيها ألذ وأطيب، وأما الطيب فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب، فما شيء ألذ عندي من شراب بارد في يوم صائف، ومن أن أنظر إلى بني وبني بني يدورون حولي، فما بقي منك يا عمرو؟ قال: مال أغرسه فأصيب من ثمرته ومن غلته، فالتفت معاوية إلى

وردان فقال: ما بقي منك يا وردان؟ قال: صنيعة كريمة سنية أعلقها في أعناق قوم ذوي فضل وأخطار لا يكافئونني بها حتى ألقى الله تعالى وتكون لعقبي في أعقابهم بعدي، فقال معاوية: تبا لمجلسنا سائر هذا اليوم، إن هذا العبد غلبني وغلبك.

وفاة عمرو بن العاص:

وفي سنة ثلاث وأربعين مات عمرو بن العاص بن وائل بن سهم بن سعيد بن سعد بمصر، وله تسعون سنة، وكانت ولايته مصر عشر سنين وأربعة أشهر، ولما حضرته الوفاة قال: اللهم لا براءة لي فأعتذر، ولا قوة لي فأنتصر، أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فركبنا، اللهم هذه يدي إلى ذقني، ثم قال: خنوا لي في الأرض خدا، وسنوا علي التراب سنا، ثم وضع أصبعه في فيه حتى مات، وصلى عليه ابنه عبد الله يوم الفطر، فبدأ بالصلاة عليه قبل صلاة العيد، ثم صلى بالناس بعد ذلك صلاة العيد، وكان أبوه من المستهزئين، وفيه نزلت " إن شانئك هو الأبتر " .." (١)

"ولوا مدبرين (١). وكانوا قد حفروا حفرا للمسلمين ليقعوا فيها، ومنها الحفيرة التي وقع فيها الرسول (٢). وتقدم نساء المشركين أمام صفوفهم قبل اللقاء يضربن بالدفوف والطبول الكبار، ثم رجعن فكن في أواخر الصفوف (٣) خلف الرجال وبين اكتافهم يذكرن من اصيب ببدر ويحرضن بذلك الرجال ويضربن بالدفوف ويقلن: نحن بنات طارق * نمشي على النمارق ان تقبلوا نعانق ! * أو تدبروا نفارق فراق غير وامق (٤) وكان في المدينة في بني ظفر رجل غريب لا يدرى ممن هو يقال له قزمان،

---

(١) مغازي الواقدي ١: ٢٢١ - ٢٢٣. (٢) مغازي الواقدي ١: ٢٥٢. (٣) مغازي الواقدي ١: ٢٢٥، وسيرة ابن هشام ٣: ٧٢. (٤) وفي الطبري ٢: ٢٠٨ في وقعة ذي قار: أن امرأة من عجل كانت تحرضهم تقول: إن تهزموا نعانق * ونفرش النمارق أو تهربوا نفارق * فراق غير وامق وعن الروض الانف ٢: ١٢٩: أن الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الايادي في حرب ذي قار، ولذلك قالت: نحن بنات طارق. ولا يعرف وجه لنسبة هند بنت عتبة الى طارق. فلعلها تمثلت به بعد أن سمعت به عن هند بنت طارق. وروى

(١) مروج الذهب، ٣٥٧/١

الحميري في قرب الاسناد: ٦١ بسنده عن الصادق عن الباقر (عليهما السلام) قال: أمر رسول الله يوم الفتح بقتل فرتنا وام سارة، وكانتا قينتين ترثيان وتغنيان بهجاء النبي وتحضضان يوم احد على رسول الله (صلى الله عليه وآله). كما في بحار الأنوار ٢٠: ١١١، ١١٢. (*)

---

[٢٧٢]." (١)

"فولد اللبو بن أمر مناة: عصيمة، دخل في جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهم رهط الأحوص.

فولد عصيمة بن اللبو: كعبا.

فوفد جشم بن معاوية على كعب بن عصيمة، فزوجه ابنته ماوية بنت كعب، فولدت له: عربة، وعديا، وعامرا في بني جشم؛ ويقال: عصيمة بن جشم.

هؤلاء بنو النمر بن وبرة

وهؤلاء

بنو سليح بن حلوان

بن عمران بن الف ابن قضاعة

وولد سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة: سعدا، وماسكا، والنخع، وصبرة، وسعنة، ومراحا.

فولد سعد بن سليح: حماطة، وهو ضجعم، الضجاعمة، الملوك بالشام قبل غسان.

منهم: داود اللثق بن هبولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم، كان ملكا فتنصر، وكان ينقل الماء والطين على ظهره فسمي اللثق، فلما تنصر وهو ملك كره الدنيا والقتل، فضعف أمره، وجعلوا يغيرون عليه حتى قتله ثعلبة بن عمر بن عوف بن كلب، وكان يقال لثعلبة الفاتك، والشجعي، معاوية بن حجيو بن حي بن وائل، فقالت أخته ترثيه:

أصابك ذؤبان الحليفين عامر ... ومشجعة الأوباش رهط ابن قارب

ومنهم: الحارث بن مندلة بن حوثرة بن عمرو بن ابن عوف بن ضجعم، الذي يقول عامر بن جوين الطائي:

فو الله لا أعطي مليكا ظلامة ... ولا سوقة حتى يؤوب ابن مندلة

والمنذر بن سبيط بن عمرو بن عوف بن ضجعم، الذي قتله جدع، وقال: " خذ من جدع ما أعطاك " وقال

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، ٣/٢٧٠

الشاعر:

ألم يبلغك والأنباء تنمي ... بظهر الغيب ما لاقى السبيط

بخلق إذا سما جذع إليه ... وجذع في أرومته وسيط

ومن هبولة الذي أغار على حجر آكل المرار، والمرار شجر الشوك.

هؤلاء بنو سليح بن حلوان

وهؤلاء بنو زبان بن حلوان

وولد زبان بن حلوان، وهو علاف: جرما، بطن، وعوفا، أمهما: نعيمة بنت شن بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة.

وهؤلاء بنو جرم بن زبان

فولد جرم بن زبان: قدامة، وجدة ولدته أمه بجدة فسمته جدة؛ وملكان، بطن، وناجية.

وهؤلاء بنو أعجب بن قدامة

وولد قدامة بن جرم: أعجب.

فولد أعجب بن قدامة: أهوى، وحربا، ولائما.

فولدت حربا في حروبهم، وولدت أهون بعد أن تهاونت حروبهم ثم اصطلحوا بعد ذلك وتلائم أمرهم فولدت له فسمته لائما.

فمن بني لائم بن أعجب اليوم رجل بالكوفة هو زعيمهم وإمامهم يقال له خلف بن عمرو بن نويرة بن زهير بن عبد الله بن سلمة بن لائم.

ومن بني حرب بن أجب: المعذل بن تمام بن حسيل الشاعر.

وقديد بن قرة بن حنظلة بن حفصة الشاعر.

فولد أهوان بن أعجب: عميرة، وسبيلة، بطن.

فولد عميرة بن أهون: عوفا، وسبيعا، بطن.

منهم: أوس بن مالك بن ربيئة بن مالك بن سبيعة بن ربيعة بن سبع، كان شريفا، وهو الذي قضى ابن الغريزة النهشلي.

وقال كثير يرثي أوس بن مالك بن زيد:

يا أوس ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا ذكرتك والمخزون يدكر

إني تذكرنيه كل نائبة ... والخير والشر والأيسار والعسر
بني محرم مصوا المجد صاحبه ... في ابني بدار وفي قيس لهل أثر
وفي قضاعة سجل من عطيته ... والأزد قرنا لها من سببه درر
وولد عوف بن عميرة بن أهون: نهارا، ورياحا، بطنان.
فولد رياح بن عوف: عمرا، وزيادا، وحريا.
منهم: كناز بن صريم بن عمرو بن رياح الشاعر، الذي كان يهاجي عمرو بن معدي كرب الزبيدي.
وهوذة بن عمير بن يزيد بن رياح، وفد على النبي صلى الله عليه و سلم.
وعميرة بن قيس بن مسعود بن حري بن رياح الشاعر.
والأسفح بن سريح بن أصرم بن عمرو، وفد على النبي صلى الله عليه و سلم.
ومالك بن النعمان بن سبيعة بن ربيعة بن سبع الشاعر.
ومعاوية، والوطيب.." (١)

"وذكر البيهقي أنه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه، وقيل له: أنت أولى الناس بإتباع محمد ونصرته؛ فقال: والله ما فعلت ذلك وما كان بين جنبي قلب! بينا نقول: ابن أختنا، نصير إلى أن نقول: رسول الله، ما على هذا صبر! قال ابن حزم: كان الأسود من المستهزئين، وقتله جبريل عليه السلام بمكة.

سوداء بنت زهرة الكاهنة

من الروض الأنف: "لما ولدت رآها أبوها زرقاء شيماء، فأمر بوأدها - وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة - فأرسلها إلى الحجون لتدفن هنالك. فلما حفر لها الحافر، وأراد دفنها سمع هاتفا يقول: لا تئد الصبية! وخلها في البرية! فالتفت فلم ير شيئا؛ فعاد، فهاد الهاتف. فرجع إلى أبيها وأخبره فقال: إن لها شأنا! وتركها، فكانت كاهنة قريش.

وهي التي قالت يوما لبني زهرة: إن فيكم نذيرة أو من تلد نذيرا، فاعرضوا علي نساءكم! فعرضوا عليها، فقالت في كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين؛ ثم عرضت عليها آمنة بنت وهب، فقالت: هذه النذيرة أو ستلدين نذيرا"؛ فولدت رسول الله صلى الله عليه.

بنو عامر بن لؤي بن غالب

---

(١) نسب معد واليمن الكبير، ص/١٥٧

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب من قريش البطاح:

عمرو بن عبد ود

ابن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، فارس قريش الذي قتله علي رضي الله عنه يوم الخندق، ولا عقب له.

وفيه قيل:

عمرو بن ود كان أول فارس ... جزع المذاد وكان فارس أليل

وقالت أخته ترثيه، وأنشد ذلك صاحب زهر الآداب:

لو كان قاتل عمرو فيه قاتله ... لقد بكيت عليه آخر الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن تكون لهم ... مكارم الدين والدنيا بلا أمد

قريش الظواهر

وأما قريش الظواهر فإنهم كانوا بادية لقريش البطاح، وكانت منازلهم في ظواهر مكة.." (١)

" وقال آخر كأن نخلا من أباض عوجا أعناقها إذ حمت الخروجا وأنشد محمد بن زياد الأعرابي ألا يا جارنا بأباض إنا وجدنا الريح خيرا منك جارا تغذينا إذا هبت علينا وتملأ وجه ناظركم غبارا

أباغ بضم أوله وآخره غين معجمة إن كان عربيا فهو مقلوب من بغى يبغي بغيا وباغ فلان على فلان إذا بغى

وفلان ما يباغ عليه ويقال إنه لكريم ولا يباغ وأنشدوا إما تكرم إن أصبت كريمة فلقد أراك ولا تباغ لئيما فهذا من تباغ أنت وأباغ أنا فعل لم يسم فاعله

وقرأت بخط أبي الحسن بن الفرات وسمي حجر آكل المرار لأن امرأته هندا سباها الحارث بن جبلة الغساني وكان أغار على كندة فلما انتهى بها إلى عين أباغ هكذا قال أبو عبيدة أباغ بضم الهمزة وقال الأصمعي أباغ بالفتح وقال عبد الرحمن بن حسان هن أسلاب يوم عين أباغ من رجال سقوا بسم ذعاف وقالت ابنة فروة بن مسعود ترثي أباها وكان قد قتل بعين أباغ بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص/١٥٢

القسيم وقالوا سيدا منكم قتلنا كذاك الرمح يكلف بالكريم هكذا الرواية في البيت الأول بالفتح وفي الثاني بالضم آخر خط ابن الفرات

قال أبو الفتح التميمي النساب كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ وأباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب إليه

قال وعين أباغ ليست بعين ماء وإنما هو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام وقيل في قول أبي نواس فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عيني أباغ تغور حكي أنه قال جهدت على أن تقع في الشعر عين أباغ فامتنعت علي فقلت عيني أباغ ليستوي الشعر

وقوله تغور أي تغرب فيها الشمس لأنها لما كانت تلقاء غروب الشمس جعلها تغور فيها

وكان عندها في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام وملوك لخم ملوك الحيرة قتل فيه المنذر ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي فقال الشاعر بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خير القسيم وقد أسقط النابغة الذبياني الهمزة من أوله فقال يمدح آل غسان يوما حليمة كانا من قديمهم وعين باغ فكان الأمر ما ائتمرا يا قوم إن ابن هند غير تارككم فلا تكونوا لأدنى وقعة جزرا

الأبالخ بفتح أوله واللام مكسورة والخاء معجمة جمع بليخ على غير قياس

والبليخ نهر بالرقة ." (١)

"كثير النخل بين بدر والصفراء لبني جعفر بن أبي طالب

الأثيل تصغير الأثل وقد مر تفسيره موضع قرب المدينة وهناك عين ماء لآل جعفر بن أبي طالب بين بدر ووادي الصفراء ويقال له ذو أثيل

وقد حكينا عن ابن السكيت أنه بتشديد الياء

وكان النبي صلى الله عليه و سلم قتل عنده النضر بن الحارث بن كلدة عند منصرفه من بدر فقالت قتيلة بنت النضر ترثي أباها وتمدح رسول الله صلى الله عليه و سلم يا راكبا إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق بلغ به ميتا فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تخفق مني إليه وعبرة مسفوحة جادت لمائحها وأخرى تخنق فليسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت أو ينطق ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق أمحمد ولأنت ضنء نجيبة في قومها والفحل فحل معرق أو كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلو لديك وينفق ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق والنضر أقرب من

---

(١) معجم البلدان، ٦١/١

أصبت وسيلة وأحقهم إن كان عتق يعتق فلما سمع النبي صلى الله عليه و سلم شعرها رق لها وقال لو سمعت شعرها قبل قتله لوهبته لها

والأثيل أيضا موضع في ذلك الصقع أكثره لبني ضمرة من كنانة

الأثيل بالفتح ثم الكسر بوزن الأصيل يقال مجد مؤثل وأثيل موضع في بلاد هذيل بتهامة قال أبو جندب الهذلي بغيتهم ما بين حداء والحشا وأوردتهم ماء الأثيل فعاصما باب الهمزة والجيم وما يليهما أجأ بوزن فعل بالتحريك مهموز مقصور والنسب إليه أجئي بوزن أجعي وهو علم مرتجل لاسم رجل سمي الجبل به كما نذكره ويجوز أن يكون منقولا

ومعناه الفرار كما حكاه ابن الأعرابي يقال أجأ الرجل إذا فر وقال الزمخشري أجأ وسلمى جبلان عن يسار سميراء وقد رأيتهما شاهقان

ولم يقل عن يسار القاصد إلى مكة أو المنصرف عنها وقال أبو عبيد السكوني أجأ أحد جبلي طيء وهو غربي فيد وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة قال ومنازل طيىء في الجبلين عشر ليال من دون فيد إلى أقصى أجإ إلى القريات من ناحية الشام وبين المدينة والجبلين على غير الجادة ثلاث مراحل

وبين الجبلين وتيماء جبال ذكرت في مواضعها من هذا الكتاب منها دبر وغريان وغسل

وبين كل جبلين يوم

وبين الجبلين وفدك ليلة

وبينهما وبين خيبر خمس ليال

وذكر العلماء بأخبار العرب أن أجأ سمي باسم رجل وسمي سلمى باسم امرأة وكان من خبرهما أن رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحي عشق امرأة من قومه يقال لها سلمى

وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء

وكان يجتمعان في منزلها ." (١)

" بعرندل فسار يومه وبعض ليلته ونزل وأصبح فدخل حسمى وحسمى فيما حكاه ابن السكيت بين أيلة وتيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة وهذا قبل أرض الشام فكيف يقال إنه قريب من العراق وبينهما مسيرة شهر وأكثر وقال نصر تربان صقع بين سماوة كلب والشام

الترب بالضم ثم السكون والباء موحدة اسم جبل

---

(١) معجم البلدان، ١/٩٤

تربل يروى بفتح أوله وثالثه عن العمراني وعن غيره بضمهما وفي كتاب نصر بكسرهما موضع تربولة بالفتح قلعة في جزيرة صقلية

تربة بالضم ثم الفتح قال عرام تربة واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها يصب في بستان ابن عامر يسكنه بنو هلال وحواليه من الجبال السراة ويسوم وفرقد ومعدن البرم له ذكر في خبر عمر رضي الله عنه أنفذه رسول الله صلى الله عليه و سلم غازيا حتى بلغ تربة وقال الأصمعي تربة واد للضباب طوله ثلاث ليال فيه النخل والزرع والفواكه ويشاركهم فيه هلال وعامر بن ربيعة قال أحمد بن محمد الهمذاني تربة وزبية وبيشة هذه الثلاثة أودية ضخام مسيرة كل واحد منها عشرون يوما أسافلها في نجد وأعاليها في السراة وقال هشام تربة واد يأخذ من السراة ويفرغ في نجران قال ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد إلى أن ظهر الإسلام وفي المثل عرف بطني بطن تربة قاله عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو براء ملاعب الأسنة في قصة فيها طول غاب عن قومه فلما عاد إلى تربة وهي أرضه التي ولد بها ألصق بطنه بأرضه ، فوجد راحة فقال ذلك وخبرني من ساكني الجبلين أن تربة ماء في غربي سلمى

ترج بالفتح ثم السكون وجيم جبل بالحجاز كثير الأسد قال أبو أسامة الهذلي ألا يا بؤس للدهر الشعوب لقد أعيا على الصنع الطبيب يحط الصخر من أركان ترج وينشعب المحب من الحبيب وهذا شاهد على أنه جبل وقيل ترج وبيشة قريتان متقاربتان بين مكة واليمن في واد قال أوس بن مدرك تحدث من لاقيت أنك قاتلي قراقر أعلى بطن أمك أعلم تبالة والعرضان ترج وبيشة وقومي تيم اللات والاسم خثعم وقالت أخت جاجز الأزدي ترثيه أحي حاجز أم ليس حيا فيسلك بين خندق والبهيم ويشرب شربة من ماء ترج فيصدر مشية السبع الكليم وقيل ترج واد إلى جنب تبالة على طريق اليمن وهناك أصيب بشر بن أبي خازم الشاعر في بعض غزواته فرماه نعيم بن عبد مناف بن رياح الباهلي الذي قيل فيه أجرأ من الماشي بترج فمات بالرده من بلاد قيس فدفن هناك ويحتمل أن يكون المراد بقولهم أجرأ من الماشي بترج الأسد لكثرتها فيه قال وما من مخدر من أسد ترج ي نازلهم لنابيه قبيب ." (١)

" الحمار وكجوف العير وأخرب من جوف حمار وأخلى من جوف حمار وقد أكثرت الشعراء من ذكره فمن ذلك قول بعضهم ولشوم البغي والغشم قديما ما خلا جوف ولم يبق حمار قال ذلك ابن الكلبي قال وإنما عدل عند تسميته عن ذكر الحمار إلى ذكر العير في الشعر لأنه أخف عليهم وأسهل مخرجا وذلك نحو قول امرىء القيس وواد كجوف العير قفر قطعته وقال غير ابن الكلبي ليس حمار ههنا اسم رجل

---

(١) معجم البلدان، ٢١/٢

إنما هو الحمار بعينه واحتج بقول من يقول أخلى من جوف الحمار لأن الحمار لا ينتفع بشيء مما في جوفه ولا يؤكل بل يرمى به وأنشد ابن الكلبي لفارس ميسان الكندي جاهلي ومرت بجوف العير وهي حثيثة وقد خلفت بالأمس هجل الفراضم تخاف من المصلى عدوا مكاشحا ودون بني المصلى هديد بن ظالم وما إن بجوف العير من متلذذ مسيرة يوم للمطي الرواسم فهذا يقوي قول أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي قلت ولله دره ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجة وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارص مكاوم و الجوف أيضا أرض مطمئنة أو خارجة في البحر في غربي الأندلس مشرفة على البحر المحيط

و الجوف أيضا من إقليم أكشونية من الأندلس

و الجوف أيضا من أرض مراد له ذكر في تفسير قوله عز و جل إنا أرسلنا نوحا إلى قومه رواه الحميدي الجرف ورواه النسفي الحول وهو فاسد وهو في أرض سبأ وقد ردد فروة بن مسيك ذكره في شعره فقال فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت شهدنا بأن الجوف كان لأمكم فزال عقار الأم منها فعرت سيمنعكم يوم اللقاء فوارس بطعن كأفواه المزاد اسبكرت قال أبو زياد الجوف جوف المحورة ببلاد همدان ومراد مآبة القوم أي مبيت القوم حيث يبيتون ولعله الذي قبله

و الجوف أيضا جوف الحميلة موضع بأرض عمان فيه أهوت ناقة لسامة بن لؤي إلى عرفجة فانتشلتها وفيها حية فنفختها فرمت بها على ساق سامة فنهشته فمات وكان مر برجل من الأزد فأضافه فأحبته امرأته فأخذ سامة يوما عودا فاستاك به وألقاه فأخذته زوجة الأزدي فمصته فضربها زوجها فألقى سما في لبن ليقتله فلما تناول القدح ليشرب غمزته أن لا يفعل فأراقه فقالت امرأة الأزدي تذكر القصة **وترثيه** عين بكي لسامة بن لؤي حملت حتفه إليه الناقه لا أرى مثل سامة بن لؤي علقت ساق سامة العلاقه رب كأس هرقتها ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه وقيل اسم الموضع الذي هلك به سامة بن لؤي جو

الجولان بالفتح ثم السكون قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران قال ابن دريد يقال للجبل حارث الجولان وقيل حارث قلة ." (١)

" عطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم بعدهم أبد الآبدين فمن آذاهم فيه آذى الله شهد أبو بكر ابن أبي قحافة وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب

---

(١) معجم البلدان، ٢/١٨٨

حبرة بالكسر ثم السكون هي في اللغة صفرة تركب الأسنان وحبرة أطم من آطام اليهود بالمدينة في دار صالح بن جعفر

حبرير بعد الراء ياء ساكنة وراء أخرى مرتجل وهو جبل من ناحية البحرين بتؤام

حبسان ماء في طريق غربي الحاج من الكوفة وهو جمع حبيس وهو غربي طريق الخيل وقالت امرأة من كندة ترثي طائفة من قومها كان قد فتكت بهم بنو زمان بحبسان سقى مستهل الغيث أجداث فتية بحبسان ولينا نحورهم الدما صلوا معمعان الحرب حتى تخرموا مقاحيم إذ هاب الكماة التقحما هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا بحبسان من أسباب مجد تهدما أبوا أن يفروا والقنا في صدورهم فماتوا ولم يرقوا من الموت سلما ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

حبس بالضم ثم السكون والسين مهملة والحبس بالضم جمع الحبيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما قال الزمخشري الحبس بالضم جبل لبني قرة وقال غيره الحبس بين حرة بني سليم والسوارقية وفي حديث عبد الله بن حبشي تخرج نار من حبس سيل قال أبو الفتح نصر حبس سيل ورواه بالفتح إحدى حرتي بني سليم وهما حرتان بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين وقال الأصمعي الحبس جبل مشرف على السلماء لو انقلب لوقع عليهم وأنشد سقى الحبس وسمي السحاب ولم يزل عليه روايا المزن والديم الهطل ولولا ابنة الوهبي زبدة لم أبل طوال الليالي أن يحالفه المحل

الحبس بالكسر ويروى بالفتح والحبس بالكسر مثل المصنعة وجمعه أحباس تجعل للماء والحبس الماء المستنقع وقيل الحبس حجارة تبنى على مجرى الماء لتحبسه للسارية ويسمى الماء حبسا

والحبس جبل لبني أسد وقال الأصمعي في بلاد بني أسد الحبس والقنان وإبان الأبيض وإبان الأسود إلى الرمة والحميان حمى ضرية وحمى الربذة والدو والصمان والدهناء في شق بني تميم قال منظور بن فروة الأسدي هل تعرف الدار عفت بالحبس غير رماد وأثاف غبس كأنها بعد سنين خمس وريدة تذري حطام اليبس خطا كتاب معجم بنقس

حبش بالتحريك والشين معجمة درب الحبش بالبصرة في خطة هذيل نسب إلى حبش أسكنهم عمر رضي الله عنه بالبصرة ويلي هذا الدرب مسجد أبي بكر الهذلي

و قصر حبش موضع قرب تكريت فيه مزارع شربها من الإسحاقي

و بركة الحبش مزرعة نزهة في ظهر القرافة بمصر ذكرت في بركة ." (١)

---

(١) معجم البلدان، ٢/٢١٣

" ولكن قومي أحدثوا بعد عهدنا وعهدك أضعافا كلفن نسائكا تذكرني قتلى بحرة واقم أصبن وأرحاما قطعن شوائكا وقد كان قومي قبل ذاك وقومها قروما زوت عودا من المجد نائكا فقطع أرحام وقصت جماعة وعادت روايا الحلم بعد ركائكا

حرة الوبرة بثلاث فتحات مضبوط في كتاب مسلم وقد سكن بعضهم الباء وهي على ثلاثة أميال من المدينة ذكرها في حديث أهبان في أعلام النبوة

حرة بني هلال هو هلال بن عامر بن صعصعة بالبريك والبريك في طريق اليمن التهامي من دون ضنكان

حريات بالضم وتشديد الراء وياء خفيفة موضع في قول القتال وأقفر منها حريات فما يرى بها ساكن نبح ولا متنور

حريداء بلفظ التصغير ممدود رميلة في بلاد أبي بكر بن كلاب قال لياح له بطن الرويل مجنة ومنه بأبقاء الحريداء مكنس

الحريرة براءين مهملتين كأنه تصغير حرة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعات الفجار قال بعضهم أرعى الأراك قلوصي ثم أوردها ماء الحريرة والمطلى فأسقيها وقال خداش بن زهير وقد بلوكم فأبلوكم بلاءهم يوم الحريرة ضربا غير تكذيب

حريز بالفتح ثم الكسر وياء وزاي قال أبو سعد قرية باليمن ورواه الحازمي بزايين ونسب إليه كما نذكره في موضعه إن شاء الله تعالى

الحريش الشين معجمة وهو في اللغة دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس كركدن والحريش الضب المحروش أي المصاد وهي قرية من كورة الفرج من أعمال الموصل وأظنها سميت بالقبيلة وهو الحريش واسمه معاويه ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن

الحريضة كأنه تصغير حرضة بالضاد المعجمة موضع في بلاد هذيل فيه قتل تأبط شرا فقامت أمه ترثيه فقالت قتيل ما قتيل بني قريم إذا ضنت جمادى بالقطار فتى فهم جميعا غادروه مقيما بالحريضة من نمار

حريم تصغير حرم حصن من أعمال تعز باليمن

الحريم بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وميم أصله من حريم البئر وغيرها وهو ما حولها من حقوقها ومرافقها ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم وبذلك سمي حريم دار الخلافة ببغداد ويكون بمقدار ثلث بغداد وهو في وسطها ودور العامة محيطة به وله سور يتحيز به ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كهيئة نصف دائرة وله عدة أبواب وأولها من جهة الغرب باب ." (١)

" باب الخاء والألف وما يليهما

خابران بعد الألف باء ثم راء وآخره نون ناحية ومدينة فيها عدة قرى بين سرخس وأبيورد من خراسان ومن قراها ميهنة وكانت مدينة كبيرة خرب أكثرها

و الخابران كورة بالأهواز

خابوراء بعد الألف باء موحدة بوزن عاشوراء موضع قاله ابن الأعرابي وقال ابن دريد أخبرني بذلك حامد ولا أدري ما هو ولعله لغة في الخابور

الخابور بعد الألف باء موحدة وآخره راء وهو فاعول من أرض خبرة وخبراء وهو القاع الذي ينبت السدر أو من الخبار وهو الأرض الرخوة ذات الحجارة وقيل فاعول من خابرت الأرض إذا حرثتها وقال ابن بزرج لم يسمع اسم على فاعولاء إلا أحرفا الضاروراء الضر والساروراء السر والدالولاء الدل وعاشوراء اسم لليوم العاشر من المحرم قال ابن الأعرابي و الخابوراء اسم موضع قلت أنا ولا أدري أهو اسم لهذا النهر أم غيره فأما الخابور فهو اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه من البلاد قرقيسياء وماكسين والمجدل وعربان وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين وينضاف إليه فاضل الهرماس ومد وهو نهر نصيبين فيصير نهرا كبيرا ويمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي إلى قرقيسياء فيصب عندها في الفرات وفيه من أبيات أخت الوليد بن طريف **ترثي** أخاها أيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف فتى لا يحب الزاد إلا من التقر ولا المال إلا من قنا وسيوف وقال الأخطل أراعتك بالخابور نوق وأجمال ورسم عفته الريح بعدي بأذيال وقال الربيع بن أبي الحقيق اليهودي من بني قريظة ." (٢)

" ويصبان على قبره كأسا ثم مات الدهقان فكان الأسدي الغابر ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر وقال بعضهم إن هذا الشعر لقس بن ساعدة الإيادي في خليلين كانا له وماتا وقال آخرون هذا الشعر لنصر بن

---

(١) معجم البلدان، ٢/٢٥٠

(٢) معجم البلدان، ٢/٣٣٤

غالب يرثي أوس بن خالد وأنيسا نديمي هبا طالما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما أجدكما ما **ترثيان** لموجع حزين على قبريكما قد رثاكما ألم تعلما ما لي براوند كلها ولا بخزاق من صديق سواكما جرى النوم بين العظم والجلد منكما كأنكما ساقي عقار سقاكما أصب على قبريكما من مدامة فإلا تذوقاها ترو ثراكما ألم ترحماني أنني صرت مفردا وأني مشتاق إلى أن أراكما فإن كنتما لا تسمعان فما الذي خليلي عن سمع الدعاء نهاكما أقيم على قبريكما لست بارحا طوال الليالي أو يجيب صداكما وأبكيكما طول الحياة وما الذي يرد على ذي عولة إن بكاكما وينسب إلى راوند زيد بن علي بن منصور بن علي بن منصور الراوندي أبو العلاء المعدل من أهل الري سمع أبا القاسم إسماعيل بن حمدون بن إبراهيم المزكي الرازي وأبا نصر أحمد بن محمد بن صاعد القاضي وأبا محمد عبد الواحد بن الحسن بن الصفار وأجازه

راون بفتح الواو وآخره نون بليدة من نواحي طخارستان شرقي بلخ ليست بالكبيرة كانت ليحيى ابن خالد بن برمك كثيرة الخير ليس يسلم على أهلها وال قال الكعبي أبو القاسم البلخي ونحن ممن ابتلي بهم ولكن سلم الله منهم ينسب إليها عبد السلام بن الراوني ولي القضاء براون وكان فقيها مناظرا سمع أبا سعد أسعد بن الظهير ذكره أبو سعد في شيوخه

راونسر بفتح الواو وسكون النون وسين مهملة مفتوحة وآخره راء من قرى أرغيان ينسب إليها الراونسري محمد بن عبدالله

روانير الواو مفتوحة وآخره راء مهملة من قرى أرغيان كبيرة وقد نسب إليها قوم من العلماء منهم عمر بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبدالله الخطيب الأرغياني أبو العباس من أهل راونير إحدى قرى أرغيان أخو الإمام أبي نصر الأرغياني الأكبر منه كان فقيها صالحا سديدا حسن السيرة كثير الخير ورد نيسابور وتفقه على الإمام أبي المعالي الجويني وأقام بها مدة ثم رجع إلى الناحية وسمع الأستاذ أبا القاسم القشيري وأبا الحسن علي بن أحمد الواحدي وأبا حامد أحمد بن الحسن الأزهري وأبا نصر أحمد بن محمد بن محمد بن المسيب الارغياني وأبا القاسم المطهر بن محمد البحيري وأبا بكر بن القاسم الصفار كتب عنه أبو سعد وأبو القاسم الدمشقي وتوفي بنيسابور في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٤٣٥

راوية بكسر الواو وياء مثناة من تحت مفتوحة بلفظ راوية الماء قرية من غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري صحابي قدم ." (١)

---

(١) معجم البلدان، ٣/٢٠

" وقال ابن دريد الرس والرسيس بوزن تصغير الرس واديان بنجد أو موضعان وبعض هذه أرادت ابنة مالك بن بدر ترثي أباها إذ قتلته بنو عبس بمالك ابن زهير فقالت ولله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم إن جرى فرسان فليتهما لم يشربا قط شربة وليتهما لم يرسلا لرهان أحل به أمس جنيدب نذره فأي قتيل كان في غطفان إذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرس تبكي فارس الكتفان وقال الزمخشري قال علي الرس من أودية القبلية وقال غيره الرس ماء لبني منقذ بن أعياء من بني أسد قال زهير لمن طلل كالوحي عاف منازله عفا الرس منه فالرسيس فعاقله وقال أيضا بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادي الرس كاليد للفم وقال الأصمعي الرس والرسيس فالرس لبني أعياء رهط حماس والرسيس لبني كاهل وقال آخرون في قوله عز و جل وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا قال الرس وادي أذربيجان وحد أذربيجان ما وراء الرس ويقال إنه كان بأران على الرس ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيا يقال له موسى وليس بموسى بن عمران فدعاهم إلى الله والإيمان به فكذبوه وجحدوه وعصوا أمره فدعا عليهم فحول الله الحارث والحويرث من الطائف فأرسلهما عليهم فيقال أهل الرس تحت هذين الجبلين ومخرج الرس من قاليقلاء ويمر بأران ثم يمر بورثان ثم يمر بالمجمع فيجتمع هو والكر وبينهما مدينة البيلقان ويمر الكر والرس جميعا فيصبان في بحر جرجان والرس هذا واد عجيب فيه من السمك أصناف كثيرة وزعموا أنه يأتيه في كل شهر جنس من السمك لم يكن من قبل وفيه سمك يقال له الشورماهي لا يكون إلا فيه ويجيء إليه في كل سنة في وقت معلوم صنف منه وقال مسعر بن المهلهل وقد ذكر بذ بابك ثم قال وإلى جانبه نهر الرس وعليه رمان عجيب لم أر في بلد من البلدان مثله وبها تين عجيب وزبيبها يجفف في التنانير لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب ولم تصح السماء عندهم قط ونهر الرس يخرج إلى صحراء البلاسجان وهي إلى شاطىء البحر في الطول من برزند إلى برذعة ومنها ورثان والبيلقان وفي هذه الصحراء خمسة آلاف قرية وأكثرها خراب إلا أن حيطانها وأبنيتها باقية لم تتغير لجودة التربة وصحتها ويقال إن تلك القرى كانت لأصحاب الرس الذين ذكرهم الله في القرآن المجيد ويقال إنهم رهط جالوت قتلهم داود وسليمان عليهما السلام لما منعوا الخراج وقتل جالوت بأرمية

رسكن بلد بطخارستان فتحه الأحنف سنة اثنتين وثلاثين عنوة

الرسيس تصغير الرس واد بنجد عن ابن دريد لبني كاهل من بني أسد بالقرب من الرس وقول القتال الكلابي يدل على أنه قرب المدينة نظرت وقد جلى الدجى طاسم الصوى بسلع وقرن الشمس لم يترجل إلى ظعن بين الرسيس فعاقل عوامد للشيقين أو بطن خنثل ." (١)

" سلغوس بوزن قربوس وطرسوس بفتح أوله وثانيه اسم بلدة وزنه فعلوف عن أبي القطاع وهو حصن في بلاد الثغور بعد طرسوس غزاها المأمون

السلف بفتح أوله وكسر ثانيه بوزن الصدف وقيل السلف بوزن صرد وهما قبيلتان قديمتان من قبائل اليمن قال هشام بن محمد ولد يقطن وقيل يقطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام ابن نوح الموذاذ وسالف وهم السلف وهو الذي نصب دمشق وحضر موت وقد سمي بالسلف مخلاف باليمن والسلف والسلك من أولاد الحجل والسلف من الأرض جمع سلفة وهي الكردة المسواة

السلفين بالتحريك والفاء موضع في شعر تأبط شرا قال شنئت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقاريها الرياح كرهت بني جذيمة إذ ثرونا قفا السلفين وانتسبوا فباحوا

السلق بالتحريك من نواحي اليمامة قال أقوى نمار ولقد أقفر وادي السلق والسلق جبل عال مشرف على الزاب من أعمال الموصل متصل بأعمال شهرزور يعرف بسلق بني الحسن بن الصباح بن عباد الهمداني له ذكر في الأخبار والفتوح

السلق بلفظ النبت الذي يطبخ به درب السلق ببغداد وقد نسب إليه بعض الرواة السلقي ينسب إليه أبو علي إسماعيل بن عباد بن القاسم بن عباد القطان السلقي مولى عمر بن الخطاب حدث عن أبيه وعن عباد بن يعقوب الدواجني وعلي بن جرير الطائي روى عنه أبو حفص بن شاهين ويوسف بن عمر القواس وغيرهما مات سنة ٣٢٠ .

سلمنت بالفتح ثم السكون وضم الميم وسكون النون وتاء مثناة موضع قرب عين شمس من نواحي مصر

سلمى بفتح أوله وسكون ثانيه مقصور وألفه للتأنيث وهو أحد جبلي طيء وهما أجأ وسلمى وهو جبل وعر به واد يقال له رك به نخل وآبار مطوية بالصخر طيبة الماء والنخل عصهب والأرض رمل بحافتيه جبلان أحمران يقال لهما حميان والغداة وبأعلاه برقة يقال لها السراء وقال السكوني سلمى جبل بقرب من فيد عن يمين القاصد مكة وهو لنبهان لن يدخله أحد عليها وليس به قرى إنما به مياه وآبار وقلب

---

(١) معجم البلدان، ٤٤/٣

عليها نخل وشجر تين ولا زرع فيه وفيه قيل أما تبكين يا أعراف سلمى على من كان يحميكن حينا الأعراف الأعالي قال وأدنى سلمى من فيد إلى أربعة أميال ويمتد إلى الأقيلبة والمنتهب ثم يخنس ويقع في رمان وهو جبل رمل وليس بسلمى رمل أما سبب تسمية الجبل بهذا الاسم فقد ذكر في أجإ وقال أبو الحسن الخوارزمي و سلمى أيضا موضع بنجد

و سلمى أيضا أطم بالطائف والذي بنجد عنت أم يزيد بن الطثرية **ترثيه** ألست بذي نخل العقيق مكانه وسلمى وقد غالت يزيد غوائله

سلماس يفتح أوله وثانيه وآخره سين أخرى مدينة مشهورة بأذربيجان بينها وبين أرمية يومان وبينها ". (١)

" له ابن الدغنة وهي أمه فقالت عمرة بنت دريد ابن الصمة **ترثيه** وتنعى إلى بني سليم إحسان دريد إليهم في الجاهلية لعمرك ما خشيت على دريد ببطن سميرة جيش العناق جزى عنا الإله بني سليم وعقتهم بما فعلوا عقاق وأسقانا إذا عدنا إليهم دماء خيارهم يوم التلاقي فرب عظيمة دافعت عنهم وقد بلغت منهم نفوسهم التراقي ورب كريمة أعتقت منهم وأخرى قد فككت من الوثاق ورب منوه بك من سليم أجبت وقد دعاك بلا رماق فكان جزاؤنا منهم عقوقا وهما ماع منه خف ساق عفت آثار خيلك بعد أين فذي بقر إلى فيف النهاق وسن سميرة مذكور في سن

سميساط بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وسين أخرى ثم بعد الألف طاء مهملة مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن ومالكها في هذا الزمان الملك الأفضل علي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب صلاح الدين وذكرها المنتبي في قوله ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهواجل وطول سميساط أربع وخمسون درجة وثلثان وعرضها ست وثلاثون درجة وثلث وفي زيج أبي عون سميساط في الإقليم الرابع وطولها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان وعرضها ست وثلاثون درجة وثلث وإليها ينسب أبو القاسم علي بن محمد السميساطي السلمي المعروف بالجميش مات بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٤ ودفن في داره بباب الناطفانيين وكان قد وقفها على فقراء المسلمين والصوفية ووقف علوها على الجامع ووقف اكثر نعمته على وجوه البر وذكره ابن عساكر في ترجمة عبد العزيز بن مروان قال كانت داره بدمشق ملاصقة للجامع التي هي دار الصوفية وكانت بعده لابنه عمر بن عبد العزيز وكان قد حدث عن عبد الوهاب بن الحسن الكلابي بحديث

---

(١) معجم البلدان، ٢٣٨/٣

ابن خريم عن هشام عن مالك وغيره وحدث بالموطإ لابن وهب وابن القاسم وحدث بشيء من حديث الأوزاعي جمع ابن جوصا وحدث بعد ذلك وكان يذكر أن مولده في رمضان سنة ٧٧٣ هذا كله من كتاب العرضات لابن الأكفاني وفي كتاب أبي القاسم الدمشقي علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن زكرياء أبو القاسم السلمي الحبيش المعروف بالسميساطي كذا قاله الحبيش وابن الأكفاني الجميش

السميعية منسوبة إلى سميع تصغير سمع قرية كبيرة في بقعاء الموصل بينها وبين نصيبين قرب وبينها وبين برقعيد أربعة فراسخ وتعرف بقرية الهيثم بن معمر

سمين بالنون جبل بأجإ سمي به لاستوائه

السمينة بلفظ تصغير سمنة كأنه قطعة من السمن وهو أول منزل من النباج للقاصد إلى البصرة وهو ." (١)

" شرونة بضم الراء وسكون الواو ثم نون بعدها هاء قرية بالصعيد الأدنى شرقي النيل

و شرونة أيضا بلد بالأندلس

شروين جبال شروين في أطراف طبرستان وهي من أعمال ابن قارن مجاورة الديلم وجيلان وهي جبال ممتنعة صعبة ليس في تلك الولاية أمنع منها ولا أكثر شجرا ودغلا قال ابن الفقيه أول من دفعت إليه السفوح شروين بن سهراب وكانت قبل ذلك فيأيدي الجند وفتحت في أيام المأمون على يد موسى ابن حفص بن عمرو بن العلاء وكان عمرو بن العلاء جزارا بالري فجمع جموعا وغزا الديلم حتى حسن بلاؤه فأرسله والي الري إلى المنصور فقوده وجعل له منزلة وترقت به الأيام حتى ولي طبرستان واستشهد في خلافة المهدي وافتتح موسى بن حفص بن عمرو ابن العلاء ومازيار بن قارن جبال شروين من طبرستان وهي من أمنع الجبال وأصعبها فقلدها المأمون مازيار وأضاف إليها طبرستان والرويان ودنباوند وسماه محمدا وجعل له مرتبة الأصفهبذ فلم يزل واليا عليها حتى توفي المأمون واستخلف المعتصم فأقره عليها ثم غدر وخالف وذلك بعد سنتين من خلافة المعتصم فجرى من قبله ما هو مذكور في التواريخ

الشروين بالتحريك بثلاث فتحات وياء ساكنة ونون هما جبلان بسلمى كان اسمهما فخ ومخزم عن نصر

شريان بكسر أوله وسكون ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وآخره نون قال الجوهري الشريان بالفتح والكسر واحد الشرايين وهي العروق النابضة ومنبتها من القلب وهو موضع بعينه أو واد قالت جنوب أخت

---

(١) معجم البلدان، ٢٥٨/٣

عمرو ذي الكلب **ترثيه** أبلغ بني كاهل عني مغلغلة والقوم من دونهم سعيا ومركوب والقوم من دونهم أين ومسغبة وذات ريد بها رضع وأسلوب أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها عني حديثاوبعض القول تكذيب بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا ببطن شريان يعوي حوله الذيب

شريب بفتح أوله وكسر ثانيه وياء مثناة من تحت ساكنة وباء موحدة قال أبو عبيد يقال ماء شريب وشروب الذي بين الملح والعذب والشريب الذي يشاربك أي يشرب معك وهو جبل نجدي في ديار بني كلاب عند الجبل الذي يقال له أسود النساء

شريب بلفظ تصغير الشرب بلد بين مكة والبحرين له ذكر في شعرهم

شريج شريج نابط وشريج الريان وعدة أمكنة يقال لكل واحد شريج كذا قرى من نواحي زبيد باليمن

الشرير موضع في ديار عبد القيس عن نصر

شريش أوله مثل آخره بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت مدينة كبيرة من كورة شذونة وهي قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش

شريط بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وطاء مهملة والشريط حبل يفتل من الخوص جزاء الشريط قرية من أعمال الجزيرة الخضراء بالأندلس ." (١)

" ماء عذب وأرض واسعة كانت بها عين يقال لها النازية بين بني خفاف وبين الأنصار فتضادوا فيها فأفسدوها وهي عين ماؤها عذب كثير وقد قتل بها ناس بذلك السبب كثير وطلبها سلطان البلد مرارا كثيرة بالثمن الوافر فأبوا ذلك

صعد بالضم ثم السكون جمع صعيد وهو التراب موضع في شعر كثير وعدت نحو أيمنها وصدت عن الكثبان من صعد وجال

صعدة بالفتح ثم السكون بلفظ صعدت صعدة واحدة والصعد القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف وبنات صعدة حمر الوحش وصعدة مخلاف باليمن بينه وبيين صنعاء ستون فرسخا وبينه وبين خيوان ستة عشر فرسخا قال الحسن بن محمد المهلبي صعدة مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال وهي خصبة كثيرة الخير وهي في الإقليم الثاني عرضها ست عشرة درجة وارتفاعها وجميع وجوه المال مائة ألف دينار ومنها إلى الأعشبية قرية عامرة خمسة وعشرون ميلا ومنها إلى خيوان أربعة وعشرون ميلا ينسب إليها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم البطال

---

(١) معجم البلدان، ٣/٣٤٠

الصعدي نزل المصيصة وحدث عن علي بن مسلم الهاشمي ومحمد بن عقبة بن علقمة وإسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن حميد الرازي والسماد بن سعيد بن خلف وقدم دمشق حاجا روى عنه محمد بن سليمان الربعي وحمزة ابن محمد الكناني الحافظ وغيرهما روى عنه حبيب ابن الحسن القزاز وغيره

وصعدة عارم موضع آخر فيما أحسب أنشد الفراء في أماليه فحصرمت رحلي فوق وصم كأنه حقاب سما قيدومه وغواربه على عجل من بعد ماوان بعدما بدا أول الجوزاء صفا كواكبه وأقبلته القاع الذي عن شماله سبائن من رمل وكر صواحبه فأصبح قد ألقى نعاما وبركة ومن حائل قسما وما قام طالبه فوافى بخمر سوق صعدة عارم حسوم السرى ما تستطاع مآوبه قال الخمر هي الحسوم فلذلك خفض

وما ازداد إلا سرعة عن منصة ولا امتار زادا غير مدين راكبه و صعدة أيضا ماء جوف العلمين علمي بني سلول قريب من مخمر وهو ماء اليوم في أيدي عمرو ابن كلاب في جوف الضمر و خمير ماء فويقه لبني ربيعة بن عبد الله قاله السكري في شرح قول طهمان اللص طرقت أميمة أينقا ورحالا ومصرعين من الكرى أزوالا وكأنما جفل القطا برحالنا والليل قد تبع النجوم فمالا يتبعن ناجية كأن قتودها كسيت بصعدة نقنقا شوالا وهذا الموضع أرادته كبشة أخشت عمرو بن معدي كرب فيما أحسب بقولها ترثي أخاها عبد الله وتحرض عمرا على الأخذ بثأره وأرسل عبد الله إذ حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي ." (١)

" الحسن بن جميع وأبي عبد الله بن أبي كامل وكان حافظا متقنا خيرا دينا يسرد الصوم ولا يفطر غير العيدين وأيام التشريق وبدقة خطه كان يضرب المثل فإنه يكتب في الثمن البغدادي سبعين سطرا أو ثمانين روى عنه أبو بكر الحافظ الخطيب والقاضي أبو عبد الله الدامغاني وغيرهما وزعم بعض العلماء أنه لما مات الصوري مضى الخطيب واشترى كتبه من بنت له فإن أجمع تصانيف الخطيب منها ما عدا التاريخ فإنه من تصنيف الخطيب قالوا وكان يذاكر بمائتي ألف حديث قال غيث سمعت جماعة يقولون ما رأينا أحفظ منه وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٤٤١

صور بالضم ثم التشديد والفتح كأنه جمع صاور فاعل من الصورة مثل شاهد وشهد وهي قرية على شاطىء الخابور بينها وبين الفدين نحو من أربعة فراسخ كانت بها وقعة للخوارج قال ابن الصفار لو تسأل الأرض الفضاء بأمركم شهد الفدين بهلككم والصور وقد خفف الأخطل الواو من هذا المكان فقال أضحت إلى جانب الحشاك جيفته ورأسه دونه الخابور فالصور ويروى الصور

---

(١) معجم البلدان، ٤٠٦/٣

صور بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه والراء موضع أظنه من أعمال المدينة قال ابن هرمة حوائم في عين النعيم كأنما رأينا بهن العين من وحش صورا

صورة مكان في صدر يلملم من أراضي مكة ذكره في أخبار هذيل وقالت ذبية بنت بيشة الفهمية ترثي قومها قتلوا بهذا الموضع إلا إن يوم الشر يوم بصورة ويوم فناء الدمع لو كان فانيا لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا بجرعة بطن الفيل من كان باكيا قتلتم نجوما لا يحول ضيفهم ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا عماد سمائي أصبحت قد تهدمت فخري سمائي لا أرى لك بانيا

الصور بضم الصاد وفتح الواو جبل قال الأخطل يذكر عمير بن الحباب أمست إلى جانب الحشاك جيفته ورأسه دونه اليحموم والصور

الصور بالفتح ثم السكون قلعة حصينة عجيبة على رأس جبل قرب ماردين بين الجبال من أعمال ماردين رأيتها ولم أر أحكم منها ولها ربض حسن هو سوق عامر

الصورين موضع قرب المدينة قال ابن إسحاق لما توجه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بني قريظة مر بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة

صوعة بالفتح ثم السكون والعين المهملة والصاع المطمئن من الأرض كالصاعة وصوعة المرأة موضع لندف قطنها واسم الموضع الصاعة والصوعة هضبة في شعر ابن مقبل لمن ظعن هبت بليل فأصبحت بصوعة تحدى كالفسيل المكمم تبادر عيناك الدموع كأنما تفيضان من واهي الكلى متخرم ." (١)

" البصرة وهو واد مما يلي سفوان قال يموت بن المزرع أنشدنا محمد بن حميد قال أنشدتني صبية من هذيل بعقيق البصرة ترثي خالها فقالت أسائل عن خالي مذ اليوم راكبا إلى الله أشكو ما تبوح الركائب فلو كان قرنا يا خليلي غلبته ولكنه لم يلف للموت غالب قال يموت رأيت هذه الجارية تغنيها بالعقيق عقيق البصرة ومنها عقيق آخر يدفع سيله في غوري تهامة وإياه عنى فيما أحسب أبو وجزة السعدي بقوله يا صاحبي انظرا هل تؤنسان لنا بين العقيق وأوطاس بأحداج وهو الذي ذكره الشافعي رضي الله عنه فقال لو أهلوا من العقيق كان أحب إلي ومنها عقيق القنان تجري فيه سيول قلل نجد وجباله ومنها عقيق تمرة قرب تبالة وبيشة وقد مر وصفه في زبية وقيل عقيق تمرة هو عقيق اليمامة وقد ذكر وذكر عرام ما حوالي تبالة زبية بتقديم الباء ثم قال وعقيق تمرة لعقيل ومياهها بثور والبئر يشبه الأحساء تجري تحت الحصى مقدار ذراع

---

(١) معجم البلدان، ٣/٤٣٤

وذراعين ,ودون ذلك وربما أثارته الدواب بحوافرها وقال السكري في قول جرير إذا ما جعلت السي بيني وبينها وحرة ليلى والعقيق اليمانيا

العقيق واد لبني كلاب نسبه إلى اليمن لأن أرض هوازن في نجد مما يلي اليمن وأرض غطفان في نجد مما يلي الشام وإياه أيضا عني الفرزدق بقوله ألم تر أني يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيدة ماليا فقلت لها إن البكاء لراحة به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا قفي ودعينا يا هنيد فإنني أرى الركب قد ساموا العقيق اليمانيا وقال أعرابي ألا أيها الركب المحثون عرجوا بأهل العقيق والمنازل من علم فقالوا نعم تلك الطلول كعهدها تلوح وما معنى سؤالك عن علم فقلت بلى إن الفؤاد يهيجه تذكر أوطان الأحبة والخدم وقال أعرابي أيا سروتي وادي العقيق سقيتما حيا غضة الأنفاس طيبة الورد ترويتما مح الثرى وتغلغلت عروقكما تحت الذي في ثرى جعد ولا تهنن ظلا كما إن تباعدت وفي الدار من يرجو ظلالكما بعدي وقال سعيد بن سليمان المساحقي يتشوق عقيق المدينة وهو في بغداد ويذكر غلاما له اسمه زاهر وأنه ابتلي بمحادثته بعد أحبته فقال أرى زاهرا لما رآني مسهدا وأن ليس لي من أهل بغداد زائر أقام يعاطيني الحديث وإننا لمختلفان يوم تبلى السرائر يحدثني مما يجمع عقله أحاديث منها مستقيم وحائر وما كنت أخشى أن أراني راضيا ." (١)

" باب اللام والظاء وما يليهما لظى بالفتح والقصر وهو من أسماء النار وذو لظى اسم موضع في شعر هذيل وقيل لظى منزل من بلاد جهينة في جهة خيبر قال مالك بن خالد الخناعي الهذلي فما ذر قرن الشمس حتى كأنهم بذات اللظى خشب تجر إلى خشب باقيها في ذي دوران وقال أيضا كأنهم حين استدارت رحاهم بذات اللظى أو أدرك القوم لاعب إذا أدركوهم يلحقون سراتهم بضرب كما حد الحصير الشواطب

باب اللام والعين وما يليهما

لعباء بالفتح ثم السكون وباء موحدة وألف ممدودة اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين بحذاء القطيف على سيف البحر فيه حجارة ملس سميت بذلك لأنها لعب فيها كل واد أي سال والنسبة إليها لعباني كالنسبة إلى صنعاء صنعاني وتنسب إليها الكلاب قال مزرد وعالا وعاما حين باعا بأعنز وكلبين لعبانية كالجلامد وقال المهلبي قوله لعبانية يعنى نوقا شبهها في صلابتها بحجارة اللعباء

---

(١) معجم البلدان، ٤/١٤٠

ولعباء أيضا ماء سماء في حزم بني عوال جبل لغطفان في أكناف الحجاز وهناك أيضا السد وهو ماء سماء قال كثير فأصبحن باللعباء يرمين بالحصى مدى كل وحشي لهن ومستمي وقالت مية بنت عتيبة ترثي أباها وهي أم البنين وقتل يوم خو قتلته بنو أسد تروحنا من اللعباء عصرا وأعجلنا إلاهة أن تؤوبا على مثل ابن مية فانعياه يشق نواعم الشعر الجيوبا وكان أبي عتيبة شمريا ولا تلقاه يدخر النصيبا ضروبا باليدين إذا اشمعلت عوان الحرب لا روعا هيوبا وقيل اللعباء أرض غليظة بأعلى الحمى لبني زنباع من عبد بن أبي بكر بن كلاب قال أبو زياد وإياها عني حميد بن ثور الهلالي بقوله إلى النير فاللعباء حتى تبدلت مكان رواغيها الصريف المسدما

لعبا بالضم ثم السكون والباء موحدة فعلى من اللعب مقصور هو موضع في ديار عبد القيس بين عمان والبحرين عن الحازمي

لعس بالفتح ثم السكون وآخره سين مهملة وهو العض في اللغة اسم موضع

لعلع بالفتح ثم السكون واللعلع في لغتهم السراب ولعلع جبل كانت به وقعة لهم قال أبو نصر لعلع ماء في البادية وقد وردته وقيل لعلع منزل بين البصرة والكوفة وقال العزيزي من البصرة إلى عين جمل ثلاثون ميلا وإلى عين صيد ثلاثون ميلا وإلى الأخاديد ثلاثون ميلا وإلى أقر ثلاثون ميلا وإلى سلمان عشرون ميلا وإلى لعلع عشرون ميلا وقال المسيب بن علس الضبعي ." (١)

" وأبرهم برا وأع لمهم بفضل الصالحينا أبقت لنا الأيام وال حرب المهمة يعترينا كبشا له زر يف ل متونها الذكر السنينا ومعاقلا شما وأس يافا يقمن وينحنينا ومحلة زوراء تج حف بالرجال الظالمينا ولعنت اليهود مالك بن العجلان في كنائسهم وبيوت عبادتهم فبلغه ذلك فقال تحايا اليهود بتلعانها تحايا الحمير بأبوالها وماذا علي بأن يغضبوا وتأتي المنايا بأذلالها وقالت سارة القرظية ترثي من قتل من قومها بأهلي رمة لم تغن شيئا بذي حرض تعفيها الرياح كهول من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجية والرماح ولو أذنوا بأمرهم لحالت هنالك دونهم حرب رداح ثم انصرف أبو جبيلة راجعا إلى الشام وقد ذلل الحجاز والمدينة للأوس والخزرج فعندها تفرقوا في عالية المدينة وسافلتها فكان منهم من جاء إلى القرى العامرة فأقام مع أهلها قاهرا لهم ومنهم من جاء إلى عفا من الأرض لا ساكن فيه فبنى فيه ونزل ثم اتخذوا بعد ذلك القصور والأموال والآطام فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة مهاجرا أقطع الناس الدور والرباع فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخر المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحصن المعروف به وجعل لعبد

---

(١) معجم البلدان، ١٨/٥

الله وعتبة ابني مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد وأقطع الزبير بن العوام بقيعا واسعا وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره ولأبي بكر رضي الله عنه موضع داره عند المسجد وأقطع كل واحد من عثمان بن عفان وخالد بن الوليد والمقداد وعبيد والطفيل وغيرهم مواضع دورهم فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقطع أصحابه هذه القطائع فما كان في عفا من الأرض فإنه أقطعهم إياه وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان فوهب له ذلك وأقطعه وأما مسجد النبي صلى الله عليه و سلم فقال ابن عمر كان بناء المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وسقفه جريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئا فزاد فيه عمر وبناه على ما كان من بنائه ثم غيره عثمان وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه ساجا وزاد فيه

وكان لما بناه رسول الله صلى الله عليه و سلم جعل له بابين شارعين باب عائشة والباب الذي يقال له باب عاتكة وبابا في مؤخر المسجد يقال له باب مليكة وبنى بيوتا إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل وكان طول المسجد مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع فلما ولي عمر بن عبد العزيز زاد في القبلة من موضع المقصورة اليوم وكان بين المنبر وبين الجدار في عهد النبي صلى الله عليه و سلم قدر ما تمر الشاة وكان طول المسجد في عهد عمر ." (١)

" الهذلي يخاطب تأبط شرا رميت بثابت من ذي نمار وأردف صاحبين له سواه وفيه قتل تأبط شرا فقالت أمه ترثيه فتى فهم جميعا غادروه مقيما بالحريضة من نمار وهو أيضا موضع بشق اليمامة قال الأعشى قالوا نمار فبطن الخال جادهما فالعسجدية فالابلاء فالرجل وقال الحفصي نمار واد لبني جشم بن الحارث وبنمار عارض يقال له المكرعة وأنشد وما ملك بأغزر منك سيبا ولا واد بأنزه من نمار حللت به فأشرق جانباه وعاد الليل فيه كالنهار

النمار بالكسر وهو اختلاف اللونين وجاء كل في الحديث فجاءه قوم مجتابي النمار قالوا النمار شملة مخططة أو بردة مخططة واحدتها نمرة وهو من جبال بني سليم قال بعضهم فلم يكن النمار لنا محلا وما كنا لنعم شيقينا أي مشتاقين

---

(١) معجم البلدان، ٨٦/٥

النمارق موضع قرب الكوفة من أرض العراق نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق فقال المثنى بن حارثة الشيباني غلبنا على خفان بيدا مشيحة إلى النخلات السمر فوق النمارق وإنا لنرجو أن تجول خيولنا بشاطي الفرات بالسيوف البوارق

النمارة بالضم وآخره هاء وهو من الذي قبله موضع كان فيه وقعة لهم قال النابغة وما رأيتك إلا نظرة عرضت يوم النمارة والمأمور مأمور

نمذاباذ بفتح أوله وثانيه وذال معجمة وبعد الألف باء موحدة وألف وذال معناه عمارة نمذ من أعمال نيسابور

نمذيان بفتح أوله وثانيه وذال معجمة ساكنة وياء وألف ونون كأنه جمع نمذ بالفارسية من قرى بلخ

نمر بالفتح ثم الكسر وراء بلفظ النمر من السباع والمراد اختلاف ألوانه وذو نمر واد بنجد في ديار بني كلاب

نمر بالضم والسكون جمع نمر وهي مواضع في ديار هذيل قال أمية بن أبي عائذ الهذلي فضهاء أظلم فالنطوف فصائف فالنمر فالبرقات فالأنحاص أنحاص مسرعة التي جازت إلى هضب الصفا المتزحلف الدلاص

النمرانية قرية بالغوطة من ناحية الوادي كان معاوية بن أبي سفيان أقطعها نمران بن يزيد بن عبيد المذحجي حكى عن أبيه حكى عنه ابنه عبد الله بن نمران وابنه يزيد بن نمران خرج مع مروان بن الحكم لقتال الضحاك بن قيس الفهري بمرج راهط

نمرة بفتح أوله وكسر ثانيه أنثى النمر ناحية بعرفة نزل بها النبي صلى الله عليه و سلم وقال عبد الله بن أقرم رأيته بالقاع من نمرة وقيل الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على أحد عشر ميلا وقيل نمرة الجبل الذي عليه ." (١)

"حدثني أحمد بن عيسى، قال: حدثنا الحسن بن نصر، قال: حدثنا زيد بن المعذل، عن يحيى بن شعيب، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج، عن الأسود والكندي والأجلخ قالا: توفي أمير المؤمنين علي – عليه السلام – وهو ابن أربع وستين سنة، سنة أربعين في ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، وولي غسله ابنه الحسن بن علي وعبد الله بن العباس، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص. وصلى عليه ابنه الحسن وكبر خمس تكبيرات، ودفن في الرحبة مما يلي أبواب كندة عند صلاة

---

(١) معجم البلدان، ٣٠٤/٥

الصبح.

ودعا الحسن بعد دفنه بابن ملجم – لعنه الله – فأتى به فأمر بضرب عنقه، فقال له: إن رأيت أن تأخذ على العهود أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله وإلا قتلته ثم أعود إليك. تحكم في بحكمك، فقال له الحسن: هيهات. والله لا تشرب الماء البارد أو تلحق روحك بالنار، ثم ضرب عنقه فاستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه فوهبها لها فأحرقتها بالنار.

حدثني أحمد بن سعيد، قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي، قال: حدثنا يعقوب بن زيد، قال: حدثني ابن أبي عمير، عن الحسن بن علي الخلال، عن جده، قال: قلت للحسن بن علي: أين دفنتم أمير المؤمنين؟ قال: خرجنا به ليلا من منزله حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرى.

حدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، قال: حدثنا إسماعيل بن راشد بإسناده، قال: لما أتى عائشة نعى علي أمير المؤمنين – عليه السلام – تمثلت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالأياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائبا فلقد بغاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني، قال: ثم تمثلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... باسم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم ... في كل مجتمع طنين ذباب

قال: وكان الذي جاءها بنعيه سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس بن أبي وقاص هذا أو نحوه. حدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا أحمد بن حازم، قال: حدثنا عاصم بن عامر، وعثمان بن أبي شيبة، قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، قال: لما أن جاء عائشة قتل علي عليه السلام سجدت. قال أبو مخنف: وقالت أم الهيثم بنت الأسود النخعية ترثي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – :

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا

رزئنا خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا

وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا

يقيم الدين لا يرتاب فيه ... ويقضي بالفرائض مستبينا

ويدعوا للجماعة من عصاه ... وينهك قطع أيدي السارقينا

وليس بكاتم علما لديه ... ولم يخلق من المتجبرينا

لعمر أبي لقد أصحاب مصر ... على طول الصحابة أوجعونا

وغرونا بأنهم عكوف ... وليس كذاك فعل العاكفينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا

ومن بعد النبي فخير نفس ... أبو حسن وخير الصالحينا

كأن الناس إذ فقدوا عليا ... نعام جال في بلد سنينا

ولو أنا سئلنا المال فيه ... بذلنا المال فيه والبنينا

أشاب ذؤابتي وأطال حزني ... أمامة حين فارقت القرينا

تطوف بها لحاجتها إليه ... فلما استيأست رفعت رنينا

وعبرة أم كلثوم إليها ... تجاوبها وقد رأت اليقينا

فلا تشمت معاوية بن صخر ... فإن بقية الخلفاء فينا

وأجمعنا الإمارة عن تراض ... إلى ابن نبينا وإلى أخينا

ولا نعطي زمام الأمر فينا ... سواه الدهر آخر ما بقينا." (١)

"ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر، في أعاريض مزدوجة موشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا و سموه عروض البلد، و كان أول من حدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير. فنظم قطعة بطريقة الموشح و لم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلا مطلعها:

اني بشاطي النهر نوح الحمام على الغصن في البستان قريب الصباح

السحر يمحو مداد الظلام و ماء الندى يجري بثغر الاقاح

جرت الرياض و الطل فيها افتراق كثير الجواهر في نحور الجوار

مع النواعير ينهرق انهراق يحاكي ثعابين حلقت بالثمار

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص/١١

بالغصون خلخال على كل ساق و دار الجميع بالروض دور السوار
الندى تخرق جيوب الكمام و يحمل نسيم المسك عنها رياح
الصبا يطلى بمسك الغمام و جر النسيم ذيلو عليها و فاح
و يطير الحمام بين الورق في القضيب قد ابتلت ارياشو بقطر الندى
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب قد التف من توبو الجديد في ردا
و لكن بما أحمر و ساقو خضيب ينظم سلوك جوهر و يتقلدا
جلس بين الأغصان جلسة المستهام جناحا توسد و التوى في جناح
و صار يشتكي ما في الفؤاد من غرام منها ضم منقاره لصدره و صاح
قلت يا حمام احرمت عيني الهجوع أراك ما تزال تبكي بدمع سفوح
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح
على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع ألفت البكا و الحزن من عهد نوح
كذا هو الوفا و كذا هو الزمام انظر جفون صارت بحال الجراح
و أنتم من بكى منكم إذا تم عام يقول عناني ذا البكا و النواح
قلت يا حمام لو خضت بحر الضنى كنت تبكي و ترثي لي بدمع هتون
و لو كان بقلبك ما بقلبي أنا ما كان يصير تحتك فروع الغصون
اليوم نقاسي الهجر كم من سنا حتى لا سبيل جمله تراني العيون
و مما كسا جسمي النحول و السقام أخفاني نحولي عن عيون اللواح
لو جتنى المنايا كان يموت في المقام و من مات بعد يا قوم لقد استراح
قال لي لو رقدت ل اوراق الرياض من خوفي عليه ودا النفوس للفؤاد." (١)

"حدثنا الزبير قال، وحدثني محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي قال، حدثني المنذر بن عبد الله، عن عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير: أن حكيم بن حزام اتى به مع أبي سفيان وبديل بن ورقاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الفتح، فأسلم حكيم، وصنع أعضاء بطبيخ بني أسد، ثم جمع بني أسد جميعا فأطعمهم. فلما فرغوا قال: كيف تعلمونني لكم؟ قالوا: برا واصلا. قال: فعزمت عليكم أن يبيت الليلة منكم بمكة أحد. قال: فلما أمسوا شدوا رحالهم ثم توجهوا إلى المدينة حتى حلوا بها. فهاجرت

(١) مقدمة ابن خلدون، ٢/٣٦٩

بنو أسد إلا بني زهير ابن الحارث بن أسد، كانت لهم دار مصقبة بالبينية، فرجعوا إليها.

وأم حكيم بن حزام: فاختة بنت زهير بن الحارث.

حدثنا الزبير قال، وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال، حدثني لاضحاك بن عثمان الحزامي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن حكيم بن حزام قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إني أعتقت في الجاهلية مئة رقبة، وحملت على مئة بعير، تحنثت بها، وأعتقت في الإسلام مئة رقبة، وحملت على مئة بعير، فهل ترى لي في ذلك أجرا يا رسول الله؟ يعني ما فعل من ذلك في الجاهلية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلمت على ما مضى لك.

حدثنا الزبير قال، وحدثني يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري عن عبد العزيز بن عمران، عن عثمان بن الضحاك قال: قال حكيم بن حزام لعمرو بن الزبير: أي بني، غني والله ما رأيت قوما أصابوا رفعة حتى يصيبوها في مناكحهم، ولا أصابتهم من وضيعة حتى تصيبهم في مناكحهم.

حدثنا الزبير قال، وأخبرني مصعب بن عثمان قال: سمعت المشيخة يقولون: لم يدخل دار الندوة للرأي أحد حتى يبلغ أربعين سنة، إلا حكيم بن حزام، فإنه دخلها للرأي وهو ابن خمس عشرة سنة.

وهو أحد النفر الذين حملوا عثمان بن عفان رحمه الله ودفنوه ليلا.

وكان حكيم بن حزام آدم شديد الأدمة، خفيف اللحم.

ولد قبل الفيل باثنتي عشرة سنة.

حدثنا الزبير قال، وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن سفيان بن حمزة الأسلمي قال، حدثني كثير بن زيد مولى الأسلميين، عن عثمان بن سليمان ابن أبي حثمة قال: كبر حكيم بن حزام حتى ذهب بصره، ثم أشتكى فاشتد وجعه، فقلت: والله لأحضرنه اليوم فلأنظرن ما يتكلم به عند الموت. فإذا هو يهمهم، فأصغيت ليه، فإذا هو يقول: لا إله إلا أنت أحبك وأخشاك.

فلم تزل كلمته حتى مات.

ومن

ولد حكيم بن حزام

هشام بن حكيم، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه من بني فراس بن غنم. وكان له فضل، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وكان عمر بن الخطاب رحمه الله إذا أنكر الشيء قال: لا يكون هذا ما عشت أنا وهشام بن حكيم.

ومات هشام قبل أبيه.

ومن ولد حكيم بن حزام:

عبد الله بن حكيم، قتل يوم الجمل.

وأمه: زينب بنت العوام بن خويلد. فقالت أمه زينب **ترثيه**:

أعيني جودا بالدموع وأسرعا ... على رجل طلق اليدين كريم

زبيرا وعبد الله ندعو لحادث ... وذي خلة منا وحمل يتيم

قتلتم حواري النبي وصهره ... وصاحبه فاستبشروا بجحيم

وقد هدني قتل ابن عفان قبله ... وجادت عليه عبرتي بسجوم

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا ... فكيف نصلي بعده ونصوم

فكيف بنا أم كيف بالدين بعدما ... أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

وعطشتم عثمان في جوف داره ... شربتم بشرب الهيم شوب حميم

وورث حكيما ابن ابنه: عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام.

وأم عثمان بن عبد الله بن حكيم: سارة بنت الضحاك بن سفيان ابن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب.

والضحاك بن سفيان، الذي شهد عند عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته، وكان أشيم قتل خطأ، فقضى بذلك عمر بن الخطاب.

وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية استعمله عليهم، فيهم عباس بن مرداس، فقال عباس:." (١)

"وعدي بن نوفل بت أسد وأمه: أمية بنت جابر بن سفيان، أخت تأبط شرا الفهمي.

قالت أم تأبط شرا **ترثيه**:

وأأبتاه وابن الليل

ليس بزميل

شروب للقيل

يضرب بالذيل

كمقرب الخيل

واإبناه ليس بعلفوف

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص/٨٣

حشى من صوف

تلفه هوف

قال الزبير: العلفوف، الجافي. هوف، الريح.

وقالت:

ويل أم طرف قتلوا برخمان ... بثابت بن جابر بن سفيان

قال الزبير: وادر عدي بن نوفل بالبلاط، بين المسجد والسوق، وهي التي يعني إسماعيل بن يسار النساء حين يقول:

إن ممشاك نحو دار عدي ... كان للقلب شقوة وفتونا

إذ تراءت على البلاط فلما ... واجهتنا كالشمس تعشى العيونا

قال هارون: قف، فياليت أني ... كنت طاوعت ساعة هارونا

وقد رواها ناس لابن أبي ربيعة.

وكان عدي بن نوفل واليا لعمر بن الخطاب، أو عثمان، على حضر موت.

وكانت تحته أم عبد الله بنت أبي البختري بن هاشم بن الحارث ابن أسد بن عبد العزي. وكان يكتب إليها تشخص إليه فلا تفعل، فكتب إليها:

إذا ما أم عبد الله لم تحلل بواديه

ولم تمس قريبا هيج الحزن دواعيه

فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري، وهو وهي لعاتكة ابنة أمية ابن الحارث بن أسد بن عبد العزي: وقد بلغ الأمر هذا من ابن عمك؟ اشخصي إليه.

وبقية ولد نوفل، من ولد الحصين بن عبيد الله بن نوفل بن عدي ابن نوفل بن أسد.

ومنهم: محمد بن المطلب. كان الجلودي استخلفه على مكة.

ولد الحويرث بن أسد بن عبد العزى

عثمان بن الحويرث، يقال له: البطريق، ولا عقب له والمطلب وأمهما: تماضر ابنة عمير بن أهيب بن حذافة بن جمح.

حدثنا الزبير قال، حدثني علي بن صالح، عن هشام بن عروة، عن عروة بن الزبير قال: خرج عثمان بن الحويرث، وكان يطمع أن يملك قريشا، وكان من أظرف قريش وأعقلها، حتى يقدم على قيصر، وقد رأى

موضع حاجتهم إليه، ومتجرهم ببلاده. فذكر له مكة ورغبة فيها، وقال: تكون زيادة في ملكك كما ملك كسرى صنعاء. فملكة عليهم، وكتب له إليهم. فلما قدم عليهم قال: يا قومن إن قيصر من قد علمتم أمانكم ببلاده، وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكني عليكم، وإنما أنا ابن عمكم وأحدكم، وإنما آخذ الجراب من القرظ، والعكة من السمن، والإهاب، فأجمع ذلك ثم أبعثه إليه، وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشأم فلا تتجروا به، ويقطع مرفقكم منه.

فلما قال لهم ذلك خافوا قيصر، وأخذ بقلوبهم ما ذكر من متجرهم، فأجمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاج عشية، وفارقوه على ذلك. فلما طافوا عشية، بعث الله عليه ابن عمه أبا زمعة الأسود بن المطلب بن أسد، فصاح على أحفل ما كانت قريش في الطواف: يآل عباد الله، ملك بتهامة!! فانحاشوا انحياش حمر الوحش، ثم قالوا: صدق واللات والعزى، ما كان بتهامة ملك قط. فانتقضت قريش عما كانت قالت له، ولحق بقيصر ليعلمه.

حدثنا الزبير قال، وحدثني علي بن صالح، عن عامر بن صالح ابن عبد الله بن عروة بن الزبير، عن جعفر بن عبد الله بن عثمان بن عبيد الله ابن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد: أن قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرج عليه الذهب، حين ملكه.." (١)

"وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف توجهت معه إلى الحجاز، وكانت هذه المرة له المرة الثالثة، ورأيت منه في السفر ما يدل على سمو درجته، وكان له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية، وأبحاث علمية، وأبحاث شريفة سنية، وكانوا يشهدون له بالفضل.

ولو أردت أن أذكر في هذه الكتابة ما حواه من الشمائل وما لديه، لأفضى الأمر إلى قصر هذا الكتاب عليه، ولكن ما لا يذكر كله، لا يترك كله. وفي ثاني وعشرين من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف مرض في داء ذات الجنب، وفي ليلة رمضان سأل عن إثبات الشهر، فأخبرناه بإثباته فشرب في السحر ونوى، وأصبح يعالج سكرات الموت، فوضع له بعض عياله نقطة ماء في فمه، ففتح عينيه ومسح فمه، وأمرهن بالإشارة بعدم العود لمثل ذلك. ومات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف، وكان آخر كلامه من الدنيا الذكر، وكان نزوله لرمسه مع قول المؤذن للمغرب الله أكبر، وقد حضر مشهد جنازته جمع عظيم، وعدد جسيم، وما ترى منهم إلا من دموعه ساكبة، وأحزانه متفاقمة دائبة، وأسفه متزايد، وزفيره متصاعد، وذلك كما تقدم في غرة رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف، ودفن رضي الله عنه في تربة باب الله

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ص/٩٠

بجانب قبر سيدنا تقي الدين الحصني من جهة الشمال، وقبره ظاهر مشهور يزار، ولقد رثاه حفيده ابن أخي الأديب الأريب الشيخ محمد بهاء الدين البيطار:

ما قر قلبي من نواك ولا سكن ... كلا ولا عمري أميل إلى سكن

غادرت لي مر الصبابة والأسى ... وسلبتني حلو المسرة والوسن

أسري وأبكي في المعاهد شاكيا ... وجدي فترثي لي الحمامة في الفنن

والوعتي ما للحمام بدافع ... حكم الذي علم السرائر والعلن

يا وحشة للشام مذ بان الذي ... فاق الأفاضل بالمعارف والفطن

بحر تفجر من عيون بنانه ... عذب البيان مسلسلا من كل فن

إن لم يكن أهلا لكل فضيلة ... ولملتج إن لم يكن غوثا فمن

لله طلعة وجهه إذ طابقت ... ءاسم له فلذاك يدعى بالحسن

سار المنون به ليسعد رمسه ... بمطالع الأنوار من شمس الزمن

بالله يا نعش الحبيب تمهلا ... أو ما علمت البدر غيب في الكفن

قسما بغر خصاله لفراقه ... حن المصلي بعده وشكا وأن

والصحف تندبه لفقد جواهر ... كانت بها من قبل غالية الثمن

والدهر قمص من برود مصابه ... ثوبا له حاكته ناسجة المحن

صبرا لئن ظعن الحبيب فذكره ... فينا بحسن الوصف دوما قد قطن

لما دعته الحور تخطبه لها ... كفوا كريما مال عن دار الحزن

وافاه شهر الصوم ليلة نزعه ... فنوى وأمسك صائما وفق السنن

وبيومه عند الغروب مغيبه ... في اللحد يرجو رحمة من ذي المنن

حيا ضريحا ضمه وسقى ثرا ... ه العنبري النشر وسمي الهتن

وأصابه الإحسان ما صب صبا ... لنسيم نجد ذاكرا عهد الأغن

وحباه صفو الأنس ما عام اللقا ... تاريخه روض الجنان له الوطن

وكثير من الناس من رثاه، وذكر بعضا من صفاته وحلاه، ويكفي ما قد ذكرناه، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه. ولقد تشبهت بمن رثاه، ورثيته وإن كنت عاجزا عن معرفة قدره وعلاه، فقلت، وعلى الله اعتمدت، وبحبله المتين اعتصمت.

غاب بدر العلوم تحت التراب ... وتوارت شمس العلا في الحجاب

ونعاه الناعون من كل فج ... مات قطب الشآم عالي الجناب

قل لمغتر بالحياة تنبه ... لرحيل فالعمر لمع سراب

لو حياة دامت لصاحب قدر ... لاستدامت لصفوة الأحباب

إن في ذا للعالمين لذكرى ... يتحلى بها ذوو الألباب

خل خل الملام وارث لحالي ... قد دهاني ما لم يكن في حسابي

مات روحي ووالدي وعياذي ... وملاذي وسيدي ومهابي." (١)

"فقام جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أمير المؤمنين! لا عد منا الله قربك، ولا أرانا فراقك، فنعم الأدب أدبك، ونعم الإمام والله أنت أنا لهؤلاء القوم فسرحني إليهم! قال: تجهز، فإنك ما علمتك رجل في الشدة والرخاء، المبارك الميمون النقيبة، ثم قام وهب بن مسعود الخثعمي فقال: أنا انتدب يا أمير المؤمنين قال: انتدب، بارك الله عليك، فخرج جارية في ألفين ووهب ابن مسعود في ألفين، وأمرهما على أن يطلبا بسرا حيث كان حتى يلحقاه، فإذا اجتمعا فراس الناس جارية، فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة، حتى التقيا بأرض الحجاز، ونفذ بسر من الطائف، حتى قدم اليمن، وقد تنحى عبيد الله بن عباس عن اليمن، واستخلف بها عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بسر فقتله، وقتل ابنه مالك بن عبد الله، وقد كان عبيد الله خلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند جويرية ابنة قارظ الكنانية، وهي أمهما، وخلف معها رجلا من كنانة، فلما انتهى بسر إليها دعا ابني عبيد الله ليقتلهما، فقام الكناني فانتضى سيفه وقال: والله لأقتلن دونهما فألآقي عذرا لي عند الله والناس، فضارب بسيفه حتى قتل، وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن: يا بسر! هذا، الرجال يقتلون، فما بال الولدان، والله ما كانت الجاهلية تقتلهم، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء، فقال بسر: والله لقد هممت أن أضع فيكن السيف، وقدم الطفلين فذبحهما، فقالت أمهما ترثيهما:

ها من أحس بنيي اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من أحس بنيي اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

ها من أحس بنيي اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ١/٢٢١

أنحى على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة وكذاك الأمر مقترف
من دل وإلهه خرى وثاكلة ... على صبيين ضلا إذ غدا السلف

ثم جمع بسر أهل نجران فقال: يا إخوان النصارى! أما والذي لا إله غيره لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم ثم سار نحو جيشان، وهم شيعة لعلي، فقاتلهم، فهزمهم، وقتل فيهم قتلا ذريعا، ثم رجع إلى صنعاء. وسار جارية بن قدامة السعدي حتى أتى نجران وطلب بسرا، فهرب منه في الأرض، ولم يقم له، وقتل من أصحابه خلقا، واتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكة، ومر بسر حتى دخل الحجاز لا يلوي على شيء، فأخذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة، فقالوا: قد هلك علي فلمن نبايع؟ قال: لمن بايع له أصحاب علي بعده، فتثاقلوا، فقال: والله لتبايعن ولو بأستاهكم، فبايعوا ودخل المدينة، وقد اصطلحوا على أبي هريرة فصلى بهم ففر منه أبو هريرة، فقال جارية: يا أهل المدينة بايعوا للحسن بن علي! فبايعوا، ثم خرج يريد الكوفة فرد أهل المدينة أبا هريرة.

قال غياث عن فطر بن خليفة: حدثني أبو خالد الوالبي قال: قرأت عهد علي لجارية بن قدامة: أوصيك يا جارية بتقوى الله، فإنها جموع الخير، وسر على عون الله، فالق عدوك الذي وجهتك له، ولا تقاتل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة، وإن مشيت ومشى أصحابك، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسلما ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه، ولا تظلمن معاهدا، ولا معاهدة، واذكر الله، ولا تفتر ليلا ولا نهارا، واحملوا رجالتكم، وتواسوا في ذات أيديكم، وأجدد السير، وأجل العدو من حيث كان، واقتله مقبلا، واردده بغيظه صاغرا، وأسفك الدم في الحق، وأحقنه في الحق، ومن تاب فاقبل توبته، وإخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق، فلا رأي لكذوب قال وحدث أبو الكنود أن جارية مر في طلب بسر فما كان يلتفت إلى مدينة ولا يعرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران، فقتل من قتل وهرب منه بسر، وحرق تحريقا، فسمي محرقا.." (١)

" وفي ذلك اليوم مات أبو عبيدة عبد الوارث بن سعيد . وفيها مات ابن أبي الزناد . والمنكدر بن محمد بن المنكدر . وابن أبي حازم . وسلمة بن صالح . وسليم بن أخضر . وفيها قتل يزيد بن مزيد الوليد بن طريف الشاري بأرض الجزيرة . وكان خرج الوليد بن طريف أحد بني حيي بن عمرو ويقال لهم : أضراس الكلاب من بني تغلب فخرج في شاطئ الفرات فيها ثلاثين وأقبل إلى رأس العين فلقي رجلا من أهل البصرة

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ص/١٨٧

يقال له : عمرو بن منصور من التجار ومعه رجل نصراني يقال له : نسطاس فلقيهما قريبا من رأس العين فقتل عمرو بن منصور وأخذ ماله وخلى عن النصراني ثم أتى رأس العين فحرق ولم يدخل الحائط ثم أتى باعربايا من نصيبين فلقي بزارا رجلا من بني تغلب عند تل أبي الجوزاء فانهزم بزار وقتل رجالا من أصحابه وأتى بزار نصيبين ثم أتى الوليد دارا فباعها بعشرين ألفا وأتى آمدا فباعها من عصمة بن عاصم وأهل بيته بعشرين ألفا . ثم أتى ميافارقين ففدوها بعشرين ألفا ثم عبر سربط واديا يجيء من أرمينية فعبره إلى أرزن فأقام بها ففدوها بعشرين ألفا وقتل رجلا من وجوه أهلها من بني شيبان يقال له : مرة ثم أتى خلاط فحاصرهم عشرين يوما ففدوا أنفسهم بثلاثين ألفا ثم أخذ إلى أذربيجان ثم أتى حلوان فلقي بها الخرسي يحيى فهزمه وقتل أصحابه ثم أتى جولايا ثم أتى السودقانية فعبر إلى غربي دجلة فأتى بلد ففدوها بمائة ألف ثم أتى نصيبين وبها إبراهيم بن خازم وبزار في بني تغلب فأقبل الوليد فوقف على التل حيال باب الروم فدخل في ثلمة من حائط المدينة أغفلوها فخرج إبراهيم بن خازم وبزار من باب الروم فاتبعهم الوليد فلحق إبراهيم يوم الأربعاء في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائة فقتل إبراهيم وبزار قتله رجل أسود يقال له : أبو الحواري فغسلوا رأسه ولحيته ونصبوه على رمح يومين ثم بعثوا به على البرية . وارتجز الأعراب :

إن عديا عبدها أخزاها ... قد سفك الله به دماها

وخرب العامر من قراها

وأباح الوليد نصيبين خمسة أيام فقتل بها خمسة آلف وأصاب متعا كثيرا ودواب وأخذ المعافى بن صفوان وكان صديقا لبزار فقتله فأتاه جعفر بن عبد الله بن هاشم التغلبي فاشترى منه المدينة بخمسين ألفا

ثم توجه إليه يزيد بن مزيد فقتله بالبرية . وقال رجل من أصحاب يزيد بن مزيد :

بلينا حفاظا والمنايا مطلة ... حذار المخاري والوليد مخوف

ستعلم يا خاقان إن عاد موقف ... وحانت زحوف خلفهن زحوف

من المصطلي حر السيوف إذا بدت ... كواكب يوم شمسهن كسوف

وقال يزيد بن مزيد :

تجهز يا وليد فقد أتينا ... سراعا للقاء وللجلاد

فلست لمزيد إن لم ترونا ... نجالدكم كأنا جن وادي

فقال الوليد :

ستعلم يا يزيد إذا التقينا ... بشط الزاب أي فتى تلاقي

وقال ابن النطاح :

وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد إلا الحديد

وقالت أخت الوليد ترثيه :

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يريد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوف

وخرج باسير رجل من بني تميم فمكث شهرين فقتله أبو هريرة وخرج صحصح الشيباني فقتله بزار وداود بن إسماعيل . وخرج الفضيل بن أبي سعيد من راذان وكان يتولى بني شيبان فخرج في عشرين فارسا فأتى بلد فصالحوه على مائة ألف ملة يقتل أحدا ثم أتى بانعمان دون نصيبين بخمسة فراسخ فقتل بها اثني عشر رجلا من تغلب ثم أتى نصيبين وهو على خمسة مائة فوقف بالباب ودخل أصحابه فأخرجوا عليه الناس من باب الروم فقال : بيعوهم وأعطاهم بهم درهمين فلم يرد عليه أحد فرمى إليهم بدرهمين ودرهم إلى المدينة ثم أتى دارا فصالحهم على خمسة آلاف ثم أتى آمد فصالحهم على عشرين ألفا وعبر على ميافارقين فصالحهم على عشرة آلف ثم أتى أرزن فأقام عشرين ليلة فصالحهم على عشرين ألفا ثم أتى خلاط فأقام أياما ثم رجع على نصيبين في مائتين ." (١)

"" يفتاح " هذا قتل ملك بني عمون وهم بنو لوط. وكان قد نذر على نفسه أنه إن ظفر بالعدو وكر منتصرا أول من لمح من ذوي قرابته قربه لله تعالى قربانا. فلما انتصر وعاد دانيا من منزله أقبلت عليه ابنته العذراء تهنئه بالنصر. فقال لها: كبا كببتني لوجهي يا ابنتي وأنا اليوم اكبيت على وجهي بك. فعلمت ما به واستمهلته شهرا أن تنوح على بكارتها مع أقرانها وترثي على روحها دائرة في الصحاري. فأذن لها في ذلك. وعند تمام المدة ضحى بها ضحية بموجب ذره المكروه. وكان مدة ولايته ست سنين. ومن جعلها أربع وعشرين سنة فإنه يضيف إليها ثماني عشرة سنة التي لولاية العمونيين.

" ابيصان " من أهل بيت لحم حكم سبع سنين وجماعة من المؤرخين لم يتعرضوا لذكر هذا الاسم.

" الون " من سبط زبولون ساس الأمة عشر سنين. وهو غير مذكور في نقل السبعين.

" ابدون بن هليان " حكم ثماني سنين وفي زمانه فارق قوم من ولد عيسو ابن اسحق بن إبراهيم بني إسرائيل وساروا إلى أرض الافرنجة نازلين في بيوت شعر ثم حصلوا تحت يد ملك يسمى لاطين وبعده ملكهم

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص/١٣٤

رومالوس الملك الذي بنى مدينة رومية فسمى سكانها روما ولاطينيين.
" الفلسطينيون " ثم تغلب أهل فلسطين على بني إسرائيل على رأي انيانوس الراهب الإسكندري أربعين سنة. وعلى رأي اندرونيقوس عشرين سنة. وأما اوسابيوس فلم يثبت في الخرونيقون شيئا من هذه السنين.
" شمشون الجبار المتقشف " حكم عشرين سنة وقهر الفلسطينيين وكان له قوة عجيبة في البطش.
" مشايخ الأمة " حكموا عشرين سنة. وعلى رأي اندرونيقوس عشر سنين. وعلى رأي إفريقيانوس أربعين سنة. هؤلاء هادنوا الأمم التي حواليهم فلم ينصبوا قائد جيش وكان لهم عنه غنى.
" عالي الكاهن " حكم على الرأي السبعيني عشرين سنة وعلى رأي اليهود أربعين سنة.
" شموايل النبي " نذره أبوه لله وهو ابن سنتين فلما ترعرع أتاه الوحي وخدم علی الكاهن في هيكل الرب من سن الطفولة إلى أن توفي عالي الكاهن فولي هو أمر بني إسرائيل عشرين سنة.

الدولة الثالثة

المنتقلة من قضاة بني إسرائيل إلى ملوكهم

لما بلغ شموايل النبي من العمر سبعا وسبعين سنة قال له بنو إسرائيل: انصب لنا ملكا منا كسائر الأمم. فعلم الله بذلك فأوحى إليه قائلا: إن بني إسرائيل لم يعصوك أنت لكن إياي عصوا فأخبرهم إني إن نصبت لهم ملكا استعبدهم وجعل عليهم رؤوس ألوف ومئين ويحرثوا حرثه ويحصدوا حصاده ويعملوا أدوات قتاله ومراكبه. ويتسخر بناتهم كساحات وطحانات وخبازات ويختلس مزارعهم وكرومهم ويعطيها لعبيده ويعشر أموالهم وأغنامهم ودوابهم فيستغيثون منه إلي فلا أجيبهم يومئذ. فأعلمهم شموايل بجميع ذلك فلم يقبلوا منه ولكن ألحوا عليه قائلين: لا بد لنا من ملك يسوسنا. فقال الله: سوف أملك عليهم ملكا.
" شاول " من سبط بنيامين وتسميه العرب طالوت كان شابا لم يكن في بني إسرائيل أتم منه خلقة.." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٢٤ """"""""

الشورى ، وتوفي وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة ، وقيل : ستون . وقيل : إحدى وستون ، وقيل : ست وستون ، وقيل : خمس وستون ، وقيل : خمس وخمسون ، ونزل قبره عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص ، وقيل : صهيب وابنه عبد الله بن عمر عوضا عن الزبير وسعد ، تولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة لثمان بقين من جمادى الآخرة وقيل : بويع له في رجب ، وقيل : في ذي الحجة من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام ، ولما دفن عمر رضي

---

(١) تاريخ مختصر الدول، ص/١٣

الله عنه قالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن عقيل امرأة عمر بن الخطاب **ترثيه** : وفجعني فيروز لا در دره . . . بأبيض تال للكتاب منيب رؤوف على الأدنى غليظ على العدا . . . أخا ثقة في النائبات نجيب متى ما يقل لا يكذب القول فعله . . . سريع إلى الخيرات غير قطوب وعاتكة امرأته تزوجها عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها ثم عمر فقتل عنها ثم الزبير فقتل عنها ثم توفيت سنة إحدى وأربعين ، ولما دفن رضي الله عنه لزمت عائشة ثيابها الدرع والخمار والإزار وقالت : إنما كان أبي وزوجي فلما دخل معهما غيرهما لزمت ثيابي ، وابتنت حائطا بينها وبين القبور وبقيت في بقية البيت من جهة الشام ، ويروى عنها رضي الله عنها أنها رأت في المنام أنه سقط في حجرها وروي في حجرتها ثلاثة أقمار فذكرت ذلك لأبي بكر فقال : خيرا . قال يحيى : فسمعت بعد ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما دفن في بيتها ، قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها . قال عفيف الدين المرجاني في فضائل عمر رضي الله عنه : عن ابن عباس قال : رأيت عمر رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقلت له : يا أمير المؤمنين من أين أقبلت ؟ قال : من حضرة ربي عز وجل فسألته ماذا فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه فسألني ثم قال : يا عمر تناديك امرأة على شاطئ الفرات فأهلك من شاها شاة تقول : واعمراها واعمراها تستغيث بك فلا تجيبها . فقلت : وعزتك وجلالك ما علمت بذلك وأنت أعلم مني ، فقال لي : وقد كان يجب عليك ، وإني أرعد من تلك المسألة إلى هذا الوقت ، قال ابن عباس : ثم ماذا قال ؟ قال : رددت إلى مضجعي فهبط علي منكر ونكير فقالا لي : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فقلت لهما : أما تستحيان مني ولمثلي تقولان هذا وجذبتهما إلي ، وقلت : الله ربي وضجيعي نبي وأنتما من ربكما ؟ فقال نكير لمنكر : والله يا أخي ما." (١)

"ولا زال فحل كلامه ينزو على حجر حجرهم ولا يجفر، مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الأسود بن يعفر، غائصا في دردور أفكارهم ليردها عن أن تتبع ابن عثمان وتقفر "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر " حتى إذا خلبهم بهذا المقال، واستجنحهم إلى معنى ما قال، واستهواهم حب الرياسة الذي طالما استرق أحرار الصديقين، واستعبد كبار الأولياء والصالحين، وكبكب في النار على الرءوس، رءوس العلماء العالمين، فوافقوه على الانخزال عند الموافقة للنزال

ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل

وتوجهه إلى ملاقاة تيمور بطود عسكره الثقيل

---

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص/٣٢٤

فأما ابن عثمان فإنه خاف منه الهجوم، على بلاد الروم، لأن الزروع كانت قد استحصدت، وصدور الفواكه والثمار قد استنهدت، وخضروات الأرض قد اسودت، والرعايا في ظل الأمن والرفاهية قد امتدت، فخشي ابن عثمان أن يصيب العباد منه ضرر، أو يتطاير إلى قبائل بلاده من لهيب ناره شرر. فبادر إلى ملاقاته، وساقته سوائق المنون إلى شرب كأسها في مساقاته، وأراد أن يكون مصطدم الباس، خارج بلاده على ضواحي سيواس، فأجرى من عساكره السيول الهامرة، وأخذ بهم على قفار غامرة، حذرا على رعاياه، من مواطئ مطاياه، فإنه كان على الضعيف من رعيته شفيقا، وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا يحكى أنه كان في بعض مغازيه، فعطش بعض حاشيه، فأتى في قرية بعض النساء، فطلب منها شربة ماء، وكانت أشأم من البسوس، يضرب بها المثل في اللؤم والبوس، فقالت ما عندي ما تشرب، فخذ طريقك ولا تتعب، وكان العطش قد غلبه، ورأى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه، فقالت هذا قوت الصبيان، واشتكت عليه لابن عثمان، فطلبه واستفسره، فخاف شدة نقمته فأنكره، فقال للمرأة أنا أبعج قبقبه، وأتبين صدقه وكذبه، فإن ظهر في بطنه اللبن، أعطيتك الثمن، وإن تبينت بالصدق قوله، جعلتك مثلة مثله، فقالت والله إنه شربه، وما فهمت في حقه بكذبه، ولكني فرجت كربته، وأبرأت ذمته فقال لابد من إجراء العدل، وإنهاء هذه الحكومة بالفصل، ثم دعا بالسيف ووسطه، وأجرى على بطنه ما شرطه، فانفجر بطنه وهو منعقر، وجرى اللبن وهو بدمه ممذقر، فأشهره في الوثاق، ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيئا بغير استحقاق، ثم إن ابن عثمان تابع الترحال، وسلك في رمضان السفر صوم الوصال

ذكر ما فعله ذلك الساقطه

مع ابن عثمان وعسكره من المغالطة

ولما بلغ تيمور أن ابن عثمان أخذ الطريق الغامرة، نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم وأخذ على الجادة العامرة، فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون " وفواكه مما يشتهون " ولسان حالهم الفصيح، ينشد في الآفاق ويصيح

ولست أبالي بعد إدراكي العلا ... أكان تراثا ما تناولت أم كسبا

فلم يزالوا في مراح وزروع، ومراع وضروع، بين " سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب " و٥واء بالراحة مصبوب، ونعيم بالسلامة مصحوب، في أمن ودعة، وخصب وسعة، آمنا من الوجل، سائرا على غير عجل مستيقنا بالنصر والظفر، مستبشرا بالملك والوزر، مستتبعا تدبيره القضاء والقدر، لا تبرد حرارة حميته لتسخين عين عدوه وإحراز المغنم البادر فترة، ولا في إكليل كواكب عساكره المنتظمة نثرة،

ولا بين أسود جيشه مكاشرة ولا نفرة، ولا في قراهم الأعادي اللهذميات على موائد طعام طعانهم جبن ولا كسرة فلم يفق ابن عثمان من رقاده، إلا وتيمور قد دمر على بلاده، فقامت عليه القيامة، وأكل يديه حسرة وندامة، وزأر وزقا، والتهب حنقا، وكاد أن يموت خنقا، وسلب القرار والهجوع، وعزم في الحال على الرجوع، فتلاطمت من بحر عساكر أمواجه، وتصادمت أثباج أطواده وأبراجه، فرجع عوده على بدئه، وأغرى بوصال السير وحجئه، فنهكهم السير بسرعته، والمكان بقفرته، والزمان بهجيره، والسلطان بزئيره، فلم يدركوه إلا وقد ذاب كل منهم وصبا، وتلا لسان حاله " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " " فصل " وكان تيمور قد وصل إلى مدينة أنقرة، وخيله ورجله مستريحة موفرة، للقتال منتظرة، وللنزال متشمرة، بل لم يكونوا به مكترثين، ولا به محتفلين وقد سبقوا كصناديد قريش إلى الماء، وتركوا عساكره كمسلمي بدر في جانب الظماء، فهلكوا كربا وأوما، وذابوا عطشا بلا ماء، وكأنه إلى ذلك المنزل هو أرشدهم وبلسان حالهم أنشدهم." (١)

"فعاد لحيان فانفل الجماعة إذ ... رأوا طريقا إلى السلوان وانتصروا

وعاد في قبضتهم لا شكر جودلة ... الأفراح والدمع من عينيه منهمر

يبكي على ما مضى من حسنه اسفا ... وعسكر الشعر من خديه معتكر

لا يستطيع له ردا وكم حرصوا ... برد ذلك أقوام فما قدروا

فهذه الموتة الأولى تجرعها ... فصار أولى من الدنيا به الحفر

فاقرأ على نعشه آخر سبأ فلقد ... جاءت بما يقتضي أحواله السور

إذ كان حاجبه نونا وناظره صادا ... وعشاقه من حوله زمر

إذا رأى عاشقا في النازعات غدا ... ما بعدها وهو قد أودى به الضرر

فعاد والليل يغشى نور طلعته ... وزال عن عاشقيه الهم والحصر

هذا جزاؤك يا من لا وفاء له ... والعاشقون لهم طوبى بما صبروا

وله:

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك ال ... بيت المقدس من روحي وجثماني

وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذا زور وبهتان

فلا تغرك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلوان

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص/٦٩

ولآخر ألطف من هذا:

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا ترثي لصب متيم

ويا سولي الأقصى عيني باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم

ولأبي جلنك المذكور في مليح يصفع عاشقه:

وشادن يصفع مغرى به ... براحة أندى من الوابل

فصحت في الناس: ألا فاعجبوا ... بحر غدا يلطم في الساحل

الأمير عز الدين أيدمر الظاهري، الذي كان نائب الشام في الأيام الظاهرية.

مات برباطه بالجبل ودفن به، وكان رجلا كبير القدر، شجاعا مقداما، كريم النفس، وكانت له جماعة من المماليك أمراء، فمن جملتهم الأعسر وأيدمر النقيب وآخرون.

الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهمداني الإربلي متولي دمشق.

كانت لديه فضائل كثيرة في التاريخ والشعر، وربما جمع شيئا من ذلك، قيل: جمع مجلدا ابتدأ فيه من النبي عليه السلام إلى وقعة قازان، وكان يسكن درب سعود فعرف به، فيقال: درب بن أبي الهيجاء.

وقال ابن كثير: وهو أول منزل نزلناه حتى قدمنا دمشق في سنة ست وسبعمائة.

وكانت وفاة ابن أبي الهيجاء في طريق مصر بالسوادة، ونقل إلى جبل قاسيون، فدفن به، ومولده سنة عشرين وستمائة بإربل، ومات وله ثمانون سنة، وكان مشكور السيرة، حسن المحاضرة.

الأمير جمال الدين أفوش الشريفي، وإلى الولاة بالبلاد القبلية.

وتولى نيابة الصلت أيضا، توفي في شوال منها، وكانت له هيبة وسطوة.

الأمير الكبير سيف الدين بلبان السلحدار المنصوري، معروف بالطباخي.

مات بالعسكر على الساحل وهو البيكار الذي خرج فيه السلطان إلى جهة الشام، ودفن عند قبر بنيامين بن يعقوب عليه السلام، فورثه الملك الناصر بالولاء وصارت إليه أمواله ومماليكه، وكان من أعيان الأمراء وشجعانهم، وأكثرهم مماليك وأصحاب، ولي نيابة السلطنة بحلب مدة، وكانت سيرته في ولايته حميدة، وكان قليل الأذى، كان إذا غضب على أحد يكون عقوبته البعد عنه من غير ضرب ولا مصادرة.

وفي النزهة: كان بلبان هذا اشتراه الحاج إبراهيم أخو جاشنكير الملك المنصور، فرباه وهو صغير، وكان يدخل مع أستاذه يحمل سرموحته عند قلاون وهو أمير، فرآه فطلبه منه وأخذه، وعوضه عن ثمنه ثلاثة آلاف درهم، واستمر عنده إلى أن تسلطن قلاون وكان من أمره ما كان.

الطواشي صفي الدين جوهر التفليسي المحدث.

اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء، وكان رجلا جيدا، مباركا صالحا، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين، مات في هذه السنة، رحمه الله.

فصل في ما وقع من الحوادث في

السنة الحادية بعد السبعمائة

استهلت هذه السنة: والسلطان هو: الملك الناصر، والخليفة هو: الحاكم بأمر الله العباسي، ونواب البلاد والقضاة وهم المذكورون قبلها.

ذكر جواب السلطان عن كتاب قازان." (١)

"قال فبلغت أبياته معاوية فأطلقه، فرجع إلى مكة، فلما قدمها لقي عروة بن الزبير، فقال له أما ابن أثال فقد قتلته، وهذاك ابن جرموز نقي أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا، فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل، أقول كان الزبير بن العوام مع عائشة يوم الجمل، فقتله ابن جرموز، ولذلك قال خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لأبيه يعيره بذلك، ومما يحقق هذا، أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير بن العوام قالت **ترثيه** لما قتله ابن جرموز الكامل غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد الله ربك، أن قتلت لمسلما وجبت عليك عقوبة المتعمد إن الزبير، لذو بلاء صادق، سمح سجيته، كريم المشهد كم غمرة قد خاضها، لم يثنه عنها طرادك، يا ابن فقع القردد فاذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى مما يروح ويغتدي وقال أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في كتاب الأمثال إن معاوية بن أبي سفيان كان خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاشتكى عبد الرحمان فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأخرقته، فعند ذلك قال معاوية لا جد إلا ما أقعص عنك من تكره، قال وقال معاوية أيضا حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات إن لله جنودا منها العسل.

ونقلت من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال لما كان في سنة ثمان وثلاثين بعث علي بن

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ص/٣٩٣

أبي طالب رضي الله عنه الأشتر واليا على مصر، بعد قتل محمد بن أبي بكر، وبلغ معاوية مسيره فدس إلى دهقان بالعريش، فقال إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة، فلطف له الدهقان فسأل أي الشراب أحب إليه؟ فقيل العسل، فقال عندي عسل من عسل برقة، فسمه وأتاه به فشربه فمات، وفي تاريخ الطبري أن الحسن بن علي رضي الله عنهما مات مسموما في أيام معاوية وكان عند معاوية كما قيل دهاء؛ فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن، رضي الله عنه، شربة وقال لها إن قتلت الحسن زوجتك بيزيد، فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله، فقال لها في الجواب أنا أضن بيزيد، وقال كثير يرثي الحسن رضي الله عنه السريع يا جعد أبكيه ولا تسأمي بكاء حق ليس بالباطل إن تستري الميت على مثله في الناس من حاف ومن ناعل وقال عوانة بن الحكم لما كان قبل موت الحسن بن علي عليهما السلام، كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن أقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي، قال فلم يلبث إلا يسيرا حتى كتب مروان بموته، وان ابن عباس إذا دخل على معاوية أجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية أن يسلم حتى قال يا ابن عباس هل أتاك موت الحسن بن علي؟ قال لا قال معاوية فإنه قد أتانا موته، فاسترجع ابن عباس وقال إن موته يا معاوية لا يزيد في عمرك ولا يدخل عمله معك في قبرك، وقد بلينا بأعظم، فقدنا منه جده محمد صلى الله علية وسلم ، فجبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده، فقال له معاوية اقعد يا ابن عباس، فقال ما هذا بيوم قعود، وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن رضي الله عنه فقال قثم ابن عباس في ذلك:

أصبح اليوم ابن هند شامتا ... ظاهر النخوة أن مات حسن

رحمة الله عليه أنه طال ... ما أشجى ابن هند وأذن

ولقد كان عليه عمره ... عدل رضوى وثبير وحضن

وإذا أقبل حيا رافعا صوته ... والصدر يغلي بالإحن

فارتع اليوم ابن هند آمنا ... إنما يغمص بالعير السمن

واتق الله وأحدث توبة أن ... ما كان كشيء لم يكن

أبو الحكم." (١)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص/١٠٠

الدول إنما تضطرب بتحزب الأمر وتفرق الآراء وتجاذب الأهواء ونظام الملك وقوام الأمر بالإذعان والإقرار لذي رأي ثابت لا يستبد ولا ينفرد بل يستضيء بعقول العقلاء ويستبين برأي طوائف الحكماء والعلماء ويستثمر لباب الألباب فيحصل من انفراده الفائدة العظمى في قطع الاختلاف ويتحقق باستضاءته استثمار عقول العقلاء فالغرض الأظهر إذا من الإمامة إلا يثبت لا بانفراد الإمام وهذا مغن بوضوحه عن الإطناب والإسهاب مستند إلى الإطباق والاتفاق إذ داعية التقاطع والتدابر والشقاق ربط الأمور بنظر ناظرين وتعليق التقدم بأميرين وإنما يستمر أكناف الممالك برجوع أمراء الأطراف إلى رأي واحد ضابط ونظر متحد رابط

"فلما نظرت جيوش الحيرة إلى الملك النعمان مجندلا ولوا الأدبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وغنم المسلمون رحالهم وأموالهم وباتوا فرحين وافتقدوا من قتل من المسلمين فكانوا خمسمائة وثلاثين غالبهم من أهل نخع وقد ختم الله لهم بالشهادة وفي ذلك قالت خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط ترثي من قتل من المسلمين : فيا عين جودي بالدموع السواجم فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم فكم من حسام في الحروب وذابل وطرف كميت اللون صافى الدعائم حزنا على سعد وعمرو ومالك وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم هم فتية غر الوجوه أعزة ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم قال : وإن المسلمين جمعوا الأموال واحتوى سعد على قصر الخورنق والسدير وترك جميع ما أخذه بالحيرة وترك عنده سالم بن نعيم بن مسروق وترك عنده مائة من أبناء المهاجرين والأنصار .

قال : وأما من انهزم من جموع النعمان بن المنذر فوردوا على القادسية وعليها جنود الفرس مع رستم زاده بن إسفنديار ومعه شهريار بن كنار والهذيل بن جشوم وحشرسوم الهمذاني والجناتيوس بن فتاك وشماهير بن حسوسا .

قال فلما رأوا المنهزمين من جيش النعمان ملك العرب سألوهم عن أمرهم فأخبروهم بقتل النعمان وأخذ الحيرة وقصر الخورنق والسدير وجميع ما فيها .

قال فوقع التشويش في عسكر الفرس وتمكن الخوف من قلوبهم وكثرت الأراجيف وأما رستم فإنه جمع الملوك والأساورة وملوك الديلم في خيمته وقام على سريره خطيبا فقال : أعلموا أن الدولة بالسياسة والناموس بالرياسة وكأنكم بالعرب وقد أشرفوا عليكم فاخرجوا واذهبوا إليهم واركبوا .

فخرجوا من عنده وأخذوا أهبة الحرب فبينما هم كذلك إذا بعسكر سعد قد أشرف عليهم وهم على الخيل المضمرة العربية وعليها الفرسان الإسلامية والطائفة المحمدية فرتبوا الصفوف وجعل رستم ملوك الفرس عن يمينه وملوك الديلم عن يساره ووقف رستم في القلب ودارت به الأساورة .." (١)

"من يقال له أبو حية وأبو جنة بالجيم والنون فأما أبو حية فمنهم أبو حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير بن جناب بن مالك بن عامر بن نمير ويقال هو أحد بني عبدا لله بن الحارث بن نمير الشاعر المشهور الذي يقول:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ومنهم أبو حية البجلي واسمه حصين بن سلامة بن هلال بن عوف كان فارسا شاعرا وكان بقية أهله في بادوريا وكان يمدح بني أفصى وفيهم يقول:

إني كفاني من هم هممت به ... قوم لهم إرث مجد غير مكدوم

قوم إذا فزعوا سالت بطاحهم ... بالسابغات وبالجرد اللهاميم

وكل مطرب الأنبوب يقدمه ... مسترعف بطحته صيغة الروم

ومنهم أبو حية الفزاري واسمه ودعان بن محرز بن قيس بن ورد بن حذيفة بن بدر. شاعر فارس وهو القائل:

أنا أبو حية واسمي ودعان ... لا ضرع طفل ولا عود فان

كيف تر ضربي رؤوس الأقران

وأما أبو جنة بالجيم والنون فهو أبو جنة الأسدي واسمه حكيم ابن عبيد ويقال حكيم بن مصعب خال ذي الرمة كذا وجد في قبيل بني أسد ووجدت في موضع آخر أنه كان بينه وبين عمارة بن عقيل ملاحاة وهو القائل في قصيدة:

فلما ودعونا واستقلوا ... على صهب هواديهن قود

كتمت عواذلي ما في فؤادي ... وقلت لهن ليتهم بعيد

وفاضت عبرة شفقت منها ... تجود كأن وابلها الفريد

فقلن لقد بكيت فقلت دلا ... وهل يبكي من الطرب الجليد

ولكن قد أصاب سواد عيني ... عويد قذى له طرف حديد

---

(١) فتوح الشام، ٢/٢٦٥

فقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتي مقلتيك أصاب عود

قوله في البيت الأول على صهب الصهب: البيض التي تضرب إلى الحمرة، وقود طوال الأعناق.

من يقال له ابن حية وابن حبة فأما ابن حية العبسي فاسمه حجر قال أبو سعيد السكري هو ابن حية ويقال له ابن جيداء وجيداء أمه. شاعر وهو القائل:

لا أحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت ... ولا أقوم بها في الحي أخزيها

ولا أكلمها إلا علانية ... ولا أخبرها إلا أناديها

وأما ابن حبة بواحدة معجمة فهو منظور بن حبة الأسدي وحبة أمه ويعرف بها وهو منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس. شاعر راجز محسن وهو القائل:

وقد تعاللت ذميل العنس ... بالسوط في ديمومة كالترس

إذ عرج الكيل بروح الشمس

في أبيات كثيرة وله أيضا أراجيز جياد، ويروى هذا الرجز لدكين في أرجوزة.

من يقال له ابن حميضة بالضاد معجمة منهم سنان بن حميضة أخو بني قبال بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عود بن سعد بن ذبيان بن بغيض. شاعر وهو القائل:

وإني لأقري الضيف في ليلة الندى ... من الجلة العليا وأروي العواليا

وأعطي إذا ضن الجواد بماله ... من البكرات المنقيات المتاليا

ومنهم فروة بن حميضة الأسدي أخو بني برثن كان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال:

على الميت من بطن الحرية كلما ... مررنا به أو لم نمر سلامي

كأن تجارا تحمل المسك عرسوا ... به ثم فضوا ثم كل ختام

وما ذاك إلا أن زهرة جررت ... به الريط لم تنزل بدار مقام

كأن قلوصي تحمل الأحول الذي ... بشرقي سلمى يوم حول كشام

سلمى: جبل أي كأن في من الشوق جبلا في ذلك اليوم.

ومنهم ربيعة بنت حميصة العذرية شاعرة قالت ترثي هلالا العذري

يا عين أذري الدمع ذا الغرب ... وابكي هلالا مسعر الحرب

تعدو به شقاء سلهبة ... مثل القناة قليلة العتب

تعدو إذا خفضت مراءتها ... وزجرن بالإنشاء والشرب

شدا كغلي القدر تحفره ... منها إلى متنفس رحب." (١)

"كأني غداة الخبت يوم تحملوا ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ومنهم ابن خذام الأسدي وهو مرداس بن خذام لا نعرف من أي بطون أسد هو إسلامي كان ينزل الكوفة وكان تزوج امرأة من أهل الري يقال لها دختكا كثيرة المال وله فيها أشعار كثيرة يصف فيها ذكره وهنها وذكر ذلك في كتاب المفاحشات وهو شاعر خبيث وكان سقى رجلا خمرا في عس وحلب عليه شيئا من اللبن فارتفعت رغوته فشربه الرجل على أنه لبن ولم يكن صاحب شراب فسكر ولم يفق إلا بعد ثلاث فقال مرداس:

سقينا عقالا بالثوية شربة ... فمالت بلب الكاهلي عقال

فقلت أصطبحها يا عقال فإنها ... هي الخمر خيلنا لها بخيال

رميت بأم الخل حبة قلبه ... فلم ينتعش منها ثلاث ليال

أنشدها علي بن سليمان الأخفش فأقسم الرجل ألا يكلمه أبدا.

من يقال له خليفة منهم خليفة بن عامر بن حميري بن وقدان ابن سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة ويلقب بذي الخرق وهو القائل:

ما بال أم حبيش لا تكلمنا ... لما افترقنا وقد نبري فنتفق

تقطع الطرف دوني وهي عابسة ... كما تساوس فيك الثائر الحنف

لما رأت إبلي جاءت حمولتها ... غرثى عجافا عليها الريض والخرق

قالت ألا تبتغي مالا تعيش به ... عما نلاقي وشر العيشة الرمق

فيئي إليك فإنا معشر صبر ... في الجدب لا خفة فينا ولا ملق

أنا إذا حطمة حتت لنا ورقا ... نمارس العيش حتى ينبت الورق

وله أشعار جياد في كتاب بني طهية وبهذه الأبيات لقب بذي الخرق.

ومنهم خليفة بن البلاد أحد بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو القائل:

أيا أخوي من جشم بن سعد ... أقلا اللوم إن لم تنفعاني

إذا جاوزتما شعفات حجر ... وأودية اليمامة فانعياني

---

(١) المؤتلف والمختلف، ص/٤٤

أخذت بما جنى لص طريد ... وما جرت يداي ولا لساني

وهو صاحب الأرجوزة التي أولها: هل تعرف الدار كخط القلم ذكر السكري في أشعار اللصوص البيتين الأولين لجحدر بن معاوية العكلي وقال شعفات بالشين معجمة.

من يقال لها خنساء منهن خنساء بنت الشريد وهو عمرو بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور الشاعرة المشهورة صاحبة المراثي في أخويها معاوية وصخر.

ومنهن خنساء بنت أبي سلمى أخت زهير وهو ربيعة بن رياح ابن قرط بن الحارث بن مازن بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هدبة ابن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة وأم عثمان بن عمرو ومزينة بنت كلب بن وبرة شاعرة هي وإخوتها وأهل بيتها. قالت ترثي أباها:

ولا يغني توقي المرء شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار

إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار

قوله في البيت الأول: ولا الغضار هو شيء من الرقي والعوذ.

ومنهن بنت أبي الطراح كانت تحت الضحاك بن عقيل العقيلي ولست أدري أهي منهم أم من غيرهم شاعرة وهي القائلة:

فإن كنت من أهل الحجاز فلا تلج ... وإن كنت نجديا فلج بسلام

ومنهن خنساء بنت التيحان القائلة:

أيا أسفا على الخفاجي جحوش ... أرى أنه يزداد عن دارنا بعدا

ويا كبدا حب الخفاجي قاتلي ... ويا كبدا ألا يحل بنا نجدا

ويا كبدا ألا لبست شبابه ... وجدته حتى يرى خلقا جردا

من يقال له خديج وحديج منهم خديج بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن خديج بن معاوية بن خديج بن الحماس بن ربيعة بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد شاعر وهو أخو النجاشي وهو قيس بن عمرو وكان محسنا وهو القائل يرثي أخاه النجاشي:

ومن كان يبكي هالكا فعلى فتى ... ثوى بلوى لحج وآبت رواحله

فتى لا يطيع الزاجرين عن الندى ... وترجع بالعصيان عنه عواذله

وهي قصيدة حسنة.

ومنهم خديج بن عبيد الله بن كلاب النميري قال أبو سعيد السكري يعرف بابن الدرداء البديلي شاعر وهو

القائل:

ولما ركضنا في الضباب وجعفر ... بمسترفد كانت بطيئا رفودها." (١)

"٣٠١ - " من يقال له ابن حية وابن حبة " فأما ابن حية العبسي فاسمه حجر قال أبو سعيد السكري هو ابن حية ويقال له ابن جيداء وجيداء أمه. شاعر وهو القائل

لا أحرم الجارة الدنيا إذا اقتربت ... ولا أقوم بها في الحي أخزيها

ولا أكلمها إلا علانية ... ولا أخبرها إلا أناديها

٣٠٢ - وأما ابن حبة بواحدة معجمة فهو منظور بن حبة الأسدي وحبة أمه ويعرف بها وهو منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس. شاعر راجز محسن وهو القائل:

وقد تعاللت ذميل العنس ... بالسعط في ديمومة كالترس

إذ عرج الكيل بروح الشمس

في أبيات كثيرة وله أيضا أراجيز جياد، ويروى هذا الرجز لدكين في أرجوزة.

٣٠٣ - " من يقال له ابن حميضة بالضاد معجمة " منهم سنان بن حميضة أخو بني قبال بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض. شاعر وهو القائل

وإني لأقري الضيف في ليلة الندى ... من الجرة الدنيا وأروى العواليا

وأعطي إذا ضن الجواد بماله ... من البكرات المنقيات المتاليا

٣٠٤ - ومنهم فروة بن حميضة الأسدي أخو بني برثن كان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال:

على المبيت من بطن الحرية كلما ... مررنا به أو لم نمر سلامي

كأن تجارا تحمل المسك عرسوا ... به ثم فضوا ثم كل ختام

وما ذاك إلا أن زهرة جررت ... به الريط لم تنزل بدار مقام

كأن قلوصي تحمل الأحول الذي ... بشرقي سلمى يوم حول كشام

سلمى: جبل أي كأن في من الشوق جبلا في ذلك اليوم.

٣٠٥ - ومنهم ربيعة بنت حميضة العذرية شاعرة قالت ترثي هلالا العذري

يا عين أذرى الدمع ذا الغرب ... وأبكى هلالا مسعر الحرب

تعدو به شقاء سلهبة ... مثل القناة قليلة العتب

---

(١) المؤتلف والمختلف، ص/٤٧

تعدو إذا خفضت مراءتها ... وزجرن بالإنشاء والضرب

شدا كغلي القدر تحفره ... منها إلى متنفس رحب

٣٠٦ - " من يقال له ابن حبناء " منهم المغيرة وصخر ويزيد بنو حبناء وه ي أمهم وأبوهم عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن عامر بن ربيعة بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة وكان المغيرة أبرص وهو القائل:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني ... لأم العتيك ولا أخوالي العوق

" ح قوله لام العتيك أي لا من العتيك "

لا تحسبن بياضا في منقصة ... إن اللهاميم في أقرابها بلق

" ح قوله في البيت الأول ولا أخوالي العوق العوق قوم من أزدعمان " والمغيرة شاعر محسن وكان من رجال المهلب بن أبي صفرة وله أشعار جياد حسان وكان صخر مقيما بالبادية وكان والمغيرة يتراسلان بالشعر يتناقضان وكانا أخوين لأب وهما ابنا خالة وكان المغيرة يكنى أبا عيسى قال في أخيه صخر

ألا من مبلغ صخر بن ليلى ... فإني قد أتاني من ثناكا

رسالة ناصح لك مستجيب ... إذا لم ترع حرمته رعاكا

جزاني الله منك وقد جزاني ... ومني في معاتبتي جزاكا

في أبيات فأجابه صخر فقال:

أتاني من مغيرة ذرو قول ... وعن عيسى فقلت له كذاكا

يعم به بني ليلى شفاها ... فول هجاءهم رجلا سواكا

سيغنيني الذي أغناك عني ... ويكفيني المليك كما كفاكا

رأيت الخير يقصر منك دوني ... وتأتيني قوارص من أذاكا

وكان يزيد بن حبناء خارجيا وهو القائل في كلمة طويلة وكتبت إليه زوجته تطلب منه هدايا وألطافا.

ذري اللوم إن اللوم ليس بدائم ... ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم

فإن عجلت منك الملامة فاسمعي ... مقالة معنى بحقك عالم

ولا تعذلينا في الهدية إنما ... تكون الهدايا من فضول المغانم." (١)

"وهو صاحب الأرجوزة التي أولها: هل تعرف الدار كخط القلم " ح ذكر السكري في أشعار اللصوص البيتين الأولين لجحدر بن معاوية العكلي وقال شعفات بالشين معجمة " .

---

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص/٤٦

٣٢٢ - " من يقال لها خنساء " منهن خنساء بنت الشريد وهو عمرو بن رياح ابن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور الشاعرة المشهورة صاحبة المراثي في أخويها معاوية وصخر.

٣٢٣ - ومنهن خنساء بنت أبي سلمى أخت زهير وهو ربيعة بن رياح بن قرط ابن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة وأم عثمان بن عمرو ومزينة بنت كلبة بن وبرة شاعرة هي وإخوتها وأهل بيتها. قالت **ترثي** أباها

ولا يغني توقي المرء شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار

إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار

" ح قوله في البيت الأول: ولا الغضار هو شيء من الرقي والعوذ " .

٣٢٤ - ومنهن بنت أبي الطراح كانت تحت الضحاك بن عقيل العقيلي ولست أدري أهي منهم أم من غيرهم شاعرة وهي القائلة

فإن كنت من أهل الحجاز فلا تلج ... وإن كنت نجديا فلج بسلام

٣٢٥ - ومنهن خنساء بنت التيحان القائلة:

أيا أسفا على الخفاجي جحوش ... أرى أنه يزداد عن دارنا بعدا

ويا كبدا حب الخفاجي قاتلي ... ويا كبدا ألا يحل بنا نجدا

ويا كبدا ألا لبست شبابه ... وجدته حتى يرى خلقا جردا

٣٢٦ - " من يقال له خديج وحديج " منهم حديج بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن خديج بن معاوية بن خديج بن الحماس بن ربيعة بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد شاعر وهو أخو النجاشي وهو قيس بن عمرو وكان محسنا وهو القائل يرثي أخاه النجاشي.

ومن كان يبكي هالكا فعل فتى ... ثوى بلوى لحج وآبت رواحله

فتى لا يطيع الزاجرين عن الندى ... وترجع بالعصيان عنه عواذله

وهي قصيدة حسنة.

٣٢٧ - ومنهم خديج بن عبيد الله بن كلاب النميري قال أبو سعيد السكري يعرف بابن الدرداء البديلي شاعر وهو القائل:

ولما ركضنا في الضباب وجعفر ... بمسترفد كانت بطيئا رفودها

وما ألحقتنا الخيل حتى تشابهت ... بنات الأغر الورد منها وسودها

على كل جرداء القرا أعوجية ... إذا طردت لم ينج منها طريدها

٣٢٨ - ومنهم حديج بالحاء غير معجمة وهو حديج بن حبيب بن زيد ابن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كلب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة. شاعر جاهلي كان بعض ولد النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة قتلوا بنين له وأغار عليهم فقتل منهم وأدرك ثأره وقال:

ألم ترنى ثأرت بني زياد ... فقرت هامتي وشفيت صدري

وما ملك يسابقنا بوغم ... إذا ملك طلبناه بوتر

بني النعمان قتلنا جميعا ... فساغ لي الشراب وحل تذرى

٣٢٩ - " من يقال له ابن الخطيم " منهم قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو ابن مسواد بن ظفر وظفر هو كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ابن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بنت الأسد وقيس شاعر الأوس وهو القائل:

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

٣٣٠ - ومنهم سبيع بن الخطيم التيمي تيم عبد مناة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعة. شاعر محسن وهو القائل لزيد الفوارس الضبي في ابل كان استنقذها وردها عليه

أن ابن آل ضرار حين أندبه ... زيدا سعى لي سعيا غير مكفور

سالت عليه براق الحي حين دعا ... أنصاره بوجوه كالدنانير

ليس الهجان إذا ما كنت مفتحلا ... كالورق تنظر في ألوانها الحور

لولا الآله ولولا مجد طالبها ... للهذموها كما نالوا من العير

فاستعجلوا عن حثيث المضغ فاسترطوا ... والذم يبقى وزاد القوم في حور." (١)

" أيام محمد بن أبي عامر وله مع أبي عمر يوسف بن هارون الرمادي مخاطبات بالشعر . عمر طويلا وعاش إلى دولة بني حمود

حدثني أبو محمد بن حزم قال : حدثني قاسم بن محمد قال : حدثني ابن شبلاق قال : رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير وفيها قبر وحواليه الريحان الكثير وقوم يشربون . فكنت أقول لهم :

---

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ص/٤٩

والله ما زجرتكم الموعظة ولا وقرتم المقبرة . قال : فكانوا يقولون : وما عرفت قبر من هو فكنت أقول لهم : لا . قال : فقالوا لي : هذا قبر أبي علي الحكمي الحسن بن هانئ . قال : فكنت أولى فيقولون : والله لا تبرح أو ترثيه فكنت أقول :

جادك يا قبر نشاص الغمام ... وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعا ... واستترت عنا عيون الكلام

وقرأت بخط ابن عتاب أنه توفي سنة ثلاث عشرة وأربع مئة

عبد الرحمن بن منخل المعافري : يكنى : أبا بكر . سكن طليطلة

له رحلة إلى المشرق سمع فيها : من أبي الطيب بن غلبون المقرىء وغيره في سنة سبع وستين وثلاث مائة . حدث عنه حاتم بن محمد لقيه بطليطلة وسمع منه بها سنة ثمان عشرة وأربع مئة

عبد الرحمن بن عبد الواحد بن داود الجذامي : من أهل إشبيلية يكنى : أبا المطرف

روى عن أبي محمد الباجي وغيره . وكان شيخا صالحا من أهل الفهم متفقها ذا رواية واسعة وتوفي في شوال سنة ثمان عشرة وأربع مئة . ذكره ابن خزرج وروى عنه

عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غوية قاضي الجماعة بقرطبة يكنى : أبا المطرف . ويعرف بابن الحصار

روى عن أبيه وصحب أبا عمر الإشبيلي وتفقه عنده وأخذ أيضا عن أبي محمد الأصيلي وغيره

وقرأت بخط أبي القاسم عبد العزيز بن محمد بن عتاب قال : كان أبي يحله من الفقه بمحمل كبير ومن علم الشروط والوثائق بمنزلة عالية ومرتبة سامية ويصفه بالعلم البارع والفضل والدين واليقظة والذكاء والتفنن في العلوم ويرفع به ترفيعا عظيما ويذهب بن كل مذهب ويقول : إنه آخر القضاة والجلة من العلماء . ولاه علي بن حمود القضاء في صدر سنة سبع وأربع مئة فسار بأحسن سيرة وأقوم طريقة فلم يزل قاضيا مدة إمرة علي بن حمود إلى أن توفي وولي الخلافة بعده أخوه القاسم بن حمود فاقره على القضاء وجمع له معه الصلاة والخطبة فلم يزل ذلك إلى آخر سنة تسع عشرة وأربع مئة عزله المعتمد بسعايات ومطالبات

روى عنه أبو عبد الله بن عتاب وقال : كان لا يفتح على نفسه باب رواية ولا مدارسة لا قبل القضاء ولا بعده . صحبته عشرين عاما وذهب في أول ولايته لي التكلم على الموطإ قرآته في أربعة نفر أنا أحدهم

فلما عرف ذلك أتاه جماعة يرغبون حضور المجلس فلم يجب أحد ذلك . وقال : كان يجتمع عنده مع شيوخ الفتوى في ذلك فيشاور في المسألة فيختلفون فيها ويخالفون مذهبه فلا يزال بحاجهم

ويستظهر عليهم بالروايات والكتب حتى ينصرفوا ويقولوا بقوله . سمعت شيخنا أبا محمد بن عتاب رحمه الله يقول : سمعت أبي رحمه يحكي مرارا قال : كنت أرى القاضي ابن بشر في المنام بعد موته في هيئته التي كنت أعهده فيها وهو مقبل من داره بالربض الشرقية فكنت أسلم عليه وكنت أدري أنه ميت وأسأله عن حاله وعما صار إليه فكان يقول لي : إلى خير . ويشير بيده بعد شدة . فكنت أقول له : وما يذكر من فضل العلم . فكان يقول لي : ليس هذا العلم يشير إلى علم الرأي ويذهب إلى أن الذي انتفع به من ذلك ما كان عنده من علم كتاب الله جل ثناؤه وحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم

قال ابن حيان : كانت مدة عمل ابن بشر في القضاء اثنتي عشرة سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام . وتوفي رحمه الله ودفن السبت للنصف من شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ودفن بمقبرة ابن عباس وشهده الخليفة هشام بن محمد شانئه كالشامت بتقديمه إياه يبدو السرور في وجهه وقل متاعه بالحياة بعده . وصلى عليه القاضي يونس بن عبد الله وكان الجمع في جنازته كثيرا والحزن لفقده شديدا . وكانت علته من قرصة طلعت بين كتفيه قضى نحبه منها فلم يأت بعده مثله في الكمال لمعاني القضاء . وكان مولده أول سنة أربع وستين وثلاث مائة بعد أبي الحزم جهور بشهر واحد

عبد الرحمن بن محمد بن معمر اللغوي صاحب التاريخ في الدولة العامرية إلى آخرها يكنى : أبا الوليد ." (١)

"ابنة أبي الجدعاء

- هـ / - م

ابنة أبي الجدعاء.

شاعرة جاهلية.

قتل أبوها الجدعاء الطهوي في يوم مبايض وهو يوم لبكر بن وائل على بني تميم، قتله سعد بن عباد بن مسعود.

فقالت ابنته في ذلك شعرا ترثي أباها وتذم قومه ومن كان معه.." (٢)

"الجوزاء بنت عروة البصرية

- هـ / - م

---

(١) الصلة، ص/١٠٣

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٢٦١

الجوزاء بنت عروة البصرية.

شاعرة، وهي أخت عبد الله بن عروة البصري، كان يزيد أخذه مع عدي بن أرطأة فحملهم إلى واسط، فلما قتل يزيد عدا عليهم ابنه معاوية فقتلهم وهم أسرى في يده فقالت الجوزاء **ترثي** أخاها وتهجو يزيد:

أيزيد حاربت الملوك ولم يكن تلقى المحارب للملوك رشيدا." (١)

"الجيداء بنت زاهر الزبيدية

- هـ / - م

الجيداء بنت زاهر الزبيدية.

شاعرة جاهلية.

قتل زوجها خالد بن محارب الزبيدي على يد عنترة في أرض نجد، فقامت **ترثيه**، وتبين أنه إنما قتل ظلما وعدوانا.." (٢)

"أم عمران بن الحارث

- هـ / - م

عمرة أم عمران بن الحارث الراسبي.

شاعرة من شعراء الخوارج لها شعر **ترثي** فيه ابنها حينما قتل مع نافع بن الأزرق يوم دولاب ذكره صاحب كتاب شعر الخوارج.." (٣)

"أميمة بنت أمية

- هـ / - م

أميمة بنت أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

شاعرة جاهلية.

قتل أخوها ومعه جمع من قومها في حرب الفجار في اليوم الرابع المسمى يوم عكاظ، فأنشدت **ترثيهم** بأبيات.." (٤)

---

(١) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٥٩٤

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٥٩٥

(٣) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٩١٩

(٤) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٩٥١

"أميمة بنت عبد المطلب

- هـ / - م

أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم.

شاعرة جاهلية.

طلب إليها والدها كما فعل مع أخواتها، أن **ترثيه** بأبيات ففعلت.." (١)

"برة بنت عبد المطلب

- هـ / - م

برة بنت عبد المطلب بن هاشم.

شاعرة جاهلية.

طلب منها أبوها كما طلب من أخواتها، أن **ترثيه** قبل وفاته ففعلت.." (٢)

"جنوب الهذلية

- هـ / - م

جنوب بنت العجلان بن عامر بن برد بن منبه الكاهلية.

هي أخت عمرو ذو الكلب، لها شعر **ترثي** فيه عمرو، ورد في ديوان الهذليين.." (٣)

"سارة القرظية

- هـ / - م

سارة القرظية.

شاعرة جاهلية، يهودية من بني قريظة، لما قتل أبو جبيلة الغساني أشراف يهود بوادي ذي حرض بسبب فحشهم قالت **ترثيهم**:

بنفسي رمة لم تغن شيئا *** بذي حرض تعفيها الرياح.." (٤)

---

(١) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٩٥٢

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/٩٨٩

(٣) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/١٠٩١

(٤) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/١٣٦٣

"عمرة بنت مرداس

- ٤٨ هـ / - ٦٦٨ م

عمرة بنت مرداس بن أبي عامر السلمي.

أمها الخنساء،

شاعرة كأمها. كان لها أخوان (يزيد، والعباس) فقتل يزيد بثأر قيس بن الأسلت، ومات العباس في الشام (سنة ١٦هـ) فجعلت ترثيهما وتندبهما، فأشبه حديثها حديث أمها من قبلها.

وقد اختار أبو تمام بعض شعر عمرة في ديوان الحماسة.." (١)

"كبشة الزبيدية

- ٢٠ هـ / - ٦٤٠ م

كبشة بنت معدي كرب الزبيدي.

شاعرة صحابية. أورد لها أبو تمام (في الحماسة) أبياتا ترثي أخا لها اسمه عبد الله وتحرض أخاها الثاني "عمرو بن معدي كرب" على الأخذ بثأره. وقيل: أراد عمرو أخذ الدية، فقالت كبشة تلك الأبيات. منها:

وأرسل عبد الله إذ حان يومه *** إلى قومه: لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا *** وأترك في قبر بصعدة مظلم

كان ذلك في الجاهلية. وأدركت كبشة الإسلام، ووفدت على النبي (صلى الله عليه وسلم) مع ابنها معاوية بن حديج الصحابي المعروف.

وهي عمة الأشعث بن قيس.." (٢)

"قال إبراهيم بن أبي يحيى: نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمة حتى إن الناس لا ينظر بعضهم إلى بعض، فقلت لرجل بجنبي: أقامت القيامة؟ فقال: ولم لا تقوم، وقد مات عالم الآفاق. قلت ومن هو قال: مالك.

فانتبهت وفزعت فإذا أنا به قد مات.

وقال ابن مزاحم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الناس، فقلت يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال مالك بن أنس.

---

(١) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/١٧٨٨

(٢) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ص/١٩٠٢

فقال ابن القاسم: بينما أنا نائم، أتاني آت، فقال لي: إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق فقلت: من هو؟ فقال لي: هذا الشيخ انظر إليه، فنظرت إليه فإذا شيخ أشقر طويل حسن اللحية، فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال فاكتريت إلى مكة وحججت فلما أتينا المدينة اغتسلت ودخلت مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فنظرت، فإذا بالصفة التي في النوم، وإذا هو مالك.

فعرفت أنه هو الذي قيل لي فيه عالم الآفاق فلزمته.

ورأى بعضهم أن الناس اجتمعوا في جبانة الإسكندرية يرمون غرضا، كلهم تخطاه، وإذا رجل يرمي ويصيب. قال، فقلت: من هذا؟ قيل مالك بن أنس.

باب في تركة مالك بن أنس

رحمه الله

قال ابن القاسم: مات مالك رحمه الله تعالى عن مائة عمامة فضل عن سواها.

وقال ابن أبي أويس: جميع ما في منزلك يوم مات رحمه الله تعالى من منصات وبرادع وبسط ومخادد محشوة بريش وغير ذلك، ينيف على خمسمائة دينار.

قال محمد بن عيسى بن خلف: خلف مالك خمسمائة زوج من النعل، وقد اشتهى يوما كساء قومسيا، فما بات إلا وعنده منه سبعة بعثت إليه.

وأهدى إليه يحيى بن يحيى النيسابوري هدية وجدت بخط بعض مشائخنا الثقات، أنه باع من فضلها بثمانين ألفا.

قال أبو عمر وترك من الناض ألأفي دينار وستمائة وتسعا وعشرين دينارا، والف درهم.

فاجتمع في تركته ثلاثة آلاف وثلاثمائة ونيف.

باب ما قيل في مالك من الشعر في حياته وبعد وفاته

قال القاضي رضي الله تعالى عنه من مشهور ذلك قول ابن المبارك:

صموت إذا ما الصمت زين أهله ... وفتاق أبكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة ... ونيطت الآداب باللحم والدم

وقال ابن مناذر:

ومن يبغي الوصاة فإن عندي ... وصاة للكهول وللشباب

خذوا عن مالك وعن ابن عون ... ولا ترووا أحاديث ابن داب

وقال عبد الله بن سالم الخياط:

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان

وأنشدوا لأبي المعافى في مالك وبعضهم يزيد فيها على بعض ويذكر بعضها لأبي المعافى:

ألا إن فقد العلم في فقد مالك ... فلا زال فينا صالح الحال مالك

فلولاه ما قامت حقوق كثيرة ... ولولاه لانسدت علينا المسالك

يقيم سبيل الحق سرا وجهرة ... ويهدي كما تهدي النجوم الشوابك

عشونا إليه نبتغي ضوء ناره ... وقد لزم العي اللجوج المماحك

فجاء برأي مثله يقتدى به ... كنظم جمان زينته السبائك

وحكى التستري أن مالكا كان جعل لأبي المعافى أن يجرح من شهد عليه، فشهد عليه المغيرة، فلما مات مالك قال: ألا قل لقوم....

الأبيات:

ألا قل لقوم حير مرحبا بكم ... لمن سال عن فتوى فقد مات مالك

وأنشد الزبير لأبي المغامي أو ابن المغامي يرثي مالكا:

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك ... ألا إن فقد العلم إذ مات مالك

وما لي لا أبكي على فقد مالك ... إذا عد مفقود من الناس مالك

وأنشد أصبغ لامرأة ترثيه:

بكيت بدمع واكف فقد مالك ... في فقده سدت علينا المسالك

ومالي لا أبكي عليه وقد بكت ... عليه الثريا والنجوم الشوابك

حلقت بما أهدت قريش وجللت ... صبيحة عشر حين تقضى المناسك

لنعم وعانا العلم والفقه مالك ... إذا عد مفقود من الناس هالك

أنشد أبو محمد الضراب لبعضهم:

إذا ما عدت العلماء يوما ... فمالك في العلوم هو الضياء

تبوأ ذروة العلماء قوم ... فهو كالأرض وهو لهم سماء

وأنشدوا:

وفقيه الحرمين مالك ... كان إذ يأمر بالأمر يطاع." (١)

"حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: حدثنا هارون بن أبي بردة قال: حدثنا نصر بن مزاحم قال: وفي حديث عمر بن سعيد، عن فضيل بن خديج، عن إبراهيم بن يزيد، عن علقمة بن قيس قال: " دخلت على علي في نفر من النخع، حين هلك الأشتر. فلما رآني قال: لله مالك! لو كان جبلا لكان من جبل فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا! مثل مالك فلتبك البواكي! فهل موجود كمالك؟! فوالله ما زال متلهفا عليه ومتأسفا حتى رأينا أنه المصاب دوننا.

وقالت سلمى أم الأسود بن الأسود النخعي ترثي مالكا:

نبا بي مضجعي ونبا بي وسادي ... وعيني ما تهم إلى رقادي

كأن الليل أوثق جانباه ... وأوسطه بأمراس شداد

أبعد الأشتر النخعي نرجو ... مكاثرة ونقطع بطن واد؟

أكر إذا الفوارس محجمات ... وأضرب حين تختلف الهوادي

فقال المثنى يرثيه:

ألا ما لضوء الصبح أسود حالك ... وما للرواسي زعزعتها الدكادك

وما لهموم النفس شتى شؤونها ... تظل تناجيها النجوم الشوابك

على مالك فليبك ذو الليث معولا ... إذا ذكرت في الفيلقين المعارك

إذا ابتدر الخطى وانتدب الملا ... وكان غياث القوم نصر مواشك

إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج ... ونودي بها أين المظفر مالك؟

فلهفي عليه حين تختلف القنا ... ويرعش للموت الرجال الصعالك

ولهفي عليه يوم دب له الردى ... وذيف له سم من الموت حانك

فلو بارزوه يوم يبغون هلكه ... لكانوا بإذن الله ميت وهالك

ولو مارسوه مارسوا ليث غابة ... له كالتي لا ترقد الليل، فاتك

فقل لابن هند: لو منيت بمالك ... وفي كفه ماضي الضريبة باتك

لألفيت هندا تشتكي علن الردى ... تنوح وتحبوها النساء العواتك

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ١/٨١

واستخلف الأشتر على مصر حمام بن عامر اللخمي أبا الأكدر ابن حمام، وكان الأكدر وأبوه من شيعة علي، وحضرا الدار جميعا.

٦ – محمد بن أبي بكر الصديق

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق، من قبل أمير المؤمنين علي، وجمع له صلاتها وخراجها. فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطته عبد الله بن أبي حرملة البلوي.

فذكر بعض أشياخ مصر: أن قيسا لقي محمد بن أبي بكر فقال له: إنه لا يمنعني نصحي لك ولأمير المؤمنين عزله إياي، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفظ عني ما أوصيك به، يدم صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبي أرطاة ومن ضوى إليهم ع‍ى ما هم عليه، تكفهم عن رأيهم؛ فإن أتوك ولم يفعلوا، فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم؛ وانظر هذا الحي من مضر، فأنت أولى بهم مني: فألن لهم جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك؛ وانظر هذا الحي من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه، يكفوا عنك شأنهم؛ وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم؛ وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك؛ ولن تفعل، إنك والله ما علمت لتظهر الخيلاء، وتحب الرياسة، وتسارع إلى ما هو ساقط عنك؛ والله موفقك.

فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس. فكتب إلى ابن حديج والخارجة معه، يدعوهم إلى بيعته، فلم يجيبوه. فبعث بأبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى دور الخارجة، فهدمها، ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم. فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب، وهموا بالنهوض إليه. فلما علم أنه لا قوة له بهم، أمسك عنهم.." (١)

"الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أيوب بن أبي بكر عمر الحمامي ابن الفقاعي. ومجد الدين أحمد بن عبد الله بن ميسرة الأزدي ابن الحلوانية في شهر ربيع الأول. والشيخ القدوة إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي في شهر ربيع الأول، وله ستون سنة. وأبو بكر عبد الله بن أحمد بن ناصر النحاس في ذي القعدة. وفيها قتلت التتار السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباد صاحب الروم، وله ثمان وعشرون سنة وأجلسوا ولده كيخسرو على التخت وهو ابن عشر سنين.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا سواء.

---

(١) تسمية ولاة مصر، ص/٧

السنة التاسعة من سلطنة الظاهر بيبرس

وهي سنة سبع وستين وستمائة.

فيها توفي الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلي الصالحي النجمي، كان من أكبر أمراء الدولة وأعظمهم محلا عند الملك الظاهر، وكان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية في غيبته عنها لوثوقه به واعتماده عليه، وكان قليل الخبرة لكن رزق السعادة.

قلت: له أسوة بأمثاله. قال: وكان محظوظا من الدنيا له الأموال الجمة والمتاجر الكثيرة والأملاك الوافرة. وأما ما خلفه من الأموال والخيول والجمال والبغال والعدد فيقصر الوصف عنه. ومات بقلعة دمشق في يوم الخميس سابع شعبان ودفن بتربته بجوار مسجد الأمير موسى بن يغمور. ومات وقد نيف على الستين.

وفيها توفي الشيخ المحدث عماد الدين محمد بن محمد بن علي أبو عبد الله، كان فاضلا سمع الكثير، ومات بدمشق في شهر ربيع الأول، ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول: البسيط،

ما للنوى رقة ترثي لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرما هذا من العجب

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفني زين الدين إسماعيل بن عبد القوي بن عزون الأنصاري في المحرم. والإمام مجد الدين علي بن وهب القشيري والد ابن دقيق العيد. والحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد الأبيوردي الصوفي في جمادى الأولى. واللغوي مجد الدين عبد المجيد بن أبي الفرج الروذراوري بدمشق في صفر.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع.

السنة العاشرة من سلطنة الظاهر بيبرس

وهي سنة ثمان وستين وستمائة.

فيها توفي الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة الحكيم الفاضل صاحب المصنفات منها طبقات الأطباء. مات بصرخد في جمادى الأولى، وقد نيف على سبعين سنة، وكان فاضلا عالما في الطب والأدب والتاريخ وله شعر كثير، من ذلك ما مدح به الصاحب أمين الدولة، وهي قصيدة طنانة أولها: الوافر،

فؤادي في محبتهم أسير ... وأنى سار ركبهم يسير

يحن إلى العذيب وساكنيه ... حنينا قد تضفنه سعير
ويهوى نسمة هبت سحيرا ... بها من طيب نشرهم عبير
وإني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالهم يزور
ومعسول اللمى مر التجني ... يجور على المحب ولا يجير
تصدى للصدود ففي فؤادي ... بوافر هجره أبدا هجير
وقد وصلت جفوني فيه سهدي ... فما هذي القطيعة والنفور
وهي طويلة كلها على هذا النمط.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الظاهري نائب حمص، كان فيه صرامة مفرطة، وكان موصوفا بالعسف والظلم وسيرة قبيحة، ومع هذه المساوئ كان أيضا فيه رفض. مات بحمص وفرح بموته أهل بلده.

وفيها توفي الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله المعروف بالزراد، كان نائب قلعة دمشق، وكان من المماليك الصالحية النجمية، وكانت حرمته وافرة وسيرته جميلة. ومات في ذي القعدة.

وفيها توفي موسى بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين الأنصاري المقدسي، كان كبير القدر صدرا كبيرا شجاعا وافر الحرمة، تولى مشيخة الحرم بالقدس الشريف، وكان كريما وله سمعة وصيت. مات بالقدس في المحرم وقد جاوز سبعين سنة.." (١)

"بفؤادي جذوة القبس ... وبعيني الماء منفجرا
قد أتاني الله بالفرج ... إذ دنا مني أبو الفرج
قمر قد حل في المهج ... كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صابه نفسي ... ظنه من حره شررا
نصب العينين لي شركا ... فانثنى والقلب قد ملكا
قمر أضحى له فلكا ... قال لي يوما وقد ضحكا
أنت جئت في أرض أندلس ... نحو مصر تعشق القمرا
والموشحة التي لشمس الدين محمد التلمساني في هذا الوزن هي:
قمر يجلو دجى الغلس ... بهر الأبصار مذ ظهرا
آمن من شبهة الكلف ... ذبت في حبه بالكلف

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣٢١/٢

لم يزل يسعى إلى تلفي ... بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس ... نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا ... كيف لا ترثي لمن بليا

فبثغر منك قد جليا ... قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس ... جد فما أبقيت مصطبرا

بدر تم في الجمال سني ... ولهذا لقبوه سني

قد سباني لذة الوسن ... بمحيا باهر حسن

هو خشفي وهو مفترسي ... فارو عن أعجوبتي خبرا

لك خد يا أبا الفرج ... زين بالتوريد والضرج

وحديث عاطر الأرج ... كم سبى قلبا بلا حرج

لو رآك الغصن لم يمس ... أو رآك البدر لاستترا

يا مذيبا مهجتي كمدا ... فت في الحسن البدور مدى

يا كحيلا كحله اعتمدا ... عجبا أن تبرئ الرمدا

وبسقم الناظرين كسي ... جفنك السحار فانكسرا

وتوجه الشيخ أثير الدين أبو حيان يوما لزيارة الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فلم يجده في منزله فكتب بالجبس على عادة المصريين: حضر أبو حيان، وكانت الكتابة على مصراع الباب، فلما حضر الشيخ صدر الدين رأى اسم الشيخ وكتب إليه:

قالوا: أبو حيان غير مدافع ... ملك النحاة، فقلت بالإجماع

اسم الملوك على النقود وإنني ... شاهدت كنيته على المصراع

وفيه يقول القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر وقد سمعه يتكلم في مسألة أصولية نقلت ذلك من خط محيي الدين وأنشدنيه أثير الدين من لفظه:

قد قيل لما أن سمعت مباحثا ... في الذات قررها أجل مفيد

هذا أبو حيان، قلت: صدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيدي

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها:

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده ... لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهي تزيد على المائة بيت قصيدة مليحة، حكي لي أن الشيخ أثير الدين نظمها وهو ضعيف وتوجه إليه جماعة يعودونه فيهم شمس الدين ابن دانيال فأنشدهم الشيخ القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال: يا جماعة وأخبركم أن الشيخ عوفي وما بقي به بأس لأنه لم يبق عنده فضله، قوموا بنا بسم الله. وأنشدني الشيخ أثير الدين لنفسه قصيدته السينية التي أولها:

أهاجك ربع حائل الرسم دارسه ... كوحي كتاب أضعف الخط دارسه

وهي قصيدة مليحة تلعب فيها بفنون الكلام تقارب المائة، وأنشدني لنفسه إجازة:

تقشقته شيخا كأن مشيبه ... على وجنتيه ياسمين على ورد

أخا العقل يدري ما يراد من النهى ... أمنت عليه من رقيب ومن ضد

وقالوا الورى قسمان في شرعة الهوى ... لسود اللحى ناس وناس إلى المرد

ألا إنني لو كنت أصبو لأمرد ... صبوت إلى هيفاء مائسة القد

وسود اللحى أبصرت فيهم مشاركا ... فأحببت أن أبقى بأبيضهم وحدي

وأنشدني من لفظه لنفسه في مليح أحدب:

تعشقته أحدبا كيسا ... يحاكي نجيبا حنين البغام

إذا كدت أسقط من فوقه ... تعلقت من ظهره بالسنام

أنشدني من لفظه لنفسه في مليح أسود:." (١)

"وقال الشيخ يحيى الخباز فيما عبد إنهما له. وأنشدني العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: أنشدنا العلامة علاء الدين علي بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي قال: أنشدنا أبو جلنك لنفسه:

أتى العذار بماذا أنت تعتذر ... وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذر

لا عذر يقبل إن نم العذار لوا ... ينجيك من خوفه بأس ولا حذر

كأنني بوحوش الشعر قد أنست ... بوجنتيك وبالعشاق قد نفروا

وكلما مر بي مرد أقول لهم ... قفوا نظروا وجهه هذا الحر واعتبروا

وأنشدني بالسند المذكور وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان فوقع له برطلي خبز

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٨٩/٢

وكتب ذلك على بستانه:

لله بستان حللنا دوحه ... في جنة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانيرا رأت ... قاضي القضاة فنفشت أذنابها

قلت: بلغني أن الشيخ بدر الدين ابن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع. وأنشدني بالسند المذكور له أيضا:

لا تحسبن خضابها النامي على ال ... قدمين بالمتكلف المصنوع

لكنها بالهجر خاضت في دمي ... فتسربلت أقدامها بنجيعي

وأنشدت له:

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك ال ... بيت المقدس من روحي وجثماني

وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذو زور وبهتان

فلا يغرنك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلوان

قلت: ألطف من هذا قول القائل:

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا ترثي لصب متيم

ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم

وأنشدت لأبي جلنك أيضا:

وشادن يصفع مغرى به ... براحة أندى من الوابل

فصحت في الناس: ألا فاعجبوا ... بحر غدا يلطم في الساحل

وأنشدني أثير الدين قال أنشدني علاء الدين علي بن سيف الدين سكن قراءة عليه قال: أنشدنا أبو جلنك لنفسه:

ماذا على الغصن الميال لو عطفا ... ومال عن طرق الهجران وانحرفا

وعاد لي عائد منه إلى صلة ... حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى

صفا له القلب حتى لا يمازجه ... شيء سواه وأما قلبه فصفا

وزارني طيفه وهنا ليؤنسني ... فاستصحب النوم من عيني وانصرفا

ورمت من خصره برءا فزدت ضنى ... وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا

حكى الدجى شعره طولا فحاكمه ... فضاع بينهما عمري وما انتصفا

ابن برق والي دمشق

أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن برق الأمير شهاب الدين متولي مدينة دمشق، كان أولا والي صيداء فأحسن السيرة بها والسمعة، فنقله الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله إلى ولاية مدينة دمشق فأقام فيها مدة مديدة وكان إنسانا حسنا يحب الفضلاء ويؤثرهم وعلى ذهنه حكايات ووقائع وشعر وغيره، وساس الناس بها سياسة حسنة ولم يبد منه ما أنكره الناس عليه إلا واقعة ابنة لاجين لما كبست فإن الأمير سيف الدين تنكز خنقها وحبس من كان معها مددا زمانية بعد ما ركبوا على اللعب للصلب وكان ذلك من قوة أنفاس الممسوكين فإنهم تجهزوا عليه فاحتاج إلى إعلام النائب بذلك فكان ما كان، وكان أمير عشرة وتوفي رحمه الله سنة ست وثلاثين وسبع مائة، وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله قد جعله حكم البندق عوضا عن الأمير صارم الدين صاروجا فكتبت له بذلك توقيعا ونسخته:." (١)

"فلقد جل خطب دهر أتانا ... بمقادير أتلفت ببغاكا

عجبا للمنون كيف أتاها ... وتخطت عبد الحميد أخاكا

كان عبد الحميد أصلح للمو ... ت من الببغا وأولى بذاكا

شملتنا المصيبتان جميعا ... فقدنا هذه ورؤية ذاكا

انتهى كلام الصولي.

قلت: ومثل هذا ما كتبه ابن المعتز إلى عبد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء أبي الحسين أبياتا منها:

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته ... بأبي الحسين وقد ربحت عليه

وأبو محمد الجليل مصابه ... لكن يمين المرء خير يديه

وقال الصولي: أول ما ارتفع به أحمد بن يوسف أن طاهرا أمر الكتاب لما قتل المخلوع أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا فقال طاهر: أريد أخصر من هذا. فوصف له أحمد بن يوسف فأحضره لذلك. فكتب: أما بعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمة الدين وخروجه عن إجماع المسلمين. قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: " يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح " . ولا صلة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣١٢/٢

كانت في ذات الله. وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع، وأحصد لأمير المؤمنين أمره وأنجز له وعده، فالأرض بأكنافها أوطأ مهاد لطاعته وأتبع شيء لمشيئته. وقد وجهت إلى أمير المؤمنين بالدنيا وهو رأس المخلوع، وبالآخرة وهي البردة والقضيب. فالحمد لله الآخذ لأمير المؤمنين بحقه والكائد له من خان عهده ونكث عقده حتى رد الألفة وأقام به الشريعة، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فرضي طاهر بذلك ونفذه، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه. وأهدى أحمد بن يوسف هدية إلى المأمون في يوم نيروز وكتب معها:

على العبد حق فهو لا شك فاعله ... وإن عظم المولى وجلت فضائله

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدى للكريم بقدره ... لقصر فضل المال عنه وسائله

ولكننا نهدي إلى من نعزه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يعاد له

وقال موسى بن عبد الملك: وهب لي أحمد بن يوسف ألف ألف درهم في مرات. وكان يرمى بأنه يعبث بموسى بن عبد الملك يتعشقه، وعاتبه فيه محمد ابن الجهم البرمكي فكتب إليه أحمد بن يوسف:

لا تعذلني يا أبا جعفر ... لوم الأخلاء من اللوم

إن استه مشربة حمرة ... كأنها وجنة ملكوم

فتقدم محمد إلى البجلي وكان في ناحيته فأجابه:

لست بلاحيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم

لأنه في استه سخنة ... كأنها سخنة محموم

حكى علي بن يحيى ابن أبي منصور أن المأمون كان إذا تبخر طرح العود والعنبر، فإذا تبخر أمر بإخراج المجمرة ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له؛ فحضر أحمد بن يوسف يوما وتبخر المأمون على عادته ثم أمر أن يوضع المجمر تحت بن يوسف فقال: هاتوا إذا المردود. فقال: ألنا يقال هذا ونحن نصل رجلا واحدا بستة آلاف ألف دينار؟ إنما قصدنا إكرامك وأن أكون أنا وأنت قد اقتسمنا بخورا واحدا؛ يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في غاية الجودة في كل قطعة في المجمر يبخر بها أحمد ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها. وفعل به ذلك وبقطعة ثانية وثالثة وهو يصيح ويستغيث، وانصرف إلى منزله وقد احترق دماغه واعتل ومات. وكانت له جارية يقال لها نسيم كان لها من قلبه مكان خطير فقالت **ترثيه**:

ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا قبله صانه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

وقالت ترثيه أيضا:

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... فألسننا حرب وأبصارنا سلم

وتحت استراق اللحظ منا مودة ... تطلع سرا حيث لا يبلغ الوهم

ومن شعر أحمد بن يوسف قوله:

كم ليلة فيك لا صباح لها ... أحييتها قابضا على كبدي." (١)

"أتراك ترثي لي من ال ... بلوى فترحم ما ألاقي

وتمن لي بتواصل ... يوما وتنعم بالتلاقي

ومنه من الرجز:

حن إلى عهد الشباب والصبي ... صب كئيب مستهام فصبا

ولم تزل أشواقه تقلقه ... حتى بكي من الجوى منتحبا

يذكر أياما له تقادمت ... وصفو عيش لم يزل منتهبا

من قبل أن تغرب شمس وصله ... ولم يكن بدر الوفا محتجبا

أيام لا يخشى عدوا كاشحا ... ولم يخف في الحب عين الرقبا

وصاح من عظم الجوى: واأسفا! ... وقال من غرامه: واحربا!

عماد الدين ابن باطيش الشافعي

إسماعيل بن هبة الله بن سعيد بن هبة الله بن محمد الإمام عماد الدين أبو المجد ابن أبي البركات ابن أبي الرضا ابن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي، ولد سنة خمس وسبعين وسمع ببغداد من جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي وابن سكينة وابن المقرون وابن جوالق وعبد الواحد بن سلطان ويحيى بن الحسن الأواني وجماعة، وبحلب من حنبل وبدمشق من الكندي وابن الحرستاني وابن الزنف والخضر بن كامل وبحران من عبد القادر الحافظ، ودرس وأفتى وصنف، وكان من أعيان الأئمة وله معرفة بالحديث ومجاميع في أسماء الرجال وغير ذلك. وله كتاب طبقات أصحاب الشافعي ومشتبه النسبة والمغني في شرح غريب المهذب ولغته وأسماء رجاله، وكان عارفا بالأصول حسن المشاركة في العلوم، روى عنه الدمياطي وابن

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٢٢/٣

التوزي والتاج صالح الحاكم وابن الظاهري وجماعة، وكان واصلا عند الأمير شمس الدين لؤلؤ نائب المملكة وبينهما صحبة من الموصل، درس بالنورية بحلب وتخرج به جماعة، وانتقى لنفسه جزءا عن شيوخه. توفي سنة خمس وخمسين وستمائة وقد جاوز الثمانين. وأورد له ابن النجار من الطويل:

بأي لسان بعد بعدك أنطق ... لأبدي جنايات جناها التفرق

سهاد بجفن العين مني موكل ... وقلب لتذكار الأحبة يخفق

وشوق إلى الزوراء يزداد كلما ... ترنم قمري وناح مطوق

وما شاقني جسر ولا رقة ولا ... صراة بها ماء الفرات مرقرق

ولا نهر عيسى والحريم ودجلة ... ولا سفنها أمست تخب وتعنق

ولكن لليلات تقضت بسادة ... برؤيتهم شمل الهموم يفرق

فلا غرو أن يذري الدموع لبعدهم ... ومنهم حليف المكرمات الموفق

المليجي المقرئ

إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله فخر الدين أبو الطاهر ابن أبي القاسم ابن المليجي المصري المقرئ المعدل مسند القراء في زمانه، ولد سنة تسع وثمانين أو قبلها بيسير، وقرأ بالسبع على أبي الجود وهو آخر من قرأ عليه وفاة، وازدحم عليه آخر عمره الطلبة لعلوه ولإتقانه، وقرأ عليه الشيخ أثير الدين أبو حيان وقطب الدين عبد الكريم والتقي أبو بكر الجعبري، وتساوى القراء بعده في إسناد أبي الجود. وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

القوصي أبو الطاهر

إسماعيل بن هبة الله بن عبد الله القاضي أبو الطاهر القوصي، أديب شاعر، روى عنه تقي الدين ابن دقيق العيد والفقيه عبد الملك بن أحمد الأرمنتي وأثير الدين أبو حيان. أنشدني أثير الدين أبو حيان قال: أنشدنا لنفسه من الخفيف:

يا شبابي، أفسدت صالح ديني ... يامشيبي، نغصت لذة عيشي!

فعدوان أنتما لا صديقا ... ن تلاعبتما بحلمي وطيشي

عز الدين الإسنائي." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/٢٥٠

"فلا تلدي ولا ينكحك مثلي ... إذا ما ليلة طرقت بنحس

تريد شرنبث الكفين شثنا ... يباشر بالعشية كل كرس

فقالت الخنساء:

معاذ الله ينكحني حبركى ... يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أصبحت في جشم هديا ... إذا أصبحت في دنس وفقر

وأما أخوها صخر فإنه اكتسح أموال بني أسد وسبى نساءهم فتبعوه واقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرا في جنبه وفات القوم، فلم يقعص وجوى منها، فمرض حولا حتى مله أهله، فسمع امرأة وهي تسأل امرأته سلمى كيف بعلك؟ فقالت: لا حي فيرجى ولا ميت فينعى، لقينا منه الأمرين. فقال صخر لما سمع ذلك منها:

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن تكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها ... محلة يعسوب برأس سنان

وإن امرءا ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد من جنبه من الطعنة، قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال: شانكم، فأحموا له شفرة ثم قطعوها، فمات، فقالت الخنساء ترثيه:

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها

منها:

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويذهب من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فزان الكواكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها

وهي طويلة ساقها صاحب الأغاني.

وقالت ترثيه أيضا:

قذى بعينيك أم بالعين عوار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار

لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطوار

منها:

يوما بأوجد مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار

فإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

مثل الرديني لم تنفذ شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار

وهي طويلة مذكورة في الأغاني. ولها فيه مراث كثيرة، وأما أخوها معاوية، فغزا بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان فاستطرد له أحدهما ثم وقف وشد الآخر عليه فقتله، فلما تنادوا قتل معاوية، فقال خفاف: قتلني الله إن دمت حتى أثأر به. فشد على مالك بن حمار الشمخي، وكان سيد بني شمخ فقتله، وقال خفاف في ذلك:

فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا

منها:

تيممت كبش القوم لما عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا

فجادت له مني يميني بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا

فقالت الخنساء ترثي معاوية:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه

بداهية يضغي الكلاب حسيسها ... ويخرج من سر النجي علانيه

ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا ... إذا ما دعته جرأة وعلانية

وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه

وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانيه." (١)

"وكم جبار قوم ذي عتو ... تهيب أن يراه في المنام

يساوي عنده في العدل بين ال ... كرام الغر والسود اللئام

وهيبته سرت شرقا وغربا ... وشاعت عنه في مصر وشام

يراع المغل في توريز منه ... ويطرق أرضهم في كل عام

وكم قطع الفرات وصاد حتى ... توغل في فضا تلك الموامي

إذا ما قيل هذا الليث وافى ... مضوا هربا كأمثال النعام

فرائسه فرائصها تراها ... دوامي لا تزال على الدوام

ولم نر قبله ليثا أتته ... أفاعي القيد تنذر بالحمام

وقد رقت له فتئن حزنا ... عليه في القعود وفي القيام

ألا فاذهب سقيت أبا سعيد ... فقد روى زمانك كل ظام

فأنت وديعة الرحمن منا ... تحوطك في الرحيل وفي المقام

وليت فلم تخن لله عهدا ... ولم تجذبك فيه عرى الملام

حاشا أن يراك الله يوما ... تعديت الحلال إلى الحرام

ونلت من السعادة والمعالي ... منالا حاز غايات المرام

وكنت تحب نور الدين طبعا ... لأنكما سواء في التزام

رعيت كما رعى وحميت ما قد ... حمى نفديك من راع وحام

وكنت إذا دجا ليل القضايا ... وكانت من مهمات جسام

تفرجها بقول منك فصل ... لأن القول ما قالت حذام

تنكز بغا، الأمير سيف الدين مشد الشرابخاناه، اشتهر وذكر في أيام الناصر حسن. ولما أمسك الوزير منجك، وجرى ما جرى، أعطي إمرة مائة وتقدمة ألف، واختص بالسلطان الملك الناصر، وصارت له المنزلة العالية. فخرج الأمير علاء الدين مغلطاي وطاز على السلطان وركبا إلى قبة النصر. وجهر إليه أن جهز إلينا النمجا وتنكز بغا، فجهز ما طلبوه وخلعوه وجرى ما جرى ثم إن الصالح أفرج عنه وحضر معه إلى الشام في

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣/٤٦٠

نوبة بيبغا، وتوجه معه عائدا. ولما وصل إلى مصر، رسم له بإمرة طبلخاناه مائة فارس وتقدمة ألف، وعظم شأنه وارتفع قدره في الأيام الناصرية حسن في المرة الثانية، وعين لنيابة الشام في إخماد ذلك. ثم إنه تعلل ومرض وطالت علته، فصار يقوم تارة ويقع ويصح تارة ويسقم، إلى أن ورد الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وخمسين وسبع مائة.

الألقاب

التنوخي: أبو علي المحسن بن علي القاضي الأديب.

القاضي التنوخي: علي بن المحسن.

التنوخي الحنفي: علي بن محمد.

التهامي الشاعر: اسمه علي بن محمد بن فهد.

توبل الشهرزوري

توبل ابن الأمير بهاء الدين الشهرزوري من أمراء دمشق؛ كان من الأبطال الشجعان والفرسان المعدودين، استشهد يوم المصاف، يوم الخميس رابع عشر شهر رجب سنة ثمانين وست مائة ظاهر حمص بعد أن قاتل قتالا كثيرا وأنكى في العدو نكايات كثيرة، وقتل منهم عدة وافرة بيده وكان قد نيف على الستين رحمه الله تعالى.

توبة

توبة بن الحمير

توبة بن الحمير الخفاجي، أحد المتيمين؛ صاحب ليلى الأخيلية، وسوف يأتي ذكرها في حرف اللام في موضعه إن شاء الله تعالى. كان يهوى ليلى فخطبها إلى أبيها، فأبى أن يزوجه، وزوجها في بني الأولغ، فكان يكثر زيارتها، فشكوه إلى قومه، فلم يقلع، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم، فعلمت بذلك ليلى، ثم إن قومها كمنوا له في الموضع الذي يلقاها فيه، فلما جاء، خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة، فطن لما أرادت وركض فرسه ونجا؛ وقال قصيدته التي أولها:

نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها

منها:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها

ثم إن توبة قتلته بنو عوف بن عقيل في حدود الثمانين للهجرة، فقالت ليلى ترثيه:

نظرت ودوني من عمامة منكب ... وبطن الرداء أي نظرة ناظر

وتوبة أحيى من فتاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر

ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجرا ... ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر." (١)

"قد بان لي عذر الكرام فصدهم ... عن أكثر الشعراء ليس بعار

لم يسأموا بذل النوال وإنما ... جمد الندى لبرودة الأشعار

ومنه: من المنسرح

تزيد القول فيه أن له ... وردا جنيا في صفحة الخد

فنكرشت عارضاه تشعر أن ... الشوك لا بد منه للورد

ومنه: من الخفيف

قيل لي ما تقول في شعرات ... رحلت حسن ذلك الخد عنه

ولحوني على تزايد وجدي ... قلت غطى شيئا بأحسن منه

فتلافيت قلبه حين حانت ... عارضاه بأنني لم أخنه

ومنه: من مجزوء الكامل

لما بدا خط العذا ... ر يزين خديه بمشق

وظننت أن سواده.. ... فوق البياض كتاب عتقي

فإذا به من سوء حظ ... ي عهدة كتبت برقي

ومنه: من مخلع البسيط

ولائم في اكتحالي ... يوم استباحوا دم الحسين

فقلت دعني أحق عضو ... ألبس فيه السواد عيني

قلت: أحسن منه قول أبي الحسين الجزار: من السريع

ويعود عاشوراء يذكرني ... رزء الحسين فليت لم يعد

فليت عينا فيه قد كحلت ... بمسرة لم تخل من رمد

ويدا به لمشاتة خضبت ... مقطوعة من زندها بيدي

يوم سبيلي حين أذكره ... أن لا يدور الصبر في خلدي

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤٧٧/٣

أما وقد قتل الحسين به ... فأبو الحسين أحق بالكمد

قلت: ما أحسن قوله مقطوعة من زندها بيدي وهو جزار، لقد ظرف إلى الغاية. ومن شعر ابن جكينا: من البسيط

يا من تواضعه للناس عن ضعة ... منه فمن أجلها بالكبر يتهم

قعدت عن صلة الراجي وقمت له ... وهذا وثوب على الطلاب لا لهم

ومنه: من المنسرح

ومظهر وده لسائله ... يكف عنه الأطماع بالياس

يقوم للناس مكرما فإذا ... راموا نداه يقوم للناس

ومنه: أيضا: من السريع

قصدت فتعالى به قدري ... فدتك النفس من قاصد

وما رأى العالم من قبلها ... بحرا سعى قط إلى وارد

؟النبال مقرىء مكة

الحسن بن أحمد بن محمد النبال القواس، مقرىء مكة. توفي سنة خمس وأربعين ومئتين.

؟البزكان الواعظ

الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن الأنصاري، أبو علي الواعظ الصوفي الملقب بالبزكان، بضم الياء الموحدة وسكون الزاي وبعدها كاف وبعد الألف نون، البغدادي. كان له كلام على لسان أهل الطريقة سمع جماعة منهم الحسين بن أحمد النعالي ورزق الله بن عبد الوهاب التميمي والقاضي أبو يوسف الأسفراييني وغيرهم. وسافر إلى الشام ومصر والجبال وصحب المشاريخ الكبار وخدمهم وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة ومن شعره: من الطويل

سأصبر جهدي ما استطعت ولا أبدي ... فما قصدهم قصدي ولا وجدهم وجدي

وأكتم حبا قد تقادم عهده ... لعلي أنال القرب من دونهم وحدي

ومنه: من البسيط

إن النجوم لترثي لي وترحمني ... مما أبيت أقاسيه من السهر

أبيت في وصله من هجره وجلا ... أذري الدموع على خدي كالمطر

قلت: شعر مقبول.

ابن الحويزي

الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان العباسي، المعروف بابن الحويزي. نشأ ببغداد وقرأ بها القرآن بالروايات على أبي الكرام المبارك بن الشهرزوري، وسمع منه ومن أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي والحافظ بن ناصر وغيرهم. قرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب وسكن واسطا إلى أن مات بها سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة وكان يقرىء القرآن بها والأدب ويعلم الصبيان الغناء بالألحان وكان يعرف الموسيقى وكان مشتهرا بالسماع وحضور أماكن الغناء، وكان أديبا فاضلا حسن المعرفة بالنحو ويقول الشعر، وكان متصوفا ظريفا لطيفا جميل الهيئة كثير العبادة متنسكا صالحا أورد له محب الدين بن النجار: من الوافر

غرام كل يوم مستجد ... وشوق ماله أمد وحد

وجب كلما يزداد قلبي.. ... به شغفا تزايد منه صد." (١)

"دريد بن الصمة أبو قرة الهوازني الجشمي واسم الصمة معاوية. وفد على الحارث بن أبي شمر. ويعد من شعراء العرب وشجعانها وذوي أسنانها. عاش نحوا من ماءتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه.

وخرجت به هوازن يوم حنين تتيمن برأيه فقتل كافرا. ولما انهزم المشركون أدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة لأنه كان في شجار له. فأناخ به فإذا شيخ كبير ابن مائتي سنة والغلام لا يعرفه. فقال له دريد: ما تريد إلى الكبير المرعش الفاني الأدرد؟ فقال الفتى: ما أريد إلى غيره ممن هو على مثل دينه. فقال له دريد: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي. وضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد: بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أفعل بالرجال. فإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك.

فزعمت بنو سليم أن ربيعة لما ضربه تكشف للموت فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتل دريد فقالت: واله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا في غداة واحدة وجز ناصية أبيك. قال الفتى: لم أشعر وقال عمرة بنت دريد ترثيه:

جزى عنا الإله بني سليم ... وأعقبهم بما فعلوا عقاق

وأسقانا إذا سرنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقي

---

(١) الوافي بالوفيات، ١١٧/٤

فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقي

ورب كريهة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من لوثاق

ورب منوه بك من سايم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق

لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العتاق

وقال ترثيه أيضا:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... وظل دمعي على الخدين ينحدر

لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تقتدر

إذا لصبحهم منا وظاهرهم ... حيث استقلت نواهم جحفل زفر

الألقاب

ابن دريد اللغوي: اسمه محمد بن الحسن ٧٩٤.

ابن درهم: تاج الدين علي بن محمد بن عبد العزيز.

الدسكري: أحمد بن عبيدة ٣١٠٢.

الدسكري: يوسف بن صالح.

الدشتي: أحمد بن محمد بن أبي القاسم ٣٥١٠.

الدشناوي: تاج الدين محمد بن أحمد ٥١٣.

ابن درشينة البعلبكي: أبو بكر بن أحمد.

الخزاعي الشاعر

دعبل بن علي أبو علي الخزاعي الشاعر المشهور. له شعر رائق صنف كتابا في طبقات الشعراء. قال: إن أصله من الكوفة وقيل من قرقيسيا وكان أكثر مقامه ببغداد. وسفر إلى غيرها من البلاد وقدم دمشق ومدح نوح بن عمرو بن حوي السكسكي بعدة قصائد. وخرج منها إلى مصر.

وقيل: إن اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ودعبل لقب له ويقال الدعبل للبعير المسن ويقال: الشيء القديم. وخرج إلى خراسان ونادم عبد الله بن طاهر. قال أبو سعيد ابن يونس: قدم إلى مصر هارا من المأمون لهجو هجاه به. وخرج منها إلى المغرب إلى الأغلب. قال الخطيب: وعاد إلى بغداد بعد ذلك وكان خبيث اللسان قبيح الهجاء وقيل كان أطرش في قفاه سلعة. واسمه الحسن وقيل عبد الرحمن وقيل محمد وكنيته أبو جعفر.

ولد سنة ثمان وأرعين ومائة وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين وله سبع وتسعون سنة. وقيل قتله المعتصم سنة عشرين. وقيل هجا مالك بن طوق فجهز عليه من ضربه بعكازة مسمومة في قدمه فمات من ذلك بعد يوم. ولقبته دابته لدعابته التي كانت فيه. قال أبو شامة: وكان مداحا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هجاء لبني العباس وغيرهم.

أنشد المأمون من شعره:

سقيا ورعيا لأيام الصبابات ... أيام أرفل في أثواب لذاتي

أيام غصني رطيب من لدونته ... أصبو إلى غير كناتي وجاراتي

دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف في متن الجهالات

واقصد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بني بيت الكرامات

فلما أتى على القصيدة قال: لله دره! ما أغوصه وانصفه واوصفه.

ثم قال: إنه وجد والله مقالا فقال.

وقيل: إن المأمون أقبل يجمع الآثار في فضائل آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهى إليه فيما انتهى من فضائلهم قول دعبل:." (١)

"ضربته عشية الهلال ... أول يوم عد من شوال

ضربا على الرأس أبا بدال ... ثمت ما أبت ولا أبالي

ألا تؤوب آخر الليالي

وجمع كل واحد لصاحبه قومه وأحلافهم وطالت الحرب بينهم وجرت أمور. فقال أخوة الأشهب بن رميلة: ويلكم يا قوم، أفي ضربة من عصا لم تصنع شيئا تسفكون دماءكم! والله، ما بصاحبكم من بأس، فأعطو قومكم حقهم. فقال جحناء ورباب: والله لننصرفن فلنلحقن بغيركم ولا نعطي ما بأيدينا.

فقال الأشهب: ويلكم، أتتركون دار قومكم في ضربة عصا لم تصنع شيئا! ولم يزل بهم حتى جاءوا بأخيه رباب فدفعوه إلى بني قطن وأخذوا منهم أبا بدال المضروب فمات تلك الليلة في أيديهم. فجاء بنو قطن إلى رباب فقالوا: أوص بما بدا لك فإن أبا بدال مات.

قال دعوني أصل. قالوا: صل. فصلى ركعتين ثم قال: أما والله إني إلى ربي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تروا أن ذلك فرق من الموت، فليضربني منكم رجل شديد الساعد حديد السيف. فدفعوه

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤/٤٢٤

إلى ابن خزيمة فضرب عنقه. ودفنوه وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه أن دفع أخاه ربابا إليهم من الطويل

أعيني قلت عبرة من أخيكما ... بأن تسهرا ليل التمام وتجزعا

وباكية تبكي ربابا وقائل ... جزى الله خيرا ما أعف وأمنعا

وأضرب في الهيجا إذا حمي الوغى ... وأطعم إذ أمسى المراضيع جوعا

إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهم ... ظمئنا ولم نشف الغليل فينقعا

قرونا دما والضيف منتظر القرى ... ودعوة داع قد دعانا فأسمعا

مددنا وكانت هفوة من حلومنا ... بثدي إلى أولاد ضمرة أقطعا

وقد لامني قومي ونفسي تلومني ... بما فال رأيي في رباب وضيعا

فلو كان قلبي من حديد أذابه ... ولو كان من صم الصفا لتصدعا

زوجة الحسين بن علي

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي زوجة الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهي أم سكينة بنت الحسين. وهي التي يقول فيها الحسين: من الوافر

لعمرك إنني لأحب دارا ... تكون بها سكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب

كانت الرباب من أفضل النساء وأجملهن وخيارهن. خطبت بعد قتل الحسين فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقالت ترثي الحسين: من البسيط

إن الذي كان نورا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين

رباح

قاضي المدينة

رباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب قاضي المدينة.

قتل مع بني أمية يوم نهر أبي فطرس. روى عن جدته ابنة سعيد بن زيد وأبي هريرة وزرعة بن إبراهيم وزياد بن زياد بن أبيه. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

ابن المعترف الصحابي

رباح بن المعترف قيل رباح بن عمرو بن المعترف وقيل اسم المقترف وهيب بن حجوان له صحبة. كان شريك عبد الرحمن بن عوف في التجارة وابنه عبد الله بن رباح من كبار العلماء وسيأتي ذكره إن شاء الله مكانه.

كان مع عبد الرحمن في سفر فرفع صوته رباح يغني غناء الركبان، فقال له عبد الرحمن: ما هذا؟ قال: غير ما بأس نلهو ونقصر عنا السفر. فقال عبد الرحمن: إن كنتم لا بد فاعلين فعليكم بشعر ضرار بن الخطاب. ويقال إنه كان معهم في ذلك السفر عمر بن الخطاب وكان يغنيهم غناء النصب.

مولى الحارث الصحابي

رباح مولى الحارث الصحابي. قتل يوم اليمامة شهيدا وهو مولى الحارث بن مالك الأنصاري.

مؤذن الرسول

رباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم. كان أسود وربما أذن على النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اللخمي الصحابي." (١)

"قلت: هذا القاضي جمال الدين جاء إلينا إلى صفد قاضيا من جهة جمال الدين الزرعي، وأقام أشهرا. فلما ولي القضاء القاضي جلال الدين القزويني عزله، وتوجه إلى مصر مع ابن جماعة، فولاه قضاء دمياط. فلما ولي القاضي جلال الدين القزويني إلى الديار المصرية عزله. ثم إنه توصل ودخل عليه فولاه ثم عزله. وقرر له مرتبا يأخذه ولا يتولى الأحكام؛ فكنت كثيرا ما أراه، فيشكو إلي بالقاهرة حاله، وإعراض القاضي جلال الدين عنه. فلما توجه إلى الشام، وتولى قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة ولاه قضاء دمياط؛ لم يزل بها حاكما إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة أربعين وسبع ماية. وولي قضاء عجلون فيما أظن أو الخطابة، وقضاء سلمية وغير ذلك. وكان فصيح العبارة، مليح الشكل، أحمر الوجه مستديره، موجنا منور الشيبة، عذب الكلام، ينظم نظما عذبا منسجما فيه بعض شيء من اللحن الخفي جدا. وعمل مجلدة في الخطب وسمها بتحفة الألباء فقرأتها عليه بصفد جمعاء، وأجازني جميع ما يجوز له أن يرويه. وفي

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤/٤٤٢

هذه الخطب مواضع خارجة جمعاء، وأجازني جميع ما يجوز له أن يرويه. وفي هذه الخطب مواضع خارجة عن الصواب من اللحن الخفي. فكتبت أنا عليها طبقة وصورتها: قرأت هذه الخطب المسردة على حروف المعجم من أولها إلى آخرها على مصنفها وكاتبها الفقير إلى الله تعالى القاضي جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد التبريزي الشافعي الحاكم بصفد المحروسة لا زالت الطروس توشى وتوشع بكلامه وأقلامه، وترصف وترصع بحكمه وأحكامه، ومحاسن أيامه ولياليه تنشى وتنشد، ودرر نثره ونظامه تنظم وتنضد، قراءة من غاص اللجة من بحر حبرها، وعلم قيمة المنتقى والمنتقد من دراريها ودرها. واستشف معانيها المجلوة في حبر حبرها، وصدق معجز آياتها وما شك في خبر خبرها، واستجلى وجوه عربها، وتوجيه إعرابها، وتحقق أن القرائح ما لها طاقة على مثلها في باب١٠، وتنزه في حدائقها التي ضربت عليها أرواق الأوراق، واجتلى أبكارها الغر فكانت حقيقة فتنة العشاق، فسرحت سوام الطرف فيما أرضاه من روضاتها ورشفت قطر البلاغة مما زهي من زهراتها:

وتشنفت أذني بلؤلؤ لفظها ... وتنزهت عيناي في جناتها

وتأملت أفهامنا فتمايلت ... بترشف الصهباء من كاساتها

فكأن همز سطورها بطروسها ... ورق على الأغصان من ألفاتها

وكأنها وجنات غيد نقطها ... خال على الأصداغ من جيماتها

لله ما أطرى وأطرب ما أتى ... في هذه الأوراق من سجعاتها

لا غرو أن عقدت لسان أولي النهى ... عن مثلها بالسحر من كلماتها

وأنشدني من لفظه لنفسه بصفد سنة أربع وعشرين وسبع ماية في الشبابة:

وناطقة بأفواه ثمان ... تميل بعقل ذي اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار ... يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه ... سوى من كان ذا طبع لطيف

فضيحة عاشق ونديم راع ... وعزة موكب ومدام صوفي

قلت: ظرف في قوله: ومدام صوفي، وأنشدني من لفظه لنفسه، قال: حضرت صحبة الملك الظاهر بيبرس حصار قلعة صفد، فصنعت هذه الأبيات:

إذا القلعة الشماء باتت حصينة ... وبات على أقطارها القوم رصدا

ترى منجنيقا يذهب العقل حسه ... يغادرهم بين الأسرة همدا

إذا ما أراها السهم منه ركوعه ... تخر له أعلى الشراريف سجدا

وأنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان؛ قال؛ أنشدني المذكور لنفسه:

جاءت تهز اختيالا ... قد القضيب المنعم

تجر إثر خطاها ... أذيال مرط مسهم

قد أنجد الردف والخص ... ر غار لطفا وأتهم

يا ويح خصر شقي ... من جور ردف منعم

وبات بدري بصدري ... حتى إذا الصبح أنجم

ودعته وهو يبكي ... ويمزج الدمع بالدم

في موقف لو ترانا ... لكنت ترثي وترحم

خصا البغل." (١)

"عثمان بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع علم الدين. أبو عمرو القشيري ابن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد. سمع من أصحاب البوصيري، وكان من الفقهاء الفضلاء. درس بالفاضلية بالقاهرة، ودرس بقوص وولي بها وكالة بيت المال. وكان ذكي الفطرة أجازه الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي بالفتوى، وكتب في إجازته: وقد أجازه غرس مجده وتلميذ جده. وكان حاد القريحة، حاضر الجواب، تكلم هو وابن قرصة فقال له ابن قرصة: كبرتم بم؟ ألا إنك ابن دقيق العيد! فقال له: نعم! كل قدح منا يجيء ألف قرصة منكم! فقال ابن قرصة: جواب مسكت.

ولد بقوص سنة اثنتين وخمسين وستماية. وتوفي بها سنة إحدى وتسعين وست ماية.

أبو السائب الجمحي

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص القرشي الجمحي. أبو السائب. أمه سخيلة بنت العنبس بن وهبان بن حذافة بن جمح؛ وهي أم السائب وعبد الله. أسلم عثمان بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا. وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعدما رجع من بدر، وأول من تبعه إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وروي من وجوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بعدما مات. توفي سنة اثنتين للهجرة بعد اثنين وعشرين شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: بعد ثلاثين شهرا بعد بدر. ولما دفن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم

---

(١) الوافي بالوفيات، ٦/٢١٤

السلف لنا عثمان بن مظعون. ولما توفي إبراهيم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون! وأعلم قبر عثمان بحجر، وكان يزوره، وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة؛ وكان هو وعلي بن أبي طالب وأبو ذر قد هموا بأن يختصوا ويتبتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزلت فيهم: " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " الآية. وهو أحد من حرم الخمر في الجاهلية؛ وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أنكح كريمتي! فلما حرمت الخمر أتي وهو بالعوالي فقيل له: قد حرمت الخمر! فقال: تبا لها؛ فقد كان بصري فيها ثابتا! وقال ابن عبد البر: في هذا نظر لأن تحريم الخمر عند أكثرهم بعد أحد. وقالت امرأته ترثيه:

يا عين جودي بدمع غير منمنون ... على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بان في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفنين

وأورث القلب حزنا لا انقطاع له ... حتى الممات فلا ترقى له شوني

النجيب الشافعي

عثمان بن مفلح القوصي الشافعي، نجيب الدين، أبو عمرو. فقيه فاضل. أخذ الفقه عن الشيخ مجد الدين القشيري وأفتى ودرس وتولى الحكم بإسنا وإدفو وأصفون والأقصر. قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: حكي لي أنه كان يتكلم على الوسيط كلاما جيدا وأنه بحث مرة مع شخص فأراد ذاك الشخص أن يبكته فقال له: أنت ابن من؟ فإن مفلح والده مولى! فقال له الشيخ النجيب: أنا ابن العلم! واشتغل عليه جماعة بإسنا وتخرجوا عليه. وتوفي بإسنا في شهور سنة ثمان وستين وست مائة. وتولى تدريس المدرسة العزية بإسنا وكان الشيخ بهاء الدين القفطي معيدا عنده.

الكندي البصري

عثمان بن مقسم البري الكندي. البصري. أحد الأعلام على ضعفه. توفي في حدود السبعين ومائة.

أبو عمرو الواعظ الحنبلي

عثمان بن مقبل بن قاسم بن علي أبو عمرو. الواعظ الحنبلي من الياسرية. قرأ المذهب والخلاف؛ وحصل منهما طرفا صالحا. وسمع الكثير، وكتب. قال ابن النجار: جمع لنفسه معجما في مجلدة، وحدث وصنف كتبا في الوعظ والتفسير والفقه والتواريخ، وفيها غلط كثير لقلة معرفته لأنه كان صحفيا. وخطه في غاية

الرداءة. وتوفي سنة عشر وست مائة.

جمال الدين الواعظ

عثمان بن مكي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن شبيب. الإمام الوا عظ جمال الدين، أبو عمرو السعدي، الشارعي، الشافعي، المذكر.

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسماية، وتوفي سنة تسع وخمسين وست ماية.." (١)

"قال الأخباريون: ولم يزل كذلك حتى مات في طريقه قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال. وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعا شديدا وقالت ترثيه:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... أحقا نعيتم عروة بن حزام

فلا تهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

وقل للحبالى لا يرجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام

ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل.

وعن أبي صالح، قال، كنت مع ابن عباس بعرفة فأتاه فتيان يحملون فتى لم يبق إلا خياله فقالوا له: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ادع لنا الله تعالى له! فقال: وما به؟ فقال الفتى:

بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب

قال: ثم خفقت في أيدهم فإذا هو قد مات فما رأيت ابن عباس في عشيته سأل الله إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى. قال، وسأرت عنه فقيل لي: هذا عروة بن حزام. ومن شعر عروة بن حزام:

خليلي من عليا هلال بن عامر ... بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني

ولا تزهدا في الأجر عندي وأجملا ... فإنكما بي اليوم مبتليان

إلما على عفراء إنكما غدا ... بوشك النوى والبين معترفان

فيا واشيي عفراء ويحكما بمن ... وما وإلى من جئتما تشيان

بمن لو أراه عانيا لفديته ... ومن لو رآني عانيا لفداني

متى تكشفا عني القميص تبينا ... بي السقم من عفراء يا فتيان

فقد تركتني لا أعي لمحدث ... حديثا وإن ناجيته ودعاني

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٤٧/٦

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانها ... ولا شربة إلا وقد سقياني
ورشا على وجهي من الماء ساعة ... وقاما مع العواد يبتدران
وقالا شفاك الله والله ما لنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويل كأنه ... على الصدر والأحشاء حد سنان
أحب ابنة العذري حبا وإن نأت ... ودانيت منها غير ما تريان
إذا رام قلبي هجرها حال دونه ... شفيعان من قلبي لها جدلان
إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحا ... جميعا على الرأي الذي يريان
تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان
فيا رب أنت المستعان على الذي ... تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان

عروة بن أسماء

عروة بن أسماء بن الصلت السلمي. حرص المشركون يوم بئر معونة أن يؤمنوه فأبى، وكان ذا خلة لعامر بن الطفيل، مع أن قومه بني سليم حرصوا على ذلك فقال: لا أقبل لهم أمانا، ولا أرغب بنفسي عن مصارعهم! ثم تقدم فقاتل حتى قتل شهيدا رضي الله عنه.

قاضي الكوفة

عروة بن عياش ابن أبي الجعد البارقي. استعمله عمر على قضاء الكوفة وذلك قبل أن يستقضي شريحا. قال علي بن المديني: من قال فيه عروة بن الجعد فقد أخطأ إنما هو عروة ابن أبي الجعد. كان خفي داره سبعون فرسا رغبة في الرباط وهو الذي روى حديث: الخير معقود بنواصي الخيل. وروى عنه قيس ابن أبي حازم والشعبي وأبو إسحاق والعيزار بن حريث وشبيب بن غرقدة.
وتوفي هفي حدود السبعين. وروى له الجماعة.

أمير الكوفة

عروة بن المغيرة بن شعبة. أخو حمزة وعقار. ولي إمرة الكوفة للحجاج.

وتوفي في حدود التسعين للهجرة. وروى له الجماعة.

أبو مسعود الثقفي." (١)

"أعشى الدليل دجا الدلال فسائلوا ... فلك الأزرة عن طالع بدره

وقال

عرضت لمفترض الصباح الأبلج ... حوراء في طرف الظلام الأدعج

فتمزقت شية الدجا عن غرتي ... شمسين في أفق وكله هودج

ووراء أستار الحمول لواحظ ... غازلن معتدل الوشيح الأعوج

من كل مبتسم السنان إذا جرى ... دمع النجيع من الكمي الأهوج

ولقد صحبت الليل قلص برده ... لعباب بحر صباحه المتموج

وكأن منتثر النجوم لآلىء ... نظمت على صرح من الفيروزج

وسهرت أرقب من سهيل خافقا ... متفردا فكأنه قلب الشجي

واستعبرت مقل السحاب فأضحكت ... منها ثغور مفوف ومدبج

وقال:

سددوها من القدود رماحا ... وانتضوها من الجفون صفاحا

يا لها حالة من السلم حالت ... فاستحالت ولا كفاح كفاحا

صح إذ أذرت العيون دماء ... أنهم أثخنوا القلوب جراحا

يا فؤادي وقد أخذت أسيرا ... أتقطرت أم وضعت السلاحا

قل لأعشارك التي اقتسموها ... ضربوا فيك بالعيون قداحا

عجبا للجفون وهي مراض ... كيف تستأسر القلوب الصحاحا

أه من موقف يود به المغ ... رم لو مات قبله فاستراحا

حيث يخشى أن ينظم اللثم عقدا ... فيه أو يعقد العناق وشاحا

وقال:

عقدوا الشعور معاقد التيجان ... وتقلدوا بصوارم الأجفان

ومشوا وقد هز الشباب قدودهم ... هز الكماة عوالي المران

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٥٧/٦

جروا الذوائب والذوابل وانثنوا ... فثنوا عناني محصن وحصان

وتوشحوا وردا فقلت أراقم ... خلعت ملابسها على غزلان

ولربما عطفوا الكعوب فواصلوا ... ما بين ليث الغاب والثعبان

في حيث أذكى السمهري شراره ... رفع الغبار لها مثار دخان

وعلا خطيب السيف منبر راحة ... يتلو عليه مقاتل الفرسان

يا مرسل الرمح الصقيل سنانه ... أمسك فليس اليوم يوم طعان

هاتيك شمس الراح يسطع ضوءها ... من خلف سحب مارق وقناني

وهلال شوال يقول مصدقا ... بيدي غصبت النون من رمضان

لا تسقنيها من محاجر نرجس ... حسبي التي بأنامل السوسان

فأرادها ممزوجة قد خالطت ... بالياسمين شقائق النعمان

والورق في الأوراق قد هتفت على ... عذب الغصون بأعذب الألحان

فكأن أوراق الغصون ستائر ... وكأن أصوات الطيور أغاني

وقال:

كم نابل في طرفك البابلي ... وذابل في عطفك الذابل

وكم حوى ردفك من موجة ... تضرب من حصرك في ساحل

يا كوكبا ناظره طالعا ... كناظر في كوكب آفل

يوقعني منك على مانع ... مخابل عندك من باذل

طلاقة أنشأ لي برقها ... سحائبا من دمعي الهاطل

وسقم أجفان توهمتها ... **ترثي** لسقم الجسد الناحل

ومعطف معتدل مائل ... ما لي وللمعتدل المائل

حبك لا حبك هذا الذي ... أوقع في أنشوطة الحابل

وليتني أشكو إلى غادر ... وليتني أشكى من العاذل

وليلة أسلمت أصداءها ... من أكؤس الراح إلى صاقل

فالتهبت فحمتها جمرة ... من خمرة قاتلة القاتل

وانتسقت نحوي مسراتها ... نسق الأنابيب إلى العامل

وقال:." (١)

"هند بنت أسيد بن حصين الأنصاري، روى عنها أبو الرجال عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بالقرآن، قالت: وما تعلمت ق والقرآن المجيد إلا من كثرة ما كنت أسمعها منه وهو يخطب بها على المنبر.

؟الهاشمية

هند بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي كانت تحت حبان بن واسع هي وامرأة أخرى فطلق الأنصارية وهي ترضع فمرت بها سنة ثم هلك عنها ولم تحصن، فقالت: أنا أرثه ولم أحصن، فأختصما إلى عثمان فقضى لها بالميراث، فلامت الهاشمية عثمان، فقال لها: هذا عمل ابن عمك هو أشار علينا بهذا يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه

زوج النبي صلى الله عليه وسلم

هند بنت يزيد بن البرصاء بن أبي بكر بن كلاب، ذكرها أبو عبيد في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل عمرة بنت يزيد، قال ابن عبد البر: وفيها نظر لأن الاضطراب فيها كثير جدا.

الصحابية

هند بنت سماك بن عبيد بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهي أم الحارث بن أوس بن معاذ، قال العدوي: كانت من المبايعات.

الصحابية

هند بنت منبه بن الحجاج، أسلمت يوم الفتح وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص، قاله الواقدي.

الصحابية

هند بنت أثالة بن عباد بن عبد المطلب، هي التي كانت **ترثي** رسول الله صلى الله عليه وسلم، اقطع لها من خبير، فيما ذكره الواقدي.

امرأة بلال

هند الخولانية امرأة بلال حكت عن زوجها، قال: كان بلال إذا أخذ مضجعه قال: تقبل حسناتي واغفر سيئاتي.

---

(١) الوافي بالوفيات، ٣٠٥/٧

أخت خالد بن الوليد

هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وقال ابن عبد البر: اسمها فاطمة، وقد تقدم ذكرها في حرف الفاء في مكانه فليطلب من هناك.

زوج الحجاج

هند بنت أسماء بن خارجة هي أخت مالك بن أسماء بن خارجة وهي زوجة الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد مر لها ذكر في ترجمة أخيها مالك بن أسماء.

المغربية

هند خادم أبي محمد م سلمة بن مسلمة الشاطبي الكاتب، حكى أبو محمد بن أبي بكر الداني الطبيب أن الوزير عامر بن ينق كتب إليها من مجلس انس يستدعيها:

يا هند هل لك في زيارة فتية ... نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا ... نغمات عودك في الثقيل الأول

فكتب الجواب إليه:

يا سيدا حاز العلى عن سادة ... شم الأنوف من الطراز الأول

حسبي من الإسراع نحوك أنني ... كنت الجواب مع الرسول المقبل

التميمي

هند بن أبي هالة التميمي ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو أولاده من خديجة، توفي سنة ست وثلاثين للهجرة.

أخو أسماء

هند بن حارثة الأسلمي، أخو أسماء، قال ابو هريرة: ما كنت أرى هندا وأسماء إلا خادمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول لزومهما بابه وخدمتهما إياه، توفي في حدود الستين للهجرة.

سبط خديجة

هند بن هند، سبط أم خديجة، قتل مع مصعب بن الزبير، وقيل: مات بالطاعون بالبصرة في حدود السبعين للهجرة.

ابن هندو الشاعر اسمه: علي بن الحسين.

أبو الهندي اسمه: غالب بت عبد القدوس، تقدم في مكانه من حرف الغين، الهندي صفي الدين الأصولي

اسمه: محمد بن عبد الرحمن.
؟هوذة المسند الأصم ابو الأشهب
هوذة بن خليفة الثقفي البكراوي البصري الأصم ابو الأشهب نزيل بغداد ومسندها، روى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن سعد ويوسف بن موسى القطان وغيرهم، قال ابن معين: ضعيف، توفي سنة ست عشرة ومائتين، وروى له ابن ماجة.
هولاكو
ملك التتار." (١)

"الوليد بن طريف الشيباني الشاري، أحد الأبطال الشجعان الطغاة، كان رأس الخوارج، وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي، خرج في أيام هارون الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة، فنهض إليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وحضروا عبد الملك بن صالح الهاشمي بالرقة، فاستشار الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي في من يوجه إليه فقال له: وجه إليه موسى بن خازم التميمي فإن فرعون اسمه الوليد وموسى غرقه، فوجهه في جيش كثيف فلاقاه الوليد فهزم أصحابه وقتله فوجه إليه معمر بن عيسى العبدي، فكانت بينهم وقائع بدارا وزاد ظهور الوليد، فأرسل إليه الرشيد جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء فجعل يحتاله ويماكره، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا: إنه يراعيه من جهة الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يواعده وينتظر م، يكون من أمره، فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال: لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله تعالى لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين، فلقي الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة، وكانت للوليد أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة، تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صخر، فرثت أخاها الوليد بقصائد، وكان الوليد ينشد يوم المصاف:
أنا الوليد بن طريف الشاري ... قسورة لا يصطلى بناري
جوركم أخرجني من داري
ولما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بن مزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وحز رأسه،

---
(١) الوافي بالوفيات، ٤٣٣/٧

ولما علمت أخته لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد، فقال يزيد: دعوها، ثم خرج فضرب بالرمح فرسه وقال: اغربي غرب الله عليك، فقد فضحت العشيرة، فاستحيت و ا نصرفت، وقالت ترثي أخاها الوليد:

ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع

فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع

أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا

لو أن السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع

نبت عنك إذ جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع

وقالت فيه أيضا:

بتل نهاكي رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف

تضمن مجدا عدمليا وسؤددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب المال إلا من التقى ... ولا الزاد إلا من قنا وسيوف

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... معاودة للكر بين صفوف

كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيف

ولم تسع يوم الحرب والحرب لاقح ... وسمر القنا تنكزنها بأنوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات ل ا يرضى الندى بحليف

فقدناك فقدان الشباب وليتنا ... فديناك من دهمائنا بألوف

وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجى لعدو أولجا لضعيف

ألا يا لقومي للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجيف

ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوف

ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات، ٤٥٣/٧

"قال فتلقيته وأنزلته داري وسائلته عن أخباره وعمن لقي، وكيف وجد من قصده، فعرفني من ذاك ما سررت به، وأقبل يصف لي ابن العميد وفضله وأدبه وعمله وكرمه، وسماحة الملك فناخسرو ورغبته في الأدب وميله إلى أهله، فلما أمسينا قلت له: على أي شيء أنت مجمع؟ قال: على أن أتخذ الليل جملا، فإن السير فيه يخف علي، قلت هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلدا بعيدا، والوجه أن يكون معك من رجالة هذه المدينة الذين يخبرون الطريق، ويعرفون المواضع المخوفة فيه، جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد، فقطب وقال: لم قلت هذا القول؟ قلت: تستأنس بهم، قال: أما والجراز في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره، قلت الأمر كما تقول، والرأي في الذي أشرت به عليك، فقال: تلويحك هذا ينبي عن تعريض، وتعريضك يخبر عن تصريح، فعرفني الأمر وبين لي الخطب، قلت: إن هذا الجاهل فاتك الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام، وهو محفظ عليك لأنك هجوت ابن أخته، وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراس والتيقظ، ومعه أيضا نحو العشرين فارسا من بني عمه قولهم مثل قوله، قال: وغلامة – وكان عاقلا لبيبا فارسا – يسمع كلامنا، فقال: الصواب ما رآه أبو نصر، خذ معك عشرين راجلا يسيرون بين يديك إلى بغداد، فاغتاظ غيظا شديدا وشتم الغلام شتما قبيحا، وقال: والله لا تحدث عني أني سرت في خفارة أحد غير سيفي.

قلت: يا هذا فأنا أوجه قوما من قبلي في حاجة يسيرون بمسيرك ويكونون في خفارتك، قال: والله لا فعلت شيئا من هذا، ثم قال لي: يا أبا نصر أبخروا الطيل تخشيني، ومن عبيد العصا تخاف علي، ووالله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطيء الفرات وبنو أسد معطشون لخمس وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده، حاشى لله من فكر اشتغله بهم لحظة العين، فقلت له: قل إن شاء الله، فقال: كلمة مقولة لا تدفع مقضيا ولا تستجرب آتيا، ثم ركب فكان آخر العهد به.

قال: ولما صح عندي خبر قتله، وجهت من دفنه وابنه وغلامه، وذهبت دماؤهم هدرا. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما وكتب محمد بن هاشم الخالدي بالموصل في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وهو يستغفر الله ويستقيله من كل ذنب وخطيئة عن عمد أو خطأ.

أما قولنا بخروا الطير تخشيني ومن عبيد العصا تخاف علي، فإن أسد يلقبون خروا الطير، قال امرؤ القيس:

فرت بنو أسد خروا الطير عن أربابها.....

ويلقبون أيضا عبيد العصا، قال الشاعر، ونظنه أمرؤ القيس أيضا: قولا لدودان عبيد العصا.

آخر ما كان بخط أبي بكر الخالدي.

.... ما غركم بالأسد الباسل

كذا في الأصل، قد أتم هذا البيت وأظنه بخط أخيه أبي عثمان ولا أتحققه.

أخبرنا تاج الإماء أحمد بن محمد بن الحسن - كتابة - قال: أخبرنا عمي أبو القاسم عن أبي غالب شجاع بن فارس بن الحسين الذهلي قال: أنشدني الحكيم أبو علي الحسين بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري لأبي القاسم المظفر الزوزني الكاتب يرثي المتنبي - قلت: هو المظفر بن علي:

لا رعى الله سرب هذا الزمان ... إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

ما رأى الناس ثاني المتنبي ... أي ثان يرى لبكر الزمان

كان في نفسه الكبيرة في جي ... ش وفي كبرياء ذي سلطان

كان في لفظه نبيا ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني

أنشدني نجيب الدين داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي التاجر إملاء من لفظه بحلب قال: أنشدني شمس الدين بن الوالي بالموصل لأخت المتنبي ترثي أخاها المتنبي لما قتل:

يا حازم الرأي إلا في تهجمه ... على المكاره غاب البدر في الطفل

لنعم ما عاملتك المرهفات به ... ونعم ما كنت توليها من العمل

الأرض أم أضناها بواحدها ... فاسترجعته وردته إلى الحبل

أحمد بن الحسين بن حمدان، أبو العباس التميمي الشمشاطي:." (١)

"فالجد ما صافحت بالمدلجين بها ... أيدي النجائب هامات القراديد

فقلت: لمن هذا؟ فقال: للخيشي يمدح بها نصر بن محمود يقول فيها:

صاحت بهام العدى والضرب يحرسهم ... نصر من الله يا نصر بن محمود

نقلت من خط أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي منقذ، وأخبرنا به أبو الحسن محمد بن أحمد ابن علي عنه، إجازة، قال: ومن شعراء الشام الأمير المهند أبو نصر أحمد بن عبيد الله الأسدي المعروف بالخيشي، وهو شاعر مجيد عجيب الاسلوب، طويل النفس، يخرج من حسن إلى حسن، وكان يبسط لسانه بالهجو سرا، ويترفع عنه ظاهرا؛ فمن شعره يمدح ضياء الدولة أبا علي حسن بن منيع قصيدة أولها:

كم بين غيطل في الهوى ومعان ... من أربع أشتاقها ومغاني

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٢٠٩

فارقتها والقلب في قرصاتها ... مستوطن فأنا البعيد الداني
لولا غرام لي جريت بحكمها ... لثنى إليها الاشتياق عناني
عجبا لصبري واشتياقي كلما ... اعتلجا بقلبي كيف يتفقان
إني لأنأى م رغما وكذاك من ... لا يبلغ الأوطار في الأوطان
وأصد عن شرب النمير على الظما ... والذل فيه تعلة الظمآن
لا خير في أرض ولا قوم معا ... لا يعرفون بها شريف مكان
ومنها:
وإذا الرجال غدت علي قلوبهم ... قلبا تفيض بجمة الأضغان
وليت أطراف العوالي متحها ... في نزحها عوضا من الأشطان
إن لم أجشمها الخطار فلا عصت ... يمناي يوم كريهة بيماني
أصبحت في الأقوام أحسب شاعرا ... يا فضل قد بالغت في نقصاني
أعلى السؤال معولي يا سنة ... شانت علاي ولم يكن من شاني
لا رزق إلا بالصوارم والقنا ... عندي وبعض الرزق كالحرمان
أعززت بالآداب نفسا مرة ... فعلام أعرضها بسوق هوان
ولقد صدفت عن القوافي برهة ... وأرحت منها خاطري ولساني
حتى تعرض لي ضياء الدولة ال ... عظمى بغامر فضله فثناني
وعلا على عنق القريض نواله ... متغطرسا فانقاد بعد حران
هكذا ذكره أسامه ونسبه إلى جده عبيد الله وأسقط ذكر أبيه حمزة.
وذكره.... ابن الزبير في كتاب جنان الجنان وقال: شاعر مجيد من شعره:
هذا الحمى وكناس الغيد والبان ... فاستوقف الركب واسأل أية بانوا
عسى حمائمه يعلمن من خبر ... أو عندهن لسر الدمع إعلان
أشبهننا فوق أكوار المطي وقد ... مات بهن من الأشجار أغصان
وما شجا القلب تغريد سجعن به ... إلا ونمت صبابات وأشجان
إذا هتفن بأطراف الغصون ضحى ... هاجت لنا الوجد أوطار وأوطان
وفي الهوادج أقمار تضمنها ... مثل النواظر تحويهن أجفان

تألفت لتلاف الصب واختلفت ... منها بدور وأغصان وكثبان

وفي رحالهم قلب تقسمه ... بالبغض والحب آساد وغزلان

ما زال يطمعني منهم ويوئسني ... ظبي غرير وباغي الغرم غيران

إن قلت إن شبابي قد مضى وأنا ... كما عهدت إلي ظمياء ظمآن

فكم بنعمي شبيب شب من هرم ... وكم صد بأبي الريان ريان

كأنه وكأن الأعوجي إذا ... رمى به الروع ضرغام وسرحان

ملء النواظر والراحات من يده ... ووجهه ﺑﻠﻨﺪى حسن واحسان

وقال:

أيا من يستحل دمي ... ويظهر للورى ورعا

أما ترثي لمكتئب ... نقضت عهوده ورعا

وكان حمامه بكم ... ومبدأ حبكم ولعا

فقل لفتى تعثر في ... هواك سلامة ولعا

قال: وكتب إلى الأمير سديد الملك، يعني أبا الحسن بن منقذ.

إني وحقك في طرابلس كما ... تهوى العدى تحت المقيم المقعد

أما المحرم قد حرمت نجازما ... وعدوا وفي صفر فقد صفرت يدي." (١)

"يا ظبي سنجار أما ترثي لمن ... قد صار من أجلك في كف الأجل

قد كان مشغولا بدرس علمه ... فاليوم لا علم بقي ولا عمل

ومن جيد شعره قوله، ورواه النقاش عنه:

راض بحكم هواك واجد ... فعلام أنت علي واجد

ما كان لي ذنب سوى ... أني سهرت وأنت راقد

نقلت من خط أبي حفص عمر بن الخضر بن أللمش بن الدرمش التركي المتطبب الدنيسري في كتابه الذي وسمه بحلية السريين من خواص الدنيسرين قال في ذكر أبي العباس الخزرجي: هو أول من درس بالمدرسة الشهابية بدنيسر فقيه فاضل مفنن، عارف بكثير من علوم الأصول والفقه والنحو وسائر الآداب، شهد له بذلك جماعة من العلماء.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٢٢٠/١

قال: قال لي أبو محمد بن عربد النحوي: كان أبو العباس رحمه الله حديد النظر، سديد الفكر، عجيب الفقر، عجيب السير، حسن التبحر في العلوم، سليم التصور فيما يبدي من المنثور والمنظوم، جيد الفكاهة، متزيد النزاهة، لطيف الشمائل، طريف المخايل، لم أر في علماء عصره ومعشره أتم من بحثه ولا أدق من نظره، وله تصانيف في فنون كثيرة، ولم يظهر له عندنا سماع حديث على طريق الرواية البتة، بل كان يذكر لنا أن له سماعات كثيرة، وقد أنشدني كثيرا من شعره ثم قال: وتوفي رحمه الله تعالى في سنة احدى وستمائة بدنيسر، ودفن بالمقبرة القبلية بها.

أحمد بن مسعود بن النضر الساجي: أبو بكر الوزان البغدادي ثم الحلبي أصله من بغداد، وسكن حلب وحدث بها عن سهل بن صالح الأنطاكي، والحسن بن عرفه، وأبي محمد عبد الله بن أيوب المخرمي، وزيد بن إسماعيل الصايغ، وسعيد بن يزيد الخلال، وعبد الرزاق ابن منصور البندار، وإبراهيم بن الوليد، وعبد الله بن جرير بن جبلة، وعبد الله بن محمد بن ثمامة الأنصاري قاضي حلوان الأزدي، ومشرف بن سعيد، وأيوب بن إسحق الفلوسي، روى عنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ، ومحمد بن جعفر بن أبي الزبير قاضي منبج، وأبو القاسم عبد الرحمن بن منصور بن سهل، وأبو الحسين محمد بن العباس بن يحيى بن العباس الحلبيان، وأبو الحسين محمد ابن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، وأبو علي الحسين بن علي بن دحيم الحلبي، ومحمد بن أحمد الهاشمي المصيصي، وأبو النضر شافع بن محمد بن أبي عوانة الأسفرائيني، والحاكم أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحق الحافظ، وأبو الحسين علي بن الحسين الفرغاني، وأبو شاكر عثمان بن محمد بن الحجاج الشافعي.

أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل قراءة عليه بالمسجد الجامع بدمشق قال: أخبرنا الفقيه أبو الحسن علي بن المسلم بن الفتح السلمي قال: أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طلاب قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جميع قال: حدثنا أحمد بن مسعود بحلب قال: حدثنا الحسن بن عرفه قال: حدثنا القاسم بن مالك المزني عن المختار فلفل عن أنس بن مالك قال: غفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أغمي إغماءة، فرفع رأسه متبسما، فإما سألوه وإما أخبرهم عن ابتسامه، فقال: غني أنزلت علي آنفا سورة قال: فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر.

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي قال: أخبرنا أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن

الأخوة وصاحبته عين الشمس بنت أبي سعيد قال: أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي، قالت: إجازة، قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي، وأبو الفتح منصور بن الحسين قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن مسعود الوزان الحلبي قال: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا عبد الله الأشجعي عن مسعر بن كدام عن الأعمش عن أبي صالح قال: صرير الباب تسبيح.

قرأت بخط الحافظ أبي طاهر السلفي: أبو بكر أحمد بن مسعود بن نضر الوزان، روى عن عبد الله بن محمد بن ثمامة الأنصاري قاضي حلوان وغيره؛ روى عنه الحسين بن علي بن دحيم أبو علي بمصر، وكتب عنه بحلب.

أحمد بن مسعود المقدسي: أبو الحسن سمع بالثغور والعواصم الهيثم بن جميل الأنطاكي، وأبا يوسف محمد بن كثير المصيصي.

أحمد بن مسلم بن عبد الله أبو العباس الحلبي:." (١)

"قرأت في كتاب الوزراء والكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري قال: أحمد بن يوسف بن صبيح، اختص بالمأمون، وكان نبيلا بليغا، وقلده ديوان المشرق وبريد خراسان، وكان ديوان الرسائل إلى عمرو بن مسعدة، وكان المأمون لعلمه بتقدم أحمد في البلاغة إذا احتاج إلى كتاب يشهر، أمر أحمد بن يوسف أن يكتبه، فأمر المأمون أحمد بن يوسف بكتاب عنه إلى جميع الأمصار باقامة زيت المصابيح في جميع المساجد والاستكثار منها، قال: فلم أدر ما أقول، ولم يكن أحد سبق من الكتاب في ذلك فأسلك طريقته، فنمت في وقت القائلة وأنا مشغول القلب فرأيت قائلا يقول لي: اكتب فإن في ذلك أنسا للسابلة، واضاءة للمتهجدة، ومنعا لمكامن الريب، وتنزيها لبيوت الله عز وجل وجل من وحشة الظلم.

قال الجهشياري: ثم قلده المأمون ديوان الرسائل، فلم يزل عليه إلى أن سخط عليه فمات في سخطه، وكانت وفاته في سنة أربع عشرة ومائتين.

قال: وكان سبب سخط المأمون على أحمد بن يوسف أنه جلس يوما وبحضرته أصحابه، فقال: نجلس غدا مجلسا فلا يكون عندنا من نتحشمه، ثم أقبل على أحمد بن يوسف فقال: كن المختار لنا من يجالسنا وأنت معنا، قال أحمد: أنا وأبو سمير؟ قال: نعم، قال أحمد: قلنا على أمير المؤمنين أن لا يجلس معنا غيرنا، قال: نعم.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣٨٥/١

وبكروا وحجب الناس، واستأذن الحسن بن سهل، فأمر بالدخول، وكان اصطنع أحمد، فقال: يا أمير المؤمنين هذا خلاف ما ضمنت، قال: فأبو محمد يحجب؟! فدخل وعليه سواده، فقال: يا أبا محمد هذا مجلس اقتضيناه على غير موعد، لولا ذلك لبعثت اليك، فأقم عندنا، فقال: يا أمير المؤمنين تمم الله لك السرور، عبدك يجد شيئا يمنعه من خدمته، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي، فألح عليه في المسألة والجلوس، فلم يفعل، فقال أحمد: يا أمير المؤمنين ما اعتذرت إلى الحسن، قال: ليس هو اعتذار، قال: بلى، قال: لا ولكنه شبيه بالاعتذار، قال أحمد: نرضى بإبراهيم حكما بيننا؟ قال المأمون، رضيت، قال ابراهيم: لم يكن اعتذارا مصرحا ولكنه مثله، وأقبل يعين أحمد ويسيغ قوله، فقال المأمون لأبي سمير: والله لقد شاورت الناس فيك فكلهم أشاروا بقتلك وما منعني من ذلك إلا أبو محمد، فوالله ما كافأته على ذلك، ثم التفت إلى أحمد وقال: أو تقول هذا لأبي محمد وهو أجلسك هذا المجلس، فاذا لم تشكره فأنت أحرى أن لا تشكر غيره، والله لا جلست مجلسك هذا أبدا، فألزمه منزله حتى مات.

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل قال: أخبرنا أبو الحسن ابن قبيس قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال أخبرنا الحسن بن صفوان البرذعي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال: أشرف أحمد بن يوسف وهو بالموت على بستان له على شاطئ دجلة، فجعل يتأمله ويتأمل دجلة، ثم تنفس وقال متمثلا:

ما أطيب العيش لولا موت صاحبه ... ففيه ما شئت من عيب لعائبه

قال: فما أنزلناه حتى مات.

أنبأنا أبو اليمن الكندي قال: أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: بلغني أن أحمد بن يوسف الكاتب مات سنة ثلاث عشرة ومائتين أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن قال: أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن قال: بلغني أن أحمد بن يوسف توفي سنة أربع عشرة ومائتين، وهو في سخط المأمون.

وقد ذكرنا مثل ذلك عن الجهشياري وهو أشبه بالصحة.

أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني إذنا عن أبي بكر بن المزرفي قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد العكبري قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت قال: حدثنا أبو الفرج الأصبهاني قال: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمون بن مهران قال: كان لأحمد بن يوسف جارية مغنية شاعر يقال لها نسيم، وكان

لها من قلبه مكان، فلما مات أحمد قالت **ترثيه**:

ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا صانه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة: وقالت **ترثيه**:

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات." (١)

"وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه ... وتعرف معروفا وتنكر منكرا

قال: وقال قيس بن فهدان الكندي يرثيه:

يا حجر يا ذا الخير والحجر ... يا ذا الفعال ونابه الذكر

كنت المدافع عن ظلامتنا ... عند الطلوع ومانع الثغر

أما قفلت فأنت خيرهمفي العسر ذي العيصاء واليسر(٦٦و)

يا عين بكي خير ذي يمن ... وزعيمها في العرف والنكر

فلأبكين عليه مكتئبا ... فلنعم ذو القربى وذو الصهر

يا حجر من للمعتفين إذا ... لزم الشتاء وقل من يقري

من لليتامى والأرامل إن ... حقب الربيع وضن بالوفر

أم من لنا في الحرب إن بعثت ... مستبسلا يفري كما يفري

فسعدت ملتمس التقى وسقى ... جدثا أجنك مسبل القطر

كانت حياتك إذ حييت لنا ... عزا وموتك قاصم الظهر

وترثينا في كل نازلة ... نزلت بساحتنا ولا تبري

يا طول مكتأبي لقتلهم حجرا ... وطول حرارة الصدر

قد كنت أصعق جهرة أسفا ... وأموت من جزع على حجر

فلقد جدلت وقد قتلت ... ومن لم تستعبه حوادث الدهر

فلذاك قلبي مشعر كمدا ... ولذاك دمعي ليس بالنزر

ولذاك نسوتنا حواسر ... يستبكين بالإشراق والظهر

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١/٤٤٢

ولذاك رهطي كلهم أسف ... جم التأوه دمعه يجري

حجر بن عنبس الكوفي:

أبو العنبس وقيل أبو السكن، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ولم يره، ويقال له كدام الدم، لأنه شرب الدم في الجاهلية، روى عن: علي رضي الله عنه، ووائل بن حجر. روى عنه: موسى (٦٦ – ظ) بن قيس الحضرمي والمغيرة بن أبي الحر الكندي، وسلمة بن كهيل. وشهد مع علي عليه السلام صفين والنهروان، وقيل إنه قتل بصفين وقبره بالرقة.

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله – فيما أذن لنا في روايته عنه – قال: أخبرنا محمد بن أبي زيد الكراني، قال: أخبرنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، قال: أخبرنا أبو الحسين بن فاذشاه قال: أخبرنا أبو القاسم الطبراني قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا موسى بن قيس الحضرمي قال: سمعت حجر ابن عنبس، وكان قد أكل الدم في الجاهلية، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين، فقال: خطيب أبو بكر وعمر فاطمة رضي الله عنها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هي لك يا علي.

أنبأنا أبو الفتوح بن أبي الفرج الحصري قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الأشيري قال: أخبرنا أبو الوليد بن الدباغ قال: أخبرنا أبو محمد بن عبد العزيز قال: أخبرنا أبو عمر بن عبد البر: قال حجر بن عنبس الكوفي، أبو العنبس، وقيل يكنى أبا السكن، أدرك الجاهلية، وشرب فيها الدم، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه آمن به في حياته، روايته عن علي بن أبي طالب ووائل بن حجر، وهو معدود في كبار التابعين.

ذكر البخاري قال: أخبرنا أبو نعيم عن موسى بن قيس الحضرمي قال: سمعت حجرا وكان شرب الدم في الجاهلية، قال أبو عمر شعبه: كنى حجرا هذا أبا العنبس في حديث وائل بن حجر عن النبي عليه السلام (٦٧ – و) في التابعين وغير شعبة يقول: حجر أبو السكن.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمر قال: أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق قال: أخبرنا أبو الغنائم بن النرسي قال: أخبرنا أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن سهل قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قال: حجر بن عنبس أبو السكن الكوفي، كناه محمد عن هارون بن المغيرة عن عنبسة عن سلمة بن كهيل.

وقال شعبه: أبو العنبس سمع عليا، ووائل.." (١)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ٣١٢/٢

"قلت: وهذه الأبيات تمثل بها ابن عبد الأعلى عند موت هشام، قد رويت عن زياد الأعجم كما ترى، ورويت عن زيد العمي عنه، ورويت عن أبي زيد الأعمى عنه، وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا هذا إنشاء الله تعالى.

أنبأنا أبو المحاسن بن الفضل بن البانياسي قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن قال: زياد بن سليم، ويقال ابن سليمان، ويقال ابن سلمى، أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس، ولقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح اصطخر، وحكى عنهما، حكى عنه هشام ومجبر ابنا قحذم بن سليمان بن ذكوان البصريان ووفد ٤٠ - و على هشام بن عبد الملك، وشهد وفاته بالرصافة.

قرأت بخط علي بن موسى بن إسحاق الرزاز في نوادر أبي بكر الصولي، سماع الرزاز منه، وأنبأنا به أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي وغيره عن زاهر بن طاهر عن أبي القاسم البندار عن أبي أحمد القاري قال: أخبرنا أبو بكر الصولي - إجازة - قال: وجدت بخط مصعب الزبيري قالت: ابنة زياد الأعجم ترثيه ويقال قديم:

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأدرد ضاحي

قد كنت ذات حمية أمشي بها ... ما دمت لي حيا وكنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... صبحا على فنن دعوت مناحي

وأغض من بصري وأعلم أنهقد بان حد فوارسي وسلاحي ٤٠ظ

" بسم الله الرحمن الرحيم " " وبه توفيقي "

زياد بن عبد الله الأسوار:

ابن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد الشمس، أبو محمد الأموي، وكان يقال له البيطار، لأنه كان صاحب صيد، وقيل هو زياد ابن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية من فرسان بني أمية ومقدميها، وكان مقيما في قرية من قرى قنسرين، وخرج في أيام أبي العباس السفاح بقنسرين وحلب، ودعا إلى نفسه فبايعه ألوف من الناس، وصار معه أبو الورد مجزأة الكلابي، وصار مدبر جيشه، فبلغ ذلك عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو بدمشق فوجه إليه أخاه عبد الصمد بن علي في زهاء عشرة آلاف فارس، ومعه ذؤيب بن الأشعت على حرسه، والمخارق بن عفان على شرطه، فسار أبو محمد وأبو

الورد، والتقوا فكسر عبد الصمد ومن معه، فتوجه عبد الله بن علي إلى أبي محمد فاقتتلوا بمرج الأخرم من ناحية قنسرين وكان مع عبد الله بن علي حميد بن قحطبة، فثبت عبد الله وحميد فهزم زياد، وقتل أبو الورد، وهرب زياد ومن معه من الكلبية إلى تدمر، ثم خرج إلى الحجاز وظفر به هناك، وقتل بالمدينة.

ذكر البلخي في كتاب البدء في خروج السفياني قال: وقد قال بعض الناس أن هذا قد مضى يعني أمر السفياني، وذلك خروج زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان ٤٢ - و بحلب، ونصبوا ثيابهم وأعلامهم، وادعوا الخلافة، فبعث أبو العباس عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس أبا جعفر إليهم فاصطلموهم عن آخرهم.

وذكر أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب جمل أنساب الأشراف أن اسم أبي محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وذكر غيره أنه كان يقال له البيطار، لأنه كان صاحب صيد.

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد قال: أخبرنا أبو غالب أحمد وأبو عبد الله يحيى ابنا الحسن بن البناء قالا: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة قال:أخبرنا أبو طاهر المخلص قال: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: فولد عبد الله الذي يقال له الأسوار بن يزيد بن معاوية أبا محمد قتل بالمدينة في خلافة أمير المؤمنين المنصور، وكان مختفيا بقناة ناحية أحد، فدل عليه زياد بن عبد الله الحارثي وهو يومئذ أمير المدينة، فخرج إليه الناس فخرج عليهم أبو محمد، فقاتلهم، وكان من أرمى الناس، فكثروه فقتلوه، وأمه وأم أخيه أبي معاوية، وأم أخته أم يزيد بنت عبد الله، تزوجها سليمان بن عبد الملك بن مروان، فولدت له، وأختهم أم خالد بنت عبد الله بن يزيد، تزوجها محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فولدت له عبد الرحمن وهند ابني محمد بن الوليد، وأمهم جميعا عائشة بنت زياد بن ٤٢ - ظ أنيف بن عتبة بن مصاد بن كعب بن عليم من كلب.." (١)

"تشاغل لما جئت في وجه حاجتي ... وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى

وأجمعت أن أنعاه حين رأيته ... يفوق فواق الموت حتى تنفسا

فقلت له: لا بأس لست بعائد ... فأفرخ تعلوه السمادير مبلسا

ولجرير في ذكر الجهل وحده:

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه، فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والأقسام، ويلزم ضد

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ١١٠/٤

المعنى الذي يدل عليه إذ كان المديح ضده الهجاء.

ولنتبع القول في الهجاء: القول في المراثي.

نعت المراثي

إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها. وهو أن يكون الحي وصف مثلا بالجود، فلا يقل: كان جوادا ولكن بأن يقال: ذهب الجود او فنم للجود بعده ومثل: تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء.

كما قالت ليلى الأخيلية ترثي توبة ابن الحمير بالنجدة على هذه السبيل:

فليس سنان الحرب يا توب بعدها ... بغاز ولا غاد بركب مسافر

ومن الشعراء من يرثي بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها، وعتد ذلك ومثله يحتاج إلى أن يعلم صحة المعنى فيما يتكلم به من مثل هذه الأشياء، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال ف كل شيء تركه الميت: إنه يبكي عليه، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه كان سبة وعيبا لاحقين به.

فمن ذلك مثلا إن قال قائل في ميت: بكتك الخيل إذ لم تجد لها فارسا مثلك، فإنه مخطئ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه، أن يذكر اعتباطه بموته، وما كان يوصف بالإحسان إليه في حياته أن يذكر اغتمامه بوفاته.

ومن ذلك إحسان الخنساء في مرثيتها صخرا وإصابتها المعنى، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته:

فقد فقدتك حذفة فاستراحت ... فليت الخيل فارسها يراها

ولو قالت: فقدتك حذفة فبكت، لأخطأت، بل إنما يجب أن يبكي على الميت ما كان يوصف إذا وصف في حياته بإغاثته الإحسان إليه، كما قال كعب بن سعد الغنوي في مرثية أخيه:

ليبكك شيخ لم يجد من يعينه ... وطاوى الحشى نائي المزار غريب

وكما قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي:

ليبكك الشرب والمدامة وال ... فتيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولبا جدعا

والحي إذ حاذروا الصباح وقد ... خافوا مغيرا وسائرا تلعا

فيجب أن يتفقد مثل هذا من إصابة الغرض والانحراف عنه.

وإذ قد تبين بما قلنا آنفا إنه لا فصل بين المدح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجري الأمر فيه ءلى سبيل المدح.

فمن المراثي التي تشتبه في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها والإتيان عليها، مثل قول كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه:

لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي والمنايا للرجال شعوب

لقد كان، أما حلمه فمروح ... علينا، وأما جهله فغريب

أخي ما أخي، لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيوب

فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي في المراثي، إذا أصيب بها المعنى، وجرت على الواجب، أما في البيت الأول فيذكر ما يدل على أن الشعر مرثية لهالك لا مديح لباق، وأما سائر الأبيات الأخر فتجمع الفضائل الأربع التي هي العقل والشجاعة والحلم والعفة، ثم افتن كعب في هذه المرثية في ذلك، وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استيفائه، وهو قوله:

حليم إذا ماسورة الجهل أطلقت ... حبى الشيب للنفس اللجوج غلوب

كعالية الرمح الرديني، لم يكن ... إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٨ """""""

قد كان لي فيك هوى مرة . . . غيبه الترب وما ملا

فصرت أبكي بعده جاهدا . . . عند ادكاري حيث قد حلا

والعيش أولى ما بكاه الفتى . . . لا بد للمحزون أن يسلى

قال : ثم بكت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النسوة يناشدنها ويقلن : الله الله في نفسك فإنك الآن تؤخذين . فبعد لأي ما احتملت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع .

وحكي عنها قالت : بعث إلي المعتصم بعد قدومه بغداد ، فلما دخلت أمر بالعود فوضع في حجري ، وأمرني بالغناء فغنيت :

هل مسعد لبكائي . . . بعبرة أو دماء

---

(١) نقد الشعر، ص/١٧

وذاك شيء قليل . . . لسادتي النجباء

– وهذا الشعر لمراد جارية علي بن هشام **ترثيه** – فقال : اعدلي عن هذا الصوت ، فغنيت :

ذهبت عن الدنيا وقد ذهبت عني فدمعت عيناه وقال : غني غير هذا ، فغنيت :

أولئك قومي بعد عز وثروة . . . تفانوا فإلا تذرف العين أكمد

فبكى بكاء شديدا ، ثم قال : ويحك لا تغني في هذا المعنى شيئا . فغنيته :

لا تأمن الموت في حل وفي حرم . . . إن المنايا يجني كل إنسان

واسلك طريقك هونا غير مكترث . . . فسوف يأتيك ما يمني لك الماني." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٧٠ """""""""

لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل . فقال الأحوص : نعم ما رأيت وأخذ برأيه ، وكان مع بني عامر يومئذ بنو عبس ، وغني في بني كلاب ، وباهلة في بني صعب ، والأبناء أبناء صعصعة . وكان رهط المعقر البارقي يومئذ في بني نمير بن عامر ، وكانت قبائل بجيلة كلها فيهم غير قيس .

قال أبو عبيدة : وأقبل لقيط والملوك ومن معهم فوجدوا بني عامر قد دخلوا شعب جبلة فنزلوا على فمه ، فقال لهم رجل من بني أسد : خذوا من بني أسد : خذوا عليهم فم الشعب حتى يعطشوا ويجوعوا ، فأتوا حتى دخلوا عليهم الشعب ، وكانوا قد عقلوا الإبل وعطشوها ثلاثة أخماس ، وذلك اثنتا عشرة ليلة لم تطعم شيئا ، فلما دنوا حلوا عقلها فأقبلت تهوي ، فظن القوم عند ذلك أن الشعب قد هد عليهم ، والرجالة في آثارها آخذين بأذنابها فدقت كلما لقيت ، فانهزموا لا يلوون على أحد ، وقتل لقيط وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيبة ، وأسر سنان بن أبي حارثة المري أسره عروة الرحال ، فجز ناصيته وأطلقه ، واسر عمرو بن أبي عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجز ناصيته وخلاه طمعا في المكافأة فلم يفعل ، وقتل معاوية بن الجون ومنقذ بن طريف الأسدي ، ومالك بن ربعي بن جندل بن نهشل ، فقال جرير في ذلك :

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا . . . وعمرو بن عمرو إذ دعوا بال دارم

ويوم الصفا كنتم عبيدا لعامر . . . وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

يعني بالحزن يوم الوقيط . وقال أيضا في بني دارم :

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا . . . كأن عليه خملة أرجوان

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٥/٦٨

وكبل حاجب بسمام حولا . . . فحكم ذا الرقيبة وهو عاني

وقالت دخنتوس أخت لقيط **ترثي** لقيطا :

فرت بنو أسد فرا . . . ر الطير عن أربابها." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٨٢ """"""""

لعمري لقد نبهت من كان نائما . . . وأسمعت من كانت له أذنان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه . . . وقد حيل بين العير والنزوان

قال : فلما طال عليه البلادء – وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة – قالوا له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ ، فقال شأنكم فقطعوها فمات ، فقالت أخته الخنساء **ترثيه** :

وقائلة والنعش قد فات خطوها . . . لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به . . . إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

يوم اللوى لغطفان على هوازن

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصمة – واسم الصمة : معاوية الأصغر – من بني غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن – وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه : عبد اله ، وخالد ، ومعبد ، وكنيته أبو فرعان ، وأبو دفافة ، وأبو وفاء ، وهو أخو دريد بن الصمة لأبويه – فأغار على غطفان فأصاب منهم إبلا عظيمة فاطردها ، فقال له أخوه دريد : النجاء فقد ظفرت ، فأبى عليه وقال : لا أبرح حتى أنتقع نقيعتي – والنقيعة : ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم – فأقام وعصى أخاه ، فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وارتث وعصى أخاه ، فتبعته فزارة فقاتلوه وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وترتث دريد فبقي في القتلى ، فلما كان في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى عينية تبص ، فأنزل فانظر إلى سبته ، فنزل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز ، فطعنه ، فخرج دم قد احتقن .

قال دريد : فأفقت عندها ، فلما جاوزوا نهضت ، فما شعرت إلا وأنا بين عرقوبي جمل امرأة من هوازن ، فقالت : من أنت ؟ أعوذ بالله من شرك قلت : لا ، بل من أنت ؟ ويلك قالت : امرأة من هوازن سيارة .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ،. ٢٧٠/١٥

قلت : وأنا من هوازن ، أنا دريد بن الصمة . قال : وكانت في قوم مختارين لا يسعرون بالوقعة ، فضمته وعالجته حتى أفاق .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٧ """""""

أعاتك قد طلقت في غير ريبة . . . وروجعت للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح . . . على الناس فيه ألفة وتباين

وما زال قلبي للتفرق طائرا . . . وقلبي لما قد قرب الله ساكن

فإنك مما زين الله وجهه . . . وليس لوجه زانه الله شائن

فلما مات عبد الله صارت عاتكة **ترثيه** بهذه الأبيات :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم . . . وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عيني حزينة . . . عليك ، ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأي مثله فتى . . . أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها . . . إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا ثم تزوجت بعده زيد بن الخطاب ، على اختلاف في ذلك ؛ فقتل عنها يوم اليمامة شهيدا ، فتزوجها عمر بن الخطاب في سنة اثنتي عشرة ، فأولم عليها ، ودعا عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وفيهم علي بن أبي طالب ؛ فقال ره : دعني أكلم عاتكة : قال : نعم ، فأخذ بجانب الحذر . ثم قال : ياعدية نفسها ، أين قولك :

فآليت لا تنفك عيني حزينة . . . عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت فقال عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كل النساء يفعلن هذا ، ثم قتل عنها عمر ، فقالت تبكيه :

عين جودي بعبرة ونحيب . . . لا تملي على الجواد النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع . . . لم بوم الهيام والتثويب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا . . . قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا **ترثيه** بهذه الأبيات :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٥/٢٨٢

مع الرقاد فاد عيني عائد . . . مما تضمن قلبي المعمود

ياليلة حبست على نجومها . . . فسهرتها والشامتون رقود." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٨ """""""

قد كان يسهرني حذارك مرة . . . فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكى أمير المؤمنين ودونه . . . للزائرين صفائح وصعيد

ثم تزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها ؛ فقالت **ترثيه** بهذه الأبيات :

غدر بن جرموز بفارس بهمة . . . يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته . . . لاطائشا وعش الجنان لااليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه . . . عنها طرادك يا بن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله . . . فيما مضى ممن يروح ويغتدي

والله ربك إن قتلت لمسلما . . . حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها ، فأرسلت إليه . إني لأضن بك يابن عم رسول الله صلى عن القتل وإنما ذكرنا م خبر عاتكة في هذا الموضع على سبيل الله الاستطراد ؛ فالشيء بالشيء يذكر ، فلنذكر عبد الرحمن بن أبي بكر .

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه ؛ فهو اسن ولد أبي بكر ، وكان يكنى أبا عبد الله . وقيل : أبا محمد ، بابنه محمد الذي يقال له : أبو عتيق ، والد عبد الله بن أبي عتيق ، وأدرك أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو وأبوه وجده ، وجد أبيه ؛ أربعتهم ، أجمعوا على أن هذه المنقبة ليست لغيرهم ، روى البخاري رحمه الله ، قال : قال موسى بن عقبة : ما نعلم أحدا في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النبي (صلى الله عليه وسلم) أربعة إلا هؤلاء الأربعة : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر ، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ، وابنه عتيق بن عبد الرحمن .

وعبد الرحمن شقيق عائشة ؛ شهد عبد الرحمن بدا واحدا مع قومه ، ودعا إلى البراز ، فقام إليه أبو بكر ليبارزه ، فذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " متعني بنفسك " . ثم أسلم عبد الرحمن ، وحسن إسلامه ، وصحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هدنة الحديبية .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٩/٨٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٩/٨٨

"""""""" صفحة رقم ٣١٠ """""""

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول :

أنا ابن من حامي عليه بأحد . . . ورد أحزابا على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول :

صبرنا غداة الدار والموت واقف . . . بأسيافنا دون ابن أروى نضارب

وكنا غداة الروع في الدار نصرة . . . نشافههم بالضرب والموت ثاقب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون ، فقال : هذا يوم طاب فيه الضرب ، ونادى : " ياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار " وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله ، فقال : يا قوم ، لا تسلوا سيف الله فيكم ، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ، ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة ، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف ، ويلكم مدينتكم محفوفة بالملائكة ، فإن قتلتموه ليتركنها .

فقالوا : يابن اليهودية ، ماأنت وهذا فرجع عنهم . قال : ثم اقتحموا على عثمان داره من دار عمرو بن حازم حتى ملئوها ولم يشعر من بالباب منهم ، ففي ذلك يقول الأحوص يهجو آل حزم

لا ترثين لحزمي رأيت به . . . ضرا ولو طرح الحزمي في النار

الباخسين لمروان بذي خشب . . . والمدخلين على عثمان في الدار

قال : ولما صاروا في الدار ندبوا رجلا ليقتله ، فدخل عليه فقال : اخلعها ونتركك . قال : لست خالعا قميصك كساينة الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ، ويهين أهل الشقاوة ، فخرج عنه ، فأدخلوا عليه رجلا من بني ليث ، فقال : لست بصارحبي لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا لك أن تحفظ يوم كذا وكذا ، ولن تضيع ، فرجع عنه." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٦ """""""

وفي ذلك تقول عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية زوجته ترثيه :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة . . . يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته . . . لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه . . . عنه طرادك يا ابن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله . . . فيما مضى ممن يروح ويغتدي والله ربك إن قتلت لمسلما . . . حلت

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٣١٠/١٩

عليك عقوبة المتعمد

قال : فلما رجع برأسه وسلبه قال له رجل من قومه : " فضحت والله اليمن أولها وآخرها بقتلك الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحواريه وابن عمته والله لو قتلته في حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف في جوارك وحرمك ؟ " قال : وأتى ابن جرموز عليا ، فقال لحاجبه : استأذن لقاتل الزبير . فقال علي رضي الله عنه ائذن له وبشره بالنار ، قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : بشر قاتل ابن صفية بالنار فقال ابن جرموز :

أتيت عليا برأس الزبي . . . ر أرجو لديه به الزلفه

فبشر بالنار إذ جئته . . . فبئس بشارة ذي التحفه

وسيان عندي قتل الزبير . . . وضرطة عير بذي الجحفه

وحكى أبو عمر ابن عبد البر في كتابه المترجم ب " الاستيعاب " من رواية عمرو بن جاوان عن الأحنف بن قيس قال : لما بلغ الزبير سفوان موضعا بالبصرة." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٣ """""""

وقالت عائشة : " لولا إنا لم نغير شيئا إلا صارت بنا الأمور إلى ما هو أشد منه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا " .

وقال الحسن البصري رحمه الله : " أربع خصال كن في معاوية ، لو لم تكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف ، حتى أخذ الأمر عن غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زيادا ، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : الولد للفراش وللعاهر الحجر . وقتله حجرا وأصحاب حجر ، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر " .

قيل : وكان الناس يقولون : أول ذل دخل الكوفة موت السن ابن علي ، وقتل حجر بن عدي ، ودعوة زياد .

وقالت هند بنت زيد الأنصارية ترثي حجرا وكانت تتشيع .

ترفع أيها القمر المنير . . . تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير إلى معاوية بن حرب . . . ليقتله كما زعم الأمير

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٥٦/٢٠

تجبرت الجبابر بعد حجر . . . وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد له محولا . . . كأن لم يحيها مزن مطير

ألا يا حجر حجر بني عدي . . . تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا . . . وشيخا في دمشق له زئير

فإن يهلك فكل زعيم قوم . . . من الدنيا إلى هلك يصير

وقد قيل في قتل حجر غير ما تقدم ، وهو أن زيادا خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال له حجر بن عدي : الصلاة . فمضى في خطبته فقال له : الصلاة . فمضى في خطبته ، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من حصى ، وقال إلى الصلاة وقام الناس معه ، فلما رأى زياد ذلك نزل فصلى بالناس ، وكتب إلى معاوية وكبر عليه ، فكتب إليه معاوية ليشده في الحديد ويرسله إليه ،." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٦٨ """""""

وأخذت منه عقد جوهر - وأنا في الدنيا ، والله لولا أنها أول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة ، اركب بنفسك إلى دكان الرجل حتى ترد العقد في الصندوق بيدك ظاهرا ، فقلت لأبي عبد الله : ما هذا ؟ فقال : خط المعتضد - مثلت بين وجدك وبين يونس فاخترتك عليه ، فأخذت خط أمير المؤمنين بما تراه ، وامض وأرسله إليه ، فقبلت رأسه وجئت إلى الرجل ، فأخذت بيده ومضينا إلى يونس وسلمت التوقيع إليه ، فلما رآه اسود وجهه وارتعد ، حتى سقطت الرقعة من يده ، ثم قال : يا هذا - الله بيني وبينك - هذا شيء ما علمت به ، فألا تظلمتم فإن لم أنصفكم فإلى الوزير - بلغتم الأمر أمير المؤمنين من أول وهلة قال فقلت : بعملك جرى والعقد معك فأحضره ، فقال : خذ الألف دينار التي عليه ، واكتبوا على الرجل ببطلان ما ادعاه ، فقلت : خذ الألف دينار التي عليه ، واكتبوا على الرجل ببطلان ما ادع١ه ، فقلت : لا نفعل ، فقال : ألف وخمسمائة ، فقلت : والله لا نرضى حتى تركب بنفسك إلى الدكان فترد العقد ، فركب ورد العقد إلى مكانه .

وحكى عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي أيضا بسند رفعه إلى أبي محمد عبد الله بن حمدون قال : قال لي المعتضد ليلة - وقد قدم له العشاء - لقمني ، وكان الذي قدم فراريج ودراريج ، فلقمته من صدر فروج ، قال : لا ، لقمني من فخذه فلقمته لقما ، ثم قال : هات من الدراريج فلقمته من أفخاذها ، فقال : ويلك - هوذا أتتنادر علي ، هات من صدورها ، فقلت : يا مولاي ركبت القياس ، فضحك ، فقلت : إلى كم

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٠/٢١٣

أضحكك ولا تضحكني ، فقال : شل المطرح وخذ ما تحته ، قال : فشلته فإذا دينار واحد ، فقلت آخذ هذا ؟ قال نعم ، فقلت : بالله هوذا تتنادر أنت الساعة علي ، خليفة يجيز نديمه بدينار فقال : ويلك – لا أجد لك في بيت المال حقا أكثر من هذا ، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئا ، ولكن هوذا احتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار ، فقبلت يده فقال : إذا كان غدا وجاء القاسم – يعني ابن عبيد الله – فهوذا أسارك حتى تقع عيني عليه سرارا طويلا ، ألتفت فيه إليه كالمغضب وانظر أنت إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر **المترثي** ، فإذا انقطع السرار فاخرج ولا تبرح من الدهاليز ، فإذا خرج خاطبك بجميل وأخذك إلى دعوته وسألك عن حالك ، فاشك الفقر والخلة وقلة حظك معي وثقل ظهرك بالدين والعيال ، وخذ ما يعطيك واطلب كل ما تقع عليه عينك ، فإنه لا يمنعك حتى تستوفي خمسة آلاف دينار ، فإذا أخذتها." (١)

"وأراد الإنجليز أن يطمئنوا في فلسطين إلى شعب لم يتعود قط أن يقول: أنا.

ولكن لماذا كنستكم كل أمة من أرضها بمكنسة أيها اليهود؟

أجهلتم الإسلام؟ الإسلام قوة كتلك التي توجد الأنياب والمخالب في كل أسد.

قوة تخرج سلاحها بنفسها، لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليؤكل، ولم يخلق ليذل.

قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر، كأنه يعلن الأسدية العزيزة إلى الجهات الأربع.

قوة وراءها قلب مشتعل كالبركان، تتحول فيه كل قطرة دم إلى شرارة دم ولئن كانت الحوافر تهيئ مخلوقاتها ليركبها الراكب، إن المخالب والأنياب تهيئ مخلوقاتها لمعنى آخر.

لو سئلت ما الإسلام في معناه الاجتماعي؟ لسألت: كم عدد المسلمين؟

فإن قيل: ثلاثمائة مليون. قلت: فالإسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها ثلاثمائة مليون قوة.

أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه.

والغني اليوم في الأغنياء الممسكين عن إخوانهم، وهو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى.

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين، يدل دلالات كثيرة، أقلها سياسة المقاومة.

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك. فافتحوا أنتم أيديكم...

كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير **مكترثين**، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم.

لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلى الجهة الواحدة؟

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٢/٢٦٨

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟

أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني.

لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدا وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها.

لو صام المسلمون كلهم يوما واحدا لإعانة فلسطين، لقال النبي صلى الله عليه وسلم مفاخرا الأنبياء: هذه أمتي!

لو صام المسلمون جميعا يوما واحد لفلسطين، لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قوما جبارين...." (١)

"أصوتك أنت، أم هي روح أمك تصرخ ترثي لي، وتتوجع لفرط ما قاسيت!

يا ابنتي، إنما أنت الحقيقة الصغيرة التي خرجت لي من كل تلك الخيالات الشعرية الجميلة، خيالات الأيام السعيدة التي مرت!

يخلق المواليد من اللحم والدم! وأراك أنت يا مسكينة، خلقت من اللحم والدم والدموع!

بقية حياة ماتت! فهل معنى ذلك إلا أنك بقية موت يحيا؟

مسكينة، مسكينة؛ لو أن نواميس العالم متغيرة لشيء لتغيرت من أجل بؤسك فردت لك الأم، ولكنها لن تتغير، وما بكاؤنا وآلامنا وتعاستنا إلا تراث الحياة في أجسامنا الأرضية، كل ذلك طبيعة ولكن بقعة أنظف من بقعة، وأراك يا ابنتي كالبيت الذي هدم أول ما بني يملؤه ترابه!

لن تتغير النواميس، فلن تجدي عطف الأم، ولكن لن يتغير قلبي أيضا، فلن تحرمي عطف الأب.

وإذا صبر الناس على الحياة فمن أجلك يا مسكينة! من أجل ضعفك وانقطاعك سأعاني الصبر لك، وأعاني الصبر لي، وأعاني الصبر عن أمك. سأصبر على الصبر نفسه!

يا ابنتي! يا ابنتي! لماذا وضعتك الأقدار من هذه الحياة في الناحية التي ليس فيها إلا قبر مظلم مقفل على أمك، وأب مسكين مقفل على آلامه؟

قال المسكين: وهكذا كتبت من أهل البؤس والهم، فلم أتزوج إلا لتصنع لي حبيبتي دموعي، ثم لم تمت إلا بعد أن تركت لي حبيبة أخرى ستظل زمنا طويلا تصنع لي دموعي!

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) وحي القلم، ص/٣

السمكة

حدث أحمد بن مسكين الفقيه البغدادي قال: حصلت في مدينة "بلخ" سنة ثلاثين ومائتين، وعالمها يومئذ شيخ خراسان أبو عبد الرحمن١ الزاهد صاحب المواعظ والحكم؛ وهو رجل قلبه من وراء لسانه، ونفسه من وراء قلبه، والفلك الأعلى من وراء نفسه، كأنه يلقى عليه فيما زعموا.." (١)

"قوة تخرج سلاحها بنفسها، لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليؤكل، ولم يخلق ليذل.

قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر، كأنه يعلن الأسدية العزيزة إلى الجهات الأربع.

قوة وراءها قلب مشتعل كالبركان، تتحول فيه كل قطرة دم إلى شرارة دم ولئن كانت الحوافر تهيئ مخلوقاتها ليركبها الراكب، إن المخالب والأنياب تهيئ مخلوقاتها لمعنى آخر.

لو سئلت ما الإسلام في معناه الاجتماعي؟ لسألت: كم عدد المسلمين؟

فإن قيل: ثلاثمائة مليون. قلت: فالإسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها ثلاثمائة مليون قوة.

أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه.

والغني اليوم في الأغنياء الممسكين عن إخوانهم، وهو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى.

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين، يدل دلالات كثيرة، أقلها سياسة المقاومة.

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك. فافتحوا أنتم أيديكم...

كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير **مكترثين**، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم.

لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلى الجهة الواحدة؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟

أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني.

لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدا وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها.

لو صام المسلمون كلهم يوما واحدا لإعانة فلسطين، لقال النبي مفاخرا الأنبياء: هذه أمتي!

لو صام المسلمون جميعا يوما واحد لفلسطين، لقال اليهود اليوم ما قاله آباؤهم من قبل: إن فيها قوما جبارين...

---

(١) وحي القلم، ص/١٥٦

أيها المسلمون! هذا موطن يزيد فيه معنى المال المبذول فيكون شيئا سماويا.

كل قرش يبذله المسلم لفلسطين، يتكلم يوم الحساب يقول: يا رب، أنا إيمان فلان!

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

قصة الأيدي المتوضئة." (١)

"فإنه نفر من قوله " لا تقل بشرى " أشد نفار، وقال: أعمى وتبتدئ بهذا في يوم مهرجان؟! قال الصاحب: ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام، وتفوت الاوهام، وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرتيماطيقي، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى:

أحاد أم سداس في أحاد ... لييلتنا المنوطة بالتنادي

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط وما ظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة؟ فأي هزة تبقى هناك؟ وأي أريحية تثبت هنا؟.

وقد خطأه في اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني، حين احتيج في الاعتذار له، والنضح عنه، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت، ولا يتسع له هذا الباب.

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله:

ملث القطر أعطشها ربوعا ... وإلا فاسقها السم النجيعا

وقوله:

أصلت فإنا أيها الطلل ... نبكي وترزم تحتنا الإبل

وقوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا ... وحسن الصبر زموا لا الرحالا

قال الصاحب: ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة في التسلية عند المصيبة:

لا يحزن الله الأمير فإنني ... لآخذ من حالاته بنصيب

قال الصاحب: لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيب من القلق!

ومنها

---

(١) وحي القلم، ص/٢٣٥

إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت، وقلة التناسب، وتنافر الأطراف، وتخالف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة، ويعود لهذه العادة السيئة، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط. فبينا هو يصوغ أفخر حلي، وينظم أحسن عقد، وينسج أنفس وشي، ويختال في حديقة ورد، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة، أو تعويص اللفظ، أو تعقيد المعنى، إلى المبالغة في التكلف، والزيادة في التعمق، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة، والركاكة والتبرد والتوحش، باستعمال الكلمات الشاذة، فمحا تلك المحاسن، وكدر صفاءها، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها، واستهدف لسهام العائبين، وتحكك بألسنة الطاعنين: فمن متمثل بقول الشاعر:

أنت العروس لها جمال رائق ... لكنها في كل يوم تصرع

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات، ثم يتبعها بطعام وضر، وشراب عكر، أو من يتبخر بالند المعشب المثلث، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة، ويفسده بالرائحة الردية، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم، وطرائف الحكم، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول: اعذروني فإن العذرة متعذرة.

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله، ومعنى تفرد بابتداعه، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال:

كيف **ترثي** التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وقوله:

ليالي بعد الظاعنين شكول ... طوال، وليل العاشقين طويل

يبن لي البدر الذي لا أريده ... ويخفين بدرا ما إليه وصول

وما عشت من بعد الأحبة سلوة ... ولكنني للنائبات حمول

وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الخليط نزول

يحرمه لمع الأسنة فوقه ... فليس لظمآن إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها، وتسهل في ألفاظها، فجاءت مصنوعة، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة،

فقال:

أغركم طول الجيوش وعرضها ... علي شروب للجيوش أكول

إذا لم تكن لليث إلا فريسة ... غذاه ولم ينفعك أنك فيل

ثم أتى بما هو أطم منه فقال، وذكر الصاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول الأبد بمثلها:

إذا كان بعض الناس سيفا لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

فإن تكن الدولات قسما فإنها ... لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال الصاحب: قوله " الدولات " و " تدول " من الألفاظ التي لو رزق فضل السكوت عنها لكان سعيدا.." (١)

"فإذا رماك بشدة فاصبر لها ... فلسوف يأتي بعدها بليان

وسل الليالي عن نفاذ عزيمتي ... وسل الحوادث عن ثبات جناني

يخبرك عني أنني لم ألقها ... بين العزائم واهن الأركان

أصبحت لا أشتاق إلا للندى ... إلفا ولا أهوى سوى الإحسان

وإذا السيوف قطعن كل ضريبة ... قطع السيوف القاطعات لساني

وقوله:

اسقياني فلست أصغي لعذل ... ليس إلا تعلة النفس شغلي

أأطيع العذول في ضد ما أه ... وى كأني اتهمت رأيي وعقلي

عللاني بها فقد أقبل اللي ... ل كلون الصدود من بعد وصل

وانجلى الغيم بعدما أضحك الرو ... ض بكاء السحاب فيه بوبل

عن هلال كصولجان نضار ... في سماء كأنها جام ذبل

أحسن في هذا التشبيه ما شاء! وقوله:

إذا هب سلطان المريسي نافحا ... سحيرا وحل كل نقاب

ومد على الأفق الغمام ثيابه ... فقم فالقه في عدة وحراب

بكن وكانون وكأس مدامة ... وكيس وكس وافر وكباب

وقوله:

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٦/١

ورد الخدود أرق من ... ورد الرياض وأنعم

هذا تنشقه الأنو ... ف وذا يقبله الفم

فإذا علت فأفضل الوردين ورد يلثم

هذا يشم ولا يضم ... وذا يضم ويشمم

وأنشد المصيصي له:

وجنة من شفني هواه ومن ... أفنيت فيه دموع آماقي

كأنما الصيرفي دنر ما ... يحمر منها ودرهم الباقي

وأنشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي من قصيدة مخمسة أولها:

دم العشاق مطلول ... ودين الحب ممطول

وسيف اللحظ مسلول ... ومبدا الحب معزول

وإن لم يضغ للآثم

إذا لم يظهر الحب ... ولم ينهتك الصب

ويفشي سره القلب ... فجملة ما ادعى كذب

فبح يا أيها الكاتم

وأحور ساهر الطرف ... يفوق جوامع الوصف

مليح الدل والظرف ... جنت ألحاظه حتفي

فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السحر ... وذل لوجهه البدر

ما دبر دفة الخصر ... وأشبه ثغره الدر

فقلب محبه هائم؟

يعنفني على حبي ... ويهجرني بلا ذنب

كأني لست بالصب ... لقهوة ريقه العذب

أما في الحب من راحم؟

غزال لحظه شركه ... وبدر ثوبه فلكه

لو أني كنت أمتلكه ... فأنهب ما حوت تككه

نهاب الظافر الغانم

خذوا بدمي قنا القد ... وحسن تورد الخد

وليل الشعر الجعد ... وثقل الكفل النهد

وسقين الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل ... وينفي الجور بالعدل

محب دائم البخل ... سليب الصبر والعقل

كئيب مدنف هائم

بحسن الأعين النجل ... وعض الوقف والحجل

وذاك القصب الجدل ... وريق كجنا النحل

وثغر يطمع الشائم

سلوا الشمس التي طلعت ... علينا ثم ما أفلت

عسى **ترثي** لمن قتلت ... بعينيها وما عملت

فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر ... شبيهات سنا البدر

وألوان صفا الخمر ... لقد أضر من في صدري

غراما ليس بالنائم

وراح تبعث الطربا ... وتحيي الظرف والأدبا

يثير مزاجها حببا ... تخال به عيون دبا

ودرا صفه الناظم

أما والجمرة الكبرى ... وزمزم والصفا ومنى

ومن لبى بها ودعا ... وطاف البيت ثم سعى

خميصا مختبا صائم

لقد أضحى لنا خلفا ... نزار وابتنى شرفا

وأصبح خامس الخلفا ... وأحيا سعيه السلفا

وأضحى بالهدى قائم

نمى في المجد عنصره ... وطال النجم مفخره

وفاق البدر منظره ... فصرف الدهر يحذره

أبي لين صارم

وقوله في الراي." (١)

"لم يبق من قلبي سوى ... رسم تغير فهو دارس

وقوله:

دع قول واشية وواشي ... واجعلهما كلبي هراش

واشرب معتقة تسل ... سل في العظام وفي المحاشي

حتى ترى العود المسن ... لها أرق من الخشاش

وقوله:

ألحاظ عين تنتهي ... في روض ورد تزدهي

رتعت بها وتنزهت ... منها بأي تنزه

يا أيها الخنث الجفو ... ن بنخوة وتكره

والمكتفي عجبا أما ... ترثي لأشعث أمره

وقوله:

أطفت شرارة لهوي ... ولوت بشرة عدوي

شعل علون مفارقي ... ومضت ببهجة سروي

لما شككت عروضها ... ذهب الزحاف بحزوي

يا أيها الشادي صه ... ليست بساعة شدو

وقوله:

ألا يا زين قلبي لل ... شباب العفر إذ ولى

جعلت الغي سربالي ... وكان الرشد بي أولى

بنفسي جائر في الحك ... م يلفي جوره عدلا

وليس الشهد في فيه ... بأحلى عنده من لا

---

(١) يتيمة الدهر، ١٥٢/١

وقوله:

هنا تفني قوافي الش ... عر هذا الروي

قواف ألبست حليا ... من الحلى الروي

تعالت عن جرير بل ... زهير بل عدي

؟أبو ءمرو يوسف بن هرون

المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي، من قصيدة:

من حاكم بيني وبين عذولي ... الشجو شجوي والعويل عويلي

في أي جارحة أصون معذبي ... سلمت من التعذيب والتنكيل

إن قلت في بصري فثم مدامعي ... أو قلت في كبدي فثم غليلي

وثلاث شيبات نزلن بمفرقي ... فعلمت أن نزولهن رحيلي

طلعت ثلاث في نزول ثلاثة ... واش ووجه مراقب ومقيل

فعذلنني عن صبوتي متذللا ... ولقد سمعت بذلة المعذول

ومنها:

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع ... منهن غير معالم وطلول

ونهت محافظة الحسان فلم تصل ... كفي إلى ظبي أغن كحيل

ومكبل لم يجترم جرما ولا ... دامت صحابته بغير كبول

متلفت كتلفت المرتاع يق ... سم لحظه في الحول بعد الحول

حتى إذا ما السرب عن للحظه ... أومى بقادمتيه خل سبيلي

ولت جماعتها وشد وراءها ... وكأنه بطل ور ا ء رعيل

عجلت وأدركها ردى في إثرها ... إن الردى قيد لكل عجول

ولقد غدوت بأهرت متضائل ... سر النفوس إليه غير ضئيل

ولربما اشتم الصعيد بأنفه ... حينا فقام له مقام دليل

متتبع لظلاله فكأنه ... في القيظ يطلب ظله لمقيل

فنزلت في فرش الرياض ولم يكن ... ليحوزها مثلي بغير نزولي
روض تعاهده السحاب كأنه ... متعاهد من علم إسمعيل
قسه إلى الأعراب تعلم أنه ... أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات جمعت ... فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما ... نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه ... عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهم بليل همومهم ... منه فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمس بدت في غربتنا ... وتغربت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقل ... زورا ولا عرضت بالتنويل
من كان يأمل نائلا فأنا امرؤ ... لم أرج غير القرب في تأميلي
وقوله:
وإني لأغضي الطرف عنك جلالة ... وخوفا على خديك من لحظاتي
ولو أنني أهملت عيني بأن ترى ... سناك لحالت دونها عبراتي
رأيت وشاة الكاشحين أباعدا ... ولكن دمعي من عديد وشاتي." (١)

"بكى، ولعله لم يبك عند حلول النوائب وقراع المصائب، ولو عاين الموت في الحروب، ومنازلة الأبطال عند الكروب.

وقيل: إن المنصور مر بقبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط فأكثر من لعنته وقال: هو أول من شب الحرب بين بني عبد مناف بقوله:
بني هاشم ردوا ثياب ابن أختكم ... ولا تنهبوه، لا تحل مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند علي درعه ونجائبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
ولم يكن معاوية بالذي يحدث نفسه بخلاف علي رضي الله عنه ولا يهم بمنازعته ولا يدانيه في مفخر الى أن كاتبه هذا، وأشر بيده الى قبر الوليد بن عقبة، بقوله:
ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فإنك من أخي ثقة مليم

---

(١) يتيمة الدهر، ١٨٦/١

قطعت الدهر كالسدم المعنى ... تهدر في دمشق وما تريم
وإنك في الكتاب الى علي ... كدابغة وقد حلم الأديم
فلو كنت القتيل وكان حيا ... لشمر، لا ألف ولا سؤوم
فهزه بهذا الشعر وحركه، وهيجه به وهجهجه، الى أن شمر عن ساقه، وصرح بعد نفاقه. هذا آخر كلام المنصور.
وروى جماعة من الشيعة أن عليا رضي الله عنه لم يطالب بدم عثمان، مع براءته منه، وقوله: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، إلا بتحريض حسان بن ثابت وقوله:
يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا
وقيل: كان سبب خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان قول الشاعر:
أفي الله أما بحدل وابن بحدل ... فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل
فقال لا والله وطلب دم آل الزبير وكان منه ما كان.
ومن طريف ما وقفت عليه من تأثير الشعر ما حدثني به بعض المشايخ، يرفعه الى يعلى بن محمد الأعرج، قال الراوي عنه: حدثنا إملاء من حفظه في يوم الأربعاء رابع عشر من ذي القعدة من سنة أربعين وخمسمائة، قال: لما خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني وعاث في نواحي العراق، أرجف أهل بغداد به، وتحدث الناس فأكثروا ولم يكن له كفؤ في رد شعبه وسد خلله إلا ابن عمه وهو يزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي أبيه بغير فصل، فاستحضره وزير الخلافة وأنشده على عادة العرب ينخيه، ويستنصر به، فكان ما أنشده:
إذا دعيت فما تدعى لهينة ... إلا لمعضلة توفي على العضل
إن الخلافة مرساة الى جبل ... وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل
إفخر فما لك في شيبان من مثل ... كذاك ما لبني شيبان من مثل
وشرع الوزير في كلام يرغبه فيه، ويعده، بما يكون في مطاويه، فقال له يزيد: كف يا مولانا فقد كفيت وكفيت، ونهض وقد حركه الشر وهزه طرب يجر أذياله، وبرز في جماعته لوقته الى قتال الوليد، فلقيه ووقع الطراد، وارتفع العجاج، فنصره الله على الوليد فتقله، بعد ما كان الوليد يكر على الخيل ويرد هواديها على أعجازها ويرفع عقيرته وينادي:
أنا الوليد بن طريف الشاري ... قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

ولما وقع الى الأرض ركبت أخته ولبست درعها وخرجت مبارزة، فنظر إليها يزيد قاتل أخيها وابن عمها فناداها: يا هناة ألقي الرمح من يدك وارجعي الى خبائك، هتكت الحرائر، ليس هذا بمقام للنساء، فركزت رمحها في الأرض وأسندت رأسها إليه واستعبرت، وأنشدت ترثي أخاها:

لئن كان أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف يبتلى بزحوف

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من دهمائنا بألوف." (١)

"وأقول: إنه نفخ في غير ضرم، وطاف بغير حرم، وليس ذلك بكبير أمر، ولا مما ينبه عليه بعد الفراغ منه، بل هو في الرتبة الوسطى لا ينحط انحطاطه في عادته، ولا يرتفع ارتفاع القاضي الفاضل.

وقد استعمل الناس أسماء المنازل والكواكب في كلامهم جدا وهزلا ، كقول سيف الدين المشد ابن قزل:

ضل فؤادي بين أبياتكم ... وناره تضرمها الأهويه

يا ذابح النوم بطرفي أما ... ترثي لقلب ضل في الأخبيه

وقوله أيضا :

ألا يا وادي الشقرا ... ء كم قد حزت من نزهه

غياض ماؤها يجري ... فما في طيبها شبهه

وكم بدر يروق الطر ... ف أضحى منك في الجبهه

وقوله أيضا :

بدا في الدرع مثل الرم ... ح في الأعطاف والسمره

فيا لله من بدر ... يروق الطرف في النثره

وقول العدل برهان الدين بن الفقيه نصر:

بخدمتكم لم أنل طائلا ... وميزان نقصي بكم راجح

ففي الطرف من أدمعي نثرة ... وفي القلب من سعدكم ذابح

ومن أحسن الكنايات قول الآخر:

ألم ترني أكابد فيك وجدي ... وأحمل منك ما لا يستطاع

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٥٩

إذا ما أنجم الجو استقلت ... ومال الدلو وارتفع الذراع

وقول محمد سبط التعاويذي:

فبت وباتت إلى جانبي ... نعد المنازل فيها كلانا

تريني البطين ولكنني ... أقارضها فأريها الزبانى

وقول الآخر من أبيات:

فأعجلته عن دخول الكنيف ... بجهل مطاع وحلم مطاع

فغرقت منه بنوء البطين ... ورواه مني نوء الذراع

وأما قوله: وليت لو فدي أحدهما بصاحبه، أحسن من هذا قول المتنبي:

فليت طالعة الشمسين غائبة ... وليت غائبة الشمسين لم تغب

وتمام السجعة نصف بيت من هذه القصيدة لأبي الطيب، أول:

قد كان قاسمك الشخصين دهرهما ... فعاش درهما المفدي بالذهب

قال: ومن هذا الباب ما أوردته في رسالة طردية في وصف قسي البندق وحامليها ثم إنه ساقها.

أقول: وهي أيضا من الوسط، فلا تكون في العالي ولا السقط، وذكرت بالطريق التي سلكها فيها ما جاء لبعض كتاب العجم فيما أظن، في القوس التي للسهام، فإنها في حسنها فذة، ونكتها في سلب العقول مغذة، وصناعتها لم تدع في المثاني والمثالث عند النفوس بعدها لذة. وهي:

رسالة لابن الأثير في وصف قسي البندق وحامليها

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا ، حكيم جبل على السداد، يهدي إلى سبل الرشاد، آثار بأسه مشهورة على ذوي الأعواد ويسألونك عن الأهلة، فقل صفر من غير علة، مجرة تنقض منها نجوم الرجوم، برج ذو جسدين يطلع بالطائر المشؤوم، شيطان تطلع شمس النصر بين قرنيه، مارد لا يسكن إلا بتعريك أذنيه، صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. مطية تخالف سائر الأنعام، قيامها باليد وقيامهن بالأقدام. متحرك يعض على ناجذ التصبر في الشدة والرخاء، من صحبه طرفة عين مشى على الهواء، فقل في نون التقم مرسلا فنبذه بالعراء. مقيد يحمل عليه المطلق، طريد العنق من جيد عاتقه معلق. ناحل ألصق بطنه بظهره، حتى بدت للناظرين بنات صدره، وغارت كلاه في خصره، لاستيلاء قوتيه الجاذبة والماسكة على قوتيه الدافعة والهالكة. مقبوض يقارب السريع، ويفارقه عند التقطيع. وهي أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه، لا ينصب إلا على اليد متكاه،

وينشد إذا فتح فاه:

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... مجردة تضحي لديك وتحصر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري ... ضنى جسدي لكنني أتستر

منحني الظهر يتوكأ على عصا، ويلقيها فإذا هي حية تسعى.

تنكب رماح الخط والبيض خلها ... وأما الحنايا حلها وتنكبا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٣٤ """""""""

لضممته إلي . فلما أصبح غدا يستدل عليه حتى جاءه ، فقال : قدمت هذا البلد ، ولم تنزل بنا ، ولم تر أن تعلمنا بمكانك فيكون منزلكم عندنا وعلي ، إن كان لكم منزل إلا عندي . قال : نعم نتحول إليك الليلة ، أو في غد . فلما ولى قال عروة لأهله : قد كان ما ترون ، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبن رأسي ولألحقن بقومكم ، فليس علي بأس . فارتحلوا وركبوا طريقهم ، ونكس عروة ولم يزل مدنفا ، حتى نزل وادي القرى . وروى العمري عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين أن عفراء لما بلغها وفاة عروة قالت لزوجها : يا هناه قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغك ، والله ما كان ذلك إلا على الحسن الجميل ، وإنه قد بلغني أنه مات في أرض غربة ، فغن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوة من قومي فيندبه ويبكين عليه . فقال : إذا شئت ، فأذن لها ، فخرجت ، وقالت **ترثيه** : ألا أيها الركب المخبون ويحكم . . . بحق نعيتم عروة بن حزام . فلا هنئ الفتيان بعدك غارة ، . . . ولا رجعوا من غيبة بسلام . فقل للحبالى لا ترجين غائبا ، . . . ولا فرحات بعده بغلام . قال : ولم تزل تردد هذه الأبيات وتبكي حتى ماتت ، فدفنت إلى جابنه ، فبلغ الخبر معاوية ، فقال : لو علمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما . وقد روي مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا ، حدثنا العيشي عن أبيه قال : لما زوجت عفراء جعل عروة يضع صدره في أعطان إبلها ، وحيث كانت تجلس ، فقيل له : اتق الله ، فإن هذا غير نافعك ،." (٢)

"يقول: سائلوا قاتليه. هل مات من ضربهم، أو خوفا من الضرب؟! والشبح: الشخص. يقول: سائلوا الناس أي موضع أصاب السيف منه؟ فإنه ليس له جسم، لقصره وصغره، ولا رأس له، ولا عنق، حتى لا يجد السيف شخصه، ولكن الخوف قتله قبل أن يضرب منه السيف موضعا!

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٦٣

(٢) مصارع العشاق، ٣٣٤/١

لولا اللئام وشيء من مشابهة ... لكان ألأم طفل لف في خرق
يقول: لولا أن في الناس المشابهة في اللؤم والخسة، لكان ألأم طفل لف في قماط؛ لعجزه وصغر قامته.
والمشابهة: جمع الشبه على غير قياس.
كلام أكثر من تلقى ومنظره ... مما يشق على الآذان والحدق
يقول: إن أكثر الناس كلامه تمجه الآذان لثقله. وكذلك رؤيته مما تنكرها العين ويشق عليها. فله نظائر في الناس.
واجتاز ببعلبك فنزل على علي بن عسكر، وهو يومئذ صاحب حربها، فخلع عليه وحمل إليه وأمسكه عنده، اغتناما لمشاهدته. وأراد أبو الطيب الخروج إلى أنطاكية فقال يعتذر من مفارقته:
روينا يا ابن ءسكر الهماما ... ولم يترك نداك بنا هياما
يقول: روينا أيها الممدوح بسحائب جودك، ولم يترك بنا هياما: أي عطشا.
وصار أحب ما تهدى إلينا ... لغير قلى وداعك والسلاما
يقول: قد أفضت علي من برك ما كفاني، فليس شيء أحب إلي إلا الارتحال وتوديعك والسلام، وليس ذلك عن بغض ولا كراهة فيك، ولكن عن عذر اقتضى ذلك.
ولم نملل تفقدك الموالي ... ولم نذمم أياديك الجساما
التفقد: التعهد. والموالي: المتتابع.
يقول: ولا أني أمللت إكرامك وتعهدك لأحوالي، ولا ذممت أياديك العظام، ولكن لعذر آخر أوجب طلب الإجازة.
ولكن الغيوث إذا توالت ... بأرض مسافر كره الغماما
يقول: إني في سؤال الإذن منك، كالمسافر الذي يكره المطر، وإن كانت فيه حياة البلاد والعباد، فلهذا كرهت المقام عندك.
قصائد أبي العشائر الحمداني
وقال يمدح أبا العشائر: الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي وهي أول شعر في بني حمدان:
أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي
المآقي: طرف العين مما يلي الأنف.

يقول لصاحبه: أحسبت هذه المرأة أنها لكثرة ما ترى من الدموع في عيون عشاقها أنه خلقة في عيونهم؟ فلهذا لا ترحمهم!

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راق

راءها: مقلوب رآها. وغير: الأولى نصب على الاستثناء، والثانية: على تفسير البيت الأول.

يقول: كيف ترحم هذه المرأة للباكين بسببها، لأنها ترى كل عين باكية غير راقية الدمع عنها، فهي تحسب أن ذلك خلقة، لأنها لم تر إلا باكيا سائل الدمع، واستثنى جفنها، فبين أن كل عين كذلك إلا عينها؛ لأنها لم تعشق أحدا فلا تجزع للفراق! وقال ابن جنى: إنها لا تبكي، لأنها لم تهجر نفسها.

وهذا البيت من بدائع أبي الطيب المتنبي.

أنت منا فتنت نفسك لكن ... ك عوفيت من ضنى واشتياق

يقول: أنت منا أي من جملة العشاق، لكنك قد فتنت نفسك كما فتنا بحسنك! أي أنت عاشقة لنفسك كما نعشقك؛ لأن كل أحد يحب نفسك، غير أنك سلمت من ألم الوجد وطول المرض والاشتياق؛ لأن الإنسان لا يشتاق إلى نفسه فلا يتألم من حبها

حلت دون المزار، فاليوم لو زر ... ت لحال النحول دون العناق

حلت: أي منعت. والمزار: الزيارة.

يقول: منعتنا من الزيارة فنحلنا لذلك! وذابت أجسامنا، فلو أردت الآن وصلنا منع النحول من معانقتك.

إن لحظا أدمته وأدمنا ... كان عمدا لنا وحتف اتفاق

يقول: نظر كل واحد منا إلى صاحبه عن تعمد منا، فاتفق في ذلك حتفي من غير قصد! وهذا من قولهم: رب حتف في لحظة طرف.

لو عدا عنك غير هجرك بعد ... لأرار الرسيم مخ المناقي

عدا عنك: أي صرف. وبعد: فاعله. وقوله أرار أي أذاب. والرسيم: هو سير شديد من سير الإبل. والمناق: جمع منقية: وهي السمينة التي في عظامها مخ.

يقول: إنما صرفنا عنك هجرك، ولو حال بيننا بعد سوى الهجر لواصلنا السير إليك وهزلنا النوق بالسير، حتى يذوب بالسير مخ عظامها.

وقوله: لأرار الرسيم: أي لأذاب السير الشديد مخ المناق.

ولسرنا ولو وصلنا عليها ... مثل أنفاسنا على الأرماق

الأرماق: جمع الرمق، وهو بقية الحياة.." (١)

"عن قريب ترى خيول هشام ... يبلغ النيل خطوها والشآما انتهى ما نقلته من المطمح.

[؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟أخبار في سيرة المنصور]

وفي المنصور المذكور أيضا قال بعض مؤرخي المغرب (١) ، مازجا كلامه ببعض كلام الفتح، بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض، وذكر قتله لجعفر ابن علي، فقال بعده ما صورته: ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر هل من مبارز، فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده، فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها، ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها، وما توجهت عليه هزيمة،وما انصرف عن موطن إلا قاهرا غالبا، على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الأعداء وواجه من الأمم، وإنها لخاصة ما أحسب أحدا من الملوك الإسلامية شاركه فيها، ومن أظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده، وكثرة بذله، فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان، وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق، حط صاحبه المصحفي، وأثار له كامن حقده الخفي، حتى أصاره للهموم لبيسا، وفي غيابات السجن حبيسا، فكتب إليه يستعطفه بقوله (٢) :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ رماه عندك القلم

---

(١) البيان المغرب ٢: ٤٢٧ وبعضه في أعمال الأعلام: ٧٧.

(٢) قال ابن الأبار (الحلة ١: ٢٦٥) هذه الأبيات متنازعة ينسبها غلى المصحفي جماعة، وقد وجدتها منسوبة إلى أبي عمر ابن دراج القسطلي، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخه أنها لكاتب إبراهيم بن أحمد بن الأغلب؛ قلت انظر البيان المغرب ١: ١٦١ واسم الكاتب هذا محمد بن حيون ويعرف بان البريدي.." (٢)

"قال صاحب كتاب " روضة الأزهار، وبهجة النفوس ونزهة الأبصار " (١) : ولما مر أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمطبق في الزهراء ودع أهله وودعه وداع الفرقة، وقال لهم: لستم ترونني

---

(١) معجز أحمد، ص/١٩٧

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٠٧/١

بعدها حيا، فقد أتى وقت إجابة الدعوة، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة، وذلك أني أشركت (٢) في سجن رجل في عهد الناصر، وما أطلقته إلا برؤيا رأيتها بأن قيل لي: أطلق فلانا فقد أجيبت فيك دعوته، فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته علي، فقال: دعوت على من شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون، فقلت (٣) : إنها قد أجيبت، فأني كنت ممن شارك في امره، وندمت حين لا ينفع الندم، فيروى أنه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات (٤) :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري:

يا جاهلا بعدما زلت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم

ندمت إذا لم تعد مني بطائلة ... وقلما ينفع الإذعان والندم

نفسي إذا جمحت ليست براجعة ... ولو تشفع فيك العرب والعجم فبقي في المطبق حتى مات، نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم، انتهى.

وقد ذكر بعضهم هذه الأبيات زيادة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل، فإن هذه الأبيات للمنصور، وهذا المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري،

---

(١) لم أتعرف إلى مؤلف هذا الكتاب، ولكن النص منقول عن ابن حيان في الذخيرة ٤: ٥٠.

(٢) كذا في الأصول، وفي مطبوعة ليدن: شاركت، وفي الذخيرة: أسرفت.

(٣) الذخيرة: فعلمت.

(٤) انظر ما تقدم ص: ٤٠٧ - ٤٠٨ والذخيرة ٤: ٥١.." [1]

"هات المدام فقد ناح الحمام على ... فقد الظلام وجيش الصبح في غلب

وأعين الزهر من طول البكا رمدت ... فكحلتها يمين الشمس بالذهب

والكأس حلتها حمراء مذهبة ... لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب

كم قلت للأفق لما أن بدا صلفا ... بشمسه عندما لاحت من الحجب

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١/٦٠١

إن تهت بالشمس يا أفق السماء فلي ... شمسان وجه نديمي وابنة العنب

قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم ... والليل تبكيه عين البدر بالشهب

والسحب قد لبست سود الثياب وقد ... قامت **لترثيه** الأطيار في القضب وله (١) :

عليك من ذاك الحمى يا رسول ... بشرى علامات الرضى والقبول

جئت وفي عطفيك منهم شذا ... يسكر من خمر هواه العذول ومنها:

أحبابنا ودعتم ناظري ... وأنتم بين ضلوعي نزول

حللتم قلبي وهو الذي ... يقول في دين الهوى بالحلول

أنا الذي حدث عني الهوى ... بأنني عن حبكم لا أحول

فليزد العاذل في عذله ... وليقل الواشي لكم ما يقول انتهى كلام النور بن سعيد.

وقال غيره: ولد المذكور بشاطبة منتصف وشوال سنة ٦١٥، ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون، وكان عالما فاضلا، دمث الأخلاق كريم الشمائل، كثير الاحتمال واسع الصدر، صحب الشيخ كمال الدين ين العديم وولده قاضي

---

(١) القدح: ٢٠٨ والفوات: ٣٢٣.." (١)

"ومن نظمه أيضا ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته، قوله:

ما للنوى رقة **ترثي** لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرم هذا من العجب وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧، ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي، رحم الله تعالى الجميع.

وابن الزكي أيضا محيي الدين.

ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق (١) :

يا خليلي في الزيادة ظبي ... سلبت مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفي ... ناظر حسن وجهه في الزياده وله:

علقت صوفيا كبدر الدجى ... لكنه في وصلي الزاهد

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/١٢٢

يشهد وجدي بغرامي له ... فديت صوفيا له شاهد وله أيضا:

صبوت إلى حريري مليح ... تكرر نحو منزله مسيري

أقول له: ألا **ترثي** لصب ... عديم للمساعد والنصير

أقام ببابكم ۼمسين شهرا ... فقال: كذا مقامات الحريري وله:

وغزال من اليهود أتاني ... زائرا من كنيسه أو كناسه

---

(١) انظر الفوات والوافي.." (١)

"مذ نأى عن مقلتي سني ما أذيقا لذة الوسن

طال ما ألقاه من شجن عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس وبعيني الماء منفجرا

قد أتاني الله بالفرج إذ دنا مني أبو الفرج

قمر قد حل في المهج كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي ظنه من حره شررا

نسب العينين لي شركا فانثنى والقلب قد ملكا

قمر أضحى له فلكا قال لي يوما وقد ضحكا

أتجي من أرض أندلس نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي:

قمر يجلو دجى الغلس بهر الأبصار مذ ظهرا

آمن من شبهة الكلف ذبت من عينيه بالكلف

لم يزل يسعى إلى تكلفي بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا كيف لا **ترثي** لمن بليا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٧٢/٢

فبثغر منك قد جليا قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس جد فما أبقيت مصطبرا." (١)

"وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزي، لين الأخلاق، فقال الأمير: يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا، فقال: عقار تنفر الذبان (١) ، وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤونة التحفظ، وأرخي له عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح، فاستضحك الأمير، ثم أمر بمراتب الغناء، وآلات الصهباء، فلما دارت الكأس، واستمطر الأمير نوادره (٢) ، أشار إلى الغلام أن يلح في سقيه، ويؤكد عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ... ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف فاستبدع الأمير بديهيته، وأمر له ببدرة، ويقال: إنه خيره بينها وبين الوصيف، فاختارها نفيا للظنة عنه (٣) ، انتهى.

[استطراد حول ابن ظافر]

قلت أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه علي ابن ظافر عن نفسه إذ قال (٤) : كنت عند المولى الملك الأشرف ابن العادل ابن أيوب سنة ٦٠٣ بالرها، وقد وردت إليه في رسالة، فجعلني بين سمعه وبصره، وأنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو إرادة الحديث معي، فلم أشعر في بعض الليالي و أنا نائم في فراشي إلا به، وهو قائم على رأسي، والسكر قد غلب عليه، والشمع تزهر حواليه (٥) ، وقد حف مماليكه به، وكأنهم الأقمار الزواهر، في

---

(١) في أصول النفح: تنفد الدنان.

(٢) ب: نواره.

(٣) ويقال... عنه: سقطت هذه العبارة من ب.

(٤) بدائع البدائه ٢: ٦١.

(٥) البدائع: والشموع تزهر بين يديه.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢/٥٥٦

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣/٢٤٨

"٣٩٣ - ولما قال المقدم بن المعافى (١) في رثاء سعيد بن جودي:

من ذا الذي يطعم أو يكسو ... وقد حوى حلف الندى رمس

لا اخضرت الأرض ولا أوراق ال ... عود ولا أشرقت الشمس

بعد ابن جودي الذي لن ترى ... أكرم منه الجن والإنس فقيل له: أترثيه وقد ضربك فقال: والله إن نفعني حتى بذنوبه، ولقد نهاني ذلك الأدب عن مضار جمة كنت أقع فيها على رأسي، أفلا أرعى له ذلك والله ما ضربني إلا وأنا ظالم له، أفأبقى على ظلمي له بعد موته

وقيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال: لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها.

٣٩٤ - وقال أبو مروان عبد الملك بن نظيف (٢) :

لا أشرب الراح إلا ... مع كل خرق كريم

ولست أعشق إلا ... ساجي الجفون رخيم ٣٩٥ - ومدح هلال البياني ابن حمدين بقصيدة أولها:

عرج على ذاك الجناب العالي ... واحكم على الأموال بالآمال

فيه ابن حمدين الذي لنواله ... من كل أرض شد كل رحال فقال له الالقاضي: ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة، ألا تدري أنهم عابوا ذلك، كما عابوا الطول أيضا، وأن الأولى التوسط فقال: يا سيدي، اعذرني بما لك في قلبي من الإجلال والمحبة، فإني كلما ابتدأت في مدحك لم

---

(١) ترجمة مقدم في الجذوة: ٣٣٣ وبغية الملتمس رقم: ١٣٨٦ وشعره في سعيد بن جودي في الحلة السيراء ١: ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) ترجمته في الجذوة: ٢٦٨ وبغية الملتمس (رقم: ١٠٨١).." (١)

"فإما إلى جنة أزلفت ... وإما إلى سقر تستعر ١٠ - وقال ابن أبي زمنين (١) :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم ... بالمكرمات وترثي البر والمننا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٣٨/٣

حسب الحمام لو ابقاهم وأمهلهم ... ان لا يظن على معلوة حسنا وقال في المطمح: الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل، وزاهد لا منحرف إلى الدنيا ولا منفتل (٢) ، هجرها هجر المنحرف، وحل أوطانه فيها محل المعترف، لعلمه بارتحاله (٣) عنها وتقويضه (٤) ، وإبداله منها وتعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، وانتظر يوم فراقه وبينه، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال، ولا في شعاب تلك المسائل إيغال، وله تواليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه، والتلفت من حبائل الاغترار وأشراكه، والتنقل من حال إلى حال، والتأهب للارتحال، ويستدل به على ذلك الانتحال، فمنها قوله:

الموت في كل حين ينشر الكفنا

فذكر الأبيات، انتهى.

---

(١) المطمح: ٤٩ - ٥٠ وزاد في م: في الزهد.

(٢) المطمح: متنقل.

(٣) ق ب: بارتحالها عنه.

(٤) في الأصول: وتفويضه.." (١)

"هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرا:

ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يواري القبر تحت ترابه من الحود في بؤسى الحوادث والدهر

ولجرير وهو في الحماسة (١) :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفي الحماسة أيضا (٢) :

ماذا من البعد بين البخل والجود

ووقع في الحماسة أيضا، وهو لامرأة (٣) :

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣/٥٥٤

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما

أرادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما.

ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أني بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا:

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

---

(١) ديوان جرير: ٤٧٦.

(٢) الحماسية رقم: ٦٨٥ وصدره: ألا ترين وقد قطعتني ءذلا.

(٣) هو لأم الصريح، الحماسية: ٣١٨.." [(١)]

"لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان

وينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان

أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٤٣/٤

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فامتحنت حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم، فكم من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان." (١)

"الهوى، وبأي شيء نعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك (١) الفياض، وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء، والجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، نشر الشراع فراع، وأعمل (٢) الإسراع، كأنما هوتمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة، ولجج بها والعيون تنظر، والغمر عن الأتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنشف، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر الجسرة (٣) من الحسرة، وإنما نشكوإلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبارتنا المزن، وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت للياس النصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول (٤) فإن كان كلم الفراق رغيبا (٥) ، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهنئ تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروى صحيحا غريبا.

إيه ثقة (٦) النفس كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل والشيم، الهامية الديم، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله، وأخمدت بعاص البين ذباله، أوترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر، وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك، بعد أ، أضرمت وأشعلت،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤/٤٨٧

(١) نهرك: سقطت من ق.

(٢) التعريف: وواصل.

(٣) الجسرة: الناقة؛ والوقر: الحمل.

(٤) البيت لحندج بن حندج المري، (حماسة المرزوقي: ١٨٣١).

(٥) الجرح الرغيب: الواسع.

(٦) التعريف: إيه سيدي.." [1]

"أسماعكم لمواعظ الأيام، واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والأحلام، وأحضروا لفهم موادها أوعى القلوب وأصح الأفهام، وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النوام، ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام، ولا تنسينكم خدعها المموهة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام، فهي دار انتياب النوائب، ومصاب المصائب، وحدوث الحوادث وإلمام الآلام؛ دار صفوها أكدار، وسلمها حرب تدار، وأمنها خوف وحذار، ونظمها تفرق وانتشار، واتصالها انقطاع وانصرام، ووجودها فناء وانعدام، وبناؤها تضعضع وانهدام، ينادي كل يوم بناديها منادي الحمام، فلا قرار بهذه الغرارة (١) ولا مقام، ولا بقاء لساكنيها ولا دوام.

فبئست الدار دارا لا تدارى، ولا تقيل لعاثرها عثارا، ولا تقبل لمعتذر اعتذارا، ولا تقي من جورها حليفا ولا جارا، وليس لها من عهد ولا ذمام، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام، كم نازلت بنوازلها من قباب وخيام، كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام، كم رمت أغراض القلوب بمصميات (٢) السهام، كم جردت في البرايا للمنايا من حسام، كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلام. لا تبقي على أحد، ولا ترثي لوالد ولا ولد، ولا تخلد سرورا في خلد، ولا يمتد فيها لآمل أمد، بينا يقال قد وجد، إذ قيل قد فقد. بعدا لها قد طبعت على نكد وكمد، فالفرح فيها ترح، والحبرة عبرة، والضحك والابتسام، بكاء وأدمع سجام. تفرق الأحبة بعد اجتماعهم، وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم، وتبيح بالحمام حمى الأعزة فلا سبيل إلى امتناعهم، وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم، إلى مصيرهم إلى الله عز وجل وارتجاعهم،

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٩٣/٦

(١) ق: القرارة.

(٢) ق: بمزاياها بمصميات.." (١)

"تبيت بموماة وتصبح ثاويا ... بها في أفاحيص الغوي المعصب

وضمت إلى جوف جناحا وجؤجؤا ... وناطت قليلا في سقاء محبب

إذا فترت ضرب الجناحين عاقبت ... على شزنيها منكبا بعد منكب

فلما أحسا جرسها وتضورا ... وأوبتها من ذلك المتأوب

تدلت إلى حص الرؤوس كانها ... كرات غلام من كساء مرنب

فلما انجلت عنها الدجى وسقتهما ... ضبيب سقاء نيط لما يخرب

غدت كنواة القسب عنها وأصبحت ... تراطنها ذرية لم تعرب

ولي في المنى ألا يعرج راكبي ... ويحبس عنها كل شيء مترب

ويفرج بواب لها عن مناخها ... بإقليده باب الرتاج المضبب

إذا ما أنيختء بابن مروان ناقتي ... فليس عليها للهبانيق مركب

أدلت بقربي عنده وقضى لها ... قضاء فلم ينقض ولم يتعقب

فإنك بعد الله أنت أميرها ... وقنعانها في كل خوف ومرغب

فتقضي فلولا أنه كل ريبة ... وكل قليل من وعيدك مرهبي

إذا ما ابتغى العادي الظلوم ظلامة ... لدي وما استجلبت للمتجلب

تبادر أبناء الوشاة وتبتغي ... لها طلبات الحق من كل مطلب

إذا أدلجت حتى ترى الصبح واصلت ... أديم نهار الشمس ما لم تغيب

فلما رأت دار الأمير تحاوصت ... وصوت المنادي بالأذان المثوب

وترجيع أصوات الخصوم يردها ... سقوف بيوت في طمار مبوب

يظل لأعلاها دوي كأنه ... ترنم قاري بيت نحل مجوب

وقالت ليلى **ترثي** توبة بن الحمير الخفاجي: الطويل

نظرت ودوني من عماية منكب ... وبطن الركاء أي نظرة ناظر

لأونس إن لم يقصر الطرف دونهم ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصري

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٢٨/٧

فوارس أجلى شأوها عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر

فآنست خيلا بالرواق مغيرة ... أوائلها مثل القطا المتواتر

قتيل بني عوف فواتر تاله ... قتيل بني عوف قتيل يحابر

تـوارده أسيافهم فكأنما ... تصادرن عن حامي الحديدة باتر

من الهندوانيات في كل قطعة ... دم ذل عن إثر من السيف ظاهر

أتته المنايا بين زغف حصينة ... وأسمر خطي وجرداء ضامر

على كل جرداء السراة وسابح ... درأت بشباك الحديد زوافر

عوابس تعدو الثعلبية ضمرا ... فهن شواح بالشكيم الشواجر

فلا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... ستلقون يوما ورده غير مادر

وإن السليل إن أبأت قتيلكم ... كمرحوضة عن عركها غير طاهر

وإن تكن القتلى بواء فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى ... لقدر عيالا دون جار مجاور

ولا تأخذ الإبل الزهارى رماحها ... لتوبة عن صرف السرى في الصنابر

إذا ما رأته قائما بسلاحه ... تقته الخفاف بالثقال البهازر

إذا لم تجر منها برسل فقصره ... ذرى المرهفات والقلاص التواجر

قرى سيفه منها مشاشا وضيفه ... سنام المهاريس السباط المشافر

وتوبة أحيى من فتاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر

ونعم الفتى إن كان توبة فاجرا ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر

فتى ينهل الحاجات ثم يعلها ... فتطلعه عنها ثنايا المصادر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... قلائص يفحصن الحصا بالكراكر

ولم يثن أبرادا عتاقا لفتية ... كرام ورحل قيل في الهواجر

ولم يتخل الضيف عنه وبطنه ... خميص كطي السبت ليس بحادر

فتى كان للمولى سناء ورفعة ... وللطارق الساري قرى غير قاتر

ولم يدع يوما للحفاظ وللندى ... وللحرب يذكي نارها بالشراشر." (١)

"وللبازل الكوماء يرغو حوارها ... وللخيل تعدو بالكماة المساعر

كأنك لم تقطع فلاة ولم تنخ ... قلاصا لدى واد من الأرض غائر

جنوحا بموماة كأن صريفها ... صريف خطاطيف الصرا في المحاور

طوت نفعها عنا كلاب وآسدت ... بنا أجهليها بين غاو وساعر

وقد كان حقا أن تقول سراتهم ... لعا لأخينا عاليا غير عائر

وداوية قفر تحار بها القطا ... تخطيتها بالناعجات الضوامر

فتالله تبني بيتها أم عامر ... على مثله أخرى الليالي الغوابر

فليس شهاب الحرب ياتوب بعدها ... بغاز ولا غاد بركب مسافر

وقد كان طلاع النجاد وبين الل ... سان ومجذام السرى غير فاتر

وكنت إذا مولاك خاف ظلامة ... دعاك ولم يهتف سواك بناصر

فإن يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكمي المغاور

وكان كذات البو يضرب عنده ... سباعا وقد ألقينه في الجراجر

فإنك قد فارقته لك عاذرا ... وأنى وأنى عذر من في المقابر

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر

على مثل همام ولابن مطرف ... تبكي البواكي أو لبشر بن عامر

غلامان كان استوردا كل سورة ... من المجد ثم استوثقا في المصادر

ربيعي حيا كانأ يفيض نداهما ... على كل مغمور نداه وغامر

كأن سنا ناديهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت ترثيه أيضا وكان الأصمعي يتعجب منها: الطويل

يا عين بكي توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحدر

سمعن بهيجا أضلعت فذكرنه ... وما يبعث الأحزان مثل التذكر

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٧

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح في نادي الحواشي منور
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... أسرة بين الأشمسات فأنسر
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ ال ... جفان سديفا يوم نكباء صرصر
وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أولى العدو سقيتها ... صبابة مثلوب المزاد المقير
ولمأ أهابوا بالنهاب حويتهم ... بخاظي البضيع كره غير أعسر
ممر ككر الأندري مثابر ... إذا ما ونين محصف الشد محضر
وألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور
ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... إذا الخيل جالت في القنا المتكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور
ويا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر
عبد الله بن الحمير
وقال عبد الله بن الحمير يعتذر إلى بني عقيل في أخيه توبة: الوافر
تأوبني بعارمة الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهم ليس يريد غيري ... وأن أمسى له نبط وروم
علام تقول عاذلتي بلوم ... يؤرقني وما انجاب الصريم
فقلت لها رويدا كي تجلى ... غواشي النوم والليل البهيم
ألما تعلمي أني قديما ... إذا ما شئت أعصي من يلوم
وأن المرء ما يدري إذا ما ... يهم علام تحمله الهموم
وقد تعدي على الحاجات حرف ... كركن الرعن ذعلبة عقيم
مداخلة الفقارة ذات لوث ... على الحزان ملحمة غشوم

كأن الرحل منها فوق جأب ... بذات الحاذ معقله الصريم

طباه برجلة البقار برق ... فبات الليل منتصبا يشيم." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنئيا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٨١

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"انتصار العرب

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

عدو السماء ..

ستركع يوما قريبا

وتأتي ذليلا كئيبا

وتلقى الهوان

ويسود وجهك بالخزي

حتى تذوب

وترحل حمر الكريات

نحو المقابر

صوب الطحال

هناك ستشكو من الجسم شلوا

تضخم حجما

يفوق الجبال

وتمسي عليلا

بداء عضال

وتهتف في الكون هل من طبيب

يرد إليك المهابة والجبروت ؟

تظل تنادي

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/١

ولا من مجيب

طبيب الطواغيت لفظ

تدمر بعد انتصار العرب

وما عاد إلا " ابن سينا " رسول الشفاء

يجلي الكرب

فتأتي إليه

وتنشده . مذعنا . بلسم العافيه

وتطلب منه يدا شافيه

فياللعجب !!

لماذا تحاول أن تتناسى

جراح العرب ؟!

وجمر اللهب ؟!

وسوط الرهب ؟!

ألم تك " نمرود "كل البشر ؟!

ألم تك " فرعون " ربا سحر ؟!

ألم تك " قارون ملك بهر " ؟!

فما بالك اليوم تشكو

وتخشى الحفر؟!

ستجثو ذليلا أمام الطبيب

وتلثم أقدامه بالنحيب

وترثي القدر

وتمتثل الذكريات

شريطا يدور

فترنو لسؤددك الضائع اليوم

خلف البحور

وترمق عيناك عرش الجبابر

كيف يفر

وكيف يكر

وكيف يغور

ويوطأ بالمنسم اليعربي

هنا تحت أخمص أقدام كل العرب

ويأتي العراق

وجرحه لم يلتئم من دماء المآق

وفي قشرة المخ ذاكرة الأمس

تبكي الرفاق

وتحمل عبئا ثقيلا من الذكريات

يجر السنين الخوالي

عاما فعاما

وشهرا فشهرا

ويوما فيوما

لعهد الشتات

وتقدم سيدة القدس والشهداء

مضمخة في بحار الدماء

ومكسورة في مرايا الإباء

فتأوي بقرب العراق الحبيب

ويمتثلان أمام الطبيب

يقولان في لهجة واحده

حكيم العروبة

لا تنتصر للذئاب !

ومكر ابن آوى ونبح الكلاب

ولو أفصح الطب يوما بأن يستطب الذباب !!

فهذي مآسي العراق

تؤجج جذوة نار القلوب

وتوقظ نخوة شمس العروب

وحسبك وصمة عار

ونقش شنار

تلطخ في سجن " بغداد " بالأخبثين

نعم يا حكيم

تلطخ بالأخبثين !!

وسيدة الشهداء تلقت

طعان النيوب

ونهك الحروب." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنئيا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٤٠٢

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

****

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"رثاء

للخنساء **ترثي** أخاها صخرا

أعيني جودا و لا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرئ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا

****

تقول الخنساء أيضا

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم خلت من أهلها الدار

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/١٧٧

و إن صخرا لمولانا و سيدنا و إن صخرا إذا نشتو لنحار
و إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم قي رأسه نار
****

قال كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبد المطلب
بكت عيني و حق به بكاها و ما يغني البكاء و لا العويل
على أسد الاله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل ؟
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البر الوصول
****

يقول الدكتور القرضاوي يرثي حسن البنا

نم في جوار زعيمك الهادي فما شيدت يا "بناء" لم يتهدم
سيظل حبك في القلوب مسطرا وسناك في الألباب واسمك في الفم

************************." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:
هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال
فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال
إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال
****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٩٥

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعـلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهـر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

****

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"أقذى بعينك أم بالعين عوار

أمالي المرزوقي - (ج ١ / ص ٥٠)

وقالت الخنساء بنت عمرو **ترثي** أخاها صخرا

أقذى بعينك أم بالعين عوار ... لا بل بكيت لمن أقوت له الدار

تبكي لصخر هي العبرى وقد عبرت ... ودونه من تراب الأرض أستار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي خناس على صخر وحق لها ... أودى به الدهر إن الدهر عثار

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٢٣٠

في جوف رمس مقيما قد تضمنه ... في قبره مقمطرات وأحجار
يا صخر وراد ماء لقد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار
مشي السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار
مثل الرديني لم تدنس شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار
جهم المحيا تضيء الليل صورته ... آباؤه من طوال السمك أحرار
رحب اليدين بفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
جلد مخيل وهوب بارع يسر ... وفي الحروب إذا لاقيت مسعار
حامي الحقيقة مهدي الطريقة ... ممحوض الخليقة نفاع وضرار
حواط قاصية قوال عاصية ... جزار قاصية للجيش جرار
فلتبك ناعية بالفجع داعية ... في يوم واعية ما فيه إسرار
فعال سامية وراد طامية ... للمجد نامية تعنيه أسفار
حلو حلاوته فصل مقالته ... ماض مريرته في الهيج مغوار
فليبكه مقتر وافى حريبته ... دهر وحالفه بؤس وإقتار
أو رفقة حار حاديهم بمظلمة ... كأن ظلمتها في الطخية القار
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار
ولا تراه لما في البيت يأكله ... لكنه بارز في الصبح مهمار
وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار
وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار." (١)

"وأمكنه من أهل مكة بعدما ... ... تداعوا إلى أمر من الغي فاسد
غداة أجال الخيل في عرصاتها ... ... مسومة بين الزبير وخالد
فأمسى رسول الله قد عز نصره ... ... وأمسى عداه من قتيل وشارد
يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.
****

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٢٨٥

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل زوجته **ترثيه**: الخفيف:

عين جودي بعبرة ونحيب ... ... لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... ... لم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الده ... ... ر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... ... قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره ... ... بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ... ... أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله ... ... سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعاتكة هذه، هي أخت سعيد بن زيد، أحد العشرة الذين شهد لهم النبي، صلى الله عليه وسلم، بالجنة، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر، فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه، فتزوجها عمر، رضي الله عنه، فقتل عنها، فتزوجها الزبير ابن العوام فقتل عنها، فكان علي، رضي الله عنه يقول: من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج بعاتكة.

****

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها: الطويل:

أرى علل الدنيا علي كثيرة ... ... وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... ... وإن الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد ... ... دليل على ألا يدوم خليل

****************. " (١)

"========================

الجدار

وقفت في زنزانتى

أقلب الأفكار :

أنا السجين ها هنا

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢١/٣٣٩

أم ذلك الحارس بالجوار ؟

فكل ما يفصلنا جدار

وفي الجدار فتحة

يرى الظلام من ورائها

وألمح النهار !

... * * *

لحارسى ، ولي أنا . . صغار

وزوجة ودار

لكنه مثلى هنا

جاء به وجاء بى قرار

وبيننا الجدار

يوشك أن ينهار !

... * *

حدثنى الجدار

فقال لى : إن الذى ترثي له

قد جاء باختياره

وجئت بالإجبار .

وقبل أن ينهار فيما بيننا

حدثنى عن أسد

سجانه حمار !

=========================

إضراب

الورد في البستان

ممالك مترفة ، طرية الجدران

تيجانها تسبح في برد الندى

والنور و العطور

في ساعة البكور

وتستوي كسلى على عروشها .

وتحت ظلمة الثرى

والبؤس والهوان

تسافر الجذور في أحزانها

كي تضحك التيجان !

... * *

الورد في البستان

ممالك مترفة تسبح في الغرور

بذكرها تسبح الطيور

ويسبح الفراش في رحيقها

وتسبح الجذور

في ظلمة النسيان

... * *

الورد في البستان

أصبح . . ثم كان

في غفلة تهدلت رؤوسه

وخرت السيقان

إلى الثرى

ثم هوت من فوقها التيجان !

... * *

مرت فراشتان

ورددت إحداهما :

قد أعلنت إضرابها الجذور !

... * *

ما أجبن الإنسان

ما أجبن الإنسان

ما أجبن الإنسان !

========================

سلاح بارد

يا أيها الإنسان

يا أيها المجوع، المخوف، المهان

يا أيها المدفون فى ثيابه

يا أيها المشنوق من أهدابه

يا أيها الراقص مذبوحا

على أعصابه .

يا أيها المنفى من ذاكرة الزمان

شبعت موتا فانتفض

آن النشور الآن

بأغلظ الايمان واجه أغلظ المآسى

بقبضتيك حطم الكراسى

أما إذا لم تستطع

فجرد اللسان

قل : يسقط السلطان.

أما إذا لم تستطع

فلا تدع قلبك فى مكانه

لأنه مدان." (١)

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٠/٤١٥

"وبعد يوم واحد

أفرج عن جثته

بحالة أمنيه :

في رأسه رفسة بندقيه

في صدره قبلة بندقيه !

في ظهره صورة بندقيه

لكنني

حين سألت حارس الرعيه

عن أمره

أخبرني

أن وفاة صاحبي قد حدثت

بالسكتة القلبيه !

========================

حالات

بالتمادى

يصبح اللص بأوروبا

مديرا للنوادي .

وبأمريكا

زعيما للعصابات وأوكار الفساد .

وبأوطاني التي

من شرعها قطع الأيادي

يصبح اللص

. . رئيسا للبلاد !

========================

المتهم

كنت أمشى في سلام
عازفا عن كل ما يخدش
إحساس النظام .
لا أصيخ السمع
لا أنظر
لا أبلع ريقي .
لا أروم الكشف عن حزني
وعن شدة ضيقي .
لا أميط الجفن عن دمعي
ولا أرمى قناع الابتسام .
كنت أمشى . . والسلام .
فإذا بالجند قد سدوا طريقي
ثم قادوني إلى الحبس
وكان الاتهام :
أن شخصا مر بالقصر
وقد سب الظلام
قبل عام .
ثم بعد البحث والفحص الدقيق
علم الجند بأن الشخص هذا
كان قد سلم في يوم
على جار صديقي !
=======================
الجدار
وقفت في زنزانتى
أقلب الأفكار :

أنا السجين ها هنا

أم ذلك الحارس بالجوار ؟

فكل ما يفصلنا جدار

وفي الجدار فتحة

يرى الظلام من ورائها

وألمح النهار !

... * * *

لحارسى ، ولي أنا . . صغار

وزوجة ودار

لكنه مثلى هنا

جاء به وجاء بى قرار

وبيننا الجدار

يوشك أن ينهار !

... * *

حدثنى الجدار

فقال لى : إن الذى ترثي له

قد جاء باختياره

وجئت بالإجبار .

وقبل أن ينهار فيما بيننا

حدثنى عن أسد

سجانه حمار !

======================

إضراب

الورد في البستان

ممالك مترفة ، طرية الجدران

تيجانها تسبح في برد الندى

والنور و العطور

في ساعة البكور." (١)

"رثاء

للخنساء **ترثي** أخاها صخرا

أعيني جودا و لا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرئ الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا

****

تقول الخنساء أيضا

قذى بعينيك أم بالعين عوار أم خلت من أهلها الدار

و إن صخرا لمولانا و سيدنا و إن صخرا إذا نشتو لنحار

و إن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم قي رأسه نار

****

قال كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبد المطلب

بكت عيني و حق به بكاها و ما يغني البكاء و لا العويل

على أسد الاله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتيل ؟

أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدت وأنت الماجد البر الوصول

****

يقول الدكتور القرضاوي يرثي حسن البنا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤١٥/٢٦

نم في جوار زعيمك الهادي فما شيدت يا "بناء" لم يتهدم
سيظل حبك في القلوب مسطرا وسناك في الألباب واسمك في الفم

.************************" (١)

"رثاء الأندلس

أبو البقاء الرندي

لكل شيء إذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة* إذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضي كل سيف للفناء ولو *كان ابن ذي يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم * وأين ما ساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له* حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك *كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وأم كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها * وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له * هوى له أحد وانهد نهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية * وأين شاطبة أم أين جيان

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤٣٠

وأين قرطبة دار العلوم فكم * من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء إذا لم تبقى أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف *كما بكى لفراق الإلف هيمان

حيث المساجد قد أضحت كنائس ما * فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة * حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة * إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة *كأنها في مجال السبق عقبان." (١)

"قذى بعينك أم بالعين عوار

الخنساء ترثي أخاها صخرا

١. قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

٢. كان عيني لذكراه إذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

٣. تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد الترب أستار

٤. تبكي خناس فما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهي مفتار

٥. تبكي خناس على صخر وحق لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

٦. لا بد من ميتة في صرفها عبر والدهر في صرفه حول وأطوار

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤٣٤

٧. قد كان فيكم أبو عمرو يسودكم نعم المعمم للداعين نصار

٨. صلب النحيزة وهاب إذا منعوا وفي الحروب جريء الصدر مهصار

٩. يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

١٠. مشي السبنتى إلى هيجاء معضلة له سلاحان أنياب وأظفار

١١. وما عجول على بو تطيف به لها حنينان إعلان وإسرار

١٢. ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإننما هي إقبال وإدبار

١٣. لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت فإنما هي تحنان وتسجار

١٤. يوما بأوجد مني يوم فارقني صخر وللدهر إحلاء وإمرار

١٥. وإن صخرا لوالينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتو لنحار

١٦. وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا وإن صخرا إذا جاعوا لعقار

١٧. وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

١٨. جلد جميل المحيا كامل ورع وللحروب غداة الروع مسعار

١٩. حمال ألوية هباط أودية شهاد أندية للجيش جرار

٢٠. فقلت لما رأيت الدهر ليس له معاتب وحده يسدي ونيار

٢١. لقد نعى ابن نهيك لي أخا ثقة كانت ترجم عنه قبل أخبار

٢٢. فبت ساهرة للنجم أرقبه حتى أتى دون غور النجم أستار." (١)

"و إن شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... و جارتها أم الرباب بمأسل

إذا قامتا تضوع المسك منهما ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

ففاضت دموع العين مني صبابة ... على النحر حتى بل دمعي محملي

ألا رب يوم لك منهن صالح ... و لا سيما يوم بدارة جلجل

و يوم عقرت للعذاري مطيتي ... فيا عجبا من كورها المتحمل

و يا عجبا من حلها بعد رحلها ... و يا عجبا للجازر المتبذل

فظل العذارى يرتمين بلحمها ... و شحم كهداب الدمقس المفتل

تدار علينا بالسيف صحافنا ... و يؤتى إلينا بالعبيط المثمل

تقول و قد مال الغبيط بنا معا ... عقرت بعيري يا أمرأ القيس فانزل

فقلت لها سيري و أرخي زقاقه ... و لا تبعديني من جناك المعلل

دعي البكر ، لا **ترثي** له من ردافنا ... و هاتي أذيقينا جناة القرنفل

بثغر كمثل الأقحوان منور ... نقي الثنايا أشنب غير أثعل

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٥٥٠

فمثلك حبلى قد طرقت و مرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق و تحتي شقها لم يحول

و يوما على ظهر الكثيب تعذرت ... علي و آلت حلفة لم تحلل

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... و إن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

و إن كنت قد ساءتك مني خليقة ... فسلي ثيابي من ثيابك تغسل

أغرك مني أن حبك قاتلي ... و أنك مهما تأمري القلب يفعل

و أنك قسمت الفؤاد فنصفه ... قتيل و نصف بالحديد مكبل

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهمك في أعشار قلب مقتل

و بيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت أحراسا إليها و معشرا ... علي حراصا لو يسرون مقتلي

فجئت ، و قد نضت لنوم ثيابها ... لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فقالت يمين الله ، ما لك حيلة ... و ما إن أرى عنك الغواية تنجلي

خرجت بها أمشي تجر وراءنا ... على أثرينا ذيل مرط مرحل

فلما أجزنا ساحة الحي و انتحى ... بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل." (١)

"لكل شيء إذا ما تم نقصان

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - (ج ٤ / ص ٤٨٧)

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان

وينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان

أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فامتحنت حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم، فكم من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٥/٥٦٢

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر **ترثي** وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه أبعد حمص تغر المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران." (١)

"كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن

وأين منهم أكاليل وتيجان ؟

وأين ما شاده شداد في إرم

وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟

وأين ما حازه قارون من ذهب

وأين عاد وشداد وقحطان ؟

أتى على الكل أمر لا مرد له

حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك

كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على (دارا) وقاتله

وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب

يوما ولا ملك الدنيا سليمان

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٦٢٧

فجائع الدهر أنواع منوعة

وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها

وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له

هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت

حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل (بلنسية) ما شأن (مرسية)

وأين (شاطبة) أم أين (جيان)

وأين (قرطبة) دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شان

وأين (حمص) وما تحويه من نزه

ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما

عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من ! ؛أسف

كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية

قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما

فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنابر **ترثي** وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة

إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه

أبعد حمص تغر المرء أوطان ؟

تلك المصيبة أنست ما تقدمها

وما لها مع طول الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة

كأنها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة

كأنها في ظلام النقع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة

لهم بأوطانهم عز وسلطان

أعندكم نبأ من أهل أندلس

فقد سرى بحديث القوم ركبان ؟

كم يستغيث بنا المستضعفون وهم." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣/٦٢٧

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

****

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"ومن أشعار بعض الصحابة ما روي أن أبا بكر قال لما قتل أمية بن خلف وقد كان يسوم بلالا سوء العذاب بمكة فيخرجه إلى الرمضاء، فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام فيعصمه الله من ذلك:

هنئيا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت، ثأرك يا بلال

فلا نكسا وجدت ولا جبانا غداة تنوشك الأسل الطوال

إذا هاب الرجال ثبت حتى تخلط أنت ما هاب الرجال

على مضض الكلوم بمشرفي جلا أطراف متنيه الصقال

****

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٦٤٥

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد

وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض.

****

لما قتل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل **ترثيه**:

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا **ترثيه**:

وفجعني فيروز لا در دره بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخي ثقة في النائبات نجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"انتصار العرب

عمر طرافي البوسعادي / الجزائر

amartharrafi@yahoo.fr

عدو السماء ..

ستركع يوما قريبا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٢/٨٧

وتأتي ذليلا كئيبا

وتلقى الهوان

ويسود وجهك بالخزي

حتى تذوب

وترحل حمر الكريات

نحو المقابر

صوب الطحال

هناك ستشكو من الجسم شلوا

تضخم حجما

يفوق الجبال

وتمسي عليلا

بداء عضال

وتهتف في الكون هل من طبيب

يرد إليك المهابة والجبروت ؟

تظل تنادي

ولا من مجيب

طبيب الطواغيت لفظ

تدمر بعد انتصار العرب

وما عاد إلا " ابن سينا " رسول الشفاء

يجلي الكرب

فتأتي إليه

وتنشده ـ مذعنا ـ بلسم العافيه

وتطلب منه يدا شافيه

فياللعجب !!

لماذا تحاول أن تتناسى

جراح العرب ؟!

وجمر اللهب ؟!

وسوط الرهب ؟!

ألم تك " نمرود " كل البشر ؟!

ألم تك " فرعون " ربا سحر ؟!

ألم تك " قارون ملك بهر " ؟!

فما بالك اليوم تشكو

وتخشى الحفر؟!

ستجثو ذليلا أمام الطبيب

وتلثم أقدامه بالنحيب

وترثي القدر

وتمتثل الذكريات

شريطا يدور

فترنو لسؤددك الضائع اليوم

خلف البحور

وترمق عيناك عرش الجبابر

كيف يفر

وكيف يكر

وكيف يغور

ويوطأ بالمنسم اليعربي

هنا تحت أخمص أقدام كل العرب

ويأتي العراق

وجرحه لم يلتئم من دماء المآق

وفي قشرة المخ ذاكرة الأمس

تبكي الرفاق

وتحمل عبئا ثقيلا من الذكريات

يجر السنين الخوالي

عاما فعاما

وشهرا فشهرا

ويوما فيوما

لعهد الشتات

وتقدم سيدة القدس والشهداء

مضمخة في بحار الدماء

ومكسورة في مرايا الإباء

فتأوي بقرب العراق الحبيب

ويمتثلان أمام الطبيب

يقولان في لهجة واحده

حكيم العروبة

لا تنتصر للذئاب !

ومكر ابن آوى ونبح الكلاب

ولو أفصح الطب يوما بأن يستطب الذباب !!

فهذي مآسي العراق

تؤجج جذوة نار القلوب

وتوقظ نخوة شمس العروب

وحسبك وصمة عار

ونقش شنار

تلطخ في سجن " بغداد " بالأخبثين

نعم يا حكيم

تلطخ بالأخبثين !!

وسيدة الشهداء تلقت

طعان النيوب

ونهك الحروب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٦ """""""

البصر . وخرج إلى طعام دعي له فإذا حسين يلعب مع صبوة في السكة ، فاستنتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمام القوم فبسط يديه ، فطفق الغلام يفر ، هاهنا وهاهنا ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه ، والأخرى في فأس رأسه ، ثم أقنعه فقبله . استنتل : يريد : تقدم أمام القوم ، وأقنعه : رفعه . وقالت عائشة : كنت ألعب مع الجواري بالبنات فإذا رأين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انقمعن . قالت : فيسربهن إلي . وقالت : قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) قائم ينظر إليهم ، فقمت ، وأنا مستترة خلفه حتى أعييت ، ثم قعدت ثم قمت ، فنظرت حتى أعييت ، ثم قعدت ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائم ينظر . فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن المشتهية للنظر . وروي أنه عليه السلام مر على أصحاب الدركلة فقال : خذوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة ، قال : فبينما هم كذلك إذ جاءك عمر ، فلما رأوه ابذعروا . وروي أنه عليه السلام سابق عائشة في سفر فسبقته ، وفي سفر آخر فسبقها . وقال (صلى الله عليه وسلم) : ' هذه بتلك ' . وروي : أنه لما قتل النضر بن الحارث بن كلدة ، وأتته ابنته فأنشدته الأبيات المعروفة ، **ترثي** أباها . قال عليه الصلاة والسلام : ' لولا قتلي أباها لتزوجتها ' . قالوا : يا رسول الله ؛ ليست بتلك . قال : فأين الخيلان الثلاثة بخدها كأنهن رأس الجوزاء ؟ ' . ومن مزحه عليه السلام قوله لخوات بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين : ' ما فعل جملك الشرود ؟ ' فقال : عقله الإسلام .." (٢)

"واعلم، وقاك الله شر الشرر، أن أقوى أسباب العشق النظر. رياحه تنشيء سحائب الفكر، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور. فاتق النظرة، فإنها تزرع حب حب ينبت سنبل الحسرة. كم سلب النظر قلب عابد، وفتن عقل ناسك، وحل عقد زاهد، وأجرى آفة، وقرن ذلا بمخافة، وأثار غبار معركة، وألقى شهما إلى التهلكة، وأقام حربا على ساق، وسفك الدماء وأراق، وأوقع في مصائد المصائب، وهشم العظام بأنياب النوائب:

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٧٤

(٢) نثر الدر . ، ٢/٩٦

فمن كان يؤتى من عدو وحاسد ... فإني من عيني أتيت، ومن قلبي

فاسلك سبيل السلامة، لتصل إلى دار الكرامة، واقطع أسباب المطامع، واشتغل عن المصنوع بالصانع. فأما من آثر اللذات فقد تورط في حبائل البلوى، وانتهى من حرم الحرمان إلى الغاية القصوى " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى " .

الفصل الرابع عشر

في الفراق

الفراق - جمع الله الشمل بمحياك، ورعى ودك على بعد المزار وحيّاك - وقد اجترى واجترح، وأذهب المسرة والفرح ، وضيق رحب الفضا، وقلب القلب على جمر الغضا، وأورث الكمد، وأذاب جليد الجلد، وجاب. وجال، ونثر عقود الاحتمال، وأوجد الوجد والهيام وأحوج الصب إلى العبث بالأقلام:

كتبت وعندي من فراقك لوعة ... تزيد بكائي أو تقل هجوعي

فلو أبصرت عيناك حالي كاتبا ... إذا كنت **ترثي** في الهوى لخضوعي

أخط وداعي الشوق يملي، وكلما ... تعديت سطرا رملته دموعي

يا لها لوعة أسعرت وقد الضلوع، ومالت إلى الصبر فأذوت منه الأصول والفروع وصبابة صبت النفس إليها، ووقفت لامتثال الأمر طائعة بين يديها، وغراما يلازم غريم الفؤاد، ويتكلم من الدموع بألسنة حداد، وشوقا إلى تلك الليالي المستنيرة، والأيام التي تطول الشرح في وصف محاسنها وإن كانت قصيرة:

حيث اللقا والنوى حل ومرتحل ... والدهر يقضي لنا من وصلك الغرضا

لئن تعوضت عني غير مكترث ... فعنك، ما دمت حيا، لم أجد عِوضا

إلى الله أشكو جور أحباب، لا شك في ظلمهم ولا ارتياب:

ساروا وسر الوجد قلبي أودعوا ... يا ليتهم يوم النوى لو ودعوا

أفديهم غائبين أطالوا شقة البين، ونازحين سكنوا القلب حين غابوا عن العين:

رحلوا عن الأوطان لكن في الحشا ... نزلوا، وما راعوا ولكن روعوا

كيف العمل؟عز الاحتيال، هل من طريق إلى منزلة الوصال؟

يا صاح إن ظباء جيران النقا ... جاروا علي فدلني ما أصنع؟

أحسن بهم ظباء غير أوانس، كم أسهرت العشاق عيونهم النواعس:

نفروا وما التفتوا وعادة مثلهم ... يتلفتون إذا نفارا أوقعوا

أيها المغرم باللوم والتفنيد، لا تتعب نفسك فيما لا يجدي ولا يفيد:

قسما بهم مالي غنى عنهم ولو ... أمسيت كاسات الأسى أتجرع

كف كف العذل والتأنيب، فلست أحول عنهم ولو براني النحيب.

وأنا المقيم على محبتهم وإن ... حفظوا عهودي في الهوى أو ضيعوا

نعم أقيم على الود والمحبة، وأرعى رب الخال ولو اشترى قلبه بحبة، وأحفظ زمام الذمام، وأصبر في هاجرة الهجر على الأوام وأتعلل بلعل وعسى، وأحتمل مشقة آسي جرح الأسى، وأتعلق بأذيال ضيف الطيف، وأتشبث بأن أوقات الفراق سحابة صيف:

وأطوف في تلك الديار مسائلا ... عن أهلها أبكي ما قد جرى

لله بعد البعد حمر مدامع ... بنضارها المبدول قد أثرى الثرى." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """""""

بين المعتضد ونديمه ووزيره

حدثني أبي ، عن أبي محمد ، عبد الله بن حمدون ، قال : قال لي المعتضد ، يوما ، وقد قدم إليه عشاء على النبيذ : لقمني . قال : وكان الذي قدم إليه فراريج ، ودراريج ، فلقمه من صدر فروج . فقال : لا ، لقمني من فخذه . فلقمته لقما . ثم قال : هات من الدراج ، فلقمته من أفخاذها . فقال : ويلك ، هو ذا تتنادر علي ؟ هات من صدورها . فقلت : يا مولاي ، ركبت القياس ، فضحك . فقلت له : إلى كم أضحكك ، ولا تضحكني ؟ قال : شل المطرح ، وخذ ما تحته . قال : فشلته ، فإذا بدينار واحد . فقلت : آخذه هذا ؟ فقلت له : بالله ، هوذا تتنادر أنت الساعة علي ؟ خليفة يجيز نديمه بدينار واحد ؟ فقال : ويلك ، لا أجد لك في بيت المال حقا أكثر من هذا ، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئا ، ولكن هوذا ، أحتال لك بحيلة ، تأخذ فيها خمسة آلاف دينار . فقبلت يده . فقال : إذا كان غدا ، وجاء القاسم فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه ، سرارا طويلا ، ثم ألتفت إليه كالمغضب ، وانظر أنت إليه من خلال ذلك ، كالمخالس لي ، نظر المترثي . فإذا انقطع السرار ، فستخرج ، ولا تبرح من الدهليز . فإذا خرجت ، خاطبك بجميل ، وأخذك إلى دعوته ، وسألك عن حالك ، فاشك الفقر والخلة ، وقلة حظك مني ، وثقل ظهرك بالدين والعيال ، وخذ ما." (٢)

---

(١) نسيم الصبا، ص/١٦

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ١/٢٢٦

"١٣٨/١

فقال: الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه ... فمن ذا الذي يغفر له ذنبه بعدي

أريد انتقام الذنب ثم يردني ... يد لأدانيه مباركة عندي

ولما رأى تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد، ثم شخص إلى الشام يمدحه؛ فدخل عليه، فأنشده؛ فلما بلغ إلى هذين البيتين:

لا ترثين لحزمي رأيت به ... ضرا ولو ألقى الحزمي في النار

الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان بالدار

فقال: الوليد: صدقت؛ والله لقد أغفلنا ابن حزم؛ ثم دعا كاتبه، وقال: اكتب عهد عثمان بن حيان المري على المدينة، واعزل ابن حزم، واكتب إليه أن يستصفي أموال ابن حزم، وأن يسقطوا من الديوان.

ولابن حزم قضايا كثيرة.

أخبرني عبد الله بن الحسن، عن النميري، عن عبد الوهاب الثقفي،." (١)

"وكان لعصر الوزير أبن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان إماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مذغليس في قوله: لاح الضياء والنجوم حيارى بقوله:

حل المجون يأهل الشطارا ... مذ حلت الشمس بالحمل

ثم ذكر أبن خلدون جملة من هذا الزجل وقال بعد ذلك: وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالأندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى إنهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العمامية ويسمونه الشعر الزجلي. إلى أن قال: وكان من المجيدين في هذه الطريقة لأول هذه المئة الأديب أبو عبد الله اللوشي وله من قصيدة يمدح فيها السلطان أبن الأحمر:

طل الصباح قم يا نديم نشربو ... ونظحكو من بعد ما نطربو

ثم سردها أبن خلدون وهي طويلة جدا.

ثم قال: ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه بينهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب إلا قليلا مطلعها:

---

(١) أخبار القضاة، ١٣٨/١

أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام ... على الغصن في البستان قريب الصباح

وكف السحر تمحو مداد الظلام ... وماء الندى يجري بثغر الأقاح

باكرت الرياض والطل فيه افتراق ... سر الجوهر في نحور الجوار

ودمع النواعر ينهرق انهراق ... يحاكي ثعابين حلقت بالثمار

لووا بالغصون خلخال على كل ساق ... ودار الجميع بالروض دور السوار

وأيدي الندى تخرق جيوب الكمام ... وتحمل نسيم المسك عنها رياح

وعاج الضياء يطلى بمسك الغمام ... وجر النسيم ذيلو عليها وفاح

رأيت الحمام بين الورق في القضيب ... قد ابتلت ارياشو بقطر الندى

ينوح مثل ذاك المستهام الغريب ... قد ألتف من ثوبو الجديد ردا

ولكن بفاح أحمر وساق خصيب ... ينظم سلوك جوهر ويتقلدا

جلس بين الأغصان جرسة مستهام ... جناحا توسد والتوى في جناح

وصار يشتكي ما في الفؤاد من غرام ... منها ضم منقارو لصدرو وصاح

فقلت أحمام أحرمت عيني الهجوع ... أدى ما تزال تبكي بدمع سفوح

قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع ... بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح

على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع ... ألفت البكا والحزن من عهد نوح

كذال هو الوفا كذا هو الذمام ... انظر للجفون صارت بحال الجراح

وانتم من بكى منكم إذا تم عام ... يقول قد عياني ذا البكا والنواح

فقلت أحمام لو خضت بحر الضنى ... كان تبكي وترثي لي بدمع هتون

ولو كان بقلبي ما بقي أنا ... رماد كان يصير تحتك فروع الغصون

اليوم لي نقاسي الهجر كم من سنا ... حتى لا سبيل جملة تراني العيون

ومما كسا جسمي النحول والسقم ... أخافني نحولي عن عيون اللواح

لو جتني المنايا كان نموت في المقام ... ومن مات بعد يا قوم لقد استراح

ثم قال أبن خلدون: فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم وكثر شياعه بينهم واستحفل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكازي والملعبة والغل واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها.

فمن المزدوج ما قاله أبن شجاع من فحولهم وهو من أهل تازا:

المال زينة الدنيا وعز النفوس ... يبهى وجوها ليس هي باهيا

فهل كل من هو كثير الفلوس ... ولوه الكلام والرتبة العاليا

يكبروا من كثر ماله ولو كان صغير ... ويصغر عزيز القوم إذا يفتقر

من ذا ينطبق صدري ومن ذا بغير ... وكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر

حتى يلتجي من في قومه كبير ... لمن لا أصل عندو ولا لو خطر

لقد ينبغي نحزن على ذي العكوس ... ونصبغ عليه ثوبي من راس خابيا

أدى صارت الأذناب أمام الرءوس ... وصار يستفيد الواد من الساقيا

ضعف الناس عمل ذا أو فساد الزمان ... ما ندريو على من نكثرو ذا العتاب

أدى صار فلان اليوم يصبح بو فلان ... ولو ريت وكيف حتى يرد الجواب." (١)

"إن الذي شرفت من أجله ... يزعم هذا أنه كاذب

و أشار إلى ذلك النصراني فأقام الأفضل من موضعه.

و توفي الطرطوشي سنة عشرين وخمس مائة بالإسكندرية.

انتهى كلام ابن خلكان. وذكرته برمته وإن كان بعضه قد تقدم تكميلا للغرض وقد يقع لي مثل هذا في هذا الموضع كثيرا والقصد به التقوية لما تكرر معه أو غير ذلك كارتباط الكلام بعضه ببعض وعلى الله قصد السبيل.

وممن أجاز القاضي عياض ولم يلقه:

الشيخ الإمام المجتهد أبو عبد الله المازري محمد بن علي بن عمر بم محمد التميمي المازري بفتح الزاي عند الأكثر وجوز كسرها جماعة نسبة إلى مازر بليدة بجزيرة صقلية أعادها ا. أخذ عن الشيخين أبي الحسن اللخمي وأبي محمد بن عبد الحميد القروي المعروف بالصائغ وكان إماما محدثا وهو أحد الأئمة الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه عمدة النظار وتحفة الأمصار المشهور في الآفاق والأقطار حتى عد في المذهب إماما وملك من مسائله زماما. وله تآليف مفيدة عظيمة النفع منها كتاب المعلم بفوائد مسلم وكتاب التعليقة على المدونة وكتاب شرح التلقين وكتاب الرد على الإحياء للغزالي المسمى بكتاب الكشف والإنباء عن المترجم بالإحياء وكشف الغطا عن لمس الخطا وكتاب إيضاح المحصول من

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/١٨٠

برهان الأصول وتعليقة على أحاديث الجوزقي وله أيضا إملاء على شيء من رسائل إخوان الصفا سأله السلطان تميم عنه وكتاب النكت القطعية في الرد على الحشوية والذين بقدم الأصوات والحروف وفتاوى. توفي ثامن عشر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمس مائة وقيل يوم الاثنين ثامن الشهر المذكور بالمهدية وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله ورضي عنه.

و حكى أن بعض طلبة الأندلس ورد على المهدية وكان يحضر مجلس المازري ودخل شعاع الشمس من كوة فوقع على رجل الشيخ المازري فقال الشيخ: هذا شعاع منعكس فذيل الطالب المذكور حين رآه متزنا فقال :

ہذا شعاع منعكس ... لعلة لا تلتبس

لما رآك عنصرا ... من كل علم ينبجس

أتى يمد ساعدا ... من نور علم يقتبس

و أظن أني رأيت هذه الحكاية في نظم الدر والعيقان للشيخ الحافظ أبي عبد الله التلمساني فلتراجع ثم لأني نقلتها بالمعنى.

وممن أجاز القاضي عياض ولم يلقه:

الشيخ الحافظ إمام المحدثين أبو الطاهر السلفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الأصبهاني الملقب صدر الدين.

قال ابن خلكان: هو أحمد الحفاظ المكثرين. رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعي المذهب. ورد بغداد واشتغل بها على الكيا أبي الحسن على الهراسي في الفقه وعلى الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي باللغة وروى عن أبي محمد جعفر بن السراج وغيره من الأئمة الأماثل وجاب البلاد وطاف الآفاق ودخل الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمس مائة في ذي القعدة وكان قدومه إليها في البحر من مدينة صور وأقام بها وقصده الناس من الأماكن البعيدة وسمعوا عليه وانتفعوا به ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله. وبني له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر في سنة ست وأربعين وخمس مائة مدرسة بالثغر المذكور وفوضها إليه وهي معروفة به الآن. وأدركت جماعة من أصحابه بالشام والديار المصرية وسمعت عليهم وأجازوني وكان قد كتب الكثير ونفلت من خطة فوائد جمة ومن جملة ما نقلت من خطة لأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الأندلسي في قصيدة:

لولا اشتغالي بالأمير ومدحه ... لأطلت في ذاك الغزال تغزلي

لكن أوصاف الجلال عذبن لي ... فتركت أوصاف الجمال بمعزل

و نقلت من خطه أيضا لبثينة صاحبة جميل ترثيه:

و إن سلوى عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

و كان كثيرا ما ينشد:

قالوا نفوس الدار ساكنها ... و أنتم عندي نفوس النفوس

و أماليه وتعاليقه كثيرة والاختصار بالمختصر أولى.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """"""""

الخليفة وقد قوى عزمه ، وأتى إلى دار جدته السيدة بلارة بنت القاسم زوجة العادل ، وأخبر العادل بأن أباه سمح له بالعود إلى القاهرة شفقة عليه وخوفا من وعشاء السفر فقبل ذلك ومشى عليه . فلما أصبح العادل يوم الخميس سادس المحرم مضى من أول النهار إلى مصر لتجهيز المراكب الحربية والنفقة في رجالها وعرضها ؛ فظل نهاره في تهيئة ذلك ليلحق عباسا ، وعاد في أثناء النهار إلى داره بالقاهرة وقد لحقته مشقة وتعب تعبا كثيرا . فلما استلقى على الفراش لينام ، وكانت امرأته جدة نصر قد توجهت إلى الحمام وخلا له البيت ؛ فجاء إلى باب السر ودخل منه ومعه سيف ، فإذا العادل قد نام وقت القائلة ، فاخترط سيفه وضربه وهو خائف ، فوقعت الضربة على رجله ، فثار من فراشه وأبصره ، فقال : إلى أين يا كليب وخرج نصر يعدو ، وكان قد أعسته جماعة من أصحابه ، فلما صار إليهم وأعلمهم بما وقع قالوا له : قد قتلت نفسك وقتلتنا ودخلوا وهو معهم ، فإذا به قد جاء أستاذ من خدامه وهو يحدثه فقتلوه وأخذوا رأسه ، فطلع بها نصر إلى الظافر . وماج الناس في القاهرة .

وسرح الطائر للوقت بطلب عباس من بلبيس ، فقام من فوره وصار إلى القاهرة ، فدخلها بكرة يوم الجمعة سادس المحرم ، ثاني يوم قتلة العادل ؛ فوجد جماعة من الأتراك كان العادل اصطفاهم واختصهم قد نفروا وتوحشت قلوبهم مما وقع ؛ فأخذ يسكن أمرهم ، فلم يثقوا به ولا اطمأنوا إليه . وخرجوا يدا واحدة فساروا إلى دمشق .

وكانت قتلة العادل في يوم الخميس وقت الظهر السادس من المحرم ، وله في الوزارة ثلاث سنين وستة أشهر .

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ص/٢٩١

ولما حملت رأسه إلى الظافر أشرف من باب الذهب ، ونصبت الرأس ليراها الناس ، ثم حملت إلى خزانة الرءوس من بيت المال وجعلت فيها مع الرءوس ، وما تحرك لها ساكن ، ولا تكلم أحد . إلا أن نائحة كانت تسمى خسروان كانت قد مهرت في صناعة النياحة على الأموات ، وصارت تنشىء في نواحها الروائع ، فقالت فيه **ترثيه** سطرين أعجب بهما أدباء العصر من جملة قطعة :

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدار يا شبيه ذي النورين صاحب المختار." (١)

"(٢) أتى العذار بماذا أنت معتذر وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذر لا عذر يقبل إن تم العذار ولا ينجيك من خوفه بأس ولا حذر كأنني بوحوش الشعر قد أنست بوجنتيك وبالعشاق قد نفروا ومن شعر أبو جلنك أيضا جعلتك المقصد الأسنى وموطنك ال بيت المقدس من روحي وجثماني وقلبك الصخرة الصماء حين قست قامت قيامة أشواقي وأحزاني أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني وأن يزورك ذو زور وبهتان فلا يغرنك نار في حشاي فمن وادي جهنم تجري عين سلوان قلت ألطف من هذا وأحضر وأجمع قول القال يا قدس حسن قلبه الصخرة التي قست فهي لا **ترثي** لصب متيم ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ففي كبد المشتاق وادي جهنم وأنشدني العلامة أبو حيان قال أنشدنا علاء الدين علي بن سيف الدين تنكز قال أنشدنا أبو جلنك لنفسه ماذا على الغصن الميال لو عطفا ومال عن طريق الهجران وانحرفا ﷺ." (٣)

"(٤) أوحشت مصرا فادلهم ربعها شوقا إلى ذلك المحيا الزاهر أفضت من فضائلها فضائلا من بحر علم قد حويت زاخر نثر إذا نظرته كأنه المنثور لاح وسط روض ناضر ونظم شعر راق في تأليفه فأخجل العقود في الجواهر وحسن خط قد جعلت طرسه مدبجا كالروض بالأزاهر يا فخر دهر أنت من كتابه تخجل كل ناظم وناشر وعز ملك كنت في ديوانه تنشئ ما يلعب بالضمائر إذا ترسلت إلى أعدائه أغنيته عن الحسام الباتر يا فاضلا أخنى عليه دهره لا تخضعن لنكبة في الظاهر فاصبر ولا تقلق لأهوال الردى فإن ثبت نلت أجر الصابر أرجو لك العود لمصر سرعة مظفرا كما يظن خاطري فكتبت أنا الجواب إليه رحمه اللهتعالى يا برق هل **ترثي** لصب ساهر وهل ترى لكسره من جابر وهل لما قد نابه من راحم أو لم يكن فهل له من عاذر أبيت لا أنيس لي إلا الذي يدور من شكواي في ضمائري أخرجني كالسهم من كنانة حكم

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢٠٥/٣

(٢) ١٩٣

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق، ١٩٣/١

(٤) ٣٩٣

زمان في القضاء جائر وابتزني صبري وما أرى الورى على الذي قد نالني من صابر فأضلعي تحنى على جمر الفضى وما الشرار غير قلبي الطائر ومن غدا باطنه مشتعلا لم يفنه تجلد في الظاهر ومقلتي تعثرت دموعها لأنها تجري على محاجري والنوم لا أعرف منه سنة في سنة إلا بحكم النادر يا دهر قد رميتني بنكبة عدمت فيها قوتي وناصري ﷺ." (١)

"(٢) وأما موشحة ابن التلمسان فهي قمر يجلو دجا الغلس بهر الأبصار مذ ظهرا آمن من شبهة الكلف ذبت في حبيه بالكلف لم يزل يسعى الى تلفي بركاب الدل والصلف آه لولا أعين الحرس نلت منه الوصل مقتدرا يا أميرا جار مذ وليا كيف لا **ترثي** لمن بليا فبثغر منك قد جليا قد حلا طعما وقد حليا وبما أوتيت من كيس جد فما أبقيت مصطبرا بدر تم في الجمال سني ولهذا لقبوه سني قد سباني لذة الوسن بمحيا باهر حسن هو خشفي وهو مفترسي فارو عن أعجوبتي خبرا لك خد يا أبا الفرج زين بالتوريد والضرج وحديث عاطر الأرج كم سبى قلبا بلا حرج لو رآك الغصن لم يمس أو رآك البدر لاستترا يا مذيبا مهجتي كمدا فقت في الحسن البدور مدى يا كحيلا كحلة اعتمدا عجبا أن تبرئ الرمدا وبسقم الناظرين كسي جفنك السحار وانكسرا وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا إن كان ليل داجوخاننا الإصباحفنورها الوهاجيغني عن المصباح ﷺ." (٣)

"أهلا بأشرف أوبة وأجلها ... لأجل ذي قام يلاذ بنعلها

شاهانشاه تاج ملته التي ... ريدت به في قدرها ومحلها

يا خير من زهت المنابر باسمه ... في دولة علقت يداه بحبلها

وأقمت فينا سيرة عضدية ... هيهات لا تأتي الملوك بمثلها

يردى غوي فاجر في بأسها ... ويعيش بر صالح في فضلها

مولاي عبدك حالف لك حلفة ... تعيا مناكب يذبل عن حملها

لقد انتهى شوقي إليك إلى التي ... لا أستطيع أقلها من ثقلها

طوبى لعين أبصرتك ومن لها ... بغبار دارك جازيا عن كحلها؟

لو بعتني بجميع عمري لفظة ... أو لحظة بالطرف لم أستغلها

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٣٩٣/٤

(٢) ٣٥١

(٣) أعيان العصر وأعو ا ن النصر – موافق – محقق، ٣٥١/٥

أترى أمر بخطرة من بالها؟ ... أترى أعود إلى كثافة ظلها؟

لي ذمة محفوظة في ضمنها ... ووثائق محروسة في كفلها

وإذا رأيت سحائبا لك ثرة ... تروى النفوس الحائمات بهطلها

لا في الرجال الناقعين بوبلها ... كلا ولا في القانعين بطلها

قابلت بالزفرات هبة ريحها ... وحكيت بالعبرات درة سجلها

فلو أن عيني راهنت بدموعها ... يمناك في السقيا لفزت بخصلها

قال: قد كان أبو إسحاق يكاتب عضد الدولة في الحبس بالأشعار، ويرققه، فما رققه شيء كقصيدته القافية، ومنها:

أجل في البنين الزهر طرفك إنهم ... حووا كل مرأى للأحبة مؤنق

وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم ... فأهلا به من طارق خير مطرق

موال لنا مثل النجوم مطيفة ... بمولى موال منك كالبدر مشرق

وقد ضمهم شمل لديك مؤلف ... فأرث لذي الشمل الشتيت المفرق

وإن كنت يوما عنهم متصدقا ... فمن مثل ما خولت فيهم تصدق

فلي مقلة تقذى إذا ما مددتها ... غلى حلة ممن أعول ودورق

إناث وذكران أبيت من أجلهم ... على كمد بين الحجابين مقلق

رسائلهم تأتى بما يلدغ الحشا ... ويصدع قلب النازع المتشوق

فباكية **ترثي** أباها ولم يمت ... وبائنة من بعلها لم تطلق

زغب من الأطفال أبناء منزل ... شوارد عنه كالقطا المتمزق

إذا حرقوا قلبي بنجواهم انثنت ... عداك تناجيني فتطفي تحرقي

شهدت لئن أنكرت أنك صنتني ... ولم أرع ما أوليتني من ترفق

لقد ضيع المعروف عندي وأصبحت ... ودائعه مودوعة عند أحمق

وحبسك لي جاه عريض ورفعة ... وقيدك في ساقي تاج لمفرقي

وما موثق لم تطرحه بموثق ... ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق

خلا أن أعواما كملن ثلاثة ... تعرقت البقيا أشد تعرق

وقد ظمئت عيني التي أنت نورها ... إلى نظرة من وجهك المتألق

فيا فرحتي إن ألقه قبل ميتتي ... ويا حسرتي إن مت من قبل نلتقي

خدمتك مذ عشرون عاما موفقا ... فهب لي يوما واحدا لم أوفق

فإن يك ذنب ضاق عندي عذره ... فعندك عفو واسع غير ضيق

قال: وسمعت أبا الريان، حامد بن محمد، الوزير، يقول لجدي، وهما في مجلس أنس، وأنا حاضر معهما: لما أنفذت القصيدة اللامية بالتهنئة، عن قدوم عضد الدولة من الزيارة، عرضتها عليه في وقت كان عبد العزيز بن يوسف غير حاضر فيه، فقرأها، ثم رفع رأسه إلي وإلى عبد الله بن سعدان، وكنت آمنه عليك، وأعلم أن اعتقاده يوافق اعتقادي فيك، فقال: قد طال حبس هذا المسكين ومحنته، فقبلت أنا وهو الأرض عند ذلك، فقال لنا: كأنكما تؤثران إطلاقه، قلنا: إن من أعظم حقوقه علينا، وذرائعه عندنا، أن عرفناه في خدمتك، وخالطناه في أيامك، قال: فإذا كان رأيكما فيه، فأنذا وأفرجا عنه، وتقدما إليه عنا بملازمة منزله، إلى أن يرسم له ما يليق بمثله:." (١)

"فإن قال لا أسلوه قلت صدقتني ... وإن قال أسلو عنه قلت دروغ

هذه كلمة أعجمية معناها كذب، ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، ابن سليمان، مولده ومنشؤه شيزر وحماة، ومات بمعرة النعمان، ومن شعره:

أيأيها الوادي المبيني هل لنا ... تلاق فنشكو فيه صنع التفرق

أبثك ما بي من غرام ولوعة ... وفرط جوى يضني وطول تشوق

عسى أن ترقى حين ملكت رقه ... وترثي له مما بهجرك قد لقي

بوصل يروي غلة الوجد والأسى ... ويطفي به حر الجوى والتحرق

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصارا، وإنما قصدت الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم.

ونقلت من بعض الكتب، أن أبا العلاء لما ورد إلى بغداد، قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي، ليقرأ عليه، فلما دخل إليه، قال علي بن عيسى: ليصعد الإسطبل، فخرج مغضبا ولم يعد إليه، والإسطبل في لغة أهل الشام الأعمى، ولعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم، فعثر برجل، فقال من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سعين اسما، وسمعه المرتضى فاستدناه، واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالا كثيرا.

---

(١) معجم الأدباء، ١/٤٨

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبئ، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبئ، ويتعصب عليه، فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبئ، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبئ من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلا، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبئ ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما رجع إلى المعرة لزم بيته: فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل، وترك الخروج منه. وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى: وكان متهما في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحما، ولا يؤمن بالرسل، والبعث والنشور، وعاش شيئا وثمانين سنة، لم يأكل اللحم منها خمسا وأربعين سنة، وحدثت أنه مرض مرة، فوصف الطبيب له الفروج، فلما جئ به لمسه بيده وقال: استضعفوك فوصفوك، هلا وصفوا شبل الأسد: وقد أوردنا من شعره ما يستدل به على سوء معتقده، ويخبرك بنحلته ومستنده.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن الصابئ، أنه بقي خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض، ويحرم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس حشن الثياب، ويظهر دوام الصوم، قال: ولقيه رجل فقال له: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملا، فسكت، قال ابن الجوزي: وقد كان يمكنه أن لا يذبح رحمة، وأما ما قد ذبحه غيره فأي رحمة بقيت؟ قال: وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: وهكذا شيخك. قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهج أحدا قط، فقلت له: صدقت. إلا الأنبياء عليهم السلام، فتغير وجهه.

وحدث أبو زكرياء قال: لما مات أبو العلاء أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعرا مراثي، من جملتها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما
سيرت ذكرا في البلاد كأنه ... مسك مسامعها يضمخ أو فما
وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أوجدب فدية من أحرما
كأنه يقول: إن ذكراك طيب، والطيب لا يحل للمحرم، فيجب عليه فدية، ومن شعره في الزهد:
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
يحطمنا صرف الزمان كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك." (١)

"قال: قد فهمت الرسالة، فكن الرسول بالرضى، ووجه بياسر الخادم فحملها، وكان موسى بن عبد الملك، في ناحية أحمد بن يوسف وهو خرجه، وقدمه، قال الحسن بن مخلد: حدثني، موسى ابن عبد الملك، وكان يرمي بابنة قال: وهب لي أحمد بن يوسف، وكان يعبث بموسى بن عبد الملك ويتعشقه، الف الف درهم في مرات، وكان عاتبه فيه محمد بن الجهم البرمكي، فكتب اليه أحمد بن يوسف:
لاتعذلني يا أبا جعفر ... لوم الاخلاء من اللوم
إن أسته مشربة حمرة ... كأنها وجنة مكلوم
فتقدم محمد الى البجلى، وكان في ناحيته، فأجابه:
لست بلا حيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم
لأنه في استه سخنة ... كأنها سخنة محموم
ذكر غرس النعمة في كتاب الهفوات: حدثني محمد بن علي، بن طاهر، بن الحسين قال: كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة، فيتلف نفسه في بعض سقطاته، وذلك أنه حكى علي ابن يحيى، ابن أبي منصور: أن المأمون كان إذا تبخر طرح له العود والعنبر، فإذا تبخر أمر باخراج المجمرة، ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له وحضر أحمد بن يوسف يوما، وتبخر المأمون على عادته، ثم أمر بوضع المجمرة تحت أحمد بن يوسف، فقال: هاتوا ذا المردود، فقال المأمون: ألنا يقال هذا، ونحن نصل رجلا واحدا من خدمنا بستة آلاف دينار، إنما قصدن إكرامك، وأن أكون أنا وأنت، قد اقتسمنا بخورا واحدا ثم قال: يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في الغاية من الجودة، في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجمر، ويبخر بها أحمد، ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها، وفعل به ذلك بقطعة ثانية، وثالثة، وهو يستغيث ويصيح، وانصرف الى منزله، وقد احترق دماغه واعتل، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل:

(١) معجم الأدباء، ١/١١٦

أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم، لها من قلبه مكان خطير، فقالت ترثيه:

ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا جازه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

وقالت أيضا ترثيه:

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... مابي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات

ومن شعر أحمد بن يوسف كتب به إلى صديق له:

تطاول باللقاء العهد منا ... وطول العهد يقدح في القلوب

أراك وإن نأيت بعين قلبي ... كأنك نصب عيني من قريب

فهل لك في الرواح إلى حبيب ... يقر بعينه قرب الحبيب

قال أحمد بن يوسف: وقد شتمه رجل بين يدي المأمون، للمأمون، قدو الله يا أمير المؤمنين، رأيته يستملي من عينيك ما يلقاني به.

وكتب الى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد أراده إبراهيم بن المهدي: من حق من أنا عبده، وحجتنا عليك، إعلامنا إياك، والسلام.

عندي من تبهج العيون به ... فإن تخلفت كنت مغبونا

وأهدى الى المأمون في يوم عيد هدية وكتب معها: هذا يوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد إلى السادة، وقد أهديت قليلا من كثير عندي، وقلت:

أهدي إلى سيده العبد ... ماناله الإمكان والوجد

وإنما أهدى له ماله ... يبدأ هذا ولذا رد

ومن شعره اللطيف:

إذا ما التقينا والعيون نواظر ... فألسننا حرب وأبصارنا سلم

وتحت استراق اللحظ منا مودة ... تطلع سرا حيث لايبلغ الوهم

وهو القائل في محمد بن سعيد، بن حماد الكاتب، وكان يميل إليه، وكان صبيا مليحا.

صد عني محمد بن سعيد ... أحسن العالمين ثاني جيد

صد عني لغير جرم إليه ... ليس إلا لحبه في الصدود

قال: وكان محمد بن سعيد يكتب بين يديه، فنظر إلى عارضه قد اختط في خده، فأخذ رقعة وكتب فيها:

لحاك الله من شعر وزادا ... كما ألبست عارضه الحدادا

أغرت على تورد وجنتيه ... فصيرت احمرارهما سوادا

ورمى بها إلى محمد بن سعيد، فكتب مجيبا: عظم الله أجرك فيي ياسيدي، وأحسن لك العوض منى.

ومن شعر أحمد بن يوسف:

كثير هموم النفس ختى كأنما ... عليه كلام العالمين حرام." (١)

"قال حمزة في مقدمة كتابه: وقد كان رجل من كبار أهل الأدب ببلدنا تعاطى عمل كتاب في هذا الفن، وهو أبو الحسن على بن حمزة بن عمارة، وسماه قلائد الشرف، فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات، نبذ بينهما جملا من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقة، وروى فيما بينها أخبارا كأنها من أحاديث الحكم.

ومن شعر علي بن حمزة يرثى أبا مسلم محمد ابن بحر:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمدا ... فقلت لهم: ردوا فؤادي واسمعوا

فلن يستطيع القول من طار قلبه ... جريحا طريحا بالمصائب يقرع

ومن بان عنه إلفه وخليله ... فليس له إلا إلى البعث مرجع

ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص ... ومن حيز في سرباله الفضل أجمع

سجايا كماء المزن شيب به الجنى ... جنى الشهد في صفو المدام يشعشع

وغرب ذكاء واقد مثل جمرة ... وطبع به العضب المهند يطبع

ومن كان من بيت الكتابة في الذرى ... وذا منطق في ا الحفل لايتتعتع

وله كتبه إلى أبي نجيح أخي أبي سعد الشاعر:

قد عزمنا على الصبوح فبادر ... قبل إن تضحى السماء المخيلة

فلذا الدجن ياخليلي ذمام ... لم أزل مذعقلت أمري خليله

وهو يوم أغر أبلج يهمى ... بحيا يستمد منه سيوله

ودعاني إليه أدهم داج ... قد رحمنا بكاءه وعويله

شبه ليل متى استضيف بليل ... لم يسكن إلى الصباح صهيله

---

(١) معجم الأدباء، ٢١٨/١

مطفح مهمر بلوع به يس ... تلب المدقع الضنين صليله

راكب نازل يغطمط وأب ... قد سئمنا ركوبه ونزوله

يطرد الجدب كلما جاش أعطى ... سائليه بضيعة ونشيله

ولدينا من المعسل شيء ... يفثأ الدهر من فؤادي غليله

فتفضل بما سألت فقدما ... بؤت للخل بالأيادي الجليله

ولك الحكم إن تحكم في الشر ... ب فلا تخف عن قلوب عليله

وفتو كأنهم قضب الهن ... د لهم السن سلاط طويله

قال المؤلف: ولعلى بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوا بات لجماعة من شعراء أصبهان، منهم أبو الحسن طباطبا العلوي وغيرهـ، لم أذكر منها شيئا لطولها ولقلة فائدتها عندي، فشعره على هذا النمط لاطائل فيه إلا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل.

علي بن حمزة البصري اللغوي

يكنى أبا النعيم. كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها، وله ردود على جماعة من أئمة أهل اللغة كابن دريد والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم. ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل.

قال أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز في تاريخ صقلية من تصنيفه: وفي رمضان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مات على بن حمزة اللغوي البصري راوية المتنبي بصقلية، وصلى عليه القاضي إبراهيم ابن مالك قاضي صقلية وكبر خمسا في الجامع. وله من التصانيف: كتاب الرد على أبي زياد الكلابي، كتاب الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره، كتاب الرد على أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات، كتاب الرد على أبي عبيد القاسم بن سلام في المصنف، كتاب الرد على ابن السكيت في إصلاح المنطق، كتاب الرد على ابن ولاد في المقصور والممدود، كتاب الرد على الجاحظ في الحيوان، كتاب الرد على ثعلب في الفصيح. ورأيت هذه كلها بمصر.

ترجمة ثانية: علي بن حمزة البصري اللغوي أحد الأعلام الأئمة في الأدب، وله تصانيف وردود على أهل الأدب وفق فيها. وقد روى عنه أبو الفتح بن جنى شيئا من أخبار المتنبي وغيرها، لأن المتنبئ لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. فحدث أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي في كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني أبو محمد على بن أحمد

عن أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني على بن حمزة مضيف المتنبئ قال: – وعنده نزل المتنبئ ببغداد – إن القصيدة التي أولها.

هذي برزت بنا فهجت رسيسا." (١)

"الشيخ علي الطنطاوي

كأنه قبضة من أرض الشام، عجنت بنهري النيل والفرات، لوحتها شمس صحراء العرب، فانطلقت بإذن ربها نفسا عزيزة أبية، تنافح عن الدعوة وتذود عن حياض الدين.

ذلكم هو العلامة الكبير، الفقيه النجيب، والأديب الأريب الشيخ علي الطنطاوي الذي فقدته الأمة قبل فترة، لتنثلم بذلك ثلمة كبيرة، ضاعفت آلامنا وأدمت قلوبنا.

كان الشيخ الطنطاوي قوة فكرية من قوى الأمة الإسلامية، ونبعا نهل منه طالبو العلم، والأدب في كل مكان، كان قلمه مسلطا كالسيف سيالا كأعذب الأنهار وأصفاها، رائعة صورته، مشرقا بيانه، وفي ذلك يقول عن نف سه ((أنا من "جمعية المحاربين القدماء" هل سمعتم بها؟ كان لي سلاح أخوض به المعامع، وأطاعن به الفرسان، وسلاحي قلمي، حملته سنين طوالا، أقابل به الرجال، وأقاتل به الأبطال، فأعود مرة ومعي غار النصر وأرجع مرة أمسح عن وجهي غبار الفشل. قلم إن أردته هدية نبت من شقه الزهر، وقطر منه العطر وإن أردته رزية حطمت به الصخر، وأحرقت به الحجر، قلم كان عذبا عند قوم، وعذابا لقوم آخرين))..

ولد الشيخ علي الطنطاوي في مدينة دمشق في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٢٧ هـ ((١٢ يونيو ١٩٠٩ م)) من أسرة علم ودين، فأبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من أهل العلم، وجده الشيخ محمد الطنطاوي عالم كبير، وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الإسلامي الكبير والصحافي الشهير..

تفتح وعيه على قنابل الحلفاء تدك عاصمة الأمويين وفلول الأتراك تغادر المدينة وديار الشام مقفرة بعد أن عز الطعام وصارت أوقية السكر (٢٠٠ غرام) بريال مجيدي كان يكفي قبل الحرب لوليمة كبيرة. وكان أول درس قاس تعلمه وعاشه تفكك الدولة العثمانية وتحول ولاياتها السابقة إلى دويلات. فسوريا أصبحت أربع دول: واحدة للدروز والثانية للعلويين، والثالثة في دمشق والرابعة في حلب..

كان الفتى علي الطنطاوي وقتها مازال تلميذا في المدرسة لكن وعيه كان يسبق سنه، فعندما أعلن في

---

(١) معجم الأدباء، ٧٢/٢

مدرسته عن المشاركة في مسيرة لاستقبال المفوض السامي الجديد الجنرال ويفان الذي حل محل الجنرال غورو، رفض ذلك وألقى خطبة حماسية، قال فيها: ((إن الفرنسيين أعداء ديننا ووطننا ولا يجوز أن نخرج لاستقبال زعيمهم))..

لله درك يا فتى أدركت ما لم يدركه الكبار، فكيف تستقبل أمة عدوها الذي سلبها حريتها وكيف تنسى ما قاله قائد هذا العدو بعد معركة ميسلون ودخول الشام عندما زار الجنرال غورو قبر صلاح الدين وقال له: ها نحن عدنا يا صلاح الدين.. الآن انتهت الحروب الصليبية..

تلك المعركة التي كانت نقطة تحول في وعي الفتى علي الطنطاوي، فقد خرج منها بدرس ممهور بدماء الشهداء واستقلال الأمة.. درس يقول إن الجماهير التي ليس عندها من أدوات الحرب إلا الحماسة لا تستطيع أن ترد جيشا غازيا. أصبح الاحتلال الفرنسي واقعا جديدا في سوريا، وغدا حلم الدولة المستقلة أثرا بعد عين، وكما حدث في كل بقاع العالم الإسلامي كان العلماء رأس الحربة قي مواجهة المحتل وتولى الشيخ بدر الدين الحسيني شيخ العلماء في مدن سوريا قيادة ثورة العلماء الذين جابوا البلاد يحرضون ضد المستعمر، فخرجت الثورة من غوطة دمشق وكانت المظاهرات تخرج من الجامع الأموي عقب صلاة الجمعة فيتصدى لها جنود الاحتلال بخراطيم المياه ثم بالرصاص، والشاب علي الطنطاوي في قلب من تلك الأحداث..

خطيب المقاومة

في أحد الأيام كان على موعد لصلاة الجمعة في مسجد القصب في دمشق فقال له أصحابه: إن المسجد قد احتشد فيه جمهور من الموالين للفرنسيين واستعدوا له من أيام وأعدوا خطباءهم فرأينا أنهم لا يقوى لهم غيرك، فحاول الاعتذار فقطعوا عليه طريقه حين قالوا له إن هذا قرار الكتلة ((كان مقاومو الاحتلال ينضوون تحت لواء تنظيم يسمى الكتلة الوطنية وكان الطنطاوي عضوا فيها)) فذهب معهم وكان له صوت جهور، فقام على السدة مما يلي ((باب العمارة)) ونادى: إلي إلي عباد الله، وكان نداء غير مألوف وقتها، ثم صار ذلك شعارا له كلما خطب، فلما التفوا حوله بدأ ببيت شوقي:.

وإذا أتونا بالصفوف كثيرة * * * جئنا بصف واحد لن يكسرا

وأشار إلى صفوفهم المرصوصة وسط المسجد، وإلى صف إخوانه القليل، ثم راح يتحدث على وترين لهما صدى في الناس هما الدين والاستقلال، فلاقت كلماته استحسانا في نفوس الحاضرين، وأفسدت على الآخرين أمرهم، وصرفت الناس عنهم. ولما خرج تبعه الجمهور وراءه، وكانت مظاهرة للوطن لا عليه..

في ١٩٢٨ دعاه خاله محب الدين الخطيب للقدوم إلى مصر وكان قد أصدر مجلة "الفتح" قبل ذلك بعامين فسافر علي الطنطاوي إلى مصر للدراسة في كلية دار العلوم، لكن المناخ الثقافي في مصر في ذلك الحين شده للانخراط في العمل الصحفي الذي كان يشهد معارك فكرية وسجالات أدبية حامية الوطيس حول أفكار التقدم والنهضة والإسلام والاستعمار وغيرها، وكان طبيعيا أن يأخذ الشاب علي الطنطاوي موقعه في صفوف الذائدين عن حياض الإسلام المناوئين للاستعمار وأذنابه، وظل الطنطاوي في موقعه لم يتراجع أو يتململ أو يشكو تكالب الأعداء أو قلة الإمكانيات فكان الفارس الذي لم يؤت من ثغره..

لم يكمل دراسته في كلية دار العلوم وعاد إلى دمشق ليلتحق بكلية الحقوق التي تخرج فيها عام ١٩٣٣، ثم عمل مدرسا في العراق، ولما عاد إلى دمشق عمل قاضيا شرعيا، عن علم ودراسة وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية، ثم درس في العراق سنة ١٩٣٦ ورجع إلى بلده فلم يلبث أن انتقل إلى القضاء فكان القاضي الشرعي في دوما، ثم مازال يتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى أعلى تلك المناصب، وكان قد ذهب إلى مصر لدراسة أوضاع المحاكم هناك..

ذهابه إلى السعودية

ثم هاجر إلى المملكة العربية السعودية ٩٦٣١ م فعمل في التدريس في كلية اللغة العربية وكلية الشريعة في الرياض ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة ثم تفرغ للعمل في مجال الإعلام وقدم برنامجا إذاعيا يوميا بعنوان "مسائل ومشكلات" وبرنامجا تلفزيونيا أسبوعيا بعنوان "نور وهداية"..

وظل طوال تنقله بين عواصم العالم الإسلامي يحن إلى دمشق ويشده إليها شوق متجدد. وكتب في ذلك دررا أدبية يقول في إحداها:.

.((وأخيرا أيها المحسن المجهول، الذي رضي أن يزور دمشق عني، حين لم أقدر أن أزورها بنفسي، لم يبق لي عندك إلا حاجة واحدة، فلا تنصرف عني، بل أكمل معروفك، فصل الفجر في "جامع التوبة" ثم توجه شمالا حتى تجد أمام "البحرة الدفاقة" زقاقا ضيقا جدا، حارة تسمى "المعمشة" فادخلها فسترى عن يمينك نهرا، أعني جدولا عميقا على جانبيه من الورود والزهر وبارع النبات ما تزدان منه حدائق القصور، وعلى كتفه ساقية عالية، اجعلها عن يمينك وامش في مدينة الأموات، وارع حرمة القبور فستدخل أجسادنا مثلها..

دع البرحة الواسعة في وسطها وهذه الشجرة الضخمة ممتدة الفروع، سر إلى الأمام حتى يبقى بينك وبين جدار المقبرة الجنوبي نحو خمسين مترا، إنك سترى إلى يسارك قبرين متواضعين من الطين على أحدهما شاهد باسم الشيخ أحمد الطنطاوي، هذا قبر جدي، فيه دفن أبي وإلى جنبه قبر أمي فأقرئهما مني السلام،

واسأل الله الذي جمعهما في الحياة، وجمعهما في المقبرة، أن يجمعهما في الجنة، ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ رب ارحم بنتي واغفر لها، رب وللمسلمين والمسلمات)).

ويعد الشيخ علي الطنطاوي أحد رموز الدعوة الإسلامية الكبيرة في العالم الإسلامي وشخصية محببة ذائعة الصيت نالت حظا واسعا من الإعجاب والقبول، وله سجل مشرف في خدمة الإسلام والمسلمين..

كان يتمتع بأسلوب سهل جميل جذاب متفرد لا يكاد يشبهه فيه أحد، يمكن أن يوصف بأنه السهل الممتنع، فيه تظهر عباراته أنيقة مشرقة، فيها جمال ويسر، وهذا مكنه أن يعرض أخطر القضايا والأفكار بأسلوب يطرب له المثقف، ويرتاح له العامي، ويفهمه من نال أيسر قسط من التعليم..

اشتهر الشيخ الطنطاوي بسعة أفقه وكثرة تجواله وحضور ذهنه وذاكرته القوية ولذلك تجيء أحكامه متسمة بصفة الاعتدال بعيدة عن الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط..

وقد كتب في صحف بلده في الشام، فاحتل مكانة مرموقة فيها، ثم أضحى من كبار الكتاب، يكتب في كبريات المجلات الأدبية والإسلامية مثل "الزهراء" و "الفتح" و "الرسالة" و "المسلمون" و "حضارة الإسلام" وغيرها، وكانت له زوايا يومية في عدد من الصحف الدمشقية..

ومن المجالات التي سبق إليها الكتابة في أدب الأطفال والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية. وتحقيق بعض كتب التراث، وله جولات في عالم القصة فهو من أوائل كتابها..

كانت مساجلاته تملأ الأوساط الفكرية والأدبية طولا وعرضا، وكان لا يكف عن إصدار رسائله التي يحذر فيها من مغبة الانخداع بالنحل الباطلة.

ومن طريف ما تعرض له في إحدى مساجلاته ما يرويه عن نفسه ((كنا يوما أمام مكتبة "عرفة" فجاء رجل لا يعرفه فاندس بيننا وحشر نفسه فينا، وجعل يتكلم كلاما عجيبا، أدركنا منه أنه يدعو إلى نحلة من النحل الباطلة، فتناوشوه بالرد القاسي والسخرية الموجعة، فأشرت إليهم إشارة لم يدركها: أن دعوه لي، فكفوا عنه وجعلت أكلمه وأدور معه وألف به، حتى وصلت إلى إفهامه أني بدأت أقتنع بما يقول، ولكن مثل هذه الدعوة لا بد فيها من حجة أبلغ من الكلام، فاستبشر وقال: ما هي؟ فحركت الإبهام على السبابة، وتلك إشارة إلى النقود. قال: حاضر، وأخرج ليرتين ذهبيتين يوم كانت الليرة الذهبية شيئا عظيما. مد يده بالليرتين فأخذتهما أمام الحاضرين جميعا، وانصرف الرجل بعد أن عرفنا اسمه، فما كاد يبتعد حتى انفجرت الصدور بالضحك، وأقبلوا علي مازحين، فمن قائل شاركنا يا أخي، وقائل: اعمل بها وليمة، أو نزهة في بستان، قلت سترون ما أنا صانع، وذهبت فكتبت رسالة، تكلمت فيها عن الملل والنحل والمذاهب الإلحادية، وجعلت

عنوانها "سيف الإسلام" وكتبت على غلافها "طبعت بنفقة فلان" باسم الرجل الذي دفع الليرتين، وبلغني أنه كاد يجن ولم يدر ماذا يفعل، ولم يستطع أن ينكر أمرا يشهد عليه سبعة من أدباء البلد، وقد بلغني أن جماعته قد طردته بعد أن عاقبته))..

كما كان الفقيد – يرحمه الله- داعية شجاعا ثابتا على مبدئه لا يلين، ولا يهادن، كما يقتحم الأهوال، وينازل الرجال، يلج عرين الآساد، وربما عرض نفسه –باختياره- لمخالب تمزق جلد التمساح، كل ذلك في سبيل إيمانه بفكرته الإسلامية، والتضحية من أجل إعلائها مهما كان الثمن..

وقد ترك الشيخ علي الطنطاوي أثرا كبيرا في الناس وس١هم في حل مشكلاتهم عن طريق كتابته ورسائله وأحاديثه، وقد كان له دور طيب في صياغة قانون الأحوال الشخصية في سوريا، وهو واضع مشروع هذا القانون على أسس الشريعة الإسلامية، كما وضع قانون الإفتاء في مجلس الإفتاء الأعلى، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي في بغداد. وفي كل أعماله كان يبتغي الأجر من ربه ويسعى إلى واسع مغفرته، يقول: ينجيني قانون ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ إني والله أخشى ذنبي ولكني لا أيأس من رحمة ربي.. وآمل أن ينفعني إذا مت صلاة المؤمنين علي ودعاء من يحبني، فمن قرأ لي شيئا أو استمع لي شيئا فمكافأتي منه أن يدعو لي، ولدعوة واحدة من مؤمن صادق في ظهر الغيب خير من كل ما حصلت من مجد أدبي وشهرة ومنزلة وجاه..

الطنطاوي مربيا

رزق الشيخ الجليل خمسا من البنات، وقد كن لفقد إحداهن "بنان" –وقد قتلت اغتيالا في مدينة "آخن" الألمانية مع زوجها عصام العط١ر- أكبر الأثر على نفسه ولكنه احتسب الله فيها وتمسك بالصبر والتسليم بقضاء الله، وقد كان لفضيلته أسلوبه المتميز في التربية ومعاملة البنات..

تقول حفيدته عبادة العظم: نشأت وترعرعت في كنف جدي وأمي وأنا أعتقد –كما يظن ويعتقد كل طفل- أن كل الناس يتربون ويتوجهون في بيئة إن لم تماثل بيئتي فهي مشابهة لها، وكنت أسمع الناس يمتدحون جدي فلا أدرك من الحقيقة إلا أن الناس عرفوه لنه يحدثهم في الراديو والتلفزيون، فأحبوه، فامتدحوه، وكنت أنا مثلهم أحبه كثيرا، لما أراه منه، فلم أعر الأمر اهتماما..

وما لبثت أن كبرت قليلا، واختلطت بالناس فبدأت أدرك شيئا فشيئا الفروق الجوهرية بين جدي مربيا وبين سائر المربين، وكنت كلما اجتمعت مع أقراني لمست التباين بين أسلوبه في التوجيه وبين أسلوب بقية الوالدين، وكنت كلما سمعت مشكلات الآباء في تربية الأبناء، أعترف لجدي بالتميز والإبداع في معالجة

الأخطاء وتعديل الطباع، وساهمت خالاتي وأمي في تبصيري، وذلك بما كن يقصصنه علي من قصصهن مع جدي، وبما كن يكننه له من الاحترام والشكر والتقدير، وبما كن يحملنه من إيمان عميق بالله، ومبادئ عظيمة تعلموها من شرع الله..

فلم أكد أتفهم هذه الحقائق، وأتبين الأثر الكبير الذي أوجده جدي فينا، حتى شرعت بكتابة المواقف المهمة العالقة في ذاكرتي، إذ أحسست بأن هذه التوجيهات حري بها أن لا تبقى حبيسة معرفة بعض الناس الذين هم أحفاد الطنطاوي بل ينبغي أن تنشر ليطلع عليها الناس، لتكون لهم عونا في تنشئة أبنائهم وبناتهم ولهذا أصدرت عنه كتابي..

وعن كتابها "هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي" تقول:

لم اكن عند جدي عندما عرض الكتاب عليه لأول مرة. فقد حمله إليه زوج خالتي "نادر حتاحت" بصفته ناشر الكتاب، ولما قرأه جدي اتصل بي هاتفيا وقال: الكتاب جيد بل هو جيد جدا، وأسلوبه جميل. لكنه عقب بقوله: ومن الصعب علي يا ابنتي أن أمتدح هذا الكتاب أو أدلي برأيي الصريح عنه، لأنه عني، وأخشى أن يظن الناس أني أفعل لأجل ذلك. ثم ختم كلامه بقوله: وأنا لست كما وصفت فأنت التي جملت الحوادث وصورتها بتلك الطريقة..

وكان ذلك تواضعا منه فأنا ما كتبت غير الحقيقة وما صورت إلا ما رأيته، وما قال ذلك جدي إلا تواضعا..

الطنطاوي والمرأة

وعن رؤية الشيخ الطنطاوي للمرأة وخصوصا أنه لم يرزق بالبنين تقول:

جدي إنسان كأي إنسان آخر يحب أن يرزق البنين، فيحملون اسمه ويتعلمون مما علمه الله ويكونون خلفاء له وهو لم يتوقع أصلا ألا يولد له ذكر، فلما جاءته ابنته الأولى رضي بقضاء الله وسعد بها، بل أحبها وأخواتها -من بعد- حبا شديدا، وأولاهن من العناية والرعاية والاهتمام ما لم يوله أب آخر ممن أعرف أو سمعت عنهم..

أما احترامه للمرأة فهو شيء معروف عنه، وكان في أحاديثه يدافع عن النساء ويذب عنهن، ويحذر الرجال من الظلم والتعدي، وكان يردد دائما: أن الدرجة للرجل على المرأة درجة واحدة، وليست سلما. حتى لقبوه بناصر المرأة، وهو كذلك معنا فقد كان يؤثرنا أحيانا -نحن الحفيدات- على الأحفاد، وقد بذل لنا الكثير، وأكرمنا زيادة عنهم في بعض المواقف ولكن دون أن يشعروا حتى لا يتسبب ذلك في أذاهم..

وحول شخصية الشيخ علي الطنطاوي وكيف جمع بين العلم والدين والأدب والحياة تقول: ساءلت نفسي

هذا السؤال مرة، ثم وجدت الجواب في سيرة جدي، فقد مر بظروف قاهرة ومؤلمة، فعوذه الله بمجموعة من العطايا، أهلته إلى النجاح..

كان يتيما وحيدا بلا أب ولا أم ولا سند مادي أو معنوي، فأعطاه الله العقيدة السليمة، وقوة الشخصية، فكان بلسانه وقلمه سيفا مسلولا على أعداء الله ورسوله، فان يترصد الباطل ويقتله، ينازل الفسوق فيقهره، ويبارز الكفر والانحلال والمجون فيغلبهم جميعا، وكان صداعا بالحق، لا يسكت عن إنكار منكر، ولا تمنعه منه هيبة ذي سلطان، جريئا لا يهاب أحدا ولا يخشى إلا الله، متمردا على العادات والتقاليد المخالفة للإسلام، فرفع الله بعمله هذا ذكره بين الناس..

وكان محبا للعزلة والانفراد فأعطاه الله حب العلم، والشغف بالقراءة والاطلاع، ورزقه الذكاء والذاكرة العجيبة، وسرعة الاستيعاب فلم تكن إلا سنون حتى جمع علما غزيرا متنوعا، فهو أديب، ولغوي فقيه، وعالم نفس، وهو قارئ نشيط في الطب والفلك، فسهل الله له بعلمه الطريق إلى عقول الناس..

وكان هيابا للاجتماع بالناس، فأعطاه الله القدرة على مخاطبتهم من بعيد، أي عن طريق وسائل الإعلام على اختلاف مشاربهم، وأعطاه روح الفكاهة، وحلاوة الأسلوب، والابتكار في العرض، والقدرة على الإقناع، والمرونة في الإفتاء فوصل إلى قلوب الكثيرين..

وتقول أمان علي الطنطاوي ترثي والدها الفقيد:

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليك يا أبتاه لمحزونون، أبتاه أنت شمس حياتنا ونور أيامنا.. أبتاه يعز علينا الفراق، ويحز في النفس غياب صوتك ووجهك، لكنك في القلب أنت في العقل أنت.. أبتاه يا نبض أيامي، أبتاه ملهم أفكاري.. أبتاه يا أحب وأغلى الناس، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته. عن مجموع محبيك يدعون لك بالرحمة والمغفرة وأن يسكنك فسيح جناته ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة، ويجمعنا معك في جنة الخلد. أبتاه ها قد لحقت ببنان التي حزنت عليها دوما ولم تذكر اسمها إلا هذا العام ولم تلح في طلبها إلا وأنت مريض بالإشارة، أشرت بإصبعك الثاني قلت لك: بنان، هززت رأسك، يا أحب الناس ها قد التقيت ببنان. جعلك الله وإياها من أهل الجنة..

قالوا عنه

يقول الشيخ مجاهد محمد الصواف الذي رافق الشيخ علي الطنطاوي منذ كان في العاشرة من عمره: من أبرز سماته -رحمه الله- هدوء الشيخ وفهمه لما يجري في العالم وارتباطه العميق بالدعوة إلى الله والتزامه في ذلك بالقرآن والسنة مما مكنه من طرح موضوعاته وما يهدف إليه من نشر التوعية والدعوة بشكل يقبله

الناس. وكان كاتبا رائعا إذا أمسك القلم وإذا أراد أن يبكي أبكى، وإذا أراد أن يضحك أضحك فيجمع في أسلوبه الدعوي كل أساليب التربية، فكان يجيب عن أطنان من الرسائل ولم يكن يتحرج في الإجابة عن أي سؤال يطرح في مجتمعنا، واستطاع بحكمته ووسطيته وأسلوبه الرائع في طرح القضايا والمشكلات أن يكسب القبول من الناس جميعا..

أسلوب مميز

وقال الدكتور حسن محمد سفر أستاذ نظم الحكم الإسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة: بفقدان العلامة الشيخ علي الطنطاوي، فقد العالم الإسلامي علما من أعلام الفكر والثقافة الإسلامية وكان رحمه الله يطل على المسلمين من الشاشة أسلوب مبسط يبين فيه أحكام الإسلام ووجهة نظر المجتهدين من علماء الشريعة فيما يتعلق بالمسائل والأحكام والفتاوى وكان هذا الأسلوب الشيق مميزا يضيف إليه سماحته من الطرف والقصص ما يربط به الموضوع فتستخلص منه العبر والعظات، وقد كان هذا الأسلوب محببا لدى الشباب، فرحم الله هذه الثلة المباركة من علماء الإسلام وعوضنا في سماحته كل خير وحفظ الله علماءنا ليؤدوا الرسالة التي أنيطت بهم والحمد لله على كل حال..

موسوعة

الشيخ محمد فيصل السباعي مدير إدارة النشر بجامعة أم القرى وأحد المقربين من الشيخ الطنطاوي يقول: لقد رافقت الشيخ علي الطنطاوي في كثير من الفترات عرفت فيها حماسه وغيرته على الإسلام وعرفت فيه رمزا من رموز العلم والتعليم، عرفته رحمه الله قرابة نصف قرن، وكان عالما عاملا كثير التواضع للجميع وبخاصة في مجال الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكان رحمه الله موسوعة متنقلة وإنا لنشهد له بالخير والصلاح ولا نزكيه على ربه ونسأل الله تعالى أن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء والمثوبة ويعوض العالم الإسلامي بفقده ويلهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان وأن يسكنه فسيح جناته.

." (١)

___

"وكان ابن حزم عليها قبله لأخيه الوليد، فإنه حكى أنه تحامل على الأحوص الشاعر (١) تحاملا شديدا، فسار إلى الوليد يشكوه، وأنشد قصيدة يمتدحه بها، من جملتها:

لا ترثين لحزمي ظفرت به ... يوما، ولو ألقي الحزمي في النار

(١) مشاهير أعلام المسلمين، ص/٩٩

الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار (٢)

فقال له الوليد: صدقت (٣)، والله لقد أغفلنا حزما وآل حزم (٤).
ثم كتب بولاية عثمان بن حيان المري (٥)، وبعزل عمر (٦)، واستصفاء أموالهم، واسقاطهم جميعا من الديوان (٧).

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، لقب بالأحوص لضيق في مؤخرة عينيه، شاعر هجاء معاصر لجرير والفرزدق، وهو من سكان المدينة، توفي سنة (١٠٥ هـ) بدمشق.حاشية المغانم (٢/ ٦٦٠)، والسير (٤/ ٥٩٣)، والشعر والشعراء (ص ٢٦٢)
(٢) وفي المصادر كما سيأتي ورد البيتان بهذا اللفظ لا ترثين لحزمي رأيت به.. ضرا وإن سقط الحزمي في النار
الناخسين بمروان بذي خشب....والمقحمين على عثمان في الدار
(٣) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٤/ ١٢٧٩)
(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٨٥)، ولسان العرب (٦/ ٢٢٩) مادة (نخس) وفيه: و النخس هو الدفع والحركة
(٥) عثمان بن حيان الدمشقي أمير المدينة، ستأتي ترجمته في حرف العين وانظر البداية والنهاية (٩/ ٨٨)
(٦) في الأصل (ق / ١٩ / ب) [ابن عمر] وهو خطأ
(٧) الكامل (٤/ ٢٧٨)، والبداية والنهاية (٩/ ٨٨)." [١]

"وكان محبا للعزلة والانفراد فأعطاه الله حب العلم، والشغف بالقراءة والاطلاع، ورزقه الذكاء والذاكرة العجيبة، وسرعة الاستيعاب فلم تكن إلا سنون حتى جمع علما غزيرا متنوعا، فهو أديب، ولغوي فقيه، وعالم نفس، وهو قارئ نشيط في الطب والفلك، فسهل الله له بعلمه الطريق إلى عقول الناس..
وكان هيابا للاجتماع بالناس، فأعطاه الله القدرة على مخاطبتهم من بعيد، أي عن طريق وسائل الإعلام على اختلاف مشاربهم، وأعطاه روح الفكاهة، وحلاوة الأسلوب، والابتكار في العرض، والقدرة على الإقناع، والمرونة في الإفتاء فوصل إلى قلوب الكثيرين..
وتقول أمان علي الطنطاوي ترثي والدها الفقيد:.

---

(١) مراء المدينة حتى القرن العاشر، ص/٢٣

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا عليك يا أبتاه لمحزونون، أبتاه أنت شمس حياتنا ونور أيامنا.. أبتاه يعز علينا الفراق، ويحز في النفس غياب صوتك ووجهك، لكنك في القلب أنت في العقل أنت.. أبتاه يا نبض أيامي، أبتاه ملهم أفكاري.. أبتاه يا أحب وأغلى الناس، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته. عن مجموع محبيك يدعون لك بالرحمة والمغفرة وأن يسكنك فسيح جناته ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة، ويجمعنا معك في جنة الخلد. أبتاه ها قد لحقت ببنان التي حزنت عليها دوما ولم تذكر اسمها إلا هذا العام ولم تلح في طلبها إلا وأنت مريض بالإشارة، أشرت بإصبعك الثاني قلت لك: بنان، هززت رأسك، يا أحب الناس ها قد التقيت ببنان. جعلك الله وإياها من أهل الجنة..

قالوا عنه." (١)

" فعندما عجز الرجال من بني أمية عن جعل عمر يخاف أو يلين عن سياسته إزاءهم، لجأوا إلى عمته فاطمة بنت مروان، وكانت عمته هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقى لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجمر فنشى وقتر فقال: أي عمه أما ترثين لابن أخيك من هذا(١)؟ وتؤخذ العمة بهذا المشهد المؤثر، وتلتفت إلى عمر طالبة منه أن يستمر في الكلام واسمعوه يقول وكأنه يرسم لوحة فنية رائعة للعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام لكي يجعلها تفجر الخير والنعيم على الجميع قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه(٢) وجاء في رواية: إنها قالت لهم:.. أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا(٣)

---

(١) علي الطنطاوي، ص/١٠

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ١١٧ .

(٢) الكامل في التاريخ (٣/٢٧٠) .

(٣) المصدر نفسه (٣/٢٧١) .." (١)

"كتب ابن السماك إلى أخ له: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك، فاجعله من بالك على حالك، وخفه بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك، واعلم أن الذنب من العاقل أعظم من الأحمق ومن العالم أعظم من الجاهل وقد أصبحنا أدلاء بزعمنا والدليل لا ينام في البحر، وقد كان عيسى يقول: حتى متى تصفون الطريق للدالجين وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين تصفون البعوض من شرابكم وتسترطون الجمال بأجمالها. أي أخي كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من داع إلى الله فار من الله. وكم تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله. والسلام.

قال ابن السماك سبعك بين لحييك تأكل به كل من مر عليك، قد آذيت أهل الدور في الدور حتى تعاطيت أهل القبور، فما ترثي لهم وقد جرى البلى عليهم، وأنت ها هنا تنبشهم، إنما نرى أن نبشهم أخذ الخرق عنهم، إذا ذكرت مساويهم فقد نبشتهم، إنه ينبغي لك أن يدلك على ترك القول في أخيك ثلاث خلال: أما واحدة: فلعلك أن تذكره بأمر هو فيك فما ظنك بربك إذا ذكرت أخاك بأمر هو فيك ولعلك تذكره بأمر، فيك أعظم منه، قذلك أشد استحكاما لمقته إياك، ولعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه فهذا جزاؤه إذ عافاك. أما سمعت: ارحم أخاك واحمد الذي عافاك الحسين بن عبد الرحمن قال: كان ابن السماك يقول: من أذاقته الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

قال ا بن السماك: إن استطعت أن تكون كرجل ذاق الموت وعاش ما بعده فسأل الرجعة فأسعف بطلبه وأعطي حاجته فهو متأهب مبادر، فافعل فإن المغبون من لم يقدم من ماله شيئا ومن نفسه لنفسه.

لما حضرت ابن السماك الوفاة قال: اللهم إني وإن كنت أعصيك لقد كنت أحب فيك من يطيعك.

من الطبقة الثامنة من أهل الكوفة أبو داود الحفري عمر بن سعد." (٢)

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٣/٣١٧

(٢) مختصر صفة الصفوة، ١/٢٥٢

"وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذو زور وبهتان

فلا تغرنك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلواني ألطف من هذا قول القائل:

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا ترثي لصب متيم

ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم ومن شعره أيضا:

ماذا على الغصن (١) الميال لو عطفا ... ومال عن طرق الهجران وانحرفا

وعاد لي (٢) عائد منه إلى صلة ... حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى

صفا له القلب حتى لا يمازجه ... شيء سواه وأما قلبه فصفا

وزارني طيفه وهنا ليؤنسني ... فاستصحب النوم من جفني وانصرفا

ورمت من خصره برءا فزدت ضنى ... وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا

حكى الدجى شعره طولا فحاكمه (٣) ... فضاع بينهما عمري وما انتصفا ٢٦ (٤)

ابن الدبيثي

أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد الدبيثي، أبو العباس البيع، م ن أهل واسط، من أعيانهم حشمة وتمولا، وهو ابن عم الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي.

---

(١) المنهل: غصنه.

(٢) المنهل: وعائدي.

(٣) المنهل: فخاصمه.

(٤) الزركشي ١: ٢٦ وعقود الجمان ١: ١٥٨ والوافي ٦: ٢٨٣؛ وقد أخلت المطبوعة بكثير مما جاء في هذه الترجمة.." (١)

"٨٩ - (١)

توبة ابن الحمير

توبة بن الحمير الخفاجي، أحد المتيمين، صاحب ليلى الأخيلية ويأتي ذكرها في حرف اللام إن شاء الله تعالى ؛ كان يهوى ليلى فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه، وزوجها في بني الأولغ فكان يكثر زيارتها، فشكوه

---

(١) فوات الوفيات، ٦٢/١

إلى قومه فلم يقلع فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم، فعلمت بذلك ليلى، ثم إن قومها كمنوا له في الموضع الذي يلقاها فيه، فلما جاء خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه، فما رآها سافرة فظن لما أرادت فركض فرسه ونجا، وقال قصيدته التي منها:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها ثم إن توبة قتلته بنو (٢) عوف بن عقيل في حدود الثمانين من الهجرة، رحمه الله تعالى، فقالت ليلى **ترثيه**:

نظرت ودوني من عماية (٣) منكب ... وبطن الركاء أي (٤) نظرة ناظر منها:

وتوبة أحيى من وفاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر

---

(١) الأغاني ١٠: ٦٣، ٤: ١٩٢ والشعر والشعراء: ٣٥٦ وأمالي القالي ١: ٨٦ والسمط: ١١٩ والخزانة ٣: ٣١ والعيني ١: ٥٦٩، ٢: ٤٧، ٤: ٥٣ والمؤتلف: ٦٨، ٩٣ وأسماء المغتالين: ٢٥٠ والمحاسن والأضداد: ١٢٥.

(٢) ص: بني.

(٣) ص: غمامة.

(٤) ص: وبطن الردى من أي.." (١)

"ومن شعره في الشبابة:

وناطقة بأفواه ثمان ... تميل بعقل ذي (١) اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار ... يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه ... سوى من كان ذا طبع لطيف

فضيحة عاشق ونديم راع ... وعزة موكب ومدام صوفي وقال:

جاءت تهز اختيالا ... قد القضيب المنعم

تجر إثر خطاها ... أذيال مرط مسهم

قد أنجد الردف والخص ... ر غار لطفا وأتهم

يا ويح خصر شقي ... من جور ردف منعم

وبات بدري بصدري ... حتى إذا الصبح أنجم

---

(١) فوات الوفيات، ٢٥٩/١

ودعته وهو يبكي ... ويمزج الدمع بالدم

في موقف لو ترانا ... لكنت ترثي وترحم ٢٩٣ (٢)

أبو بكر الجرجاني

عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور؛ أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن علي الفارسي، وكان من كبار أئمة العربية،

---

(١) ص ر: ذا.

(٢) طبقات السبكي ٣: ٢٤٢ والأسنوي ٢: ٤٩١ والنجوم الزاهرة ٥: ١٠٨ ونزهة الألباء: ٢٤٨ وانباه الرواة ٢: ١٨٨ وبغية الوعاة: ٣١٠ والشذرات ٣: ٣٤٠ ومرآة الجنان ٣: ١٠١ والبلغة: ١٢٦ والزركشي: ١٩٧.." (١)

"فوا كبدا أمست رفاتا كأنما ... يلذعها بالموقدات لهيب

عشية لا عفراء منك قريبة ... فتسلو ولا السلوان منك قريب

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ... وما أعقبتها في الرياح جنوب

عشية لا خلفي مكر ولا الهوى ... أمامي ولا يهوى هواي غريب

وإني لتغشاني لذكراك فترة ... كأن لها بين الضلوع دبيب قال الأخباريون: ومات في سفرته تلك قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال، وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعا شديدا، وقالت ترثيه:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... أحقا نعيتم عروة بن حزام

فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

وقل للحبالى لا يرجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام (١) ولم تزل تنشد الأشعار وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل.

وعن أبي صالح قال: كنت مع ابن عباس يعرفه، فأتاه فتيان يحملون فتى لم يبق إلا خياله، فقالوا: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى له. قال: وما به؟ فقال الفتى (٢) :

بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب قال: ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات،

---

(١) فوات الوفيات، ٣٦٩/٢

فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى في عيشته إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى، قال: وسألت عنه فقيل لي: هذا عروة بن حزام.

---

(١)

روايته في الديوان: ٣٧ - ٣٨: فلا وضعت أنثى تماما بمثله ... ولا فرحت من بعده بغلام وقد سقط البيت من المطبوعة. (٢) الديوان: ٣١.." (١)

"ما زاغ عن نهج الصواب مشبه ... منك الجبين بشمعة في المجلس

أنسيت ليلتنا وقد أخذ السكري ... بزمام هاتيك العيون النعس

إذ قلت أين الراح قلت مغالطا ... يغنيك عنها رشف ثغري الألعس

فضممت منك إلي عصنا لم يكن ... دون الغلائل بالحمائل مكتسي

يا حسنها من ليلة ما شانها ... إلا تبلج صبحها المتنفس

فوقت للرقباء فيها أسهما ... من مقلتيك لها حواجبك القسي

" ما كنت أطمع قبلها في مثلها ... فأعدتني من مثلها لم أيأس " (١) وقال رحمه الله تعالى:

تولهي بك شيء عنك غير خفي ... فراقب الله في الهجران لي وخف

واعدل عن الظلم واعدل في النفوس ولا ... تجر على المستهام المغرم الدنف

يا رائشا أسهما من لحظ ناظره ... فوق فغير فؤادي ليس من هدف

سبحان معطيك خصرا غير مختصر ... لي في العذاب وعطفا غير منعطف

إذا شكوت لترثي لي وترحم ما ... تراه من جسمي المضنى ومن كلفي

يردني آيسا من ذاك عارضك ال ... لامي و المنثني من قدك الألفي

أحبابنا بنواحي الغوطتين سقى ... ربوعكم وابل من أدمعي الذرف

قد كنت قبل النوى أشكو الصدود فوا ... لهفي على الصد يومي ذا ويا أسفي

ملاعب كم بها من شادن غنج ... حلو الشمائل معسول اللمى ترف

محجب بالتجني والدلال رخي؟ ... م اللفظ أحور مطبوع على صلف

بخده كل ما بالورد من ضرج ... وقده كل ما بالبان من هيف وقال أيضا:

---

(١) فوات الوفيات، ٤٤٩/٢

(١) لم يرد في ص، وهو ثابت في المطبوعة والزركشي.." (١)

"قد أتاني الله بالفرج ... إذ دنا مني أبو الفرج

قمر قد حل بالمهج ... كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي ... ظنه من حره شررا

نصب العينين لي شركا ... فانثنى والقلب قد ملكا

أنت جيت من أرض اندلس ... نحو مصر تعشق القمرا؟ والموشحة التي لشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في هذا الوزن وهي:

قمر يجلو دجى الغلس ... بهر الأبصار مذ ظهرا

آمن من شبهة الكلف ... ذبت في حبيه بالكلف

لم يزل يسعى إلى تلف ... بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس ... نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا ... كيف لا ترثي لمن بليا

فبثغر منك قد جليا ... قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس ... جد فما أبقيت مصطبرا

بدر تم في الجمال سني ... ولهذا لقبوه سني

قد سباني لذة الوسن ... بمحيا باهر حسن

هو خشفي وهو مفترسي ... فارو عن أعجوبتي خبرا

لك خد يا أبا الفرج ... زين بالتوريد والضرج

وحديث عاطر ال أرج ... كم سبى قلبا بلا حرج

لو رآك الغصن لم يمس ... أو رآك البدر لاستترا." (٢)

"فيا لها ليلة قضيتها عجبا ... الشمس مغتبقي والبدر معتنقي وكتب إليه علاء الدين ابن غانم من حصن صهيون:

---

(١) فوات الوفيات، ٦٥/٤

(٢) فوات الوفيات، ٧٧/٤

إليك شهاب الدين نشكو متاعبا ... فأنت الذي ما زلت ترثي لمن شكا

إلى الله نشكو حصن صهيون إننا ... إلى الرفق فيها لم نجد قط مسلكا

لتغييره وجه الوجود مقطب ... عليه وعين الشمس زالت من البكا

أصم صراخ الرعد فيه مسامع ال ... برايا وستر البرق وجدا تهتكا فأجابه شهاب الدين رحمهما الله تعالى:

ألم يكفني شوق إليه وأدمع ... عليه إذا ما جادت الغيث أمسكا

وأني مذ فارقت – لا ذقت بعده – ... محياه لم أصحب حميما سوى البكا

إلى أن شكا حالا غدوت لحملها ... أكابد من همي به فوق ما شكا

وحرك أشجاني على أن في الحشا ... لها باعثا (١) من نفسها ومحركا

فيا نازحا أودى بقلبي ولم يزل ... بإخلاصه في حبه متمسكا

وحقك لو عاينت ما في جوانحي ... لساءك أو ما في ضميري لسركا

جوى لو غدا في حصن صهيون بعضه ... تزلزل أو أخني عليه تدكدكا

وتوحيد وجد لو تقسم لم تجد ... على الأرض في دين المودة مشركا

فصبرا، على أني وقد غبت رمته ... فلم ألق نحو الصبر بعدك مسلكا

فهل هو إلا البرق أومض موهنا ... لديك ليحكي نار وجدي فما حكى

أو القطر يهمي وهو مذ شطت النوى ... رأى عبرتي تجري فمثلها لكا

أو الشمس أخفت وجهها عنك كي ترى ... وقد غبت عني وحشة الأفق بعدكا

عساك ترى الرأي الموفق بعدها ... فإن الذي أغراك من قبل غركا وكتب إلى الشيخ علاء الدين ابن غانم:

---

(١) ص: باعث.." (١)

". بنو أمية يرسلون عمة عمر بن عبد العزيز:

فعندما عجز الرجال من بني أمية عن جعل عمر يخاف أو يلين عن سياسته إزاءهم، لجأوا إلى عمته فاطمة بنت مروان، وكانت عمته هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقى لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما

---

(١) فوات الوفيات، ٩٤/٤

منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجمر فنشى وقتر فقال: أي عمه أما ترثين لابن أخيك من هذا (١)؟ وتؤخذ العمة بهذا المشهد المؤثر، وتلتفت إلى عمر طالبة منه أن يستمر في الكلام واسمعوه يقول وكأنه يرسم لوحة فنية رائعة للعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام لكي يجعلها تفجر الخير والنعيم على الجميع قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه (٢) وجاء في رواية: إنها قالت لهم: .. أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا (٣)

. تلاشي المعارضة الجماعية لابني أمية:

وسرعان ما تلاشت السمة الجماعية لمعارضة بني أمية بعد ما رأوا من جد عمر إزاء أموال الأمة وقالوا: ليس بعد هذا شيء (٤). ومن ثم أخذ كل منهم يسعى على إنفراد ليسترد ما يستطيع استرداده من الأموال، ولكن عمر الذي وقف تجاه رغباتهم مجتمعين، أحرى به الآن أن يتصدى لكل واحد منهم على انفراد ويعلمه أن حق الأمة لا يمكن أن يكون موضع مساومة في يوم من الأيام (٥).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١١٧.

(٢) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٧٠).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٧١).

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص٥٨، ٥٩، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ص١١٩.

(٥) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر ص١١٩.." (١)

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١٣٣/٢

"حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: حدثنا هارون بن أبي بردة قال: حدثنا نصر بن مزاحم قال: وفي حديث عمر بن سعيد، عن فضيل بن خديج، عن إبراهيم بن يزيد، عن علقمة بن قيس قال: " دخلت على علي في نفر من النخع، حين هلك الأشتر. فلما رآني قال: لله مالك! لو كان جبلا لكان من جبل فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا! مثل مالك فلتبك البواكي! فهل موجود كمالك؟! فوالله ما زال متلهفا عليه ومتأسفا حتى رأينا أنه المصاب دوننا.

وقالت سلمى أم الأسود بن الأسود النخعي ترثي مالكا:

نبا بي مضجعي ونبا بي وسادي ... وعيني ما تهم إلى رقادي

كأن الليل أوثق جانباه ... وأوسطه بأمراس شداد

أبعد الأشتر النخعي نرجو ... مكاثرة ونقطع بطن واد؟

أكر إذا الفوارس محجمات ... وأضرب حين تختلف الهوادي

فقال المثنى يرثيه:

ألا ما لضوء ا لصبح أسود حالك ... وما للرواسي زعزعتها الدكادك

وما لهموم النفس شتى شؤونها ... تظل تناجيها النجوم الشوابك

على مالك فليبك ذو الليث معولا ... إذا ذكرت في الفيلقين المعارك

إذا ابتدر الخطى وانتدب الملا ... وكان غياث القوم نصر مواشك

إذا ابتدرت يوما قبائل مذحج ... ونودي بها أين المظفر مالك؟

فلهفي عليه حين تختلف القنا ... ويرعش للموت الرجال الصعالك

ولهفي عليه يوم دب له الردى ... وذيف له سم من الموت حانك

فلو بارزوه يوم يبغون هلكه ... لكانوا بإذن الله ميت وهالك

ولو مارسوه مارسوا ليث غابة ... له كالتي لا ترقد الليل، فاتك

فقل لابن هند: لو منيت بمالك ... وفي كفه ماضي الضريبة باتك

لألفيت هندا تشتكي علن الردى ... تنوح وتحبوها النساء العواتك

واستخلف الأشتر على مصر حمام بن عامر اللخمي أبا الأكدر ابن حمام، وكان الأكدر وأبوه من شيعة علي، وحضرا الدار جميعا.

٦ – محمد بن أبي بكر الصديق

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق، من قبل أمير المؤمنين علي، وجمع له صلاتها وخراجها. فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطته عبد الله بن أبي حرملة البلوي.

فذكر بعض أشياخ مصر: أن قيسا لقي محمد بن أبي بكر فقال له: إنه لا يمنعني نصحي لك ولأمير المؤمنين عزله إياي، ولقد عزلني من غير وهن ولا عجز، فاحفظ عني ما أوصيك به، يدم صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبي أرطاة ومن ضوى إليهم عرى ما هم عليه، تكفهم عن رأيهم؛ فإن أتوك ولم يفعلوا، فاقبلهم، وإن تخلفوا عنك فلا تطلبهم؛ وانظر هذا الحي من مضر، فأنت أولى بهم مني: فألن لهم جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك؛ وانظر هذا الحي من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه، يكفوا عنك شأنهم؛ وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم؛ وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك؛ ولن تفعل، إنك والله ما علمت لتظهر الخيلاء، وتحب الرياسة، وتسارع إلى ما هو ساقط عنك؛ والله موفقك.

فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس. فكتب إلى ابن حديج والخارجة معه، يدعوهم إلى بيعته، فلم يجيبوه. فبعث بأبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى دور الخارجة، فهدمها، ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم. فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب، وهموا بالنهوض إليه. فلما علم أنه لا قوة له بهم، أمسك عنهم.." (١)

"ونقلت من خطه أيضا لبثينة صاحبة جميل ترثيه (١) :

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها وكان كثيرا ما ينشد:

قالوا نفوس الدار سكانها ... وأنتم عندي نفوس النفوس وأماليه (٢) وتعاليقه كثيرة، والاختصار بالمختصر أولى.

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريبا بأصبهان، وتوفي ضحوة نهار الجمعة - وقيل: ليلة الجمعة - خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية، ودفن في وعلة، وهي مقبرة داخل السور عند الباب الخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره.

ووعلة: بفتح الواو وسكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء، ويقال: إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصري، صاحب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل غير ذلك، رحمه الله تعالى.

---

(١) ولاة مصر، ص/٧

قلت: وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية، من جملتهم: الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٣) ، محدث مصر في زمانه، يقولون في مولد الحافظ السفلي هذه المقالة. ثم وجدت في كتاب زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوي (٤) الإسكندري، أن

---

(١) انظر الأغاني ٨: ١٥٥.

(٢) قبل هذه الكلمة في د: وكان قد كتب الكتب كثيرا.

(٣) يعتمد عليه المؤلف كثيرا، وللمنذري عدة مؤلفات منها الترغيب والترهيب، والتكملة لوفيات النقلة، وتوفي بمصر سنة ٦٥٦ (انظر طبقات السبكي ٥: ١٠٨ والبداية والنهاية ١٣: ٢١٢ والفوات ١: ٦١٠).

(٤) الصفراوي: نسبة إلى وادي الصفراء بالحجاز، وهو فقيه مالكي توفي سنة ٦٣٦ (انظر غاية النهاية ١: ٣٧٣).." (١)

"من خراسان هدية جليلة فيها جوار فيهن جارية يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب وأجادت قول الشعر وحذقت الغناء وقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه، فوجد عليها مرة فهجرها أياما، وبكرت عليه فقال: يا علي قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة وصالحتها وصالحتني، قلت: خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك، إنما هي عبدتك والرضى والسخط بيدك، فو الله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت: يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة، فقال: قم بنا يا علي ننظر ما تصنع، فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب العود وتغني:

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية ... ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني قال: فصاح أمير المؤمنين وصحت معه، فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه تقبلهما، فقال: ما هذا قالت: يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك رضيت عني فتعللت بما سمعت، قال: وأنا والله رأيت مثل ذلك، فقال لي: يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا

---

(١) وفيات الأعيان، ١٠٦/١

إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك؛ قال: وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان، فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينة باكية، فدعاها يوما وأمرها أن تغني فاستعفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت.

أي عيش يلذ لي ... لا أرى فيه جعفرا كل من كان في ضنى وسقام فقد برا ...

غير محبوبة التي ... لو ترى الموت يشترى

لاشترته بما حوته ... يداها لتقبرا ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه **وترثيه** حتى ماتت، رحمها الله تعالى.." (١)

"الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبدالرحمن أين غاب عنك حلم أبي قال غاب عني حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت قال أبو مخنف قال عبدالملك بن نوفل كانت عائشة تقول لولا أنا لم تغير شيئا إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا قال أبو مخنف وحدثني عبدالملك بن نوفل عن سعيد المقبري أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله عليها فاستأذن عليها فأذنت له فلما قعد قالت له يا معاوية ما يأمنك أن أخبأ لك من يقتلك قال بيت الأمن دخلت قالت يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه قال لست أنا قتلتهم إنما قتلهم من شهد عليهم قال أبو مخنف حدثني زكرياء بن أبي زائدة عن أبي إسحاق قال أدركت الناس وهم يقولون إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد قال أبو مخنف وزعموا أن معاوية قال عند موته يوم لي من ابن عدي ثلاث مرات يعني حجرا قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن قال أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجرا ويلا له من حجر مرتين وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصارية وكانت تشيع **ترثي** حجرا ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجرا يسير يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الأمير تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير وأصبحت البلاد بها محولا كأن لم يحيها مزن مطير ألا يا حجر حجر بني

---

(١) وفيات الأعيان، ٣٥٦/١

عدي تلقتك السلامة والسرور أخاف عليك ما أردى عديا وشيخا في دمشق له زئير يرى قتل الخيار عليه حقا له من شر أمته وزير ألا يا ليت حجرا." (١)

"مات موتا ولم ينحر كما نحر البعير فإن تهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير وقالت الكندية ترثي حجرا ويقال بل قائلها هذه الأنصارية دموع عيني ديمة تقطر تبكي على حجر وما تفتر لو كانت القوس على أسره ما حمل السيف له الأعور

تاريخ الطبري ج: ٣ ص: ٢٢٨-٢٣٢

قلت : وهذه الرواية مملوءة بالمغالطات والأكاذيب ، وهي من ترهات أبي مختف لوط بن يحيى ، ولا يكمن أن يصدقها عاقل ، صحيح أن بعض ما فيها مما اتفق الرواة على نقله لكن قول زياد عن هؤلاء الترابية نسبة إلى أبي تراب علي – رضي الله عنه – فكذب مفضحوح ، وطلب معاوية منهم التبري من علي وسبه ، وكذلك قول بعضهم في عثمان رضي الله عنه وقول الحسن البصري في معاوية وهكذا يفعل هذا الأفاك الأشر يأتي ببعض الحق ويدخل أكاذيبه وسمومه به

قال ابن أبي حاتم في الجرح :

١٠٣٠ لوط بن يحيى أبو مخنف روى عن صقعب بن زهير ومجالد بن سعيد روى عنه أبو زهير عبد الرحمن بن مغراء سمعت أبي يقول ذلك نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول أبو مخنف ليس بثقة نا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول أبو مخنف متروك الحديث وفي الميزان ٦٩٩٨ ٦٨٣٢ لوط بن يحيى أبو مخنف أخباري تالف لا يوثق به تركه ابو حاتم وغيره وقال الدارقطني ضعيف وقال ابن معين ليس بثقة وقال مرة ليس بشيء وقال ابن عدي شيعي محترق صاحب أخبارهم قلت روى عن الصعق بن زهير وجابر الجعفي ومجالد روى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء مات قبل السبعين ومائة

وفي الإصابة :." (٢)

"وخبرني بكلام تكلمت به عشيقته لما قتل، تصفه به فيه: ما وجدتم حجزته جافية، ولا عانته وافية، ولا ضالته كافية.

الضالة : قوس من شجر الضال، وكافية: معوجة. ومن قوله أنشدني ابن أبي خيثمة هذا الشعر له:

---

(١) مقتل حجر بن عدي، ص/٨

(٢) مقتل حجر بن عدي، ص/٩

كل امريء بطوال العيش مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وكل من حج بيت الله من رجل ... مؤد فمدركه الولدان والشيب

وكل حي وإن طالت سلامتهم ... يوما طريقتهم في الموت دعبوب

بينا الفتى ناعم راض بعيشته ... تيح له من نوازي الدهر شؤبوب

وجنوب أخته شاعرة محسنة، وفيه تقول **ترثيه**:

سألت بعمرو أخي صحبه ... فأفظعني حين ردوا السؤالا

أتيح له نمرا أجبلفنالا لعمرك منه منالا

فأقسم يا عمرو لو نبهاك ... إذن نبها بك داء عضالا

إذن نبها ليث عريسة ... مفيدا مفيتا نفوسا ومالا

١١ – عمرو بن هميل اللحياني الهذلي: من قوله:

ألا من مبلغ الكعبي عني ... رسولا أصلها عندي ثبيت

١٢ – عمرو بن الحر بن منيغ بن سعنة الضبي، مدح أباه فقال:

أبي مدح الأدم الهجان كأنها ... ظباء الشقيق زينتها الصرائم

فمن يأتها من عائل يلق كسوة ... ومن يأتها من جائع فهو طاعم

١٣ – عمرو بن أبير التميمي السعدي، من قوله:

بني أسد إنا تركنا سراتكم ... غداة التقينا حولها الطير تحجل

ونحن طعنا معقلا فكأنما ... هوى من هواء يوم ذلك معقل

فظل مكبا والكتيبة حوله ... يمج دما منه نياط وأبجل

١٤ – عمرو بن أسود الضبي القائل:

لهف نفسي على جناب إذا ما ... دعي النكس للطعان فهابا

١٥ – عمرو بن أسود بن عبد الله بن سعيدة التميمي الطهوي، يقول:

بشرقي سلمى من أميمة منزل ... قديم كعنوان الصحيفة طاسم

١٦ – عمرو بن عدي بن زيد العبادي التميمي المرئي، شاعر، وهو صاحب النعمان بن المنذر الذي سعى إلى كسرى أبرويز في قتله متئرا بأبيه، وهو الذي قال له وقد صار إلى باب كسرى فرآه واقفا فقال: لئن سلمت لألحقنك بأبيك. فقال له عمرو: امض نعيم فقد أخيت لك آخية لا يقلعها المهر الأرن: والإرن:

المرح والنشاط. فما أدخل على كسرى أرخيت الستور في وجهه، وكان لا يقتل من عاينه فكلمه ثم أمر به إلى الحبس، فحبس بخانقين، ثم أمر بإلقائه تحت الفيلة فوطئته فقتلته، حدثني بذلك أبو جعفر أحمد بن عبيد. وقد قال الأعشى يذكر النعمان:

هنالك ما أنجاه عزة ملكه ... بساباط حتى مات وهو محزرق

وقال فيه آخر: يريد كسرى:

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه ... بطون الفيول جوف بيت مسودب

١٧ - عمرو بن موهبة بن جرول النهشلي الذي يقول:

كفرت عسى أن يجمع الله بيننا ... على مثلها والخيل تعدو ثقالها

١٨ - عمرو بن ودعان العكلي، هو الذي يقول وأغارت عليه بنو عبس فأخذوا زبيبة أمته السوداء أم عنترة بن شداد العبسي الفارس:

زبيبة ثأركم يا آل عبس ... وحقكم على بطل خليع

خذلت بها ابن مخروم برمحي ... وأولى لابن فاطمة الربيع

ولو أدركته لجرى إليه ... برمحي ناجز الموت السريع

الربيع بن زياد العبسي: ١٩ - عمرو البختري بن طرفة بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن جعدة، وهو البختري الجعدي. من قوله:

كأن ديار الحي من طول عهدها ... بناصفة البردين أخلاق سندس

أسائلها فاستعجمت عن كلامنا ... وعيت جواب السائل المتنحس

وهو القائل لامرأته، أنشده الأصمعي: ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه، ليس بأنزعا." (١)

"منها: أنه من الألس، وهو اختلاط العقل.

ومنها: أنه من الألس وهو الخديعة.

وثالثها: وهو الأرجح: أنه من قولهم رجل أليس: إذا كان شجاعا لا يفتر؛ قال العجاج: من الرجز

أليس عن حوبائه سخي

وإلياس عمود النسب المحمدي، ثم تزوج بخندف، واسمها ليلى أو سلمى بنت حلوان بن إلحاف بن قضاعة، فولد له منها ثلاثة أولاد: عمرو، وعامر وعمير، فنشئوا وشبوا في حياة والديهم، فاعترضت ذات يوم

---

(١) من إسمه عمرو من الشعراء، ص/٣

أرنب في إبل إلياس فنفرت، فخرج عمرو وعامر وأبوهما إلياس، فأدرك عمرو الإبل فردها، فلقب مدركة، ولحق عامر الأرنب فذبحها وطبخها، فلقب طابخة، وأما عمير، فلم يخرج من البيت وانقمع فيه – أي: أقام – فلقب قمعة: فلما أقبل هو وابناه عمرو وعامر إذا بأمهما سلمى تمشي فقال لها: إلى أين تخندفين؟ فقالت: ما زلت أخندف في أثركم، فلقبت خندفا، ثم أطلقوا هذا اللفظ على القبيلة؛ كما هو المعتاد في إطلاق اسم جد القبيلة عليها نفسها؛ قالت هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي **ترثي** أباها حين قتل يوم بدر: من التقارب

أيا عين بكى بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب

تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حد أسيافهم ... يجرونه عاريا قد سلب

ذكره ابن هشام في سيرته.

والخندف: مشية فيها تمدد وتعطف بنوع بطر وإسراع.

ثم ولد لمدركة خزيمة، تصغير واحدة الخزم، وهو مثل الدوم يتخذ من سعفه الحبال. وتصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثم لا يأكله الناس، ولكن تتألفه الغربان وتستطيبه.

ثم ولد لخزيمة كنانة، ثم تزوج كنانة برة بنة مر أخت تميم بن مر؛ ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف، فأولدها النضر، ثم تزوج النضر هندا بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان؛ فأولدها مالكا، ثم تزوج مالك جندلة بنت الحارث الجرهمي، فأولدها فهرا، وهذا قيل هو لقب له، والفهر من الحجارة الطويلة، وما يملأ الكف، وأما اسمه فقريش، وقيل: بل اسمه فهر، ولقبه قريش.

أقول: قال في بحر الأنساب: فما فوق فهر إلى النضر لا يكون قرشيا، وما دونه قرشي. وقيل: إن قريشا لقب للنضر؛ فعلى هذا ما فوق فهر إلى النضر قرشي، وهو الذي رجحه النووي تبعا لكثيرين.

واشتقاق قريش: من التقرش، وهو التكسب؛ لأنهم أرباب تجارة واكتساب، وقيل: من التقريش، وهو التجميع؛ لتجمعهم وتحيزهم بمكة ونواحيها، ويقال: منه اشتقاق القرش؛ للمعاملة المعروفة؛ لأنه قطعة من الفضة مجتمعة، هذا إن كان اللفظ فيه بالقاف، فإن كان بالغين – كما قد يسمع – فلا اشتقاق.

وقيل: من القرش اسم دابة شديدة بالبحر؛ قال أبو أمية الجمحي: من الخفيف

وقريش هي التي تسكن البح ... ر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تت ... رك منها لذي الجناحين ريشا

هكذا في الوجود حي قريش ... يأكلون الأنام أكلا كريشا
سلطت بالعلو في لجة البح ... ر على سائر البحور جيوشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
ثم ولد لفهر غالب. ثم ولد لغالب لؤي. قال السهيلي في روضه: وهو تصغير اللأي وهو الثور؛ الوحشي وأنشد: من الكامل
يعتاد أدحية بقين بقفرة ... ميثاء يسكنها اللأي والفرقد
وقال بعضهم: اللأي: البقرة الوحشية؛ قال: وسمعت أعرابيا يقول لآك هذه بكم؟ وأنشد في وصف فلاة: من الطويل
كظهر اللأي لو تبتغي رية بها ... نهارا لأعيت في بطون الشواجن
والشواجن: شعب الجبال: والرية: مقلوب ورية من ورى الزند، وهي الحراق الذي يشعل به الشرر من الزناد. ثم ولد للؤي كعب، أمه سلمى بنت محارب؛ وهذا كعب أول من سمى يوم الجمعة، وكان يسمى يوم العروبة؛ فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد قوله: من البسيط
يا ليتيني شاهد فحواء دعوته ... إذا قريش تبغى الحق خذلانا
وقد ذكر الماوردي هذا الخبر، عن كعب في كتاب الأحكام السلطانية.." (١)

"وأما السقاية: فإسقاء الحجيج كلهم الماء العذب، وكان عزيزا بمكة يجلب إليها من خارجها؛ فيسقيه الحجاج، وينبذ لهم فيه التمر والزبيب.
وأما الرفادة: وذلك إطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الأسمطة في أيام الحج.
وكانت السقاية والرفادة مستمرين إلى أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين.
قال التقي الفاسي، رحمه الله: إن الرفادة كانت في زمن الجاهلية وصدر الإسلام واستمرت إلى أيامنا.
قال: والطعام يصنع بأمر السلطان كل عام للناس بمنى حتى ينقضي الحج.
قال العلامة قطب الدين: وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك.
قال في الأرج المسكي في التاريخ المكي: وكانت الخلفاء قائمين بالرفادة إلى أن كان زمن معاوية؛ فجعل لها محلا معينا بمكة يطبخ فيه الطعام للقادمين علينا جميع السنة.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٧٣/١

وأما السقاية: فكانت إلى العهد القريب؛ لكن لا ينبذ فيها إلا نادرا، ثم انقطعت من قرب لعدم الحاجة إليها؛ لكثرة وجود الماء بمكة، ولله الحمد والمنة.

ولم تزل هذه المناصب في أيدي أولاد قصي إلى أن جاء الله بالإسلام، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح عام ثمان من الهجرة، وقد صارت الحجابة إلى عثمان بن أبي طلحة من بني عبد الدار، وصارت السقاية إلى العباس بن عبد المطلب، فقبض النبي صلى الله عليه وسلم على السقاية والحجابة، فقام العباس فبسط يده، وقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، اجمع لي الحجابة إلى السقاية، فقال صلى الله عليه وسلم: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون به، فقام بين عضادتي باب الكعبة فقال: ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين، إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة، فإني قد أمضيتها لأهلهما على ما كانتا عليه في الجاهلية.

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة والسقاية، مفتاحك يا عثمان؛ إن اليوم يوم بر ووفاء، وقد أنزلت تلك الآية المشهورة في سورة النساء، وهي قوله تعالى: " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمنت إلى أهلها " النساء فقال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم ما استقمتم إلا ضال أو ظالم.

قال في الأرج المسكي: كان لمكة ولاة من أهل الجاهلية، وعدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ومنفصلة، فمنهم المسمون بأبي جاد، وهوز، وحطي، وكلمن، وهو الأعظم، وسعفص وقريشات، وهم بنو المحض بن جندل. فأبجد: كان ملك مكة وما يليها من الحجاز، وهوز وحطي ملكين ببلاد وج، وهي أرض الطائف وما اتصل به من أرض نجد، وكلمن وسعفص وقريشات كانوا ملوكا بمدين، وقيل ببلاد مضر، وكان كلمن وحد على بلاد مدين.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعروة بن الزبير؛ أنهما قالا: أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أد بن أدد. أسماؤهم: أبجد، وهوز، وحطي، وكلمن، وسعفص، وقرشت، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم، ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم، وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين، فسموها الروادف، يريد: ثخذ ضظغ.

وروى أن هذه الكلمات من أسماء الشياطين.

وروى: أنها أسماء لملوك مدين فقط، وأن رئيسهم كلمن، وأنهم هلكوا يوم الظلمة المذكور في الكتاب العزيز وهم قوم شعيب على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام فقالت أخت كلمن **ترثيه**: من

مجزوء الرمل

كلمن هدم ركنى ... هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه ال ... حتف نارا وسط ظله

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم كذلك: من الطويل

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة ... سبقت بها عمرا وحي بني عمرو

ملوك بني حطي وهوز منهم ... وسعفص أهل في المكارم ذي الغمر

هم صبحوا أهل الحجاز بغارة ... كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر

وذكر ابن الجوزي في المضحكات: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لقي أعرابيا فقل له: هل تحسن أن تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال له: فاقرأ أم القرآن، فقال الأعرابي: والله، ما أحسن البنات، فكيف الأم؟! قال: فضربه، ثم سلمه إلى معلم، فمكث فيه حينا، ثم هرب وأنشأ يقول: من الوفر." (١)

"وفي صحيح البخاري: عن سلمان الفارسي؛ أنه قال: فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة، ومن إبراهيم إلى نوح ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة، ومن نوح إلى آدم ألف سنة.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صار ابن شهرين، كان يتزحلق مع الصبيان في كل جانب، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفي أربعة أشهر كان يسمك الجدار ويمشي، وفي خمسة أشهر حصل له قدرة على المشي، ولما تم له ستة أشهر، كان يسرع في المشي، وفي سبعة أشهر كان يسعى ويعدو إلى كل جانب، ولما مضى عليه ثمانية أشهر، كان يتكلم بحيث يفهم كلامه، وفي تسعة أشهر تكلم بكلام فصيح، وفي عشرة أشهر كان يرمي السهام؛ كذا في شواهد النبوة.

قال في المواهب: وخرج أبو نعيم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سري لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار بشر بعضها بعضا، وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض، ونداء في السماء؛ أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا.

ولما تم من حملها شهران، توفي عبد الله؛ كما تقدم ذكره.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٨٢/١

وقالت آمنة ترثي عبد الله والده عليه الصلاة والسلام: من الطويل

عفى جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم

دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم

فإن تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

ومن شعر عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا – عليه الصلاة والسلام – نقله الصفدي في ترجمته، وذكره خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي في كتابه مسالك الحنفا في حكم إيمان والدي المصطفى قوله: من الطويل

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلا على سائر الأرض

وأن أبى ذو المجد والسؤدد الذي ... يسار به ما بين نشز إلى خفض

وجدي وآباء له أثلوا العلا ... قديما بطيب العرض والحسب المحض

قال القطب النهرواني في بعض تذاكره، ومن خطه نقلت: قد ذيل على هذه الأبيات صاحبنا العلامة الشيخ عبد النافع بن محمد بن عراق بيتين على لسان عبد الله ابن عبد المطلب فقال: من الطويل

وقد جاء من صلبي نبي معظم ... يشفعه الرحمن في موقف العرض

وما لنبي غيره مثل فخره ... فهل مثل هذا المجد في الطول والعرض

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : لما توفي عبد الله، قالت الملائكة: إلهنا وسيدنا ومولانا، بقي نبيك يتيما، فقال الله تعالى: أنا حافظ له ونصير، وقيل لجعفر الصادق: لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه؟ فقل: لئلا يكون عليه حق لمخلوق؛ نقله عنه أبو حيان في البحر.

وروى أبو نعيم، عن عمرو بن قتيبة؛ قال: سمعت أبي وكان من أوعية العلم، قال: لما حضرت ولادة آمنة، قال الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا: ليحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم.." (١)

"وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة، ترثي أباها يوم بدر: من المتقارب:

أعيني جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب

تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب

يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب

يجرونه وعفير التراب ... علي وجهه عاريا قد سلب

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١٢٣/١

وكان لنا جبلا راسيا ... جميل المراة كثير العشب

فأما بري فلم أعنه ... فأوتي من خير ما يحتسب

وقالت هند - أيضا - : من الطويل:

يريب علينا دهرنا فيسوءنا ... ويأبى فما نأتي بشيء يغالبه

أبعد قتيل من لؤي بن غالب ... يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه

ألا رب يوم قد رزئت مرزأ ... تروح وتغدو بالجزيل مواهبه

فأبلغ أبا سفيان عني مألكا ... فإن ألقه يوما فسوف أعاتبه

فقد كان حرب يسعر الحرب؛ إنه ... لكل امرئ في الناس مولى يطالبه

قال ابن إسحاق: وقالت - أيضا - : مجزوء الكامل:

لله عينا من رأى ... هلكا كهلك رجاليه

يا رب باك لي غدا ... في النائبات وباكيه

كم غادروا يوم القلي ... ب غداة تلك الواعيه

من كل غيث في السني ... ن إذا الكواكب خاويه

قد كنت أحذر ما أرى ... فاليوم حق جذاريه

قد كنت أحذر ما أرى ... فأنا الغداة مواميه

بل رب قائلة غدا: ... يا ويح أم معاويه

وقالت أيضا: من الرجز:

يا عين بكي عتبه ... شيخا شديد الرقبه

يطعم يوم المسبغبه ... يدفع يوم المغلبه

إني عليه حربه ... ملهوفة مستلبه

لنهبطن يثربه ... بغارة منثعبه

فيها الخيول مقربه ... كل جواد سلهبه

وقالت صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس؛ تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش - : من البسيط:

يا من لعين قذاها عائر الرمد ... حد النهار وقرن الشمس لم يقد

أخبرت أن سراة الأكرمين معا ... قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد

وفر بالقوم أصحاب الركاب ولم ... تعطف غداتئذ أم على ولد

قومي صفي ولا تنسى قرابتهم ... وإن بكيت فما تبكين من بعدك

كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت ... فأضبح السقف منها غير ذي عمد

وقالت صفية - أيضا - : من الهزج:

ألا يا من لعين للت ... تبكي دمعها فان

كغربي دالج يسقي ... خلال الغيث الدان

وما ليث غريف ذو ... أظافير وأسنان

أبو شبلين وثاب ... شديد البطش غرثان

كحبي إذ تولى و ... وجوه القوم ألوان

وبالكف حسام صا ... رم أبيض ذكران

وأنت الطاعن النجلا ... ء منها مزبد آن

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب، **ترثي** عبيدة بن الحارث بن المطلب: من الطويل:

لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذل." (١)

"قد كنت أخبؤه ليوم ملمة ... واليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال مروان: هي والله القائلة - أيضا - يا أمير المؤمنين: من الكامل:

أترى ابن هند للخلافة مالكا ... هيهات ذاك وإن أراه بعيد

منتك نفسك في الخلاء ضلالة ... أقوال عمرو والشقي سعيد

وقال سعيد بن العاص: هي والله القائلة أيضا: من الكامل:

قد كنت أرجو أن أموت ولا أرى ... فوق المنابر من أمية خاطبا

الله أخر مدتي فتطاولت ... حتى رأيت من الزمان عجائبا

فقالت: يا معاوية، إن هؤلاء جماعة حسنة، وأنا والله القائلة هذا جميعه، وما خفي عنك أكثر، فضحك

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢٧٧/١

معاوية، وقال لها: ليس يمنعنا ذلك من أداء حقك، وقضاء حوائجك، فما كان لك من حاجة فأبديها، قالت: أما في المجلس فلا، وانصرفت، فأرسل خلفها واسترضاها، وأعطاها عشرة آلاف درهم.
وعن سهل التيمي قال: حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة يقال لها: دارمة الحجازية الكنانية، فأخبروه بسلامتها، فأمر بإحضارها، فلما حضرت، وكانت سوداء، فقال لها: كيف أنت، يابنة حام؟ قالت: لست بابنة حام، إنما أنا امرأة من بني كنانة، قال: أتدرين لم أرسلت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: أردت أن أسألك لم أحببت عليا وأبغضتني وواليته وعاديتني. قالت: أحببت عليا؛ لعدله في الرعية وقسمته بالسوية، وأبغضتك؛ لقتالك من هو أولى بالخلافة منك، وطلبك ما ليس بحق لك. وواليت عليا؛ لما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية، ولحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك بسفك الدماء، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى. فقال لها معاوية: ورأيت عليا. قالت: نعم، قال: كيف رأيته؟ قالت: رأيته ما فتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك، قال: فهل سمعت من كلامه شيئا. قالت: نعم، كان كلامه يجلو القلوب من العمى؛ كما يجلو القين الصدى، قال: فهل لك من حاجة؟ قالت: نعم، أعطني مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاتها، قال: فما تصنعين بها؟ قالت: أغذي بلبنها الصغار، وأستحيي بها الكبار، وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر، قال: فإذا دفعتها لك، أكون عندك في منزلة علي. قالت: لا والله، فقال معاوية: من الطويل:
إذا لم أجد بالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم؟!
خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم
ثم قال لها: والله لو كان علي حيا ما أعطاك منها ناقة، قالت: لا والله، ولا وبرة؛ لأنها من مال المسلمين.
واستأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية، فأذن لها، فدخلت وسلمت، وكان عليها ثلاثة دروع تسحب خلفها، ثم جلست، فقال لها: كيف أنت يابنة صفوان؟ قالت: كسلت بعد نشاط، وضعفت بعد قوة، فقال: شتان بين لسانك اليوم وبين قولك: من الكامل:
يا زيد دونك صارما ذا رونق ... عضب المحزة ليس بالخوار
أسرج جوادك مسرعا ومشمرا ... للحرب غير معود لفرار
أجب الإمام وذب تحت لوائه ... والق العدو بصارم بتار
يا ليتني أصبحت غير قعيدة ... فأذب عنه عساكر الفجار
قالت: قد كان ذلك، ولكن عفا الله عما سلف، ومن عاد، فينتقم الله منه، قال: هيهات؛ أما والله لو عاد

لعدت، ولكنه اخترم، قالت: أجل، والله، إني على بينة من ربي، وهدى من أمري، فقال بعض جلسائه: وهي القائلة ترثي عليا: من الكامل:

يا للرجال لهول عظم مصيبة ... حلت فليس مصابها بالحائل

ألشمس كاسفة لفقد إمامنا ... خير الخلائق والإمام العادل

صهر النبي لقد نفذت فؤادنا ... والحق أصبح خاضعا للباطل." (١)

"لا تحرق النار إلا كف لا مسها ... ولا أخو كبد حرى كذى بلل

واذكر على القرب ما نالوا وما فعلوا ... في أهل دارك من فتك ومن غيل

واعلم سلمت بأن القوم قد حشدوا ... وليس مطلبهم إلاك من رجل

ثلوا عروشك واجتاحوا حماك به ... وجاذبوك رداء العز في النزل

فاغضب لنفسك أودع كل مكرمة ... تبقى وقوض خيام العز وارتحل

واذكر أبا القاسم السامي ومصرعه ... كذاك مصرع إبراهيم حين ولي

السادة القادة الأملاك من حسنت ... بذاتهم بهمة الأيام والدول

لا تجعل المال عن أرواحهم بدلا ... من اللئام فبئس المال من بدل

لا تترك الحزم عينا ثم تطلبه ... دينا فتقرع سن النادم النكل

ولا تقيلنهم بالله عثرتهم ... واقطع عرى كل ذي غدر وذي نغل

ولا يغرنك منهم ود مبتسم ... فالخوف يظهر ود الخائن الدغل

يطوون أحشاءهم منكم على ضمد ... ويضحكون لديكم ضحكة العلل

فاشدد يديك ولا ترثي لحالتهم ... فطبعهم عن خبيث اللؤم لم يحل

لا تأمنن غدرهم فالذئب عادته ... إن ينتهز فرصة في غفلة يصل

إن تبق منهم مع الإمكان باقية ... نسبت للوهن في الأمصار والحلل

وجرد السيف لاستئصال شأفتهم ... في كل شيخ وفي طفل ومكتهل

لا تقطع الرجل من قوم وتتركهم ... والرأس منهم صحيح غير منجدل

فالحلم زين ولكن يابن حيدرة ... في غير موضعه ضرب من الخبل

والصفح عن مجرم من بعد مقدرة ... عجز ولست بذي عجز ولا ملل

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٦٢/٢

فيم التقاضي وما بالعهد من قدم ... والجرح منهم طري غير مندمل؟!
حاشا علاك أبا عجلان من ملك ... تعطى الدنية أو تؤتى من الختل
يأبى لك العز أن تلقاه معتذرا ... أو ناهجا في طريق اللوم والعذل
وأنت من سادة شم لهم آنف ... عن أن يقيموا على ضيم ولا دخل
بيض الوجوه غطاريف جحاجحة ... تنكبوا عن طريق الجبن والبخل
أهل الحمايا وأهل الذنب ما برحوا ... عن الحريم وعرض غير مبتذل
جمعت ما كان فيهم فيك مفترقا ... من المحاسن بالتفصيل والجمل
ودونكم قول نصح يا بني حسن ... يفيد كل ذكي القلب مشتعل
أنتم بنو الحرب تدعوكم وتنهضكم ... أحسابكم لاقتحام الحادث الجلل
شدوا إلى حومة الهيجا مآزركم ... وشمروا لطلاب الثار في عجل
ما بالكم ورياح النصر مقبلة ... تثاقلون وذل الدهر في الثقل
إن لم تديروا رحى الهيجاء مسرعة ... فما يفيد صهيل الخيل في الشكل
عيشوا على العز أو موتوا على ثقة ... موت الكرام وخلوا الدار عن حول
فمن يبلغ عني غير معتذر ... يحيى بن سبع مقالا غير ذي خطل
ومالكا وابن قيماز وشيعتهم ... والتابعين من الأوشاب والسفل
لا بد أن يبلغ الموتور غايته ... ويشرب الكأس ساقيها على علل." (١)

"فصبرا لهذا الدهر إن صروفه ... لعمرك تبدى من قضاها عجائبا
سيصفو شراب مر دهر مكدرا ... ويرضي محب ظل حينا مغاضبا
فإن ضمير لا يزال منازعا ... بأنك ترقي في المعالي مراتبا
مراتب تسمو للسماكين رفعة ... تقود بها خيل الفخار جنائبا
فذلك عندي عن تقى مكرم ... صدوق إذا ما قال لم يلف كاذبا
وما زلت أرعى قوله في مواطن ... فألفيته ثبت المقالة صائبا
ودم راقيا في المجد أرفع رتبة ... تبيد الأعادي أو تنيل الرغائبا
الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمي

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٤٥٤/٢

الشافعي المكي

هو من بيت حديثه في الفضل قديم. وقوم انتشوا بسلاف العلم وليس لهم سوى الأدب نديم. بنى لما بنت أوائله. فظهرت للعيان آدابه وفضائله. فدرس وأقرى. وتتبع واستقرى. وطال في خدمة العلم الشريف عمره. واشتهر في تلك المواطن المنيفة أمره. رأيته بمكة شرفها الله تعالى وقد وقف على ثنية الوداع. وهمت صفاة شمل جيوشه بالانصداع. ويقال إنه أناف على التسعين من السنين وله الأدب الغض. والنظم الذي ما وضع من قدره ناقل ولا غض. فمن نثره قوله من كتاب معزيا. يحق لشموس العظمة أن تلبس عليه أثواب الحداد. ويقبح ببدر الجلالة أن يطلع بغير لبس السواد. كيف لا وهو بقية الدور الأول. وإنسان عين الأماجد الكمل. ووالله لقد حصل لنا من التعب والكدر. ما فقدنا معه المصطبر. غير أن هذا منهل لا بد من وروده. وإناء زرع لا بد من حصيده. ومن شعره قوله مادحا الشريف مسعود بن الشريف حسن وهي قصيدة ضمنها ثلاثة أبيات الثاني والثالث منهما تاريخان يخرج أولها من الصدر الأول وثانيها من نون فعلن من العروض وثالثها من ميم مستفعلن من الابتداء

يا ظبية البان ما ترثي لذي كبد ... مجروحة قد سبى بالأعين النجل

أمسي من الصد والهجران في ألم ... سويهر الطرف بالهجران في شغل

نويحلا هائما حيران ذا أسف ... عليل جسم شوى بالهجر منذ قلى

جفا المنام جفون العين منذ هوى ... والقلب منه بنيران الغرام سلى

لعل يا من حكاها الغصن في ميس ... داء الغرام يداوي منك بالقبل

آه على ثغرها كم فيه من درر ... آه على ريقها كم فيه من عسل

رشيقة ليس يسلوها الفؤاد ولو ... نقلت للحد حيا غير منتقل

أبهى رداح تجلت في سنا قمر ... شبيهة الغصن في لين وفي ميل

فارقتها وفؤادي اليوم في وله ... إلى محيا يفوق الشمس في الحمل

قال العذول أما تسلو فقلت بمن ... بالله يا عاذلي دعني ولا تطل

يا غادة طاب لي في عشقها عذلي ... أما ترقين لي يا غاية الأمل

لولاك يا من لها في القلب مرتبع ... نزهت نظمي عن الغزلان والغزل

والله لولا الظباء النازحون لما ... يممت مكحولة العينين بالكحل

أسلة طفلة تسبي بمبتسم ... منضد يبرى المضنى من العلل

فاقت على الشمس والأقمار طلعتها ... جميلة ما لها في الحسن من مثل
الآن أشفي من التشبيب والغزل ... دائي بمدحي لنجل المصطفى وعلي
كهف الأرامل والأيتام ذي حكم ... له فضائل أهل السهل والجبل
عالي الذرى شامخ المقدار كم منن ... لكفه في رقاب الناس والدول
امام أهل التقى مولى حوى شرفا ... مسعود جد كريم سيد بطل
مؤيد ماجد حاوي العلى ملك ... لعزمه فعلات البيض والأسل
مظفر قلب من عاداه في وجل ... كأنه الليث في بطش وفي غيل
بكل ماض صقيل نال بغيته ... دامت له نعمة المولى إلى الأزل
ابن البشير النذير المرتجى لغد ... المصطفى الطهر هادي أشرف السبل
رفيع قدر علي حاز كل وفا ... رؤف قلب على الخلان والخول." (١)

"كان في غاية الحسن. وكان شابا، فهما، ذا خط حسن.

قال ابن القطيعي: حكى والده أنه ولد ليلة حادي عشر رمضان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وذكر غيره: أنه سمع من هبة الله بن عبد الرزاق الأنصاري، وعلي بن حسين بن أيوب، وغيرهما، وتفقه على أبيه، وناظر في الأصول والفروع.

وسمع الحديث الكثير، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني، فقبل قوله. وكان فقيها فاضلا يفهم المعاني جيدا، ويقول الشعر. وكان يشهد مجلس الحكم، ويحضر المواكب.

وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء، منتصف محرم سنة عشر وخمسمائة. وصلي عليه يوم الأربعاء. كذا ذكر ابن شافع وغيره.

وفي تاريخ ابن المنادي: أنه توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ودفن يوم السبت بدكة الإمام أحمد.

فعلى هذا: تكون وفاته قبل والده بشهر واحد. ولا أظن هذا إلا غلطا. وكان له من العمر سبع وعشرون سنة. ودفن في داره بالظفرية، فلما مات أبوه نقل إلى دكة الإمام أحمد رضي الله عنه.

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص/١١٣

قال والده: مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه، فقالت أمه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقاد به

من كان يدعى أبوه بيضة البلد

فأسلاها، وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرت إلى قاتل ولدي الحكيم المالك، فهان علي القتل والمقتول لجلالة القاتل.

وذكر عن الإمام أبي الوفاء: أنه كب عليه وقبله، وهو في أكفانه. وقال: يا بني، استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه. الرب خير لك مني. ثم مضى، وصلى عليه بجنان ثابت. رحمه الله.

ومن شعر عقيل هذا:

شاقه والشوق من غيره

طلل عاف سوى أثره

مقفر إلا معالمه

واكف بالودق من مطره

فانثنى والدمع منهمل

كانسلال السلك عن درره

طاويا كشحا على نوب

سبحات لسن من وطره." (١)

"وسمع الحديث الكثير، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني، فقبل قوله. وكان فقيها فاضلا يفهم المعاني جيدا، ويقول الشعر. وكان يشهد مجلس الحكم، ويحضر المواكب.

وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء، منتصف محرم سنة عشر وخمسمائة. وصلي عليه يوم الأربعاء. كذا ذكر ابن شافع وغيره.

وفي تاريخ ابن المنادي: أنه توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ودفن يوم

---

(١) ذيل طبق ا ت الحنابلة لابن رجب الحنبلي، ١٤٧/١

السبت بدكة الإمام أحمد.
فعلى هذا: تكون وفاته قبل والده بشهر واحد. ولا أظن هذا إلا غلطا. وكان له من العمر سبع وعشرون سنة. ودفن في داره بالظفرية، فلما مات أبوه نقل إلى دكة الإمام أحمد رضي الله عنه.
قال والده: مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه، فقالت أمه **ترثيه**:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقاد به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

فأسلاها، وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرت إلى قاتل ولدي الحكيم المالك، فهان علي القتل والمقتول لجلالة القاتل.
وذكر عن الإمام أبي الوفاء: أنه كب عليه وقبله، وهو في أكفانه. وقال: يا بني، استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه. الرب خير لك مني. ثم مضى، وصلى عليه بجنان ثابت. رحمه الله.
ومن شعر عقيل هذا:

شاقه والشوق من غيره ... طلل عاف سوى أثره

مقفر إلا معالمه ... واكف بالودق من مطره

فانثنى والدمع منهمل ... كانسلال السلك عن درره

طاويا كشحا على نوب ... سبحات لسن من وطره

رحلة الأحباب عن وطن ... وحلول الشيب في شعره

شيم للدهر سالفة ... مستبينات لمختبره

وقبول الدر مبسمها ... أبلج يفتر عن خضره

هز عطفيها الشباب كما ... ماس غصن البان في شجره

ذات فرع فوق ملتمع ... كدجى أبدي سنا قمره

وبنان زانه ترف ... ذاده التسليم عن خفره

خصرها يشكو روادفها ... كاشتكاء الصب من سهره

نصبت قلبي لها غرضا ... فهو مصمي بمعتوره

وزهت تيها كأن لها ... منبتا تزهى بمفتخره

وأناخت في فنا ملك ... دنت الأخطار عن خطره

والآخر:

أبو منصور هبة الله:

ولد في ذي الحجة سنة أربع وسبعين وأربعمائة. وحفظ القرآن وتفقه وظهر منه أشياء تدل على عقل غرير، ودين عظيم. ثم مرض وطال مرضه، وأنفق عليه أبوه مالا في المرض، وبالغ.

قال أبو الوفاء: قال لي ابني، لما تقارب أجله: يا سيدي قد أنفقت وبالغت في الأدوية، والطب، والأدعية، ولله تعالى في اختيار، فدعني مع اختياره. قال: فوالله ما أنطق الله سبحانه وتعالى ولدي بهذه المقالة التي تشاكل قول إسحاق لإبراهيم: " افعل ما تؤمر " الصافات: ١٠٣، إلا وقد اختاره الله تعالى للحظوة.

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. وله نحو أربع عشرة سنة.

وحمل أبو الوفا رحمه الله في نفسه من شدة الألم أمرا عظيما، ولكنه تصبر، ولم يظهر منه جزع. وكان يقول: لولا أن القلوب توقن باجتماع ثان لتفطرت المرائر لفراق المحبوبين.

وقال في آخر عمره - وقد دخل في عشر التسعين، وذكر من رأى في زمانه من السادات من مشايخه وأقرانه، وغيرهم - : قد حمدت ربي إذ أخرجني ولم يبق لي مرغوب فيه، فكفاني صحبة التأسف على ما يفوت لأن التخلف مع غير الأمثال عذاب. وإنما هون فقداني للسادات نظري إلى الإعادة بعين اليقين وثقتي إلى وعد المبدىء لهم، فلكأني أسمع داعي البعث قد دعا، كما سمعت ناعيهم وقد نعى. حاشا المبدىء لهم على تلك الأشكال والعلوم أن يقنع لهم من الوجود بتلك الأيام اليسيرة، المشوبة بأنواع التنغيص وهو المالك. لا والله، لا قنع لهم إلا بضيافة تجمعهم على مائدة تليق بكرمه: نعيم بلا ثبور، وبقاء بلا موت، واجتماع بلا فرقة، ولذات بغير نغصة.." (١)

"فعاتبته على ذلك وقلت له ما ضعت بين المشارقة بل شاع ذكرك وضاع نشرك وسما قدرك فما أنصفت فبما قلت فاعترف بذلك من حيث لا يسعه الإنكار وقال إنها نفثة مصدور على وجه الاعتذار ثم أدمج القول بأنه وإن حصل في العلا تمام النعمة إلا أنه في بلدة صغيرة ليس بها عالم يعرف قدره ثم أنشدني مقالة العتابي يشير إلى ذلك

المرء في سوق الزمان سلعه ... يرخص أو يغلو وبقدر البقعه

وها أنا بوادي درعة رخيص ... وليس لي عما قضى الله محيص

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ص/٦٦

يا من يلومني على سكنى درى ... فلا تقل لما جرى كيف جرى

وهذه الأبيات تدل على أنه يقال للمكان درعة بفتح الدال المهملة وسكون الراء وبعدها عين مهملة ودرى والراء مفتوحة إلا أنه سكنها ضرورة ولغة في درعة ومن هنا يقال في النسبة إليها درعي ودرى قال ثم اجتمعنا به في الرجعة في أواخر المحرم سنة ثمان فأنس بنا وأنسنا به ولما عدت إلى الحج في سنة عشرة رأيته قد سافر إلى الروم وعدت إلى الحج في سنة إحدى عشرة فلما كنا بمكة المشرفة في أواسط ذي الحجة بلغنا أنه غرق في بحر جدة في المركب المعروف بالخاصكية في الشهر الذي قبله لحقته غارة الأقدار وساقت غليه المقادير ما خط في أم الكتاب رحمه الله تعالى الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي قال القاضي الحسين المهلا في حقه إمام علوم محمد الذي اعترف أولو التحقيق بتحقيقه وأذعن أرباب التدقيق لتدقيقه واشتهر في جميع الأقطار اليمنيه بالعلوم السنيه أخذ عن والده الإمام المنصور القاسم ولازمه حتى برع وترعرع وأخذ عن الإمام العلامة لطف الله بن محمد بن الغياث المظفري وجدي المجتهد عبد الله المهلا ولقي كثيرا من شيوخ عصره وله التصانيف الشهيرة كغاية السول في علم الأصول وشرحه هداية العقول وكتاب في آداب العلماء والمتعلمين اختصره من كتاب جواهر العقدين للسيد السمهودي وكان له الخط الحسن الذي لا نظير له ومن شعره البديع قوله

مولاي جد بوصال صب مدنف ... وتلافه قبل التلاف بموقف

وارحم فديت قتيل سيف مرهف ... من مقلتيك طعين قد مرهف

فامنن بحقك يا حبيب بزورة ... يحيي بها القلب القريح فيشتفي

أعلمت أن الصد أتلف مهجتي ... والصد للعشاق أعظم متلف

عجبا لعطفك كيف رنح وانثنى ... متأودا وعلي لم يتعطف

أنا عبدك الملهوف فراث لذلتي ... وارفق فديتك بي لطول تلهفي

عرفتني بهواك ثم هجرتني ... يا ليتني بهواك لم أتعرف

حملتني ما لا أطيق من الهوى ... وأذقتني سم الفراق المدلف

يا مهجتي ذوبي ويا روحي اذهبي ... من صده عني ويا عيني اذرفي

هل من معين لي على طول البكا ... أو راحمي أو ناصري أو منصفي

وإليك عاذل عن ملامة مغرم ... لا يرعوى عما يروم ولا يفي

حاشاي أن أسلو وأنسى عهد من ... أحببته إني أنا الخل الوفي

قل ما تشاء فإنني يا عاذلي ... لا أنتهي لا أنثني عن متلفي

أنا عبده لا أكتفي عن مالكي ... والعبد عن مراكه لا يكتفي

يا قلبه القاسي أما ترثي لمن ... قاسى هواك جوى وطول تأسف

اعطف على قلب سلبت فؤاده ... واستبق منه بالنبي الأشرف

وكانت وفاته يوم الخميس رابع عشري شهر ربيع الآخر سنة خمسين وألف بمدينة ذمار وبها دفن رحمه الله تعالى." (١)

"٣٩ فدعوني أتهنأ بلقائه انتهى ما أورد ابن رجب ملخصا كثيرا ثم قال وكان لابن عقيل ولدان ما تا في حياته أحدهما أبو الحسن عقيل كان في غاية الحسن وكان شابا فهما ذا حظ حسن قال ابن القطيعي حكى والده أنه ولد ليلة حادي عشرى رمضان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وحكى غيره أنه سمع من هبة الله بن عبد الرزاق الأنصاري وعلي بن حسين بن أيوب وغيرهما وتفقه على أبيه وناظر في الأصول والفروع وسمع الحديث الكثير وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني فقبل قوله وكان فقيها فاضلا يقول الشعر وكان يشهد مجلس الحكم ويحضر الموكب وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منتصف محرم سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة قبل والده بشهر واحد وكان له من العمر سبع وعشرون سنة ودفن في داره فلما مات أبوه نقل معه إلى دكة الإمام أحمد قال والده مات ولدي عقيل وكان قد تفقه وناظر وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو ابن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه فقالت أمه ترثيه) لو كان قاتل عمرو غير قاتله * ما زلت أبكي عليه دائم الأبد)) لكن قاتله من لا يقاد به * من كان يدعى أبوه بيضة البلد) فأسلاها وعزاها جلالة القاتل وفخرها بأن ابنها مقتوله فنظرت إلى قاتل ولدي الحكيم المالك فهان علي القتل والمقتول لجلالة القاتل واكب عليه وقبله وهو في أكفانه وقال يا بني أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه الرب خير لك مني ثم مضى وصلى عليه ومن شعر عقيل هذا) شاقه والشوق من غيره * طلل عاف سوى أثره)) مقفر إلا معالمه * وأكف بالودق من مطره)) فانثنى والدمع منهمل *كانسلال السلك عن درره)." (٢)

" فدعوني أتهنأ بلقائه

انتهى ما أورد ابن رجب ملخصا كثيرا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ١/٣٨٠

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد، ٤/٣٨

ثم قال وكان لابن عقيل ولدان ماتا في حياته أحدهما أبو الحسن عقيل كان في غاية الحسن وكان شابا فهما ذا حظ حسن قال ابن القطيعي حكى والده أنه ولد ليلة حادي عشرى رمضان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وحكى غيره أنه سمع من هبة الله بن عبد الرزاق الأنصاري وعلي بن حسين بن أيوب وغيرهما وتفقه على أبيه وناظر في الأصول والفروع وسمع الحديث الكثير وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني فقبل قوله وكان فقيها فاضلا يقول الشعر وكان يشهد مجلس الحكم ويحضر الموكب وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منتصف محرم سنة عشر وقيل سنة ثلاث عشرة قبل والده بشهر واحد وكان له من العمر سبع وعشرون سنة ودفن في داره فلما مات أبوه نقل معه إلى دكة الإمام أحمد قال والده مات ولدي عقيل وكان قد تفقه وناظر وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو ابن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه فقالت أمه ترثيه

(لو كان قاتل عمرو غير قاتله ** ما زلت أبكي عليه دائم الأبد)

(لكن قاتله من لا يقاد به ** من كان يدعى أبوه بيضة البلد)

فأسلاها وعزاها جلالة القاتل وفخرها بأن ابنها مقتوله فنظرت إلى قاتل ولدي الحكيم المالك فهان علي القتل والمقتول لجلالة القاتل واكب عليه وقبله وهو في أكفانه وقال يا بني أستودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه الرب خير لك مني ثم مضى وصلى عليه ومن شعر عقيل هذا

(شاقه والشوق من غيره ** طلل عاف سوى أثره)

(مقفر إلا معالمه ** وأكف بالودق من مطره)

(فانثنى والدمع منهمل **كانسلال السلك عن درره)

---

(١) ".

"١٦ - (إذا الشمس أضحت السماء كأنها ... من المحل حص قد علاه ردوع)

(٦٩) وقالت امرأة من بني حنيفة ترثي يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفي

١ - (ألا هلك ابن قران الحميد ... أخو الجلي أبو عمرو يزيد)

٢ - (ألا هلك امرؤ هلكت رجال ... فلم تفقد وكان له الفقود)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس، ٣٩/٤

٣ – (ألا هلك امرؤ حباس مال ... علي العلات متلاف مفيد)

٤ – (ألا هلك امرؤ ظلت عليه ... بشط عنيزة بقر هجود)." (١)

"قال الصعب بن عطية١: كان رجل منا يدعى الحارث فقال يومئذ: يال مضر علام يقتل بعضكم بعضا؟ تبادرون لا ندري إلا أنا إلى قضاء وما تكفون في ذلك.

كان القتال٢ يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح فلم يفجأها إلا الناس فأحاطت بها مضر ووقف الناس للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلي ... ٣ كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلي فبدر بين الصفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم وأعطى درعه فرمى بها تحته وأتي بترسه فتنكبه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه رضي الله عنه ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم والتحم القتال فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة.

قال والد مخلد بن كثير٤: ارسلنا مسلم بن عبد الله يدعو بني أبينا فرشقوه – كما صنع القلب بكعب – رشقا واحدا فقتلوه فكان أول من قتل بين يدي امير المؤمنين وعائشة رضي الله عنهما فقالت أم مسلم ترثيه:

١- ط - ٥٢٨٤.

٢- عن ابن صعصعة المزني- أو عن صعصعة- عن عمرو بن جأوان، عن جرير بن أشرس.

٣- يوجد نقص في الأصل.

٤- عن سيف عن مخلد بن كثير عن أبيه، ط٤- ٥٢٩.." (٢)

"[دعي البكر لا ترثي له من ردافنا ... وهاتي أيقينا جناة القرنفل

بثغر كمثل الأقحوان منور ... نفي الثنايا أشنب غير أثعل

فمثلك جبلى، قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول." (٣)

"عليهم فصاحوا بخيولهم فخرجت كالرياح العواصف ولم يزالوا في القتال الشديد إلى أن توسطت الشمس في قبة الفلك وقد ثبتت أصحاب النعمان بن المنذر للضرب والطعان.

---

(١) المفضليات المفضل الضبي ص/٢٧٣

(٢) الفتنة ووقعة الجمل سيف بن عمر ص/١٦٨

(٣) شرح المعلقات التسع أبو عمرو الشيباني ص/١٣٤

قال الواقدي: وإن القعقاع بن عمرو التميمي أو بشر بن ربيعة التميمي أحدهما التقى مع النعمان في كبكبة من الخيل والازدهارات على رأسه فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة ففرقها وعلى الكتيبة فمزقها ورمى النعمان بطعنة في صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره فلما نظرت جيوش الحيرة إلى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وغنم المسلمون رحالهم وأموالهم وباتوا فرحين وافتقدوا من قتل من المسلمين فكانوا خمسمائة وثلاثين غالبهم من أهل نخع وقد ختم الله لهم بالشهادة وفي ذلك قالت خزانة بنت خالد بن جعفر بن قرط **ترثي** من قتل من المسلمين:

فيا عين جودي بالدموع السواجم. ... فقد شرعت فينا سيوف الاعاجم.

فكم من حسام في الحروب وذابل. ... وطرف كميت اللون صافي الدعائم.

حزنا على سعد وعمرو ومالك. ... وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم.

هم فتية غر الوجوه أعزة. ... ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم.

قال: وإن المسلمين جمعوا الاموال واحتوى سعد على قصر الخورنق والسدير وترك جميع ما أخذه بالحيرة وترك عنده سالم بن نعيم بن مسروق وترك عنده مائة من ابناء المهاجرين والانصار قال: وأما من انهزم من جموع النعمان بن المنذر فوردوا على القادسية وعليها جنود الفرس مع رستم زاده بن اسفنديار ومعه شهريار بن كنار والهذيل بن جشوم وحشرسوم الهمذاني والجناتيوس بن فتاك وشماهير بن حسوسا قال فلما رأوا المنهزمين من جيش النعمان ملك العرب سألوهم عن أمرهم فأخبروهم بقتل النعمان وأخذ الحيرة وقصر الخورنق والسدير وجميع ما فيها قال فوقع التشويش في عسكر الفرس وتمكن الخوف من قلوبهم وكثرت الاراجيف وأما رستم فإنه جمع الملوك والاساورة وملوك الديلم في خيمته وقام على سريره خطيبا فقال اعلموا أن الدولة بالسياسة والناموس بالرياسة وكأنكم بالعرب وقد أشرفوا عليكم فاخرجوا واذهبوا إليهم واركبوا فخرجوا من عنده وأخذوا أهبة الحرب فبينما هم كذلك إذ بعسكر سعد قد أشرف عليهم وهم على الخيل المضمرة العربية وعليها الفرسان الإسلامية والطائفة المحمدية فرتبوا الصفوف وجعل رستم ملوك الفرس عن يمينه وملوك الديلم عن يساره ووقف رستم في القلب ودارت به الاساورة.." (١)

"ثم قال فيها: قاتلا، ففتح. ولم نسمعه ولا شيئا من نحوه إلا شاذا وزعموا أن هذه الأبيات من قول العرب:

يا نخل، ذات السدر والجداول

---

(١) فتوح الشام الواقدي ٢/١٧٤

تطاولي ما شئت أن تطاولي

إنا سنرميك بكل بازل

رحب الفروج لين المفاصل

نخلة: اسم موضع، فرخم. قال أبو عثمان: سمعت أفصح الناس ينشد هذه الأبيات. وقال صخر الغي:

لو أن أصحابي بنو معاويه

أهل جنوب نخلة الشآميه

لم يسلموني للذئاب العاويه

وفي القوافي الإقواء والإكفاء والسناد والإيطاء.

أما الإقواء فمعيب. وقد تكلمت به العرب كثيرا. وهو رفع بيت، وجر آخر، نحو قول الشاعر:

لا بأس بالقيوم من طول ومن عظم ... جسم البغال، وأحلام العصافير

ثم قال:

كأنهم قصب جوف أسافله ... مثقب نفخت فيه الأعاصير

جر قافية، ورفع أخرى. وقال النابغة:

سقط النصيف، ولم ترد إسقاطه، ... فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد

وقد سمعت مثل هذا من العرب كثيـرا ما لا يحصى. قل قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء، ثم لا يستنكرونه، وذلك لأنه لا يكسر الشعر. وكل بيت منها شعر على حياله.

وزعم الخليل أن الإكفاء هو الإقواء. وقد سمعته من غيره من أهل العلم. وسألت العرب الفصحاء عن الإكفاء، فإذا هم يجعلونه الفساد في آخر الشعر، والاختلاف، من غير أن يحدوا في ذلك شيئا. إلا أنني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف وأنشدته:

كأن فا قارورة لم تعفص

منها حجاجا مقلة لم تلخص

كأن صيران المها المنقز

فقال: هذا إكفاء. وأنشده آخر قوافي على رحوف مختلفة، فعابه، ولا أعلمه إلا قال: قد أكفأت. إلا أنني رأيتهم إذا قربت مخارج الحروف، أو كانت من مخرج واحد، ثم اشتد تشابهها، لم يفطن لها عامتهم.

والمكفأ في كلامهم هو المقلوب. وإلى هذا يذهبون. قال الشاعر، وسمعته من العرب:

ولما أصابتني من الدهر نبوة ... شغلت، وألهى الناس عني شؤونها

إذا الفارغ المكفي منهم دعوته ... أبر، وكانت دعوة يستديمها

فجعل الميم مع النون لشبهها بها، لأنهما يخرجان من الخياشم، وأخبرني من أثق به من أهل العلم أن بنت أبي مسافع، امرأة من العرب، قالت ترثي أباها، وقتل وهو يحمي جيفة أبي جهل:

وما ليث غريف ذو ... أظافير وإقدام

كحبي إذ تلاقوا، و ... وجوه القوم أقران

وأنت الطاعن النجلا ... ء، منها مزبد آن

وفي الكف حسام صا ... رم أبيض خذام

وقد ترحل بالركب ... وما تخنني بصحبان

جمعت بين النوم والميم لقربهما، وهو فيهما كثير. وقد سمعت من العرب مثل هذا مالا أحصي.

وسمعت الباء مع اللام، والميم مع الراء، كل هذا في قصيدة.

قال الشاعر:

ألا قد أرى لم تكن أم مالك ... بملك يدي أن البقاء قليل

وقال فيها:

رأى من رفيقيه جفاء، وبيعه ... إذا قام يبتاع القلاص ذميم

خليلي حلا واتركا الرحل إنني ... بمهلكة، والعاقبات تدور

فليناه يشري رحله قال قائل: ... لمن جمل رخو الملاط نجيب؟

وهذه القصيدة كلها على اللام. والذي أنشدها عربي فصيح لا يحتشم من إنشاده كذا. ونهيناه غير مرة. فلم يستنكر ما يجيء به. ولا أرى قول الشاعر:

قد وعدتني أم عمرو أن تا

تمسح رأسي، وتفليني وا

وتمسح القنفاء حتى تنتا

إلا على هذا، لأن قوله أن تا أخذ التاء من تمسح، وكانت مفتوحة فزاد معها الألف، ثم أعادها حين قال تمسح. وكذلك الذي في وتفليني، إنما هي الواو التي في وتمسح القنفاء جعل ما قبل الألف حرف الروي،

وخالف بين الحروف، لأن التاء قريبة المخرج من الواو، وليست بأبعد من الواو من الراء، واللام من الباء في قوله قليل وتدور ونجيب. وهذا من أقبح ما جاء، لبعد مخارجها.

فأما الميم والنون واللام فكثير. وعلى ذلك قول أبي جهل:." (١)

"كشاف مكرمة. مطعام مسغبة. ... وهاب عانية وجناء شملال!

عف مكاسبه. جزل مواهبه. ... خير البرية سمح غير نكال!

واري الزناد وقواد الجياد إلى ... يوم الطراد. إذا شبت بأجذال

ولا أزكي على الرحمن ذا بشر ... لكن علمك عند الواحد العالي!

إني أرى الدهر والأيام يفجعني ... بالصالحين. وأبقى ناعم البال!

يا عين فابكي رسول الله إذ ذكرت ... ذات الإله. فنعم القائد الوالي!

قال أبو عمرو: وقال حسان بن ثابت يرثي النبي. ص:

نب المساكين أن الخير فارقهم ... مع الرسول تولى عنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ... ورزق أهلي. إذا لم نؤنس المطرا

ذاك الذي ليس يخشاه مجالسه. ... إذا الجليس سطا في القول أو عثرا

كان الضياء. وكان النور نتبعه. ... وكان بعد الإله السمع والبصرا

فليتنا يوم واروه بمخبئه. ... وغيبوه وألقوا فوقه المدرا

لم يترك الله خلقا من بريته. ... ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا

ذلت رقاب بني النجار كلهم! ... وكان أمرا من الرحمن قد قدرا

قال أبو عمرو: قال كعب بن مالك يرثي رسول الله. ص:

يا عين فابكي بدمع ذرى ... لخير البرية والمصطفى!

وبكى الرسول! وحق البكاء ... عليه. لدى الحرب عند اللقا!

على خير من حملت ناقة. ... وأتقى البرية عند التقى

على سيد ماجد جحفل. ... وخير الأنام وخير اللها!

له حسب فوق كل الأنام ... من هاشم ذلك المرتجى

نخص بما كان من فضله. ... وكان سراجا لنا في الدجى!

---

(١) القوافي للأخفش الأوسط الأخفش الأوسط ص/٧

وكان بشيرا لنا منذرا. ... ونورا لنا ضوءه قد أضا

فأنقذنا الله في نوره. ... ونجى برحمته من لظى!

قال: وفيها أنشدنا الواقدي. قالت أروى بنت عبد المطلب ترثي رسول الله. ص:

ألا يا عين! ويحك أسعديني ... بدمعك. ما بقيت. وطاوعيني." (١)

"أنى. لك الويلات! مثل محمد ... في كل نائبة تنوب ومشهد؟

فابكي المبارك والموفق ذا التقى. ... حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد

من ذا يفك عن المغلل غله ... بعد المغيب في الضريح الملحد؟

أم من لكل مدفع ذي حاجة. ... ومسلسل يشكو الحديد مقيد؟

أم من لوحي الله يترك بيننا ... في كل ممسى ليلة أو في غد؟

فعليك رحمة ربنا وسلامه. ... يا ذا الفواضل والندى والسودد!

هلا فداك الموت كل ملعن ... شكس خلائقه لئيم المحتد؟

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب أيضا:

أعيني جودا بالدموع السواجم ... على المصطفى بالنور من آل هاشم

على المصطفى بالحق والنور والهدى ... وبالرشد بعد المندبات العظائم

وسحا عليه وابكيا. ما بكيتما. ... على المرتضى للمحكمات العزائم

على المرتضي للبر والعدل والتقى. ... وللدين والإسلام بعد المظالم

على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى ... وذي الفضل والداعي لخير التراحم

أعيني ماذا. بعد ما قد فجعتما ... به. تبكيان الدهر من ولد آدم؟

فجودا بسجل واندبا كل شارق ... ربيع اليتامى في السنين البوازم!

قال: وقالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله. ص:

لهف نفسي! وبت كالمسلوب ... آرق الليل فعلة المحروب!

من هموم وحسرة ردفتني. ... ليت أني سقيتها بشعوب!

حين قالوا: إن الرسول قد أمسى ... وافقته منية المكتوب!

إذ رأينا أن النبي صريع. ... فأشاب القذال أي مشيب

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢/ ٢٤٧

إذ رأينا بيوته موحشات. ... ليس فيهن بعد عيش حبيبي

أورث القلب ذاك حزنا طويلا. ... خالط القلب. فهو كالمرعوب

ليت شعري! وكيف أمسي صحيحا ... بعد أن بين بالرسول القريب؟

أعظم الناس في البرية حقا. ... سيد الناس حبه في القلوب

فإلى الله ذاك أشكو! وحسبي. ... يعلم الله حوبتي ونحيبي!

وقالت صفية بنت عبد المطلب:." (١)

"إلى رب البرية ذاك نشكو. ... فإن الله يعلم ما أتيت

أفاطم! إنه قد هد ركني. ... وقد عظمت مصيبة من رزيت

وقالت هند بنت أثاثة أيضا:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة. ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها! ... فاحتل لقومك واشهدهم ولا تغب

قد كنت بدرا ونورا يستضاء به. ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يحضرنا. ... فغاب عنا وكل الغيب محتجب

فقد رزئت أبا سهلا خليقته. ... محض الضريبة والأعراق والنسب

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي رسول الله. ص:

أمست مراكبه أوحشت. ... وقد كان يركبها زينها

وأمست تبكي على سيد ... تردد عبرتها عينها

وأمست نساؤك ما تستفيق ... من الحزن يعتادها دينها." (٢)

"وأمست شواحب مثل النصال ... قد عطلت وكبا لونها!

يعالجن حزنا بعيد الذهاب. ... وفي الصدر مكتنع حينها

يضربن بالكف حر الوجوه ... على مثله جادها شونها

هو الفاضل السيد المصطفى ... على الحق مجتمع دينها

فكيف حياتي بعد الرسول. ... وقد حان من ميتة حينها؟

---

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢/٢٤٩

(٢) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢/٢٥١

وقالت أم أيمن ترثي النبي. ص:

عين جودي! فإن بذلك للدمع ... شفاء. فأكثري م البكاء

حين قالوا: الرسول أمسى فقيدا ... ميتا. كان ذاك كل البلاء!

وابكيا خير من رزئناه في الدنيا ... ومن خصه بوحي السماء

بدموع غزيرة منك حتى ... يقضي الله فيك خير القضاء

فلقد كان ما علمت وصولا. ... ولقد جاء رحمة بالضياء!

ولقد كان بعد ذلك نورا ... وسراجا يضيء في الظلماء

طيب العود والضريبة والمعدن ... والخيم خاتم الأنبياء

آخر خبر النبي- صلى الله عليه وسلم -." (١)

".. فلست لمزيد إن لم ترونا ... نجالدكم كأنا جن وادي ...

فقال الوليد ... ستعلم يا يزيد إذا التقينا ... بشط الزاب أي فتى تلاقي ...

وقال ابن البطاح ... وائل بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد إلا الحديد ...

وقالت اخت الوليد ترثيه ... فياشجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف ... ... فتى لا يريد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف ... ... فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... ... فديناه من ساداتنا بألوف ... ... ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... وكل رقيق الشفرتين حليف ... ... خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف ...

خروج باسسير وصحصح والفضيل بن أبي سعيد

وخرج باسير رجل من بني تميم فمكث شهرين فقتله أبو هريرة وخرج صحصح الشيباني فقتله بزار وداود بن إسماعيل وخرج الفضيل بن أبي سعيد من راذان وكان." (٢)

"لقد ألفت أعضاء عمرو عصابة ... يدل عليها آخر القوم أول

وقالت أخت ذي الرمة ترثيه «١» : [من الطويل]

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

(١) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ٢/٢٥٣

(٢) تاريخ خليفة بن خياط خليفة بن خياط ص/٤٥٣

وذو الرمة القائل: إذا قلت كأن فلم أجد مخرجا فقطع الله لساني.

وأنشد «٢» : [من الكامل]

لا أتقي حسك الضغائن بالرقى ... فعل الذليل ولو بقيت وحيدا «٣»

لكن أعد لها ضغائن مثلها ... حتى أدواي بالحقود حقودا

كالخمر خير دوائها منها بها ... تشفي السقيم وتبرئ المنجودا «٤»

فأخذ الحكمي هذا فقال «٥» : [من المتقارب]

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وقال ابن هرمة «٦» : [من البسيط]

إن أياديك عندي غير واحدة ... جلت عن الوصف والإحصاء والعدد

وليس منها يد إلا وأنت بها ... مستوجب الشكر مني آخر الأبد

وقال الآخر: [من الطويل]." (١)

"وقال أيضا: [من البسيط]

ولا يكن قوله إلا لرائدها ... أعشبت فانزل إلى معشوشب العشب

ذهب إلى قوله «١» : [من الرجز]

مستأسد ذبانه في غيطل ... يقلن للرائد أعشبت انزل

ولكن انظر كم بين الديباجتين. وفي الأول ذهب إلى قول الأعشى «٢» : [من المتقارب]

إذا الحبرات تلوت بهم ... وجروا أسافل هدابها «٣»

قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: «كونوا بلها كالحمام» ولقد كان الرجل منهم يدعو لصاحبه يقول: أقل الله فطنتك.

قال «٤» : وهذا يخالف قول عمر رضي الله عنه، حين قيل له: إن فلانا لا يعرف الشر. قال: ذلك أجدر أن يقع فيه.

وقال النابغة الذبياني «٥» : [من الطويل]

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وقال الآخر «٦» : [من الطويل]

---

(١) الحيوان الجاحظ ٧/٩٩

ولا تعذراني في الإساءة إنه ... شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقالت امرأة «٧» ترثي عمير بن معبد بن زرارة: [من الطويل]

أعين ألا فابكي عمير بن معبد ... وكان ضروبا باليدين وباليد." (١)

"وقد تقلد خالد بن الوليد في يوم مؤتة عدة أسياف، وانقطعت في يده تسعة أسياف.

وكان عمرو بن معد يكرب يقول: عليكم بالنفح [١] ، وإياكم والهبر [٢] فإنه يقطع متن السيف. ولم يكن عمرو أعرف بذلك من خالد.

وقد يستعمل الرجل يديه جميعا في مواضع نحن ذاكروها إن شاء الله.

وقالت امرأة [٣] ترثي عمير بن معبد بن زرارة:

أعيني ألا فابكي عمير بن معبد ... وكان ضروبا باليدين وباليد [٤]

يعنى باليد السيف [٥] ، ويعنى باليدين القداح.

وقربوا إلى حسان بن ثابت طعاما بعد أن كف بصره فقال لابنه:

«أطعام يد أو يدين» [٦] طعام اليد: الثريد وما أشبه ذلك من الحرير [٧]

---

[١] نفحه بالسيف: تناوله من بعيد شزرا.

[٢] الهبر: الضرب الذي يقطع اللحم.

[٣] هي دختنوس بنت لقيط بن زرارة، كما في الشعراء ٧١١، وفصل المقال للبكري ٣٥٩ حيث ورد إنشاد البيت التالي. وقد جاء بدون نسبة في الحيوان ٦: ٤٢٤/٧: ٢٦٠، والمعاني الكبير ١١٥٣، والميسر والقداح ١٤٠.

[٤] رواية «عمير بن معمر» عند ابن قتيبة خطأ، لأن زوجها هو عمير بن معبد بن زرارة كما في الحيوان ٧: ٢٦٠. وانظر قصة زواجها بتفصيل في فصل المقال ٣٥٨- ٣٥٩.

[٥] في الأصل: «بالسيف اليد» .

[٦] الخبر في الحيوان ٦: ٤٢٤/٧: ٢٦٠.

[٧] الحرير: جمع حريرة، كما أن الخزير جمع خزيرة، وهما متقاربان في الصنع،-." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ١٥٣/٧

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٥٤١

"ولن يقدم نفسا قبل ميتتها ... جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر [١]

لأنهم كانوا يفعلون [كذلك] [٢] إذا ضربوا الأعناق.

وقالت بنت عتيبة بن مرداس [٣] ترثي أباها:

وكان أبي عتيبة شمريا ... ولا تلقاه يدخر النصيبا [٤]

ضروب باليدين إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا [٥]

قالوا: كان [٦] يلحق الفارس والفارس مستخذله، حتى يجمع يديه على مقبض سيفه ثم يضربه؛ لأن ذلك لا يمكن في نفس المعركة، وعند

---

[١] في الديوان: «ما يعجل السيف نفسا» ، وفي النقائض: «وما يعجل نفسا» ، وفي الأغاني: «وما يقدم نفسا» .

[٢] تكملة يفتقر إليها الكلام.

[٣] في الأصل: «عيينة» ، تحريف. وهو عتيبة، أو عتبة، بن مرداس بن الحارث بن مدرك الدهمان، من بني تميم. وهو شاعر مقل مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وكان هجاء خبيث اللسان، وكان على صلة بالحسين بن علي، وعبد الله بن جعفر، ووفد إليهما بالمدينة فوصلاه بما أرضاه، فمدحهما بشعر عاتب فيه ابن عباس، وكان قصده من قبل بالبصرة فحجبه ولم يعطه شيئا. الإصابة ٦٤٠، والشعراء ٣٦٩، والأغاني ١٩: ١٤٣- ١٤٦.

وبنت عتيبة هذا هي «مية» ، وتسمى «أم البنين» أيضا. وانظر معجم البلدان في رسم (اللعباء) حيث أورد البيتين مع آخرين في هذا الرثاء.

[٤] صدر هذا البيت في الأصل: «وكان عيينة» ، كلمتان فقط، وتصحيحه وإكماله من معجم البلدان (اللعباء) . والشمري بفتح الشين مع فتح الميم المشددة، وبكسرها مع كسر الميم المشددة: الماضي في الأمور والحوائج المجرب.

[٥] الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة. اشمعلت: شملت وانتشرت. والورع بفتحتين: الجبان، والصغير الضعيف لا غناء عنده.

[٦] في الأصل: «كأنه» .." (١)

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٥٤٣

"المشاولة والمنازلة [١] .

وقالت خرنق بنت هفان [٢] :

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر [٣]

الضاربين لدى أعنتهم ... والطاعنين وخيلهم تجري

ولم ترد أنهم يطعنون بالرماح ويضربون بالسيوف، ولكنها فخرت أنهم كانوا فرسانا، ولم يكونوا رجالا ولا ركبانا.

وحدثني حسين بن عبيد، وكان من خاصة أبي السرايا [٤] ، قال:

كان أبو السرايا إذا لحق الفارس لا يضربه بسيفه حتى يجوزه، ثم يستقبله بضربة.

---

[١] المشاولة: أن يتناول القوم بعضهم بعضا بالرماح عند القتال. والمنازلة: أن ينزل الفريقان عن أبلهما إلى فيتضاربوا.

[٢] في الأصل: «بنت بفعان» . وإنما هي «بنت هفان» . وهي خزنق بنت هفان، من بني قيس ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وهي أخت طرفه بن العبد لأمه، أو هي عمته. كما في الخزانة ٢: ٣٠٦- ٣٠٩.

[٣] **ترثي** بهذا زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي، وابنها علقمة بن بشر، وأخويه حسان وشرحبيل، ومن قتل من قومهم يوم قلاب. وانظر معجم شواهد العربية.

[٤] أبو السرايا الخارجي، اسمه السري بن منصور، وكان يذكر أنه ولد هانىء بن قبيصة ابن هانىء بن مسعود. خرج بالكوفة من ابن طباطبا، وكان هو القيم بأمره في الحرب وتدبيرها وقيادة الجيش. وكان سبب الخروج ما كان من أمر صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه، وتولية ذلك الحسن بن سهل. وكان ذلك سنة ١٩٩ وانتهت حروبه بمصرعه سنة ٢٠٠ حين أمر الحسن بن سهل بضرب عنقه. انظر الطبري وابن الأثير في حوادث هاتين السنتين.." (١)

"وقلت لسيدنا يا حلي ... م إنك لم تأس أسوا رفيقا

أعنت عديا على شأوها ... تعادي فريقا وتبقي فريقا

زحرت بها ليلة كلها ... فجئت بها مؤيدا خنفقيقا

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٥٤٤

تأسو: تداوي، أسوا وأسى، مصدران. والآسي: الطبيب. ومؤيد:

داهية. خنفقيق: داهية أيضا. الشأو: الغلوة لركض الفرس.

وأنشد لآدم مولى بلعنبر، يقولها لابنه:

يا بأبي أنت ويا فوق البئب ... يا بأبي خصيك من خصي وزب

أنت الحبيب وكذا قول المحب ... جنبك الله معاريض الوصب

حتى تفيد وتداوي ذا الجرب ... وذا الجنون من سعال وكلب

والحدب حتى يستقيم ذو الحدب ... وتحمل الشاعر في اليوم العصب

على مباهير كثيرات التعب ... وإن أراد جدل صعب أرب

خصومة تثقب أوساط الركب ... أظلعته من رتب إلى رتب

حتى ترى الأبصار أمثال الشهب ... يرمى بها أشوس ملحاح كلب

مجرب الشدات ميمون مذب

الوصب: المرض. والعصب: الشديد. يقال يوم عصب وعصيب وعصبصب، إذا كان شديدا. مباهير: متاعِب قد علاهم البهر. أرب، يقال رجل أريب وأرب، وله أرب، إذا كان عاقلا أديبا حازما. أظلعته يقال ظلع الرجل، إذا خمع في مشيه. الرتبة: واحدة الرتب والرتبات، وهي الدرج.

أي تخرجه من شيء إلى شيء. والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه.

ملحاح: ملح، من الإلحاح على الشيء. كلب، أي الذي قد كلب.

مذب. أي يذب عن حريمه وعن نفسه.

وقالت ابنة وثيمة، **ترثي** أباها وثيمة بن عثمان:

الواهب المال التلا ... د ندى ويكفينا العظيمه

ويكون مدرهنا إذا ... نزلت مجلحة عظيمه." (١)

"الدهر بثلمه ونقضه، ثم هو بين سلطان يرعاه، وحقوق **تسترثيه**، وأكفاء يتنافسونه، وولد يودون فراقه، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء، ومن أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن ذوي الحقوق الذم، ومن الولد الملامة، لا كذي البلغة قنع فدام له السرور، ورفض الدنيا فسلم له الجسد، ورضي بالكفاف فتنكبته الحقوق. ضجر أعرابي بكثرة العيال والولد مع الفقر وبلغه أن الوباء بخيبر شديد فخرج إليها بعياله

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٦٢/١

يعرضهم للموت، وأنشأ يقول:

[رجز]

قلت لحمى خيبر استعدي ... هاك عيالي واجهدي وجدي

وباكري بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فأخذته الحمى فمات هو وبقي عياله. وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله: يا بني، إتق الله، فإنه من اتق الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوى عماد عينيك وجلاء قلبك، واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له. وقال محمود الوراق «١» : [سريع]

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصي الله تبغي الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر: [مجزوء المديد]

ليس لي مال سوى كرمي ... فيه لي أمن من العدم

لا أقول الله أعدمني ... كيف أشكو غير متهم." (١)

"أبو علي الأموي قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت قد غلبته في كثير من أمره؛ فقال له أبوه: طلقها، فطلقها وأنشأ يقول [طويل]

لها خلق سهل وحسن ومنصب ... وخلق سوي ما يعاب ومنطق

فرمي يوم الطائف بسهم؛ فلما مات قالت ترثيه: [طويل]

وآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عين ما رأت مثله فتى ... أعز وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب، فلما أولم قال عبد الرحمن بن أبي بكر:

يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أدخل رأسي على عاتكة؟ قال: نعم، يا عاتكة استتري؛ فأدخل رأسه فقال: [طويل]

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ٣٥٧/١

وآليت لا تنفك عيني قريرة ... عليك ولا ينفك جلدي أصفرا «١»

فنشجت نشجا عاليا «٢» ؛ فقال عمر: ما أردت إلى هذا! كل النساء يفعلن هذا! غفر الله لك. ثم تزوجها الزبير بعد عمر وقد خلا من سنها «٣» ، فكانت تخرج بالليل إلى المسجد ولها عجيزة ضخمة «٤» ؛ فقال لها الزبير: لا تخرجي؛ فقالت: لا أزال أخرج أو تمنعني، وكان يكره أن يمنعها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله؛ فقعد لها الزبير متنكرا في ظلمة الليل، فلما." (١)

"ونقرى ما شئت أن تنقرى ... قد رفع الفخ فماذا تحذرى

لا بد يوما أن تصادى فاصبرى

٣٠٢* قال أبو محمد [١] : هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ابن عباد بن صعصعة [٢] بن قيس بن ثعلبة. ويقال إن اسمه عمرو، وسمى طرفة ببيت قاله. وأمه وردة من رهط أبيه [٣] ، وفيها يقول لأخواله [٤] وقد ظلموها حقها ما تنظرون بحق البيت.

٣٠٣* وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا، قتل وهو ابن عشرين سنة، فيقال له «ابن العشرين» [٥] وكان ينادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات يوم أخته، فرأى طرفة ظلها فى الجام الذى فى يده، فقال:

ألا يا بأبى الظبى ا ... لذى يبرق شنفاه [٦]

ولولا الملك القاع ... د قد ألثمنى فاه

---

[١] نص ترجمته فى ب هـ د. ولكن هـ ليس فيها «قال أبو محمد» .

[٢] «عباد بن صعصعة» هكذا أثبت هنا وفى معاهد التنصيص، وهو خطأ، صوابه «ضبيعة» . كما أثبت كل من ذكر نسب طرفة ونسب أقربائه. فإن المرقش الأصغر عم طرفة، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، والمرقش الأكبر عم الأصغر، واسمه عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. انظر المفضلتين ٤٥، ٥٥ وشرح القصائد العشر ٥٦ وجمهرة أشعار العرب ٨٣ والخزانة وغير ذلك من المصادر.

[٣] هى أخت المتلمس، فهى من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وانظر ما مضى ١٣٣ فليست من رهط أبيه، أبوه من بنى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة.

[٤] مضى ١٨٧ أنه قال ذلك لأعمامه، وما هنا هو الصحيح الذى يدل عليه الشعر.

---

(١) عيون الأخبار الدينوري، ابن قتيبة ١١٢/٤

[٥] هذا يوافق ما فى سمط اللآلى ٣١٩. والذى فى الخزانة ١: ٤١٤ أنه قتل وهو ابن ست وعشرين سنة، وفيها ٤١٦ شعر لأخته ترثيه أوله

عددنا له ستا وعشرين حجة.

[٦] الشنف، بفتح الشين وسكون النون: الذى يلبس فى أعلى الأذن، والذى فى أسفلها القرط، وقيل: هما سواء.." (١)

"فيرجى، ولا ميت فينسى، وصخر يسمع كلامها، فشق عليه، وإذا قالوا لأمه: كيف صخر اليوم؟ قالت أصبح صالحا بنعمة الله، فلما أفاق من علته بعض الإفاقة، عمد إلى امرأته سلمى فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت، وقال (غيره: بل قال: ناولونى سيفى لأنظر كيف قوتى وأراد قتلها، وناولوه فلم يطق السيف، ففى ذلك يقول: أهم بأمر الحزم البيت. وأول الشعر) [١] :

أرى أم صخر ما تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك، ومن يغتر بالحدثان [٢]

فأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى أذى وهوان [٣]

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان [٤]

لعمرى لقد أنبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها ... محلة يعسوب برأس سنان [٥]

ثم نكس بعد ذلك من طعنته فمات، فكانت أخته خنساء ترثيه، (ولم تزل تبكيه حتى عميت) .

٥٩٤* ودخلت خنساء على أم المؤمنين عائشة، وعليها صدار [٦] لها من شعر

---

[١] من الأصمعية ٤٧ وليس فيها البيت الأخير، وفيها بيتان آخران، والأبيات فى الخزانة ١: ٢٠٩.

[٢] الجنازة، بكسر الجيم، وفتحها غير فصيح، وهو السرير الذى يحمل عليه الميت، وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم. والبيت فى اللسان ٧: ١٨٩.

[٣] أذى: رسمت فى ل «أذا» بالألف.

[٤] العير: الحمار. النزوان: الوثب. وفى اللسان أن هذا المثل أول من قاله صخر.

والبيت فيه ٢٠: ١٩١.

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ١/١٨٥

[٥] اليعسوب: أمير النحل وذكرها، ثم كثر ذلك حتى سموا كل رئيس يعسوبا. والبيت فى اللسان غير منسوب ٢: ٩٠ باختلاف فى صدره، وقال: «معناه أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان، يعنى أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت» .

[٦] الصدار، بكسر الصاد: ثوب رأسه كالمقنعة، وأسفله يغشى الصدر والمنكبين، تلبسه المرأة، وكانت المرأة الثكلى إذا فقدت حميمها فأحدت عليه لبست صدارا من صوف.

قاله فى اللسان.." (١)

"٧٤- ابن الطثرية [١]

٧١٨* هو يزيد بن الطثرية، والطثرية أمه [٢] وهى من طثر [٣] بن عنز بن وائل، وقتلته بنو حنيفة يوم الفلج [٤] ، (فقالت أخته ترثيه [٥] :

أرى الأثل فى جنب العقيق مجاورا ... مقيما، وقد غالت يزيد غوائله [٦]

فتى قد قد السيف، لا متقاذف ... ولا رهل لباته وأباجله [٧]

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحى حتى تستقل مراجله [٨]

---

[١] ترجمته فى الجمحى ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ والأغانى ٧: ١٠٤- ١١٧ واللآلى ١٠٣- ١٠٤ وابن خلكان ٢: ٣٩٥- ٣٩٩ ومعجم الأدباء ٧: ٢٩٩- ٣٠٠ وانظر الحيوان ٦: ١٣٧.

[٢] وأبوه هو «سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة» .

[٣] طثر: بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة.

[٤] الفلج، بفتحتين؛ قرية من قرى اليمامة. وكان مقتله بها فى سنة ١٢٦ هـ وفى ابن خلكان عن أبى الحسن الطوسى: «كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا، عاقلا فصيحا، كامل الأدب، وافر المروءة، لا يعاب ولا يطعن عليه، وكان سخيا شجاعا، له أصل ومحل فى قومه من قشير، وكان من شعراء بنى أمية مقدما عندهم» . وفيه أيضا أن صاحب الأغانى جمع شعره فى ديوان.

[٥] من قصيدة فى الأمالى ٢: ٨٥- ٨٦ والحماسة ٣: ٧٢- ٧٥ من شرح التبريزى.

[٦] الأثل: شجر. العقيق: واد ببلاد بنى عامر، وهو من الحجاز.

[٧] الرهل: المسترخى. الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ فى الرجل، ذكرت الأباجل وهى تريد

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ١/٣٣٣

موضعها، ولذلك جمعتها. تصفه بقلة اللحم على الساق والصدر.

[٨] العذور، بفتح العين والذال وتشديد الواو المفتوحة: السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به. وضبط فى ل بضم الذال وهو خطأ. المراجل: جمع مرجل، وهو القدر العظيم من النحاس. واستقلالها: انتصابها على الأثافى. وصفته بسوء الخلق والتشدد فى الأمر والنهى حتى تنصب المراجل وتهيأ المطاعم للضيفان ثم يعود إلى خلقه الأول. والبيت فى اللسان ٦: ٢٣٠ ومع بيت آخر.." (١)

"وقوله يهجوه:

ولو يرمى بلؤم بنى كليب

الأبيات) [١] .

٨٤٣* ومات الفرزدق قبل جرير [٢] ، فلما بلغ جريرا موته قال:

هلك الفرزدق بعدما جدعته ... ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى، فقيل له: يا أبا حزرة ما أبكاك؟ قال: بكيت لنفسى، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريبا، ثم أنشأ يقول مرثيا له [٣] :

فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامى تميم عرضها والبراجم

بكيناك حدثان الفراق، وإنما ... بكيناك إذ نابت أمور العظائم

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولا شد أنساع المطى الرواسم [٤]

---

[١] سيأتى ص ٣٠٩ ل.

[٢] مات الفرزدق سنة ١١٠ هـ وقد قارب المائة، ولد فى خلافة عمر، ومكث يقول الشعر ٦٤ سنة.

[٣] رثى الميت: ثلاثى، ويأتى رباعيا بالتضعيف «رثاء ترثية» .

[٤] المهيرة: الغالية المهر.." (٢)

"وقال رجل من بني عكل:

ولا يتحشى الفحل إن أعرضت به ... ولا يمنع المرباع منه فصيلها

يتحشى يباليه من حاشى يحاش، يقال: شتمتهم فما تحشيت منهم أحدا وما حاشيت ما باليت، أعرضت

---

(١) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٤١٧/١

(٢) الشعر والشعراء الدينوري، ابن قتيبة ٤٧٢/١

به أي جعلته في عرضها والمرباع التي تنتج في أول الربيع، يقول ينجرها ولا يمنعها منه ولدها فيدعها له تغذوه، وقال المرار:

لا تتقيني الشول بالفحل دونها ... ولا يأخذ الارماح لي ما أطارد

أي لا تستتر بالفحل فإذا نظرت إليه امتنعت من عقرها والأرماح حسنها وسمنها، ومثله:

لا أخون الخليل ما حفظ العهد ... ولا تأخذ الرماح لقاحي

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة وتذكر الإبل:

إذا ما رأته مقبلا بسلاحه ... تقته الخفاف بالثقال البهارز

البهرزة الجسيمة الغليظة. وقال عتيبة بن مرداس:

وما أتقى الساق التي تتقي بها ... إذا ما تفادي الراتكات من العقر

أراد ساق الفحل والناقة الكريمة أي لا أمتنع من ضرب الساق التي تتقي بها، وقال ابن أحمر:

ويوم قتام مزمهر وهبوة ... جلوت بمرباع تزين المتاليا

أي ذهبت بغبرة البؤس فيه ما نحرت، والمرباع التي تنتج في أول الربيع والمتلية واحدة المتالي، مزمهر من المزمهرير، وقال الفرزدق:." (١)

"وما المرء إلا هامة أو بلية ... يصفقها داع له غير غافل

يقول إما أن يموت سريعا فيصير هامة، والعرب تزعم أن عظام الموتى تصير هامة فتطير، وإما أن يتأخر أجله فيتعذب بالهرم فيكون كالبلية التي تعذب حتى تموت هزلا وضرا، والبلية الناقة تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف حتى تموت.

وقال أبو زبيد:

كالبلايا رؤوسها في الولايا ... ما نحات السموم حر الخدود

الولايا البراذع واحدتها ولية، وكانوا إذا فعلوا هذا بالإبل قوروا البرذعة وأدخلوها في عنق البعير.

وقال زهير:

بلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فإن أوجشت منهم فإنهم بسل

بسل حرام، يقول إن أقفرت منهم أي خلت فإنهم كانوا حراما ممتنعين لا يطمع فيهم أحد أن يغزوهم.

وقالت الخنساء ترثي أخاها:

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ٣٩٢/١

أبعد ابن عمرو من ال الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

حلت زينت، وأثقالها موتاها.

وقال الفرزدق:

وجفن سلاح قد فقدت فلم أنح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا." (١)

"أشعار النساء في كل فن

هذه أشعار النساء في كل فن من الجاهليات والاسلاميات والمحدثات من الاماء وغيرهن

حدثنا أبو زيد عمر بن شبة وقرئ عليه وأنا حاضر وقرأت عليه بعض ذلك قال كانوا يقولون أجود أشعار النساء أشعار الموتورات الحاضات على الطلب والدخول والمعيرات في ذلك بالتقصير والثاكلات المؤبنات واشعر النساء في الجاهلية والاسلام. خنساء وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ولها أشعار مشهورة وأخبار مذكورة فمما قالت في التحريض وعبرت فيه بالتقصير في قولها لما قتلت بنو مرة بن سعد بن ذبيان أخاها معاوية بن عمرو تحرض أخاها صخرا على الطلب بدمه:

لا تقتلن بني فزارة انما ... قتلى فزارة والكلاب سواء

ودع الثعالب غثها وسمينها ... ما في الثعالب من أخيك وفاء

وعليك مرة ان قتلت وانما ... قتلاك مرة ان قتلت شفاء

قال أبو زيد ويقال أن معاوية بن عمر بن الشريد ودريد ابن الصمة تقاولا أشعارا ت٥اديها بينهما ثم أنهما التقيا بعكاظ فقال معاوية لدريد أبا قرة اني آليت لأنادمن اليوم خير من ورد عكاظ فانطلق بنا فانطلق معه فسارا حتى عمل الشراب فيهما فتعاقدا لئن قتل أحدهما دون صاحبه ليطلبن بدمه فقتلت بنو مرة معاوية قتله هاشم بن حرملة فطلبه دريد حتى قتله فقالت الخنساء:

فدى للفارس الجشمي نفسي ... وأفديه بمن لي من حميم

أفديه بجل بني سليم ... بظاعنهم وبالأنس المقيم

كما من هاشم أقررت عيني ... وكانت لا تنام لدى المنيم

وأنشد أبو زيد مع المنيم وقال هذه الأبيات مقولة والأصح عندنا في الخبر أن صخرا قتل قاتل أخيه وأدرك بثاره في بني مرة قال وقال أبو عبيدة انما عنيت بقولها للفارس الجشمي قيس بن عيلان الجشمي وكان

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدينوري، ابن قتيبة ١٢١٠/٣

رأى هاشم بن حرملة قد تبرز لحاجته فاغتره فرماه بسهم فقتله وكانت خنساء تحت مرداس بن أبي عامر فقالت لما هلك ترثيه:." (١)

"ولما رأيت البدر أظلم كاسفا ... أرن سرا بطنه وسوائله

رنينا وما يغني الرنين وما قد أتى ... بموتك من نحو القرية حامله

قد اختار مرداسا على العين قائله ... ولو عاده كناته وحلائله

كنانة ج كنة وهي امرأة الأبن أو الأخ

وفضل مرداسا على الناس حلمه ... وان كل هم همه فهو فاعله

وواد مخوف يكره الناس هبطه ... هبطت وماء منهل انك ناهله

وسبي كأمثال الظباء تركته ... خلال البيوت مستكينا عواطله

فعدت عليهم بعد بوسي بأنعم ... فكلهم يجزي به وتواصله

متى ما يوازي ما جدا يعتدل به ... كما عدل الميزان بالكف حامله

ولها في مرئية صخر وهي من خيار شعرها

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كانه علم في رأسه نار

لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار

ولها ترثي أخاه معاوية:

أبعد ابن عمرو من آل الرشيد ... حلت به الأرض أثقالها

حلت من الحلي تقول زينب به الأرض الموتى

سأحمل نفسي على آلة ... فأما عليها وأما لها

قولها على آلة أي على حالة فاصلة فاما ظفرت وأما هلكت

وخيل تكدس بالدار عين ... نازلت بالسيف أبطالها

تكدس يكب بعضها على بعض

يهين النفوس وهون النفوس ... يوم الكريهة أبقى لها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٦٧

فزال الكوكب من فقده ... وجللت الشمس اجلالها

ويروي فخر الشوامخ من فقده ... زلزلت الأرض زلزالها

والشوامخ الجبال:." (١)

"وداهية جرها جارم ... ثقيل الحواضن أحبالها

كفاها ابن عمرو ولم يستعن ... ولو كان غيرك أدنا لها

وكانت الخنساء انشدت النابغة الذبياني فقال لها لولا ان أبا بصير يعني الأعشى وحسان بن ثابت أنشدني آنفا لقلت أني لم أسمع مثل شعرك ولكن والله ما رأيت ذا مثانة قط أشعر منك فقالت له لا والله ولا ذا خصيتين.

وحدثنا أبو زيد قال حدثنا ابن أبي زائدة عن محمد بن اسحاق عن أصحابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه وآله أمر بقتل النضر بن الحارث ابن كلده أحد بني عبد الدار وكان أمر عليا عليه السلام أن يضرب عنقه بالأثيل فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه:

أيا راكبا ان الأثيل مظنة ... من بطن خامسة وأنت موفق

يقول الشارح لم يرد في الأصل الذي طبعنا عنه الكتاب إلا هذا البيت وتمام الشعر هو:

أبلغ به ميتا فان تحية ... ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لما نحا ها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر ان ناديته ... إن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

أمحمد ولأنت صنو نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو الغيظ المحنق

فالنضر أقرب من تركت قرابة ... واحقهم إن كان عتق يعتق

قال فبلغنا انالنبي صلى الله عليه وسلم لى الله عليه وسلم قال لو سمعت هذا الشعر قبل أن أقتله ما قتلته ويقال ان شعرها أكرم شعر موتور وأحسنه.

النساء المشهورات في الشعر

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٦٨

ومن النساء المشهورات في الشعر

ليلى بنت الأخيل بن ذي الرحالة بن شداد بن عبادة بن عقيل وكانت ليلى هاجت النابغة فقال لها:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا ... فقد ركبت أمرا أغر محجلا

هلا زجر للفرس الأنثى عند النزو عليها لتسكن فهجته وبلغها أن بني جعدة استعدوا عليها وقالوا قذفتنا فقالت:." (١)

"من قومه معهم المزاد " ج مزادة وهي ركية الماء فيها الماء فغسله وكفنه ودفنه وبلغ خبره ليلى فقالت:

لبيك العذارى من خفاجة كلها ... شتاء وصيفا دائبات ومربعا

على ناشئ نال المكارم كلها ... فما انفك حتى احرز المجد أجمعا

وقالت تلوم أخاه قابضا:

دعا قابضا والمرهفات ينشنه ... فقبحت مدعو ولبيك داعيا

فليت عبيد الله كان مكانه ... صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وقالت القابض:

فإنك لو كررت خلاك ذم ... وفارقك ابن عمك غير قالي

ألم تعلم جزاك الله شرا ... بأن الموت منهاة الرجال

وقالت **ترثيه** في شعر طويل:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... فتى ما قتلتم بني عوف بن عامر

وإن لا يكن فيها بواء فانكم ... ستلقون يوما ورده غير صادر

فتالله تبني بيتها أم عاصم ... على مثله أخرى الليالي الغوابر

فتى كان للمولى سناء ورفعة ... وللطارق الساري قرى غير غامر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى ... لقدر عيا لا دون جار مجاور

فنعم الفتى ان كان توبه فاجرا ... وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر

فتى هو أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

وقالت:

أقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٦٩

لعمرك ما بالقتل عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاور

وما الحي مما أحدث الدهر معتبا ... ولا الميت ان لم يصبر الحي ناشر." (١)

"وقالت مارة بنت الديان أحد بني الحارث بن كعب وقتلت باهلة مرة بنت عاهان الحارثية تحرض قومها:

قل للفوارس لا تئل أعيانهم ... من شر ما حذروا وما لم يحذر

التاركين أبا الحصين وراءهم ... والمسلمين صلاءة بن العنبر

لما رأيت الخيل قد طافت به ... شبخت شحالك في عنان الأشقر

ولقد بكيت على شبابك حقبة ... حتى كبرت وليت ان لم تكبر

يا معشر الأبناء ان فزتم بها ... فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر

فأبوكم قرم سرى بهلانكم ... وعمودكم صلب كريم المكسر

وقالت بنت مرة بن عاهان ترثيه:

أنا وباهلة بن عفصة بيننا ... داء الضرائر بغضة وتناف

من يتلقفوا منا فليس بآيب ... أبدا وقتل بني قتيبة شاف

ذهبت قتيبة في اللقاء بفارس ... لا طائش رعش ولا وقاف

وقالت جنوب أخت عمرو الكلب أحد بني كاهل وكان عمرو بغزو فهما فيصيب منهم فوضعوا له رصدا على الماء فأخذوه فقتلوه ثم مروا بأخته فقالوا أنا طلبنا عمرو أخاك فقالت لئن طلبتموه لتجدنه منيعا ولئن ضفتموه لتجدنه مريعا ولئن دعيتموه لتجدنه سريعا قالوا قد أخذناه وقتلناه وهذا سلبه قالت لئن سلبتموه لا تجدون ثبته وافية ولا حجزته جافية ولا ضالته كافئة ولرب ثدى منكم قد افترشه ونهب قد افترسه وضب قد احترشه ثم قالت:

سألت بعمرو أخي صحبه ... فافزعني حين ردوا السؤالا

وقالوا تركناه في غارة ... بأية ما قد وثنا النبالا

أتيح له أنمرا أحبل فنا ... لا لعمرك منه ونالا

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧١

وأقسم يا عمرو لو نبها ... ك إذا نبها منك أمرا عضالا

اذا نبها ليث عربنة ... مفيدا مغيثا نفوسا ومالا." (١)

"هزيرا فروسا لأعدائه ... هصورا إذا لقى القرن صالا

هما بتصرف ريب المنون ... ركنا ثبيتا صليبا ازالا

هما يوم حم له يومه ... وقالا أخوفهم بطلا وقالا

فهلا إذا أقبل ريب المنون ... فقد كان رجلا وكنتم رجالا

وقد علمت فهم عند اللقاء ... بأنهم كانوا لك نفالا

نفالا جمع نفل وهي الغنيمة

كأنهم لم يحسوا به ... فيحلوا النساء له والحجالا

تريد أنهم يحسوا به ... فيهربوا فيسبي نساءهم حلالا له

ولم ينزوا بمحول السنين ... به فيكونوا عليه عيالا

وقد علم الضيف والمرملون ... اذا اغبر أفق وهبت شمالا

المرملون ج مرمل وهو الذي فنى زاده

وخلت عن أولادها المرضعات ... ولم تر عين بمزن بلالا

ذلك كناية عن الأمور الشديدة والأحوال العصبية

بأنك الربيع وغيث مريع ... وقدمنا هناك تكون الثمالا

الثمال الغياث الذي يقوم بأمره قومه

وخرق تجاوزت مجهولة ... بوجناء حرف تشكي الكلالا

الخرق القفر والوجناء الناقة ،لشديدة والحرف الناقة الضامر الصلبة

فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

وخيل سمت لك فرسانها ... فولوا ولم يستقلوا قبالا

وحيا أبحت وحيا منحت ... وحيا صبحت منا عجالا

وكل قبيل وان لم تكن ... أردتهم منك باتوا وجالا

قال أبو زيد قتل كرز بن عامر عبادة بن عقيل بن حصن بن بدر فقالت أخته هند بنت حذيفة ترثيه وتهز

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٢

قوما على الطلب بدمه:

تطول ليلي للهموم الحواضر ... وشيب رأسي يوم وقعة حاجر." (١)

"وتالله لولا خشية الله وحده ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

فذهب عنها حتى أصبح فسأل عنها فأخبر أن زوجها غائب فأجرى على المرأة نفقة وكتب أن يقتلوا زوجها

وأنشد لعرفجة الخزاعية في أخيها ورقة وقتلته جهينة:

ودعنا فارس بشكته ... في ملتقى الخيل خاليا ورقه

بطعنة نواعرها عند ... مجال الخيول متفقة

تمج من صابك على بشر ... كأنما ثوبه به علقه

لما رأى عامرا وأخواتها ... على عتاق لوقعها صلقه

يزجون خوص العيون شازبة ... كأنها بالحبيك منبقة

جرد خماص البطون لاحقة ... سيوفهم في أكفهم أنقة

ساقوه الينا الكماة معلمة ... يقودها في عناقها العرقة

جهين لا تقطعي مودتنا ... وحلفنا والخيول منطلقة

واسجحي اذ ملكت في مهل ... وارعي جوارا حباله علقه

أفلح من جاره خزاعة في الجذب ... وبيض الصفاح مؤتلقة

وأنشدني المراني قال أنشدني أبو سعد الحنفي قال أنشدني أبومجيب لأم قيس الضبية ترثي ابنها:

من للخصوم إذا طال الضجاج بهم ... بعد أن سعد ومن للضمر القود

وموقف قد كفيت الغائبين به ... في مجمع نواصي الناس مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس ... عند الحفاظ وقلب غير مبلود

اذا قناة امرئي ازري بها خور ... هز ابن سعد قناة صلبه العرد

وقالت أم عمرو بنت المكدم ترثي أخاها ربيعة بن مكدم:

ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سجلا فلا عازب منها ولا راق

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٣

أبكي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حرا حزنه باقي

لو كان يرجع ميتا وجد مشفقة ... ابقي أخي سالما وجدي واشفاقي." (١)

"أو كان يفدي فكان الأهل كلهم ... وما أثمر من مال له واقي

لكن سهام المنايا من نصبن له ... لم ينجه طب ذي طب ولا راق

فاذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... لاقي الذي كل حي مثله لاقي

فسوف أبكيت ما ناحت مطوقة ... وما سرت مع الساري على ساقي

تبكي لذكره عين مفجعة ... ما ان يجف لها من ذكره ماقي

وقالت ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة الخير بن القشير **ترثي** زوجها هشام بن المغيرة وكانت قد أسلمت وولدت لهشام سلمة:

إنك لو وألت إلى هشام ... أمنت وكنت في حرم مقيم

كريم الخيم خفاف حشاه ... ثمال لليتيمة واليتيم

ربيع الناس أروع هبرزي ... أبي الضيم ليس بذي وصوم

أصيل الرأي ليس بحيدري ... ولا نكد العطاء ولا زميم

ولا خذالة إن كان كون ... دميم في الأمور ولا مليم

ولا متنزع بالسوء فيهم ... ولا قذع المقال ولا غشوم

فأصبح ثاويا بقرار رمس ... كذاك الدهر يفجع بالكريم

وقالت حين هاجر ابنها سلمة إلىالنبي صلى الله عليه وسلم لى الله عليه وسلم:

اللهم رب الكعبة المحرمة ... انصر على عدو سلمة

له يدان في الأمور المبهمة ... كف بها يعطي وكف منعمة

أجرأ من ضرعامة في أجمه ... يحمي غداة الروع عند الملحمة

بسيفه عورة سرب المسلمة

وقالت لسلمة شعر:

نمى به إلى الذري هشام

قدما وآباء له كرام ... جحاجح خضارم عظام

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٧

من آل مخزوم وهو النظام ... والرأس والهامة والسنام

وأنشد للجوزاء بنت عروة أخت عبد الله بن عروة البصري وكان يزيد بن." (١)

"المهلب أخذه مع عدي بن ارطاة فحمله إلى واسط فلما قتل يزيد عدا عليهم ابنه معاوية فقتلهم وهم أسرى في يده فقالت الجوزاء ترثي أخاها وتهجو يزيد:

أيزيد حاربت الملوك ولم يكن ... تلقى المحارب للملوك رشيدا

هذا وجدت عصابة أوردتهم ... حوضا سيورث ورده التفنيدا

فلبيت ذات الحرمات لس بنائل ... والأكرمين أبوة وجدودا

رهطالنبي صلى الله عليه وسلم ني الآله عليهم ... سقف الهدى ومن القرآن عمودا

قوم هم منوا عليك وانعموا ... حتى لبست من الطراز برودا

فكفرت نعمتهم عليك وانما ... بلد العبيد المقرفون عبيدا

ما زال في حماقته متهوكا ... حتى رأى غلس الظلام جنودا

فكفوا رياضته وذلل صعبه ... ومضى بهامته الرسول بريدا

طلب الخلافة في هجار فلم يجد ... بهجار من شجر الخلافة عودا

وقالت الفارغة بنت معاوية القشيرية في يوم النسار:

شفى الله نفسي من معشر ... اضاعوا قدامة يوم النسار

أضاعوا فتى غير جثامة ... طويل النجاد بعيد المغار

ينبي الفوارس عن رمحه ... بطعن كافواه كعب المهار

وفرت كلاب على وجهها ... خلا جعفر قبل وجه النهار

وقالت عمرة بنت دريد بن الصمة في مقتل أبيها يوم حنين:

لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة حيش العناق

جزى عنا الآله بني سليم ... بما فعلوا وعقتهم عقاق

وأسقانا إذا قدنا اليهم ... دماء خيارهم عند التلاقي

فرب كريمة اعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثاق

ورب منوه بك من سليم ... دعاك فقد أجبت بلا رماق

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٨

وربّ عظيمة دفعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقي

فكان جزاؤنا منهم عقوقا ... وهما ماع منه مخ ساقي." (١)

"وقالت سارة بنت معاذ بن عفراء في قتلى الأنصار يوم الحرة:

صبرت بنو النجار أنفسها ... حتى استقر بقاعها الضرب

قتلتهم أفناء ذي يمن ... والمعجبون والبت كلب

وبنو أمية تحت رايتهم ... وبنو فزارة منهم ركب

آليت أنسى معشري أبدا ... حتى يزول بأهله الهضب

وقالت سلمى بنت حريث بن الحارث بن عروة النضرية **ترثي** زفر:

أصبحت نهبا لريب الدهر صابرة ... للذل أكثر تحنانا إلى زفر

إلى امزء ماجد الآباء كان لنا ... حصنا حصينا من اللأواء والغير

فالله أحمد اذ لاقى منيته ... أبو الهزيل كريم الخيم والخبر

كان العماد لنا في كل حادثة ... تأتي بها نائبات الدهر والقدر

وكان غيثا لأيتام وأرملة ... وعصمة الناس في الأقتار واليسر

سمح الخلائق محمود له شيم ... يرجوا منافعها الهلاك من مضر

حمال ألوية تخشى بوادره ... يوم الهياج إذا صاروا إلى البتر

كم قد حبرت حريبا بعد عيلته ... وكم تركت حريبا طامح البصر

يمشي العرضنة مختالا بما ملكت ... كفاه من منفس الأموال والغرر

صيرته عائلا من بعد ثروته ... نصبا لاعدائه الباغية كالبعر

ومضلع يرهب الأبطال غرته ... كفيت فينا بلا من ولا كدر

قال أبو زيد قال رجل خرجت في بغاء بعير لي أضللته فسقطت على امرأة في فناء ظلها لم أر لها شبيها فقالت ما أوطأك رحلنا يا عبد الله قلت بعير لي أضللته فانا في التماسه قالت أفلا أدلك على من هو أجدى عليك بعيرك منا قلت بلى قالت الله فادعه دعاء واثق لا مختبر قال فشغلتني بقولها عن وجهها فقلت يا هذه أذات بعل أنت قالت كان فمات يرحمه الله فقلت هل لك في بعل لا يعصيك فأكبت على الأرض

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٧٩

طويلا ثم رفعت رأسها فقالت:

كنا كغصنين في أرض غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات." (١)

"وقالت أم الفضل بنت الحارث وهي ترقص ابنها عبد الله بن عباس:

ثكلت نفسي وثكلت بكري ... ان لم يسد فهر أو غير فهر

بالحسب الوافي وبذل الوفر

وقالت أم حكيم بنت قارظ امرأة عبيد الله بن عباس وقتل بسر بن أرطاة ابنيها:

يا من أحس بابني اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بابني اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

نبئت بسر أو ما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الأفك الذي اقترفوا

انحى على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

من دل والهة حرى مسلبة ... على صبيين إذ أرادهما التلف

ويقول الشارح وقد جاء في الأصل الذي طبعنا عنه هذا الكتاب خبرا أن بعد الشعر السابق مضى ورودهما قبل فحذفناهما تفاديا من التكرار وقالت موافية بنت أوس إحدى بني ضبة:

على جوف ذي قار إذا الريح قلصت ... بنا نحو نجد لعنة لا تزايله

عوامد لليسراة أو عن شمالها ... قواصد للجد العذاب من اهله

وقالت الحولاء بنت أسعد الكلبية:

لبئس غبوق أم الحي وهنا ... رحا حنانه فوق الثقال

أدير بها وقد قطعت فؤادي ... أرواح باليمين وبالشمال

وقال أبو زيد كان عطاء نساء الاشراف بالكوفة مائتين فلما ولى سعيد بن العاص لعثمان حط عطاءهن فقالت امرأة منهن:

ليت أبا اسحاق كان اميرنا ... وليت سعيدا كان أول هالك

يحطط أشراف النساء ويتقي ... بأنيابهن مرهفات النيازك

وقالت امرأة من حمير **ترثي** أخوتها:

أخوتي من صعقة همدوا ... همدوا لما انقضى الأمد

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨١

ما أمر العيش بعدهم ... كل عيش بعدهم نكد

ابن عبد الحجر والصمد ... ويزيد الفارس النجد." (١)

"وليلة يصطلي بالفرث جارذها ... يختص بالنفر المثرين راعيها

أطعمت فيها على جوع ومسبغة ... شحم العشار إذا ما قام ناعيها

وقالت خالدة بنت هاشم بن عبد مناف **ترثي** أباها:

عين جودي بعبرة وسجوم ... واسفحي الدمع للجواد الكريم

عين واستعبري وسحي ... أوجمي لأبيك المسود المقلوم

هاشم الخير ذي الجلال والحمد ... وذي الباع والندى والصميم

وربيع للمجتدين وحرز ... ولزاز لكل أمر جسيم

سمري نماه للعز صقر ... شامخ البيت من سراة الأديم

شيظمي مهذب ذي فضول ... أبطحي مثل القناة وسيم

صادق الباس في المواطن شهم ... ماجد الجد غير نكس ذميم

غالبي مشمر أحوذي ... باسق المجد مصرخي حليم

وقالت:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وعاودها إذا تمسي قذاها

أبكي خير من ركب المطايا ... ومن لبس النعال ومن حذاها

أبكي هاشما وبني أبيه ... فعيل الصبر اذ منعت كراها

وكنت غداة أذكرهم أراها ... شديدا سقمها باد جواها

فلو كانت نفوس القوم تفدي ... فديتهم وحق لها فداها

وقالت أم حكيم بنت عبد المطلب **ترثي** أخاها الحارث:

مالك ديار قد افحمت ... من ربها ميت الحلال

ميت الرزية والمصيبة ... والفضيلة والفعال

فلئن هلكت لتورثن ... من خير ميراث الرجال

المال والجد التل ... يد فضول صون وابتذال

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٤

العز والزاد الكثير ... وانساكمها الرحال

التارك الكثير الخبي ... ث وباذل الكسب الحلال

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ترثي أباها:." (١)

"عيني جودا بدمع غير ممنون ... ان أنهما لا بدمع العين يشفيني

إني نسيت أبا أروى وذكرته ... عن غير ما بغضة ولا هون

مازال أبيض مكراما ما لأسرته ... رحب المحاسن في خصب وفي لين

من آل عبد مناف ان مهلكه ... ولو لقيت رغوب الدهر يعصيني

من الذين متى ما تغش ناديهم ... تلق الخضارمة الشم العرانين

وقالت درة بنت أبي لهب:

لاقوا غداة الروع ضموزة ... فيها السنور من بني فهر

ملومة خرساء يحسبها ... من رامها موجا من البحر

ذعاف الموت أبرده ... يقلي بهم واحره يجري

قومي لو أن الصخر ظالمهم ... صبروا وفل عرمس الصخر

وقالت سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي عمها المطلب بن عبد مناف وهي جدة المغيرة بن شعبة وكانت تحت مسعود بن المغيث:

أعيني جودا على المطلب ... بوبل وماء له منسكب

أعيني واسحفنرا واندبا ... حليف الندى وقريع العرب

أخا الجود والمجد والمعضلات ... اذا أنقطع الدر بعد الحلب

وأكدى الم سامیح والمنعمون ... من أهل الفعال وأهل الحسب

وقالت هند بنت عتبة:

قامت يهود بأسيافها ... قصار الجدود لئام الحسب

عبيد ابي كرب وتبع ... عبيد قصار دقاق النسب

انشد ابن الاعرابي لدختنوس بنت لقيط:

فر ابن قهوس الدعى ... كأنه رمح متل

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٦

يعدو به خاظي البضي ... ع كأنه سمع أذل

إنك من قيس فدع ... غطفان ان نزلوا أو حلوا

لا عزهم منك ولا أباؤك ... ان هلكوا وذلوا." (١)

"فخر البغي بحدج ربتها ... اذ الناس استقلوا

لا رحلها حملت ولا لرعاك ... فيها مستظل

ولقد رأيت أباك ... وسط القوم بريق أو يحل

في جيده ربق الغرار ... كأنه في الجيد غل

ابن راب قال غزا جيش لأهل البصرة فيهم أبو المختار بن يزيد بن الصعق الكلابي مكران فخرج في غارة وخرج معه رهط فيهم رجل من بني نهد ورجل من باهلة معه أناس من باهلة فخرج عليهن العدو فقاتل ابن المختار فقتل ودخل ابن الباهلي وأصحابه في غيضة فقالت بنت أبي المختار:

لله در عصابة نبئتهم ... تركوا وراءهم أبا المختار

وتعلق النهدي ضل ضلالة ... بعناء منتخب الفؤاد مطار

فكأنما ربص الأراك بمهرة ... حواءة نبتت بصحن قوار

والباهلي وعصبة من قومه ... دخلوا غلال الغاب كالأثوار

أنشدني الكراني قال أنشدني دماذ لامرأة من عكل:

لإن الفت عيني البكاء وأوحشت ... من النوم إذا أودى أخي والندى معا

لقد كان كهفا للصديق فخلجت به ... نكبات الدهر عني فودعا

وأنشد لامرأة مجهولة:

لحا الله دهرا نابنا بصروفه ... تقضي فلم يحسن الينا التقاضيا

فتى لم يكن يطوي على الكشح نفسه ... اذا ما انتجت نفساه في الأمر خاليا

وقالت امرأة من بني ضبة ترثي ابنا لها:

يا سيف ضبة لا يعصك بعده ... أبدا فتى بجماجم الأقران

جاء الفوارس جانبين جواده ... وأقام فارسه فتى الفتيان

قال اسحاق انشدتني امرأة ترثي أخاها وزوجها وابنها:

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٧

افردني ممن أحب الدهر ... من سادة بهم يتم الأمر

ثلثة مثل النجوم زهر ... فان جزعت انه لعذر." (١)

"وإن صبرت لا يخيب الصبر

قال ولما ركب محمد بن عبيد الله بن معمر الذي هرب إلى دمشق فمات على ثمانية أميال من دمشق وكان موته بحضرة عبد الله بن مروان فقالت امرأة على قبره:

ألا هلك الجود والنائل ... ومن كان يعتمد السائل

ومن كان يطمع في سيبه ... غني العشيرة والعائل

فمن قال خيرا وأثنى به ... عليك فقد صدق القائل

ثم قالت يا سيد العرب فزجرت وقيل تقولين هذا بحضرة أمير المؤمنين فقال عبد الله دعوها فقد صدقت

وقالت صفية بنت الخزع التيمية:

قد غاب عنه فلم يشهد فوارسه ... ولم يكونوا غداة الروع يحزونه

نطاقة هند وان وجنته ... فضفاضة كأضاة النهي موضونة

فقد قتلنا شقاء النفس لو قنعت ... وما قتلنا به إلا إمرئ دونه

قال الأصمعي دخلت المقابر فإذا أنا بامرأة تنوح على زوجها وهي سافرة فلما رأتني غطت وجهها ثم كشفته فقالت:

لا صنت وجها كنت صائنه ... أبدا ووجهك في الثرى يبلى

يا عصمتي في النائبات ويا ... ركني القوي ويا يدي اليمنى

وقالت ابنة عيينة ترثي أباها:

تروحنا من اللعاب قصرا ... فاعجلنا الآله ان تؤوبا

على مثل ابن مية فأنعياه ... يشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبو عيينة شمريا ... ولا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا باليدين إذ اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا

أنشدنا ثعلبي لامرأة من طي:

دعا دعوة عند الشرا آل مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٨

الشرا موضع والحفيظة الغضب ويكلم بجرح وهو هنا كناية عن الغلب والقتل

فيا ضيعة الفتيان اذ يقتلونه ... ببطن الشرا مثل الفنيق المسدم

الفنيق الفحل المنعم. والمسدم المشدود الفم

أما في بني حصن من ابن كريمة ... من القوم طلاب التراب غشمشم." (١)

"أشعار النساء في النسيب والغزل

ومن أشعار النساء في النسيب والغزل وغير ذلك

أنشدنا أبو زيد عمر بن شبة قال أنشدني اسحاق بن ابراهيم الموصلي لبثينة **ترثي** جميلا حين بلغها موته:

وإن سلوى عن جميل لساعة ... من الدهر ما جاءت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... اذا مت بأسأ الحياة ولينها

وأنشد لعفراء بنت مالك **ترثي** عروة بن حزام:

إلا أيها الركب المخبون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام

فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

وبات الحبالى لا يرجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام

قال أبو زيد نظرت امرأة إلى رجل نظيف دفيف مهفهف خميص البطن فأعجبها ومعها زوجها أجبن عظيم البطن مهبج فقالت للرجل الذي رأته:

شهدت على نفسي بأنك بارد اللثا ... ت وان الخصر منك لطيف

وأنك مشيوح الذراعين خلجم ... وإنك إذ تخلو بهن عنيف

فسمعها زوجها فقال من تعنين قالت إياك أعني قال كذبت ما أنا كما وصفت فاصدقيني قالت وتكتم علي قال نعم فأخبرته فطلقها وأخبر بما قالت فقالت:

غدرت بنا بعد التصافي وخنتنا ... وشر خلال الرجال خؤونها

وضيعت سرا كنت أنت أمينه ... ولا يحفظ الأسرار إلا أمينها

قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا محمد بن كناسة قال حاورت امرأة تدعى أم الربيع الملأة بنت الفرات بن معاوية هكذا قال وانما هي امرأة الفرات قال فواصلتها ثم انتقلت فقطعتها ثم رجعت فواصلتها فقالت الملأة:

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٨٩

سقيا لدار بني حبيش ... أنها ردت على وصال أم ربيع

فقدت بها لطف الصديق فراجعت ... وصالي وما كادت الي تريع." (١)

"لله ما زهرية سلبت ... ثوبيك ما استلبت وما تدري

وقالت أيضا:

بني هاشم قد غادرت من أخيكم ... أمينة أدللباه يهتلجان

كما غادر المصباح بعد خبوه ... فتايل قد ميثت له بدهان

وما كل ما يحتوي الفتى من تلاده ... لحزم ولا ما فاته لتوان

فاجمل إذا طالبت امرا فانه ... سيكفيكه جدان يصطرعان

سيكفيكه أما يد مقفلة ... وأما يد مبسوطة تبنان

ولما حوت منه أمينة ما حوت ... حوت منه فخرا ما لذلك ثان

العتبي قال حدثني أبو سليمان مولى لقريش قال كانت السبقة عند بني أمية مئة ناقة حمراء لا يمنعون أحدا قاد اليهم فرسا فأرسل الوليد بن عبد الملك في الحلبة العظمى فلما مدت الحبال في صدور الخيل جاءت عجوز من بني نمير تقود فرسا لها وعليها غرارة تحتها وهي تقول:

فتاتنا المنسوبة الكريمة ... ميمونة الطليعة لا مشومة

ثم قالت يا أمير المؤمنين ادخل فرسي قال أدخلوها ما هذه الغرارة على عنقك قالت فيها عقل السبقة قال انك لواثقة بفرسك قالت ثقتي بهذه صيرتني تحت هذه فجاءت فرسها سابقة فأخذت الماية قال فالنسل من خيلها معرف يقال خيل العجوز أنشد العتبي لحمدة بنت ضرار ترثي أخاها:

ما بات من ليلة قد شد مئزره ... قبيصة بن ضرار وهو موتور

لأتقرب الكلم العوران مجلسه ... ولا يذوق طعاما وهو مستور

امرأة من خثعم:

فان تسألونني من أحب فانني ... أحب وبيت الله كعب بن طارق

أحب الفتى الجعد السلولي طارقا ... على الناس معتاد الضرب المفارق

وقالت أخرى:

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٩٣

لو أن فتى مال مني ذو قرابة ... ولا ذمني حتى الممات رفيق

ولا برحت عندي جوار معدة ... ولا زال بردي ما يقيت رقيق." (١)

"يضيء خصاص البيت والستر دونه ... لنا غرب نابليه إذا ما تبسما

وقالت أسدية في أيام ابن الزبير:

نروح ركاض ولم يقض ذمة ... وابن ركاض إذا ما تيمنا

الا ليت ركاضا ألم فباعنا ... زيارته ان كان عنا بها ضنا

ويا ليت ركاضا ألم فزارنا ... على ساعة قد غاب فيها العدى عنا

وقالت امرأة من الحرقة **ترثي** الحصين بن الحمام المري:

ألا ذهب الحلو الحلال الحلاحل ... ومن مجده حزم وعزم ونائل

وقالت رابطة البهرية **ترثي** أخاها وقتلته هذيل:

إن ابن عاصية البهزي مصرعه خلى ... عليك فجاجا كام يحميها

المانع الأرض ذات العرض خشيته ... حتى تمنع من مرعي مجانيها

وليلة يصطلي بالفرث جازره ... حيري جمادية قد بت تسريها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... من القريس ولا تسرى أفاعيها

كانت هذيل تمنى قتله سلما ... فقد أجيبت فلا تعجب أمانيها

حلو ومر جميع الأمر مجتمع ... مأوى أرامل لم تنعص عفاريها." (٢)

"والشكيمة: شدة النفس وصحة العزيمة. والشكيمة. الحديدة المعترضة في اللجام.

حتى تفرجت الآلاف عن رجل ... مجدل خر كرها غير مختار

تجيش منه فويق الثدي مزبدة ... بعاند من نجيع الجوف ثوار

لو منكم كان فينا لم ينل أبدا ... حتى تلاقوا أمورا ذات آثار

أعني الذين إليهم كان منزله ... هل تعرفون ذمام الضيف والجار؟

تعاقب خفاف بن ندبة وعوفا لأنهما هربا عنه وهما من المعدودين من الفرسان. وكان خفاف من فرسان العرب وأدرك الإسلام فأسلم.

---

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٢٠١

(٢) بلاغات النساء ا بن طيفور ص/٢٠٣

لا صلح حتى تكروا الخيل عابسة ... تعدو وترمي بمهرات وأمهار

فتغسلوا عنكم عارا تجللكم ... غسل الجواري حيضا عند أطهار

قال: هذا مثل وقالت أيضا **ترثي** صخرا: المتقارب

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

فأقسمت آسى على هالك ... وأسأل نائحة ما لها

أبعد ابن عمرو بن آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

معنى حلت به الأرض أثقالها: من الحلية: أي زينت به أثقالها، تعني الموتى. قال الله عز وجل: وأخرجت الأرض أثقالها قالوا: يعني الموتى.

لعمر أبيه لنعم الفتى ... تحش به الحرب أجذالها

أي توقد به الحرب أجذالها. والجذل: أصل الشجرة. فضربته مثلا لشدة الاتقاد، وأنه صاحب ذلك.." (١)

"وقالت أيضا **ترثي** أخاها معاوية بن عمرو: الوافر

هريقي من دموعك واستفيقي ... وصبرا إن أطقت ولن تطيقي

وقولي إن خير بني سليم ... وفارسهم بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي ... وأيام لنا بلوى الشقيق

وإذ فينا معاوية بن عمرو ... على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد ولى حميدا ... أصيل الرأي محمود الصديق

فلا والله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

وكانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلق النساء رؤوسهن، ولطمن خدودهن بالنعال.

وقال عبد مناف بن ربيع الهذلي يذكر أختيه: البسيط

إذا تأوب نوح قامتا معه ... ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

ألا يا لهف نفسي بعد عيش ... تولى بعده عيش أنيق

وإذ يتحاكم الحكام فينا ... إلى أبياتنا وذوو الحقوق

وإذ فينا فوارس كل هيج ... إذا فزعوا وفتيان الخروق

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٢١

الخروق جمع خرق، وهو المتسع من الأرض، وذلك قول رؤبة ابن العجاج: الرجز

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

أي المتسع. وقال بعض المفسرين في قول الله جل وعز: إنك لن تخرق الأرض قال: تبلغ قطريها. والقول الفاشي إنما هو تنقبها بأجمعها إلى حيث بلغت.." (١)

"وكان هاشم من أشد العرب، وله يقال: مشطور الرجز

أحيا أباه هاشم بن حرمله ... يوم الملوك حوله مغربله

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

فقالت الخنساء ترثيه وأخاها صخرا: الوافر

بكت عيني وعاودت السهودا ... وبت الليل جانحة عميدا

لذكرى معشر ولوا وخلوا ... علينا من خلافتهم فقودا

فكم من فارس لك أم عمرو ... يحوط سنانه الأنس الحريدا

الحريد: البعيد

كصخر أو معاوية بن عمرو ... إذا كانت وجوه القوم سودا

يرد الخيل دامية كلاها ... جدير يوم هيجا أن يصيدا

يكبون العشار لمن أتاهم ... إذا لم تصمت الأم الوليدا

فتابع بينهم ورد فأضحوا ... مع الهلاك قد لحقوا ثمودا

وقالت أيضا ترثي صخرا: الطويل

ألهفي على صخر لكل عظيمة ... إذا الخيل من طول القياد اقشعرت

إذا الخيل شكت في السريح وطابقت ... طباق الكلاب في الهراش وصرت

يقال: شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلعت ظلعا خفيفا كما قال ذو الرمة: البسيط

.... كأنه مستبان الشك أو جنب." (٢)

"وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع. وطابقت أي وقعت أرجلها مكان أيديها وصرت آذانها.

وخيل تنادى لا هوادة بينها ... مررت بها دون السوام ومرت

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٢٨

(٢) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٣٢

كأن مدلا من أسود تبالة ... يكون لها حيث أستدارت وكرت

شددت عصاب الحرب إذ هي مانع ... فألقت برجليها مريا ودرت

وكان أبو حسان صخر يصدها ... ويرغثها بالرمح حتى أقرت

وكانت إذا ما حالب يستدرها ... تقته بإيزاغ دما واقمطرت

اقمطرت: معناه اشتدت وقالت أيضا ترثيه: الطويل

أمن حدث الأيام عينك تهمل ... تبكي على صخر وفي الدهر مذهل

ألا من لعين لا تجف دموعها ... إذا قيل تفنى تستهل فتحفل

على ماجد ضخم الدسيعة سيد ... له سورة في قومه ما تحول

قال: السورة ها هنا: الدرجة من الملك والقدرة العالية، من ذلك قول النابغة: الطويل

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

ويقول الرجل: سرت، فمعناه: ارتفعت وعلوت. قال العجاج: الرجز

يا رب ذي سرادق محجور ... سرت إليه من أعالي السور

وقال الأخطل يصف خمرا خرجت حين فتح مبزلها: البسيط

لما أتوها بمصباح ومبزلهم ... سارت إليه سؤور الأبجل الضاري." (١)

"وقال امرأة من كندة ترثي إخوتها: الطويل

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ... فماتوا وأطراف القنا تقطر الدما

ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أسباب مجد تصرما

وقال رجل من الخوارج يرثي عددا منهم: الوافر

ألا في الله لا في الناس سالت ... بداوود وإخوته الجذوع

مضوا قتلا وتشريدا وصلبا ... تحوم عليهم طير وقوع

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وقالت الكندية: البسيط

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٣٣

لا تخبروا الناس إلا أن سيدكم ... أسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا

أعني فتى لم تهب الريح رائحة ... يوما من الدهر إلا ضر أو نفعا

الواهب الألف لا يبغي لها ثمنا ... إلا من الله والحمد الذي صنعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي: البسيط

قد كنت أبكي على من فات من سلفي ... وأهل ودي جميع غير أشتات

والآن إذ فرقت بيني وبينهم ... نوى بكيت على أهل المودات

وما بقاء امريء كانت مدامعه ... مقسومة بين أحياء وأموات

وكان أبو عبد الرحمن وسيطا في قريش، من ولد عتبة بن أبي سفيان. وكان معدنا من معادن العلم بالأخبار جاهليتها وإسلاميتها وكان بالإسلامي أخبر. وتوالى له بنون موتا. ورثاهم مراثي كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم من المراثي إن شاء الله.." (١)

"لامرأة من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيىء

قال أبو العباس، وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيىء.

لا تحمدن الدهر أخت أخالها لها ... ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة ... وهم طرحوها في الأقاصي الأباعد

ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما النكاح رق لينظر امرؤ من يرق كريمته. وعلى هذا جاءت اللغة، فقالوا كنا في إملاك ١ فلان، وفي ملك فلان، وفي ملك فلان، وفي ملكة فلان. وفي ملكان فلان، ويقول الرجل: ملكت المرأة وأملكنيها وليها، ومن ذلك أن يمين الطلاق إذا وقع فيها حنث غنما يكون محلها محل الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق.

وقال رسول الله: "أوصيكم بالنساء فإنهن عندكم عوان" أي أسيرات، ويقال، عني فلان في بني فلان إذا أقام فيهم اسيرا، ويقال: فلان يفك العناة، وأصل التغنية التذ ليل، وأصل الإسار الوثاق، ويقال للقتب مأسور إذا شد بالقد، هذا أصل هذا، فأما المثل في قولهم: إنما فلان غل قمل، فإنهم كانوا يتخذون الغلال من القد، فكانت تقمل.

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٧٩

١ الإملاك: مصدر أملك، وهو النرويج.." (١)

"موضعي هذا، فقالوا: شأنك، فصرخ بقومه بعد أن قالا له: شأنك، فأسمعهم على مسيرة ليلة.

ويروى عن حماد الرواية قال: قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها: أرأيت قول أبيك:

بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم منه سجدا للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

أبت عادة للورد أن يكره الوغى ... وحاجة رمحي في نمير بن عامر

فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقعة فقال: نعم. فقلت: فكم كانت خيلكم قال: ثلاث افراس، أحدها فرسه، قال: فذكرت هذا لابن أبي بكر الهذلي، فحدثني عن أبيه قال: حضرت يوم جبلة، قال: وكان قدبلغ مائة سنة؛ وكان قد أدرك أيام الحجاج، قال: فكانت الخيل في الفريقين، مع ما كان مع ابني الجوني-، ثلاثين فرسا، قال: فحدثت بهذا الحديث الخثعمي - وكان رواية أهل الكوفة - فحدثني: أن حثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور، فقالت أخته **ترثيه**:

لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل حثعما

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها روا رعالا كأنها ... جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك فقالت: اللهم إني لا اعرف غلا فرسه.

قوله: "قد شد عقد الدواير" يريد عقد دوابر الدرع، فإن الفارس إذا حمى فعل ذلك.

وقوله: "تضل البلق في حجراته" يقول: لكثرته لا يرى فيه الأبلق، والأبلغ مشهرو المنظر؛ لاختلاف لونيه، من ذلك قوله:

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا ... ولئن هربت ليعرفن الأبلق." (٢)

"لليلى الأخيلية **ترثي** عثمان بن عفان

وقال ليلى الأخيلية، أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٥٥/٢

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٤٩/٢

أبعد عثمان ترجو الخير أمته ... وكان آمن من يمشي على ساق

خليفة الله أعطاهم وخولهم ... ما كان من ذهب جم وأوراق

فلا تكذب بوعد الله وارض به ... ولا توكل على شيء بإشفاق

ولا تقولن لشيء: سوف أفعله ... قد قدر الله ما كل امرئ لاق

لآخر يرثيه أيضا

وقال آخر:

ألا قل لقوم شاربي كأس علقم ... بقتل إمام بالمدينة محرم

قتلتم أمين الله في غير ردة ... ولا حد إحصان ولا قتل مسلم

تعالوا ففاتونا فإن كن قتله ... لواحدة منها يحل لكم دمي٢

وإلا فأعظم الشامتين قد أتيتم ... ومن يأت ما لم يرضه الله بظلم

فلا يهنين الشامتين مصابه ... فحظهم من قتله حرب جرهم٣

وأنشدني الرياشي عن الأصمعي:

[قال أبو الحسن: هذا الشعر لابن الغريرة الضبي:]

لعمر أبيك فلا تذهلن ... لقد ذهب الخير إلا قليلا

وقد فتن الناس في دينهم ... وخلى ابن عفان سرا طويلا

---

١ ر: "التجوني" صوابه في الأصل. س. منسوب إلي تجيب. قبيلة.

٢ ففاتونا، فحاكمونا، وفي ر: "فحل"، على الفعل الماضي، وما أثبته عن الأصل.

٣ نقل المرصفى عن الطبري أن الشعر لحنات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق.." (١)

"أن اقتتلوا زهاء شهر، فاختلفا ضربتين، فسقطا ميتين، فقالت أمر عمران **ترثيه**:

الله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله في السحر

يدعوه سرا وإعلانا ليرزقه ... شهادة بيدي ملحادة غدر

ولى صحابته عن حر ملحمة ... وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع: "استشلتني"، أي أخذتني إليها واتنفذتني. يقال: استشلاه واشتلاه. وفي الحديث "إن السارق

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢٢/٣

إذا قطع سبقته يده إلى النار، فإن تاب استشلاها"، قال رؤبة:

إن سليمان اشتلانا ابن علي

وقول الناس: "اشليت كلبي" أي أغريته بالصيد، خطأ، إنما يقال: آسدته وأشليته: دعوته.

وقولها: "بيدي ملحادة" "مفعال" من الإلحاد، كما تقول: رجل معطاة يا فتى، ومحسان، ومكرام، وأدخلت الهاء للمبالغة، كما تدخل في رواية وعلامة ونسابة.

و"غدر" "فعل" من الغدر، ول"فعل" باب نذكره في عقب هذه القصة، إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة.

والضرغامة: من أسماء الأسد.

والهصر: الذي يهصر كل شيء، أي يثنيه، قال امرؤ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والأزراقة والبيهسية والإباضية تفسير، لم نسب إلى ابن الأزرق بالأزارقة، وإلى أبي بيهس بالكنية المضاف إليها، ونسب إلى صفر ولم ينسب إلى واحدهم، ونسب إلى ابن إباض فجعل النسب إلى أبيه وهذا نذكره بعد باب "فعل".." (١)

"من مراثي الخنساء

فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخرا:

يا صخر وراد ماء قد تناذره١ ... أهل المياه وما في ورده عار

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة ... له سلاحان: أنياب وأظفار٢

وما عجول على بو تحن له ... لها حنينان: إغلان وإسرار

ترتع ما غفلت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

يوما بأوجع مني يوم فارقني ... صخر، وللعيش إحلاء وإمرار

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢١٤/٣

١ تناذره، أي أنذر بعضهم بعضا وأخافه

٢ الهيجاء: الحرب.." (١)

"فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم١ ... ولكن أولى يترك القوم جوعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو - وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها، وكان صخر أخاها لأبيها، وكان أحبهما إليها بعيدا٢، وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور: منها أنه كان موصوفا بالحلم، ومشهورا بالجود، ومعروفا بالتقدم في الشجاعة، ومحظوظا في العشيرة -:

أريقي من دموعك واستفيقي ... وصبرا إن أطقت، ولن تطيقي

وقولي إن خير بني سليم ... وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعن لنا الليالي ... وأيام لنا بلوى الشقيق٣

وإذ نن الفوارس كل يوم ... إذا حضروا وفتيان الحقوق

وإذ فينا معاوية بن عمرو ... على أدماء كالجمل الفنيق٤

فبكيه فقد أودى حميدا ... أمين الرأي محمود الصديق

فلا واله لا تسلاك نفسي ... لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا ... من النعلين والرأس الحليق

قولها:

أريقي من دموعك واستفيقي

معناه أن الدمعة تذهب الروعة

ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب، لعمر بن

---

١ قال المرصفي: "يريد صدت لهم"

٢ ساقطة من ر.

٣ العقيق: ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٤٠

٤ أدماء؛ أي ناقة أدماء، في الإبل: البياض مع سواد المقلتين، والجمل الفنيق: كريم على أهله لا يهان.." (١)

"لليلى الأخيلية ترثي توبة

وقالت ليلى الأخيلية:

آليت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير." (٢)

"وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها١:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من لليتامى إذا هم سغبوا ... وكل عان وكل محتبس!

أم من لبر أم من لفائدة ... أم من لذكر الإله في الغلس!

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله:

ليت شعري بأي ذنب لملك ... كان هجري لقبرها واجتنابي!

ألذنب حقدته كان منها ... أم لعلمي بشغلها عن عتابي!

أم لامني لسخطها رضاها ... حين واريت وجهها في التراب!

ما وفى في العباد حي لميت ... بعد يأس منه له في الإياب

وفي هذا الشعر:

إنما حسرتي إذا ما تذكر ... ت عنائي بها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين ... أتأتى لذاك من كل باب٢

فاجتمعنا على اتفاق وقدر ... وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها ... كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البش ... رى فيا قرب أوبة من ذهاب!

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٤٤

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٧٥

١ نسبة بعضهم إلى لبانة بنت موسى الهادي في محمد المين.

٢ أتاتي: أتعرض له.." (١)

"القميص أوطأناه خبيء هذا العمل «١» وأن أبا مسلم بايع لنا على أنه من نكث بنا فقد حل ماله ودمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم يمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه فيه، والسلام. وفى قتله يقول [أبو] دلامة الأسدى:

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى ... عليك بما خوفتنى الأسد الورد

باب مراث بليغة وعظات موجزة وأبيات مستحسنة

أنشدنى أبو محمد التوزى عن أبى عبيدة لأخت عمرو ذى الكلب ترثيه فى كلمة «٢» وصفته فيها فأطنبت، وعددت فضائله فأكثرت، وذكرت عظم فقده ومبلغ قدره فى حياته وانحطاط كل فخر وذكر بعد موته، وهو:-

يا من بمقتله زهى الدهر ... قد كان فيك تضاءل البدر «٣»

كنت المجير عليه تقهره ... فإذا سطوت فقد سطا القهر

وإذا سكت فإنها عدة ... وإذا نطقت تدفق البحر

وإذا نظرت إلى أخى عدم ... أثرى وزال بلحظك الفقر

وإذا رقدت فأنت منتبه ... وإذا بدوت فوجهك البدر

والله لو بك لم أدع أحدا ... الا قتلت لفاتنى الوتر." (٢)

"ألاقي من رجال منكرات ... فأنكرها وما أنا بالظلوم

ومارست الرجال ومارسوني ... فمعوج على ومستقيم

وقال زبان بن سيار يذكر حذيفة وكان يحسده سؤدده:

فإن قتيلا في الهباءة في أسته ... صحيفته إن عاد للظلم ظالم

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٤/٨٠

(٢) الفاضل محمد بن يزيد المبرد ص/٥٩

متى تقرؤها تهدكم من ضلالكم ... وتقرأ إذا ما فض عنها الخواتم

فإن تسألوا عنها فوارس داحس ... ينبئك عنها من رواحة عالم

ونعى عقيل بن علفة على عويف القوافي حين هاجاه، فقال:

ويوقد عوف للعشيرة نارها ... فهلا على جفر الهباءة أوقدا

فإن على جفر الهباءة هامة ... تنادى بني بدر وعارا مخلدا

وإن أبا ورد حذيفة مثغر ... بأير على جفر الهباءة أسودا

وقالت بنت مالك بن بدر ترثي اباها:

إذا هتفت بالرقمتين حمامة ... أو الرس فابكى فارس الكتفان

أحل به أمس الجنيدب نذره ... وأي قتيل كان في غطفان

يوم الفروق

فلما أصيب أهل الهباءة استعظمت غطفان قتل حذيفة وكبر ذلك عندها فتجمعوا. وعرفت عبس أن لا مقام لها بأرض غطفان، فخرجت متوجهة نحو اليمامة." (١)

"خطاب معضلة فراج مظلمة ... إن هاب مضلعة أتى لها بابا

وقالت ليلى الأخيلية:

ألا رب مكروب أجبت ونائل ... فعلت ومعروف لديك ومنكر

فياتوب للمولى وياتوب للندى ... وياتوب للمستنبح المتنور

وقالت أخت مسعود بن شداد العدوية ترثيه:

حمال ألوية شهاد أندية ... شداد أوهية فراج أسداد

قتال طاغية رباء مرقبة ... قوال محكمة فكاك أقياد

الأبيات المرجلة

التي يكمل معنى كل بيت منها بتمامه، ولا ينفصل الكلام منه ببعض يحسن الوقوف عليه غير قافيته، فهو

---

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/٢٢٨

أبعدها من عمود البلاغة، وأذمها عند أهل الرواية؛ إذ كان فهم الابتداء مقرونا بآخره، وصدره منوطا بعجزه، فلو طرحت قافية البيت وجبت استحالته، ونسب إلى التخليط قائله؛ كما قال الطائي:." (١)

"وقال جرير:

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقال أبو ذؤيب:

حميت عليه الدرع حتى وجهه ... من حرها يوم الكريهة أسفع

وقال نهيك بن إساف:

سأكسب مالا أو تبيتن ليلة ... بقلبك من وجد علي غليل

وقال جرثومة بن مالك القريعي يمدح هلال بن أحوز المازني:

فتى إن تجده معوزا من تلاده ... فليس من الرأي الأصيل بمعوز

وقالت الخنساء **ترثي** صخرا:

يهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

تم الكتاب، هو قواعد الشعر لثعلب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه.." (٢)

"فلا أنت بلوطي ... ولا أنت، بزناء

ولكنك حا لام ... وقاف بعدها ياء

حدث أبو اليزيدي قال: حدثني ابن أبي السري قال: حدثني رزين العروضي قال: رأيت غلاما لمحمد بن يحيى بن خالد يضرب أبا الحارث جمين بباب الجسر، فقلت له في ذلك. فقال: شتم مولاي فقلت له: لم فعلت؟ فقال: والله لو أن يوسف الصديق جاء إلى مولاه ومعه النبيون والملائكة شفعاء في أن يعيرهم إبرة يخيط بها ما قد من قميصه، وله طور مملوء إبرا ترسل المهر في أوله فلا يبلغ إلى آخره حتى يقرح، لما أعارهم. قال رزين: فقلت:

لو أرك أنبتت لك واحتشت ... إبرا يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

عنان

---

(١) قواعد الشعر ثعلب ص/٨٤

(٢) قواعد الشعر ثعلب ص/٨٧

جارية الناطفي، شاعرة ظريفة أديبة، كانت تجلس للشعراء ويجتمعون إليها فيلقي عليها كل رجل منهم الأبيات الغريبة والمعاني النادرة فتجيبه بديها.

وكان أبو نواس يظهر التعشق لها، وأعطى مولاها مالا جليلا وطلبها الرشيد فلم يبعها ثم باعها بعد من عبد الملك بن صالح الهاشمي بمائة ألف درهم.

ومن قولها تمدح الفضل بن يحيى بن خالد أنشده أبو هفان:

بديهته وفكرته سواء ... إذا اشتبهت على الناس الأمور

وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... إذا عمى المشاور والمشير

وصدر فيه للهم اتساع ... إذا ضاقت من الهم الصدور

وأخبرني محمد بن يزيد النحوي أنها قالت **ترثي** مولاها الناطفي:

يا موت أفنيت القرون ولم تزل ... حتى سقيت بكأسك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازحما كنت أول من دعوه فوافى

أبو العباس المبرد قال: دخل أبو نواس إلى عنان يوما، فكتب إليها بيتا يمازحها:

ما تأمرين لصب ... يكفيك منه قطيره

فأجابته:

إياي تعني بهذا ... عليك فاجلد عميره

فأخجلته، وأدهشته، إلا أنه أدركها ببيت فأخجلها وانقطعت عنه وهو:

أريد ذاك وأخشى ... على يدي منك غيره

وأخبر المبرد قال: دخل أبو نواس عليها يوما وقد ضربها – وهي تبكي – فقال، وذكر أبو زيد عمر بن شبه أن أحمد بن معاوية حدثه قال: حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت بيت الناطفي وقد ضرب عنان فقال:

بكت عنان فجرى دمعها ... كالدر قد توبع في خيطه

قال فقالت – والعبرة في حلقها:

فليت من يضربها ظالما ... تجف يمناه على سوطه

فقال مروان: هي والله أشعر الجن والإنس.

ويروى أنها هجت أبا نواس بعدما كان بينهما من المودة فأفحشت، وهجاها، فمن قولها فيه:

مت متى شئت قد ذكرتك في الش ... عر وجزر أثواب ذيلك فخرا

لا تسبح فما عليك جناح ... جعل الله بين فكفيك دبرا

أنت تفسو إذا نطقت ومن سب ... ح بالفسو نال إثما ووزرا

قال أبو زيد عمر بن شبه: حدثني أحمد بن معاوية، عن رجل قال: وجدت بيتا على كتاب، فلم أجد من يجيزه، فأتيت به عنان فأنشدتها إياه. وهو:

ومازال يشكو الحب حتى سمعته ... تنفس من أحشائه أو تكلما

فما لبثت أن قالت:

ويبكي فأبكى رحمة لبكائه ... إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

عبد الجبار بن سعيد

ابن سليمان بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة القرشي، من بني عامر بن لؤي، شاعر أديب ظريف مدني. أنشدني له أحمد بن يحيى قال: أنشدنيه عبد الله بن شبيب، وأنشدنيه أحمد بن أبي خيثمة عن الزبير بن بكار عنه يعني عبد الجبار قال: هي لأبي سعيد بن سليمان:

بلوت إخاء الناس يا عمرو كلهم ... وجربت حتى حنكتني تجاربي

فلم أرود الناس إلا رضاهم ... فمن يرز أو يسخط فليس بصاحب

فهونك في بغض وحب فربما ... بدا جانب من صاحب بعد جانب

وخذ عفو من أحببت لا تنزرنه ... فعند بلوغ الكدر رنق المشارب." (١)

"وخبرني بكلام تكلمت به عشيقته لما قتل، تصفه به فيه: ما وجدتم حجزته جافية، ولا عانته وافية، ولا ضالته كافية.

الضالة: قوس من شجر الضال، وكافية: معوجة. ومن قوله أنشدني ابن أبي خيثمة هذا الشعر له:

كل امريء بطوال العيش مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وكل من حج بيت الله من رجل ... مؤد فمدركه الولدان والشيب

وكل حي وإن طالت سلامتهم ... يوما طريقتهم في الموت دعبوب

بينا الفتى ناعم راض بعيشته ... تيح له من نوازي الدهر شؤبوب

وجنوب أخته شاعرة محسنة، وفيه تقول **ترثيه**:

---

(١) الورقة محمد بن داود بن الجراح ص/١٠

سألت بعمرو أخي صحبه ... فأفظعني حين ردوا السؤالا
أتيح له نمرا أجبلفنالا لعمرك منه منالا
فأقسم يا عمرو لو نبهاك ... إذن نبها بك داء عضالا
إذن نبها ليث عريسة ... مفيدا مفيتا نفوسا ومالا
١١ - عمرو بن هميل اللحياني الهذلي: من قوله:
ألا من مبلغ الكعبي عني ... رسولا أصلها عندي ثبيت
١٢ - عمرو بن الحر بن منيغ بن سعنة الضبي، مدح أباه فقال:
أبي مدح الأدم الهجان كأنها ... ظباء الشقيق زينتها الصرائم
فمن يأتها من عائل يلق كسوة ... ومن يأتها من جائع فهو طاعم
١٣ - عمرو بن أبير التميمي السعدي، من قوله:
بني أسد إنا تركنا سراتكم ... غداة التقينا حولها الطير تحجل
ونحن طعنا معقلا فكأنما ... هوى من هواء يوم ذلك معقل
فظل مكبا والكتيبة حوله ... يمج دما منه نياط وأبجل
١٤ - عمرو بن أسود الضبي القائل:
لهف نفسي على جناب إذا ما ... دعي النكس للطعان فهابا
١٥ - عمرو بن أسود بن عبد الله بن سعيدة التميمي الطهوي، يقول:
بشرقي سلمى من أميمة منزل ... قديم كعنوان الصحيفة طاسم
١٦ - عمرو بن عدي بن زيد العبادي التميمي المرئي، شاعر، وهو صاحب النعمان بن المنذر الذي سعى إلى كسرى أبرويز في قتله متئرا بأبيه، وهو الذي قال له وقد صار إلى باب كسرى فرآه واقفا فقال: لئن سلمت لألحقنك بأبيك. فقال له عمرو: امض نعيم فقد أخيت لك آخية لا يقلعها المهر الأرن: والإرن: المرح والنشاط. فما أدخل على كسرى أرخيت الستور في وجهه، وكان لا يقتل من عاينه فكلمه ثم أمر به إلى الحبس، فحبس بخانقين، ثم أمر بإلقائه تحت الفيلة فوطئته فقتلته، حدثني بذلك أبو جعفر أحمد بن عبيد. وقد قال الأعشى يذكر النعمان:
هنالك ما أنجاه عزة ملكه ... بساباط حتى مات وهو محزرق
وقال فيه آخر: يريد كسرى:

هو المدخل النعمان بيتا سماؤه ... بطون الفيول جوف بيت مسودب

١٧ - عمرو بن موهبة بن جرول النهشلي الذي يقول:

كفرت عسى أن يجمع الله بيننا ... على مثلها والخيل تعدو ثقالها

١٨ - عمرو بن ودعان العكلي، هو الذي يقول وأغارت عليه بنو عبس فأخذوا زبيبة أمته السوداء أم عنترة بن شداد العبسي الفارس:

زبيبة ثأركم يا آل عبس ... وحقكم على بطل خليع

خذلت بها ابن مخروم برمحي ... وأولى لابن فاطمة الربيع

ولو أدركته لجرى إليه ... برمحي ن١جز الموت السريع

الربيع بن زياد العبسي: ١٩ - عمرو البختري بن طرفة بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن جعدة، وهو البختري الجعدي. من قوله:

كأن ديار الحي من طول عهدها ... بناصفة البردين أخلاق سندس

أسائلها فاستعجمت عن كلامنا ... وعيت جواب السائل المتنحس

وهو القائل لامرأته، أنشده الأصمعي: ولا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه، ليس بأنزعا." (١)

"صفحت برغمي عنك صفح ضرورة ... إليك وفي قلبي ندوب من العتب

خضعت وما ذنبي إنما الحب عزني ... فأغضيت ضعفا عن معالجة الحب

وما ذاك بي فقر إليك منازع ... يذلل مني كل ممتنع صعب

إلى الله أشكو أن ودي مضيع ... وقلبي جميع عند مقتسم القلب

وقالت امرأة من الأعراب:

بنفسي وأهلي من لو اني أتيته ... على البحر فاستسقيته ما سقانيا

ومن لو رأى الأعداء ينتضلونني ... لهم غرضا يرمونني لرمانيا

ومن قد عصيت الناس فيه جماعة ... وصرمت خلاني له وجفانيا

فيا أخوي اللائمي على الهوى ... أعيذكما بالله من مثل ما بيا

سألتكما بالله لما جعلتما ... مكان الأذى واللوم أن ترثيا ليا

ولا تغفلا إن لامني ثم لائم ... ولو سخط الواشون أن تعذرانيا

---

(١) من اسمه عمرو من الشعراء محمد بن داود بن الجراح ص/٣

فأقسم لو خيرت بين فراقه ... وبين أبي اخترت أن لا أبا ليا
ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه ... لشيء ولا ماء من المزن صافيا
وقال كثير:
وقائلة دع وصل عزة واتبع ... مودة أخرى وابلها كيف تصنع
أراك عليها في المودة زاريا ... وما نلت منها طائلا حيث تسمع
فقلت ذريني بئس ما قلت إنني ... على البخل منها لا على الجود أتبع
وقال البحتري:
أميل إليك عن ود قريب ... فتقصيني على النسب البعيد
فما ذنبي بأن كان ابن عمي ... سواك وكان عودك غير عودي
وفي عينيك ترجمة أراها ... تدل على الضغائن والحقود
وأخلاق عهدت اللين فيها ... غدت وكأنها زبر الحديد
وقد عاقدتني بخلاف هذا ... وقال الله أوفوا بالعقود
وما لي قوة تنهاك عني ... ولا آوي إلى ركن شديد
سأرحل عاتبا ويكون عتبي ... على غير التهدد والوعيد
وأحفظ منك ما ضيعت مني ... على رغم المكاشح والحسود
هذا الكلام وإن كان فيه شيء من التواضع والاستكانة فإن فيه ضربا من الضجر الداعي إلى الخيانة لأن صاحبه لم يصبر على التذلل نفسه على ما صبر عليه من بدأنا بذكره.
وفي نحو هذا المعنى قول الآخر:
فإن يك هذا منك جدا فإنني ... مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
ومنصرف عنك انصراف ابن حرة ... طوى وده والطي أبقى على النشر
وفي مثله يقول البحتري:
وكنت أرى أن الصدود الذي مضى ... دلال فما إن كان إلا تجنبا
فوا أسفا حتام أسأل مانعا ... وآمن خوانا وأعتب مذنبا
سأثني فؤادي عنك أو أتبع الهوى ... إليك إن استعصى فؤادي أو أبى
وأنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في نحوه:

ما لي أقرب منك نفسي جاهدا ... وأراك مني جاهدا تتباعد
قدمت دون أخيك من هو دونه ... وعندت عنه وهو منك يعاند
أيأستني بعد الرجاء فمن ترى ... يرجوك بعدي أو عليك يحاسد
أم كيف يأمل منك يوما صالحا ... أحد ورأيك في رأي فاسد
وقال ابن حازم في نحو ذلك:
لا ترض عيشا على امتهان ... ولا ترد وصل ذي امتنان
أشد من عيلة وفقر ... إغضاء حر على هوان
إذا نبا منزل بحر ... فمن مكان إلى مكان
وهؤلاء كلهم ومن جرى في هذا القول مجراهم إنما يتضاجرون على خلانهم لثقلهم إياهم عن عاداتهم ومنعهم إياهم ما استعبدوه من مواصلاتهم لتغلب الحيرة على قلوبهم يحسبون أن انحرافهم عن أحبابهم أقل أذى عليهم من الصبر لهم على محباتهم ولو قد أنفذوا ما عزموا عليه من الفراق والهجر لشاهدوا ما يضطرهم إلى الرجوع بالصغر والتوسل إلى الصفح بالعذر ما لم يسمع الذي يقول:
مزحت بالهجر ولا علم لي ... أنك مشتاق إلى الهجر." (١)

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما غبنت صفقتك يا ضرار.
وروي أن النابغة الجعدي أنشد النبي - صلى الله عليه وسلم -:
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إلى أين؟ قال: إلى الجنة بك يا رسول الله. قال: لا يفضض الله فاك.
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ينشد:
إني امرؤ حميري حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولا مضر
فقال: ذاك أبعد من الله ورسوله والوجه في هذا والله أعلم أن افتخاره بأنه لا من ربيعة ولا من مضر هو الذي أوجب له الذم والتباعد من الله عز وجل ورسوله عليه السلام لا أن كونه من حمير موجب لذلك.
والذي يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشده واستنشده أكثر من ذاك. وقد روي عن ابن الشريد عن

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٠

أبيه قال: استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته مائة قافية لامية فقال: إن كان ليسلم ماذا كان قد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم من شعر رجل واحد مقدار ما حددناه نحن للباب فكيف يتهيء لنا استيعاب ما استنشده وما مدح به في باب غير أن الاستقصاء أصلح من طلب الغاية بالتطويل والإكثار ونحن الآن نذكر طرفا مما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رثي به بعد وفاته. وقال أبو بكر الصديق رحمة الله عليه يرثي رسول الله صلى الله عليه:

أمست تأوبني هموم جمة ... مثل الصخور قد أمست هدت الجسدا

ليت القيامة قامت عند مهلكه ... كي لا نرى بعده مالا ولا ولدا

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرثيه:

ما زلت مذ وضع الفراش لجسمه ... وثوى مريضا خائفا أتوقع

شفقا عليه أن يزول مكانه ... عنا فنبقى بعده نتفجع

نفسي فداؤك من لنا في أمرنا ... أمن نشاوره إذا نتوجع

وإذا تحل بنا الحوادث من لنا ... بالوحي من رب سميع نسمع

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرثيه:

أمن بعد تكفيني النبي ودفنه ... بأثوابه آسى على هالك نوى

رزينا رسول الله فينا فلن نرى ... بذلك عدلا ما حيينا من الردى

وكان لنا كالحصن من دون أهله ... لهم معقل فينا حريز من العدى

وكنا برؤياه نرى النور والهدى ... صباح مساء راح فينا أو اغتدى

فقد غشيتنا ظلمة بعد موته ... نهارا فقد زادت على ظلمة الدجى

فيا خير من صم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى

كأن أمور الناس بعدك ضمنت ... سفينة نوح البحر والبحر قد سما

فضاق فضاء الأرض عنهم برحبه ... لفقد رسول الله إذ قيل قد قضى

فقد نزلت بالمسلمين مصيبة ... كصدع الصفا لا شعب للصدع في الصفا

فإن يستقل الناس تلك مصيبة ... ولن يجبر العظم الكسير إذا وهى

وفي كل وقت للصلاة يهيجه ... بلال ويدعو باسمه كلما دعا

ويطلب أقوام مواريث هالك ... ولله ميراث النبوة والهدى

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

ألا طرق الناعي بليل فراعني ... وأرقني لما استقل مناديا

فقلت له لما رأيت الذي أتى ... أغير رسول الله إن كنت ناعيا

فحقق ما أشفقت منه ولم تبل ... وكان خليلي غريا وجماليا

فوالله ما أنساك أحمد ما مشت ... بي العيس في أرض وجاوزت واديا

وكنت متى أهبط من الأرض تلعة ... أرى أثرا منه جديدا وباليا

شديد جرى في الصدر نهد مصدر ... هو الموت مغدوا عليه وغاديا

وقالت صفية بنت عبد المطلب **ترثيه** عليه السلام:

طال ليلي أسعدنني أخواتي ... ليس ميتي كسائر الأموات

ليس ميتي من مات في النا ... س ولا كان مثله في الحياة

طال ليلي لنكبة قطعتني ... لا أرى مثلها من النكبات

وقالت صفية:

ما لعيني لا تجودان ريا ... قد رزينا خير البرية حيا

يوم نادى إلى الصلاة بلال ... فبكينا بعد النداء مليا

كل يوم أصبحت فيه ثقيلا ... لا ترد الجواب منك إليا

لم أجد قبلها ولست بلاق ... بعدها غصة أمر عليا." (١)

"لا غرو إن قتلوا صبرا وإن جزعوا ... والقتل للصبر في حكم الفتى جزع

وقالت الخنساء **ترثي** أخاها صخرا:

ألا ما لعينك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها

فأقسمت أأسى على هالك ... وأسأل باكية ما لها

وخيل تكدس مشى الوعو ... ل نازلت بالسيف أبطالها

بمعترك بينهم ضيق ... تجر المنية أذيالها

تقابلها فإذا أدبرت ... بللت من الطعن أكفالها

ومحصنة من بنات الملو ... ك قعقعت بالرمح خلخالها

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٥٠

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

أنشدنا أحمد بن أبي طاهر لأبي تمام قالت الخنساء:

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... تراك ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا ليس مؤتسيا ... مركبا من نصاب غير خوار

مثل السنان كضوء البدر صورته ... جلد المريرة حر وابن أحرار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاء نجوم الليل للساري

أبلغ خفافا وعوفا غير مقصرة ... عميمة من نداء غير أسرار

شدوا المآزر حتى تستقاد لكم ... وشمروا إنها أيام تشمار

وأبكى فتى البأس لاقته منيته ... وكل نفس إلى وقت ومقدار

كأنهم يوم راموه بجمعهم ... راموا الشكيمة من ذي لبدة ضار

متى تفرجت الآلاف عن رجل ... ماض على الهول هاد غير مختار

تجيش منه فويق الثدي من يده ... معايد من نجيع الجوف فوار

لو منكم كان فينا لم ينل أبدا ... حتى تلاقوا أمورا ذات آثار

أعني الذين إليهم كان منزلة ... هل تعلمون ذمام الضيف والجار

خفاف بن ندبة وعوف هذان اللذان عاتبتهما من الفرسان المعدودين وكانا مع صخر فهربا عنه، وقد أدرك خفافا الإسلام فأسلم، وشعر الخنساء هذا من أجود الشعر لفظا وأحسنه معنى، ألا ترى إلى اعتذارها من قتله أنه لم يقتله رجل مثله، وإنما تفرجت الألف عنه وحده، ثم أبى معاينتها من فزعته واستنهاضها الشجعان لاستغاثة النسوان، وقد كانت الخنساء من أحسن أهل زمانها، ثم رزئت أخاها معاوية ثم عمرو، فلم تزل تبكيه وتحسن القول في مراثيه حتى رزئت أخاها صخرا بعده، قد رزئتها المصايب، وهذبت شعرها النوائب، وقل من ناله من الجزع مثل ما نالها، لقد بلغني أن أخوتها أن استعدوا عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تبكي عليه فإنه من أهل النار. قالت ذلك أعظم لحزني عليه، وبلغني عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: دعوها فكل ذي شجو تبكي شجوه وهذا الذي اعتذرت به لأخيها من قبله هو من أحسن ما تهيأ الاعتذار به اعتذرت بالمقدار الذي لا شيء يجاوز مثله، ولا أحد يخرج عن قبضته ثم لم تقتصر عليه وحده حتى وضعت كثرة المؤازرين على قبله.

وما قصر أبو تمام فيما ذكرناه، وما نذكره إن شاء الله من اعتذاره لمن يرثيه...... للقتل...... للصبر على

الفرار من اللقاء، والجزع عند معاينة الأكفاء، وأحسب أن أبا تمام كان معجبا بهذا المعنى الذي قد وقع له فلذلك كان كثيرا ما يردده. وأنشدني أحمد بن أبي طاهر:

إن ينتخل حدثان الموت أنفسكم ... ويسلم الناس بين السر والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه ... يفنى ويمتد عمر الآجن الآسن

رزء على طيء ألقى كلاكله ... لا بل على أزد لا بل على اليمن

لم يثكلوا ليث حرب مثل محطبة ... من بعد قحطبة في سالف الزمن

إلا تكن صهرت عن منظر حسن ... منه فقد صدرت عن مسمع حسن

رأى المنايا خيالات النفوس ولم ... تسكن سوى المنية العليا إلى سكن

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا ... لمات لو لم يمت من شدة الحزن." (١)

"أما صدر الكلام فحسن، وأما البيت الأخير ففيه إفراط شديد، ومعنى ليس بالعذب، ولا بالشديد، وذلك أن الشجاع إنما يؤثر الموت على الفرار خوفا لما يلحقه من العار، فإنما إيثاره قتل الأعداء له على قتله لهم، وظفرهم به وبقومه على ظفره بهم وبقومهم. فهذا يخرج عن حد الشجاعة، ويدخل في حد الرقاعة، وليس ينبغي لكل من تمكن من معنى، وتسهل له نظمه أن ينظمه في شعره، ويحتمل ما يدخل فيه من المجال، رغبة في التوفيق في الحال، وطلب التوسط والاعتدال، خير على كل حال، لأنه لا يخرج عن حد التقصير والإخلال، ولا يبلغ بصاحبه إلى درجة المحال.

قالت بنت بدر ترثي الزبير بن العوام:

غد ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

وكان قتل الزبير فيما بلغنا أنه لما انصرف عن البصرة تبعه ابن جرموز فعطف عليه الزبير فقال له: نشدتك بالله فكف عنه، فلما جاوزه تبعه فلما عطف عليه الزبير رحمه الله ناشده فكف عنه، فلما صار على قريب من فرسخين من البصرة نام فضربه بن جرموز مغتالا، فقال: ما له قاتله الله يذكرني بالله ثم ينساه فأخذ رأسه وصار به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال للآذن ائذن له، وبشره بالنار، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار فقال ابن جرموز:

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٥٩

أتيت عليا برأس الزبير ... وقد كنت أرجو به الزلفة

فبشر بالنار قبل العيا ... ن فبئس بشارة ذي التحفة

فسيان عندي رأس الزبير ... وضرطة عنز بذي الجحفة

أنشدنا ابن أبي طاهر:

دموع أجابت داعي الحزن هجع ... توصل منا عن قلوب تقطع

عفاء على الدنيا طويل فإنها ... تفرق من حيث ابتدت تتجمع

ولما قضى ثوب الحياة وأوقعت ... به نائبات الموت ما يتوقع

غدا ليس يدري كيف يصنع معدم ... درى دمعه من وجده كيف يصنع

وقمنا فقلنا بعد أن أفرد الثوى ... به ما يقال للسحابة تقلع

ألم تك ترعانا من الدهر إن سطا ... وتحفظ من آمالنا ما نضيع

وتربط جأشا والكماة قلوبهم ... تزعزع خوفا من فتى يتزعزع

فأنطق فيه حامد وهو مفحم ... وأفحم فيه حاسد وهو مصقع

وقال البحتري:

قبور بأطراف الثغور كأنها ... مواقعها منها مواقع أنجم

حتوف أصابتها الحتوف وأسهم ... من الموت كر الموت فيها بأسهم

ترى البيض لم تعرفهم حيث واجهت ... وجوههم في المأزق المتجهم

بلى أن حد السيف أعذر صاحب ... وأكفر من نالته نعمة منعم

الباب السادس والخمسون

ذكر

النوح على من مات من الأبناء والقرابات

ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قتل النضر بن الحارث بن كلدة جاءت أخته فعلقت بزمام راحلته صلى الله عليه وأنشأت تقول:

يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

بلغ به ميتا بأن تحية ... ما إن تزال به النجائب تخفق

مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمائحها وأخرى تخنق

هل يسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
النضر أقرب ما أخذت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
فيقال أن النبي صلى الله عليه قال: لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته، وليس هذا مستنكر من أخلاقه.
وذكروا أن أبا بكر الصديق رحمه الله صلى الصبح يوما فلما انفتل قام متمم بن نويرة في مؤخر الناس، وكان رجلا أعور ذميما فاتكى على سية قوسه ثم قال:
نعم القتيل إذا الرياح تناوحت ... خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور." (١)
"فمروا على حادثات الزما ... ن كمر الدراهم بالناقدينا
وما زال ذلك دأب الزما ... ن حتى أماتهم أجمعينا
وحتى بكى لي حسادهم ... وقد أقرحوا بالدموع الجفونا
وحسبك من حادث بامرئ ... ترى حاسديه له راحمينا
فمن كان يسليه مر السنين ... فحزني تجدده لي السنونا
وقال محمد بن حسان الضبي:
هيئ لأحمد في الثرى بيت ... وخلا له من أهله بيت
وكأن مولده ويوم وفاته ... صوت دعا فأجابه صوت
ومات ابن لأرطاة بن سهية من غطفان، فأقام على قبره حولا يأتيه كل غداة فيقول: يا عمرو إن أقمت حتى أصبح هل أنت غاد معي. وينصرف، فلما كان عند رأس الحول انصرف عن قبره وأنشأ يقول:
وقفت على قبر ابن ليلى ولم يكن ... وقوفي عليه غير مبكى ومجزع
هل أنت ابن ليلى إن نظرتك ليلة ... من القوم أو غاد غداة غد معي
وذكروا أن خالد بن الوليد قتل رجلا من بني عذرة يقال له فطن بن شريع، فأقبلت أمه فقالت:
ألا تلك المسرة لا تدوم ... ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عقر ... بشاهقة لها أم رؤوم
وقالت أيضا:

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٦٠

يا جامعا جامع الأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم انكبت عليه وشهقت وماتت.

وقالت امرأة ترثي ابنها:

لا يبعد الله فتيانا رزئتهم ... بانوا لوقت مناياهم وقد بعدوا

أمست قبورهم شتى وتجمعهم ... حوض المنايا ولم يجمعهم بلد

ميت بمصر وميت بالعراق ... وميت بالحجاز منايا بينهم بدد

دعوا من المجد أحيانا إلى أجل ... حتى إذا أكملت أطمارهم وردوا

كانت لهم همم فرقن بينهم ... إذا القعاديد عن أمثالهم قعدوا

بذل الجميل وتفريج الجليل ... وإعطاء الجزيل إذا لم يعطه أحد

وقال آخر:

لقد شمت الأعداء بي وتنكرت ... عيون أراها بعد هلك أبي عمرو

تجرى علي الدهر لما فقدته ... ولو كان حيا لاجترأت على الدهر

أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا ... فدينا وأعطينا بكم ساكن الظهر

وقاسمني دهري بني بحكمه ... فلما ترقى شطره مال في شطري

فأضحوا ديونا للمنايا ومن يكن ... عليه لها دين قضاه إلى العسر

كأنهم لم يعرف الدهر غيرهم ... فثكل على ثكل وقبر جدا قبر

وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري

ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري

وقال بعض الشعراء يرثي ابنا له مفقودا:

فلو صارفونا الناس قبلي بينهم ... أتيح له موت فأضمره قبر

إذن لصبرت النفس ثم احتسبته ... وفي الصبر لله المثوبة والأجر

ولكن طوت عني المقادير علمه ... فما لي به منذ انثنى شخصه خبر

أموت فيسلى أم حياة فترتجى ... أبر أتى من دون مثواه أو بحر

فرحمتك اللهم قد بلغ الأسى ... نهاية مجهودي فقد غلب الصبر

وقال الفضل بن العباس الكاتب:

نفسي فداء فقيد خفف المؤنا ... طول الحياة وعند الطعن إذ طعنا

فما حمينا له زادا يزوده ... ولا كفلنا له نعشا ولا كفنا

مضى على وجهه لا عن مراغمة ... تشجيه منا وإلا استدعت له الإحنا

قد كنت تذكر أن الأمر مقترب ... في سفرة لم تزل منها تحذرنا

فليت شعري أمقتولا ثويت بها ... أو في عراض الردى أمسيت مرتهنا

يقربنك لأم الأرض أكلة ... لم يبق فيه لنا روحا ولا بدنا

أودى الزمان بعباس وخلفني ... من بعده كمدا حيران مرتهنا

كأنني واله اغتيل واحدها ... فليس تألف من ثكل به وطنا

فإن تضمنه ربي إليه فما ... أحصي السوالف من نعماه والمننا

وفي نحو ذلك وهو من نفس الكلام:

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك

أعدو لم تخف ... ه أم رصيد ختلك." (١)

"٩ – لا تشر في رأس اليفاع فإننيلذي الشوق من رأس اليفاع نذير

١٠ف – لم يبق مني الحب ال سمامةتكاد بها الريح الهبوب تطير

١١و – أصبح أهلي يقتنون سمامتيكما تقتنى بعد الهيام جفور

٢١* – الفروق من النوق، والجمع الفرق. وهي الجذعة فما فوقها إذا أجذعت ولم تلقح وإنما حقها أن تلقح حقة والجذعة فوق الحقة، فإذا بلغت الأجذاع وما فوقه ولم تلقح، فهي فروق وإنما تحمل بنت اللبون وهي دون الحقة العرب تهتجن بنات١٣ اللبن وهي الهجن، والفعل الأهجان، وقيل لبعض العرب بما ثروتم؟ فقال: بإهتجان الشبان وتغبر الشيخان معناه: أنا نعجل بالشباب بالنكاح، ونتغير الشيخ بقية ما فيه من الماء على الكبر.

٢٢* – العوار في العين هو الغمض الأبيض التي تقذفه إلى الموق، واللحاظ العين الرمدة، والطلون من البثار بعيدة القعر. والطلوب إسم بئر بعينها وهي بين السقيا وبين العرج عندها آجام، وكانت مسكنا وهي اليوم خراب وكانت منزل فضلة بن عمرو الغفاري صاحب النبي – صلى الله عليه وسلم –. والعقاب والضرس مانتأ من الطي والجمع العقبان والضروس.

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٦٢

٢٣* – وأنشدني الأشجعي

فيارب...١٤

....

.... ١٥

٢٤* – وسألت الباهلي عن تيمن فقال: ١٦

هضبة برأس الزرود الشريف مغرب الشمس من حصن إبن عصام بيوم وسيل تيمن يصب على الكلاب والكلاب وآد به نخل وسدر وطلح وبجانب الكلاب ثهلان، جبل عظيم علم أسود به الوحوش عرضه يوم. به ذو فلجى وذو يقين والريان والريا واطيا واليريض، واليريض خسف في الأرض به ماء وكل ماءا أسمينا بالشريف، وجذنة هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب.

٢٥* – وأنشدني إبن بال الكلابي. وهذا إبن عم ثومة وروايته في النمري، زوج إبنته وأستهداها فشاقها فقالت: " الطويل "

١ – ألم تر يا يوم الجنينة للهوى وللأمر لما عزني الأمر فاعله ١٧

٢و – لي كدت ألقى الله فرط صبابةعلى عجوي ب يوم ولت رواحله

٣س – عينا فأشرفنا اليفاع ففاتنيبها ذو أفانين قد إشتق بازله

٢٦* – وأنشدني أبو جعفر مسلم محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى، لبدوية **ترثي** أخاها: " المتقارب ".

١أ – لا هلك العرف والنائلومن كان يعتمد السائل

٢و – من كان يطمع في مالهغنى العشيرة والعائل

٣ف – من قال خيرا وأثنى بهعليه فقد صدق القائل

٢٧* – وأنشدني المسلم بن أحمد بن يزيد بن عبد الله بن الخيار الحربي لمحمد بن زيد البكاي صاحب صبية: " الطويل "

١ – أترضين لي نومي وقلة همتي ومالي مال يا مليح ولا لك ١٨

٢س – ارمي بهذا الرأس كل تنوفةمخوف رداها كراهة من جلالك

٣ف – إن أكتسب مالا وارجع نحوكمهناك ألذ النوم بين حجالك

٤و – إن يكن الرحمن سيب منيتيفللموت أرخى عندنا مشن زيالك

٢٨ *- أنشدني الخشعمي أحمد بن أويس وهو إلى شهران: " الطويل "

١و - جاءت ينثو أود ولم تأل غيرهلنا ذرعاء مستهان سفيرها

الواحد ذريع، وسفير: للذي يسفر بين الناس: ٢ - وفاءت رجال المصعبين وخيمت رجال وهابت صيدها وصقورها المصعبين من شهران من خشعم، ورجال، أخو المضعبين.

٢٩* الغفر ولد الروية:." (١)

"فقال: الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه ... فمن ذا الذي يغفر له ذنبه بعدي

أريد انتقام الذنب ثم يردني ... يد لأدانيه مباركة عندي

ولما رأى تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد، ثم شخص إلى الشام يمدحه؛ فدخل عليه، فأنشده؛ فلما بلغ إلى هذين البيتين:

لا ترثين لحزمي رأيت به ... ضرا ولو ألقى الحزمي في النار

الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان بالدار

فقال: الوليد: صدقت؛ والله لقد أغفلنا ابن حزم؛ ثم دعا كاتبه، وقال: اكتب عهد عثمان بن حيان المري على المدينة، واعزل ابن حزم، واكتب إليه أن يستصفي أموال ابن حزم، وأن يسقطوا من الديوان.

ولابن حزم قضايا كثيرة.

أخبرني عبد الله بن الحسن، عن النميري، عن عبد الوهاب الثقفي،." (٢)

"كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن صعصعة المزني- أو عن صعصعة- عن عمرو بن جاوان، عن جرير بن أشرس، قال: كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح، فلم يفجأها إلا الناس، فأحاطت بها مضر، ووقف الناس للقتال، فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلى كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلى فبدر بين الصفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم، وأعطي درعه فرمى بها تحته، وأتى بترسه فتنكبه، فرشقوه رشقا واحدا، فقتلوه رضي الله عنه، ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم، والتحم القتال، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة.

كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مخلد بن كثير، عن أبيه، قال: أرسلنا مسلم بن عبد الله

---

(١) التعليقات والنوادر أبو علي الهجري ص/٣

(٢) أخبار القضاة وكيع الضبي ١٣٨/١

يدعو بني أبينا، فرشقوه- كما صنع القلب بكعب- رشقا واحدا، فقتلوه، فكان أول من قتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضي الله عنها، فقالت أم مسلم **ترثيه**:

لا هم إن مسلما أتاهم مستسلما للموت إذ دعاهم إلى كتاب الله لا يخشاهم فرملوه من دم إذ جاهم وأمهم قائمة تراهم يأتمرون الغي لا تنهاهم كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم ابن شريك، عن أبيه، عن جده، قال: لما انهزمت مجنبتا الكوفة عشية الجمل، صاروا إلى القلب- وكان ابن يثربي قاضي البصرة قبل كعب بن سور، فشهدهم هو وأخوه يوم الجمل، وهما عبد الله وعمرو، فكان واقفا أمام الجمل على فرس- فقال علي: من رجل يحمل على الجمل؟ فانتدب له هند بن عمرو المرادي، فاعترضه ابن يثربي، فاختلفا ضربتين، فقتله ابن يثربى،." (١)

"وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصارية، وكانت تشيع **ترثي** حجرا:

ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير

تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير

واصبحت البلاد بها محولا ... كأن لم يحيها مزن مطير

ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا ... وشيخا في دمشق له زئير

يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير

ألا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير!

فان تهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير

وقالت الكندية **ترثي** حجرا- ويقال: بل قائلها هذه الأنصارية:

دموع عيني ديمة تقطر ... تبكي على حجر وما تفتر

لو كانت القوس على أسره ... ما حمل السيف له الأعور

وقال الشاعر يحرض بني هند من بني شيبان على قيس بن عباد حين سعى بصيفي بن فسيل:

دعا ابن فسيل يال مرة دعوة ... ولاقى ذباب السيف كفا ومعصما

فحرض بني هند إذا ما لقيتهم ... وقل لغياث وابنه يتكلما

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٥٢٩/٤

لتبك بني هند قتيلة مثل ما ... بكت عرس صيفي وتبعث مأتما

غياث بن عمران بن مرة بن الحارث بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان شريفا، وقتيلة أخت قيس بن عباد، فعاش قيس بن عباد حتى." (١)

"كالبلايا رؤوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود

إن تفتني فلم أطلب عنك نفسا ... غير أني أمنى بدهر كنود

كل عام كأنه طالب ذح ... لا إلينا كالثائر المستقيد

أنشدنا ابن حبيب وأبو العباس الأحول وأحمد بن يحيى لأعشى باهلة وهو عامر بن الحارث ويكنى أبا قحفان يرثي المنتشر بن وهب الوائلي. ويقال أنها للدعجاء أخت المنتشر **ترثي** أخاها.

إني أتيت بشيء لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

ويروى من علو، ومن عل، ويقال أتيتك من علا، ومن معال، ومن عل، وقوله لا عجب أي ليس ببديع لأن الناس يموتون ويقتلون فلا سخر من ذلك أي لا عجب فيه ولا هزء منه، وروى الأصمعي:." (٢)

"مثل الخليفة في الإسلام. وإنما اشتقوا له اسما من تبع يتبع، فقالوا له: تبع. وقوله "وأبرهة" يعني: أبرهة الأشرم.

٢٠ ... لقيم بن لقمان من أخته

فكان ابن أخت، له، وابنما

قال: كان لقمان، أبو لقيم، رجلا عاديا شديدا، وكانت له أخت مثله في الشدة. فقالت أخته لامرأته: إنك تضوين فقفليني له الليلة - أي أرسليني منا تفعل الجند من المغزى - بهيئتك، وتغيبي أنت عنه. ففعلت، فجاءته في هيئة امرأته، ليلا، فوقع بها فأحبلها. فلما كان الليلة الأخرى أتى امرأته فقال: "هذا الليلة حر معروف". فأرسلها مثلا. وقد كان أنكر ليلته الأولى. وولدت أخته لقيما. وكان مثله في الشدة. وإنما ضربه النمر مثلا.

٢١ ... ليالي حمق، فاستحصنت

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٢٨٠/٥

(٢) أمالي اليزيدي اليزيدي ص/١٣

إليه، فغر بها، مظلما

٢٢ ... فأحبلها رجل نابه

فجاءت به، رجلا، محكما

قوله: "نابه" أي: ذو صيت. ونباهة: رفعة. و"محكم": حكيم. يقول: أحبلها لقمان، فجاءت بلقيم.

٥١ وقالت امرأة من الأعراب

من بني عمرو بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. واسمها برة بنت الحارث، ترثي ابنا لها. أنشدها الأصمعي:

١ ... يا عمرو، ما بي عنك من صبر

يا عمرو، يا أسفا، على عمرو

٢ ... لله، ما عمرو، وأي فتى

كفنت، ثم وضعت، في القبر؟

٣ ... أحثو التراب، على مفارقه

وعلى غرارة وجهه، النضر

٤ ... حين استوى، وعلا الشباب به

وبدا، منير الوجه، كالبدر

٥ ... وأقام منطقه، فأحكمه

وروى، وجالس كل ذي حجر

٦ ... ورجا أقاربه منافعه

ورأوا شمائل ماجد، غمر

٧ ... وأهمه همي، فساوره

وغدا، مع الغادين، في السفر

٨ ... تعدو، به، شقاء سلهبة

مرطى الجراء، شديدة الأسر

٩ ... تثب الخبار، به، ويقدمها

فلج، يقلب مقلتي صقر

١٠ ... كيف التعزي، عنك، يا عمرو

أم كيف لي، يا عمرو، بالصبر؟

١١ ... ربيته عصرا، أفنقه

في اليسر، أغذوه، وفي العسر

١٢ ... حتى إذا التأميل، أمكنني

فيه، قبيل تلاحق الثغر

١٣ .. .أدبته، تأديب والده

سعد، أبيه، أبي أبي نصر

١٤ ... وجعلت، من شفقي، أنقله

في الأرض، بين تنائف، غبر

١٥ ... أدع المزارع، والحصون، به

وأحله، في المهمه، القفر

١٦ ... أبني الرواق، على أريكته

ليقيل، دون الشمس، في ستر

١٧ ... ما زلت أصعده، وأحدره

من قتر موماة، إلى قتر

١٨ ... هربا به، والموت يطلبه

حيث انتويت، به، ولا أدري

١٩ ... حتى دفعت به، لمضجعه

سوق العتير، يساق للعتر

٢٠ ... ما كان إلا أن حللت به

ودنا، فأغفى، مطلع الفجر

٢١ ... ورمى الكرى رأسي، فمال به

وسن يساور، منه، كالسكر

٢٢ ... والقوم صرعى، بين أرحلهم

لكأنما ثملوا، من الخمر

٢٣ ... إذ راعني صوت، نبهت، له

وذعرت، منه، أيما ذعر

٢٤ ... فإذا منيته، تساوره

قد كدحت، في الوجه، والنحر

٢٥ ... وإذا له علز، وحشرجة

مما يجيش به، من الصدر

٢٦ ... والموت يقبضه، ويبسطه

كالثوب، عند الطي، والنشر

٢٧ ... فدعا لأنصره، وكنت له

من قبل ذلك، حاضر النصر

٢٨ ... فعجزت، عنه، وهي راكبة

بين الوريد، ومدفع السحر

٢٩ ... فمضى، وأي فتى فجعت به

جلت مصيبته، عن القدر؟

٣٠ ... لو قيل: تفديه، بذلت له

نفسي، وما جمعت، من وفر

٣١ ... أو كنت مقتدرا، على عمري

آثرته بالشطر، من عمري

٣٢ ... أحنى، عليه، الدهر كلكله

من ذا يقوم، لكلكل الدهر؟

٣٣ ... قد كنت، لي، عضدا إلى عضدي

ويدا وظهرا، لي، إلى ظهري

٣٤ ... قد كنت لي ذخرا، أسر به

فأرى الزمان عدا، على ذخري

٣٥ ... قد كنت ذا فقر إليك، فعزني

ربي، عليك، وقد رأي فقري

٣٦ ... لو شاء ربي كان متعني

بابني، وشد بأزره أزري

٣٧ ... بنيت عليك، بني، أحوج ما

كنا إليك، صفائح الصخر

٣٨ ... لا يبعدنك الله، يا عمرو

إما مضيت فنحن بالإثر." (١)

"قال أبو علي: الريع: الرجوع، وريعان الشباب: اوله، والريع أيضا: الزيادة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: املكوا العجين فإنه أحد الريعين.

واملى علينا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة لخرنق بنت هفان **ترثي** زوجها عمرو بن مرثد وابنها علقمة بن عمرو واخويه حسان وشرحبيل:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداةوافة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الازر

ويروي: النازلين والطيبين معاقد الازر، ويروي النازلون والطيبين.

ان يشربوا يهبوا وان يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهجر

قوم اذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأبيه والزجر

والخاطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغني منهم بذي الفقر

هذا ثنائي ما بقيت عليهم ... فاذا هلكت اجنني قبري

قال ابو على: الهجر: الفحش. واللغط: الجلبة. والتأبيه: الصوت، يقال: ايهت به تأييها اذا صحت به، والنحيت: المنحوت. والنضار: الذهب." (٢)

"كأنه أنت يا من لست أذكره ... وصل وهج وتقريب وإبعاد

وقال آخر

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٢٩٢

(٢) تعليق من أمال ي ابن دريد ابن دريد ص/٢١٨

كأن عيون القوم حين يرونه ... عيون ضعاف الطير أبصرن بازيا

وكالعسل الصافي لأصحاب وده ... وسم يذيق الكاشحين القواضيا

ونحوه قول بعضهم في قتل عمرو بن سعيد الأشدق

كأن بني مروان إن يقتلونه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر

وقال ابن الرومي المجتث

تأمل العيب عيب ... ما في الذي قلت ريب

والشعر كالعيش فيه ... مع الشبيبة شيب

فليصفح الناس عنه فطعنهم فيه غيب

حتى يعيش جرير ... لعيبه أو نصيب

ومثل قوله والشعر كالعيش فيه قوله المنسرح

صبرا جميلا فإنها بكر ال ... عيش ولا بد من ودائقها

لكن آها لها مرملة ... أعاذنا الله من عوائقها

ومثله قوله

وما الدهر إلا كابنه فيه بكرة ... وهاجرة مذمومة الحر صيخد

وقال البحتري يمدح

صنتني من معاشر لا يسمى ... أولوهم إلا غداة سباب

من جعاد الأكف غير جعاد ... وغضاب الوجوه غير غضاب

خطروا خطرة الجهام وساروا ... في نواحي الظنون سير السراب

ومثله قوله

علمتك إن منيت منيت موعدا ... جهاما وإن أبرقت أبرقت خلبا

وقال الخنساء **ترثي** أخاها صخرا

أغر أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

مثل الرديني لم تنفد سريرته ... كأنه تحت طي البرد أسوار

وقال أبو زبيد في غلامه وقد تبع حربا قتل فيها

وقد تصليت حر نارهم ... كما تصلى المقرور من قرس

تذب عنه كف بها رمق ... طيرا عكوفا كزور العرس
عما قليل علون جثته ... فهن من والغ ومنتهس
وقال ابن الرومي المتقارب
بني وهب بالله حار لكم ... من النائبات وأزمانها
يغيظ العدى أنكم عصبة ... تبين رجحان ميزانها
وتقييد أطراف أقلامكم ... كأطراف أرماح فرسانها
لئن ضمنوا صون أملاكنا ... لما صان عينا كأجفانها
وقال أبو العتاهية نحوه
وتقي المرء له واقية ... مثلما واقية العين الجفون
ولأبي نواس في الفضل بن الربيع
كأن فيض يديه حين تسأله ... باب السماء إذا ما بالحيا انفتحا
وقال الطائي في الحسن بن وهب المنسرح
أبو علي أخلاقه زهر ... غب سماء وروحه قدس
وحومة للخطاب فرجها ... والقوم عجم في مثلها خرس
شك حشاها بخطبة عنن ... كأنها منه طعنة خلس
أيامنا في ظلاله أبدا ... فصل ربيع ودهرنا عرس
لا كأناس قد أصبحوا صدأ ال ... عيش كأن الدنيا بهم حبس
في البعد منهم قرب من الروح وال ... وحشة من مثلهم هي الأنس
وقال ابن الرومي يهجو خالدا
أبلغا خالدا بأنك للشت ... م وللكلم في أديمك عط
ضرطة في قفاك يحسبه السا ... مع ثوبا من الحرير يقط
ألزم اللؤم أنفك الذل حتى ... هي سيان ذلة والمقط
ذاك تحت المذي مذال وهذا ... دمل الذلة الذي لا يبط
وقال البحتري في بني حميد
قبور بأطراف الثغور كأنما ... مواقعها منها مواقع أنجم

ومثله قول الآخر

رمى الفقر بالفتيان حتى كأنهم ... بأطراف آفاق البلاد نجوم

وقال الطائي يرثي حميدا الطوسي

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

وهذا مأخوذ من قول عبد يغوث اليهودي

ولو شئت نجتني من الخيل نهدة ... ترى خلفها الجرد الجياد تواليا

ولكنني أحمي ذمار أبيكم ... وكان الرماح يختطفن المحاميا

وقال الطائي في بني حميد

عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا ... بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

ويضحك الدهر منهم عن غطارفة ... كأن أيامه من حسنها جمع." (١)

"وما زال قلبي للتفرق بائنا، ... فقلبي لما قد قرب الله ساكن

ليهنك أني لم أجد منك سخطة، ... وأنك قد جلت عليك المحاسن

وأنك ممن زين الله أمرها، ... وليس لما قد زين الله شائن

فلن تزل عنده، حتى قتل يوم الطائف، رمي بسهم فمات، فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت **ترثيه**:

أآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أشد، وأحمى في الهياج، وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت، حتى يترك الرمح أشقرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب، فتزوجها، فأولم عليها، ودعا أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: فقال له علي بن أبي طالب: ائذن لي لأدخل رأسي إلى عاتكة أكلمها؛ قال: افعل، فأدخل رأسه إليها فقال: يا عدية نفسها! أهكذا كان قولك:

أآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا!

فبكت، فقال له عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ فغفر الله لك، أنهن يفعلن هذا، قال: أردت أن أعلمها أنه لا عهد لهن، فمكثت عنده، حتى قتل أبو لؤلؤة، فقالت **ترثيه**:

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٧٣

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الأمير النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتأتيب

عصمة الله، والمعين على الده ... ر، غياث الملهوف والمكروب

قل لأهل البأساء والضر: موتوا، ... قد سقته المنون أم الرقوب." (١)

"عثمان بن عفان أختك، فزوجه. فلما أراد حملها قال لها أبوها: أي بنية! إنك ستقدمين على نساء قريش، وهن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني اثنتين: تكحلي وتطيبي بالماء، حتى تكون ريحك كريح الشباب التطهرين. فلما حملت شق عليها الغربة واشتاقت إلى أهلها، فقالت:

ألست ترى، يا ضب بالله، أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا خرقا تخب ركابها، ... كما زعزعت ريح يراعا مقصبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم، ... لك الويل، ما يغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان بن عفان قعد على سرير، وألقى لها سريرا حياله، فجلست عليه، ورفع العمامة عن رأسه، فبدا الصلع فقال: يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من الصلع، فإن من ورائه ما تحبين. قالت: إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض، السادة. فقال: إما أن تقومي إلي وإما أن أقوم إليك. فقالت: ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك. ثم قامت إليه، فجلست إلى جانبه، فمسح رأسها، ودعا بالبركة، وقال: اطرحي عنك خمارك، فطرحته، ثم قال: اخلعي درعك، فخلعته، ثم قال: حلي إزارك، فقالت: ذاك إليك، فحله، فكانت من أحظى نسائه عنده. فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف، فألقت نفسها عليه، فضرب عجيزتها، وكانت من أعظم النساء عجيزة، فقالت: أشهد أنك فاسق لم تأت غضبا لله ولرسوله! فأهوى إليها بالسيف ليضربها، فاتقته بيدها فقطع إصبعين من أصابعها، فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه:

ألا إن خير الناس بعد نبيه ... قتيل التجوبي الذي جاء من مصر." (٢)

"ولا تدع صغيرنا ولا ترثي لكبيرنا لئلا (١) يبقى داع إلى حق ولا قائل بصدق (٢) ولا أحد من أهله، حتى أخرجك الطغيان وحملك (٣) الشنئان أن أظهرت بغضة أمير المؤمنين، وأعلنت بنقصه وقربت مبغضيه وأدنيت (٤) شانئيه حتى أربيت على بني أمية في عداوته وأشفيت غلتهم في تناوله، فأمرت (٥) بكرب قبر

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٠٣

(٢) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٠٨

الحسين صلى الله عليه وتعمية موضعه وقتل زواره واستئصال محبيه وتوعدت فيه وأرعدت وأبرقت على ذكره؛ فو الله لقد كانت بنو أمية الذين وضعنا (٦) آثارهم/مثلا لكم وعددنا مساويهم احتجاجا عليكم على بعد أرحامهم أراف بنا منكم، وأعطف علينا قلوبا من جميعكم، وأحسن استبقاء لنا ورعاية من قرابتكم؛ فو الله ما بأمركم خفاء ولا بشأنكم (٧) امتراء. ولم لا نجاهد، وأنت معتكف على معاصي الله صباحا ومساء، مغترا بالمهلة، آمنا من النقمة، واثقا بالسلامة، تارة تغري بين البهائم بمناطحة كبش، ومناقرة ديك، ومخارشة (٨) كلب،

---

(١) ر: لان لا.

(٢) م ص: ولا قائل به.

(٣) م ص: الحسد والشنئان.

(٤) الحدائق (مصورة) ١/ ١٨٧؛ وأخبار أئمة الزيدية ١٨٨: وآويت.

(٥) في هامش ص الأيسر: «نكتة، أن الوليد لعنه الله أمر بكرب قبر الحسين صلوات الله عليه وسلامه، وأن المتوكل العباسي لعنه الله الذي اشتهر عنه ذلك إنما اقتدى بجده هذى لعنهما الله وأبعدهما». ولا يعرف عن هارون الرشيد أنه أمر بكرب قبر الحسين، وذكر أبو الفرج أن المتوكل أمر بكربه (مقاتل ٥٩٧ - ٥٩٩؛ ط ٢،٤٧٨ - ٤٧٩). وهذا ما أشار إليه الناسخ في هامش ص.

(٦) م: وصفنا.

(٧) ص: في شأنكم.

(٨) في الحدائق (مصورة) ١/ ١٨٧: أو مناقرة ديك؛ وفي أخبار أئمة الزيدية ١٨٨: أو بمناقرة ديك أو مخارشة.." (١)

"لهذلية فى رثاء إخوة وابن الشيبانى قال كانت امرأة من هذيل وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعا فى الطاعون وكانت بكرا لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته فنبت نباتا كأنما يمد بناصيته وبلغ فزوجته وأخذت فى جهازه حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله فلم تشق لها جيبا ولم تدمع لها عين فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه فأكبت عليه ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت ألا تلك المسرة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم ولا يبقى على الحدثان غفر

---

(١) أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله أحمد بن سهل الرازي ص/٢١٣

بشاهقة له أم رؤوم ثم أكبت عليه أخرى فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا لشيبانية فى حزنها على أهلها خليفة بن خياط قال ما رأيت أشد كمدا من امرأة من بنى شيبان قتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحرورى فما رأيتها قط ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا وقالت **ترثيهم**." (١)

"من لقلب شفة الحزن ولنفس مالها سكن ظعن الأبرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا رثاء أخت النضر له قال ابن إسحق صاحب المغازى لما نزل رسول الله الصفراء وقال ابن هشام الأثيل أمر على بن أبى طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدى الرسول فقلت أخته قتيلة بنت الحارث **ترثيه** يا راكبا إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق بلغ به ميتا فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تخفق." (٢)

"الزبير بن العوام وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعى بوادى السباع وهو منصرف من وقعه الجمل وتروى هذه الأبيات لزوجته التى تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد لبانة زوجة الأمين **ترثيه** الهلالى قال تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت على بن ريطة وكانت من اجمل النساء فقتل محمد عنها ولم يبن بها فقالت **ترثيه** أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالى والرمح والفرس يا فارسا بالعراء مطرحا خانته قواده مع الحرس أبكى على سيد فجعت به أرملنى قبل ليلة العرس أم من لبر أم من لعائدة أم من لذكر الإله فى الغلس من للحروب التى تكون لها إن أضرمت نارها بلا قبس وقالت أعرابية ترثى زوجها كنا كغصنين فى جرثومة سمقا حينا بأحسن ما يسمو له الشجر." (٣)

"أهابك أن أبوح بذات نفسي ... وتركي للعتاب من العتاب

وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان:

منعت مهابتك النفوس حديثها ... بالشيء تكرهه وإن لم تعلم

ومن الولاة مفخم لا يتقى ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم

---

(١) طب ا ئع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٢٠٥

(٢) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٢٠٦

(٣) طبائ ع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٢٠٩

وقال أيضا لهرون الرشيد:

وعلى عدوك يا بن عم محمد ... رصدان: ضوء الصبح والإضلام

فإذا تنبه رعته، وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام «١»

وقال الحسن بن هانيء في الهيبة فأفرط:

ملك تصور في القلوب مثاله ... فكأنه لم يخل منه مكان

ما تنطوي عنه القلوب بفجرة ... إلا يكلمه بها اللحظان «٢»

حتى الذي في الرحم لم يك صورة ... لفؤاده من خوفه خفقان

فمجاز هذا البيت في إفراطه أن الرجل إذا خاف شيئا أو أحبه أحبه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه، فالنطف التي في الأصلاب داخلة في هذه الجملة.

قال الشاعر:

ألا ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف في آل محمد:

أحبكم حبا علىى الله أجره ... تضمنه الأحشاء واللحم والدم

ومثل هذا قول الحسن بن هانيء:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق." (١)

"فريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى ... من الريش حتى ضمه الموت والقبر

إذا قلت أسلو عنه هاجت بلابل ... يجددها فكر يجدده ذكر

وأنظر حولي لا أرى غير قبره ... كأن جميع الأرض عندي له قبر

أفرخ جنان الخلد طرت بمهجتي ... وليس سوى قعر الضريح لها وكر

وقالت أعرابية ترثي ولدها:

يا قرحة القلب والأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد

لما رأيتك قد أدرجت في كفن ... مطيبا للمنايا آخر الأبد

أيقنت بعدك أني غير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد «١»

لأعرابي في ابنين له:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٧/١

توفى ابن لأعرابي فبكى عليه حينا، فلما هم أن يسلو عنه توفى له ابن آخر، فقال في ذلك:

إن أفق من حزن هاج حزن ... ففؤادي ماله اليوم سكن

وكما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن «٢»

وقال في ذلك:

عيون قد بكينك موجعات ... أضر بها البكاء وما ينينا «٣»

إذا أنفدن دمعا بعد دمع ... يراجعن الشئون فيستقينا

أبو عبيد البجلي قال: وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر، فقالت:

أقمت أبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار لي وحشة ... قد ذل من ليس له ناصر

وقالت فيه:

هو الصبر والتسليم لله والرضا ... إذا نزلت بي خطة لا أشاؤها." (١)

"إذا نحن أبنا سالمين بأنفس ... كرام رجعت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنها ... تئوب ويبقى ماؤها وحياؤها

ولا بر إلا دون ما بر عامر ... ولكن نفسا لا يدوم بقاؤها

هو ابني أمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب إليه ولاؤها

فإن أحتسب أوجر وإن أبكه أكن ... كباكية لم يحي ميتا بكاؤها «١»

لهذيلية في رثاء إخوة وابن:

الشيباني قال: كانت امرأة من هذيل، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام؛ فهلكوا جميعا في الطاعون؛ وكانت بكرا لم تتزوج؛ فخطبها ابن عم له فتزوجها. فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته، فنبت نباتا كأنما يمد بناصيته وبلغ، فزوجته وأخذت في جهازه، حتى إذا لم يبق إلا البناء «٢» أتاه أجله، فلم تشق لها جيبا، ولم تدمع لها عين؛ فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه، فأكبت عليه ساعة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت:

ألا تلك المسرة لا تدوم ... ولا يبقى على الدهر النعيم

ولا يبقى على الحدثان غفر ... بشاهقة له أم رءوم «٣»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢١٦/٣

ثم أكبت عليه أخرى، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها، فدفنا جميعا.

لشيبانية في حزنها على أهلها:

خليفة بن خياط قال: ما رأيت أشد كمدا من امرأة من بني شيبان، قتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك الحروري؛ فما رأيتها قط ضاحكة ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا، وقالت ترثيهم:

من لقلب شفه الحزن ... ولنفس مالها سكن." (١)

"رثاء أخت النضر له:

قال ابن إسحاق صاحب المغازي: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء- وقال ابن هشام الأثيل- أمر علي بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه:

يا راكبا إن الاثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق «١»

مني إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق «٢»

هل يسمعني النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد يا خير ضنء كريمة ... من قومه والفحل فحل مغرق «٣»

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتقا يعتق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق «٤»

صبرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق «٥»

قال ابن هشام: قال النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر: لو بلغني قبل قتله ما قتلته.

عمر بن الخطاب والخنساء في أخويها:

الأصمعي قال: نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب في وجهها، فقال: ما هذه الندوب يا خنساء؟ قالت: من طول البكاء على أخوي! قال لها: أخواك في النار! قالت: ذلك أطول لحزني عليهما؛ إني كنت أشفق عليهما من القتل، وأنا اليوم أبكي لهما من النار، وأنشدت:." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢١٧

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٢٢

"قمران في النادي، رفيعا محتد ... في المجد فرعا سودد متخير «١»

وقالت الخنساء ترثي أخاها صخر بن الشريد:

أقذى بعينك أم بالعين عوار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأن دمعي لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

فالعين تبكي على صخر وحق لها ... ودونه من جديد الأرض أستار

بكاء والهة ضلت أليفتها ... لها حنينان إصغار وإكبار «٢»

ترعى إذا نسيت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار «٣»

حامي الحقيقة، محمود الخليقة، مهدي الطريقة، نفاع وضرار وقالت أيضا:

ألا ما لعيني، ألا مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أمن بعد صخر من ال الشريد حلت به الأرض أثقالها

فآليت آسى على هالك ... وأسأل باكية مالها

وهمت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها

سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها

وقالت أيضا:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجريء الجواد ... ألا تبكيان الفتى السيدا؟

طويل النجاد رفيع العما ... د، ساد عشيرته أمردا

يحمله القوم ما غالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

جموع الضيوف إلى بابه ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا." (١)

"وقالت أيضا:

فما أدركت كف امرىء متناول ... من المجد إلا والذي نلت أطول

وما بلغ المهدون للمدح غاية ... ولا جهدوا إلا الذي فيك أفضل

وما الغيث في جعد الثرى دمث الربا ... تبعق فيها الوابل المتهلل «١»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٢٤

فأفضل سيبا من يديك ونعمة ... تجود بها، بل سيب كفيك أجزل

من القوم مغشي الرواق كأنه ... إذا سيم ضيما خادر متبسل «٢»

شرنبث أطراف البنان ضبارم ... له في عرين الغيل عرس وأشبل «٣»

لأخت الوليد بن طريف في رثائه:

وقالت أخت الوليد بن طريف **ترثي** أخاها الوليد بن طريف:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يريد العز إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف «٤»

ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم ... وكل رقيق الشفرتين حليف «٥»

فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من ساداتنا بألوف

خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف

عليك سلام الله وقفا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

وقال آخر يرثي آخاه:

أخ طالما سرني ذكره ... فقد صرت أشجى إلى ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره ... فقد صرت أغدو إلى قبره

وكنت أراني غنيا به ... عن الناس لو مد في عمره

وكنت إذا جئته زائرا ... فأمري يجوز على أمره." (١)

"وقالت الخنساء **ترثي** أخاها صخرا:

بكت عيني وعاودها قذاها ... بعوار فما تقضى كراها «١»

على صخر وأي فتى كصخر ... إذا ما الغاب لم ترأم طلاها «٢»

حلفت برب صهب معملات ... إلى البيت المحرم منتهاها

لئن جزعت بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو فتاها

له كف يشد بها وكف ... تجود فما يجف ثرى نداها

ترى الشم الغطارف من سليم ... وقد بلت مدامعها لحاها

أحاميكم ومطعمكم تركتم ... لدى غبراء منهدم رجاها

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٢٥

فمن للضيف إن هبت شمال ... مزعزعة تناوئها صباها

وألجأ بردها الأشوال حدبا ... إلى الحجرات بادية كلاها «٣»

هنالك لو نزلت بباب صخر ... قرى الأضياف شحما من ذراها

وخيل قد دلفت لها بخيل ... فدارت بين كبشيها رحاها «٤»

تكفكف فضل سابغة دلاص ... على خيفانة خفق حشاها «٥»

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار:

تقول سليمى: ما لجسمك شاحبا ... كأنك يحميك الطعام طبيب

فقلت: شجون من خطوب تتابعت ... علي كبار والزمان يريب

لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي، فالمنايا للرجال شعوب «٦»

فإني لباكيه، وإني لصادق ... عليه، وبعض القائلين كذوب

أخي ما أخي! لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيوب

أخ كان يكفيني وكان يعينني ... على نائبات الدهر حين تنوب." (١)

"وإني إذا ما شئت لاقيت أسوة ... تكاد لها نفس الحزين تطيب

فتى كان ذا أهل ومال فلم يزل ... به الدهر حتى صار وهو حريب «١»

وكيف عزاء المرء عن أهل بيته ... وليس له في الغابرين حبيب

متى يذكروا يفرح فؤادي لذكرهم ... وتسجم دموع بينهن نحيب

دموع مراها الشجو حتى كأنها ... جداول تجري بينهن غروب «٢»

إذا ما أردت الصبر هاج لي البكا ... فؤاد إلى أهل القبور طروب

بكى شجوه ثم ارعوى بعد عوله ... كما واترت بين الحنين سلوب «٣»

دعاها الهوى من سبقها فهي واله ... وردت إلي الآن فهي تحوب «٤»

فوجدي بأهلي وجدها غير أنهم ... شباب يزينون الندى ومشيب

من رثت زوجها

قال أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين رضي الله عنها ترثي زوجها الزبير بن العوام، وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعة الجمل وتروي هذه الأبيات لزوجته عاتكة التي

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٢٦

تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم الهياج وكان غير معرد «٥»

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

لبانة زوجة الأمين ترثيه:

الهلالي قال: تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ريطة، وكانت من أجمل النساء، فقتل محمد عنها ولم يبن بها، فقالت ترثيه:." (١)

"أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

أبكي على سيد فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

أم من لبرأم من لعائدة ... أم من لذكر الإله في الغلس «١»

من للحروب التي تكون لها ... إن أضرمت نارها بلا قبس

وقال أعرابية ترثي زوجها:

كنا كغصنين في جرثومة بسقا ... حينا على خير ما ينمى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب قنواهما واستنظر الثمر «٢»

أخنى على واحد ريب الزمان وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر «٣»

كنا كأنجم ليل بينهما قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

الأصمعي وجارية على قبر زوجها:

الأصمعي قال: دخلت بعض مقابر الأعراب ومعي صاحب لي، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل ما لم أر مثله، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت: هل رأيت أعجب من هذا؟ قال: لا والله ولا أحسبني أراه! ثم قلت لها: يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زي الحزن. فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني ... رهينة هذا القبر يا فتيان

وإني لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه حين يراني

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٣١

أهابك إجلالا وإن كنت في الثرى ... مخافة يوم أن يسوءك شاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي ... بالا ويكثر في الدنيا مواساتي." (١)

"السحاب أثقالها، وجرت بها الرياح أذيالها.

وذكر أعرابي رجلا تغيرت حاله، فقال: طويت صحيفته وذهب رزقه، فالبلاء مسرع إليه، والعيش عنه قابض كفيه.

وذكر أعرابي رجلا ضاق عيشه بعد سعة، فقال: كان والله في ظل عيش ممدود، فقدحت عليه من الدهر زند عين كابية الزند.

الأصمعي قال: أنشدني العقيل لأعرابية ترثي ابنها:

ختلته المنون بعد اختيال ... بين صفين من قنا ونصال

في رداء من الصفيح صقيل ... وقميص من الحديد مذال «١»

كنت أخباك لاعتداء يد الدهر ولم تخطر المنون ببالي وقال أعرابي يرثي ابنه:

دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت ... وللنفس منها دافن ودفين

وقال أعرابي: إن الدنيا تنطق بغير لسان فتخبر عما يكون بما قد كان.

خرج أعرابي: هاربا من الطاعون؛ فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات، فقال فيه أبوه:

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك

والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك

كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

وذكر أعرابي بلدا فقال: بلد كالترس «٢» ، ما تمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيها السفر إلا بأدل دليل.." (٢)

"فتسور محمد بن أبي بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار. ويقال: من دار عمرو ابن حزم الأنصاري، ومما يدل على ذلك قول الأحوص:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٣٢

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/١٢

لا ترثين لحزمي ظفرت به ... طرا ولو طرح الحزمي في النار

الباخسين «١» بمروان بذي خشب ... والمدخلين على عثمان في الدار

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة؛ والمصحف في حجره، ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأنهم كانوا على البيوت، فتقدم إليه محمد [ابن أبي بكر] وأخذ بلحيته. فقال له عثمان: أرسل لحيتي يا بن أخي، فلو رآك أبوك لساءه مكانك! فتراخت يده عن لحيته، وغمز الرجلين فوجآه بمشاقص «٢» معهما حتى قتلاه، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا؛ وخرجت امرأته فقالت: إن أمير المؤمنين قد قتل! فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا؛ فأكبوا عليه يبكون.

وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة: فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا؛ فاسترجعوا؛ وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ورفع يده فلطم الحسين وضرب صدر الحسن، وشتم محمد ابن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير؛ ثم خرج علي وهو غضبان، يرى أن طلحة أعان عليه، فلقيه طلحة فقال: مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين؟ فقال عليك وعليهما لعنة الله! يقتل أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدري ولم تقم بينة ولا حجة؟ فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل. فقال: لو دفع مروان قتل قبل أن تثبت عليه حجة! وخرج علي فأتى منزله؛ وجاءه القوم كلهم يهرعون إليه:

أصحاب محمد وغيرهم، يقولون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فقال: ليس ذلك إلا لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا، فقالوا: ما نرى أحدا أولى بها منك، فمد يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكانا. أول من بايعه، طلحة بلسانه، وسعد بيده.." (١)

"فقتله، وأقبل برأسه إلى علي بن طالب، فقال علي: أبشر بالنار! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشروا قاتل الزبير بالنار! فخرج عمرو بن جرموز وهو يقول:

أتيت عليا برأس الزبير ... وكنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار قبل العيان ... فبئس بشارة ذي التحفه

ومن حديث ابن أبي شيبة قال: أقبل رجل بسيف الزبير إلى الحسن بن علي فقال:

لا حاجة لي به، أدخله إلى أمير المؤمنين. فدخل به إلى علي فناوله إياه وقال: هذا سيف الزبير. فأخذه علي، فنظر إليه مليا، ثم قال: رحم الله الزبير! لطالما فرج الله به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤٢/٥

وسلم.

وقالت امرأة الزبير ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم الهياج وكان غير معرد «١»

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المعتمد

وقال جرير ينعي علي بن مجاشع قتل الزبير رضي الله تعالى عنه:

إني تذكرني الزبير حمامة ... تدعو ببطن الواديين هديلا «٢»

قالت قريش ما أذل مجاشعا ... جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا

لو كنت حرا يا ابن قين مجاشع ... شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا

أفبعد قتلكم خليل محمد ... ترجو القيون مع الرسول سبيلا «٣»

هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: دعاني أبي يوم الجمل فقمت عن يمينه، فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وما أراني إلا سأقتل مظلوما، وإن أكبر همي ديني، فبع مالي ثم اقض ديني؛ فإن فضل شيء فثلثه لولدك، وإن." (١)

"العراق، وما علمت بخروج أبي عبد الله ولا بقتله.

أبو الحسن المدائني عن إسحاق عن إسماعيل بن سفيان عن أبي موسى عن الحسن البصري، قال: قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته، والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم. وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أحقاب «١» الإبل. فلما أدخلن على يزيد، قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلن، قالت فاطمة: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدمة «٢» تبكي، وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:

عيني أبكي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسول

ستة كلهم لصلب علي ... قد أصيبوا وخمسة لعقيل

ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذته، فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته، فبكى فتركته؛ فقال

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥/٧٢

له جبريل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم! قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها! فبسط جناحه، فأراه منها، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم.

محمد بن خالد قال: قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: لقيت رأس الجالوت «٣» ، فقال: إن بيني وبين داود سبعين أبا، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي؛ وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه!." (١)

"وكان لأم جعفر أخ يقال له أيمن، فاستعدى عليه ابن حزم الأنصاري وهو والي المدينة للوليد بن عبد الملك- وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم- فبعث ابن حزم إلى الأحوص فأتاه، وكان ابن حزم يبغضه؛ فقال: ما تقول فيما يقول هذا؟

قال: وما يقول؟ قال: يزعم أنك تشبب بأخته وقد فضحته وشهرت أخته بالشعر.

فأنكر ذلك، فقال لهما: قد اشتبه علي أمركما، ولكني أدفع إلى كل واحد منكما سوطا، ثم اجتلدا! وكان الأحوص قصيرا نحيفا؛ وكان أيمن طويلا ضخما جلدا، فغلب أيمن الأحوص فضربه حتى صرعه «١» وأثخنه؛ فقال أيمن:

لقد منع المعروف من أم جعفر ... أشم طويل الساعدين غيور

علاك بمتن السوط حتى اتقيته ... بأصفر من ماء الصفاق يفور «٢»

قال: فلما رأى الأحوص تحامل ابن حزم عليه، امتدح الوليد ثم شخص إليه إلى الشام، فدخل عليه فأنشده:

لا ترثين لحزمي رأيت به ... ضرا، ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... المدخلين على عثمان في الدار «٣»

قال له: صدقت والله، لقد كنا غفلنا عن حزم وآل حزم. ثم دعا كاتبه فقال:

اكتب عهد عثمان بن حيان المري على المدينة، واعزل ابن حزم، واكتب بقبض أموال حزم وآل حزم وإسقاطهم أجمعين من الديوان، ولا يأخذوا لأموي عطاء أبدا.

ففعل ذلك، فلم يزالوا في الحرمان للعطاء مع ذهاب الأموال والضياع، حتى انقضت دولة بني أمية وجاءت دولة بن العباس؛ فلما قام أبو جعفر المنصور بأمر الدولة، قدم عليه أهل المدينة، فجلس لهم، فأمر حاجبه

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٢/٥

أن يتقدم إلى كل رجل منهم أن ينتسب له إذا قام بين يديه؛ فلم يزالوا على ذلك يفعلون، حتى دخل عليه رجل قصير قبيح." (١)

"الوجه، فلما مثل بين يديه قال له: يا أمير المؤمنين، أنا ابن حزم الأنصاري الذي يقول فينا الأحوص:

لا ترثين لحزمي رأيت به ... ضرا ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... والمدخلين على عثمان في الدار

ثم قال: يا أمير المؤمنين، حرمنا العطاء منذ سنين، قبضت أموالنا وضياعنا فقال له المنصور: أعد علي البيتين. فأعادهما عليه، فقال: أما والله لئن كان ذلك ضركم في ذلك الحين لينفعنكم اليوم! ثم قال: علي بسليمان الكاتب. فأتاه أبو أيوب الخوزي، فقال: اكتب إلى عامل المدينة أن يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بني حزم وأموالهم، ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم، وما استغل من غلاتهم من يومئذ إلى اليوم؛ فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بني مروان، ويفرض لكل واحد منهم في شرف العطاء- وكان شرف العطاء يومئذ مائتي ألف دينار في السنة- ثم قال: علي الساعة بعشرة آلاف درهم تدفع إلى هذا الفتى لنفقته.

فخرج الفتى من عنده بما لم يخرج به أحد ممن دخل عليه.

ذكر خلفاء بني العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم

أبو العباس السفاح

ولد أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مستهل رجب سنة أربع ومائة.

وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وتوفي بالأنبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر.." (٢)

"ناصيته وخلاه طمعا في المكافأة، فلم يفعل، وقتل معاوية بن الجون، ومنقذ ابن طريف الأسدي، ومالك بن ربعي بن جندل بن نهشل، فقال جرير:

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمر إذ دعا يالدارم

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٦٨/٥

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٦٩/٥

ويوم الصفا كنتم عبيدا لعامر ... وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم «١»

يعني بالحزن: يوم الوقيط.

وقال جرير أيضا في بني دارم:

ويوم الشعب قد تركوا لقيطا ... كأن عليه حلة أرجوان

وكبل حاجب بشمام حولا ... فحكم ذا الرقيبة وهو عان «٢»

وقالت دختنوس بنت لقيط ترثي لقيطا:

قزت بنو أسد وخ ... ر الطير عن أربابها

عن خير خندف كلها ... من كهلها وشبابها

وأتمها حسبا إذا ... نصت إلى أحسابها

وقال المعقر البارقي:

أمن آل شعثاء الحمول البواكر ... مع الصبح أم زالت قبيل الأباعر

وحلت سليمى في هضاب وأيكة ... فليس عليها يوم ذلك قادر

وألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا إذا بالإياب المسافر «٣»

وصبحها أملاكها بكتيبة ... عليها إذا أمست من الله ناظر

معاوية بن الجون ذبيان حوله ... وحسان في جمع الرباب مكاثر

وقد زحفت دودان تبغي لثأرها ... وجاشت تميم كالفحول تخاطر

وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه ... جراد هفا في هبوة متطاير «٤»

فمروا بأطناب البيوت فردهم ... رجال بأطناب البيوت مساعر «٥»." (١)

"يوم ذات الأثل «١»

قال أبو عبيدة: ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بن أسد بن خزيمة واكتسح إبلهم، فاتى الصريخ بن اسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرا في جنبه، وفات القوم بالغنيمة، وجوى «٢» صخر من الطعنة، فكان مريضا قريبا من الحول. حتى مله أهله، فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته كيف بعلك؟ قالت: لا حي فيرجى، ولا ميت فينسى، لقد لقينا منه الأمرين! وكانت تسأل أمه: كيف صخر؟ فتقول: أرجو له العافية إن شاء الله! فقال في ذلك:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢/٦

أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمي مضجعي ومكاني

فأي امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان «٣»

وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان

لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان «٤»

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع الطعنة، قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ. فقال: شأنكم! فقطعوها فمات، فقالت الخنساء أخته ترثيه:

فما بال عيني ما بالها ... لقد أخضل الدمع سر بالها

أمن بعد صخر من ال الشريد ... حلت به الأرض أثقالها «٥»

فآليت أبكي على هالك ... وأسأل نائحة مالها

هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها

لأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها «٦»." (١)

"وقالت ترثيه:

وقائلة والنفس قد فات خطوها ... لتدركه: يا لهف نفسي على صخر!

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر!

يوم عدنية: هو يوم ملحان «١»

قال أبو عبيدة: هذا اليوم قبل ذات الأثل، وذلك أن صخرا غزا بقومه وترك الحي خلوا، فأغارت عليهم غطفان، فثارت إليهم غلمانهم ومن كان تخلف منهم، فقتل من غطفان نفر وانهزم الباقون، فقال في ذلك صخر:

جزى الله خيرا قومنا إذ دعاهم ... بعدنية الحي الخلوف المصبح «٢»

وغلماننا كانوا أسود خفية ... وحق علينا أن يثابوا ويمدحوا

هم نفروا أقرانهم بمضرس ... وسعر وذادوا الجيش حتى تزحزحوا «٣»

كأنهم إذ يطردون عشية ... بقنة ملحان نعام مروح

يوم اللوى «٤» : لغطفان على هوازن

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣١/٦

قال أبو عبيدة: غزا عبد الله بن الصمة- واسم الصمة: معاوية الأصغر- من بني غزية بن جثم بن معاوية بن بكر بن هوازن- وكان لعبد الله ثلاثة اسماء وثلاث كنى، فاسمهـ: عبد الله، وخالد، ومعبد، وكنيته: أبو فرغان، وأبو دفاقة وأبو وفاء، وهو أخو دريد بن الصمة لأبيه وأمه- فأغار على غطفان، فأصاب منهم إبلا عظيمة فاطردها، فقال له أخوه دريد: النجباء فقد ظفرت. فأبى عليه وقال: لا أبرح حتى أنتقع نقيعتي- والنقيعة: ناقة ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما لأصحابه، ويقسم ما أصاب على أصحابه فأقام وعصى أخاه، فتبعته فزارة فقاتلوه، وهو بمكان." (١)

"وقالت آمنة بنت عتيبة **ترثي** أباها:

على مثل ابن مية فانعياه ... بشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبي عتيبة شمريا ... فلا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا للكمي إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا «١»

أيام الفجار الأول

قال أبو عبيدة: أيام الفجار عدة، وهذا أولها، وهو بين كنانة وهوازن، وكان الذي هاجه أن بدر بن معشر أحد بني غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة، جعل له مجلس بسوق عكاظ، وكان حدثا منيعا في نفسه، فقام في المجلس وقام على رأسه قائم، وأنشأ يقول:

نحن بنو مدركة بن خندف ... من يطعنوا في عينه لم يطرف

ومن يكونوا قومه يغطرف ... كأنهم لجة بحر مسدف «٢»

قال: ومد رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضربها! فضربها الأحمير بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية، فأندرها «٣» من الركبة، وقال:

خذها إليك أيها المخندف

قال أبو عبيدة: إنما خرصها «٤» خريصة يسيرة وقال في ذلك:

نحن بنو دهمان ذو التغطرف ... بحر لبحر زاخر لم ينزف

نبني على الأحياء بالمعرف

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢/٦

قال أبو عبيدة: فتحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن يكون بينهما الدماء، ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير.." (١)

"ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا انه أعظم الوسائل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة: أخبرني ما الشعر يا عبد الله؟ قال:

شيء يختلج في صدري فينطق به لساني. قال: فأنشدني. فأنشده شعره الذي يقول فيه:

فثبت الله ما آتاك من حسن ... قفوت عيسى بإذن الله والقدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وإياك ثبت الله، وإياك ثبت الله، وإياك ثبت الله.

شعر قتيلة بنت الحارث

ومن ذلك ما رواه ابن اسحاق صاحب المغازي وابن هشام: قال ابن اسحاق: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء «١» - قال ابن هشام: الأثيل «٢» - أمر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت أخته قتيلة بنت الحارث **ترثيه**:

يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق «٣»

منى عليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق

هل يسمعن النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد يا خير ضنء كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق «٤»

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتقا يعتق." (٢)

"بيت للمرقش

ومما عابه ابن قتيبة وليس بعيب، قول المرقش الاصغر:

صحا قلبه عنها على أن ذكرها ... إذا ذكرت دارت به الأرض قائما

فقال له: كيف يصحو من كانت هذه صفته. والمعنى صحيح، وإنما ذهب إلى أن حاله هذه، على ما تقدم

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٠١/٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢٨/٦

من سوء حاله، حال صحو عنده، ومثل هذا في الشعر كثير، لأن بعض الشر أهون من بعض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب: إنه أخف الناس عذابا يوم القيامة، يحذى نعلين من نار يغلي منهما دماغه! وهذا من العذاب الشديد، وإنما صار خفيفا عند ما هو أشد منه، فزعم المرقش أنه عند نفسه صاح.

إذ تبدل حاله أسهل مما كان فيه.

بيت لابن هانيء

وقد عاب الناس قول الحسن بن هانيء:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

فقالوا: كيف تخافه النطف التي لم تخلق؟ ومجاز هذا قريب إذا لحظ أن من خاف شيئا خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه وروحه، والنطف داخلة في هذه الجملة، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف النطف التي في أصلابها.

وقال الشاعر:

ألا ترثي ... يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف:

أخبكم حبا على الله أجره ... تضمنه الأحشاء واللحم والدم

العتابي ومنصور النميري

ولقى العتابي منصورا النميري، فسأله عن حاله فقال: إني لمدهوش «١» : وذلك أني." (١)

"واشرب معتقة تسلسل في العظام وفي المشاش

الضرب الثامن: المجزوء الصحيح

ألحاظ عيني تلتهي ... في روض ورد يزدهي

رتعت بها وتنزهت ... فيها ألذ تنزه

يا أيها الخنث الجفو ... ن بنخوة وتكره

والمكتسي غنجا أما ... ترثي لأشعث أمره

الضرب التاسع: المجزوء المقطوع بسلامة الثاني

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٨٣/٦

أطفت شرارة لهوي ... ولوت بشدة عدوي

شعل علون مفارقي ... ومضت ببهجة سروي

لما سلكت عروضها ... ذهب الزحاف بحزوي

يا أيها الشادي صه ... ليست بساعة شدو

الهزج له عروض واحد وضربان (الضرب المجزوء الممنوع من القبض)

ألا يا دين قلبي للش ... باب الغض إذ ولى

جعلت الغي سربالي ... وكان الرشد بي أولى

بنفسي جائر في الح ... كم يلفى جوره عدلا

وليس الشهد في فيه ... بأحلى عنده من «لا»

الضرب الثاني: المحذوف

هنا تفني قوافي الشعر في هذا الروي

قواف ألبست حليا ... من الحسن البدي

تعالت عن جرير بل ... زهير بل عدي." (١)

"ومنها:

إنما زينب الهوى ... وهي الهم والمنى

[ذات دل تضنى الصحى ... ح وتبرى من الجوى

لا يغرنك أن دعو ... ت فؤادى الى النوى

واحذرى هجرة الحبى ... ب اذا مل وانزوى] «١»

ومنها: زينبي راعي وصالي ... واسمعي مني مقالي

وقول أبان:

يوم تبدى لنا قتيلة عن جي ... د أسيل تزينه الأطواق

الغناء فيه لمعبد وقول أبان وأقلى ضوء برق، يريد قول الأحوص:

ضوء برق بدا لعينك أم شبت بذي الأثل من سلامة نار الغناء فيه لمعبد وقول أبان عفا مزج أراد قول الأحوص أيضا:

---

(١) العقد الفريد ا بن عبد ربه الأندلسي ٦/٣٦٥

عفا مزج الي لصق ... الى الهضبات من هكر

الغناء لمالك بن أبى السمح.

حدثنا المبرد، قال: حدثنى أبو واثلة «٢» قال كان أبان بن عبد الحميد اللاحقى يتولع بابن مناذر الصبيري من بنى صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم، ويقول له إذامت فلا **ترثيني** يعرض به بأنه لا يجيد الشعر الا في المراثى، فقال ابن مناذر يهجوه:." (١)

"حدثنا أبو ذكوان عن ابراهيم بن سفيان الزيادى، أن غلاما يهوديا كان يقال له هيلا، وكان مجالس أبا العتبي عبيد الله، وكان أحسن الناس وجها وأبوه من مياسير يهود البصرة فمات فوجد به العتبي وجدا شديدا وبكاه ورثاه، فقال له أبان وأنشدنى بيتين من شعر أبان «١» ثم رفع الي وأنا بواسط أبو طالب الأنباري كتابا بخط أبى علي الكرانى، وكان قد سمع منه وأنا أعرف الناس به «٢» لأن وكيعا أخرج إلي منه شيئا كثيرا أخذه من الكراني.

أنشدنى عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو على العميري لأبان اللاحقى يهجو أبا العتبي:

ألا قل لعبيد الله ... ما بالك لا تسلا

أهذا كله فرط ... أسى منك على هيلا

وقد صار من النار ... الى أطباقها السفلى

تبكيه **وترثيه** ... بكاء الواله الثكلى

لقد أملى لك الله ... فلا يغررك ما أملى

وقد أحسن اذ أبلا ... ك فاشكر حق ما أبلى

كأنى بك قد خلي ... ت دنياك كما خلا

فلا آخرة نلت ... ولم تبق لك الأولى

وقد خيرت فاخترت ... صديقا مثله يقلى

شبيها بك في الغدر ... وفي كفر الذي تولى

وقد حدثني عنه ... وما كذبته يعلى

وعن قنطرة الشط ... حديثا غيره أحلى." (٢)

---

(١) الأوراق قسم أخ بار الشعراء الصولي ٣٢/١

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٣٤/١

"فرق بينه ولده ".

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالا: " أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل، نزلوا في عدنان بن أد بن أدد، أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص قرشت، فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا حروفا ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والطاء والغين قسموا بالروادف ". وقد روي أنهم كانوا ملوك مدين، وأن رئيسهم كلمن وأنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن **ترثيه**:

كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه آل ... حتف نارا وسط ظله

كونت نارا فأضخت ... دار قومي مضمحله

وقيل: إن هؤلاء أخذوا كتاب إسماعيل عليه السلام، فعملوا منه كتابا يتعلم منه، لأن الأحاديث عنهم أنهم استعربوا وضعوا." (١)

"ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه، فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والأقسام، ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه إذ كان المديح ضده الهجاء.

ولنتبع القول في الهجاء: القول في المراثي.

نعت المراثي

إنه ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها، وهو أن يكون الحي وصف مثلا بالجود، فلا يقل: كان جوادا ولكن بأن يقال: ذهب الجود او فنم للجود بعده ومثل: تولى الجود وما أشبه هذه الأشياء.

كما قالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة ابن الحمير بالنجدة على هذه السبيل:

فليس سنان الحرب يا توب بعدها ... بغاز ولا غاد بركب مسافر

ومن الشعراء من يرثي بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها، وعتد ذلك ومثله يحتاج إلى أن يعلم صحة

---

(١) أدب الكتاب للصولي الصولي ص/٢٩

المعنى فيما يتكلم به من مثل هذه الأشياء، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال ف كل شيء تركه الميت: إنه يبكي عليه، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه كان سبة وعيبا لاحقين به.

فمن ذلك مثلا إن قال قائل في ميت: بكتك الخيل إذ لم تجد لها فارسا مثلك، فإنه مخطئ، لأن من شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه، أن يذكر اعتباطه بموته، وما كان يوصف بالإحسان إليه في حياته أن يذكر اغتمامه بوفاته.

ومن ذلك إحسان الخنساء في مرثيتها صخرا وإصابتها المعنى، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته:

فقد فقدتك حذفة فاستراحت ... فليت الخيل فارسها يراها

ولو قالت: فقدتك حذفة فبكت، لأخطأت، بل إنما يجب أن يبكي على الميت." (١)

"وأعلامهم ثلاثمائة وخمسين رجلا غيلة بذي حرض موضع بالمدينة فقالت امرأة من يهود ترثيهم [وافر]

بأهلى لمه لم تغن شيئا ... بذي حرض تصفقها الرياح

شباب من قريظة أتلفتها ... سيوف الخزرجية والرماح

ولو اربوا بأمرهم لحالت ... هنالك دونهم خود رداح

ويقال أن هذا كان ملك الشام الحارث الأعرج والله أعلم قال وهم تبع بإخراب المدينة فقالت له يهود إن هذا غير ممكن ولا أنت واصل إليه قال ولم قالوا لأنها مهاجر نبي يخرج من مكة فقبل [١] تبع اليهود [ية] ودان بها وأخذ حبرين من أحبارهم معه إلى اليمن ومر بالبيت وكساه البرود وهو أول من كساه وفيه يقول اليمانون [خفيف]

وكسونا البيت الذي كرم الله ... ملاء معضدا [٢] وبرودا

فلما قدموا اليمن اختلفوا عليه لمتابعته اليهود وكانت لهم

---

[١] . فقتلMs.

[٢] . معصدا Ms.." (٢)

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٣٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٨٠/٣

"لما أتى عائشة نعى علي أمير المؤمنين- عليه السلام- تمثلت:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالأياب المسافر «١»

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائبا فلقد بغاه ... غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني، قال: ثم تمثلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... باسم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم ... في كل مجتمع طنين ذباب «٢»

قال: وكان الذي جاءها بنعيه سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس بن أبي وقاص هذا أو نحوه. حدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: حدثنا أحمد بن حازم، قال: حدثنا عاصم بن عامر، وعثمان بن أبي شيبة، قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو «٣» بن مرة، عن أبي البختري، قال: لما أن جاء عائشة قتل علي عليه السلام سجدت. قال أبو مخنف:

وقالت أم الهيثم بنت الأسود النخعية **ترثي** أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- عليه السلام- «٤» :

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا

رزئنا خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا «٥»

ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا «٦»

وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا." (١)

" قتله رسول الله صبرا فقال له وقد أمر بذلك فيه يا محمد أأنا خاصة من قريش قال نعم قال فمن للصبية بعدي قال النار فلذلك يسمى بنو أبي معيط صبية النار واختلف في قاتله فقيل إن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه تولى قتله وهذا من رواية بعض الكوفيين حدثني به أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليهم السلام

---

(١) مقاتل الطالبيين أبو الفرج الأصبهاني ص/٥٥

أن النبي أمر عليا يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري قتله وأن الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام النضر بن الحارث بن كلدة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه قالوا

قتيلة بنت الحارث **ترثي** أخاها

قتل رسول الله يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبرا أمر عاصم بن ثابت ." (١)

" فضرب عنقه ثم أقبل من بدر حتى إذا كان ب الصفراء قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار أمر عليا عليه السلام أن يضرب عنقه قال عمر بن شبة في حديثه ب الأثيل فقالت أخته قتيلة بنت الحارث **ترثيه**

(يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق)

(أبلغ به ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق)

(مني إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بدرتها وأخرى تخنق)

(هل يسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع هالك لا ينطق)

(ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق)

(صبرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق) ." (٢)

" الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده وقد قيل إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبه ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة

سلامة القس **ترثي** معبدا

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب ابن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال حدثني كردم بن معبد المغني مولى ابن قطن قال

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢/١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣/١

مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه فنظرت حين أخرج نعشه إلى سلامة القس جارية يزيد بن عبد الملك وقد أضرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير وهي تبكي أبي وتقول

(قد لعمري بت ليلي ... كأخي الداء الوجيع)

(ونجي الهم مني ... بات أدنى من ضجيعي)

(كلما أبصرت ربعا ... خاليا فاضت دموعي)

(قد خلا من سيد كان ... لنا غير مضيع) ." (١)

" (فبينا المرء في عيش ... له من عيشة خفض)

(أتاه طبق يوما ... على مزلقة دحض)

(وهم كانوا فلا تكذب ... ذوي القوة والنهض)

(وهم إن ولدوا أشبوا ... بسر الحسب المحض)

(لهم كانت أعالي الأرض ... فالسران فالعرض)

(إلى ما حازه الحزن ... فما أسهل للحمض)

(إلى الكفرين من نحلة ... فالداءة فالمرض)

(لهم كان جمام الماء ... لا المزجى ولا البرض)

(فكان الناس إذا هموا ... بيسر خاشع مغضي)

(تنادوا ثم ساروا برئيس ... لهم مرضي)

(فمن ساجلهم حربا ... ففي الخيبة والخفض)

(وهم نالوا على الشنا ... ن والشحناء والبغض)

(معالي لم ينلها الناس ... في بسط ولا قبض)

رثاء أمامة بنت ذي الإصبع لقومها

قال أبو عمرو قالت أمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرة **ترثي** قومها ." (٢)

" (ولا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود)

(على بدر سراة بني هصيص ... ومخزوم ورهط أبي الوليد)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٤/١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٣/٣

(وبكي إن بكيت على عقيل ... وبكي حارثا أسد الأسود)

(وبكيهم ولا تسمي جميعا ... فما لأبي حكيمة من نديد)

(ألا قد ساد بعدهم رجال ... ولولا يوم بدر لم يسودوا)

ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أباها

صوت

(من حس لي الأخوين كالغصنين ... أو من راهما)

(قرمان لا يتظالمان ... ولا يرام حماهما)

(ويلي على أبوي والقبر ... الذي واراهما)

(لا مثل كهلي في الكهول ... ولا فتى كفتاهما)

ذكر الهشامي أن الغناء لابن سريج رمل وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض وتمام هذه الأبيات

(أسدان لا يتذللان ... ولا يرام حماهما)

(رمحين خطيين في ... كبد السماء تراهما)

(ما خلفا إذ ودعا ... في سودد شرواهما) ." (١)

" (سادا بغير تكلف ... عفوا يفيض نداهما)

هند بنت عتبة تعاظم الخنساء بعكاظ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد ابن سعد عن الواقدي وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال

لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤/٢٠٩

فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك قالت أنا أعظم من الخنساء مصيبة وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وكانت سوقا يجتمع فيها العرب فقالت إقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا

فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم فقالت الخنساء بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو وبم تعاظمينهم أنت قالت بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة بن ربيعة وأخي الوليد

قالت الخنساء أو سواء هم عندك ثم أنشدت تقول

(أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلي هجودها)

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها) ." (١)

" ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري

وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئا من الإعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه

فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها فقال له كريب بن عبد الرحمن خذها فإنها مكرمة فقال إنها لراية مشؤومة ما أخذها أحد إلا قتل

فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها إليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن

فأخذ اللواء وناهضهم فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن

وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع راسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية

ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسبي فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم ليس بهم طرق ولا بالخوارج

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤/٢١٠

فقالت امرأة من الشراة وهي أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثي ابنها عمران

(ألله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله في السحر) ." (١)

" (فإذا ذكرت أنينه ... ومغيبه تحت المغيب)

(هاجت لواعج عبرة ... في الصدر دائمة الدبيب)

(أسفا لحسن بلائه ... ولمصرع الشيخ الغريب)

(أقبلت أطلب طبه ... والموت يعضل بالطبيب)

الشعر لمكين العذري يرثي أباه وقيل إنه لرجل خرج بإبنه إلى الشأم هربا به من جارية هويها فمات هناك

والغناء لحكم الوادي رمل في مجرى البنصر وقيل إن الشعر لسلامة ترثي الوليد بن يزيد

ابن جامع وأم جعفر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين فأرسلت إليه يا أمير المؤمنين إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع

فأرسل إليها عندي ابن جامع فأرسلت إليه أنت تعلم أني لا أتهنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه فأرسل إليها إني سائر إليك الساعة

ثم قام وأخذ بيد ابن جامع وقال لحسين الخادم امض إليها فأعلمها أني قد جئت وأقبل الرشيد فلما نظر ." (٢)

"كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعتي فلقيني أبو العتاهية فقال لي يا حسين أنا إليك مائل ولك محب وقد علمت مكانك من الأمين وإنه لحقيق بأن ترثيه إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلبا له وتحريضا عليه وهذا المأمون منصب إلى العراق قد أقبل عليك فأبق على نفسك يا ويحك أتجسر على أن تقول

(تركوا حريم أبيهم نفلا ... والمحصنات صوارخ هتف)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٤/٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢٤/٦

(هيهات بعدك أن يدوم لهم ... عز وأن يبقى لهم شرف) أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك وتلاف ما فرط منك فعلمت أنه قد نصحني فجزيته الخير وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال وقف علينا حسين بن الضحاك ومعنا فتى جالس من أولاد الموالي جميل الوجه فحادثنا طويلا وجعل يقبل على الفتى بحديثه والفتى معرض عنه حتى طال ذلك ثم أقبل عليه الحسين فقال

(تتيه علينا أن رزقت ملاحة ... فمهلا علينا بعض تيهك يا بدر)

(لقد طالما كنا ملاحا وربما ... صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر) وقام فانصرف

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي قال حدثني ابن عجلان قال غنى بعض المغنين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك وهو ." (١)

" لم تريديني لمثلت بك ولكن خذوا بيدها فأخرجوها فأخذوا بيدي فأخرجت

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

(هل مسعد لبكاء ... بعبرة أو دماء)

(وذا لفقد خليل ... لسادة نجباء) الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام **ترثيه** لما قتله المأمون والغناء لمتيم ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى منها

(ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني ...) وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره وشرحت أخباره فيه ولحنه رمل بالوسطى ومنها

صوت

(أولئك قومي بعد عز ومنعة ... تفانوا وإلا تذرف العين أكمد) وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنيا فيه من مراثيهما في بني أمية ولحن متيم هذا الذي غنت فيه المعتصم ثاني ثقيل بالوسطى ومنها

صوت

(لا تأمن الموت في حل وفي حرم ...)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٠/٧

ذكر الهشامي انه مما وجده من غناء متيم غير أن لها لحنا فيه يذكر في ." (١)

" مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطثرية نشبب ثوبه في جذل من عشرة فانقلب وخبطه القوم فقتل فقال القحيف يرثيه

(ألا تبكي سراة بني قشير ... على صنديدها وعلى فتاها)

(فإن يقتل يزيد فقد قتلنا ... سراتهم الكهول على لحاها)

(أبا المكشوح بعدك من يحامي ... ومن يزجي المطي على وجاها)

وقال القحيف أيضا يرثيه

(إن تقتلوا منا شهيدا صابرا ... فقد تركنا منكم مجازرا)

(عشرين لما يدخلوا المقابرا ... قتلى أصيبت قعصا نحائرا)

(نعجا ترى أرجلها شواغرا ...)

وهذه من رواية ابن حبيب وحده وقال القحيف أيضا ولم يروها إلا ابن حبيب

(يا عين بكي هملا على همل ... على يزيد ويزيد بن حمل)

(قتال أبطال وجرار حلل ...)

قال ويزيد بن حمل قشيري قتل يومئذ أيضا وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وعن أبي عمرو الشيباني أن الأبيات لأم يزيد قال وهي من الأزد ويقال إنها لوحشية الجرمية ." (٢)

" مهدي بن سابق قال أنبأنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال

تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت ترثي حارثة

(بدلت بشرا شقاء أو معاقبة ... من فارس كان قدما غير خوار)

(يا ليتني قبل بشر كان عاجلني ... داع من الله أو داع من النار)

وقالت أيضا فيه

(ما خار لي ذو العرش لما استخرته ... وعذبني أن صرت لابن شعاف)

(فما كان لي بعلا وما كان مثله ... يكون حليفا أو ينال إلافي)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٢٢/٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٩١/٨

(فيا رب قد أوقعتني في بلية ... فكن لي حصنا منه رب وكاف)

(ونح إلهي ربقتي من يد امرىء ... شتيم محياه لكل مصافي)

(هو السوأة السوآء لا خير عنده ... لطالب خير أو أحذ قوافي)

(يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه ... وما تلك زلفى يال عبد مناف)

(وإن حادث عض الشعافي لم يكن ... صليبا ولا ذا تدرأ وقذاف)

أخبرني محمد بن مزيد قال أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال لقي أنس بن زنيم الدئلي حارثة بن بدر فقال له يا حارثة قد قلت لك أبياتا فاسمعها فقال هاتها فأنشده ." (١)

" وقال مرة بن خليف يرثيه

(إن العزيمة والعزاء قد ثويا ... أكفان ميت غدا في غار رخمان)

(إلا يكن كرسف كفنت جيده ... ولا يكن كفن من ثوب كتان)

(فإن حرا من الأنساب ألبسه ... ريش الندى والندى من خير أكفان)

(وليلة رأس أفعاها إلى حجر ... ويوم أور من الجوزاء رنان)

(أمضيت أول رهط عند آخره ... في إثر عادية أو إثر فتيان)

وقالت أم تأبط ترثيه

(وابناه وابن الليل ...)

قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جزيئا شاعرا فاتكا انه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٤٢٢/٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٧/١٠

" من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة

فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط انه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه ترثيه

فقالت أمه وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة ترثيه

(قتيل ما قتيل بني قريم ... إذا ضنت جمادى بالقطار)

(فتى فهم جميعا غادروه ... مقيما بالحريضة من نمار)

وقالت أمه ترثيه أيضا

(ويل ام طرف غادروا برخمان ... بثابت بن جابر بن سفيان)

(يجدل القرن ويروي الندمان ... ذو مأقط يحمي وراء الإخوان)

وقالت ترثيه أيضا ." (١)

" انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر اليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة

ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه

(فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

(دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم)

(أما كان في قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

(فيقتل جبرا بامرئ لم يكن به ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٩/١٠

وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد

تساجل هو والكميت بن معروف

قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة ." (١)

" أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال قلت لابن سيرين ما تقول في الشعر قال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح

قلت فما تقول في النسيب قال لعلك تريد مثل قول الشاعر

(إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا)

(أليس يزيد العيس خفة أذرع ... وإن كن حسرى أن تكوني أماميا)

قال وأراد بإنشاده إياهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه وأنشدتك إياه فلو كان به بأس ما أنشدته

صوت

(فإن تكن القتلى بواء فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر)

(فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر)

عروضه من الطويل

البواء بالباء التكافؤ يقال ما فلان لفلان ببواء أي ما هو له بكفء أن يقتل به

وما في قولها فتى ما قتلتم صلة

وآل عوف نداء

وخفان موضع مشهور

وخادر مقيم في مكمنه وغيله وهو مأخوذ من الخدر

الشعر لليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير

والغناء لإسحاق بن ." (٢)

" (فإن يك عبد الله آسى أبن أمه ... وآب بأسلاب الكمي المغاور)

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤٨/١٠

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٠٨/١١

(وكان كذات البو تضرب عنده ... سباعا وقد ألقينه في الجراجر)

(فإنك قد فارقته لك عاذرا ... وأنى لحي عذر من في المقابر)

(فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر)

(على مثل همام ولابن مطرف ... لتبك البواكي أو لبشر بن عامر)

(غلامان كانا استوردا كل سورة ... من المجد ثم أستوثقا في المصادر)

(ربيعي حيا كانا يفيض نداهما ... على كل مغمور نداه وغامر)

(كأن سنا ناريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر)

وقالت أيضا ترثي توبة عن أم حمير وأمها أبنة أخي توبة عن أمها

قال أبو عبيدة أم حمير أخت أبي الجراح العقيلي

قال

وأمها بنت أخي توبة بن حمير

قال وكان الأصمعي يعجب بها

(أيا عين بكي توبة بن حمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر)

(لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون الغبرة المتحدر)

(سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر) ." [١]

" (ممر ككر الأندري مثابر ... إذا ما ونين مهلب الشد محضر)

(فألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور)

(ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر)

(قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... إذا الخيل جالت في قنا متكسر)

(فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور)

(ألا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر) وقالت ترثيه

(أقسمت أرثي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر)

(لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه في الحياة المعاير)

(وما أحد حي وإن عاش سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١/٢٣٣

(ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر)

(وليس لذي عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر) ." (١)

" (ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر)

(وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرىء يوما إلى الله صائر)

(وكل قريني ألفة لتفرق ... شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر)

(فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

ويروى

(فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر)

(فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر)

(قتيل بني عوف فيا لهفتا له ... وما كنت إياهم عليه أحاذر)

(ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر)

وقالت **ترثيه**

(كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف إذ تدعى وللجار)

(وتوب للخصم إن جاروا وان عدلوا ... وبدلوا الأمر نقضا بعد إمرار)

(إن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار)

وقالت **ترثيه**

(هراقت بنو عوف دما غير واحد ... له نبأ نجديه سيغور)

(تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هضب الردهتين نصير)

وقالت **ترثيه**

(يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم) ." (٢)

" (سبوح إذا جال الحزام كأنه ... إذا انجاب عنه النقع في الخيل أجدل)

(يواغل جردا كالقنا حارثية ... عليها قنان والحماس وزعبل)

(معاقلهم في كل يوم كريهة ... صدور العوالي والصفيح المصقل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٥/١١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٦/١١

(وزعف من الماذي بيض كأنها ... نهاء مرتها بالعشيات شمأل)

(فما ذر قرن الشمس حتى تلاحقت ... فوارس يهديها عمير ومعقل)

(فجالت على الحي الكلابي جولة ... فباكرهم ورد من الموت معجل)

(فغادرن وبرا تحجل الطير حوله ... ونجى طفيلا في العجاجة قرزل)

(فلم ينج إلا فارس من رجالهم ... يخفف ركضا خشية الموت أعزل)

وليزيد بن عبد المدان أخبار مع دريد بن الصمة قد ذكرت مع أخبار دريد في صنعة المعتضد مع أغاني الخلفاء فاستغني عن إعادتها في هذا الموضع

زينب بنت مالك **ترثي** يزيد بن عبد المدان

أخبرني علي بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السكري قال حدثني ." (١)

" محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة وابن الكلبي قالوا أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحارث بن كعب على بني عامر فأسر عامر بن مالك ملاعب الأسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما فلما مات يزيد بن عبد المدان واسم عبد المدان عمرو وكنيته أبو يزيد وهو ابن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة **ترثي** يزيد بن عبد المدان

(بكيت يزيد بن عبد المدان ... حلت به الأرض أثقالها)

(شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها)

(فككت أسارى بني جعفر ... وكندة إذ نلت أقوالها)

(ورهط المجالد قد جللت ... فواضل نعماك أجبالها)

وقالت أيضا **ترثيه**

(سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم)

(رماح من العزم مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم)

قال فلامها قومها في ذلك وعيروها بأن بكت يزيد فقالت زينب

(ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريما يمانيا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢/٢٥

(ومالي لا أبكي يزيد وردني ... أجر جديدا مدرعي وردائيا) ." [1]

" (فلا تجزعا يا ابني طريف فإنني ... أرى الموت نزالا بكل شريف)

(فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا بألوف)

وهذه الأبيات تقولها أخت الوليد بن طريف ترثيه وكان يزيد بن مزيد قتله

ذكر الخبر في ذلك

مقتل الوليد بن طريف

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد عن عمه عن جماعة من الرواة قال كان الوليد بن طريف الشيباني رأس الخوارج وأشدهم بأسا وصولة وأشجعهم فكان من بالشماسية لا يأمن طروقه إياه واشتدت شوكته وطالت أيامه فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد فأغروا به أمير المؤمنين وقالوا إنما يتجافى عنه للرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب يقول فيه لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان فيقال إن يزيد جهد ". [2]

" خبر يزيد بن مزيد وذاك أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معنا في يزيد وقالت إنك لتقدمه وتؤخر بنيك وتشيد بذكره وتحمل ذكرهم ولو نبهتهم لانتبهوا ولو رفعتهم لارتفعوا فقال معن إن يزيد قريب لم تبعد رحمه وله على حكم الولد إذ كنت عمه وبعد فإنهم ألوط بقلبي وأدنى من نفسي على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة من تقديمهم ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده ولوكان ما يضطلع به يزيد من بعيد لصار قريبا وفي عدو لصار حبيبا وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسح به اللوم عني ويتبين به عذري يا غلام اذهب فادع جساسا وزائدة وعبد الله وفلانا وفلانا حتى أتى على أسماء ولده فلم يلبث أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية وذلك بعد هدأة من الليل فسلموا وجلسوا ثم قال يا غلام ادع لي يزيد وقد أسبل سترا بينه وبين المرأة وإذا به قد دخل عجلا وعليه السلاح كله فوضع رمحه بباب المجلس ثم أتى يحضر فلما رآه معن قال م١ هذه الهيئة أبا الزبير وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد فقال جاءني رسول الأمير فسبق إلى

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٦/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١٥/١٢

نفسي أنه يريدني لوجه فقلت إن كان مضيت ولم أعرج وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزع هذه الآلة أيسر الخطب فقال لهم انصرفوا في حفظ الله فقالت المرأة قد تبين عذرك فأنشد معن متمثلا

(نفس عصام سودت عصاما ... وعودته الكر والإقداما)

(وصيرته ملكا هماما ...)

من شعر اخته في رثائه

وأخبرني محمد بن الحسن الكندي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني الأصمعي لأخت الوليد بن طريف ترثيه ." (١)

" صوت

(هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي)

(الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مضرج بعد ما جادت بإزباد)

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السلمي ترثيه وكان بنو سهم وهن بطن من هذيل أسروه في حرب كانت بينهم ولم يعرفوه فلما عرفوه قتلوه وكان قد عطش فاستسقاهم فمنعوه وقتلوه على عطشه وقيل إن هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شداد ولحن عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالوسطى ابتداؤه استهلال

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قتلت بنو سهم وهو بطن من هذيل عمرو بن عاصية السلمي وكان رجلان منهم أخذاه أخذا فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ثم قتلاه فقالت أخته ترثيه وتذكر ما صنعوا به

(شبت هذيل وبهز بينها إرة ... فلا تبوخ ولا يرتد صاليها)

ويروى شبت هذيل وسهم وهو الصحيح ولكن كذا قال عمر بن شبة

(إن ابن عاصية المقتول بينكما ... خلى علي فجاجا كان يحميها)

وقالت أيضا ترثيه

(يا لهف نفسي لهفا دائما أبدا ... على ابن عاصية المقتول بالوادي)

(هلا سقيتم بني سهم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي) ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢٠/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢٧/١٢

" فنزل فربأ لأصحابه على جبل مشرف على القوم فإذا هم حذرون فقال لأصحابه أرى القوم حذرين إن لهم لشأنا ولقد أنذروا علينا فكمن في الجبل يطلب غفلتهم فأصابه وأصحابه عطش شديد فقال ابن عاصية لأصحابه هل فيكم من يرتوي لأصحابه فقال أصحابه نخاف القوم وأبى أحد منهم أن يجيبه إلى ذلك قال فخرج على فرس له ومعه قربته وقد وضعت هذيل على الماء رجلا منهم رصدا وعلموا أنهم لا بد لهم من أن يردوا الماء فمر بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخ وفتيان من هذيل فلما نظروا إليه هم الفتيان أن يثاوراه فقال الشيخ مهلا فإنه لم يركما فكفا فانتهى ابن عاصية إلى البئر فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا والآخرون يرمقونه من حيث لا يراهم فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطفق يملأ القربة ويشرب وأقبل الفتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر فرفع رأسه فأبصر القوم فقالوا قد أخزاك الله يابن عاصية وأمكن منك قال ورمى الشيخ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه وشغل الفتيان بنزع السهم من قدم الشيخ ووثب ابن عاصية من البئر شدا نحو أصحابه وأدركه الفتيان قبل وصوله فأسراه فقال لهما حين أخذاه أروياني من الماء ثم اصنعا ما بدا لكما فلم يسقياه وتعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه فقالت أخت عمرو بن عاصية **ترثي** أخاها

(يا لهف نفسي يوما ضلة جزعا ... على ابن عاصية المقتول بالوادي)

(إذ جاء ينفض عن أصحابه طفلا ... مشي السبنتى أمام الأيكة العادي) ." (١)

" (هلا سقيتم بني جرم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي غلة صادي)

فأنشدنيها بعض أصحابنا قال أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المرية أخت مسعود بن شداد **ترثيه** فذكر من الأبيات البيت الأول وبعده

(يا من رأى بارقا قد بت أرمقه ... جودا على الحرة السوداء بالوادي)

(أسقي به قبر من أعني وحب به ... قبرا إلي ولو لم يفده فادي)

(شهاد أندية رفاع أبنية ... شداد ألوية فتاح أسداد)

(نحار راغية قتال طاغية ... حلال رابية فكاك أقياد)

(قوال محكمة نقاض مبرمة ... فراج مبهمة حباس أوراد)

(حلال ممرعة حمال مضلعة ... قراع مفظعة طلاع أنجاد)

(جماع كل خصال الخير قد علموا ... زين القرين وخطم الظالم العادي)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٢٩/١٢

(أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد)

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أول بالبنصر قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يشيع شيء من هذا ولا ينسب إليه لأنه كان يترفع عن الغناء وما جس بيده وترا قط ولا تعاطاه ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا ." (١)

" قال فما منعك أن تقول مثل هذا لمحمد ابني **ترثيه** به فقال إن ابني والله كان أحب إلي من ابنك

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمي عن الكراني عن الهيثم بن عدي قال كان ليزيد بن الحكم ابن يقال له عنبس فمات فجزع عليه جزعا شديدا وقال يرثيه

(جزى الله عني عنبسا كل صالح ... إذا كانت الأولاد سيئا جزاؤها)

(هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب إليه ولاؤها)

(جهول إذا جهل العشيرة يبتغى ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها)

وبعد هذا البيت المذكور في الخبر الأول

عبد الملك يفضله على شاعر ثقيف

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن لقيط قال قال عبد الملك بن مروان كان شاعر ثقيف في الجاهلية خيرا من شاعرهم في الإسلام فقيل له من يعني أمير المؤمنين فقال لهم أما شاعرهم في الإسلام فيزيد بن الحكم حيث يقول

(فما منك الشباب ولست منه ... إذا سألتك لحيتك الخضابا)

(عقائل من عقائل أهل نجد ... ومكة لم يعقلن الركابا)

(ولم يطردن أبقع يوم ظعن ... ولا كلبا طردن ولا غرابا)

وقال شاعرهم في الجاهلية ." (٢)

" فأجابته فقالت

(أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرا ... فمت كمدا أو عش وأنت ذليل) - طويل -

بنت يحيى بن زياد **ترثيه** بشعره

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣١/١٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣٧/١٢

قال أبو عمرو في روايته وذكر شداد بن إبراهيم أن بنتا ليحيى بن زياد ابن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك العام لما قتل فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله

(أحقا عباد الله أن لست رائيا ... صحاري نجد والرياح الذواري) - طويل -

وقد تقدمت في صدر أخباره وفي هذه القصيدة يقول جعفر

(وددت معاذا كان فيمن أتانيا ...)

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض له أنه قتل ظلما لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه

(أبا جعفر سلب بنجران واحتسب ... أبا عارم والمسمنات العواليا)

(وقود قلوصا أتلف السيف ربها ... بغير دم في القوم إلا تماريا)

(إذا ذكرته معصر حارثية ... جرى دمع عينيها على الخد صافيا)

(فلا تحسبن الدين يا علب منسأ ... ولا الثائر الحران ينسى التقاضيا) ." (١)

" يعني أن المواشي هلكت قبل نبات البقل فقال له انج بنفسك فإني سأرضي خصومك ثم بعث إليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم أن لا يعاود هجاءهم

أخبرني الحرمي بن العلاء قال

حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس ابن عبد الصمد السعدي قال قال هشام بن عبد الملك للعجير السلولي أصدقت فيما قلته لابن عمك قال نعم يا أمير المؤمنين إلا أني قلت

(فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله) - طويل -

هذا البيت يروى لأخت يزيد بن الطثرية **ترثيه** به ." (٢)

" (سيوفهم تعشي الجبان ونبلهم ... يضيء لدى الأقوام نار الحباحب)

(فغير قتالي في المضيق أغاثني ... ولكن صريح العدو غير الأكاذب)

(نجوت نجاء لا أبيك تبثه ... وينجو بشير نجو أزعر خاضب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦١/١٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٧/١٣

(وجدت بعيرا هاملا فركبته ... فكادت تكون شر ركبة راكب) – طويل –

وقال أبو عمرو اجتاز قوم حجاج من الأزد ببني هلال بن عامر بن صعصعة فعرفهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزا فجمع جمعا من قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعز

(يا ضمر هل نلناكم بدمائنا ... أم هل حذونا نعلكم بمثال)

(تبكي لقتلي من فقيم قتلوا ... فاليوم تبكي صادقا لهلال)

(ولقد شفاني أن رأيت نساءكم ... يبكين مردفة على الأكفال)

(يا ضمر إن الحرب أضحت بيننا ... لقحت على الدكاء بعد حيال) – كامل –

اخته ترثيه بعد انقطاع أخباره

قال أبو عمرو خرج حاجز في بعض أسفاره فلم يعد ولا عرف له ." (١)

" خبر فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضل فقالت أخته ترثيه

(أحي حاجز أم ليس حيا ... فيسلك بين جندف والبهيم)

(ويشرب شربة من ماء ترج ... فيصدر مشية السبع الكليم) – وافر –

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال كان حاجز الأزدي مع غاراته كثير الفرار لقي عامرا فهرب منهم فنجا وقال

(ألا هل أتى ذات القلائد فرتي ... عشية بين الجرف والبحر من بعر)

(عشية كادت عامر يقتلونني ... لدى طرف السلماء راغية البكر)

(فما الظبي أخطت خلفة الصقر رجله ... وقد كاد يلقي الموت في خلفة الصقر)

(بمثلي غداة القوم بين مقنع ... وآخر كالسكران مرتكز يفري) – كامل –

وفر من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ثم الأكلبي ففاته حاجز وقال في ذلك ." (٢)

" لكعاء فإذا جاءك كتابي هذا فعجلي بجوابي والسلام فكتبت إليه ساءني تهجينك إياي عند أبي الحسين وإن من أعيا العي الجواب عما لا جواب له والسلام

دنانير ترثي صديق أبي الحسين

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٣٩/١٣

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤٠/١٣

أخبرني وكيع قال أخبرني ابن أبي الدنيا قال كتب إلي الزبير بن بكار أخبرني علي بن عثمان الكلابي قال جئت يوما إلى منزل محمد بن كناسة فلم أجده ووجدت جاريته دنانير جالسة فقالت لي مالك محزونا يا أبا الحسين فقلت رجعت من دفن أخ لي من قريش فسكتت ساعة ثم قالت

(بكيت على أخ لك من قريش ... فأبكانا بكاؤك يا علي)

(فمات وما خبرناه ولكن ... طهارة صحبه الخبر الجلي) - وافر -

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عمران الضبي قال أملق محمد بن كناسة فلامه قومه في القعود عن السلطان وانتجاعه الأشراف بأدبه وعلمه وشعره فقال لهم مجيبا عن ذلك

(تؤنبني أن صنت عرضي عصابة ... لها بين أطناب اللئام بصيص)

(يقولون لو غمضت لازددت رفعة ... فقلت لهم إني إذن لحريص)

(أتكلم وجهي لا أبا لأبيكم ... مطامع عنها للكرام محيص)

(معاشي دوين القوت والعرض وافر ... وبطني عن جدوى اللئام خميص) ." (١)

" (لا يقيم العزيز في بلد الهون ... ولا يكبت الأريب الجليد)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال أنشدني أبو هفان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برا به قال وهذا من جيد شعره وقد سرق البحتري معناه منه في شعر مدح به علي بن يحيى المنجم

(أعدو على مال بسطام فأنهبه ... كما أشاء فلا تثنى إلي يدي)

(حتى كأني بسطام بما احتكمت ... فيه يداي وبسطام أبو الأسد)

رثاؤه إبراهيم الموصلي

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثنا أبو هفان قال حدثني أبو دعامة قال لما مات إبراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد وكان صديقه ألا **ترثيه** فقال يرثيه

(تولى الموصلي فقد تولت ... بشاشات المزاهر والقيان)

(وأي ملاحة بقيت فتبقى ... حياة الموصلي على الزمان)

(ستبكيه المزاهر والملاهي ... ويسعدهن عاتقة الدنان)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٦٦/١٣

(وتبكيه الغوية إذ تولى ... ولا تبكيه تالية القران)

فقيل له ويحك فضحته وقد كان صديقك

فقال هذه فضيحة عند من ." (١)

" قال الزبير كان تحت عدي بن نوفل أم عبد الله بنت أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى فغاب مدة وكتب إليها أن تشخص إليه فلم تفعل فكتب إليها قوله - مجزوء الوافر -

(إذا ما أم عبد الله ... لم تحلل بواديه)

وذكر البيتين فقط فقال لها أخوها الأسود بن أبي البختري وهما لأب وأم أمهما عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك

فاشخصي إليه

صوت متقارب

(أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى)

(ألا تبكيان الجري الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا)

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ترثي أخاها صخرا والغناء لإبراهيم الموصلي ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق

وفيه لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي وحبش ." (٢)

" (معاذ الله ينكحني حبركى ... يقال أبوه من جشم بن بكر)

(ولو أصبحت في جشم هديا ... إذا أصبحت في دنس وفقر)

وهذا الشعر ترثي به أخاها صخرا وقتله زيد بن ثور الأسدي يوم ذي الأثل

أخبرنا بالسبب في ذلك محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة وأضفت إليه رواية الأثرم عن أبي عبيدة قال غزا صخر بن عمرو وأنس ابن عباس الرعلي في بني سليم بني أسد بن خزيمة قال أبو عبيدة وزعم السلمي أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويوم ذي الأثل في بني عوف وبني خفاف وكانا متساندين وعلى بني خفاف صخر بن عمرو الشريدي وعلى بني عوف أنس بن عباس

قال فأصابوا في بني أسد بن خزيمة غنائم وسبيا وأخذ صخر يومئذ بديلة امرأة

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣٨/١٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٧١/١٥

قال وأصابت صخرا يومئذ طعنة طعنه رجل يقال له ربيعة بن ثور ويكنى أبا ثور فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه حتى شق عنه بعد سنين وكان سبب موته

قال أبو عبيدة وقال غيره بل ورد هو وبلعاء بن قيس الكناني

قال وكانا ." (١)

" (كأني وقد أدنوا إلي شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب)

(أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما أقام عسيب)

عن أبي عبيدة عسيب جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة فقبره هناك معلم

وقال أبو عبيدة فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب

فقالت الخنساء **ترثيه** - متقارب -

(ألا ما لعينك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها)

(أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها)

(فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها)

(سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها)

(فإن تصبر النفس تلق السرور ... وإن تجزع النفس أشقى لها)

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر

قال السلمي ليست هذه في صخر هذه إنما رثت بها معاوية أخاها وبنو مرة قتلته

ولكنها قالت في صخر - بسيط ." (٢)

" بالمعروف

والدسيعة العطاء

الطخية من الطخاء وهو الغيم الرقيق الذي يواري النجوم فيتحير الهادي

وقالت الخنساء أيضا **ترثي** صخرا - وافر -

(بكت عيني وعاودها قذاها ... بعوار فما تقضي كراها)

(على صخر وأي فتى كصخر ... إذا ما الناب لم ترأم طلاها)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥/٧٤

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥/٧٧

الطلا الولد أي لم تعطف عليه من الجدب

(فتى الفتيان ما بلغوا مداها ... ولا يكدي إذا بلغت كداها)

(لئن جزعت بنو عمرو عليه ... لقد رزئت بنو عمرو فتاها)

غنى في هذه الأبيات ابن جامع ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى

وذكر حبش أن له أيضا فيه خفيف رمل بالبنصر

(ترى الشم الجحاجح من سليم ... وقد بلت مدامعها لحاها)

إذا وصف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة ولا يضع لها أنفه

(وخيل قد كففت بجول خيل ... فدارت بين كبشيها رحاها) ." [1]

" (فجادت له يمنى يدي بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا)

(أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... به أدرك الأبطال قدما كذلكا)

(فإن ينج منها هاشم فبطعنة ... كسته نجيعا من دم الجوف صائكا)

فحقق خفاف في شعره أن الذي طعن معاوية هو هاشم بن حرملة

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية - طويل -

(ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه)

(بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانيه)

(ألا لا أرى كفارس الورد فارسا ... إذا ما علته جرأة وغلابيه)

(وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه)

(وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانيه)

(بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه)

(فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه)

وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه أيضا - متقارب -

(ألا ما لعينيك أم ما لها ... لقد أخضل الدمع سربالها)

(أبعد ابن عمرو من آل الشريد ... حلت به الأرض أثقالها) ." [2]

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨١/١٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٨٩/١٥

" (بمعترك ضيق بينه ... تجر المنية أذيالها)

(وبيض منعت غداة الصباح ... تكشف للروع أذيالها)

(ومعملة سقتها قاعدا ... فأعلمت بالسيف أغفالها)

(وناجية كأتان الثميل ... غادرت بالخل أوصالها)

(إلى ملك لا إلى سوقة ... وذلك ما كان إعمالها)

(وتمنح خيلك أرض العدو ... وتنبذ بالغزو أطفالها)

(ونوح بعثت كمثل الإراخ ... آنست العين أسبالها) التفسير عن أبي عبيدة

قوله حلت به الأرض قال بعضهم حلت من الحلية أي زينت به الأرض موتاها حين دفن بها

وقال بعضهم حلت من حللت الشيء

والمعنى ألقت مراسيها كأنه كان ثقلا عليها

قال اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر كما قال جرير - وافر -

(ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح)

قال جواب أبعد في آسى أي أبعد ابن عمرو آسى وأسأل نائحة ما لها وقال أبو عبيدة هذا البيت لمية بنت ضرار بن عمرو الضبية **ترثي** أخاها

قال أبو الحسن ." (١)

" يدعوه وإن أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور

فلم يجبنا وسمعنا علزا شديدا ومراسا في الموضع الذي دخله وقصدناه فإذا به حمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق

فقالت امرأته الجعفية **ترثيه** - طويل -

(لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا)

(فقل لزبيد بل لمذحج كلها ... فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا)

(فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ... ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٩١/١٥

والأبيات العينية التي فيها الغناء وبها افتتح ذكر عمرو يقولها في أخته ريحانة بنت معد يكرب لما سباها الصمة بن بكر وكان أغار على بني زبيد في قيس فاستاق أموالهم وسبى ريحانة وانهزمت زبيد بين يديه وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب ثم رجع عبد الله واتبعه عمرو

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام أن عمرا اتبعه يناشده أن يخلي عنها فلم يفعل فلما يئس منها ولى وهي تناديه بأعلى صوتها يا عمرو فلم يقدر على انتزاعها وقال – وافر –

(أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع)

(سباها الصمة الجشمي غصبا ... كأن بياض غرتها صديع)

(وحالت دونها فرسان قيس ... تكشف عن سواعدها الدروع)

(إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع) ." (١)

" جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا ثم انصرفتا

صوت – وافر –

(سألناه الجزيل فما تأبى ... فأعطى فوق منيتنا وزادا)

(وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا)

(مرارا ما دنوت إليه إلا ... تبسم ضاحكا وثنى الوسادا)

الشعر لزياد الأعجم والغناء لشارية خفيف رمل بالبنصر مطلق ." (٢)

" التي أدوها إلى بني سليم وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدرك قتل فيهم ولا دية

(بان الشباب وكل إلف بائن ... ظعن الشباب مع الخليط الظاعن)

(قالت أميمة ما لجسمك شاحبا ... وأراك ذا بث ولست بدائن)

(غضي ملامك إن بي من لومكم ... داء أظن مماطلي أو فاتني)

(أبلغ كنانة غثها وسمينها ... الباذلين رباعها بالقاطن)

(أن المذلة أن تطل دماؤكم ... ودماء عوف ضامن في العاهن)

(أموالكم عوض لهم بدمائهم ... ودماؤكم كلف لهم بظعائن)

(طلبوا فأدرك وترهم مولاهم ... وأبت محاملكم إباء الحارن)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢١٦/١٥

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٦٩/١٥

(شدوا المآزر فاثأروا بأخيكم ... إن الحفائظ نعم ربح الثامن)

(كيف الحياة ربيعة بن مكدم ... يغدى عليك بمزهر أو قائن)

(وهو التريكة بالعراء وحارث ... فقع القراقر بالمكان الواتن)

(كم غادروا لك من أرامل عيا ... جزر الضباع ومن ضريك واكن)

وقالت أم عمرو أخت ربيعة **ترثي** ربيعة

(ما بال عينك منها الدمع مهراق ... سحا ولا عازب لالا ولا راقي)

(أبكي على هالك أودى وأورثني ... بعد التفرق حزنا بعده باقي) ." (١)

" قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله

ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ومعه ابناه الحسن والحسين عليهم السلام حتى أدركه فأخذ ثيابه فقال له يا عم أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وصهره وهذان ابناي الحسن والحسين من ابنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرىء القيس وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرىء القيس

وقال هشام بن الكلبي كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن فخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله

قال المدائني حدثني أبو إسحاق المالكي قال

قيل لسكينة واسمها آمنة وسكينة لقب أختك فاطمة ناسكة وأنت تمزحين كثيرا فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة - تعني فاطمة بنت رسول الله - وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام تعني آمنة بنت بنت وهب أم رسول الله

الرباب **ترثي** زوجها الحسين

أخبرني عمي قال حدثنا الكناني عن قعنب بن المحرز الباهلي عن محمد بن الحكم عن عوانة قال رثت الرباب بنت امرىء القيس أم سكينة بنت الحسين زوجها الحسين عليه السلام حين قتل فقالت

(إن الذي كان نورا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون)

(سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين) ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٧٠/١٦

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤٩/١٦

" (وأنحر للشرب الكرام مطيتي ... وأصدع بين القينتين ردائيا)

(وعادية سوم الجراد وزعتها ... بكفي وقد أنحوا إلي العواليا)

(كأني لم أركب جوادا ولم أقل ... لخيلي كري نفسي عن رجاليا)

(ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا)

قال فضحكت العبشمية وهم آسروه وذلك لما أسروه شدوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم وأبوا إلا قتله فقتلوه بالنعمان بن جساس

فقالت صفية بنت الخرع ترثي النعمان

(نطاقه هندواني وجبته ... فضفاضة كأضاة النهي موضونه)

(لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت ... وما قتلنا به إلا امرأ دونه)

وقال علقمة بن سباع لعمرو بن الجعيد

(لما رأيت الأمر مخلوجة ... أكرهت فيه ذابلا مارنا)

(قلت له خذها فإني امرؤ ... يعرف رمحي الرجل الكاهنا)

قوله يعرف رمحي الرجل الكاهنا يريد أن عمرو بن الجعيد كان كاهنا وهو أحد بني عامر بن الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس ولم يزل ذلك في ولده ومنهم الرباب بن البراء كان يتكهن ثم طلب خلاف أهل الجاهلية فصار على دين المسيح عليه السلام فذكر أبو اليقظان أن الناس سمعوا في زمانه مناديا ينادي في الليل وذلك قبل مبعث النبي خير أهل ." (١)

" أخبرني الحسن بن القاسم البجلي الكوفي قال حدثنا علي بن إبراهيم ابن المعلى قال حدثنا محمد بن فضيل - يعني الصيرفي - عن أبي بكر الحضرمي قال

استأذنت للكميت على أبي جعفر محمد بن علي - عليهما السلام - في أيام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت جعلت فداك إني قلت فيكم شعرا أحب أن أنشدكه فقال يا كميت اذكر الله في هذه الأيام المعلومات وفي هذه الأيام المعدودات فأعاد عليه الكميت القول فرق له أبو جعفر عليه السلام فقال هات فأنشده قصيدته حتى بلغ

(يصيب به الرامون عن قوس غيرهم ... فيا آخرا سدى له الغي أول)

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال اللهم اغفر للكميت

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٦٢/١٦

أخبرني جعفر بن محمد بن مروان الغزال الكوفي قال حدثني أبي قال حدثنا أرطأة بن حبيب عن فضيل الرسان عن ورد بن زيد أخي الكميت قال

أرسلني الكميت إلى أبي جعفر فقلت له إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية قال نعم هو في حل فليقل ما شاء

أخبرني محمد بن العباس قال أخبرني عمي عن عبيد الله بن محمد بن حبيب عن ابن كناسة قال مات ورد أخو الكميت فقيل للكميت ألا ترثي أخاك فقال مرثيته ومرزيته عندي سواء وإني لا أطيق أن أرثيه جزعا عليه ." (١)

" فبكت بنية له منها فضرب بها الأرض فقتلها وقال متمثلا لا تتخذن من كلب سوء جروا

قال الزبير في خبره عن عمه مصعب عن حميد بن أنيف قال

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليه فحبسه وقالوا جميعا قالت أم أبان والدة مزاحم بن عمرو المقتول وهي من خثعم ترثي ابنها وتحضض مصعبا وجناحا أخويه

(بأهلي ومالي بل بجل عشيرتي ... قتيل بني تيم بغير سلاح)

(فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم ... فتظهر فيه للشهود جراح)

(فلا تطمعوا في الصلح ما دمت حية ... وما دام حيا مصعب وجناح)

(ألم تعلموا أن الدوائر بيننا ... تدور وأن الطالبين شحاح)

قالوا فلما طال حبسه ولم يجد عليه أحمد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاه وقتلت بنو سلول رجلا من خثعم مكان المقتول وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ولهم في ذلك قصص وأشعار كثيرة رواية مقتله

قالوا وأقبل ابن الدمينة حاجا بعد مدة طويلة فنزل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه وقد كانت أمه حرضته عليه وقالت اقتل ابن الدمينة فإنه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا ." (٢)

" (ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٠٢/١٧

(تنعمت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير)

الشعر لامرأة من كندة ترثي حجر بن عدي صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه والغناء لحكم الوادي رمل بالوسطى وفيه لحنين هزج خفيف بالوسطى عن ابن المكي والهشامي ." (١)

" قال وجعل معاوية يقول عند موته أي يوم لي من ابن الأدبر طويل

رسول عائشة إلى معاوية في أمر حجر

قال أبو مخنف وحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق من بني عامر بن لؤي أن عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية في حجر وأصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له أين غاب عنك حلم أبي سفيان فقال حين غاب عني مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سمية فاحتملت

قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لولا أنا لم نغير شيئا قط إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر أما والله إن كان لمسلما ما علمته حاجا معتمرا

وقالت امرأة من كندة ترثي حجرا

(ترفع أيها القمر المنر ... لعلك أن ترى حجرا يسير)

(يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير)

(ألا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير)

(ترفعت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير)

(وأصبحت البلاد له محولا ... كأن لم يحيها مزن مطير)

(ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور)

(أخاف عليك سطوة آل حرب ... وشيخا في دمشق له زئير)

(يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير)

(فإن تهلك فكل زعيم قوم ... إلى هلك من الدنيا يصير) ." (٢)

" أن أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يثبه فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية فعاوده بالمدح فقال له يا ماص كذا من أمه ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣٦/١٧

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٥٨/١٧

(فاضت دموعي على نصر وما ظلمت ... عين تفيض على نصر بن سيار)

(يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت ... يا نصر بعدك أو للضيف والجار)

(الخندفي الذي يحمي حقيقته ... في كل يوم مخوف الشر والعار)

(والقائد الخيل قبا في أعنتها ... بالقوم حتى تلف القار بالقار)

(من كل أبيض كالمصباح من مضر ... يجلو بسنته الظلماء للساري)

(ماض على الهول مقدام إذا اعترضت ... سمر الرماح وولى كل فرار)

(إن قال قولا وفى بالقول موعده ... إن الكناني واف غير غدار)

والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبدا قال فخرج من عنده وقال عدة قصائد يذمه فيها منها

(فليت جور بني مروان عاد لنا ... وليت عدل بني العباس في النار)

وقال أيضا

(أليس الله يعلم أن قلبي ... يحب بني أمية ما استطاعا) ." (١)

" حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومي عن سعيد بن محمد الجرمي عن أبي الأحوص عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ولا أحسبه إلا قال

كنت قاعدا عند علي عليه السلام فأتاه آت فقال هذا ابن جرموز قاتل الزبير بن العوام يستأذن على الباب قال ليدخلن قاتل ابن صفية النار إني سمعت رسول الله يقول (إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير)

أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن علي بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه أن عمرا أو عويمر بن جرموز قاتل الزبير أتى مصعبا حتى وضع يده في يده فقذفه في السجن وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره فكتب إليه عبد الله بئس ما صنعت أظننت أني أقتل أعرابيا من بني تميم بالزبير خل سبيله فخلاه

عاتكة ترثي الزبير

أخبرني الطوسي والحرمي عن الزبير عن عمه قال قتل الزبير وهو ابن سبع وستين أو ست وستين سنة فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثيه

(غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٣٣/١٧

(يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش اللسان ولا اليد)

(شلت يمينك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المستشهد)

(إن الزبير لذو بلاء صادق ... سمح سجيته كريم المشهد)

(كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يابن فقع القردد) ." [1]

" (فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)

(إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا)

(فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

(مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة ... وما طرد الليل الصباح المنورا)

عمر بن الخطاب وعاتكة

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت قد كان أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده قال فاستفتي فاستفتت علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ردي الحديقة على أهله وتزوجي فتزوجت عمر فسرح عمر إلى عدة من أصحاب رسول الله فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه – يعني دعاهم – لما بنى بها فقال له علي إن لي إلى عاتكة حاجة أريد أن أذكرها إياها فقل لها تستتر حتى أكلمها فقال لها عمر استتري يا عاتكة فإن ابن أبي طالب يريد أن يكلمك فأخذت عليها مرطها فلم يظهر منها إلا ما بدا من براجمها فقال يا عاتكة

(فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

فقال له عمر ما أردت إلى هذا فقال وما أرادت إلى أن تقول ما لا تفعل وقد قال الله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرج فقال عمر ما حسن الله فهو حسن فلما قتل عمر قالت ترثيه

(عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الإمام النجيب) ." [2]

" (فجعتنا المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتلبيب)

(عصمة الله والمعين على الدهر ... غياث المنتاب والمحروب)

(قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٣/١٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٦/١٨

قالت ترثيه أيضا

صوت

(منع الرقاد فعاد عيني عيد ... مما تضمن قلبي المعمود)

(يا ليلة حبست علي نجومها ... فسهرتها والشامتون هجود)

(قد كان يسهرني حذارك مرة ... فاليوم حق لعيني التسهيد)

(أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد)

غنى فيه طويس خفيف رمل عن حماد والهشامي

فلما انقضت عدتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما ملكها قال يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد وكانت امرأة عجراء بادنة فقالت يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله وأبي بكر وعمر فيه قال فإني لا أمنعك فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها في سقيفة بني ساعدة فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك قالت يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة فلما قتل عنها الزبير بوادي السباع رثته فقالت ." (١)

" (غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد)

(يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش اللسان ولا اليد)

(هبلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد)

فلما انقضت عدتها تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فكانت أول من رفع خده من التراب – صلى الله عليه وآله ولعن قاتله والراضي به يوم قتل – وقالت ترثيه

(وحسينا فلا نسيت حسينا ... أقصدته أسنة الأعداء)

(غادروه بكربلاء صريعا ... جادت المزن في ذرى كربلاء)

ثم تأيمت بعده فكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٧/١٨

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثني العمري قال حدثنا أسامة بن زيد عن القاسم بن محمد قال

لم يزل السهم الذي أصاب عبد الله بن أبي بكر عند ابي بكر حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال من يعرف هذا منكم فقال سعيد بن عبيد من بني علاج هذا سهمي وأنا بريته وأنا رشته وأنا عقبته وأنا رميت به يوم الطائف فقال أبو بكر فهذا السهم الذي قتل عبد الله والحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده ." (١)

" طويس يغني شعرا لعاتكة

أخبرني اليزيدي عن الزبير عن أحمد بن عبيد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال

لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت له إني لأضن بك على القتل يابن عم رسول الله

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام قال حدثني أبي قال

بينا فتية من قريش ببطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها وهو يخطر في مشيته فسلم ثم جلس فقال له القوم يا أبا عبد الله غننا شعرا مليحا له حديث ظريف فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد **ترثي** عمر بن الخطاب

(منع الرقاد فعاد عيني عيد ... مما تضمن قلبي المعمود)

الأبيات فقال القوم لمن هذه الأبيات يا طويس قال لأجمل خلق الله وأشأمهم فقالوا بأنفسنا أنت من هذه قال هي والله من لا يجهل نسبها ولا يدفع شرفها تزوجت بابن خليفة نبي الله وثنت بخليفة خليفة نبي الله وثلثت بحواري نبي الله وربعت بابن نبي الله وكلا قتلت قالوا جميعا ." (٢)

" وقال مرة بن خليف يرثيه

(إن العزيمة والعزاء قد ثويا ... أكفان ميت غدا في غار رخمان)

(إلا يكن كرسف كفنت جيده ... ولا يكن كفن من ثوب كتان)

(فإن حرا من الأنساب ألبسه ... ريش الندى والندى من خير أكفان)

(وليلة رأس أفعاها إلى حجر ... ويوم أور من الجوزاء رنان)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٨/١٨

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٦٩/١٨

(أمضيت أول رهط عند آخره ... في إثر عادية أو إثر فتيان)

وقالت أم تأبط **ترثيه**

(وابناه وابن الليل ...)

قال أبو عمرو الشيباني لا بل كان من شأن تأبط وهو ثابت بن جابر بن سفيان وكان جريئا شاعرا فاتكا أنه خرج من أهله بغارة من قومه يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل وذلك في عقب شهر حرام مما كان يحرم أهل الجاهلية حتى هبط صدر أدم وخفض عن جماعة بني صاهلة فاستقبل التلاعة فوجد بها دارا من بني نفاثة بن عدي ليس فيها إلا النساء غير رجل واحد فبصر الرجل بتأبط وخشيه وذلك في الضحى فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رؤوسهن جمما وجعلن دروعهن أردية وأخذن من بيوتهن عمدا كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل ثم تأبطنها ثم نهض ونهضن معه يغريهن كما يغري القوم وأمرهن أن لا يبرزن ." (١)

" من وراء ماله يقال له سفيان بن ساعدة فأقبل إليه تأبط شرا مستترا بمجنة فلما خشي الغلام أن يناله تأبط بسيفه وليس مع الغلام سيف وهو مفوق سهما رمى مجن تأبط بحجر فظن تأبط أنه قد أرسل سهمه فرمى مجنة عن يده ومشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم ووقع في البطحاء حذو القوم وأبوه ممسك فقال أبو الغلام حين وقع السهم أخاطئه سفيان فحرد القوم فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير ومات تأبط

أمه **ترثيه**

فقالت أمه – وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاعة – **ترثيه**

(قتيل ما قتيل بني قريم ... إذا ضنت جمادى بالقطار)

(فتى فهم جميعا غادروه ... مقيما بالحريضة من نمار)

وقالت أمه **ترثيه** أيضا

(ويل ام طرف غادروا برخمان ... بثابت بن جابر بن سفيان)

(يجدل القرن ويروي الندمان ... ذو مأقط يحمي وراء الإخوان)

وقالت **ترثيه** أيضا ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٧/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٧٩/٢١

" انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن فأطعمنه وادهن رأسه

وفي قبة السيد ابنتان له فسألهما من أنتما فأخبرتاه وأطعمتاه ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتاه فقال أحسنتما إلى ابن عمكما فجعل ينحدر إليهما حتى اطمأن وغسلتا رأسه وفلتاه ودهنتاه فقال الشيخ لابنتيه أفلياه ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة واعقدا خصل لمته إذا نعس رويدا بخمل القطيفة

ثم إذا شددنا عليه فاقلبا القطيفة على وجهه وخذا أنتما بشعره من ورائه فمدا به إليكما ففعلتا واجتمع له أصحابه فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها وشدوا عليه فربطوه فدفعوه إلى عثمان بن حيان فقتله فقالت بنت بهدل ترثيه

(فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

(دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يسلم)

(أما كان في قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم)

(فيقتل جبرا بامرىء لم يكن به ... بواء ولكن لا تكايل بالدم)

وكان دعا يا لمالك لينتزعوه فلم يجبه أحد

تساجل هو والكميت بن معروف

قال ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة ." (١)

" (أبى ليلي أن يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب)

وهو يتزايد فيه ويقومه حتى استوى له ثم قام إلى عود مصلح معلق كان يكون في بيت منامه فأخذه فغنى الصوت حتى صح له واستقام عليه وأخذته عنه فلما فرغ منه قال أين دمن فقلت هو ذا أنا ها هنا فارتاع وقال مذ كم أنت ها هنا قلت مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدك فقال خذي العود فغنيه فأخذته فغنيته حتى فرغت منه وهو يكاد أن يتميز غيظا ثم قال قد بقي عليك فيه شيء كثير وأنا أصلحه لك فقلت أنا مستغنية عن إصلاحك فأصلحه لنفسك فاضطجع في فراشه ونام وانصرفت فمكث أياما إذا رآني قطب وجهه

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به من قتل في حروب الفجار من قريش ." (٢)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤٨/٢١

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٥٧/٢٢

" يومئذ فقال ما سرني أني لم أشهده إنهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البراض صاحبهم فأبوا

قال وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن فوادهم حرب بن أمية فيما تروي قريش وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم وأنهم هم ودوهم

وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزة والعباس بني عبد المطلب عليهما السلام شهدوا هذه الحروب ولم يرد ذلك أهل العلم بأخبار العرب

قال أبو عبيدة ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن معتب لا يعرج على شيء حتى أتى سبيعة بنت عبد شمس زوجته فجعل أنفه بين ثدييها وقال أنا بالله وبك فقالت كلا زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي اجلس فأنت آمن

أميمة ترثي قومها

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها والأبيات التي فيها الغناء منها

(أبى ليلك لا يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب)

(ونجم دونه الأهوال ... بين الدلو والعقرب)

(وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب)

(بعقر عشيرة منا ... كرام الخيم والمنصب) ." (١)

" بأصحاب نخل ولا زرع وليس للرجال منهم إلا الأعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات والأموال لليهود فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا

أبو جبيلة أمر أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه فما بالكم ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له أعلمهم أني سائر إليهم فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قال لليهود

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٧٨/٢٢

إن الملك يريد زيارتكم فأعدوا نزلا فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض ثم أرسل إلى الأوس والخزرج فذكر لهم الذي قدم له وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصنوا في آطامهم فيمنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم فأمر ببنيان حائر واسع فبني ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتوه فلم يبق وجه من وجوه القوم إلا أتاه وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ويدخلوهم رجلا رجلا فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا على آخرهم فقالت سارة القريظية ترثي من قتل منهم أبو ." (١)

" (كأنك لم تعلم محل بيوتكم ... مع الحي بين الغور والمتنجد)

(فلولا رجال من جذيمة قصرة ... عددت بلائي ثم قلت له عدد)

وأمه سعدة القائلة له وقد تزوج بنت أبي مهوش على مراغمة لها وكراهة لذلك فغضبت سعدة وقالت فيه

(عليك بأنقاض العراق فقد علت ... عليك بتخدين النساء الكرائم)

(لعمري لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذنابى لا بريش القوادم)

(بنى لك معروف بناء هدمته ... وللشرف العادي بان وهادم)

وهي القائلة ترثي ابنها الكميت

(لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكناف طورى من عفاف ونائل)

(ومن وقعات بالرجال كأنها ... إذا عنت الأحداث وقع المناصل)

(يعزي المعزى عن كميت فتنتهي ... مقالته والصدر جم البلابل)

أخوه يرثيه

وأعشى بني أسد أخو الكميت واسمه خيثمة الذي يقول يرثي الكميت وغيره من أهل بيته ." (٢)

" امرأة قيسية ترثي قتلى قيس

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم

(أصبتم يا بني نهد بن زيد ... قروما عند قعقعة السلاح)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١١٦/٢٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٤٨/٢٢

(إذا اشتد الزمان و كان محلا ... و حاذر فيه إخوان السماح)

(أهانوا المال في اللزبات صبرا ... و جادوا بالمتالي و اللقاح)

(فبكي مالكا وابكي بجيرا ... و شدادا لمشتجر الرماح)

(و كعبا فاندبيه معا و قرطا ... أولئك معشري هدوا جناحي)

(و بكي إن بكيت على حسيل ... و مرداس قتيل بني صباح)

قال و أسر عبد الله بن العجلان رجلا من بني الوحيد فمن عليه وأطلقه ووعده الوحيدي الثواب فلم يف فقال عبد الله

(و قالوا لن تنال الدهر فقرا ... إذا شكرتك نعمتك الوحيد)

(فيا ندما ندمت على رزام ... و مخلفه كما خلع العتود)

قال أبو عمرو ثم أن بني عامر جمعوا لبني نهد فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر فقال أفعل فحملته على ناقة لزوجها ناجية وزودته تمرا ووطبا من لبن فركب فجد في السير و فني اللبن فأتاهم و الحي ." (١)

" قال ها هي ذه أنا فيها قال وعن له رجل من القوم فرماه عمرو فقتله فقالوا أقتلته يا عدو الله فقال أجل ولقد بقيت معي أربعة أسهم كأنها أنياب أم جليحة لا تصلون إلي أو أقتل بكل سهم منها رجلا منكم فقالوا لعبدهم يا أبا نجاد ادخل عليه وأنت حر فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه فقال له عمرو ويلك يا أبا نجاد ما ينفعك أن تكون حرا إذا قتلتك فنكص عنه فلما رأوا ذلك صعدوا فنقبوا عليه ثم رموه حتى قتلوه وأخذوا سلبه فرجعوا به إلى أم جليحة وهي تتشوف فلما رأوها قالوا لها يا أم جليحة ما رأيك في عمرو قالت رأيي والله أنكم طلبتموه سريعا ووجدتموه منيعا ووضعتموه صريعا فقالوا والله لقد قتلناه فقالت والله ما أراكم فعلتم ولئن كنتم فعلتم لرب ثدي منكم قد افترشه وضب قد احترشه فطرحوا إليها ثيابه فأخذتها فشمتها فقالت ريح عطر وثوب عمرو أما والله ما وجدتموه ذا حجزة جافية ولا عانة وافية ولا ضالة كافية

اخته ريطة ترثيه

وقالت ريطة أخت عمرو ذي الكلب ترثيه

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤١/٢٢

(كل امرئ لمحال الدهر مكروب ... وكل من غالب الايام مغلوب) ." (١)

" قومك شيئا لحقنا بقومنا فقال أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة فاحتبسهم فيها وخليفته في تدمر رجل من كلب يقال له مطر بن عوص وكان فاتكا فأراد حميدا على قتلهم فأبى وكره الدماء فلما سار حميد وقد عاد زفر أيضا مغيرا ليرده عما يريده فنزل قرية له وبلغه مسير زفر فاغتاظ وأخذ في التعبئة فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعا له انتهازا لدماء الذين في يده من النميريين فقال ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قتل أهل مصبح فقال وهو لا يعقل من الوجد اذهب فاقتلهم

فخرج مطر يركض إلى تدمر تخوف ألا يبدوا له فلما أتى تدمر قتلهم وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال أين مطر حتى أوصيه قالوا انصرف قال أدركوا عدو الله فإني أخاف على من بيده من النميريين

وبعث فارسا يركض يمنع مطرا عن قتلهم فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الأسرى إلا رجلين وكانوا ستين رجلا فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال النميريان الباقيان خل عنا فقد أمرت بتخلية سبيلنا فقال أبعد أهل المصيخ لا والله لا تخبران عنهم ثم قتلهما

فلما بلغ زفر قتل النميريين بسط يده على كل من أدرك من كلب واستحل الدماء وأخذ في واد يقال له وادي الجيوش وقد انتشرت به كلب للصيد فلم يدرك به أحدا إلا قتله فقتل أكثر من خمسمائة ولم يلقه حميد

ثم انصرف إلى قرقيسياء

وذكر بعض بني نمير أن زفر أغار على كلب يوم حفير ويوم المصيخ ويوم الفرس فقتل منهم أكثر من ألف رجل قال وأغار عليهم زفر في يوم الإكليل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستاق نعما كثيرة

وذكر عرام قال قتل زفر يوم الإكليل جبير بن ثعلبة من بني الجلاح وحسان بن حصين من بني الجلاح ومحمد بن طفيل بن مطير بن أبي جبلة وعمرو بن حسان بن عوف من بني الجلاح ومحمد بن جبلة بن عوف أخوان لأم

وقالت امرأة من بني كلب **ترثيهم** ." (٢)

" قال ولحق أسود بن بجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمان بن زرعة فقال له يا نعمان هلم إلي فأنا خير آسر لك وخير لك من العطش

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٣٥٥/٢٢

(٢) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٨/٢٤

قال ومن أنت قال الأسود بن بجير فوضع يده في يده فجز ناصيته وخلى سبيله وحمله الأسود على فرس له وقال له انج على هذه فإنها أجود من فرسك وجاء الأسود بن بجير على فرس النعمان بن زرعة وقتل خالد بن يزيد البهراني قتله الأسود بن شريك بن عمرو وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر فقالت أمه ترثيه

(ويح عمرو بن عدي من رجل ... حان يوما بعدما قيل كمل)

(كان لا يعقل حتى ما إذا ... جاء يوم يأكل الناس عقل)

(أيهم دلاك عمرو للردى ... وقديما حين المرء الأجل)

(ليت نعمان علينا ملك ... وبني لي حي لم يزل)

(قد تنظرنا لغاد أوبة ... كان لو أغنى عن المرء الأمل)

(بان منه عضد عن ساعد ... بؤس للدهر وبؤسى للرجل)

قال وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تيم الله يقال له أبو ثور فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها فنهاه أصحابه أن يفعل فقال والله ما في فرس إياس ما يعز رجلا ولا يذله وما كنت لأقطع رحمه فيها فقال إياس

(غذاها أبو ثور فلما رأيتها ... دخيس دواء لا أضيع غذاؤها)

(فأعددتها كفأ ليوم كريهة ... إذا أقبلت بكر تجر رشاؤها)

قال وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى أصبحوا ." (١)

" (إذا قلت : لا قالا : بلى ثم أصبحا ... جميعا على الرأي الذي يريان)

(تحملت من عفراء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان)

(فيا رب أنت المستعان على الذي ... تحملت من عفراء منذ زمان)

(كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان)

في تحملت من عفراء

والذي بعده ثقيل أول يقال إنه لأبي العبيس بن حمدون

يموت فترثيه عفراء وتموت بعده

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٤/٧٠

قال فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال وبلغ عفراء خبر وفاته فجزعت جزعا شديدا وقالت ترثيه

(ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام)

(فلا تهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام)

(وقل للحبالى : لا ترجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام)

قال ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه بها حتى ماتت بعده بأيام قلائل

خبر عن معرفته بتزويجها

وذكر عمر بن شبة في خبره

أنه لم يعلم بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها وأنه كان توجه إلى ." (١)

" الحسب المؤثل فعطف عليه الرجل فقال يا جرول بن نهشل إن الوهل فشل وليس هكذا البطل والقول يرفعه العمل ثم إنه طعن فرمى جرولا طعنة فكبا جواده فأخذه وكتفه ثم ساقه وهو يقول

(إذا ما لقيت امرأ في الوغى ... فذكر بنفسك يا جرول)

حتى انتهى به إلى قائد الجيش ورئيس القوم وكان قد عرف جبن جرول فقال له يا جرول ما عهدناك تقاتل الأبطال ولا تحب النزال فقال جرول مكره أخوك لا بطل فأعطاه رأس رجل من بني دارم ثم قال انطلق فالجبن شر من الإسار فعمد إليه الذي كان أسره فجرحه وقال له جئت تستنقذ الظعائن يا لها من ظعينة ما كان أضيعها ثم خلى سبيله وجرول يرى أن الرأس الذي أعطي من رؤوس حزبه فأتى أباه فقال يا أبت هكذا تلقى الأبطال وتسلم الأنفال الجدع خير من النفي ثم قال هذا رأس رجل قتلته فنظر إلى الرأس فإذا رأس رجل من أصحابه فجاء إخوة المقتول فقالوا أقيدونا جرولا بأخينا فإنه قتله فلما رأى جرول الشر وما وقع فيه أخبر أباه والقوم الخبر فعرفوا جبنه

وأنه لم يكن يقتل الرجال فخلوا عنه وقالت عمرة أخت المقتول ترثي أخاها وتذكر جرولا

(ألا يا قتيلا ما قتيلا معاشر ... ثوى بين أحجار صريعا وجندل)

(وقد يصبح الخيل المغيرة فيهم ... ويسرع كر المهر في كل جحفل)

(ويهدي ضلول القوم في ليلة السرى ... أمين القوى في القوم ليس بزمل)

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ١٣١/٢٤

(فأدى إلينا رأسه ثم جرول ... فلله ماذا كان من فعل جرول) ." (١)

"أما هدت لمصرعه نزار ... بلى وتقوض المجد المشيد

وحل ضريحه إذ حل فيه ... طريق المجد والحسب التليد

أما والله ما تنفك عيني ... عليك بدمعها أبدا تجود

فإن تجمد دموع لئيم قوم ... فليس لدمع ذي حسب جمود

أبعد يزيد تختزن البواكي ... دموعا أو تصان لها خدود

لتبكك قبة الإسلام لما ... وهت أطنابها ووهى العمود

ويبكك شاعر لم يبق دهر ... له نشبا وقد كسد القصيد

فمن يدعو الأنام لكل خطب ... ينوب وكل معضلة تؤد

ومن يحمي الخميس إذا تعايا ... بحيلة نفسه البطل النجيد

فإن تهلك يزيد فكل حي ... فريس للمنية أو طريد

ألم تعجب له أن المنايا ... فتكن به وهن له جنود

لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

مرثية زينب بنت الطثرية في أخيها يزيد

وقرأت على أبي بكر بن دريد، أبيات زينب بنت الطثرية، **ترثي** أخاها يزيد، وأملاها علينا أيضا أبو بكر بن الأنبارى، رحمه الله، عن أحمد بن يحيى، وفي الروايتين زيادة ونقصان، وأنا آتي على جميعها، وفيها أبيات تروى للعجير السلولي ولها، وقد أملينا أبيات العجير:

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهى القميص كواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

---

(١) الأغاني للأصفهاني أبو الفرج الأصبهاني ٢٢٧/٢٤

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

إذا ماطها للقوم كان كأنه ... حمي وكانت شيمة لا تزايله." (١)

"تجدهم على ما خليت هم إزاؤها ... وإن أفسد المال الجماعات والأزل

أي هم الذين يقومون بها المقام المحمود،

وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة، للعتبي:

ينام المسعدون ومن يلوم ... وتوقظني وأوقظها الهموم

صحيح بالنهار لمن يراني ... وليلي لا ينام ولا ينيم

كأن الليل محبوس دجاه ... فأوله وآخره مقيم

لمهلك فتية تركوا أباهم ... وأصغر مابه منهم عظيم

يذكرنيهم ما كنت فيه ... فسيان المساءة والنعيم

فبالخدين من دمعي ندوب ... وبالأحشاء من وجدي كلوم

فإن يهلك بني فليس شيء ... على شيء من الدنيا يدوم

قال: وأنشدني إسحاق بن الجنيد قال: أنشدني أحمد الجوهري:

واحزني من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون

والأسد والمزن والرواسي ... والخفض والأمن والسكون

لم تتنكر لنا الليالي ... حتى توفتهم المنون

فكل نار لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

قصيدة فارعة بنت شداد **ترثي** أخاها

وقيل: أنها لعمرو بن مالك، وقيل لأبي الطمحان، وشرحها

وأملى علينا على بن سليمان الأخفش، قال: قال عمر بن مالك بن يثربي يرثي مسعود بن شداد، قال: وقال يعقوب: هي لأبي الطمحان القيني ثم شك، قال: والصحيح أنها لعمرو، وقد قالوا: إنها لأمراة من جرم، وإنما وقع الخلاف هاهنا.

وقرأتها على عمر المطرز، عن أبي العباس، عن ابن الأعرابي، لفارعة بنت شداد **ترثي** أخاها مسعود بن

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢/٨٥

شداد، وفي الروايتين اختلاف وتقديم وتأخير وزيادة ونقصان، ورواية أبي الحسن على الأخفش أتم، وهي هذه الأبيات:." (١)

"القاسم بن مهرويه، وذكر أنه أوقف إبن مهرويه على أنه خطأ، وأن عنان خرجت إلى مصر، وماتت بها حين أعتقها النطافي، وقالت ترثيه بمصر:

يا دهر أفنيت القرون ولم تزل ... حتى رميت بسهمك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازحما كنت أول من دعوه فوافى

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وعلي بن سليمان الأخفش عن المبرد عن المازني، عن الأصمعي: وقال إبن عمار عن بعض أصحابه، أظنه المازني، عن الأصمعي، قال: ما رأيت أثر النبيذ في وجه الرشيد قط، إلا مرة واحدة!، فاني دخلت إليه أنا وأبو حفص الشطرنجي فرأيته خائرا – وفي أصل باثرا فقال: استبقا إلى بيت، بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي، فله عشرة آلاف درهم! فوقع في نفسي أنه يريد جارية الناطفي، قال: فأشفقت ومنعتني هيبته وبدر الشطرنجي بجرأة العميان، فقال:." (٢)

"الكاتب

مولدة، شاعرة، مغنية.. كان لها من قلبه مكان خطير، فلما مات أحمد بن يوسف الكاتب قالت ترثيه:

ولو أن حيا هابه الموت قبله ... لما جاءه أو جاء وهو هيوب

ولو أن حيا قبله هابه البلى ... إذا لم يكن للارض فيه نصيب

قال أبو القاسم، وهي القائلة وقد غضب عليها:

غضبت بلا جرم علي تجنيا ... وأنت الذي تجفو وتهفو وتعذر." (٣)

"سطوت بعز الملك في نفس خاضع ... ولولا خضوع الرق ما كنت أصبر

فان تتأمل ما فعلت تقم به ال ... معاذير أو تظلم فانك تقدر!

فرضي عنها وإعتذر إليها.

وقالت ترثيه:

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٣٢٣/٢

(٢) الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني ص/٤٨

(٣) الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني ص/١٠١

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات!." (١)

"ومنصرف عنك إنصراف إبن حرة ... طوى وده والطي أبقى على النشر

فكتبت إليه:

إذا كنت في رقى هوى وتملك ... فلابد من صبر على مضض الصبر

وإغضاء أجفان طوين على قذى ... وإذعان مملوك على الذل والقسر

وذلك خير من معاداة مالك ... صبور على الإعراض والصد والهجر

وهي القائلة ترثي مواليها:

هل مسعد لبكاء ... بعبرة أو دماء

وذاك مني قليل ... للسادة النجباء

أبكيهم في صباحي ... بلوعة ومسائي

حدثني الهشامي قال: كتبت متيم وبذل كتابا إلى علي بن هشام وهو بالجبل يتشوقانه، فقالت لهما مراد: إتركا لي في آخره، موضعا، فتركاه، فكتبت إليه:

نفسي الفداء وقلبي للذي رحلا ... عنا وفارقنا وإستوطن الجبلا

نأى السرور وولى يوم ودعنا ... وخلف الهم فينا بعده بدلا

فغنت فيه متيم لحنا من خفيف الرمل. وقالت لمراد قولي أشعارا ترثين فيها مولاي حتى ألحنها الحان النوح، وأندبه بها فقالت عدة أشعار في مراثيه وناحت بها متيم.." (٢)

"فهات الكأس مترعة ... كأن حبابها حدق

تكاد بنور بهجتها ... حواشي الكأس تحترق

فقد غنى بنان لنا ... جفون حشوها الأرق

قال علي بن يحيى: فعدل بنان بلحن الصوت إلى شعرها وغنانا فيه، فشربنا عليه بقية يومنا حتى سكرنا.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال أنشدني محمد بن الفضل النيسابوري ق٥٢ لعريب ترثي العباس بن المأمون:

---

(١) الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني ص/١٠٢

(٢) الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني ص/١١٤

يا من بمصر غدرها الدهر ... قد كان فيك يصاول الدهر

زعموا قتلت وعندهم عذر ... كلا، وربك ما لهم عذر

حدثني عمي الحسن بن محمد قال أخبرني أحمد بن المرزبان قال: غضبت قبيحة عن عريب، ثم رضيت عنها، فقالت فيها هذا الشعر وغنت فيه:

سبحان من أعطى عريب الذي ... رجته في المولاة والمواليا

أعطاك في المعتز أمنية ... والسؤل في سيدة الدنيا

ورد حسن الرأي منها لها ... وطيب الله لها المحيا." (١)

"أجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم في سواها مختلف

وأخذ أبو تمام هذا المعنى وطرده إلى المدح فقال:

لو أن إجماعنا في فضل سؤدده ... في الدين لم يختلف في الأمة اثنان

آخر:

يا مفردا بالحسن والشكل ... من دل عينيك على قتلي

البدر من شمس الضحى نوره ... والشمس من نورك تستملي

يوسف الجوهري:

وإذا الغزالة في السماء تعرضت ... وبدا النهار لوقته يترجل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها ... تلقى السماء بمثل ما تستقبل

ليس يبالي من أنت حاضره ... ما غاب من شمسه ومن قمره

أنت عليه، وإن عنفت به، ... أعز من سمعه ومن بصره

بشار وأحسن في تشبيهه:

قامت تبدى إذ رأتني وحدي ... كالشمس بين الزبرج المنقد

ضنت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنفس المرتد

أخذه من قول بن الخطيم:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الصولي، وليس في شعره سوى هذه القطعة وأخرى دالية:

---

(١) الإماء الشواعر أبو الفرج الأصبهاني ص/١٣٧

يا شيبة البدر لولا ... كلف البدر ونقصه
وقريبا حاضر الذكر ولو غيب شخصه
بدن يعقد لينا ... ناعم الملمس رخصه
خصني بالهجر منه ... إذ رأى وصفي يخصه
كم أسمي غيره في الشعر والوصف يخصه
وقال ديك الجن:
وإن الذي أزرى بشمس سمائه ... فأبداه نورا والخلائق طين
تأنق فيه كيف شاء وإنما ... مقالته للشيء كن فيكون
آخر:
وفي أربع مني حلت منك أربع ... فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أوجهك في عيني، أم الريق في فمي، ... أم النطق في سمعي، أم الحب في قلبي
وسمعه يعقوب بن إسحاق الكندي فقال: هذا تقسيم فلسفي؛ وجعله العلوي خمسة فقال:
وفي خمسة مني حلت منك خمسة ... فريقك منها في فمي طيب الرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي ... ونطقك في سمعي وعرفك في أذني
وأما قول أبي تمام:
يقول فيسمع ويمشي فيسرع ... ويضرب في ذات الإله فيوجع
فقد صرع في غير موضعه، ونظم اللفظ من قول من قال: كان عمر، رضي الله عنه، إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع.
وأكثر ما جاء من شعر العرب، في التقسيم ثلاثة. كقول طرفة:
فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي
وسمعه عمر رضي الله عنه فقال: لكني، والله، لولا الضرب بالسيف في سبيل الله، والتهجد بالليل لوجه الله، ومجالسة أقوام أنتقي حديثهم كما تنتقى أطايب التمر، ما باليت أي وقت حانت منيتي.
وقال ابن الطثرية:
فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام رامسي
وقال الأسدي:

ثلاثة أحباب: فحب علاقة ... وحب تملاق وحب هو القتل

وقال جرير:

صارت حنيفة أثلاثا: فثلثهم ... من العبيد، وثلث من مواليها

ومما يجري مجرى الملح ما أنشده الخليل في كتاب العين:

إن في دارنا ثلاث حبالى ... قد وددنا أن لو وضعن جميعا

جارتي، ثم هرتي، ثم شاتي ... فإذا ما ولدن كن ربيعا

جارتي للرضاع، والهر للفأر، وشاتي ... إذا اشتهيت مجيعا

وكذلك المرصع الوارد عنهم، كقول امرئ القيس، وهو أبدعه:

فالعين قادحة واليد سابحة ... والرجل ضارحة والمتن ملحوب

والماء منحدر والشد منهمر ... والقصب مضطمر واللون غربيب

أنشد منهمر.

وتبعته الخنساء فقالت ترثي صخرا.

حامي الحقيقة معتاق الوسيقة نسال الوديقة جلد غير ثنيان

آبي الهضيمة وهاب الكريمة حمال العظيمة سرحان لفتيان

قال الشيخ: البيتان لأبي المثلم الهذلي.." (١)

"وقول البحتري:

فإذا لقيتهم فموكب أنجم ... زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل: جاء به النابغة وغيره، وكثر على الألسن حتى صار أشهر من كل مشتهر، وبيت أب يتمام خاصة فإنما سرقة على سياقه من مريم بنت طارق ترثي أخاها:

كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

أو من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك:

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر

٧ - ومن ذلك قول أبي تمام:

همة تنطح النجوم وجد ... آلف للحضيض فهو حضيض

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٢٣

وقل البحتري:

متحير يغدو بعزم قائم ... في كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد، ولفظهما مختلف، وهما شائعان في الكلام، وجاريان في الأمثال، يقال: فلان علي الهمة، وهمته في." (١)

"ومنهم ربيعة بنت حميصة العذرية شاعرة قالت ترثي هلالا العذري

يا عين أذري الدمع ذا الغرب ... وابكي هلالا مسعر الحرب

تعدو به شقاء سلهبة ... مثل القناة قليلة العتب

تعدو إذا خفضت مراءتها ... وزجرن بالإنشاء والشرب

شدا كغلي القدر تحفره ... منها إلى متنفس رحب

من يقال له ابن حبناء منهم المغيرة وصخر ويزيد بنو حبناء وهي أمهم وأبوهم عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن عامر بن ربيعة بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة وكان المغيرة أبرص وهو القائل:

إني امرؤ حنظلي حين تنسبني ... لأم العتيك ولا أخوا لي العوق

قوله لأم العتيك أي لامن العتيك

لا تحسبن بياضا في منقصة ... إن اللهاميم في أقرابها بلق

قوله في البيت الأول ولا أخوا لي العوق العوق قوم من أزد عمان والمغيرة شاعر محسن وكان من رجال المهلب بن أبي صفرة وله أشعار جياد حسان وكان صخر مقيما بالبادية وكان والمغيرة يتراسلان بالشعر يتناقضان وكانا أخوين لأب وهما ابنا خالة وكان المغيرة يكنى أبا عيسى قال في أخيه صخر:

ألا من مبلغ صخر بن ليلى ... فإني قد أتاني من ثناكا

رسالة ناصح لك مستجيب ... إذا لم ترع حرمته رعاكا

جزاني الله منك وقد جزاني ... ومني في معاتبتي جزاكا

في أبيات فأجابه صخر فقال:

أتاني من مغيرة ذرو قول ... وعن عيسى فقلت له كذاكا." (٢)

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٣٥٠/١

(٢) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء الآمدي، أبو القاسم ص/١٣٢

"فيئي إليك فإنا معشر صبر ... في الجدب لا خفة فينا ولا ملق

أنا إذا حطمة حتت لنا ورقا ... نمارس العيش حتى ينبت الورق

وله أشعار جياد في كتاب بني طهية وبهذه الأبيات لقب بذي الخرق.

ومنهم خليفة بن البلاد أحد بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو القائل:

أيا أخوي من جشم بن سعد ... أقلا اللوم إن لم تنفعاني

إذا جاوزتما شعفات حجر ... وأودية اليمامة فانعياني

أخذت بما جنى لص طريد ... وما جرت يداي ولا لساني

وهو صاحب الأرجوزة التي أولها: هل تعرف الدار كخط القلم ذكر السكري في أشعار اللصوص البيتين الأولين لجحدر بن معاوية العكلي وقال شعفات بالشين معجمة.

من يقال لها خنساء منهن خنساء بنت الشريد وهو عمرو بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور الشاعرة المشهورة صاحبة المراثي في أخويها معاوية وصخر.

ومنهن خنساء بنت أبي سلمى أخت زهير وهو ربيعة بن رياح ابن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هدبة ابن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة وأم عثمان بن عمرو ومزينة بنت كلب بن وبرة شاعرة هي وإخوتها وأهل بيتها. قالت ترثي أباها:

ولا يغني توقي المرء شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار." (١)

"وممن آثر القتل على الفرار بنو ماوية بنت الأحب وكانوا سبعة قتلوا بأجمعهم في بعض حروب خثعم، فقالت أمهم ترثيهم:

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أوتاد ملك تهدما

أبو أن يفروا والقنا في نحورهم ... ولم يرتقوا من خشية الموت سلما

ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وإلى هذه الأبيات نظر أبو تمام في قوله يرثي محمد بن حميد:

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

ونفس تعاف الفقر حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

---

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء الآمدي، أبو القاسم ص/١٣٩

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، بموضع من أرض مصر يقال له أبو صير أهاب بالناس ليرجعوا، فلم يلووا عليه، فنضا سيفه وقاتل قتال مستقتل، فقال له المسودة لما رأوا من وافر بأسه وشجاعته: يا هذا، لا تقتل نفسك ولك الأمان. فتمثل بأبيات تمثل بها الحسين صلوات الله عليه يوم قتل وقد بذل له الأمان، وهي:

أذل الحياة وذل الممات ... وكلا أراه طعاما وبيلا

فإن كان لا بد إحداهما ... فسيروا إلى الموت سيرا جميلا

ومثل هذا ما يروى لأبي تمام - ما نظنه له -:

رحم الله جعفرا فلقد كان أب ... يا شهما وعاش كريما

مثل الموت بين عينيه والذ ... ل فكلا رآه حظا لئيما

ثم سارت به الحمية قدما ... فأمات العدى ومات كريما

كعب بن الأشقري في المغيرة بن المهلب:

كم حاسد لك قد عطلت همته ... مغرى بشتم صروف الدهر والقدر

كأنما أنت سهم في مفاصله ... إذا رآك ثنى طرفا على عور

كم حسرة منك تردي في جوانحه ... لها على القلب مثل الوخز بالإبر." (١)

"كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يهبط مع المتغور

ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح في بادي الحواشي المنور

قتلتم فتى لم يسقط الرعب رمحه ... إذا الخيل جالت في قنا متكسر

وبيداء ممحال يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر

فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد الموفر

ولما أهابوا للنهاب حويته ... بخاظي البضيع ملهب الشد محضر

فأحرزت منه ما أردت بقدرة ... وسطوة جبار وإقدام قسور

ألا رب مكروب أجبت ونائل ... فعلت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب للمولى ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور

أما قولها: " ولما أهابوا " البيتين، فما نعلم أن أحدا من الشعراء مدح إنسانا بأنه يحوي السلب ويقدم عليه

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

هذا الإقدام، الذي ذكرت ليلى، غير هائل، بل رأيناهم يمدحون الفارس بأنه يشهد الحرب ويجيد القتال، فإذا بلغ حاجته من قهر عدوه ترك السلب تنزها عن ذلك وظلف نفس أن يأخذ شيئا من أسلاب أعدائه بعد قتلهم وهزيمتهم إذ كان غرضه ذلك لا غيره، وقد ذكرنا قطعة من أشعارهم في ذلك قبل هذا الموضع.

وقالت ليلى ترثي توبة أيضا:

أقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير

وما أحد حي وإن كان سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

وليس لذي عيش من الموت مذهب ... وليس على الأيام والدهر غابر

وكل جديد أو سباب إلى بلى ... وكل امرئ يوما إلى الله صائر

وكل قريني ألفة لتفرق ... شتاتا وإن عاشا وطال التعاشر." (١)

"سأبكي حصينا ما تغنى حمائم ... وأبكي حصينا والحمائم هجد

لقد هدموا قدرا جماعا وجفنة ... بوارى سديف الشول كانت تشيد

وقد عاش محمودا وأصبح فقده ... على الأقربين والعدى وهو أنكد

أبو العالية:

صبرت ولم أبد اكتئابا ولا ترى ... أخا جزع إلا يصير إلى الصبر

وإني وإن أبديت صبرا لمنطو ... على حر أحزان أحر من الجمر

وأملك من عيني الدموع وربما ... تبادر عاص من سوابقها يجري

تمثل قتيبة بن مسلم حين أتاه موت الحجاج بقول الحطيئة:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى ألقته الحبائل

لقد فقدوا عزما جليلا وسؤددا ... وحلما أصيلا خالفته المجاهل

إذا عشت لم أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

طفيل بن عوف الغنوي يرثي زرعة بن عمرو بن الصعق:

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

فلم أر هالكا من أهل نجد ... كزرعة يوم قام به النواعي

أعز رزية وأجل فقدا ... على المولى وأفضل في المساعي

وأعزز نائلا لمن اعتفاه ... وأصبر في اللقاء على المصاع

وأقول للتي نبذت بينها ... وقد رأت السوابق لا تراعي

فلا وقافة والخيل تردي ... ولا خال كأنبوب اليراع

شهاب يستضاء به إذا ما ... دجا الإظلام أوقد باليفاع

زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا يرى خرق القميص بخصره ... ولكنما توهي القميص حمائله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله." (١)

"يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

إذا القوم أموا بيته فهو عامد ... لأفضل ما أموا له فهو فاعله

إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

إذا كان خير الجد أرضاك جده ... وذو باطل إن شئت أرضاك باطله

مضى وورثناه دريس مفاضة ... وأبيض هنديا طويلا حمائله

أما قولها: " أرى الأثل " البيت، فبذا أخذت أخت الوليد بن طريف الشاري قولها ترثي أخاها الوليد:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

أما قولها: " فتى قد قد السيف " البيت، وقولها: " فتى لا يرى خرق القميص " البيت، تقول: إنه لطيف البطن مضطمر الخصر، وهذا عندهم غاية في المدح للصعلوك والفارس، بل يرونه مدحا للعظيم القدر، فأما الفارس فيمدح بالنحافة، فتقول: إن خصره غير منتفخ لضمره فما يتخرق قميصه في خصره لذلك، بل تتخرق أكتافه من نجاد سيفه، ويجوز أيضا أن تكون مناكبه قليلة الـلحم فيخرق قميصه، وشبيه بهذا المعنى قول متمم في أخيه مالك:

لقد غيب المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

ومثله:

رأيتكما يا بني أخي قد سمنتما ... وما يدرك الأوتار إلا الملوح

وأما قولها: " فتى ليس لابن العم " البيت، فإن صاحب المنطق يذكر أن الذئب إذا كان عليه أدنى دم اجتمعت عليه الذئاب فتوزعته بينها أشلاء، ومثله قول الآخر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

الغطمش الضبي:

أقول وقد ضاقت شؤوني بعبرة ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

أخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبت ولكن ما على الموت معتب

أما قوله: " أقول وقد ضاقت " البيت، فمثل قول الآخر:." (١)

"إذا زرت أرضا بعد طول اجتنابها ... فقدت صديقي والبلاد كما هيا

والأصل قوله:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى البلاد بعدنا والمصانع

وسنى ابنة عمرو القيسية:

فتى مثل صدر الهندواني لم يكن ... جبانا إذا الحرب العوان اشمعلت

ولو فجعت غر النجوم بمثله ... إذا لتولى ضوءها واضمحلت

رأيت حال العيس بعدك عريت ... ومكرمة الفتيان في الناس قلت

توسعة بن أبي غسان:

قل للأرامل واليتامى قد ثوى ... فلتبك أعينها على عتاب

أودى ابن كل مخاطر بتلاده ... وبنفسه بقيا على الأحساب

الراكبين من الأمور صدورها ... لا يركبون معاقد الأذناب

أنيف بن مخارق الأسدي:

أصبحت بعد ربيعة بن مكدم ... غرضا بصردحة لمن راماني

فلأرمينهم برغم أنوفهم ... جهدي على عوزي من الفتيان

مية ابنة ضرار **ترثي** أخاها قبيصة:

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

ما بات من ليلة مذ شد مئزره ... قبيصة بن ضرار وهو موتور
لا يعرف الكلم العوران مجلسه ... ولا يذوق طع١ما وهو مستور
الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض ... كأنها ضرم بالليل مسعور
عتي بن مالك العقيلي:
إذا الناس عزوني تذكرت هل إلى ... لقاء ابن أوس في الحياة سبيل
يعزي المعزي ساعة ثم ينكفي ... وفي النفس حاجات لهن غليل
كأن لم يسايرني ابن أوس ولم نرع ... قلائص أطلاحا لهن ذميل
ولم نلق رحلينا معا بتنوفة ... ولم نرم جوز الليل حين يميل." (١)
"و (*) لمحمد بن عبد الملك الزيات في هذا المعنى:
أصلي إلى الوجه الذي تسكنينه ... وإن لم يكن سمتا لقصد صلاتيا
وأجعل تسبيحي دموعا أسرها ... عليك وإدمان الحنين قرانيا
وشبيه بهذا المعنى قول عباس المصيصي يهجو إماما:
إذا صلى بنا بكر بن يحيى ... تفكر في الذي يقرا سنينا
ويشغله الهوى عنا فيأتي ... بلفظ يخرج الداء الدفينا
وربتما تفكر في الغواني ... فأن وأتبع النفس الحنينا
لقد حرمت بلاد صار فيها ... إماما واللصوص مؤذنينا
وله مثله:
إذا صلى بنا عمر ... فليس تطيعه السور
تراه إذا تقدمنا ... وقد دارت به الفكر
يئن أنين ذي شغف ... بظبي زانه الحور
وليس بعاشق أحدا ... ولكن همه البدر
وقال ابن الدمينة:
ألا خليلي اتبعاني لتؤجرا ... ولن تكسبا خيرا من الحمد والأجر
فقالا اتق الله الجليل فإنما ... تصليك أسباب الهوى وهج الجمر

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

فقلت أطيعاني فليس عليكما ... حسابي إذا لاقيت ربي ولا وزري

أتحرقني يا رب إن عجت عوجة ... على رخصة الأطراف طيبة النشر

ضناك ملاث الدرع أما وشاحها ... فيجري وأما الحلي فيها فلا تجري

وأنذر للرحمن ما كنت آثما ... فهل أنت يا رب العلى قابل نذري

صياما وحجا ماشيا وهدية ... أوافي بها يوم الذبائح والنحر

قال الزبير: كان ابن الدمينة مع غزله ورقة شعره فارسا شجاعا وقتل في الحرب التي كانت بين خثعم وسلول، وهو كان الأصل فيها، وذاك أن مزاحم ابن عمرو السلولي كان يهوى حماء بنت مالك امرأة ابن الدمينة ويكثر زيارتها والخلوة معها ثم إنها هاجرته لشيء وقع بينهما فقال يهجوها ويعرض بابن الدمينة:

يا بن الدمينة كم من طعنة نفذ ... يعوي خلاف انتزاع الجوف عاويها

جاهدت فيكم بها إني لكم ولد ... أبغي مساويكم قدما فآتيها

بآية الخال منها دون سرتها ... وفوق ركبتها في وقت آتيها

وشهقة تعتريها عند لذتها ... لكية أنضجت لا شل كاويها

فنمى هذا الشعر فبلغ ابن الدمينة فقال لامرأته: يا جماء قد بلغني أن مزاحما يأتيك ويقول الشعر فيك، فأنكرت ذلك، فقال لها: أعطي الله عهدا إن لم تمكني منه لأقتلنك، فعلمت أنه سيفي، فصالحت مزاحما وواعدته، فجاءها ليلا فكلمها وهي في مظلتها وابن الدمينة معها فلم تكلمه، فقال: الخفر الليلة يا جماء، فقالت بصوت ضعيف: أدخل، فدخل وأهوى بيده إليها فأخذت يده فوضعتها في يد ابن الدمينة، فقبض عليه – وكان ابن الدمينة أيدا – وتركه تحته وكان قد أعد ثوبا فيه بطحاء من الرمل كثيرة الحصى ليقتله بها خوفا أن يظهر فيه أثر السلاح فيطلب بدمه ورجاء أن ينكتم خبره، فما زال يضرب بالبطحاء بطنه حتى قتله، ثم أخذ قطيفة كانت له وجعلها على وجه جماء وحبس عليها حتى ماتت وقال:

إذا قعدت على عرنين جارية ... تحت القطيفة فادعوا لي بحفار

فبكت بنية كانت لها من ابن الدمينة فأخذها وضرب بها الأرض، فقال متمثلا: " لا تتخذ من كلب سوء جروا " ثم دفن امرأته وابنته وأخرج مزاحما فطرحه ناحية من مظلته وقال:

لك الخير إن واعدت جماء فالقها ... نهارا ولا تدلج إذا الليل أظلما

فإنك لا تدري أبيضاء طفلة ... تعانق أم ليثا من القوم شدقما

فلما سرى عن ساعدي ولمتي ... وأيقن أني لست جماء جمجما

قال: وأصبح أهل مزاحم يقفون أثره حتى وقعوا عليه قتيلا فبحثوا عن الخبر حتى وقفوا على صحته وعلموا أن ابن الدمينة قتل صاحبهم فوقعت الحرب بينهم لذلك ومكثت مدة طويلة وقتل من الفريقين جماعة ثم اصطلحوا، وكان لمزاحم أخ يقال له مصعب بن عمرو وكان لما قتل أخوه مزاحم صغيرا فقالت أمه تذكر قتل ابنها مزاحم وترثيه:

بنفسي ومالي ثم عمي ووالدي ... قتيل بني تيم بغير سلاح

فلا تطمعوا في الصلح ما دمت حية ... ودام صحيحا مصعب بن جناح

تريد بجناح جدها. قال مصعب بن عمرو، وهو قاتل ابن الدمينة: لما كبرت قالت لي أمي: إذهب فاقتل ابن الدمينة قاتل أخيك فإنه يهجو قومك وقد طل دم أخيك، قال: وكان ابن الدمينة قد قال يهجوهم:

وطئت على أعناق قيس فما شكت ... هواني ولا أحفى محركها نعلي

وقيس كثعل العنز لم أر مثله ... أذل ولا أخفى مكانا من الثعل

قال مصعب: فخرجت وأنا لا أعرف ابن الدمينة وكان ينزل تبالة فلقيت رجلا من بني نمير يريد تبالة فقال: ويحك يا مصعب من تريد؟ قلت: ابن الدمينة أقتله، قال: لست من رجاله، قلت: علي ذاك ولكن لست به عارفا، فقال النميري: فأنا أدخل السوق واتبعني فأول من تراني أعانق فهو ابن الدمينة فدونكه إن كان عندك خير، قال: فدخلنا السوق وكان أول من لقينا فعانقه النميري وتأملته فإذا هو أحسن رجال العرب وأجملهم وأفصحهم، فلما رأيته هبته ثم إني تحاملت فأضربه بسكين كانت معي وقد أخذت بمنكبه فأمسكني الناس وأخذوا السكين من يدي فأرسلت ثيابي في أيديهم وأخذت شفرة من قصاب فأدركته وقد كاد يدخل منزله فأضربه بالشفرة فما فارقته أغلغلها في جوفه وقد غابت إلى النصاب ثم تركتها في جوفه وقد غابت وخرجت أعدو إلى دار فدخلتها وأخذوني منها وحبسني السلطان بتبالة، ولبث ابن الدمينة ليلة ومات فخشيت أن أقتل به فكتبت إلى بني عمي من الحبس:

إذا نبحت كلاب السجن ليلا ... هفا قلبي وهش لها فؤادي

طماعة أن يدق السجن قومي ... وخوفا أن تبيتني الأعادي

فما ظني بقومي ظن سوء ... ولا أن يسلموني في البلاد

وقد جدلت قاتلهم فأمسى ... يمج دم الوتين على الوساد

فلما انتهى هذا الشعر إلى قومي طرقوني ليلا فكسروا الباب وأخرجوني وطل دم ابن الدمينة.

(*) قال معد الكتاب للشاملة: هنا عدة صفحات لا تجد لها رقما لأنها موجودة بالكتاب الإلكتروني (الأصل) وليس في المطبوع (المنتخب) باختيار د: محمد علي دقة." (١)

"لذيذات المقاطع مكحمات ... لو أن الشعر يلبس لارتدينا

عمرو بن وابصة:

وموقف مثل حد السيف قمت به ... أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زللت وما ألفيت ذا خطل ... إذا الرجال على أمثالها زلقوا

عمر بن لجأ:

كسا الله حي تغلب ابنة وائل ... من اللؤم أظفارا بطيئا نصولها

إذا ارتحلوا عن دار ذل تعاذلوا ... عليها وردوا بعضهم يستقيلها

عمر بن لجأ أو صفوان بن عبد ياليل:

فسائل عامرا عنا جميعا ... بأعلى الجزع من وادي ملاح

عشية لم يكن للرمح حظ ... وكان الحظ فيه للصفاح

وأفلتنا أبو ليلى طفيل ... صحيح الجلد من أثر السلاح

هذا من الهجاء الممض الشديد لأنه قال: أفلتنا طفيل ولم يجرح، يريد أنه هرب قبل التقائنا وهذا من أشد الهجاء عندهم.

أبو البلاد الطهوي:

وإنا وجدنا الناس عودين طيبا ... وعودا خبيثا لا يبض على العصر

يزين الفتى أخلاقه وتشينه ... وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري

بشامة بن الغدير:

قالت أمامة يوم برقة ضاحك ... يا بن الغدير لقد جعلت تغير

أصبحت بعد زمانك الماضي الذي ... ذهبت بشاشته وغصنك أخضر

شيخا دعامتك العصا ومشيعا ... لا تبتغي خبرا ولا تستخبر

الحارث بن حلزة:

لا أعرفنك إن أرسلت قافية ... تلقي المعاذير إذ لم تنفع العذر

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

إن السعيد له في غيره عظة ... وفي التجارب تحكيم ومعتبر

مالك بن تاجرة العبدي ورويت لغيره:

ونحن بنو الفحل الذي سال بوله ... بكل بلاد لا يبول بها فحل

أبى الناس والأقوام أن يحسبوهم ... فكل كثير عند قلهم قل

ومثله قول الآخر:

أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب

وأما قوله:

وإن غضبوا سدوا المشارق بالقنا ... وبالبيض تمضيها غطارفة بسل

فقد تناوله بشار فقال:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا قناع الشمس أو مطرت دما

وما أقربه من قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... رأيت الناس كلهم غضابا

حارثة بن بدر الغداني:

هو الشمس إلا أنه للشمس غيبة ... وهذا الفتى العمري ليس يغيب

يروح ويغدو ما يفتر ساعة ... وإن قيل ناء منك فهو قريب

هذا مثل قول أخت المنتشر ترثيه:

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... من كل أوب وإن لم يغز ينتظر

مثله قول عروة بن الورد:

مطلا على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر

إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوف أهل الغائب المتنظر

ما نعرف شيئا من الشعر القديم ولا المحدث يلحقه من العيب على تقدم صاحبه وإجماع العلماء على تفضيله في الشعر وحذقه به مثل هذه الأبيات وهي للكميت بن زيد يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي:

فاعتتب الشوق من فؤادي والشع ... ر إلى من إليه يعتتب

إلى السراج المنير أحمد لا ... تعدلني رغبة ولا رهب

عنه إلى غيره ولو رفع النا ... س إلي العيون وارتقبوا
وقيل أفرطت بل قصدت ولو ... عنفني القائلون أو ثلبوا
إليك يا خير من تضمنت ال ... أرض ولو عاب قولي الءيب
لج بتفضيلك اللسان ولو ... أكثر فيه اللجاج والصخب." (١)
"مثل قول جرير:
أحن إلى نجد وبالغور حاجة ... فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا
جميل:
ألا إنني راض بما فعلت جمل ... وإن كان لي فيه الصبابة والخبل
رضيت به منها فأجور فعلها ... لدى الناس عندي من رضاء به عدل
وكروا علي العذل فيها فإنني ... رأيت الهوى فيها يجدده العذل
وما كان حبيها لبذل رجوته ... لديها فأخشى أن يغيره البخل
مثله قول الآخر:
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكراك فليلمني اللوم
ليلى ابنة مر الميدعانية:
لو ميدعان دعا الصريخ إذا ... قرع القسي سواعد سعر
قوم إذا حضروا الهياج فلا ... ضرب ينهنههم ولا زجر
حمر العيون لدى لوائهم ... يتربدون كأنهم نمر
وكأنهم آساد محنية ... عريت وبل متونها القطر
أنذرت عمرا وهو في مهل ... قبل الصباح فقد عصى عمرو
وإذا أمرت وقد نصحت ولم ... يسمع لأمرك لم يكن أمر
المرار الفقعسي:
يمشين وهنا وبعد الوهن من خفر ... ومن حياء غضيض الطرف مستور
إذا انتسبن ذكرن الحي من أسد ... منزهات عن الفحشاء والزور
يحملن ما شئت من دين ومن حسب ... وما تمنين من خلق وتصوير

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٩٤/١

غر منعمة يضحكن عن برد ... تممن في أي تبتيل وتخصير

لا يلتفتن ولا ينطقن فاحشة ... ولا يسائلن عن تلك الأخابير

وله:

أيقظتهن وما قضت نوماتها ... نجل العيون نواعم الأبشار

بيض يزينها النعيم كأنها ... بقر الصريم عوانس وعذاري

وكفى حداثتها عفاف جيوبها ... رغب العيون رعية المغيار

ينفحن بالآصال كل عشية ... نفح الرياض بحنوة وعرار

ابن الدمينة:

ألا حبذا الماء الذي قابل النقا ... ويا حبذا من أجل ظمياء حاضره

إذا ابتسمت ظمياء والليل مسدف ... تجلى ظلام الليل حين تباشره

ولو سألت للناس يوما بوجهها ... سحاب الثريا لاستهلت مواطره

مثله لكثير:

رمتني على فوت بثينة بعدما ... تولى شبابي وارجحن شبابها

بعينين نجلاوين لو رقرقتهما ... لنوء الثريا لاستهل سحابها

ولكنما ترمين نفسا سقيمة ... لعزة منها صفوها ولبابها

من أجود ما وصف به القواد قول الفرزدق:

وآلفة برد الحجال احتويتها ... وقد نام من يخشى عليها وأسحرا

تغلغل وقاع إليها فأقبلت ... تجوس خداريا من الليل أخضرا

لطيف إذا ما انسل أدرك ما ابتغى ... إذا هو للظبي الغرير تقترا

يزيد على ما كنت أوصيته به ... وإن أنكرته لان ثمت أنكرا

وبتنا بثوبينا الفرندين نستقي ... لثات ومن لم يرو منا تغمرا

وبتنا كأن الماء يجري حبابه ... بنا حين جاء الماء أو حين أدبرا

أما قوله " يزيد على ما كنت أوصيته به " البيت، فمثل قول عمر بن أبي ربيعة:

ترفع الصوت إذا لانت لها ... وتراخي عند سورات الغضب

وبيت عمر أجود لفظا ومعنى وفي بيت الفرزدق زيادة وهي: " يزيد على ما كنت أوصيته به ".

الأعور الطائي:
قفا فانظرا هل يرفع الآل رفعة ... لنا نخلتي وادي النقا فنراهما
هما نخلتان طالتا وارجحنتا ... وطاب بربعي الثرى مغرساهما
ظلالرهما تشفي من الداء والجوى ... ويشفي من الخبل الطويل جناهما
ذو الإصبع الطائي:
لقد كنت لاقيت العناء من الصبا ... وبرح بي بخل الغواني وجودها
ويقتادني والله يغفر ما مضى ... إليهن أخدان الصبا وأقودها
الحريش بن مرة الأزدي:
إذا ما التقينا أنطقتنا رماحنا ... وليس لها في كل ما فعلت خبر
وطلقت إن لم تسألي أي عصبة ... غداة التقينا في أسنتنا الجمر
الشمردل اليربوعي:
ثم استقل منعمات كالدمى ... نجل العيون رقيقة الأكباد
كذوب المواعد ما يزال أخو الصبا ... منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال خبالهن تجلبا ... عقل الشديد وهن غير شداد
والحب يعطف بعد هجر بيننا ... ويهيج معتبة لغير تعاد
ابن الدمينة:
ألا ليتنا كنا طريدين في دم ... يطالبنا قوم شديد تبولها
فنخفى على حدس العدو وظنه ... ويحرزنا عرض البلاد وطولها
أشعارهم في الأماني أكثر من أن تلحق وتصرفهم فيها أوسع من أن يجمع وقد كتبنا منه شيئا قبل هذا الموضع، ومما لم نكتبه قول العباس ابن الأحنف:
ألا ليتنا نعمى إذا حيل بيننا ... وتنشا لنا أبصارنا حين نلتقي
أضن على الدنيا بطرفي وطرفها ... فهل بعد هذا من فعال لمشفق
هذا مأخوذ من قول جميل:
ألا ليتني أعمى أصم تقودني ... بثينة لا يخفى علي كلامها
إلا أن جميلا لم يدع عليها بالعمى بل على نفسه إشفاقا عليها.

ومثل المعنى الأول في المنى قول الآخر:

فبت أراعي النجم حتى كأنما ... بناصيتي حبل إلى النجم موثق

وما طال ليلي غير أني بوعدها ... أعلل نفسي بالأماني فتقلق

ومثله لآخر:

ولي من نجي النفس دنيا عريضة ... ومنتصح يعدو علي فيطرق

فقدت المنى لا نحن نلهو عن المنى ... لتجربة منا ولا هي تصدق

ومن أجود ما قيل في المنى قول مسلم:

في المنى راحة وإن عللتنا ... من هواها ببعض ما لا يكون

ما دعاني الهوى إليك ولكن ... باسم داعي الهوى عنتني المنون

أتراني سررت بعدك يوما ... ليس قلبي إذا عليك حزين

وإذا ما قنعت باليأس منها ... نصبت شبهة علي الظنون

ومن جيد هذا المعنى أيضا قول ابن المعتز:

أما في الليالي أن تعود ونلتقي ... بلى في الليالي سهلها وحزونها

إذا كان يحلو فيكم كذب المنى ... إذا ما ذكرناكم فكيف يقينها

مثله قول ابن ميادة:

أبيت أمني النفس من لاعج الهوى ... إذا كاد برح الشوق يتلفها وجدا

منى إن تكن حقا تكن أفضل المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أماني من سعدى عذابا كأنما ... سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا

ألا حبذا سعدى على فرط بخلها ... وإخلافها بعد المطال لنا الوعدا

عبد الله بن موسى:

ألم تعلمي يا ضل رأيك أنني ... لوصل الغواني متلف ومفيد

وإني لمطروق المياه ورنقها ... عيوف وللعذب الفرات ورود

وإن رجوعي عند أول مرة ... إذا عبت أخلاق الصديق بعيد

الأعور الشني:

يا أم عقبة سمعا إنني رجل ... إذا النفوس ادرعن الرعب والرهبا

لا أمدح المرء أبغي فضل نائله ... ولا أظل أداريه إذا غضبا

ولا تريني على باب أراقبه ... أبغي الدخول إذا بوابه حجبا

شريح بن أوس يصف الغبار من ركض فرس:

فانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

يخفى وأحيانا يلوح كما ... رفع المشير بكفه لهبا

الأزرق بن المكعبر:

وتنفر من عمرو ببيداء ناقتي ... وما كان ساري الليل ينفر من عمرو

لقد حببت عندي الحياة حياته ... وحبب سكنى القبر مذ صار في القبر

ومثل بيته الأول بيت الآخر وهو حسان يخاطب ناقته ونفرت عن قبر ربيعة بن مكدم الكناني:

نفرت قلوصي من حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وهوب

ومثل هذا المعنى بل أزيد منه قول الأشقري وقد مر بقبر المهلب بن أبي صفرة فنفرت ناقته فقال:

لحاك الله يا شر البرايا ... أعن قبر المهلب تنفرينا

فلولا أنني رجل غريب ... لكنت على ثلاث تحجلينا

قماص بن وربل:

وأنت الذي نجيتني من عظيمة ... وأطلعتني للسهل من مطلع وعر

فإلا يدلني الدهر منك جزاءها ... فعندي جزاء من ثناء ومن شكر

إذا أنا لم أنفع صديقي ولم يبت ... عدوي على ضيم فغيبني قبري

أبو الوليد الكناني:

أسر بمر يوم بعد يوم ... وبالحولين والعام الجديد

وأفرح بالمحاق وبالدآدي ... يسقن البيض في أكناف سود

وفي تكرارهن نفاد عمري ... ولكن كي يشب أو يزيد

غلام من سراة بني لؤي ... منافي العمومة والجدود

مثله:

يقر بعيني وهو ينقص مدتي ... ممر الليالي أن يشب حكيم

مخافة أن يغتالني الموت قبله ... فيغشى بيوت الحي وهو يتيم

جابر بن عرفجة:

اصبر على قحم النوائب مثل ما ... صبرت لها آباؤك الأشراف

الناجلوك فلا يفيل سليلهم ... ومن الحديد تقطع الأسياف

هذا مثل قول المحدث:

أنت غصن من ذلك المنبت ال ... زاكي ونصل من ذلك الفولاذ

أبو الجويرية العبدي:

أنخنا بفياض اليدين يمينه ... تبكر بالمعروف ثم تروح

ويدلج في حاجات من هو نائم ... ويوري كريمات الندى حين يقدح

يزيد على سرو الرجال بسروه ... ويقصر عن مدح من يتمدح

يمد نجاد السيف حتى كأنه ... بأعلى سنامي فالج يتطوح

يلقح نار الحرب بعد حيالها ... ويخدجها إيقاعه حين تلقح

طريح الثقفي:

ما كنت أحسب أن بحرا زاخرا ... عم البرية كلها الدأداء

أضحى دفينا في ذراع واحد ... من بعد ما ملأ الفضاء علاء

إلا عطاياه الجسام فإنها ... فضحت بأدنى جودها الأنواء

هذا مثل قول الأشجع:

عجبا لخمسة أذرع في بعضها ... ضمت على جبل أشم رفيع

مثله لأبي تمام:

وكيف احتمالي للسحاب صنيعة ... بإسقائها قبرا وفي لحده البحر

وأيضا قول ابن مطير:

ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

الفرزدق:

يقولون زر حدراء والترب دونها ... وكيف بشيء وصله قد تقطعا

ولست وإن عزت علي بزائر ... ترابا على مرموسة عاد بلقعا

وأهون مفقود إذ الموت غاله ... على المرء من أخدانه من تقنعا

وأيسر رزء لامرئ غير عاجز ... رزية مرتج الروادف أفرعا

تهز السيوف المشرفيات دونه ... حذارا عليه أن يذل ويفزعا

ولا يشهد الهيجا ولا يحضر الندى ... ولا يصبح الشرب المدام المشعشعا

بلى يلد النائي الشطير محله ... ويورثه المال التليد الممنعا

مثله:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

على معاني هذا الشعر عول البحتري في الشعر الذي عزى به أبا نهشل بن حميد عن ابنته والمعنى منه هذا:

أتبكي من لا ينازل بالرم ... ح مشيحا ولا يهز اللواء

لسن من زينة الحياة لعد ال ... له فيها الأموال والأبناء

قد ولدن الأعداء قدما وورث ... ن التلاد الأقاصي البعداء

ولعمري ما العجز عندي إلا ... أن تبيت الرجال تبكي النساء

ومثله قول السليك بن السلكة في امرأة من قومه:

ونبئتها حرمت قومها ... لتنكح من معشر آخرينا

فإن البعيد ليحظينه ... تلاد القريب من العالمينا

ولست ينازلن يوم الوغى ... ولا يتصدين للدارعينا

فطوفي لتلتقطي مثلنا ... وأقسم بالله لا تفعلينا

إذا الخيل أكرهن في غمرة ... من الموت يعرين فيها عرينا

نما مثلنا حين تهفو الشمال ... ويغلو القتار على المشترينا

ولكن لعلك أن تنكحي ... لئيم المركب خبا بطينا

فإما نكحت فلا بالرفاء ... ولا بالسرور ولا بالبنينا

وزوجت أشمط في غربة ... تجن الحليلة منه جنونا

خليل إماء تقسمنه ... وللمحصنات ضروبا مهينا

يريك الكواكب نصف النهار ... وتلقين من بغض الأقورينا

كأنك من بغضه فاقد ... ترجع بعد حنين حنينا

معد بلا زلة تفعلين ... لظهرك بالظلم سوطا متينا

كأن المساويك في شدقه ... إذا هن أكرهن يقلعن طينا

وقلبت طرفك في مارد ... تظل الحمام عليه وكونا

فأبعدك الله من جارة ... وألزمك الله ما تكرهينا

في ألفاظ هذا الشعر بعض التخلف وإنما كتبناه لما فيه من المعنى الذي قدمنا ذكره ولأن هذا المعنى قليل في الشعر جدا.

ولما قال مضرس:

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت ... بأجذال خشب زال عنها قشيبها

سمع ذلك زياد الأعجم فقال: وما حيزوم النعامة؟ لعن الله هذه من قدر فما أحسبها تشبع عيال مضرس، فقيل له: كيف تقول أنت؟ قال: أقول أنا:

وقدر كجوف الليل أحمشت غليها ... ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل

لو ان بني حواء حول رمادها ... لما كان منهم واحد غير مصطل

وله أيضا في مثل هذا المعنى:

بوأت قدري موضعا فجعلتها ... برابية ما بين ميث وأجرع

جعلت لها هضب الرجام وطخفة ... وغولا أثافي هضبها لم تنزع

وقدر كجوف الليل يبعد قعرها ... ترى الفيل فيها طافيا لم يقطع

نعجل للأضياف واري سديفها ... ومن يأتها من سائر الناس يشبع

مثله لطفيل، بالوقود:

إذ استحمشوها بالوقود تغيظت ... على اللحم حتى تترك العظم باديا

خليلة طراق الظلام رغيبة ... تلقم أوصال الجزور كما هيا

مثله للأسدي:

وسوداء لا تكسى الرقاع نبيلة ... لها عند قرات العشيات أزمل

إذا ما قريناها قراها تضمنت ... قرى من عرانا بل تزيد فتفضل

مثله للكميت:

نصبنا لهم دهماء ذات هماهم ... طويلا بأفناء البيوت ركودها
لها موقدان دانيان وواقف ... يخاف اطلاع غليها فيذودها
إذا صدرت عنها رفاق برزقهم ... تعود رفاق بعدهم فتعيدها
مثله للفرزدق:
وضيف بلحن الكلب يدعو ودونه ... من الليل سجفا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو أن ينبه إذ دعا ... فتى كابن ليلى حين غابت نجومها
بعثت له دهماء ليست بناقة ... تدر إذا ما هب نحسا عقيمها
كأن المحال الغر في حجراتها ... عذارى بدت لما أصيب حميمها
محضرة لا يجعل الستر دونها ... إذا المرضع العوجاء جال بريمها
وله في غير هذا المعنى:
لقد خفت حتى لو أرى الموت مقبلا ... ليأخذني والموت يكره زائره
لكان من الحجاج أهون روعة ... إذا هو أغضى وهو سام نواظره
أدب ودوني سير شهر كأنني ... أراك وليل مستحير عساكره
ذكرت الذي بيني وبينك بعدما ... رمى بي من نجدي تهامة غائره
ولو أن ركبت الريح ثم طلبتني ... لكنت كشيء أدركته مقادره
البيت الأخير من هذه الأبيات جيد المعنى نهاية في المخافة والأصل فيه بيت لم يلحق جودة وفصاحة وصحة وهو بيت النابغة:
فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
كل من تعاطى اللحاق بهذا البيت قصر دونه. وقد تعاطاه جماعة من الشعراء فلم يقعوا قريبا منه، فمنهم الفرزدق وقد ذكرنا شعره، ومنهم محمد بن عبد الله النميري وهو الذي كان يشبب بأخت الحجاج، فلما أخافه هرب فلم تقله الأرض فرجع إلى الحجاج وقال:
هاك يدي ضاقت بلادي برحبها ... وإن كنت قد طوفت كل مكان
فلو كنت في جو السحاب محلقا ... لخلتك إلا أن تصد تراني
ومثله قول بعض بني أبي حفصة، لعنهم الله، في إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وقد هرب من المنصور فأوقع عليه الحيلة حتى قتله، رضي الله عنه وعن آبائه، والذي قتله

ابن الأغلب في خبر طويل أردنا المعنى منه، وهو:
أتظن يا إدريس أنك مفلت ... كيد ابن أغلب أو يقيك فرار
فليدركنك أو تحل ببلدة ... لا يهتدي فيها إليك نهار
مثله قول سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي:
إني أتتني عن المهدي معتبة ... تظل من خوفها الأحشاء تضطرب
اسمع فداك بنو حواء كلهم ... فقد يحور برأس الكاذب الكذب
مولاك مولاك لا تشمت به أحدا ... فما وراءك لي ذكر ولا سبب
ولو ركبت عنان الريح أصرفها ... في كل ناحية ما فاتك الطلب
عبد الله بن نافع:
وكنا إذا الناس هاجوا بنا ... وسنوا الشقاق سننا الشقاقا
فإن فاء قوم إلى صلحنا ... رجعنا كراما إذا الأمر ضاقا
فنحلو مرارا ومرا نمر ... فلا يجد الناس فينا مذاقا
أم الكميت العدوية ترثي ابنها:
لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكناف حزوي من سماح ونائل
ومن وقعات بالرجال كأنها ... إذا عيت الأقوال وقع المناصل
مثله لبعض شعراء بكر بن وائل يرثي بسطام بن قيس:
لأم الأرض ويل ما أجنت ... غداة أضر بالحسن السبيل
رافع الأسدي وكان جنى جناية فطلبه الحجاج فهرب وقال:
تهدد رويدا لا أرى لك طاعة ... ولا أنا مما ساء وجهك معتب
لعلك يوما أن تراني مدججا ... بحيث يرى حامي الحقيقة محرب
هنالك تلقاني ضحى إن لقيتني ... وفي السيف لي نصف وفي الحق مغضب
ابن وابصة الثقفي:
أهين لهم مالي وأعلم أنني ... سأورثه الأعداء سيرة من قبلي
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم ... لهم عند أزمات الشتاء فتى مثلي
أبو الأشهب الوالبي:

أقول وقد أضمرت وجدا كأنه ... بأكناف حضني الوشيج النواشب
أمت حب ليلى موت نفس عزيزة ... عليك أصابتها المنايا الشواعب
الصمة القشيري:
رأتني الغواني قد ترديت شملة ... وأزرت أخرى فازدرتني عيونها
وفي شملتي لو كن يدرين سورة ... من الجهل مجنون بهن جنونها
رجام بن علي الصيداوي:
تأوهت من ذكرى أميمة بعدما ... مضى زمن بعد اللمام طويل
تأوه مغلول بكبلين يدعى ... عليه بإثبات العدول قتيل
ليلى بنت منظور العبدية:
عيرتني يا أخي أن كنت قاتله ... ولست أول عبد ربه قتلا
وقد دعاك غداة المرج من ملك ... إلى البراز فلم تفعل كما فعلا
فلا عدمت امرأ هالتك خيفته ... حتى حسبت المنايا تسبق الأجلا
مثله قول حسان:
لا تعدمن رجلا أحلك خوفه ... نجران في عيش أحذ ذميم
مالك بن حلاوة العذري:
يا ليت هامة قنفذ بن مخاشن ... شهدت مراجف خيلنا بالأجول
لا تحسبن أنا نسينا مدركا ... كلا لعمري إننا لم نفعل
إنا على ما قد علمت وإننا ... ناس خلقنا من صلاب الجندل
كثير:
جرى ناشئا للخير في كل حلبة ... فجاء مجيء السابق المتمهل
أشد حياء من فتاة حيية ... وأمضى مضاء من سنان مؤلل
هذا قول ليلى:
فتى كان أحيا فتاة حيية حميد ... وأشجع من ليث بخفان خادر
هذا مثل قول:
فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وعند طراد الخيل كالأسد الورد

وسنى بنت عامر الأسدية وهذه الأبيات من أطبع أشعارهم وأغربها معنى، بل ما نعرف في صفة الجدب والخصب مثلها، وهي:

ألم ترنا غبنا ماؤنا ... زمانا فظلنا نكد البئارا

فلما جفا الماء أوطانه ... وجف الثماد فصارت حرارا

وضجت إلى ربها في السماء ... رؤوس العضاه تناجي سرارا

وفتحت الأرض أفواهها ... عجيج الجمال وردن الجفارا

فقلنا أعيروا الندى حقه ... وصبر الحفاظ وموتوا حرارا

فإن الندى لعسى مرة ... يرد إلى أهله ما استعارا

فبينا نوطن أحشاءنا ... أضاء لنا عارض فاستطارا

وأقبل يزحف زحف الكسي ... ر سوق الرعاء البطاء العشارا." (١)

"هل دواء يا قوم للمتيم المضني ... سوى من عليه طال ضناه

هل طبيب وراحة لكئيب ... أو رحيم دعى له بشفاه

ليس قولي هذا لعافية القلب ولكن لكي يحف عناه

هل دليل على الطريق لصب ... لكي يحسن الإله جزاه

من يرى للمريض منج من السقم سوى من لديه عز دواه

كم وكم أكثر العطاس ليدعو ... لفؤادي برحمة من شفاه

بأبي من عليه كل اعتمادي ... لأن ما بعده من بلاه

صاغه الله من بدائع زهر ... وبراه لشقوتي إذ يراه

قلت وصلي يا ابن الكرام حرام ... قال أيها أيها ودام جفاه

فإلى الله أشتكي ما ألاقيه ... بمن قد أذاب قلبي هواه

هل رسول إليه يخبره ما قد ... لقيه قلبي لطول نواه

إن أقل جد، قال اصطبر ... لست بالحامد يا من علي طال بكاه

ومن ذلك:

يا شوم جد للمتيم الدنف ... إن صد من شفه ولم يقف

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان ٩٨/١

أقول والعسر من جداتهم ... عرجوا علي يعجبني الكلف

وصلي رباح فيا معذبتي ... تداركي فيض دمعي الذرف

بالله يا معدن السماح أما ... **ترثين** يوما للهائم الدنف

تداركيه فما عليه إذا ... ناح ملاما يا درة الصدف

وراقبي الله في فتى دنف ... رثته أسقامه من النحف

صلي، فوصلك يا عتب يسعدني ... وعجز مثلي من أكبر الجنف

والله والله يا معذبتي ... إبي بمن لام غير معترف

فهل رسول مبلغ فهم ... يحمل ما بيننا من الصحف

يصدق إن قال في مقالته ... حر من الناس طيب السلف

ومن ذلك:

عن غير ما سبب أعرضت يا سكني ... وأنت مني مكان العين والأذن

قد والنبي شجاني طول هجرك لي ... فاصفح عن موجع القلب الفتى الفطن

وجد بوصلي فإني غير مصطبر ... يا من حكى الظبي جيدا كم تعذبني

فراقب الله في هجري فلي كبد ... قد ذاب أكثرها من فارط الحزن

يا من عليه اعتمادي ما السداد سوى ... وصلي لتنقذني من شدة المحن

كم لائم لامني جهلا وقال أفق ... من الوقوف على الأطلال والدفن

ومن ذلك:

قلت قد ذبت قال كفكف عن النوح والبكا

هل رسول إلى الذي لفؤادي تملكا

حسبي الله قد شكوت إلى غير مشتكا

... محرم عليه لما تنسكا

أشهد الله ما لعيني إلى النوم مسلكا

يا غزالا عليه أهلك لا ذقت فقدكا

أيها المؤمن المعذب لي لست مثلكا

لي دمع مرأة يا سيدي طول هجركا

ألها المؤمن الموفق رفقا بعبدكا

ومن ذلك:

جسمي ما يبرا من السقم ... والقلب ما يخلو من الغم

يا سيدا بلا جرم ... وصلك لي يذهب بالهم

ومظهر النسك بلا عفة ... وخاضب اللحية للظلم

أسرع في لومي فناديته ... تسريح رقى أكبر الغنم

أقر على حبي السلام الذي ... على الليالي أبدا ينمي

وقل له يا من عليه البكا ... طاب، أجر قلبي من السقم

محبك الصادق في وده ... يسألك العفو عن الجرم

قال أجرني يا أجل الورى ... فقد تروعت من الصرم

ومن ذلك:

ما جرت عبرتي على الأطلال لكن ... على قاتلي بفرط الدلال

يا عذولا، هوانا ما ألاقيه ... ولا تعجبا لفرط الهزال

يا عذولي نأى حبيبك حتى ... يتمنى طروق طيف الخيال

يا عذولي أحبب بطيف سري ... بعد صد وفرقة وقلال

آه وا حسرتي عليه لقدكا ... ن وصولا وصد بعد الوصال

بدر تم قد يشهد الله أني ... مستهام به شديد الخيال

لست أدري على م حرم وصلي ... وبرى أعظمي كبري الخلال

لو رعى حرمة الوداد إذ رعا ... هـ الله أغنى عن ذل السؤال

ليس لي شافع إليه فأحظى ... بمناي ولا رسول بحال

دع ملامي في حبه يا عذولي ... وأعذني من طول قيل وقال

ومن ذلك:

سمع الله دعوة المسكين وأقال الإله كل حزين

يا عذولي ماذا عليك إذا بحت بما بي إلى رسول قرين

لو تراني بكل ربع أنادي أنا والله في ضلال مبين

كل يوم يحدث الناس أني ... رد وصلي من كان غير خؤون." (١)

"ماذا عليه لا زال ذا خبل ... كمثل حالي في شدة الخبل

على فؤادي السلام إذ هجرت ... من هي مثل القضيب في الميل

ولوجه بدر والفرع كالعنب الجثل وتحكي الكثيب بالكفل

تزها بخال كأنه السيح الأسود في وردة من الخجل

يا ليت طيفا لها يواصلني ... يذهب ما بي من شدة الوجل

سرور قلبي أن واصلت ودنت ... والغم إن هاجرت ولم تصل

ومن ذلك:

أعن زلة أعرضت أم أنت عاتبة ... فأعتبكم إن كنت في لوصل راغبة

أبيني على أي الأمور صرمتني ... وأنت لكل الخير والفضل طالبة

لقد قال قوم إذ رأو فرط لوعتي ... ولي مقلة تنهل بالدمع ساكبة

أبعد ثلاث للنوى فهت بالهوى فلا وعيس البيد بالصبر ذاهبة

وفي العيس عين كن يذهبن بالأسى ... إذا زرت واللذات بالوعد كاذبة

أعاذل ما بالبلغم الرطب خيفة ... فمن أجله يهذي ونفسك لاعبة

أتاني كتاب لو قراه متيم ... لا بعده ما فيه عن كل صاحبه

فضلت وتكرار القران مؤنسي ... أحاذر أسقاما إلى القلب آيبة

ويعذلني قوم رأوا كل لوعة ... أبوح بها زورا بخود مجانبة

إذا ذكر الناس اللبان ترعرعت ... قواي لذكر البين فالنفس لاعبه

تذكرتكم والذكر غير مفارقي ... فذابت له نفسي أسى وهي ذائبة

أغص بشرب المزن والعسل الذي ... يلذ به الشراب فالنفس كاذبة

ومن ذلك:

أذكر فديتك ما لقيت من جهد ... ولا ترعني بطول الصد والبعد

عسى العلي يرى ذلي ومسكنتي ... فيحتبيني فأحظى منك بالقود

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/١١

يا من عليه مدى الأيام معتمدي ... كن راحمي من ضرام النار في الكبد
مني السلام على صبري فلست أرى ... لي يا هديت على الهجران من جلد
يا من على حب من أهواه يعذلني ... لازلت دهرك ذا غيظ من الحسد
قد أكثر الناس من لومي على عضدي ... أفديه أفديه من عوذ ومن عضد
من عاين الناس في الدنيا أخا دنف ... له كصبري على التعذال والفند
شكوت ما بي فقال الحب مت كمدا ... فقلت حسبك ما ألقى من الكمد
أما تراني في هم وفي حزن ... ما أستفيق ولا أعرى من السهد
والدار أولادها إن أزمعوا فرحا ... يعوقهم صرفها كن ذاك بالكمد
يا سادتي فيلام الصب إن ضعفت ... منه القوى بعد نفث السحر في العقد
يا أيها الرجل اللاحي على كلفي ... بحسن ثغر نقي اللون كالبرد
علام تلحا على ظبي كشمس ضحى ... يزهى بقد كغصن البان في الميد
ويلاه من حب من كالبدر طلعته ... والمسك نكهته والريق كالشهد
ما رامه أحد بالعذل في بعد ... ألا وغادره في حال مضطهد
ومن ذلك:
ياذا الذي في حسنه عذري ... إن أكثر العذال من زجري
هل ترتضي شكري أباديك ... ويتبعها ما يقتضي شكري
يا سيدا تجفو بلا زلة ... وترى وصلي من الكبر
إن كنت أذنبت على غرة ... ذنبا فكفارته هجري
ياذا الذي يسطو على عبده ... بضرية بالبعد والغدر
أردت يا مولاي إعلامه ... أنك لا **ترثي** لذي ضرر
مالي على الهجران يا سيدي ... من بعد طيب الوصال من صبر
مولاي ما ينفك حلف الضنى ... من روحه في قبضة الأسر
لا تجفني يا من له صورة ... تجل عن شمس وعن بدر
فراحتي بذل السلام الذي ... تبذله للعبد والحر
يا من عليه أبدأ أدمعي ... تسح مثل الوابل القطر

مالي على هجرك من طاقة ... يا مخجل البانة بالخطر

أقال رب الناس من رق لي ... زلته في موقف الحشر

ومن ذلك:

قال عذولي وقد رآني ... أجود بالمدمع السكوب

صد علي غير ما اجترام ... الفك هذا من العيوب

فنح عليه ولا ملوما ... وأي لوم على الكئيب

على السلو السلام يا من ... روعه الدهر بالخطوب

فقلت من لي برد قلبي ... بلحظ طرف من الحبيب

لا كان يا قوم من نهاني ... ظلما عن الشادن الربيب

لو كان من لامني سفاها ... يؤمن بالشاهد القريب

لكان بالله مستجيرا ... من كمد مسقم مذيب." (١)

"إنه يقبح الكذب ... كيف تجشو بلا سبب

قد نعاني بلا سبب ... أحسن العجم والعرب

وإذا صد واحتجب ... فدع الدمع ينسكب

لا تقل صد واحتجب ... إنما كان لي سبب

بأبي أنت ما السبب ... الذي أوجب الغضب

قد جفاني بلا سبب ... أحسن العجم والعرب

ليس صبر الفتى عجب ... وبه يأمن العطب

ذا تجنيك والغضب ... كل يوم بلا سبب

وهذا آخر ما أوردناه والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن ذلك:

طال الضما إلى خود منعمة ... كبدر تم على بان من القضيب

فظلت من شدة الخوف المبرح بي ... أصيح بالويل بين الناس والحرب

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٢٤

متى يلم فيشفي ما أكابده ... خيالها من أليم السقم والوصب

وزادني ألما قول الوشاة لها ... عديه وصلا يرجيه بلا كذب

أقول هذا مقام الصب فاحتكمي ... فيه بما شئت من جد ومن لعب

يا من يقوم مقام الموت هجرتها ... يا أحسن الناس من عجم ومن عرب

ماذا يغرك لو أحسنت ظنك بي ... وجدت بالوصل بعد الهجر والغضب

ظن النساء بأني الصب ذو جلد ... هيهات ليس بصبار على الكرب

وأخجلت من كلام الحاسدين لها ... وقولهم فيم لا **ترثين** للعطب

عديه عن كنت تنوين الوفاء له ... خيرا ولا تركبي في جحفل لجب

من الصدود فما الأعراب تفعل ما ... فعلت بالصب عند الفوز بالسلب

في بعض سقمي لهل العقل معتبر ... وفي صدورك عن شكواي يا بأبي

وقال قوم دع الشكوى فما هجرت ... إلا لقتلك أو صدت بلا سبب

ومن ذلك:

نهاني عن مجالسة الأنام ... منامي كي أدوم على غرامي

ولي شغل عن الإخوان طرا ... لما بالجسم من فرط السقام

فمالي نزهة إلا بكائي ... وطول تلذذي جوف الظلام

أظن العقل سوف يبد مني ... لما أبديه من طول الهيام

ومن ذلك:

أسيل الخد يسحر بالمحاجر ... غريب الحكم في الأحكام جائر

لقلبي والنبي عليه نار ... وقتل الصب سلطان الجآذر

رأى وصلي حراما فأنقاني ... لذاك الهجر عند ذوي البصائر

أما والله لو أسطيع صبرا ... صبرت وعدل مثلي غير صابر

بكيت عليه من حرق لأني ... أكلمه فيسكت فعل هاجر

إبن لي يا فديتك أي جرم ... له قال المعنف أنت عاذر

أترغب في الجهاد فدتك نفسي ... وأفضل منه وصلك لي فبادر

ومن ذلك:

من ذا يساعد من دامت صبابته ... على البكاء فقد قامت قيامته
أكثرت عذلك من يغريه عذلكم ... أيضا ومثلي لا تغنى ملامته
يا من زيارته تحي النفوس أجر ... صبا كئيبا فقد طالت إقامته
لو قيل ما تتمنى قلت زورة من ... كالبدر طلعته والغصن قامته
نفسي الفدا لمن بشاشته ... في الحب غذ عظمت فيه فضاضته
ومن ذلك:
عن غير جرم نأت فوا أسفي ... أوقفتني حبها على التلف
ما بي على ما لقيت من جلد ... أحنى على مهجتي من الدنف
قد قال قوم وأدمعي سكب ... واها لهذا وجسمه النحف
قلت عليكم بترك لومكم ... كفى ما بي من فارط الأسف
أبيت لا بات من كلفت به ... بمثل ما بي من شدة الكلف
قد وكل القلب بالغرام فمن ... يخجل قد الغصون بالهيف
خود كان التفاح وجنتها ... وريقها كالمرام في الرشف
تبا لقلبي فإنه سبب ... إلى هلاكي بكثرة الخلف
هل من نصوح أشكو إليه فقد ... وقفت منها على شفا جرف
ها أنا يا سادتي بديع أسى ... على بديع في التيه والصلف
يا معدن الحسن جد بمغفرة ... معدن السقم فيك والأسف
آه على ظبية تريق دمعي ... درة نحر من خالص الصدف
ومن ذلك:
أيا صبري فما أسطيع صبرا ... وذاك لأنني خالفت ضرا
إذ أجل الذي أخفي وأبدي ... من البلوى دعوت الله جهرا
أكف الناس عن عذلي ولومي ... وأنت أراك مما بي مقرا
أعاذل ما أطرا العذل يسلي ... محبا لا ولا يثنيه قهرا." (١)

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٥٣

"ثلاثة أيام لنعم تقول إلى ... لك الويل لم تبد لتائهة صدا

ومن ذلك:

عجبت لنزف الدم من فعلة الصب ... على ما يقاسيه من الضر والكرب

وفي الدم غذ يجري مع الدمع راحة ... لباك بكى شجوا على فرقة الحب

فيا عاذلي هل يؤخذ الصب عنوة ... بصبر وهل صبر لمختبل القلب

أليم الهوى زاج على كل حالة ... وضر الهوى يبقى على الدنف الصب

يلوم العذول الصب جهلا بحبه ... فيسحق منه القلب بالخوف والرعب

ويعلم أن الصب يضعف قلبه ... ويعجز عن صبر على البعد والقرب

ومن ذلك:

إذا كان المعشوق مخل بقربه ... فعشاقه في ضنك عيش وفي جدب

فيا عاذلي عن كنت ترحم مغرما ... وتحمله إن ظل يشكو جوى الحب

فخذ خبري إن الرباب تعطلت ... فديتك في المرآة في ساعة الحب

فتاهت بصدغ فوق خد مورد ... بصورة بدر لاح في الشرق والغرب

فآفة جسم الصب فرط نحوله ... كما آفة الدمع التواصل بالسكب

ومن ذلك:

خل عن لومي وعن فندي ... فكفى ما بي من الكمد

هل على بدر كشمس ضحى ... ثغره أنقى من البرد

ظلت تلحاني عليه وقد ... زاده شكواي في البعد

فعلى قلبي السلام فلي ... جسد يبلى على الأبد

قال لي من ذكره أبدا ... سائر بالفضل في البلد

لك من وصلي فنونا أبدا ... ما يحس القلب فاتئد

قيدني للحب في مسد ... منك والرجلين في صفد

وأرى طرفي سيورد مهلكا بالناس في رعد

ففؤادي فيه جمر الغضا ثابت والراحم الصمد

ومن ذلك:

قال جار في هواك عذولي ... قلت لا علم للفتى المسؤول

إن بعض الجواب فيه شفاء ... ليس معروف ذاك كالمجهول

قد سمعنا من سائر الحكماء اليوم نولا ثمن في العقول

كل صب فاعلم بذل في الحب أيها السائل الكثير الفضول

أي شيء ألذ من عيش صب ... جاءه حبه بغير رسول

ومن ذلك:

قالت لجارات لها خيفة ... هذا الذي تيممه حبي

قلن لها هل لك في قربه ... قالت أخاف البعد من رب

فقلت مولاتي تحب التقى ... وقتلتي من أعظم الذنب

قلن لقد شانك في فعلها ... فقلت لما زادني كربي

فقلن مزح فناديتهم ... قد سائني إذ ساءها عتب

ومن ذلك:

فاطري الفدا الحلو المعاني ... ومعير الجمال حور الجنان

من نأى بالرفاد عني فعيني ... أبدا من دموعها في سوان

شادن يان باصطباري إذ ... بان فقد جار عن بياني لساني

عاذلي دع الغداة ملامي ... وأقلا كفا كما ما دهاني

إن لي دمعه تخون إذا ما ... صد عني بوجهه وجفاني

ومن ذلك:

رآه الوجد صبا فاحتواه ... وحالفه وواصله ضناه

فيا داعي الغرام أجب قليبا ... وأسرع في الإجابة غذ دعاه

فقال أراك مسلوبا كئيبا ... كذاك الصب مسلوبا عزاه

فمن لمدله كلف حزين ... له سقم يسرك أن تراه

ومن ذلك:

القلب من عبدك المسكين مختبل ... والدمع من عينيه في الخد ينهمل

وأنت كالملك الفظ الغليظ إذا ... شكا إليك فما **ترثي** ولا تصل

فجسم عبدك بال والجوارح من ... فرط الغرام بنار الشوق تشتعل
والوجد يا أملي وقف على كبدي ... من جنده وغرامي فيك متصل
أخفي الهوى جاهدا من عاذلي فإذا ... زاد اشتياقا فأنت السؤل والأمل
ليت العواذل ذاقوا ما أكابده ... فلو كرى اشتغل العذال ما عدلوا
من ليس ينفك من حزن ومن كمد ... فعقله ذاهل والقلب مختبل
قد كان سقمي فيما شئت ينفذ لي ... فقد تعطل لما ضاقت الحيل
وعسكر الصبر قد ولى ورايته ... قد نكست هربا والجند قد خذلوا
ومن ذلك:
أقاتلتي ما أشد الصدود ... وأرجعه للفؤاد العميد
لقد برح الحب بالعاشقين ... وأذهب صبر الصبور الجليد
لزهدني هجركم في الحيا ... ة ورغبني في جنان الخلود
نبا السمع عن عذل العاذلات كمثل بنو السدود الطرود
فديتك زرني مع الزائر ... ين ليكمد ذلك قلب الحسود." (١)
"عز قيام السلو يوما ... على فؤادي من الهيام
تبا لطرفي فإنه قد ... أوقف قلبي على الحمام
هل يورث اللوم حسن صبري ... هيهات بل زاد في الغرام
ما أضعف القلب غير من ... قد شرد عن مقلتي منامي
وأضعف القلب حب من قد ... تاه على البدر في التمام
ومن ذلك:
العار في قتل المحب الهائم ... يا بدر تم في قضيب ناعم
فتوق ما فيه التشبه جاهدا ... حاشاك من فعل الظلام الغاشم
يا أيها الملك المعظم قدره ... كن راحمي من فيض دمع ساجم
ويلي من اللحظ الخفي إذا بدا ... من حافظ للعهد غير مصارم
ومن ذلك:

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٥٦

تقتلني يا حب بالمطل ... فإنني مختبل العقل
ولا تشاور في وصال امرئ ... منزله وقف على الذل
تراه يبكي من غرام على ... ما فاته من لذة الوصل
يا عذولي ليس اصطباري بخلا ... في دفيق لقلة العقل
يا طول شوقي للفتى لبيته ... وما فؤادي منه بالثكل
ومن ذلك:
لقد صد من أهواه عن غير ما جرم ... سوى طول شكواي الذي من السقم
جفاه على ما بي من الضر والأسى ... فشوقي على طول الزمان به ينمي
سأبكي عليه ما حييت بعولة ... وإن زاد فيض الدمع كلما على كلم
على الصبر من قلبي السلام فما أرى ... سبيلا سوى صبري على فارط الهم
إذا ما شكوت الحب قال بضجرة ... سألتك لا تعنى وأسرف في الشتم
فوجدي به في كل يوم وليلة ... يزيد وحبي ليس يقلع عن ظلم
رعى الله أيام الصبى ونعيمها ... على أنني لم أخل فيها من الأثم
ومن سقمي في كل يوم وليلة ... يقطع قلبي بالقطيعة والصرم
ألا بأبي من أسبه البدر وجهه ... بلى فاق ضوء البدر في ليلة التم
سأندبه في كل ربع ومنزل ... بعبرة عيني ما تمل من السجم
تشير إلينا من بعيد أصابع ... كأني قد أبرأتها من جوى السقم
ويومئ لي من أحب مخافة ... بإصبعه هذا القتيل بلا جرم
ومن ذلك:
هذا فؤادي لديك فاحتكمي ... فيه بما شئت يا مدى هممي
غبت فغاب السرور يا أملي ... ودام ضري وزاد في ألمي
الذنب لي فاغفري لمعترف ... بذنبه ما يفيق من سقم
أنفع شيء يسير مغفرة ... لمدنف قد أتاك ذا عدم
من لي برد الذي فتنت به ... من برئ سقمي وشدة الألم
ألزمتني مذ كنت مسكنة ... أوهت فؤادي وأنت في نعم

ينيب بين الرقاد عن بصري ... فلم أنم حسرة ولم أنم

ومن ذلك:

قد آن أن ترحم الصب الكئيب وإن ... ترثي بلواه إذ قد طال بلواه

هو الحقير الذليل المستكين فجد ... له بوصل فقد أفسدت دنياه

يا أيها الناس هل داع لذي ارق ... حيران قد هجرت للغمض عيناه

أو شافع لي إلى من ليس يرحمني ... عساه يرثي لمن قد دام شكواه

ويترك الكبر والإعراض عن دنف ... يرى بطول التجني منه أعفاه

يا قاتلي إن رأيت الحظ فتلك لي ... فقد رضيت بما لو منك يلقاه

ومن ذلك:

أيا هاجري عن الوصل الذي كانا ... قد دام صبري وذقت النوم ألوانا

فأي منفعة للحاسدين إذا ... صددت عني وقد أظهرت هجرانا

فالمشاعر والبيت الحرام أجر ... قلبا كئيب ا أتاك الله غفرانا

لك المكان الذي ما حله أحد ... من قلب عبدك فأبدل مناك إحسانا

أعاذلتي لا أنسى لله كفي ملام من ... به بعض ما يلقاه فنضرب المثل

ومن ذلك:

رأى ما بي من الضرر ... فناداني على ضجر

إلى سقراط فأشكو الحسب لا تشكو إلى بشر

إلى من رأس أهل العلم من بدو ومن حضر

وقل دمعي يراه الشوق لما بان مصطبري

فقل له على خوف ... فؤادك صيغ من حجر

وطرفك شجرة يوبو ... على هاروت بالحور

فقال وأنت مكتئب ... فقلت تراه في نظري

فقال بفرحة يا ليت ... دمعك فاض كالمطر

فقلت وكل ممتحن ... طويل السقم والضرر

لكان الشجر مقلته ... لما فيها من الفتر

أيجمل أن تعذبني ... بطول البث والسهر

فدع هجري هداك الله يا سمعي ويا بصري." (١)

"أداعيك ما مستصحبات على السرى ... حسان وما آثارها بحسان

قال هي السيوف وآثارها القطع. وأنشد الأصمعي في آخر كتاب الأبيات:

وما مائل عند القتال برأسه ... وما راكب في الحرب قد مات طائره

يعني المح وقذذ السهم.

وقوله يرى ساكتا والسيف عن فيه يقول ضربه بسيفه ينطق بسالة صدره، كما روي ابن دريد في الجمهرة أنهم قالوا في صفة علي رضوان الله عليه: كان علي إذا سطا قد وإذا استعرض قط فكانوا إذا رأوا هاتين الضربتين حكموا أنها لذي الفقار.

وقال أبو الفتح في هذا البيت إذا قيل من اجتمعت فيه هذه الأوصاف المضادة، والجواب هو فلان.

وقال المتنبي:

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... رءاها غير جفنها غير راق

قال أبو الفتح: أي إذا رأت كل جفن أبصرتها غير راق من الدمع ظنت ذلك خلقة في الناس فلم ترث منه لأحد. وقوله غير جفنها أي جفنها وحده راق لأنها لا تعشق نفسها فتدمع عينها.

قال أبو القاسم: أما قول أبي الفتح لا تعشق نفسها فتدمع عينها ليس بشي وإنما المعنى أنها لم تذق طعم العشق فهي غافلة عنه فلا تبكي كما قالت الشعراء وأحدهم عمر بن أبي ربيعة:

وكنت إذا ما حدث الناس بالهوى ... ضحكت وهم يبكون من حرقات

فصرت إذا ما قيل هذا متيم ... تلقيته بالنوح والعبرات

أي عشقت صرت مثلهم.

وقال المتنبي:

يا ابن من كلما بدوت بدا لي ... غائب الشخص حاضر الأخلاق

قال أبو الفتح: أي لشدة شبهك بأبيك إذا رئيت فكأنه رئي.

قال أبو القاسم: البارع في هذا المعنى قول سعيد بن عمرو بن العاص حين قال له معاوية بما أوصى أبوك فقال: أوصاني ألا يفقد إخوانه إلا وجهه. فلما سمعه معاوية قال: إن ابن عمرو هذا لأشدق بهذه الكلمة.

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٦٠

وقال المتنبي:

والأسى قبل فرقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراق

قال أبو الفتح: النصف الأول من البيت احتجاج على من يشح بنفسه. ومصراعه الثاني اعتذار له لأنه إذا فارق الروح الجسد لم يصح هناك أسى ولا صبر والأسى واقع لا محالة في الدنيا فلا بد إذا منه.

قال أبو القاسم: أول هذا:

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس ... أن الحمام مر المذاق

وما أورده أبو الفتح عبارات فارغة، والمعنى أن حب الإنسان الحياة أمر الموت في نفسه ثم ذكر في البيت الثاني إن جزع الإنسان من الموت قبل إتيانه عجز به فإذا مات فالجزع معدوم أصلا.

وأنشد الجاحظ في الأبيات:

لا يملأ الهول صدري قبل وقعته ... ولا أضيق به صدرا إذا وقعا

وقال المتنبي:

فلا غيضت بحارك يا جموما ... على علل الغرائب والدخال

قال أبو الفتح: غيضت نقصت، وبئر جموم كثيرة الماء، والغرائب الإبل الغريبة ترد الحوض والناس يسقون، والدخال أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليعرض على الماء ثانية. يدعو له يقول لا نقصك الله فإنك ثابت الكرم والعطاء إذا كدرت بوفود العفاة عليك. كما تجم البئر الكثيرة الماء إذا كثر ورادها.

قال أبو القاسم: تقول العرب في كلامها لأضربنك ضرب غرائب الإبل ولأعصبنك عصب السلمة. وإنما ذكر المتنبي الغرائب لأنها تضرب أشد الضرب وتذاد أعنف الذود كما قال الحارث بن حلزة:

فجئنا بهم قسرا تقود سراتهم ... كما ذيد عن ماء الحياض الغرائب

وذكر أبو عبيد في الغريب المصنف أن الدخال إن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا لقلة الماء وأنشد قول كعب بن زهي يصف الأتن والعير:

فأوردها ظلمة بالعراك ... بالا عراك وألا عطونا

معنى البيت انه يعطى للأبعد فالأبعد فضلا عن الأقرب فالأقرب، وإلى هذا ذهب أبو تمام في مدح ابن طوق:

الود للقربى ولكن عرفه ... للأبعد الأوطان دون الأقرب

وقال المتنبي:

يشمر لج عن ساقه ... ويغمره الموج في الساحل

قال أبو الفتح: كان يموه هذا الخارجي بحسره عن ساقه عند الماء يرى انه يخوض وأراد بذلك أن يموه.

قال أبو القاسم: معنى البيت أن هذا الخارجي لما ادعى النبوة افتراء اكتفته البلايا والشدائد لبطلانه وهو في مبتكر أمره فكيف يكون إذا توسط أمره وتسامع به الناس وتألبوا عليه لقتله.

وقال المتنبي:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر ... كما تضر رياح الورد بالجعل." (١)

"وتقول في الشيء البعيد:

١٣٦٠- كأنما طارت به العنقاء.

١٣٦١- وكأنه جبهة الأسد.

١٣٦٢- وكأنما داره رمانة.

١٣٦٣- وكأنها قرية النمل. إذا كانت عامرة، غاصة بأهلها. قال ابن المعتز [في] [١] قريب منه يشكو ضيق داره [من السريع] :

لا يحسن الرمان جمع حبه ... في قشرة إلا كما نحن [٢]

فأما قولهم: علم في رأسه نار، فقديم. قالت الخنساء في أخيها **ترثيه** [من البسيط] :

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار [٣]

ولكن المحدثين المولدين قد أولعوا به الآن.

[٣٩ و] وتقول:

١٣٦٤- كأنه الدرة اليتيمة.

١٣٦٥- وكأنه كرسي سليمان عليه السلام.

---

[١] زيادة يقتضيها السياق.

لا يحسن ... أحبة [كذا] .

---

(١) الواضح في مشكلات شعر المتنبي أبو القاسم الأصبهاني ص/١٦

[٢] من بيتين في ديوانه: ٤٤٣، ورواية صدره فيه.

[٣] سبق عجزه في المقدمة: ٧٣.." (١)

"قال: فكم تقول فى اليوم؟ قال: أقول عشرين بيتا وثلاثين. قال: ولكنى أقول خمسمائة بيت فى يوم. فقال له الخراسانى: أما لو رضيت أن أقول مثل قولك: ألا يا عتبة الساعة ... البيت- لقلت ألف بيت. فاستضحك الناس واستحيا أبو العتاهية.

حدثنى على بن محمد الكاتب، عن ميمون بن هارون الكاتب، قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الموصلى يقول: أنكر الرشيد على طعنى على أبى العتاهية فى شعره، فقلت: يا أمير المؤمنين [١٤٥] هو أطبع الناس، ولكن ربما تحرف، أى شىء من الشعر قوله:

هو الله هو الله ... ولكن يغفر الله

أخبرنى محمد بن يحيى، قال: حدثنا ميمون بن هارون، قال: حدثنى على بن أبى المنذر العروضى، قال: لما مات سعيد بن وهب حضر أبى جنازته، وحضرها الفضل بن الربيع، وكان قد ظهر أيام المأمون، فلما دفن أثنى عليه الفضل، وأقبل على أبى العتاهية يحدثه أنه أودع القضاة والعدول أموالا فما وفواله، وأنه أودع سعيد بن وهب مالا فوفى به.

فقال أبى لأبى العتاهية: ألا **ترثيه**؟ قال: بلى. قال أبى: ثم صرت بعد أيام إلى الفضل بن الربيع فأخرج إلى رقعة فقال: اقرأ مرثية أبى العتاهية لسعيد بن وهب. فإذا فيها «٥٠» :

مات والله سعيد بن وهب ... رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عينى ... يا أبا عثمان أوجعت قلبى

فقلت: ما أدرى ما أقول. فقال لى الفضل: أبو العتاهية بأن يرثى فى حياته أولى من سعيد بعد موته.

قال الصولى: وله شبيه بهذا؛ حدثنى أحمد بن يزيد، قال: حدثنى الفضل اليزيدى، قال: قيل لأبى العتاهية: مات محمد بن يزيد المسلمى! فقال:." (٢)

"جد لي كما جدت بحسن الود ... وارع كما أرعى قديم العهد

واصدد كصدي عن طويل الصد ... فليس وجد بك مثل وجدي

ها أنا في بحر الهوى غريق ... سكران من حبك لا أفيق

---

(١) الأمثال المولدة الخوارزمي، أبو بكر ص/٣٠٦

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٣٢٦

محترق ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق

فليت شعري فيك هل **ترثي** لي ... من سقم بي مضني طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو، يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمين المجتهد ... أن امرأ أسعدته لقد سعد

يا عمرو ناشدتك بالمسيح «١» ... إلا استمعت القول من فصيح

يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقى من التبريح «٢»

يا عمرو بالحق من اللاهوت «٣» ... والروح روح القدس «٤» والناسوت «٥»." (١)

"قشير بن كعب

بن ربيعة بن عامر

أخبرنا ابن دريد " قالت بنت بجير بن عبد الله القشيري، **ترثي** أباها المقتول يوم المروت، وهو يوم العنابين "

نهوضا حين تعتمد الرزايا ... ذوي الأفعال بالعبء الثقيل

فما كعب بكعب إن أقامت ... ولم تثأر بفارسها القتيل

وذحلهم يناديهم مقيما ... لدى الكدام طلاب الذحول." (٢)

"الكدام: هو يزيد بن أزهر بن عبد الله المازني وكان أسرا بجيرا.

وكتب إلي أحمد بن عبد العزيز، قال: أخبرنا عمر بن شبة، قال: قتل قنعب بن عتاب اليربوعي بجير بن عبد الله بن سلمة بن قشير، فقالت بنت بجير **ترثي** بهذه الأبيات.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا سعدان بن المبارك عن

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٤/٢٦٩

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/٦٤

أبي عبيدة قال: قالت الفارعة بنت معاوية من بني قشير " تعير كلابا بمشاطرتهم الأحاليف سباياهم يومئذ:
منا فوارس قاتلوا عن سبيهم ... يوم النسار وليس منا أشطر." (١)

"عامر بن قرط بن سلمة الخير بن قشير ترثي زوجها هشام بن المغيرة وكانت قد أسلمت وولدت لهشام سلمة:

إنك لو وألت إلى هشام ... أمنت وكنت في حرم مقيم

كريم الخيم خفاق حشاه ... ثمال لليتيمة واليتيم

ربيع الناس أروع هبرزي ... أبي الضيم ليس بذي وصوم

أصيل الرأي ليس بحيدري ... ولا نكد العطاء ولا ذميم

ولا خذالة إن كان كون ... ذميم في الأمور ولا مليم

ولا متبرع بالسوء فيهم ... ولا قذع المقال ولا غشوم

فأصبح ثاويا بقرار رمس ... كذاك الدهر يفجع بالكريم

قال: وقالت حين هاجر ابنها سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم:." (٢)

"مرة بن صعصعة

بن معاوية بن بكر بن هوازن وهم ينسبون إلى أمهم سلول

وجدت بخط حرمي عن ابن المزربان لأم سعد السلولية ترثي ابنها مزاحما وقتله ابن الدمينة:." (٣)

"إذا هب علوي الرياح وجدتني ... كأني لعلوياتهن نسيب

ألا حبذا الأصعاد لو أستطيعه ... ولكن (...) لا ما أقام عسيب

كتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قالت امرأة من بني عامر.

ألا ليت حصنا كان يعلم أننا ... خلاء وأنا في المزار قريب

أرى رفض بعران فأحسب أنها ... لحصن فأدنو دنوة فأخيب

أخبرني محمد بن الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: قالت: امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طي:

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/٦٥

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/٧٢

(٣) أشعار النساء المرزباني ص/٨٠

لا تحمدن الدهر أخت أخا لها ... ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة ... وهم طرحوها في الأقاصي الأباعد

كتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: قال رجل: مررت ببلاد بني عامر بعجيز قد خزفت. وحولها نسيان قد أفطن برجل يجود بنفسه، والعجوز تقول: أيا ملك الموت دع لي صعصعا، فأن ثمره فؤاديه فإن أبيت فخذ من أعمار من ترى ما شئت، ثم تقبل على النسي ات فتقول: أتسلمن؟ قيقلن: نعم والله." (١)

"أخبرني القاسم بن داود الكاتب، قال: حدثنا بن أبي الدنيا قال: حدثني أبو محمد الربعي: أن امرأة من حي تغلب قتل أبوها في بعض حروبهم فقالت ترثيه:

ختلته المنون بعد اختيال ... بين صفين من قنى ونصال

في رداء من الصفيح صقيل ... وقميص من الحديد مذال

كنت أخباك لاعتداء يد الدهر ... ولم تخطر المنون ببالي

كل حي وإن تصنعت الدنيا له ميت على كل حال

وروى محمد بن خلف بن المزربان هذه الأبيات لأم جندلة التغليبة ترثي أخاها.

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو الحاتم عن أبي عبيدة، قال: كان الحمارس التغلبي غيورا، وكان لا يزوج بناته، فقعد يوما بفناء بيته يبري وتدا، وكان رجل أدم طوالا، فنظرت إحدى بناته إليه فقالت:

(...) بيد الأسكتين بدا ... مثل ذراع الشيخ يبري ودا

لا بد أن يجرح أو يكدا فقال: اسكتي فض الله فاك، فقالت الثانية:

يا من يدل عزبا على عزب ... ممكورة الساقين خثماء الركب

تبادر الزهر إذا (...) وقب ... دقدقة البرذون في أخرى الجلب

فلم يمس حتى زوجهما.." (٢)

"فقدت شهرا ترك الأحراحا ... كل حر تحسبه ذباحا

مغضنا لا يعرف الفتاحا

وجدت بخط حرمي عن ابن المزربان للشماء بنت الكميت التغلبية ترثي أباها:

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/٨٦

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/٩٨

هل خبرت أي فتى أبي ... إذا الكلب لم ينبح من الليل ساريا

فهلا فداك الموت من لم يضر له ... عدوا، ولم يطلق من الكبل عانيا

إذا صر برديه حمائل سيفه ... أبى الضيم مجنيا عليه وجانيا

نظرت فلما أن تأملت قبره ... وأرجاءه أيقنت ألا أبا ليا

قال: ولأم طريف التغلبية في ابن عم لها يقال له فضالة:

ألا يا مقلتي دعا الجمودا ... ولا (...) أن تجودا

فقد هاج الحمائم يوم بصرى ... هوى مستطرفا وهوى تليدا

روى أبو تمام الطائي في " شعراء القبائل " لحبيبة بنت عبد العزى التغلبية:

أإلى الفتى بر تلكأ ناقتي ... فكسا مناسمها النجيع الأسود." (١)

"قال ابن الأعرابي: النازلين نصب على أنه اتبعه القوم في المعنى لأن معناه النصب، كأنها قالت: لا يبعد الله قومي النازلين. وقولها: " في غير ما فحش " يقول: يزوجرنها بعفاف من ألسنتهم لا يذكرون الفحش في الزجر.

أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو الحاتم قال: حدثنا يوسف، قال حدثنا جرير عن المغيرة، قال: ذكر شعر الخرنق بنت هفان عند عبد الرحمن بن أبي نعيم:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وأفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

فقال: ليس أولئك، أولئك المدفونون في بيت عائشة، يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رحمها الله. قال ابن دريد: وأخبرنا أيضا أبو الحاتم عن أبي عبيدة على هذه الرواية: النازلين والطيبون.

وكتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة قال: قالت: خرنق بنت هفان **ترثي** أهلها:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

إن يشربوا يهبوا، وإن يدعوا ... يتواعظوا عن منطق الهجر

قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأبيه والزجر

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٠٣

والخالطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر

هذا ثنائي ما بقيت عليهم ... فإذا هلكت أجنني قبري." (١)

"عمرو بن مرثد وابنه علقمة بن بشر، فقالت الخرنق بنت هفان **ترثي** زوجها وابنها علقمة:

لا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق

وبعد الخير علقمة بن بشر ... إذا ما الموت كان لدى الحلوق

وبعد بني ضبيعة حول بشر ... كما مال الجذوع من الحريق

منت لهم بوالبة المنايا ... بجوف قلاب للحين المسوق

فكم بقلاب من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

ندامى للملوك إذا لقوهم ... حبوا وسقوا بكأسهم الرحيق

قال: وقالت تحضض بني عمرو بن مرثد:." (٢)

"إن بني الحصن استحلت دماءهم ... بنو أسد حارثها ثم والبه

هم جدعوا الأنف الأشم بهلكة ... وجبوا السنام فالتحوه وغاربه

عميلة بواه السنان بطعنة ... عسى أن تلاقيه من الدهر نائبه

أخبرني محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال: قالت أخت طرفة بن العبد **ترثيه**:

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

الوليد: الصغير، والقحم: الرجل المتناهي سنا.

كتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كانت أخت طرفة بن العبد تحت عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، ففركته فقالت تهجوه وتعيره بأنه لا يثأر بأبيه وتذكر سعايته بطرفة إلى عمرو بن هند حتى قتله:

ألم تر موروكا وشى بابن عمه ... ليطرحه في حمي قدر وما يدري

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٠٦

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/١٠٨

فهلا ابن حسحاس ثأرت وخالدا ... هنالك لم تثأر ببشر ولم تسر

حدثني أحمد بن عيسى الحواص، قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، قال:." (١)

"الأشعث فقامت بنته تبكيه في المربد فقالت:

حامى زياد على قومه ... وفر جدي بني العنبر

فسمع بذلك البلتع العنبري واسمه " المستنير " وقد جاء بحلوبة له وهو واقف فقال:

فإن يك عض أباك السلاح ... فقد يلحق الموت بالمدبر

وقد تنطح تحت الغبار ... غير الشهيد ولا المعذر

حامى عطية عن قومه ... وطاح لواء بني جحدر

كتب إلي أحمد بن عبد العزيز، أخبرنا عمر بن شبة، قال: كان شيبان بن سيار صبرة بن حطان بن سيار بن عمرو الغفاري بخراسان، فجرح فحمي الماء، فعطش يوما فدب إلى قربة فشرب من مائها فمات، فقالت أخته درنا بنت سيار **ترثيه** وأخاه عبعبة ابني سيار:

وقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع إن قلت وا بأباهما؟." (٢)

"وجاء العصبة يقتسمون دارها، فقالت وسمعت أصواتهم:

يا دعوة ما دعوتي عامرا ... تالله لو يسمعني لاستجاب

تالله لو يسمع دعواهم ... لفلهم عني بظفر وناب

فرجعوا عنها ثم عادوا فقالت:

لقد بدلت دار الأحبة منهم ... موالي، منهم ملحقون وتابع

فلو أن دارا أعولت فقد أهلها ... بكت دارنا والتج منها المسامع

فرجعوا، فمكثوا حينا ثم عادوا، فقالت:

الدار تبكي أهلها ... وبكاؤها شيء عجيب

فزعموا أنهم تركوها.

حدثنا علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: قالت عمرة الخثعمية من بني

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٠٩

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/١١١

تيم اللات أو من بني تيم الله بن ثعلبة **ترثي** ابنين لها. قال الأخفش: وأنشدنيه الأحول:

لقد زعموا أني جزعت عليها ... وهل جزع أن قلت وا بأباهما." (١)

"وحدثني علي بن أبي المنصور، قال: أخبرنا محمد بن موسى بن حماد عن دعبل بن علي، قال: من أهل الكوفة حبيبة بنت عتيق ربعية تيمية قالت **ترثي** قومها:." (٢)

"ولإصلاح وإفساد معا ... في صدى الرمح وري المنصل

جل عندي فعل جساس فيا ... حسرتي عما انجلت أو تنجلي

يا قتيلا خرب الدهر به ... سقف بيتي جميعا من عل

هدم البيت الذي استحدثته ... وبدا في هدم بيتي الأول

ورماني قتله من كثب ... رمية المصمي به المستأصل

يا نسائي دونكن اليوم قد ... خصني الدهر بأمر معضل

خصني قتل كليب بلظى ... من ورائي ولظى مستقبلي

ليس من يبكي ليوميه كمن ... إنما يبكي ليوم بجل

درك الثائر شافيه وفي ... درك الثائر قتل مثكلي

ليته كان دمي فاحتلبوا ... بدلا منه دما من أكحلي

إنني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لي

وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء قال: محمد بن خلف بن المزربان: بأن هذه الأبيات لفاطمة بنت ربيعة بنت الحارث بن مرة، أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين، **ترثي** أخاها كليبا، وقتله زوجها جساس.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا سعدان بن المبارك عن أبي عبيدة، قال: لما كان يوم ذي قار نادت بنت القرين الشيبانية:

ويها بني شيبان صفا بعد صف ... إن تهزموا يصبغوا فينا القلف

حدثني أحمد بن عبد الله، وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا: حدثنا العنزي. قال: حدثنا عمر بن عبيدة،

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١١٤

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/١١٦

قال: حدثني مدرك بن عامر الحارثي، قال: كانت امرأة من بني شيبان ناكحا في بني يشكر، فخلت يوما، فسمعها زوجها تقول:." (١)

"من لقلب شفه الحزن ... ولنفس ما لها سكن

ظعن الأبرار فارتحلوا ... خيرهم من معشر ظعنوا

معشر قضوا نحوبهم ... كل ما قد قدموا حسن

صبروا عند السيوف فلم ... ينكلوا عنها ولا جبنوا

فتية باعوا نفوسهم ... لا ورب البيت ما غبنوا

ابتغوا مرضاة ربهم ... حين مات الدين والسنن

فأصاب القوم ما طلبوا ... بعدما هدتهم الفتن

روى أبو تمام الطائي في الحماسة لامرأة من بني شيبان:

وقالوا: ماجدا منكم قتلنا ... كذاك الرمح يكلف بالكريم

بعين أباغ قاسمنا المنايا ... فكان قسيمها خير القسيم

روى أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني: أن مليكة الشيبانية قالت ترثي الضحاك بن قيس الخارجي وأصحابه:." (٢)

"قولي مليك: عليك بالصبر ... تستوجبين فضائل الأجر

قولي فإنك غير كاذبة يا عدتي لنوائب الدهر

أورثتي كمدا يؤرقني ... وتلهفا وحرارة الصدر

ومرارة في العيش دائمة ... وحرارة كحرارة الجمر

ذهب الذي قد كان يأمرنا ... بالخير والمعروف والذكر

قال: وقالت ترثي أخاها:

من لجاراتك الضعاف إذا حل بها نازل من الحدثان؟

من لضيف ينتاب في ظلمة الليل إذا مل منزل الضيفان؟

سوف أبكي عليك ما سمعت أذناي يوما تلاوة الفرقان

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١١٩

(٢) أشعار النساء المرزباني ص/١٢٤

أين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجة اللهفان؟

ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزي الإحسان بالإحسان

ويكف الأذى ويبتذل المعروف سمح اليدين سبط البنان

قال: وقالت أيضا ترثيه:

يا عين جودي بالدموع بواكف حتى الممات

قولا لمن حضر الحروب من النساء الشاريات

أمسين بعد غضارة ونعيم عيش مثبتات

من بعد عيش ناعم صارت عظامهم رفات

وإذا المنية أقبلت لم تغن أقوال الرقاة

كنت المؤمل والمرجى في الأمور المعضلات

كنت المؤامر والمؤازر والمطالب للترات

قال: وقالت أيضا ترثي عمها:

أصبرت عن عمي الذي ... قد كان بالمعروف آمر؟." (١)

"أصبرت عن عمي الذي ... كان المؤامر والمؤازر؟

إخوانه النفر الشراة ... ذوو الفضيلة والبصائر

يا عم كنت لسان قومك ... حين يجتمع المعاشر

فلأبكينك بالغداة ... وبالأصائل والهواجر

ولئن بكيت لقد رزئت ... بفارس بطل مغاور

قال: ولها أيضا ترثيه:

ما بال دمعك يا مليكة جار ... أم ما لقلبك لا يقر قرار؟

أم لنفسك ليس يسكن حزنها ... ليلا، وليس نهارها بنهار؟

جزعا على من كان يجمع شملنا ... ونعده لنوائب وعثار

لو كنت أملك دفع ذلك لم تكن ... يا عم بين نضائد وغبار

ألقيت جلبابي لعظم رزيتي ... وبرزت سافرة بغير خمار

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٢٥

زرت المقابر كي أسلي عبرتي ... هيهات ممن زرت بعد مزار

فلتبك نسوان الشراة بعبرة ... عند الحروب وكل كهل شاري

وليبكه المولى، وطالب حاجة ... عند العشاء، وكل ضيف طاري

أين الذين إذا ذكرت فعالهم ... عرفوا بحسن عفافة ووقار؟

أين الذين إذا أتاهم سائل ... بذلوا له أموالهم بيسار؟

أين الذين إذا ذكرنا دينهم ... قالت عشائرهم: هم الأخيار

قال وقالت أيضا:

أبكي المغيب في الثرى ... بين النضائد والصفائح

أبكي وحق لي البكاء ... مع الغوادي والروائح

فلأبكينك ما غدت شمس ... وما جرت البوارح

من ذا يرجى للنصيحة ... حين تعتقد النصائح؟

أم من يرجى للقريب ... ومن يكون لكل نازح؟

أم من يؤمل لليتيم ... وكل ذي غرب ونائح؟." (١)

"أم من يعم صديقه ... خيرا ويحجر كل نابح؟

قال: فقالت ترثي الضحاك:

ما بال دمعك دائم السجم ... مثل الجمان وهي من النظم؟

جلت مصيبتنا وقد عظمت ... لما فجعت بسيد ضخم

حلو الشمائل حين تخبره ... حسن السريرة ماجد شهم

يصل القرابة والجوار إذا ... قطع القرابة صاحب الظلم

فلأبكينك كلما وخدت ... عيس بأرحلها على رسم

ولأبكينك عند مجتمع الأملاء ... عند تطاول الخصم

وجدت بخط حرمي بن أبي العلاء عن محمد بن خلف بن المرزبان أم معدان الشيبانية من بني أسد ترثي ابنها معدان وقتلته بهراء:

معدان من للحي إذ هبت شآمية فجورا

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٢٦

عسراء من قبل الشمال تكاد تنتزع الكسورا

وتبادر القوم القداح وأغلت السنة الجزورا

غدرت به بهراء ولم يكن ابني غدورا." (١)

"فيما أخبرنا القاضي أبو الطاهر ، عن موسى بن زكريا عنه.

الخنساء بنت عمرو بن الشريد كانت شاعرة وأسلمت وهي التي **ترثي** أخاها صخرا بالأشعار النادرة ومن ذلك قولها فيه:

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتوا لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

ويقال: إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يأمرها أن تجلس فتندب أخاها وتبكي على أخيه زيد بن الخطاب.

خنساء بنت خذام بن خالد.

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن عمر الكوفي ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن محمد بن إسحاق ، عن حجاج بن السائب ، عن أبيه ، عن جدته خنساء بنت خذام بن خالد قال: وكانت أيما من رجل فزوجها أبوها رجلا من بني عوف فخطبت إلى أبي لبابة بن عبد المنذر فارتفع شأنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أباها أن يلحقها بهواها فتزوجت أبا لبابة.." (٢)

"لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللقلب مرتاد وللعين ممنظر

وللحاتم الصديان ري بريقها ... وللمرح الذيال طيب ومسكر

أحسن ما ورد في المقابلة

٣٧ قال أبو علي: أخبرني علي بن الحسين القرشي قال: سألت قدامة في المقابلة فقال: "هو أن يضع الشاعر المعاني، يعتمد التوفيق بين بعضها وبعض، والمخالفة، فيأتي مع المخالف بما يخالف، وفي الموافق بما يوافق، على الصحة، ويشترط شرطا، ويعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل

---

(١) أشعار النساء المرزباني ص/١٢٧

(٢) المؤتلف والمختلف للدارقطني الدارقطني ٢/٨٠٠

الذي شرطه، وفيما يخالفه بأضداد ذلك.

قال: فقلت: أنشدني أحسن ما قيل في ذلك، فقال: "لا أعرف أحسن من قول الشاعر طويل:

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح ... وفي، ومطوي على الغل غادر

فجعل بإزاء "ناصح"، "مطوي" على الغل، وبإزاء "وفي" "غادر".

قال: وقول الطرماح بن حكيم الطائي وافر:

أسرناهم، وأنعمنا عليهم ... وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس بعد حرب ... ولا أدوا لحسن يد ثوابا

فجعل بإزاء: أن سقوا دماءهم التراب، وقاتلوهم، أن يصبروا، وإزاء: أن أنعموا عليهم، أن يثيبوا، قال: فهذه المقابلة.

٣٨ قال أبو علي: سألت علي بن هرون عن المقابلة، فقال: كان يحيى بن علي بن نجم يقول: "وأحسن ما قيل في المقابلة، قول عمرو بن كلثوم وافر:

ورثنا المجد عن آباء صدق ... ونورثها

إذا متنا

بنينا

وقول النابغة الجعدي طويل:

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

أحسن ما قيل في التسهيم

٣٩ قال أبو علي: قلت لعلي بن هرون المنجم: ما رأيت أعلم بصناعة الشعر منك في التسهيم فقال: وهذا لقب اخترعناه نحن.

قلت: وما كيفته؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره: "إن صفة الشعر المسهم، أن يسبق المستمع إلى قوافيه، قبل أن ينتهي إليها راويه، منذ الشطر الأول قبل أن يخرج إلى الشطر الأخير، ومن قبل أن يسمعه، "قال: "وأحسن ما قيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثي أخاها عمرا متقارب:

وأقسمت يا عمرو لو نبهاك ... إذ نبها منك داء عضالا

إذن نبها ليث عريسة ... مفتيا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكي الكلالا
فكنت النهار به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا
٤٠ قال أبو علي: فالنظر إلى ديباجة هذا الكلام ما أصفاها، وإلى تقسيماته ما أوفاها وانظر إلى قولها "مفيدا" ووصفها إياه بالشمس في النهار، والهلال في الليل، تجد المطمع الممتنع، القريب البعيد.

أحسن ما قيل في التتميم

٤١ قال أبو علي: وهو أن يذكر الشاعر معنى، فلا يغادر شيئا يتم به، ويتكامل الاشتقاق معه، فيه، إلا أتى به، فأحسن ما قيل في ذلك قول طرفة بسيط:

فسقى ديارك ... غير مفسدها

صوب الربيع، وديمة تهمي
فقد تم الإحسان في المعنى الذي ذهب إليه، بقوله "غير مفسدها".
ولا أعلم أحدا تقدمه في الاحتراس لدار عند استسقائه لها، من إفسادها وتعفيتها، ألا ترى أنهم على ذي الرمة قوله طويل:
ألا يا سلمى يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر
فالغيب لاحق به في ذلك، من أجل أن في دعائه للدار بانهلال القطر عليها، تعفية لرسومها، ومحوا لآياتها.

٤٢ ومما يتلو هذا البيت في الإحسان، قول نافع بن خليفة الغنوي طويل:

رجال إذا لم يضمن الحق منهم ... ويعطوه عاثوا بالسيوف القواضب
فإن المعنى، تم بقوله ويعطوه، وإلا كان ناقصا.

أحسن ما قيل في الترديد

٤٣ هو تعليق الشاعر لفظة في البيت، متعلقة بمعنى، ثم يرددها فيه بعينها، ويعلقها بمعنى آخر في البيت نفسه ويرد هذا للمحدثين، لكنني سأورد أحسن ما في معناه لمتقدم.
٤٤ قال أبو علي: وجدت أن أبا حية النميري، سبق إلى الإحسان جميع من تقدمه من الشعراء في قوله طويل:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا ... لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا." (١)
"عهدي بهم في النقب قد سندوا ... يهدي صعاب مطيهم ذلله)
٨١٨ أخبرني محمد بن عمران قال: أخبرني علي بن سلمان عن محمد بن يزيد قال حدثني الجاحظ، قال لنا "نقعد بعد صلاة العصر في حلقة الأصمعي للمذاكرة قبل حضور، فجاءنا شيخ في بعض الجمعات، فذاكرنا أحسن مذاكرة، ومر فيما مر قول مهلهل [خفيف] :

أنبضوا معجس القسي وأبرة ... ناكما ترعد الفحول الفحولا
قال الجاحظ: فقلت: سمعت الأصمعي يقول: إنها مصنوعة، فقال [الشيخ] سمعت الأصمعي يقول ذلك، وهي من مولدي العقيق، فلما انصرف مدحته بالهدي وحسن المذاكرة، وقلت: أتى بلفظه، من حيث قال "من مولدي العقيق" فقال لي أصحابنا: أما تعرف هذا؟ قلت: لا فقالوا: "هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي".
درر مما نحلته العلماء الشعراء
٨١٩ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن مهدي الكاتب قال: أخبرنا إبراهيم بن عرفة قال: سمعت المبرد يقول "كان خلف الأحمر عجيب الذهن، حسن التصرف في أساليب الشعر، وكان مع اقتداره واتساعه يعد مقلا لما كان ينحله الشعراء المتقدمين كأبي دؤاد والشفري وتأبط شرا، ومن لا شهرة له من الشعراء، قال: وكان أتى الكوفة فأقرأ أهلها أشعار أبي دؤاد، ونحله شيئا كثيرا لم يقله، وأخذ منهم على ذلك البر الجزيل ثم تنسك فعاد إليهم، فأخبرهم بما كان منه في إنحال هؤلاء الأشعار، وأن كثيرا مما نسبه إلى أبي دؤاد ليس له، وإنما أنحله إياه من قوله [وهو] فلم يعرجوا على كلامه".
٨٢٠ قال المبرد "وكان خلف علامة، يقول الشعر عبثا واعتدادا، وكان الأصمعي ينحل الشعراء أيضا نحوا

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٨

من ذلك، إلا أنه [لم يكن يتسع] اتساع خلف".

٨٢١ ويروى أن خلفا الأحمر سمع امرأة من بني القين تنشد بيتا في أخيها ترثيه في حرب كانت بين بني القين وكلب –وهما ابنا جسر من قضاعة–: [رمل] :

رملت لمة كوس بدم ... كل ما ذلك غسل للفتى

فعمل خلف قصيدة، وأدخل فيها البيت وأنحلها إياها:

من لعين ارقت بعد الكرى ... سهاد أم دها العين قذا

ليت شعري عن قبيلي إذا ... شمرت عن ساقها الحرب غدا

أي حيينا إذا ما التقيا ... يجعل الحرب طحينا للرحا

أعلى القين بن جسر أم على ... إخوتي كلب وكل لا ترى

أسد غيل لقيت أقرانها ... خفضوا للموت أطراف القنا

وسعى الدهر لهم حتى إذا ... أحكمت مرته نقض القذا

رملت لمة كوس بدم ... كل ما ذلك غسل للفتى

وكذلك الدهر لا يعجزه ... قادر يعقل في صعب الذرى

شاهق يزلق عن قلته ... خلب اللقوة مجرود القرا

٨٢٢ أخبرنا علي بن هرون قال: أخبرني أبي، هرون بن علي المنجم قال: كان خلف بن حيان الأحمر –وهو أكبر الشعراء المحسنين، والرواة المتقدمين– يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر أن يشبه شعر القدماء، حتى يشتبه بذلك على جلة الرواة، ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم، فمن ذلك قصيدته التي نحلها ابن أخت تأبط شرا، التي أولها [رمل] :

إن بالشعب الذي دون سلع ... لقتيلا دمه ما يطل

[وفيها] :

خبر ما جاءنا مصمل ... جل حتى دق فيه الأجل

فقال بعضهم "جل حتى دق فيه الأجل" من كلام المولدين، فحينئذ أقربها خلف.

٨٢٣ وحكى ابن سلام "أن أبا عبيدة كان يزعم أن المفضل صنع بعض القصائد التي اختار، ونسب ما

صنع منها إلى رجال هو فيما صنع لهم أشعر منهم في صحيح أشعارهم".

٨٢٤ أخبرني أبو أحمد عيسى بن عبد العزيز الطاهري قال: أخبرني عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو الحسن الحضري قال: سمعت الرياشي يقول: قلت لأبي عبيدة: إن أبا زيد، أنشدنا عن المفضل [رجز] :

شالوا عليهن بشل علاها ... واشدد بمشى حقب حقواها

ناجية وناجيا أباها قال: وقال لي: "اكتب عليها، هذه وضعها المفضل".

٨٢٥ وقال ابن سلام: "ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث يخاطب حسان ابن ثابت [طويل] ك

أبوك أبو سوء وخالك مثله ... ولست بخير من أبيك وخالك

وإن أحق الناس ألا تلومه ... على اللوم من ألفى أباه كذلك." (١)

"الملك بن مروان كتب إلى الحجاج: أنفذ مع عبد الله بن كعب أربعة آلاف إلى خراسان ففعل، فشخص في المعسكر ثلاثة كانوا متؤاخين متصاحبين على اللذات ومعاقرة الشراب، يقال لهم: أوس بن حارثة وأنيس بن خالد وبشر بن غالب، وكانوا إذا نزلوا منزلا انفردوا دون الناس فخلوا بشرابهم ولذاتهم، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلوا سجستان ونزلوا رزداق راوند وخزازي..قال أحمد بن يحيى: الصواب ما ذكره وهو رزداق، ورستاق خطأ – فمات أوس – قال القاضي: أصل هذا الكلام بالفارسية وعرب فقيل: رزداق ورستاق، وهو أكثر في كلام من تقدم ومن تأخر فيما وردت الأخبار عنهم به فعظم حزنهما عليه وجزعهما له، وقال أنيس يرثيه:

تخطى إلى الموت من بين من أرى ... فأتلف ندماني لقد جار واعتدى

أثلبني فتى كان النديم حياته ... لنا دون خلق الله كان أبا الرضا

حليما أديبا ماجدا ذا سماحة ... بعيدا عن الفحشاء والشر والخنا

أمينا جوادا غير كز مخالف ... ولا جاعلا ربا من المال ما حوى

يخونه الدهر الخئون بريبة ... فأصبح رهنا للصفائح والصفا

أناديه يا أوس بن حارثة الذي ... به كنت أنفي الهم عني والأذى

---

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/٩٢

أجبني لقد أنفذت بالوجد عبرتي ... عليك أما **ترثي** لباك إذا بكى

وقد كنت ذا رأي وسمع وفطنة ... سريعا إلى الداعي مجيبا الندا

فليس لنا إذا مات أوس منادم ... سوى قبره حتى يحل بنا الردى

وقال فيه أيضا:

وردنا خزازى إذ وردنا ثلاثة ... كأنا جميعا أيها الناس واحد

أنيس وأوس الحارثي بن خالد ... ونصر أخوهم والمنايا رواصد

فكنا ولا نبغي من الناس رابعا ... كأنا أثاف لا نريم رواكد

فلما رمانا الناس بالأعين التي ... متى يرمقوا شيئا بها فهو بائد

رمتني بنات الدهر منا بأسهم ... ونبل المنايا للرجال قواصد

فأردين أوسا لهف نفسي لفقده ... سقي قبره صوب الغمام الرواعد

فمات أنيس فعظم حزن نصر عليه، واتصل بكاؤه وجزعه له، وقال يرثيه:

أنيس فدته النفس ميتا فقدته ... فنفسي له حرى عليه تقطع

أنيس فدتك النفس أصبحت مفردا ... وحيدا فما أدري أخي كيف أصنع." (١)

"أنيس فدتك النفس خلفت حسرة ... علي فعيني الدهر ما عشت تدمع

أنيس فدتك النفس ماذا رزئته ... لقد خفت أن أقضي وشيكا فأسرع

فكيف بقائي بعد أوس أخي الفدى ... وبعد أنيس لست في العيش أطمع

ثم جعل يجلس بين قبريهما فيشرب قدحا ويصب في كل قبر قدحا، ويقول:

خليلي هبا ما قد رقدتما ... أجدكما لا تقضيان كراكما

ألم تعلما ما إن راوند كلها ... ولا بخزازي لي صديق سواكما

أصب على قبريكما من مدامة ... فإلا تذوقا أرو منها ثراكما

مقيم على قبريكما لست بارحا ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

أجدكما ما **ترثيان** لموجع ... حزين على قبريكما إذ بكاكما

جرى النوم بين اللحم والعظم منكما ... كأنكما كأسي عقار سقاكما

ألم ترحماني أنني صرت مفردا ... وأني مشتاق إلى أن أراكما

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/١٨٣

أناديكما بالجهر مني صبابة ... كأنكما لم تسمعا من دعاكما
فإن كنتما لا تسمعاني فما الذي ... خليلي عن سمع الدعاء عداكما
سأبكيكما حتى الممات فما الذي ... يرد على ذي عولة إن بكاكما
فلم يزل يشرب ويردد هذا الشعر حتى مات، فدفن إلى جانبهما، فقبورهم هناك تسمى قبور الإخوة.

تعليق لغوي

قال القاضي: قول أنيس في شعره: كأنا أثاف لا تريم رواكد، الأثافي أثافي القدر، وهي ما تنصب عليه من حجارة أو غيرها، والواحدة أثفية، ومثله أمنية وأماني وأوقية وأواق، وقد يخفف هذا فيقال أماني وأواقي، وروى عن بعض المتقدمين أنه قرأ " لا يعلمون الكتاب إلا أماني " بالتخفيف، وقيل: هو في تخفيفه وتشديده بمنزلة قراقر وقراقير في جمع قرقور، والعرب تقول في دعائها على الرجل: رماه الله بثالثة الأثافي يريدون الجبل، لأنهم يجعلون للقدر أثفيتين ويسندونهما إلى الجبل فيغنيهم عن أثفية أخرى، وقيل: إنهم يخففون الأثافي من هذا الباب أكثر من تخفيفهم غيره لكثرة استعماله، ومن قال هذا ونحوه: الأخفش وقوله: لا تريم، أي لا تبرح، يقال: لا أريم وما أريم، ولا يستعمل إلا في النفي لا يقال: ما رمت كما يقال ما زلت، ولا يقال زلت في الأبيات، قال الشاعر:
لمن طلل برامة ما يريم ... عفا وخلا له حقب قديم." (١)

"ما أثر في قلبي منظوم تأثيرها عند إنشادها، وكانت لي ابنة لطيفة المحل من قلبي، نفيسة المنزلة في نفسي، ذات محاسن كثيرة، وفضائل غزيرة، ورزقت حظا من حفظ التلاوة والآداب الدينية، مع عقل رصين ونزاهة ودين، وهبها الله ليبفضله ونعمته، ثم استأثر بها بعدله ومشيئته، فسلمت للرب جل جلاله قضاءه فيها وعرفت حسن اختياره لي ولها، إذ كان خالقها أملك بها من والدها ومنشيها، وأرحم بها من ثاكلها، وصابرت عظيم المصاب بها، ورضيت بثواب الله عوضا منها، ولهجت بهذه الأبيات التي قدمت ذكرها فمكثت زمانا أقطع ليلي ونهاري بترجيعها والترنم بها، وأستشفي بفيض دموعي ورفع عفيرتي بتردادها، ولإعجابي بها رأيت إتباعها بذكر ما حضرني من الأخبار التي تضمنتها أنسا مني بإعادتها، ولم أدخل بعض الآتية بها في بعض إذ كانت قد وقعت إلي من جهات شتى وطرق مختلفة.
فمن ذلك ما حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: أخبرنا الزبير، قال: قال عبد الملك بن قريب

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/١٨٤

الأصمعي: خرجت ذات يوم في البادية فإذا أنا بامرأة إلى جانب قبر وهي تشير بيدها، فقلت: ينبغي أن تكون هذه تندب أو ترثي، فدنوت حتى قربت منها فإذا هي تقول:

هل خبر القبر سائليه ... أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما ... بالجسد المستكن فيه

لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كل من بليه

يا قبر لو تقبل افتداء ... كنت بنفسي سأفتديه

أنعي بريدا إلى حزوب ... تحسر عن منظر كريه

أندب من لا يحيط علما ... بوصفه ندب نادبيه

يا جبلا كان فا امتناع ... ةركن عز لآمليه

أنعي بريدا لمجتنيه ... أنعي بريدا لمعتفيه

يا نخلة طلعها نضيد ... يقرب من كف مجتنيه

تحلو نعم عنده سماحا ... وطيبها راتب بفيه

أيا صبورا على بلاء ... كان به الله مبتليه

قال: عبد الملك فحفظت ما قالت، ثم دنوت إليها، فقلت لها: أعيدي لفظك رحمك الله، قالت: أما والله لو علمت أن أحدا يسمعني ما تفوهت به، قال: فقلت لها: إني أسألك ألا أعدتيه، فقالت: يا شيخ سوءة لك، أقول لك ما أقول وتعيد علي الكلام فقلت لها: إني أسألك." (١)

"أثره وإلا لست بابني، قال: فأثرته ثم أنخت لأشرب فنعب غراب قال: أثره وإلا لست بابني، قال: أثرته، ثم أنخت الثالثة لأشرب فنعب غراب وتمرغ في التراب فقال: اضرب السقاء بالسيف وإلا لست بابني، قال: فضربته فإذا فيه أسود سالخ.

قال: ثم مه، قال: ثم رأيت غرابا واقعا على سدرة قال: أطره وإلا فلست بابني، قال: أطرته فوقع على صخرة، قال: أحذني يا بني، قال: فأحذاه.

معنى أحذى

قال القاضي: قوله أحذني أي أعطني فأعطاه، يقال: أحذى فلان فلانا شيئا من ماله إذا رضخ له؛ قال رجل

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣١٠

من بني سعد لرؤبة بن العجاج: أحذ أبا الجحاف إذ حبينا

أعرابية ترثي قوما هلكوا

حدثنا علي بن محمد بن الجهم الكاتب أبو طالب، قال حدثني أبو الحسين الحسن بن عمرو السبيعي، قال حدثني رجل من الأعراب وفد إلى ابن البعيث، قال حدثني عم لي قال: نزلت ماء لبني فزارة ثم ارتحلت عنه وأتيته في العام المقبل فإذا ليس من الحي أحد خلا عجوز في سفح جبل تبكي، فقلت: ما يبكيك يا عجوز؟ قالت: على أثر الحي، قلت لها: أعسى حيبا نزلت به عام أول؟ قالت: أقلت حيبا؟ والله لقد كان حي ربحل، إذا ارتحلوا على ألف فحل، لقد كان فيهم مليل، وما مليل؟ سحاب ذيل على ذيل عطاؤه سيل، وغضبه ويل، لم تحمل مثله إبل ولا خيل، ولقد كان فيهم مالك وما مالك؟ خير من هنالك. ولقد كان فيهم مهجعة وما مهجعة؟ فارس كأربعة، يكر والخيل معه، ولقد كان فيهم عمار وما عمار؟ يوم الفخر فخار، ويوم الجر جرار، لم تخمد له نار طلاب بأوتار، ولقد كان فيهم هجين لهم يقال له حممة، وما حممة؟ له ألف ناقة مسنمة، وألف مهرة مسومة، وألف نعجة مزنمة، وألف عبد وأمة، قعد ذات يوم قعدة له حسنة فأنهبها كلها في ساعة لم يقض نهمه، قال: فكأنما ألقمتني عنها وعن قومها حجرا.

شرح الغريب في حديث الأعرابية

قال القاضي: قولها حي ربحل أي حي قيل كريم نبيه، واسع عطاؤه، رحب فناؤه، ومنه قول القائل: مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا، وملكا ربحلا، يعطي عطاء جزالا. وأما قولها: ولقد كان فيهم هجين لهم فالهجين الذي أمه أمة، ومنه قول عنترة قبل أن يحرره أبوه:

أنا الهجين عنترة

وجمع الهجين هجناء مثل أمين وأمناء، وقرين وقرناء، وكمين وكمناء. ومن الهجين قول الشاعر:

ألا ضربت تلك الفتاة هجينها ... الا قضب الرحمن ربي يمينها

وقول الشماخ:." (١)

"فأتيت الكوفة ولم يكن لي بها معرفة، فذكر مثل حديث يحيى بن عبد الله أو نحوه.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٤٧٣

وفود مالك بن عوف على الرسول

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال، حدثنا أحمد بن عيسى العكلي عن الحرمازي عن أبي عبيدة قال: وفد مالك بن عوف بن سعيد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية، وهو رئيس هوزان يوم حنين، بعد إسلامه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده:

ما إن رأيت ولا سمعت بواحد ... في الناس كلهم كمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل لمجتد ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة حددت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله ... وسط الأباءة خادر في مرصد

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وكساه حلة.

شرح لفظتين

قال القاضي: الأباءة الغيضة أو القطعة من القصب، والأباء القصب، قال الشاعر:

يا من ترى ضربا يرعبل بعضه ... بعضا كمعمعة الأباء المحرق

والخادر: المستكن في غيضته أو غابته وهي كالخدر له، قالت الخنساء فيما **ترثي** به أخاها صخرا:

فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

ابن عباس ينشد الشعر في المسجد الحرام فينتقده ابن الأزرق

حدثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب قال، حدثنا عمر بن شبة قال، حدثني أبو يحيى الزهري قال، حدثنا ابن أبي ثابت قال، أخبرني أبو سيار عن عمر البركا قال: بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ابن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين.

قال القاضي: الممصران: اللذان فيهما صفرة.

يسير حتى سلم وجلس. فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا، فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أو رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس، إنا لنضرب إليك أكباد المطي من أقاصي الأرض لنسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت ... فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس: ليس هكذا قال، قال:." (١)

"في هذا البيت دلالة على فساد قول من قال إن قولهم: " يا لزيد " معناه: يا آل زيد، ألا ترى إنه لا تضاف " آل " هذه " إلا " إلى الأخص الأعرف فتقول: هؤلاء آل الله، " قال سبحانه ": (أدخلوا آل فرعون اشد العذاب) . فلا تقول: رأيت آل رجل، ولا: كلمت آل امرأة وقد قال: " يا لقوم " وهو نكرة غير معرفة فقد ثبت إن معناه يا قوم، زقزم ليس من الأعلام ولا من الخواص.

(٣٣) وقال خالد بن زهير بن المجرب " من الطويل "

لعمر بني هند لقد دق مضغكم ... ويؤتم إلى أمر إلي عجيب

قال: " دق مضغكم ": صغر شأنكم، هذا تفسير على المعنى لا على اللفظ، ألا ترى إن أحدا لا يسمه الشأن مضغا. وتفسير معناه إنه استصغر شأنهم فسماه مضغا لأن هذه كلمة بكنى بها عن الضعة والصغار كقولك: جاءني يمضغ كلامه، أي وكلامه فاتر ساقط.

ومنها:

ولم يجد فعلي نقرة بمسافع ... فيثنى أمنا كان غير مثيب

معناه: فعلي بمسافع، فإن حملته على هذا كان فيه الفصل بالأجنبي، ألا ترى إن الباء كانت تكون من صلة " فعلي " وقد فصلت بينهما بقولك " نقرة " أجنبية منهما لأنها منصوبة ب " يجد " فإذا كان كذلك حملته على مضمر محذوف يدل عليه " فعلي " كأنه قال فيما بعد: فعلت بمسافع، ونظيره قول الله سبحانه: (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) ، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.

(٣٤) وقالت أم تأبط شرا **ترثيه**

يجدل القرن ويروى الندمان ... ذو مقط يرمي وراء الأخوان

المأقط: مجتمع الجيش للحرب وهو " مفعل " من الأقط لأنه لبن يجمع، وقالت أيضا فيه:

وآ ابناه وآ أبن الليل ... ليس بزميل شروب للقيل

يضرب بالذيل ... كمقرب الذيل

زميل: ضعيف وهو " فعيل " من الزمل والزميل، وهو الرديف كأنه ملصق مستضعف.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٧٢٦

(٣٥) وقال شاعر بني قريم " من الوافر ":
تأبط سوأة وحملت شرا ... لعلك أن تكون من المصاب
أي الذين ي۩ابون، ذهب بالمصاب إلى الجنس كقوله أنشدناه أبو علي وقرأته على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى " من الرجز ":
إن تنجلي يا مي أو تعتلي ... أو تصبحي في الظاعن المولى
يريد في الظاعنين المولين وانشد أبن الأعرابي " من الرجز ":
يا حبذا نضحك بالمشافر ... وبالعثانين وبالحناجر
على رؤوس كرؤوس الطائر
يريد: الطير.
وفيها:
فزلتم تهربون ولو كرهتم ... تسوقون الخزائم بالنقاب
قال: يريد ما زلتم، وهي لغة لهم. الشائع في هذا إنما هو حذف " لا "كقوله " من الطويل ":
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
أي: لا ابرح، إلا إنه شبه " ما " ب " لا "كما شبه " لم " ب " ما "، قال الأعشى " من المتقارب ":
أجدك لم تغتمض ليلة ... فترقدها مع رقادها
أي: ما تغتمض، وأنشدنا أبو علي " من الوافر ":
أجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيدان ناجية ذمولا
أراد " ما ترى "، وذلك إن الفعل بعد " أجدك " إنما هو للحاضر والحال ونفى فعل الحال إنما هو ب " ما " دون غيرها. وينبغي أن تكون " الخزومة " وهي البقرة سميت بذلك لأنها تخزم إلى غيرها أي تشد إليها ليحرث عليها، وكذا العرف في البقر في غالب الأمر. قال الله عز وجل: (لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) .
(٣٦) وقال شاعر فهم واسمه كاثف " من الطويل ":
غداة تساهمنا الطريق فبزنا ... سوام كقلس البحر جون وأبقع." (١)

---

(١) التمام في تفسير أشعار هذيل ابن جني ص/٣٢

"(بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم فيه سجدا للحوافر)

(وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر)

أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول

(بجيش تضل البلق في حجراته)

قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه. قالوا وقتلت خثعم رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته **ترثيه**:

(لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل خثعما)

(وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فألجما)

(فأرسلها رهوا كأن رعالها ... جراد زهته ريح نجد فأتهما)

فقيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلافرسه. قوله (تضل البلق في حجراته) غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فإذا خفي مكانها في جمع فليس وراءه في الكثرة شئ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق، ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر.

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن النبي & لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيدا وأصحابه سبعون راكبا وفيهم فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد قال حسان بن ثابت:

(أقمنا على الرس النزوع لياليا ... بأرعن جرار عريض المبارك)

(ترى العرفج الحولي تذري أصوله ... مناسم أخفاف المطى الرواتك)

(إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه ... قريب المدى بالموسم المتعارك)

(نسير فلا تنجو اليعافير وسطنا ... وإن داءلت منا بشد مواشك)." (١)

"وجاء حتى نزل ببدر وكانت سوقا تقام فى كل سنة ثمانية أيام، وخرجت قريش تريده وهم ما بين تسعمائة والف، وخيلهم مائة، وكان أول طالع منهم زمعة بن الأسود، فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» (اللهم أنك أنزلت على الكتاب وأمرتنى بقتال المشركين ووعدتنى احدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد وهذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحنهم «١» الغداة) فاستجيب له فيهم، فهزموا وقتل صناديدهم وأسروا، فكان القتلى سبعين والأسرى سبعين، وقيل أربعين وأربعين.

وضرب عنق النضر ابن الحارث، وهو أول من ضرب عنقه فى الاسلام فقالت ابنته **ترثيه**: وتخاطب رسول

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٦٩

الله- صلى الله عليه وسلم- أمحمد ها أنت صنو «٢» نجيبة لنجيبة والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق «٣»

فقال صلى الله عليه وسلم: لو سمعت شعرها ما قتلته «٤» ، فلما قسم غنائمهم أخذ سيف منبه بن الحجاج،- وهو ذو الفقار- فتقلده فكان أول سيف تقلده، وأخذ أيضا جملا مهريا لابى جهل صفية، فجعله فيما أهدى الى مكة، فهابت قريش من يومئذ جانب المسلمين، فتركت الطريق التى كانت تسلكها الى الشام، واستأجرت رجلا يقال له الفرات بن حيان، فخرجوا بتجارة عظيمة، فبعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زيد بن حارثة فأصابها، وورد بها المدينة، فقال حسان ابن ثابت: يذكر الفرات بن حيان حين انصرف رسول الله من بدر ومعه فرسان." (١)

"فان نلق فى تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكن جد هالك

يصيب وما يدرى ويخطى ومادرى ... وليس يكون النوك الا كذلك «١»

وانما يستحسن ذلك لدخوله فى باب التهويل على العدو، وهو يجرى مجرى المكيدة فى الحرب، ومثله ان خثعم قتلت رجلا من بنى سليم فقالت أخته ترثيه.

لعمرى وما عمرى على بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل ختعما

وكان اذا ما أورد الخيل بيشة ... الى حين أسراج أناخ فألجما «٢»

فأرسلها رهوا رعالا كأنها ... جراد رمته ريح نجد فأتهما «٣»

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك؟ فقالت: اللهم لا أعرف الا فرسه.

ومثله ان ليلى بنت عروة بن زيد الخيل قالت لابيها: كم كانت الخيل؟

حين قال:

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوائر

بجيش تضل البلق فى حجراته ... ترى الأكم فيها سجدا للحوافر." (٢)

"شرب أعرابي شربة من لبن فقال: من رزقه الله الشكر من النعمة باللبن فقد ألهمه الشكر على جميع النعم لأنه يجمعها.

قيل لأحيحة بن الجلاح: أي المال أحب إليك؟ قال: ودية ملمة، أونعجة مرمة.

---

(١) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/١٢٣

(٢) الأوائل للعسكري العسكري، أبو هلال ص/١٢٥

أنشد أبو نصر غلام الأصمعي: الطويل

لنا صرم ينحرن في كل شتوة ... إذا ما سماء الناس قل قطارها

ونحمي بها العرض الكريم ونتقي ... ويروي ظماء المعتفين شعارها

قال أعرابي من أهل اليمامة: عندنا ثمرة تسمى البردي لهي أحسن من العقيان في صدور الفتيان، فإن جعلتها نبيذا فهي سم الأساود، والقائم فيها ساجد.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان الفهم منه ذا أذنين، والجواب ذا لسانين، لم أر أحدا أرتق لخلل ثأى منه؛ كان بعيد مسافة الرأي ومراد الطرف، إنما يرمي بهمه حيث أشار له الكرم، يتحسى مرار الإخوان ويسقيهم العذب.

أعرابية ترثي: المتقارب

ألا هلك الجود والنائل ... ومن كان يعتمد السائل." (١)

"فقال رجل من عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

لولا حر قدمته لابن منكت ... مقلم ناب الاسكتين أزوم

لما كنت عند الباب أول داخل ... عشية وافت عامر وتميم

وكان إبراهيم اسود، ففيه يقول البعيث – واسمه خداش بن بشر بن أبي خالد، وقد يقال: بشر بن خالد بغير كنية بن بينة بن قرط بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم:

ترى منبر العبد اللئيم كأنما ... ثلاثة غربان عليه وقوع

وفي هذه القصيدة يقول:

وإن لها جارا إذا ما دعوته ... تحرد عاري الاشجعين منيع

أغر إذا ما شد عقدا لذمة ... حماها وطير في الدماء كروع

وسنقصي – إن شاء الله – ذكر البعيث عند ذكر ضبة بنت البعيث فإنها كانت شاعرة، وهي التي تقول ترثي أباها، وكان لما مات نعاه رجل من عكل:

نعاه لنا العكلي لا درده ... فيا ليته كانت به النعل زلت

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيان التوحيدي ٧٧/٣

فلن تسمعي صوت البعيث مماريا ... إذا ما خصومات الرجال تعلت

وإبراهيم هذا هو الذي استعداه منازل بن فرعان بن الأعرف من بني عبد منبه أبن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد، أخوه منقر بن عبيد على أبنه خليج بن منازل وقال:

تظلمني حقي خليج وعقني ... على حين صارت كالحني عظامي

رجاء لغول من حرام كأنما ... تسعر في بيتي حريق ضرام

يعني إن أبنه تزوج امرأة من حرام بن كعب بن ربيعة بن سعد بن زيد مناة بن تميم:." (١)

"على ذلك قوله تعالى: " رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته " وقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء ... نغص الموت ذا الغنى الفقيرا

وقد قيل إن حمارا المذكور اسم رجل كان يضرب به المثل في الذل، فلذلك ذكره. ولا يجوز أن يراد به واحد من الحمر، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يقول في الثاني إلا بإذن الحمار؛ لأن النكرة إذا أعيد ذكرها يجب تعريفه بالألف واللام إشارة إليه. على هذا كتب في أواخر الكتب وقد قدم في أوائلها: سلام عليك: والسلام عليك.

لكنه حوض من أودى بإخوته ... ريب الزمان فأمسى بيضة البلد

هذا الكلام فيه تنبيه إلى شدة فاقته إلى من يذب عنه، وتأكد جزعه لما فاته من الصيانة بإخوته، فيقول: لكنه حوض رجل فرق الدهر بينه وبين من كان يعتز به، ويدفع الظلم والهضيمة عن نفسه بمكانه، فأمسى لا ناصر له، ولا دافع دونه، كبيضة البلد. وقد قيل في بيضة البلد: إنه أراد بيض النعام، لأنها سيئة الهداية، فتضع بيضها في موضع، ثم تتركه ضلالا عنه فتضيع، وربما تذهب وتحضن بيض غيرها تظن أنها بيضها. وقد ضرب المثل بها فقيل:

كتاركة بيضها بالعراء ... وملبسة بيض أخرى جناحا

وقد قيل: إن بيضة البلد هي الكمأة البيضاء تنشق عنها الأرض - وهي الفقع - فتطؤه الماشية، وتنقره العافية، ولذلك قيل: أذل من فقع بقاع. وكما ضرب المثل ببيضة البلد في الذل ضرب المثل بها في العز أيضا. وقد مضى ذكرها. وأنشدني بعضهم لأخت عمرو بن عبد ود **ترثي** أخاها، وكان أمير المؤمنين عليه

---

(١) أدب الخواص الوزير المغربي ص/٩٠

السلام قاتله:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ما أقام الروح في جسدي." (١)

"وقال لبيد

لعمري لئن كان المخبر صادقا ... لقدرزئت في حادث جعفر

أخا لي أما كل شيء سألته ... فيعطى وأما كل ذنب فيغفر

يرثي بهذا أربد أخاه. وقوله (إن كان المخبر صادقا) فهو قد علم صدق الحديث، لكنه لاستعظامه للنبأ، وفخامة أمر المتوفى في النفوس وعنده، يرجع على المخبر بالتكذيب، ويدخل الشك على المشهود والمسموع، كما قال الآخر:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم

واللام من (لعمري) لام الابتداء، ومن قوله (لئن) هي الموطئة للقسم، ومن قوله (لقد) هي جواب القسم.

والمعنى: وبقائي لئن ورد هذا الخبر من صادق بريء من الحسد والتزيد مؤد لما تحققه سماعا أو عيانا.

لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمرزئة عظيمة فظيعة.

وقوله (أخا لي) انتصب عن (رزئت جعفر) ، أي رزئت شقيقا لي هذا صفته، وهو أن سماحته وتكرمه كانا يبعثانه عل بذل كل حسنة تقترح عليه، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التجافي عن كل سيئة تبدر إليه.

وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أخاها

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

الأثل: شجر. وإنما قالت ما قالت منكرة ومستوحشة، إذ كان الحكم عندها أن تتغير الأمور عن مقارها لموت أخيها، فتتحول الأحوال وتتبدل الأبدال، وتتخشع." (٢)

"يسلط عليه التغيير. وقوله:

والدهر ليس يناله وتر

يريد أنه يتر غيره فلا يوتر، وينكى فلا يجازى، فليس معه الا الاستسلام لحكمه، والرضا بمحتومه. وهذا الذي جعله للدهر، الفاعل له القادر على كل شيء، تعالى عن الأشباه.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٥٦٩

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٣٢

كنت الضنين بمن أصبت به ... فسلوت حين تقادم الأمر
ولخير حظك في المصيبة أن ... يلقاك عند نزولها الصبر
قوله "كنت الضنين " تشك من الفراق الواقع بينه وبين من يرثيه، واظهار لضنه كان به، وتنافسه فيه. فيقول: كنت لاأصبر عنه، وأعد الأوقات التي لاأراه فيهاكثلمة في العيش، ونقيصة من زاكي الحظ، اذ كنت لاأرى طيب العيش الا معه، ولا أعرف طعم الحياة الا في صحبته فلما افترقنا وتقادم العهد بيننا سلوت عنه، حتى كأنني لم يجمعني واياه حال. وهذا الكلام منه استقصار لجزعه، واعتراف بأنه لم يفعل كنه الواجب عليه عند الرزيئة. وقوله: " ولخير حظك " يريد: خير انصبائك فيما تصاب به وتعنوه، أن يتلقاك الصبر عند الصدمة الأولى لتصون به دينك ونفسك وعقلك؛ لأن المرجع اليه، فألايتسلى الانسان تسلي البهائم أحسن وفي هذه الطريقة قول الخريمي:
واني وان أظهرت صبرا وحسبة ... وصانعت أعدائي عليك لموجع
ولو وشيت أن أبكي دما لبكيته ... عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

وقالت ابنة ضرار الضبية
ترثي أخاها قبيصة بن ضرار:
لا تبعدن وكل شيء ذاهب ... زين المجالس والندى قبيصا
(لا تبعدن) لفظة قد مر القول فيها فيما تقدم. وقوله (وكل شيء ذاهب) تسل. كأنها قالت متوجعة: لا تبعد، ثم عقبته بالتسلى فقالت: وكل حي منا ميت، وكل أمر فينا متغير يا زين المجالس والندى يا قبيصة. وقولها (وكل شيء ذاهب) اعتراض." (١)
"وقوله (ألا ليت أمي لم تلدني) تمنى السلامة بأن كان لا يخلق ولا يخترع فينجو من الابتلاء، وملابسة أنواع البلاء، والتردد بين السعادة والشقاء؛ وتمنى بعد أن أوجد وخلق ألا يكون فاقدة والمعزى فيه، بل كان السابق له والمقدم عليه، سيما وهما جاريان إلى غابة من العطب لا محيص عنها، ولا مفر منها.
وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدى ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري
جرى على افتتنانهم في تحويل الكلام عن الاخبار إلى الخطاب، وصرفه عن العموم إلى تخصيص بعضهم

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٣٧

بالذكر. ألا ترى أنه أخبر في قوله (وقاسمني دهري بني) ثم قال (ليتني سبقتك) فرجع إلى خطاب واحد منهم، ثم قال (وكنت به أكني) فأخبر به عن أحد بنيه. والمعنى: كنت اكتنيت به حبا لذكره واسمه، وتفاؤلا ببقائه وداومه، فبقي الاسم والشخص مفقود، فلا جرم أني متى كنيت به تجدد لي حزن أفاض عبرتي، وأغاض ماء عيشتي.

وقوله (وقد كنت ذا ناب وظفر على العدى) يريد: إني كنت تام السلاح بهم، موفور العدد والعدد بمكانهم، مخشي الجانب، لا يطمع في استنزالي عن حجة أركبها، أو شبهة اتعلق بها. وذكر الناب والظفر مثل ضربه لسلاحه وآلاته التي كان يدفع الخصوم بها، ويقهر الأعداء باستعمالها. وقوله (لا يخشون نابي ولا ظفري) يريد لا ناب لي بعدهم ولا ضفر فيخشى. فهو مثل:

ولا ترى الضب بها ينجحر

وأنشد لامرأة ترثي أباها

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب

وكم من سمى ليس مثل سميه ... وإن كان يدعي بأسمه فيجيب

يقول: متى قرع أذني دعاء داع بإسم ولدي أذعن وأقلق، كما يذعر الثكلى مهيب، وهو الداعي. والثكلى تفزع لأدنى صبحة ترهقها، أو قرعة تصدم قلبها.." (١)

"فتى كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر

فتى كان يدينه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

يريد أن المرثي كان إذا حضر الوغى تصور السيف عليه حقا، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرر: يال فلان!! مرارا. والتثويب في الآذان معروف. وقوله (وتشقى به الجزر) يريد وقت نزول الأضياف، وأنه كان لا يرضيه أقرب المنازل في نزل الضيف، بل كان يرتقى إلى أعلاها.

وهذا المعنى قد مضى قريبا، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله. ومعنى يدينه الغنى من صديقه أنه كان يعد التفرد بالغنى لؤما، وكان يشرك أصدقائه فيه، كما يعد في حال الإضافة والفقر ملابسة الأصدقاء كالتعرض لخيرهم، فيبتعد عنهم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٥١

وقالت عمرة الخثعمية، ترثي ابنيها

لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت: وا بأباهما

الزعم يستعمل كثيرا فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكمت عن القوم: زعموا. كأنها لما استشرف الناس جزعها وهلعها، فتذاكروا أمرها فيما بينهم أظهرت الانكار والتكذيب فيما توهموه، فقالت: وهل جزع أن قلت وأباباهما، من التوجع لهما على قدر القائل: وأباباهما. ولفظة (وا) تألم وتشك، وهي حرف للندبة. و (بأباهما) أرادت: بأبي هما، ففر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفا. على ذلك قولهم: باداة وناصاة، في بادية وناصية. وقولها (وهل جزع) ارتفع جزع على أنه خبر مقدم، (وأن قلت) في موضع المبتدأ، وبأبا خبره. هذا على طريقة سيبويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف. ورواه بعضهم: (بأناهما) ، أي أفديهما بنفسي وأنا هو ضمير المرفوع، وقد وقع موقع المجرور، وكقولهم: هو كأنا، وأنا كهو.." (١)

"قال:

يركضن قد قلقت عقد الأطانيب

وقالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها عباسا

أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهروالأيام أن تتصبرا

وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير اذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخي مهابة ... وليس الجليس عن أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخي مهابة ... وليس الجليس عن أخي بأزورا

تقول: يا عيني لاأقول إنكما لم تجزعا ولم تذرفا، ولم تخلطا بدمع دما، فاكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما. وكيف لا تكونان كذلك والأيام والليالي امتنعت عليكما أن تتصبرافيها، اذ كانت حملتكما من أعباء الرزية ما استنفد وسعكما، واستغرق طوقكما، حتى نزفت دموعكما، وتوقفت عن الإجابة شؤونكما، فما بقي منكما إلا شفا.

وقولها: (وما كنت أخشى) يقول: كنت قبل هذه الرزيئة واثقا بقوتي وصبري، ومسكتي وعقلي، حتى لا أخشى - اذا أخطرت ببالي أحداث الدهر وتأثيرها في الأحبة والأهل - سوء احتمال فيها، وضعف منة عنها، إلى أن نعى أخي فورد له على نفسي ما أبدلني بالتماسك تهالكا، وبالتثبت تساقطا، حتى صرت

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٥٨

كأني بعير ألح عليه فتحسر ورزح، وعقل في مبركه بالعجز فما برح.

وقولها (ترى الخصم زورا) جعلت الخصم للجمع فلذلك قالت زورا. والمصدر اذا وصف به بقي على حاله فلم يثن ولم يجمع. وقد قيل: خصمان وخصوم، لما غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أجرى عليه حكم الصفة. والمعنى: ترى منابذي أخي منحرفين عنه وعن كل متصل به، مسلمين له ولمن اعلق حبله بحبله، إعظاما له وتهيبا، وإكبارا وتخوفا. وترى جلساءه وندماءه مباسطين له ومستأنسين به، لايتداخلهم منه رعب، ولا يقبضهم عنه تجبر وكبر. والختل:." (١)

"ويقال: من المطر الرثاث وهي القطار المتتابعة يفصل بينهن أقل ما بينهن ساعة، وأكثر ما بينهن يوم وليلة. ويقال: أرض مرثة **ترثيثا**.

ويقال: أرهجت الأرض إرهاجا وأضبت إضبابا ومن الرهج السيق من الغمام الذي يسوقه الريح.

والإغصان المطر الدائم الذي ليس فيه فرج، والفرج اليوم والليلة أو أكثر من ذلك قليلا. ومثله الإلثاث.

الفصل الثاني في علة ما ذكرنا من كلام الأوائل

قالوا: إن العلة في المطر- والثلج- والجليد- والريح- واحدة وهي أن الشمس إذا مرت بموضع ندى أثارت بخارا بحرارة مرورها فيكون كيفية ذلك البخار على طبيعة الموضع الذي يثور منه البخار. فأما كمية فعلى قدر كبر ذلك الجسم المهيأ للثوران إن كان كثيرا وكانت الشمس قوية عليه أثارت بخارا كثيرا من ذلك الجنس الذي هو طبيعة ذلك الموضع.

فإذا أشرقت الشمس بدورانها على موضع ندي إذا سخن ثار منه بخار وذلك أن الحرارة إذا خالطت الرطوبة لطفت أجزاؤها فصيرتها هواء. فإذا كثر ذلك البخار وتباعدت الشمس عن ذلك الموضع الذي ثار منه البخار استقبل ذلك البخار البرد الذي هو فوق الأرض الذي يرد الهواء فرده إلى الأرض، فتكاثف بالعصر فصار ماء فانحدر. فإن كان ذلك المنحدر شيئا يسيرا صغير الأجزاء سمي ندى. ولذلك تكون الأنداء في الشتاء أكثر لكثرة برودة الهواء وضغطها البخار الرطب إلى الأرض ولذلك تكون الأنداء بالليل أكثر منها بالنهار.

وإن كان المنحدر كثيرا كثير الأجزاء سمي مطرا، فهذه علة الندى والمطر وإن كان الذي يصعد من البخار يسيرا، وكان الذي هجم عليه من فوق شديدا جدا، صير ذلك البخار جليدا، وإن كان ذلك البخار الصاعد كثيرا وكان الذي هجم عليه شديدا جدا، صار ذلك البخار ثلجا، ففرق بين الثلج والجليد خلتان، إحداهما:

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٧١

كثرة البخار وقلته، كما فرق بين الندى والمطر كثرة البخار وقلته. والخصلة الأخرى: أن الجليد إنما هو بخار جمد في الهواء لا في السحاب، والثلج إنما هو بخار جمد في السحاب.

وكذلك الفرق أيضا بين الندى والمطر، هذا لاختلاف أن الندى إنما هو بخار انحدر إلى الأرض من دون السحاب، وأن المطر انحدر من السحاب ولكن البخار الذي يصعد من." (١)

"البصر. وخرج إلى طعام دعي له فإذا حسين يلعب مع صبوة في السكة، فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم فبسط يديه، فطفق الغلام يفر، هاهنا وهاهنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه، ثم أقنعه فقبله. استنتل: يريد: تقدم أمام القوم، وأقنعه: رفعه. وقالت عائشة: كنت ألعب مع الجواري بالبنات فإذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم انقمعن. قالت: فيسربهن إلي. وقالت: قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم ينظر إليهم، فقمت، وأنا مستترة خلفه حتى أعييت، ثم قعدت ثم قمت، فنظرت حتى أعييت، ثم قعدت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينظر. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن المشتهية للنظر. وروي أنه عليه السلام مر على أصحاب الدركلة فقال: خذوا يا بني أرفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءك عمر، فلما رأوه ابذعروا. وروي أنه عليه السلام سابق عائشة في سفر فسبقته، وفي سفر آخر فسبقها. وقال صلى الله عليه وسلم: " هذه بتلك ". وروي: أنه لما قتل النضر بن الحارث بن كلدة، وأتته ابنته فأنشدته الأبيات المعروفة، **ترثي** أباها. قال عليه الصلاة والسلام: " لولا قتلي أباها لتزوجتها ". قالوا: يا رسول الله؛ ليست بتلك. قال: فأين الخيلان الثلاثة بخدها كأنهن رأس الجوزاء؟ ". ومن مزحه عليه السلام قوله لخوات بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين: " ما فعل جملك الشرود؟ " فقال: عقله الإسلام.." (٢)

"فهم سراع إليكم بين ملتقط ... شوكا وآخر يجني الصاب والسلعا

لو أن جمعهم راموا بهدته ... شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا

في كل يوم يسنون الحراب لكم ... لا يهجعون إذا ما غافل هجعا

خزر عيونهم كأن لحضهم ... حريق نار ترى منه السنا قطعا

لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم ... من دون بيضتكم ريا ولا شبعا

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٣٢٧

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢/٩٦

وأنتم تحرثون الأرض عن عرض ... في كل معتمل تبغون مزدرعا
وتلحقون حيال الشول آونة ... وتنتجون بذات القلعة الربعا
وتلبسون ثياب الأمن ضاحية ... لا تفزعون وهذا الليث قد جمعا
أنتم فريقان هذا لا يقوم له ... هصر الليوث وهذا هالك صقعا
وقد أظلكم من شطر ثغركم ... هول ظلم تغشاكم قطعا
مالي أراكم نياما في بلهنية ... وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فاشفوا غليلي برأي منكم حسن ... يضح فؤادي له ريان قد نقعا
ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا ... إذ يقال له افرج غمة كنعا
قوموا قياما على أمشاط أرجلكم ... ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزعا
صونوا خيولكم واجلوا سيوفكم ... وجددوا للقسي النبع والشرعا
واشروا تلادكم في حرز أنفسكم ... وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلعا
ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة ... كما تركتم بأعلى بيشة النخعا
اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا ... حتى ترى الخيل من تعدائها وجعا
فإن غلبتم على ضن بداركم ... فقد لقيتم بأمر حازم فزعا
لا تلهكم إبل ليست لكم إبل ... إن العدو بعظم منكم فزعا
هيهات لا مال من زرع ولا إبل ... يرجى لغابركم إن أنفكم جدعا
لا تثمروا المال للأعداء إنهم ... إن يظفروا يحتووكم والتلاد معا
والله ما انفكت الأموال مذ أبد ... لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا
يا قوم إن لكم من أرث أولكم ... عزا قد أشفقت أن يودي فينقطعا
وما يرد عليكم عز أولكم ... إن ضاع آخره أو ذل واتضعا
ولا يغرنكم دنيا ولا طمع ... أن تنعشوا بزماع ذلك الطمعا
يا قوم بيضتكم لا تفجعن بها ... إني أخ ا ف عليها الأزلم الجدعا
يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذي تبقى مذلته ... إن طار طائركم يوما وإن وقعا
هو الفناء الذي يجتث أصلكم ... فشمروا واستعدوا للحروب معا

وقلدوا أمركم لله دركم ... رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عض مكروه به خشعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه ... هم يكاد أذاه يحطم الضلعا

مسهد النوم تعنيه أموركم ... يؤم منها إلى الأعداء مطلعا

ما زال يجلب در الدهر أشطره ... يكون متبعا يوما ومتبعا

وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا

حتى استمرت على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قمحا ولا ضرعا

كمالك بن قنان أو كصاحبه ... زيد القنا يوم لاقى الحارثين معا

إذ عابه عائب يوما فقال له ... دمث لنفسك قبل اليوم مضطجعا

فساوره فألفوه أخا علل ... في الحرب يختبل الرئبال والسبعا

مستنجدا يتحدى الناس كلهم ... لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم ... فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا إن خير القول ما نفعا

وقالت الخنساء بنت عمرو ترثي أخاها صخرا

أقذى بعينك أم بالعين عوار ... لا بل بكيت لمن أقوت له الدار." (١)

"وروى المبرد قال: كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم في وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالرشاب، فقال زياد: كيف لي باطراح رجل يسايرني مذ دخلت العراق، فلم يصكك ركابي ركابه، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فأدرت عنقي إليه، ولا أخذ علي الشمس في الشتاء قط، ولا الروح في صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننت أنه لا يحكم غيره، فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة: أيها الأمير ما هذا مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة، فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب، ولا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب علي، وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك وظهرت رائحة الشراب منك، لا آمن أن يظن بي، فدع النبيذ وكن أول داخل وآخر خارج عني، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي، أفأدعه للمال عندك، قال: فاختر من عملي ما شئت، قال: توليني رام هرمز، فإنها أرض طيبة وسرق

---

(١) أمالي المرزوقي المرزوقي ص/٥٠

فإن شرابا وصف لي، فولاه إياها، فلما خرج شيعه الناس، فقال أنس بن أبي أنيس:

أحار بن بدر قد وليت ولاية ... فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئا وليته ... فحظك من ملك العراقيين (سرق)

وباه تميما بالغنى، إن للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق

فإن جميع الناس إما مكذب ... يقول بما تهوى وإما مصدق

وحكى الهيثم بن عدي قال: بعث الحجاج بن يوسف أربعة آلاف رجل من أهل الكوفة إلى خراسان فاصطحب في الجيش ثلاثة فتيان يقال لأحدهم أوس بن خلد، وللآخر نصر بن غالب والآخر أنيس بن بدر، فنزلوا مدينة مرو فأقبلوا على لذتهم، مدمنين على شرابهم بالخوض في مستعذب الحديث وإنشاد الشعر ومذاكرة أيام الناس والمؤانسة، فاعتل أوس فمات، فاشتد عليه جزع أخويه وطال بكاؤهما وحنينهما إليه وكانا يخرجان كل يوم إلى قبره فيرثيانه ويتحدثان ويتناشدان كالذي كانوا يفعلون، وإذا دارت الكأس شرب كل واحد كأسه لاوصبا على قبر أوس كأسا، فإذا أمسيا رجعا إلى رحلهما فلبثا على ذلك برهة من زمانهما، ثم إن أنيسا مرض أياما فمات، فدفن إلى جنب صاحبه، فكان نصر يخرج كل يوم فيجلس بين قبريهما فيرثيهما ويبكي عليهما، وكلما شرب كأسا صب على قبر كل واحد منهما كأسا ومعه غلام كان يخدمهم، قال: فلما عمل الشراب فيه ذات يوم جعل يلزم هذا القبر تارة وهذا أخرى ويبكي ويقول:

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أجد كما ما تقضيان كراكما

أجد كما ترثيان لموجع ... حزين على قبريكما قد رثاكما

أقيم على قبريكما لست نازحا ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

تناما عمن لا ينام صبابة ... كأن الذي يسقي العقار سقاكما

أناديكما وجدا وشوقا إليكما ... فلا تسمعان الصوت ممن دعاكما

أصب على قبريكما من مدامتي ... فإلا تذوقاها ترو ثراكما

سأبكيكما طول الحياة وما الذي ... يرد على ذي لوعة إن بكاكما

فلم يزل يردد هذا الشعر حتى زفر زفرة فاضت فيها نفسه فدفن إلى جانب صاحبيه، فقبورهم تسمى قبور الإخوة، وفتيان المدينة ينتابون قبورهم فيشربون ويصبون من شرابهم عليها.

وكان يحيى بن عبيد الله الحارثي ماجنا شاعرا متهما في دينه، وهو القائل:

أقول لذي طرب فاتك ... إذا مل ذو النسك من نسكه

دع النسك ويحك لا تبغه ... وعاون أخاك على فتكه

لا تقع الدهر في صاحب ... وإن أكثروا فيه بل نكه

ولا تبكين على ناسك ... وإن مات ذو طرب فابكه

ومنهم علي بن الخليل وكان مشتهرا في الشراب مدمنا عليه، وهو الذي قال:

لا تكمل اللذات إلا بالقيان وبالخمور

هتك الستور وإنما اللذات في هتك الستور

واخلع عذارك في الهوى ... واصبر لنوبات الدهور

ودع العواذل لا يفقن عليك من دق الصدور

واعلم بأنك راجع ... حقا إلى رب غفور." (١)

"كم من مضيع لذة قد أمكنت ... لغد، وليس غد له بمواتي

حتى إذا فاتت وفات طلابها ... ذهبت عليه نفسه حسرات

ابن المعتز:

ألا فاسقياني قبل أغبر مظلم ... بعيد من الخلان من هو نازله

رأيت الفتى إن مات يورث ماله ... وتنكح أزواجا سواد حلائله

ذران أنعم في الحياة معيشتي ... وآكل مالي قبل من هو آكله

محمد بن أمية:

أما ترى اليوم قد رقت حواشيه ... وقد دعاك إلى اللذات داعيه

وجاد بالقطر حتى خلت أن له ... إلفا نآه فما ينفك يبكيه

فبادر اللهو واغنم طيب ساعته ... فإن للدجن دينا يقتضنيه

وقال آخر:

اعص من لامك في الشرب تعش عيشا لذيذا

ليس من عمرك يوم ... لم تذق فيه نبيذا

وقال آخر:

ومن عرف الأيام لم يغترر بها ... وباكر باللذات قبل العوائق

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرو ا ني ص/٤٤

بحمراء قبل المزج، صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا ... عليها شعاعا فاكتست لون عاشق

عبد الوهاب:

كن عن العذل ذا صمم ... وانف عن نفسك الندم

واقطع الدهر بالسرو ... ر على رغم من رغم

فالذي تتقي وترجوه قد خطه القلم

ذكر ما جاء في المنادمة

قالوا: اشتقاق النديم من الندم لأنه يندم على فراقه، وقد فخر امرؤ القيس مع شرفه وملكه فقال:

ونادمت " قيصر " في ملكه ... فأوجهني وركبت البريدا

وقالت الخرنق بنت بدر التغلبية ترثي بشر بن عمرو زوجها وبنيها، وكانت العرب لا ترثي إلا بأفضل الأشياء وأرفعها:

فكم بعلاه من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

ندامى للملوك إذا لقوهم ... حبوا وسقوا بكاسات الرحيق

وقوالوا: لسان الملك كاتبه، ووجهه حاجبه، وجليسه كله، وقالوا: إذا وليت عملا فانظر من كاتبك، فإنما يعلم مقدارك من بعد عنك بكاتبك، وأنظر حاجبك، فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك، واستكرم نديمك وجليسك، فإنما يزنك الداخل عليك بمثقال من يراه معك، وقال رسول الله (ص) : المرء على دين خليله فلينظر أحد م ن يخالل.

وقال طرفة:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي

وفاخر كاتب نديما، فقال الكاتب: أنا معونة وأنت مئونة، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للذة، وأنا للحرب وأنت للسلم، فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة، وأنا للحضرة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وتحتشم وأنا مؤانس، تدأب لراحتي وتشقى لما فيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين. وقال بعضهم في فضل النديم:

أرى للكأس حقا لا أراه ... لغير الكأس إلا للنديم

هو القطب الذي دارت عليه ... رحى اللذات في الزمن القديم

ولم تفتتح أبيات في مدح نديم بأحسن مما ابتدأ به أبو مسهر الطائي:

وندمان يزيد الكأس طيبا ... سقيت وقد تغورت النجوم

رفعت برأسه وكشفت عنه ... بمعرفة ملامة من يلوم

فلما أن تنشا قام خرق ... من الفتيان مختلق هضيم

إلى وجناء ناجية فكاست ... وهي العرقوب منها والصميم

فأشبع شربه وجرى عليهم ... بإبريقين كأسهما ردوم

تراها في الإناء لها حميا ... كميتا مثل ما فقع الأديم

فنشرب ما شربنا ثم نصحو ... وليس بجانبي أحد كلوم

فبتنا بين ذاك وبين مسك ... فيا عجبا لعيش لو يدوم

نطوف ما نطوف ثم يأوي ... ذوو الإكثار منا والعديم

إلى حفر أسافلهن جوف ... وأعلاهن صفاح مقيم." (١)

"ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ثم يتبعها بطعام وضر وشراب عكر أو من يتبخر بالند المعشب المثلث المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ويفسده بالرائحة الردية أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم وطرائف الحكم ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول اعذروني فإن العذرة متعذرة

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله

(أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي) // من الخفيف //

وهو ابتداء ما سمع بمثله ومعنى تفرد بابتداعه ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال

(كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي)

وقوله

(ليالي بعد الظاعنين شكول ... طوال وليل العاشقين طويل)

(يبن لي البدر الذي لا أريده ... ويخفين بدرا ما إليه وصول)

(وما عشت من بعد الأحبة سلوة ... ولكنني للنائبات حمول)

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٧١

(وما شرقي بالماء إلا تذكرا ... لماء به أهل الخليط نزول)

(يحرمه لمع الأسنة فوقه ... فليس لظمآن إليه سبيل) // من الطويل //

من قصيدة اخترع أكثر معانيها وتسهل في ألفاظها فجاءت مصنوعة ثم." (١)

"(وليل الشعر الجعد ... وثقل الكفل النهد)

(وسقم الأعين الدائم ...)

(متى يظفر بالوصل ... وينفي الجور بالعدل)

(محب دائم الخبل ... سليب الصبر والعقل)

(كئيب مدنف هائم ...)

(بحسن الأعين النجل ... وعض الوقف والحجل)

(وذاك القصب الجدل ... وريق كجنا النحل)

(وثغر يطمع الشائم ...)

(سلوا الشمس التي طلعت ... علينا ثم ما أفلت)

(عسى ترثي لمن قتلت ... بعينيها وما علمت)

(فقد يستعطف العالم ...)

(أما والخرد الصفر ... شبيهات سنا البدر)

(وألوان صفا الخمر ... لقد أضر من في صدري)

(غراما ليس بالنائم ...)

(وراح تبعث الطربا ... وتحيي الظرف والأدبا)

(يثير مزاجها حببا ... تخال به عيون دبى)." (٢)

"وقوله من الكامل

(دع قول واشية وواشي ... واجعلهما كلبي هراش)

(واشرب معتقة تسلسل ... في العظام وفي المحاشي)

(حتى ترى العود المسن ... بها أرق من الخشاش) // الكامل //

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١/١٨٥

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١/٥٣٣

وقوله من الكامل

(ألحاظ عين تنتهي ... في روض ورد تزدهي)

(رتعت بها وتنزهت ... منها بأي تنزه)

(يا أيها الخنث الجفون ... بنخوة وتكره)

(والمكتفي عجبا أما ... **ترثي** لأشعث أمره) // الكامل //

وقوله من الكامل

(أطفت شرارة لهوى ... ولوت بشرة عدوي)

(شعل علون مفارقي ... ومضت ببهجة سروي)

(لما شككت عروضها ... ذهب الزحاف بحزوي)

(يا أيها الشادي صه ... ليست بساعة شدو) // الكامل //

وقوله من الهزج

(ألا يا زين قلبي للشباب ... العفر إذ ولى)." (١)

"بتقديم سنان على هريم، لأن هريما هو الميت، وسنان هو سنان بن عمرو ابن يربوع بن طريف بن خرشبة بن عبيد بن سعد بن كعب بن حلان بن غنم بن غني، وكان فارسا حسيبا وقد كان قاد ورأس، وهو صاحب ابن هدم العبسي طريد الملك، قال له الملك: كيف قتلته؟ قال: حملت عليه في الكبه – يعني معظم الجيش – فطعنته في السبه، حتى خرج الرمح من اللبه.

وهريم عم سنان، وقد قاد ورأس. وأسماء بن واقد من بني رياح بن يربوع ابن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن حلان بن غنم بن غني، وهو من النجوم. وحصن بن يربوع بن طريف، وأمه جيدع بنت عمرو بن الأعرج بن مالك ابن سعد بن عوف. وقيس هو ابن يربوع بن طريف.

وكان قيس هذا قدم على بعض الملوك، فقال الملك: لأضعن تاجي على أكرم العرب، فوضعه على رأس قيس، وأعطاه ما شاء، ثم خلى سبيله إلى بلده. فلقيته طيء برمان وهو راجع إلى أهله فقتلوه، ثم عرفوه بعد ذلك، وذكروا أيادي كانت له عندهم فندموا، فدفنوه وبنوا عليه بيتا.

وهو قيس بن جيدع وهي أمه، وإخوته هريم وعمرو وحصن والأعرج، أمهم جيدع بنت عمرو، وأبوهم يربوع بن طريف. وحقيل في بلاد بني أسد، قتلت فيه بنو أسد الحارث بن مويلك الغنوي، وفي بلاد عكل له

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١١٣/٢

حقيل وهو غير هذا الموضع، وهو الذي ذكره الراعي:

من ذي الأبارق إذ رعين حقيلا

وقوله وبالسهب هو تصحيف، والصواب: وبالشهد، يعني بديل ابن واقد. وكان أسماء وبديل ابنا واقد صاحبي الوقائع في طيئ، وأصابا عشرة كلهم يأخذ لواء قومه يقال لهم بنو حمل، فقالت أخت لهم ترثيهم:

يا عين إلا ما بكيت بني حمل ... فوارس أبطالا على شدة الوهل

لعمري وما عمري علي بهين ... لقد ذهبت منا غني على مهل

فإن تقد الأيام غنم بن واقد ... وأسماء تثقفه الرماح على علل

ثم إن طيئا لقيت غنيا فأصابت بديلا، وكان سيدا ورئيسا، فخاف أن تمثل به طيئ لما أوقع بهم، وكان مرداس بن مويلك يسعى في أمره ليفتديه فأبوا، فقتل نفسه، وقتلوا أسماء. فقال مرداس بن مويلك يرثي بديلا:

تشكى إلي الأين والسام خلتي ... وتنسين ما يلقى أسير الملاقط

قال ابن السيرافي قال شقيق بن جزء الباهلي، يرد على جحل بن نضلة الباهلي

أتوعدني بقومك يا بن جحل ... أشابات يخالون العبادا

بما جمعت من حضن وعمرو ... وما حضن وعمرو والجيادا

إذا خطرت بنو سعد ورائي ... وذادوا بالقنا عني ذيادا

قال: يخالون: يظنون أنهم عبيد، وحضن وعمرو والجياد: قبائل.

قال س: هذا موضع المثل:

كري إلى أهلك يا عجوز ... إن بياع الليل لا يجوز

هذا أفضح ما جاء به ابن السيرافي، وذلك أنه ذكر أن الجياد قبيلة، وهذا يدل على غباوة تامة وجهل ظاهر. إن الجياد ها هنا عتاق الخيل، يقول: ما هؤلاء وعتاق الخيل، أي ليسوا فرسان الخيل العتاق.

وقوله: وعنى بالعباد ها هنا العبيد، خطأ أيضا. فإنما عنى بالعباد قوما كانوا يجتمعون على باب النعمان خولا من كل قبيلة. شبه هؤلاء بأولئك، أي أنهم أخلاط.

والبيت الأول فيه خبط أيضا، وذلك أنه قال: أتوعدني بقومك يا بن جحل، وإنما الخطاب لجحل نفسه لا لابنه، فكيف يقول يا بن جحل، والصواب:

أتوعدني برهطك يا جحيلا

وفي الأبيات التي أوردها تقديم وتأخير وخلل كثير، وستأتيك على نظامها بمعونة الله.

قال جحل بن نضلة يجيب شقيق بن جزء الباهلي:

لقد منتك نفسك يا بن جزء ... أحاميقا سيسر عن النفادا

أردت لكي تشتت أمر قوم ... وحاولت القطيعة والفسادا

فمهلا يا شقيق فإن حربي ... تكون لمن يلقحها فسادا

وكم من معشر قد حاربونا ... عبأت لهم مجلحة نآدا

فلم يك غير أن شاموا سناها ... فكان مبينها خيلا تعادا

عليها من بني عمرو كهول ... وشبان يهزون الصعادا

فظلوا يخصفونهم بسمر ... كما نظمت في الجلل الجرادا

فآبوا بالرجال محنبيها ... يسوقون الطرائف والتلادا

ونصرك نازح عني بطيء ... كأن بكم إلى خذلي جوادا

فأجابه شقيق بن جزء فقال:." (١)

"سرحت على بلادكم جيادي ... فأدت منكم كوما جلادا

بما لم تشكروا المعروف عندي ... وإن شئتم تعاودنا عوادا

أتأمل أن تساوي حي أعيا ... وصحبا، خاب ما ترجو وزادا

بما جمعت من حضن وعمرو ... أشابات يخالون العبادا

إذا خطرت بنو سعد ورائي ... وذادوا بالقنا عني ذيادا

رأيت الموت دوني فانتهيتم ... ولم تسطع دعائمها الشدادا

أتوعدني برهطك يا جحيلا ... وما عمرو بن حصن والجيادا

قال ابن السيرافي قال سيبويه قالت درني بنت عبعبة من بني قيس بن ثعلبة، والذي وجدته قالت درنى بنت سيار بن صبرة ابن حطان بن سيار بن عمرو بن ربيعة

وقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

قال س: هذا موضع المثل:

---

(١) فرحة الأديب الأسود الغندجاني ص/٦

بين المطيع وبين المدبر العاصي

هذا التفسير يحير الإنسان، فلا يدري ما الصواب من الخطأ، ولا يدري بأيهما يتعلق: أبدرنى بنت عبعبة، أم بدرنى بنت سيار وهذا يدل على أنه لم يكن يتصور الغث من السمين منهما.

والصواب: درنى بنت سيار على النسب الثاني، قالت ترثي أخويها، وهي أبيات رائقة، دخل نظامها – على ما أنشدها ابن السيرافي – في خلل. ونظامها وتمامها:

أبى الناس إلا أن يقولوا هما هما ... ولو أننا اسطعنا لكانوا سواهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

إذا افتقرا لم يلحما خشية الردى ... ولم يخش رزءا منهما موليا هما

إذا استغنيا حب الجميع إليهما ... وجاد على الأدنين فضل غناهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

وقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما

وأهلي فداء العاصمين كليهما ... ولا عشت إن كان الفؤاد قلاهما

إذا هبطا الأرض المخوف بها الردى ... يسكن من جأشيهما منصلاهما

ولا يلبث العرشان يستل منهما ... عظام الرواسي أن يميل غماهما

قال ابن السيرافي قال جرير

خل الطريق لمن يبني المنار به ... وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر

قال: برزة: أم عمر بن لجأ.

قال س: هذا موضع المثل:

ضرط وردان بأرض قي

هذا باطل، أخبرنا أبو الندى رحمه الله قال: برزة إحدى جدات عمر بن لجأ المغنيات.

قال ابن السيرافي قال الراجز

أأنت يا بسيطة التي التي

هيبنيك في المقيل صحبتي

لقد علمت أي حين عقبتي

هي التي عند الهجير قالت

إذا النجوم في السماء ولت

قال: البسيطة: الأرض المنبسطة الممتدة.

قال س: هذا موضع المثل: لا يدعى لنجدة إلا أخوها غلط ابن السيرافي ها هنا آنفا، لأنه لم يكن يعرف منازل العرب ومحالها، ومن فسر أيضا مثل هذا الشعر ولم يتقن ثلاثة أنواع من العلم: النسب، وأيام العرب، ومحالها ومنازلها - كثرت سقطاته.

والبسيطة ها هنا هي أرض بعينها، وهي بين الكوفة فالحزن، حزن بني يربوع بن عمرو، وفيها يقول عدي بن عمرو الطائي:

لولا توقد ما ينفيه خطوهما ... على البسيطة لم تدركهما الحدق

قال ابن السيرافي قال ثروان بن فزارة بن عبد يغوث

فإنك لا تبالي بعد حول ... أظبي كان أمك أم حمار

فقد لحق الأسافل بالأعالي ... وماج اللؤم واختلط النجار

قال: الذي في الكتاب: أظبي كان أمك أم حمار، والذي في شعره: أظبي كان خالك أم حمار.

قال س: هذا موضع المثل: كان حمارا فاستأتن كيف يكون الحمار والظبي أمين وهما أذكر الحيوان، حتى إن المثل يضرب بالحمار فيقال: من ينك العير ينك نياكا.

والصواب ما أنشده أبو الندى رحمه الله: أظبي ناك أمك أم حمار." (١)

"نزائع من آل الوجيه ولاحق ... تذكرنا أحقادنا حين تصهل (١)

والوجيه أيضا فحل لهم (٢).

٦١٧ - لاحق الأصغر (٣):

قال أبو الندى هو لبني أسد. مضى الشعر فيه في حرف العين (٤).

٦١٨ - لاحق (٥):

للحازوق الخارجي. قالت أخته ترثيه:

أقلب عيني في الفوارس لا أرى ... حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

---

(١) فرحة الأديب الأسود الغندجاني ص/٧

ومن يغنم العام الوشيك ولاحقا ... وقتل حزاق لم يزل عالي الذكر (٦)

وقال ابن الأعرابي في كتاب النوادر:

٦١٩ - ولاحق أيضا (٧):

لعتيبة بن الحارث بن شهاب. قال أبو الندى هذا صحيح، وهو المكسر (٨) الذي يجيء ذكره في الكتاب.

---

(١) البيت في شعر الكميت بن معروف الأسدي ق ١٠ ص ١٧٣ وأنساب الخيل ص ٣٤ وفيهما (نجائب من آل. .) ونزائع ج نزيع وهو الغريب، يحفزه الحنين. أو من كانت أمه غريبة فلا يكون ضاويا.

(٢) سيرد ذكره في باب الواو برقم (٧٥٧).

(٣) ورد لبني أسد في أنساب الخيل ص ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ وعند ابن الأعرابي ص ٧٠ في خيل غطفان ابن سعد، وهو لبني أسد في القاموس المحيط (لحق) ٣/ ٢٨٠.

(٤) تقدم الشعر للنابغة الذبياني في (العسجدي) برقم (٤٦٣).

(٥) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو للحازوق الخارجي في القاموس المحيط (لحق) ٣/ ٢٨٠.

(٦) الحجاة فقاعة ترتفع فوق الماء جمعها حجوات. والوشيك فرس آخر للحازوق سيلي ذكره في باب الواو برقم (٧٦٦)

(٧) لم تذكره كتب الخيل لدي، وهو لعتيبة بن الحارث في القاموس المحيط (لحق) ٣/ ٢٨٠.

(٨) بل إن (المكسر) هو فرس آخر لعتيبة بن الحارث، وسيلي ذكره في باب الميم برقم (٦٤٠).." (١)

"وليس حذفه لجوار ذلك الحرف، وإنما هو محذوف للزيادة، ولا ينكسر بهذا ما أصلت. ولو رخمت منطلقا لقلت: طليق، فحذفت الميم والنون، وليس هذا الحكم متعلقا بالأول والآخر، وإنما هو متعلق بالزائد والأصلي.

وكأني بوالي هذا المصر كامل صنيعة السيد " عزيز الدولة " - أعز الله نصره - وقد ركب لحياطة الجالية وكف الدعرة، وقد سكنت الدموك المجعجعة لطعامه على النقمى، وهرب الفعفعى الذي كان يسحط له النقد ويشصب أولاد الحذف، وخمد حميس الحضاء الخامط لخوانه البذج أو العمروس في أين الآزة من المغرغرات، من يلقي إلى صاحب قناعه شبيهات الزبرقان. وهو بإقبال السيد " عزيز الدولة أمير الأمراء " -

---

(١) أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها الأسود الغندجاني ص/٢١٥

أعز الله نصره، متجلد على ذلك لم يبن فيه الخور ولا الضعف.

فمثله مثل سميه من الشعر وهو الوزن الكامل تذهب منه ست حركات فلا يغيض ذهابهن منه، بل يمكث على السجية المعهودة، ولا يعلم ما ذهب منه إلا أهل الخبرة، كما قال " عنترة ":

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت من غرض الحتوف بمعزل

فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمي ... أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

إني امرؤ من خير عبس منصبا ... شطري، وأحمي سائري بالمنصل

فالبيت الذي قافيته: بالمنصل، قد ذهبت منه حركات ست، وهو في الغريزة كغيره من الأبيات لم يبن فيه الخلل ولا التقصير. وكذلك أهل الفضل والبقية يصبرون في الشدائد ويتحملون، ولا يشعر عامة الناس بما عندهم من فقر المال ومعاناة الخطوب. وأهل الشفقة والخفة تبدو منهم الشكية ويظهر الشكع. فمثلهم مثل قول " الأعشى ":

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت ... كما استعان بريح عشرق زجل

أول حرف ذهب منه عرف خلله وظهرت شكيته، ولم يتجمل فيصبر كما صبر قول " امريء القيس ":

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

قد ذهبت منه أربعة أحرف ولم يعلم بذهابهن.

وأما صاحب المعونة فكان مثله مثل " ما " الحجازية بطل عملها فكأنها صارت التميمية، لأنك إذا قلت: ما زيد قائما، ف " ما " قد علمت الرفع والنصب. وإذا قلت: ما زيد قائم، فما لم تعمل شيئا.

وأما القاضي فتربك هذه الأرض ولحق بوطنه " بالس " ردته إليها الضرورة، فكان مثله مثل المرفوع من الأعلام في النداء لما لحقته الضرورة فنون، رجع إلى أصله وهو النصب، كما قال " مهلهل ":

ضربت صدرها إلي وقالت ... يا عديا لقد وقتك الأواقي

وكما قال الآخر:

دعوت عديا والمهامه بيننا ... يا عديا يا عدي بن نوفل

وأما العدول، فوضعوا السيجان والمشاوذ وتهيئوا للنفر إن صاح الصائح فكان مثلهم مثل الأسماء المتغيرة عن هيئتها عند الضرورة، كما قال الراجز:

جاءت عجوز من أعالي البر

قد تركت حيه وقالت حر

ثم أمالت عنق الحمر

سيرا على جانبها الأيسر

فنبى الحمار، وهو فعال، على فعل. وقالت أخت " حازوق الخارجي " **ترثيه**:

أقلب عيني في الفوارس لا أرى ... حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

فنقلته من فاعول إلى فعال. وكذلك قول " دريد ":

أخناس قد هام الفؤاد بكم ... واعتاده نصب إلى نصب

وكأني بأصحاب البز وقد كفت عن أرجلهم الحيش، وخلط هلعهم بين ثياب العطب وثياب الشريع، جعل السبيبة مع المخيط، وأضاف البجد إلى ما رق من البرود. فكان مثلهم مثل من ركب قصيدة مقيدة جمع في رويها المسكن، بين أشتات الحروف، ولم يبال إذا سلمت له القافية من لحاق العيوب كيف وقع ترتيب الكلمة في الأصل.

ألا ترى أن قول " الأعشى ":

لعمرك ما طول هذا الزمن ... على المرء إلا عناء معن

قد جمع بين قوافيه وهي مختلفة النجار، لأنه قال: الزمن، فسكن ونونه في الأصل مكسورة، ثم قال: معن، فحذف من الكلمة حرفين وجعل النون التي أصلها السكون مع النون التي أصلها الكسرة؟ وقال فيها:

وأشرب بالريف حتى يقال ... قد طال بالريف ما قد رجن

فجاء بنون أصلها الفتح. وقال فيها:." (١)

"يقول: سائلوا قاتليه. هل مات من ضربهم، أو خوفا من الضرب؟! والشبح: الشخص. يقول: سائلوا الناس أي موضع أصاب السيف منه؟ فإنه ليس له جسم، لقصره وصغره، ولا رأس له، ولا عنق، حتى لا يجد السيف شخصه، ولكن الخوف قتله قبل أن يضرب منه السيف موضعا!

لولا اللئام وشيء من مشابهة ... لكان ألأم طفل لف في خرق

يقول: لولا أن في الناس المشابهة في اللؤم والخسة، لكان ألأم طفل لف في قماط؛ لعجزه وصغر قامته. والمشابهة: جمع الشبه على غير قياس.

كلام أكثر من تلقى ومنظره ... مما يشق على الآذان والحدق

يقول: إن أكثر الناس كلامه تمجه الآذان لثقله. وكذلك رؤيته مما تنكرها العين ويشق عليها. فله نظائر في

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٨٢

الناس.

واجتاز ببعلبك فنزل على علي بن عسكر، وهو يومئذ صاحب حربها، فخلع عليه وحمل إليه وأمسكه عنده، اغتناما لمشاهدته. وأراد أبو الطيب الخروج إلى أنطاكية فقال يعتذر من مفارقته:

روينا يا ابن عسكر الهماما ... ولم يترك نداك بنا هياما

يقول: روينا أيها الممدوح بسحائب جودك، ولم يترك بنا هياما: أي عطشا.

وصار أحب ما تهدى إلينا ... لغير قلى وداعك والسلاما

يقول: قد أفضت علي من برك ما كفاني، فليس شيء أحب إلي إلا الارتحال وتوديعك والسلام، وليس ذلك عن بغض ولا كراهة فيك، ولكن عن عذر اقتضى ذلك.

ولم نملل تفقدك الموالي ... ولم نذمم أياديك الجساما

التفقد: التعهد. والموالي: المتتابع.

يقول: ولا أني أمللت إكرامك وتعهدك لأحوالي، ولا ذممت أياديك العظام، ولكن لعذر آخر أوجب طلب الإجازة.

ولكن الغيوث إذا توالت ... بأرض مسافر كره الغماما

يقول: إني في سؤال الإذن منك، كالمسافر الذي يكره المطر، وإن كانت فيه حياة البلاد والعباد، فلهذا كرهت المقام عندك.

قصائد أبي العشائر الحمداني

وقال يمدح أبا العشائر: الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي التغلبي وهي أول شعر في بني حمدان:

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

المآقي: طرف العين مما يلي الأنف.

يقول لصاحبه: أحسبت هذه المرأة أنها لكثرة ما ترى من الدموع في عيون عشاقها أنه خلقة في عيونهم؟ فلهذا لا ترحمهم!

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راق

راءها: مقلوب رآها. وغير: الأولى نصب على الاستثناء، والثانية: على تفسير البيت الأول.

يقول: كيف ترحم هذه المرأة للباكين بسببها، لأنها ترى كل عين باكية غير راقية الدمع عنها، فهي تحسب

أن ذلك خلقة، لأنها لم تر إلا باكيا سائل الدمع، واستثنى جفنها، فبين أن كل عين كذلك إلا عينها؛ لأنها لم تعشق أحدا فلا تجزع للفراق! وقال ابن جنى: إنها لا تبكي، لأنها لم تهجر نفسها.

وهذا البيت من بدائع أبي الطيب المتنبي.

أنت منا فتنت نفسك لكن ... ك عوفيت من ضنى واشتياق

يقول: أنت منا أي من جملة العشاق، لكنك قد فتنت نفسك كما فتنا بحسنك! أي أنت عاشقة لنفسك كما نعشقك؛ لأن كل أحد يحب نفسك، غير أنك سلمت من ألم الوجد وطول المرض والاشتياق؛ لأن الإنسان لا يشتاق إلى نفسه فلا يتألم من حبها

حلت دون المزار، فاليوم لو زر ... ت لحال النحول دون العناق

حلت: أي منعت. والمزار: الزيارة.

يقول: منعتنا من الزيارة فنحلنا لذلك! وذابت أجسامنا، فلو أردت الآن وصلنا منع النحول من معانقتك.

إن لحظا أدمته وأدمنا ... كان عمدا لنا وحتف اتفاق

يقول: نظر كل واحد منا إلى صاحبه عن تعمد منا، فاتفق في ذلك حتفي من غير قصد! وهذا من قولهم: رب حتف في لحظة طرف.

لو عدا عنك غير هجرك بعد ... لأرار الرسيم مخ المناقي

عدا عنك: أي صرف. وبعد: فاعله. وقوله أرار أي أذاب. والرسيم: هو سير شديد من سير الإبل. والمناق: جمع منقية: وهي السمينة التي في عظامها مخ.

يقول: إنما صرفنا عنك هجرك، ولو حال بيننا بعد سوى الهجر لواصلنا السير إليك وهزلنا النوق بالسير، حتى يذوب بالسير مخ عظامها.

وقوله: لأرار الرسيم: أي لأذاب السير الشديد مخ المناق.

ولسرنا ولو وصلنا عليها ... مثل أنفاسنا على الأرماق

الأرماق: جمع الرمق، وهو بقية الحياة.." (١)

"أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل صوب إليها وافد يفد «١»

حوض هنالك مورود بلا كدر ... لا بد من ورده يوما كما وردوا

[من شعر عمر يوم فتح مكة]

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/١٩٧

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح مكة:

ألم تر أن الله أظهر دينه ... على كل دين قبل ذلك حائد «٢»

وأمكنه من أهل مكة بعدما ... تداعوا إلى أمر من الغي فاسد

غداة أجال الخيل في عرصاتها ... مسومة بين الزبير وخالد «٣»

فأمسى رسول الله قد عز نصره ... وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام «٤» حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض «٥» .

[زوجة عمر ترثيه]

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل زوجته ترثيه:

عين جودى بعبرة ونحيب ... لا تملى على الأمين النجيب

فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتثويب «٦» عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والمحروب «٧»

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب «٨»

وقالت أيضا ترثيه:

وفجعنى فيروز لا در دره ... بأبيض تال للكتاب منيب." (١)

"بث الجميل، وتفريج الجليل، وإعطاء الجزيل الذى لم يعطه أحد وقال عبدة بن الطبيب فى قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما «١»

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

وقيس بن عاصم هو القائل:

إني امرؤ لا يعترى حسبى ... دنس يغيره ولا أفن

من منقر فى بيت مكرمة ... والأصل ينبت حوله الغصن «٢»

خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لسن «٣»

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ٧٤/١

لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحسن جواره فطن

وقالت أخت الوليد بن طريف الشيبانى **ترثيه**:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

عليك سلام الله وقفا؛ لأننى ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

فقدناك فقدان الربيع، وليتنا ... فديناك من فتياننا بألوف

وخرج الوليد فى أيام الرشيد، فقتله يزيد بن مزيد، وفى ذلك يقول بكر ابن النطاح الحنفى:

يا بنى تغلب لقد فجعتكم ... من يزيد سيوفه بالوليد

لو سيوف سوى سيوف يزيد ... قارعته لاقت خلاف السعود

واتر بعضها يقتل بعضا ... لا يفل الحديد غير الحديد." (١)

"خراسان، فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا، وأمر بالغمر فضربت عنقه صبرا.

وكان ابن حزم أميرا على المدينة، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملا شديدا، فشخص إلى الوليد بن عبد الملك، فأنشده قصيدة يمتدحه فيها، فلما بلغ إلى قوله كالذي يشتكي ابن حزم وظلمه:

لا **ترثين** لحزمي ظفرت به ... يوما ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار

فقال له الوليد:

صدقت والله، لقد غفلنا عن حزم وآل حزم، ثم كتب عهدا لعثمان بن حيان المري على المدينة، وعزل ابن حزم، وأمر باستئصال أموالهم، وإسقاطهم جميعا من الديوان.

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون اقترض من التجار مالا كثيرا، فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار، فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، منها قوله:

تذكر أمير المؤمنين قيامه ... بأيمانه في الهزل منه وفي الجد

إذا هز أعواد المنابر باسته ... تغنى بليلى أو بمية أو هند

ووالله ما من توبة نزعت به ... إليك، ولا ميل إليك، ولا ود

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحصري القيرواني ١٠٣٦/٤

وكيف بمن قد بايع الناس، والتقت ... ببيعته الركبان غورا إلى نجد!؟
ومن صك تسليم الخلافة سمعه ... ينادي بها بين السماطين عن بعد
وأي امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب في اللحد؟
وعرضها على إبراهيم وهو حينئذ خامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله إبراهيم كتمانها، واستحلفه على ذلك، وأدى مال أبيه دون سائر التجار، ومثل ذلك كثير لو تقصي لطال به الكتاب.." (١)

"لما فيها من المجون والخلاعة، فقال له الصنوبري: أنت صاحب الطرطبة؟ يريد قصيدته:
ما أنصف القوم ضبه ... وأمه الطرطبه
لما فيها من الركاكة، ولكل كلام وجه وتأويل، ومن التمس عيبا وجده، وقيل: بل قال له: أنت صاحب جاخا؟ قال: نعم، قال: أنت شاعر بلدك، يريد قوله في صفة الوعل:
ذاك أم أعصم كأن مدرياه ... حين عاجا على القذالين جاخا

باب المقلين من الشعراء والمغلبين
ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع، ونبهت على بعض المغلبين منهم؛ لما تدعو إليه حلجة التأليف، وتقتضيه عادة التصنيف، غير مفرط ولا مفرط، إن شاء الله.
فمن المقلين في الشعر: طرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، وعلقمة بن عبدة الفحل، وعدي بن زيد، وطرفة أفضل الناس واحدة عند العلماء، وهي المعلقة:
لخوله أطلال ببرقة تمهد.
وله سواها يسير؛ لأنه قتل صغيرا حول العشرين فيما روى، وأصح ما في ذلك قول أخته **ترثيه**:
عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما." (٢)

"فمثل خساس الناس بحشف النخل، ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذقا أو إشارة.. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة:
لقد جاز أبو ليلى بقحم ... ومنتكث عن التقريب وان

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٦٤/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٠٢/١

إذا هبط الخبار كبا لفيه ... وخر على الجحافل والجران

وإنما عيره بالكبر، وإنما هو شاب حديث السن.. وقال بعض الرواة: إنما تهاجيا في مسابقة فرسين، وهو غلط عند الحذاق.

ومن التمثيل أيضا قوله:

فنحن أخ لم تلق في الناس مثلنا ... أخا حين شاب الدهر وابيض حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا ...

وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة، وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسورا:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

يقول: نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل، وإلا فكنا نقتل قاتله، وهو من قول الله عز وجل في بني إسرائيل " ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " يريد بذلك الفرائض الـمانعة لهم من أشياء رخص فيها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدي كرب حين خفقه عمر رضي الله عنه بالدرة، فقال له: الحمى أضرعتني لك، يعني الدين، وإن كان مثل قديما إنما هو الحمى أضرعتني للنوم.

ومن جيد التمثيل قول ضباعة بنت قرط ترثي زوجها هشام بن المغيرة المخزومي:

إن أبا عثمان لم أنسه ... وإن صمتا عن بكاه لحوب

تفاقدوا من معشر! ما لهم ... أي ذنوب صوبوا في القليب؟

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله: " الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة " وقوله: " ظهر المؤمن مشجبه، وخزانته بطنه، وراحلته رجله،." (١)

"حكاه الجاحظ وغيره، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين، فأما الأول فجيد.

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة ... إذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول، فهلا قال مثل قول فاطمة رضي الله

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢٧٨/١

عنها:

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... وليبكه مضر وكل يماني

وليبكه الطود المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

صلى الله عليه وسلم، ورحم وكرم وعظم.

والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة، وأشدهم جزعا على هالك؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة.

وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء، كما قال أبو تمام:

لولا التفجع لادعى هضب الحمى ... وصفا المشقر أنه محزون

فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا، حين قتله أخوها جساس، ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه!! وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران، وذلك:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي." (١)

"فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته.

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ:

يا ناق سيري واشرقي ... بدم إذا جئت المغيره

سيثيبني أخرى سوا ... ك، وتلك لي منه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته؟؟ ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... عليها الأسد تهتصر اهتصارا

وقول عمرو بن معدي كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع

وقول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... فدارت بين كبشيها رحاها

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٥٣/٢

ومثله:

وخيل قد دلفت لها بخيل ... ترى فرسانها مثل الأسود

وأمثال هذا كثير.

وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتا، وأعلاهما سنا، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان، وإن كانا في مرتبة واحدة لهما جميعا، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي حازه قائله، واقتطعه صاحبه، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لأقصاها عزيم عزائكا

موروثة مجدا، وفي الأصل رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا." (١)

"قوله:

أيا من لا يثيب على الوصال ... ويا من لا يجيب على السؤال

ويا من قوله [لي] حين أشكو ... إليه مت بدائك لا أبالي

ألست ترى الذي ألقى فترثي ... لطول صبابتي ولسوء حالي

وقد أبدت لك العينان أني ... على طول اعتلالك غير قالي

ولست وإن بدأت بقطع حبلي ... على حال لوصلكم بسال

تعالى الله ما أسلاك عني ... كذلك كل طلق القلب خال

٤٨٥- عصام بن حفص بن سوار، أبو هاشم:

سكن بلخ، وحدث بها عن محمد بن زياد الجزري وأبي داود سليمان بن عمرو الحنفي الكوفي، روى عنه بكر بن محمد بن بكر بن عطاء والحسن بن العلاء بن القاسم ويحيى بن الحسن البلخيون.

أخبرنا عبد العزيز بن محمود الحافظ ببغداد وداود بن معمر الواعظ بأصبهان قالا:

أنبأنا حاتم بن شافع الجيلي، أنبأنا جعفر بن يحيى المكي، أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجستاني، أنبأنا أبو محمد يحيى بن سعيد بن محمد القطان الصوفي بهراة، حدثنا محمد بن علي الجباخاني، أنبأنا الحسن بن العلاء بن القاسم، حدثنا أبو هشام عصام بن حفص البغدادي، حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، وإنما ذهاب العلم موت العلماء» [١] .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٩٢

قرأت على ست الشرف بنت سفيان بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده قراءة بأصبهان عن أبي نصر محمد بن أبي رجاء الصائغ قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن مندة قراءة عليه، أنبأنا أبو الفضل عبد الصمد بن محمد العاصمي ببلخ، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي البلخي، حدثنا الحسن بن بكر، حدثني أبي، حدثنا عصام بن حفص بن سوار البغدادي ببلخ عن أبي داود عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير عن عمر بن الخطاب

---

[١] انظر الحديث في: كنز العلماء ٢٨٧٣٣.." (١)

"وكثر المتفجعون عليه وصبر والده صبرا جميلا ولم يغير هيئته وصلى عليه بجنان ثابت وتكلم في الفقه.

أنبأنا أبو القاسم الأزجي عن أبي الوفاء بن عقيل قال: ثكلت [١] ولدين نجيبين أحدهما حفظ القرآن وتفقه، ومات دون البلوغ- يشير إلى [ولده] [٢] أبي منصور، والآخر مات وقد حفظ كتاب الله وخط خطا حسنا- يشار إليه؛ فتفقه وناظر في الأصول والفروع، وشهد بمجلس الحكم وحضر المواكب، وجمع أخلاقا حسنة ودماثة وأدبا، وقال شعرا جيدا، فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله علي رضي الله عنه فقالت أمه **ترثيه**:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقاد به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

فقلت: سبحان الله!

كذبت وبيت الله لو كنت صادقا ... لما سبقتني بالعزاء النساء

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا ... لما سبقتني بالبكاء الحمائم

وكذلك أم عمرو كان يسليها ويعزيها ۭلالة القاتل والافتخار بأن [٣] ابنها مقتوله فهلا نظرت إلى قاتل ولدي وهو الأبدي الحكيم المالك للأعيان المربي بأنواع الدلال، فهان القتل والمقتول بجلالة القاتل، وقتله إحياء في المعنى إذ كان أماتهما على أحسن خاتمة، الأول لم يجر عليه القلم، والآخر وفقه للخير وختم له بلوائح وشواهد دلت على الخير، وسألني رجل فقال: هل للطف بي علامة؟ فقلت: أخبرك بها عن ذوق كانت عادتي التنعم ففقدت ولدي فتبدلت خشن العيش ونفسي راضية.

---

(١) تاريخ بغداد وذ يوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٨٠/١٧

قرأت في كتاب «الفنون» لأبي الوفاء بن عقيل بخطه قال: ولولدي عقيل كرم الله وجهه في إمامنا المستظهر بالله أمير المؤمنين:

شاقه والشوق من غيره ... طلل عاف سوى أثره

---

[١] في (ج) ، (ب) : «تكلمت» .

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] في الأصول: «أبان» .." (١)

"وسألته الإذن لأم جعفر في الحج، فأذن لها، وألبستها أم جعفر البدنة الأموية. وابتنى بها في ليلته وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا في تور ذهب، وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوما، وكان مبلغ ما أنفق ابن سهل على المأمون وعسكره خمسين ألف ألف درهم، وأمر المأمون بعد انصرافه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس. وأقطعه الصلح؛ فحملت إليه على المكان. وكانت [...] [١] فجلس الحسن ففرقها في قواده وحشمه وأصحابه. ويقال: إن الحسن كتب رقاعا فيها اسماء ضياعه ونثرها على القواد وعلى بني هاشم، فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها. لما بنى المأمون على بوران، فرش له حصير من ذهب مسقوف، ونثر عليه جواهر، فجعل بياض الدر يشرق على صفرة الذهب وما مسه أحد. فوجه الحسن إلى المأمون: هذا نثار يجب أن يلقط، فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء: شرفن أبا محمد، فمدت كل واحدة منهن يدها، فأخذت درة وبقي باقي الدر يلوح على الذهب حصير. فقال المأمون: قاتل الله أبا نواس حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة! وكان أبو نواس في هذا الوقت قد مات لما دخل المأمون على بوران أراد أن يقبضها، فلما كاد مشت فقالت: أتى أمر الله فلا تستعجلوه! ففهم المأمون قولها فوثب عنها. ومن شعر بوران بنت الحسن بن سهل ترثي المأمون:

أسعداني على البكا مقلتيا ... صرت بعد الإمام للهم فيا

كنت أسطو على الزمان فلما ... مات صار الزمان يسطو عليا

مولدها في صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة، وتوفيت في ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين ببغداد، وقد

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٩٨/١٧

بلغت من السن ثمانين سنة.

٢١٢- تجني بنت عبد الله الوهبانية، أم عتب عتيقة محمد بن وهبان [٢] :

سمعت طراد الزينبي والحسين بن أحمد بن أحمد بن محمد النعالي، وهي آخر من

---

[١] مكان النقط ممسوح في الأصل، وفي تاريخ الطبري ٢٧٢/١٠. «وكانت معدة عند غسان بن وعياد» .

[٢] انظر: شذرات الذهب ٢٥٠/٤. والعبر ٢٢٣/٤.." (١)

"نفسي أن أعطيك من مالي شيئا ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار، فقبلت يده فقال إذا كان غد وجاءني القاسم- يعني ابن عبيد الله- فهو ذا أسارك حين يقع نظري عليه سرارا طويلا، ألتفت فيه إليه كالمغضب، وانظر أنت إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر المترثي له، فإذا انقطع السرار فيخرج ولا يبرح الدهليز أو تخرج، فإذا خرجت خاطبك بجميل، وأخذك إلى دعوته، وسألك عن حالك فاشك الفقر والخلة، وقلة حظك مني، وثقل ظهرك بالدين والعيال، وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه، فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار، فإذا أخذتها، فسيسألك عما جرى بيننا، فاصدقه وإياك أن تكذبه، وعرفه أن ذلك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا، وحدثه بالحديث كله على شرحه، وليكن إخبارك إياه بذلك بعد امتناع شديد، وإحلاف منه لك بالطلاق والعتاق أن تصدقه، وبعد أن تخرج من داره تأخذ كل ما يعطيك إياه وتحصله في بيتك. فلما كان من غد حضر القاسم، فحين رآه بدأ يسارني، وجرت القصة على ما واضعته عليه، فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني فقال: يا أبا محمد ما هذا الجفاء لا تجيئني ولا تزورني ولا تسألني حاجة؟ فاعتذرت إليه باتصال الخدمة علي، فقال: ما يقنعني إلا أن تزورني اليوم ونتفرج، فقلت: أنا خادم الوزير، فأخذني إلى طياره وجعل يسألني عن حالي وأخباري، وأشكو إليه الخلة والإضاقة والدين والبنات، وجفاء الخليفة وإمساكه يده، فيتوجع ويقول: يا هذا مالي لك، ولن يضيق عليك ما يتسع علي، أو تتجاوزك نعمة تحصلت لي، أو يتخطاك حظ فإنك في فنائي، ولو عرفتني لعاونتك على إزالة هذا كله عنك، فشكرته وبلغنا داره، فصعد ولم ينظر في شيء وقال: هذا يوم أحتاج أن أختص فيه بالسرور بأبي محمد، فلا يقطعني أحد عنه، وأمر كتابه بالتشاغل بالأعمال، وخلا بي في دار الخلوة، وجعل يحادثني ويبسطني، وقدمت الفاك‍ه‍ة فجعل يلقمني بيده، وجاء

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٠٤/٢١

الطعام فكانت هذه سبيله، وهو يستزيدني، فلما جلس للشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار وأخذتها للوقت، وأحضرني ثيابا وطيبا ومركوبا، وأخذت ذلك وكان بين يدي صينية فضة فيها مغسل فضة، وخراداذي بلور وكوز وقدح بلور وأمر بحمله إلى طيارتي، وأقبلت كلما رأيت شيئا حسنا له قيمة وافرة طلبته، وحمل إلي فرشا نفيسا، وقال: هذا للبنات، فلما تقوض أهل المجلس خلا بي وقال: يا أبا محمد أنت عالم بحقوق أبي عليك، ومودتي لك. فقلت: أنا خادم الوزير، فقال:

أريد أن أسألك عن شيء وتحلف لي أنك تصدقني عنه، فقلت: السمع والطاعة." (١)

"العامة خلق كثير لا يحصى عددهم، فضرب إلى تمام الألف السوط وما استعفى ولا تأوه، بل لما بلغ ستمائة سوط. قال لمحمد بن عبد الصمد: ادع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية، فقال له محمد: قد قيل لي إنك ستقول هذا وما هو أكثر منه! وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ولما بلغ ألف سوط قطعت يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وحضرت في هذا الوقت وكنت واقفا على ظهر دابتي خارج المجلس، والجثة تقلب على الجمر، والنيران تتوقد، ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر ثم حمل إلى خراسان وطيف به في النواحي، وأقبل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما، واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة فيها فضل، فادعى أصحابه أن ذلك بسببه، ولأن الرماد خالط الماء، وزعم بعض أصحاب الحلاج أن المضروب عدو الحلاج ألقى شبهه عليه، وادعى بعضهم أنهم رأوه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من أمره، والحال الذي جرت عليه، وهو راكب حمارا في طريق النهروان ففرحوا به، وقال: لعلكم مثل هؤلاء البقر الذي ظنوا أني أنا المضروب والمقتول. وزعم بعضهم أن دابة حولت في صورته، وكان نصر الحاجب بعد ذلك يظهر الترثي له ويقول: إنه مظلوم، وإنه رجل من العباد. وأحضر جماعة من الوراقين وأحلفوا على أن لا يبيعوا شيئا من كتب الحلاج ولا يشتروها.

٤٢٣٣- الحسين بن مهدية الفحام:

حدث عن الحسن بن أبي زكريا الأنصاري، عن عبد العزيز بن أبي رواد. روى عنه محمد بن مخلد الدوري.

٤٢٣٤- الحسين بن معاذ بن حرب أبو عبد الله الأخفش الحجبي [١] :

ابن عم عبد الله بن عبد الوهاب، من أهل البصرة. قدم بغداد وحدث بها وبسر من رأى عن الربيع بن يحيى الأشناني، وشاذ بن فياض، وعبيد الله بن محمد بن عائشة، وكثير بن يحيى، وعبيد بن عبيدة التمار، وأحمد

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٧٢/٥

بن عبدة الضبي، وسلمة بن شبيب. روى عنه أبو مزاحم الخاقاني، وأحمد بن سلمان النجاد، وعبد الله بن إسحاق بن الخراساني، والحسين بن القاسم الكوكبي.

---

[١] ٤٢٣٤- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ١٢/٢٨٣.." (١)

"حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق حدثنا علي بن عبد الله الهمذاني حدثنا أحمد بن مقاتل الحريري- مذاكرة- قال: لما وافى ذو النون إلى بغداد، اجتمع إليه جماعة من الصوفية ومعهم من يقول، فاستأذنوه أن يقول شيئا من عنده، فقال: نعم، فابتدأ القوال:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكى؟

فقام ذو النون قائما، ثم سقط على وجهه، ترى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شيء. ثم قام بعده رجل ممن كان حاضرا في المجلس يتواجد، فقال له ذو النون: الذي يراك حين تقوم [الشعراء ٢١٨] فجلس الرجل.

أخبرني عبد الصمد بن محمد الخطيب حدثنا الحسن بن الحسين الهمذاني الفقيه.

قال سمعت محمد بن أبي إسماعيل العلوي يقول سمعت أحمد بن رجاء- بمكة- يقول سمعت ذا الكفل المصري- وهو أخو ذي النون- يقول: دخل غلام لذي النون إلى بغداد فسمع قوالا يقول: فصاح غلام ذي النون صيحة خر ميتا، فاتصل الخبر بذي النون، فدخل إلى بغداد فقال علي بالقوال، واسترد الأبيات، فصاح ذو النون صيحة فمات القوال، ثم خرج ذو النون وهو يقول النفس بالنفس والجروح قصاص.

أخبرنا الجوهري أخبرنا محمد بن العباس. وأخبرنا الأزهري أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي قالا: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي قال:

ودخلها- يعني بغداد- أبو الفيض ذو النون النوبي المعروف بالمصري، حين أشخص إلى سر من رأى أيام المتوكل، ثم زار جماعة من إخوانه، فأقام ببغداد أياما يسيرة، ثم رجع إلى مصر.

أخبرنا أبو سعد الماليني- إجازة- أخبرنا الحسن بن رشيق المصري حدثني جبلة ابن محمد الصدفي حدثني عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير قال: توفي ذو النون المصري سنة خمس وأربعين ومائتين.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٨/١٣٥

وقال ابن رشيق: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الإخميمي قال:
سمعت أبا العباس حيان بن أحمد السهمي يقول: مات ذو النون بالجيزة، وحمل في مركب حتى عدي به إلى الفسطاط خوفا من زحمة الناس عند الجسر، ودفن في مقابر." (١)

"وأصح ذلك أنه نزل في قبره العباس عمه، وعلي رضى الله عنهما معه، وقشم بن العباس، والفضل بن العباس، ويقال: كان أوس بن خولي وأسامة بن زيد معهم، وكان آخرهم خروجا من القبر قثم بن العباس، وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ذكر ذلك ابن عباس وغيره. وهو الصحيح. وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة في ذلك خبر لا يصح أنكره أهل العلم ودفعوه. وألحد له صلى الله عليه وآله وسلم وبنى في قبره اللبن، يقال تسع لبنات، وطرح في قبره سمل قطيفة كان يلبسها، فلما فرغوا من وضع اللبن أخرجوها وأهالوا التراب على لحده، وجعل قبره مسطوحا ورش عليه الماء رشا.
حدثنا سعيد بن نصر، قال حدثنا قاسم بن أصبغ، قال حدثنا محمد بن وضاح، قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة بن قدامة عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما صدق نبي ما صدقت، وإن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلا رجل واحد. وأما فضائله وأعلام نبوته فقد وضع فيها جماعة من العلماء، وجمع كل منها ما انتهت إليه روايته ومطالعته، وهي أكثر من أن تحصى. ومما رثي به صلى الله عليه وآله وسلم قول صفية عمته. قال الزبير: حدثني عمي مصعب بن عبد الله، قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب، قال: رويت عن هشام بن عروة لصفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:." (٢)

"ولكن أنت عبد الله. ومن شعر لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ترثي أباه الوليد بن الوليد [بن المغيرة] [١] :
مثل الوليد بن الوليد ... أبي الوليد كفى العشيره [٢]
وسنذكر الأبيات في باب أبيه الوليد بن الوليد إن شاء تعالى.
(١٦٨٤) عبد الله بن ياسر، أخو عمار بن ياسر،
قد ذكرنا نسبه [٣] في باب عمار، وفي باب ياسر أبيهما. له ولأبيه ياسر صحبة، وأما عمار فمن كبار الصحابة، ومات ياسر وابنه عبد الله بمكة مسلمين، وكانوا كلهم ممن عذب في الله تعالى.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٩٣/٨
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ٤٨/١

(١٦٨٥) عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري،

من الأوس، كوفي. يروي عنه عدي بن ثابت عن [٤] البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهو جد عدي بن ثابت، وهو عبد الله بن يزيد بن يزيد بن حصن بن عمرو بن الحارث ابن خطمة بن جشم [٥] بن مالك بن الأوس الخطمي الأنصاري الأوسي. شهد الحديبية، وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان أميرا على الكوفة، وشهد مع علي صفين والجمل والنهروان.

قال ابن إسحاق: خطمة من ولد مالك بن الأوس، ويروي عنه أبو بردة ابن أبي موسى.

(١٦٨٦) عبد الله بن أبو الحجاج الثمالي:

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديثه

---

[١] ليس في س.

[٢] في ى: العشير.

[٣] سيأتي على حسب ترتيب الكتاب الجديد.

[٤] في ى: بن.

[٥] في س: بن جميع.." (١)

"منه بعد بالمدينة، فقالت عاتكة **ترثيه**:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب على اختلاف في ذلك، فقتل عنها يوم اليمامة شهيدا، ثم تزوجها عمر بن الخطاب في سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فأولم عليها، ودعا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم علي بن أبي طالب، فقال له: يا أمير المؤمنين، دعني أكلم عاتكة. قال: نعم. فأخذ علي بجانب الخدر، ثم قال: يا عدية نفسها [أين قولك] [١] :

فآليت لا تنفك عيني حزينة [٢] ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا [٣]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٠٠١/٣

فبكت. فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا حسن؟ كل النساء يفعلن هذا.

ثم قتل عنها عمر، فقالت تبكيه:

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الإمام [٤] النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتثويب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... ظقد سقته المنون كأس شعوب

[ومما رثت به عمر رضي الله عنه قولها:

منع الرقاد فعاد عيني عائد ... مما تضمن قلبي المعمود

---

[١] ليس في أ

[٢] أ: قريرة.

[٣] أ: أصفرا.

[٤] أ: الجواد.." (١)

"قد كان يسهرني حذارك مرة ... فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد] [١]

ثم تزوجها الزبير بن العوام، وقد ذكرنا قصتها في الخروج إلى المسجد معه ومع عمر قبله في (كتاب التمهيد)

في باب يحيى بن سعيد عن عمرة. فلما قتل الزبير بن العوام عنها قالت أيضا ترثيه:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا بن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... ممن [٢] مضى ممن يروح ويغتدي

والله ربك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

[وكان الزبير شرط ألا يمنعها من المسجد وكانت امرأة خليفة، فكانت إذا تهيأت إلى الخروج للصلاة قال

لها: والله إنك لتخرجين وإني لكاره، فتقول:

فامنعني فأجلس. فيقول: كيف وقد شرطت لك ألا أفعل، فاحتال فجلس لها على الطريق في الغلس، فلما

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٨٧٨/٤

مرت وضع يده على كفلها، فاسترجعت، ثم انصرفت إلى منزلها، فلما حان الوقت الذي كانت تخرج فيه إلى المسجد لم تخرج، فقال لها الزبير: مالك لا تخرجين إلى الصلاة؟ قالت: فسد الناس. والله لا أخرج من منزلي. فعلم أنها ستفي بما قالت. فقال: لا روع يا بنت عمر. وأخبرها الخبر، فقتل عنها يوم الجمل] [٣] .

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها من الزبير،

---

[١] من أ.

[٢] أ: فيما.

[٣] من أ." (١)

"يعني باللئام آباءه يقول لولا ما بينه وبينهم من المشابهة لكان الأم طفل وفي هذا تسوية بينهم وبينه في اللوم

كلام أكثر من تلقى ومنظره ... مما يشق على الآذان والحدق

يجوز أن يريد بالمنظر الوجه ويجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى المفعول يريد النظر إليه أي أكثر من تلقى من الناس يشق على الآذان استماع كلامه لأنه لا يقول سديدا وعلى الاحداق النظر إليه لما ينطوي عليه من الغل والخيانة وأبطان غير الجميل.

ونزل على علي ابن عسكر ببعلبك فخلع عليه فقال يستأذنه

روينا يا ابن عسكر الهماما ... ولم يترك نداك بنا هياما

وصار أحب ما تهدي إلينا ... لغير قلي وداعك والسلاما

يقول قد استغنينا عن الهدايا وردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك ونسلم عليك

ولم نملل تفقدك الموالي ... ولم نذمم أياديك الجساما

يقول لسنا نرتحل عنك لملال أو لأنا ذممنا أنعامك علينا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٨٧٩/٤

ولكن الغيوث إذا توالت ... بأرض مسافر كره الغماما

هذا يحتمل معنيين احدهما أن المسافر إذا كثر عليه المطر مل مقامه واحتباسه لأجل المطر كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وإنا مسافر أريد الأرتحال ولولا إني على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر والآخر إن المسافر إذا كثرت الأمطار بالأرض التي فيها وطنه اشتاق إلى وطنه وكره المقام بأرض السفر كذلك نحن قد أحسنت إلينا كل الإحسان فنحن نشتاق أن نأتي الوطن ونسرع الأرتحال والأول أظهر وهذا الوجه الثاني ذكره ابن دوست وليس بظاهر.

وقال في قصيدة قالها وهو صبي

سيف الصدود على أعلى مقلده

ولم يحفظ المصراع الثاني وتكلف الناس له زيادة مصراع فقال بعضهم، بكف أهيف ذي مطل بموعده، وقال الآخر، يفري طلى وأمقيه في تجرده، وقال الآخر، ومجلس العز منه فوق مقعده، والمعنى أنه يقتل بصدوده فكأنه قد تقلد بسيف من الصدود والمقلد العنق لأنه موضع القلادة.

ما أه‍تز منه على عضو ليبتره ... إلا اتقاه بترس من تجلده

أي لم يهتز هذا السيف على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره والمعنى أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر.

ذم الزمان إليه من أحبته ... ما ذم من بدره في حمد أحمده

تهوس ابن جنى في هذا البيت وأتى بكلام كثير لافائدة فيه فيه ومعنى البيت إن الزمان ذم إلى المتنبي من أحبة المتنبي لأنهم يحيفونه ما ذم الزمان من بدره القمر في حمد أحمده يعني الممدوح والمعنى أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا الممدوح أي إن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا.

شمس إذا الشمس لاقته على فرس ... تردد النور فيها من تردده

أي إذا رأته الشمس وهو يجول في ميدانه على الفرس مترددا تردد نوره في جسم الشمس لأنه أضوء منها فالشمس تستفيد منهالنور وهذا كقوله أيضا، تكسب الشمس منك النور طالعة، البيت.

إن يقبح الحسن إلا عند طلعته ... فالعبد يقبح إلا عند سيده

أي هو مولى الحسن والحسن في كل أحد قبيح إلا في طلعته كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه

قالت عن الرفد طب نفسا فقلت لها ... لا يصدر الحر إلا بعد مورده

قالت العاذلة لا تطلب العطاء فإنه غير مبذول فقلت لها إن الحر إذا قصد أمرا لم ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه أي لا بد لي من بلوغ إلى ما اطلبه ومعنى طب نفسا أي دعه ولا تطلبه

لم أعرف الخير إلا مذ عرفت فتى ... لم يولد الجود إلا عند مولده

نفس تصغر نفس الدهر من كبر ... لها نهى كهله في سن أمرده

يقول نفسه في عظمها وكبرها تصغر نفس الدهر التي هي مجمع والشر والضمير في الكهل والأمرد يعود إلى الدهر.

وقال يمدح أبا العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

يقول لصاحبه اتظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآقي عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترثي لمن يبكي وهو قوله

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي." (١)

"بالرصانة والتعقل، وهو شخصية ممتازة من شخصيات الشعر الجاهلي، شخصية فيها بر ورحمة وفيها نزعة قوية إلى الخير.

وآراؤه ليست إلا من أوليات التفكير الإنساني وتفكير الشعب، وهذه الآراء هي التي جعلته قريبا من الشعب؛ لأنه كان يكلمه فيها بما يعرف ويألف. وتحكيمه عقله في شعره، وإعماله تفكيره فيه، أضعفا عمل خياله، وعمل عاطفته، فلا تجد لهما عنده من الحظ إلا يسيرا، ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه في معلقته.

وقد جمع خلاصة التقاضي في بيت واحد وهو:

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٧٥

وإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

ولا ريب أن لكبر سنة تأثيرا في خمود عاطفته وضعف خياله، فكل شعره يدلنا على أنه نظمه في حرب داحس والغبراء، وبعدها خاصة عندما بلغ الثمانين على حد قوله، أو تجاوزه، فمن البديهي أن يغلب عليه التعقل والترصن، وأن يكون للعقل العمل المهيمن في نتاجه الشعري.

وحياة زهير من الوجهة الأدبية طريفة، يقول الأصبهاني: "كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، وهي القائلة **ترثيه**:

وما يغني توقي الموت شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار١

إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم ... كما من قبل لم يخلد قدار٢

وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعر، وهو القائل:

إني لأحبس نفسي وهي صادية ... عن مصعب ولقد بانت لي الطرق

رعوى عليه كما أرعى على هرم ... جدي زهير وفينا ذلك الخلق

-

١ الغضار: الخزف الأخضر، كان أحدهم إذا خشي على نفسه يعلق في عنقه خزفا أخضر.

٢ قدار: هو قدار بن سالف عاقر الناقة.." (١)

"أي مالت خلته فلم تستقم (١) ، ويقال قوام الأمر وقوامه، وملاكه وملاكه، يقول: لا تصرمه عند [أول] عوج.

وروى محمد بن حبيب: ولشر واصل خلة صرامها، والأولى رواية الأصمعي، والخلة: الصديق، والخلة: الصداقة.

قال أبو عبيد: والعامة تقول في هذا " لو كرهتني يميني ما صحبتني ".

ع: هذا المثل منظوم لشاعر جاهلي وهو المثقب العبدي، قال (٢) :

فلو أني تعاندني شمالي ... عنادك (٣) ما وصلت بها يميني

إذا لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك أجتوي من يجتويني ٤٩؟ باب الرجل يأبى الضين فيأخذ حقه

---

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني الزوزني، أبو عبد الله ص/١٢٩

قسرا [إذا أعياه الرفق]

قال أبو عبيد: قال بعض الأعراب يمدح رجلا:

" فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف " ع: ليس كما قال أبو عبيد، إنما هذا البيت لفارعة بنت طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني، وكان خرج على الرشيد فاشتدت شوكته، فبعث إليه

---

(١) ص: يستقم.

(٢) المفضليات: ٥٥٧ وأمالي اليزيدي: ١١٢.

(٣) هذه رواية أبي عبيدة، وروى الطوسي: فإني لو تخالفني شمالي، خلافك.." [١]

"يزيد بن مزيد الشيباني فقتله، وقد تقدم ذكر ذلك، فقالت أخته ترثيه (١) :

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... . (البيت) وقال كراع: ويروى، أيا شجر الخافور، بالفاء، وهو شجر، وهذا تصحيف صراح لأن الخابور الذي ذكر ونسب إليه الشجر إنما هو نهر بالجزيرة، وهناك قتل الوليد بن طريف، قال الأخطل (٢) :

فأصبحت منهم سنجار خالية ... فالمحلبيات فالخابور فالسرر هذه كلها بالجزيرة. وظن كراع أن الخابور شجر فقال: ويروى شجر الخافور؟ بالفاء؟ الخافور ليس من الشجر وإنما هو من النجم وهو ضرب من الحبق، وهو المرو العريض الورق، والعرب تسميه أيضا: الزغبر والزبعر (٣) قال الشاعر:

والشاهد الإسفنط يوم لقيتها ... والضومران تمله بالزغبر (٤)

---

(١) راجع قصيدة الفارعة في رثاء في ابن خلكان (ترجمة الوليد) ، وحماسة البحتري: ٩٨٣ والأغاني ١١: ٨ والعقد ٣: ٢٦٩ وأمالي القالي ٢: ٢٧٤، وقال البكري في السمط: ٩١٣ اختلف في قائله (أي الشعر) فقيل إنه لأخته ليلي بنت طريف (وسماها الفارعة في شرح الأمثال، وقيل أيضا فاطمة) ، وقال دعبل وابن الجراح: هو لمحمد بن بجرة؛ فقول أبي عبيد، قال بعض الأعراب ... ليس ببعيد عن الصواب.

(٢) انظر ديوان الأخطل: ١٨.

---

[١] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١٦٥

(٣) في اللسان: (زبعر) : الزبعر ضرب من المرو ليس بعريض الورق وما عرض ورقه منه فهو ماحور. وهذا مخالف لما ذكره البكري، وذكر في مادة (زبغر) - بالعين المعجمة أن الزبغر هو المرو الدقاق الورق. أما أبو حنيفة فيقول أنه الزغبر. والمرو: شجر طيب الريح أو ضرب من الرياحين؛ ووردت اللفظتان بالعين المهملة في س ط.

(٤) الاسفنط: ضرب من الأشربة، ولفظه فارسي معرب، وقال الأصمعي: هو رومي الأصل والضومران والضيمران والضومر: من ريحان البر طيب الريح.." (١)

"فقالت حين سمعت ذلك وضربت بيدها على منكب زوجها " هذا ومذقة خير "؟ فذهبت مثلا -. وذكر أبو سليمان أن هذا المثل يروى " الصيف ضيحت اللبن "؟ بالحاء بدلا من العين؟ من الضياح والضيح، وهو اللبن الممذوق الكثير الماء، يريد: الصيف أفسدت اللبن وحرمته نفسك. وقد ذكر أبو عبيد في الكتاب وجهين في تخصيص الصيف، وهما صحيحان.

وقالت دختنوس ترثي عمير بن معبد بن زرارة ابن عمها الذي خلف عليها بعد عمرو (١) بن عمرو بن عدس (٢) :

أعين ألا فابكي عمير بن معبد (٣) ... وكان ضروبا باليدين وباليد تعني بالسيف والقداح (٤) .

١٥٠ -؟ باب إبطاء الحاجة وتعذرها حتى يرضى صاحبها بالسلامة

قال أبو عبيد: من أمثالهم المشهور:

" ليت حظي من أبي كرب ... سد عني خيره خبله " قال: ويقال إنه لامرأة من الأوس، قالته في تبع أبي كرب حين قدم المدينة فأطمعت أن تنال من خيره فقالت هذه المقالة.

---

(١) ص: عمير.

(٢) انظر البيت في المعاني الكبير: ١١٥٣ والميسر: ١٤٠.

(٣) المعاني والميسر: عبيد بن معمر، وهو خطأ - على الأرجح، إن كانت دختنوس تزوجت ابن عمها، وعمها اسمه معبد على التحقيق، ويؤيد هذا ما ذكره ابن حبيب في المحبر: ٤٣٦ عن دختنوس وأزواجها، فالثاني هو عمير بن معبد بن زرارة.

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١٦٦

(٤) حقه أن يقول بالقداح والسيف، لأن ضرب القداح باليدين وضرب السيف باليد؛ في س: بالسيف وبالقداح.." (١)

"تكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويروى شربة الغمر

قال المؤلف: البيت لأعشى باهلة من قصيدة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث ويكنى أبا قحافة. وقال قطرب: إنه للدعجاء بنت وهب وإنها هي التي ترثي أخاها المنتشر بالقصيدة المعروفة التي أولها:

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من علو لا عجب فيها ولا سخر

وبعد البيت الشاهد:

لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا تراه أمام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ومن وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

التأري: التحبس والمكث. والاقتفار: أن يأكل خبزه قفارا دون أدم جشعا قبل أن يدرك الطعام. والصفر: حية في البطن تعض الشرسوف إذا جاع صاحبه. وقيل الصفر داء يعالج بقطع النائط. قال الراجز:

قطع الطبيب نائط المصفور

وكانت العرب تزعم أنه يعدي. وفي الحديث: لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا." (٢)

"ومستنبح تسكشط الريح ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه ... لينبح كلب أو ليسمع نوم

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى ... له مع إتيان المهبين مطعم

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا ... يكلمه من حبه وهو أعجم

المهبين: الأضياف الموقظون للنوام. وقال ابن هرمة:

وفرحة من كلاب الحي يتبعها ... شحم يزف به الراعي وترعيب

وما أحسن قول ابن هرمة أيضا ويروى لغيره:

استوص خيرا به فإن له ... عندي يدا لا أزال أحمدها

يدل ضيفي علي في غسق ... الليل إذا النار نام موقدها

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/٣٥٩

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧٥/١

قال أبو علي " ١ - ٢١٤، ٢١١ ": حكى عن بعضهم أنه قال: دخلت على الناطفي فبشرني ببشر حسن ع هذا أبو خالد الناطفي صاحب عنان الشاعرة اليمامية، وكانت بارعة الأدب سريعة البديهة. كان فحول الشعراء يساجلونها فتنتصب منهم. واشتراها الرشيد بعد موت الناطفي في سوق من يزيد، وعليها رداء رشيدي ومسرور الخادم يتزايد فيها مع الناس بمائتي ألف وخمسين ألفا، وأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين. وقالت عنان ترثي الناطفي:

يا موت أفنيت القرون ولم تزل ... حتى سقيت بكأسك النطافا

يا ناطفي وأنت عنا نازح ... ما كنت أول من دعوه فوافى

وأنشد أبو علي " ١ - ٢١٤، ٢١١ " عن اللحياني:

خفاهن من أنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من سحاب مركب." (١)

"فلبس عليه الحق وشككه في اليقين، ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات، وزين له إتيان السيئات، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والمآب، والثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من تخلف من بعده، فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة.

وأنشد أبو علي " ١ - ٢٧٨، ٢٧٥ " للعجير السلولي:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا ... بمر ومردى كل خصم يجادله

ع يرثي العجير بهذا الشعر رجلا من قومه يقال له سليمان بن خالد بن كعب، هلك بمر الظهران وهو صادر إلى المدينة. وبيتان من هذا الشعر قد اختلف في قائلهما أشد اختلاف. وهما قوله:

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهن لباته وبآدله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

فقال السكري: إنهما لثور بن الطثرية يرثي أخاه يزيد، وأنشدهما في أبيات أولها:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

وأنشد أبو تمام هذه الأبيات لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها، وقيل إنها لأم يزيد ترثي ابنها، وقيل إن البيتين للأبيرد اليربوعي. وقوله:

فتى ليس لابن العم كالذئب

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٥٠٠

قد مضت أمثلته والقول في معناه ٥٩. وقوله:

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما." (١)

"وأنشد أبو علي لفاطمة بنت الأحجم:

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله

ع قال السكري هذا الشعر لليلى بنت يزيد بن الصعق، ترثي ابنها قيس بن زياد ابن أبي سفيان ابن عوف بن كعب، وقال الأخفش: إنه لامرأة من كندة. وأوله في رواية من رواه لفاطمة كما قال أبو علي:

يا عين جودي عند كل صباح ... جودي بأربعة على الجراح

والجراح: زوجها.

وفيه:

وإذا دعت قمرية شجنا لها

أخبرني غير واحد عن أبي العلاء المعري أنه كان يرد هذه الرواية ويقول: إنها تصحيف وينشده:

وإذا دعت قمرية شجبا لها

يعني فرخها الهالك وهو الهديل، والشجب: الهلاك، والشجب: الهالك. وهذه رواية حسنة مقبولة، والحق أحق أن يتبع. وكان الأحجم بن دندنة أحد سادات العرب. ويقال الأجحم بتقديم الجيم، قال ابن دريد جحم إذا فتح عينيه كالشاخص، وبذلك سمى الرجل أجحم، وقال الخليل الأجحم: الشديد حمرة العين مع." (٢)

"شعف الكلاب الضاريات فؤاده ... فإذا بدا الصبح المصدق يفزع

يرمي بعينيه الغيوب وطرفه ... مغض يصدق طرفه ما يسمع

الشبب: الثور المسن، وكذلك المشب والشبوب. والشعوف: الذي كأنه ذاهب الفؤاد، ومنه شعف الحب قلبه. والمصدق: الصبح الصادق، ويقال للصبح الأول الكاذب. والغيوب: المواضع التي لا يرى ما وراءها، يرميها بطرفه يخاف أن يأتيه منها ما يكره. ثم قال: إذا سمع شيئا رمى ببصره، فكان ذلك منه تصديقا لما سمع، لأنه لا يغفل عن النظر حتى يسمع.

وأنشد أبو علي:

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٠٨/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٢٦/١

أيغسل رأسي أو تطيب مشاربي؟ ... ووجهك معفور وأنت سليب!

ع أنشد ابن أبي طاهر هذه الأبيات لبنت علي بن الربيع الحارثي ترثي أباها، والبيت إنما هو:

وإني لأستحيي أبي وهو ميت ... كما كنت أستحييه وهو قريب

لا أخي كما أنشده أبو علي، وبعده:

إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب." (١)

"وتمضي. تهر الناس: أي تصيرهم يهرونها: أي يكرهونها. وأنيابها عصل: أي معوجة، وإنما يعصل ناب البعير إذا أسن، فأراد أنها حرب قديمة. وقوله قضاعية أو أختها مضرية: لأن قضاعة هو ابن معد، ومضر هو ابن نزار بن معد أي حرب منكرة توقد بالجزل لا بالدقيق لشدتها، ويروى:

يكونوا على ما كان منها إزاءها ... وإن أفسد المال الجماعة والأزل

وقال الأصمعي على ما خيلت: على ما شبهت، هم إزاؤها: أي الذين يقومون بها، أي تجدهم مؤيديها، وإن أهلك المال الجماعة، أي يجتمعون في مكان واحد لا تخرج إبلهم للمرعى فتنحر، فذلك هلاك المال. وقال الأصمعي: يريد إن حبس الناس أموالهم فلا يسرحون وجدتهم يسرحون، وإن اشتد أمر الناس حتى يبلغ الضيق وجدتهم ينحرون.

وأنشد أبو علي قصيدة أولها:

يا عين بكى لمسعود بن شداد ... بكاء ذي عبرات شجوه باد

وقال إنها تنسب إلى عمرو بن مالك، وإلى أبي الطمحان، وإلى فارعة بنت شداد ترثي أخا ها مسعود بن شداد ع هو عمرو بن مالك بن يثربي النخعي، ثم الكعبي جاهلي.." (٢)

"وأنشد أبيات محارب بن دثار ع وهو ذهلي والأبيات أنشدها ابن الجوزي وزاد أول الأبيات:

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت يا عمر

وروى في البيت ٤ سعيا لهم سنن بالحق تقتفر وفي ٥ تأتي رواحا وأنشد لامرأة ع الأبيات لأبي العتاهية حقا رواها له الليثي ومحمد بن يزيد والزجاجي والأصبهاني وابن عبد ربه وآخرون يرثي بها علي بن ثابت وكان صديقا له وله فيه مراث وروى هؤلاء: بكيتك يا علي، وزاد الليثي بعد الثاني

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك من يديا

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٩٦٦/١

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٩٧٠/١

وأنشد للأبيرد كلمة ع رواها اليزيدي في نوادره والأصبهاني وأبو تمام وابن الأعرابي والليثي والآمدي. ولكن روى القالي والطائيان كلمة لسلمة بن يزيد قد اختلطت بهذه كل الأختلاط، وأغرب البحتري في روايته بعضها في موضع آخر لليلي بنت سلمة **ترثي** أخاها، وقد نعي البكري هذا التخليط على القالي وما هو بأبي عذره فقد سبقه إلى ذلك محمد بن يزيد، وأني للبكري أن يجزم بصحة نسبة بعض الأبيات إلى أحد المنسوبين بعد أن طال بها الأمد، وأخني عليها الذي أخني على لبد، وتشعبت فيها مذاهب الرواة، ولم أر فائدة في تقييد هذه الاختلافات كما قال تعالى: وأني لهم التناوش من مكان بعيد فأضرب عنها صفحا، وتقدم نسب الأبيرد وترجمته، وروى الآمدي في البيت ٧ ليس الفتيان، والأصبهاني في ب ١٣ بأخباره السفر وهو أقعد، وعنده في ب ١٤ ابن عزيز. وقوله ب ٢٢ غدوتها شهر أي تسير في غدوتها مسيرة شهر وما قاله في التمام ع فكله مختلف فيه على أن أبا علي رح حجر الواسع ومتأخرو اللغويين يسيغون كل ما منعه المثل أبي قائلها إلا تما بالكسر، وقيل مثلثا الميداني والمستقصي." (١)

"يا عين فابكي ذا الفعال وذا الندى ... بمدامع سكب تجيء سوافح

وابكيه في الزمن العثور لكلنا ... ولكل أرملة ورهب رازح

رهب كبير لا يطيق الحركة، ورازح مهزول لا نهوض به

فلقد فقدت مسودا ذا نجدة ... كالبدر أزهر ذا جدى ونوافح

كان الملاك لديننا ورجائنا ... وملاذنا في كل خطب فادح

فمضى وخلفنا لكل عظيمة ... ولكل أمر ذي زلازل جامح

ما قلت فيك فأنت أهل مقالتي ... بل قد يقصر عنك مدح المادح اه

وأنشد لأخت ربيعة **ترثيه** ع وكان قتل يوم الكديد في خبر، والأبيات رواها ابن طيفور والأصبهاني، ولكني وجدتها للخنساء في صخر أيضا والله أعلم وذكر من قدح في الأحنف ولم يسمه ع وهو حارثة بن بدر الغداني وأنشد أبياتا لمحمد المخزومي في يحيى الجمحي ع هما نكرتان لم يعرفا، وكيف أغفل أبو علي رح عن رواية المبرد والأصبهاني والشعر عندهما أتم والرجلان من المعارف وهما مطيع ابن إياس الليثي يقوله ليحيى بن زياد الحارثي ولا مخزوم ولا جمح ولهما أخبار ذكراها هما وغيرهما، وكان الرجلان يرميان بالزندقة." (٢)

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢/٤

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢/٩

"وأنشد والحزم ع لابن الزبعري، ومرت من أبيات مرت آنفا وأنشد مجنونا ع هو لتميم بن أبي بن مقبل من قصيدة له في ٥٠ بيتا رواها محمد ابن أبي الخطاب وأولها:

طاف الخيال بنا ركبا يمانينا ... ودون ليلى عواد لو تعدينا

وتمام البيت وصلته:

في ظهر مرت عساقيل السراب به ... كأن وغر قطاة وغر حادينا

ثم يقول بعد أبيات:

واطأته بالسرى حتى تركت به ... ليل التمام ترى أسدافه جونا

حتى استبنت الهدى والبيد هاجمة ... يخشعن في الآل غلفا أو يصلينا

واستحمل الشوق مني عرمس أجد ... تخال باغزها بالليل مجنونا

المرت: القفر. عساقيل السراب: قطعه. وغر صوت. غلفا عليها أغطية. يصلين: يرفعن وأنشد دعبوب ع البيت من قصيدة لأخت عمرو ذي الكلب الهذلي ترثيه قيل هي جنوب وسماها البحتري عمرة وقيل إنهما امرأة، وقال البغدادي: إنها لأخت له أخرى تسمى ريطة وأخافه قد وهم والله أعلم وأنشد اختلاجها ع أبو جعفر محمد بن وهيب الحميري صليبة البصري من أهل بغداد يعد وسطا في طبقة دعبل وأبي سعد المخزومي وأبي تمام كان يتشيع ويستميح الناس بشعره، مدح المأمون والمعتصم وهو جيد الشعر مطبوع مكثر له أبيات نادرة والمعنى من أوهامهم وأوابدهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال أرى من أحبه فان كان غائبا توقع قدومه، وإن كان بعيدا توقع قربه، قال بشر ابن أبي خازم:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها ... فتاة بني عمرو بها العين تلمع

ولآخر:

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني ... أراك وإن كان المزار بعيدا." (١)

"أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر

ألم تعلمي أن لت ما عشت لاقيا ... أخي إذ أتى من دون أكفانه القبر

فناداها مؤمن من الجن: يا خنساء، قبضه خالقه، واستأثر به رازقه، وأنت تفعلين ظالمة، وفي البكاء عليه آثمة. ومثل قوله:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢/٩٧

قول المقنع الكندي:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

وقول إبراهيم بن العباس الصولي:

رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا ... لزاما وإن أعسرت زرت لماما

فما أنت إلا البدر إن قل ضوءه ... أغب وإن زاد الضياء أقاما

وقوله أيضا:

ولكن الجواد أبا هشام ... نقي الجيب مامون المغيب

بطئ عنك ما استغنيت عنه ... وطلاع عليك مع الخطوب

* * * وفي " ص ٨٣ س ١٢ " وأنشد أبو علي – رحمه الله – لزينب بنت الطثرية **ترثي** أخاها:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله." (١)

"حدثني أبو محمد بن حرم، قال: حدثني قاسم بن محمد، قال: حدثني إبن شبلاق، قال: رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير، وفيها قبر حواليه الريحان الكثير، وقوم يشربون، فكنت أقول لهم: والله ما زجرتكم الموعظة، ولا وقرتم المقبرة، قال: فكانوا يقولون لي: أو ما تعرف قبر من هو؟ فكنت أقول لهم: لا. قال: فقالوا لي: هذا قبر أبي على الحكمي الحسن بن هاني، قال: فكنت أولى فيقولون: والله لا تبرح أو **ترثيه**، قال: فكنت أقول:

جادك يا قبر نشا الغمام ... وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعا ... واستترت عنا عيون الكلام

عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي وهو العكي أمير الأندلس، وليها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقية؛ وعبد الرحمن الغافقي هذا من التابعين يروى عن عبد الله، عمر بن عبد العزيز، وعبد الله بن عياض، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة، ذكر ذلك غير واحد، وكان رجلا صالحا جميل السيرة في ولايته، كثير الغزو للروم، عدل القسمة في الغنائم، وله في ذلك خبر مشهور؛ أخبرنا به في الإجازة لفظا وكتابة أبو القاسم عبد الرحمن بن المظفر بالقسطاط، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن اسماعيل، قال أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن حلف بن قديد، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: غزا عبد الرحمن يعنى ابن عبد الله العكى

(١) التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه أبو عبيد البكري ص/٩٨

إفرنجه، وهم أقاصي عدو الأندلس، فغنم غنائم كثيرة، وظفر بهم، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد، فأمر بها فكسرت، ثم أخرج." (١)

"كلبا، ما علمت بقدومه، ولو علمت لضممته إلي.

فلما أصبح غدا يستدل عليه حتى جاءه، فقال: قدمت هذا البلد، ولم تنزل بنا، ولم تر أن تعلمنا بمكانك فيكون منزلكم عندنا وعلي، إن كان لكم منزل إلا عندي. قال: نعم! نتحول إليك الليلة، أو في غد. فلما ولى قال عروة لأهله: قد كان ما ترون، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبن رأسي ولألحقن بقومكم، فليس علي بأس. فارتحلوا وركبوا طريقهم، ونكس عروة ولم يزل مدنفا، حتى نزل وادي القرى.

وروى العمري عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي مسكين أن عفراء لما بلغها وفاة عروة قالت لزوجها: يا هناه! قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغك، والله ما كان ذلك إلا على الحسن الجميل، وإنه قد بلغني أنه مات في أرض غربة، فغن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوة من قومي فيندبه ويبكين عليه. فقال: إذا شئت، فأذن لها، فخرجت، وقالت **ترثيه**:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم! ... بحق نعيتم عروة بن حزام.

فلا هنئ الفتيان بعدك غارة، ... ولا رجعوا من غيبة بسلام.

فقل للحبالى لا ترجين غائبا، ... ولا فرحات بعده بغلام.

قال: ولم تزل تردد هذه الأبيات وتبكي حتى ماتت، فدفنت إلى جابنه، فبلغ الخبر معاوية، فقال: لو علمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما.

وقد روي مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا، حدثنا العيشي عن أبيه قال: لما زوجت عفراء جعل عروة يضع صدره في أعطان إبلها، وحيث." (٢)

"(فلا تطمع أبيت اللعن فيها ... ومنعكها بشيء يستطاع)

٢ - وقالت امرأة من طيىء

٣ - (دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ... ومن لا يجب عند الحفيظة يكلم)

٤ - (فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم)

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الحميدي، ابن أبي نصر ص/٢٧٤

(٢) مصارع العشاق السراج القارئ ١/٣٢٠

١ – فلا تطمع أي ادفع طمعك في تحصيل هذه الفرس ودفعك عنها نقدر عليه ونستطيعه

٢ – هي بنت بهدل بن قرفة الطائي أحد لصوص العرب وكان في زمن بني أمية وكان من حديث هذا الشعر إن عون بن جعدة خرج حاجا في خلافة عبد الملك بن مروان فعرض له لصوص فيهم بهدل ومروان ابنا قرفة فطلبوا منه ما كان عنده وألحوا في الطلب وكلما عرض عليهم شيء أبوا قبوله فعلم أنهم لصوص فأخذلهم أهبته وأناخ رواحله وقاتلهم وقاتلوه وكان بهدل لا يسقط له سهم فرماه فأقصده ومات لوقته وأغاروا على متاعه فلم يروا ما كانوا يظنون فلما رأوا ذلك هربوا وتركوه صريعا ملقى على الأرض فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إلى عماله أن يطلبوا قتلة عون وأن يأخذوا السعاة بذلك أشد الأخذ ومازالوا يطلبون واحدا بعد واحد حتى ظفروا ببهدل فقتله عثمان بن حيان وكان أميرا على المدينة فقالت بنت بهدل هذه الأبيات ترثيه بها

٣ – الشرى مكان والحفيظة الغضب أي استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب وقولها يكلم أي يجرح وهو هنا كناية عن الغلبة والقتل

٤ – فيا ضيعة الفتيان لفظه لفظ النداء ومعناه التعجب والعتل القود بعنف والفنيق من قولهم تفنق في عيشه إذا تنعم وهو الفحل المصنوع للفحلة والمسدم المشدود الفم من خوف عضاضه." (١)

"(أتيناه زوارا فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر)

(وأبنا بزرع قد نما في صدورنا ... من الوجد يسقى بالدموع البوادر)

٣ – (ولما حضرنا لاقتسام تراثه ... أصبنا عظيمات اللهى والمآثر)

٤ – (وأسمعنا بالصمت رجع جوابه ... فأبلغ به من ناطق لم يحاور)

٥ – وقالت امرأة من بني شيبان

يمكنه إعماله وقد قطع فيه نصل سيف طالب الثأر وهو كناية عن أن المرثي كان كسيفه الذي يدفع به الأعداء فلما مات لم يمكنه مقاومتهم

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٦٨/١

١ – أمجدنا أكثر لنا والقرى الضيافة والدخيل المتمكن من القلب والمخامر من الخمر وهو الستر والمعنى وفدنا عليه فلم يمنعنا قراه لكن هذا القرى هو ما تزودنا به من الحزن والوجد والكآبة

ح آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ – التراث الميراث واللهى جمع لهوة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيئا من المال لكثرة البذل

٤ – المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

٥ – هي بنت فروة ابن مسعود **ترثي** فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابن." (١)

"(يعقوب لا تبعد وجنبت الردى ... فلنبكين زمانك الرطب الثرى)

(ولئن تعهدك البلاء بنفسه ... فلقيته إن الكريم ليبتلى)

٣ – (وأرى رجالا ينهسونك بعد ما ... أغنيتهم من فاقة كل الغنى)

٤ – (لو أن خيرك كان شرا كله ... عند الذين عدوا عليك لما عدا)

وقالت صفية الباهلية **ترثي** أخاها

المهدي ونال منه ما نال قال أبو حنش هذه الأبيات

١ – تبعد تهلك والردى الهلاك أيضا ولم يرض بالحرى على عادة الناس من قولهم عند المصاب لا تبعد حتى زاد عليه وجنبت الردى ليكون الكلام أدل على التوجع ويشير بقوله زمانك الرطب الثري إلى كثرة إحسانه إلى الناس فكأنه كان لهم كالمطر تحيي به الأرض وسكانها والثرى التراب الندي والمعنى يا يعقوب لا تهلك والهلاك بعيد منك فنحن لحزننا عليك نبكي على أيامك التي عم فيها إحسانك إلى الناس

٢ – تعهدك تفقدك والبلاء هنا المحنة التي نزلت به ويبتلى يختبر يقول فلئن كان البلاء بحث عنك

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٣٦٤

وتفقدك بنفسه فلقيته بعزيمة صادقة وصبر جميل فلا يهلك ذلك ولا تسأم فإن الكريم مبتلى ومختبر

٣ - ينهسونك يغتابونك وأصل النهس بمقدم الفم والنهش بجميعه التفت بهذا الكلام إلى رجال يذمون يعقوب وينالون من عرضه فيقول إني أرى رجالا نهسوا عرضك وجحدوا فضلك وإحسانك بعد ما أغنيتهم من فقر وأنقذتهم من بلاء وشقاء يصفهم باللؤم وجحد المعروف وإنكار الفضل ودناءة الفعل والأصل

٤ - المعنى لو كان ما صار إليهم من إحسانك الوافر يفرض شرا لما جاوزهم إلى غيرهم ولما كان الأذى ينالك من جهته." (١)

"١ - وقالت قتيلة بنت الحرث بن كلدة بن علقمة بن هاشم بن عبد مناف

(يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق)

٣ - (بلغ به ميتا فإن تحية ... ما إن تزال بها الركائب تخفق)

٤ - (مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمائحها وأخرى تخنق)

أشد تلك المصيبة وأعظمها

١ - هي من الشعراء المخضرمين قال محمد بن إسحاق لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا كان بالصفراء وقال عمر بن شبة في حديثه بالأثيل قتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار أمر عليا رضي الله عنه أن يضرب عنقه وكان النضر يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويقول محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة فلما قتل قالت أخته قتيلة بنت الحارث هذه الأبيات ترثيه بها فيقال إنه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامها قال لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته هذا وإن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه

٢ - الأثيل موضع فيه قبر النضر والمظنة موضع الظن تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة وقولها وأنت موفق أي إن وفقت لطريقك ولم تحد عنه والمعنى يا راكبا إن الأثيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم تزغ عنه

٣ - إن زائدة وتخفق تتحرك

٤ - مسفوحة مصبوبة والمائح النازل في البئر ليملأ الدلو ومعنى البيتين إذا وصلت هذا المكان فبلغ ساكنه

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٣٩٣/١

تحية لا تزال الركائب تتحرك بها مني إليه وبلغه عبرة مصبوبة استنزفها من العين فقده وأخرى آخذة بالحلق." (١)

"(لحا الله قوما أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضمرا)

وقال آخر

(كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت ... فقص مر الليالي من حواشيها)

٣ - (أضحى أبو القاسم الثاوى ببلقعة ... تسفى الرياح عليه من سوافيها)

٤ - (هبت وقد علمت أن لا هبوب به ... وقد تكون حسيرا إذ يباريها)

٥ - (أضحى قرى للمنايا رهن بلقعة ... وقد يكون غداة الروع يقريها)

آب رجع والبوادر المستبقة والمعنى فرجعنا من زيارته بوجد في صدورنا يسقى بالدموع المتسابقة فينمو كنمو الزرع الذي يتعهد بالسقي

٣ - التراث الميراث واللهى جمع لهوة وهي أفضل العطاء والمآثر جمع مأثرة وهي المحمدة والمعنى لما حضرنا لاقتسام ما خلفه من الأموال لم نجد غير مكارمه ومفاخره لكونه لم يترك شيء من المال لكثرة البذل

٤ - المحاورة المحادثة ورجع جوابه مرجوع جوابه والمعنى لما ناديناه كان الصمت جوابه أي أنه أجابنا اعتبارا لا كلاما فأبلغ به من ناطق لا يتبين كلامه وإنما يدل عليه لسان الحال

٥ - هي بنت فروة ابن مسعود **ترثي** فروة أباها وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ يوم قتل المنذر وكان الذي قتله شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر هو ابنفتى حنظلي بلغ من جوده أن ركابه لا تزال تأمر بمعروف وتنهي عن منكر وإذا كان هذا حالها فكيف حال صاحبها

١ - لحا الله قوما هذه الكلمة تستعمل في الذم والسب وأسلموك أي خذلوك وقعدوا عن نصرتك وجردوا عناجيج أي جردوها للركض في الهرب والعناجيج جمع عنجوج الطويل من الخيل والضمر جمع ضامر والمعنى قبح الله قوما لم ينصروك بل جردوا الخيول العظيمة التي وهبتها لهم للركض في الهرب فركبوها وهربوا

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٠٠

٢ – ما اتسعت ظرف كأنه قال مقدار الأرض كلها وأصل القص التتبع والحواشي الأطراف والمعنى كانت خزاعة كثيرة تكاد تملأ الأرض لكن أتى عليهم الزمان فأخذ من أطرافهم من شاء

٣ – الثاوي المقيم والبلقعة المكان الخالي وتسفى تطير التراب والمعنى دفن أبو القاسم بمكان خال من الناس تأتي العواصف بالتراب فتلقيه عليه

٤ – أن لا هبوب به أن مخففة من الثقيلة والهبوب الانتباه والحركة من النوم وحسيرا ضعيفة والمعنى أن الرياح إنما تهب لعلمها أنه ميت لا يقدر على مباراتها ولو كان حيا لم تهب لقصورها عنه

٥ – القرى طعام الضيف والمعنى أنه صار طعمة للمنايا بمكان." (١)

"(فإن يك نوء من سحاب أصابه ... فقد كان يعلو في اللقاء ويظفر)

٢ – وقالت زينب بنت الطثرية **ترثي** أخاها يزيد بن الطثرية

٣ – (أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله)

___

١ – النوء أصله النجم مال إلى الغروب والمراد به هنا الصاعقة التي أصابته وقوله فقد كان يعلو في اللقاء أي يسمو على غيره في الحرب يقول فإن تك قد أصابت أخي صاعقة من السماء فلقد كان شجاعا مظفرا

٢ – واسم أبيها الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير والطثرية أمها وهي شاعرة محسنة مجيدة من شعراء الإسلام وهي أخت يزيد بن الطثرية الشاعر المفلق الغزل المجيد وكان يزيد قد قتل في خلافة بني العباس قتلته بنو حنيفة بن لجيم وذلك أن بني حنيفة أغارت على طائفة من بني عقيل معهم رجل من بني قشير جار لهم فقتل القشيري ورجل من بني عقيل واطردت بنو حنيفة إبل بني عقيل فجاء الصريخ قومهم فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجلا وعقروا أفراسا ثلاثة من خيلهم وانصرف بنو حنيفة ثم إن بني عقيل لبثوا سنة فانحدرت منتجعة من بلادها إلى بلاد بني تميم فذكر ذلك لبني حنيفة وحذر العقيليون منهم وأتتهم النذر من نمير فانكشفوا وجمعوا جمعا لغزو بني حنيفة فالتقوا بالعقيق والتحم بينهم القتال وفي الأثناء نشب ثوب يزيد بجزل حطب فانقلب عن فرسه وضربه بنو حنيفة بسيوفهم فقتلوه فقالت أخته زينب **ترثيه** بهذه الأبيات

___

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٠٩

٣ – الأثل شجر وعقيق واد ببلاد بني عقيل مما يلي اليمامة وغاله أهلكه ومجاوري صفة لبطن العقيق ومقيما مفعول ثان لأرى والمعنى أني أرى الأثل من بطن العقيق المجاور لي مقيما على حاله لم يتغير." (١)

"(وقالت مية ابنة ضرار الضبية **ترثي** أخاها قبيصة بن ضرار)

(لا تبعدن وكل شيء ذاهب ... زين المجالس والندي قبيصا)

٣ – (يطوي إذا ما الشح أبهم قفله ... بطنا من الزاد الخبيث خميصا)

وقال عكرشة العبسي يرثي بنيه

٤ – (سقى الله أجداثا ورائي تركتها ... بحاضر قنسرين من سبل القطر)

---

١ – وقبيصة بن ضرار الضبي كان أحد الفرسان المشهورين عند العرب وكان مع قومه يوم الكلاب الثاني يوم اجتمع بنو الحرث بن كعب وكان قائدهم عبد يغوث بن صلاءة الحارثي وغزا بني تميم فظفرت به بنو تميم وقتلوه وكان ذلك في الجاهلية قبل الإسلام بقليل

٢ – وكل شيء ذاهب هذا تسل وتصبر أي قالت متوجعة لا تبعدن ثم عقبته بالتسلي فقالت وكل حي منا سيذهب ويموت وزين المجالس منادى حذف منه حرف النداء والندى مكان اجتماع الناس وقبيص عطف بيان على لفظ زين المنادى والمعنى كنت أتمنى دوامك يا زين الأهل والعشيرة ولكن كل حي ميت

٣ – يطوي يجيع بطنه والفعل طوى يطوي من باب رمي يرمي إذا تعمد الجوع وعدم الأكل والشح أشد الحرص وأبهم قفله جعل الفعل للشح على معنى أن الشح جعل قفله مبهما لا يدري كيف يفتح وهذا كناية عن تملك البخل للناس وعدم الجود بما في أيديهم تقول هذا الرجل كان يطوي بطنا خميصا من الزاد السيئ الغذاء إذا اشتد الزمان فصار كل مالك لشيء يبخل به حتى لا يمكن انتزاعه منه تصفه بالكرم والجود حين الجدب والقحط

٤ – الجدث القبر وقنسرين بلد بالشام وحاضر موضع به والسبل المطر السابل وهو مفعول ثان لسقى." (٢)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٣٢

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٣٦

"(ألا ليت أمي لم تلدني وليتني ... سبقتك إذ كنا إلى غاية نجري)

(وكنت به أكنى فأصبحت كلما ... كنيت به فاضت دموعي على نحري)

٣ - (وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا ... فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفرى)

وقالت امرأة ترثي أباها

٤ - (إذا ما دعى الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب)

٥ - (وكم من سمي ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب)

وقال رجل من كلب

٦ - (لحا الله دهرا شره قبل خيره ... ووجدا بصيفي أتى بعد معبد)

---

١ - المعنى أتمنى أن أمي لم تلدني وأنني سبقتك إلى الموت حين ما كنا نتسابق إليه إذ هو الغاية التي ينتهي إليها كل أحد

٢ - المعنى أني كنت أكنى به في حياته فالآن كلما أكنى به بعد مماته تراءت لي صورته فأبكي جزعا وحزنا عليه

٣ - المعنى كنت في حياته ذا شوكة وبأس تهابني الأعداء فالآن بعد فقده صرت ذليلا بينهم

٤ - العجول الناقة التي فقدت ولدها والمهيب الراعي الذي ينادي الإبل والمعنى أنني كلما نادى واحد باسم علي أو يذكره أجد في نفسي فزعا يعتريني كما يعتري الناقة التي فقدت ولدها وقت نداء الراعي لها لأن فقده صيرها ترتاع بأدنى سبب

٥ - المعنى وكم من شخص تسمى باسم علي لكن والدي كان بمعزل عنهم إذ لا يقاس به أحد

٦ - لحاه الله دعاء على الدهر الذي وصفه ومعنى شره قبل خيره أن ما كان يخشى شره في الأحبة سبق ما كان يرتجي من خيره بهم ثم دعا بعد ذلك على وجد تعجل." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٤٥

"(وهون وجدي أنني سوف أغتدي ... على إثره يوما وإن نفس العمر)

(فتى كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر)

٣ – (فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر)

وقالت عمرة الخثعمية **ترثي** ابنيها

٤ – (لقد زعموا أنى جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وابأباهما)

٥ – (هما أخوافي الحرب من لا أخاله ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما)

---

١ – هون فاعل خفف وموضع أنني رفع لأنه فاعل هون ونفس أطيل والمعنى وخفف وجدي وقلقي أني ذاهب في أثره وإن نفس في أجلي وأطيل

٢ – ثوب رجع صوته في الدعاء مرة بعد أخرى والمعنى أذكر فتى إذا استغاث به مستغيث أو دعاه داعي الحرب أمضى السيف في الأعداء حتى يؤدي حق الضرب وتشقى به الإبل فينحرها للأضياف

٣ – يدنيه يقربه والمعنى أنه كان يعد التفرد في الغنى لؤما فيشرك أصدقاءه فيه كما أنه في حال الفقر يعد مخالطتهم لؤما أيضا لما فيه من التعرض لما في أيديهم فيبعد عنهم لعفته

٤ – كأنها لما استشرف الناس جزعها أظهرت الإنكار والتكذيب فيما زعموه فقالت وهل جزع الخ وأحرف ندبة بمعنى أتألم وابأباهما أصله بأبيهما فرت من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فقلبت الياء ألفا والمعنى ما صدقوا فيما قالوا بأني جزعت على ولدي حق الجزع وهل قولي وبأباهما يعد جزعا

٥ – فصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله في الحرب ونبوة السيف كلاله وعدم مضائه هذا في الأصل ثم استعيرت للشدة والمعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له فإذا خاف ضعفا أو ظلما استغاث بهما فيدفعانهما عنه." (١)

"(لنعم الفتى أدى ابن صرمة بزه ... إذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

(إذا ذكر الأخوان رقرقت عبرة ... وحييت رمسا عند لية ثاويا)

٣ – (وطيب نفسي أنني لم أقل له ... كذبت ولم أبخل عليه بماليا)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٤٩/١

٤ – (وذي إخوة قطعت أقران بينهم ... كما تركوني واحدا لا أخاليا)

٥ – وقالت أخت المقصص الباهلية

---

١ – ابن صرمة هو هاشم بن حرملة الذي رد على صخر سلاح معاوية وسلبه والبز السلاح والشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة والمعنى لنعم الفتى هو إذ أدى ابن صرمة إلى صخر سلبه وسلاحه في وقت راح فيه فحل الشول خاوي البطن نحيف الجسم لتغير المرعى

٢ – رقرق الدمع صبه ولية اسم موضع والثاوي المقيم والمعنى أني كلما ذكر الأخوان صببت دموعا على تذكر هذا الفقيد وأخذت أحيي قبرا مقيما بلية

٣ – المعنى وهون ما ألقاه من الحزن عليه أني لم أخجله مرة بقولي له كذبت ولم أبخل عليه بمالي

٤ – الأقران الحبال وانتصب واحدا على الحال والمعنى ورب رجل صاحب إخوة قطعت الأسباب الجامعة بيني وبين إخوته بقتلي إياهم كما أنهم تركوني وحيدا فريدا ويعني بالرجل نفسه

٥ – هي ميسون من بني الصموت من عبد الله ابن كلاب بن عامر بن صعصعة شاعرة من شعراء الإسلام كانت أيام عبد الملك بن مروان وهي ترثي بهذه الأبيات أخاها المقصص حين قتله هلال أخو بني سمال بن عوف وكان من حديثه أن المقصص أخا بني الصموت خرج أيام فتنة ابن الزبير يأخذ الصدقات ممن يمر به من الناس حتى أتى بني قنفذ." (١)

"(لكم المقصص لا لنا إن أنتم ... لم يأتكم قوم ذوو أحساب)

(فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... نكباء تقلع ثابت الأطناب)

٣ – (وأبو اليتامى ينبتون ببابه ... نبت الفراخ بكالىء معشاب)

٤ – وقالت عمرة بنت مرداس ترثي أخاها

٥ – (أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهر والأيام أن أتصبرا)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٥٦

٦ – (وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا)

ـــــ

١ – المقصص اسم المرثي والمعنى إن لم يأتكم قوم ذوو حسب يطلبون ثأر المقصص فهو رجل منكم مهدور الدم لامنا

٢ – الفكه الحسن الخلق الضحوك والنكباء ريح عادلة عن مهب الرياح المعروفة والخوان ما يؤكل عليه الطعام والأطناب حبال الخيمة والمعنى أنه حسن الخلق ضحوكا عند قربه من الخوان مع من يطعمهم من المحتاجين حين هبوب الريح التي تقلع أصول الخيام وتهلك الزرع فينشأ عنها شدة الجدب

٣ – ينبتون يجتمعون والفراخ دود يكون في العشب والكالئ موضع الكلأ وهو العشب والمعشاب الكثير العشب والمعنى أنه كان ملجأ لليتامى متفقدا لأحوالهم فكانوا يجتمعون عند بابه كاجتماع الدود في العشب

٤ – هي أخت العباس بن مرداس السلمي شاعرة مجيدة مقلة مخضرمة أمها الخنساء بنت عمرو الشاعرة

٥ – ختله خدعه والمعنى يا عيني ما خدعتكما بخيانة ولا حذرتكما من البكاء وأنتما مديمان له وما رضيت الأيام مني سلوا وتصبرا

٦ – تحسر البعير سقط تعبا والمعنى أني كنت قبل هذه الرزية واثقة بصبري إلى أن أخبرت بموت أخي فصرت كأني بعير حمل فوق الطاقة فسقط تعبا." (١)

"(كأنهم تحت الخوافق إذ غدوا ... إلى الموت أسد الغابتين الهواصر)

٢ – وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

٣ – (آليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا)

٤ – (فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا)

٥ – (إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الموت أحمرا)

ـــــ

١ – الخافق المضطرب والهصر الدفع والكسر والهواصر واحده هاصر والمعنى أنهم لما ساروا في الصباح

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٥٨/١

إلى لقاء العدو والرايات عليهم خافقة أشبهوا الأسود الكواسر في غاباتها

٢ – شاعرة فصيحة صحابية لها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة في رأيها تزوجت بعبد الله بن أبي بكر الصديق فلما مات من السهم الذي أصابه بالطائف خطبها عمر بن الخطاب فتزوجت به فلما قتل خطبها الزبير بن العوام فتزوجها فلما قتل عنها بوادي السباع تزوجها الحسين بن علي رضي الله عنهما فلما قتل بكربلاء كانت أول من رفع خده عن التراب ثم تأيمت بعده وكان عبد الله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة قال أبو رياش هذه الأبيات قالتها عاتكة ترثي بها زوجها عبد الله بن أبي بكر وكان قد أصابه سهم يوم الطائف رماه به أبو محجن فماطله حتى مات في خلافة أبيه

٣ – آلى حلف والمعنى أقسمت لا أترك البكاء عليك ولا يمس جلدي ماء أغتسل به من الغبار حزنا على فقدك

٤ – الهياج الحرب والمعنى أنه كان عديم المثال ومن العجيب رؤية إنسان فتى مثله أكثر منه كرا وحماية وصبرا على القتال

٥ – فيه الأسنة الضمير يرجع إلى الهياج ويترك الموت أحمر أي شديدا والمعنى أنه كان." (١)

"وقالت العوراء بنت سبيع

(أبكي لعبد الله إذ ... حشت قبيل الصبح ناره)

(طيان طاوى الكشح لا ... يرخى لمظلمة إزاره)

٣ – (يعصي البخيل إذا أراد ... المجد مخلوعا عذاره)

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي عمر

٤ – (من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طول السهد)

٥ – (جسد لفف في أكفانه ... رحمة الله على ذاك الجسد)

مشهور الذكر لكرمه وعفته فلو رميت به نواحي الريان لزالت هضابها عن أماكنها لشدة بأسه وهيبته

١ – حشت أوقدت والمعنى أني أبكي لفقد عبد الله حين أوقدت نار حربه قبل الصبح فقتل

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٦٠

٢ - الطيان أصله الجائع فأستعير له طاوي الكشح أي مضمر البطن ليس بضخم الجنبين ويقال رجل طوى كشحه أي أعرض بوده والمظلمة المرأة التي أظلم عليها الليل والمعنى أنه كان ضامر البطن معرضا عمن لا يريد وده عفيفا وكان من عادتهم في الجاهلية أن الواحد منهم إذا طرق امرأة بالليل لفاحشة وقضى منها مراده أرخى إزاره راجعا على أثر قدمه لئلا يخرج الأمر من حد الخفاء

٣ - العذار للفرس اللجام والمعنى أنه كان لا يطيع بخيلا على بخله إذا أراد المجد ولا يبالي بقول عاذل كالفرس الذي خلع لجامه فلا يستطاع رده

٤ - عادها جاءها وابتدأها وشفها أضر بها ونقصها والمعنى من أستنجده لنفس نزلت بها الأحزان ومن لعلاج عين أضر بها ونقصها طول السهر

٥ - رحمة الله الخ اعتراض بين الأوصاف." (١)

"وقال آخر

(وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى حلو المذاق)

(تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق)

٣ - (فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق)

٤ - (فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي)

٥ - وقال ابن الطثرية

٦ - (عقيلية أما ملاث إزارها ... فدعص وأما خصرها فبتيل)

يا خليلي بارك الله فيكما انزلا بهند وإن كان قصدكما غيرها وما حملتكما على النزول إلا لصدق إحائكما وتبليغ رسالتي إليها فاستعطفاها وقولا لها ما عدلنا عن الطريق ضلالا عنها ولكن نزلنا عندكم عمدا لمحض لقائكم

١ - يقول ليس في الأرض أشقى من صاحب الحب وإن كان يجده حلو المذاق

٢ - نصب مخافة على المصدر

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ٤٦٢/١

٣ – معنى البيتين تراه في كل حالاته دائم البكاء وذلك ليس إلا خوف الفرقة أو لما به من شدة الشوق فبكاؤه في النأي لأجله وفي القرب لأجل الفراق

٤ – المعنى أن عينه عند البعد تسخن بدمعة الحزن وعند التلاقي تسخن بدمعة الحزن أيضا خوفا من الفراق

٥ – هو يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير والطثرية أمه وهو شاعر إسلامي وكان جميل الوجه حسن الشعر حلو الشمائل وكان يقول من أفحم عند النساء فلينشد من شعري وكان كثيرا ما يتحدث إلى النساء وقد قتله بنو حنيفة يوم الفلج وكان لبني عامر على بني حنيفة ولأخته زينب شعر جيد ترثيه به

٦ – ملاث الإزار الموضع الذي يشد عليه الإزار وهو العجز والكفل والدعص قطعة." (١)

"قال: فقصده يزيد بن مزيد، وركب الوليد بن طريف مع ركب معه من أصحابه، فقال لهم الوليد: من صدقت نيته، وعزم على أن يموت فليتبعني، ومن ظن أنه لا يصبر فليدعني فأقبل في نفر يسير، فلما بدا له علم يزيد قال:

هذا علم الشيخ، وحمل على خيل يزيد، وهو يقول: [١] [الطويل]

إذا كنت مقتولا فكن أنت قاتلي ... وبعض منايا اليوم أكرم من بعض

وكر عليه بكر بن مزيد، وأسد بن يزيد وعدة من أصحاب يزيد، فضربوه على رأسه فقتلوه، فبعث يزيد برأسه مع شراحيل بن معن بن زائدة إلى هارون الرشيد، فسجد هارون عند ذلك.

قال أحمد بن سيار، وقال مروان بن أبي حفصه: [٢] [الطويل]

أتانا شراحيل بن معن برأسه ... وشر رؤوس القوم رأس وليد

فقال يزيد لمروان: لم هجوتني حين زعمت أني قتلت شر الناس؟ كان ينبغي أن تمدحه بالشجاعة، ثم تذكر قتلي إياه.

فلما دخل يزيد بغداد، لم تبق عذراء إلا ما شاء الله، ولا امرأة ولا رجل إلا وقفوا ليزيد ويشرفوا عليه من السطوح، وبلغ عند هارون مبلغا عظيما.

[أخت الوليد بن طريف ترثيه]

لأخت الوليد بن طريف الشاري ترثيه: [٣] [الطويل]

بتل نهاكى رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف [٤]

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١٢٤/٢

[١] انظر خبر مقتله في الطبري ٣٦١/٨، حوادث سنة ١٧٩ هـ.
[٢] لم أجد البيت في شعر مروان بن أبي حفصة، ط- دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٣.
[٣] القصيدة في وفيات الأعيان ٣٢/٦- ٣٣ بزيادة أبيات، وكذلك في حماسة البحتري ص ٢٧٦، وحماسة ابن الشجري ص ٨٩، والأغاني ١١٣/١٢- ١١٥ ط- بيروت، ومعاهد التنصيص ١٥٩/٣- ١٦١، والحماسة البصرية ٢٢٨/٢، مع زيادة أو نقص في أبيات القصيدة، وبعضها في زهر الآداب ١٠٣٦/٤، وأمالي القالي ٢٧٤/٢.
[٤] لم أجد (تل نهاكي) في معجم البلدان، وفي حماسة البحتري (تل نباثا) أو (تل تباثا) .." (١)

"تضمن مجدا عدمليا وسؤددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف [١]

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف [٢]

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا الكنز إلا من قنا وسيوف [٣]

ولا المال إلا كل جرداء شطبة ... معاودة للكر بين صفوف [٤]

كأنك لم تشهد هناك ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوما لورد كريهة ... من السرد في خضراء ذات رفيق

ولم تسع يوم الحرب والحرب لا قح ... وسمر القنا ينهزنها بأنوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فان مات لا يرضى الندى بحليف

فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من فتياننا بألوف

إلا يا لقوم للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجوف [٥]

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوف [٦]

ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف

فان يك أراده يزيد بن مزيد ... فرب زحوف لفها بزحوف

ولا تجزعا يا ابني طريف فاننى ... أرى الموت وقاعا بكل شريف [٧]

---

[١] العدملي: كل مسن قديم. (القاموس: عدمل) .

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/١٧٢

وفي المصادر الأخرى:

(تضمن جودا حاتميا ونائلا ... وسورة مقدام ورأي حصيف)

[٢] الخابور: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة، وولاية واسعة، وبلدان جمة غلب عليها اسمه، قال ياقوت: وفيه من أبيات أخت الوليد بن طريف **ترثي** أخاها، وذكر بيتين. (ياقوت: الخابور) .

[٣] في المصادر: (ولا المال إلا من قنا وسيوف)

[٤] في الوفيات ومعاهد التنصيص: (ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم) .

وفي الأغاني:

(ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليدين عزوف)

الجرداء: القصيرة الشعر، والشطبة من الخيل: السبطة اللحم الطويلة.

[٥] في معاهد التنصيص: (همت بعده برجيف) .

[٦] في الأغاني: (وللشمس همت بعده بكسوف) .

[٧] في الوفيات والحماسة البصرية ومعاهد التنصيص: (عليه سلام الله وقفا فإنني) .." (١)

"وأبره برا وأع ... لمه بفعل الصالحينا [١] [١٣٢ ظ]

أبقت لنا الأيام وال ... حرب الملمة تعترينا [٢]

كبشا له درق تف ... ل متونها الذكر السنينا [٣]

ومعاقلا شما وأس ... يافا يقمن وينحنينا

ومحلة زوراء تجح ... ف بالرجال الظالمينا

وكان ضئيلا، فقال أبو جبيلة: عسل طيب في وعاء سوء.

[رثاء سارة القرظية]

وقالت سارة القرظية **ترثي** من أصيب يومئذ: [٤] [الوافر]

بأهلي رمة لم تغن شيئا ... بذي حرض تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتهم ... [سيوف] الخزرجية والرماح [٥]

ولو أربوا بأمرهم لجالت ... هنالك دونهم جول رداح [٦]

[أطم أهل المدينة]

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/١٧٣

بنى أحيحة [٧] الضحيان بالحجارة السود، وبنى على رأسه مثل الفضة،

---

[١] في الكامل: (وأبرهم برا وأعلمهم بهدي الصالحينا) .

[٢] الكامل: (والحرب المهمة) .

[٣] الكامل: (له قرن يعض حسامه الذكر السنينا) .

درق: جمع الدرقة، الترس من جلد. وفي حاشية الأصل: ›أراد جيشا) .

[٤] الأبيات مع رابع في الأغاني ٢٢/١١٧، ومعجم البلدان (حرض) ٢/٢٤٢، والروض الأنف ٢/٢٤، وخلاصة الوفا للسمهودي ص ٧٩- ٨٤.

[٥] في الأصل: (سيوف) ساقطة، والتكملة من الأغاني ومعجم البلدان.

[٦] في الأغاني: (هنالك دونهم جاءوا رداح) . جأواء: كتيبة جرارة.

في معجم البلدان: (هنالك دونهم حرب رداح) . الرداح: الكثيرة الجرارة. الجول: الكتيبة الضخمة.

[٧] أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي: شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، كان سيد يثرب، وكان له حصن فيها سماه (المستظل) ، وحصن في ظاهرها سماه (الضحيان) ومزارع وبساتين ومال وفير، وكان مرابيا كثير المال، له شعر بقي منه-." (١)

"المرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا صغيرا ثم يتسق

يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر الجديدين نقصانا فينمحق

[١٧٢ ظ] وأنشدنا أبو العيناء، قال: أنشدنا أبو العالية لعلوى بنت جرير: [الكامل]

صبرت كليب للسيوف وعامر ... يوم الصريف وفرت الأجمال

من كل أبيض يستضاء بوجهه ... رخو الشمائل سابغ السربال

يمشي إلى أسل الرماح وقد رأى ... شرك المنية مشية المختال

ذموا القبائل من طهية إنهم ... ذكروا الحياة وقارض الأشوا

ل وأنشدنا لمخلد الموصلي: [الخفيف]

سل خليلي من قضاعة والأزد ... ألم يحرضا بأن يرشداني

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٣٤٩

عذلاني على هواه فلما ... أبصرا حسن وجهه عذراني

إن وصل الحبيب نعمة الل ... هـ وهجرانه من الشيطان

وأنشدنا: [الرجز]

حب مجد وحبيب يلعب ... أنت لقى بينهما معذب

يا من على الصدغين منه عقرب ... لا تضرب الخد وقلبي يضرب

إن قلت أنساك فاني أكذب ... وكيف ينسى غصن وكوكب

وأنشدنا أبو العيناء قال، أنشدنا أبو العالية لعلوى بنت جرير ترثي أباها: [الكامل]

كان العميد إذا أردنا حاجة ... عند الأمير وراء باب مغلق

[١٧٣ و] ينجي العدو على زبون صعبة ... ويبيت معتفي الصديق بمرفق [١]

وتكلف العنس المفازة بعدما ... جعلت معاقد نسعتيها تلتقي [٢]

---

[١] زبون: زبنت الناقة ولدها وحالبها عن ضرعها، وزبنت به: دفعته برجلها، فهي زبون، والحرب تزبن الناس: تصدمهم، فهي زبون. المعتفي: طالب المعروف.

[٢] العنس: الناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. النسعة: سير عريض طويل تشد به الحقائب أو الرحال ونحوها، والسير يشد به الرحال ويكون على صدر الدابة، ويقال:

قلقت أنساع الدابة ونسوعها إذا ضمرت.." (١)

"وقال: عصا وعصي، ورحا ورحي، جمع الرحاء، والرجا رجا البئر [١] ، وحنا وحني للقسي.

[الحد لمن سب الصحابة]

وأنشد أبو الفياض للجهمي، وضرب بالسياط، وذلك أن الزبيريين والعمريين شهدوا عليه بشتم الصحابة، فأمر المتوكل بضربه الحد، وتولى ذلك إسحاق بن إبراهيم، فزاده على الحد أسواطا، فقال له الجهمي: يا ابن الدباغ، أما الحد فأمر به أمير المؤمنين، فما هذه الأسواط؟ فقال له: للبذاء الذي فيك، ثم حمل على جمل وطيف به، فقال: [السريع]

تبرا الكلوم وينبت الشعر ... ولكل مورد غمة صدر

واللؤم في أثواب منبطح ... لعبيده ما أورق الشجر

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤٦٢

[ليلى الكلبية ترثي ابنها]

قال: وأنشدني أبي لأم بسطام بن قيس، وهي ليلى بنت الأحوص الكلبية ترثيه: [الطويل]

لتبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل ... فقد بان منها عزها وجمالها

إذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم ... نجوم سماء بينهن هلالها

فلله عينا ما رأى مثله فتى ... إذا الحرب يوم الروع هيب نزالها

[١٨٣ و] عزيز المكر لا يهد جنابه ... إذا نازلت فرسانها ورجالها

لقد ظفرت منا تميم بعثرة ... وتلك لعمري عثرة لا تقالها

[خطبة لعلي بن أبي طالب]

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، فقال: [٢] «والله

---

[١] الرجا: الناحية: أو ناحية البئر، وهما رجوان، والجمع أرجاء. (القاموس: رجا)

[٢] الخطبة مع خلاف في اللفظ وتقديم وتأخير، في نهج البلاغة ص ١٠٢- ١٠٨ ط مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٩٦، وهي الخطبة المعروفة بالشقشقية، لقوله: (إنها شقشقة هدرت ثم قرت) .." (١)

"الموضوع الصفحة

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤٨٣

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٦٣٦

من غريب اللغة ٤٦٥

أنشد المبرد. من شعر دعبل. عقيل بن علفة وابنته الجرباء ٤٦٦

القلات، من لعب الصبيان معنى حضر. مكلم الذيب ٤٦٨

لبعض المحدثين. أهون مفقود. في الهجاء ٤٦٩

أشعار مختارة ٤٧٠

مرويات الأخفش ٤٧١

للأزرق بن طرفة. لأعرابي في معاشرة النساء ٤٧٢

في هجاء أبان بن الوليد. للحسين بن الضحاك ٤٧٣

الحنين إلى الأرض. كثير وعزة ٤٧٤

نطحة الشاة. عيادة المريض. اصطمة الخوز ٤٧٥

الفرج بعد الشدة. العمشوش ٤٧٦

من شعر الخوارج. في الشمس والمرأة ٤٧٧

لبعض المسجديين. زواج الغراء بنت ضرار ٤٧٨

في شأن بني تميم. مدح أشبه بالهجاء ٤٧٩

علي بن أصمع والحجاج ٤٨٠

موعظة. في اللغة ٤٨١

في الأمثال ٤٨٢

الحد لمن سب الصحابة. ليلى الكلبية ترثي ابنها. خطبة لعلي بن أبي طالب ٤٨٣

من هجاء العلماء. لنصيب في المدح ٤٨٦

حوث لغة في حيث. في اللغة ٤٨٧." (١)

"٤٧٣- بيضة البلد.

البلد: أدحي النعام، والنعام تترك بيضها يضرب لمن لا يعبأ به.

ويجوز أن يراد به المدح، أي هو واحد البلد الذي يجتمع إليه ويقبل قوله، وأنشد -[٩٨]- ثعلب لآمرأة ترثي عمرو بن ود حين قتله علي رضي الله عنه.

---

(١) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٦٤٣

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته ما أقام الروح في جسدي

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد." (١)

"يوم فراقه وبينه ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال ولا في شعاب تلك المسالك إيغال وله تواليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه والتفلت من حبائل الاغترار وإشراكه وشعره يدل على التأهب للإرتحال ويستدل به على ذلك الإنتحال فمن ذلك قوله

(الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا)

(لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا)

(أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا)

(سقاهم الدهر كأسا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا)

(تبكي المنازل منهم كل منسجم ... بالمكرمات وترثي البر والمننا)

(حسب الحمام لو أبقاهم وأمهلهم ... ألا يظن على معلوة حسنا)." (٢)

"١٤٨- أبو الطيب المصعبي «١» :

لم أقل للشباب في كنف الله وفي ستره غداة استقلا «٢»

زائر لم يزل مقيما إلى أن ... سود الصحف بالذنوب تولى «٣»

١٤٩- عباءة الراتجي «٤» في معن «٥» :

مسح القوابل وجهه فبدا ... كالبدر أو أبهى من البدر «٦»

فنشا بحمد الله حين نشا ... غمر المروءة نابه الذكر «٧»

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٩٧/١

(٢) مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس الفتح بن خاقان، أبو نصر ص/٢٦٧

حتى إذا ماطر شاربه ... خضع الملوك لسيد قهر «٨»

١٥٠- أخت طرفة «٩» ترثيه:." (١)

"ينقص الوجد كلما قدم العه ... د ووجدي في كل يوم يزيد

١٤٧- الفرزدق في امرأة له ماتت حاملا.

وجفن سلاح قد رزيت فلم أنح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة ... لو أن المنايا أرجأته لياليا

١٤٨- أخت طرفة ترثيه:

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

١٤٩- أبو الزبرقان الكاتب يرثي أبا تمام:

خبر أتى من أعظم الأنباء ... لما ألم مقلقلا أحشائي

قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم ... ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

١٥٠- لما احتضر معاوية رفع يديه وقال:

هو الموت لا منجى من الموت والذي ... أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم فأقل العثرة، واعف عن الزلة، وعد بعفوك على من لا يرجو غيرك، ولا يثق إلا بك، يا واسع المغفرة والرحمة، تعفو بقدرة، وما وراءك مذهب لذي خطيئة موبقة، يا أرحم الراحمين.

فبلغ سعيد بن المسيب فقال: لقد وفق عند الموت، فإن ينج أبو عبد الرحمن من النار غدا فهو الرجل الكامل. وما أخوفني عليه!.

١٥١-[شاعر] :

سروران مالهما ثالث ... حياة البنين وموت البنات

١٥٢- ماتت لرجل بنت فقال: عزوني لتعاهدوا السنة، وهنوني أن تقدم بعض إلى الجنة.." (٢)

"فيها ولا هو خلقة إنما تفعله لعزة أنفسها قالت الخنساء ":

ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥١/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٤٨/٥

كذا أنشد رأيت بضم التاء ونسب الشعر إلى الخنساء وليس لها والصواب رأيت بفتح التاء على الخطاب والشعر لليلى الإخيلية ترثي توبة وتعير قابضا فراره عنه وهو قابض بن عبد الله ابن عم توبة وأول الأبيات:

ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي

صرمت حباله وصددت عنه ... بعظم الساق ركضا غير آل

على ربذ القوائم أعوجي ... شديد الأسر منكمش التوالي

قولها تبارى تعارض وتسابق والشبا أطراف الأسنة الواحد شباة والعوالي جمع عالية الرمح وهي ما دون السنان إلى نصف القناة يقول كأن الخيل تريد أن تسبق أسنة الرماح والمعنى إنها لا تالو جهدا ويروى لما أن رأيت صرمت حباله تقول لما رأيت الخيل على هذه الحالة صرمت حبال ابن عمك توبة وأسلمته وجعلت تركض فرسك وأنت فار غير مقصر تسرتحثه بعظم ساقك في الركض والآلي المقصر وقولها على ربذ القوائم أي خفيف القوائم وأعوجي منسوب إلى أعوج الأكبر وهو فرس لغنى وأعوج الأصغر لبني هلال بن عامر والأسر الخلق والقوة ومنكمش سريع والتوالي يريد آخر عدوه ويقال عجزه ورجلاه وإنما يصف أنه سريع اليدين منكمش الرجلين ويروى منكفت النوالي أي منقبضهما. قال أبو محمد "، يستحب في المنخر السعة لأنه إذا ضاق شق عليه النفس فكتم الربو في جوفه فيقال له عند ذلك فقد كبا " الربو البهر وهو أن يعدو الرجل أو الفرس حتى يغلبه البهر وكبا الفرس يكبو إذا ربا وانتفخ من فرق أو عدو حتى يقوم فلا يتحرك من الأعياء والكبو الامتلاء. قال ويستحب في الأفواه الهرت قال وأنشد:

هريت قصير عذار اللجام ... أسيل طويل عذار الرسن

وقد فسره والهريت الواسع الشدقين الطويل شق الفم وأنشد أبو محمد لأبي داود:

قربا مربط النعامة إن ... الحرب فيها تلاتل وهموم

كتفاها كما يركب قين ... قتبا في أحنائه تشميم." (١)

"فقال سليمان قتلتني يا شيخ، قتلك الله، ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان، وقتل من ساعته. ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي فأنشده محرضا على بني أمية وعنده منهم ثمانون رجلا:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العباس

منها:

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/١٤٥

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل رقلة وأواسي
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي ... قربها من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الل ... ه بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى ... ثاويا بين غربة وتناس
نعم شبل الهراش مولاك شبل ... لو نجا من حبائل الإفلاس
فلما سمع؛ تنكر؛ وأمر بهم فقتلوا، وألقى عليهم البسط، وجلس للغداء، وإن أحدهم ليسمع أنينه لم يمت بعد. وقد قيل: إن المخاطب بهذه الأبيات أبو العباس السفاح، ويروى أنه قال لشبل: لولا أنك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم، ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم. وقال العبدي الشاعر: دخلت على عبد الله بن علي السفاح، وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلا، والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه، فاستنشدني، فأنشدته قصيدتي الرائية:
وقف المتيم في رسوم ديار
وهو مطرق حتى انتهيت إلى قولي:
أما الدعاة إلى الجنان فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار
أأمي مالك من قرار فالحقي ... بالجن صاغرة بأرض وبار
ولئن رحلت لترحلن ذميمة ... وكذا المقام بذلة وصغار
قال: فرفع الغمر رأسه إلي وقال: يا بن الفاعلة، ما دعاك إلى هذا؟ فضرب عبد الله بقلنسوته الأرض، وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسان، فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا، وأمر بالغمر فقتل صبرا.
وكان ابن حزم أميرا على المدينة، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملا شديدا، فشخص إلى الوليد بن عبد الملك، فأنشده قصيدة رائية أيضا يمتدحه فيها، فلما بلغ منها إلى قوله الذي يشتكي ابن حزم ويظلمه:
لا ترثين لحزمي ظفرت به ... يوما ولو ألقي الحزمي في النار
الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار
فقال له الوليد: صدقت، والله غفلنا عن حزم وآل حزم. ثم كتب عهد عثمان بن حيان المري على المدينة، وعزل ابن حزم، وأمر باستصفاء أمواله وأموال آهل، وإسقاط جميعهم من الديوان.

وهذه الحكايات والأخبار فلها أشباه كثيرة وأنظار لو توضع فيها لطال بابها ولم يضمن مع ذلك استغراقها واستيعابها.

وبعد فكل ملك إذا أخذ أهبة مملكته تكبر، وإذا انتصب في مقر عظمته طغى وتجبر، ومولانا – خلد الله ملكه – إذا علا دسته ورقي سريره رأى الناس أفضل الملوك سيرة، وأحسنهم مع الله سريرة، لا يعجل بالعقاب، ولا يؤجل الثواب، ولا يتجاوز في حكمه الصواب، ولا يمنع أحدا يستقي الحجة ويستوفي الخطاب هذا على انبساط قدرته، واعتلاء شأنه وانتشار هيبته، واتساع سلطانه، وإنه إذا استقر في منصبه، وحف الأكابر والعظماء به، وحضر رسل الملوك وسفراؤهم لديه، ووقف الأماثل سماطين بين يديه، وأذن لمن ببابه من أعيان الوفود، وغصت الأماكن الفسيحة بالعساكر والجنود، وتعرض الخدم لامتثال المراسم، واشتكت إليه الأرض من وقع المياسم؛ رأيت شرف الدنيا وعز الأبد، وسلطانا عظيما قوي المدد، وملكا كثيرا لا ينبغي لأحد، ونظرت الأنوار قد سطعت وأشرقت، والأبصار قد خضعت وأطرقت، وشاهدت مقاما مهيبان ومنظرا هائلا، وألفيت كل لسان معقولا بالمخافة وقد كان جائلا قائلا، وتمثلت ضرورة بقول الله تعالى في محكم الكتاب: (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) فالله تعالى يجعل مملكته مخلدة، وسعوده أبدا مجددة، وقلوب الأداني والأقاصي جنودا في طاعته مجندة بفضله وقدرته وجوده ومشيئته.

وإذ قد قام الدليل على شرف العفو وفضله، وتعين بالواجب تعظيم من كا ن من أهله؛ فلا بد في هذه الرسالة من ذكر شيء مما جاء فيه، وإيراد طرف في الاستعطاف والاسترحام؛ إذ كانا من أسباب ودواعيه.

فصل مما جاء في العفو

قال الله عز من قائل: (فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) .." (١)

"فجذر أوله ربع لآخره ... وجذر آخره ربع لثانيه

وإن ثانيه خمس لثالثه ... فافهم فقد لاح للأفهام خافيه وقال أيضا:

أما الذي بي فإني لا أسميه ... لكن سألقي رموزا جمة فيه

إذا أردت من الأعداد نسبته ... فجذر أوله عشر لثانيه

وإن أضفت إلى ذي الجذر رابعه ... رأيت ثالثه زهرا معانيه

ونصفه أولعت أخت الرشيد به ... فقد تبين ماضيه وباقيه وله فيها أيضا:

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٤

عساك بحق عيساك ... مريحة قلبي الشاكي

فإن الحسن قد ولا ... ك إحيائي وإهلاكي

وأولعني بصلبان ... ورهبان ونساك

ولم آت الكنائس عن ... هوى فيهن لولاك

وها أنا منك في بلوى ... ولا فرج لبلواك

ولا أسطيع سلوانا ... فقد أوثقت أشراكي

فكم أبكي عليك دما ... ولا **ترثين** للباكي

فهل تدرين ما تقضي ... على عيني عيناك

وما يذكيه من نار ... بقلبي نورك الذاكي -

حجبت سناك عن بصري ... وفوق الشمس سيماك

وفي الغصن الرطيب وفي ال ... نقا المرتج عطفاك." (١)

"لو رامت الأيام أن تحصي الذي (١) ... فعلت سيوفك لم تكن تحصيه

إنا لمفجوعون منك بواحد ... جمعت خصال الخلق أجمع فيه

وإذا سمعت حمامة في أيكة ... تبكي الهديل فإنما (٢) **ترثيه**

ومضى قد استرعى رعيته ابنه ... فأقام فيهم حق مسترعيه

وإذا هزير الغاب ضرى شبله ... في الغاب كان الشبل مثل أبيه

وإذا علي كان وارث ملكه ... فالسهم ملقى في يدي باريه وله من مرثية:

وناع نعى والقلب كالقلب خافق ... مروع ومما رابني لم أصدق

بكت رحمة لي عين كل غمامة ... وساعدني نوح الحمام المطوق

فيا مزن لا (٣) [تؤذن] بتسكاب أدمعي ... فإن مدمع من لجة الحزن يستقي

فلولا التهاب النار ما بين أضلعي ... لأصبحت في بحر من الدمع مغرق

دعوني أشكو الدهر للدهر (٤) معتبا ... على أنني أشكو إلى غير مشفق

فما فوق هذا الرزء رزء وإنما ... رمى كبد العليا بسهم مفوق

مضى بابن عشر كابن عشر وأربع ... فهلا هلال مثل نون معرق

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢/٧٠٧

مضى بفتى تزري أسرة وجهه ... بضوء الصباح المشرق المتألق وله فيه:

---

(١) ط د: التي

(٢) س: فإنها.

(٣) زيادة من س.

(٤) ط: معنيا.." (١)

"وبكاء الولدان، وعلت الأصوات وفشت المنكرات، وتمرد الشيطان، واشتهر الطغيان، وظهرت الصلبان، وأفصحت النواقيس، وجلحت الأباليس، وسعرت طغاة الخنازير، وصارت الدور كالتنانير، دماء تسفك، وستور تهتك، وحرم تنتهك، ونعم تستهلك، وأقفاء تصفع، وأعضاء تقطع، وأعيات ترتكب، وأثاث ينتهب، ومصاحف تمزق، ومساجد تحترق، فلا الأخ يغي أخاه، ولا الابن يدعو أباه، ولا الأب يدني بنيه. (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (عبس: ٣٧) ولا المرضعة تلوي على رضيعها، ولا الضحجيعة ترثي لضجيعها، كأنهم في مثل اليوم الذي ذكره الجليل، في محكم التنزيل، (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتر الناس سكارى وما هم بسكارى) (الحج: ٢) ؛فما ظنكم - معشر المسلمين - وقد سيقت النساء والولدان، وما بين عارية وعريان، قودا بالنواصي إلى كل مكان، طورا على المتون، وطورا على البطون، ومشيخة الرجال، مقرنين في الحبال، مصفدين في السلاسل والأغلال، مقتادين بشعور السبال، ان استرحموا لم يرحموا، وان استطعموا لم يطعموا، وان استسقوا لم يسقوا، وقد طاشت أحلامهم، وذهلت أوهامهم، وسخنت أعيانهم، وتغيرت ألوانهم.." (٢)

"لا تأمنن من الزمان تقلبا ... إن الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني ... وأخافني من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مذلة ونقيصة ... ألا يزال إلى لئيم يطلب

وإذا أتت أعجوبة فاصبر لها ... فالدهر يأتي بالذي هو أعجب وحدث غير واحد أنه استعطف المنصور بهذه الأبيات:

هبني أسأت فأين الفضل والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٨٣٢/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٧٦/٥

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا فأجابه بهذه الأبيات وهي لعبد الملك الجزيري:

ألآن يا جاهلا زلت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم

ندمت إذ لم تفز منا بطائلة ... وقلما ينفع الإذعان والندم ومنها:

نفسي إذا جمحت ليست براجعة ... ولو تشفع فيك العرب والعجم." (١)

"وحكى التستري أن مالكا كان جعل لأبي المعافى أن يجرح من شهد عليه، فشهد عليه المغيرة، فلما مات مالك قال: ألا قل لقوم....

الأبيات:

ألا قل لقوم حير مرحبا بكم ... لمن سال عن فتوى فقد مات مالك

وأنشد الزبير لأبي المغامي أو ابن المغامي يرثي مالكا:

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك ... ألا إن فقد العلم إذ مات مالك

وما لي لا أبكي على فقد مالك ... إذا عد مفقود من الناس مالك

وأنشد أصبغ لامرأة ترثيه:

بكيت بدمع واكف فقد مالك ... في فقده سدت علينا المسالك

ومالي لا أبكي عليه وقد بكت ... عليه الثريا والنجوم الشوابك

حلقت بما أهدت قريش وجللت ... صبيحة عشر حين تقضى المناسك

لنعم وعانا العلم والفقه مالك ... إذا عد مفقود من الناس هالك

أنشد أبو محمد الضراب لبعضهم:

إذا ما عدت العلماء يوما ... فمالك في العلوم هو الضياء

تبوأ ذروة العلماء قوم ... فهو كالأرض وهو لهم سماء

وأنشدوا:." (٢)

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٦٩/٧

(٢) ترتيب المد ا رك وتقريب المسالك القاضي عياض ١٦٢/٢

"عام، فإن هو أتاها فأذنت له كما تأذن الأخت لأخيها فأعظم بها مصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن هي حجبته فأعظم بها حجة عليه. ثم نهض، فقام زياد في أثره وأخذ بقميصه وقال: جزاك الله من أخ خيرا فما تركت النصيحة لأخيك على حال، وترك الحج.

«٩٣٩» - قال الحسين بن الضحاك: كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله، وأشفي لوعتي، فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائل، ولك محب، وقد علمت مكانك من الأمين، وأنت حقيق بأن **ترثيه**، إلا أنك قد أطلقت لسانك في التلهف عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره وثلبا له وتحريضا عليه، وهذا المأمون منصبا إلى العراق قد أقبل إليك، فأبق على نفسك. ويحك يا حسين أتجسر على أن تقول: [من الكامل المرفل]

تركوا حريم أبيهم نفلا ... والمحصنات صوارخ هتف

هيهات بعدك أن يدوم لهم ... عز وأن يبقى لهم شرف

اكفف غرب لسانك، واطو ما قد انتشر عنك، وتلاف ما فرط منك.

فعلمت أنه قد نصح لي فجزيته الخير، وقطعت القول، فنجوت برأيه، وما كدت أن أنجو.

«٩٤٠» - قال المثقب العبدي: [من الطويل]

إذا ما تدبرت الأمور تبينت ... عيانا صحيحات الأمور وعورها

«٩٤١» - وقال أبو زبيد: [من الطويل]

عليك برأس الأمر قبل انتشاره ... وشر الأمور الأعسر المتدبر." (١)

"«٤٨٦» - وقال زهير بن أبي سلمى يرثي النعمان بن المنذر: [من الطويل]

ألم تر للنعمان كان بنجوة ... من الشر لو أن امرءا كان ناجيا

فغير عنه رشد عشرين حجة ... من الدهر يوم واحد كان غاويا

فلم أر مسلوبا له مثل قرضه ... أقل صديقا معطيا ومؤاسيا

فأين الذين كان يعطي جياده ... بأرسانهن والحسان الغواليا [١]

وأين الذين كان يعطيهم القرى ... بغلاتهن والمئين الغواديا [٢]

رأيتهم لم يشركوا بنفوسهم ... منيته لما رأوا أنها هيا

٤٨٧- وقالت أعرابية **ترثي** ابن عمها: [من الطويل]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣/٣١٣

عجبت لطود للمعالي وزاخر ... من الجود أنى صير اللحد مضجعا

فلم يلتحد جهم وحيدا وإنما ... حوى لحده طود المكارم أجمعا

ولم يخترمه الدهر فردا وإنما ... أصاب به بحر الندى والسدى معا

وقد كانت الدنيا بجهم نضيرة ... فأحر بها من بعده أن تخشعا

«٤٨٨» - وقالت ليلى بنت وهب ترثي أخاها المنتشر بن وهب الباهلي، وإنما أثبتناها في هذا الفصل لأنها أبنته تأبين الأكابر، والمقصود معنى المرثية لا من قيلت فيه، وبعض الرواة ينسبها إلى أعشى باهلة: [من البسيط]

تنعى الذي لا يغب الحي جفنته ... إذا الكواكب أعمى [٣] نورها القتر

---

[١] الديوان: الحواليا.

[٢] الديوان: الغواليا (والغواديا رواية) .

[٣] الديوان: أخوى.." (١)

"من ليس في خيره شر [١] ينكده ... على الصديق ولا في صفوه كدر

وليس فيه إذا استنظرته عجل ... وليس فيه إذا ياسرته عسر

أخو رغائب يعطيها ويسألها ... جم المواهب مقسوم له الظفر [٢]

لم تر أرضا ولم تسمع بساكنها ... إلا بها من بوادي غزوه [٣] أثر

لا يأمن القوم [٤] ممساه ومصبحه ... من كل أوب وإن لم يأت [٥] ينتظر

يكفيه حزة فلذ إن ألم بها ... من الشواء ويكفي شربه الغمر

لا يصعب [٦] الأمر إلا ريث يركبه ... وكل شيء سوى الفحشاء يأتمر

فإن جزعنا فمثل الخطب [٧] أجزعنا ... وإن صبرنا فإنا معشر صبر

إن تقتلوه فقد أشجاكم حقبا ... كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر

إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

إما علاك عدو في منازلة [٨] ... يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر

«٤٨٩» - وقالت الخنساء ترثي أخاها صخرا: [من الوافر]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٩٨/٤

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... لقد أضحكتني دهرا طويلا

---

[١] الديوان: من.

[٢] الديوان: يأبى الظلامة منه النوفل الزفر.

[٣] الديوان: بوادي وقعه.

[٤] الديوان: الناس.

[٥] الديوان: في كل فج ... يغز.

[٦] الديوان: يضعف.

[٧] الديوان: الشر.

[٨] الديوان: إما يصبك ... مناوأة.." (١)

"طيان طاوي الكشح لا ... يرخى لمظلمة إزاره

يعصي البخيل إذا أرا ... د المجد مخلوعا عذاره

«٥١٢» - وقالت أخت الوليد بن طريف: [من الطويل]

أيا شجر الخابور ما لك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من دهمائنا بألوف

«٥١٣» - وقال زياد الأعجم: [من الكامل]

مات المغيرة بعد طول تعرض ... للقتل بين أسنة وصفائح

والقتل ليس إلى القتال ولا أرى ... حيا يؤخر للشفيق الناصح

إن السماحة والمروءة ضمنا ... قبرا بمرو على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

هلا ليالي لا يزال مشمرا ... يغشى الأسنة فوق نهد قارح

الآن لما كنت أكمل من مشى ... وافتر نابك عن شباة القارح

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٩٩/٤

وتكاملت فيك المروءة كلها ... وأعنت ذلك بالفعال الصالح

«٥١٤» - وقالت الخنساء **ترثي** معاوية أخاها: [من البسيط]

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... أباء ضيم وطلاب بأوتار." (١)

"«٥٥٣» - وقف جبار [١] بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل فقال: كان والله لا يضل حتى يضل النجم، ولا يعطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل، وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا.

«٥٥٤» - وقال زهير بن أبي سلمى: [من الكامل المرفل]

يا من لأقوام فجعت بهم ... كانوا ملوك العرب والعجم

استأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني ولا أرمي

لو كان لي قرنا أناضله ... ما طاش عند حفيظة سهمي

أو كان يعطي النصف قلت له ... أحرزت قسمك فاله عن قسمي

يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست معقبنا ... يا دهر ما أنصفت في الحكم

أجلت صروفك عن أخي ثقة ... حامي الذمار مخالط الحزم

«٥٥٥» - وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير: [من الطويل]

أقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على امرىء [٢] ... إذا لم تصبه في الحياة المعابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

---

[١] قد يختلف ضبط هذا الاسم كثيرا، فهو في م ب: حباب.

[٢] م: الفتى.." (٢)

"فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهي عور تدمع

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٠٨/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٢١/٤

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

«٦١٣» -كان لزهير بن أبي سلمى ابن يقال له سالم، جميل الوجه، حسن الثغر، وبعث إليه رجل ببردتين فلبسهما الفتى وركب فرسا، فمر بامرأة من العرب فقالت: ما رأيت كاليوم قط رجلا ولا بردتين ولا فرسا، فعثرت به الفرس فاندق عنق الفرس وعنق سالم وانشقت البردتان، فقال زهير يرثي ابنه سالما: [من الطويل]

رأت رجلا لاقى من العيش غبطة ... سلامة أعوام له وغنائم

فأصبح محبورا ينظر حوله ... بمغبطة لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده ... فقلت تعلم إنما أنت حالم

لعلك يوما أن تراعي بفاجع ... كما راعني يوم النساءة سالم

«٦١٤» - وقالت ليلى الأخيلية: [من الطويل]

آليت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

«٦١٥» - وقالت امرأة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها: [من المنسرح]

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس." (١)

"أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من لليتامى إذا هم شغبوا ... وكل عان وكل محتبس

أمن لبر أمن لفائدة ... أمن لذكر الإله في الغلس

٦١٦- وقالت الذلفاء بنت الأبيض ترثي زوجها وابن عمها نجدة: [من البسيط]

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ... ولا سلوتك عن صبر ولا جلد

لكن بكيتك حتى لم أجد مددا ... من الدموع ولا عونا على الكمد

وأيأستني جفوني من مدامعها ... فقلت للعين جودي من دم الكبد

فلم أزل بدمي أبكيك جاهدة ... حتى بقيت بلا روح ولا جسد

٦١٧- وقالت أيضا ترثيه: [من الطويل]

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٥٢/٤

سئمت حياتي يوم فارقت نجدة ... ورحت وماء العين ينهل هامله

ولم أر مثل الموت للنفس راحة ... يعاجلها من بعده أو تعاجله

«٦١٨» - وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل **ترثي** زوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: [من الطويل]

آليت لا تنفك عيني حزيnة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الجون أشقرا." (١)

"«٦٦٠» - لما كانت وقعة بدر فقتل فيها عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة، أقبلت هند بنت عتبة **ترثي** أباها وعمها وأخاها، وتقول فيهم الأشعار، وبلغها تسويم الخنساء هودجها بالموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها، وقد كانت أصيبت بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، فجعلت تشهد المواسم وتبكيهم [١] وقد سومت هودجها براية؛ وكانت تقول أنا أعظم العرب مصيبة، وعرفت لها العرب بعض ذلك. فلما أصيبت هند بنت عتبة بما أصيبت وبلغها ما تصنع الخنساء قالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة، فأمرت بهودجها فسوم براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وكانت سوقا يجتمع إليها العرب، فقالت: اقرنوا [٢] جملي بجمل الخنساء، ففعلوا، فلما دنت منها قالت لها الخنساء: من أنت يا أخية؟ قالت: أنا هند بنت عتبة بن ربيعة، وأنا أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصيبتك [فبم تعاظمينهم؟

فقالت الخنساء: بعمرو بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو] . فبم تعاظمينهم أنت؟ قالت هند: بأبي عتبة بن ربيعة وعمي شيبة وأخي الوليد.

قالت الخنساء: أوسواء هم عندك؟ ثم أنشأت تقول: [من الطويل]

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة ... قليل إذا نام العيون [٣] هجودها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبة الأبطال قب يقودها

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٥٣/٤

[١] وتبكيهم: سقطت من م.

[٢] ب: قربوا.

[٣] الأغاني: الخلي.." (١)

"بني عامر هل تعرفون إذا غدا ... أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته ... ترى الأكم منه سجدا للحوافر

يقول: لكثرة الجيش يطحن الأكم حتى يلصقها بالأرض.

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى ... كثير تواليه سريع البوادر

أبت عادة للورد أن يكره الوغى ... وعادة رمحي في نمير وعامر

هل حضرت مع أبيك هذه الوقعة؟ قال: نعم، قلت: فكم كانت خيلكم؟

قال: ثلاثة أفراس أحدها فرسه. فذكرت هذا لابن أبي بكير الهذلي، فحدثني عن أبيه وقال: حضرت يوم جبلة- وقد بلغ مائة سنة وأدرك أيام الحجاج- قال: فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان لابني الجون ثلاثين فرسا. قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمي، وكان راوية أهل الكوفة، فحدثني أن خثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه: [من الطويل]

لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل خثعما

وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فحمحما

فأرسلها زهوا رعالا كأنها ... جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها: كم كانت خيل أخيك؟ قالت: اللهم إني لا أعرف إلا فرسه.

«١٢٨٧» - وسأل الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي عن قوله في أخته زينب بنت يوسف حيث شبب بها: [من الطويل]

ولما رأت ركب النميري أعرضت ... وكن من ان يلقينه حذرات

كم كان ركبك يا نميري؟ قال: والله إن كنت إلا على حمار هزيل ومعي رفيق لي على أتان مثله. ويقال بل قال كان معي ثلاثة أحمرة أجلب عليها القطران.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٧١/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٤٤/٧

"حدثني ميمون بن مهران قال كان لأحمد بن يوسف جارية مغنية شاعرة يقال لها نسيم وكان لها من قلبه مكان فلما مات أحمد قالت **ترثيه** ولو أن ميتا (١) هابه الموت قبله * لما جاءه المقدار وهو هيوب ولو أن حيا قبله صانه الردى (٢) * إذا لم يكن للأرض فيه نصيب * قال أبو القاسم يعني جعفرا وهي القائلة لأحمد وقد غضب عليها غضبت بلا جرم علي تجرما (٣) * وأنت الذي تجفو وتهفو وتغدر سطوت بعز الملك في نفس خاضع * ولولا خضوع الرق ما كنت أصبر فإن تتأمل ما فعلت تقم بن ال * معاذير أو تظلم فإنك تقدر (٤) * فرضي عنها أحمد واعتذر إليها قال وقالت **ترثيه** نفسي فداؤك لو بالناس كلهم * ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا وللورى موتة في الدهر واحدة * ولي من الهم والحزن موتات * ولأحمد بن يوسف * وعامل بالفجور يأمر بال * بر كهاد يخوض في الظلم أو كطبيب قد شفه سقم * وهو يداوى من ذلك السقم يا واعظ الناس غير متعظ * ثـوبك طهر أو لا فلا تلم * ومما أنشد له أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء صد عني محمد بن سعيد * أحسن العالمين ثاني جيد

---

(١) في الاماء الشواعر: حيا

(٢) صدره في الاماء الشواعر: ولو أن حيا قبله هابه البلي (٣) الاماء الشواعر: تجنيا

(٤) الاماء الشواعر: تعذر

(٥) زيادة عن الاماء الشواعر

(٦) الابيات التالية ليست في كتاب الوزراء المطبوع للجهشياري

(٧) وهو محمد بن سعيد بن حماد الكاتب وكان يميل إليه وكان صبيا مليحا (معجم الادباء ٥ / ١٨١." (١)

"ماكنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى أتيتك يا زيد بن خنزير يا حابس الروث في أعفاج بغله * بخلا على الحب من لقط العصافير * أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني أخبرني جعفر بن قدامة قال أخبرني (١) قال اشترى جدي أبو عباد جاريته سلمى اليمامية من نخاس مكي فقدم بها عليه فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها فأنشد من لمحب أحب في صغره * فصار أحدوثة على كبره من نظشفه وأرقه فكان * مبدأ بلواه من نظره * ثم قال لها أجيزي ما سمعت فقالت غير متوقفة لولا التمني

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١١٩/٦

لمات من كمد * مدا الليالي يزيد في فكره ما أزله سعد فيسعده * بالليل في طوله وفي قصره الجسم يبلى فلا حراك به * والروح فيها أرى على أثره * قال وأنشدني (١) أبو يحيى بن أبي عباد لها ترثي جدي يكفي الزمان فعاله يكفي * أبقى البغيض ويرثي إلفي يا فادحا شطر المزار به * ما التذ بعدك بالكرى طرفي أغفي لكي ألقاك في حلمي * ومن الكبائر ثاكل يغفي *

١٠٣٦ - ثابت بن يزيد بن شرحبيل بن السمط الكندي الحمصي كان أحد الرسولين اللذين وجههما يزيد بن عبد الملك ببيعته إلى البصرة وكان أميرها إذ ذاك عدي بن أرطأة له ذكر

١٠٣٧ - ثابت بن يوسف بن الحسين أبو الحسن الورثاني (٢) حدث عن تمام بن محمد روى عنه علي الحنائي

---

(١) كلمة غير واضحة بالاصل

(٢) هذه النسبة إلى ورثان قرية من قرى شيراز قاله السمعاني وضبطت عند ياقوت بسكون الراء بلد هو آخر حدود أذربيخان." (١)

"الصوفية ومعهم من يقول فاستأذنوه أن يقول شيئا عنده فقال نعم فابتدأ القوال صغير هواك عذبني * فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من قلبي * هوى قد كان مشتركا أما ترثي (١) لمكتئب * إذا ضحك الخلي بكا * فقام ذو النون قائما ثم سقط على وجهه فرأى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شئ ثم قام بعده رجل ممن كان حاضرا في المجلس يتواجد فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس الرجل أنبأنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل أنا أبو بكر المزكي نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أحمد بن مقاتل البغدادي يقول لما دخل ذو النون بغداد دخل عليه صوفية بغداد ومعهم قوال فقالوا بادر له حتى يقول قال نعم فقال القوال صغير هواك عذبني * فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من روحي * هوى قد كان مشتركا أما ترثي لمكتئب * إذا ضحك الخلي بكا * قال فقام ذو النون وتواجد وطال تواجده ثم قعد فقام رجل آخر يتواجد فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فقعد الرجل وقال ذو النون من كان في توحيده ناظرا إلى نفسه لم ينجه توحيده من النار أنبأنا أبو عبد الله البلخي أنا أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف قال قرأت على أبي الحسن محمد بن علي بن صخر في كتابه لذي النون المصري خلا من الذكر قلبه فقسا * كالعود طال الظمأ به فعشا عساه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٩/١١

أما بكا واعول أن * يدرك ما فاته عسا وعسا عساه يلقى النعيم إن نعمت * عيناه لما توسط الغلسا

---

(١) عن تاريخ بغداد ورسمها بالاصل: ترقى." (١)

"وفضالة بن حابس التميميان (١) ثم السعديان وكان الذي ولي قتله عمرو بن جرموز ورفده فضالة بن حابس والنعر وقال أحد الشعراء يمدح الزبير ألم تر أبناء الزبير تحالفوا * على المجد ما صامت قريش وصلت قريش غياث في السنين وأنتم * غياث قريش حيث صارت وحلت * قال الزبير وقتل الزبير وهو ابن سبع وستين أو ست وسبعين (٢) سنة وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي الزبير بن العوام (٣) * غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان يوم معرد يا عمرو لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعش (٤) السنان ولا اليد ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد (٥) إن الزبير لذو بلاء صادق * سمح شجيته كريم المشهد كم غمرة قد خاضها لم يثنه * عنها طرادك يا ابن فقع القردد (٦) فاذهب فما ظفرت يداك بمثله * فيما مضى فيما تروح وتغتدي * أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا أبو الحسين الطيوري أنا أبو الحسين العتيقي وأخبرنا أبو عبد الله البلخي أنا ثابت بن بندار أنا الحسين بن جعفر قالا أنا الوليد بن بكر أنا علي بن أحمد أنا صالح بن أحمد أخبرني أحمد قال طلحة والزبير لم يقتلهم أصحاب علي طلحة قتله مروان بن الحكم والزبير قتله ابن جرموز وهو منصرف أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا ثابت بن بندار أنا أبو العلاء أنا أبو بكر بن أبي أمية نا أبي قال وفي سنة ست وثلاثين طلحة والزبير يعني قتلا

---

(١) بالاصل: التميمان

(٢) في نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٣٥: قتل وهو ابن سبع أوست وستين سنة

(٣) تقدمت الابيات قريبا

(٤) بالاصل: " رعيش " والمثبت عن الرواية السابقة وهو الذي أخذته الرعدة

(٥) بالاصل: المعتمد والصواب عن نسب قريش ص ٣٦٦

(٦) الغمرة: الشدة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣٧/١٧

وفي سير الاعلام: الفدفد بدل القردد

(٧) في ابن سعد ٣ / ١١٢ وسير الاعلام ١ / ٦٧ ثكلتك أمك هل ظفرت." [١]

"أن يجعلوا أبا ابنك عبد الله بن الوليد (١) قال بن منده غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالا أنا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر المخلص نا أحمد بن سليمان نا الزبير بن بكار قال وولد الوليد بن الوليد عبد الله وأمه ريطة بنت هشام بن المغيرة وكان عبد الله ولد بعد موت (٢) أبيه قال عمي مصعب بن عبد الله فسمي الوليد بن الوليد بن الوليد فقالت أم سلمة بنت أبي أمية ترثي الوليد (٣) : * يا عين بكي الوليد بن الوليد بن المغيرة (٤) * مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيرة الأبيات فسمع النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال ما اتخذتم الوليد إلا حنانا فسموه عبد الله فولد عبد الله بن الوليد سلمة وأمه سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة وإخوته لأمه يحيى وعيسى ابنا طلحة بن عبيد الله والمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

٢٦١٩ - سلمة بن عثمان القرشي حكى عن يحيى بن الحارث الذماري (٥) قارئ أهل دمشق حكى عنه سلمة بن بشر الدمشقي أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور وأبو منصور بن العطار قالا أنا أبو طاهر المخلص نا أبو القاسم البغوي نا داود بن رشيد نا

---

(١) في اسد الغابة ٣ / ٣٠٩ والاصابة ٢ / ٣٨٠ في ترجمة عبد الله بن الوليد: " ان عجعل الوليد را لكنت انت عبد الله "

(٢) الزيادة عن نسب قريش للمصعب ص ٣٢٩

(٣) البيتان في نسب قريش ص ٣٢٩ والاصابة ٢ / ٣٨١

(٤) في الاصابة: ابكي الوليد

(٥) أبو عمرو الغساني الذماري الدمشقي ترجمته في سير الاعلام ٦ / ١٨٩." [٢]

"شيئا سمعته من المختار أقبلت من مكة وإني لأسير إذ غمزني غامز من خلفي فالتفت فإذا المختار فقال لي يا شيخ ما بقي في قلبك من حب ذلك الرجل يعني عليا قلت إني أشهد الله إني أحبه بسمعي وقلبي وبصري ولساني قال ولكني أشهد الله أني أبغضه بقلبي وسمعي وبصري ولساني قال قلت أبيت والله

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣٥/١٨

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٨٢/٢٢

إلا تثبيطا عن آل محمد وتربيثا لحراق (١) المصاحف أو قال خراق (٢) وهو أحدهما يشك أبو داود فقال سويد والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من علي بن أبي طالب سمعته يقول يا أيها الناس لا تغلو في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا أو قولوا له خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا فقال ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا قلنا فما ترى قال نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فرقة ولا يكون اختلاف قلنا فنعم ما رأيت قال فقيل أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ قالوا أفصح (٣) الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت فقال ليكتب أحدهما ويملي الآخر ففعلا وجمع الناس على مصحف قال قال علي والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل قال ونا عبد الله بن سليمان (٤) نا إسحاق بن إبراهيم النهشلي نا أبو داود نا شعبة (٥) عن من سمع سويد بن غفلة يقول سمعت عليا يقول رحم الله عثمان لو وليته لفعلت ما فعل في المصاحف وقال محمد بن أبان (٦) أخبرني علقمة بن مرثد قال سمعت العيزار بن جرول (٧) الحضرمي يقول لما خرج المختار فذكر نحوه ولم يذكر قراءته وقال فليكتب سعيد ويملي زيد قال فكتب مصاحف وبعث بها في الأمصار وساقه

---

(١) في كتاب المصاحف: **وترثيثا** في إحراق المصاحف أو قال: حراق

(٢) عن م وكتاب المصاحف وبالأصل: هذا

(٣) عن م وكتاب المصاحف وبالأصل: أسعد

(٤) الخبر في كتاب المصاحف ص ٣٠

(٥) بعدها في كتاب المصاحف: ومحمد بن أبان الجعفي كلاهما عن علقمة بن مرثد قال شعبة

(٦) كتاب المصاحف ص ٣٠

(٧) كذا بالأصل وم وفي كتاب المصاحف: حريث." (١)

"ولا أبرح البابين ما هب الصبا * بذي رونق قد أخلصته (١) الصياقل حسام كلون الملح ليس بعائذ * إلى الجفن ما هبت رياح الشمائل تقاتل من دون ابن عفان إنه * إمام وقد جاشت عليه القبائل (٢) قال قال رجل من العرب * هل لا على عثمان يبكي مدمع * في الباب أبناه الحجاب غريب وهل لا على عثمان تبكي أرامل * ظلمن فما يغطى لهن نصيب * أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أنا أبو الحسين بن المهتدي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٤٨/٣٩

أنبأ عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم أنبأ عثمان بن أحمد بن السماك نا إسحاق بن إبراهيم بن سفيان قال وحدثني عبد الله بن معلى عن يونس بن الحكم عن بعض أشياخه قال قال راعي الإبل النميري في عثمان Bه (٣) عشية يدخلون بغير إذن * على متوكل أو في وطابا خليل محمد ووزير صدق * ورابع خير من وطئ الترابا * أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأ أحمد بن محمد بن النقور أنبأ أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم بن ،الصلت المجبر (٤) نا أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري إملاء نا أحمد بن محمد الأسدي نا الرياشي عباس بن الفرج أنشدنا الأصمعي لليلى الأخيلية ترثي عثمان بن عفان فقد أنشدناها أيضا أحمد بن يحيى * أبعد عثمان ترجو الخير أمته * وكان أمس من يمشي على ساق خليفة الله أعطاهم وخولهم * ما كان من ذهب محض وأوراق فلا تكذب بوعد الله واتقه * ولا يوكل على شئ باشفاق ولا تقولن لشئ سوف أفعله * فقد قدر الله ما كل امرئ لاق * أخبرنا أبو الحسن بن قبيس أنبأ أبي أبو العباس أنبأ محمد بن أبي نصر أنبأ

---

(١) في الفتوح: وأصل بحر الحرب ما هبت الصبا أصقلته الصياقل

(٢) الفتوح: أجالد

إمام وقد حلت لديه الفضائل

(٣) البيتان ليسا في ديوانه ط بيروت وهي في البداية والنهاية بتحقيقنا ٨ / ٢٢٠ ونسبهما للراعي النميري

(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٨٦." (١)

"أخبرتك فلك دمي حل وبل (١) فبعث فاتخذ ذلك الماء وهو اليوم من خيار ضياع بني أمية وقال العجير في محمد بن يوسف بن الحكم ابن أبي عقيل أخي الحجاج بن يوسف * فداك النساء الحف (٢) كم من سرادق * به البخت والأنباط شهب قنابله دخلت وأشراف الرجال يرونني * على سبط اللجين (٢) جمر فواضله على يوسفي لو تتاح ركابه * على البحر أفناه يداه ونائله * وقال في عمر بن عبد العزيز * الحمد لله حمدا لا شريك له * والحمد لله أما بعد يا عمر فافرج لن الباب لا تحبس بحاجتنا * فإن بابك لا ضيق ولا صدر * أنبأنا أبو القاسم غانم بن محمد البرجي عن أبي علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم ابن شاذان أنا أبو جعفر أحمد بن يعقوب بن يوسف الأصبهاني المعروف بيزروبة نا أحمد بن محمد الضبعي نا محمد بن الحسن (٣) بن مسعود الزرقي (٤) حدثني أبو عون الأنصاري قال قال لي عبد الله بن العباس

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٤٣/٣٩

بن حسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب وذكر عبد الملك بن الماجشون فأحسن ذكره فقلت له هو والله كما قال العجير السلولي (٥) * إذا جد حين الجد أرضاك جده * وذو باطل إن شئت أرضاك باطله يسرك مظلوما ويرضيك ظالما * وكل الذي حملته فهو حامله * أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الغنائم حمزة بن علي بن محمد بن أبي عثمان ومحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين قالا أنبأنا أبو الفرج أحمد بن عمر بن

---

(١) حل: حلال وبل: مباح مطلق

وقيل بل اتباع لحل يعني توكيدا لها

إلا أن أبا عبيدة وابن السكيت لم يرتضيا هذا الاتباع لمكان الواو بينهما

(اللسان: حلل وبلل)

(٢) كذا رسمها بالاصل وم

(٣) " بن الحسن " استدركت عن هامش الاصل وبعدها صح

(٤) بعدها في م: نا هارون بن موسى الزرقي

(٥) البيتان في الاغاني ٨ / ١٨٢ - ١٨٣ من أبيات نسبها لزينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد وقيل لانها لام يزيد وقيل: إنها لوحشية الجرمية

وانظر أمالي القالي ٢ / ٨٥، ٨٦." (١)

"الزيادي وزاد أنه قتله في جمادى الأولى بأذنة من الثغور وقتل أخوه الحسين بن هشام وذكر أبو جعفر الطبري أن قتله كان بأذنة من الثغور في جمادى الأولى سنة سبع عشرة ومئتين لسوء سيرته في ولايته الجبال فأقدم على المأمون فقتله (١) أخبرنا أبو الحسين محمد بن كامل بن مجاهد أنا محمد بن أحمد المعدل في كتابه أنا محمد بن عمران إجارة أخبرني محمد بن يحيى نا محمد بن يزيد النحوي قال مرت جارية لعلي بن هشام بقصره بعد ما قتل فبكت وقالت (٢) * يا منزلا لم تبل أطلاله * حاشى لأطلالك أن تبلى لم أبك أطلالك لكنني * بكيت عيشي فيك إذ ولى قد كان لي فيك هوى مرة * غيبه الترب وما ملا * أخبرنا أبو بكر بن المزرفي (٣) أنا أبو منصور محمد بن محمد أنا أحمد بن محمد بن الصلت أنا أبو الفرج الأصبهاني (٤) أخبرني أبو العباس الهشامي (٤) قال وهي القائلة يعني مرادا شاعرة علي بن هشام

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٠/٤٠

ترثي مواليها * هل (٥) مسعد لبكائي * بعبرة أو دماء وذاك (٦) مني قليل (٧) * لسادتي النجباء (٨) ابكيهم في صباحي * بلوعة ومساء * قال (٩) وقالت متيم لمراد قولي أشعارا ترثين بها مولاي حتى ألحنها ألحان النوح وأندبه بها فقالت عدة أشعار في مراثيه وناحت بها متيم منها قولها

---

(١) راجع سبب قتله في تاريخ الطبري ٨ / ٦٢٧ حوادث سنة ٢١٧

(٢) هي متيم الهشامية كما يفهم من العبارة في الأغاني ٧ / ٣٠٢ والإماء الشواعر ص ٩٢، والأب يات في الأغاني تمثلت بها متيم

(٣) الخبر والشعر في الإماء الشواعر ص ٨٨ في ترجمة مراد

(٤) الأصل: الشامي تصحيف والتصويب عن الإماء الشواعر والأغاني

(٥) والأول أيضا في الأغاني ٧ / ٣٠٣

(٦) والأول والثاني أيضا في الأغاني ٧ / ٣٠٤

(٧) في الأغاني: وذا لفقد خليل

(٨) في الإماء والشواعر: " للسادة النجباء " وفي الأغاني: لسادة نجباء

(٩) الخبر والشعر في الإماء الشواعر ص ٨٨ - ٨٩." (١)

"نظيف أنا أبو شعيب محمد بن عبد الرحمن وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن قالا أنا الحسن بن رشيق أنا أبو بشر محمد بن أحمد حدثني أبو بكر الوجيهي وهو أحمد بن محمد بن القاسم عن أبيه عن صالح بن الوجيه قال في سنة إحدى وعشرين كانت وقيعة نهاوند ولقي النعمان بن عمرو بن مقرن المشركين بنهاوند وهم يومئذ في جمع لا يوصف كثرة وعدة وكراعا فاشتدت الحرب بينهم حتى قتل النعمان ثم انهزم المشركون في آخر النهار وشهد عمرو بن معدي كرب نهاوند فقاتل حتى كان الفتح وأثبتته الجارح فحمل فمات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روذة (١) قال أبو بكر الوجيهي أنشدني غير أبي لدعبل (٢) * لقد غادر الركبان حين تحملوا * بروذة شخصا لا جبانا ولا غمرا فقل لزبيد بل لمذحج كلها * رزئتم أبا ثور قريعكم عمرا * أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله أنا أبو بكر الخطيب أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد بن قفرجل الوراق حدثني جدي لأمي أبو بكر محمد بن عبد الله (٣) بن الفضل نا محمد بن يحيى النديم نا محمد بن الفضل نا أحمد بن يحيى بن جابر (٤) نا العمري نا هشام الكلبي حدثني ابن

---

(١) تاريخ دم شق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٠/٤٣

عمرو بن جرير عن خالد بن قطن حدثني من شهد موت عمرو بن معدي كرب قال وكانت مغازي العرب إذ ذاك إلى الري فخرج حتى نزل روذة ورقد فلما أرادوا الرحيل أيقظوه فقام وقد مال شقه وذهب لسانه فلم يلبث أن مات فدفن بروذة فقالت امرأته الجعفية **ترثيه** (٦)

---

(١) الأصل: " رودة " وفي م: " يروده " والمثبت يوافق الإصابة ٣ / ٢٠ ومعجم البلدان وفيه أنها من قرى الري

(٢) ليسا في ديوانه ط بيروت (دار الكتاب اللبناني ط ١٩٧٢) والبيتان في الإصابة منسوبين لدعبل بن علي الخزاعي وفي الاستيعاب ٢ / ٥٢١ (هامش الإصابة) لبعض شعرائهم

ومثله في أسد الغابة ٣ / ٧٧٠

(٣) في م: عبيد الله

(٤) الخبر في فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٦٦ (ط

دار الفكر)

(٥) في فتوح البلدان: دفن فوق روذة وبوسنة بموضع يقال له: كرمانشاهان

(٦) وفي موته أقوال: نقل ابن حجر عن المرزباني أنه مات في خلافة عثمان بالفالج

(الإصابة)

وفي الاستيعاب: قتل يوم القادسية وقيل بل مات عطشا يومئذ

وفيه أيضا: وقيل بل مات سنة إحدى وعشرين بعد أن شهد وقعة نهاوند وشهد فتحها

ومر أنه شهد صفين وعمره مئة وخمسين سنة

ومر أنه رئي في خلافة معاوية." (١)

"لا يبعدن غيركم إنسانا * ولا يسلي عنكم الأحزانا * في أبيات له فضربه الأشتر فقتله قال جابر وكانت له أخت (١) فحزنت عليه حزنا شديدا وكان اسمها جبلة (٢) فجعلت **ترثيه** فقالت في ذلك بعض قولها * (٣) ألا فابكي أخا الجود * (٤) فقد والله أبكينا بقتل الماجد القمقا * م لا مثل له فينا كريم ماجد الجدين * يشفي من أعادينا * قال جابر فبلغني أنها ماتت حزنا على أخيها قال فبرز إليه الأشتر وهو يقول * (٥) آليت لا أرجع حتى أضربا * بسيفي المصقول ضربا معجبا * * أنا ابن خير مذحج مركبا * من خيرها

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٩٨/٤٦

نفسا وأما وأبا * قال ثم شد عليه بالرمح فطعنه فدق ظهره فقتله " حرف الزاي في أسماء آباء المحمدين "
٦٣٥٣ - محمد بن زاهر بن حرب بن شداد أبو جعفر ابن أخي أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي (٦)
سكن دمشق وروى عن ابن المبارك وأحمد بن شبوية وأبي عبد الله الساجي مرسلا والقعنبي

---

(١) جذا بالاصل ود و (ز) وفي وقعه صفين: وقالت أخت الأجلح بن منصور الكندي

(٢) في وقعه صفين: حبله بنت منصور

(٣) الابيات في وقعه صفين ص ١٧٨

(٤) في وقعه صفين: ثقه

(٥) الرجز في وقعه صفين ض ١٧٤ قالها الاشتر لما برز إلى صالح بن فيروز من فرسان معاويه المشهورين بشده البأس

(٦) تركمه في الجرح والتعديل ٧ / ٢٦٠ وتاريخ بغداد ٥ / ٢٨٩." (١)

"فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر في مرصد * قال الواقدي وأعطى يعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غنائم حنين مالك بن عوف مائة من الإبل أخبرنا أبو العز السلمي مناولة وإذنا وقرأ علي إسناده أنا محمد بن الحسين أنا المعافى بن زكريا (١) نا محمد بن الحسن بن دريد نا أحمد بن عيسى العكلي عن الحرمازي عن أبي عبيدة قال وفد مالك بن عوف بن سعد (٢) بن ربيعة بين ربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية وهو رئيس هوازن يوم حنين بعد إسلامه إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأنشده * ما إن رأيت ولا سمعت به * في الناس كلهم كمثل محمد أوفى وأعطى للجزيل (٣) لمجتد * ومتى تشأ يخبرك عما في غد وإذا الكتيبة عردت (٤) أنيابها * بالسمهري وضرب كل مهند فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر في مرصد * فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) خيرا وكساه قال القاضي الأباءة الغيضة والقطعة من القصب والأباء القصب قال الشاعر (٥) * يامن ترى ضربا يرعبل بعضه * بعضا كمعمعة الأباء المحرق * والخادر المستكن في غيضته أو غابته وهي كالخدر له قالت الخنساء فيما **ترثي** به أخاها صخرا (٦) * فتى كان أحيا من فتاة حيية * وأشجع من ليث بخفان خادر * أخبرنا أبو غالب الماوردي أنا أبو الحسن السيرافي أنا أحمد بن إسحاق نا أحمد

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٣/٥٣

(١) الخبر والابيات في الجليس الصالح الكافي للمعافى ٤ / ١٨٧

(٢) في الجليس الصالح: سعيد

(٣) بالاصل: الجزيل والمثبت عن الجليس الصالح

(٤) كذا وفي الجليس الصالح: حددت

(٥) البيت في سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦١ منسوبا لكعب بن مالك وفي اللسان " رعبل " نسبة إلى ابن أبي الحقيق

(٦) البيت في الاغاني ١١ / ٢٢٧ منسوبا لليلى الاخيلية في رثاء توبة." (١)

"قال أبي فحدثني أبي عن أبيه أنه حدثه أن ريا حدثته أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك فبعث إليه فجاء به وقد قحل (١) وبقي عظم أبيض فجعله في سفط وطيبه (٢) وجعل عليه ثوبا ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى الخازن خازن بيت السلاح وجه إلي رأس الحسين بن علي فكتب إليه أن سليمان أخذه وجعله في سفط وصلى عليه ودفنه فصح ذلك عنده فما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به (٣) قال حمزة ما رأيت في النساء أجود من ريا قلت كيف علمت أنه شعر ابن الزبعري قال أنشدتني مائة بيت من قولها ترثي بها يزيد وذهبت في عهد عبد الله بن طاهر قال محمد كنت ذكرتها لبعض من جاء مع عبد الله فاستعارها مني ومطلني بها وأنسيتها وخرج وهي عنده فذهبت

٩٣٤٤ - ريطة ويقال رائطة بنت عبيد الله بن عبد الحجر وهو عبد الله بن عبد المدان واسمه عمرو بن الديان واسمه يزيد ابن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عمرو بن علة بن جلد (٤) بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أم أبي العباس السفاح كانت تسكن الحميمة (٥) من أرض البلقاء وكانت قبل محمد بن علي تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان لها ذكر أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا أبي علي قالوا

---

(١) قحل: جف جلده وييس والتزق الجلد بالعظم من الهزال والجفاف والبلى

(٢) بالاصل و " ز ": وطينه والمثبت عن المختصر والمطبوعة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٨٨/٥٦

(٣) سقطت من الاصل واستدركت عن " ز "

(٤) بالاصل و " ز ": خالد تصحيف والتصويب عن جمهرة ابن حزم ص ٢٠

(٥) الحميمة بلفظ تصغير الحمة بلد من أرض الشراة من أعمال عمان في أطراف الشام كان منزل بني العباس كما في معجم البلدان ٢ / ٣٠٧." (١)

"للذي حل بنا اليو * م من الأمر الفظيع كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعي * ومما قالت فيه أيضا * بين التراقي واللهاة حرارة * ما تطمئن وما تسوغ فتبرد * وبلغني أن سلامة كانت حية إلى بعد قتل الوليد ابن سيدها يزيد بن عبد الملك فقالت ترثي الوليد بن يزيد بن عبد الملك * أبا سيد الفتيان مالك ناصر * فقد نيل منك اليوم ما لا يقادر (١) لقد ركب القسري (٢) منا عظيمة * فما في قريش لا أبا لك ثائر فقل لبني مروان عيشوا بذلة * فقد جدعت آنافكم والمناخر *

٩٣٦٩ - سيباء بنت النجم الهلالية امرأة شاعرة قالت تجيب امرأة من عنس قتل لها ابن بداريا فيما قرأت بخط أبي الحسين الرازي مما أفاده بعض أهل دمشق عن أبيه عن جده وأهل بيته من المؤمنين * أعلينا تحرضين وفينا * خير خلق وسادة الفتيان أول الناس قلد (٣) الله سيفا * قيس عيلان (٤) فارس الفرسان وله حيكت الدروع وصيغت * قبل داود فاعلمي بزمان وع‍ ‍ ى قدر رأسه صنع البيض * وحيكت جواشن الأبدان فلو أن الحديد (٥) ينطق يوما * قال إني خلقت من عيلان وبكى عولة إذا لبسته * أنكس الناس من بني قحطان أعلى عامر تنادين قوما * قد رماهم بذلة وهوان لو به يسمعون بالوا من الخو * ف وطاروا من آبد البلدان *

---

(١) بدون إعجام بالاصل والمثبت عن " ز "

(٢) تريد أبا محجن مولى خالد القسري وكان قد أدخل سيفه في أست الوليد بن يزيد وهو مقتول

(٣) بالاصل و " ز ": ذاك والمثبت عن المطبوعة

(٤) بالاصل و " ز ": غيلان

(٥) بالاصل و " ز ": الحد والمثبت عن المطبوعة." (٢)

---

(١) تاريخ د مشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦١/٦٩

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٣٨/٦٩

"ولها فيه (١) بالمستعين أنارت الدنيا * وصفا لأهل الطاعة المحيا ملك إذا عدت محاسنه * لم يستطع أحد لها إحصا أبقاه في عز وعافية * رب العلى ما شاء أن يبقى * ولها فيه * (٢) بالمستعين الإمام أحمد قا * م العدل فينا فالخير منتشر بدا لنا يوم عقد بيعته * يشرق نورا كأنه القمر والحمد لله لا شريك له * قد رزق الناس أحسن الخبر * ولها فيه (٣) * بوجهك أستجير من الزمان * ويطلق كل مكروب وعاني (٤) أشعت العدل والإحسان حتى * غدوت من المآثم في أمان فنسأل ربنا عونا بشكر * فقد أعطاك مفروج الأمان إذا سلم الإمام فكل نفس * فدء المستعين من الزمان * قال وأنا أبو الفرج قال (٥) أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أنشدني محمد بن الفضل النيسابوري لعريب **ترثي** العباس بن الفضل (٦) * يا من بمصرعه زها الدهر * قد كان منك تضاءل الدهر زعموا قتلت وعندهم عذر *كلا وربك ما لهم عذر * بلغني أن مولد عريب سنة إحدى وثمانين ومائة وتوفيت سنة سبع وسبعين ومائتين ولها ست وتسعون سنة وماتت بسر من رأى

---

(١) الابيات في الاماء الشواعر ص ١١٠

(٢) الابيات في الاماء الشواعر ص ١١٠

(٣) الابيات في الاماء الشواعر ص ١١١

(٤) العاني: الاسير

(٥) الخبر والشعر في الاماء الشواعر ص ١٠١

(٦) كذا بالاصل و " ز " والمطبوعة وفي الاماء الشواعر: العباس بن المأمون." (١)

"وقد كنت أبكي من فراقك خيفة * وهذا لعمري (١) اليوم أنأى وأنزح فألا فداك الموت من أنت زينه * ومن هو أسوأ منك حالا وأقبح (٢) ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة * لشئ ولا ملحا لمن يتملح فلا (٣) زال وادي رمس عزة سائلا * به نعمة من رحمة الله تسفح فإن التي أحببت قد حال دونها * طوال (٤) الليالي والضريح المرجح (٥) أرب بعيني البكا كل ليلة * فقد كاد مجرى دمع عيني يقرح إذا لم يكن ماء تحلبنا دما * وشر البكاء المستعار الممنح (٦) " عفراء " (٧)

٩٣٨٩ - عفراء بنت عقال بن مهاصر (٨) العذرية (٩) صاحبة عروة بن حزام بن مهاصر (٨) وابنة عمه قدمت الشام ونزلت البلقاء وكانت بنواحي بصرى وهي شاعرة قالت **ترثي** عروة حين هلك (١٠) * ألا أيها

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٧/٦٩

الركب المخبون (١١) ويحكم * بحق نعيتم عروة بن حزام * * فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة * ولا رجعوا من غيبة بسلام وقل للحبالى لا ترجين غائبا * ولا فرحات بعده بغلام * (١٢)

ـــــ

(١) في الديوان: حية وأنت لعمري

(٢) في الديوان: فهلا فداك

دلا وأقبح

(٣) صدره في الديوان: فلا زال رمس ضم عزة سائلا

(٤) بالاصل: طول والمثبت عن " ز " والديوان

(٥) في الديوان: المصفح

(٦) في الديوان: المسيح

(٧) زيادة عن " ز "

(٨) تحرفت بالاصل و " ز " إلى: مهاجر والمثبت عن مختصر ابن منظور

(٩) بالاصل و " ز ": مصاهر والمثب عن المختصر والمطبوعة وجاء في جمهرة ابن حزم ص ٤٤٩ عروة بن حزام بن مالك وابنة عمه: عفراء بنت مهاصر بن مالك

(١٠) الابيات في الاغاني ٢٤ / ١٥٨ والشعر والشعراء ص ٣٩٨

(١١) بالاصل: " المحيون " وبدون إعجام في " ز " والمثبت عن الاغاني

(١٢) في الشعر والشعراء: ولا فرحت من بعده بغلام." (١)

"لعمرك ما بالموت عار على الفتى * إذا ما الفتى لاقى الحمام كريما قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف وأنبأنيه أبو القاسم العلوي وأبو الوحش المقرئ عنه أنا أبو الفتح إبراهيم بن علي بن إبراهيم البغدادي نا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي أنشدنا ثعلب قال أنشدنا عبد الله بن شبيب لليلى الأخيلية (١) : لعمرك ما بالموت عار على الفتى * إذا لم تصبه في الحياة المعاير (٢) وما أحد حيا وإن كان سالما * بأخلد ممن (٣) غيبته المقابر ومن كان مما أحدث (٤) الدهر جازعا * فلا بد يوما أن يرى وهو صابر وليس لذي عيش عن الموت مذهب (٥) * وليس على الأيام والدهر غابر (٦) فلا الحي مما يحدث الدهر معتب * ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر وكل شباب أو جديد إلى البلى * وكل امرئ يوما إلى الله صائر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨٧/٦٩

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو الحسين بن النقور أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن القاسم بن الصلت نا أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار إملاء نا أحمد ابن محمد الأسدي نا الرياشي عباس بن الفرج قال: أنشدنا الأصمعي لليلى الأخيلية ترثي عثمان بن عفان وقد أنشدناها أيضا أحمد بن يحيى: أبعد عثمان ترجو الخير أمته * وكان آمن من يمشي على ساق خليفة الله أعطاهم وخولهم * ما كان من ذهب محض وأوراق فلا تكذب بوعد الله واتقه * ولا توكل على شئ بإشفاق ولا تقولن لشئ سوف أفعله * قد قدر الله ما كل امرئ لاقي أخبرنا أبو العز السلمي مناولة وإذنا وقرأ علي إسناده أنا أبو علي الجازري (٧) أنا

---

(١) الابيات في الاغاني ١١ / ٢٣٤ و ٢٤١ والتعازي والمراثي للمبرد ص ٧٣

(٢) بالاصل: المقابر والمثبت عن " ز " والاغاني والتعازي

(٣) بالاصل: من والمثبت عن " ز " والاغاني

(٤) الاغاني: يحدث وفي " ز ": أحدثه

وفي التعازي: يحدث

(٥) في الاغاني: مقصر

(٦) بالاصل و " ز ": عاير والمثبت عن الاغاني

(٧) تحرفت بالاصل و " ز " إلى: الحاردي والصواب ما أثبت قياسا على سند مماثل." (١)

"ايا رفقة من دير بصرى تحملت * تؤم الحمى حييت (١) من رفقة رشدا إذا ما بلغتم (٢) سالمين فبلغوا * تحية من قد ظن ألا يرى نجدا وقولا (٣) تركنا العامري مكبلا * بكل هوى من حبه مضمرا وجدا فيا ليت شعري هل أرى جانب الحمى * وقد (٤) أنبتت أجراعه (٥) أثلا (٦) صعدا (٧) وهل أردن الدهر ماء وتلعة (٨) *كأن الصبا تجلو (٩) عن متنه بردا

٩٥١٩ - امرأة عنسية من النسوة الشواعر من أهل داريا قتل لها ابن عم اسمه عمرو في داريا في حرب أبي الهيذام فقالت ترثيه: فيما قرأت بخط أبي الحسين الرازي وذكر أنه مما أفاده بعض أهل دمشق عن أبيه عن جده وأهل بيته من المريين قال: وقالت امرأة من عنس تبكي ابنا لها قتلته قيس يوم داريا: عين بالدمع فاستهلي لعمرو * بدموع غزيرة الهملان قتلته قيس فقرت بقتلى * قيس عيلان مني العينان قتلوه مثل الهلال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٢/٧٠

جوادا * بالعطايا يبر بالإخوان قتلوه مثل القناة طريرا * مائد الأصل طيب الأردان

---

(١) في معجم البلدان: " ألقيت " وروايته فيه في مادة (بصرى) : أبا رفقة من آل بصرى تحملوا * رسالتنا لقيت من رفقة رشدا (٢) في معجم البلدان (بصرى) : وصلتم

(٣) في المختصر ومعجم البلدان (دير بصرى) : وقولوا وروايته في معجم البلدان (بصرى) : وإذا تركنا الحارثي مكبلا * بكبل الهوى من ذكركم مضمرا وجدا (٤) عجزه في معجم البلدان (دير بصرى) : وقد أنبتت أجراعه بقلا جعدا

(٥) والاجراع واحدها جرع والجزع الارض ذات الحزونة تشكل الرمل وقيل: هي الرملة السهلة المستوية

(٦) والاثل: ضرب من الشجر العضاه

(٧) سكنت العين فيها الضرورة الشعر يقال: خشبه جيد وصعد جمع صعود والصعود بالفتح ضد الهبوط (القاموس)

(٨) في معجم البلدان: " يوما وقيعه " بدل: " ماء وتلعة "

(٩) في معجم البلدان: تسدى." (١)

"فرفعت الحب فما مضت إلا سنون من خلافته حتى فنيت تلك الغوالي واحتاج إلى أن عجن غالية بمال عظيم.

قال أبو محمد عبد الله بن حمدون «١» : قال لي المعتضد ليلة وقد قدم له عشاء: لقمني، قال: وكان الذي قدم فراريج ودراريج، فلقمته من صدر فروج فقال: لا، لقمني من فخذه، فلقمته لقما، ثم قال: هات من الدراريج «٢» ، فلقمته من أفخاذها، فقال: ويلك هو ذا تتنادر علي؟! هات من صدورها، فقلت: يا مولاي، ركبت القياس، فضحك، فقلت: إلى كم أضحكك ولا تضحكني؟ قال:

شل المطرح وخذ ما تحته. قال: فشلته فإذا دينار واحد، فقلت: آخذ هذا؟ فقال: نعم، فقلت: يا لله هو ذا تتنادر أنت الساعة علي! خليفة يجيز نديمه بدينار؟! فقال: ويلك لا أجد لك في بيت المال حقا أكثر من هذا، ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئا، ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار، فقبلت يده، فقال: إذا كان غدا وجاءني القاسم- يعني ابن عبيد الله- فهو ذا أسارك- حتى تقع عيني عليه- سرارا طويلا التفت فيه إليه كالمغضب، وانظر أنت إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٩٥/٧٠

المترثي له، فإذا انقطع السرار فيخرج ولا يبرح الدهليز أو تخرج، فإذا خرجت خاطبك بجميل وأخذك إلى دعوته، وسألك عن حالك، فاشك الفقر والخلة وقلة حظك مني، وثقل ظهرك بالدين والعيال، وخذ ما يعطيك، واطلب كل ما تقع عينك عليه، فإنه لا يمنعك حتى تستوفي الخمسة آلاف دينار، فإذا أخذتها، فسيسألك عما جرى بيننا، فأصدقه، وإياك أن تكذبه وعرفه أن ذلك حيلة مني عليه حتى وصل إليك هذا، وليكن إخبارك له بعد امتناع شديد، وأحلاف منه لك بالطلاق والعتاق أن يصدقه، وبعد أن يخرج من داره كل ما يعطيك «٣» .

فلما كان من غد حضر القاسم، فحين رآه بدأ يسارني، وجرت القصة على ما واضعني «٤» عليه، فخرجت فإذا القاسم في الدهليز ينتظرني، فقال: يا أبا محمد، ما هذا." (١)

"ملك قد رأته عي ني جريحا «١» معفرا «٢»

كل من كان ذا هيا م وسقم فقد برا

غير محبوبة التي لو ترى الموت يشترى

لاشترته بما حوت ه جميعا «٣» لتقبرا

فاشتد ذلك على وصيف.

وفي رواية:

فهم بقتلها، فاستوهبها منه بغا وكان حاضرا.

وفي هذه الرواية:

فأمر بإخراجها فصارت إلى قبيحة، ولبست الصوف، وأخذت ترثيه وتبكيه حتى ماتت.

قال «٤» عمرو بن شيبان الحلبي «٥» :

رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل فيما يرى النائم حين أخذت مضجعي كأن آتيا أتاني فقال:

يا نائم العين في أوطار جثمان أفض دموعك يا عمرو بن شيبان

أما ترى الفتية الأرجاس ما فعلوا بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

وافى إلى الله مظلوما فضج له أهل السموات من مثنى ووحدان

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠٦/٧١

وسوف تأتيكم أخرى مسومة توقعوها لها شأن من الشان

فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم فقد بكاه جميع الإنس والجان." (١)

"فقصرت بيتا، فبكى الحطيئة فقالوا: ما يبكيك؟ أخوفا من الموت؟ قال: لا والله ولكني أبكى للشعر من رواية السوء؟ فأرسلها مثلا. قالوا أوصنا قال: أوصيكم بالمسئلة طول أعماركم، فان است المسؤل أضيق فأرسلها مثلا، قالوا: أوصنا، قال: اوصيكم " ١١٢:ألف " أن غلامي يسارا ومالكا مملوكان ما بقى من آل أبي مليكة أحد، قالوا: أوصنا في مالك قال: هو للذكر دون الإناث؟ قالوا: ليس كذلك قال الله تعالى، قال فاني أقوله؟ قال فلما اشتد نزعه قال: حملوني على حمار، وكوفوا بي على طرق المدينة، فانه بلغني أن الحمار لم يمت عليه كريم قط، فلعلى لا لأموت فحملوه على حمار فمات عليه.

وقوله " ٣٦٤،٥١٦٦ " وهو ابن مريم السلولي.

ش: ليس بالسلولي، ولكنه الحنفي، وأما أبو مريم السلولي، فهو مالك بن ربيعة، من الصحابة، فهو بصري، روى عنه ابنه يزيد بن أبي مريم وغيره، والحنقي هذا هو يزيد، قاتل زيد، أخي عمر " بن الخطاب رضي الله عنه " باليمامة.

وقوله " ٣٤٦،٥١٦٨ " فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج.

ش: يرد قوله هذا، وقله بعده، أن ابن هبيرة فعل به ما ذكره في خلافة يزيد ما قاله أبو يوسف بن السكيت في " لإصلاح المنطق " قال: قالت بنو تميم للحجاج، وكان قتل صالحا وصلبه، وان بني تميم قالت للحجاج: أقبرنا صالحا، وهذا خلاف قول أبي العباس.

??????

الباب التاسع والثلاثون

وقوله " ٣٤٧،٥١٦٩ " فان: قبح الله رجلا أجرك رسنه.

ش: رسنكن وهذا المعروف، وفي غير هذا الكتاب، في هذا الخبر كالبيان الجاحظ، وهو الوجه فيه، لأن هنالك: على رجل أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنه الله، وقال يعقوب بنالسكيت: أجررته زسنة إذا تركته يصنع ما يشاء، وعلى هذا يكون في الخطاب: رسنك.

وقوله " ٣٤٧،٥١٧٠ " الدألى: مشي كمشيء الذئب.

ط: المعروف الدألن " ١٢٢:ب " لأنه، من المشى الخفيف، ومنه سمى الذئب دؤالة، والدألاني الذي

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦٥/٧٢

كأنه يبغى في مشيه من النشاط، قاله الأصمعي، وفي كتاب " العين " الدألان مشية فيها ضعف وعجلة، وقال في الدألان مثل قول الإصمعي.

وقوله " ٣٤٧،٥١٧١ " تعارضه مربية دؤؤل.

ط: الذي رواه غير أبي العباس: تعارضها بتأنيث الضمير وهو الصحيح لأن صدر البيت:

" حقيبة رحلها بدن وسرج "

وقبله " الوافر ":

اجدك لن تريه ولن تراه ... تخب به عذافرة ذمول

فانما بالعذافرة ناقة يركبها، وفرسه مجنونة معها، فالفرس تعارضها في المشي

وقول الراجز " ٣٤٨،٥١٧٢ ".

لو أنني عمرت عمر الحسل ... أو عمر نوح " من الفطحل "

ط: وبعده، وفيه تمام المعنى: "كنت رهين هرم أو قتل " في هذا قولان أحدهما أن الحسل لا يسقط له سن، لأن أسنانه خلقة في فكيه، وليست بمركبة، إذا قيل: لاآتيك سن الحسل، وما دام للحسل سن، والآخرونان العرب تزعم أن الضب يعيش ثلاث مائة سنة.

وقوله " ٣٤٩،٥١٧٤ " فقلت لأبي: أحضرت هذه الوقيعة؟

ط: كذا وقع في جميع النسخ، وهي الرواية، والصواب: قال فقلت.

وقوله " ٣٤٩،٥١٧٥ " فقالت أخته **ترثيه**: لعمري وما عمري بهين ... لالبيت.

ش: إنما هذا بمعنى شعر الخنساء، ترثى رجلامن بني سليم وقولها فيه: " جنب أشراج أناخ فألجما " إنما هو غي شعرها، أقام، وما الخيل والإناخة؟ ط: هذا الشعر لريطة بنت عباس بن عامر، وكان غزا خثعم وأصابته رمية فمات، وبعده " الويل ".

" ١١٣ :ألف " فآبت عيشا بالنهاب وكلها يرى قلقا تحت الرحالة أهضما فأمسى الحو في قد تعفين بعده كأن الحصى يكسو دوابرها دما الحوافي: الخيل وتعفين: صلحت حالهن، وزال الحفى عنهن.

وقوله " ٣٤٨،٥١٧٣ " لعبيد بن أيوب العنبري.

ش: هو أليف الذئب وله في صفته أشعار.

وقوله " ٣٤٩،١٥٠،٥١٧٥ " قد شد عقد الدوابر

ط: إنما معنى قوله: " قد شد عقد الدوابر " أنهم كانوا يشدون دوابر البيض إلى الدروع لئلا تسقط عن

رؤسهم عند الجري والضرب، وقد بين هذا المنجل في قوله:

شدوا دوابر بيضهم ... في كل محكمة القتير

فالدوابر على هذا دوابر البيض، لا دوابر الدروع، وقد يشمرون أيضا دوابر الدروع ليخف عليهم، قال أبو قيس بن الأسلت. " السريع ":

أعددت للأعداء موضونة ... فضافضة كالنهى بالقاع

أحفرها عني بذى رونق ... أبيض مثل الملح قطاع." (١)

"أعقاب، أهون بأم دفر، وأيامها الشبيهة بأيام النفر، فتنت منها الرجال بكعاب، غير برية من ألعاب؛ تخدع البعولة تحت النكاح، خديعة الزباء لجذيمة الوضاح، وكم وصفها بالمكر بصير، لو يطاع قصير، وحذر منها نذير، لو ينفع التحذير.

النفيضة: الجيش الذين ينفضون الطريق، ينظرون هل فيها عدو أو خوف.

والحضيرة: الجماعة أيضا يغزون ليسوا بالكثير، قالت سعدى الجهنية ترثي أخاها أسعد:

يرد المياه حضيرة ونفيضة ... ورد القطاة إذا اسمأل التبع

والتبع: الظل ههنا.

وأما الضيزن، فهو الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأخرم بن سعد بن سليح بن عمرو بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

قال اليربوعي، إسحاق بن زكريا: والحضر حصن كان بالموصل بناه الساطرون ابن اسطيرون ملك السريانيين من أهل الموصل من رستاق، يقال له بأحرم، وهو الذي ذكره أبو دؤاد، واسمه جارية بن حجاج الأيادي بقوله:

وأرى الموت قد تدلى من الحضر على رب أهله الساطرون

ولقد كان آمنا للدواهي ... ذا ثراء وجوهر مكنون

قال: وهو الذي عناه عدي بن زيد بقوله:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة ... م تجني إليه والخابور." (٢)

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/١٥٠

(٢) الحور العين الحميري، نشوان ص/٢٩٦

"قال: رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير وفيها قبر وحواليه الريحان الكثير وقوم يشربون. فكنت أقول لهم: والله ما زجرتكم الموعظة، ولا وقرتم المقبرة. قال: فكانوا يقولون: وما عرفت قبر من هو؟ فكنت أقول لهم: لا. قال: فقالوا لي: هذا قبر أبي علي الحكمي الحسن بن هانئ. قال: فكنت أولى فيقولون: والله لا تبرح أو **ترثيه** فكنت أقول:

جادك يا قبر نشاص الغمام ... وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعا ... واستترت عنا عيون الكلام

وقرأت بخط ابن عتاب أنه توفي سنة ثلاث عشرة وأربع مئة.

عبد الرحمن بن منخل المعافري: يكنى: أبا بكر. سكن طليطلة.

له رحلة إلى المشرق سمع فيها: من أبي الطيب بن غلبون المقرىء وغيره في سنة سبع وستين وثلاث مائة.

حدث عنه حاتم بن محمد لقيه بطليطلة وسمع منه بها سنة ثمان عشرة وأربع مئة.

عبد الرحمن بن عبد الواحد بن داود الجذامي: من أهل إشبيلية، يكنى: أبا المطرف.." (١)

"وهل يجمعن شملي من الدهر جامع ... بلى، ذاك إن شاء الإله قريب

ولي كبد حرى بما قد تضمنت=عليكم وعين بالدموع سكوب روى أن عبد الله بن عمرو العبلي قال له عبد الله بن حسن بن حسن - رضي الله عنهم -: أنشدني شيئا مما رثيت به قومك، فأنشده:

أصعد أنفاسي حنينا إليكم كما حن مقصور اليدين نجيب

وقال حيان بن قيس:

تطاول ليلى بالغطاط إلى الغمر ... وبات فراشي مشعرا جاحم الجمر

تذكرت من أضحت بحوران داره ... وكيف مع الأحداث أصبو إلى الذكر؟!

فإن أرهم لا أصدف الدهر عنهم ... سوى سفر حتى أغيب في القبر

لعمري لقد أمست إلي بغيضة ... نوى فرقت بيني وبين بني عمرو

إذا هبطوا الأدوات، والبحر دوننا ... فقل في تناء بيننا آخر الدهر

وقال كشاجم:

---

(١) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال ابن بشكوال ص/٣١٢

تخرم الدهر أشكالي فأفردني ... منهم، وكنت أراهم خير جلاس
وصرت آلف قوما لا خلاق لهم ... والوحش يأنس عند المحل بالناس
وقالت ليلى، أخت الوليد بن طريف الشاري، تبكيه:
ذكرت الوليد، وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع
فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع
أضاعك قومك، فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا
لو أن السيوف الذي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع
نبت عنك، أو جعلت ... هيبة
وخوفا لصولك
لا تقطع
وقالت فارعة المرية، أخت مسعود بن شداد، تبكيه:
يا من رأى بارقا قد بت أرمقه ... جودا، على الحرة السوداء والوادي
أسقي به قبر من أعني، وحب به ... قبرا إلي، وغن لم يفده فاد
شهاد أندية، رفاع ألوية ... شداد أوهية، فتاح أسداد
نحار راغية، قتال طاغية ... حلال رابية، فكاك أقياد
قوال محكمة، نقاض مبرمة ... فراج مبهمة، حباس أوراد
حلال ممرعة، حمال مضلعة ... فراج مفظعة، طلاع أنجاد
أبا زرارة لا تبعد، وكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد
وقال الشريف المرتضى، رحمه الله:
أوردتني ومضيت مبتدرا ... حز المدى، ولواذع الجمر
وتركتني ... والدهر ذو دول

أعشى اللحاظ مقلم الظفر
أمري، فلا أصمي، وإن رميت ... جهتي رميت معرض النحر
وأصد عن لقيا العدو، وهل ... ألقى العدو، ولست من ظهري؟
وإذا مضى من كان يعضدني ... ويشد يوم كريهة أزري

ويرد عني كل طارقة ... ويخوض كل ردى إلى نصري

فالحظ لي ألا أهيج وغى ... حتى أكون مسالما دهري

لا متعة لي في الحياة ... فما

أحياه بعدك ليس من عمري

وقال آخر:

يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا، ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست مخلفه ... يا دهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله ... ما طاش عند حفيظة سهمي

أو كان يعطي النصف قلت له: ... أحرزت سهمك فاله عن سهمي

وقال أميمة بنت عبد شمس، ترثي قومها:

أبى ليلك أن يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب

وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب

لفقد عشيرة منا ... كرام الخيم والمنصب

أمال عليهم دهر ... حديد الناب والمخلب

فحل بهم وقد أمنوا ... فلم يقصر ولم يشطب

وما عنه إذا ما حل ... ل، لا منجى، ولا مهرب

ألا يا عين فابكيهم ... بدمع منك مستغرب

فإن أبك، فهم عزى ... وهم ركني، وهم منكب

وقال هلال بن الأسعر، يرثي رجلا من قومه يقال له: المغيرة بن قنبر، كان يعوله ويفضل عليه:

ألا ليت المغيرة كان حيا ... وأفنى قبله الناس الفناء

ليبك على المغيرة كل خيل ... إذا أفنى عرائكها اللقاء

ويبك على المغيرة كل كل ... فقير كان ينعشه العطاء

ويبك على المغرة كل جيش ... تمور لدى معاركه الدماء

فتى الفتيان، فارس كل حرب ... إذا شالت وقد رفع اللواء

لقد وارى جديد الأرض منه خصالا عقد عصمتها الوفاء

وصبرا للنوائب إن ألمت ... إذا ما ضاق بالحدث الفضاء." (١)

"فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم فخرجوا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس، فوجدوا بردا ولذة، فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم، فذلك عذاب يوم الظلة.

قال أبو الحسين بن المنادي [١] : وكان أبو جاد، وهواز، وحطي، وكلمون، وسعفص، وقريشات بني الأمحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم ملوكا.

وكان أبو جاد ملك مكة وما والاها من تهامة، وكان هواز وحطي ملكي وج، وهو الطائف. وكان سعفص وقريشات ملكي مدين، ثم خلفهم كلمون، وكان عذاب يوم الظلة في ملكه، فقالت حالفة بنت كلمون- وفي رواية: أخت كلمون- **ترثيه** [٢] :

كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحلة

سيد القوم أتاه ... الحتف نارا وسط ظله

كويت نارا فأضحت ... دارهم كالمضمحلة

ثم إن شعيبا مكث في أصحاب الأيكة باقي عمره يدعوهم إلى الله سبحانه ويأمرهم بطاعته وتوحيده والإيمان بكتابه ورسله، فما زادهم دعاؤه إلا طغيانا، ثم سلط عليهم الحر. فجائز أن تكون الأمتان اتفقتا في التعذيب.

وقد قال قتادة: أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة، فسلط عليهم الحر سبعة أيام، ثم بعث الله عليهم نارا فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلة.

فأما قوله تعالى: وإنا لنراك فينا ضعيفا ١١: ٩١ [٣] . فقال سعيد بن جبير: كان أعمى [٤] . وهذا إن ثبت فقد كان في آخر عمره.

قال أبو روق: لم يبعث الله نبيا أعمى ولا به زمانة.

قال أبو الحسين بن المنادي: وهذا القول أليط بالقلوب من قول سعيد بن جبير.

---

[١] مرآة الزمان ١/ ٣٨٧.

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/١١٠

[٢] الأبيات في عرائس المجالس ١٦٦، ومرآة الزمان ١/ ٣٨٧.

[٣] سورة: هود، الآية: ٩١.

[٤] الخبر في تاريخ الطبري ١/ ٣٢٥.." (١)

"وقال محمد بن يحيى: ما رأيت في يد عبد الرحمن كتابا قط، وكل ما سمعته منه سمعته حفظا.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا أحمد بن ثابت قال: أخبرني محمد بن عبد الملك القرشي قال: حدثنا علي بن عمر الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن العلاء قال: أخبرنا أبو إسحاق إسماعيل بن الصلت بن أبي مريم قال: حدثنا علي بن المديني قال: كان عبد الرحمن بن مهدي يختم في كل ليلتين، وكان ورده في كل ليلة نصف القرآن [١] .

قال ابن المديني: توفي عبد الرحمن سنة ثمان وتسعين، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

١٠٨٤- عمرو بن الهيثم بن قطن بن كعب، أبو قطن القطعي البصري

[٢] .

قدم بغداد وحدث بها عن شعبة، وهشام الدستوائي. وروى عنه أحمد، ويحيى، وقال: هو ثقة.

وتوفي في شعبان/ هذه السنة.

١٠٨٥- محمد الأمين

[٣] .

[قال مؤلف الكتاب] [٤] : قد ذكرنا كيفية قتله في الحوادث، وقتل لست بقين من المحرم سنة ثمان وأربعين ومائة، وكان عمره ثلاثة وثلاثين. وقيل: ثمانية وعشرين.

وكانت خلافته مع زمان الفتنة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام. وقيل: وسبعة أشهر وثمانية أيام. وقيل: وستة أشهر وأربعة وعشرين يوما.

وكان قد تزوج لبابة بنت المهدي، ولم يدخل بها فقالت حين قتل ترثيه:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

---

[١] انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٧.

[٢] انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٩.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٢٥/١

[٣] انظر حوادث السنة.

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"فلما خلا قال لي [١] : أيها القاضي، والله ما حللت سراويلي علي حرام قط [٢] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا أحمد بن علي، [عن] [٣] علي بن المحسن قال: حدثني أبي، عن أبي محمد عبد الله بن حمدون قال: قال لي المعتضد ليلة وقد قدم إليه العشاء: لقمني، وكان الذي قدم دراريج وفراريج، فلقمته من صدر فروج، فقال: لا لقمني من فخذه، فلقمته لقما، ثم قال: هات من الدراريج فلقمته من أفخاذها. فقال: ويلك [٤] ، هو ذا تتنادر على هات من صدورهن! فقلت: يا مولاي ركبت القياس، فضحك. فقلت: [أنا] [٥] إلى كم أضحكك ولا تضحكني؟ قال: شل المطرح وخذ ما تحته، فأشلته فإذا دينار واحد! فقلت: آخذ هذا؟ قال: نعم، فقلت:

بالله هو ذا تتنادر علي [٦] أنت الساعة علي! خليفة يجيز نديمه بدينار. قال: ويلك [٧] لا أجد لك في بيت المال حقا أكثر من هذا، ولا تسمح نفسي أن أعطيك شيئا من مالي، ولكن هو ذا أحتال لك بحيلة تأخذ فيها خمسة آلاف دينار! فقبلت يده، فقال: إذا [كان] [٨] غدا وجاء القاسم [يعني] [٩] ابن عبيد الله، فهو ذا أسارك حين تقع عيني عليه [١٠] سرارا طويلا ألتفت فيه [١١] [إليه كالمغضب، وانظر أنت] [١٢] إليه في خلال ذلك كالمخالس لي نظر الترثي له، فإذا انقطع السرار، فأخرج ولا تبرح من الدهليز أو

---

[١] «لي» ساقطة من ك.

[٢] تاريخ بغداد ٤/ ٤٠٤.

[٣] في ك: «أحمد بن علي بن المحسن» .

وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٤] في الأصل: «ويحك» .

[٥] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[٦] «علي» ساقطة من ك.

[٧] في الأصل: «ويحك» .

[٨] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٠/٧٠

[٩] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.

[١٠] في ك: «تقع عيني عليك» .

[١١] «فيه» ساقطة من ك.

[١٢] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.." (١)

"وأدبا، وقال شعرا جيدا- يشير إلى عقيل هذا- قال: فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله علي عليه السلام، فقالت أمه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقاد به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

[١] فقلت سبحان الله:

كذبت وبيت الله لو كنت صادقا ... لما سبقتني بالعزاء النساء

كما قال الشاعر:

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا ... لما سبقتني بالبكاء الحمائم

[٢] وذاك أن أم عمرو كانت يسليها ويعزيها جلالة القاتل والافتخار بأن ابنها مقتوله فهلا نظرت إلى قاتل ولدي وهو الأبدي/ الحكيم المالك الأعيان المربى [بأنواع] [٣] ٥٨/ ب الدلال [٤] ، فهان القتيل والمقتول بجلاله القاتل، وقتله إحياء في المعنى إذ كان إماتهما على أحسن خاتمة، الأول لم يجر عليه قلم والآخر وفقه للخير وختم له بلوائح وشواهد دلت على الخير.

قال ابن عقيل: وسألني رجل فقال: هل للطف من علامة؟ فقلت: أخبرك بها عن ذوق، كانت عادتي التنعم فلما فقدت ولدي تبدلت خشن العيش. ونفسي راضية.

٣٨٤٠- محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر بن [أبي] [٤] المظفر السمعاني [٥] :

من أهل مرو، ولد سنة ست وستين وأربعمائة، سمع الحديث من أبيه وجماعة،

---

[١] المشهور أنها أخته.

[٢] في الأصل: «لو كنت عاشقا لما سبقتني بالنساء الحمائم» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٠٩/١٢

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٥] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ١٢٦٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٩، والكامل ٩/ ١٦٦) .." (١)

"وللبازل الكوماء يرغو حوارها ... وللخيل تعدو بالكماة المساعر

كأنك لم تقطع فلاة ولم تنخ ... قلاصا لدى واد من الأرض غائر

جنوحا بموماة كأن صريفها ... صريف خطاطيف الصرا في المحاور

طوت نفعها عنا كلاب وآسدت ... بنا أجهليها بين غاو وساعر

وقد كان حقا أن تقول سراتهم ... لعا لأخينا عاليا غير عائر

وداوية قفر تحار بها القطا ... تخطيتها بالناعجات الضوامر

فتالله تبني بيتها أم عامر ... على مثله أخرى الليالي الغوابر

فليس شهاب الحرب ياتوب بعدها ... بغاز ولا غاد بركب مسافر

وقد كان طلاع النجاد وبين الل ... سان ومجذام السرى غير فاتر

وكنت إذا مولاك خاف ظلامة ... دعاك ولم يهتف سواك بناصر

فإن يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكمي المغاور

وكان كذات البو يضرب عنده ... سباعا وقد ألقينه في الجراجر

فإنك قد فارقته لك عاذرا ... وأنى وأنى عذر من في المقابر

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر

على مثل همام ولابن مطرف ... تبكي البواكي أو لبشر بن عامر

غلامان كان استوردا كل سورة ... من المجد ثم استوثقا في المصادر

ربيعي حيا كانأ يفيض نداهما ... على كل مغمور نداه وغامر

كأن سنا ناديهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٤٩/١٧

وقالت ترثيه أيضا وكان الأصمعي يتعجب منها: الطويل

يا عين بكي توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحدر

سمعن بهيجا أضلعت فذكرنه ... وما يبعث الأحزان مثل التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح في نادي الحواشي منور

ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... أسرة بين الأشمسات فأنسر

ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ ال ... جفان سديفا يوم نكباء صرصر

وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر

يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر

فلما بدت أولى العدو سقيتها ... صبابة مثلوب المزاد المقير

ولمأ أهابوا بالنهاب حويتهم ... بخاظي البضيع كره غير أعسر

ممر ككر الأندري مثابر ... إذا ما ونين محصف الشد محضر

وألوت بأعناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور

ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر

قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... إذا الخيل جالت في القنا المتكسر

فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنور

ويا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر

عبد الله بن الحمير

وقال عبد الله بن الحمير يعتذر إلى بني عقيل في أخيه توبة: الوافر

تأوبني بعارمة الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم

كأن الهم ليس يريد غيري ... وأن أمسى له نبط وروم

علام تقول عاذلتي بلوم ... يؤرقني وما انجاب الصريم

فقلت لها رويدا كي تجلى ... غواشي النوم والليل البهيم

ألما تعلمي أني قديما ... إذا ما شئت أعصي من يلوم

وأن المرء ما يدري إذا ما ... يهم علام تحمله الهموم

وقد تعدي على الحاجات حرف ... كركن الرعن ذعلبة عقيم

مداخلة الفقارة ذات لوث ... على الحزان ملحمة غشوم

كأن الرحل منها فوق جأب ... بذات الحاذ معقله الصريم

طباه برجلة البقار برق ... فبات الليل منتصبا يشيم." (١)

"الرمادي مخاطبات بالشعر، عمر طويلا وعاش إلى دولة بني حمود.

حدث أبو محمد بن حزم قال: أخبرنا قاسم بن محمد قال: حدثني ابن شبلاق قال: رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير وفيها قبر حواليه الريحان الكثير وقوم يشربون، فكنت أقول لهم والله ما زجرتكم الموعظة ولا وقرتم المقبرة، قال فكانوا يقولون لي: أو ما عرفت قبر من هو فكنت أقول لهم: لا قالوا فقالوا لي: هذا قبر أبي علي الحكمي الحسن بن هاني قال: فكنت أولى، فيقولون والله لا تبرح أو ترثيه قال: فكنت أقول:

جادك يا قبر نشاص الغمام ... وعاد بالعفو عليك السلام

ففيك أضحى الظرف مستودعا ... واستترت عنا عيون الكلام

١٠٢١- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

وهو العكي أمير الأندلس، وليها في حدود العشر ومائة من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي صاحب إفريقية.

وعبد الرحمن الغافقي هذا من التابعين يروى عن عبد الله بن عمر روى عنه عبد العزيز وعبد الله بن عياض، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة، ذكر ذلك غير واحد وكان رجلا صالحا جميل السيرة، في ولايته كثير الغزو للروم عدل القسمة في الغنائم وله في ذلك خير مشهور.

أخبرني أبو الطاهر إسماعيل بن قاسم الرباب لقيته بفسطاط مصر وقرأت عليه إذنا قال أنا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني سماعا عليه، أخبرنا علي بن منير الخلال قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٨

أحمد بن الفرج [...] أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف فديد قال: أنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم." (١)

"أنه قال: سرت يوما إلى علي بن الجهم، فأنشدني لنفسه في العناق:

ولم أنسى ليلا ضمنا بعد فرقة ... وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة ... من الراح فيما بيننا لم تسرب

فانقدح زني لإيراد مثله، فأطرقت وقلت بديها:

لا والمنازل من نجد وليلتنا ... بفيد إذ جسدانا في الهوى جسد

كم رام فينا الكرى من لطف مسلكه ... سيرا فما أنفك لاخد ولا عضد

ما أنصفوني، دعوني فاستجبت لهم ... حتى إذا قربوني منهم بعدوا

أنبأني المقدسي

عن القيروان عن السرقسطي عن الحميدي، قال: حكوا أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة كان أديبا شاعرا سريع البديهة، كثير النوادر من جلساء الأمير عبد الرحمن - ذكره غير واحد - وحكوا أنه دخل عليه في يوم غيم، وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزي، لين الأخلاق. فقال له: ما يصلح ليومنا هذا؟ فقال: عقار تنفر الذبان وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخي علي عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح. فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء، فلما دارت الكئوس واستمطر الأمير نوادره واستطرد بوادره. وأشار إلى الغلام أن يلح عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ... ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف

فاستبدع الأمير بديهته، وأمر له ببدرة. ويقال إنه خيرة بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه.

وذكر أن الخليع حضر مجلس المتوكل في جملة الندماء

وقد كبر سنه، وضعف جسمه، وبين يديه شفيع خادمه ينضد وردا، وعليه قراطق موردة، ولم يكن في عصره

---

(١) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ابن عميرة ص/٣٦٥

خادم أحسن منه، فأمره المتوكل أن يحييه بوردة، ويغمز يده ليحرك خاطره، ففعل فارتجل:

وكالوردة البيضاء حيا بوردة ... من الحمر يمشي في قراطق كالورد

سقاني بعينيه وكفيه شربة ... فأذكرني ما قد نسيت من العهد

له عبثات عند كل تحيۃ ... بكفيه تستدعي الخلي إلى الوجد." (١)

"لأنك مخطوط المحاسن في الحشا ... كما أنت ممحو المحاسن في القبر (١)

فلا وصل إلا بين جفني والبكا ... ولا هجر إلا بين قلبي والصبر

١٨٥ - صفية الباهلية:

كنا غصينين في جرثومة نميا ... حينا بأحسن ما ينمي له الشجر (٢)

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب ظلاهما واستنظر الثمر

أخنى على واحدي ريب المنون وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر (٣)

كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

١٨٦ - وقيل: وقف سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب (٤) على امرأة عند قبر تبكي، فجاء سليمان، فرفعت البرقع عن وجهها فجلت شمسا عن متون غمامة، فوقفا متعجبين، فقال لها يزيد: يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين بعلا؟ فقالت وهي تنظر إلى القبر:

فإن تسألاني عن هواي فإنه ... بحوماء هذا القبر يا فتيان (٥)

---

(١) رواية الحماسة:

فإن تك ممحو المحاسن في الثرى ... فإنك محفوظ المحاسن في صدري

١٨٥ - عيون الأخبار ٣/ ٦٦، وفي العقد الفريد ٣/ ٢٧٧ منسوب لأعرابية ترثي زوجها. مع اختلاف ألفاظ كلتا الروايتين، والحماسة لأبي تمام ٢/ ٩٤٨، وفي حماسة البحتري ٢٧٣ لطيبة الباهلية. في الأصل: صنعه البا.

(٢) الجرثومة: الأصل.

(٣) أخنى عليه: أهلكه. القاموس (خني).

١٨٦ - نهاية الأرب ٣/ ٢٤٢، وأخبار النساء:١٢٦. بين الأصمعي، والرشيد.

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٩٢

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من القادة الشجعان الأجواد ولي خراسان وعزله عبد الملك، حبسه الحجاج، فهرب إلى الشام. ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك ولاه العراق ثم خراسان، حبسه عمر بن عبد العزيز ولما توفي عمر بن عبد العزيز نشبت حروب بينه وبين ولاة بني أمية حتى قتل سنة (١٠٢) الأعلام.

(٥) رواية البيت في العقد الفريد: =." (١)

"١٩٧ - وكتب بعض الفضلاء عند وفاة بعض الأكابر: كان منزله مألف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الراكب، ومقصد الوافد، فاستبدل بالأنس وحشة، وبالنضارة عبرة، وبالضياء ظلمة، واعتاض من تزاحم الملوك تلادم (١) المآتم، ومن ضجيج النداء والصهيل عجيج البكاء والعويل.

١٩٨ - سأبكيك ما فاضت دموعي وإن تغض ... فحسبك مني ما تجن الجوانح (٢)

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... لقد حسنت من قبل فيك المدائح

١٩٩ - ويحكى عن فاطمة الزهراء كرمها الله تعالى أنها قالت ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

كنت السواد لناظري ... فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

---

(١) اللدم: ضرب المرأة صدرها ووجهها في النياحة. وفي الأصل: بلادم.

١٩٨ - البيتان رواهما القالي في أماليه ٢/ ١١٨ لأشجع بن عمرو السلمي، وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٨٩٦ لأشجع أيضا، وكذا في زهر الآداب ٣/ ٢١٠. وفي العقد الفريد ٣/ ٢٨٧ لمنصور النمري.

(٢) قال المرزوقي: ضمن له دوام البكاء ما دامت الدموع تجيبه وتساعده، فإن عجزت ونقصت عن المراد وانقطعت أو ان الحاجة، فكافية منه ما تشتمل عليه جوانحه، ويتضمنه صدره وفؤاده، والجوانح الضلوع سميت بذلك لانحنائها، والجنوح الميل.

١٩٩ - الشعر في العقد الفريد ٣/ ٢٥٤ وهو لأعرابية ترثي ولدها، وكذا هو في المنازل والديار ٤٨، وهما في ديوان إبراهيم الصولي في الطرائف الأدبية ١٦٩، والبيتان في معجم الأدباء ١/ ١٧٧ لإبراهيم بن العباس الصولي في ابن له، وكذلك هما لإبراهيم في وفيات الأعيان ١/ ٤٧. وفي الحماسة البصرية ١/ ٢٦٧ للفتح

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٧٢

بن خاقان. وجاء في شرح نهج البلاغة ١٩/ ١٩٧: ومن الشعر المنسوب إلى علي عليه السلام، ويقال إنه قاله يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبيتان في ديوان علي رضي الله عنه صفحة (٥٠).." [١]

"قابلت بالزفرات هبة ريحها ... وحكيت بالعبرات درة سجلها

فلو أن عيني راهنت بدموعها ... يمناك في السقيا لفزت بخصلها

قال: قد كان أبو إسحاق يكاتب عضد الدولة في الحبس بالأشعار ويرققه، فما رققه شيء كقصيدته القافية، ومنها:

أجل في البنين الزهر طرفك إنهم ... حووا كل مرأى للأحبة مؤنق

وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم ... فأهلا به من طارق خير مطرق

موال لنا مثل النجوم مطيفة ... بمولى موال منك كالبدر مشرق

وقد ضمهم شمل لديك مؤلف ... فأرث لذي الشمل الشتيت المفرق

وإن كنت يوما عنهم متصدقا ... فمن مثل ما خولت فيهم تصدق

فلي مقلة تقذى إذا ما مددتها ... إلى حلة ممن أعول ودردق

إناث وذكران أبيت من أجلهم ... على كمد بين الحجابين مقلق

رسائلهم تأتي بما يلذع الحشا ... ويصدع قلب النازع المتشوق

فباكية **ترثي** أباها ولم يمت ... وبائنة من بعلها لم تطلق

وزغب من الأطفال أبناء منزل ... شوارد عنه كالقطا المتمزق

إذا حرقوا قلبي بنجواهم انثنت ... علاك تناجيني فتطفي تحرقي

شهدت لئن أنكرت أنك صنتني ... ولم أرع ما أوليتني من ترفق

لقد ضيع المعروف عندي وأصبحت ... ودائعه مودوعة عند أحمق

وحبسك لي جاه عريض ورفعة ... وقيدك في ساقي تاج لمفرقي

وما موثق لم تطرحه بموثق ... ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق

خلا أن أعواما كملن ثلاثة ... تعرقت البقيا أشد تعرق

وقد ظمئت عيني التي أنت نورها ... إلى نظرة من وجهك المتألق

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٧٨

فيا فرحتي إن ألقه قبل ميتتي ... ويا حسرتي إن مت من قبل نلتقي

خدمتك مذ عشرون عاما موفقا ... فهب لي يوما واحدا لم أوفق." (١)

"(هذه كلمة عجمية معناها كذب) .

ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك بن علي بن محمد بن عبد الله بن سليمان [١] : مولده ومنشؤه شيزر وحماة، ومات بمعرة النعمان، ومن شعره:

ألا أيا أيها الوادي المنيني هل لنا ... تلاق فنشكو فيه صنع التفرق

أبثك ما بي من غرام ولوعة ... وفرط جوى يضني وطول تشوق

عسى أن ترقي حين ملكت رقه ... **وترثي** له مما بهجرك قد لقي

بوصل يروي غلة الوجد والأسى ... ويطفى به حر الجوى والتحرق

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصارا، وإنما قصدت الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم.

ونقلت من بعض الكتب أن أبا العلاء لما ورد إلى بغداد قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي ليقرأ عليه، فلما دخل إليه قال علي بن عيسى: ليصعد الاصطيل، فخرج مغضبا ولم يعد إليه. والاصطيل في لغة أهل الشام الأعمى، ولعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم فعثر برجل فقال: من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما. وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره فوجده عالما مشبعا بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالا كثيرا.

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبي ويزعم أنه أشعر المحدثين ويفضله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبي ويتعصب عليه، فجرى يوما بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري:

لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلا، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/١٣٩

[١] الخريدة ٢: ٤٨.." (١)

"لست بلاحيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم

لأن في أسفله سخنة ... كأنها سخنة محموم

ذكر غرس النعمة في «كتاب الهفوات» «١» حدثني محمد بن علي بن طاهر بن الحسين قال: كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة فتتلف نفسه في بعض سقطاته، وذلك أنه حكى علي بن يحيى بن أبي منصور أن المأمون كان إذا تبخر طرح له العود والعنبر، فإذا تبخر أمر باخراج المجمرة ووضعها تحت الرجل من جلسائه اكراما له، وحضر أحمد بن يوسف يوما، وتبخر المأمون على عادته ثم [أمر] بوضع المجمر تحت أحمد بن يوسف فقال: هاتوا ذا المردود، فقال المأمون: ألنا يقال هذا ونحن نصل رجلا واحدا من خدمنا بعشرة آلاف درهم (قال الصولي في كتاب الوزراء: بستة آلاف ألف دينار، وهو الصحيح) إنما قصدنا إكرامك وأن أكون أنا وأنت قد اقتسمنا بخورا واحدا، يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في الغاية من الجودة في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجمر ويبخر بها أحمد ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها، وفعل به ذلك بقطعة ثانية وثالثة، وهو يستغيث ويصيح، وانصرف إلى منزله وقد احترق دماغه واعتل ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين وقيل أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم لها من قلبه مكان خطير، فقالت **ترثيه** «٢» :

ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا قبله صابه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

وقالت أيضا **ترثيه** «٣» :

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات." (٢)

"الحسن: وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي مسلم الخراساني، ويسار أخوه، قال ذلك حمزة، وقال: كان اسم أبيه قبل أن يسلم بنداذ هرمز، فلما أسلم تسمى بعثمان، قال: وأبو مسلم اسمه بهزادان بن بنداذ هرمز. وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣٠٢/١

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥٦٧/٢

والشعر والفضل والتصنيف شائع ذلك ذائع عنه. وصنف كتبا منها: كتاب الشعر. وكتاب فقر البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء. وكتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك.

قال حمزة في مقدمة كتابه: «وقد كان رجل من كبار أهل الأدب ببلدنا تعاطى عمل كتاب في هذا الفن، وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عمارة، وسماه «قلائد الشرف» فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات، نبذ بينهما جملا من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقة، وروى فيما بينها أخبارا كأنها من أحاديث الحكم» . ومن شعر علي بن حمزة يرثي أبا مسلم محمد بن بحر:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمدا ... فقلت لهم ردوا فؤادي واسمعوا

فلن يستطيع القول من طار قلبه ... جريحا طريحا بالمصائب يقرع

ومن بان عنه إلفه وخليله ... فليس له إلا إلى البعث مرجع

ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص ... ومن حيز في سرباله الفضل أجمع

سجايا كماء المزن شيب به الجنى ... جنى الشهد في صفو المدام يشعشع

وغرب ذكاء واقد مثل جمرة ... وطبع به العضب المهند يطبع

ومن كان من بيت الكتابة في الذرى ... وذا منطق في الحفل لا يتتعتع

وله وكتبه إلى أبي نجيح أخي أبي سعد الشاعر:

قد عزمنا على الصبوح فبادر ... قبل أن تضحي السماء المخيله

فلذا الدجن يا خليلي ذمام ... لم أزل مذ عقلت أمري خليله

وهو يوم أغر أبلج يهمي ... بحيا يستمد منه سيوله

ودعاني إليه أدهم داج ... قد رحمنا بكاءه وعويله." (١)

"نصر بن سيار، وذاك عندما بيض ماكان بن كاكي الديلمي ووردت خيله قم، وأبيات نصر «١» :

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام

وان النار بالزندين تورى ... وان الحرب يقدمها الكلام

أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب أبو مسلم تحتها «٢» :

أرى نارا تشب بكل واد ... لها في كل منزلة شعاع

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٧٥٣

وقد رقدت بنو العباس عنها ... وأضحت وهي آمنة رتاع

كما رقدت أمية تم هبت ... لتدفع حين ليس بها دفاع

ولما مات قال فيه علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني يرثيه:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمدا ... فقلت لهم ردوا فؤادي واسمعوا

فلن يستطيع القول من طار قلبه ... جريحا قريحا بالمصائب يقرع

ومن بان عنه إلفه وخليله ... فليس له إلا إلى البعث مرجع

ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص ... ومن حيز في سرباله الفضل أجمع

سحابا كماء المزن شيب به الجنى ... جنى الشهد في صفو المدام يشعشع

وغرب ذكاء واقد مثل جمرة ... وطبع به العضب المهند يطبع

ومن كان من بيت الكتابة في الذرى ... وذا منطق في الحفل لا يتتعتع

وله «٣» :." (١)

"محترق ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق

فليت شعري فيك هل ترثي لي ... من سقم ومن ضنى طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمين المجتهد ... ان امرءا أسعدته لقد سعد

يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... إلا سمعت القول من فصيح

يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقى من التبريح

يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت

ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق عن السكوت

بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم

ثم استحال في قنوم الأقدم ... فكلم الناس ولما يفطم

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٤٣٩/٦

بحق من بعد الممات قمصا ... ثوبا على مقداره ما قصصا

وكان لله تقيا مخلصا ... يشفي ويبري أكمها وأبرصا

بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور

ومن إليه مرجع الأمور ... يعلم ما في البر والبحور

بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع

يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله بدمع هامع

بحق قوم حلقوا الرؤوسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا

وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى." (١)

"عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكي، وعيناه تهراقان [١] .

ولما توفي إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحق بالسلف الصالح عثمان ابن مظعون» . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك لابنته زينب عليها السلام. وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم على قبره بحجر، وكان يزوره.

وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عثمان بن مظعون حين مات، فانكب عليه ورفع رأسه، ثم حنى الثانية، ثم حنى الثالثة، ثم رفع رأسه وله شهيق وقال: اذهب عنك أبا السائب.

خرجت منها ولم تلبس منها بشيء [٢] وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته: هنيئا لك الجنة! فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغضب، وقال: وما يدريك؟ فقالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رسول الله، وما أدري ما يفعل بي! واختلف الناس في المرأة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، فقيل: كانت أم السائب زوجته.

وقيل: أم العلاء الأنصارية، وكان نزل عليها. وقيل: كانت أم خارجة بن [٣] زيد، وقالت امرأته **ترثيه**:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بات في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تعيين [٤]

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٦٩٥/٦

وأورث القلب حزنا لا انقطاع له ... حتى الممات، فما ترقى له شونى

---

[١] لفظ الترمذي- كما في تحفة الأحوذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت ٤/ ٦٣-: «وهو يبكى» أو قال: عيناه تذرفان» . قال الترمذي: «وفي الباب عن ابن عباس وجابر وعائشة، قالوا: إن أبا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت» وقال أيضا: «حديث عائشة حديث حسن صحيح» . هذا وقد أخرج حديث عائشة ابن ماجة في كتاب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت، عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى ابن محمد، عن وكيع، عن سفيان، به نحوه، الحديث ١٤٥٦: ١/ ٤٦٨. وكذا أخرجه الإمام أحمد، عن يحيى، عن سفيان: ٦/ ٤٣. وينظر أيضا المسند: ٦/ ٥٥، ٦/ ٢٠٦.

[٢] الاستيعاب: ٣/ ١٠٥٥.

[٣] في المطبوعة ومخطوطة دار الكتب «١١١» مصطلح حديث: «خارجة بنت زيد» والصواب ما أثبتناه عن الاستيعاب، وقد مضت ترجمة خارجة برقم ١٣٣٠: ٢/ ٨٥.

[٤] كذا في المطبوعة، وفي المخطوطة دون فقط، وفي الاستيعاب ٣/ ١٠٥٦،: «تفتين» .." (١)

"أدركت النبي صلى الله عليه وسلم، وولدت في حياته، ولم تلد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته شيئا. وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جزلة زوجها أبوها علي رضي الله عنهما من عبد الله بن أخيه جعفر، فولدت له عليا، وعونا الأكبر، وعباسا، ومحمدا، وأم كلثوم. وكانت مع أخيها الحسين رضي الله عنه لما قتل، وحملت إلى دمشق، وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي من يزيد، مشهور مذكور في التواريخ، وهو يدل على عقل وقوة جنان.

٦٩٦٢- زينب بنت العوام

(ب) زينب [١] بنت العوام، أخت الزبير، وهي أم عبد الله بن حكيم بن حرام أسلمت، وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل، فقالت ترثيه وترثي الزبير أخاها [٢] :

أعيني جودا بالدموع فأسرعا ... على رجل طلق اليدين كريم

زبير، وعبد الله ندعو [٣] لحادث ... وذي خلة منا وحمل يتيم

قتلتم حواري النبي وصهره ... وصاحبه فاستبشروا بجحيم

وقد هدني قتل ابن عفان قبله ... وجادت عليه عبرتي بسجوم

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٤٩٦/٣

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا ... [فكيف] [٤] نصلي بعده ونصوم

وكيف بنا؟ أم كيف بالدين بعد ما ... أصيب ابن أروى وابن أم حكيم

٦٩٦٣- زينب بنت قيس

(ب د ع) زينب بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية.

صلت القبلتين جميعا، وهي مولاة السدي المفسر، أعتقت أباه روى أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبيه قال: كاتبتني زينب بنت قيس بن مخرمة، من بني المطلب بن عبد مناف، على عشرة آلاف درهم، فتركت لي ألفا، وكانت قد صلت القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] .

أخرجها الثلاثة

---

[١] رمز لها في المطبوعة ب- «ب د ع» . والمثبت عن المصورة. ولم نجد لها ترجمة في الاستيعاب.

[٢] الأبيات في كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري: ٢٣٢.

[٣] في المطبوعة: «يدعو لحادث» . وفي المصورة: «يدعو لحارث» . وفي كتاب نسب قريش: «تدعو لحارث» .

[٤] ما بين القوسين عن كتاب نسب قريش، ومكانه بياض في المصورة. وفي المطبوعة: «فماذا تصلى بعده وتصومى» .

[٥] الاستيعاب: ٤/ ١٨٥٧.." (١)

"فرق له أبوه وأمره فارتجعها، ثم شهد عبد الله الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرمي بسهم فمات منه بالمدينة، فقالت عاتكة ترثية:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر، وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا [١]

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب. وقيل: لم يتزوجها، وقتل عنها يوم اليمامة شهيدا، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة اثنتي عشرة، فأولم عليها، فدعا جمعا فيهم علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أكلم عاتكة.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١٣٣/٦

قال: افعل. فأخذ بجانبي الباب وقال: يا عدية نفسها، أين قولك:

فآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ كل النساء يفعلن هذا. فقال:

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٦١: ٢- ٣) فقتل عنها عمر، فقالت **ترثيه**:

عين، جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الإمام النحيب

قل لأهل الضراء والبؤس: موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب [٢]

ثم تزوجها الزبير بن العوام، فقتل عنها، فقالت **ترثيه**:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة [٣] ... يوم اللقاء وكان غير معرد [٤]

يا عمرو، لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع القردد [٥]

---

[١] البيت في طبقات ابن سعد: ٨/ ١٩٤، وكتاب نسب قريش: ٢٧٧.

[٢] الشعوب: المنية.

[٣] البهمة: واحدة البهم- بضم ففتح- وهي: معضلات الأمور.

[٤] عرد الرجل تعريدا: فر.

[٥] الفقع: ضرب من أردأ الكمأة- وهي نبات يخرج دون غرس- والقردد: أرض مرتفعة إلى جنب وهدة. وقال أبو حنيفة: الفقع يطلع من الأرض فيظهر أبيض، وهو رديء، والجيد ما حفر عنه واستخرج. ويشبه به الرجل الذليل، لأن الدواب تنجله بأرجلها.." (١)

"إذ قالت: لقد ذبحنا شاة اليوم فما أمسكنا منها غير هذا. قالت: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا، بل كلها أمسكت إلا هذا. أخرجها ابن منده، وأبو نعيم.

٧٣١٤- نعامة

نعامة، من سبي بلعنبر.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١٨٤/٦

كانت امرأة جميلة، فعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها، فلم تلبث أن جاء زوجها الحريش.

ذكرها ابن الدباغ.

٧٣١٥- نعم امرأة شماس

نعم امرأة شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي. وقيل: إنها بنت حسان.

أنشد لها ابن إسحاق أبياتا ترثي زوجها، وقتل بأحد [١] :

يا عين جودي بدمع غير إبساس [٢] ... على كريم من الفتيان لباس

صعب البديهة ميمون نقيبته ... حمال ألوية ركاب أفراس

اقول لما أتى الناعي له جزعا: ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي [٣]

وقلت لما خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله منا قرب شماس

ذكره ابن الدباغ عن الغساني، مستدركا على أبي عمر.

٧٣١٦- نعمى بنت جعفر

(د ع) نعمى بنت جعفر بن أبي طالب.

ذكرت في حديث رواه عبد الملك بن جريح، عن عطاء، عن أسماء بنت عميس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنعمى بنت جعفر: ما لي أرى أجساد بني جعفر أنضاء [٤] ؟ أبهم حاجة؟

قالت: لا، ولكنهم تسرع إليهم العين، أفأرقيهم؟ قالت: فعرضت عليه كلاما لا بأس به، فقال: ارقيهم. أخرجها ابن منده وأبو نعيم.

قلت: حديث الرقية لأولاد جعفر إنما هو معروف عن أمهم أسماء، ولا أعرف في أولاد جعفر: نعمى.

---

[١] سيرة ابن هشام: ١/ ١٦٨.

[٢] الإبساس: مسح ضرع الناقة لتدر. والصورة هنا استعارة.

[٣] في المطبوعة: «أردى، وأردى» ، بالراء. والمثبت عن المصورة وسيرة ابن هشام. وأودى: هلك.

[٤] أنضاء: جمع نضو- بكسر فسكون- وهو المهزول.." (١)

"٣٥٩٤- عثمان بن مظعون

ب د ع: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ٦/٢٨٢

لؤي بن غالب القرشي الجمحي يكنى أبا السائب، أمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح، وهي أم السائب، وعبد الله ابني مظعون.

أسلم أول الإسلام، قال ابن إسحاق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين، فبلغهم وهم في الحبشة أن قريشا قد أسلمت فعادوا.

(١٠٢٤) أخبرنا أبو جعفر بن السمين، بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: فلما بلغ من بالحبشة سجود أهل مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوا، ومن شاء الله منهم، وهم يرون أنهم قد تابعوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما ادنوا من مكة بلغهم الأمر، فثقل عليهم أن يرجعوا، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار، فمكثوا حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة

(١٠٢٥) قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه عمن حدثه، قال: لما رأى عثمان ما يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الأذى، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال عثمان: والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي، فمضى إلى الوليد بن المغيرة، فقال: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد كنت في جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلي به وأصحابه أسوة، فقال الوليد: فلعلك، يا ابن أخي، أوذيت أو انتهكت؟ قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره! قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد على جواري علانية كما أجرتك علانية! فقال: انطلق، فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد علي جواري، فقال عثمان: صدق، وقد وجدته وفيا كريم الجوار، وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله عز وجل وقد رددت عليهم جواره، ثم انصرف عثمان بن مظعون، ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم: ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان: صدقت، قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان: كذبت، فالتفت القوم إليه، فقالوا للبيد: أعد علينا، فأعاد لبيد، وأعاد له عثمان بتكذيبه مرة وبتصديقه مرة، وإنما يعني عثمان، إذا قال: كذبت، يعني نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا! فقام سفيه منهم إلى عثمان ابن مظعون فلطم عينه، فاخضرت، فقال له من حوله: والله يا عثمان لقد كنت في ذمة منيعة وكانت عينك غنية عما لقيت! فقال عثمان: جوار الله آمن وأعز وعيني الصحيحة فقرة إلى ما لقيت أختها ولي

برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن آمن معه أسوة، لا فقال الوليد: هل لك في جواري؟ فقال عثمان: لا أرب لي في جوار أحد إلا في جوار الله

ثم هاجر عثمان إلى المدينة، وشهد بدرا، وكان من أشد الناس اجتهادا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل، ويجتنب الشهوات، ويعتزل النساء، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبتل والاختصاء، فنهاه عن ذلك، وهو ممن حرم الخمر على نفسه، وقال: لا أشرب شرابا يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني.

وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين، مات سنة اثنتين من الهجرة، قيل: توفي بعد اثنين وعشرين شهرا بعد شهوده بدرا، وهو أول من دفن بالبقيع.

(١٠٢٦) أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهران، وغيره، قالوا بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكي، وعيناه تهراقان " ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون "، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك لابنته زينب عليها السلام، وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم على قبره بحجر، وكان يزوره.

وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على عثمان بن مظعون حين مات، فانكب عليه ورفع رأسه، ثم حنى الثانية، ثم حنى الثالثة، ثم رفع رأسه، وله شهيق، وقال: " اذهب عنك أبا السائب، خرجت منها ولم تلبس منها بشيء ".

وروى يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: لما مات عثمان بن مظعون، قالت امرأته: هنيئا لك الجنة! فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر المغضب، وقال: " وما يدريك؟ "، فقالت: يا رسول الله فارسك وصاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني رسول الله، وما أدري ما يفعل بي! ".

واختلف الناس في المرأة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، فقيل: كانت أم السائب زوجته، وقيل: أم العلاء الأنصارية، وكان نزل عليها، وقيل: كانت أم خارجة بن زيد، وقالت امرأته ترثيه:

يا عين جودي بدمع غير ممنون على رزية عثمان بن مظعون

على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى له من فقيد الشخص مدفون

طاب البقيع له سكنى وغرقده وأشرقت أرضه من بعد تعيين

وأورث القلب حزنا لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى له شوني

وقالت أم العلاء: رأيت لعثمان بن مظعون عينا تجري، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: " ذاك عمله ".

أخرجه الثلاثة.." (١)

"٦٩٧٠- زينب بنت العوام

ب: زينب بنت العوام أخت الزبير، وهي أم عبد الله بن حكيم بن حرام أسلمت، وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل، فقالت ترثيه وترثي الزبير أخاها:." (٢)

"٧٠٨٧- عاتكة بنت زيد

ب د ع: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية تقدم نسبها عند أخيها سعيد بن زيد.

وهي ابنة عم عمر بن الخطاب، يجتمعان في نفيل.

كانت من المهاجرات إلى المدينة، وكانت امرأة عبد الله بن أبي بكر الصديق، وكانت حسناء جميلة، فأحبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه، وغيرها، فأمره أبوه بطلاقها، فقال:

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيما تمني النفس أحلام نائم

وإن فراقي أهل بيت جمعتهم على كبر مني لإحدى العظائم

أراني وأهلي كالعجول تروحت إلى بوها قبل العشار الروائم

فعزم عليه أبوه حتى طلقها، فتبعتها نفسه، فسمعه أبو بكر يوما وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق وما ناح قمري الحمام المطوق

أعاتك قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي النفوس معلق

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جزم تطلق

لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوي في الحياء ومصدق

فرق له أبوه وأمره فارتجعها، ثم شهد عبد الله الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بسهم فمات منه بالمدينة، فقالت عاتكة ترثية:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كان قصرا

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٥٨٩/٣

(٢) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ١٣٤/٧

فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فتزوجها زيد بن الخطاب، وقيل: لم يتزوجها، وقتل عنها يوم اليمامة شهيدا، فتزوجها عمر بن الخطاب سنة اثنتي عشرة، فأولم عليها، فدعا جمعا فيهم علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أكلم عاتكة.

قال: افعل فأخذ بجانبي الباب، وقال: يا عدية نفسها، أين قولك:

فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت، فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ كل النساء يفعلن هذا، فقال: قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﮬ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ .

فقتل عنها عمر فقالت **ترثيه**:

عين جودي بغبرة ونحيب لا تملي على الإمام النحيب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام، فقتل عنها، فقالت ثريته:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا ابن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فمن مضى فمن يروح ويغتدي

والله ربك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها علي بن أبي طالب، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنت بقية الناس وسيد المسلمين، وإني أنفس بك عن الموت.

فلم يتزوجها، وكانت تحضر صلاة الجماعة في المسجد، فلما خطبها عمر شرطت عليه أن لا يمنعها عن المسجد ولا يضربها، فأجابها على كره منه، فلما خطبها الزبير ذكرت له ذلك، فأجابها إليه أيضا، فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخرة شق ذلك عليك ولم يمنعها، فلما عيل صبره خرج ليلة إلى العشاء وسبقها، وقعد لها على الطريق بحيث لا تراه، فلما مرت ضرب بيده على عجزها، فنفرت من ذلك

ولم تخرج بعد.

أخرجها الثلاثة.." (١)

"٧٣٢٣- نعم امرأة شماس

نعم امرأة شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي وقيل إنها بنت حسان أنشد لها ابن إسحاق أبياتا ترثي زوجها، وقتل بأحد: يا عين جودي بدمع غير إبساس على كريم من الفتيان لباس صعب البديهة ميمون نقيبته حمال ألوية ركاب أفراس اقول لما أتى الناعي له جزعا أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي وقلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله منا قرب شماس ذكره ابن الدباغ عن الغساني، مستدركا على أبي عمر.." (٢)

"وهذا من أقبح عيوب الألفاظ.

ومما جاء منه قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

أتراها لكثرة العشاق١

كيف ترثي التي كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي٢

وهذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام!

ومن هذا القسم قول الشاعر المعروف بكشاجم٣ في قصيدته التي مطلعها:

داو خماري بكأس خمر

والزهر والقطر في رباها ... ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح ... حل بها خيط كل قطر

وهذا الباب يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره له.

وعلى هذا الأسلوب ورد قول بعضهم، وهو البيت المشهور الذي يتذاكره الناس:

مللت مطال مولود مفدى ... مليح مانع مني مرادي

وهذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض.

وكان بعض أهل الأدب من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم في ألفاظه كثيرا في كلامه نثرا ونظما، وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق.

وأنا أذكر نبذة من ذلك، كقوله في وصف رجل سخي: "أنت المديح، كبدا تريح، والمليح إن تجهم المليح

---

(١) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ١٨١/٧

(٢) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ٢٧١/٧

بالتكليح، عند سائل تلوح، بل يفوق إذ يروق مرأى لوح، يا مغبوق كأس الحمد يا مصبوح، ضاق عن نداك اللوح، وببابك المفتوح تستريح، وتريح ذا التبريح، وترفه الطليح".

---

١ وعجز البيت:

تحسب الدمع خلقة في المآقي

وهي في مدح أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان.

٢ ديوان المتنبي ٢/ ٣٦٢، راءها: رآها، والمعنى: هذه المحبوبة لا ترحم باكيا، وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من النظر إلا جفنها غير راق بالبكاء، يريد غير منقطع من البكاء، فهي لا ترحم أحدا؛ لأنها تحسب الدمع في أجفان العشاق خلقة.

٣ كشاجم: هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر، أحد وصافي الطبيعة، وكان من خدام سيف الدولة، توفي سنة ٣٢٠هـ.." (١)

"وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فهذه القافات والراآت كأنها في تتابعها سلسلة، ولا خفاء بما في ذلك من الثقل.

وكذا ورد قول الحريري في مقاماته:

وازور من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

فقوله: «وعاف عافى العرف عرفانه» من التكرير المشار إليه.

وكذلك ورد قوله أيضا في رسالتيه اللتين صاغهما على حرف السين والشين، فإنه أتى في إحداهما بالسين في كل لفظة من ألفاظها وأتى في الأخرى بالشين في كل لفظة من ألفاظها، فجاءتا كأنهما رقى العقارب، أو خذروفة العزائم، وما أعلم كيف خفي ما فيهما من القبح على مثل الحريري مع معرفته بالجيد والرديء من الكلام.

ويحكى عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلام أورده: جنى جنات وجنات الحبيب، فصاح رجل من الحاضرين في المجلس وماد وتغاشى، فقال له رجل كان إلى جانبه: ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا؟ فقال: سمعت جيما في جيم في جيم فصحت.

وهذا من أقبح عيوب الألفاظ.

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٣١٠/١

ومما جاء منه قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها:

أتراها لكثرة العشاق «١» ... كيف ترثي التي ترى كل جفن

راءها غير جفنها غير راقي «٢»." (١)

"بيتا نصفه بدوي في، شمله وباقيه مخنث في بذلة فأنشده البيت فاستحسن ذكره.

ولقد أحسن أبو الطيب ما شاء في قوله خفيف:

تراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

لو لم يكدر صفوه ويقبح حسنه بقوله:

كيف ترثي التي برى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وأكثر ابتداءات أبي العلاء المعري تأتي على سنن الصواب، كقوله: بسيط

يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر ... لعل بالجزع أعوانا على السهر

وكقوله طويل:

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهنا ما لهن ومالي

وقوله طويل:

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال ... وفي النوم مغنى من خيالك محلال

وكقوله خفيف:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد." (٢)

"بكى، ولعله لم يبك عند حلول النوائب وقراع المصائب، ولو عاين الموت في الحروب، ومنازلة الأبطال عند الكروب.

وقيل: إن المنصور مر بقبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط فأكثر من لعنته وقال: هو أول من شب الحرب بين بني عبد مناف بقوله:

بني هاشم ردوا ثياب ابن أختكم ... ولا تنهبوه، لا تحل مناهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننا ... وعند علي درعه ونجائبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢٨٩/١

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/١٧١

ولم يكن معاوية بالذي يحدث نفسه بخلاف علي رضي الله عنه ولا يهم بمنازعته ولا يدانيه في مفخر الى أن كاتبه هذا، وأشر بيده الى قبر الوليد بن عقبة، بقوله:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فإنك من أخي ثقة مليم

قطعت الدهر كالسدم المعنى ... تهدر في دمشق وما تريم

وإنك في الكتاب الى علي ... كدابغة وقد حلم الأديم

فلو كنت القتيل وكان حيا ... لشمر، لا ألف ولا سؤوم

فهزه بهذا الشعر وحركه، وهيجه به وهجهجه، الى أن شمر عن ساقه، وصرح بعد نفاقه. هذا آخر كلام المنصور.

وروى جماعة من الشيعة أن عليا رضي الله عنه لم يطالب بدم عثمان، مع براءته منه، وقوله: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله، إلا بتحريض حسان بن ثابت وقوله:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ... ما كان بين علي وابن عفانا

لتسمعن وشيكا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

وقيل: كان سبب خروج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان قول الشاعر:

أفي الله أما بحدل وابن بحدل ... فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل

فقال لا والله وطلب دم آل الزبير وكان منه ما كان.

ومن طريف ما وقفت عليه من تأثير الشعر ما حدثني به بعض المشايخ، يرفعه الى يعلى بن محمد الأعرج، قال الراوي عنه: حدثنا إملاء من حفظه في يوم الأربعاء رابع عشر من ذي القعدة من سنة أربعين وخمسمائة، قال: لما خرج الوليد بن طريف الشاري الشيباني وعاث في نواحي العراق، أرجف أهل بغداد به، وتحدث الناس فأكثروا ولم يكن له كفؤ في رد شعبه وسد خلله إلا ابن عمه وهو يزيد بن مزيد الشيباني ابن أخي أبيه بغير فصل، فاستحضره وزير الخلافة وأنشده على عادة العرب ينخيه، ويستنصر به، فكان ما أنشده:

إذا دعيت فما تدعى لهينة ... إلا لمعضلة توفي على العضل

إن الخلافة مرساة الى جبل ... وأنت وابنك ركنا ذلك الجبل

إفخر فما لك في شيبان من مثل ... كذاك ما لبني شيبان من مثل

وشرع الوزير في كلام يرغبه فيه، ويعده، بما يكون في مطاويه، فقال له يزيد: كف يا مولانا فقد كفيت وكفيت، ونهض وقد حركه الشر وهزه طرب يجر أذياله، وبرز في جماعته لوقته الى قتال الوليد، فلقيه ووقع

الطراد، وارتفع العجاج، فنصره الله على الوليد فتقله، بعد ماكان الوليد يكر على الخيل ويرد هواديها على أعجازها ويرفع عقيرته وينادي:

أنا الوليد بن طريف الشاري ... قسورة لا يصطلى بناري

جوركم أخرجني من داري

ولما وقع الى الأرض ركبت أخته ولبست درعها وخرجت مبارزة، فنظر إليها يزيد قاتل أخيها وابن عمها فناداها: يا هناة ألقي الرمح من يدك وارجعي الى خبائك، هتكت الحرائر، ليس هذا بمقام للنساء، فركزت رمحها في الأرض وأسندت رأسها إليه واستعبرت، وأنشدت ترثي أخاها:

لئن كان أرداه يزيد بن مزيد ... فرب زحوف يبتلي بزحوف

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تحزن على ابن طريف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... فديناه من دهمائنا بألوف." (١)

"فإذا المنية أقصدت ... كنا جميعا ميتينا

ومن هاهنا أخذ محمد بن يزيد:

لا مت قبلك يا أخي، لا بخلة ... بالنفس عنك، ولا تمت قبلي

وبقيت لي، وبقيت منك كذا ... متمتعين بأجمع الشمل

حتى إذا حضر الحمام لبيتنا ... فرمى لمدة غاية المهل

متنا جميعا، لا يؤخر واحد ... عن واحد، لحرارة الثكل

وكفاك من نفسي شهيد صادق ... يا صاح إنك عندها مثلي

وحكى الأصمعي قال: عرضت على الرشيد جاريتان، فقالت الأولى منهما وسابقت: السابقون السابقون، أولئك المقربون. ثم تقدمت الثانية فقالت: وللآخرة خير لك من الأولى، فاشتراهما لظرفهما. فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أفاكههما؟ قال: شأنك. فقلت لإحداهما: من أحسن عيشا؟ قالت: من قنع ثن ساعده القدر، فاستمتع بهواه قبل أن تخلفه الأيام. ثم أقبلت على صاحبتها لأسألها، فقالت: يا بغيض، الجواب واحد، والقلوب متفقة، ولا فرق بيننا، ونحن كما قال الشاعر:

نحيي معا، ومعا نمو ... ت، ولا نموت، كذا، سريعا

وكما اجتمعنا في الحيا ... ة، نفارق الدنيا جميعا

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٥٩

وله أيضا فيها:

يا أعظم بليت في قعر مظلمة ... في حفرة قد سلا عنا بواكيها

لو تسمعين دعائي لاستجبت له ... وهل تجيب عظام من يناديها

صوت يناديك أن لو تعلمين به ... أغررت دعوته ألا تجيبيها

هذا الذي كنت في الدنيا ضجيعته ... لم تستعض نفسه إلفا يسليها

وله أيضا:

حتى إذا افتر اللبان، وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا، كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

فلما أكثر يعقوب المراثي وأفرط، وبقي لا ينام الليل، وقل أكله، وكثر جزعه، خيف عليه الهلاك. وكان لملك رفيقة يقال لها طرب أنس بها، فاشتروها له، وأمروها بمداعبته وملازمته، ليسلو بها عن ملك. فكان ذلك كما راموا، أن طربا تمكنت من قلبه. فقال:

فجعت بملك وقد أينعت ... وتمت، فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها ... وأمست بحلوان ملك غريبه

أراني غريبا، وإن أصبحت ... منازل أهلي مني قريبه

حلفت على أختها بعدها ... فصادفتها ذات عقل، أديبه

وقلت لها: مرحبا، مرحبا ... بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

سأصفيك ودي حفاظا لها ... كذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كملك، وإن لم تكن ... لملك من الناس عندي ضريبه

فلم تلبث، أيضا، طرب أن لحقت بملك. فلقي جهدا، واشفى على الموت، وقال:

لقد سخنت عيني بملك، وسهدت ... فما رقدت حتى وصلت سهادها

وكانت لنا نار توقد في الحشا ... فما خبأت، حتى شببت وقودها

أنست بروعات المصائب بعدها ... وبعدك، حتى ما أبالي مزيدها

رأيت ثياب الناس في كل مأتم ... إذا اختلفوا، بيض الثياب وسودها

وإني على ملك لبست ملاءة ... من الحزن لم يبل الزمان جديدها

قال مؤلف الكتاب: وجدت أبا الحسن محمد بن عبد الله الموصلي، مؤلف كتاب أصناف الشعراء قد أطنب في وصف بيت واحد في هذه القطعة، وهو:

أنست بروعات المصائب بعدها ... وبعدك، حتى ما أبالي مزيدها

وذكر أنه من نادر الشعر، مع ما فيه من الجزالة والرقة. وللخنساء في معنى هذا البيت، ولليلى الأخيلية، ولخرنق بنت هفان، وعقيل بن علقمة. فأما الخنساء فقالت:

وقائلة، والنفس قد فات خطوها ... لتدركه: يا لهف نفسي على صخر

ألا هبلت أم الذين اغتدوا به ... إلى القبر، ماذا يحملون إلى القبر

فشأن المنايا إذ أصابك ريبها ... لتغدو على الفتيان بعدك، أو تسرى

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة:

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

وقلت خرنق ترثي زوجها بشرا:

فلا، وأبيك، آسي بعد بشر ... على حي يموت، ولا صديق

وقال عقيل:." (١)

"فقال ابن سليمان: شرب الخمر يا أمير المؤمنين، فسله بأي نار طبخت؟ قال أبو دلامة: بنار الله الموصدة، التي تطلع على فؤاد من علمك. فضحك المنصور منه وأجازه.

الإماء من شواعر النساء

وهن: عنان، والذلفاء، ورييم، وفضل، وملك، وخنساء، وصرف، ومخنثة، ومدام، وخشف، وعلم، وريا، وسكن. وسكن أغزرهن وأشهرهن ذكرا، وإنما أكثرهن افتنانا عنان، جارية الناطفي.

عنان جارية الناطفي وهي صاحبة أبي نواس، وبينهما معاتبات ومضاحكات، وتهاجيا في آخر أمرهما. وكان لها ظرف بارع، وأدب كامل، في سرعة جواب. وكان لها مجلس ينتابه السراة والشعراء وأهل الأدب، يطارحونها الأشعار ويناشدونها.

فمن شعراها ترثي مولاها:

يا موت أفنيت القرون، ولم تزل ... حتى سقيت، بكأسك، النطافا

يا ناطفي، وأنت عنا نازح ... ما كنت أول من دعوه فوافى

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء النشابي الإربلي ص/٤٢

وقالت:

نفسي على زفراتها موقوفة ... فوددت لو خرجت من الزفرات

لا خير بعدك في الحياة، وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

قال محمد بن سليمان الكاتب: إفتصد الرشيد يوما، فأهدى له يحيى بن خالد جارية عوف الخياط. فأقامت عنده شهرا، قم وهبها لخزيمة بن خازم.

ففي ذلك تقول عنان، تمدح يحيى، وتطلب أن يبتاعها:

نفى النوم عن عيني حوك القصائد ... وآمال نفس، همها غير واحد

إذا ما نفى عني الكرى طول ليلتي ... تعوذت منه باسم يحيى بن خالد

وزير أمير المؤمنين، ومن له ... فعالان من جود: طريف وتالد

على وجه يحيى غرة يهتدي بها ... كما يهتدي ساري الدجى بالفراقد

بلغت الذي لم يبلغ الناس مثله ... فأنت مكان الكف من كل ساعد

تعود إحسانا، فأصلح فاسدا ... وما زال يحيى مصلحا كل فاسد

وكانت رقاب من رجال تعطلت ... فقلدها يحيى كرام القلائد

على كل حي من أياديه نعمة ... وآثاره محمودة في المشاهد

ففعلك محمود، وكفك رحمة ... ووجهك بدر، نوره غير خامد

مننت على أختي منك بنعمة ... صفت لهما منها عذاب الموارد

فمن بما أنعمت منها عليهما ... علي، وقاك الله كيد المكائد

أعوذ من الحرمان منك بخالد ... وطيب تراب، فيه أعظم خالد

وذكرها يحيى لهارون الرشيد، فأمر بشرائها، فاشتراها بثلاثمائة ألف درهم، وأمر صاحب بيت المال برفع المال إلى مولاها. فقال لمولاها: اجعل لي من هذا المال عشرة آلاف درهم، فأبى أن يفعل. فأمر صاحب بيت المال بثلاثين حمالا، فحملت البدر، وأدخلها على الرشيد، فقال: ما هذا؟ قال: هذا ثمن عنان. قال: ويلك هذا كله سرف، رده إلى بيت المال. وأبطل شراءها. ثم بعد ذلك عزم يحيى على معاودة الرشيد في أمرها، فعاق عن ذك حادثهم.

وقال: أحمد بن إبراهيم: هويت عنان فتى من أهل بغداد، لا نبات له بعارضيه، في غاية من الحسن، وكان يدعي النسك والعفاف. فطلبت وصاله فأبى. ثم أن الفتى بعد ذلك نبتت لحيته، وضجر من طول الزهد،

فأتاها يلتمس منها ما كانت تلتمس منه، فأنشأت تقول:

هلا وأنت بـماء وجهك تشتهي ... رؤد الشاب، قليل شعر العارض

ألآن إذ نبتت بخدك لحية ... ذهبت بملحك، ملء كف القابض

مثل السلافة عاد خمر عصيرها ... بعد اللذاذ خل خمر، حامض

وقالت:

إلى الله أشكو طارقات من الهوى ... لها في فؤادي جمرة تتضرم

فلا مشتكى إلا إليه، فأنه ... أرق، وأحفى بالعباد، وأرحم

وحكى عنها أبو ثابت قال: خطر بقلبي بيت شعر قلته، وتعسر علي ثانيه، وطلبت من يجيزه. فتذكرت عنان جارية الناطفي، فأتيتها وأوردت عليها الشعر، فقلت:

وما زال يشكو الحب حتى سمعته ... تنفس في أحشائه، أو تكلما

فأطرقت، ساعة، ثم قالت:

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه ... إذا ما بكى دمعا بكيت له دما." (١)

"وأتعب عندي من مطايا بقفرة ... وبعدها منها شقة وترحلا

حشا يمتطيها الشوق في كل ساعة ... تقربها البلوى إلى الحتف منزلا

وأما مدام: فكانت جارية، وكانت للعباس بن الفضل مواصلة. فكتب إليها:

كوني بخير، وإن أصبحت في شغل ... القلب قلبك أعيت دونه حيلي

لو كنت أحسن هجرا ما هجرتكم ... أو كنت أعرف غير الوصل لم أمل

أقررت بالذنب، خوفا من عقابك لي ... وقلت: ما الذنب إلا لي، ومن عملي

لما لحظت سوائي لحظ مكتتم ... علمت أنك قد وفيتني أجلي

كتبت، والدمع في القرطاس منحدر ... وإن شككت تبينيه في البلل

فأجابته:

كم قد تعللت بالتسويف والأمل ... وكم تجرعت من لوم، ومن عذل

وكم رجوت، إذا ما الدهر باعدني ... بأن أدال على قلبي، فلم أدل

لم يكف أن حزت نومي عن مسالكه ... فليس يطرق في ريث، ولا عجل

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء النشابي الإربلي ص/٥٩

إن كنت خنتك في عهدي مختالة ... أو عمد عين، أو استبدلت من بدل
فلا رأيتك يوما إذا ... عني بغير، ولا من أملي
أمسى كتابك مبلولا، وقد درست ... منه السطور، ورسم الدمع لم يزل
إذا بي، أو خنت خالصتي ... أو غبت عني، فذا أقصى عقابك لي
وكتب إليها أيضا:
تبرمت بعذالي ... وبث القيل والقال
فما يخطر من بعد ... ك في الحب على بالي
فكفي من تجنيك ... الذي هيج بلبالي
وعودي كالذي كنت ... لنا في الزمن الخالي
وإلا كان شكوانا ... إلى الشاه بن ميكال
فكتبت إليه:
بنفسي أنت من قال ... وبالأهل، وبالمال
إذا ما كنت أرعى ل ... ك حبيك، وترعى لي
ولم تسأل من واش ... فما الشكوى إلى الوالي
وأما ريا: فكانت جارية لابن القراطيسي، وكانت شاعرة. أنشد السيد بن أنس التليدي:
وإذا ترعرع من تليد ناشئ ... جعل الحسام ضجيعه في المسهد
فكتبت:
قوم لهم شرف وعز تالد ... يفنى الزمان وعزهم لم ينفد
الله خص قديمهم وحديثهم ... دون البرية بالعلى والسؤدد
أضحى يقرهم بكل فضيلة ... من كان يجحدهم، ومن لم يجحد
وتمام فخرهم إذا ما فاخروا ... يوم التناصل بالنجيب السيد
وأما مخنثة: فكانت جارية لزهير. وقال ابن أبي خلصة: بعث يوما زهير إلى أبي نواس فأحضره، وعرض عليه مخنثة، وكانت من أطرف الناس. فلما رآها قال:
للحسن فيه صنيع ... له القلوب تريع
فما إليه سبيل ... ولا إليه شفيع

فقالت في وقتها:

أبو نواس خليع ... له الكلام البديع

وواحد الناس طرا ... له أقر الجميع

وقالت ترثي ابن مولاها، وقتل ببغداد مع الأمين:

أسأل ناعيه، والذي شهد ال ... ليث عليه الكلاب تقتتل

تنهش شلوا، أعزز علي به ... يسحب طورا والمتن منخذل

أأنت أبصرته يلاب به ... في أرض بغداد أيها الرجل

إن كنت أبصرته كذاك فما ... ينجو شديد القوى، ولا فشل

فلو تراه عليه شكته ... والموت دان، والحرب تشتعل

لخلت أن القضاء في يده ... أو المنايا في كفه رسل

كأنه آمن منيته ... في الروع لما تشاجر الأسل

فانظر، بالله، أيها المتصفح هذا الكتاب ما أحسن هذه المعاني العجيبة، والألفاظ المرققة العذاب! فما الذي أبقت هذه المرأة العبدة للرجال الأحرار؟.

وأما سكن: فكانت جارية لمحمود بن الحسن الوراق الشاعر. وكانت شاعرة مجيدة، حسنة النظر في العلوم. وهي القائلة تمدح أبا عدنان دلف بن أبي دلف:

أهدت لقلبك غصة التلف ... ودعت إليك دواعي الأسف

عادات مقلتها إذا نظرت ... رشق القلوب بأسهم الشغف

كم من أسير هوى لمقلتها ... بادي الصبابة، ظاهر الكلف

وقف على الأسقام مهجته ... سمح المقادة، غير منتصف

إن المكارم بعد قاسمها ... ألقت أعنتها إلى دلف." (١)

"(فلم أتعمل للسيادة فيهم ... ولكن اتتنى طائعا غير متعب)

١٥٥ - وقال آخر

(قد قال قوم أعطه لقديمه ... جهلوا ولكن أعطني لتقدمي)

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء النشابي الإربلي ص/٦٢

(فأنا ابن نفسي لا ابن عرضي اجتدي ... بالسيف لا برفات تلك الأعظم)

١٥٦ – وقالت كبشة بنت معدى كرب الربيدية جاهلية **ترثي** أخاها عبد الله بن معدى كرب الزبيدي

(أرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي)." (١)

"٤٤ – وقالت الخنساء بنت الشريد مخضرمة

(تعرقني الدهر نهسا وحزا ... وأوجعني الدهر قرعا وغمزا)

٤٥ – وقالت **ترثي** أخاها صخرا

(يا صخر وراد ماء قد تناذره ... أهل الموارد ما في ورده عار)

٤٦ – وقالت أيضا

(ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي)

٤٧ – وقالت أيضا

(وما كر إلا كان أول طاعن ... ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت)

(فيدرك ثأرا وهو لم يخطه الغنى ... فمثل أخي يوما به العين قرت)

(فلست أرزي بعده برزية ... فأذكره إلا سلت وتجلت)

٤٨ – وقالت أيضا

(أبعد ابن عمرو من ألا الشريد ... حلت به الأرض أثقالها)." (٢)

"(شهاد أندية رفاع ألوية ... سداد أوهية فتاح أسداد)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٧٣/١

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢١٨/١

(نحار راغية قتال طاغية ... حلال رابية فكاك أقياد)

(قوال محكمة نقاض مبرمة ... فراج مبهمة طلاع أنجاد)

٥٢ - وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير

(لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير)

(وما أحد حي وإن كان سالما ... بأجلد ممن غيبته المقابر)

(ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر)

(وليس لذي عيش من الموت مهرب ... وليس على الأيام والدهر غابر)

(وكل جديد أو شباب إلى بلى ... وكل امرىء يوما إلى الله صائر)

(وكل قريني ألفة لتفرق ... شتاتا وإن عاشا وطال التعاشر)

(فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إذ دارت عليك الدوائر)

(فأقسم لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر)

(قتيل بني عوف فيا لهفتي له ... وما كنت إياهم عليه أحاذر)." [١]

"٥٩ - وقالت أيضا

(وما الغيث في جعد الثرى دمث الربى ... تبعق فيه العارض المتهلل)

٦٠ - وقالت عمرة الخثعمية **ترثي** ولديها

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١/٢٢٠

(لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وإبأباهما)

٦١ - وقالت صفية الباهلية

(كنا كغصنين في جرثومة سمقا ... حينا بأحسن ما يسمو له الشجر)

(حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب فيئاهما واستنيع الثمر)

(أخلى على واحدي ريب الزمان وما ... يبقى الزمان على شيء ولا يذر)

(كنا كأنجم ليل بينها قمر ... يجلو الدجى فهوى من بينها القمر)

(فاذهب حميدا على ما كان من مضض ... فقد ذهبت فأنت السمع والبصر)." [١]

"٦٢ - وقالت الخرنق بنت هفان ترثي أباها وزوجها وابنها

(لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر)

(النازلين بكل معترك ... والطيبين معاقد الأزر)

(قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التاييه والزجر)

(والخالطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر)

(هذا ثنائي ما بقيت لهم ... وإذا هلكت أجنني قبري)

٦٣ - وقالت امرأة ترثي أباها

(إذا ما دعا الداعي عليا وجدتني ... أراع كما راع العجول مهيب)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢٢٦/١

(وكم من سمى ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب)

٦٤ - وقالت زهراء الكلابية

(تأوهت من ذكري ابن عمي ودرنه ... نقا هائل جعد الثرى وصفيح)." (١)

"(وكنت أنام الليل من ثقتي به ... وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح)

(فأصبحت سالمت العدو ولم أجد ... من السلم بدا والفؤاد جريح)

٦٥ - وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية

(يا عين جودي عند كل صباح ... جودي بأربعة على الجراح)

٦٦ - وقالت الخرنق بنت قحافة

(أعاذلتي على رزء أفيقي ... فقد أشرقتني بالعذل ريقي)

(فلا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق)

٦٧ - وقالت ليلى بنت طريف التغلبية **ترثي** أخاها الوليد

(بتل ثباتا رسم قبر كأنه ... على علم فوق الجبال منيف)." (٢)

"(إذا ساء يوم في الكريهة منظرا ... تصلاه علما أن سيحسن مسمعا)

٨٠ - وقالت ماوية بنت الأحت [**ترثي**] بنيها

(هوت امهم ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أوتاد ملك تهدما)

(أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم ... وأن يرتقوا من خشية الموت سلما)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢٢٧/١

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢٢٨/١

(ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما)

٨١ - وقال أبو مكنف أبو سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى
(أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عقبى ولا عذر)

(إذا ما أبو العباس خلى مكانه ... فلا حملت أنثى ولا مسها طهر)

(ولا أمطرت أرضا سماء ولا جرت ... نجوم ولا لدت لشاربها الخمر)

(كأن بني القعقاع يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر)

(توفيت الآمال يوم انقضائه ... وأصبح في شغل عن السفر السفر)

٨٢ - وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي
(كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماءها عذر)." [١]
"(رعوا من المجد أكنافا إلى أجل ... حتى إذا بلغت أظماؤهم رقدوا)

(كانت لهم همم فرقن بينهم ... إذا القعاديد عن أمثالها قعدوا)

(بذل الجميل وتفريج الجليل ... وإعطاء الجزيل إذا لم يعطه أحد)

١٣١ - وقال حارثة بن بدر في زياد بن أبيه
(صلى الإله على قبر وطهره ... عند الثوية يسفي فوقه المور)

(زفت إليه قريش نعش سيدها ... فثم كل التقى والبر مقبور)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١/٢٣٦

(أبا المغيرة والدنيا مفجعة ... وإن من غرت الدنيا لمغرور)

(قد كان عندك بالمعروف معرفة ... وكان عندك للنكراء تنكير)

(وكنت تغشى وتعطي المال من سعة ... لأن بيتك أضحى وهو معمور)

(الناس بعدك قد خفت حلومهم ... كأنما نفخت فيها الأعاصير)

١٣٢ - وقالت امرأة ترثي زوجها

(لعمري وما عمري علي بهين ... لنعم الفتى غادرتم آل خثعما)." [١]

"(وكان إذا ما أورد الخيل بيشة ... إلى جنب أشراج أناخ فألجما)

(فارسلها رهوا رعالا كأنها ... جراد زفته ريح نجد فأتهما)

١٣٣ - وقالت امرأة ترثي أخاها

(هل خبر القبر سائليه ... أم قر عينا بزائريه)

(أم هل تراه أحاط علما ... بالجسد المستكن فيه)

(لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كل من يليه)

(يا موت لو تقبل افتداء ... كنت بنفسي سأفتديه)

(أنعى بريدا إلى حروب ... تحسر عن منظر كريه)

(يا جبلا كان ذا امتناع ... وركن عز لآمليه)

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ١/٢٥٨

(ويا مريضا على فراش ... تؤذيه أيدي ممرضيه)

(ويا صبورا على بلاء ... كان به الله يبتليه)

(ذهبت يا موت بابن أمي ... بالسيد الفاضل النبيه)

(تحلو نعم عنده سماحا ... ولم يقل قط لا بفيه)

(يا موت ماذا أردت مني ... حققت ما كنت أتقيه)

(دهر رماني بفقد إلفي ... أذم دهري وأشتكيه)." [١]

"يا صاحبي وما عرفت مصباحا: الحسن بن أحمد بن المعلم: تتقلب: ٢٢٨١

يا صاحبي الهوى شديد: محمد بن علي بن المعلم: وعيد: ٣٤٣٣

يا ضرة القصر المدلة: حماد بن منصور: بالله: ٢٩١٢

يا طرف أنت طرحتني في حبه: سالم بن الحسن: كقلبه: ٤١٠٣

::: ٤٤٥٠

يا طيب الاصل والفرع الزكي كما: أحمد بن يوسف التيفاشي: الشجر: ١٢٩٠

يا ظبي سنجار أما ترثي لمن: أحمد بن مسعود الخزرجي: الاجل: ١١٤٣

يا عامر الدار الذي قلبه: حماد البزاعي: معمور: ٢٩١٦

يا عتب هجرك مورث الادواء: أبو العتاهية: بجزاء: ١٧٨٢

يا عز شدي شدة لا سوى لها: مجهول: وشمري: ٣١٤٠

::: ٣١٤١

يا عصمة عن مودتي هربوا: اسماعيل السنجاري: رحب: ١٨٤٨

يا علم الملك افتخر بهذه المقدمة: الحسن بن صافي: ولمه:

يا علي بن منقذ يا هماما: أحمد بن حمزة الخيشي: بجيش: ٧١٩

---

(١) الحماسة البصرية صدر الدين البصري ٢٥٩/١

يا غائبا عن سواد عيني: أبو الخطاب الحريري: السوادا: ٤٤٣٤

يا غريب الحسن ما أغ ... : أحمد بن منير: الغريب: ١١٥٨

يا فتوني بمن رضاه فتوني: الوامق: المكنون: ٤٤٢٣

يا فرسي سيري وأمي الشاما: الحرب بن سهم: والاعلاما: ٢٢٢٢

يا قاصدا يثرب الفيحاء مرتجيا: الحسن بن صافي: الرسل: ٢٣٩٢

يا قرة العين الذي: أبو الخطاب الحريري: رمدا: ٤٤٣٤

يا قصر ذا الخلات من بارا: أحمد بن محمد بن يحيى: قارا: ١٠٥٠

يا قلب أنت أذنت لي في هجره: أبو نصر النحاس: ذكره: ٤١٠٢

::: ٤٤٥٠

يا كثير النوح في الدمن: أبو نواس: السكن: ٦٠٥

يا كعب انك لو قصرت على: حرملة بن حكيم: الغرم: ٢١٨٧

يا لا حظي بالفتور والدعج: المعتضد بالله: والغنج: ٨٢٠

يا لائمي في حب آل محمد: أبو المجد بن فضلان: مشرك: ٤٦٠٩

يا لك من قبرة بمعمر: مجهول: واصغري: ٢٦١١

يا لك يوما كاسفا عصبصبا: سليمان بن حرد: مركبا: ٢٩٩٣

يا لهف نفسي على قوم هم: امرؤ القيس بن حجر: يصابوا: ٢٠١٨

يا ليت أبي بمقرى: ابن تريك الرفني: زماني: ٤٦٦٧

يا ليت شعري ما يقال: الحسن بن علي الجويني: انتقل: ٢٤٦٤

يا ليلة جادت الاماني بها: خالص بن أحمد: دهري: ٣٢١٣

يا مالكا نقض الودادا: الشريف الرضي: البعادا: ١٣٤٦

يا معجز الله الذي: أبو عبد الله الخيمي: محل: ٢٥٤١

يا معشر الغرباء رد شتيتكم: المأمون العباسي: قرب: ١٢١٦." (١)

"كذا في الاصل، قد أتم هذا هذا البيت وأظنه بخط أخيه أبي عثمان ولا أتحققه. (٥٢- و)

أخبرنا تاج الاماء أحمد بن محمد بن الحسن- كتابة- قال: أخبرنا عمي أبو القاسم عن أبي غالب شجاع

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٩٤١/١١

ابن فارس بن الحسين الذهلي قال: أنشدني الحكيم أبو علي الحسين بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري لابي القاسم المظفر الزوزني الكاتب يرثي المتنبي- قلت: هو المظفر بن علي:

لا رعى الله سرب هذا الزمان ... إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

ما رأى الناس ثاني المتنبي ... أي ثان يرى لبكر الزمان

كان في نفسه الكبيرة في جي ... ش وفي كبرياء ذي سلطان

كان في لفظه نبيا ولكن ... ظهرت معجزاته في المعاني

أنشدني نجيب الدين داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي التاجر إملاء من لفظه بحلب قال: أنشدني شمس الدين بن الوالي بالموصل لأخت المتنبي ترثي أخاها المتنبي لما قتل:

يا حازم الرأي إلا في تهجمه ... على المكاره غاب البدر في الطفل «١»

لنعم ما عاملتك المرهفات به ... ونعم ما كنت توليها من العمل

الأرض أم أضناها بواحدها «٢» ... فاسترجعته وردته الى الحبل

أحمد بن الحسين بن حمدان، أبو العباس التميمي الشمشاطي:

أديب فاضل شاعر، له معرفة بالنحو واللغة، قدم حلب في أيام سيف الدولة أبي الحسن بن حمدان وأملى بها أمالي وفوائد، وكتب عنه بعض (٥٢- ظ)." (١)

"أما ترثي لمكتئب ... نقضت عهوده ورعا

وكان حمامه بكم ... ومبدأ حبكم ولعا

فقل لفتى تعثر في ... هواك سلامة ولعا

قال: وكتب الى الأمير سديد الملك، يعني أبا الحسن بن منقذ.

إني وحقك في طرابلس كما ... تهوى العدى تحت المقيم المقعد (٧٠- ظ)

أما المحرم قد حرمت نجاز ما ... وعدوا وفي صفر فقد صفرت يدي

قالت لي العلياء لما أن سقو ... ني كاس مطلهم سكرت فعربد

قرأت بخط أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، وأخبرنا به أبو الحسن محمد ابن أحمد بن علي إجازة عنه قال: كتب عبد الله بن الدويدة المعري الى جدي سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ وقد وفد عليه ابن الخيشي الشاعر:

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٦٨٦/٢

يا علي بن منقذ يا هماما ... حين يدعى الوغي يعد بجيش

قد أتاك الخيشي في وسط آب ... بقريض يغنيك عن بيت خيش

أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزيمة الهروي:

أبو اسماعيل الحداد الصوفي المعروف بعمويه شيخ الصوفية بهراة «١» (٧١- و) .

أحمد بن حميدان الرماني:

أبو القاسم، له كلام حسن في الحقيقة وطريقة الصوفية.

روى عنه أبو الفرج هبة الله بن سهل، وقدم حلب في أيام سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان، وحضر عنده وفاوضه في شيء.." (١)

"فقال في جوابه، ولم يذكر الابيات:

أنشدني أبو السعادات المبارك بن حمدان الموصلي قال: أنشدني أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد الصفار الكاتب الشاعر الماردي بإربل قال: أنشدني أبو العباس الخزرجي لنفسه:

وفي الوجنات ما في الروض لكن ... لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه أني ... أرى البستان يحمله قضيب

وأنشدني أبو السعادات قال: أنشدني أبو الحسن قال: أنشدني أبو العباس من شعره:

يا ظبي سنجار أما **ترثي** لمن ... قد صار من أجلك في كف الأجل

قد كان مشغولا بدرس علمه ... فاليوم لا علم بقي ولا عمل

ومن جيد شعره قوله، ورواه النقاش عنه:

راض بحكم هواك واجد ... فعلام أنت علي واجد

ما كان لي ذنب سوى ... أني سهرت وأنت راقد

نقلت من خط أبي حفص عمر بن الخضر بن أللمش بن الدرمش التركي المتطبب الدنيسري في كتابه الذي وسمه «بحلية السريين من خواص الدنيسرين «١» قال في ذكر أبي العباس الخزرجي: هو أول من درس بالمدرسة الشهابية بدنيسر فقيه فاضل مفنن، عارف بكثير من علوم الأصول (٦٩- و) والفقه والنحو وسائر الآداب، شهد له بذلك جماعة من العلماء

قال: قال لي أبو محمد بن عربد النحوي: كان أبو العباس رحمه الله حديد النظر، سديد الفكر، عجيب

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٧١٩/٢

الفقر، عجيب السير، حسن التبحر في العلوم، سليم التصور فيما يبدي من المنثور والمنظوم، جيد الفاكهة، متزيد النزاهة، لطيف." (١)

"أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني إذنا عن أبي بكر بن المزرفي قال: أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد العكبري قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت قال:

حدثنا أبو الفرج الأصبهاني قال: حدثني جعفر بن قدامة قال: حدثني ميمون بن مهران قال: كان لأحمد بن يوسف جارية مغنية شاعر يقال لها نسيم، وكان (١٥٣- ظ) لها من قلبه مكان، فلما مات أحمد قالت **ترثيه**:

ولو أن ميتا ها به الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب

ولو أن حيا صانه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة: وقالت **ترثيه**:

نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ما توا

وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات

قال أبو القاسم: وهي القائلة وقد غضب عليها:

غضبت بلا جرم علي تجرما ... وأنت الذي تجفو وتهفو وتغدر

سطوت بعز الملك في نفس خاضع ... ولولا خضوع الرق ما كنت أصبر

فإن تتأمل ما فعلت تقم به ال ... مقادير أو تظلم فإنك تقدر «١»

أحمد بن يوسف بن نصر بن عبد الرزاق بن الخضر بن عجلان:

أبو الحسين البالسي ثم الجعبري، أصله من بالس وهو من قلعة جعبر، وهو أخو الجعبري والي قلعة دمشق، له شعر جيد.

أحمد بن يوسف الاستاذ أبو نصر المنازي السليكي الوزير:

من أهل منازكرد «٢» ، وكان وزيرا للمروانية ملوك ديار بكر، وسيره نصر الدولة أحمد بن مروان رسولا عنه إلى مصر، فقدم حلب وتوفي له ولد بها،." (٢)

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١١٤٣/٣

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٢٧٩/٣

"وما سالم عما قليل بسالم ... وإن كثرت أحراسه ومواكبه

وإن كان ذا باب شديد وحاجب ... فعما قليل يهجر الباب حاجبه

ويصبح بعد الحجب للناس مفردا ... رهينة بيت لم تستر جوانبه

فنفسك أكسبها السعادة جاهدا ... فكل امرئ رهن بما هو كاسبه «١»

قلت: وهذه الأبيات تمثل بها ابن عبد الأعلى عند موت هشام، قد رويت عن زياد الأعجم عنه كما ترى، ورويت عن زيد العمي عنه، ورويت عن أبي زيد الأعمى عنه، وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

أنبأنا أبو المحاسن بن الفضل بن البانياسي قال: أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن قال: زياد بن سليم، ويقال ابن سليمان، ويقال ابن سلمى، أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم مولى عبد القيس، ولقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح اصطخر، وحكى عنهما، حكى عنه هشام ومجبر ابنا قحذم بن سليمان بن ذكوان البصريان ووفد (٤٠- و) على هشام بن عبد الملك، وشهد وفاته بالرصافة «٢» .

قرأت بخط علي بن موسى بن اسحاق الرزاز في نوادر أبي بكر الصولي، سماع الرزاز منه، وأنبأنا به أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي وغيره عن زاهر بن طاهر عن أبي القاسم البندار عن أبي أحمد القاري قال: أخبرنا أبو بكر الصولي- إجازة- قال: وجدت بخط مصعب الزبيري قالت: ابنة زياد الأعجم ترثيه ويقال قديم:

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأدرد ضاحي «٣»

قد كنت ذات حمية أمشي بها ... ما دمت لي حيا وكنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... صبحا على فنن دعوت مناحي

وأغض من بصري وأعلم أنه ... قد بان حد فوارسي وسلاحي

(٤٠- ظ)." (١)

"يبلغ به كل علة ومعلول

أنك لا تصل إلي بهذه الطريق لكن بمن جعلته بيني وبين خلقي ونصبته للدلالة على إرادتي

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٣٩٢٦/٩

فأصرف أكثر عنايتك إلى الاستدلال عليه

فإذا أصبته فاردد إليه ما فضل عن معرفتك فقد حملته من جودي ما فرقت به بينه وبين غيره وجعلته سمة له يستعرضها إفهام المخلصين للحق

ثم تماسك وقوي طرفه فرجع من حوله إلى ما كانوا عليه وخرجت من عنده

فلما كان العشية عدت إليه فسمعته يخاطب أصحابه والسبعة نفر بشيء من كلام الزهاد ينهاهم فيه عن طاعة الجسد

فلما انقضى كلامه قلت له قد سمعت ما سلف لك في صدر هذا اليوم وأنا أسألك زيادتي منه

فقال كلما سمعته فإنما هو شيء صور في نفسي وأنطق به لساني وليس لي فيه إلا التبليغ

وإن كان منه شيء ستقف عليه

فأقمت عنده ثلاثة أيام أدبر السبعة نفر على الرجوع إلى أوطانهم فيأبون ذلك علي فلما كان اليوم الرابع دخلت عليه فما تمكنت من مجلسه حتى تغشاه ما كان غشيه في اليوم الذي دخلنا عليه

ثم قال يا رسول الخاطئ المستبطئ نفسه في الرجوع له

ارجع إلى بلدك فإنك لا تلحق صاحبك وإني أنسخه بمن يعدل ميل الجزء الذي في يده فخرجت من عنده فلحقت بلدي وقد قضى نحبه

وتولى الأمر كهل من أهل بيت مارينوس فرد المظالم وخلص الأرواح مما غشيها من لبوسات الترفه والبطالة

أقول ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش كان المقدم على المشركين أبو سفيان وعدتهم ما بين التسعمائة والألف والمسلمون يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر

وأيد الله الإسلام ونصر نبيه صلى الله عليه وسلم ووقعت الكسرة على المشركين

وقتلت في جملتهم صناديد قريش وأسر جماعة من المشركين

فبعضهم استفكوا أنفسهم وبعضهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم

وكان من جملة المأسورين عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث بن كلدة فقتلهما عليه السلام بعد منصرفه من بدر

حدثني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكريم قال حدثنا أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن الميمون عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محمويه الشافعي اليزدي عن أبي سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي عن أبي

غالب محمد بن أحمد ابن سهل بن بشران النحوي الواسطي عن أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الأصبهاني قال حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا مسلمة عن محمد بن إسحق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبرا أما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري فضرب عنقه

ثم أقبل من بدر حتى إذا كنا بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي أحد بني عبد الدار فقد أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يضرب عنقه

فقالت فتيلة بنت الحرث **ترثيه**." (١)

"(إما خطاي تقاربت ... مشي المقيد في الحصار)

(فيما أمشي في الأباطح ... يقتفي أثري إزاري)

(دع ذا ولكن هل ترى ... نارا تشب بذي مرار)

(ما أن تشب لقرة ... بالمصطلين ولا قتار)

(ما بال ليلك ليس ينقص ... طولها طول النهار)

(أتقاصر الأزمان أم ... غرض الأسير من الإسار) الكامل

قال فبلغت أبياته معاوية فأطلقه فرجع إلى مكة

فلما قدمها لقي عروة بن الزبير فقال له أما ابن أثال فقد قتلته

وهذاك ابن جرموز نقى أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا

فشكاه عروة إلى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل

أقول كان الزبير بن العوام مع عائشة يوم الجمل فقتله ابن جرموز ولذلك قال خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لأبيه يعيره بذلك

ومما يحقق هذا أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير بن العوام قالت **ترثيه** لما قتله ابن جرموز

(غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد)

(يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد)

(الله ربك إن قتلت لمسلما ... وجبت عليك عقوبة المتعمد)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١٦٩

(إن الزبير لذو بلاء صادق ... سمح سجيته كريم المشهد)

(كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع القردد)

(فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيما مضى مما يروح ويغتدي) الكامل

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في كتاب الأمثال إن معاوية ابن أبي سفيان." (١)

"وفروعه كتب كثيرة، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

قال الخطيب: وسمعت على بن عبد الله السمسار يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة. وعن الشيخ أبى حامد الإسفراييني، قال: لو سافر رجل إلى الصين ليحصل تفسير ابن جرير الطبرى لم يكن هذا كثيرا، أو كلاما هذا معناه. وروينا عنه أنه قال لأصحابه: هل تنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة. وكذلك قال لهم فى التاريخ، فأجابوه بمثل جواب التفسير، فقال: إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره نحو ما اختصر التفسير. وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما أعلم تحت أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير.

وروينا أن أبا بكر بن مجاهد إمام الناس فى القراءات استمع ليلة لقراءة محمد بن جرير، فقال: ما ظننت أن الله تعالى خلق بشرا يحسن يقرأن هذه القراءة. وروى الخطيب، عن القاضى أحمد بن كامل، قال: توفى أبو جعفر محمد بن جرير وقت المغرب ليلة الاثنين ليومين بقيا من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن ضحوة يوم الاثنين فى داره، ولم يغير شيبه، وكان السواد فى شعر رأسه ولحيته كثيرا، وكان مولده فى آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان أسمر إلى الأدمة، أعين، نحيف الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان، ولم يؤذن به أحد، واجتمع عليه ما لا يحصيهم عددا إلا الله تعالى، وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهارا، وزاره خلق كثير من أهل الدين والأدب، ورثاه ابن الأعرابى، وابن دريد، وغيرهما، ولقد أجاد ابن دريد وأبلغ فى ترثيته.

قال الرافعى فى مواضع منها أول كتاب الزكاة من الشرح: تفرد ابن جرير لا يعد وجها فى مذهبنا، وإن كان معدودا من طبقات أصحاب الشافعى، رضى الله عنهم أجمعين. قلت: ذكره أبو عاصم العيادى فى فقهاء الشافعية، وقال: هو من أفراد علمائنا، وأخذ فقه الشافعى عن الربيع المرادى، والحسن الزعفرانى.

٩ - محمد بن حاطب (١) :

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/١٧٣

الصحابى ابن الصحابى والصحابية، رضى الله عنهم،

---

(١) انظر: الإصابة (٣/٣٧٢) ، والتاريخ الكبير (١/١٧) ، والجرح والتعديل (٧/٢٢٤) ، والاستيعاب (٣/٣٤٠) ، وأسد الغابة (٤/٣١٤، ٣١٥) ، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٣٥، ٤٣٦) برقم (٧٩) ، والوافى بالوفيات (٢/٣١٧) ، وتهذيب التهذيب (٩/١٠٦) ، ومرآة الجنان (١/١٥٥) ، والعقد الثمين (١/٤٥٠) ..." (١)

"(الطاء)

(طلقة) (٢٣٨) : اسم فرس صخر بن عمرو، قالت الخنساء (٢٣٩) ترثي أخاها: وقد فقدتك طلقة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها [٢٣ ب]

(طيبة) (٢٤٠) : فرس الهواش الأسدي، قال: ظننتم أن طيبة لن تؤدي ورأي السوء يزري بالكرام

(الطيار) (٢٤١) : فرس آخر لنزار العدوي الذي قتله الوليد بن طريف الشاري بنصيبين، في أيام الرشيد هارون.

(الطيار) (٢٤٢) أيضا: فرس ريسان الخولاني، قال: وقد فضل الطيار في الخيل أنه يكر إذا خامت خيول ويخمل

(الظاء)

(الظليم) (٢٤٣) : فرس ربيعة بن مكدم.

(الظرب) (٢٤٤) : فرس سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أهداه له فروة بن عمرو الجذامي. سمي بذلك تشبيها له بالجبيل الصغير لقوته، وسمي بذلك لصلابته.

---

(٢٣٨) الغندجاني ١٥٨، عقد الأجياد ٣٣٢.

(٢٣٩) ديوانها ٨٧.

(٢٤٠) هي (ظبية) بالظاء عند ابن الكلبي ٣٧ والغندجاني ١٦١ وفيهما البيت.

(٢٤١) اغفلته كتب الخيل.

(٤٢٢) ابن الكلبي ١٠٧ وفيه البيت، حلية الفرسان ١٦٣، التاج (طير) . وخامت: جبنت. وفي ابن

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ١/٧٩

الكلبي: حامت. بالحاء المهملة. وفي التاج: خاست.

(٢٤٣) أغفلته كتب الخيل.

(٢٤٤) ابن الأعرابي ٥١، أنساب الأشراف ١ / ٥١٠، المعارف ١٤٩، الغندجاني ١٦١، فضل الخيل ٧٨، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١ / ٢١٠، رشحات المداد ١٢١.." (١)

"ونقلت من خطه أيضا لبثينة صاحبة جميل ترثيه (١) :

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها وكان كثيرا ما ينشد:

قالوا نفوس الدار سكانها ... وأنتم عندي نفوس النفوس وأماليه (٢) وتعاليقه كثيرة، والاختصار بالمختصر أولى.

وكانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريبا بأصبهان، وتوفي ضحوة نهار الجمعة - وقيل: ليلة الجمعة - خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية، ودفن في وعلة، وهي مقبرة داخل السور عند الباب الخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره.

ووعلة: بفتح الواو وسكون العين المهملة وبعدها لام ثم هاء، ويقال: إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصري، صاحب ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقيل غير ذلك، رحمه الله تعالى.

قلت: وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية، من جملتهم: الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٣) ، محدث مصر في زمانه، يقولون في مولد الحافظ السفلي هذه المقالة. ثم وجدت في كتاب زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض، تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن حفص الصفراوي (٤) الإسكندري، أن

---

(١) انظر الأغاني ٨: ١٥٥.

(٢) قبل هذه الكلمة في د: وكان قد كتب الكتب كثيرا.

(٣) يعتمد عليه المؤلف كثيرا، وللمنذري عدة مؤلفات منها الترغيب والترهيب، والتكملة لوفيات النقلة، وتوفي بمصر سنة ٦٥٦ (انظر طبقات السبكي ٥: ١٠٨ والبداية والنهاية ١٣: ٢١٢ والفوات ١: ٦١٠) .

---

(١) الحلبة في أسماء الخيل الصاحبي التاجي ص/٥٣

(٤) الصفراوي: نسبة إلى وادي الصفراء بالحجاز، وهو فقيه مالكي توفي سنة ٦٣٦ (انظر غاية النهاية ١: ٣٧٣) .." (١)

"من خراسان هدية جليلة فيها جوار فيهن جارية يقال لها محبوبة قد نشأت بالطائف وبرعت في الأدب وأجادت قول الشعر وحذقت الغناء وقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه فكانت لا تفارق مجلسه، فوجد عليها مرة فهجرها أياما، وبكرت عليه فقال: يا علي قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة وصالحتها وصالحتني، قلت: خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك، إنما هي عبدتك والرضى والسخط بيدك، فو الله أنا لفي ذلك إذ جاءت وصيفة فقالت: يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة، فقال: قم بنا يا علي ننظر ما تصنع، فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب العود وتغني:

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه ولا يكلمني

كأنني قد أتيت معصية ... ليس لها توبة تخلصني

فهل شفيع لنا إلى ملك ... قد زارني في الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني قال: فصاح أمير المؤمنين وصحت معه، فسمعت فتلقته وأكبت على قدميه تقبلهما، فقال: ما هذا قالت: يا مولاي رأيت في ليلتي كأنك رضيت عني فتعللت بما سمعت، قال: وأنا والله رأيت مثل ذلك، فقال لي: يا علي رأيت أعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا إلى الموضع الذي كنا فيه ودعا بالجلساء والمغنين واصطبح وما زالت تغنيه الأبيات يومه ذلك؛ قال: وزادت حظوة عنده حتى كان من أمره ما كان، فتفرق جواريه وصارت محبوبة إلى وصيف الكبير فما زالت حزينة باكية، فدعاها يوما وأمرها أن تغني فاستعفته وجيء بعود فوضع في حجرها فغنت.

أي عيش يلذ لي ... لا أرى فيه جعفرا كل من كان في ضنى وسقام فقد برا ...

غير محبوبة التي ... لو ترى الموت يشترى

لاشترته بما حوته ... يداها لتقبرا ولبست السواد والصوف وما زالت تبكيه **وترثيه** حتى ماتت، رحمها الله تعالى.." (٢)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٠٦/١

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٥٦/١

"كيف ترثي التي رأت كل جفن ... راءها غير جفنها غير راق

وتحسين البيت التالي لبيت التخلص إلى المدح يجري من بيت التخلص مجرى تحسين البيت الثاني من البيت الأول في أن إتباع تحسين أحدهما بتحسين الآخر أكيد.

فأما ما تتأكد به العناية عند قوم ولا تتأكد عند آخرين فمقاطع القصائد وأبياتها الأواخر. وذلك من جهة ما يرجع إلى هيئات الوضع والتأليف والاطراد في الألفاظ والمعاني والنظام والأسلوب. فأما من جهة وقوع لفظ مكروه أو معنى مشنوء في منقطع الكلام فالرأي فيه واحد في أن التحفظ منه واجب على كل ناظم أو ناثر.

فهذه مذاهب الحذاق المطبوعين: تحسين هيئات القصائد وتحصين مبانيها قد أبنتها، فمن سلك ذلك السبيل وذهب ذلك المذهب فقد سرى على سواء المنهج من هذه الصناعة، إن شاء الله.

ب- مأم من مذاهب البلاغة المستشرفة بهذا المعلم وهو مذهب الإبداع في الاستهلال.

وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجا ونشاطا لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك. وربما غطت بحسنها على كثير من التخون الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها.

١- إضاءة: ولا يخلو الإبداع في المبادي من أن يكون راجعا إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادة واستواء نسج ولطف انتقال وتشاكل اقتران وإيجاز عبارة وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الألفاظ، أو إلى ما يرجع إلى المعاني من حسن محاكاة ونفاسة مفهوم وتطبيق مفصل بالنسبة إلى الغرض وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في المعاني، أو إلى ما يرجع إلى النظم من إحكام بنية وإبداع صيغة ووضع وما ناسب ذلك مما يحسن في النظم، أو إلى ما يرجع إلى الأسلوب من حسن منزع ولطيف منحى ومذهب وما جرى مجرى ذلك مما يستحسن في الأساليب.

٢- تنوير: وملاك المر في جميع ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم في جميع جهاته. فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد النسيب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك، وكذلك سائر المقاصد. فإن طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر.

٣- إضاءة: ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه.

٤- تنوير: وفي الكلام ما له صورة يصير بها لائقا أن يكون رأس كلام ومفتتح قول، ومنه ما لا يليق بالمبادي ولا يكون له هيأة تصلح لها.

ويجب أن يجتلب القول للمبادئ من المعدن الأول.

٥- إضاءة: وأحسن المبادي ما تناصر فيه حسن المصراعين وحسن البيت الثاني على ما تقدم ذكره في العلم قبل هذا.

وأكثر ما وقع الإحسان في المبادئ على هذا النحو للمحدثين. فأما العرب المتقدمون فلم يكن لهم بتشفيع البيت الأول بالثاني كبير عناية. وكثيرا ما كانوا يتسلسلون فيه في ذكر المواضع نحو قول امرئ القيس: (الطويل -ق- المترادف)

فغول، فحليت، فنفي فمنعج ... إلى عاقل، فالجب ذي الأمرات

والرتبة الثانية في حسن المبادي أن يتناصر الحسن في المصراعين دون البيت الثاني، نحو قول أبي الطيب المتنبي: (الخفيف -ق- المترادف)

أتراها لكثرة العشاق ... تحسب الدمع خلقة في المآقي

والرتبة الثالثة أن يكون المصراع الأول كامل الحسن، ولا يكون المصارع الثاني منافرا له وإن لم يكن مثله في الحسن، ومثل هذا يوجد كثيرا.

٦- إضاءة: وقد تكون المبادي، التي حسن فيها المصراع الأول وكان ما وليه نمطا وسطا في الكلام، من الشرف بما وقع فيها بحيث تفوق المبادي التي تناصر الحسن في مصارعيها و البيت الثاني لهما، وذلك نحو قول امرئ القيس: (الطويل -ق- المتدارك)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل." (١)

"عمرو بن عبد ود

ابن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، فارس قريش الذي قتله علي رضي الله عنه يوم الخندق، ولا عقب له.

وفيه قيل:

عمرو بن ود كان أول فارس ... جزع المذاد وكان فارس أليل

وقالت أخته ترثيه، وأنشد ذلك صاحب زهر الآداب:

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/١٠٠

لو كان قاتل عمرو فيه قاتله ... لقد بكيت عليه آخر الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به ... وكان يدعى قديما بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن تكون لهم ... مكارم الدين والدنيا بلا أمد." (١)

".. يحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف ...

فخيره بين بدرة والغلام فاختار خوفا من الظنة

٣٦ – أبو الأصبغ عبد العزيز بن فاتح القرطبي

ذكر محمد بن عبد الملك بن سعيد أنه كان من عمال قرطبة في مدة لمتونة واختص بأميرها الزبير بن عمر الملثم ونادمه وكان عارفا بالغناء وأنشدني لنفسه قوله ... عاد من بعد ما أطال الصدودا ... وأتى مرغما بذاك الحسودا

وتناسى ما كان منه قديما ... وأعاد الزمان خلقا جديدا

إن يوما قضى لنا باجتماع ... لحقيق بأن يسمى سعيدا ...

وقوله ... قم هات كأسي فالروض ممطور ... والأفق مسك والأرض كافور

ري وخمر فحثها عجلا ... فكلنا عاطش ومقرور

لا حفظ الله من يضيعها ... في مثل ذا اليوم فهو مسحور

الماء فوق الغصون منتظم ... والزهر بين الرياض منثور ...

ومن كتاب الإحكام في حلى الحكام

٣٧ – معاوية بن صالح القاضي

من تاريخ ابن حيان أنه دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن الداخل وهو من جلة العلماء عالي الرواية يذكر عنه أنه روى عنه مالك بن أنس." (٢)

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٣٦٨

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١٠٢/١

"فمد يده إلى الدواة وكتبها. وأنشد له الصاحب كمال الدين بن العديم قصيدة. منها في الغزل:

وقع الكلام مواقع الأشواق ... فأصاب فيك مقاتل العشاق

ومنها في مدح ابن أرتق صاحب ماردين:

ما جاد يوما أن يقال هو الجوا ... د ولا توقف خشية الإملاق

لكنه يعطي ويمنع عالما ... بمواقع الإمساك والإطلاق

وأنشد له ابن الشعار في معجمه:

يا ظبي سنجار أما ترثي لمن ... قد صار من أجلك في كف الأجل

قد كان مشغولا بدارس عمله ... فاليوم لا علم بقي ولا عمل

ومن أبياته المفردة التي يمتثل بها:

وما عجبي إلا لذي الجهل انه ... يؤمل في الأعداء رأى الأصادق." (١)

"ظفر بالعدو وكر منتصرا أول من لمح من ذوي قرابته قربه لله تعالى قربانا. فلما انتصر وعاد دانيا من منزله أقبلت عليه ابنته العذراء تهنئه بالنصر. فقال لها: كبا كببتني لوجهي يا ابنتي وانا اليوم أكببت على وجهي بك. فعلمت ما به واستمهلته شهرا ان تنوح على بكارتها مع أقرانها وترثي على روحها دائرة في الصحاري. فأذن لها في ذلك. وعند تمام المدة ضحى بها ضحية بموجب نذره المكروه. وكان مدة ولايته ست سنين. ومن جعلها اربع وعشرين سنة فانه يضيف إليها ثماني عشرة سنة التي لولاية العمونيين.

(ابيصان)

[١] من اهل بيت لحم حكم سبع سنين وجماعة من المؤرخين لم يتعرضوا لذكر هذا الاسم.

(الون)

[٢] من سبط زبولون ساس الأمة عشر سنين. وهو غير مذكور في نقل السبعين.

(ابدون [٣] بن هليان)

[٤] حكم ثماني سنين وفي زمانه فارق قوم من ولد عيسو ابن اسحق بن ابراهيم بني إسرائيل وساروا الى ارض الافرنجة [٥] نازلين في بيوت شعر ثم حصلوا تحت يد ملك يسمى لا طين وبعده ملكهم رومالوس الملك الذي بنى مدينة رومية فسمى سكانها روما ولا طينيين.

(الفلسطينيون)

---

(١) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ابن سعيد المغربي ص/٥٥

ثم تغلب اهل فلسطين على بني إسرائيل على رأي انيانوس الراهب الاسكندري أربعين سنة. وعلى رأي اندرونيقوس عشرين سنة. واما اوسابيوس فلم يثبت في الخرونيقون شيئا من هذه السنين.

(شمشون الجبار المتقشف)

حكم عشرين سنة وقهر الفلسطينيين وكان له قوة عجيبة في البطش.

(مشايخ الأمة)

حكموا عشرين سنة. وعلى رأي اندرونيقوس عشر سنين. وعلى

[١-)] ابيصان يوافق الأصل السرياني [؟] . اما في العبراني فهي [؟] ايبصان.

[٢-)] أخذ المؤلف اسم الون عن الترجمة السريانية [؟] . اما في التوراة العبرانية فنجد أيلون [؟]

[٣-)] ابدون س عبرون.

[٤-)] ان المؤلف رسم اسم هليان تبعا للنسخة السريانية [؟] . وفي العبرانية [؟] هليل. اما ابدون فلا يوافق لا النسخة العبرانية ولا السريانية لان الاولى ترسم [؟] «عبدون» والاخرى [؟] «عبرون» . ويروى في نسخة من تاريخ الدول «لميرون» ويروى ايضا في اخرى «كبرون» .

[٥-)] هذه حكاية مختلفة كانت سببا لزعم اليهود والعرب بعدهم بان الافرنج من الادوميين. وفي شعراء اللاتين ان قوما بعد حرب ترويا في القرن الثاني عشر قبل المسيح أجازوا الى ايتاليا وعقدوا صلات مع الملك لاتين. الا انهم لم يكونوا من ولد عيسو.." (١)

"إن كنت ساقية ببز ... ل الأدم أو بحقافها

فأسقي بني هد إذا ... شربوا خيار زقاقها

فالخيل تعلم كيف ... تلحقها غداة لحاقها

بأسنة رزق صبحنا ... القوم حد رقاقها

حتى ترى قصد القنا ... والبيض في أعناقها

قال أبو عمر الشيباني: لما طلق عبد الله بن العجلان هند أنكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات جمعت نهد لبني عامر جمعا فأغاروا على طوائف منهم فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وينو الحريش وينو قشير ونذروا بهم فأقتتلوا قتالا شديدا، ثم إنهزم بنو عامر وغنمت نهد أموالهم وقتل في المعركة إبن

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٢٥

لمعاوية إبن قشير بن كب وسبعة بنين له وقرط وجدعان إبنا سلمة بن قشير ومرداس إبن جدعة بن كعب وحسين بن عمرو بن معاوية ومسحقة بن المجمع الجعفي، فقال عد الله بن العجلان في ذلك:

ألا أبلغ بني العجلان عني ... فلا ينبيك بالحدثان غيري

بأنا قد قتلنا قرطا ... وجرنا في سراة قشير

وأفلتنا بنو رجالا ... حاة يربؤن على سمير

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم:

أصبتم يا بني زيد ... قروما عند قعقعة السلاح

إذا إشتد الزمان وكان محلا ... وحادر فيه إخوان السماح

أهانوا المال في اللزيات صبرا ... وجادوا بالمتالي واللقاح

فبكى مالكا وأبكى بجيرا ... وشدادا مستجر الرماح

وكعبا فأندبيه معا وقرطا ... أولئك معشري هدوا جناحي

وبكى إن بكيت على حسيل ... ومدراس قتيل بني صباح

قال: وأسر عبد الله بن العجلان جلا من بني الوحيد من عليه وأطلقه ووعده الوحيدي من الثواب فلم يف فقال عبد الله:

وقالوا لن تنال الدهر فقرا ... إذا شكرتك نعمتك الوحيد

فيا ندما ندمت على رزام ... ومخلفه كما خلع العتود

قال أبو عمر: ثم أن بني عامر جمعوا لبني نهد قالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمس عشرة ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر، فقال أفعل، فحملته على ناقة لزوجها ناجية وزودته مرا ووطبا من لبن فركب فجد في السير وفنى اللبن فأتاهم والحي خلوف في غزو وميرة فنزل هم وقد يبس لسانه، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم وأومأ لهم إلى لسانه فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فأسخن وسقاه إياه فأبتل لسانه وقال لهم: أتيتكم أنا رسول هند إليكم تنذركم، فأجتمعت بنو نهد وأستعدت ووافتهم بنو عامر فلحقوهم على الخيل فأقتتلوا قتالا شديدا فأنهزمت بنو عامر. فقال عبد الله بن العجلان في ذلك:

أعاود عيني نصبها وغرورها ... أهم عناهم أم قذاها يعورها

أم الدأر أمست قد تعفت كأنها ... زيور يمان رقشته سطورها

ذكرت بها هند وأترابها الأولى ... بها يكذب الواشي ويعصي أميرها

فما معول تبكي لفقد أليفها ... إذا ذكرته لا يكف زفيرها

بأغزر مني عبرة إذ رأيتها ... بحث بها قبل الصباح بعيرها

ألم يأت هندا كيفما صنع قومها ... بني عامر إذ جاء يسعى نذيرها

فقالوا لنا إنا نحب لقاءكم ... وإنا نحيي أرضكم ونزورها

فقلنا إذا لا ننكل الدهر عنكم ... بضم القنا اللائي الدماء تميرها

فلا غزوان اخيل تنحط في القنا ... نمطر من تحت العوالي ذكورها

تأوه مما مسها من كريهه ... وتصفي الخدود والرماح تصورها

وأربابها صرعى ببرقة أخرت ... بجررهم ضبعانها ونسورها

فأبلغ أبا الحجاج عني رسالة ... مغلغلة لا يفلتنك بورها

فأنت منعت السلم يوم لقيتنا ... بكفيك تسدي غية وتثيرها

فذوقوا على ما كان من فرط إحنة ... خلائبنا إذ غاب عنا نصيرها

قال أبو عمرو:." (١)

"إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

أبو نواس أحسن رعاية حيث يقول:

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

ومثل الأول قول ذي الرمة:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين وصليك جازر

فإنه لولا هذا الشعر لما ذكر اسمه، ولا عرف رسمه، ولا فاز له قدح، ولا أشرق له صبح، ولكن سار بهذا الشعر صيته، وعلا صوته، وحي ذكره وإن تقادم موته، وقد كان الأجواد يتغايرون على بنات الأفكار كتغايرهم على البنات الأبكار.

كما حكي أن أبا دلف العجلي كان يساير أخاه فبصرت بهما امرأتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه علي بن جبلة الطوسي:

إنما الدنيا أبو دلف ... بين باديه ومحتضره

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٤٩

فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قالت: نعم فبكى أبو دلف، فقال أخوه: مم تبكي، قال: كوني لم أجاز عليا على شعره، قال: أولم تعطه مائة ألف درهم، قال: بلى ولكني والله نادم إذ لم أجعلها دنانير. أخذتها أنا فقلت:

إنما الدنيا ابن نصر ... ونداه والعطاء

فإذا ولى ابن نصر ... فعلى الدنيا العفاء

وقد كررهما ابن جبلة، فقال:

إنما الدنيا حميد ... وأياديه الجسام

فإذا ولى حميد ... فعلى الدنيا السلام

ووفد عليه أبو تمام ومدحه بقصيدته التي أولها:

على مثلها من أرسم وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

إذا افتخرت يوما هذيل بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى يقرنوا بها ... محاسن أقوام تكن كالمعايب

مناقب لجت في علو كأنما ... تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

فطرب لها وأحسن صلته، وقال: أنشدني قصيدتك الرائية التي **ترثي** بها محمد بن حميد فأنشده:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخرا لمن أمسى وليس له ذخر

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

هذا البيت مأخوذ من النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سرة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبق منهن كوكب

وأخذه النابغة من بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند:

تكاد تميد الأرض بالناس إن رأوا ... لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب

هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت ... على كل شمس والملوك كواكب

وقال نصيب:

هو البدر والناس الكواكب حوله ... وهل تشبه البدر المضيء الكواكب

ومثله لصفية الباهلية:

أخنى على واحدي ريب الزمان ولا ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

كنا كأنجم ليل بيننا قمر ... هو الدجى فهوى من بيننا القمر

نعود إلى خبر أبي دلف، قال: فبكى، وقال: والله وددت أنها في، فقال أبو تمام: بل يطيل الله عمر الأمير، فقال: فإنه لم يمت من قيل فيه مثل هذا الشعر.

فانظر إلى هذه الأنفس الكريمة التي ترغب في الذكر الجميل فتختار الحمام وتصبو إلى ابتناء المجد فتهجر في تحصيله الراحة والمنام.

ولو تصدى متصد لذكر هذا النمط فحسب، لملأ به بطون الدفاتر، واستنفد به أنفاس المحابر، وعطر الآفاق منه بما هو أضوع من أنفاس المجامر. وقد سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، الشعر وأنشد في مجلسه وأجاز عليه، وقصة كعب بن زهير وقصيدته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول." (١)

"أيام أحكم في الحبيب مخيرا ... فأبيت لا أرضى بطيف خيال

واليوم أقنع بالنسيم إذا سرى ... وأشيم ومض البارق المتعالي

قد كنت آمل منك عطفة راحم ... ترثي لفرط تذللي وسؤالي

فحصلت منك على الإياس وليته ... لم يتبعه مرارة الترحال

فلك الأمان دنوت أم بعد المدى ... وهجرت أو واصلت لست بسال

وقال أيضا:

لو رعى من أحبه حين سارا ... مهجا في يد الغرام أسارى

أيها السائق الركائب يحملن ... الشموس الحسان والأقمارا

قف قليلا فقد نفضت من المق ... لة نورا أو زدت في القلب نارا

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٢

وكنا جلوسا فعمل، رحمه الله تعالى:

يا نار أسود قلبي ... ونور أسود عيني

وقال أجز فقلت بديها:

كن راحما لمحب ... أباحك الأسودين

فوقع منه بموقع وحل من قلبه بموضع ونعود إلى أبياته:

رحلوا فالنهار ليل وقد أع ... هد ليلي بالقرب منهم نهارا

قد تقدمت أبيات مثل هذا.

لا تسمني صبرا فقد حكم البي ... ن بأني لا أملك الاصطبارا

كان يرجى السلو لو أنهم أب ... قوا علينا القلوب والأبصارا

حبذا ذلك الحمى وهو مأهو ... ل النواحي بآنسات عذارى

كل هيفاء تخجل البان أعطا ... فا وتحكي طرف المهاة احورارا

كلما أومضت بروق ثنايا ... هن أنشأن من جفوني قطارا

هذا معنى مستعمل كثير جدا، قال ابن الساعاتي:

وكذاك لا تبسم فثغرك بارق ... والدمع غيث ما أضاء له همى

وقال محيي الدين:

لله كم لخياله ... من نعمة عندي سنيه

وجلا محيا مشرقا ... كالشمس طلعته بهيه

وبياض ثغر واضح ... كالدر قبلته شهيه

صنم عكفت على محب ... ته عكوف الجاهليه

يبري سهاما من جفو ... ن حاجباه لها حنيه

ما أرسلت لحظاتها ... إلا وأثبتت الرميه

ملكت محاسنه القلو ... ب فما تركن بها بقيه

أخذ الأبيات من مهيار، وقد تقدمت أبياته، وقوله:

صنم عكفت على محبته

من المستعمل فمن ذلك قول الأبله البغدادي الشاعر:

ياله في الحسن من صنم ... كلنا في جاه ليته

ويحكى أن الخليفة الناصر، رحمه الله، سخط على مغنيته وشفع لها أحد مماليكه فرضى عنها فغنت هذه الأبيات فلما انتهت إلى هذا البيت قالت:

ياله في الحسن من صنم ... كلنا في جاه ليته

وقوله:

يبري سهاما

مستعمل، ومثله لابن الساعاتي:

فلا ذقتما ما ذقت ساعة فوقت ... سهام جفون عن قسي حواجب

وقوله:

ما أرسلت لحظاتها

مأخوذ من مهيار:

يا قاتل الله خلقت ... جوارحا فكيف عادت أسهما

لم يدر من أين أصيب قلبه ... وإنما الرامي درى كيف رمى

وقال، رحمه الله:

فداؤك قلب لا يقل ولوعه ... وجفن أبت إلا الدموع جفونه

حملت غراما منك لست أطيقه ... وأكثر واش فيك لست أطيعه

فداك قلب لا يقل في الهوى ولوعه

وجفن عين تستهل دائما دموعه

حملته ثقل اشتياق ليس يستطيعه

وأكثر الواشي ولكن فيك لا يطيعه

رعاك بما يرضيك من خالص الهوى ... فؤاد بأصناف الصدود نزوعه

وأعطاك أقصى غاية من حفاظه ... وأنت بنسيان العهود تضيعه

رعاك صب للغرام والأسى جميعه

طالب وصل لا يزال بالجفا نزوعه

يصون سر حبكم ودمعه يذيعه

ويحفظ العهد الذي بغدركم تضييعه

ضلال تمنيه الخيال وقد نأى ... عن الطرف لما أن نأيت هجوعه

ولو أن وصلا رام وصلا لصده ... توقد نار ضمنتها ضلوعه

نرجو خيالا من مسيء حسنه شفيعه

وهل يزور الطيف من فارقه هجوعه

ولو أراد سلوة يشفى بها موجوعه

ثنته نار لوعة تجنها ضلوعه

وقال:

لله قلب محبه كلف ... ومدمع من جفائه يكف

أحوى غرير الصبا منعمه ... مشتمل بالجمال ملتحف

من لي به كالهلال قابله ال ... سعد وكالغصن زانه الهيف

يخلف بدر الدجى وما عنه بال ... أقمار في حال تمها خلف." (١)

"لها خلق جزل ورأي ومنصب ... وخلق سوي في الحياة ومصدق

فرق له أبوه فأذن له في مراجعتها، فراجعها وقتل عنها، فقالت **ترثيه**:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جنبي أغبرا

في أبيات. ثم خلف عليها عمر بن الخطاب، فلم تزل عنده حتى قتل عنها فرثته بأبيات؛ ثم خلف عليها الزبير بن العوام، وكانت تخرج إلى المسجد ليلا وكان يكره مخرجها ويتحرج من منعها، فخرجت ليلة إلى المسجد وخرج الزبير فسبقها إلى مظلم من طريقها فوضع يده على بعض جسدها فرجعت تسبح، ثم لم تخرج بعد ذلك فقال لها الزبير: ما لك لا تخرجين إلى المسجد قالت: يا أبا عبد الله فسد الناس؛ فقال: أنا فعلت ذلك؛ فقالت: أليس يقدر غيرك يفعل مثله فلم تخرج حتى قتل عنها الزبير، فرثته بأبيات فقالت:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير مفدد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طراؤك يابن فقع القردد

---

(١) التذكرة الفخرية بهاء الدين الإربلي ص/٢٢

والله ربك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ويقال: إن عبد الله بن الزبير صالحها على ميراثها من الزبير على ثمانين ألفا فقبلتها؛ ثم خطبها علي بن أبي طالب، فقالت: إني أضن بك يابن عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن القتل، ويقال: خطبها عمرو بن العاص ومحمد بن أبي بكر فامتنعت عليهما.." (١)

"الصمصامة في جماعة من الجند، فناصبه أهل القيروان القتال. فتقدم إبراهيم بن أحمد إلى المصلى، فنزل وجلس وكف أصحابه عن قتاله. فلما اطمأن به مجلسه، وهدأ الناس، خرج إليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مغيث، فمان بينهما كلام كثير. ودخل أبو عبد الله بن أبي إسحاق الوزير مدينة القيروان مع أحمد بن مغيث فشق صماطها وسكن أهلها. فرجع إبراهيم بن أحمد إلى رقاده، وأطلق المحبوسين بالجامع. وانقطعت النقود والقطع من أفريقيا إلى اليوم، وضرب إبراهيم بن أحمد دينارا ودرهما وسماها العاشرية، في كل دينار منها عشرة دراهم.

وفيها، عزل عبد الله بن أحمد بن طالب بن سفيان عن قضاء أفريقيا وحبسهة، ثم أرسل إليه بطعام مسموم وأكله في الحبس، فمات من فوره في رجب، واستقضى إبراهيم بن أحمد محمد بن عبدون بن أبي ثور، وكان جده طحانا، وكان يكتب أسمه: محمد بن عبد الله الرعيني.

وفي سنة ٢٧٦ كان الجهاد بصقلية في غزوة سوادة بن محمد إلى طرمين، فحاصرها. وفيها حبس إبراهيم بن أحمد كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدي فكتب إليه من السجن (بسيط) :

هبني أسأت فأين العفو والكرم

إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما

ترثي لصب نهاه عبدك القلم

بالغت في السخط فأصفح صفحا مقتدرا

أن الملوك إذا ما استرحموا رحموا." (٢)

"يوم ذات الأثل

قال أبو عبيدة: ثم غزا صخر بن عمرو بن الشريد بنى أسد بن خزيمة فاكتسح إبلهم، فأتى الصريخ بنى

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة الطبري، محب الدين ٣٤٠/٤

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ١٢١/١

أسد، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل، فاقتتلوا قتالا شديدا، فطعن ربيعة الأسدى صخرا فى جنبه وفات القوم بالغنيمة، ومرض صخر من الطعنة قريبا من الحول حتى مله أهله، فسمع امرأة من جاراته تسأل سلمى امرأته: كيف بعلك؟ قالت: لا حى فيرجى، ولا ميت فينسى، لقد لقينا منه الأمرين! وكانت أمه إذا سئلت عنه تقول: أرجو له العافية إن شاء الله! فقال فى ذلك:

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى

فأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى أذى وهوان

وما كنت أخشى أن أكون جنازة «١» ... عليك ومن يغتر بالحدثان

لعمرى لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

قال: فلما طال عليه البلاء- وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد فى موضع الطعنة- قالوا له: لو قطعتها لرجونا أن تبرأ، فقال شأنكم! فقطعوها فمات، فقالت أخته الخنساء **ترثيه**:

وقائلة والنعش قد فات خطوها ... لتدركه يا لهف نفسى على صخر!

ألا ثكلت أم الذين غدوا به ... إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر!." (١)

"فإنك ممن زين الله وجهه ... وليس لوجه زانه الله شائن

فلما مات عبد الله صارت عاتكة **ترثية** بهذه الأبيات:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبى بكر وما كان قصرا

فآليت لا تنفك عينى حزينة ... عليك، ولا ينفك جلدى أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجت بعده زيد بن الخطاب، على اختلاف فى ذلك؛ فقتل عنها يوم اليمامة شهيدا، فتزوجها عمر بن الخطاب فى سنة اثنتى عشرة، فأولم عليها، ودعا عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم على بن أبى طالب؛ فقال له: دعنى أكلم عاتكة: قال: نعم، فأخذ بجانب الحذر. ثم قال: يا عدية نفسها، أين قولك:

فآليت لا تنفك عينى حزينة ... عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٣٦٨

فبكت. فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟! كل النساء يفعلن هذا، ثم قتل عنها عمر، فقالت تبكيه:

عين جودى بعبرة ونحيب ... لا تملى على الجواد النجيب

فجعتنى المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتثويب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت أيضا ترثيه بهذه الأبيات:

منع الرقاد فعاد عينى عائد ... مما تضمن قلبى المعمود." (١)

"يا ليلة حبست على نجومها ... فسهرتها والشامتون رقود

قد كان يسهرنى حذارك مرة ... فاليوم حق لعينى التسهيد

أبكى أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد

ثم تزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها؛ فقالت ترثيه بهذه الأبيات:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدتة ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا بن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... فيما مضى ممن يروح ويغتدى

والله ربك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد انقضاء عدتها، فأرسلت إليه. إنى لأضن بك يا بن عم رسول الله عن القتل! وإنما ذكرنا ما ذكرنا من خبر عاتكة فى هذا الموضع على سبيل الاستطراد؛ فالشىء بالشىء يذكر، فلنذكر عبد الرحمن ابن أبى بكر.

وأما عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه؛ فهو أسن ولد أبى بكر، وكان يكنى أبا عبد الله. وقيل: أبا محمد، بابنه محمد الذى يقال له: أبو عتيق، والد عبد الله بن أبى عتيق، وأدرك أبو عتيق محمد بن عبد الرحمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبوه وجده، وجد أبيه؛ أربعتهم، أجمعوا على أن هذه المنقبة ليست." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٨/١٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٣٩/١٩

"وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموت واقف ... بأسيافنا دون ابن أروى نضارب

وكنا غداة الروع فى الدار نصرة ... نشافههم بالضرب والموت ثاقب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون، فقال: هذا يوم طاب فيه الضرب، ونادى: يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار

[١] .

وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله، فقال: يا قوم، لا تسلوا سيف الله فيكم، فو الله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف، ويلكم! مدينتكم محفوفة بالملائكة، فإن قتلتموه ليتركنها.

فقالوا: يابن اليهودية، ما أنت وهذا! فرجع عنهم.

قال: ثم اقتحموا على عثمان داره، من دار عمرو بن حزم حتى ملئوها ولم يشعر من بالباب منهم، ففى ذلك يقول الأحوص يهجو آل حزم.

لا ترثين لحزمى رأيت به ... ضرا ولو طرح الحزمى فى النار [٢]

الباخسين لمروان بذى خشب ... والمدخلين على عثمان فى الدار

قال: ولما صاروا فى الدار ندبوا رجلا ليقتله، فدخل عليه فقال: اخلعها ونتركك. قال: لست خالعا قميصا كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاوة، فخرج

---

[١] سورة غافر ٤١.

[٢] ديوانه ١٣٢، وروايته: «لا تأوين» .." (١)

"غير الجبن. فانصرف عنه ابن جرموز وهو يقول: «والهفى على ابن صفية! أضرمها نارا ثم أراد أن يلحق بأهله! قتلنى الله إن لم أقتله!» ثم رجع إليه كالمتنصح، فقال: «يا أبا عبد الله دون أهلك فياف، فخذ نجيبى [١] هذا وخل فرسك ودرعك، فإنهما شاهدان عليك بما نكره» . وأراد بذلك أن يلقاه حاسرا [٢] ، ولم يزل به حتى تركهما عنده وأخذ نجيبه، وسار معه ابن جرموز كالمشيع له، حتى انتهيا إلى وادى السباع [٣] ، فاستغفله [٤] ابن جرموز وطعنه. وقيل: إنه اتبعه إلى الوادى فقتله وهو فى الصلاة. وقيل: بل

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩/٤٩٦

قتله وهو نائم.

وفى ذلك تقول عاتكة [٥] بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية زوجته **ترثيه** [٦] :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد [٧]

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان [٨] ولا اليد

---

[١] النجيب من الإبل: القوى السريع.

[٢] حاسر: لا درع عليه ولا وقاية.

[٣] وادى السباع: على أربعة فراسخ من البصرة، كما فى خزانة الأدب ج ٤ ص ٣٥٠ وانظر معجم البلدان.

[٤] فى خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٥٨: «وأراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته، فقتله غيلة» .

[٥] عاتكة من المهاجرات، حسناء بارعة الجمال، تزوجت مرات وقتل أزواجها ورثتهم بشعرها، وسيذكر المؤلف فى هذا الجزء ترجمة أخيها: سعيد بن زيد.

[٦] انظر هذا الرثاء فى الأغانى ج ٦، ص ١٢٦ وذيل أمالى القالى ص ١١٢ والموشى ص ٨٠ والاستيعاب ج ٤ ص ٣٦٤ وابن عساكر ج ٥ ص ٣٦٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠٤.

[٧] يقال للجيش «بهمة» ، ومنه قولهم «فلان فارس بهمة» والمعرد: الهارب

[٨] الجنان: القلب.." (١)

"- وهذا الشعر لمراد جارية على بن هشام **ترثيه**- فقال: اعدلى عن هذا الصوت؛ فغنيت:

ذهبت عن الدنيا وقد ذهبت عنى

فدمعت عيناه وقال: غنى غير هذا؛ فغنيت:

أولئك قومى بعد عز وثروة [١] ... تفانوا فإلا تذرف العين أكمد

فبكى بكاء شديدا، ثم قال: ويحك! لا تغنى فى هذا المعنى شيئا. فغنيته:

لا تأمن الموت فى حل وفى حرم ... إن المنايا بجنبى [٢] كل إنسان

واسلك طريقك هونا غير مكترث ... فسوف يأتيك ما يمنى لك المانى

فقال: والله إنى لأعلم أنك إنما أردت بما غنيت ما فى قلبك لصاحبك [وأنك] لم تريدينى، ولو أعلم أنك تريديننى لقتلتك، ولكن خذوها! فأخذوا بيدى فأخرجت.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٩٢/٢٠

وهذه متيم هى التى كان يهواها عبد الصمد بن المعذل، وأظن ذلك قبل اتصالها بعلى بن هشام، وهى إذ ذاك عند رجل من وجوه البصرة.

قال: وكانت لا تخرج إلا متنقبة. فحكى المبرد وغيره: أنها قدمت يوما إلى ابن عبيد الله بن الحسين العنبرى القاضى، فآحتاج إلى أن يشهد عليها، فأمر بها أن تسفر ففعلت. فقيل لعبد الصمد: لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئا عجيبا! فقال:

ولما سرت عنها القناع متيم ... تروح منها العنبرى متيما

رأى ابن عبيد الله وهو محكم ... عليها لها طرفا عليه محكما

---

[١] فى الأغانى: «ومنعة» .

[٢] فى الأغانى: «تغشى» .." (١)

"..

والشاهد في البيت كثرة الإضافات مع حسنها، وهو الشاهد في البيت السابق.

شواهد للإخلال بالفصاحة:

قال تأبط شرا:

يظل بموماة ويمسي بغيرها ... جحيشا ويعرورى ظهور المسالك

وقال حسان يرثي:

ولو أن مجدا أخدل الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجد ه الدهر مطعما

وقال المتنبي:

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راق

وقال الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار

وقال أبو تمام:

قد قلت لما أطلخم الأمر وانبعث ... عشواء تالية غبسا دهاريسا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥/٦٨

لي حرمة بك أضحى حق نازلها ... وقفا عليك، فدتك النفس، محبوسا

وللمتنبي:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

وقال:

أقل، أنل، اقطع، احمل سل، أعد ... زد، هش، بش، تفضل، سر أدن، صل

وقال الشاعر:

فأصبحت بعد خط ب ہ جتها ... كأن قفرا رسومها قلما

وللمتنبي:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجهل علمي أنه بي جاهل

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيس كلهن قلاقل

وقال الحريري:

غازور من كان له زائر ... وعاف عافى العرف عرفانه

ولبشر بن عوانة أو للبديع في وصف الأسد:

فخر مضرجا بدم كأني ... هدمت به بناء مشمخرا

وقال المتنبي:

فلا يبرم الأمر الذي هو حالل ... ولا يحلل الأمر الذي هو مبرم

وقال المتنبي:

أنى يكون أبا البرايا آدم ... وأبوك والثقلان أنت محمد

قال امرؤ القيس في وصف الفرس:

وأركب في الروع خيفانة ... كسا وجهها سعف منتشر

وقال أبو تمام:

جذبت نداء غدوة السبت جذبة ... فخر صريعا بين أيدي القصائد." (١)

"٤ الإيغال ١:

وإما بالإيغال، واختلف في معناه:

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٣٩/١

١- فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة٢ في قول الخنساء:

وأن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار٣

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في راسه نارا وقول ذي الرمة:

---

١ راجع الكلام على الإيغال في ص١٠٠ نقد الشعر، ٣٧٢ صناعتين و٢٩٦ المثل السائر، ٤٣٢ من الصناعتين أيضا.

٢ أي في التشبيه.

٣ العلم: الجبل. رأسه، قمته والضمير في الرأس يعود للجبل. تأتم: تقتدي وتتبع. الهداة: الذين يهدون الناس جمع هاد. وراجع الكلام على البيت في: ٦٩ جـ٤ زهر الآداب، ٨٤ رسالة الغفران، ٤٤ و٢٨٠ جـ٣ الكامل للمبرد، ١٠٨ و٣٨٢ صناعتين والبيت من قصيدة ترثي بها الخنساء أخاها صخرا.

والشاهد في البيت قولها: "في رأسه تنار" فإنها زيادة للإيغال، وجيء بهذه الزيادة لغرض المبالغة في التشبيه فإن قوله "كأنه" علم واف بالمقصود أعني التشبيه بما يهتدى به وهو الجبل إلا أن قولها "في رأسه نار" زيادة مبالغة.

ملاحظة:

الإيغال: من أوغل في البلاد إذا أبعد فيها وسمي المعنى الاصطلاحي إيغالا؛ لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى.

والذي يقع إيغالا في آخر البيت يكون جملة أو مفردا، والنكتة في الإيغال يتم أصل المعني بدونها، والنكتة لا تختص بما يتم المعنى بدونه بل يجوز أن يتوقف عليها كما يتوقف أحيانا على بعض الفضلات.

وهي: -أي النكتة- أما المبالغة في التشبيه بأن يؤتى بشيء يفيد كون المشبه به غاية في كمال وجه الشبه الكائن فيه فينجز ذلك الكمال إلى المشبه الممدوح بوجه الشبه، وإما تحقيق التشبيه وسيأتي.." (١)

"الحجة فأقام بالمدينة حتى بعث إلى مؤتة في جمادي من سنة ثمان.

وقال الزبير بن بكار: كانت سنه يوم قتل إحدى وأربعين سنة.

وقال إسماعيل بن بهرام: حدثنا علي بن عبد الله من ولد جعفر الطيار أن جعفر الطيار عمر ثلاثا وثلاثين

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ، جلال الدين ٢٠٢/٣

سنة.

وقال يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي النسابة: حدثنا داود وهو ابن القاسم، قال: حدثني غير واحد عن جعفر بن محمد، قال: قتل جعفر وهو ابن خمس وعشرين سنة، قال داود: وبلغني عن غير جعفر بن محمد، أنه قتل وهو ابن ثلاثين سنة، قال داود: وحديث جعفر أصحهما عندنا.

قال يحيى بن الحسن، وقالت أسماء بنت عميس ترثي جعفر بن أبي طالب:

يا جعفر الطيار خير مصرف ﷺ للخيل يوم تطاعن وشياح (١)

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ﷺ فتركتني أمشي بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ﷺ أمشي البراز وأنت كنت جناحي

وإذا دعت قمرية شجنا لها ﷺ يوما على فنن بكيت صباحي

فاليوم أخشع للذليل وأتقي ﷺ منه و أدفع ظالمي بالراح

---

(١) جاء في حواشي النسخ من تعليق المؤلف: الشياح: الحذر".." [1]

"التميميان ثم السعديان، وكان الذي ولي قتله عمرو بن جرموز، ورفده فضالة بن حابس، والنعر.

قال: وقال أحد الشعراء يمدح أل الزبير:

ألم تر أبناء الزبير تحالفوا على ﷺ المجد ما صامت قريش وصلت

قريش غياث في السنين وأنتم ﷺ غياث قريش حيث سارت وحلت

قال الزبير: وقالت عاتكة (١) بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي الزبير بن العوام:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ﷺ يوم اللقاء وكان غير معرد (٢)

يا عمرو لو نبهته لوجدته ﷺ لا طائشا رعش السنان (٣) ولا اليد

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ﷺ حلت عليك عقوبة المتعمد (٤)

إن الزبير لذو بلاء صادق ﷺ سمح سجيته كريم المشهد

---

(١) كانت عاتكة زوجة الزبير.

(٢) البهمة: الشجاع. وعلق المؤلف في الحاشية بقوله: التعريد: الهرب.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٥/٦٣

(٣) في طبقات ابن سعد: الجنان"، وفي سير أعلام النبلاء: البنان.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) (النساء: ٩٣) .." (١)

"أبلغ فى الإعذار من تقدم بالإنذار، فالإعذار والإنذار مختلفان لفظا متماثلان فى الزنة، ومن كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه فى ذلك قوله: «حتى إذا انصرمت الأمور، ونقصت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور» ، وقوله:

«رعيلا صموتا قياما صفوفا» ، وقوله: «واحمر العرق، وعظم الشفق» ، فهذه الألفاظ متماثلة فى الأوزان مختلفة فى الألفاظ، وقوله: «وبادر من وجل، وأكمش فى مهل، ورغب فى طلب، فكفى بالله منتقما ونصيرا، وكفى بالقرآن حجيجا وخصيما» ، وقوله:

«وحذركم عدوا نفذ فى الصدور خفيا ونعب فى الآذان نجيا، إلى غير ذلك من الأمثلة الواردة فى كلامه على التقرير الذى ذكرناه، ومن الأمثال المنظومة قول أبى تمام «١» :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

فقوله أوانس وذوابل من الموازنة اللفظية، لأن أوزانهما متماثلة على فواعل، ومن هذا قول البحترى «٢» :

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا ... وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

فالمهرب والمطمع متماثلان فى الزنة، ومن ذلك ما قاله بعض الشعراء:

بأشدهم بأسا على أعدائه ... وأعزهم فقدا على الأصحاب

فقوله بأشدهم وأعزهم وقوله بأسا وفقدا متماثلان فى الأوزان ومن ذلك ما قالته الخنساء فى أخيها صخر ترثيه «٣» :

حامى الحقيقة محمود الخليقة ... ميمون الطريقة نفاع وضرار

جواب قاصية جزاز ناصية ... عقاد ألوية للخيل جرار

فقولها محمود، وميمون، من الموازنة وقولها نفاع وضرار، وجواب وجزاز وعقاد، من الموازنة أيضا، ولنكتف بهذا القدر فى الموازنة ففيه كفاية.." (٢)

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٣٢٧/٩

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤيد العلوي ٢٣/٣

"فقلت: هذه كانت صلة مني للمولود. وهي لك لأنك ترثينه، فاعملي بها ما تريدين [١] .

٢٥٧- أحمد بن موسى بن يزيد [٢] .

أبو جعفر الشطوي المقرئ البزار.

عن: زكريا بن عدي، ومحمد بن سماعة.

وعنه: عبد الرحمن بن أبي حاتم [٣] ، ومحمد بن أحمد بن محرم، وغيرهما.

وهو صدوق [٤] .

توفي سنة سبع وسبعين بسامراء [٥] .

٢٥٨- أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى [٦] .

أبو جعفر البغدادي الحنفي الفقيه. أحمد المشاهير.

نزل مصر، وحدث بها عن: عاصم بن علي، ومحمد بن عبد الله بن صاعد، وسعيد بن سليمان سعدويه، وطائفة.

وعليه تفقه: أبو جعفر الطحاوي، وكان قد قدم مصر على قضائها.

وذهب بصره بآخرة. وكان أحد الموصوفين بالحفظ. روى حديثا كثيرا من حفظه.

---

[١] قال ابن أبي حاتم: «كتبنا عنه وكان صدوقا. قال أبو محمد: هو الذي روى عن أبي عبيد كتاب (غريب الحديث) » . (الجرح والتعديل) .

[٢] انظر عن (أحمد بن موسى الشطوي) في:

الجرح والتعديل ٢/ ٧٥ رقم ١٥٥، وتاريخ بغداد ٥/ ١٤١ رقم ٢٥٧٣.

[٣] فقال: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق.

[٤] وثقه الدار الدارقطني.

[٥] تاريخ بغداد ٥/ ١٤١ وقال ابن المنادي: «وكان صالحا مقبولا عند الحكام ومن أهل القرآن والحديث» .

[٦] انظر عن (أحمد بن أبي عمران) في:

تاريخ بغداد ٥/ ١٤١، ١٤٢ رقم ٢٥٧٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٠، والمنتظم ٥/ ١٤٦ رقم ٢٧٧،

والكامل في التاريخ ٧/ ٤٦٥، والعبر ٢/ ٦٣، ودول الإسلام ١/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٤، ٣٣٥ رقم ١٥٣، والبداية والنهاية ١١/ ٦٩، وشذرات الذهب ٢/ ١٧٥.." (١)

"بعد قليل، فغرق نفسه، فأخرج من الماء وقطع رأسه وحمل إلى السلطان.

- حرف الحاء-

٧٦- الحسن بن أحمد بن محمد [١] .

الواعظ أبو علي الأنصاري، الصوفي، الملقب بالبركان [٢] .

سمع: رزق الله التميمي، والنعالي.

وعنه: السمعاني، وابن سكينة، وجماعة.

مات في شوال [٣] .

٧٧- الحسن بن علي بن الحسن بن عبيد الله [٤] .

أبو محمد العلويي [٥] ، الحسيني، البلخي، الرئيس.

أحد الكبار المذكورين بالسخاء والجود، ومحبة العلماء.

كانت داره مجمع الفضلاء.

سمع: أبا علي الوحشي، وغيره.

وحدث «بسنن أبي داود» .

روى عنه: محمد بن علي بن ياسر الحنائي.

---

[١] انظر عن (الحسن بن أحمد) في: البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٣٥.

[٢] في الأصل: «الملقب أبا البر» ، وما أثبتناه عن (عيون التواريخ) حيث جود ضبطه: «بضم الباء الموحدة وسكون الراء وبعدها كاف وبعد الألف نون» .

[٣] ومن شعره:

سأصبر جهدي ما استطعت ولا أبدي ... فما قصدهم قصدي ولا وجدهم وجدي

وأكتم حبا قد تقادم عهده ... لعلي أنال القرب من دونهم وحدي

وقال:

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٠/٢٨٥

إن النجوم لترثي لي وترحمني ... فيما أبيت أقاسيه من السهر

أبيت في وصله من هجره وجلا ... أذري الدموع على خدي كالمطر

(عيون التواريخ)

[٤] لم أجده، بل وجدت «علي بن الحسن العلويي» ويحتمل أنه أباه. انظر: المنتخب من السياق ٣٩٠ رقم ١٣١٩، والأنساب ٩/ ٤٢، ٤٣.

[٥] في الأصل: «العلوي» ، ومثله في (المنتخب) ، والتصويب من (الأنساب) وفيه: «العلويي: بفتح العين المهملة، وضم اللام المشددة، وسكون الواو، وفي آخرها ياء تحتها نقطتان. هذه النسبة إلى «علويه» ، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، والمشهور بهذه النسبة جماعة من أهل نيسابور وأبيورد.." (١)

"وأيضا فلم يطلب الفن إلا وهو ابن أربعين سنة. فالله يعوضه بالمغفرة.

ذكره الشريف فقال: كان حريصا على التحصيل، صابرا على كلف الاستفادة. حدث، وسمعت منه. وكان من أهل الدين والصلاح والخير والعفاف. وله فهم ومعرفة، وفيه تيقظ ونباهة وخرج لنفسه «معجما» عن مشايخه الذين سمع منهم. ووقف كتبه وأجزاءه. وكان حسن الطريقة مشغولا.

وكوفن: بلدة قريبة من أبيورد.

وتوفي في حادي عشر جمادى الأولى [١] بالقاهرة.

قلت: وله شعر يسير.

روى عنه: أبو محمد الدمياطي بيتين، وقال: توفي بخان سعيد السعداء.

٢٥١- محمد بن محمد [٢] بن علي ابن العربي.

عماد الدين، ولد الشيخ محيي الدين.

توفي في ربيع الأول بدمشق.

وقد حدث عن ابن الزبيدي [٣] .

٢٥٢- محمد بن أبي الفتوح [٤] نصر بن غازي بن هلال.

أبو الفضائل الأنصاري، المصري، المقرئ، المحدث، الجريري [٥] .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٧٦/٣٦

[١] في شذرات الذهب وفاته سنة ٦٦٦ هـ.

[٢] انظر عن (محمد بن محمد) في: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢٨، والمقتفي للبرزالي ١/ ورقة ١٢ ب، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٩١، والوافي ١/ ١٩٣ رقم ١١٨، والمقفى الكبير ٧/ ١٢٢ رقم ٣٢١١.

[٣] وقال ابن شاكر الكتبي: كان فاضلا سمع الحديث ... وقد نيف على الخمسين من العمر، ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين:

ما للنوى رقة ترثي لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

قد أصبحت حلبا ذات العماد بكم ... وجلق إرما هذا من العجب

[٤] انظر عن (محمد بن أبي الفتوح) في: عقد الجمان (٢) ٥٤، والمقفى الكبير ٧/ ٣٣٧، ٣٣٨ رقم ٣٤٣١.

[٥] في المقفى: «الحريري» بالحاء المهملة.." (١)

"وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذو زور وبهتان

فلا تغرنك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلواني ألطف من هذا قول القائل:

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا ترثي لصب متيم

ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم ومن شعره أيضا:

ماذا على الغصن (١) الميال لو عطفا ... ومال عن طرق الهجران وانحرفا

وعاد لي (٢) عائد منه إلى صلة ... حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى

صفا له القلب حتى لا يمازجه ... شيء سواه وأما قلبه فصفا

وزارني طيفه وهنا ليؤنسني ... فاستصحب النوم من جفني وانصرفا

ورمت من خصره برءا فزدت ضنى ... وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا

حكى الدجى شعره طولا فحاكمه (٣) ... فضاع بينهما عمري وما انتصفا ٢٦ (٤)

ابن الدبيثي

أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد الدبيثي، أبو العباس البيع، من أهل واسط، من أعيانهم حشمة وتمولا، وهو ابن عم الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٢٤٩/٤٩

(١) المنهل: غصنه.

(٢) المنهل: وعائدي.

(٣) المنهل: فخاصمه.

(٤) الزركشي ١: ٢٦ وعقود الجمان ١: ١٥٨ والوافي ٦: ٢٨٣؛ وقد أخلت المطبوعة بكثير مما جاء في هذه الترجمة.." (١)

"٨٩ - (١)

توبة ابن الحمير

توبة بن الحمير الخفاجي، أحد المتيمين، صاحب ليلى الأخيلية ويأتي ذكرها في حرف اللام إن شاء الله تعالى؛ كان يهوى ليلى فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه، وزوجها في بني الأولغ فكان يكثر زيارتها، فشكوه إلى قومه فلم يقلع فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم، فعلمت بذلك ليلى، ثم إن قومها كمنوا له في الموضع الذي يلقاها فيه، فلما جاء خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه، فما رآها سافرة فظن لما أرادت فركض فرسه ونجا، وقال قصيدته التي منها:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها ثم إن توبة قتلته بنو (٢) عوف بن عقيل في حدود الثمانين من الهجرة، رحمه الله تعالى، فقالت ليلى ترثيه:

نظرت ودوني من عماية (٣) منكب ... وبطن الركاء أي (٤) نظرة ناظر منها:

وتوبة أحيى من وفاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر

(١) الأغاني ١٠: ٦٣، ٤: ٩٢١ والشعر والشعراء: ٣٥٦ وأمالي القالي ١: ٨٦ والسمط: ١١٩ والخزانة ٣: ٣١ والعيني ١: ٥٦٩، ٢: ٤٧، ٤: ٥٣ والمؤتلف: ٦٨، ٩٣ وأسماء المغتالين: ٢٥٠ والمحاسن والأضداد: ١٢٥.

(٢) ص: بني.

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٦٢/١

(٣) ص: غمامة.

(٤) ص: وبطن الردى من أي.." (١)

"ومن شعره في الشبابة:

وناطقة بأفواه ثمان ... تميل بعقل ذي (١) اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار ... يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه ... سوى من كان ذا طبع لطيف

فضيحة عاشق ونديم راع ... وعزة موكب ومدام صوفي وقال:

جاءت تهز اختيالا ... قد القضيب المنعم

تجر إثر خطاها ... أذيال مرط مسهم

قد أنجد الردف والخص ... ر غار لطفا وأتهم

يا ويح خصر شقي ... من جور ردف منعم

وبات بدري بصدري ... حتى إذا الصبح أنجم

ودعته وهو يبكي ... ويمزج الدمع بالدم

في موقف لو ترانا ... لكنت ترثي وترحم ٢٩٣ (٢)

أبو بكر الجرجاني

عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني النحوي المشهور؛ أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن علي الفارسي، وكان من كبار أئمة العربية،

---

(١) ص ر: ذا.

(٢) طبقات السبكي ٣: ٢٤٢ والأسنوي ٢: ٤٩١ والنجوم الزاهرة ٥: ١٠٨ ونزهة الألباء: ٢٤٨ وانباه الرواة ٢: ١٨٨ وبغية الوعاة: ٣١٠ والشذرات ٣: ٣٤٠ ومرآة الجنان ٣: ١٠١ والبلغة: ١٢٦ والزركشي: ١٩٧.." (٢)

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١/٢٥٩

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢/٣٦٩

"فوا كبدا أمست رفاتا كأنما ... يلذعها بالموقدات لهيب

عشية لا عفراء منك قريبة ... فتسلو ولا السلوان منك قريب

فوالله ما أنساك ما هبت الصبا ... وما أعقبتها في الرياح جنوب

عشية لا خلفي مكر ولا الهوى ... أمامي ولا يهوى هواي غريب

وإني لتغشاني لذكراك فترة ... كأن لها بين الضلوع دبيب قال الأخباريون: ومات في سفرته تلك قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال، وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعا شديدا، وقالت **ترثيه**:

ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... أحقا نعيتم عروة بن حزام

فلا يهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام

وقل للحبالى لا يرجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام (١) ولم تزل تنشد الأشعار وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل.

وعن أبي صالح قال: كنت مع ابن عباس يعرفه، فأتاه فتيان يحملون فتى لم يبق إلا خياله، فقالوا: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى له، قال: وما به؟ فقال الفتى (٢) :

بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة معول ... على ما به عود هناك صليب قال: ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات، فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى في عيشته إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى، قال: وسألت عنه فقيل لي: هذا عروة بن حزام.

---

(١)

روايته في الديوان: ٣٧ – ٣٨: فلا وضعت أنثى تماما بمثله ... ولا فرحت من بعده بغلام وقد سقط البيت من المطبوعة. (٢) الديوان: ٣١.." (١)

"ما زاغ عن نهج الصواب مشبه ... منك الجبين بشمعة في المجلس

أنسيت ليلتنا وقد أخذ السكري ... بزمام هاتيك العيون النعس

إذ قلت أين الراح قلت مغالطا ... يغنيك عنها رشف ثغري الألعس

فضممت منك إلي عصنا لم يكن ... دون الغلائل بالحمائل مكتسي

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤٤٩/٢

يا حسنها من ليلة ما شانها ... إلا تبلج صبحها المتنفس

فوقت للرقباء فيها أسهما ... من مقلتيك لها حواجبك القسي

" ما كنت أطمع قبلها في مثلها ... فأعدتني من مثلها لم أيأس " (١) وقال رحمه الله تعالى:

تولهي بك شيء عنك غير خفي ... فراقب الله في الهجران لي وخف

واعدل عن الظلم واعدل في النفوس ولا ... تجر على المستهام المغرم الدنف

يا رائشا أسهما من لحظ ناظره ... فوق فغير فؤادي ليس من هدف

سبحان معطيك خصرا غير مختصر ... لي في العذاب وعطفا غير منعطف

إذا شكوت لترثي لي وترحم ما ... تراه من جسمي المضنى ومن كلفي

يردني آيسا من ذاك عارضك ال ... لامي و المنثني من قدك الألفي

أحبابنا بنواحي الغوطتين سقى ... ربوعكم وابل من أدمعي الذرف

قد كنت قبل النوى أشكو الصدود فوا ... لهفي على الصد يومي ذا ويا أسفي

ملاعب كم بها من شادن غنج ... حلو الشمائل معسول اللمى ترف

محجب بالتجني والدلال رخي؟ ... م اللفظ أحور مطبوع على صلف

بخده كل ما بالورد من ضرج ... وقده كل ما بالبان من هيف وقال أيضا:

---

(١) لم يرد في ص، وهو ثابت في المطبوعة والزركشي.." (١)

"قد أتاني الله بالفرج ... إذ دنا مني أبو الفرج

قمر قد حل بالمهج ... كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي ... ظنه من حره شررا

نصب العينين لي شركا ... فانثنى والقلب قد ملكا

أنت جيت من أرض اندلس ... نحو مصر تعشق القمرا؟ والموشحة التي لشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني في هذا الوزن وهي:

قمر يجلو دجى الغلس ... بهر الأبصار مذ ظهرا

آمن من شبهة الكلف ... ذبت في حبيه بالكلف

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤/٦٥

لم يزل يسعى إلى تلف ... بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس ... نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا ... كيف لا **ترثي** لمن بليا

فبثغر منك قد جليا ... قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس ... جد فما أبقيت مصطبرا

بدر تم في الجمال سني ... ولهذا لقبوه سني

قد سباني لذة الوسن ... بمحيا باهر حسن

هو خشفي وهو مفترسي ... فارو عن أعجوبتي خبرا

لك خد يا أبا الفرج ... زين بالتوريد والضرج

وحديث عاطر ال أرج ... كم سبى قلبا بلا حرج

لو رآك الغصن لم يمس ... أو رآك البدر لاستترا." (١)

"فيا لها ليلة قضيتها عجبا ... الشمس مغتبقي والبدر معتنقي وكتب إليه علاء الدين ابن غانم من حصن صهيون:

إليك شهاب الدين نشكو متاعبا ... فأنت الذي ما زلت **ترثي** لمن شكا

إلى الله نشكو حصن صهيون إننا ... إلى الرفق فيها لم نجد قط مسلكا

لتغييره وجه الوجود مقطب ... عليه وعين الشمس زالت من البكا

أصم صراخ الرعد فيه مسامع ال ... برايا وستر البرق وجدا تهتكا فأجابه شهاب الدين رحمهما الله تعالى:

ألم يكفني شوق إليه وأدمع ... عليه إذا ما جادت الغيث أمسكا

وأني مذ فارقت - لا ذقت بعده - ... محياه لم أصحب حميما سوى البكا

إلى أن شكا حالا غدوت لحملها ... أكابد من همي به فوق ما شكا

وحرك أشجاني على أن في الحشا ... لها باعثا (١) من نفسها ومحركا

فيا نازحا أودى بقلبي ولم يزل ... بإخلاصه في حبه متمسكا

وحقك لو عاينت ما في جوانحي ... لساءك أو ما في ضميري لسركا

جوى لو غدا في حصن صهيون بعضه ... تزلزل أو أخني عليه تدكدكا

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤/٧٧

وتوحيد وجد لو تقسم لم تجد ... على الأرض في دين المودة مشركا

فصبرا، على أني وقد غبت رمته ... فلم ألق نحو الصبر بعدك مسلكا

فهل هو إلا البرق أومض موهنا ... لديك ليحكي نار وجدي فما حكى

أو القطر يهمي وهو مذ شطت النوى ... رأى عبرتي تجري فمثلها لكا

أو الشمس أخفت وجهها عنك كي ترى ... وقد غبت عني وحشة الأفق بعدكا

عساك ترى الرأي الموفق بعدها ... فإن الذي أغراك من قبل غركا وكتب إلى الشيخ علاء الدين ابن غانم:

---

(١) ص: باعث.." (١)

"أتى العذار بماذا أنت معتذر ... وأنت كالوجد لا تبقي ولا تذر

لا عذر يقبل إن تم العذار ولا ... ينجيك من خوفه بأس ولا حذر

كأنني بوحوش الشعر قد أنست ... بوجنتيك وبالعشاق قد نفروا

ومن شعر أبو جلنك أيضا:

جعلتك المقصد الأسنى وموطنك ال ... بيت المقدس من روحي وجثماني

وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأحزاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك، ذو زور وبهتان

فلا يغرنك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلوان

قلت: ألطف من هذا وأحضر وأجمع، قول القال:

يا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا **ترثي** لصب متيم

ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم

وأنشدني العلامة أبو حيان، قال: أنشدنا علاء الدين علي بن سيف الدين تنكز، قال: أنشدنا أبو جلنك لنفسه:

ماذا على الغصن الميال لو عطفا ... ومال عن طريق الهجران وانحرفا." (٢)

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٩٤/٤

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ١٩٣/١

"أوحشت مصرا فادلهم ربعها ... شوقا إلى ذلك المحيا الزاهر
أفضت من فضائلها فضائلا ... من بحر علم قد حويت زاخر
نثر إذا نظرته كأنه المنثور لاح وسط روض ناضر
ونظم شعر راق في تأليفه ... فأخجل العقود في الجواهر
وحسن خط قد جعلت طرسه ... مدبجا كالروض بالأزاهر
يا فخر دهر أنت من كتابه ... تخجل كل ناظم وناشر
وعز ملك كنت في ديوانه ... تنشئ ما يلعب بالضمائر
إذا ترسلت إلى أعدائه ... أغنيته عن الحسام الباتر
يا فاضلا أخنى عليه دهره ... لا تخضعن لنكبة في الظاهر
فاصبر ولا تقلق لأهوال الردى ... فإن ثبت نلت أجر الصابر
أرجو لك العود لمصر سرعة ... مظفرا كما يظن خاطري
فكتبت أنا الجواب إليه، رحمه اللهتعالى:
يا برق هل ترثي لصب ساهر ... وهل ترى لكسره من جابر
وهل لما قد نابه من راحم ... أو لم يكن فهل له من عاذر
أبيت لا أنيس لي إلا الذي ... يدور من شكواي في ضمائري
أخرجني كالسهم من كنانة ... حكم زمان في القضاء جائر
وابتزني صبري وما أرى الورى ... على الذي قد نالني من صابر
فأضلعي تحنى على جمر الفضى ... وما الشرار غير قلبي الطائر
ومن غدا باطنه مشتعلا ... لم يفنه تجلد في الظاهر
ومقلتي تعثرت دموعها ... لأنها تجري على محاجري
والنوم لا أعرف منه سنة ... في سنة إلا بحكم النادر
يا دهر قد رميتني بنكبة ... عدمت فيها قوتي وناصري." (١)

"وأما موشحة ابن التلمساني، فهي:
قمر يجلو دجا الغلس ... بهر الأبصار مذ ظهرا

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣٩٣/٤

آمن من شبهة الكلف ... ذبت في حبيه بالكلف

لم يزل يسعى الى تلفي ... بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس ... نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا ... كيف لا ترثي لمن بليا

فبثغر منك قد جليا ... قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس ... جد فما أبقيت مصطبرا

بدر تم في الجمال سني ... ولهذا لقبوه سني

قد سباني لذة الوسن ... بمحيا باهر حسن

هو خشفي وهو مفترسي ... فارو عن أعجوبتي خبرا

لك خد يا أبا الفرج ... زين بالتوريد والضرج

وحديث عاطر الأرج ... كم سبى قلبا بلا حرج

لو رآك الغصن لم يمس ... أو رآك البدر لاستترا

يا مذيبا مهجتي كمدا ... فقت في الحسن البدور مدى

يا كحيلا كحلة اعتمدا ... عجبا أن تبرئ الرمدا

وبسقم الناظرين كسي ... جفنك السحار وانكسرا

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا:

إن كان ليل داجوخان نا الإصباحفنورها الوهاجيغني عن المصباح." (١)

"وأقول: إنه نفخ في غير ضرم، وطاف بغير حرم، وليس ذلك بكبير أمر، ولا مما ينبه عليه بعد الفراغ منه، بل هو في الرتبة الوسطى لا ينحط انحطاطه في عادته، ولا يرتفع ارتفاع القاضي الفاضل.

وقد استعمل الناس أسماء المنازل والكواكب في كلامهم جدا وهزلا، كقول سيف الدين المشد ابن قزل:

ضل فؤادي بين أبياتكم ... وناره تضرمها الأهويه

يا ذابح النوم بطرفي أما ... ترثي لقلب ضل في الأخبيه

وقوله أيضا:

ألا يا وادي الشقرا ... ء كم قد حزت من نزهه

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥/٣٥١

غياض ماؤها يجري ... فما في طيبها شبهه

وكم بدر يروق الطر ... ف أضحى منك في الجبهه

وقوله أيضا:

بدا في الدرع مثل الرم ... ح في الأعطاف والسمره

فيا لله من بدر ... يروق الطرف في النثره

وقول العدل برهان الدين بن الفقيه نصر:

بخدمتكم لم أنل طائلا ... وميزان نقصي بكم راجح

ففي الطرف من أدمعي نثرة ... وفي القلب من سعدكم ذابح

ومن أحسن الكنايات قول الآخر:

ألم ترني أكابد فيك وجدي ... وأحمل منك ما لا يستطاع

إذا ما أنجم الجو استقلت ... ومال الدلو وارتفع الذراع

وقول محمد سبط التعاويذي:

فبت وباتت إلى جانبي ... نعد المنازل فيها كلانا

تريني البطين ولكنني ... أقارضها فأريها الزبانى

وقول الآخر من أبيات:

فأعجلته عن دخول الكنيف ... بجهل مطاع وحلم مطاع

فغرقت منه بنوء البطين ... ورواه مني نوء الذراع

وأما قوله: وليت لو فدي أحدهما بصاحبه، أحسن من هذا قول المتنبي:

فليت طالعة الشمسين غائبة ... وليت غائبة الشمسين لم تغب

وتمام السجعة نصف بيت من هذه القصيدة لأبي الطيب، أول:

قد كان قاسمك الشخصين دهرهما ... فعاش درهما المفدي بالذهب

قال: ومن هذا الباب ما أوردته في رسالة طردية في وصف قسي البندق وحامليها ثم إنه ساقها.

أقول: وهي أيضا من الوسط، فلا تكون في العالي ولا السقط، وذكرت بالطريق التي سلكها فيها ما جاء لبعض كتاب العجم فيما أظن، في القوس التي للسهام، فإنها في حسنها فذة، ونكتها في سلب العقول مغذة، وصناعتها لم تدع في المثاني والمثالث عند النفوس بعدها لذة. وهي:

رسالة لابن الأثير في وصف قسي البندق وحامليها

ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا، حكيم جبل على السداد، يهدي إلى سبل الرشاد، آثار بأسه مشهورة على ذوي الأعواد ويسألونك عن الأهلة، فقل صفر من غير علة، مجرة تنقض منها نجوم الرجوم، برج ذو جسدين يطلع بالطائر المشؤوم، شيطان تطلع شمس النصر بين قرنيه، مارد لا يسكن إلا بتعريك أذنيه، صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. مطية تخالف سائر الأنعام، قيامها باليد وقيامهن بالأقدام. متحرك يعض على ناجذ التصبر في الشدة والرخاء، من صحبه طرفة عين مشى على الهواء، فقل في نون التقم مرسلا فنبذه بالعراء. مقيد يحمل عليه المطلق، طريد العنق من جيد عاتقه معلق. ناحل ألصق بطنه بظهره، حتى بدت للناظرين بنات صدره، وغارت كلاه في خصره، لاستيلاء قوتيه الجاذبة والماسكة على قوتيه الدافعة والهالكة. مقبوض يقارب السريع، ويفارقه عند التقطيع. وهري أتى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطاه، لا ينصب إلا على اليد متكاه، وينشد إذا فتح فاه:

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... مجردة تضحي لديك وتحصر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري ... ضنى جسدي لكنني أتستر

منحني الظهر يتوكأ على عصا، ويلقيها فإذا هي حية تسعى.

تنكب رماح الخط والبيض خلها ... وأما الحنايا حلها وتنكبا." (١)

"(آه لولا أعين الحرس ... نلت منه الوصل مقتدرا)

(يا أميرا جار مذ وليا ... كيف لا ترثي لمن بليا)

(فبثغر منك قد جليا ... قد حلا طعما وقد حليا)

(وبما أوتيت من كيس ... جد فما أبقيت مصطبرا)

(بدر تم في الجمال سني ... ولهذا لقبوه سني)

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٦٣

(قد سباني لذة الوسن ... بمحيا باهر حسن)

(هو خشفي وهو مفترسي ... فارو عن أعجوبتي خبرا)

(لك خد يا أبا الفرج ... زين بالتوريد والضرج)

(وحديث عاطر الأرج ... كم سبى قلبا بلا حرج)

(لو رآك الغصن لم يمس ... أو رآك البدر لاستترا)

(يا مذيبا مهجتي كمدا ... فت في الحسن البدور مدى)

(يا كحيلا كحله اعتمدا ... عجبا أن تبرئ الرمدا)

(وبسقم الناظرين كسي ... جفنك السحار فانكسرا)
وتوجه الشيخ أثير الدين أبو حيان يوما لزيارة الشيخ صدر الدين ابن الوكيل فلم يجده في منزله فكتب بالجبس على عادة المصريين حضر أبو حيان وكانت الكتابة على مصراع الباب فلما حضر الشيخ صدر الدين رأى اسم الشيخ وكتب إليه
(قالوا أبو حيان غير مدافع ... ملك النحاة فقلت بالإجماع)

(اسم الملوك على النقود وإنني ... شاهدت كنيته على المصراع)
وفيه يقول القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر وقد سمعه يتكلم في مسألة أصولية)
نقلت ذلك من خط محيي الدين وأنشدنيه أثير الدين من لفظه
(قد قيل لما أن سمعت مباحثا ... في الذات قررها أجل مفيد)

(هذا أبو حيان قلت صدقتم ... وبررتم هذا هو التوحيدي)
وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية التي نظمها في مدح النحو والخليل وسيبويه ثم خرج منها إلى

مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه وأولها

(هو العلم لا كالعلم شيء تراوده ... لقد فاز باغيه وأنجح قاصده)

وهي تزيد على المائة بيت قصيدة مليحة حكي لي أن الشيخ أثير الدين نظمها وهو ضعيف وتوجه إليه جماعة يعودونه فيهم شمس الدين ابن دانيال فأنشدهم الشيخ القصيدة المذكورة فلما فرغت قال ابن دانيال يا جماعة وأخبركم أن الشيخ عوفي وما بقي به بأس لأنه لم يبق عنده فضله قوموا بنا بسم الله وأنشدني الشيخ أثير الدين لنفسه قصيدته السينية التي أولها." (١)

")

وأنشدني بالسند المذكور وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان فوقع له برطلي خبز وكتب ذلك على بستانه

(لله بستان حللنا دوحه ... في جنة قد فتحت أبوابها)

(والبان تحسبه سنانيرا رأت ... قاضي القضاة فنفشت أذنابها)

قلت بلغني أن الشيخ بدر الدين ابن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع وأنشدني بالسند المذكور له أيضا لا تحسبن خضابها النامي على القدمين بالمتكلف المصنوع

(لكنها بالهجر خاضت في دمي ... فتسربلت أقدامها بنجيعي)

وأنشدت له جعلتك المقصد الأقصى وموطنك البيت المقدس من روحي وجثماني

(وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني)

(أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذو زور وبهتان)

(فلا يغرنك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلوان)

قلت ألطف من هذا قول القائل

(أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا **ترثي** لصب متيم)

(ويا سؤلي الأقصى عسى باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٧٩/٥

وأنشدت لأبي جلنك أيضا

(وشادن يصفع مغرى به ... براحة أندى من الوابل)

(فصحت في الناس ألا فاعجبوا ... بحر غدا يلطم في الساحل)

وأنشدني أثير الدين قال أنشدني علاء الدين علي بن سيف الدين سكن قراءة عليه قال أنشدنا أبو جلنك لنفسه

(ماذا على الغصن الميال لو عطفا ... ومال عن طرق الهجران وانحرفا)

(وعاد لي عائد منه إلى صلة ... حسبي من الشوق ما لاقيته وكفى)

(صفا له القلب حتى لا يمازجه ... شيء سواه وأما قلبه فصفا)

(وزارني طيفه وهنا ليؤنسني ... فاستصحب النوم من عيني وانصرفا)
)

(ورمت من خصره برءا فزدت ضنى ... وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا)

(حكى الدجى شعره طولا فحاكمه ... فضاع بينهما عمري وما انتصفا)." (١)

"يرمى بأنه يعبث بموسى بن عبد الملك يتعشقه وعاتبه فيه محمد ابن الجهم البرمكي فكتب إليه أحمد بن يوسف

(لا تعذلني يا أبا جعفر ... لوم الأخلاء من اللوم)

(إن استه مشربة حمرة ... كأنها وجنة ملكوم)

فتقدم محمد إلى البجلي وكان في ناحيته فأجابه

(لست بلاحيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٧٠/٦

(لأنه في استه سخنة ... كأنها سخنة محموم)

حكى علي بن يحيى ابن أبي منصور أن المأمون كان إذا تبخر طرح العود والعنبر فإذا تبخر أمر بإخراج المجمرة ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له فحضر أحمد بن يوسف يوما وتبخر المأمون على عادته ثم أمر أن يوضع المجمر تحت بن يوسف فقال هاتوا إذا المردود فقال ألنا يقال هذا ونحن نصل رجلا واحدا بستة آلاف ألف دينار إنما قصدنا إكرامك وأن أكون أاوأنت قد اقتسمنا بخورا واحدا يحضر عنبر فأحضر منه شيء في غاية الجودة في كل قطعة في المجمر يبخر بها أحمد ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها وفعل به ذلك وبقطعة ثانية وثالثة وهو يصيح ويستغيث وانصرف إلى منزله وقد احترق دماغه واعتل ومات وكانت له جارية يقال لها نسيم كان لها من قلبه مكان خطير فقالت ترثيه

(ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب)

(ولو أن حيا قبله صانه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب)

وقالت ترثيه أيضا

(نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... ما بي عليك تمنوا أنهم ماتوا)

(وللورى موتة في الدهر واحدة ... فألسننا حرب وأبصارنا سلم)

(وتحت استراق اللحظ منا مودة ... تطلع سرا حيث لا يبلغ الوهم)

ومن شعر أحمد بن يوسف قوله

(كم ليلة فيك لا صباح لها ... أحييتها قابضا على كبدي

(

(قد غصت العين بالدموع وقد ... وضعت خدي على بنان يدي)

(وأنت نامت عيناك في دعة ... شتان بين الرقاد والسهد)

(كأن قلبي إذا ذكرتكم ... فريسة بين مخلبي أسد)." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٨٣/٨

"(ولقد يئست من الكرام وفضلهم ... حتى عقدت على علاه الخنصرا)

(كادت مواعظه تناط نفاسة ... بمفارق الشهب الطوالع مفخرا)

(لم يبتسم للناس بارق ثغره ... إلا أراق حيا العطاء على الورى)

(بشر تحل حبا الهموم عداته ... حد الليالي ضاحكا مستبشرا)

(أما العلوم فقد ملكت زمامها ... فغدوت في أنواعها متبجرا
)
من قاس مثلك بالأئمة لم يكن إلا كمن قاس الثريا بالثرى
(شيم كديباج الرياض نواضرا ... أضحى بها نادي الندى متعطرا)

(عطفا علي وكن بضبعي جاذبا ... واذخر لك الحمد الأخص الأشهرا)

(فلقد لقيت من الزمان وريبه ... نوبا نقضن قوى المعاش كما ترى)

(والصارم المغمود يجهل قدره ... فإذا انتضيت عرفت منه الجوهرا)
قلت شعر جيد
٣ - (أبو القاسم الواعظ)
إسماعيل بن نصر بن علي بن يونس أبو محمد ابن أبي القاسم الواعظ البغدادي كان فقيها شافعيا حسن الوعظ مليح الإيراد حلو العبارة سمع أبا طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن يوسف وأبا سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي وأبا القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهم وحدث باليسير وتوفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة ومن شعره من الكامل المجزوء المرفل
(إن كنت تنكر ما ألاقي ... من طول وجدي واشتياقي)

(فاسأل دموعي إن نطق ... ن بفيضهن من المآقي)

(واستخبر الزفرات إذ ... حاولن للبعد احتراقي)

(أتراك ترثي لي من ال ... بلوى فترحم ما ألاقي)

(وتمن لي بتواصل ... يوما وتنعم بالتلاقي)

٣ - (ومنه من الرجز)

(حن إلى عهد الشباب والصبي ... صب كئيب مستهام فصبا)

(ولم تزل أشواقه تقلقه ... حتى بكي من الجوى منتحبا)

(يذكر أياما له تقادمت ... وصفو عيش لم يزل منتهبا)

(من قبل أن تغرب شمس وصله ... ولم يكن بدر الوفا محتجبا)

(أيام لا يخشى عدوا كاشحا ... ولم يخف في الحب عين الرقبا)." [١]

"ولما خطبها دريد بعثت خادمة لها وقالت لها انظري إليه إذا بال فإن كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها ففيه بقية وإن كان بوله يسيح على وجهها فلا بقية فيه فوجدته وبوله يسيح على وجه الأرض فأخبرتها فأرسلت إليه ما كنت لأدع بني عمي وهم وهم مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا فقال

(وقالت إنني شيخ كبير ... وما أنبأتها أني ابن أمس)

(فلا تلدي ولا ينكحك مثلي ... إذا ما ليلة طرقت بنحس)

(تريد شرنبث الكفين شثنا ... يباشر بالعشية كل كرس)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٩/١٣٩

)

فقالت الخنساء

(معاذ الله ينكحني حبركى ... يقال أبوه من جشم بن بكر)

(ولو أصبحت في جشم هديا ... إذا أصبحت في دنس وفقر)

وأما أخوها صخر فإنه اكتسح أموال بني أسد وسبى نساءهم فتبعوه واقتتلوا قتالا شديدا فطعن ربيعة بن ثور الأسدي صخرا في جنبه وفات القوم فلم يقعص وجوى منها فمرض حولا حتى مله أهله فسمع امرأة وهي تسأل امرأته سلمى كيف بعلك فقالت لا حي فيرجى ولا ميت فينعى لقينا منه الأمرين فقال صخر لما سمع ذلك منها

(أرى أم صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني)

(وما كنت أخشى أن تكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان)

(أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان)

(لعمري لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان)

(وللموت خير من حياة كأنها ... محلة يعسوب برأس سنان)

(وإن امرءا ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان)

فلما طال عليه البلاء وقد نتأت قطعة مثل اليد من جنبه من الطعنة قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ فقال شانكم فأحموا له شفرة ثم قطعوها فمات فقالت الخنساء ترثيه

(ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها)

(أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها)

(فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها)." [١]

"(سأحمل نفسي على خطة ... فإما عليها وإما لها)

منها

(نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها)

(وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويذهب من قالها)

(نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها)

(فزان الكواكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها)

وهي طويلة ساقها صاحب الأغاني)

وقالت **ترثيه** أيضا

(قذى بعينيك أم بالعين عوار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار)

(تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت ... ودونه من جديد الترب أستار)

(لا بد من ميتة في صرفها غير ... والدهر في صرفه حول وأطوار)

منها

(يوما بأوجد مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار)

(فإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار)

(وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار)

(مثل الرديني لم تنفذ شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤١/١٠

وهي طويلة مذكورة في الأغاني ولها فيه مراث كثيرة وأما أخوه ا معاوية فغزا بني مرة بن سعد بن ذبيان وبني فزارة ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المريان فاستطرد له أحدهما ثم وقف وشد الآخر عليه فقتله فلما تنادوا قتل معاوية فقال خفاف قتلني الله إن دمت حتى أثأر به فشد على مالك بن حمار الشمخي وكان سيد بني شمخ فقتله وقال خفاف في ذلك

(فإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمدا على عيني تيممت مالكا)

(أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا إنني أنا ذلكا)

منها

(تيممت كبش القوم لما عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا)

(فجادت له مني يميني بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا)

فقالت الخنساء ترثي معاوية

(ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه)." (١)

"الأبطال الشجعان والفرسان المعدودين استشهد يوم المصاف يوم الخميس رابع عشر شهر رجب سنة ثمانين وست مائة ظاهر حمص بعد أن قاتل قتالا كثيرا وأنكى في العدو نكايات كثيرة وقتل منهم عدة وافرة بيده وكان قد نيف على الستين رحمه الله تعالى

(توبة)

٣ - (توبة بن الحمير)

توبة بن الحمير الخفاجي أحد المتيمين صاحب ليلى الأخيلية وسوف يأتي ذكرها في حرف اللام في موضعه إن شاء الله تعالى كان يهوى ليلى فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه وزوجها في بني الأولغ فكان يكثر زيارتها فشكوه إلى قومه فلم يقلع فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم فعلمت بذلك ليلى ثم إن قومها كمنوا له في الموضع الذي يلقاها فيه فلما جاء خرجت إليه سافرة حتى جلست في طريقه فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وركض فرسه ونجا وقال قصيدته التي أولها

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٠/٢٤٢

(نأتك بليلى دارها لا تزورها ... وشطت نواها واستمر مريرها)

منها

(وكنت إذا ما جئت لےيلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها)

ثم إن توبة قتلته بنو عوف بن عقيل في حدود الثمانين للهجرة فقالت ليلى **ترثيه**

(نظرت ودوني من عمامة منكب ... وبطن الرداء أي نظرة ناظر)

(وتوبة أحيى من فتاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر)

(ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجرا ... ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر)

وهي قصيدة طويلة أوردها صاحب الأغاني كاملة ولها فيه مراث أخر ثم إن ليلى أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة ومعها زوجها وهي في هودج فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل الزوج يمنعها وهي تأبى إلا أن تلم به فتركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة)

فقالت السلام عليك يا توبة ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت ما عرفت له كذبة قط قبل هذه فقالوا وكيف قالت أليس هو القائل

(ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح)." (١)

"الخرجين الحلبي والظاهر أن ذلك صحيح لأن هذا النفس غير النفس الذي في الأبيات الأولى فإن هذه أربع وتلك أحط وأرك

٣ - (الإسكافي الكاتب)

جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد بن يونس أبو الحسين الكاتب الإسكافي صاحب ديوان الرسائل كان فاضلا بليغا وتوفي سنة أربع وثمانين ومئتين بالري ودفن بها ومن شعره من مجزوء الرمل

(قل لمملوك حقيق ... أن يسمى بمليك)

كم قتيل لك ما بين عبيد وملوك وطريق لي إلى وصلك ممنوع السلوك يا نهيك الخضر ما **ترثي** لذي جسم نهيك

٣ - (أبو القاسم الموصلي الشافعي)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٠/٢٦٩

جعفر بن محمد بن حمدان أبو القاسم الفقيه الشافعي الموصلي كان مضطلعا بعلوم كثيرة من الفقه والأصول والحكمة والهندسة والأدب والشعر وله مصنفات كثيرة في جميع ذلك دخل بغداد ومدح المعتضد والوزير القاسم بن عبيد الله وكان صديقا لكل وزراء عصره مداحا لهم آنسا بهم وبالمبرد وثعلب وأمثالهما من علماء الوقت وكانت له في بلده دار علم قد جعل فيها خزانة فيها من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها أو إن كان معسرا قد أعطاه ورقا يفتحها كل يوم ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته مثل الباهر وغيره من المصنفات الحسان ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة وشيئا من النوادر المؤلفة وطرفا من الفقه وما يتعلق به

ولد سنة أربعين ومئتين وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة

وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء

وكان قد جحد بعض أولاده وزعم أنه ليس منه فعاندوه بسببه وجهدوا أن يلحقوه به فما بتم لهم فاجتمعوا وكتبوا فيه محضرا وشهدوا فيه عليه بكل قبيحة وعظيمة ونفوه من الموصل فانحدر)

هاربا إلى بغداد ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما ناله ويصف ما يحسن من العلوم ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما أولها من الطويل

(أجدك ما ينفك طيفك ساريا ... مع الليل مجتابا إلينا الفيافيا)." (١)

"ومنه أيضا من السريع

(قصدت فتعالى به قدري ... فدتك النفس من قاصد)

(وما رأى العالم من قبلها ... بحرا سعى قط إلى وارد)

٣ - (النبال مقرىء مكة)

الحسن بن أحمد بن محمد النبال القواس مقرىء مكة توفي سنة خمس وأربعين ومئتين

٣ - (البزكان الواعظ)

الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن الأنصاري أبو علي الواعظ الصوفي الملقب بالبزكان بضم الياء

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١١/١٠٦

الموحدة وسكون الزاي وبعدها كاف وبعد الألف نون البغدادي كان له كلام على لسان أهل الطريقة سمع جماعة منهم الحسين بن أحمد النعالي ورزق الله بن عبد الوهاب التميمي والقاضي أبو يوسف الأسفراييني وغيرهم وسافر إلى الشام ومصر والجبال وصحب المشاريخ الكبار وخدمهم وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة ومن شعره من الطويل

(سأصبر جهدي ما استطعت ولا أبدي ... فما قصدهم قصدي ولا وجدهم وجدي)

(وأكتم حبا قد تقادم عهده ... لعلي أنال القرب من دونهم وحدي)

ومنه من البسيط

(إن النجوم لترثي لي وترحمني ... مما أبيت أقاسيه من السهر)

(أبيت في وصله من هجره وجلا ... أذري الدموع على خدي كالمطر)

قلت شعر مقبول)

٣ - (ابن الحويزي)

الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان العباسي المعروف بابن الحويزي نشأ ببغداد وقرأ بها القرآن بالروايات على أبي الكرام المبارك بن الشهرزوري وسمع منه ومن أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي والحافظ بن ناصر وغيرهم قرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب وسكن واسطا إلى أن مات بها سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة وكان يقرىء القرآن بها والأدب ويعلم الصبيان الغناء بالألحان وكان يعرف الموسيقى وكان مشتهرا بالسماع وحضور أماكن الغناء وكان أديبا فاضلا حسن المعرفة بالنحو ويقول الشعر وكان متصوفا ظريفا لطيفا جميل الهيئة كثير العبادة متنسكا." (١)

"لي إن أباها أخي من الرضاعة

(ابن الصمة الهوازني)

دريد بن الصمة أبو قرة الهوازني الجشمي واسم الصمة معاوية وفد على الحارث بن أبي شمر ويعد من شعراء العرب وشجعانها وذوي أسنانها عاش نحوا من ماءتي سنة حتى سقط حاجباه على عينيه

وخرجت به هوازن يوم حنين تتيمن برأيه فقتل كافرا ولما انهزم المشركون أدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٠١/١١

بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة لأنه كان في شجار له

فأناخ به فإذا شيخ كبير ابن مائتي سنة والغلام لا يعرفه فقال له دريد ما تريد إلى الكبير المرعش الفاني الأدرد فقال الفتى ما أريد إلى غيره ممن هو على مثل دينه فقال له دريد ومن أنت قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي وضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي من وراء الرحل في الشجار فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أفعل بالرجال فإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك

فزعمت بنو سليم أن ربيعة لما ضربه تكشف للموت فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتل دريد فقالت واله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا في غداة واحدة وجز ناصية أبيك قال الفتى لم أشعر وقال عمرة بنت دريد **ترثيه**

(جزى عنا الإله بني سليم ... وأعقبهم بما فعلوا عقاق)

(وأسقانا إذا سرنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقي)

(فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقي)

(ورب كريهة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من لوثاق)

(ورب منوه بك من سايم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق)

(لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العتاق)

وقال **ترثيه** أيضا

(قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... وظل دمعي على الخدين ينحدر)

(لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تقتدر)

)

(إذا لصبحهم منا وظاهرهم ... حيث ا ستقلت نواهم جحفل زفر)." [١]

")

٣ – (زوجة الحسين بن علي)

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي زوجة الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي أم سكينة بنت الحسين وهي التي يقول فيها الحسين من الوافر

(لعمرك إنني لأحب دارا ... تكون بها سكينة والرباب)

(أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب)

كانت الرباب من أفضل النساء وأجملهن وخيارهن خطبت بعد قتل الحسين فقالت ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقالت **ترثي** الحسين من البسيط

(إن الذي كان نورا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون)

(سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين)

(قد كنت لي جبلا صعبا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين)

(من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين)

(رباح)

٣ – (قاضي المدينة)

رباح بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب قاضي المدينة

قتل مع بني أمية يوم نهر أبي فطرس روى عن جدته ا بنة سعيد بن زيد وأبي هريرة وزرعة بن إبراهيم وزياد بن

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/٩

زياد بن أبيه وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة

٣ - (ابن المعترف الصحابي)

رباح بن المعترف قيل رباح بن عمرو بن المعترف وقيل اسم المقترف وهيب بن حجوان له صحبة كان شريك عبد الرحمن بن عوف في التجارة وابنه عبد الله بن رباح من كبار العلماء وسيأتي ذكره إن شاء الله مكانه

كان مع عبد الرحمن في سفر فرفع صوته رباح يغني غناء الركبان فقال له عبد الرحمن ما هذا قال غير ما بأس نلهو ونقصر عنا السفر فقال عبد الرحمن إن كنتم لا بد فاعلين فعليكم بشعر ضرار بن الخطاب ويقال إنه كان معهم في ذلك السفر عمر بن الخطاب وكان يغنيهم غناء النصب)." (١)

"قلت ظرف في قوله ومدام صوفي وأنشدني من لفظه لنفسه قال حضرت صحبة الملك الظاهر بيبرس حصار قلعة صفد فصنعت هذه الأبيات

(إذا القلعة الشماء باتت حصينة ... وبات على أقطارها القوم رصدا)

(ترى منجنيقا يذهب العقل حسه ... يغادرهم بين الأسرة همدا)

(إذا ما أراها السهم منه ركوعه ... تخر له أعلى الشراريف سجدا)

وأنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني المذكور لنفسه

(جاءت تهز اختيالا ... قد القضيب المنعم)

(تجر إثر خطاها ... أذيال مرط مسهم)

(قد أنجد الردف والخص ... ر غار لطفا وأتهم)

)

(يا ويح خصر شقي ... من جور ردف منعم)

(وبات بدري بصدري ... حتى إذا الصبح أنجم)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٣/١٤

(ودعته وهو يبكي ... ويمزج الدمع بالدم)

(في موقف لو ترانا ... لكنت ترثي وترحم)

٣ - (خصا البغل)

عبد القاهر بن المهنا التنوخي المعروف بخصا البغل المعري قال كنت بحماه فأتيت إلى رجل يعرف بالحكيم أبي الخير فصادفت عنده رجلا يعرف بالسديد فطلبت منه برنية ورد مربى فقال لي لا أدفع لك شيئا حتى نعمل في شعرا فقلت له أما المدح فلا يستطيعه فيك أحد وأما إن شئت هجاء فنعم فقال بل هجاء فصنعت

(أبو الخير أبو الخير ... فلا خير ولا مير)

(ضئيل ناحل الجسم ... ولكن كله أير)

فقال واصنع في الحكيم السديد وكان كبير الأنف فقلت." (١)

"كل قدح منا يجيء ألف قرصة منكم فقال ابن قرصة جواب مسكت

ولد بقوص سنة اثنتين وخمسين وست ماية وتوفي بها سنة إحدى وتسعين وست ماية

٣ - (أبو السائب الجمحي)

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص القرشي الجمحي أبو السائب أمه سخيلة بنت العنبس بن وهبان بن حذافة بن جمح وهي أم السائب وعبد الله أسلم عثمان بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعدما رجع من بدر وأول من تبعه إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وروي من وجوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بعدما مات توفي سنة اثنتين للهجرة بعد اثنين وعشرين شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعد ثلاثين شهرا بعد بدر ولما دفن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم السلف لنا عثمان بن مظعون ولما توفي إبراهيم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إلحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون وأعلم قبر عثمان بحجر وكان يزوره وكان عابدا مجتهدا من فضلاء الصحابة وكان هو وعلي بن أبي

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩/٤٠

طالب وأبو ذر قد هموا بأن يختصوا ويتبتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ونزلت فيهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وهو أحد من حرم الخمر في الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أنكح كريمتي فلما حرمت الخمر أتي وهو بالعوالي فقيل له قد حرمت الخمر فقال تبا لها فقد كان بصري فيها ثابتا وقال ابن عبد البر في هذا نظر لأن تحريم الخمر عند أكثرهم بعد أحد وقالت امرأته **ترثيه**

(يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون)

(على امرئ بان في رضوان خالقه ... طوبى له من فقيد الشخص مدفون)

(طاب البقيع له سكنى وغرقده ... وأشرقت أرضه من بعد تفنين)

(وأورت القلب حزنا لا انقطاع له ... حتى الممات فلا ترقى له شوني)." (١)

"الخاتم تدفعينه إلى مولاتك فأبت عليه مرارا فعرفها الخبر وقال إطرحي هذا الخاتم في صبوحها فإن أنكرته قولي إن ضيفنا اصطبح قبلك ولعله وقع من يده فلما فعلت الجارية ذلك عرفت عفراء الخبر وقالت لزوجها إن ضيفك ابن عمي فجمع بينهما وخرج وتركهما وأوقف من يسمع ما يقولان فتشاكيا وتباكيا طويلا ثم أتته بشراب وسألته شربه فقال والله ما دخل جوفي حرام قط ولا ارتكبته ولو استحللته كنت قد استحللته منك وأنت حظي من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت منك فما أعيش بعدك وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن وأنا مستحي منه ولا أقيم بمكاني بعد علمه وإني لأعلم أني لأرحل إلى منيتي فبكت وبكى وجاء زوجها وأخبره الخادم بما جرى بينهما فقال لها يا عفراء إمنعي ابن عمك من الخروج فقالت لا يمتنع فدعاه وقال يا أخي اتق الله في نفسك فقد عرفت خبرك وإن رحلت تلفت والله ما أمنعك من الاجتماع معها أبدا وإن شئت فارقتها فجزاه خيرا وقال إنما كان الطمع فيها آفتي والآن فقد يئست وحملت نفسي على الصبر واليأس يسلي ولي أمور لا بد من الرجوع إليها فإن وجدت لي قوة إلى ذلك وإلا عدت إليكم وزرتكم حتى يقضي الله من أمري ما يشاء فزودوه وأكرموه وأعطته)

عفراء خمارا لها فلما رحل عنهم نكس بعد صلاحه وأصابه غشي وخفقان وكان كلما أغمي عليه ألقي عليه

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٣٦/١٩

كربة ذلك الخمار فيفيق فلقيه في الطريق ابن مكحول عراف اليمامة وجلس عنده وسأله عما به وهل هون خبل أو جنون فقال له عروة ألك علم بالأوجاع فقال نعم فأنشأ عروة يقول

(أقول لعراف اليمامة داوني ... فإنك إن داويتني لطبيب)

(فواكبدي أمست رفاتا كأنما ... يلذعها بالموقدات لهيب)

(عشية لا عفراء منك قريبة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب)

(فوالله ما أتنساك ما هبت الصبا ... وما عقبتها في الرياح جنوب)

(عشية لا خلفي مكر ولا الهوى ... أمامي ولا يهوى هواي غريب)

(وإني لتغشاني لذكراك فترة ... لها بين جلدي والعظام دبيب)

قال الأخباريون ولم يزل كذلك حتى مات في طريقه قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال وبلغ عفراء خبره فجزعت جزعا شديدا وقالت **ترثيه**

(ألا أيها الركب المخبون ويحكم ... أحقا نعيتم عروة بن حزام)

(فلا تهنأ الفتيان بعدك لذة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام)

(وقل للحبالى لا يرجين غائبا ... ولا فرحات بعده بغلام)

ولم تزل تردد هذه الأبيات وتندبه وتبكيه إلى أن ماتت بعده بأيام قلائل." (١)

"العسقلاني جمال الدين المقري إبراهيم بن داود

١٢٠ - أبو علي العسكري عسل بالعين والسين المهملتين ابن ذكوان العسكري من أهل عسكر مكرم ويكنى أبا على يروي عن المازني والرياشي دماد ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست وقال كان في أيام المبرد ولم يذكر تاريخ وفاته وله من الكتب كتاب الجواب المتكت وكتاب أقسام العربية

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٥٨/١٩

العشاب القرطبي أحمد بن محمد العشاب ابن الرومية أحمد بن محمد بن مفرج العشاب المربي يوسف بن فتوح

١٢١ - الشاعر الضبي العشنق بفتح العين المهملة والشين المعجمة وتشديد النون وبعدها قاف الضبي الشاعر ذكره محمد بن داود في كتاب الورقة فقال بغدادي من أصحاب أبي نواس وكان في عصره وله أشعار جياد ومن قوله // (من الوافر) //

(أيامن لا يثيب على الوصال ... ويا من لا يجيب لدي السؤال)

(ويا من قوله لي حين أشكو ... إليه مت بدائك لا أبالي)

(ألست ترى الذي ألقى **فترثي** ... لطول حسابتي ولسوء حالي)

(وقد أبدت لك العينان أني ... على طول اعتلالك غير قالي)

(ولست وإن بدأت بقطع حبلي ... على حال لوصلكم بسالي)

(تعالى الله ما أسلال عني ... كذلك كل طلق القلب خالي)

(الألقاب)

ابن العصار علي بن عبد الرحيم عصابة الجرجرائن إسماعيل بن محمد بنو أبي عصرون جماعة منهم تاج الدين محمد بن عبد السلام ومحي الدين محمد بن عبد الله بن محمد وشهاب الدين عبد السلام بن المطهر وقطب الدين أحمد بن عبد السلام وشرف الدين عثمان بن محمد ومحيي الدين عمر بن محمد وشرف الدين عبد." (١)

"(ومشوا وقد هز الشباب قدودهم ... هز الكماة عوالي المران)

(جروا الذوائب والذوابل وانثنوا ... فثنوا عناني محصن وحصان)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٧٥/٢٠

(وتوشحوا وردا فقلت أراقم ... خلعت ملابسها على غزلان)

(ولربما عطفوا الكعوب فواصلوا ... ما بين ليث الغاب والثعبان)

(في حيث أذكى السمهري شراره ... رفع الغبار لها مثار دخان)

(وعلا خطيب السيف منبر راحة ... يتلو عليه مقاتل الفرسان)

(يا مرسل الرمح الصقيل سنانه ... أمسك فليس اليوم يوم طعان)

(هاتيك شمس الراح يسطع ضوءها ... من خلف سحب مارق وقناني)

(وهلال شوال يقول مصدقا ... بيدي غصبت النون من رمضان)

(لا تسقنيها من محاجر نرجس ... حسبي التي بأنامل السوسان)

(فأرادها ممزوجة قد خالطت ... بالياسمين شقائق النعمان)

(والورق في الأوراق قد هتفت على ... عذب الغصون بأعذب الألحان)

(فكأن أوراق الغصون ستائر ... وكأن أصوات الطيور أغاني)
وقال
(كم نابل في طرفك البابلي ... وذابل في عطفك الذابل)

(وكم حوى ردفك من موجة ... تضرب من حصرك في ساحل)

(يا كوكبا ناظره طالعا ... كناظر في كوكب آفل)
)

(يوقعني منك على مانع ... مخابل عندك من باذل)

(طلاقة أنشأ لي برقها ... سحائبا من دمعي الهاطل)

(وسقم أجفان توهمتها ... ترثي لسقم الجسد الناحل)

(ومعطف معتدل مائل ... ما لي وللمعتدل المائل)

(حبك لا حبك هذا الذي ... أوقع في أنشوطة الحابل)

(وليتني أشكو إلى غادر ... وليتني أشكى من العاذل)

(وليلة أسلمت أصداءها ... من أكؤس الراح إلى صاقل)

(فالتهبت فحمتها جمرة ... من خمرة قاتلة القاتل)

(وانتسقت نحوي مسراتها ... نسق الأنابيب إلى العامل)." (١)

"وهل تزني الحرة أو تسرق يا رسول الله فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت قد ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت كبارا أو نحوا من هذا القول وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت وولدك وتوفيت هند في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق

٣ - (الأنصارية)

هند بنت أسيد بن حصين الأنصاري روى عنها أبو الرجال عن النبي صلى الله عليه وسلم)

أنه كان يخطب بالقرآن قالت وما تعلمت ق والقرآن المجيد إلا من كثرة ما كنت أسمعها منه وهو يخطب بها على المنبر

٣ - (الهاشمية)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٠/٢٧

هند بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ولدت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التي كانت تحت حبان بن واسع هي وامرأة أخرى فطلق الأنصارية وهي ترضع فمرت بها سنة ثم هلك عنها ولم تحصن فقالت أنا أرثه ولم أحصن فأختصما إلى عثمان فقضى لها بالميراث فلامت الهاشمية عثمان فقال لها هذا عمل ابن عمك هو أشار علينا بهذا يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٣ - (زوج النبي صلى الله عليه وسلم)

هند بنت يزيد بن البرصاء بن أبي بكر بن كلاب ذكرها أبو عبيد في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل عمرة بنت يزيد قال ابن عبد البر وفيها نظر لأن الاضطراب فيها كثير جدا

٣ - (الصحابية)

هند بنت سماك بن عبيد بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل وهي أم الحارث بن أوس بن معاذ قال العدوي كانت من المبايعات

٣ - (الصحابية)

هند بنت منبه بن الحجاج أسلمت يوم الفتح وهي أم عبد الله بن عمرو بن العاص قاله الواقدي

٣ - (الصحابية)

هند بنت أثالة بن عباد بن عبد المطلب هي التي كانت **ترثي** رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع لها من خبير فيما ذكره الواقدي." (١)

"الرشيد وبغى وحشد جموعا كثيرة فنهض إليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وحضروا عبد الملك بن صالح الهاشمي بالرقة فاستشار الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي في من يوجه إليه فقال له وجه إليه موسى بن خازم التميمي فإن فرعون اسمه الوليد وموسى غرقه فوجهه في جيش كثيف فلاقاه الوليد فهزم أصحابه وقتله فوجه إليه معمر بن عيسى العبدي فكانت بينهم وقائع بدارا وزاد ظهور الوليد فأرسل إليه الرشيد جيشا كثيفا مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء فجعل يحتاله ويماكره وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فأغروا به الرشيد وقالوا إنه يراعيه من جهة الرحم وإلا فشوكة الوليد يسيرة وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجه إليه الرشيد كتاب مغضب وقال لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب وأمير المؤمنين يقسم بالله تعالى لئن أخرت مناجزة الوليد ليبعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقي الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٢/٢٧

تسع وسبعين ومائة عشية خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة وكانت للوليد أخت تسمى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء)

في مراثيها لأخيها صخر فرثت أخاها الوليد بقصائد وكان الوليد ينشد يوم المصاف

(أنا الوليد بن طريف الشاري ... قسورة لا يصطلى بناري)

جوركم أخرجني من داري ولما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بن مزيد بنفسه حتى لحقه على مسافة بعيدة فقتله وحز رأسه ولما علمت أخته لبست عدة حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسه وقال اغربي غرب الله عليك فقد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وقالت **ترثي** أخاها الوليد

(ذكرت الوليد وأيامه ... إذ الأرض من شخصه بلقع)

(فأقبلت أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدع)

(أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا)

(لو أن السيوف التي حدها ... يصيبك تعلم ما تصنع)

(نبت عنك إذ جعلت هيبة ... وخوفا لصولك لا تقطع)

وقالت فيه أيضا

(بتل نهاكي رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف)

(تضمن مجدا عدمليا وسؤددا ... وهمة مقدام ورأي حصيف)." (١)

"وقال

(إذا ما الريح نحو الأثل هبت ... وجدت الريح أطيبها جنوبا)

(فماذا تصنع الأرواح تسري ... بريا أم عمرو أن تطيبا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٦٨/٢٧

(أليست أعطيت من حسن خلق ... كما شاءت وجنبت العيونا)

وقال
(بنفسي من لا بد أني أهاجره ... ومن أنا من الميسور والعسير ذاكره)

(ومن بان مني يوم بان وما درى ... أكنت أنا الموتور أم أنا واتره)

وكانت له أخت تدعى زينب وهي شاعرة مجيدة فمن شعرها في أخيها يزيد لما قتل **ترثيه**
(أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله)

(فتى قد قد بالسيف لا متضايلا ... ولا وهل لباته وأباجله)

(فتى لا يرى قد القميص بخصره ... ولكنه توهى القميص كواهله)

(فتى ليس كابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله)

(يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله)

(إذا نزل الأضياف كان عذورا ... على الحي حتى تستقل مراجله)
[٣٨٦]
(إذا القوم أموا بيته فهو عامد ... لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله)

(إذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطل إن شئت ألهاك باطله)

(مضى ووثناه دريس مفاضه ... وأبيض هنديا طويلا حمايله)

(فتى كان يروي المسرفي بكفه ... وتبلغ أقصى حجره الحي نايله)

(كريم إذا لاقيته متبسما ... وإما تولى أشعث الرأس حافله)

(يمر على الوادي فتومي رماله ... إليه وبالنادي فتثنى أرامله)
[٣٨٧]." (١)

"مات.

قلت: كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال: شديدا، واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين.

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلا قال له: هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي؟ قال: نعم! قال: إذا أنا مت فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتا منها قوله: قومي بثينة فاندبي بعويل * وابكي خليلا دون كل خليل فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدر سرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له: ويحك إن كنت صادقا فقد قتلتني، وإن كنت كاذبا فقد فضحتني.

فقلت: بلى والله صادق وهذه حلته وناقته، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتا ترثيه بها وتتأسف عليه فيها (١) ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده، ولا خير لها في الحياة بعد فقده، ثم ماتت من ساعتها: قال الرجل: فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ.

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق: لو تركت الشعر وحفظت القرآن؟ فقال: هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن من الشعر لحكمة " (٢) .

عمر بن عبيد الله ابن معمر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي أحد الأجواد والأمراء الأمجاد، فتحت على يديه بلدان كثيرة، وكان نائبا لابن الزبير على البصرة، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم، وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما، وعن عطاء بن أبي رباح، وابن عون، ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين.

قاله المدائني.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٨/٢٨

وحكي أن رجلا اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حبا شديدا وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شئ سوى هذه الجارية، فقالت له الجارية: قد أرى ما بك من قلة الشئ.
فلو بعتني وانتفعت بثمني صلح حالك، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا (٣) - وهو يومئذ أمير البصرة بمائة ألف

---

(١) ذكرها ابن خلكان في الوفيات ٤ / ٣٧١ والاغاني ٨ / ١٥٤: وإن سلوي عن جميل لساعة * من الدهر ما حانت ولا حان حينها سواء علينا يا جميل بن معمر * إذا مت بأساء الحياة ولينها (٢) أخرجه البخاري في الادب (٩٠) والترمذي في الادب باب (٩٠) وابن ماجة في الادب (٤١) والدارمي في الاستئذان (٦٨) وأحمد في المسند ١ / ٢٦٩، ٢٧١، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣ / ٤٥٦، ٥ / ١٢٥.
(٣) في العقد الفريد ١ / ٩٢ باعها من عبيد الله بن معمر.
(*)." [(١)]

"أحمد بن مهدي بن رستم (١) العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلثمائة ألف درهم، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش.
وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له: إني قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي، وأن هذا الحمل منك، فاسترني سترك الله ولا تفضحني.
فسكت عنها، فلما وضعت جاءني أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد، فأظهرت البشر وبعث فاشتريت بدينارين شيئا من حلوا وأطعمتهم، وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد في كل شهر دينارين صفة نفقة المولود، وأقول: أقرئها مني السلام، فإنه قد سبق مني ما فرق بيني وبينها.
فمكث كذلك سنتين، ثم مات الولد فجاؤوني يعزونني فيه، فأظهرت الحزن عليه، ثم جاءتني أمه بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد، قد جمعتها في صرة عندها، فقالت لي: سترك الله وجزاك خيرا، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها.
فقلت: إني كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت **ترثينه** فهي لك، فافعلي بها ما شئت فدعت

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٥٦/٩

وانصرفت.

بدر بن الهيثم ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر، أبو القاسم البلخي القاضي الكوفي.

نزل بغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة، وكان ثقة نبيلا، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة.

توفي في شوال منها بالكوفة عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي، ويعرف بابن بنت منيع، ولد سنة ثلاثة عشرة، وقيل أربع (١) عشرة ومائتين ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام، ولم يسمع منه، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وعلي بن الجعد، وخلف بن هاشم البزار،

وخلق كثير، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة، وقال: يريد أن يجمع بين الثلاثة؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخا، وكان ثقة حافظا ضابطا، روى عن الحفاظ وله مصنفات.

وقال موسى بن هارون الحافظ: كان ابن بنت منيع ثقة صدوقا، فقيل له: إن ههنا ناسا يتكلمون فيه.

فقال: يحسدونه، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق.

وقال ابن أبي حاتم وغيره: أحاديثه تدخل في الصحيح.

وقال الدارقطني: كان البغوي قل ما يتكلم على

---

(١) من تذكرة الحفاظ ١ / ٥٩٧، وفي الاصل رسيم.

قال الذهبي مات سنة ٢٧٢.

(انظر الوافي ٨ / ١٩٩) .

(٢) في الاصل أربعة والصواب ما أثبتناه (*) .." (١)

"إذا ما البرمكي غدا ابن عشر ... فهمته أمير أو وزير

وقد اتفق للفضل في هذه السفرة إلى خراسان أشياء غريبة، وفتح بلادا كثيرة، منها كابل وما وراء النهر، وقهر ملك الترك وكان ممتنعا، وأطلق أموالا جزيلة جدا، ثم قفل راجعا إلى بغداد، فلما اقترب منها خرج الرشيد

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨٥/١١

ووجوه الناس إليه، وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس، فجعل يطلق الألف ألف، والخمسمائة ألف ونحوها، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره إلا بتعب وكلفة، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدر موضوعة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال:

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد ... وجود يديه بخل كل بخيل

فأمر له بمال جزيل. وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم. وغزا الشاتية سليمان ابن راشد. وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس نائب مكة.

وفيها توفى جعفر بن سليمان، وعنتر بن القاسم، وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم القاضي ببغداد، وصلى عليه الرشيد ودفن بها، وقد قيل إنه مات في التي قبلها فالله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل، فولى الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري. وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك عن الحجوبة وردها إلى الفضل بن الربيع. وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني، وكان من أمره ما سيأتي طرف منه. وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر أتباعه، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق أصحابه، فقالت الفارعة في أخيها الوليد ابن طريف ترثيه:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

وفيها خرج الرشيد معتمرا من بغداد شكرا لله عز وجل، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة، فمشى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات، وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيا، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة.

وفيها توفى:

إسماعيل بن محمد

ابن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد، كان من الشعراء المشهورين المبرزين فيه، ولكنه كان رافضيا خبيثا، وشيعيا غثيثا، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة- أي بالدور- قال يوما لرجل: أقرضني دينارا ولك عندي مائة دينار إذا رجعنا إلى الدنيا. فقال له." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٧٣/١٠

"الساجي وملك الروم الدمستق، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم، وقتل منهم خلقا كثيرا.
وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رمادا أحمر يشبه رمل أرض الحجاز. فامتلأت منه البيوت.
وفيها توفى من الأعيان:
أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوي، كان عالما بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف.
أحمد بن مهدي بن رميم
العابد الزاهد أنفق في طلب العلم ثلاثمائة ألف درهم، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش.
وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له: إني قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي، وأن هذا الحمل منك، فاسترني سترك الله ولا تفضحني. فسكت عنها، فلما وضعت جاءني أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد، فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئا حلوا وأطعمتهم، وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد في كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود، وأقول: أقرئها مني السلام فإنه قد سبق مني ما فرق بيني وبينها.
فمكثت كذلك سنتين، ثم مات الولد فجاءوني يعزونني فيه، فأظهرت الحزن عليه، ثم جاءتني أمه بالدنانير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد، قد جمعتها في صرة عندها، فقالت لي: سترك الله وجزاك خيرا، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها. فقلت: إني كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت ترثينه فهي لك، فافعلي بها ما شئت فدعت وانصرفت.
بدر بن الهيثم
ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر، أبو القاسم البلخي القاضي الكوفي. نزل بغداد وحدث بها عن أبي كريب وغيره، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة، وكان ثقة نبيلا، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة. توفى في شوال منها بالكوفة.
عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي، ويعرف بابن بنت منيع، ولد سنة ثلاث عشرة، وقيل أربعة عشرة ومائتين. ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام، ولم يسمع منه، وسمع من أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وعلي بن الجعد، وخلف بن هشام البزار، وخلق كثير، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة، وقال: يريد أن يجمع بين الثلاثة؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخا، وكان ثقة حافظا ضابطا، روى عن الحفاظ وله مصنفات. وقال موسى بن هارون

الحافظ: كان ابن بنت منيع ثقة صدوقا، فقيل له: إن هاهنا ناسا يتكلمون فيه. فقال: يحسدونه، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق. وقال ابن أبى." (١)

"وأمها ثوبا فتحادثنا إلى الغروب، قال كثير: فرجعت حتى أنخت بهم. فقال أبو بثينة: ما ردك يا ابن أخي؟ فقلت: أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك. فقال: وما هي؟ فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الحجاب: -

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي ... إليك رسولا والرسول موكل

بأن تجعلي بيني وبينك موعدا ... وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل

وآخر عهدي منك يوم لقيتني ... بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فلما كان الليل أقبلت بثينة إلى المكان الذي واعدته إليه، وجاء جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادمات، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه.

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له:

ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن قط، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فمن هذا؟ قال: أنا، فـقلت الله: ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة، ببثينة. فقال: لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة، قال: فما برحنا حتى مات. قلت: كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بثينة فقال: شديدا، واستنشده من أشعاره ومدائحه فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين.

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلا قال له: هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي بثينة ولك ما عندي؟ قال نعم! قال: إذا أنامت فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتا منها قوله

قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكى خليلا دون كل خليل

فلما انتهى إلى حيهم أنشد الأبيات فخرجت بثينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له: ويحك إن كنت صادقا فقد قتلتني، وإن كنت كاذبا فقد فضحتني. فقلت: بلى والله صادق وهذه حلته وناقته، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتا **ترثيه** بها وتتأسف عليه فيها، وأنه لا يطيب لها العيش بعده، ولا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٦٣/١١

خير لها في الحياة بعد فقده، ثم ماتت من ساعتها: قال الرجل: فما رأيت أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ.
وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق: لو تركت الشعر وحفظت القرآن؟ فقال: هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من الشعر لحكمة»." (١)

"أو قلما يكتب بي ما ألقا ... من أدب مستحسن قد صنفا

يا ليتني كنت لعمرو عوده ... أوحلة يلبسها مقدوده

أو بركة باسمه معدوده ... أو بيعة في داره مشهوده

يا ليتني كنت له زنارا ... يديرني في الخصر كيف دارا

حتى إذا الليل طوى النهارا ... صرت له حينئذ إزارا

واكبدي من خده المضرج ... واكبدي من ثغره المفلج

لا شيء مثل الطرف منه الأدعج ... اذهب للنسك وللتحرج

إليك أشكو يا غزال الإنس ... ما بي من الوحشة بعد الأنس

يا من هلالي وجهه وشمسي ... لا تقتل النفس بغير النفس

جدلي كما جدت بحسن الود ... وارع كما أرعى قديم العهد

واصدد كصدى عن طويل الصد ... فليس وجد منك مثل وجدي

ها أنا في بحر الهوى غريق ... سكران من حبك لا أفيق

محترقا ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق

فليت شعري فيك هل ترثي لي ... من سقم ومن ضنى طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل

في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمين المجتهد ... إن أمرا أسعدته لقد سعد

يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... ألا استمعت القول من فصيح

يبيح عن قلب له جريح ... ناح بما يلقي من التبريح

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٩/٤٥

يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال فس قتوم الاقدم ... يكلم الناس ولم ينفطم
بحق من بعد الممات قمصا ... مشوبا على مقداره ما قصصا
وكان لله تقيامخلصا ... يشفي ويبري ألمها وأبرصا
بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور
ومن إليه من الأمور ... يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا ... وعالجوا طول الحياةبوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مستعملين يعبدون عيسى
بحق ماري مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وجرجس
بحق دانيل بحق يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس
بحق ما في قلة الميرون ... من نافع الأدواء للجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر ... وعيدا نسموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظام القدر ... وعيد مرماري العظيم الذكر
بحق شعباء وبالهياكل ... والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفى بها من كل خبل خابل ... ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد ... قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهادي
بحق اثني عشر من الأمم ... ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
وقوله فأقسطت الصواب فقسطت تأمل:

حتى إذا أصبح الدجى جلا الظلم ... ساروا إلى الله ففازوا بالحكم

بحق ما في محكم التنزيل ... من محكم التحريم والتحليل." (١)

"ومما قاله في صباه: [الكامل]

يا دعوة شاك «١» ... ما قد دهاه من لحاظ رشاك

ظبي تصدى للقلوب يصيدها ... من ناظريه في سلاح شاك

ورمى وإن قالوا رنا عن فاتر ... ساج عليه سيمة «٢» النساك

قد كنت أحذر بطشه لو أنني ... أبصرت منه مخايل الفتاك

أو ما عليه ولا عليه حاكم ... يحمي ثغورك أو يحوط حماك

أو ما لجارك ذمة مرعية ... أبذا يظل دم الغريب طلاك؟

إني استنمت إلى ظلالك ضلة ... فإذا ظباؤك ماضيات ظباك

ما لي أخاطب بانة ما أن تعي ... قولا ولا ترثي لدمعة باك؟

أكريمة الحيين، هل لمتيم ... رحمى لديك فأرتجي رحماك؟

أصبتني بعد المشيب وليس من ... عذر لمن لم يصبه ثراك

لولاك «٣» ما جذبت عناني لوعة ... والله يشهد أنني لولاك

لما دعا داعي هواك أجبته ... من لا يجيب إذا دعت عيناك؟

أصليتني نار الصدود وإنني ... راض بأن أصلى ولا أسلاك

وأبحت ما منع التشرع من دمي ... بالله من أفتاك قتل فتاك؟

وتركت قلبي طائرا متخبطا ... بشباك «٤» ختلك أو بطعن سباك

ومنعت أجفاني لذيذ منامها ... كي لا يتيح لي الكرى لقياك

ولقد عجبت وأنت جد بخيلة ... كأن «٥» أعرت الشمس بعض حلاك

إني لأيأس من وصلك تارة ... لكن أعلل مطمعي بعلاك

أسماك أنك قد خفضت مكانتي ... هلا خلعت علي من سيماك؟

إني معناك المتيم فليكن ... حظي لديك مناسبا مغناك

تثني معاطفك الصبا خوطية ... وكذا الصبا فصباك مثل حماك

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٩٥

أبعدتني منها بطعنة رامح ... ألذاك سمتك الورى بسماك؟

أأموت من عطش وثغرك مورد ... فيه الحياة استودعتها فاك؟

هلا تني عن حلوة فلعلة ... وضعت أداة النفي في اسم لماك." (١)

"وعاد إلى العدوة. ثم أجاز البحر ثانية إلى منازلة حصن لييط «١»

، وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس، وعاد إلى العدوة، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، عاملا على خلعهم، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور، ودخل القصر بالقصبة العليا منها، واستحسنه، وأمر بحفظه ومواصلة مرمته، وطاف بكل مكان منه. ثم تملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها، في أخبار يطول اقتضاؤها، والبقاء لله.

وفاته: توفي، رحمه الله، بمدينة مراكش يوم الاثنين مستهل محرم سنة خمسمائة. وممن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره: [الكامل]

ملك الملوك، وما تركت لعامل ... عملا من التقوى يشارك فيه

يا يوسف، ما أنت إلا يوسف ... والكل يعقوب بما يطويه

اسمع، أمير المؤمنين، وناصر ال ... دين الذي بنفوسنا نفديه

جوزيت خيرا عن رعيتك التي ... لم ترض فيها غير ما يرضيه

أما مساعيك الكرام فإنها ... خرجت عن التكييف والتشبيه

في كل عام غزوة مبرورة ... تردي عديد الروم أو تفنيه

تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا ... حتم القضاء بكل ما تقضيه

ويجيء ما دبرته كمجيئه ... فكأن كل مغيب تدريه

متواضعا لله مظهر دينه ... في كل ما تبديه أو تخفيه

ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم ... ملك الملوك الأمر بالتمويه

لو رامت الأيام أن تحصي الذي ... فعلت سيوفك لم تكد تحصيه

إنا لمفجوعون منك بواحد ... جمعت خصال الخير أجمع فيه

وإذا سمعت حمامة في أيكة ... تبكي الهديل فإنها **ترثيه**

ومضى «٢» قد استرعى رعية أمه ... فأقام فيهم حق مسترعيه

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٩٦

إذا هزبر الغاب صرى شبله ... في الغاب كان الشبل شبه أبيه

وإذا علي كان وارث ملكه ... فالسهم يلقى في يدي باريه." (١)

"النفس «١» كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل؟ والشيم «٢» ، الهامية الديم، هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله؟ وأخمدت بعاصف البين ذباله «٣» ؟ أو ترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر. وما الذي يضيرك؟ صين من لفح السموم نضيرك، بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت، وفعلت فعلتك التي فعلت، أن تترفق بذماء، أو ترد بنغبة «٤» ماء أرماق ظماء، وتتعاهد المعاهد بتحية يشم عليها شذا أنفاسك، أو تنظر إلينا على البعد بمقلة حوراء من بياض قرطاسك، وسواد أنفاسك «٥» ، فربما قنعت الأنفس المحبة بخيال زور، وتعللت بنوال منزور، ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور: [الكامل]

يا من ترحل والرياح «٦» لأجله ... تشتاق «٧» إن هبت شذا رياها

تحيي النفوس إذا بعثت تحية ... فإذا عزمت اقرأ ومن أحياها

«٨»

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسا تفديك، والله إلى الخير يهديك، فنحن نقول معشر مريديك «٩» : ثن ولا تجعلها بيضة الديك «١٠» ، وعذرا فإني لم أجترىء «١١» على خطابك بالفقر الفقيرة، وأدللت لدى حجراتك برفع العقيرة، عن «١٢» نشاط بعثت «١٣» مرموسه «١٤» ، ولا اغتباط بالأدب تغري بسياسته سوسه، وانبساط أوحى إلي على الفترة ناموسه، وإنما هو اتفاق جرته نفثة المصدور، وهناء الجرب المجدور، وخارق." (٢)

"المعاني جيدا، ويقول الشعر. وكان يشهد مجلس الحكم، ويحضر المواكب.

وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء، منتصف محرم سنة عشر وخمسمائة. وصلي عليه يوم الأربعاء. كذا ذكر ابن شافع وغيره.

وفي تاريخ ابن المنادي: أنه توفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. ودفن يوم السبت بدكة الإمام أحمد.

فعلى هذا: تكون وفاته قبل والده بشهر واحد. ولا أظن هذا إلا غلطا. وكان له من العمر سبع وعشرون

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٠٦/٤

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٥٢١/٤

سنة. ودفن في داره بالظفرية، فلما مات أبوه نقل إلى دكة الإمام أحمد رضي الله عنه.

قال والده: مات ولدي عقيل. وكان قد تفقه وناظر وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه، فقالت دأمه **ترثيه**:." (١)

"وأما الاستهلال (١)

فهو أن تبتدئ بما يدل على الغرض. مثاله قول الخنساء (٢)

وما بلغت كف امرئ متناولا ... من المجد إلا والذي نلت أطول

وما بلغ المهدون للناس مدحة ... وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل

وأما التخليص (٣)

فهو أن تخرج من التغزل إلى ذكر الممدوح مع امتزاج بين النوعين بحيث يتلاءمان تلاؤم أجزاء النوع الواحد. مثاله قول محمد بن وهيب: (٤)

ما زال يلثمني مراشفه ... ويعلني الإبريق والقدح

حتى استرد الليل خلعته ... وبدا خلال سواده وضح

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح!

وأما الترديد (٥)

فهو أن تعلق لفظة بمعنى ثم تردها بعينها، وتعلقها بمعنى آخر. وأكثر ما يستعمله المحدثون. ومنه قول أبي حية النميري (٦)، وهو المقدم في ذلك، إذ أجمعوا أنه [١٦/ب] سبق إلى الإحسان جميع من تقدمه أو تأخر عنه (٧):

---

(١) في تحرير التحبير بعنوان: حسن الابتداءات:١٦٨.

(٢) من أبيات **ترثي** أخاها (الديوان:٥) وانظر روايات البيتين.

(٣) في تحرير التحبير بعنوان: براعة التخلص.

(٤) في النسختين: محمد بن وهب. والشاعر هو محمد بن وهيب؛ ترجم له في الأغاني ١٩:٢ - ٢٦

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٣٥٨/١

والأبيات من قصيدة له يمدح بها المأمون العباسي.

(٥) تحرير التحبير:٢٥٣.

(٦) ترجمته في الأغاني ١٦:٢٣٦.

(٧) البيتان الأولان في الأغاني ١٦:٢٣٥، وفي العقد ٦:١٦٤ – ١٦٥ برواية أخرى.." [(١)]

"وأنتم من بكى منكم إذا تم عام ... يقول عناني ذا البكا والنواح

قلت يا حمام لو خضت بحر الضنى ... كنت تبكي وترثي لي بدمع هتون

ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا ... ما كان يصير تحتك فروع الغصون

اليوم نقاسي الهجر كم من سنا ... حتى لا سبيل جمله تراني العيون

ومما كسا جسمي النحول والسقام ... أخفاني نحولي عن عيون اللواح

لو جتنى المنايا كان يموت في المقام ... ومن مات بعد يا قوم لقد استراح

قال لي لو رقدت لا وراق الرياض ... من خوفي عليه ودا النفوس للفؤاد

وتخضبت من دمعي وذاك البياض ... طوق العهد في عنقي ليوم التناد

أما طرف منقاري حديثو استفاض ... بأطراف البلد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته، وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكازي والملعبة والغزل. واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجه وملاحظاتهم فيها. فمن المزدوج ما قاله ابن شجاع من فصولهم وهو من أهل تازا:

المال زينة الدنيا وعز النفوس ... يبهي وجوها ليس هي باهيا

فها كل من هو كثير الفلوس ... ولوه الكلام والرتبة العاليا

يكبر من كثر ما لو ولو كان صغير ... ويصغر عزيز القوم إذ يفتقر

من ذا ينطبق صدري ومن ذا تغير ... وكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر

حتى يلتجي من هو في قومو كبير ... لمن لا أصل عند وو لا لو خطر

لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس ... ويصبغ عليه ثوب فراش صافيا

اللي صارت الاذناب أمام الرءوس ... وصار يستفيد الواد من الساقيا

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/٦٤

ضعف الناس على ذا وفسد ذا الزمان ... ما يدروا على من يكثروا ذا العتاب
اللي صار فلان يصبح بو فلان ... ولو رأيت كيف يرد الجواب." (١)

"بانته، فحمائمه بعدك تندب فيساعدها الجندب، ونواسمه ترق فتتغاشى، وعشبانه تتهافت وتتلاشى، وأدواحه في ارتباك، وحمائمه في مأتم ذي اشتباك، كأن لم تكن قمرها لات قبابه، ولم يكن أنسك شارع بابه، إلى صفوة الظرف ولبابة، ولم يسبح إنسان عينك [١] في ماء شبابه، فلهفا عليك من درة اختلستها يد النوى، ومطل بردها الدهر ولوى، ونعق غراب بينها في ربوع الهوى، ونطق بالزجر فما نطق عن الهوى، وبأي شيء يعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طما نهرك الفياض، وفهقت [٢] الحياض، ولا كان الشانئ المشنوء والحرب المهنوء من قطيع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الأمر الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، فشرع [٣] الشراع فراع، وواصل الإسراع، فكأنما هو تمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة، وأختطف بهم من الشط نزهة العين، وعين النزهة، ولجج بها، والعيون تنظر، والعبر عن الاتباع [٤] تخطر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنتسف، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووفر الحبرة [٥] من الحسرة، إنما نشكو إلى الله البث والحزن، ونستمطر منه المزن [٦] ، وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت لليأس أسنة ونصول.

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول

فإن كان كلام [٧] الفراق رغيبا، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهني تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروى صحيحا غريبا. إيه سيدي كيف حال تلك الشمائل المزهرة المخايل، والشيم الهامية الديم؟ هل يمر ببالها من راعت بالبعد باله، وأخمدت بعاصف البين ذباله؟ أو ترثي لمؤق [٨] شأنها سكب لا يفتر، وشوق

---

[١] بؤبؤ العين.

[٢] امتلأت.

[٣] وفي نسخة ثانية: نشر الشراع فراع.

[٤] وفي نسخة ثانية: الغمر عن الاتباع يحظر. والغمر: الماء الكثير.

[٥] وفي نسخة ثانية: الجسرة أي الناقة.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٨٣٣/١

[٦] المزن: السحاب.

[٧] وفي نسخة ثانية: كلم وهو الجرح.

[٨] وفي نسخة ثانية: لشئون.." (١)

"أنت بدر أم أنت شمس فإنا ... قد رأيناك غرة في الأصائل

وكفيت الحرار يا أشرف القو ... م ومن جوده ينعي ابن باخل

الباب الثامن

في الباذهنج وترتيبه

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر

أنا نعمى من ابتهج ... أنعش الروح والمهج

وعن البحر يا نسي ... م حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة) :

وباذهنج علا علاء ... ولكنه قد هوى هواء

دام عليك النسيم فيه ... وكأنه يطلب الشفاء

وقال أبو الحسن عبد الكريم الأنصاري:

ونفحة باذهنج أسكرتنا ... وجدت بروحها برد النعيم

أتينا من أنيق الشكل سمح ... تراه مثل راووق النديم

صفا وجرى الهوى فيه رقيقا ... فسميناه راووق النسيم

ومما يحسن أن ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب:

إذا الريح من نحو الحبيب تبسمت ... وجدت لرباها على كبدي بردا

وإني بتهباب النسيم موكل ... طروب وبعض القوم يحسبني

وللشيخ برهان الدين القيراطي:

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل ... بهوائه لنفوسنا تنفيس

مغرى بجذب الريح من آفاقها ... فكأنه للريح مغناطيس

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٦٧/٧

وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة:

وباذهنج لا خلت ... ديارنا من أنسه

كأنه ميتم ... يلقى الهوى بنفسه

وله:

وباذهنج غدا في الجو منظر ... من فوق منظره تبدو على سنن

فانظر فديتك يا محبوب رفعته ... واستنشق الريح من تلقاه يا سكني

وله:

يا باذهنجي كم كذا ... تعلو على بان الحمى

ابديت حمقا زائدا ... رفعت رأسك للسما

وله مضمنا:

ودار حكت قصر السمؤل فاغتدت ... تباهي ببنيان لها وتقول

أرى باذهنجي في الهواء ارتفاعه ... يعز على من راحه ويطول

وله مضمنا:

يا باذهنجي أما **ترثي** لذي حرق ... يبدي لهيب الجوى مذبات يخفيها

عودتنا صدقات من لطيف هوى ... فامنن علي بريح منك يجريها

وله مضمنا:

يا باذهنجي لا برحت من الهوى ... مثلي على حب الديار مولها

داري بحبك دائما مشغوفة ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وله:

وباذهنج تره كغصن بان ترنح ... يهتز عند العطايا لأنه يتريح

وله ملغزا فيه:

وذي جناح طوله ... أضعاف ما في العرض

ما جار في شرع الهوى ... وحكمه إذ يقضي

ولم يطر مع كونه ... بين السما والأرض

وقال أبو الفتح بن قادوس يهجوه:

لك باذهنج قلب صب له ... نفس يصاعد لوعة الحرق

مات النسيم به فأجمعنا ... نبكي عليه بأدمع العرق

ولصدر الدين بن عبد الحق (توفي تقريبا سنة ثمانين وسبعمائة) :

في الباذهنج لا تنم ... فما لمرضاه دوى

لا يأمن الشخص الذي ... يسرق في الليل الهوى

ولشهاب الدين بن أبي حجلة:

وباذهنج ريحه ... تضرم نيران الجوى

مدحته جهلا به ... فراح مدحي في الهوى

وله مضمنا فيه:

هجا الشعراء جهلا باذهنجي ... لأن نسيمه أبدا عليل

فقال الباذهنج وقد هجوه ... إذا صح الهوى دعهم يقولوا

وقال شهاب الدين السنبلي المالكي (توفي سنة أربع وستين وستمائة) :

وباذهنج إذا حر المصيف أتى ... أهدى النسيم وقد رقت حواشيه

مصغ إلى الجو ما ناجاه فحة ... إلا ونم عليه فهو واشيه

وأكثر الناس ولوعا بالباذهنج القاضي الفاضل فإنه قال من رسالة: إني من مدة سنتين وما قاربهما وهي المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلو سعر شعري قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ديوانها مثل قولي في باذهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور ما يناهز ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه ويعفي المحاسن بديع ابتداعه.

ومثل قولي في رجل طويل الآذان كأنهما في رأسه خفان أو قد عجل له منهما نعلان، ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما أدخلت منها الشاعر إلى بيت.

ومثل قولي في رثاء الوطن الذي درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره ما يناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولي:

في مدايح منصوصه ... وأهاجي مخصوصه." (١)

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٩

"فيه، فهذه الباءات والراءات فيه كأنها سلسلة، ولا خفاء بما في ذلك من الثقل.

قال: وكذلك يجري الحكم في كل ما تكرر فيه حرف أو حرفان؛ إلا أنه لم يطلق على ذلك اسم التنافر، وجعل التنافر قسما مستقلا برأسه كما سيأتي، وعد هذا من أنواع المعاظلة اللفظية؛ ثم ذكر من أمثلته قول الحريري «١» في مقاماته:

وازور من كان له زائرا ... وعاف عافي العرف عرفانه

وقول كشاجم:

والزهر والقطر في رباها ... ما بين نظم وبين نثر

حدائق، كف كل ريح ... حل بها خيط كل قطر

وقول الآخر:

مللت مطال مولود مفدى ... مليح مانع مني مرادي

وقول المتنبي:

كيف ترثي التي ترى كل جفن ... راءها غير جفنها غير راقي

وعاب بيت الحريري لتكرر العين فيه في قوله:

وعاف عافي العرف عرفانه

وعاب البيت الثاني من بيت كشاجم لتكرر الكاف فيه في كف «وكل» الأولى و «كل» الثانية، وقال: هذا البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شدقه حتى يديره له؛ وعاب البيت الذي يليه لتكرر الميم فيه في أوائل الكلمات، وقال: هذه الميمات كأنها عقد، متصلة بعضها ببعض، وعاب بيت المتنبي لتكرر الجيم والراء في أكثر كلماته، وقال: هذا وأمثاله إنما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوبه في بعض الأيام.

قال: وكان بعض أهل الأدب من أهل عصرنا يستعمل هذا." (١)

"وقد تقدم القول أن النكتة في التاجر استحقها الشيخ جمال الدين بن نباتة على الصلاح الصفدي، وعلى زين الدين الوردي، وهي:

وتاجر أسكرني طرفه ... والكاس فيما بيننا دائر

وقال لي سرك قلت اسقني ... جهرا على عينك يا تاجر

ومن نكته المخترعة قوله:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٢٩٣

شاب ورد الرياض من ... ورد خديك وانفرك١

فله الناس أثبتوا ... وانتفى الورد للكرك٢

ورسم الجوباني، وهو إذ ذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق، أن ينظموا له ما يكتب على أسنة الرماح، فنظم القاضي فتح الدين بن الشهيد:

إذا الغبار على في الجو عثيره ... فأظلم الجو ما للشمس أنوار٣

هذا سناني نجم يستضاء به ... كأنه علم في رأسه نار٤

إن الرماح لأغصان وليس لها ... سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي، نور الله ضريحه، وكان إذ ذاك في عنفوان شبابه ومبادي نظمه:

النصر مقرون بضرب أسنة ... لمعانها كوميض برق يشرق

سبكت ما لتسبك كل خصم مارق ... وتطرقت لمعاند يتطرق

زرق تفوق البيض في الهيجاء إذ ... يحمر من دمها العدو الأزرق٥

ينسجن يوم الحرب كل كتيبة ... تحت الغبار فنصرهن محقق

---

١ انفرك: صار قريبا من النضوج.

٢ الكرك: مدينة.

٣ العثير: الناعم من الغبار.

٤ الشطر الثاني من هذا البيت مضمن وهو للخنساء ترثي أخاها صخرا في قولها:

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

والعلم: الجبل العالي سمي بذلك لأنهم كانوا يوقدون في رأسه نارا علامة للضالين من المسافرين في الصحراء ليهتدوا إلى مكان معمور.

٥ الزرق والبيض: الخيول. الهيجاء: الحرب. العدو الأزرق: الأجنبي من أبناء الروم.." (١)

"وقتلوا الحسين «١» وحملوا النساء «٢» على الأقتاب «٣» وكشفوا عن عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى «٤» المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة، وبعث معاوية بن أبى

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٢١٢

سفيان إلى اليمن بشر بن أرطاة فقتل ابنى عبيد الله ابن عباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم، فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد الدار بن الدبان **ترثيهما**:

يا من أحس ببنى اللذين هما ... كالدرتين تشفى عنهما الصدف

انجى على ودجى طفلى مرهقة ... مطرورة وعظيم الإثم يعترف." (١)

"الخليفة وقد قوى عزمه، وأتى إلى دار جدته السيدة بلارة بنت القاسم زوجة العادل، وأخبر العادل بأن أباه سمح له بالعود إلى القاهرة شفقة عليه وخوفا من وعشاء السفر فقبل ذلك ومشى عليه. فلما أصبح العادل يوم الخميس سادس المحرم مضى من أول النهار إلى مصر لتجهيز المراكب الحربية والنفقة في رجالها وعرضها؛ فظل نهاره في تهيئة ذلك ليلحق عباسا، وعاد في أثناء النهار إلى داره بالقاهرة وقد لحقته مشقة وتعب تعبا كثيرا. فلما استلقى على الفراش لينام، وكانت امرأته جدة نصر قد توجهت إلى الحمام وخلا له البيت؛ فجاء إلى باب السر ودخل منه ومعه سيف، فإذا العادل قد نام وقت القائلة، فاخترط سيفه وضربه وهو خائف، فوقعت الضربة على رجله، فثار من فراشه وأبصره، فقال: إلى أين يا كليب! وخرج نصر يعدو، وكان قد أعسته جماعة من أصحابه، فلما صار إليهم وأعلمهم بما وقع قالوا له: قد قتلت نفسك وقتلتنا! ودخلوا و ه و معهم، فإذا به قد جاء أستاذ من خدامه وهو يحدثه فقتلوه وأخذوا رأسه، فطلع بها نصر إلى الظافر. وماج الناس في القاهرة.

وسرح الطائر للوقت بطلب عباس من بلبيس، فقام من فوره وصار إلى القاهرة، فدخلها بكرة يوم الجمعة سادس المحرم، ثاني يوم قتلة العادل؛ فوجد جماعة من الأتراك كان العادل اصطفاهم واختصهم قد نفروا وتوحشت قلوبهم مما وقع؛ فأخذ يسكن أمرهم، فلم يثقوا به ولا اطمأنوا إليه. وخرجوا يدا واحدة فساروا إلى دمشق.

وكانت قتلة العادل في يوم الخميس وقت الظهر السادس من المحرم، وله في الوزارة ثلاث سنين وستة أشهر.

ولما حملت رأسه إلى الظافر أشرف من باب الذهب، ونصبت الرأس ليراها الناس، ثم حملت إلى خزانة الرءوس من بيت المال وجعلت فيها مع الرءوس، وما تحرك لها ساكن، ولا تكلم أحد. إلا أن نائحة كانت تسمى خسروان كانت قد مهرت في صناعة النياحة على الأموات، وصارت تنشيء في نواحها الروائع، فقالت فيه **ترثيه** سطرين أعجب بهما أدباء العصر من جملة قطعة:

---

(١) رسائل المقريزي المقريزي ص/١٦

ما تقبل الغفلة يا شهيد الدار

يا شبيه ذي النورين صاحب المختار." (١)

"وقال البخاري: كان كاتب عبد الله بن قرط عامل أبي عبيدة على حمص.

وروى عن أبي عبيدة. روى عنه ابنه محمد.

وروى الروياني في مسندة، وأبو القاسم الحمصي في «تاريخ الحمصيين» من طريق عيسى بن أبي رزين: حدثني صالح بن شريح: رأيت أبا عبيدة يمسح على الخفين. وقال أبو عبيدة: ما نزعتهما منذ خرجت من دمشق.

وقال أبو بكر البغدادي في «طبقات أهل حمص» : كان صاحب معاذ بن جبل. وقال أبو زرعة الدمشقي: عاش إلى خلافة عبد الملك، وله رواية في ترجمة النعمان بن الرازية.

٤١٤١ ز- صالح بن كيسان:

التابعي المشهور.

زعم الحاكم أنه مات وله مائة ونيف وستون سنة، فعلى هذا يكون أدرك الجاهلية ويكون مولده قبل البعثة بسنين. والذي ذكره غيره أنه ما بلغ تسعين سنة. والله أعلم.

٤١٤٢ ز- صبيرة بن سعد:

بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي.

ذكره أبو مخنف في «المعمرين» ، وقال: عاش مائة وثمانين سنة، وأدراك الإسلام فأسلم، وقيل: لم يسلم. هذا هو الصحيح، وفيه قول ابنته ترثيه:

من يأمن الحدثان بعد صبيرة السهمي ماتا ... سبقت منيته المشيب وكان ذلكم انفلاتا «١»

[مجزوء الكامل]

٤١٤٣ ز- صبيغ:

بوزن عظيم، وآخره معجمة، ابن عسل، بمهملتين الأولى مكسورة [والثانية] «٢» ساكنة، [ويقال بالتصغير]

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٠٥/٣

«٣» ، ويقال [ابن سهل] «٤» الحنظلي.

له إدراك، وقصته مع عمر مشهورة.

روى الدارمي من طريق سليمان بن يسار، قال: قدم المدينة رجل يقال له صبيغ، [بوزن عظيم وآخره مهملة، ابن عسل] «٥» ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى [أدمى] «٦» رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي.

---

(١) ينظر البيتان في المعمرين (٢٥) .

(٢) في أوالياء ساكنة.

(٣) سقط في أ.

(٤) في أأنه شريك.

(٥) سقط في أ.

(٦) في أدمي.." (١)

"عمر بن حسين، عن عائشة بنت قدامة، عن أبيها، عن عمها، قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل تشق علي [العزوبة] «١» في المغازي، فتأذن لي في الخصاء فأختصي؟ فقال: لا، ولكن عليك- ابن مظعون- بالصوم» .

وروى البزار «٢» ، من طريق قدامة بن موسى، عن أبيه عن جده قدامة بن مظعون حديثا، وقال: لا أعلم له غيره.

وفي «الصحيحين» عن أم العلاء، قالت: لما مات عثمان بن مظعون قلت: شهادتي عليك أبا السائب، لقد أكرمك الله.

توفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم.

وروى الترمذي من طريق القاسم، عن عائشة، قالت: قبل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي، وعيناه تذرفان. ولما توفي «٣» إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألحق بسلفنا

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٣٧٠/٣

الصالح عثمان بن مظعون» .

وقالت امرأة **ترثيه**:

يا عين جودي بدمع غير ممنون ... على رزية عثمان بن مظعون

[البسيط]

٥٤٧٠- عثمان بن معاذ بن عثمان التيمي «٤» :

قال ابن عبد البر: روى حديثه ابن عيينة عن حميد بن قيس، عن محمد بن إبراهيم، عن رجل من قومه يقال له عثمان بن معاذ، أو معاذ بن عثمان، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ارموا الجمار بمثل حصى الحذف» .

قلت: قد رواه عبد الوارث، عن حميد بن قيس، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن معاذ، أخرجه أبو داود والنسائي، وهو المحفوظ، ورواه معمر عن حميد بن قيس، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن معاذ، عن رجل، أنه سمع، فإن كان ابن عيينة حفظه فلعل عبد الرحمن سمعه من أخيه عثمان.

٥٤٧١ ز- عثمان بن نوفل:

---

(١) في أ: الغربة.

(٢) في أ: الداري.

(٣) في أ: قال: ولما توفي.

(٤) أسد الغابة ت ٣٥٩٥، الاستيعاب ت ١٧٩٩.." (١)

"فبلغتها خطبته، فقالت: لا أدع بني عمي الطوال مثل عوالي الرماح، وأتزوج شيخا، فلما بلغه ذلك قال من أبيات:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالي ونفسي

وقالت إنه شيخ كبير ... وهل خبرتها أني ابن أمس

[وقد علم المراضع في جمادى ... إذا استعجلن عن حز بنهس]

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٣٨٢/٤

[الوافر] إلى أن قال:

وأني لا أبيت بغير نحر ... وأبدأ بالأرامل حين أمسى

وأني لا يهر الكلب ضيفي ... ولا جاري يبيت خبيث نفس

فأجابته بأبيات.

قال أبو عمر: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده، وهو يقول: «هيه يا خناس» ، ويومئ بيده.

قالوا: وكانت الخنساء تقول في أول أمرها البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو، وقتل أخوها لأبيها صخر، وكان أحبهما إليها، لأنه كان حليما جوادا محبوبا في العشيرة، كان غزا بني أسد فطعنه أبو ثور الأسدي طعنة مرض منها حولا، ثم مات، فلما قتل أخواها أكثرت من الشعر، فمن قولها في صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد عظيم الرماد ... ساد عشيرته أمردا «١»

[المتقارب] ومن قولها فيه:

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

---

(١) البيت للخنساء ترثي أخاها صخرا كما في ديوانها ص ٣٥ وبعده:

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته أمردا

تنظر الأبيات في أسد الغابة ترجمة رقم (٦٨٨٣) ، والاستيعاب ترجمة رقم (٣٣٦٣) .." (١)

"القسم الثاني

خال لكن يمكن أن يذكر فيه:

عائشة بنت سعد. وعائشة بنت شيبة. وعائشة بنت معاوية. وعبيدة بنت صعصعة بن ناجية التميمية عمة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ١١٠/٨

الفرزدق، وهي أم حزرة زوج الزبرقان بن بدر، لها ذكر في ترجمة الحطيئة في كتاب أبي الفرج، وأنها هي التي أمر الزبرقان الحطيئة أن ينزل عندها إلى أن يرجع من سفره، فقصرت به، فكان ذلك سبب هجاء الحطيئة الزبرقان بن بدر.

القسم الثالث

١١٥٥٩- عمرة بنت دريد بن الصمة:

قالت **ترثي** أباها، وكان ربيعة بن رفيع المعروف بابن الدغنة قتله:

جزى عنا الإله بني سليم ... بما فعلوا وأعقبهم عقاق

وأسقانا إذا قدنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقي

[الوافر]

القسم الرابع

١١٥٦٠- عائشة بنت عجرة «١»

:

حرف الغين المعجمة

القسم الأول

١١٥٦١- غاثنة «٢» :

بمثلثة بعد الألف وقبل النون، وقيل إنها مثناة تحتانية.

قال ابن مندة: روى ابن وهب، عن عثمان، عن عطاء الخراساني، عن أبيه- أنها أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر أن تمشي إلى الكعبة، فقال:

«اقضي عنها» .

١١٥٦٢- غزيلة:

بالتصغير، ويقال غزية، بالتشديد بدل اللام «٣» ، ويقال بفتح أوله مع

---

(١) أسد الغابة ت (٧٠٩٨) ، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٨٦.

(٢) أسد الغابة ت (٧١٥٧) .

(٣) أسد الغابة ت (٧١٥٨) ، الاستيعاب ت (٣٤٩٣) . أعلام النساء ٥/ ١٩٤، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٩٢، تقريب التهذيب ٢/ ٦٠٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٤٠.." [1]

"وأم سعد بن الربيع، وحديثها في السنن الأربعة.

١١٨١٤- نسيبة بنت نيار

بن الحارث الأنصارية «١» من بني جحجبي. ذكرها ابن حبيب في المبايعات، كذا وأوردها ابن الأثير بعد أم عمارة، ومقتضاه أن نونها مفتوحة، وقد تقدمت فيمن اسمها مصغر آنفا.

١١٨١٥- نسيبة بنت نيار

بن الحارث بن بلال بن أحيحة بن الجلاح الأنصارية.

تزوجها عقبة بن عبد ود بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح قريبها، وأسلمت وبايعت، قاله ابن سعد. ورأيتها مضبوطة في نسخة من الطبقات معتمده بالتصغير، وقيل فيها بالفتح كما سيأتي.

١١٨١٦- نسيكة:

والدة عمرو بن الجلاس «٢» .

روت عنها حبيبة بنت سمعان، أخرج حديثها الطبراني، من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن حبيبة بنت سمعان، عن نسيكة بنت عمرو بن الجلاس، قالت: إني لعند عائشة وقد ذبحت شاة لها، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده عصية فألقاها ثم هوى إلى المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم هوى إلى فراشه فانبطح عليها، ثم قال: «هل من غداء؟» فأتيناه بصحفة فيها خبز شعير وفيها كسرة وقطعة من الكرش، وفيها الذراع، فأخذت عائشة قطعة من الكرش فإنها تنهشها إذ قلت: لقد ذبحنا شاة اليوم فما أمسكنا منها إلا هذا، فقال: «لا، بل أمسكت كلها إلا هذا» .

١١٨١٧- نعامة:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨/٢٥٤

من سبي بني العنبر» .

كانت جميلة، فعرض عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجها فلم تلبث أن جاء زوجها الحريش.

وقد تقدم ذلك في حرف الحاء المهملة في ترجمة الحريش المذكور مسند الرواية.

١١٨١٨- نعم:

بضم النون، بنت حسان، امرأة شماس بن عثمان المخزومي «٤» .

أنشد لها ابن إسحاق أبياتا ترثي زوجها لما استشهد بأحد:

---

(١) أسد الغابة ت (٧٣٢٠) .

(٢) أسد الغابة ت (٧٣٢١) ، الثقات ٣/ ٤٢٤، أعلام النساء ٥/ ١٧٥، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٣٠٨.

(٣) أسد الغابة ت (٧٣٢٢) .

(٤) أسد الغابة ت (٧٣٢٣) .." [1]

"ومكرم بن مظفر العيزربي، من شيوخ الدمياطي، مات سنة ٦٧٢ هـ. انتهى.

وبدال: الحارث بن علي بن مكدم الجرمي، عن محمد بن واسع.

وأخوه النمر بن علي؛ من أكابر شيوخ السمرقنديين.

وعبد الله بن عيسى بن أبي المكدم، عن مفضل بن فضالة، ضعيف.

وعبد الله بن مكدم، روى ابن إسحاق في السيرة عن ثقة عنده عنه.

قلت: وربيعة بن مكدم فارس جاهلي مشهور.

وبنته أم عمرو لها شعر ترثيه به.

وأخوه الحارث له ذكر.

مكمل: جماعة.

وبوزن محمد: مكمل بن ...

وبالكسر وسكون ثم مثناة مفتوحة: عثمان بن مكتل، عن الضحاك ابن عثمان.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٨/٣٣٥

وسلمة بن مكتل أبو أيوب، مصري، مات سنة ٢٥٥ هـ.
مكي، بلفظ النسبة: كثير.." (١)

"صبورا على حر الغرام وبرده ... حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضي متقلبا ... يئن غراما فارحميه وواصلي
ألا يا سليمى قد أضر بي الهوى ... وهاجت بتبريح الغرام بلابلي «١»
رميت بسهم من لحاظك قاتل ... فلم يخط قلبي والحشى ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم أبح ... بسر فناحت أدمعي برسائلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى ... فقد عاد لي حال له رق عاذلي
لعل تجودي للكئيب وتسمحي ... بوعد وبعد الوعد إن شئت ماطلي
عسى تنطفي بالوعد ناري وأشتفي ... فبالسقم أعضائي وهت ومفاصلي
خفيت عن العواد لولا تأوهي ... وعظم أنيني لا يراني مسائلي
فرقي فقد رقت عداي لذلتي ... وفاضت على حالي عيون عواذلي
قطعت زماني في عسى ولعلها ... وما فزت في الأيام منك بطائل
فما آن أن ترضي علي وترحمي ... ضني جسدي فالوجد لا شك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع شملنا ... نبي له فضل على كل فاضل
وله رحمه الله تعالى:
يا ربة الحسن من بالصد أوصاكي ... حتى قتلت بفرط الهجر مضناك
ويا فتاة بفتان القوام سبت ... من في الورى يا ترى بالقتل أفتاك
لقد جننت غراما مذ رأى نظري ... في النوم طيف خيال من محياك
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد ... أضحى عليلا حزينا لم يزل باك
عذبتني بالتجني وهو يعذب لي ... فهل ترى تسمحي يوما برؤياك
إن كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا ... فالله يعلم أنا ما نسيناك
ما آن أن تعطفي جودا علي فقد ... أضحى فؤادي أسيرا لحظ عيناك
ما كنت أحسب أن العشق فيه ضنى ... ولا عذاب نفوس قبل أهواك

---

(١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ابن حجر العسقلاني ١٣١٤/٤

حتى تولع قلبي بالغرام فما ... أمسى أسيرا سوى في حسن معناك

رقي لعبدك جودا واعطفي وذري ... ولا تطيلي بحق الله جفواك

يا هند رفقا بقلب ذاب فيك أسى ... ومهجة تلفت ما هند أقساك

رق العذول لحالي في الهوى ورثى ... وأنت يا هند لا ترثي لمضناك

والله لو مت ما أسلاك يا أملي ... ولو فنيت غراما لست أنساك

وقال آخر:

كأن فؤادي يوم سرت دليل ... يسير أمام العيس وهو ذليل «٢»

فصرت عقيب الظاعنين لكي أرى ... فؤادي سرى في الركب وهو عجول

وقائلة لي كيف حالك بعدنا ... لتعلم ما هذا إليه يؤول

فقلت لها قد مت قبل ترحلي ... فمن باب أولى أن يجد رحيل

وقلت فليلي طال هما فأنشدت ... وما زال ليل العاشقين طويل

فقلت وجسمي لم يزل مترجفا ... فقالت وجسم العاشقين نحيل

فقلت لها لو كنت أدري فراقنا ... بيوم وداع ما إليه سبيل

لقلعت عيني في هواك بأصبعي ... لكيلا أرى يوما علي ثقيل." (١)

"فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء يطلق

لها خلق عف ودين ومحتد ... وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له: راجعها يا بني، فراجعها، وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله. فجزعت عليه جزعا شديدا، وقالت ترثيه:

فآليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فتى طول عمري ما أرى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى القرن حتى يترك الرمح أحمرا «١»

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، ودعا الناس إلى وليمته، فأتوه، فلما فرغ من الطعام، وخرج الناس قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها، وأدعو لها بالبركة، فذكر عمر ذلك لعاتكة، فقالت: إن أبا الحسن فيه مزاح، فائذن له يا أمير

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٢٣

المؤمنين، فأذن له. فرفع جانب الخدر، فنظر إليها فإذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق، فقال لها يا عاتكة:

ألست القائلة:

فآليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل: إن عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا، وتزوجت بعده الزبير بن العوام، وكان رجلا غيورا، وكانت تخرج إلى المسجد كعادتها مع أزواجها، فشق ذلك عليه، وكان يكره أن ينهاها عن الخروج إلى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه، فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف، فقعدت بعد ذلك عن الخروج إلى المسجد، وكان يقول لها: ألا تخرجين يا عاتكة؟ فتقول: كنا نخرج إذ الناس ناس وما بهم من باس، وأما الآن فلا. ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم، ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر، فقتل عنها بمصر.

فقالت: لا أتزوج بعده أبدا إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم.

وحكي عن الحارث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان: أترى أخطب إلى أحد فيردني، قال: نعم. قال: ومن هو؟ قال: أوس بن حارثة بن لام الطائي. قال: اركب بنا إليه، فركبنا إليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده، فوجدناه في فناء منزله، فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث. ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جئت خاطبا. قال: لست هناك.

فانصرف ولم يكلمه، فدخل أوس على امرأته مغضبا، فقالت له: من الرجل الذي سلم عليك، فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه؟ فقال: ذلك سيد العرب الحارث بن عوف، فقالت: فما لك لا تستنزله؟ قال: إنه استهجنني.

قالت: وكيف؟ قال: لأنه جاءني خاطبا، قالت: ألست تزعم أنه سيد العرب. قال: نعم. قالت: إذا لم تزوج سيد العرب في زمانه، فمن تزوج؟ قال: قد كان ذلك. قالت:

فتدارك ما كان منك، قال: فبماذا؟ قالت: بأن تلحقه فترده. قال: وكيف، وقد فرط مني إليه ما فرط. قالت: تقول له إنك لقيتني وأنا مغضب لأمر، فلك المعذرة فيما فرط مني، فارجع ولك عندي كل ما طلبت، قال: فركب في أثرهما. قال خارجة بن سنان: فو الله إنا لنسير إذ حانت مني التفاتة فرأيته، فقلت للحارث وهو ما يكلمني هذا أوس في أثرنا، فقال: ما أصنع به، فلما رآنا لا نقف قال:

يا حارث أربع علي. فوقفنا له. وكلمه بذلك الكلام.

فرجع مسرورا. قال خارجة بن سنان: فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته: ادعي لي فلانة، أكبر بناته. فأتته.

فقال لها: أي بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا. وقد أردت أن أزوجك منه، فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأن في خلقي رداءة وفي لساني حدة، ولست بابنة عمه، فيراعي رحمي ولا هو بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره، فيطلقني. فيكون علي بذلك مسبة، قال لها: قومي بارك الله فيك، ثم دعا ابنته الأخرى، فقال لها مثل قوله لأختها، فأجابته بمثل جوابها، فقال لها:

قومي بارك الله فيك، ثم دعا بالثالثة، وكانت أصغرهن سنا، فقال لها مثل ما قال لأختيها، فقالت له: أنت وذاك، فقال لها: إني عرضت ذلك على أختيك، فأبتاه، ولم يذكر لها مقالتهما. فقالت: والله إني الجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه، فقال لها: بارك الله فيك. ثم خرج إليه، فقال: زوجتك يا حارث بابنتي هئيسة، قال: قد قبلت نكاحها، وأمر أمها." (١)

"طعانهم جبن ولا كسرة فلم يفق ابن عثمان من رقاده، إلا وتيمور قد دمر على بلاده، فقامت عليه القيامة، وأكل يديه حسرة وندامة، وزأر وزقا، والتهب حنقا، وكاد أن يموت خنقا، وسلب القرار والهجوع، وعزم في الحال على الرجوع، فتلاطمت من بحر عساكر أمواجه، وتصادمت أثباج أطواده وأبراجه، فرجع عوده على بدئه، وأغرى بوصال السير وحجئه، فنهكهم السير بسرعته، والمكان بقفرته، والزمان بهجيره، والسلطان بزئيره، فلم يدركوه إلا وقد ذاب كل منهم وصبا، وتلا لسان حاله " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " " فصل " وكان تيمور قد وصل إلى مدينة أنقرة، وخيله ورجله مستريحة موفرة، للقتال منتظرة، وللنزال متشمرة، بل لم يكونوا به مكترثين، ولا به محتفلين وقد سبقوا كصناديد قريش إلى الماء، وتركوا عساكره كمسلمي بدر في جانب الظماء، فهلكوا كربا وأوما، وذابوا عطشا بلا ماء، وكأنه إلى ذلك المنزل هو أرشدهم وبلسان حالهم أنشدهم." (٢)

"الشورى، وتوفي وسنه يومئذ ثلاث وستون سنة، وقيل: ستون. وقيل: إحدى وستون، وقيل: ست وستون، وقيل: خمس وستون، وقيل: خمس وخمسون، ونزل قبره عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٦٠

(٢) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٢٦٩

والزبير وسعد بن أبي وقاص، وقيل: صهيب وابنه عبد الله بن عمر عوضا عن الزبير وسعد، تولى الخلافة سنة ثلاث عشرة من الهجرة لثمان بقين من جمادى الآخرة وقيل: بويع له في رجب، وقيل: في ذي الحجة من السنة المذكورة فكانت مدة خلافته عشر سنين وستة اشهر وأربعة أيام، ولما دفن عمر رضي الله عنه قالت عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن عقيل امرأة عمر بن الخطاب **ترثيه**: وفجعني فيروز لا در دره ... بأبيض تال للكتاب منيب رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ... أخا ثقة في النائبات نجيب متى ما يقل لا يكذب القول فعله ... سريع إلى الخيرات غير قطوب وعاتكة امرأته تزوجها عبد الله بن أبي بكر فقتل عنها ثم عمر فقتل عنها ثم الزبير فقتل عنها ثم توفيت سنة إحدى وأربعين، ولما دفن رضي الله عنه لزمت عائشة ثيابها الدرع والخمار والإزار وقالت: إنما كان أبي وزوجي فلما دخل معهما غيرهما لزمت ثيابي، وابتنت حائطا بينها وبين القبور وبقيت في بقية البيت من جهة الشام، ويروى عنها رضي الله عنها أنها رأت في المنام أنه سقط في حجرها وروي في حجرتها ثلاثة أقمار فذكرت ذلك لأبي بكر فقال: خيرا. قال يحيى: فسمعت بعد ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفن في بيتها، قال أبو بكر: هذا أحد أقمارك يا بنية وهو خيرها. قال عفيف الدين المرجاني في فضائل عمر رضي الله عنه: عن ابن عباس قال: رأيت عمر رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقلت له: يا أمير المؤمنين من أين أقبلت؟ قال: من حضرة ربي عز وجل فسألته ماذا فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه فسألني ثم قال: يا عمر تناديك امرأة على شاطئ الفرات فأهلك من شاها شاة تقول: واعمراها واعمراها تستغيث بك فلا تجيبها. فقلت: وعزتك وجلالك ما علمت بذلك وأنت أعلم مني، فقال لي: وقد كان يجب عليك، وإني أرعد من تلك المسألة إلى هذا الوقت، قال ابن عباس: ثم ماذا قال؟ قال: رددت إلى مضجعي فهبط علي منكر ونكير فقالا لي: من ربك؟ ومن نبيك؟ فقلت لهما: أما تستحيان مني ولمثلي تقولان هذا وجذبتهما إلي، وقلت: الله ربي وضجيعي نبي وأنتما من ربكما؟ فقال نكير لمنكر: والله يا أخي ما." (١)

"فعاد لحيان فانفل الجماعة إذ ... رأوا طريقا إلى السلوان وانتصروا

وعاد في قبضتهم لا شكر جودلة ... الأفراح والدمع من عينيه منهمر

يبكي على ما مضى من حسنه اسفا ... وعسكر الشعر من خديه معتكر

لا يستطيع له ردا وكم حرصوا ... برد ذلك أقوام فما قدروا

فهذه الموتة الأولى تجرعها ... فصار أولى من الدنيا به الحفر

(١) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٣٢٤

فاقرأ على نعشه آخر سبأ فلقد ... جاءت بما يقتضي أحواله السور

إذ كان حاجبه نونا وناظره صادا ... وعشاقه من حوله زمر

إذا رأى عاشقا في النازعات غدا ... ما بعدها وهو قد أودى به الضرر

فعاد والليل يغشى نور طلعته ... وزال عن عاشقيه الهم والحصر

هذا جزاؤك يا من لا وفاء له ... والعاشقون لهم طوبى بما صبروا

وله:

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك ال ... بيت المقدس من روحي وجثماني

وقلبك الصخرة الصماء حين قست ... قامت قيامة أشواقي وأشجاني

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعني ... وأن يزورك ذا زور وبهتان

فلا تغرك نار في حشاي فمن ... وادي جهنم تجري عين سلوان

ولآخر ألطف من هذا:

أيا قدس حسن قلبه الصخرة التي ... قست فهي لا **ترثي** لصب متيم

ويا سولي الأقصى عيني باب رحمة ... ففي كبد المشتاق وادي جهنم

ولأبي جلنك المذكور في مليح يصفع عاشقه:

وشادن يصفع مغرى به ... براحة أندى من الوابل

فصحت في الناس: ألا فاعجبوا ... بحر غدا يلطم في الساحل

الأمير عز الدين أيدمر الظاهري، الذي كان نائب الشام في الأيام الظاهرية.

مات برباطه بالجبل ودفن به، وكان رجلا كبير القدر، شجاعا مقداما، كريم النفس، وكانت له جماعة من المماليك أمراء، فمن جملتهم الأعسر وأيدمر النقيب وآخرون.

الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهمداني الإربلي متولي دمشق.

كانت لديه فضائل كثيرة في التاريخ والشعر، وربما جمع شيئا من ذلك، قيل: جمع مجلدا ابتدأ فيه من النبي عليه السلام إلى وقعة قازان، وكان يسكن درب سعود فعرف به، فيقال: درب بن أبي الهيجاء.

وقال ابن كثير: وهو أول منزل نزلناه حتى قدمنا دمشق في سنة ست وسبعمائة.

وكانت وفاة ابن أبي الهيجاء في طريق مصر بالسوادة، ونقل إلى جبل قاسيون، فدفن به، ومولده سنة عشرين وستمائة بإربل، ومات وله ثمانون سنة، وكان مشكور السيرة، حسن المحاضرة.

الأمير جمال الدين أفوش الشريفي، وإلى الولاة بالبلاد القبلية.
وتولى نيابة الصلت أيضا، توفي في شوال منها، وكانت له هيبة وسطوة.
الأمير الكبير سيف الدين بلبان السلحدار المنصوري، معروف بالطباخي.
مات بالعسكر على الساحل وهو البيكار الذي خرج فيه السلطان إلى جهة الشام، ودفن عند قبر بنيامين بن يعقوب عليه السلام، فورثه الملك الناصر بالولاء وصارت إليه أمواله ومماليكه، وكان من أعيان الأمراء وشجعانهم، وأكثرهم مماليك وأصحاب، ولي نيابة السلطنة بحلب مدة، وكانت سيرته في ولايته حميدة، وكان قليل الأذى، كان إذا غضب على أحد يكون عقوبته البعد عنه من غير ضرب ولا مصادرة.
وفي النزهة: كان بلبان هذا اشتراه الحاج إبراهيم أخو جاشنكير الملك المنصور، فرباه وهو صغير، وكان يدخل مع أستاذه يحمل سرموحته عند قلاون وهو أمير، فرآه فطلبه منه وأخذه، وعوضه عن ثمنه ثلاثة آلاف درهم، واستمر عنده إلى أن تسلطن قلاون وكان من أمره ما كان.
الطواشي صفي الدين جوهر التفليسي المحدث.
اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء، وكان رجلا جيدا، مباركا صالحا، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين، مات في هذه السنة، رحمه الله.
فصل في ما وقع من الحوادث في
السنة الحادية بعد السبعمائة
استهلت هذه السنة: والسلطان هو: الملك الناصر، والخليفة هو: الحاكم بأمر الله العباسي، ونواب البلاد والقضاة وهم المذكورون قبلها.
ذكر جواب السلطان عن كتاب قازان." (١)
"قد جرحتني بالجفا ... فديتها من آسيه
وقلت في مليحة اسمها لمياء مضمنا:
ولائم لام في لميا فآلمني ... فرحت أنشد من مجموع أعضاء
وميل عطفي إلى أعطافها هيفا ... عشقا ووا ظمأ الأحشا للمياء
وقلت في مليحة اسمها كافية:
لما نظرت كافية ... قلت لعيني الساهيه

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٩٣

لا تنظري لغيرها ... أما كفتك كافيه

وقلت في مليحة اسمها راضية:

راضية هويتها ... فطولت جفائيه

غضبت منها إذ جفت ... وهي لعمري راضيه

وقلت في مليحة اسمها نجدة:

نجدة قد حاربتني ... بلحاظ مستعده

يا لقومي أنجدوني ... وأغيثوني بنجده

وقلت في مليحة ترقص وتحارب اسمها تتر:

منية قلبي تتر ... لصبها تجانب

مذ حاربت فيا لها ... من تتر تحارب

وقلت في مليحة اسمها ليلى مضمنا:

إني جننت بليلى وهي غافلة ... عن صعب حالي ولا ترثي إلى دائي

وأسهرتني في ليل وفي شعر ... في ليلة من ليالي الحب ليلاء

وقلت في مليحة اسمها فائدة:

لما نأتني فائده ... عوضت عنها واحده

خسرتها من صفقة ... إذ ليس فيها فائده

وقلت في مليحة اسمها مرحبا:

في الليل زارت منيتي مرحبا ... فقلت إذ أبصرتها معجبا

أهلا وسهلا بك إذ زرتني ... يا منية النفس ويا مرحبا

وقلت في مليحة اسمها سلمى:

تعطشت من سلمى إلى ورد ريقها ... وقد كلمتني بإبعادها كلما

وقد قال لي خلي النصوح بلطفه ... إذا ما دنت سلما فمن صغرها سل ما

وقلت في مليحة اسمها أسماء مضمنا:

أسماء لم تر عيني من يشابهها ... ولا بدون لماها يشتفي دائي

ألهو بليلى وسعدى والرباب معا ... وليس قصدي منها غير أسماء

وقلت فيها أيضا:

قد قيل لي ما اسم التي ... هويتها في الأسما

أهي الرباب أطربت ... بها أزلت الغما

أم هي جمل أجملت ... أم هي ليلى العظمى

قلت أطلتم فأقصروا ... إن هي إلا أسما

وقلت فيها ايضا:

علا على خد أسما ... خال به الحسن عما

وإن سمت ذات حسن ... بحسنها فهي أسما

وقلت في مليحة اسمها جنة مضمنا:

سكنت جنة لحظي بيتا ... بالمصلى وطولت في عذابي

فتمثلت عند ذاك ببيت ... قل صبري به وقد زاد ما بي

يا نزولا على عقاب المصلى ... ما سمعنا بجنة في عقاب

وقلت فيها أيضا وقد رأيتها تبكي:

نزهة عيني جنة أرسلت ... مدامعا من مقلة هاميه

قد قلت لما أن بكت واغتدت ... كزهرة في روضة زاهيه

جارية أعينها جنة ... وجنة أعينها جاريه

وقلت في مليحة اسمها أسما:

لقد مزقت أسمالي ... على فرقة أسما لي

ولو وفقت في أمري ... لكان الصبر أولى لي

وقلت أرثيها مضمنا:

فراق جنة أصلاني الجحيم وقد ... ناديت لما قضت من لي بهل وعسا

يا جنة فارقتها النفس مكرهة ... لولا التأسي بدار الخلد مت أسا." (١)

"ومن النكت الطريفة أن سليمان كتب إليه أحص من قبلك من المخنثين فصحفت بأخص بالخاء المعجمة فخصاهم بل قيل إنه علم بالتصحيف قبل الفعل وإنه كف.

---

(١) الكنس الجواري في الحسان من الجواري الشهاب الحجازي ص/٤

وكان ابن حزم عليها قبله لأخيه الوليد فإنه حكى أنه تحامل على الأحوص الشاعر تحاملا شديدا فسار إلى الوليد يشكوه وأنشد قصيدة يمتدحه بها من جملتها:

لا ترثين لحزمي ظفرت به ... يوما ولو ألقي الحزمي في النار

الناخسين بمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار

فقال له الوليد صدقت والله لقد أغفلنا حزما.

وآل حزم ثم كتب بولاية عثمان بن حيان المري وبعزل ابن عمر واستصفاء أموالهم وإسقاطهم جميعا من الديوان.

واستعمل ابن عمهما عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم عليها خالد ابن أبي الصلت وعلى القضاء أبا طوالة عبد الله بن عبد العزيز بن معمر بن حزم بل كان أبو طوالة خليفة لابن عمه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في القضاء وولي قضاء المدينة لعمر عبد الرحمن بن يزيد بن جارية.

واستعمل هشام بن عبد الملك الذي حج قبل خلافته بالناس سنة ست ومائة كلا من خاليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي على مكة والمدينة والطائف وكأنه ولى إبراهيم أولا فإنه قدم المدينة وهو أمير في جمادي الثانية سنة ست ومائة ثم عزله في سنة أربع عشرة ومائة بأخيه خالد بن عبد الملك وكأنه صرفه أيضا ثم أعاده سنة سبع عشرة ومائة لكل من مكة والمدينة والطائف وحج بالناس.

ثم صرفه في التي بعدها بمحمد بن هشام أخي إبراهيم فكان واليها سنين كأنه إلى خمس وعشرين آخر أيام هشام وحج بالناس في أول سنيه.

وكان القاضي بها أيام إبراهيم سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت والقاضي في خلافة هشام إما زبيد بن الصلت أو والده الصلت ثم لما صارت الخلافة لابن أخيهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك كتب إلى يوسف بن عمر – أمير المدينة بالقبض على محمد وإبراهيم المذكورين ففعل وعذبهما حتى ماتا سنة خمس وعشرين ومائة.

وولي مكة والمدينة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان لمروان بن." (١)

"ولو لم يكن في خدمة النهر انبرى ... ما كان يصقل ثوبه ويفرك

وقال:

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ٥١/١

لما زها زهر الربيع بروضة ... وغدا له الفضل المبين عليه

قام الحمام له خطيبا بالثنا ... وجرى الغدير فخر بين يديه

مجير الدين بن تميم:

تكسر الماء لما أن جرى فغدا الد ... دولاب يندبه شجوا ويبكيه

وأصبح الغصن بالأوراق ملتطما ... والورق فوق كراسي الدوح **ترثيه**

وقال:

والنهر مذ علق الغصون محبة ... أضحت تطيل صدوده وجفاه

فنراه يجري لائما إقدامها ... وخريره شكوى الذي يلقاه

وقال:

بعث الربيع رسالة بقدومه ... للروض، فهو بقربه فرحان

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه ... مضمونها مالت له الأغصان

شمس الدين بن التلمساني:

كأنما البرق خلال السما ... من فوق غيم ليس بالكابي

طراز تبر في قبا أزرق ... من تحته فروة سنجاب

وقال:

فصل الشتا منح النواظر نضرة ... لما كسا الألوان وهي عوار

لم يلبس الغبراء لين مطارف ... حتى كسا الزرقاء بيض إزار

مجير الدين بن تميم:

ودولاب روض كان من قبل أغصنا ... تميس فلما فرقتها يد الدهر." (١)

"المعروف في مهمات الأدواء بالصلاح، أنفع غاية النفع من داء الثعلب والصرع.

وقد روي في حديث رواية غير مقل ولا مفلس (شموا النرجس فإن في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس) .

وفي أصلي قوة تلحم الجراحات العظيمة، وتنفع ذكر العنين وتجيد تقويمه وشمي ينفع من وجع الرأس والزكام البارد، وفي تحليل قوي لمن هو قاصد ودهني نافع لأوجاع العصب والأرحام، وأوجاع المثانة والأذن والصلب

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٩٨/٢

من الأورام، ولولا اشتهاري بالنفع من الجوى ما أكثر النحاة التمثيل بقولهم نرجس الدواء، ومن الدليل على صلاحي أن أبا نواس غفر له بأبيات قالها في امتداحي.

تأمل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين فاخرات ... بأحداق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال آخر

عيون إذا عاينتها كأنها ... دموع الندا وما فوق أجفانها ور

محاجرها بيض وأردافها صفر ... وأجسامها خضر وأنفاسها عطر

وقد أحسن ابن الرومي حيث قال

فبينا فضلي على كل حال ... أيها المحتج للورد بزود محال

وذهب النرجس بالفض ... ل فانصف في المقال

لا تقاس الأعين النج ... ل بأصرام البغال

الياسمين

فقام الياسمين: وقال آمنت برب العالمين لقد تجبست يا جبس وأكثرك رجس نجس، وأنت قليل الحرمة، واسمك مشمول بالعجمة، وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط في الخدمة، رأسك لا يزال منكوس، وأنت المهيج للقيء المصدع من المحرورين للرؤوس، تسقط الجنين، ولا **ترثي** للحنين، أصفر من غير علة، مكسو أحقر حلة، ويكفيك بعض واصفيك.

أرى النرجس الغض الزكي مشمرا ... على ساقه في خدمة الورد قائم." (١)

"كاد حاضت، فقالت: " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " ففهم المأمون قولها، فوثب عنها!! قال ابن النجار، وذكر الجهشياري أن أبا عبد الله بن حمدون ذكر أن بوران بنت الحسين بن سهل قالت **ترثي** المأمون:

---

(١) مقامات السيوطي السيوطي ص/١٤

أسعداني على البكا معلنينا ... صرت بعد الإمام للهم قينا

كنت أسطو على الزمان فما ... مات صار الزمان يسطو علينا

ولدت بوران ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنين وتسعين ومائة، وماتت ببغداد أول يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائتين.

تقية أم علي

تقية أم علي بنت أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمد بن عبد الفرج السلمي الصوري قال الصلاح الصفدي:." (١)

"ثمامة بنت عبد الله

ثمامة بنت عبد الله بن سوار القاضي البصري. قال ابن الطراح: كانت شاعرة. توفي أخوها سوار القاضي البصري في سنة خمس وأربعين ومائتين، فقالت **ترثيه**:

جفا جفني الكرى بع ... دك وانهلت مآقيه

أمنت الدهر لما مت ... فلتطرق دواهيه

سقى قبرك دان مس ... بل واه عزاليه

ولاح جديد الرو ... ض مفترا بواديه." (٢)

"لبابة بنت علي المهدي

لبابة بنت علي المهدي: قال ابن النجار: كانت جليلة فاضلة تزوجها الأمين بن الرشيد فقتل قبل أن يدخل بها، فقالت **ترثيه**:

أبكيك لا للنعم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس." (٣)

"مراد شاعرة علي بن هشام

مراد شاعرة علي بن هشام: لما قتل المأمون قالت **ترثيه**:

---

(١) نزهة الجلساء في أشعار النساء السيوطي ص/٣٣

(٢) نزهة الجلساء في أشعار النساء السيوطي ص/٣٦

(٣) نزهة الجلساء في أشعار النساء السيوطي ص/٧٦

هل مسعد لبكاي ... بعبرة أو دماء

وذاك مني قليل ... لسادتي النجباء

ذكر ذلك الأغاني.." (١)

"وعبد الكعبة، مات ولم يعقب، وأم حكيم، وهي البيضاء، وعاتكة، والعاتكة في كلام العرب الطاهرة، وبرة، وأميمة، وأروى، وحمزة، وهو أسد الله وأسد رسوله، والمقوم، وحجل وهو المغيرة، وصفية، والعباس،/ وضرار، وكان من فتيان قريش جمالا وسخاء، ومات أيام أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عقب له، وقثم، لا عقب له، وأبو لهب، واسمه عبد العزى، ويكنى أبا عتبة، كناه عبد المطلب أبا لهب لحسنه وجماله، والغيداق، واسمه مصعب. قال الكلبي: فلم يكن في العرب بنو أب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم ولا أجسم، شم العرانين، تشرب أنوفهم قبل شفاههم، وقال فيهم قرة بن حجل بن عبد المطلب [١] : [السريع]

اعدد ضرارا إن عددت فتى ندى ... والليث حمزة واعدد العباسا

واعدد زبيرا والمقوم بعده ... والصتم حجلا والفتى والراسا [٢]

وأبا عتيبة فاعددنه ثامنا ... والقرم عبد مناف والحساسا [٣]

والقرم غيداقا تعد جحاجحا ... سادوا على رغم العدو الناسا

والحارث الفياض ولى ماجدا ... أيام نازعه الهمام الكاسا

ما في الأنام عمومة كعمومتي ... خيرا ولا كأناسنا أناسا

قال: فالعقب من بني عبد المطلب للعباس، وأبي طالب، والحارث، وأبي لهب، وقد كان لحمزة، والمقوم، والزبير، وحجل أولاد لأصلابهم فهلكوا، والباقون لم يعقبوا، وكان العد دمن بني هاشم من بني الحارث، ثم تحول إلى بني أبي طالب، ثم صار في بني العباس.

وأخرج عن الواقدي قال: ترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن [٤] وخمسة أجمال أوراك، يعني تأكل الأراك [٥] ، وقطعة غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أم أيمن فحضنته، واسمها بركة.

وقالت آمنة بنت وهب ترثي زوجها عبد الله/ بن عبد المطلب [٦] : [الطويل]

---

(١) نزهة الجلساء في أشعار النساء السيوطي ص/٧٧

[١] الشعر في طبقات ابن سعد ١/٧٥.

[٢] في حاشية الأصل، ل: الصتم: الغليظ الشديد.

[٣] في حاشية الأصل، ط، ل: الحساس: القتال.

[٤] أم أيمن: اسمها بركة، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته، وهي أم الظباء بنت ثعلبة بن عمرو، وأم أسامة بن زيد بن حارثة، زوجة عبيد بن زيد وقتل يوم حنين شهيدا. (الإصابة ١/٨٠، طبقات ابن سعد ٨/٢٢٣) .

[٥] الأراك: شجر المسواك، نبات شجيري كثير الفروع خوار العود، له ثمار حمر دكناء تؤكل ينبت في البلاد الحارة.

[٦] الشعر في طبقات ابن سعد ١/٤٩ ط صادر، ١/٨٠ ط العلمية.." (١)

"(قالوا هجتك سلول اليوم مخيفة ... فاليوم أهجو سلولا لا أخافيها)

(قالوا هجاك سلولي فقلت لهم ... قد أنصف الصخرة الصماء راميها)

(رجالهم شر من يمشي ونسوتهم ... شر البرية استاذل حاميها)

(يحككن بالصخر أستاها لها نقب ... كما يحك نقاب الجرب طاليها) // البسيط //

وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه

(لك الخير إن واعدت حماء فالقها ... نهارا ولا تدلج إذا الليل أظلما)

(فإنك لا تدري أبيضاء طفلة ... تعانق أم ليثا من القوم قشعما)

(فلما سرى عن ساعدي ولحيتي ... وأيقن أني لست حماء جمجما) // الطويل //

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال

(إذا قعدت على عرنين جارية ... فوق القطيفة فادعوا لي بحفار) // البسيط //

فبكت بنت له منها فضرب بها الأرض فقتلها أيضا وقال متمثلا

(لا تغدوا من كلب سوء جروا ...)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل فاستعداه على ابن الدمينة فبعث إليه فحبسه وقالت أم أبان والدة مزاحم المقتول وهي من بني خثعم ترثي ابنها وتحرض مصعبا وجناحا أخويه." (٢)

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٥٦

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١/١٦٧

"(ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفي على الناس تعلم) // الطويل //

فقال أحسن زهير وصدق ولو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تعمل عملا تكره أن يتحدث الناس به عنك) ومنه قول عمرو بن الأهتم

(إذا المرء لم يجببك إلا تكرها ... بدا لك من أخلاقه ما يغالب) // الطويل //

وقول أبي الطيب المتنبي

(وللنفس أخلاق تدل على الفتى ... أكان سخاء ما أتى أم تساخيا) // الطويل //

وعن المدائني أن عروة بن الزبير رضي الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان رضي الله عنهما فكان إذا دخل عليه منفردا أكرمه وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به فقال له يوما يا أمير المؤمنين بئس المزور أنت تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا ثم قال لله در زهير حيث يقول

(فحلى من ديارك إن قوما ... متى يدعوا ديارهم يهونوا) // الوافر //

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة المنورة فقضى حوائجه وأذن له

وقال ابن الأعرابي كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه كعب وبجير شاعران وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وهي القائلة **ترثيه**

(وما يغني توقي المرء شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار)

(إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار)

(ولاقاه من الأيام يوم ... كما من قبل لم يخلد قدار) // الوافر //

وكان زهير يضرب به المثل في التنقيح فيقال حوليات زهير لأنه كان يعمل القصيدة في ليلة ثم يبقى حولا ينقحها." (١)

"(فإن تسأليني هل صبرت فإنني ... صبور على ريب الزمان أريب)

(كأني وقد أدنوا إلى شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين ركوب)

(أجارتنا لست الغداة بظاعن ... ولكن مقيم ما أقام عسيب) // الطويل //

فمات فدفن هناك فقبره قريب من عسيب وهو جبل بأرض بني سليم إلى جنب المدينة المنورة

وروى أنه لما طعن ودخلت حلق الدرع في جوفه ضجر منها زمانا وبعث إلى ربيعة الأسدي الذي طعنه إنك أخذت خلقا من درعي بسنانك فقال له ربيعة اطلبها في جوفك فكان ينفث الدم وتلك الحلق معه

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٢٩/١

فملته امرأته وكان يكرمها ويعينها على أهله فمر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات كفل وأوراك فقال لها أيباع هذا الكفل فقالت عما قليل وصخر يسمع ذلك فقال لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته إليه فإذا هو لا يقله فعندها أنشد الأبيات السابقة ثم لم يلبث أن مات وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضا وكان صخر قد أخذ بثأره وقتل قاتله

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة **ترثيهم** وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد سومت هودجها براية وأنها تقول أنا أعظم العرب مصيبة وأن العرب عرفت ذلك لها فقالت هند بل أنا أعظم العرب مصيبة فأمرت بهودجها فسوم براية أيضا وشهدت الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقا تجتمع فيه العرب فقالت." (١)

"وأمه وردة من رهط أبيه وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها

(ما تنظرون بحق وردة فيكم ... صغر البنون ورهط وردة غيب) // الكامل //

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين وقيل قتل وهو ابن ست وعشرين سنة وإلى ذلك تشير أخته حيث قالت **ترثيه**

(عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما)

(فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا فحما) // الطويل //

وكان السبب في قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال

(ألا يأتي لي الظبي الذي ... يبرق شنفاه)

(ولولا الملك القاعد ... قد ألثمني فاه) // الهزج //

فحقد عليه وكان قد قال أيضا قبل ذلك

(وليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور)

(لعمرك إن قابوس بن هند ... ليخلط ملكه نوك كثير) // الوافر //

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند وكان فيه لين ويسمى قينة الفرس فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٥١/١

حوثرة عامله على البحرين كتابا أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة وكتب للمتلمس بمثل ذلك فأما المتلمس ففك كتابه." (١)

"(تمناني ليلقاني أبي ... وددت وأينما منى ودادي)

(ولو لاقيتني ومعي سلاحي ... تكشف شحم قلبك عن سواد)

(أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد) // الوافر //

وهذا البيت كان يتمثل به على بن أبي طالب رضي الله عنه إذا أعطى الناس ورأى ابن ملجم قاتله الله وكان سبب موت عمرو بن معدي كرب ما حكاه ابن قتيبة وغيره قالوا كانت مغازي العرب إذ ذاك الري ودمستي فخرج عمرو مع شباب من مذحج حتى نزل الخان الذي دون روذة فتعذى القوم ثم ناموا وقام كل رجل منهم لقضاء حاجته وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترىء أحد أن يدعوه وإن أبطأ فقام الناس للرحيل وترحلوا إلا من كان في الخان الذي فيه عمرو فلما أبطأ صحنا به يا أبا ثور فلم يجبنا وسمعنا علزا شديدا ومراسا في الموضع الذي دخله فقصدناه وإذا به محمرة عيناه مائلا شدقه مفلوجا فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذراع فارتدفه ليعدل ميله فمات بروذة ودفن على قارعة الطريق فقالت امرأته الجعفية **ترثية**

(لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا)

(فقل لزبيد بل لمذحج كلها ... فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا)

(فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ... ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا) // الطويل //." (٢)

"وقيل طير كانت العرب تزعم أنه يقيم في هامة المقتول حتى يؤخذ بثاره وحكى أنها هي التي قصدت ذلك وهذه القصة رواها في النزهة عن متفرقين ووثقها وأما هنا فقد حكى ما قررناه إلا السبب عن ليلى نفسها وأنها حكت ذلك للحجاج حين قدمت عليه تجتديه من جدب الزمان فوهب لها مائة من الإبل برعاتها وذلك فيما أخرجه المدائني عن مولى عنبسة قال كنت مع استاذي عند الحجاج إذ قال له الحاجب أن بالباب امرأة فقال أدخلها فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه إلى الأرض واستجلسها ثم استنسبها فانتسبت فقال ما جاء بك قالت اخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد فقال لها صفي لنا الفجاج فقالت الفجاج مغبرة والأرض مقشعرة والبرك معقل وذي العيال مجشل والهالك المقل والناس مسنتون رحمة من الله يرجون وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة لم تدع لنا هبعاء ولا ربعاء ولا عافطة

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٣٦٥/١

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٢٥١/٢

ولا نافطة أذهبت الأموال وفرقت الرجال وأهلكت العيال فانظر إلى هذه الفصاحة والبلاغة ولذلك انقاد لها مع تجبره فقولها خلاف النجوم تريد به الأنواء فإن العرب يعرفون بمساقط النجوم لانواء يستدلون بها على صحة السنة وخصبها وكثرة الأمطار فكأنها تعد بذلك فإذا لم تأت بذلك فقد أخلفت وقلة الغيوم تريديه لازمها الغالب وهو المطر وفيه عطف الأخف على الأعم وكلب البرد شدته والعرب تطلق هذا الاسم على أيام مخصوصة من تاسع كانون أعني كيهك إلى ثامن عشر شباط أعني امشير والفجاج هنا الأرض وغبرتها كناية عن عدم نداوة الأرض فإن ذلك يثير الغبار واقشعرار الأرض عدم نباتها والبرك الايل وعقلها كناية عن عدم ما تحمله والأجشال اليبس والاملاق والهبعاء الحسنة والربعة السيئة وعن الأصمعي الهبعاء ما يزرع في سوى الربيع والربعاء ما يزرع فيه أو هما مطران أو الابل والغنم ضعيف وفي تهذيب الاصلاح للتبريزي هما كلمتان يراد بهما الاخبار عن نفاد ما في اليد مثل ما عنده سبد ولا لبد والعافطة العنز والنافطة النعجة.

ويقال أيضا الاثا غية ولا راغية أي لا غنم ولا ابل ثم مدحته حتى استعفى وقال لم يصب وصفي منذ دخلت العراق غيرها ثم قال لخازنه اقطع لسانها فأراد ذلك فقالت ويحك إنما أراد بالعطاء فراجعه فغضب وأمر بعودها ثم قال لجلسائه هذه ليلى التي مات توبة من حبها. ثم قال أنشدينا ما قال فيك، فأنشدت حمامة بطن الواديين، فقال وما قلت أنت فيه فقالت كثيرا أيها الأمير فقال هات فأنشدت:

نظرت ومن دوني عماية منكب ... وبطن الركايا نظرته النواظر

أونس إن لم يقصر الطرف دونهم ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصر

وهي قصيدة ترثيه فيها بكلام حسن غير أن فيها طولا ومن محاسنها في توبة:

أتته المنايا بين زعف حصينة ... واسمر خطى وجرداء ضامر

على كل جرداء السراة وسابح ... دوان بشباك الحديد زوافر

عوابس تغدو التغلبية ضمرا ... فهن سراح بالشكيم الشواجر

فلا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقاك المنايا دارعا مثل حاسر

فإن لم يكن بالقتل بر فإنكم ... ستثقون يوما ورده غير صادر

فتى لا تخطاه الرفاق ولا برى ... لقدر عيالا دون جار مجرور

ولا تأخذ الابل المهاري رماحها ... لتوبة من صرف السري في الصنابر

إذا ما رأته قائما بسلاحه ... نفته الخفاف بالثقال البهاذر

إذا لم يجز منها برسل فقصره ... ذرى المرهفات والقلاص التواجر

قرى سيفه منها مشاشا وضيفه ... سنام المهاري السباط المشافر

وتوبة أحيى من فتاة حيية ... وأجرأ من ليث بخفان خادر

ونعم الفتى إن كان توبة فاجرا ... وفوق الفلى إن كان ليس بفاجر

فتى ينهل الحاجات ثم يعلها ... فتطلعه عنها ثنايا المصادر

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... قلائص يفحصن الحصى بالكراكر

ولم يثن ابرادا عتاقا لفتية ... كرام ورحل قيل في الهواجر

ولم ينجل الضيفان عنه وبطنه ... خميص كطي السبت ليس بخادر." (١)

"محترق ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق

من حر صدري وعظيم ضري

فليت شعري فيك هل ترثي لي ... من سقم لي وضنى طويل

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل

انحلة حبك طول الدهر

في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم

شوقا إلى بدور شمس وصنم ... منه إليه المشتكى إذا ظلم

أفديه من شمس ضحى وبدر

أقول إذ قام بقلبي وقعد ... يا عمرو يا عامر قلبي بالكمد

أقسم بالله يمين المجتهد ... إن أمر أو أصلته لقد سعد

وكان من أشفيته في حر

يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... ألا سمعت القول من فصيح

يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقي من التبريح

كسير قلب ما له من جبر

يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت

ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق من السكوت

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٨٢

وأنشر الميت ببطن القبر

بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم

ثم استحال في قنوم الأقدم ... فكلم الناس ولما يفطم

مصرحا عن أمه بالعذر

بحق من بعد الممات قمصا ... ثوبا على مقداره ما قصصا

وكان لله تقيا مخلصا ... يشفي ويبري أكمها وأبرصا

بما لديه من خفي السر

بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور

ومن إليه مرجع الأمور ... يعلم ما في البر والبحور

وما به صرف القضاء يجري

بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع

يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفا من الله بدمع هامع

ويهجر اللذات طول العمر

بحق قوم حلقوا الرؤوسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا

وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى

قد أخلصوا في سرهم والجهر

بحق ماري مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس

بحق دانيل بحق يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس

وكل أواب رحيب الصدر

ونينوى إذ قام يدعو ربه ... مطهرا من كل سوء قلبه

ومستقيلا فأقيل ذنبه ... ونال عند الله ما أحبه

إذ رام من مولاه شد الازر

بحق ما في قلة الميرون ... من نافع الأدواء للمجنون

بحق ما يؤثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون

خصب البلاد في السنين الغبر

بحق أعياد الصليب الزهر ... وعيد أشموني وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر ... وعيد مر ماري الرفيع الذكر
مواسم تمنع حمل الاصر
وعيد شعياء وبالهياكل ... والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل ... ومن دخيل السقم في المفاصل
لكونها من كل داء تبرى
بحق سبعين من العباد ... قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهادي
وحقق الحق بكشف الستر
بحق إثنتي عشرة من الأمم ... ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم ... ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
ثم استداموها بفرط الشكر
بحق ما في محكم الانجيل ... من محكم التحريم والتحليل
وخبر ذي نبا جليل ... يرويه جيل قد مضى عن جيل
يسند زيد علمه عن عمرو
بحق مر عيد الشفيق الناصح ... بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح ... والشهداء بالفلا الصحاصح
الراغبين في عظيم الأجر
بحق معمودية الأرواح ... والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابسي الامساح ... وعابد باك ومن نواح
ينثر عقدا من دموع حمر." (١)

"وأيدي الندى تخرق جيوب الكمام ... وتحمل نسيم المسك عنها رياح
وعاج الضياء يطلى بمسك الغمام ... وجر النسيم ذيلو عليها وفاح
رأيت الحمام بين الورق في القضيب ... قد ابتلت ارياشو بقطر الندى

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٣٤

ينوح مثل ذاك المستهام الغريب ... قد ألتف من ثوبو الجديد ردا

ولكن بفاح أحمر وساق خصيب ... ينظم سلوك جوهر ويتقلدا

جلس بين الأغصان جلسة مستهام ... جناحا توسد والتوى في جناح

وصار يشتكي ما في الفؤاد من غرام ... منها ضم منقارو لصدرو وصاح

فقلت أحمام أحرمت عيني الهجوع ... أدى ما تزال تبكي بدمع سفوح

قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع ... بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح

على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع ... ألفت البكا والحزن من عهد نوح

كذال هو الوفا كذا هو الذمام ... انظر للجفون صارت بحال الجراح

وانتم من بكى منكم إذا تم عام ... يقول قد عياني ذا البكا والنواح

فقلت أحمام لو خضت بحر الضنى ... كان تبكي وترثي لي بدمع هتون

ولو كان بقلبي ما بقي أنا ... رماد كان يصير تحتك فروع الغصون

اليوم لي نقاسي الهجر كم من سنا ... حتى لا سبيل جملة تراني العيون

ومما كسا جسمي النحول والسقم ... أخافني نحولي عن عيون اللواح." (١)

"لولا اشتغالي بالأمير ومدحه ... لأطلت في ذاك الغزال تغزلي

لكن أوصاف الجلال عذبن لي ... فتركت أوصاف الجمال بمعزل

ونقلت من خطه أيضا لبثينة صاحبة جميل ترثيه:

وإن سلوى عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا مت بأساء الحياة ولينها

وكان كثيرا ما ينشد:

قالوا نفوس الدار ساكنها ... وأنتم عندي نفوس النفوس

وأماليه وتعاليقه كثيرة والاختصار بالمختصر أولى.

وكانت ولادته اثنتين وسبعين وأربع مائة تقريبا بأصبهان وتوفي ضحوة نهار الجمعة وقيل ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمس مائة بثغر الإسكندرية. ودفن في وعلة وهي مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر فيها جماعة من الصالحين كالطرطوشي وغيره وهي بفتح الواو وسكون العين المهملة

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٢٢٠

وبعدها لام ثم هاء. ويقال إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصري صاحب ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل غير ذلك رحمه الله تعالى آمين.

قلت: وجدت العلماء المحدثين بالديار المصرية من جملتهم الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المحدث محدث مصر في زمانه يقولون في مولد الحافظ السفي هذه المقالة. ثم وجدت في كتاب: زهر الرياض المفصح عن المقاصد والأغراض تأليف الشيخ جمال الدين أبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي الفضل عبد المجيد بن إسماعيل بن جفص الصفراوي الإسكندري وأن." (١)

"عن قريب ترى خيول هشام ... يبلغ النيل خطوها والشآما انتهى ما نقلته من المطمح.

[؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ أخبار في سيرة المنصور]

وفي المنصور المذكور أيضا قال بعض مؤرخي المغرب (١) ، مازجا كلامه ببعض كلام الفتح، بعد ذكر استعانته ببعض الناس على بعض، وذكر قتله لجعفر ابن علي، فقال بعده ما صورته: ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر هل من مبارز، فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه، فانقاد له وساعده، فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف له فيها، ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها، وما توجهت عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلا قاهرا غالبا، على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من الأعداء وواجه من الأمم، وإنها لخاصة ما أحسب أحدا من الملوك الإسلامية شاركه فيها، ومن أظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكن جده سعة جوده، وكثرة بذله، فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان، وأول ما اتكأ على أرائك الملوك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق، حط صاحبه المصحفي، وأثار له كامن حقده الخفي، حتى أصاره للهموم لبيسا، وفي غيابات السجن حبيسا، فكتب إليه يستعطفه بقوله (٢) :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ رماه عندك القلم

---

(١) البيان المغرب ٢: ٤٢٧ وبعضه في أعمال الأعلام: ٧٧.

(٢) قال ابن الأبار (الحلة ١: ٢٦٥) هذه الأبيات متنازعة ينسبها غلى المصحفي جماعة، وقد وجدتها منسوبة إلى أبي عمر ابن دراج القسطلي، وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخه أنها لكاتب

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١٦٨/٣

إبراهيم بن أحمد بن الأغلب؛ قلت انظر البيان المغرب ١: ١٦١ واسم الكاتب هذا محمد بن حيون ويعرف بان البريدي.." (١)

"قال صاحب كتاب " روضة الأزهار، وبهجة النفوس ونزهة الأبصار " (١) : ولما مر أمر المنصور بن أبي عامر بسجن المصحفي بالمطبق في الزهراء ودع أهله وودعه وداع الفرقة، وقال لهم: لستم تروني بعدها حيا، فقد أتى وقت إجابة الدعوة، وما كنت أرتقبه منذ أربعين سنة، وذلك أني أشركت (٢) في سجن رجل في عهد الناصر، وما أطلقته إلا برؤيا رأيتها بأن قيل لي: أطلق فلانا فقد أجيبت فيك دعوته، فأطلقته وأحضرته وسألته عن دعوته علي، فقال: دعوت على من شارك في أمري أن يميته الله في أضيق السجون، فقلت (٣) : إنها قد أجيبت، فأني كنت ممن شارك في امره، وندمت حين لا ينفع الندم، فيروى أنه كتب للمنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات (٤) :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... إذ قادني نحوك الإذعان والندم

يا خير من مدت الأيدي إليه أما ... ترثي لشيخ نعاه عندك القلم

بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر ... إن الملوك إذا ما ا سترحموا رحموا فأجابه المنصور بأبيات لعبد الملك الجزيري:

يا جاهلا بعدما زلت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم

ندمت إذا لم تعد مني بطائلة ... وقلما ينفع الإذعان والندم

نفسي إذا جمحت ليست براجعة ... ولو تشفع فيك العرب والعجم فبقي في المطبق حتى مات، نعوذ بالله تعالى من دعوة المظلوم، انتهى.

وقد ذكر بعضهم هذه الأبيات زيادة حسبما ذكرناه في غير هذا المحل، فإن هذه الأبيات للمنصور، وهذا المؤرخ مصرح بأنها لعبد الملك الجزيري،

---

(١) لم أتعرف إلى مؤلف هذا الكتاب، ولكن النص منقول عن ابن حيان في الذخيرة ٤: ٥٠.

(٢) كذا في الأصول، وفي مطبوعة ليدن: شاركت، وفي الذخيرة: أسرفت.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٠٧/١

(٣) الذخيرة: فعلمت.

(٤) انظر ما تقدم ص: ٤٠٧ – ٤٠٨ والذخيرة ٤: ٥١.." [١]

"هات المدام فقد ناح الحمام على ... فقد الظلام وجيش الصبح في غلب

وأعين الزهر من طول البكا رمدت ... فكحلتها يمين الشمس بالذهب

والكأس حلتها حمراء مذهبة ... لكن أزرتها من لؤلؤ الحبب

كم قلت للأفق لما أن بدا صلفا ... بشمسه عندما لاحت من الحجب

إن تهت بالشمس يا أفق السماء فلي ... شمسان وجه نديمي وابنة العنب

قم اسقنيها وثغر الصبح مبتسم ... والليل تبكيه عين البدر بالشهب

والسحب قد لبست سود الثياب وقد ... قامت **لترثيه** الأطيار في القضب وله (١) :

عليك من ذاك الحمى يا رسول ... بشرى علامات الرضى والقبول

جئت وفي عطفيك منهم شذا ... يسكر من خمر هواه العذول ومنها:

أحبابنا ودعتم ناظري ... وأنتم بين ضلوعي نزول

حللتم قلبي وهو الذي ... يقول في دين الهوى بالحلول

أنا الذي حدث عني الهوى ... بأنني عن حبكم لا أحول

فليزد العاذل في عذله ... وليقل الواشي لكم ما يقول انتهى كلام النور بن سعيد.

وقال غيره: ولد المذكور بشاطبة منتصف وشوال سنة ٦١٥، ومات بدمشق ودفن بسفح قاسيون، وكان عالما فاضلا، دمث الأخلاق كريم الشمائل، كثير الاحتمال واسع الصدر، صحب الشيخ كمال الدين ين العديم وولده قاضي

---

(١) القدح: ٢٠٨ والفوات: ٣٢٣.." [٢]

"ومن نظمه أيضا ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته، قوله:

ما للنوى رقة **ترثي** لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٠١/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٢٢/٢

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرم هذا من العجب وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧، ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي، رحم الله تعالى الجميع.

وابن الزكي أيضا محيي الدين.

ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق (١) :

يا خليلي في الزيادة ظبي ... سلبت مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفي ... ناظر حسن وجهه في الزياده وله:

علقت صوفيا كبدر الدجى ... لكنه في وصلي الزاهد

يشهد وجدي بغرامي له ... فديت صوفيا له شاهد وله أيضا:

صبوت إلى حريري مليح ... تكرر نحو منزله مسيري

أقول له: ألا ترثي لصب ... عديم للمساعد والنصير

أقام ببابكم خمسين شهرا ... فقال: كذا مقامات الحريري وله:

وغزال من اليهود أتاني ... زائرا من كنيسه أو كناسه

---

(١) انظر الفوات والوافي.." (١)

"مذ نأى عن مقلتي سني ما أذيقا لذة الوسن

طال ما ألقاه من شجن عجبا ضدان في بدن

بفؤادي جذوة القبس وبعيني الماء منفجرا

قد أتاني الله بالفرج إذ دنا مني أبو الفرج

قمر قد حل في المهج كيف لا يخشى من الوهج

غيره لو صابه نفسي ظنه من حره شررا

نسب العينين لي شركا فانثنى والقلب قد ملكا

قمر أضحى له فلكا قال لي يوما وقد ضحكا

أتجي من أرض أندلس نحو مصر تعشق القمرا

وأما موشحة ابن التلمساني فهي:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٧٢/٢

قمر يجلو دجى الغلس بهر الأبصار مذ ظهرا

آمن من شبهة الكلف ذبت من عينيه بالكلف

لم يزل يسعى إلى تكلفي بركاب الدل والصلف

آه لولا أعين الحرس نلت منه الوصل مقتدرا

يا أميرا جار مذ وليا كيف لا ترثي لمن بليا

فبثغر منك قد جليا قد حلا طعما وقد حليا

وبما أوتيت من كيس جد فما أبقيت مصطبرا." (١)

"وبين يديه غلام حسن المحاسن، جميل الزي، لين الأخلاق، فقال الأمير: يا ابن عاصم ما يصلح في يومنا هذا، فقال: عقار تنفر الذبان (١) ، وتؤنس الغزلان، وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤونة التحفظ، وأرخي له عنان التبسط، يديرها هذا الأغيد المليح، فاستضحك الأمير، ثم أمر بمراتب الغناء، وآلات الصهباء، فلما دارت الكأس، واستمطر الأمير نوادره (٢) ، أشار إلى الغلام أن يلح في سقيه، ويؤكد عليه، فلما أكثر رفع رأسه إليه وقال على البديهة:

يا حسن الوجه لا تكن صلفا ... ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا ... ترثي لصب متيم دنف فاستبدع الأمير بديهيته، وأمر له ببدرة، ويقال: إنه خيره بينها وبين الوصيف، فاختارها نفيا للظنة عنه (٣) ، انتهى.

[استطراد حول ابن ظافر]

قلت أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه علي ابن ظافر عن نفسه إذ قال (٤) : كنت عند المولى الملك الأشرف ابن العادل ابن أيوب سنة ٦٠٣ بالرها، وقد وردت إليه في رسالة، فجعلني بين سمعه وبصره، وأنزلني في بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضوري في وقت طلبتي أو إرادة الحديث معي، فلم أشعر في بعض الليالي وأنا نائم في فراشي إلا به، وهو قائم على رأسي، والسكر قد غلب عليه، والشمع تزهر حواليه (٥) ، وقد حف مماليكه به، وكأنهم الأقمار الزواهر، في

---

(١) في أصول النفح: تنفد الدنان.

(٢) ب: نواره.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢/٥٥٦

(٣) ويقال ... عنه: سقطت هذه العبارة من ب.

(٤) بدائع البدائه ٢: ٦١.

(٥) البدائع: والشموع تزهر بين يديه.." [١]

"٣٩٣ - ولما قال المقدم بن المعافى (١) في رثاء سعيد بن جودي:

من ذا الذي يطعم أو يكسو ... وقد حوى حلف الندى رمس

لا اخضرت الأرض ولا أوراق ال ... عود ولا أشرقت الشمس

بعد ابن جودي الذي لن ترى ... أكرم منه الجن والإنس فقيل له: **أترثيه** وقد ضربك فقال: والله إن نفعني حتى بذنوبه، ولقد نهاني ذلك الأدب عن مضار جمة كنت أقع فيها على رأسي، أفلا أرعى له ذلك والله ما ضربني إلا وأنا ظالم له، أفأبقى على ظلمي له بعد موته

وقيل له: لم لا تهجو مؤمن بن سعيد فقال: لا أهجو من لو هجا النجوم ما اهتدى أحد بها.

٣٩٤ - وقال أبو مروان عبد الملك بن نظيف (٢) :

لا أشرب الراح إلا ... مع كل خرق كريم

ولست أعشق إلا ... ساجي الجفون رخيم ٣٩٥ - ومدح هلال البياني ابن حمدين بقصيدة أولها:

عرج على ذاك الجناب العالي ... واحكم على الأموال بالآمال

فيه ابن حمدين الذي لنواله ... من كل أرض شد كل رحال فقال له القاضي: ما هذا الوثوب على المدح من أول وهلة، ألا تدري أنهم عابوا ذلك، كما عابوا الطول أيضا، وأن الأولى التوسط فقال: يا سيدي، اعذرني بما لك في قلبي من الإجلال والمحبة، فإني كلما ابتدأت في مدحك لم

---

(١) ترجمة مقدم في الجذوة: ٣٣٣ وبغية الملتمس رقم: ١٣٨٦ وشعره في سعيد بن جودي في الحلة السيراء ١: ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) ترجمته في الجذوة: ٢٦٨ وبغية الملتمس (رقم: ١٠٨١) .." [٢]

"فإما إلى جنة أزلفت ... وإما إلى سقر تستعر ١٠ - وقال ابن أبي زمنين (١) :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٤٨/٣

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٣٨/٣

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم ... بالمكرمات **وترثي** البر والمننا

حسب الحمام لو ابقاهم وأمهلهم ... ان لا يظن على معلوة حسنا وقال في المطمح: الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين فقيه متبتل، وزاهد لا منحرف إلى الدنيا ولا منفتل (٢) ، هجرها هجر المنحرف، وحل أوطانه فيها محل المعترف، لعلمه بارتحاله (٣) عنها وتقويضه (٤) ، وإبداله منها وتعويضه، فنظر بقلبه لا بعينه، وانتظر يوم فراقه وبينه، ولم يكن له بعد ذلك بها اشتغال، ولا في شعاب تلك المسائل إيغال، وله تواليف في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين تدل على تخليته عن الدنيا واتراكه، والتلفت من حبائل الاغترار وأشراكه، والتنقل من حال إلى حال، والتأهب للارتحال، ويستدل به على ذلك الانتحال، فمنها قوله:

الموت في كل حين ينشر الكفنا

فذكر الأبيات، انتهى.

---

(١) المطمح: ٤٩ - ٥٠ وزاد في م: في الزهد.

(٢) المطمح: متنقل.

(٣) ق ب: بارتحالها عنه.

(٤) في الأصول: وتفويضه.." (١)

"هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب

ووقع في شعر الخنساء **ترثي** أخاها صخرا:

ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

وماذا يواري القبر تحت ترابه من الحود في بؤسى الحوادث والدهر

ولجرير وهو في الحماسة (١) :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٥٥٤

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وفي الحماسة أيضا (٢) :

ماذا من البعد بين البخل والجود

ووقع في الحماسة أيضا، وهو لامرأة (٣) :

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما

أرادت ماذا تصرم لهم يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرما.

ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أني بما أنا باك منه محسود

وقوله أيضا:

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

---

(١) ديوان جرير: ٤٧٦.

(٢) الحماسية رقم: ٦٨٥ وصدره: ألا ترين وقد قطعتني ءذلا.

(٣) هو لأم الصريح، الحماسية: ٣١٨.." (١)

"لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

يمزق الدهر حتما كل سابغة إذا نبت مشرفيات وخرصان

وينتضي كل سيف للفناء ولو كان ابن ذي يزن والغمد غمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان

أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٤٣/٤

دار الزمان على دارا وقاتله وأم كسرى فما آواه إيوان

كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوما ولا ملك الدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلوان يسهلها وما لما حل بالإسلام سلوان

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فامتحنت حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم، فكم من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان." (١)

"الهوى، وبأي شيء نعتاض منك أيتها الرياض، بعد أن طمى نهرك (١) الفياض، وفهقت الحياض ولا كان الشانئ المشنوء، والجرب المهنوء، من قطع ليل أغار على الصبح فاحتمل، وشارك في الذم الناقة والجمل، واستأثر جنحه ببدر النادي لما كمل، نشر الشراع فراع، وأعمل (٢) الإسراع، كأنما هوتمساح النيل ضايق الأحباب في البرهة، واختطف لهم من الشط نزهة العين وعين النزهة، ولجج بها والعيون تنظر، والغمر عن الأتباع يحظر، فلم يقدر إلا على الأسف، والتماح الأثر المنشف، والرجوع بملء العيبة من الخيبة، ووقر الجسرة (٣) من الحسرة، وإنما نشكوإلى الله البث والحزن، ونستمطر من عبارتنا المزن، وبسيف الرجاء نصول، إذا شرعت للياس النصول:

ما أقدر الله أن يدني على شحط ... من داره الحزن ممن داره صول (٤) فإن كان كلم الفراق رغيبا (٥) ، لما نويت مغيبا، وجللت الوقت الهنيء تشغيبا، فلعل الملتقى يكون قريبا، وحديثه يروى صحيحا غريبا.

إيه ثقة (٦) النفس كيف حال تلك الشمائل، المزهرة الخمائل والشيم، الهامية الديم، هل يمر ببالها من

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤/٤٨٧

راعت بالبعد باله، وأخمدت بعاص البين ذباله، أوترثي لشؤون شأنها سكب لا يفتر، وشوق يبت حبال الصبر ويبتر، وضنى تقصر عن حلله الفاقعة صنعاء وتستر، والأمر أعظم والله يستر، وما الذي يضيرك صين من لفح السموم نضيرك، بعد أ، أضرمت وأشعلت،

---

(١) نهرك: سقطت من ق.

(٢) التعريف: وواصل.

(٣) الجسرة: الناقة؛ والوقر: الحمل.

(٤) البيت لحندج بن حندج المري، (حماسة المرزوقي: ١٨٣١) .

(٥) الجرح الرغيب: الواسع.

(٦) التعريف: إيه سيدي.." (١)

"أسماعكم لمواعظ الأيام، واعتبروا بأحاديثها اعتبار أولي النهى والأحلام، وأحضروا لفهم موادها أوعى القلوب وأصح الأفهام، وانظروا آثارها بأعين المستيقظين ولا تنظروا بأعين النوام، ولا تخدعنكم هذه الدنيا الدنية بتهاويل الأباطيل وأضغاث الأحلام، ولا تنسينكم خدعها المموهة وخيالاتها الممثلة ما خلا من مقالاتها في الأنام، فهي دار انتياب النوائب، ومصاب المصائب، وحدوث الحوادث وإلمام الآلام؛ دار صفوها أكدار، وسلمها حرب تدار، وأمنها خوف وحذار، ونظمها تفرق وانتشار، واتصالها انقطاع وانصرام، ووجودها فناء وانعدام، وبناؤها تضعضع وانهدام، ينادي كل يوم بناديها منادي الحمام، فلا قرار بهذه الغرارة (١) ولا مقام، ولا بقاء لساكنيها ولا دوام.

فبئست الدار دارا لا تدارى، ولا تقيل لعاثرها عثارا، ولا تقبل لمعتذر اعتذارا، ولا تقي من جورها حليفا ولا جارا، وليس لها من عهد ولا ذمام، كم فتكت بقوم غافلين عنها نيام، كم نازلت بنوازلها من قباب وخيام، كم بدلت من سلامة بداء ومن صحة بسقام، كم رمت أغراض القلوب بمصميات (٢) السهام، كم جردت في البرايا للمنايا من حسام، كم بددت بأكف النائبات الناهبات من عطايا جسام، كم أبادت طوارق حوادثها من شيخ وكهل وغلام. لا تبقي على أحد، ولا ترثي لوالد ولا ولد، ولا تخلد سرورا في خلد، ولا يمتد فيها لآمل أمد، بينا يقال قد وجد، إذ قيل قد فقد. بعدا لها قد طبعت على نكد وكمد، فالفرح فيها ترح، والحبرة عبرة، والضحك والابتسام، بكاء وأدمع سجام. تفرق الأحبة بعد اجتماعهم، وتسكن الوحشة مؤنس رباعهم،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٩٣/٦

وتبيح بالحمام حمى الأعزة فلا سبيل إلى امتناعهم، وتستحث ركائب الخلائق على اختلاف أنواعهم، إلى مصيرهم إلى الله عز وجل وارتجاعهم،

---

(١) ق: القرارة.

(٢) ق: بمزاياها بمصميات.." (١)

"حسن أحد الموالي الرومية

حسن بن عبد الله، أحد الموالي الرومية العالم العلامة، الأوحد الفهامة، اشتراه الوزير الأعظم رستم باشا، وعمره تسع سنين، فأعتقه وعلمه القرآن العظيم، واشتغل في العلم على فضلاء الروم، وبرع في فقه الحنفية، وولي المدارس السنية حتى صار مدرسا بإحدى الثمان. وتولى قضاء الشام سنة تسع وخمسين وتسعمائة ودخلها في ربيع الأول. وولي بعده برويز أفندي. ثم عاد إليها ثانيا، واستمر بها مدة، ثم أعطي قضاء مصر، فخرج من دمشق إليها في شعبان سنة ثلاث وستين وتسعمائة، ثم توجه إلى الحج في سنة إحدى وستين، وبعد توجهه لعشرين يوما ورد أولاق بعزله عن قضاء الشام، وتوليته قضاء مكة المشرفة، فأرسل نائب الشام نجابا معه الأمر بتوليته مكة، فلحقه بتبوك، فاستمر بمكة قاضيها مدة، ثم عزل عنها، وعاد إلى الإسلام بول، ثم أعيد إلى الشام قاضيا في سنة ثلاث وستين وتسعمائة عن برويز أفندي المتولي قضاء الشام بعده، ثم أعطي مصر، فخرج من دمشق إليها في شعبان سنة أربع وستين وتسعمائة، ثم ولي القسطنطينية، ثم قضاء العسكر، وكان أشقر اللحية، أزرق العينين، عليه وقار وهيبة، وله حرمة وافرة، هابه في قضائه النظار والناس حتى نائب الشام، وردع أهل الظلم، وهو الذي عمر مجلس الحكم بباب القاضي، وكان نواب الباب أولا يجلسون بإيوان القاعة الشرقي، فبنى هذا المجلس خارج القاعة، وكان يعظم العلماء والفضلاء، وكان يميل إلى شيخ الإسلام الوالد ويعتقده، ويقبل يده، ويحبه محبة شديدة، ويزوره في خلوته بالجامع الأموي، ويتبرك به ويسأله الدعاء، ولما ولي الشام ثانيا، ودخل دمشق دخل عليه الوالد للسلام عليه، فمشى إلى ملاقاته حافيا إلى البحرة التي في القاعة، وعانقه وقبل يده وأجلسه عن يمينه، ثم دخل في أثره الشيخ علاء الدين بن عماد الدين للسلام على القاضي، فلم يجلس تحت الشيخ بل جلس تجاه الأفندي خلف الصندوق على طرف الإيوان، وكان الأفندي يفهم ما بينهما، فقال له: ما لك لا تجلس تحت مولانا شيخ الإسلام وهو أكبر منك سنا وأكثر منك علما؟ فقال الشيخ: يا مولانا هؤلاء أولادنا منهم من عق، ومنهم من بر، ثم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٢٨/٧

قام الشيخ علاء الدين، ولم يتكلم بشيء، فتعجب الحاضرون من سكوته لما يعلمون من جرأته، وعدوها كرامة للشيخ من حيث أسكت عنه الشيخ علاء الدين وأفحم، أو سكت لما يعلم من اعتقاد الأفندي في الشيخ، وكتب إلى الشيخ من مصر وهو قاض بها في صدر مطالعة، ولعله استعاره من ألحان السواجع:

يا برق هل ترثي لصب ساهر ... أو هل ترى لكسره من جابر

وهل لما قد ناله من راحم ... أو لم يكن فهل له من عاذر

أبيت لا أنيس لي إلا الذي ... يدور من شكواي في ضمائري." (١)

"الدامغاني، فقبل قوله. وكان فقيها فاضلا، يقول الشعر، وكان يشهد مجلس الحكم، ويحضر الموكب.

وتوفي- رحمه الله- يوم الثلاثاء، منتصف محرم، سنة عشر، وقيل سنة ثلاث عشرة، قبل والده بشهر واحد، وكان له من العمر سبع وعشرون سنة، ودفن في داره [بالظفرية] ، فلما مات أبوه نقل معه إلى دكة الإمام أحمد.

قال والده: مات ولدي عقيل، وكان قد تفقه وناظر، وجمع أدبا حسنا فتعزيت بقصة عمرو بن عبد ود الذي قتله علي رضي الله عنه، فقالت أمه ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يقاد به ... من كان يدعى أبوه بيضة البلد

فأسلاها وعزاها جلالة القاتل، وفخرها بأن ابنها مقتوله. فنظرت إلى قاتل ولدي الحكيم المالك، فهان علي القتل والمقتول لجلالة القاتل، وأكب عليه وقبله، وهو في أكفانه. وقال: يا بني استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه. الرب خير لك مني، ثم مضى وصلى عليه.

ومن شعر عقيل هذا:

شاقه والشوق من غيره ... طلل عاف سوى أثره

مقفر إلا معالمه ... واكف بالودق من مطره

فانثنى والدمع منهمل ... كانسلال السلك عن درره

طاويا كشحا على نوب ... سبحات لسن من وطره

رحلة الأحباب عن وطن ... وحلول الشيب في شعره

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٣/١٢٦

شيم للدهر سالفة ... مستبينات لمختبره

وقبول الدر مبسمها ... أبلج يفتر عن خصره." (١)

"(المتقارب)

(وجارية من بنات الملوك ... قعقعت بالرمح خلخالها ككرفئة الغيث ذات الصبي ر ترمي السحاب ويرمي لها تواعدتها بعد مر النجو م كلفاء تكثر تهطالها فلا مزنة ودقت ودقها البيت انتهى وقد رأيت البيتين الأولين في شعر الخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخرا أولها المتقارب ألا ما لعيني ألا مالها لقد أخضل الدمع سربالها

ثم وصفت جيشا فقالت:

(ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف زفنا لها)

(ككرفئة الغيث ذات الصبير..... . (البيت المذكور))

وقال الشارد ديوانها الأخفش: " الرجراجة ": الكتيبة، كأنها تتحرك وتتمخض من كثرتها. و" المضاعف " من الدروع: التي تنسج حلقتين حلقتين. و" زفنا لها ": مشينا لها باختيال، وهي بالزاي المعجمة والفاء، زاف يزيف زيفا وزيفانا: تبختر في مشيته. وشبه الرجراجة في كثرتها وحركتها وتمخضها بالكرفئة، وهي السحابة العظيمة التي يركب بعضها على بعض حملا للماء. والحمل - بالفتح -: ما كان في الجوف مستكنا. والحمل - بالكسر -: ظاهر مثل الوقر على الظهر. شبه الكرفئة بالناقة يكثر لحمها وشحمها، يقال: إن عليها." (٢)

"إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول وكلام عامي مرذول لا مساغ له عند من هو صحيح الذوق والمعرفة نسابة للمعاني ومعنى تقدير المضاف فيه أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ولم تقصد لمبالغة لكل حقه أن يجاء بلفظ الذات لا أنه مراد وروى الأخفش في شرح ديوان الخنساء عن ابن الأعرابي أنه روى فإنما هو أراد فإنما فعلها وهذا البيت من قصيدة لها ترثي بها أخاها صخرا تنيف على ثلاثين بيتا في رواية الأخفش وقبله

(فما عجول على بو تطيف به ... قد ساعدتها على التحنان أظآر)

وبعده

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٦٤/٦

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥١/١

(لا تسمن الدهرفي أرض وإن رتعت ... وإنما هي تحنان وتسجار)

(يوما بأوجد مني يوم فارقني ... صخر وللدهر إحلاء وإمرار)

العجول الثكول أراد به الناقة وروى ما أم سقب وهو الذكر من ولد الناقة ولا يقال للأنثى سقبة ولكن حائل والبو جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ويدنى منها فتشمه وترأمه فتدر عليه اللبن وساعدتها وافقتها والتحنان الحنين والأظآر جمع ظئر وهي التي تعطف على ولد غيرها يقال رتعت الإبل إذا رعت وارتعتها تركتها ترعى وروى ترتع ما غفلت واذكرت أي تذكرت ولدها وأصله اذتكرت." (١)

"وقيل لجرير من أشعر الناس قال أنا لولا الخنساء قيل بم فضلتك قال بقولها (البسيط)

(إن الرمان وما يفنى له عجب ... أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس)

(إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس)

وكانت في أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ثم أخوها صخر فأكثرت من الشعر وأجادت وكان أحبهما إليها لأنه كان حليما جوادا

محبوبا في العشيرة شريفا في قومه وكان أبوها يأخذ بيدي ابنيه صخر ومعاوية ويقول أنا أبو خيري مضر فتعترف له العرب بذلك وما زالت ترثي صخرا وتبكيه حتى عميت وكانت تقول بعد إسلامها كنت أبكي لصخر من القتل فأنا اليوم أبكي له من النار ودخلت على عائشة رضي الله عنهما وعليها صدار من شعر فقالت لها ما هذا فو الله لقد مات رسول الله

فلم ألبس صدارا عليه قالت إن له حديثا قالت وما هو قالت زوجني أبي سيدا من سادات قومي متلافاً معطاء فأنفد ماله وقال لي إلى أين يا خنساء قلت إلى أخي صخر فأتيناه فقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين فأقبل زوجي يعطي ويهب ويحمل حتى أنفده ثم قالا لي إلى أين يا خنساء قلت إلى أخي صخر فأتيناه وقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين إلى الثالثة فقالت له امرأته أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهم خير النصفين فقال (الرجز)

(والله لا أمنحها شرارها ... ولو هلكت قددت خمارها)

(واتخذت من شعر صدارها)." (٢)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٣٢/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٤٣٥/١

"(فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتثويب)

(قل لأهل الضراء والبأس موتوا ... مذ سقته المنون كأس شعوب)

ثم تزوجها الزبير بن العوام رض الله تعالى عنه فكانت تخرج إلى المسجد ليلا وكان يكره خروجها ويحرج من منعها فخرجت ليلة إلى المسجد وخرج الزبير فسبقها إلى مكان مظلم من طريقها فلما مرت به وضع يده على بعض جسدها فرجعت تبكي ثم لم تخرج بعدها فقال لها الزبير: ما لك لا تخرجين إلى المسجد كما كنت تفعلين فقالت: فسد الناس فقال: أنا فعلت ذلك فقالت: أليس يقدر غيرك أن يفعل مثله فلم تخرج حتى قتل عنها الزبير فقالت ترثيه: غدر ابن جرموز بفارس بهمة الأبيات السابقة.

وخطبها علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعد قتل الزبير فأرسلت إليه تقول: إني لأضن بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتل. انتهى. كلام الزبير بن بكار.

وقد تقدم ترجمة والدها زيد في الشاهد الثامن والسبعين بعد الأربعمائة.

وأنشد بعده:

(فلو أنك في يوم الرخاء سألتني ... طلاقك لم أبخل وأنت صديق)." (١)

"(هزبرا فروسا لأعدائه ... هصورا إذا لقي القرن صالا)

(هما مع تصرف ريب المنون ... من الأرض ركنا ثبيتا أمالا)

(هما يوم حم له يومه ... وقال أخو فهم بطلا وفالا)

(وقالوا قتلناه في غارة ... بآية أن قد ورثنا النبالا)

(فهلا إذن قبل ريب المنون ... فقد كان رجلا وكنتم رجالا)

(وقد علمت فهم عند اللقا ... بأنهم لك كانوا نفالا)

(كأنهم لم يحسوا به ... فيخلوا النساء له والحجالا)

(ولم ينزلوا بمحول السنين ... به فيكونوا عليه عيالا)

(وقد علم الضيف والمرملون ... إذا اغبر أفق وهبت شمالا)

(بأنك كنت الربيع المغيث ... لمن يعتريك وكنت الثمالا)

(وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكى الكلالا)

(وحي أبحت وحي منحت ... غداة اللقاء منايا عجالا)

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٨١/١٠

(وكم من قبيل وإن لم تكن ... أردتهم منك باتوا وجالا)

قال السكري في شرح هذه القصيدة قال أبو عمرو: قالت هذه القصيدة عمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي **ترثي** أخاها عمرا. انتهى.." [(١)]

"والإرقان بكسر الهمزة وبالقاف: الزعفران.

وقال المتنخل الهذلي يرثي ابنه أثيلة: البسيط

(والتارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من عقار قهوة ثمل)

وقال زهير بن مسعود الضبي: البسيط

)

هلا سألت هداك الله ما حسبي ... عند الطعان إذا ما احمرت الحدق)

(هل أترك القرن مصفرا أنامله ... قد بل من جوفه العلق)

وقالت ريطة الهذلية **ترثي** أخاها عمرا ذا الكلب: البسيط

(الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب)

(والتارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من نجيع الجوف مخضوب)

وقال زهير بن أبي سلمى: البسيط المائح: الذي يملأ الدلو في أسفل البئر عند قلة مائها. والأسن بفتح الهمزة وكسر السين: الذي أصابته ريح منتنة من ريح البئر أو غير ذلك فغشي عليه أو دار رأسه.

وقال أحد بني جرم:." [(٢)]

"البسيط

(وأترك القرن مصفرا أنامله ... دامي المرادع منكبا على العفر)

وقالت عمرة بنت شداد الكلبية **ترثي** أخاها مسعود بن شداد: البسيط

)

قد يطعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مضرج بعدها تغلي بإزباد)

(ويترك القرن مصفرا أنامله ... كأن أثوابه مجت بفرصاد)

وتقدمت ترجمة عبيد بن الأبرص في الشاهد السادس عشر بعد المائة ووقع نسبة البيت الشاهد في كتاب

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٨٤/١٠

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٥٩/١١

سيبويه إلى بعض الهذليين ولم أره في أشعارهم من رواية السكري. والله أعلم.)
وأنشد بعده: الكامل لما تزل برحالنا وكأن قد على أنه قد يحذف الفعل بعد قد لدليل والتقدير: وكأن قد زالت فحذف زالت لدلالة ما قبله عليه وكسرت الدال من قد للقافية.
وهذا عجز وصدره: أفد الترحل غير أن ركابنا
وتقدم شرحه في الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة.
(
حرفا الاستفهام)
وأنشد بعده
(الشاهد الثالث والعشرون بعد التسعمائة)
الرجز أهل عرفت الدار بالغريين على أن هل في الأصل بمعنى قد كما في البيت فكون قد حرف استفهام إنما تكون بهمزة الاستفهام ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال إقامة لها مقامها. وقد جاءت على اللأصل في قوله تعالى: هل أتى على الإنسان أي: قد أتى.
هذا أحد مذاهب أربعة وهو مذهب الزمخشري ف هل عنده أبدا بمعنى قد وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة. قال في المفصل: وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في الإستفهام. وقد جاء دخولها عليها في قوله: البسيط
(سائل فوارس يربوع بشدتنا ... أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم
)
انتهى.
قال ابن يعيش في شرحه: هذا هو الظاهر من كلام سيبويه وذلك أنه قال عند الكلام على من ومتى: وكذلك هل إنما هي بمنزلة قد ولكنهم تركوا الألف إذ كانت هل إنما تقع في الاستفهام كأنه يريد أن هل تكون بمعنى." (١)

"قد عرضت أروى بقول إفناد وهو مستفعلن مستفعلن فعولان. انتهى.

-

والغريان: موضع بالكوفة نحو فرسخين عنها وهو مثنى الغري بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٦١/١١

وتشديد الياء.

قال البكري في معجم ما استعجم: قال المفجع: الغري: موضع بالكوفة ويقال: إن قبر علي بن)
أبي طالب رضي الله عنه بالغري. ويقال: الغريان.

ويقال أن النعمان بناهما على قبري عمرو بن مسعود. وخالد بن نضلة لما قتلهما. قالت هند بنت معبد بن نضلة **ترثيهما**: الطويل

(ألا بكر الناعي بخيري بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد)

انتهى.

وقوله: النعمان خطأ وصوابه المنذر. والغريان في الأصل: منارتان على قبري بن عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسديين كان المنذر." (١)

"هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي به أوس بن خالد وأنيسا وزاد في الأبيات ونقص وهذه روايته بعد البيت الأول:

(أجدكما ما **ترثيان** لموجع ... حزين على قبريكما قد رثاكما)

جرى النوم بين العظم والجلد منكما ... ... البيت ألم تعلما مالي براوند كلها ... ... البيت

(أصب على قبريكما من مدامة ... فإلا تذوقاها ترو ثراكما)

(ألم ترحماني أنني صرت مفردا ... وأني مشتاق إلى أن أراكما)

(فإن كنتما لا تسمعان فما الذي ... خليلي عن سمع الدعاء نهاكما)

أقيم على قبريكما لست بارحا ... ... البيت

وأبكيكماطول الحياة وما الذي ... ... البيت قال ياقوت راوند: بليدة قرب قاشان وأصفهان قال حمزة: أصلها راهاوند ومعناها الخير المضاعف. قال بعضهم: وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف الضحاك.

وخزاق: بضم الخاء وبالزاي المعجمتين وآخره قاف: موضع في سواد أضفهان. كذا في المعجم لأبي عبيد

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٦٩/١١

وأنشد هذا البيت. ورأيت في هامشه بخط من يوثق به: خزاق اسم قرية من قرى راوند من أعمال أصفهان. والجثا بضم الجيم وبالثاء المثلثة: جمع جثوة مثلثة الجيم وهي الحجارة المجموعة." (١)

"عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير قالوا: فليس من فعلى الأول هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه **وترثيه** وكذلك على الثاني بمعنى تطلبه ليسافدها لأنه بمعنى الذكر. قال في العباب: الهديل: الذكر من الحمام وقيل الحمام الوحشي كالقماري والدباسي. وعلى الثالث مفعول مطلق وناصبه إما تدعو بمعنى تهدل وإما فعل مقدر من لفظه أي: تهدل هديلا مثل: هدر يهدر هديرا.

وقال الجاحظ: يقال في الحمام الوحشي من القماري والفواخت والدباسي وما أشبه ذلك: هدل يهدل هديلا ويقال هدر الحمام يهدر. وقال أبو زيد: الجمل يهدر ولا يقال باللام. ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلا على الحال من ضمير تدعو لأن مجيء المصدر حالا سماعي ولا ضرورة هنا تدعو إليه.

ومعنى البيتين: لم أنس عهدك على بعده وكلما حنت عجول أو صاحت حمامة وقت نفسي فذكرتك.

وهما من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل. ونقل العيني عن الموعب أنهما لـلعباس بن مرداس الصحابي والله أعلم وتقدمت ترجمة العباس في الشاهد السابع عشر وكذا رأيته أنا في شرح ابن يسعون على شواهد

الإيضاح لأبي علي الفارسي منسوبا إلى العباس بن مرداس.." (٢)

"ترجمته في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة.

روي أنه لما حضرته الوفاة قال لا بنتيه:

(تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وها أنا إلا من ربيعة أو مضر)

(فقوما وقولا بالذي تعلمانه ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر)

(وقولا: هو المرء الذي لا صديقه ... أضاع ولا خان الخليل ولا غدر)

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ... البيت وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته **فترثيانه** ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفنا.

وقوله: تمنى ابنتاي هو مضارع وأصله تتمنى بتاءين. وزعم بعضهم أنه فعل ماض ولو كان كما زعم لقال تمنت ولا موجب لحمله على الضرورة.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٨٨/٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٠١/٣

وقوله: وهل أنا الخ أي: جميع آبائي من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يسلم أحد منهم من وقال بعض فضلاء العجم في أبيات المفصل معناه: وما أنا إلا من الكرام الأشراف ومن كان منهم لا يعيش طويلا لأن الكرام قليلة الأعمار وهذا كلامه وليس هذا معنى الشعر ويكذبه أن لبيدا من المعمرين كما تقدم في ترجمته.

وقوله: فقوما الفاء فصيحة لأن المعنى إذا ثبت أني ربيعة أموات كما ماتوا فقوما بعد موتي للعزاء وقولا في الرثاء ما تعلمانه من الصفات الحميدة وابكيا إن أردتما ولا تخمشا بأظافير كما ولا تحلقا شعركما.

ويقدر ابكيا لقوله ولا تخمشا الخ وذلك أن خمش الوجه وحلق الشعر لا يكون إلا مع." (١)

"يقول: إذا تلاقوا في الحرب جعلوا بدلا من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع.

وهذا البيت نسبه شراح أبيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معد يكرب الصحابي ولم أره في شعره.

والعجب من شيخنا الشهاب الخفاجي أنه نسبه إليه في حاشية البيضاوي وقال: هو من قصيدة مسطورة له في المفضليات مع أنه غير موجود شعره في المفضليات لا من كثيره ولا من قليله.

قال ابن رشيق في العمدة في باب السرقات الشعرية: ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة: الوافر

(وخيل قد دلفت لها بخيل ... عليها الأسد تهتصر اهتصارا)

وقول عمرو بن معد يكرب: الوافر وقول الخنساء ترثي أخاها صخرا: الوافر وخيل قد دلفت لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها وقول الأعرابي: الوافر

(وخيل قد دلفت لها بخيل ... ترى فرسانها مثل الأسود)

وأمثال هذا كثير. انتهى.." (٢)

"وقال الآخر:

ولا تفش سري إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا!

فإني رأيت غواة الرجال لا يتركون أديما صحيحا

وقيل: وكان أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يتمثل بهذين البيتين كثيرا، وقيل انهما له. والأديم: الجلد، استعير هنا للعرض، وجعل لام الوشاة سهاما يرما بها الأعراض حتى تهتكها. ومثله قول أبن الخياط:

فلا تعدل إلى الواشين سمعا ... فإن كلام أكثرهم كلام

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤٠/٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٢٦/٩

وإن الود عندهم نفاق ... إذا طاوعتهم والحمد ذام

وأقوال إذا سمعت سهام ... تقصر عن موقعها السهام

فلما نصحوا لمجدك بل مرادا ... لما قد ساءني قعودا وقاموا

فليتك تسمع القولين حتى ... تبين في من الحق الخصام!

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية ترثي أخاها وقيل ليلى بنت يزيد بن الصعق ترثي ابنها قيس بن زياد:

لقد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أضحى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البراز وكنت أنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراح

وأغض من بصري وأعلم إنه ... قد مات خير فوارس ورماح

وإذا دعت قمرية شجبنا لها ... يوما على فنن دعوت صباحي

وتمثلت بها فاطمة أم السبطين رضي الله عنها يوم وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم. ومعنى: دعوت صباحي أي قلت: وأسوء صباحاه! لعدم ناصري فيه. وفي معنى الأول قول أبي الوفاء يرثي غازي:

أيا تاركي ألقى العدو مسلما ... متى ساءني بالجد قمت ألاعبه

وقال سعد بن قيس:

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر الصراح

فالهم بيضات الخدور ... هناك لا النعم المراح." (١)

"خطارة غب السرى موارة ... تطس الاكام بذات خف ميثم

وهذا الكلام يحلف به العرب يقولون: لا والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة! ومن أيمانهم أيضا: لا والذي شقهن خمسا من واحد! أي الأصابع ولا والذي أخرج قابية من قوب! أي فرخا من بيضة كما مر؛ و: لا والذي وجهي زمم بيته! بفتحتيناي تلقاءه وتجاهه؛ والبسل: الشجعان وأحدهم باسل والبسالة: الشجاعة؛ والمشتف هو المستقصي ما في إنائه ومنه حديث أم زرع: إن شرب اشتف. والمقتف: الآخذ للشيء بعجلة؛ وأمر الرجل: كثر عدده؛ وتعز: تغلب؛ والمعلهج: المتناهي في الدناءة واللؤم، وقيل هو العريق فيه اللئيم بن اللئيم، والهبيت: الأحمق الضعيف، ويقال له الجبان المخلوع القلب. وضده الثبيت. قال طرفة:

فالهبيت لا فؤاد له ... والثبيت قلبه قيمه

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٥٧/٢

ويروى: فهمه قيمه.

وقد علمت أن لفظ المثل في هذه الوصية التي سردنا من كلام أوس: خير الغنى والقناعة، وشر الفقر الضراعة. ورواية المثل على هذا الوجه هو رأي من لا يرى أن القنوع يكون بمعنى القناعة، وبذلك اعترض البكري على أبي عبيد في إيراده المثل على الالفظ السابق، وقد علمت مما مر إنه صحيح ومثل هذا المثل قول الفارعة بنت طريف ترثي أخاها:

فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا مال إلا من قنى وسيوف

وقول الأبيرد اليربوعي:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وقول إبراهيم بن العباس الصولي:

أسد ضار إذا استنجدته ... وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أثرى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقوله أيضا:." (١)

"وأما العنوان فهو ما يجعل عليه ليستدل به عليه ويقال قيه: عنوان وعنيان بضم الأول فيهما وكسره. وأصله عنان على مثل رمان لأنه مشتق من قولك: عن لي الأمر يعن إذا عرض لأنه هو يعرض للكتاب من ناحية وعننه وعنونه وعناه: كتب عنوانه. ويقال فيه أيضا علوان باللام وعلون الكتاب وعلاه تعلية: كتب عنوانه وكل ظاهر شيء استدلت به على باطنه فهو عنوان له. قال الشاعر:

رأيت لسان المرء رائد عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون!

وقال الآخر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وما أصناف الكتب فكثيرة منها: كاتب التدبير وهو أجلها وأعلاها درجة وهو كاتب السلطان الذي يكتب سره؛ ومنها كاتب أرباب الأحكام وأجلها كاتب القاضي ثم كاتب صاحب المظالم ثم كاتب صاحب الديوان وهو الخراج ثم كاتب صاحب الشرطة؛ ومنها كاتب العامل وكاتب المجلس إلى غير وكل واحد منها له أحكام وآداب ذكرت في محلها.

ولهم أقلام مختلفة اصطلحوا عليها في الكتابة. انتهى. مجموعها بحسب ما ذكروا إلى أحد وعشرين وهي

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢٠٨/٢

الجليل والسجلى ويسمى قلم الثلثين والقلم الرئاسي والنصف وخفيف النصف والثلث وخفيف الثلث والمسلسل وغبار الحلبة وصغير الغبار وهو قلم المؤامرات وقلم القصص والحوائجي والمحدث والمدمج وثقيل الطومار وخفيف الطومار والشامي ومفتح الشامي والمنثور وخفيف المنثور وقلم الجزم.

واختلف في أول من كتب: فقيل آدم عليه السلام كتب الصحف قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه. فلما كان بعد الطوفان أصاب كل قوم كتابهم؛ وقيل أول من كتب إدريس عليه السلام؛ وقيل أول من وضع الكتابة إسماعيل عليه السلام وضعها بلفظه ومنطقه؛ وقيل أول من كتب قوم من الأوائل أسمائهم أبجد هوز حطي إلى آخرها. وكانوا ملوك مدين وقيل هم أبجد هوز إلى قرست ملوك مدين فوضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم وكان سيدهم كلمن فهلكوا يوم الظلة فقالت ابنة كلمن **ترثيه**:." (١)

"مناف بن قصي **ترثي** أباها حين قتل يوم بدر // (من التقارب) //

(أيا عين بكى بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب)

(تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبهو المطلب)

(يذيقونه حد أسيافهم ... يجرونه عاريا قد سلب)

ذكره ابن هشام في سيرته والخندف مشية فيها تممد وتعطف بنوع بطر وإسراع ثم ولد لمدركة خزيمة تصغير واحدة الخزم وهو مثل الدوم يتخذ من سعفه الحبال وتصنع من أسافله خلايا للنحل وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تتأنفه الغربان وتستطيبه ثم ولد لخزينة كنانة ثم تزوج كنانة برة بنة مر أخت تميم بن مر ذكره ابن قتية في كتاب المعارف فأولدها النضر ثم تزوج النضر هندا بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان فأولدها مالكا ثم تزوج مالك جندلة بنت الحارث الجرهمي فأولدها فهرا وهذا قيل هو لقب له والفهر من الحجارة الطويلة وما يملأ الكف وأما اسمه فقريش وقيل بل اسمه فهر ولقبه قريش أقول قال في بحر الأنساب فما فوق فهر إلى النضر لا يكون قرشيا وما دونه قرشي وقيل إن قريشا لقب للنضر فعلى هذا ما فوق فهر إلى النضر قرشي وهو الذي رجحه النووي تبعا لكثيرين واشتقاق قريش من التقرش وهو التكسب لأنهم أرباب تجارة واكتساب وقيل من التقريش وهو التجميع لتجمعهم وتحيزهم بمكة ونواحيها ويقال منه اشتاق القرش للمعاملة المعروفة لأنه قطعة من الفضة مجتمعة هذا إن كان اللفظ فيه بالقاف فإن كان بالغين كما قد يسمع فلا اشتقاق

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٢٢١

وقيل من القرش اسم دابة شديدة بالبحر قال أبو أمية الجمحي // (من الخفيف) //
(وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشنا)

(تأكل الغث والسمين ولا تترك ... منها لذي الجناحين ريشا)." (١)

"وما يليها من الحجاز وهوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي أرض الطائف وما اتصل به من أرض نجد وكلمن وسعفص وقريشات كانوا ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن وحده على بلاد مدين وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أنهما قالا أول من وضع الكتاب العربي قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أد بن أدد أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين فسموها الروادف يريد ثخذ ضظغ وروى أن هذه الكلمات من أسماء الشياطين وروى أنها أسماء لملوك مدين فقط وأن رئيسهم كلمن وأنهم هلكوا يوم الظلة المذكور في الكتاب العزيز وهم قوم شعيب على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام فقالت أخت كلمن **ترثيه** // (من مجزوء الرمل) //
(كلمن هدم ركنى ... هلكه وسط المحله)

(سيد القوم اتاه الحتف ... نارا وسط ظله)
وقال رجل من أهل مدين يرثيهم كذلك // (من الطويل) // ل
(ألا يا شعيب قد نطقت مقالة ... سبقت بها عمرا وحي بني عمرو)

(ملوك بني حطي وهوز منهم ... وسعفص أهل في المكارم ذي الغمر)

(هم صبحوا أهل الحجاز بغارة ... كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر)
وذكر ابن الجوزي في المضحكات أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقى اعرابيا فقال له هل تحسن أن تقرأ القرآن قال نعم قال له فاقرأ أم القرآن فقال الأعرابي والله ما أحسن البنات فكيف الأم قال فضربه ثم سلمه إلى معلم فمكث فيه حينا ثم هرب وأنشأ يقول // (من الوافر) //
(أتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أسطر متتابعات)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٩٩/١

(كتاب الله في رق صحيح ... وآيات القرآن مفصلات)

(وخطوا لي أبا جاد بيانا ... وقالوا سعفص وقريشات)." (١)

"وقالت حمل برسول الله

ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار بشر بعضها بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن إن يظهر أبو القاسم

ميمونا مباركا ولما تم من حملها شهران توفي عبد الله كما تقدم ذكره وقالت آمنة **ترثي** عبد الله والده عليه الصلاة والسلام // (من الطويل) //

(عفى جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم)

(دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم)

(عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم)

(فإن تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم)

ومن شعر عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا عليه الصلاة والسلام نقله الصفدي في ترجمته وذكره خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي في كتابه مسالك الحنفا في حكم إيمان والدي المصطفى قوله // (من الطويل) //

(لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلا على سائر الأرض)

(وأن أبى ذو المجد والسؤدد الذي ... يسار به ما بين نشز إلى خفض)

(وجدي وآباء له أثلوا العلا ... قديما بطيب العرض والحسب المحض)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٢١٦/١

قال القطب النهرواني في بعض تذاكره ومن خطه نقلت قد ذيل على هذه الأبيات صاحبنا العلامة الشيخ عبد النافع بن محمد بن عراق بيتين على لسان عبد الله ابن عبد المطلب فقال // (من الطويل) //

(وقد جاء من صلى نبي معظم ... يشفعه الرحمن في موقف العرض)

(وما لنبي غيره مثل فخره ... فهل مثل هذا المجد في الطول والعرض)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما توفي عبد الله قالت الملائكة إلهنا." [1]

"(بأوشك سورة مني إذا ما ... حبوت له بقرقرة وهدر)

(ببيض كالأسنة مرهفات ... كأن ظباتهن جحيم جمر)

(وأكلف مجنإ من جلد ثور ... وصفراء البراية ذات أزر)

(وأبيض كالغدير ثوى عليه ... عمير بالمداوس نصف شهر)

(أرفل في حمائله وأمشي ... كمشية خادر ليث سبطر)

(يقول لي الفتى سعد هديا ... فقلت لعله تقريب غدر)

(وقلت أبا عدي لا تطرهم ... وذلك إن أطعت اليوم أمري)

(كدأبهم بفروة إذ أتاهم ... فظل يقاد مكتوفا بضفر)

وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة ترثي أباها يوم بدر // (من المتقارب) //

(أعيني جودا بدمع سرب ... على خير خندف لم ينقلب)

(تداعى له رهطه غدوة ... بنو هاشم وبنو المطلب)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١/٢٩٨

(يذيقونه حد أسيافهم ... يعلونه بعد ما قد عطب)

(يجرونه وعفير التراب ... علي وجهه عاريا قد سلب)

(وكان لنا جبلا راسيا ... جميل المراة كثير العشب)

(فأما بري فلم أعنه ... فأوتي من خير ما يحتسب)
وقالت هند أيضا // (من الطويل) //
(يريب علينا دهرنا فيسوءنا ... ويأبى فما نأتي بشيء يغالبه)

(أبعد قتيل من لؤي بن غالب ... يراع امرؤ إن مات أو مات صاحبه؟ !)." (١)
"كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت ... فأصبح السقف منها غير ذي عمد)
وقالت صفية أيضا // (من الهزج) //
(ألا يا من لعين للتتبكي ... دمعها فان)

(كغربي دالج يسقي ... خلال الغيث الدان)

(وما ليث غريف ذو ... أظافير وأسنان)

(أبو شبلين وثاب ... شديد البطش غرثان)

(كحبي إذ تولى ووجوه ... القوم ألوان)

(وبالكف حسام صارم ... أبيض ذكران)

(وأنت الطاعن النجلاء ... منها مزبد آن)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١١٣/٢

قال ابن إسحاق وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب **ترثي** عبيدة بن الحارث بن المطلب // (من الطويل) //

(لقد ضمن الصفراء مجدا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل)

(عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذل)

(وبكيه للأقوام في كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل)

(وبكيه للأيتام والريح زفزف ... وتشبيب قدر طالما أزبدت تغلي)

فإن تصبح النيران قد مات ضوءها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل)

(لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستنبح أضحى لديه على رسل)

وقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث // (من الكامل) //

(يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق)

(أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق)

(مني إليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق)." [١]

"العمى كما يجلو القين الصدى قال فهل لك من حاجة قالت نعم أعطني مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاها قال فم تصنعين بها قالت أغذي بلبنها الصغار وأستحي وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر قال فإذا دفعتها لك أكون عندك في منزلة علي قالت لا والله فقال معاوية // (من الطويل) //

إذا لم أجد بالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم)

(

خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١١٥/٢

ثم قال لها والله لو كان علي حيا ما أعطاك منها ناقة قالت لا والله ولا وبرة لأنها من مال المسلمين واستأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية فأذن لها فدخلت وسلمت وكان عليها ثلاثة دروع تسحب خلفها ثم جلست فقال لها كيف أنت يابنة صفوان قالت كسلت بعد نشاط وضعفت بعد قوة فقال شتان بين لسانك اليوم وبين قولك // (من الكامل) //

(يا زيد دونك صارما ذا رونق ... عضب المحزة ليس بالخوار)

(أسرج جوادك مسرعا ومشمرا ... للحرب غير معود لفرار)

(أجب الإمام وذب تحت لوائه ... والق العدو بصارم بتار)

(يا ليتني أصبحت غير قعيدة ... فأذب عنه عساكر الفجار)

قالت قد كان ذلك ولكن عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه قال هيهات أما والله لو عاد لعدت ولكنه اخترم قالت أجل والله إني على بينة من ربي وهدى من أمري فقال بعض جلسائه وهي القائلة **ترثي** عليا // (من الكامل) //

(يا للرجال لهول عظم مصيبة ... حلت فليس مصابها بالحائل)

(ألشمس كاسفة لفقد إمامنا

خير الخلائق والإمام العادل)

(صهر النبي لقد نفذت فؤادنا ... والحق أصبح خاضعا للباطل)

فقال لها معاوية قاتلك الله ما أبقيت لنا من قول ثم خرجت فبعث لها معاوية بجائزة سنية وأخباره بمثل ذلك كثيرة شهيرة." (١)

"(مذ عاينوا الذبح فى أحلافهم نزعوا ... إليك من وهن فيهم ومن وهل)

(لا تعطهم يا أبا عجلان عارفة ... وما يرومون من وجه ومن قبل)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ١٤٣/٣

(ولا تتابع هجارا في رعايتهم ... ليس الشجي رعاك الله مثل خلي)

(لا تحرق النار إلا كف لامسها ... ولا أخو كبد حرى كذى بلل)

(واذكر على القرب ما نالوا وما فعلوا ... في أهل دارك من فتك ومن غيل)

(واعلم سلمت بأن القوم قد حشدوا ... وليس مطلبهم إلاك من رجل)

(ثلوا عروشك واجتاحوا حماك به ... وجاذبوك رداء العز في النزل)

(فاغضب لنفسك أودع كل مكرمة ... تبقى وقوض خيام العز وارتحل)

(واذكر أبا القاسم السامي ومصرعه ... كذاك مصرع إبراهيم حين ولي)

(السادة القادة الأملاك من حسنت ... بذاتهم بهمة الأيام والدول)

(لا تجعل المال عن أرواحهم بدلا ... من اللئام فبئس المال من بدل)

(لا تترك الحزم عينا ثم تطلبه ... دينا فتقرع سن النادم النكل)

(ولا تقيلنهم بالله عثرتهم ... واقطع عرى كل ذي غدر وذي نغل)

(ولا يغرنك منهم ود مبتسم ... فالخوف يظهر ود الخائن الدغل)

(يطوون أحشاءهم منكم على ضمد ... ويضحكون لديكم ضحكة العلل)

(فاشدد يديك ولا **ترثي** لحالتهم ... فطبعهم عن خبيث اللؤم لم يحل)

(لا تأمنن غدرهم فالذئب عادته ... إن ينتهز فرصة في غفلة يصل)

(إن تبق منهم مع الإمكان باقية ... نسبت للوهن في الأمصار والحلل)

(وجرد السيف لاستئصال شأفتهم ... في كل شيخ وفي طفل ومكتهل)

(لا تقطع الرجل من قوم وتتركهم ... والرأس منهم صحيح غير منجدل)

(فالحلم زين ولكن يابن حيدرة ... في غير موضعه ضرب من الخبل)

(والصفح عن مجرم من بعد مقدرة ... عجز ولست بذي عجز ولا ملل)

(فيم التقاضى وما بالعهد من قدم ... والجرح منهم طري غير مندمل)

(حاشا علاك أبا عجلان من ملك ... تعطى الدنية أو تؤتى من الختل)

(يأبى لك العز أن تلقاه معتذرا ... أو ناهجا في طريق اللوم والعذل)

(وأنت من سادة شم لهم أنف ... عن أن يقيموا على ضيم ولا دخل)." (١)

"(عجبا لعطفك كيف رنح وانثنى ... متأودا وعلى لم يتعطف)

(أنا عبدك الملهوف فارث لذلتي ... وارفق فديتك بي لطول تلهفي)

(عرفتني بهواك ثم هجرتني ... يا ليتني بهواك لم أتعرف)

(حملتني مالا أطيق من الهوى ... وأذقتني سم الفراق المدلف)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣٣٤/٤

(يا مهجتي ذوبي ويا روحي اذهبي ... من صده عني ويا عيني اذرفي)

(هل من معين لي على طول البكا ... أو راحمي أو ناصري أو منصفي)

(وإليك عاذل عن ملامة مغرم ... لا يرعوى عما يروم ولا يفي)

(حاشاي أن أسلو وانسي عهد من ... أحببته إني أنا الخل الوفي)

(قل ما تشاء فانني يا عاذلي ... لا أنتهي لا أنثني عن متلفي)

(أنا عبده لا أكتفي عن مالكي ... والعبد عن ملاكه لا يكتفي)

(يا قلبه القاسي أما ترثي لمن ... قاس هواك جوى وطول تأسف)

(اعطف على قلب سلبت فؤاده ... واستبق منه بالنبي الأشرف)

وكانت وفاته يوم الخميس رابع عشرى شهر ربيع الآخر سنة خمسين وألف بمدينة ذمار وبها دفن رحمه الله تعالى

السيد حسين بن كمال الدين بن محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حمزة الحراني ابن محمد بن ناصر الدين بن علي بن الحسين المحترف ابن إسماعيل بن الحسين النتيف ابن أحمد بن إسماعيل الثاني ابن محمد بن إسماعيل الأعرج ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام السيد الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هذا نسب بني حمزة نقباء الشام وكبرائها أبا عن جد وسيأتي في كتابنا هذا منهم أناس تشرف بهم هذا العصر والسيد حسين هذا وأخوه السيد محمد روح الله تعالى روحهما فرقد أسماء هذا البيت ونير فلكه وكل منهما بارع في الفنون كبير الشأن وسيأتي السيد محمد كما ذكرنا واما السيد حسين فإنه اشتغل وبرع وسما قدره إلى معالي الأمور فسافر إلى الروم وأقام بها زمانا طويلا وتقلبت به الأحوال إلى أن قدم إلى دمشق ورأس فيها وصار نائبا بالمحكمة الكبرى وقساما للعسكر ودرس بالمدرسة الفارسية برتبة الداخل

وكان فاضلا كاملا وجيها حسن المصاحبة لطيف العشرة أديبا مطبوعا رأيت من آثاره كتابا جمعه وسماه بالتذكرة الحسينية ذكر." (١)

"والماء في سوق الغصون خلاخل ... من فضة والزهر كالتيجان

وقول ابن قرناص:

لقد عقد الربيع نطاق زهر ... يضم بغصنه خصرا نحيلا

ودب مع العشي عذار ظل ... على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم قد أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال:

وإني وإن جئت المشيب لمولع ... بطرة ظل فوق وجه غدير

وما أحسن قول الشهاب محمد:

إذا الكرى ذر في أجفاننا سنة ... من النعاس منعناها عن الهدب

وقول ابن نباتة المصري:

ولما جنى طرفي رياض جمالكم ... جعلت سهادي في عقوبة من جنى

أأحبابنا أن عفتم السفح منزلا ... وأخليتم من جانب الجزع موطنا

فقد حزتموا دمعي عقيقا ومهجتي ... غضا وسكنتم من ضلوعي منحنى

وقوله أيضا:

هذي الحمائم في منابر أيكها ... تملي الغنا والطل يكتب في الورق

والقضب تخفض للسلام رؤوسها ... والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهو أحسن من قول ابن تميم:

إني لأشهد للحمى بفضيلة ... من أجلها أصبحت من عشاقه

ما زاره أيام نرجسه فتى ... إلا وأجلسه على أحداقه

وقول ماني الموسوس:

دعتني إلى وصلها جهرة ... ولم تدر أني لها أعشق

فقمت وللقسم من مفرقي ... إلى قدمي ألسن تنطق

وما أجود قول أبي طاهر البغدادي في نار القرى:

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٠٥/٢

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها ... إن الحمام لمغرم بالبان

من معشر نشروا على تاج الربى ... للطارقين ذوائب النيران

وهو مأخوذ من قول الأول:

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم ... من الزاد فضلات تعد لمن يقرى

إذا ضل عنهم طارق رفعوا له ... من النار في الظلماء ألوية حمرا

وقول صردر:

قوم إذا حيا الضيوف جفانهم ... ردت عليهم ألسن النيران

ومنه قول التهامي:

نادته نارك وهي غير فصيحة ... فأتم خفق ذوائب النيران

وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله:

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم ... يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يجود بنفسه ... حب القرى حطبا على النيران

ومن بديع الاستعارة على سخفه ومجونه قول السعيد بن سناء الملك:

يا هذه لا تستحي ... مني في انكشف المغطى

إن كان كسك قد تثأ ... ب إن أيري قد تمطى

فاستعارة التثأب والتمطي هنا من أحسن الاستعارات. قال ابن جبارة: أنشدني ابن سناء الملك هذا وزادني الإعجاب به، فلما عدت إلى البيت، أخذت جزء من البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، فوجدت فيه، أن بغدادية قالت الأخرى: خرجت اليوم إلى العيد؟ قالت أي وحياتك. قالت لها: فما رأيت؟ قالت: أحراء تتثأب وأيورا تتمطى. فلما اجتمعت به قلت لها: قد عرفت وعثرت على الكنز الذي انتهبته، وحكيت لها الحكاية فقال: سيدنا يفتش عن أمري.

ومن طريف الاستعارات قول أبي الوليد بن الجنان الكناني الشاطبي:

هات المدام فقد ناح الحمام على ... فقد الظلام وجيش الصبح في غلب

وأعين الزهر من طول البكاء رمدت ... فكحلتها يمين الشمس بالذهب

والكأس حلتها حمراء مذهبة ... لكن أزرارها من لؤلؤ الحبب

كم قلت للأفق لما أن بدا صلفا ... بشمسه عندما لاحت من الحجب

إن تهت بالشمس يا أفق السماء فلي ... شمسان خد نديمي وابنة العنب

تم فاسقنيها وثغر الصبح مبتسم ... والليل تبكيه عين الشمس بالشهب

والسحب قد لبست سود الثياب وقد=قامت لترثيه الأطيار في القضب وقول شيخنا العلامة محمد بن علي الشامي:

قم هاتها وضمير الليل منشرح ... والبدر في لحبة الظلماء يسبح

عجل بها وحجاب الليل منسدل ... من قبل يدري بنا في وكره الصبح

واستضحك الدهر قد طال العبوس به ... لا يضحك الدهر حتى يضحك القدح

فقام والسكر يعطو في مفاصله ... يكاد يقطر من أعطافه المرح

يطوف والليل بالجوزاء منتطق=بها علينا رشا بالحسن متشح منها:

فما تبسم في وجه الصبا قدح ... حتى تنفس من جيب الدجى وضح

ودعته وجبين الصبح منذلق=وللظلام لسان ليس يجترح

ولا يطيب الهوى يوما لمغتبق ... حتى يكون له في اليوم مصطبح." (١)

"كسوب ومتلاف إذا ما سألته ... تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

ومنه قول كعب بن زهير في بردته وأولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكي قصر منها ولا طول

ومنها:

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما تمسك الماء الغرابيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الأباطيل

ومن مديحها:

وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٥٥

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ... فكلما قدر الرحمن مفعول

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

فقد أتيت رسول الله معتذرا ... والعذر عند رسول الله مقبول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وإن كثرت في الأقاويل

والغاية فيها قوله: إن الرسول لنور يستضاء به=مهند من سيوف الله مسلول وقوله أيضا:

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

وقال ابن هشام: ومما يستحسن من شعر كعب قوله:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا تنتهي العين حين ينتهي الأثر

ونمنه قول أمية بن أبي الصلت وهو ممن أدرك زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسلم يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلمك بالأمور وأنت قرم ... لك الحسب المهذب والسناء

كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الكريم ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

وعلى ذكر هذه الأبيات سئل عطاء، ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: خير الدعاء دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي وهو لا إله إلا الله وحده وحده، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؟ فقال: هذا.

كما قال أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضه الثناء

أفيعلم ابن جدعان ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم الله ما يراد منه بالثناء عليه؟ وينسب هذا الجواب إلى

سفيان بن عيينة كما في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني والله أعلم.

ومنه قول فروة بن مسيك المرادي شاعر مخضرم من أهل اليمن، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فإن نغلب فغلابون قدما ... وإن نهزم فغير مهزمينا

وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا

فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقي الكرام إذن بقينا

إذا ما الدهر جر على أناس ... كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

وقد تمثل ببعض هذه الأبيات الحسين بن علي عليهما السلام بكربلاء يوم قتله ومنه قول نهشل الدارمي وهو من المخضرمين أيضا. كان شاعرا شريفا في قومه، وكان مع علي عليه السلام في حروبه:

إنا محيوك يا سلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا

وهي من قصيدة مشهورة مثبتة في أشعار الحماسة لأبي تمام.

ومنه قول الخنساء ترثي أخاها صخرا وهو غاية في الانسجام:

أعيناي جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجري الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما ... د ساد عشيرته أمردا." (١)

"فصبرا لهذا الدهر إن صروفه ... لعمرك تبدى من قضاها عجائبا

سيصفو شراب مر دهر مكدرا ... ويرضي محب ظل حينا مغاضبا

فإن ضمير لا يزال منازعا ... بأنك ترقي في المعالي مراتبا

مراتب تسمو للسماكين رفعة ... تقود بها خيل الفخار جنائبا

فذلك عندي عن تقى مكرم ... صدوق إذا ما قال لم يلف كاذبا

وما زلت أرعى قوله في مواطن ... فألفيته ثبت المقالة صائبا

ودم راقيا في المجد أرفع رتبة ... تبيد الأعادي أو تنيل الرغائبا

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن مع صوم الحسني ص/٢٦٧

الشيخ عبد العزيز بن محمد الزمزمي

الشافعي المكي

هو من بيت حديثه في الفضل قديم. وقوم انتشوا بسلاف العلم وليس لهم سوى الأدب نديم. بنى لما بنت أوائله. فظهرت للعيان آدابه وفضائله. فدرس وأقرى. وتتبع واستقرى. وطال في خدمة العلم الشريف عمره. واشتهر في تلك المواطن المنيفة أمره. رأيته بمكة شرفها الله تعالى وقد وقف على ثنية الوداع. وهمت صفاة شمل جيوشه بالانصداع. ويقال إنه أناف على التسعين من السنين وله الأدب الغض. والنظم الذي ما وضع من قدره ناقل ولا غض. فمن نثره قوله من كتاب معزيا. يحق لشموس العظمة أن تلبس عليه أثواب الحداد. ويقبح ببدر الجلالة أن يطلع بغير لبس السواد. كيف لا وهو بقية الدور الأول. وإنسان عين الأماجد الكمل. ووالله لقد حصل لنا من التعب والكدر. ما فقدنا معه المصطبر. غير أن هذا منهل لا بد من وروده. وإناء زرع لا بد من حصيده. ومن شعره قوله مادحا الشريف مسعود بن الشريف حسن وهي قصيدة ضمنها ثلاثة أبيات الثاني والثالث منهما تاريخان يخرج أولها من الصدر الأول وثانيها من نون فعلن من العروض وثالثها من ميم مستفعلن من الابتداء

يا ظبية البان ما **ترثي** لذي كبد ... مجروحة قد سبى بالأعين النجل

أمسي من الصد والهجران في ألم ... سويهر الطرف بالهجران في شغل

نويحلا هائما حيران ذا أسف ... عليل جسم شوى بالهجر منذ قلى

جفا المنام جفون العين منذ هوى ... والقلب منه بنيران الغرام سلى

لعل يا من حكاها الغصن في ميس ... داء الغرام يداوي منك بالقبل

آه على ثغرها كم فيه من درر ... آه على ريقها كم فيه من عسل

رشيقة ليس يسلوها الفؤاد ولو ... نقلت للحد حيا غير منتقل

أبهى رداح تجلت في سنا قمر ... شبيهة الغصن في لين وفي ميل

فارقتها وفؤادي اليوم في وله ... إلى محيا يفوق الشمس في الحمل

قال العذول أما تسلو فقلت بمن ... بالله يا عاذلي دعني ولا تطل

يا غادة طاب لي في عشقها عذلي ... أما ترقين لي يا غاية الأمل

لولاك يا من لها في القلب مرتبع ... نزهت نظمي عن الغزلان والغزل

والله لولا الظباء النازحون لما ... يممت مكحولة العينين بالكحل

أسلة طفلة تسبي بمبتسم ... منضد يرى المضنى من العلل

فاقت على الشمس والأقمار طلعتها ... جميلة ما لها في الحسن من مثل

الآن أشفي من التشبيب والغزل ... دائي بمدحي لنجل المصطفى وعلي

كهف الأرامل و ا لأيتام ذي حكم ... له فضائل أهل السهل والجبل

عالي الذرى شامخ المقدار كم منن ... لكفه في رقاب الناس والدول

امام أهل التقى مولى حوى شرفا ... مسعود جد كريم سيد بطل

مؤيد ماجد حاوي العلى ملك ... لعزمه فعلات البيض والأسل

مظفر قلب من عاداه في وجل ... كأنه الليث في بطش وفي غيل

بكل ماض صقيل نال بغيته ... دامت له نعمة المولى إلى الأزل

ابن البشير النذير المرتجى لغد ... المصطفى الطهر هادي أشرف السبل

رفيع قدر علي حاز كل وفا ... رؤف قلب على الخلان والخول." (١)

"بنت عبد المطلب، عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي شقيقة حمزة، رضي الله عنه أمها هالة بنت وهيب عم آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت صفية رضي الله عنها ولا خلاف في إسلامها، وكانت في الجاهلية عند الحارث بن حرب بن أمية فهلك عنها فتزوجها العوام بن خويلد فولدت له السائب وعبد الكعبة والزبير رضي الله عنه ثم أسلمت وهاجرت، وكانت حازمة ذات قوة وشجاعة، وكانت مع النساء في وقعة الأحزاب في أطم ومعهن حسان بن ثابت رضي الله عنه فإذا بيهودي يطوف بالأطم فقالت لحسان: انزل فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، ما لي بهذا من حاجة، فأخذت صفية رضي الله عنها عمودا ونزلت إليه وقتلته ثم قالت لحسان: انزل وخذ سلبه فما منعني من سلبه إلا أنه رجل فقال: لا حاجة لي بسلبه، وكان حسان شجاعا فيما تقدم ثم أصابته ضربة على رأسه أضرت دماغه، وتولد له من تلك الضربة نوع من الجبن، وعاشت صفيـة إلى خلافة عمر رضي الله عنه وتوفيت سنة عشرين ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع، ومن شعرها **ترثي** النبي صلى الله عليه وسلم.

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما ... لبيك عليك اليوم من كان باكيا

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١١٣

كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا ... ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى محمدا ... سعدنا، لكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

[٢٥]

خديجة الكبرى رضي الله عنها

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى [بن] قصي، وأمها: فاطمة بنت زائدة بن الأصم، كانت تدعى بالجاهلية الطاهرة، تزوجها صلى الله عليه وسلم وهي أم أولاده كلهم إلا ابراهيم، وكانت خديجة رضي الله عنها قبل [رسول الله صلى الله عليه وسلم] عند أبي هالة بن زرارة بن نباش التميمي، ثم خلف عليها عتيق بن عابد بن عمرو بن مخزوم، وكانت خديجة رضي الله عنها أول الخلق على الإطلاق إسلاما بعد البعثة، وذكر في "الجامع الصغير" عنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال: "أجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصتين"، وقيل: إن أبا طالب قال لخديجة: هل لك أن تستأجري محمدا، وقد استأجرت فلانا ببكرتين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات؟ فقالت": لو سألت لبعيد بغيض فكيف وقد سألت لحبيب قريب؟ فرضيت خديجة واستأجرته صلى الله عليه وسلم وأرسلته مع عبدها ميسرة إلى سوق حباشة، وهو بأرض اليمن على ست ليال من مكة، فابتاع منه بزا، ورجعا فربحا ربحا حسنا، وأرسلته في الثانية إلى إسلام مع مسيرة، فابتاعا وربحا وعادا، فقال مسيرة للنبي صلى الله عليه وسلم: هل لك أن تسبقني إلى خديجة فتخبرها بالذي جرى فلعلها تزيدك بكرة إلى بكراتك، فركب صلى الله عليه وسلم وتقدم ودخل معه في الظهيرة، وخديجة في غرفتها مع نساء، فرأته حين دخل وملكان يظلانه، فأرته نساءها فعجبت من ذلك، فأخبرها بما ربحوا فسرت، وقالت: عجل إلى ميسرة ليعجل وصعدت إلى الغرفة فرأته، صلى الله عليه وسلم على الحالة الأولى، فلما دخل ميسرة أخبرته خديجة بما رأت، فقال لها ميسرة: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بقول نسطور لما رآه نزل تحت [شجرة مخصوصة] فقال: هذا آخر الأنبياء.

وقال النيسابوري: لما رأى الراهب الغمامة تظله دنا إلى النبي وقبل رأسه وقدمه، وقال: آمنت بك، فلما سمعت خديجة ذلك حدثت ابن عمها ورقة بن نوفل بذلك، فقال لها: إن كان حقا ما ذكرت فمحمد نبي هذه الأمة المنتظر.." (١)

"وأما إسلام عمر رضي الله عنه فكانت أخيه قد أسلمت هي وزوجها وهم مستخفون، وكان نعيم بن عبد الله النجار، أسلم، وكان خباب بن الأرت أسلم ويقرئ أم جميل القرآن خفية، فخرج عمر، متقلدا بسيفه، يريد أن يقتل رسول الله وأصحابه، وقد علم أنه في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين رجلا وامرأة مع النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة رضي الله عنه وعلي وأبي بكر، فلقي نعيم عمر رضي الله عنه وقال له: أين تريد؟ فقال أريد محمدا! هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش فأقتله. فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى ترجع أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال عمر: من هم؟ قال: أختك وزوجها سعيد، فقد أسلما. فرجع عمر إليهما وعندها خباب في مخدع فاختفى لما رأى عمر، وأخذت الصحيفة أخته فجعلتها تحت فخذها. ودنا عمر رضي الله عنه فلما دخل قال: ما هذه الهينمة؟ قد تابعتما محمدا؟ وضرب سعيدا، رضي الله عنه فقامت أخيه فاطمة لتكفه، فضربها فشجها، فقالت له أخيه: نعم أسلمنا وآمنا فاصنع ما بدا لك! فلما رأى عمر رضي الله عنه ما بأخته من الدين ارتعد، وقال لها: أعطني الصحيفة أنظر فيها! فقالت: إنك نجس، وأنه لا يمسها إلا طاهر. ولم يزل بها حتى أخذ الصحيفة، وكان يقرأ ويكتب، فوجد فيها (سورة طه) فلما قرأها، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه وقال: يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس يقول: "اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب". فقال عمر: فدلني على محمد. فقال: هو في بيت عند الصفا. فسار عمر متقلدا بسيفه، فلما قرب ضرب الباب فلما سمعوا صوته، خرج رجل من الصحابة فرأى عمر متوشحا بسيفه، فقال حمزة رضي الله عنه: ائذن له، فإن جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن أراد شرا قتلته بسيفه. فقال صلى الله عليه وسلم ائذن له. فأذن له الرجل، فدخل وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله. وأسلم وتفرق أصحاب النبي من مكانهم فرحين مستبشرين بإسلام حمزة وعمر رضي الله تعالى عنهما.

[٨٢]

(١) الروضة الفيحاء في أعلام النساء ياسين الخطيب ص/٤٢

عاتكة بنت زيد بن عمرو

من المهاجرات، تزوجها عبد الله بن الصديق، رضي الله عنه وكانت جميلة فغلبت على عقله وشغلته عن الجهاد فأمره أبو بطلاقها، فأنشد:

يقولون: طلقها وخيم مكانها ... مقيم عليك الهم أحلام نائم

وأن فراقي أهل بيت جمعتهم ... على كبر مني لإحدى العظائم

أراني وأهلي كالعجول تزوجت ... إلى برها قبل العشار الروائم

ثم طلقها، فدخل عليه أبوه وهو ينشد ويقول:

أعاتك لا أنساك ما در شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق

أعاتك قلبي كل يوم وليلة ... عليك بما تخفي النفوس معلق

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير جرم تطلق

لها كلف جزل ورأي ومنصب ... وخلق سوي في الحياء ومصدق

فرق له أبوه وأمره فراجعها وأنشد يقول:

أعاتك قد طلقت في غير ريبة ... وروجعت للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح ... على الناس فيه ألفة وتباين

وما زال قلبي للتفرق طائرا ... على الناس فيه ألفة وتباين

ليهنك إني لا أرى فيك سخطة ... وإنك قد تمت عليك المحاسن

وإنك ممن زين الله وجهه ... وليس لوجه زانة الله شائن

ثم شهد عبد الله الطائف فأصيب بسهم ومات بالمدينة فقالت عاتكة **ترثيه**:

رزيت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصرا

فيا ليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا." (١)

---

(١) الروضة الفيحاء في أعلام النساء ياسين الخطيب ص/٦٩

"إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة فلما قتل قالت عاتكة **ترثيه**.

عيني جودي بعبرة، ونحيب ... لا تملي على الجواد النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتأييب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت تخرج للمسجد للصلاة وكان الزبير غيورا، فيمنعها فتقول: لا أزال أخرج حتى تمنعني وتذكر قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" فتنكر لها ليلة في مكان مظلم وقرصها في عجيزتها، فرجعت إلى بيتها فكان يقول لها: لم لا تخرجين؟ فتقول: كنت أخرج والناس ناس، وأما إذ فسد الناس فبيتي أوسع لي. ولما قتل الزبير رضي الله عنه رثته بقولها:

غدر ابن جرموز بفارس همة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنا طرادك يا ابن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... فيما مضى ممن يروح ويغتدي

ولله ربك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ولما قتل الزبير رضي الله عنه صالحها ولده على ثمانين ألف درهم، ثم تزوجها محمد بن أبي بكر، رضي الله عنه، فقيل عنها بمصر فقالت **ترثيه**:

إن تقتلوا وتمثلوا بمحمد ... فما كان من أجل النساء ولا الخمر

ثم خطبها علي أبي طالب رضي الله عنه فقالت: إني لأضن بك يا بن عم رسول الله (أن) تحب القتل؟ وكان يقال: من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة رضي الله عنها.

[٨٣]

الشفاء بنت عبد الله

ابن عبد شمس بن خلف واسمها ليلى وهي من المبايعات المهاجرات كان صلى الله عليه وسلم يأتيها

ويقيل عندها، وكانت قد اتخذت له فراشا، وإزارا ينام فيه، ومازال عندهم حتى أخذه مروان، وأقطعها صلى الله عليه وسلم دارها عند الحك ا كين، وصلى به صلى الله عليه وسلم وكان عمر رضي الله عنه يقدمها (في الرأي) ويرضاها، وربما ولاها شيئا من أمر السوق. وانتهى.

[٨٤]

سهلة بنت سهيل

ابن عمرو زوجة أبي حذيفة بن عتبة، أسلمت قديما، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها فولدت له محمدا، ثم قدموا مكة فأقاموا بها حتى هاجروا إلى المدينة، وهي التي أتت رسول الله فقالت: يا رسول الله، إنا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علينا، ويرني وأنا أصلي، وقد أنزل الله فيهم ما أنزل، فما ترى؟ قال: "أرضعيه تحرمي عليه" وقتل أبو حذيفة يوم اليمامة، فتزوجها عبد الرحمن ابن عوف، فولدت له سالما. ولما مات تزوجها عبد الله بن الأسود فولدت له سليطا. ولما مات تزوجها عبد الله بن الأسود فولدت له سليطا. ولم مات تزوجها شماخ بن فولدت له بكيرا.

[٨٥]

حبيبة بنت عبد الله

ابن جحش، ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت مع أبيها. وأمها بها تكنى.

[٨٦]

حمنة بـنت جحش

تزوجها مصعب بن عمير فولدت له زينب ثم قتل يوم أحد، فتزوجها طلحة ابن عبيد الله، فولدت له محمدا وعمران، وكانت ممن خاض في حديث الإفك فجلدت فيمن جلد.

[٨٧]

أم حبيبة بنت جحش

تزوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكانت تستحاض فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تغتسل لكل صلاة.

[٨٨]

أم قيس بنت محصن

أخت عكاشة، أسلمت قديما، وهاجرت وبايعت وهي التي أتت النبي بابن لها صغير، فوضعه صلى الله عليه وسلم في حجره، فبال عليه فدعا صلى الله عليه وسلم بماء فأتبعه بوله ولم يغسله انتهى.

[٨٩]

أم عبد الله بنت الوليد

تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فولدت له سعيد بن عثمان رضي الله عنه وتوفيت رضي الله عنها.

[٩٠]

فاطمة بنت عمر رضي الله عنها.." (١)

"نطقت به آية القرآن. قال: فلما وقف القاضي على كنه أمرهما حار بين لومهما وعذرهما. وكانت الفتاة قد هجلته بافتنان كلامها، وتثني قوامها. فتاقت نفسه إلى استخلاصها، بعد خلاصها. وقال للشيخ: قد علمت أن سوء الجوار، أمر من عذاب النار. فأرى أن تستبدل بها من توافق هواك **وترثي** لبلواك، وفي ذلك صلاح لدينك ودنياك. قال: هيهات من ينزل بقاع صلقع بلقع، أو يتيمن بالغراب الأبقع؟ فدعا القاضي بالهميان، وأبرز له نصابا من العقيان. وقال: أطلق هذه الأسيرة من حبسك، واستعن بهذه الدنانير على أمر نفسك. فأشهد عليه بالطلاق، وقال: حبذا هذا الفراق ولو فعل بي ما فعل الباهلي بعفاق. فأقبلت الفتاة على القاضي بالدعاء، وأجملت له الثناء. فتناولها بيمينه وأولجها إلى عرينه. وانصرف الشيخ بين زفير وشهيق، وهو يرفس برجله الطريق، كأنه الصيلم." (٢)

"قالت ليلى الأخيلية، **ترثي** توبة بن الحمير:

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد، فجعت به ... ماذا أجن به في حفرة الرجم

---

(١) الروضة الفيحاء في أعلام النساء ياسين الخطيب ص/٧٠

(٢) مجمع البحرين لليازجي = مقامات اليازجي اليازجي، ناصيف ص/٢٥٨

من كل صافية صرف، وقافية ... مثل السنان، وأمر غير مقتسم

ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشئم." (١)

"وقالت سعدة بنت فريد ترثي ابنها الكميت بن زيد:

لأم البلاد الويل، ماذا تضمنت ... بأكناف طورى من عفاف ونائل؟

ومن وقعات بالرجال كأنها ... إذا أعيت الأحداث وقع المناصل

يعز المعزي بالكميت فتنتهي ... مقالته، والصدر جم البلابل." (٢)

"وقال أيضا:

أولئك قومي بعد عز وثروة ... تداعوا، فإلا تذرف العين أكمد

كأنهم لا ناس للموت غيرهم ... ولإن كان فيهم منصفا غير معتد

وقالت بنت عمرو بن يثربي، ترثي أباها:

يا ضب إنك قد فجعت بفارس ... حامي الحقيقة قاتل الأقران

عمرو بن يثربي الذي فجعت به ... كل القبائل من بني عدنان." (٣)

"لم يحمه وسط العجاجة قومه ... وحنت عليه الأزد أزد عمان

فلهم علي بذاك حادث نعمة ... ولحبهم أحببت كل يمان

لو كان يدفع عن منية هالك ... طول الأكف بذابل المران

أو معشر وصلوا الخطا بسيوفهم ... وسط العجاجة والحتوف دوان

ما نيل عمرو والحوادث جمة ... حتى ينال النجم والقمران

وقالت بثينة، ترثي جميلا:

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما جاءت، ولا حان حينها." (٤)

"لا يعابون صامتون، وإن قا ... لوا أصابوا، ولم يقولوا بلبس

بحلوم، إذا الحلوم تقضت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

---

(١) حماسة القرشي عباس القرشي ص/١٥٣

(٢) حماسة القرشي عباس القرشي ص/١٥٧

(٣) حماسة القرشي عباس القرشي ص/١٦١

(٤) حماسة القرشي عباس القرشي ص/١٦٢

وقالت الخنساء ترثي أخويها صخرا ومعاوية وأباها عمرا:

من جش لي الأخوين كال ... عضين أو مذراهما

قرمين لا يتظالما ... ن، ولا يرام حماهما

ويلي على الأخوين وال ... قبر الذي واراهما

لا مثل كهلي في الكهو ... ل، ولا فتى كفتاهما." (١)

"فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد، ثم مضى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل المجد أن يحمدا

وإن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد، ثم ارتدى

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير:

فإن تكن القتلى بواء، فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر." (٢)

"فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأشجع من ليث بخفان خادر

فتى كان للمولى سناء ورفعة ... وللطارق الساري قرى غير ياسر

وقد كان طلاع النجاد وبين ال ... لسان ومدلاج السرى غير فاتر

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا ... وأحفل من نالت صروف المقادر

وقالت الفارعة ترثي أخاها الوليد بن طريف:

بتل نهاكى رسم قبر كأنه ... على جبل فوق الجبال منيف." (٣)

"أصبت في حرم منا أخا ثقة ... هند بن أسماء، لا يهنئ لك الظفر

لو لم تخنه نفيل، وهي خائفة ... لصبح القوم وردا ما له صدر

وأقبل الخيل من تثليل مصغية ... وضم أعينها رعوان أو حضر

إما سلكت سبيلا كنت سالكها ... فاذهب، فلا يبعدنك الله منتشر

---

(١) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٠٧

(٢) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٠٩

(٣) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢١٠

وقالت الفارعة المرية ترثي أخاها مسعود بن شداد:

يا عين جودي لمسعود بن شداد ... بكل ذي عبرات شجوه باد." (١)

"وقالت أم حكيم الكنانية ترثي ابنيها:

ألا من بين الأخوي ... ن أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها ... وتستسقي فما تسقى

فلما استيأست رجعت ... بعبرة واله حرى

تتابع بين ولولة ... وبين مدامع تترى." (٢)

"نشطنا عشيا لشرب المدام ... فأرعش بكأسك منا الرؤسا

وقم هاتها من بنات الكروم ... على ورد خديك تجلى عروسا

كأن الندامى على شربها ... بدور دجى تعاطى شموسا

تداعوا لنيرانها ساجدين ... ودعواهم لا عدمنا المجوسا

سأحبس ما عشت ركب الرجاء ... بحيث يفك النوال الحبيسا

لدى من تخيرت المكرمات ... على نحرها منه عقدا نفيسا

له المجلس المحتبي بالنهى ... يراع به من يروع الخميسا

وقل بأن يفرش الفرقدين ... ويتخذ البدر فيه جليسا

فيابن نجوم جرت في العلاء ... لقوم سعودا وقوم نحوسا

غدا بك يوم الندى ضاحكا ... ويوم العدا عاد جهما عبوسا

بقيت على عطل الحاسدين ... تحلي يد المدح فيك الطروسا

فأما قولي:

سأحبس ما عشت ركب الرجاء ... بحيث يفك النوال الحبيسا

فقد وقع فيه التصدير ويسمى رد العجز على الصدر وهو عبارة عن أن يأتي الشاعر بكلمة في صدر البيت متقدمة أو متأخرة ثم يأتي بلفظها أو معناها أو بما تصرف من لفظها في عجزه. وأمثلة هذا النوع كثيرة وله عدة ضروب، وأحسنه ما كانت فيه اللفظة افتتاحا للبيت والأخرى ختاما له كبيتنا المذكور، وكقول الشاعر:

---

(١) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٢٠

(٢) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٢٢

تمنت سليمي أن أموت صبابة ... وأهون شيء عندنا ما تمنت

وقول البحتري:

ضرائب أبديتها في السماح ... بها لم نجد لك يوما ضريبا

وقول الآخر:

كل ريم يعطوا فيصطاد ليثا ... عند ليث يسطو فيصطاد ريما

وقول أبي تمام:

وجوه لو أن الأرض فيها كواكب ... توقد للساري لكانت كواكبا

وقوله أيضا:

وليل بت أكلؤه كأني ... سليم أو سهرت على سليم

أراعي من كواكبه سواما ... هجانا لا تريع إلى المسيم

بل شعر أبي تمام أغلبه مبني على التصدير وبذلك بلغ غاية الإستحكام من إتقان مبانيه وتمكن قوافيه إذا القافية تكون مرادة من أول البيت وعليها يبتني نظمه وحسن الصناعة يقتضي ذلك.

الباب الثالث عشر في قافية الشين

وفيها فصلان

الفصل الأول في المديح

قلت فيه هذه القطعة:

ولرب ريم طرفها ... بالهدب سهم اللحظ راشا

ورمى به صبا لفرط ... ضناه يرتعش ارتعاشا

قالت جنحت لسلوة ... فانظر لسهمك كيف طاشا

فأجبتها لا والذي ... جعل النهار لنا معاشا

أنا في سبيل هوى الكوا ... عب أربط العشاق جاشا

هيهات أسلو أو يقا ... ل سلا الندى حسن وحاشا

ذاك الذي لحوائم ... الآمال لم يترك عطاشا

مذ قام للعليا مؤمل ... ها وبحر نداه جاشا

ماتت نفوس الحاسدين ... بغيضها والفضل عاشا

من لو تساجله الغيو ... ث أراك وابلها رشاشا

تستشعر الأسد الغضا ... ب لعظم هيبته اندهاشا

وعلى سراج جبينه ... الآمال تحسبها فراشا

وقد اشتمل قولي فيها:

هيهات أسلو أو يقا ... ل سلا الندى حسن وحاشا

على الإيغال وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، فإن بيتنا هذا تم معناه قبل القافية إذ المراد منه تعليق حصول السلو عن عشقها على سلو الحسن عن الندى بناء على أنه تعليق على محال وهو كما تراه حصل بتمامه قبل القافية، فلما أتينا بها أفدنا زيادة التنزيه مع المبالغة في ذلك، ومن النظائر قول الخنساء في أخيها صخر **ترثيه**:

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فقولها: علم كاف في المقصود وهو تشبيهه بما هو معروف في الهداية، لكنها أتت بقولها: في رأسه نار إيغالا وزيادة للمبالغة.

وفسره قدامة فقال: هو أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتي بقافية، فإذا أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد معنى زائدا على معنى البيت كقول ذي الرمة:

قف العيس في أطلال مية فاسأل ... رسوما كأخلاق الرسوم المسلسل

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ... دموعا كتبديد الجمان المفصل." (١)

"أوفى على الماء كعب ثم قيل له ... رد كعب إنك وراد فما وردا

فأما حاتم فقد تقدم ذكره، وأما النوابغ فمعروفون، وأما جرول فهو الحطيئة، وقد تقدم طرف من أخباره.

ويعجبني له هذه الأبيات وهي قوله:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ... ببيداء لم تعرف لساكنها رسما

أخا جفوة فيه من الإنس وحشة ... يرى البؤس فيها من شراسته نعما

تفرد في شعث عجز إزائها ... ثلاثة أشباح تخالهم بهما

حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة ... ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما

رأى شبحا عند العشاء فراعه ... فلما رأى ضيفا تسور واهتما

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٥١

وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى ... بحقك لا تحرمه تاالليلة اللحما

فقال ابنه لما رآه بحيرة ... أيا أبتى اذبحني ويسر له طعما

ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرى ... يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

فروى قليلا ثم أحجم برهة ... وإن هو لم يذبح فتاه لقد هما

فبيناهم عنت على البعد عانة ... قد انتظمت من خلف مسحلها نظما

ظماء تريد الماء فانساب نحوها ... على أنه منها إلى دمها أظمى

فأمهلها حتى تروت عطاشها ... وأرسل فيها من كنانته سهما

فخرت بجوض ذات جحش فتية ... قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما

فيابشره إذ جرها نحو قومه ... ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى

وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم ... وما غرموا غرما وقد غنموا غنما

وبات أبوهم من بشاشته أبا ... لضيفهم والأم من بشرهم أما

الباب العشرون في قافية الفاء

وفيها ثلاثة فصول

الفصل الأول في المديح

قلت في مدحه:

الفتك نافرة الظبا الهيف ... واستوطنت في ربعك المألوف

فانعم بناعمة الشبيبة غضة ... بيضاء ضامية الوشاح رشوف

أبدا يروق العين في وجناتها ... ورد ولكن ليس بالمقطوف

هي قبلة صلى لها غزلي كما ... صلى ثناي لقبلة المعروف

الماجد الحسن المكارم ملجأ ... العاني الكريث ونجدة الملهوف

قمر زهت منه البسيطة كلها ... بأشع من قمر السماء الموفي

الأزهر الغطريف نجل الأزهر ... الغطريف نجل الأزهر الغطريف

ما راق في صدر الندي بشاشة ... إلا وراع بهيبة ابن غريف

ومقوم الآراء ثقفه النهى ... وكذا الرماح تقام بالتثقيف

كرما يتابع للوفود هباته ... لم يثن في عذل ولا تعنيف

والجود عند سواه أن يعد الندى ... ويميت ذاك الوعد بالتسويف

هو غيث مكرمة وبدر مفاخر ... ومحط آمال وأمن مخوف

قولي في هذه المقطوعة:

الأزهر الغطريف نجل الأزهر ... الغطريف نجل الأزهر الغطريف

اشتمل على التكرار، والتكرار هو إعادة الشيء بنفسه لفائدة، ويأتي على وجوه للتنوية بشأن الممدوح كما في بيتنا هذا، وكما في بيت المتنبي:

العارض الهتنى ابن العارض الهتن ... ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

ومنه إيقاع الجزاء نفس الشرط نحو قولهم: من أدرك الضمان فقد أدرك أي مرعى ليس بعده مرعى إلى غير ذلك، وإما لتقرير المعنى وإما لمقارنة تمام الفصل لئلا يأتي الكلام متبورا لطوله، وإما لين ا ط به حكم آخرا وللترغيب أو للترهيب، والحاصل أن الوجوه التي يأتي التكرار لأجلها كثيرة ليس هذا الكتاب موضعا لضبطها، ولا بأس بذكر بعض الشعر في هذا المقام.

قالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة الحميري:

لنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت ... صدور العوالي واستشال الأسافل

ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت فيه تجاول

ونعم الفتى يا توب كنت مقدما ... على الخيل تمضيها ونعم المنازل

ونعم الفتى يا توب كنت لخائف ... أتاك لكي يحمى ونعم المجامل

ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى يا توب حين تناضل

لعمري لأنت المرء أبكي لفقده ... ويكثر تشهيدي له لا أوائل

لعمري لأنت المرؤ أبكي لفقده ... بجد ولو لامت عليه العواذل

لعمري لأنت المرؤ أبكي لفقده ... ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل." (١)

"وقال الآخر:

قالوا أحب حبيبا ما تأمله ... فكيف حل به للسقم تأثير

فقلت قد يعمل المعنى بقوته ... في ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

وما أبدع قول الآخر:

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٧٠

قالوا عشقت وأنت أعمى ... ظبيا كحيل الطرف ألمى

وحلاه ما عاينتها ... فظنون قد شغلتك وهما

فأجبت أني موسوي ... العشق إنصاتا وفهما

أهوى بجارحه السماع ... ولا أرى ذات المسمى

الباب الثالث والعشرون في قافية اللام

وفيها فصلان

الفصل الأول في المديح

قلت في مدحه:

حيتك تنهمل انهمالا ... وطفاء مرخية العزالى

يا دار لا سلبت أكف ... الدهر حسنك والجمالا

وتنسمت فيك الريا ... ح صبا ولا هبت شمالا

فلكم على هيفاء قد ... ضرب الغيور بك الحجالا

من كل ناعمة الصبا ... تثني معاطفها دلالا

يا سعد عد عن الهوى ... فلقد أطلت به المقالا

أعط المدائح حقها ... ودع الغزالة والغزالا

خف الرجاء لمن نشأن ... أكفهم سحبا ثقالا

قوم على الزوراء أو ... جههم نجوم دجى تلالا

بمحمد الحسن ارتقوا ... شرفا على الجوزاء طالا

داسوا النجوم بفخره ... وبحلمه وزنوا الجبالا

هو أمجد الدنيا أبا ... هو أكرم الثقلين خالا

العزلاء فم المزادة الأسفل والجمع العزالى بكسر اللام وإن شئت فتحت، مثل الصحارى والصحاري والعذارى والعذاري. قال الكميت:

مرته الجنوب فلما اكفهر ... حلت عزاليه الشمئل

وتنسمت، النسيم الريح الطيبة، يقال: نسمت الريح نسيما ونسمانا، ونسم الريح أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد، والنسم الإنسان، وتنسم تنفس. وقولي: وتنسمت فيك الرياح مأخذو من هذا استعارة والمراد

وتنفست فيك الرياح.

والصبا ريح ومهبها المستوي أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، وتزعم العرب أن الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا فردعت بعضه على بعض حتى يصير كسفا واحدا. والجنوب تلحقه روادفه به وتمده، والشمال تمزق ال سحاب. قالت الخنساء ترثي أخاها صخرا:

ويلي عليك إذا تهب الر ... يح باردة شمالا

وقالت عمرة بنت عجلان ترثي أخاها عمروا:

كأنهم لم يحسسوا به ... فيخلوا النساء له والحجالا

ولم ينزلوا بمحال السنين ... به فيكونوا عليه عيالا

وقد علم الضيف والمجتدون ... إذا اغبر أفق وهبت شمالا

وخلت عن أولادها المرضعات ... ولم تر عين لمزن بلالا

بأنك كنت الربيع المغيث ... لمن يعتريك وكنت الثمالا

الفصل الثاني في التهنية

قال عمنا المهدي من قصيدة في تهنئة الماجد محمد الصالح بمولود ولد لابن أخيه:

اليوم أظهرت السعود هلالها ... وارت كرام بني العلا إقبالها

وكسا سناه طلعة الدنيا بها ... قد زادها حسنا وزاد جمالها

وثنت له أعطافها وكأنها ... أعطاف غانية تريك دلالها

تاهت بمولده سرورا إذ رأت ... فيه مخائل ما رأت أمثالها

لو لم يكن طفلا لحقق ظنها ... فيه وصدق في علاه فآلها

فلتهن فيه قبيلة المجد التي ... حسدت مصابيح السما إقبالها

من معشر أولى الزمان كرامهم ... كانوا قبيل المكرمات وآلها

حرصت على حفظ النوال وضيعت ... مابين طلاب الندى أموالها

من ذا يساجل جودها وأكفها ... لم تحك هامية السحاب سجالها

هذا محمدها الذي هو آية ... في الجود لم ترى في الورى أمثالها

قد فجرت يده ينابيع الندى ... لعفاته وسقتهم سلسالها

وقال أيضا من قصيدة في تهنئته بزواج ابن أخيه أيضا وأولها:

من ثغرها سقتك مي سلسلا ... فبت من خمر لماها ثملا

فدب في الأعضاء منك مثلما ... تدب في الأعضاء صهباء الطلا

قد شابه المدام لكن وجه من ... يرشفه من فرح تهللا

ومحتسي كأس المدام وجهه ... مقطب وإن عليه تجتلى

فارشف هنيئا لعسا فهو الذي ... في هذه الدنيا يسمى العسلا." (١)

"فلكم بميدان الطروس هززنه ... حتى جعلت الرمح من حساده

ولكم أسلت به غيوث محابر ... تنهل بين بروق قدح زناده

إن كان يبكيك الجماد بدمعه ... فلقد بكاك حزيننا بفؤاده

يا صاحب الفضل الذي لو أننا ... نبكي به لم نخش وشك نفاده

يا قطر دائرة المعارف والحجى ... ومحيط فضل فاض في إمداده

تبكي العلوم عليك واللغة التي ... بقريضها **ترثيك** في إنشاده

فإذا المحيط بكاك لم يك دمعه ... دون المحيط يزيد في إزباده

يبكي الحساب عليك متخذا له ... دمعا يسيل عليك من أعداده

وصلت إليك يد الزمان وقبلها ... وصلت إلى الذروات من أطواده

ولقد أغار عليك غارة باسل ... كالليث حين رآك من آساده

وسطا مفاجأة عليك بنفسه ... فردا لأنك كنت من أفراده

هذا عماد الفضل مال به القضا ... فأمال صرح العلم ميل عماده

لم يبتليه بما يعاد لأجله ... ولو ابتلاه لكان من عواده

خدم البلاد وليس أشرف عنده ... من أن يسمى خادما لبلاده

وله الأيادي البيض والغرر التي ... حاكت لفاقدها سواده." (٢)

"عبقه وظنوا أن دولة البيت القادري قد انقرضت، وكان أبو العباس يختلف إلى هذه الجارية فاتفق أنها حملت منه، فلما رأى الناس هذه الحالة، وما ألم بالقائم من الهم والحزن أعلنت حملها فتعلقت آمال

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٨٥

(٢) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار شاكر شقير البتلوني ص/١١٢

الناس بها وتوجهت الأفكار إليها، ثم إنها ولدت بعد وفاة مولاها بستة أشهر غلاما ففرح القائم فرحا مفرطا، وفرح الناس لبقاء الخلافة في بيته، وهذا هو الذي لقب بالمقتدر، وكان من أمره ما جاء في تاريخه وأرجو أن هذه أم ولد أرمنية تدعى قرة العين وأدركت خلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله.

أروى ابنة عبد المطلب

أروى ابنة عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكرها أبو جعفر في الصحابة وذكر أيضا أختها عاتكة ابنة عبد المطلب قال محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي لما أسلم طليب بن عمير دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها: قد أسلمت وتبعت محمدا أو تتبعينه فقد أسلم أخوك حمزة. قالت: انظر ما تصنع إخوتي ثم أكون مثلهن.

قال: فقلت: إني أسألك بالله ألا أتيته وسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله. فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم كانت بعد تعد النبي لصلى الله عليه وسلم وتتبعينه بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره وكانت من الشاعرات الأديبات والمتكلمات في العرب.

ومن قولها **ترثي** والدها عبد المطلب مع باقي أخواتها حين طلب منهن ذلك قبل موته ليعلم قوتهن في الرثاء:

بكت عيني وحق لها البكاء ... على سمح سجيته الحياء

على سهل الخليفة أبطحي ... كريم الخيم شيمته العلاء

على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير ليس له كفاء

طويل الباع أملس شيظمي ... أغر كان غرته ضياء

أقب الكشح أروع ذو فضول ... له المجد المقدم والثناء

أبي الضيم أبلج هبرزي ... قديم المجد ليس له خفاء

ومعقل مالك وربيع فهر ... وفيصلها إذا التمس القضاء

وكان هو الفتى كرما وجودا ... وبأسا حين تنسكب الدماء

إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذي رأي مصيب ... عليه حين تبصره البهاء

وقد أسنت وماتت في خلافة عمر بن الخطاب ودفنت بما يليق بها من الإكرام.

أروى ابنة الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

كانت فريدة زمانها وبليغة عصرها وأوانها إذا خطبت أعجزت، وإن تكلمت أوجزت، ولا غرو ابنة البلاغة ومعدن الفصاحة والحصافة.

قيل: إنها وفدت على معاوية بن أبي سفيان لما ولي الخلافة وكانت عجوزا كبيرة فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت: يا ابن أخي، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود، وأضرع منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسولا لله ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم." (١)

"غلب السرور علي حتى إنه ... من عظم ما قد سرني أبكاني

وبعده البيت السابق وبعد هذا البيت الآتي:

فاستقبلي بالبشر يوم لقائه ... ودعي الدموع لليلة الهجران

أم بسطام بن قيس النصراني سيد بني شيبان

كانت من نساء العرب المتقدمات في الأدب ذات شعر رائق، ومعنى فائق، فمن قولها ترثي ولدها بسطام حين قتل يوم الشقيقة قتله بنو ضبة:

لبيك ابن ذي الجدين بكر بن وائل ... فقد بان فيها زينها وجمالها

إذا ما غدا فيها غدون كأنهم ... نجوم سماء بينهن هلالها

فيا لله عينا من رأى مثله فتى ... إذا الخيل يوم الروع هب نزالها

عزيز مكر لا يهد جناحه ... وليث إذا الفتيان زلت نعالها

وحمال أثقال وعائذ محجر ... وليث إذا الفتيان زلت نعالها

سيبكيك عان لم يجد من يفكه ... وتبكيك فرسان زلت رحالها

وتبكيك أسرى طالما قد فككتهم ... وأرملة ضاعت وضاع عيالها

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٥

مفرج حومات الخطوب ومدرك ال ... حروب إذا صالت وعز صياله ا

فغشى بها حيا كذاك ففجعت ... تميم بها أرماحها ونبالها

فقد ظفرت منا تميم بعثرة ... وتلك لعمري عثرة لا تقالها

أصيبت به شيبان والحي يشكر ... وطير يرى أرسالها وحبالها

أم حكيم ابنة عبد المطلب الهاشمية الملقبة بالبيضاء

كانت من النساء الحكيمات العاقلات في بني هاشم جمعت مع الحكمة وفرة الأدب، ومع البلاغة فصاحة العرب كانت مع أخواتها رثت أباها في حياته كطلبه بهذه الأبيات:

ألا يا عين جودي واستهلي ... وبكى ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك أسعديني ... بدمعك من دموع هاطلات

وبكى خير من ركب المطايا ... أباك الخير تيار الفرات

طويل الباع شيبة ذا النعالي ... كريم الخيم محمود الهبات

وصولا للقرابة هبرزيا ... وغيثا في السنين الممحلات

وليثا حين تشتجر العوالي ... تروق له عيون الناظرات

عقيل بني كنانة والمرجي ... إذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها إذا ما هاج هيج ... بداهية خصيم المءضلات

فبكيه ولا تسمي بحزن ... وبكى ما بقيت الباكيات

أم حكيم ابنة قارظ

هي حليلة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كانت من فصحاء نساء العرب وأحسنهن أدبا وجملا، وأثبتهن جنانا، وكانت تقول الشعر وأكثر أشعارها رثاء على ولديها وكانا صغيرين، اسم أحدهما عبد الرحمن، والآخر." (١)

"أبو الحسن علي بن الفرات ثم عزلها المقتدر سنة ٣١٠ هـ، وذلك لأنها زوجت ابنة أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل وأكثرت من النثار والدعوات وخسرت أموالا جليلة فسعى

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٥

بها أعداؤها إلى المقتدر وقالوا: إنها قد سعت لأبي العباس في الخلافة وحلفت له القواد وكثر القول عليها فقبض عليها المقتدر وأخذ منها أموالا جسيمة وجواهر نفيسة.

أم ندبة زوجة بدر بن حذيفة

كانت عقيلة قومها كريمة بيتها مسموعة كلمتها وكان ولدها ندبة يكنى أبا قرافة قد قتله قيس بن زهير العبسي في حرب داحس والغبراء فقالت **ترثيه** وتلوم زوجها بقبول الدية:

حذيفة لا سلمت من الأعادي ... ولا وقيت شر النائبات

أيقتل ندبة قيس وترضى ... بأنعام ونوق سارحات

أما تخشى إذا قال الأعادي ... حذيفة قلبه قلب البنات

فخذ ثأرا بأطراف العوالي ... أو البيض الحداد المرهفات

وإلا خلني أبكي نهاري ... وليلي بالدموع الجاريات

لعل منيتي تأتي سريعا ... وترميني سهام الحادثات

أحب إلي من بعل جبان ... تكون حياته أردى الحياة

فيا أسفي على المقتول ظلما ... وقد أمسى قتيلا في الفلاة

ترى طير الأراك ينوح مثلي ... على أعلى الغصون المائلات

وهل تجد الحمائم مثل وجدي ... إذا رميت بسهم من شتات

فيا يوم الرهان فجعت فيه ... بشخص جاز عن حد الصفات

ولا زال الصباح عليك ليلا ... ووجه البدر مسود الجهات

ويا خيل السباق سقيت سما ... مذابا في المياه الجاريات

ولا زالت ظهورك مثقلات ... بصمان الجبال الراسيات

لأن سباقكم ألقى علينا ... هموما لا تزال إلى الممات

أمالتونسا ابنة ثيودوريك

وأمها "اوديفليد" أخت "كلوفيس" ملك فرنسا، وكانت "امالتونسا" بيدها أزمة أحكام البلاد الإيطالية، وذلك لأنه لم يكن "لثيودوريك" ابن يرث ملكه من بعده، فزوج ابنته هذه بفتى، سليل أحد أعضاء العائلة الملكية، الذي فر هاربا إلى إسبانيا فرقاه الملك الفوثي إلى رتبة قنصلية وأمير، ولكن ذلك الفتى لم يتمتع زمانا طويلا

بلذة ارتقائه واقترانه ب "أمالتونسا"، بل مات مخلفا طفلا يدعى "أثالاريك" فتولت زوجته بعد وفاته وموت أبيها أحكام البلاد بالنيابة عن ابنها القاصر، واشتهرت هذه بجمالها البديع وحسنها الباهر وذكائها العظيم، وسعة معارفها، وكثرة عوارفها، وكان لها القدم الأولى في المباحث العلمية والفلسفية.
قيل: إنها درست اللغة اليونانية، واللاتينية، والفوثية، وتضلعت منها حتى أصبحت قادرة أن تتكلم بكل منها بفصاحة ورشاقة ولا ريب أنها كانت حسنة المبادئ كريمة النفس لأنها عاملت الرومانيين سكان روميا وإيطاليا الأصليين معاملة رعاياها وأشفقت عليهم خلافا للفوثيين الذين لم يزالوا يعتبرونهم أعداء وعبيدا.
وكان ابنها "أثالاريك" خملا يبغض العلوم والمعارف، ويتأوه من الدرس ومشقاته وإجهاد العقل في سبيل." (١)

"عوفز وكان من المنافقين وظهر نفاقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لي من هذا الخبيث؟ " فخرج إليه سالم بن عمير فقتله- فقالت في ذلك"

تكذب دين الله والمرء أحمدا ... لعمري الذي أمناك أن بئس ما يمني

حباك حنيف آخر الدهر طعنة ... أبا عاتك خذها على كبر السن

أمامة ابنة ذي الأصبع

أبوها ذو الأصبع العدواني الشاعر الفارس المشهور. كانت أمامة شاعرة مشهورة يشار غليها بالبنان، أخذت العلم والشعر عن والدها وهي اصغر أولاده، وكان يحبها محبة عظيمة ولمحبته أحبها جميع قبيلتها ولها يقول ورأته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال:

جزعت أمامة إذ مشيت على العصا ... وتذكرت إذ نحن ملفتيان

فلقبلما رام الإله بكيده ... إرما وهذا الحي من عدوان

بعد الحكومة والفضيلة والنهى ... طاف الزمان عليهم بأوان

وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم ... وتبددوا فرقا بكل مكان

خربوا البلاد فأعقمت أرحامهم ... والدهر غيرهم مع الحدثان

حتى أبادهم على أخراهم ... صرعى بكل نقيرة ومكان

لا تعجبين أمام من حدث عرا ... فالدهر غيرنا مع الأزمان

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٦٤

ومن شعرها قولها ترثي قومها:

كم من فتى كانت له منعة ... أبلج مثل القمر الزاهر

قد مرت الخيل بحافاتهم ... مر غيث بجبل عاطر

قد لقيت فهم وعدوانها ... قتيلا وهلكا آخر الغابر

كانوا ملوكا سادة في الورى ... دهرا لها الفخر على الفاخر

حتى تساقوا كأسهم بينهم ... بغيا فيا للشارب الخاسر

بادوا فمن يحلل بأوطانهم ... يحلل برسم مقفر داثر

أمة العزيز ابنة دحية الأندلسية الشريفة الحسينة

كانت ذات قناع، تفرعت من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها في السماء، وتجردت من سلالة أكابر وأشراف رقاة أسرة منابر من بني عبد مناف. تصرفت في أثناء شبيبتها بين دراسة معارف وإفاضة عوارف لها أشعار رائقة معناها، بديعة مبناها، منها ما قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية في "المطرب من أشعار المغرب" قال: أنشدتني أخت جدي الشريفة الفاضلة أمة العزيز الحسنية لنفسها:

لحاظكم تجرحنا في الحشا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجب جرح الصدود

قال العلامة المقري في كتابه "نفح الطيب": هذا السؤال يحتاج على جواب وقد رأيت للقاضي غلإمام الفاضل أبي الفضل قاسم العقباني التلمساني –رحمه الله تعالى– جوابه والغالب أنه من نظمه وهو قوله:

أوجبه مني يا سيدي ... جرح بخد ليس فيه جحود

وأنت فيما قلته مدع ... فأين ماقت وأين الشهود." (١)

"ليت قلبي ساعة ... صبره عنك ملك

ليت نفسي قدمت ... بالمنايا بدلك

ولها فيه أيضا:

بثابت ابن جابر ابن سفيان ... نعم الفتى غادرته بئر خمان

يحدو ويروي ظمأ الندمان ... رواء من يحمي حمى الإخوان

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٦٦

ولها مراث وأشعار كثيرة غير ذلك.

أميمة ابنة خلف بن أسعد

أميمة ابنة خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة الخزاعية.

وهي عمة طلحة بن عبد الله بن خلف الملقب طلحة الطلحات وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص هاجرت معه إلى أرض الحبشة وكانت من السابقات إلى الإسلام.

وقيل: اسمها أمينة. قيل: همينة وولدت بالحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ولها صحبة حسنة وعشرة لطيفة ورجعت مع من رجع من مهاجري الحبشة على المدينة.

أميمة ابنة عبد شمس الهاشمي بن عبد مناف القرشي

وأمها تفخر بنت عبيد بن دوس بن كلاب كانت ذات مجد أثيل وبيت أصيل وباع طويل. تزوجها حارثة بن الأوقص السلمي فولدت له أمية بن حارثة وقتل أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس أخاها في يوم عكاظ من حرب الفجار وكان يعد أبو سفيان وإخوته من العنابس وهي الأسد فقالت أميمة **ترثيه وترثي** من قتل في حرب الفجار من قريش:

أبى ليلى أن يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب

ونجم دونه الأهوا ... ل بين الدلو والعقرب

وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب

بعقر عشيرة منا ... كرام الخيم والمنصب

أحال عليهم دهر ... حديد الباب والمخلب

فحل بهم وقد أمنوا ... ولم يقصر إذا يشطب

وما عنه إذا ما حل ... من منجى ولا مهرب

ألا يا عين فابكيهم ... بدمع منك مستغرب

فإن أبكي فهم عزي ... وهم ركني وهم منكب

وهم أصلي وهم فرعي ... وهم نسبي إذا أنسب

وهم مجدي وهم شرفي ... وهم حصني إذا أرهب

وهم رمحي وهم ترسي ... وهم سيفي إذا أعضب

فكم من قائل منهم ... إذا ما قال لم يكذب

وكم من ناطق فيهم ... خطيب مصقع معرب

وكم من فارس منهم ... كمي معلم مجرب

وكم من مدره فيهم ... أريب حوله مغلب." (١)

"معاذ الله ينكحني خبركي ... يقال أبوه من جشم بن بكر

ولو أمسيت في جشم هديا ... لقد أمسيت في دنس وفقر

فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرة، قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد فقال دريد: سمعت ما دار بينكما وانصرف غضبان وقال يهجو الخنساء:

لمن طلل بذات الخمس أمس ... عفا بين العقيق فبطن خرس

أشبهها غمامة يوم دجن ... تلألأ برقها أو ضوء شمس

وهي طويلة اضربنا عنها فقيل للخنساء: ألا تجيبيه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه، ولما ردت دريدا خطبها رواحة بن عبد العزيز السلمي فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر فولدت له يزيد ومعاوية وبنتا اسمها عمرة.

حكى بعضهم أنه لما كانت ليلة زفاف عمرة كانت أمها جالسة ملتفة بكساء أحمر وقد هرمت وهي تلحظ ابنتها لحظا شديدا فقال القوم: يا عمرة، ألا تحرشت بأمك فإنها الآن تعرف بعض ما أنت فيه، فقامت عمرة تريد شيئا، فوطأت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت لها وقد اغتاظت: حسن إليك يا حنفاء كأنما تطئين أمة ورهاء أنا كنت أكرم منك عرسا، وأطيب ورسا، وذلك زمان إذ كنت فتاة أعجب الفتيان، لا أذيب الشحم ولا أرعى البهم، كالمهرة الصنع لا مضاعة ولا عند مضيع، فضحك القوم من غيظها.

وكانت الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم وهي تعد من الطبقة الثانية في الشعراء، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر. وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها، وكان صخر أخاها لأبيها وأحبهما إليها واستحق صخر ذلك منها لأنه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاع، محظوظا في العشيرة وأجمل رجل في العرب، فلما قتل جلست الخنساء على قبره زمانا طويلا تبكيه **وترثيه** وفيه جل مراثيها، وكانت في أول أمرها تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها معاوية وصخر وقد أجمع الشعراء على

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٦٩

أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

وقيل لجرير: من أشعر الناس؟ فقال: أنا لولا هذه الخبثية -يعني الخنساء- قال بشار: لم تقل امرأة شعرا إلا تبين الضعف في شعرها. فقيل له: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال. وكان الأصمعي يقدم ليلى الأخيلية عليها.

قال المبرد: كانت الخنساء وليلى فائقتين في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وكان النابغة الذبياني يجلس للشعراء في سوق عكاظ وتأتيه الشعراء فتنشده أشعارها فأنشدته الخنساء في بعض المواسم قصيدتها الرائية التي في أخيها صخر، فأعجبه شعرها وقال له: اذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين، ولولا هذا الأعمى أنشدني قبلك -يعني الأعشى- لفضلتك على شعراء هذا الموسم فإنك أشعر الإنس والجن وكان ممن عرض شعره في ذلك الموسم حسان بن ثابت فغضب وقال: أنا أشعر منك ومنها. فقال: ليس الأمر كما ظننت، ثم التفت إلى الخنساء. وقال: ياخناس خاطبيه، فالتفتت إليه الخنساء وقالت: ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضته آنفا؟ قال قولي فيها:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت: ضعفت افتخارك وأندرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا. قالت: قلت لنا: الجفنات والجفنات مادون الغر، ولو قلت: الجفان لكان أكثر، وقلت: الغر، والغرة: بياض في الجبهة، ولو قلت: البيض لكان أكثر اتساعا، وقلت: يلمعن، واللمع: شيء يأتي بعد شيء، ولو قلتك يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان. وقلت بالضحى ولو قلت: بالدجى لكان أكثر إطراقا، وقلت: أسياف، والأسياف: ما دون العشرة، ولو قلت: سيوفا لكان أكثر." (١)

"وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

وصخرا ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبة الآطال قرم يقودها

وقولها في أخويها:

من حس بالأخوين كال ... غصنين أو من رآهما

قرمين لا يتظالما ... ن ولا يرام حماهما

ويلي على الأخوين وال ... قبر الذي واراهما

رمحين خطيين في ... كبد السماء ثناهما

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١١٠

ما خلفا إذ ودعا ... في سودد ثرواهما

سارا بغر تكلف ... عفوا بفيض نداهما

وقولها **ترثي** أخاها معاوية:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية ... إذا طرقت إحدى الليالي بداهيه

بداهية يصغي الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجي علانيه

ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا ... إذا ما علته جهرة وعلانيه

وكان لزاز الحرب عند شبوبها ... إذا شمرت عن ساقها وهي ذاكيه

بلينا وما تبلى نضار وما ترى ... على حدث الأيام إلا كما هيه

فأقسمت لا ينفك دمعي وعولتي ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقولها أيضا فيه وكان مقتله في بني مرة:

ألا ما لعينك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها

أبعد ابن عمرو من آل الشري ... د حلت به الأرض أثقالها

وأقسمت آسي على هالك ... وأسأل نائحة ما لها

سأحمل نفسي على آلة ... فإما عليها وإما لها

نهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقى لها

ورجراجة فوقها بيضها ... عليها المضاعف أقتالها

ككر فئة الغيث ذات الصبي ... ر ترمي السحاب ويرمي لها

وقافية مثل حد السنا ... ن تبقى ويهلك من قالها

نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها

فإن تك مرة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها

تزول الكواكب من فقده ... وجللت الشمس إجلالها

وأما مراثيها في أخيها صخر فكثيرة جدا كما قلنا وأشهر ما قالت فيه قولها عندما مات:

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل ... دراك ضيم وطلاب بأوتار

قد كنت تحمل قلبا غيره مؤتشب ... مركب في نصاب غير خوار

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة ... وما أضاءت نجوم الليل للساري." (١)

"الأوقات الحرجة تمثل أبهج صورة من حسن معاملته إياها تؤكد سمو أخلاق "جوزفين" وآدابها وإلا لم يكن رجل نظير "نابوليون" يحسب الكتابة إليها يوميا فرضا واجبا عليه، وخصوصا في أحرج أوقاته، وقضيت "جوزفين" أكثر مدة غياب "نابوليون" في إصلاح الأشياء التي كانت تظن أن "نابوليون" يسر بإصلاحها، ولما رجع من الحرب صارا يقضيان جانبا من الوقت في "ملمازون" أكثر مما كانا يقضيان فيه قبلا وفتحا الأندية للزوار كما في "التوبلمري"، وكان لهذه الأوقات التي تقضي فيه شهرة عظيمة، وكانت من أبهج أوقاتهما وقد كانا يقضيان جانبا منها في بعض الملاهي والألعاب اللطيفة ويشاركهما في ذلك ولدا "جوزفين" وبعض الأصدقاء الخصوصيين من ملوك وملكات وأمراء وأشراف وغيرهم من القواد المشهورين والضباط المميزين. ولكن "جوزفين" لم تغفل في وسط هذه الأفراح واللذات عن مساعدة الذين كانوا يحتاجون على مساعدتها بل كانت تساعد كل من كان في طاقتها مساعدته، وخصصت جانبا معينا من دخلها لمساعدة المهاجرين وكانت أحيانا تتهم بالإسراف، وبعد تبؤ "نابوليون" القنصلية بقليل أمر برجوع المهاجرين إلى أوطانهم وبذل غاية جهده في إرجاع أملاكهم المحجوزة ولا شك أنه وجد صعوبات كثيرة من جهات بعض الأرامل والأيتام الذين كان لهم ما يكفيهم من المال وأصبحوا فقراء مساكين ليس لهم شيء فكانوا يأتون إلى "جوزفين" ويقصون عليها قصصهم المحزنة فتسعى إليهم **وترثي** لأحوالهم، وتمدهم بالمساعدة التي تمكنها، وكانت دائما تفي بوعدها معهم شأن الكريم.

وكان عمر "هورتنس" وقتئذ نحو ثمان عشرة سنة وعمر "لويس" أحد إخوة "نابوليون" أربعا وعشرين سنة فاتفق "نابوليون" و"جوزفين" على أن يزوجا "هورتنس" ب"لويس". وكان "لويس" شابا عالما كثير التأمل، قليل الكلام مثل أخيه "نابوليون"، وكان في كل شيء أشبه سائر إخوته به، ولما كان "نابوليون" في إيطاليا يحارب النمساويين تعرف "لويس" بفتاة من سلالة أحد الملوك القدماء فأحبها وتعلق قلبه بها، ولكن لما رجع "نابوليون" وعلم بذلك لم يسر به لأنه خاف أن اقترانهما ربما يضر به فأبعد "لويس" مع العساكر عن باريس ولم يسمح برجوعه حتى تزوجت الفتاة.

فلما رجع "لويس" وعلم أنها تزوجت تكدر كدرا عظيما ومن ثم تكدر صفو أوقاته ولم تعد الحياة تطيب له. أما "نابوليون" فشعر بهذا الجرح البالغ في قلب أخيه وكان دائما يجتهد في مرضاته، وأراد أن ينسيه

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١١٢

تلك الفتاة، فعزم أن يزوجه ب "هورتنس" ولكن "لويس" لم يقبل ذلك -أولا- غير أنه قبل أخيرا، وكذا "هورتنس" لم ترغب من أول الأمر لأنها كانت تحب أحد القواد وكان من (أصدقائها) المقربين، وكان يتكل عليه أكثر من سائر القواد، ولكنها اغترت أخيرا بمواعيد رابها وقبلت أن يكون "لويس" بعلا لها، ولكنهما قضيا بعد اقترانهما حياة تعيسة إذ لم يكن أحدهما يحب الآخر وفي ساعة زفافهما لاحظ كل من الحاضرين أثر الغم على وجه من العروسين ولم تخف (بعدئذ) تعاستهما التي أدت إلى انفصال أحمدهما عن الآخر. أما "جوزفين" فرافقت "نابوليون" في سنة ١٨٠٢ م عند طوافه ببعض جهات المملكة ورافقته أيضا في ذهابه إلى "ليون" لأجل ملاقاة نواب إيطاليا، وكانت حيثما ذهبت تدهش الجميع أيضا في ذهابه إلى "ليون" لأجل ملاقاة نواب إيطاليا، وكانت حيثما ذهبت تدهش الجميع بمزاياها الطبيعية وتأثيرها في زوجها وفي كل من عرفها، ومن ثم رجعت هي و"نابوليون" على قصرهما المحبوب في "ملمازون" وقضيا هناك عدة أسابيع في أفراح وسور لا يوصف، ثم عاد إلى الجولان في أطراف المملكة الشمالية لاستطلاع أحوال تلك القطائع، وكان الشعب يستقبلهما بالفرح والترحاب في كل مكان، ويثنون على "نابوليون" مزيد الثناء لإخماد نيران الثورة، وإرجاع النظام إلى المملكة، وتوطيد السلام فيها. وكان حيثما توجه يشعر باستعداد." (١)

"وتقودهم بفصاحة خطابها وكانت تعول من يلتجئ إليها وتعامله معاملة القريب والصديق وتجاهد في إقامة الحقوق لهم، وإن لم تكن، وأما من لم يكن على غرضها فلم يجد راحة في معيشة، ولو كان صاحب حق وما ذلك غلا لنفوذ سطوتها عند الحكام.

وفي سنة ١٢٠٨ هـ جعلها الأمير بشير حاكمة على مقاطعة العرب فأدارت الحكم بفطنة لا مزيد عليها، ولما سجن الأمير بشير وأخوه الأمير حسن والشيخ بشير جنبلاط في سجن أحمد باشا الجزار بعكا أرسلت إلى الأمير بشير أموالا جزيلة، وقامت بأمر عياله، وأخذت تجتهد في استمالة الناس إليه. ولما ولى عبد الله باشا على الجبل الأمير حسن والأمير سليمان الشهابيين إذ تعهد له بزيادة المرتب من المال على الجبل سارت هي برفقة الأمير بشير والشيخ بشير إلى حوران، وكانت تخابرهما في شأن أحوال البلاد.

ويروى أنها حاربت العرب إذ تعدوا على دروز حوران واستظهرت عليهم، ثم رجع الأمير بشير إلى ولايته فعادت إلى منصبها، ثم وقع الاختلاف بينها وبين الأمير بشير سنة ١٢٣٧ هـ بعد اعتقال عبد الله باشا وتوسط الأمير بشير أمره في مصر وعوده ظافرا، وكانت متحدة مع الشيخ بشير في مقاومة الأمير بشير

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٤٧

فصادره الأمير بشير بعد رجوعه وأتعبه، فلما غلب الشيخ بشير سنة ١٢٤٠ هـ توجهت إلى بشامون فأتى الأمير بشير قاسم التهامي بامر الامير بشير عمر الحاكم ليصادرها في أموالها، وشدد عليها فما لبثت أن ماتت في تلك الأثناء. قيل: حتف أنفها. وقيل: بدسيسة من الأمير بشير وكان عمرها ٥٨ سنة. ودفنت ببشامون وخلفت أولادها الأربعة وهم: الأمير منصور، والأمير أحمد، والأمير حيدر، والأمير أمين. وكانت اعتنت بتربيتهم بعد موت زوجها اعتناءا حتى نبغوا بين الأمراء الشهابيين.

حبيبة بنت مالك بن بدر

كانت عقل ثاقب، وفكر صائب، ترجع إليها رؤساء قبيلتها بالرأي ويشاورونها في مهام الأمور وكانت بهية الطلعة، حسنة الهيئة، لها بعض أشعار رائقة، ومقالات فائقة. وكان أبوها مالك بن بدر قتل في حرب داحس والغبراء بسبب الرهان المشهور قتله جنيدب أحد بني رواحة فقالت **ترثيه**:

لله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم إن جرى فرسان

فليتهما لم يشربا قط قطرة ... وليتهما لم يرسلا لرهان

أحربه أمس الجنيدب ندرة ... فأي قتيل كان في غطفان

إذا سجعت بالرقمتين حمامة ... أو الرس فابكي أنت فارس كنعان

حبيبة بنت عبد العزى العوراء

كانت من كرماء النساء المشار إليهن في ذاك الزمان وشاعراتهم الموصوفات، ولقبت بالعوراء لكونها كانت ذات حول في عينها. ومن شعرها في ذلك قولها:

أإلى الفتى بر تلكأ ناقتي ... فكسا مناسمها النجيع الأسود

إني ورب الراقصات على منى ... بجنوب مكة هديهن مقلد

أولى على هلك الطعام ألية ... أبدا ولكني أبين وأنشد

وصى بها جدي وعلمني أبي ... نفض الوعاء وكل زاد ينفد

فاحفظ يمينك لا أبا لك واحترس ... لا تخرقنه فأره أو جد جد." (١)

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٦٣

"خرقاء بنت النعمان بن المنذر

كانت أحسن نساء زمانها جمالا، وأفصحهن مقالا، وأكملهن عقلا، وأعظمهن أدبا، وكانت معتنقة الديانة المسيحية ومتعبدة بها تعبدا زائدا وكانت إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى الخز والوشي، ثم تقبل في جواريها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى منزلها وبقيت على ذلك وهي في غاية العز والإجلال إلى أن هلك النعمان فكلمها الزمان، فأنزلها من الرفعة إلى الذلة، ولما نزل سعد بن أبي وقاص بالقادسية أميرا عليها وهزم الله الفرس، وقتل رستم أتت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهن في زيها عليهم المسموح والمقطعات السود مترهبات تطلب صلته، فلما وقفن بين يديه أنكرهن سعد فقال: أيكن خرقاء؟ قالت: ها أنا ذا· قال: أنت خرقاء؟ قالت: نعم، فما تكرارك في استفهامي، ثم قالت: إن الدنيا دار زوال ولا تدوم على أهلها انتقالا، وتعقبهم بعد حال حالا، كنا ملوك هذا المصر يجبي لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى الإمرة وزمان الدولة، فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فشق عصانا، وشتت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد أنه ليس يأتي قوما بمسرة إلا ويعقبهم بحسرة، ثم أنشأت تقول:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

فقال سعد: قاتل الله عدي بن زيد كأنه ينظر حيث يقول:

إن للدهر صولة فاحذرنها ... لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافى فيرزا ... ولقد كان آمنا مسرورا

فبينما هي واقفة بين يدي سعد إذ دخل عمرو بن معد يكرب وكان زوارا لأبيها في الجاهلية فلما نظر إليها قال: أنت خرقاء؟ قالت: نعم، قال: فما دهمك فأذهب بجودات شيمك أين تتابع نعمتك وسطوات نقمتك· فقالت: يا عمرو، إن للدهر عثرات وعبرات تعثر بالملوك وأبنائهم فتخفضهم بعد رفعة، وتفردهم بعد منعة، وتذلهم بعد عزان، هذا الأمر كنا ننتظره فلما حل بنا لم ننكره·

فأكرمها سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه قالت: حي أختك بتحيات ملوكنا لا نزع الله من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردها عليه، ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها: ما فعل بك الأمير؟ قالت: أكرم وجهي وإنما يكرم الكريم كريم·

حزانة ابن خالد بن جعفر بن قرط

كانت من الأدب على جانب عظيم ومن الفصاحة والبلاغة على جانب أعظم، والفروسية كانت عندها زائدة، حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع والمعارك وقد حضرت فتوح الحرة حينما استشهد من المسلمين خمسمائة وثلاثون فارسا فقالت **ترثيهم** في أبيات كما جاء في الحبرة للواقدي في " فتوج الشام":

أيا عين جودي بالدموع السواجم ... فقد شرعت فينا سيوف الأعاجم

فكم من حسام في الحروب وذابل ... وطرف كميت اللون صافي الدعائم

حزنا على سعد وعمرو ومالك ... وسعد مبيد الجيش مثل الغمائم

هم فتية غر الوجوه أعزة ... ليوث لدى الهيجاء شعث الجماجم." (١)

""دختنوس": ردني على أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فاستحمقها وساء كلامها وردها وسار إلى بني عامر وعبس وتحاربا وانكسر قومه وأبلى بلاء حسنا حتى اندك الجرف بفرسه فهجم عليه عنترة فطعنه وعند ذلك تذكر ابنته "دختنوس" فقال"

يا ليت شعري عنك دختنوس ... إذا أتاك الخبر المرسوس

أتحلق القرون أم تميس ... لإبل تميس إنها عروس

فلما بلغها موته قالت **ترثيه**:

ألا أيها الويلات ويلة من بكى ... لضرب بني عبس لقيطا وقد مضى

لقد ضربوا وجها عليه مهابة ... ولا تحفل الصم الجنادل من توى

فلو أنكم كنتم غداة لقيتم ... لقطا ضربتم بالأسنة ولاقنا

عذرتم ولكن كنتم مثل ظبية ... أضاءت لها القناص من جانب الثرا

فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... شريح أرادته الأسنة والقنا

فإن تعقب الأيام من فارس تكن ... عليكم حريقا لا يرام إذا سما

ليجزيكم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماء الخمس يا مال من بوا

وق ا لت **ترثيه** أيضا:

عثر الأغر بخير خن ... دف كهلها وشبابها

وأضرها لعدوها ... وأفكها لرقابها

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٨٣

وقريعها ونجيبها ... في المطبقات ونابها

ورئيسها عند الملو ... ك وزين يوم خطابها

وأتمها نسبا إذا ... رجعت إلى أنسابها

يرعى عمودا للعش ... يرة رافعا لنصابها

ويعولها ويحوطها ... ويذب عن أحسابها

ويطأ مواطن للع ... دو وكان لا يمشي بها

فعل المدل من الأسو ... د لحينها وتبابها

كالكوب الدري في ... لا يخفى بها

عبث الأغر به وكل ... منية لكتابها

فرت بنو أسد فرا ... ر الطير عن أربابها

وهوازن أصحابهم ... كالفأر في أذنابهم

ولها مراث كثيرة لم نعثر إلى على هذه منها.

دلوكة بنت زباء ملكة من ملوك القبط الأولين بمصر

كانت أول امرأة ملكت بعد هلاك فرعون وجنوده في البحر وكان ملكها عشرين سنة وعملت أعمالا عظيمة أشهرها الجدار المعروف بحائط العجوز. قالوا عنه: إنه أحد العجائب العشرين التي بمصر يحيط بمصر شرقا وغربا من العريش إلى أسوان ويقال له: جدار العجوز أيضا.

وسبب بناء هذا الحائط على ما قيل: إن مصر لما خلت من الأشراف والأبطال بعد غرق فرعون وجنوده بالبحر الأحمر اجتمعت النساء، وملكن." (١)

"إني أقول الحق فاستيقني ... كل امرئ في حبه يلعب

وقال فيها أيضا:

جزى الله خيرا من كلفت بحبه ... وليس به إلا المموه من حبي

وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب

وقالوا لها هذا محبك معرضا ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٩١

فما هو إلا نظرة بتبسم ... فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

وقال فيها أيضا. ولكن فلنذكر السبب وهو أن إبراهيم الموصلي لعب الشطرنج يوما مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما إسحاق فقال أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة، رجل سألني ما أفخم كلمة في الفم فقلت: لا إله إلا الله. فقال أبوه: إبراهيم أخطأت، هلا قلت دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال: يا زنديق، أتكفر بحضرتي فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى وحدثه الخبر وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذا فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الصدق في سري وإعلاني

ذبية بنت ثبية الفهمية

كانت من أحسن بني فهم حسبا وأعرقهن نسبا، وأكثرهن أدبا، وأبهاهن جمالا، وألطفن كمالا، لها شعار لطيفة ورثاء مقبول منها: قولها ترثي قومها كانوا قتلوا بصورة وهو مكان بأراضي مكة:

ألا إن يوم الشر يوم بصورة ... ويوم فناء الدمع لو كان فانيا

لعمري لقد أبكت فريم وأوجعوا ... بجرعة بطن القيل من كان باكيا

قتلتم نجوما لا يحول ضيفهم ... ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا

عماد سمائي أصبحت قد تهدمت ... فخري سمائي لا أري لك بانيا

ذؤابة امرأة رباح القيسي

كانت –رضي الله عنها– تقوم الليل كله وكانت إذا مضى الربع الأول تقول له: قم يا رباح للصلاة، فلا يقوم، فتقوم ثم تأتيه وتقول له: قم يا رباح، فلم يقم، فتقوم الربع الآخر، ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح فلا يقوم، فتقوم الربع الآخر، إلى تمام الليل ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت شعري من غرني بك يا رباح ما أنت إلا جبار عنيد.

وكانت تأخذ تبنة من الأرض وتقول: والله للدنيا أهون علي من هذه وكانت إذ صلت العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها: ألك حاجة فإن قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت إلى الفجر –رضي الله عنها.

حرف الراء

راحاب الإسرائيلية

امرأة مشهورة من "أريحاء" قبلت في بيتها الجاسوسين اللذين أرسلهما "يشوع" ليجسا الأرض وأخبأتهما عن." (١)

"وقفت فأبكتني ديار أحبتي ... على رزئهن الباكيات الحواسر

غدوا بسيوف الهند وراد حومة ... من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا ... بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو أن سلمى نالها مثل رزئنا ... لهدت ولكن يحمل الرزء عامر

ريطة بنت العجلات بن عامر بن برد منبه

هي أخت عمرو بن العجلان بن عامر الهذلي قتله بنو فهم في بعض غزواته فقالت أخته **ترثيه**:

كل امرئ لمحال الدهر مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وكل حي وإن عزوا وإن سلموا ... يوما طريقهم في الشر عبوب

أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها ... عني رسولا وبعض الظن تكذيب

بأن ذا الكلب عمرا خيرهم نسبا ... ببطن شريان يعوي حوله الذيب

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... معجز من نجيع الجوف أسلوب

التارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من نجيع الجوف مخضوب

تمشي النسور إليه وهي لاهية ... مشي العذارى عليهن الجلابيب

والمخرج العاتك لعذراء مذعنة ... في السبي ينفح من أردانها الطيب

وكانت ريطة هذه من نساء العرب الموصوفات بالأدب والفصاحة والحماسة، لم يكن في زمانها أحسن منها سيرة وأعذب منطقا، وألطف شارة. لها جملة مراث غير هذه ولم تمكث زمنا أخيها وذلك لحزنها عليه.

حرف الزاي

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٩٦

زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي

هي امرأة هارون الرشيد وأم ولده محمد الأمين. كانت ذات معروف وخير وفضل ونفقة واسعة على البر وأصحاب الحاجات وقصة حجها وما فعلته في طريقها من الإحسان مشهورة في كتب التواريخ شهرة عظيمة فوق ما كان لها من شهرة الشرف والثروة الواسعة فإنها جمعت شرف الخلافة من أطرافها فأبوها ابن خليفة، وعمها المهدي خليفة، وزوجها أشهر الخلفاء وابنها خليفة أيضا، ولذلك قد كثرت عنها الحكايات والأخبار في كتب العرب. قال ابن الجوزي: إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الرواية عندهم بدينار، وإنها أسالت المياه عشرة أميال بحط الجبال ونحت الصخور حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، وعملت عقبة البستان فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة. فقالت: اعملها ولو كلفت مشربة الناس دينارا، وكان لها مائة جارية تحفظن القر ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن. وقيل: كان اسمها أمة العزيز فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها.

قال ابن الأثير: وكان مولد زبيدة بقصر حرب وهو قصر بناه حرب بن عبد الله من أكابر قواد المنصور حينما وجهه المنصور مع ولده جعفر أبي زبيدة ليكون نائبا عن مالك بن الهيثم في ولاية الموصل وهذا القصر بأسفل الموصل وتزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هجرية، كان يحبها كثيرا ويكرمها غاية الإكرام، وكانت شديدة البر به والاحتفاظ على رضاه، ولم يكن يمنع عنها شيئا من كل ما تطلبه من نفقة." (١)

"وما يتعلق بها وبغيرها مما يسرها وينفعها غير أنها بعد تلك الكرامة والعزة والأبهة أصبحت بعد موت الرشيد في حالة سيئة من الكآبة والذل وخفض الجناح، وذلك لما وقع بين الأمين والمأمون من الفتن ولاسيما بعدما قتل ولدها الأمين في تلك الأثناء، وقد كتبت للمأمون بأبيات ترثي بها سوء حالها بعد فقد ولدها وهي:

لخير إمام قام من خير عنصر ... وأفضل سام فوق أعواد منبر

لوارث علم الأولين وفهمهم ... وللملك المأمون من أم جعفر

كتبت وعيني مستهل دموعها ... إليك ابن عمي من جفون ومحجر

وقد مسني ضير وذل كآبة ... وأرق عيني يا ابن عمي تفكري

وهمت لما لاقيت قد مصابه ... فأمري عظيم منكر عند منكر

سأشكو الذي لاقيته بعد فقده ... إليك شكاة المتضير المقهر

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢١٥

وأرجو لما قد مر بي فقده ... فأنت لبيتي خير رب معمر

أتى طاهر لا طهر الله طاهرا ... فما طاهر فيما أتى بمطهر

وذلك لأن طاهر بن الحسين هو الذي قام بحرب الأمين وكان السبب في قتله:

فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا ... وأنهب أموالي وأخرب أدوري

يعز على هارون ما قد لقيته ... وما مر بي من ناقص الخلق أعور

فإن كان ما أبدى بأمر أمرته ... صبرت لأمر من قدير مقدر

تذكر أمير المؤمنين قرابتي ... فديتك من ذي حرمة متذكر

وقالت زبيدة أم جعفر ترثي ولها الأمين:

أودي بألفين من لم يترك الناسا ... فامنح فؤادك عن مقتولك الياسا

لما رأيت المنايا قد قصدن له ... أصبن منه سواد القلب والراسا

فبت متكئا أرعى النجوم له ... أخال سنته بالليل قرطاسا

والموت كان به والهم قارنه ... حتى سقاه التي أودى بها الكاسا

رزئته حين باهيت الرجال به ... وقد بنيت به للدهر أساسا

فليس من مات مردودا لنا أبدا ... حتى يرد علينا قبله ناسا

فلما قرأها المأمون بكى وقال: أنا الطالب بثأر أخي قتل الله قتلته، ثم إن المأمون عطف على زبيدة فجعل لها مكانا في قصر الخلافة وأقام لها ا لوظائف والخدم والجواري، وكانت حاضرة عند دخوله الغرفة التي زفت إليه بها بوران بنت الحسن، وطلبت لها بوران منه الإذن بالحج فأجابها إلى طلبها، وألبست بوران بيدها قسما من ملابسها· وأما حجتها المشهورة فقيل: أنفقت فيها في بناء المساجد والصدقات ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وأجرت الماء من دجلة إلى عرفات، ثم إلى مكة حتى سقت أهلها -كما مر- وهذه مبالغة عظيمة فالماء الذي أجرته إلى مكة ليس من دجلة قيل: وأجرت نبع العرعار من جبل لبنان إلى بيروت حتى وصل إلى وادي المكلس فبنوا له طبقات فناطر حتى جرى الماء فوقها إلى جانبه الآخر وتطرق إلى بيروت لأنها كانت قد مرت من هناك في حجتها -المذكورة- فوجدت الماء قليلا وإلى الآن يقال لهذه القناطر: قناطر زبيدة." (١)

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢١٦

"عليه وسلم مصافيا، وكان قد أبى أن يطلق زينب لما أمره المشركون أن يطلقها فشكر له صنيعه· ولما أطلقه النبي صلى الله عليه وسلم من الأسر شرط عليه أن يرسل زينب إلى المدينة فعاد إلى مكة وأرسلها إلى المدينة فلهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حدثني فصدقني ووعدني فوفى"· ولم تزل زينب بالمدينة وأبو العاص بمكة على شركه، فلما كان قبيل الفتح خرج بتجارة إلى الشام ومعه أموال من أموال قريش ومعه جماعة منهم· فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة، فأخذ المسلمون ما في تلك العير من الأموال، وأسروا أناسا وهرب أبو العاص بن الربيع، ثم أتى المدينة ليلا فدخل على زينب فاستجار بها فأجارته· فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح صاحت زينب: يا أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس وقال: "هل سمعتم ما سمعت؟ " قالوا: "نعم· قال: "والذي نفسي بيده ما علمت بذلك حتى سمعتم"· وقال: "يجير على المسلمين أدناهم" ثم دخل على ابنته فقال: "أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له" قالت: إنه جاء في طلب ماله· فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السرية· وقال: "إن هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو مما أفاء الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإن أبيتم فأنتم أحق"· فقالوا: بل نرده عليه، فردوا عليه ماله أجمع فعاد إلى مكة وأدى إلى الناس أموالهم، ثم أسلم وحسن إسلامه· ثم قدم إلى المدينة ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ولم تزل معه حتى توفيت سنة ثمان من الهجرة·

زينب ابنة جزيمة

زينب ابنة جزيمة بن حارثة بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقال لها: أم المساكين لكثرة إطعامہا وصدقتها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: كانت عند الطفيل بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ثم خلف عليها أخوه عبيد بن الحارث كانت أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأمها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حفصة، ولم تلبث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا – شهرين أو ثلاثة – حتى توفيت وكانت وفاتها في حياته صلى الله عليه وسلم لا خلاف فيه·

وقال ابن منده: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا" فكان نساء النبي يتذارعن أيتهن أطول يدا، فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يدا في الخير، وهذا وهم فإنه صلى

الله عليه وسلم قال: "أسرعكن لحوقا" وهذه سبقته إنما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته، وقد تقدم في زينب بنت حجش وهو لها أشبه لأنها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها، وهي أول نسائه، توفيت بعده والله أعلم.

زينب بنت العوام أخت الزبير

وهي أم عبد الله بن حكيم بن حزام أسلمت وبقيت إلى أن قتل ابنها يوم الجمل فقالت **ترثيه وترثي** الزبير أخاها: أعيني جودا بالدموع بأشرعا=على رجل طلق اليدين كريم زبير وعبد الله يدعي لحادث=وذي خلة منا وحمل يتيم قتلتم حواري النبي وصهره=وصاحبه فاستبشروا بجحيم وقد هدني قتل ابن عفان قبله=وجادت عليه عبرتي بسجوم." (١)

"فلما رأين الرأس صحن فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا يزيد؟ فقال: يا ابنة أخي أنا لهذا كنت كارها. قالت: والله ما ترك لنا خرص. فقال: ما أتي إليكن أعظم مما أخذ منكن. فقام رجل من أهل الشام فقال: هب لي هذه -يعني فاطمة بنت الحسين- فأخذت فاطمة ثياب زينب وصرخت فقالت زينب: "كذبت ولؤمت ما ذلك لك ولا له" فغضب يزيد وقال: والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلته قالت: "كلا والله ما جعل الله لم إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا". فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينب: "بدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك". قال: كذبت يا عدوة الله قاتل: "أنت أمير تشتم ظلما وتقهر بسلطانك". فاستحى وسكت.

وعلى اختلاف الروايات أن للسيدة زينب -رضي الله عنها- مقامين أحدهما: بدمشق وهو مقصود من كل الجهات خصوصا من أهل الشيعة. والثاني: بمصر وهو أشهر من الأول. ولها أوقاف وإيراد عموم الأوقاف المصرية، ولها مسجد في مصر لم يوجد مثله قد ذكر أوصافه الأمير علي باشا مبارك في خططه المسماة بالخطط التوقيفية. ولكون أوصافه جاءت مسهبة اقتصرنا عنها منوهين على محل وجودها.

زينب ابنة الطثرية

هي زينب بنت سلمة بن مرة من بين عامر بن صعصعة. والطثرية أمها قتل أخوها يزيد بن الطثرية الشاعر

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٣٢

المشهور في خلافة بني العباس سنة ١٢٦ هجرية الموافقة لسنة ٧٤٤ ميلادية قتله بنو حنيفة فقالت أخته ترثيه:

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وأباجله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ولكنه يوهي القميص مواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

إذا نزل الأضياف كان عزورا ... على الحي حتى تستقل مراجله

مضى وورثنا منه درعا مفاضه ... وأبيض هنديا طويلا حمائله

وقد كان يرمى المشرفي بكفه ... ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

كريم إذا لاقيته مبتسما ... وإما تولى أشعث الرأس جافله

إذا القوم أموا بيته فهو عامد ... لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله

ترى جاذرية يرعدان وناره ... عليها عدا ميل الهشيم وحامله

يجران ثنيا خيرها عظم جاره ... بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

وكانت زينب ذات جمال وأدب وكمال، شاعرة مشهورة مطبوعة على الشعر والفضل والأدب، متجملة بالفصاحة التي هي حلية العرب، ولها مراث كثيرة في أخيها لم نعثر عليها الآن.

زينب ابنة أبي القاسم الشهيرة بأم المؤيد عبد الرحمن." (١)

"ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت إلى إبراهيم ومعها هاجر وهي تحمد الله تعالى على عصمتها من فرعون.

وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت، فوهبت هاجر إلى إبراهيم بقولها: إني أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى يرزقك منها بولد، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل -عليه السلام- وكانت سارة بنت تسعين سنة وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة وبشر إبراهيم بأنه سيرزقه الله بولد من سارة وقد كان وحملت سارة بإسحاق.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٣٥

وقيل: كان حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معا وشب الغلامان، فبينما هما يتناضلان ذات يوم وكان إبراهيم -عليه السلام- سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جانبه وسارة تنظر إليه فغضبت. وقالت: عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حجرك وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جانبك وقد كان أخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقتها، ثم ثاب إليها عقلها فبقيت في ذلك. فقال إبراهيم -عليه السلام-: اخفضيها واثقبي أذنها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء.

ثم إن إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام- اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت: لا تساكنني في بلد وأمرت إبراهيم -عليه السلام- أن يعزلها عنها فأوحى الله إليه أن يأتي بهما إلى مكة فذهب بهما.

وتوفيت سارة ولها من العمر مائة واثنتان وعشرون سنة. وقيل: مائة وسبع وعشرين بالشام بقرية الجبابرة بأرض كنعان في جيرون في مزرعة اشتراها إبراهيم -عليه السلام- ودفنت بها.

سارة القرظية الإسرائيلية

كانت من يهود يثرب من بني قريظة. قيل: إن أبا جبلة أحد ملوك اليمن قصد المدينة في الجاهلية وكان أهلها يهود وبلغه عن ملكهم أمور فاحشة فأوقع في اليهود بذي حرض وهو واد بالمدينة عند أحد فقالت سارة القرظية وهي منهم تذكر ذلك **وترثي** من قتل من ومها:

بأهلي رمة أم لم تغن شيئا ... بذي حرض تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتهم ... سيوف الخزرجية والرماح

ولو أذنوا بأمرهم لحالت ... هنالك دونهم حرب رداح

رزئنا والرزية ذات نغل ... يمر لأجلها الماء القراح

سبيعة ابنة عبد اشمس بن عبد مناف

هي زوجة مسعود بن مالك يتصل نسبه إلى ثقيف كان مكرمة عند زوجها وقومها مسموعة الكلمة لما لها من المكان والفضل، حتى إنه لما كان يوم الفجار الرابع في الجاهلية -وهو يوم عكاظ- ودارت الدائرة على بني قيس وانتصر زوجها وحرب بن أمية على أعدائهم فرآها تبكي حيت تداعى الناس فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: لما يصاب غدا قومي.

فقال لها – وكان مسعود قد ضرب على امرأته سبيعة خباء–: من دخل خباءك من قريش فهو آمن، فجعلت توصل به قطعا ليتسع فقال لها: لا تتجاوزي في خبائك فإني لا أمضي إلى من أحاط به الخباء، فأحفظها. فقالت: أما والله إني لأظن أنك تود أن لو زدت في توسعته فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية وقال لها: يا عمة، من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن. فنادت." (١)

"حرف الصاد

صفية ابنة عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف الهاشمية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أم الزبير بن العوام وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي شقيقة حمزة والعوام وحجل بني عبد المطلب لم يختلف في إسلامها من عمات النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت في الجاهلية قد تزوجها الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس أخو أبي سفيان بن حرب فمات عنها فتزوجها العوام بن خويلد، فولدت له الزبير وعبد الكعبة وعاشت كثيرا وتوفيت بالبقيع ولما قتل أخوها حمزة وجدت عليه وجدا شديدا وصبرت صبرا عظيما، وقيل: إنها أقبلت لتنظر إلى حمزة بأحد، وكان أخاها لأمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير: (القها فأرجعها لا ترى ما بأخيها) . فلقيها الزبير وقال: أي أمي، إن رسول الله يأمرك أن ترجعي. قالت: ولم، قد بلغني أنه مثل بأخي وذاك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إليه وأخبره بقول صفية فقال: (خل سبيلها) فأتته فنظرت واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن.

وقيل: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت مع النساء والصبيان حيث خندق رسول الله. وقالت صفية: فمر بنا رجل يهودي فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت) . قالت: (فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي يطوف بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود فانزل إليه فاقتله) . فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا) . قالت صفية: (فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت وأخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن فقلت:

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٣٨

يا حسان انزل فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. فقال: ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب) . وهي أول امرأة قتلت رجلا من المشركين.

وكانت شاعرة فصيحة متقدمة عند جميع العرب بالقول والفعل والشرف، والحسب والنسب وكانت حين مات أبوها عبد المطلب جمعت أخواتها ونساء بني هاشم وصرن يرثينه بقصائد كل منهن بقدر طاقتها فكان ما قالته صفية من شعر ترثيه قولها:

أرقت لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغل ... له الفضل المبين على العبيد

على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير وارث كل جود

صدوق في المواطن غير نكس ... ولا شحب المقام ولا سنيد

طويل الباع أروع شيظمي ... مطاع في عشيرته حميد

رفيع البيت أبلج ذي فضول ... وغيث الناس في الزمن الجرود

كريم الجد ليس بذي وضوم ... يروق على المسود والحسود." (١)

"عظيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثة أسود

فلو خلد امرؤ لقديم مجد ... ولكن لا سبيل إلى الخلود

لكان مخلدا أخرى الليالي ... لفضل المجد والحسب التليد

ومن قولها ترثي النبي صلى الله عليه وسلم:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكنت رحميا هاديا ومعلما ... لبيك عليك اليوم من كان باكيا

فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

ومن قولها أيضا في الحماس:

ألا من مبلغ عني قريشا ... ففيم الأمر فينا والأمار

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٦١

لنا السلف المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الأخيار فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار

صفية ابنة الخرع

كانت من النساء المتحمسات اللائي إذا قلن تقوم العرب لمقالهن. ولها أشعار منها: ما قالته رثاء في النعمان بن جساس بن مرة وكان سيد قومه فقتل يوم الكلاب وقتلوا به عبد يغوث وهو: نطاقه هند وغني وجبته=فضفاضة كامنات النهى موضونة

لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت ... وما قتلنا به إلا امرأ دونه

صفية ابنة مسافر

أبوها مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت أديبة فاضلة، ذات جمال وكمال وفصاحة، عربية ما لها مثال، ولها حسب ينتهي إلى عبد مناف. وشعر رائق مبني على أساليب البلاغة. قد حضرت يوم بدر ورثت أهل القليب الذين أصيبوا به من قريش بقولها:

يا من لعين قذاها عائر الرمد ... حد النهار وقرن الشمس لم يعد

أخبرت أن سراة الأكرمين معا ... قد أحرزتهم مناياهم إلى أمد

وقر بالقوم أصحاب الركاب ولم ... تعطف غداة إذن أم على ولد

قومي صفي ولا تنسي قرابتهم ... وإن بكيت فما تبكين من بعد

كانوا سقوف سماء البيت فانقصفت ... فأصبح السمك منها غير ذي عمد

وقالت أيضا:

ألا يا من لعينايا ... لتبكي دمعها قاني

كغربي دالج يسقي ... خلال الغيث للداني." (١)

"وقالت مخمسة للبيتين المذكورين:

إليك معنقي يكفيك إفتا ... جهلت صبابتي أم هل عرفتا

فلا أقوى عليك وأنت أنتا ... وليلى ما كفاها الهجر حتى

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٦٢

أباحت في الهوى عرضي ودين

بروض جمالها أمت وقالت ... وإن عثر المتيم ما أقالت

وكم صدت في هجري أطالت ... فقلت لها ارحمي الأمي قالت

وهل في الحب يا أمي ارحميني

وقالت تهنئ الخديوي السابق:

كللت تاج البدر قربا بالشرف ... مذ حل في مصر ركابك وانعطف

طربت بمقدمك السني وعطفه ... مصر السعيدة والسرور بها هتف

لما عزمت عزمت يصحبك الثنا ... والعود جدد بالهنا ما قد سلف

وتزينت بكر الحبور وأصبحت ... مجلوة بين الرفاهة والترف

وتجملت مصر بما جاء الهنا ... ورخيم مطربها على عود عكف

وبك الأماني قد تبسم ثغرها ... والصفو مال بقده حسن الهيف

وتراقصت مهج النفوس لبشرها ... كبلابل غردن في روض أنف

أضحى يقول بسعد بابك نيلها ... أقل سرت الدنيا ومن فيها شغف

رقمت ۶مال بها قدومك عصمة ... بمداد تحرير سناه شفي وشف

وبمعجم في معرب قد أرخت ... كللمت تاج البدر قربا بالشرف

وقالت **ترثي** ابنتها:

إن سال من غرب العيون بحور ... فالدر باغ والزمان غدور

فلكل عين حق مدرار الدما ... ولكل قلب لوعة وبثور

ستر السنا وتحجبت شمس الضحى ... وتنقبت بعد الشريف بدور

ومضى الذي أهوى وجرعني الأسى ... وغدت بقلبي جذوة وسعير

يا ليته لما نوى عهد النوى ... وافى العيون من الظلام نذير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي ... نار لها بين بين الضلوع زفير

لوثب حزني في الورى لم يلتفت ... لمصاب قيس والمصاب كثير

طافت بشهر الصوم كاسات الردى ... سحرا وأكواب الدموع تدور

فتناولت منها ابنتي فتغيرت ... جنات خد شانها التغيير

فذوت أزاهير الحياة بروضها ... والقد منها مائس ونضير

لبست ثياب السقم في حفر وقد ... ذاقت شراب الموت وهو مرير

جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا ... إن الطبيب بطبعه مغرور." (١)

"المسجد فرأيته والله إني لأمشي نحوه العرضنة ليعود لبعض ما كان فأوقع به.

وكان رجلا خفيفا حديد الوجه، حديد اللسان، حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال: قلت في نفسي: ما له لعنه الله أكل هذا فرقا أن أشاتمه، فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي: يا معشر قريش، اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه ل أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

قال: فتجهز الناس سرعا وقالوا: لا يظن محمد وأصحابه أن يكون كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأرغب قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكان ذلك في وقعة بدر وخبرها مشهور ومن شعرها قولها **ترثي** أباها مع إخوتها في حال حياته حين طلب منها ذلك.

أعيني جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام

أعيني واستعبروا واسكبا ... وشوبا بكاء كما بالمدام

أعيني واستخركا واسجما ... على رجل غير نكس كهام

على الجحفل في النائبات ... كريم المساعي وفي الذمام

على شيبة الحمد وأرى الزناد ... وذي مصدق بعد ثبت المقام

وسيف لدى الحرب صمصامة ... ومردي المخاصم عند الخصام

وسهل الخليقة طلق اليدين ... وف عد ملي صميم اللهام

تبنك في باذخ بيته ... رفيع الذؤابة صعب المرام

وقولها في الحماسة:

سائل بنا في قومنا ... وليكف من شر سماعه

قيسا وما جمعوا لنا ... في مجمع باق شناعه

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣١٣

فيه السنور والقنا ... والكبش ملتمع قناعه

بعكاظ يعشى الناظ ... رين إذا هم لمحوا شعاعه

فيه قتلنا مالكا ... قصرا وأسلمه رعاعه

ومجد لأعادرنه ... بالقاع تنهسه رباعه

ولها أشعار كثيرة غير هذه لم نقف عليها لعدم ورودها في كتب التاريخ.

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

كانت من الفصاحة على جانب عظيم، وقد أعطيت شطر الحسن فعشقها عبد الله بن أبي بكر الصديق وكلف بها حتى كاد أن يطير عقله، فلما تزوج بها أقام سنة لم يشتغل بسواها، فلما كان يوم الجمعة وهو معها إذ فاتته الصلاة وهو لا يدري وجاء أبوه فوجده عندها فقال له: أجمعت؟ فقال: وهل صلى الناس؟ فقال: قد ألهتك عن الصلاة طلقها فطلقها، واعتزلت ناحية فلما كان الليل قلق قلقا شديدا فأنشد:." (١)

"أعاتك لا أنساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوق

لها منطق جزل ورأى ومنصب ... وخلق سوي في حياء ومصدق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء يطلق

وكان أبو بكر على سطح يصلي فسمعه فرق له فقال له: راجعها، ثم ضمها إليه وأعطاها حديقة على أن لا تتزوج بعده وأنشد:

أعاتك قد طلقت من غير ريبة ... ورورجعت للأمر الذي هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح ... على الناس فيه ألفة وتباين

ومازال قلبي للتفرق طائرا ... وقلبي لما قد قدر الله ساكن

ليهنك أني لا أرى فيك سخطة ... وأنك قد تمت عليك المحاسن

فإنك ممن زين الله وجهه ... وليس لوجه زائنه الله شائن

فلما قتل بالطائف رثته فقالت:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصرا

ف لله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٢٠

إذا شرعت فيه أوسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الموت أحمرا

فآليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة ... وما طرد الليل الصباح المنورا

وتزوجها عمر بعد أن استفتى عليا في ذلك فأفتى بنها ترد الحديقة إلى أهله وتتزوج ففعلت فذكرها علي بقولها: فآليت لا تنك البيت، ثم قال: (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (الصف: ٣) ثم تزوجها بعده الزبير وبعده الحسين بن علي - عليه السلام - حتى قال عمر: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة، وخطبها علي فقالت: إن لأضن بك عن القتل، وخطبها مروان بعد الحسين فقالت: ما كنت متخذة حما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت عاتكة ترثي عمر بن الخطاب:

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الإمام النحيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتلبيب

عصمة الناس والمعني على الده ... ر غياث المنتاب والحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

ولها فيه أيضا:

وفجعتني فيروز لا در دره ... بأبيض تال للكتاب نجيب

رؤئف على الداني غليظ على العدا ... أخي ثقة في النائبات منيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله ... يريع إلى الخيرات غير قطوب

وقالت ترثيه أيضا:

من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طول السهد

جسد لفف في أكفانه ... رحمة الله على ذاك الجسد." (١)

"فيه تفجيع لمولى غارم ... لم يدعه الله يمشي بسبد

فيه تفجيع لمولى غارم ... لم يدعه الله يمشي بسبد

وقالت ترثي الزبير، وتخاطب عمرو بن جرموز الذي قتله غدرا عند رجوعه من حرب الجمل:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٢١

شلت يمينك إن قتلت مسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

عن الزبير لذو بلاء صادق ... سمح سجيته كريم المشهد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع القردد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

وقالت ترثي الحسين عليه السلام:

وحسينا ولا نسيت حسينا ... أقصدته أسنة العداء

غادروه بكربلاء صريعا ... جادت المزن في ذرى كربلاء

عاتكة ابنة معاوية بن أبي سفيان الأموي

كانت في الحسن أعجوبة زمانها، وفي الأدب نادرة أقرانها، تعلمت الغناء وضروبه ولها في بعض ألحان وكان يختلف إليها بعض مغنيات مكة والمدينة فتحسن صلتهن وتجيزهن وتطلب منهن أن لا يقطعن عنها. وفي بعض السنين لم يأتها أحد من مكة والمدينة فاستأذنت من أبيها أن يسمح لها بالحج، فسمح لها، فتجهزت بجهاز عظيم لم ير مثله، وسارت على البر تحملها وركبها المطايا، فلما وصلت لمكة نزلت بذي طوى، فمر بها وهب الجمحي - المعروف بأبي دهبل - وكان شاعرا جليلا، غيسانيا جميلا. فجعل النظر وجمرات الوجد تتأجج بفؤاده قاذفة بالشرر، وكان الوقت هجيرا والجواري رافعات عنها الأستار، ففطنت له، فذعرته وشتمته كثيرا، ثم أمرت بالسجوف فحجب بظلامها شمس النهار فقال:

إني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب

يا حسنة إذ سبني مدبرا ... مستترا عني بجلباب

سبحان من أوقفها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب

يذود عنها أن تطلبها ... أب لها ليس بوهاب

أحلها قصرا منيع الذرى ... يحمى بأبواب وحجاب

فشاعت أبياته في مكة واشتهرت وغنى بها حتى سمعتها عاتكة إنشادا وغناء فطربت لها وسرت وبعثت إليه تهديه فتراسلا وتحابا، ولما صدرت عن مكة خرج في ركبها إلى الشام، فكانت تتعاهده باللطف والإحسان حتى إذا وردت دمشق ورد معها فانقطعت عن لقائه فمرض حتى عز شفاء دائه فقال:

طال ليلي وبت كالمجنون ... ومللت الثواء في جيرون

وأطلت المقام بالشام حتى ... ظن أهلي مرجحات الظنون

فبكت خشية التفرق جمل ... كبكاء القرين إثر القرين." (١)

"وقالت عمرة أيضا ترثي أباها مرداسا وكان يقال له: الفيض من سخائه كأنه فيض البحر:

لقد أرانا وفينا سامر لجب ... مصارخ فيهم عز ومرتغب

لا يرقع الناس فتقاظل يفتقه ... ويرقع الخرق قد أعيا فيرتئب

والفيض فينا شهاب يستضاء به ... إنا كذلك فينا توجد الشهب

إذ نحن بالإثم نرعاه ونسكنه ... جول فوارسها كالبحر تضطرب

كأن الذلول وفيها كل معترض ... يفنى ضغينته التعداء والخبب

وقالت عمرة ترثي أخاها يزيد – وهذا الشعر فيا لحماس –:

أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبي الدهر والأيام أن أتصبرا

وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخي مهابة ... وليس جليس عن أخي بأزورا

وقالت في أخيها عباس – وقد مات في الشام سنة ١٦ للهجرة و٦٣٨ للميلاد:

لتبك ابن مرداس على ما عراهم ... عشيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم ... فكان إليها فضلها وحلالها

ومعضلة لل حاملين كفيتها ... إذا أنهكت هوج الرياح طلالها

وقالت من جملة قصيد في يزيد:

تحمى لها ذات أجياد غضنفرة ... فمجلس الإثم فالصرداء أحياء

فيهن قب كحبات الأباء به ... يحذين تبنا ولا يحذين قردانا

وتوفيت عمرة بنت الخنساء نحو سنة ٤٨ هجرية.

عمرة الخثعمية

هي من نساء بني خثعم الشاعرات الأديبات المتحمسات وشعرها مقبول ولها رثاء في أخوين لها قتلا فيبعض الغزوات:

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٢٢

لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع أن قلت وا باباهما

هما أخوا في الحرب من لا أخا له ... إذا خاف يوما نبوة فدعاهما

هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

عمرة ابنة النعمان بن بشير

كانت حسنة الإشارة جميلة المنظر لطيفة المخبر عفيفة دينة متمسكة بالصدق والصداقة عرفت بين أخواتها بالأمانة وحفظ العهد وعندما شبت تزوجت بالمختار بن أبي عبيد الثقفي ومكثت معه لحين قتله فقتلت معه وكان لها علم بمعاني الشعر والأدب ولها فيه بعض مقاطيع ومن ذلك ما قالته تخاطب به أخاها أبان بن النعمان وتلومه فيها على زواج أختها حميدة بروح بن زنباع وكان من بني جذام:

أطال الله شأنك من غلام ... متى كانت مناكحنا جذام." (١)

"في الجمان: روي أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لها: امضي إلى السوق بها وقولي من يقبل صدقة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قبلها فأتني به فمضت الجارية إلى السوق وقالت: من يقبل صدقة بنت رسولا لله صلى الله عليه وسلم؟ فقال رجل مغربي: أنا موضع صدقة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطته الصدقة وقالت له: أجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها نعم.

فلما بلغ الباب سألته: من أنت؟ فقال لها: أنا رجل مغربي. فقالت له: من أي المغرب؟ فقال: من البربر، فبكت فاطمة وقالت: قال لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما إلى المغرب فلا يأويهما إلا البربر فيا شؤم من فعل بهم ذلك وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم) .

وعن علي عليه السلام قال: إن فاطمة بنت رسول الله صارت إلى قبر أبيها بعد موته ووقفت عليه وبكت، ثم أخذت من تراب القبر فجعلتها على عينها ووجهها، ثم أنشأت تقول:

ما على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت على مصائب لوانها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ولها عليها السلام ترثي أباها صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٥٣

أغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار واظلم العصران

والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان

فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان

وليبكه الطود الأشم وجوه ... والبيت ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

توفيت عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة وهبي بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالبقيع ليلا، وصلى عليها علي- عليه السلام - وقيل: صلى عليها ونزل في قبرها هو والفضل بن العباس. وقيل: لبثت فاطمة بعد وفاة النبي عليه السلام ثلاثة أشهر. وقال عروة بن الزبير وعائشة لبثت ستة أشهر. ومثله عن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح.

روي أن عليا عليه السلام لما ماتت فاطمة وفرغ من جهازها ومن دفنها رجع إلى البيت فاستوحش فيه وجزع عليها جزعا شديدا ثم أنشأ يقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل

وكان يزور قبرها في كل يوم فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى بكاء مرا وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي

يا قبر ما لك لا تجيب مناديا ... أمللت بعدي خلة الأحباب

فأجابه هاتف يقول:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب." (١)

"كان أبوها طبيب العرب وحارب النضر في يوم بدر مع قريش فأسر، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل.

قال التبريزي: كان النبي صلى الله عليه وسلم تأذى به فقتله صبرا، وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار العجم على العرب ويقول: إن محمدا يأتيكم بأخبار ثمود وعاد، وأنا منبئكم بأخبار الأكاسرة والقياصرة يريد بذلك القدح بنبوته.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣٦٠

وقال ابن عباس في قول الله تعالى: (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) [لقمان: ٦] إنها نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري كتب الأعجام من فارس والروم وكتب أهل الحيرة فيحدث بها أهل مكة، وإذا سمع القرآن أعرض عنه واستهزأ به، فلما أسر يوم بدر أمر النبي عليا أن يضرب عنقه وعنق عقبة بن أبي معيط صبرا فقتلا فقالت فتيلة ترثي أباها.

وفي بعض الروايات أنها أتت محمدا فأنشدت الأبيات الآتية فرق لها النبي وبكى وقال له١: لو جئتني من قبل لعفوت عنه، ثم قال: لا تقتل قريش صبرا بعد هذا والأبيات رواها كثيرون وشرحها شارح الحماسة وهي:

يا رابكا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتا فإن تحية ... ما أن تزال بها النجائب تعنق

مني إليه وعبرة مسفوحة ... جادنت لمانحها وأخرى تحنق

فليسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق

قسرا يقاد إلى المنية معتبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد أو لست صنو نجيبة ... في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

لو كنت قابل فدية لفديته ... بأعز ما يغلو لديك وينفق

فالنضر أقرب من تركت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

وبعدما انتهت من قصيدتها وقال لها النبي ما قال. قالت تمدحه بقصيدة مطولة –عثرنا منها على هذا البيت–:

الواهب الألف لا يغي به بدلا ... إلا الإله ومعروفا بما اصطنعا

وهذه القصيدة لعمري إنها من القصائد التي يحق الافتخار بها لأنها صادرة من ذات قناع، وقد علمت قوة قائلتها من انسجام هذا البيت الذي ذكر منها لأنه في غاية الرقة والانسجام.

وتزوجت قتيلة بعبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس فولدت له عليا والوليد ومحمدا وأم الحكم وقد أسلمت بعد قتل أبيها وصارت من الصحابيات المروي عنهن الحديث توفيت في خلافة عمر بن الخطاب.

قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب

كانت جارية صفراء، حلوة حسنة الغناء والضرب، حاذقة. قد أخذت عن إبراهيم وعن ابنه إسحاق ويحيى المكي، وزبير بن دحمان. وكانت لصالح بن عبد الوهاب، واشتراها الواثق، وكان الواثق قد جمع أرباب الغناء فغنى أحدهم بين يديه لحنا لقلم في شعر محمد بن كناس وهو:

في انقباض وحشمة فإذا ... صادفت أهل الوفاء والكرم." (١)

"ليت لبنى تعودني ثم أقضي ... إنها لا تعود فيمن يعود

ويح قيس لقد تضمن منها ... داء خبل فالقلب منه عميد

وقال: وقد سأله الطبيب مذكم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فأنشد:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعدما كنا نطافا وفي المهد

فزاد كما زدنا وأصبح ناميا ... وليس إذا متنا بمنفصم العقد

ولكنه باق على كل حادث ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

لبانة ابنة ريطة بن علي بن عبد الله طاهر

كانت من أحسن نساء زمانها وأوفرهن عقلا، وأعظمهن أدبا، فصيحة المنطق عذبة اللسان شاعرة وشعرها مقبول ولها علم بضروب الغناء تزوجها محمد الأمين بن هارون الرشيد فقتل ولم يبن بها فقالت **ترثيه**:

أبكيك لا للنعيم والإنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على سيد فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من للحروب التي تكون بها ... إن أضمرت بارها بلا قبس

من لليتامى إذا هم سبغوا ... وكل عان وكل محتبس

أم من لبر أم من لفائدة ... أم من لذكر الإله في الغلس

ولما قتل الأمير رجعت إلى منزل والدها ولم تتمالك أن تبقى مع السيدة زينب بنت جعفر أم الأمين لأنها تشاءمت منها فخشيت على نفسها من الإهانة والاحتقار.

وبعد أن استتب الأمر إلى المأمون جعل لها إدرارات ورواتب تنفق منها ولم يتركها تذهب إلى حيث شاءت بل جعلها كأنها من حرم دار الخلافة وبقيت على ذلك إلى أن ماتت بآخر خلافته.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٥١

لطيفة الحدانية

توفي أبوها وتركها صغيرة فكفلها عمها، وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الأخلاق والخصال، فربيت في بيت عمها حتى بلغت وكان لعمها ولد شاب يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطف والعفة فكانت لطيفة تنظر إليه فيعجبها إلى أن تمكن حبه منها.

فمرضت وهي تكتم أمرها وكانت امرأة عمها فطنة مجربة للأمور، فامتحنتها فوجدتها تغيب عن حسها أحيانا فإذا دخل الغلام أفاقت والتمست تأكل، فأخبرت أباه فقال: يا لها نعمة.

ثم زوجه بها فأوقع الله حبها في قلبه فأقاما على أحسن حال مدة وهو يأمرها أن تكون دائما متزينة مطيبة ويقول لها: لا أحب أن أراك إلا كذا، فلم يزالا على ذلك فضعف الشاب فمات، فوجدت به وجدا شديدا، فكانت بأنواع زينتها كما كانت وتمضي، فتمكث على قبره باكية إلى الغروب. قال الأصمعي: مررت أنا وصاحب لي بالجبانة، فرأيتها على تلك الحالة فقلنا لها: علام ذا الحزن الطويل؟ فأنشأت:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني ... رهينة هذا القبر يا فتيان." (١)

"غلامان كان استوردا كل سورة ... من المجد ثم استوثقا في المصادر

ربيعي حيا كانا يفيض نداهما ... على كل مغمور تراه وغامر

كأن سنا باريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت ترثيه أيضا:

أيا عين بكي توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤن العبرة المتحدر

سمعت بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع من المتغور

ولم يرد الماء الدام إذا بدا ... سنا الصبح في بادي الحواشي منور

ولم يغلب الخصم الضحاح ويملأ ال ... جفان سديفا يوم نكباء صرصر

ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... بسبرة بين الأشمسات قياصر

وصحراء موماة يحاربها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٦٥

يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسيرا لراكب المتهجر

فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المقبر

ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاطي البضيع كرة غير أعسر

يمر ككر الأندري مثابر ... إذا ما ونين مهلب الشد محضر

فألوت عناق طوال وراعها ... صلاصل بيض سابغ وسنور

ألم تر أن العبد يقتل ربه ... فيظهر جد العبد من غير مظهر

قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه ... إذا الخيل جالت في قنا متكسر

فيا توب للهيجا ويا توب للندا ... ويا توب للمستنج المتنور

ألا رب مكروب أجبت ونائل ... بذلت ومعروف لديك ومنكر

وقالت ترثيه:

أقسمت ارثي بعد توبة هالكا ... أحفل لمن دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير

وما أحد حي وإن عاش سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... بلا بد يوما أن يرى وهو صابر

وليس لذي عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر

ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر

وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرئ يوما إلى الله صائر

وكل قريني ألفة لتفرق ... شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر

فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

ويروى:." (١)

"فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر

قتيل بني عوف فيا لهفتا له ... وما كنت إياهم عليه أحاذر

ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٧١

وقالت **ترثيه**:

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف إذ تدعى وللجار

وتوب للخصم إن جاروا وإن عندوا ... وبدلوا الأمر نقصا بعد إمرار

إن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار

وقالت **ترثيه**:

هراقت بنو عوف دما غير واحد ... له نبأ نجد به سيغور

تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هضب الرهدتين نصير

وقالت **ترثيه**:

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع واليهم

على فتى من بني سعد فجعت به ... ماذا أجن به في الحفرة الرجم

من كل صافية صرف وقافية ... مثل السنان وأمر غير مقتسم

ومصدر حين يعي القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشئم

وقالت لقابض وتعذي عبد الله أخا توبة:

دعا قابضا والموت يخفق ظله ... وما قابض إذا لم يجب بنجيب

وآسى عبيد الله ثم ابن أمه ... ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

وسأل معاوية بن أبي سفيان يوما ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير فقال: ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين، ليس كل ما يقول الناس حقا، والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للأقران، كريم المختبر، عفيف المئزر، جميل المنظر وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت: قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قفزه ... ألد ملد يغلب الحق باطله

إذا حل ركب في ذاره وظله ... ليمنعهم مما تخاف نوازله

حماهم بنصل السيف من كل فادح ... يخافون حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية: ويحك، يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا. فقالت من ساعتها ارتجالا:

معاذ إلهي كان والله سيدا ... جوادا على العلات جما نوافله

أغر خفاجيا يرى البخل سبة ... تحلب كفاه الندى وأنامله

عفيفا بعيد الهم صلبا قناته ... جميلا محياه قليلا غوائله

وقد علم الجوع الذي بات ساريا ... على الضيف والجيران أنك قاتله." (١)

"أدركت ما منيت نفسي خاليا ... لله درك يا ابنة النعمان

فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... إن الملوك نقية الأذهان

يا هند حسبك قد صدقت فأمسكي ... فالصدق خير مقالة الإنسان

هند بنت أثاثة

كان أبوها من أمراء العرب المشهورين بالشجاعة والفروسية والكرم وكانت هي من ذوات الشهامة والمروءة والحكم، أديبة فاضلة، كاملة عاقلة، لها معرفة بالشعر والعروض ومما قالته رثاء في أبيها حين قتل هذه الأبيات:

لقد ضمت العفراء مجدا وسوددا ... وحلما أصيلا وافرا للب والعقل

عبيدة فابكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذل

وبكيه للأقوام في كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل

وبكيه للأيتام والريح زفزف ... وتشيب قدر طالما أزبدت تغلي

فإن تصبح النيران قد مات ضوءها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق الليل أو لملتمس القرى ... مستنبح أضحى على رسل

هند بنت زيد بنت مخرمة الأنصارية

كانت أحسن نساء زمانها جمالا، وأوفرهن عقلا وكمالا، وأفصحهن منطقا ومقالا، لها مقالات بليغة وأشعار بديعة، وكانت مع ما هي عليه من التنعم ثبتة الجنان قوية البنية جريئة على الحروب حضرت جملة وقائع مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنها كانت من شيعته، وكانت لها غيرة شديدة على علي وأصحابه، وكان كل من قتل ترثيه بمراث جيدة وتحرض القوم على اتباع خطة علي وطالما أراد معاوية أن يوقع بها ولم يتيسر له ذلك.

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٧٢

ولما قتل معاوية حجر بن عدي بن حاتم الطائي أقامت له مآتم ورثته بقصائد طويلة وأشعار غزيرة منها قولها:

ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير

تجبرت الجبائر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد لها محولا ... كأن لم يحيبها مزن مطير

ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك وما أردى عديا ... وشيخا في دمشق له زئير." (١)

"يا رب قائلة غدا ... يا ويح أم معاويه

وقالت أيضا:

يا عين بكي عتبة ... شيخا شديد الرقبه

يطعم يوم المسغبة ... يدفع يوم الغلبه

إني عليه حربه ... ملهوفة مستلبه

ليهبطن يثربه ... بغارة منشعبه

فيه الخيول مقربة ... كل سواء سلهبه

هند بنت خالد بن نافلة

كانت أشعر نساء زمنها وأحسنهن أدبا، وأكملهن رأيا، وأجملهن وجها. قيل: إنها لما قتل ابن أخيها خالد بن حبيب بن خالد ندبته واتبعتها نساء العرب حتى لم ير امرأة من قبيلتها إلا وكانت باكية ورثته بقصائد وأبيات منها قالته يوم مأتمه:

أمسى بواكيك مللن البكى ... وشر عهد الناس عهد النسا

فابن حبيب فأبكيا خالدا ... لجفنة ملأى وزق روى

وبان حبيب فابكيا خالدا ... لطعنة يقصر عنها الأسى

إن تبكيا لا تبكيا هينا ... وما بما مسكما من خفا

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٣٦

إذ تخرج الكعاب من خدرها ... يومك لا تذكر فيه الحيا

وقالت **ترثي** أباها خالدا:

أأميم هيهات الصبا ذهب الصبا ... وأطار عني الحلم جهل غراب

أين الأولى بالأمس كانوا جيرة ... لأخذت صرف الموت عن أحبابي

ما حيلتي إلا البكاء عليهم ... إن البكاء سلاح كل مصاب

هند بنت كعب بن عمرو بن ليث الهندي

زوجة عبد الله بن عجلان يتصل نسبها مع نسبه كانت ذات حسن وجمال، وقد واعتدال، وبهاء وكمال. وسبب زواجها إلى عبد الله بن عجلان أنه خرج يوما إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له: نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه، فلما علا ربوة تشرف على النهر المذكور رآهن على تلك الحالة فمكث ينظر إليهن مستخفيا، فصعدن حتى بقيت هند.

وكانت طويلة الشعر، فأخذت." (١)

"تهوى إليها الأفئدة والقلوب ولها الطولى في نظم الغزل والنسيب فمن ذلك قولها:

وعاذلة تغدو علي تلومني ... على الشوق لم تمح الصبابة من قلبي

فما لي إن أحببت أرض عشيرتي ... وأبغضت طرفاء القصية من ذنب

فلو أن ريحا بلغت وهي مرسل ... حفي لنا خبت الجنوب على النقب

فإني إذا هبت شمالا سألتها ... هل ازداد صداح النميرة من قرب

وهيبة بنت عبد العزى بن عبد قيس

كانت من شاعرات العرب اللاتي لهن علم بالأدب، وكانت متزوجة بشخص من قومها يسمى زيد بن مية، وكان جارا للزبرقان بن بدر فشد عليه رجل يقال له هزال بن بني عوف بن كعب بن سعد بن عبد مناة فقتله بجوار الزبرقان فقالت امرأته **ترثيه** وتوبخ الزبرقان على تركه ثأره:

متى ترد وأعكاظ توافقوها ... بأسماع مجادعها قصار

أجيران ابن مية خبروني ... أعين لابن مية أو ضمار

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٣٩

تجلل خزيها عوف بن كعب ... فليس لخلعها منه اعتذار
فإنكم وما تخفون منها ... كذات ال شيب ليس لها خمار
فلما سمع الزبرقان ذلك الشعر منها حلف ليقتلنه وبعد ذلك سعت العرب بينهما صلحا فاصطلحا، وفدى ابن مية بمال وتزوج هزال بخليدة أخت البزرقان وانصرف الأمر.

ولادة بنت المستكفي بالله

ولادة بنت المستكفي الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر ليدن الله الاموي. كانت واحدة زمانها المشار إليها في أوانها، حسنة المحاورة، مشكورة المذاكرة، مشهورة الصيانة والعفاف. أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تناضل الشعراء وتجادل الأدباء، وتفوق البرعاء، وعمرت عمرا طويلا، ولم تتزوج قط.

وكانت نهاية في الأدب والظرف حضور شاهد، وحرارة آبد، وحكم منظر ومخبر، وحلاوة مورد ومصدر. وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها معلبا لجياد النظم والنثر، ويعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، وعلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب وطهارة أثواب على أ، ها أوجدت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها.

وقيل: إنها بالغرب كعلية ابنة المهدي العباسي بالشرق إلا أن ولادة تزيد بمزية الحسن الفائق وأما الأدب والشعر والنوادر وخفة الروح فلم تكن تقصر عنها، وكان لها صنعة في الغناء ولها نوادر كثيرة مع الأدباء والشعراء.

ومن أخبارها مع أبي الوليد بن زيدون." (١)

"وفي سنة سبع وستين ومائتين وألف توجهت معه إلى الحجاز، وكانت هذه المرة له المرة الثالثة، ورأيت منه في السفر ما يدل على سمو درجته، وكان له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية، وأبحاث علمية، وأبحاث شريفة سنية، وكانوا يشهدون له بالفضل.

ولو أردت أن أذكر في هذه الكتابة ما حواه من الشمائل وما لديه، لأفضى الأمر إلى قصر هذا الكتاب عليه، ولكن ما لا يذكر كله، لا يترك كله. وفي ثاني وعشرين من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٤٥

مرض في داء ذات الجنب، وفي ليلة رمضان سأل عن إثبات الشهر، فأخبرناه بإثباته فشرب في السحر ونوى، وأصبح يعالج سكرات الموت، فوضع له بعض عياله نقطة ماء في فمه، ففتح عينيه ومسح فمه، وأمرهن بالإشارة بعدم العود لمثل ذلك. ومات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف، وكان آخر كلامه من الدنيا الذكر، وكان نزوله لرمسه مع قول المؤذن للمغرب الله أكبر، وقد حضر مشهد جنازته جمع عظيم، وعدد جسيم، وما ترى منهم إلا من دموعه ساكبة، وأحزانه متفاقمة دائبة، وأسفه متزايد، وزفيره متصاعد، وذلك كما تقدم في غرة رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين وألف، ودفن رضي الله عنه في تربة باب الله بجانب قبر سيدنا تقي الدين الحصني من جهة الشمال، وقبره ظاهر مشهور يزار، ولقد رثاه حفيده ابن أخي الأديب الأريب الشيخ محمد بهاء الدين البيطار:

ما قر قلبي من نواك ولا سكن ... كلا ولا عمري أميل إلى سكن

غادرت لي مر الصبابة والأسى ... وسلبتني حلو المسرة والوسن

أسري وأبكي في المعاهد شاكيا ... وجدي **فترثي** لي الحمامة في الفنن

والوعتي ما للحمام بدافع ... حكم الذي علم السرائر والعلن

يا وحشة للشام مذ بان الذي ... فاق الأفاضل بالمعارف والفطن

بحر تفجر من عيون بنانه ... عذب البيان مسلسلا من كل فن." (١)

"وروحاتهم فأصبحت وهي لم تسلخ الثامنة من عمرها تعيش في قصرها عيش الزاهدات المتبتلات فكان لا يراها الرائي إلا ذاهبة إلى الكنيسة أو عائدة منها لا يصحبها إلا غلامها أو واقفة على أطلال الدولة الماضية ورسومها تقلب فيها نظر العظة والاعتبار أو هائمة على وجهها في مروج غرناطة وبساتينها حتى ينزل ستار الليل فتعود إلى قصرها وكذلك كان شأنها في جميع أيامها حتى سماها أهل غرناطة الراهبة الجميلة.

فإنها لسائرة يوما بجانب مقبرة بني الأحمر إذ لمحت على البعد فتى عربيا مكبا على أحد القبور كأنما يقبل صفائحه ويبل تربته بدموعه فرثت لحاله ومشت نحوه حتى دنته فأحس بها فرفع رأسه فعرفها وعرفته فقالت له إنك تبكي ملوكك بالأمس أيها الفتي فابكهم كثيرا فقد جف تراب قبورهم لقلة من يبكي عليهم قال **أترثين** لهم يا سيدتي قالت نعم لأنهم كانوا عظماء فنكبهم الدهر وليس أحق بدموع الباكين من العظماء الساقطين قال شكرا لك يا سيد فهذه أول ساعة شعرت فيها ببرد العزاء يدب في صدري منذ وطئت

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٤٧١

قدماي أرضكم هذه قالت هل زرت قصورهم وآثارهم التي تركوها من بعدهم في هذه الديار فأطرق قليلا ثم رفع رأسه فإذا دمعة تترجرج في مقلتيه وقال لا يا سيدتي لقد حاولت الدنو منها فطردني عنها الموكلون بأبوابها كأنما هم يجهلون أن ليس بين الأحياء جميعهم في هذا العالم كله من هو أولى بها مني قالت أتمت إلي أحد من أصحابها بنسب أو رحم قال لا يا سيدتي ولكني عبدهم ومولاهم وصنيعة أيديهم وغرس نعمتهم فلا أنسى." (١)

"أتيت بي إلى هنا لتحكم علي بالسجن، كأن لم يكفك ما أسلفت إلي من الشقاء حتى أردت أن تجيء بلاحق لذلك السابق.

ألم أحسن إليك بساعة من ساعات السرور فترعاها؟

ألم تك إنسانا فترثي لشقائي وبلائي؟

إن لم تكن عندي وسيلة أمت بها إليك فوسيلتي إليك ابنتك هذه؛ فهي الصلة الباقية بيني وبينك.

فرفع القاضي رأسه ونظر إلى ابنته الصغيرة نظرة شفقة ورحمة، وقد قرر في نفسه أن لا بد له من أن ينصف تلك البائسة وينتصف لها من نفسه، غير أنه أراد أن يخلص من هذا الموقف خلوصا جميلا، فأعلن أن المرأة قد طاف بها طائف من الجنون وأن لا بد من إحالتها على الطبيب، فصدق الناس قوله.

ثم قام من مجلسه بنفس غير نفسه، وقلب غير قلبه، وما هي إلا أيام قلائل حتى هجر القاضي منصبه بحجة المرض، وما زال يسعى سعيه حتى ضم إليه ابنته واستخلص أمها من قرارتها وهاجر بها إلى بلد لا يعرفهما فيها أحد، فتزوج منها وأنس بعشرتها و احترف في دار هجرته بحرفة لولا أن أدل عليه إذا ذكرتها لفعلت، ولا يزال حتى اليوم يكفر عن سيئاته إلى زوجته بكل ما يستطيعه من صنوف العطف وألوان الإحسان، حتى نسيا ما فات، ولم يبق أمامهما إلا ما هو آت.." (٢)

"جارة مثلي ترانا، وترثي لحالنا كما أرثي الآن لحال هؤلاء المساكين.

ثم خلعت رداءها فأسبلته على جثة الميتة ودارت بمصباحها في أنحاء الغرفة، فرأت طفليها الصغيرين نائمين على فراشهما وجها لوجه، وعلى ثغر كل منهما ابتسامة صغيرة كأن شبح الموت الهائم حول مضجعهما لا يخيفهما ولا يزعج سكونهما، ورأت رداء أمهما وكانت تعرفه قبل اليوم مسبلا على جسمهما، فخيل إليها أنها ترى منظر تلك المرأة المسكينة قبل ساعة أو ساعتين وهي تعالج في فراشها سكرات الموت ثم تلتفت

---

(١) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/٦٤

(٢) النظرات المنفلوطي ٦٩/٢

من حين إلى حين إلى طفليها النائمين، والمطر يتساقط عليهما والبرد يعبث بأعضائهما فتشفق عليهما وترثي لهما حتى ضاقت بها ساحة الصبر، فخلعت عنها رداءها وهي أحوج ما تكون إليه وألقته عليهما، ثم ألقت بنفسها على فراشها وأسلمت روحها.

وقفت ماري أمام هذه المناظر المؤلمة والريح تئن أنين الوالهين المتسلبين والموج يعج عجيج أجراس الموت وقطرات الماء تنحدر من جبين الميتة إلى خديها الشاحبين كأنما هي تذرف دموع الحزن على فراق ولديها، وكان الفجر قد أخذ يمسح عن وجهه صبغة الظلام ويرسل بعض أشعته في جوانب الكوخ، فأطفأت المصباح الذي بيدها ووضعته جانبا، ثم جثت بجانب الميتة وصلت." (١)

"مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفه المطول. ومجموع آثاره العلمية في كل الفنون والمعارف العصرية تنيف على الثمانين تأليفا أو تعريبا أو إصلاحا وتنقيحا. بينها قسم واسع في الآداب العربية من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعرية ونثرية لعله أول من زود المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقحة. وتعريبه للأسفار المقدسة ينبئ بفضله العميم. وأما آثاره بالسريانية فتكاد لا تحصى. وله حتى يومنا عدة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها. وكان للسيد اقليميس داود مقام جليل بين العلماء الأجانب يقدرون قدره في كل الأبحاث الشرقية وقد رثاه كثيرون بالمراثي النفيسة ومن أجودها قول الدكتور لويس صابونجي:

وترثي دمشق الشام فقد عزيزها ... مع الموصل الحدباء إذ قام مشهد

سأبكي عليه ما تقطر مدمعي ... وراح يمام في الأراك يغرد

بكته طروس واليراع ونثره ... وناح عليه الشعر إذ بات ينشد

بكته علوم الأولين بأسرها ... بدمع غزير سيله لا يجمد

وراح عليه المجد يبكي تأسفا ... وقلب المعالي بالمرائر يفسد

وراح من السريان مجمع شرفة ... يقر له بالفضل في ما يحدد

ومجمع واتيكان يندب فقد من ... لديه تقاليد الطوائف توجد

وهي طويلة منها قوله في قبر الفقيد:

عليك سلام الله ما ضاء فرقد ... ودمت بقطر الغيث تسقى وتقصد

سألت الهي أن يمن بفضله ... علي بتقبيل الضريح فأحمد

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣/١٧٥

واغسل ذاك القبر بالدمع فرجة ... لأن غليلي بالدموع يبرد

وممن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) المارديني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل إلى أميركا سنة ١٨٨٠ وسطر أخبار رحلته في كتاب دعاه إرشاد القريب والبعيد إلى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٧٩.

وكذلك عرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلال) تولى كتابة الأسرار للبطريك جرجس شلحت زمنا طويلا وكان شاعرا مجيدا. ومن آثاره روايات أدبية كإحسان الإنسان." (١)

"وأمها جركسية. أحبت منذ صغرها العلم والأدب وبعد أن اقترنت بالزواج ثم ترملت انصرفت إلى الآداب وبرعت بنظم الشعر في اللغات الثلث العربية والتركية والفارسية. وقد طبع ديوانها العربي المسمى حلية الطراز فأثنى عليه الأدباء طيب الثناء وشفعته بكتاب نتائج الأحوال فأقبل عليه العلماء أيضا وأطرأوا صاحبته. وممن قرظ كتاب حلية الطراز السيدة وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي فقالت:

حبذا حلية الطراز أتت من ... مصر تزهوا باللؤلؤ المنظوم

حلية المعقول لا حلية الوش ... ي وكنز المنطوق والمفهوم

أنشأته كريمة من ذوات م ... المجد والفخر فرع أصل كريم

قد أعاد الزمان عائشة في ... ها فعاشت آثار علم قديم

هي فخر النساء بل وردة في ... جيد ذا العصر زيت بالعوم

فأدام المولى لها كل عز ... ما بدا الصبح بعد ليل بهيم

وقالت في تقريظ نتائج الأحوال:

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به ... يا ليتني قلم في كف كاتبه

ودونك أمثلة من شعر عائشة تيمور قالت في الفخر:

بيد العفاف أصون عز حجابي ... وبعصمتي أسمو على أترابي

وبفكرة وقادة وقريحة ... نقادة قد كملت آدابي

فجعلت مرآتي جبين دفاتر ... وجعلت من نقش المداد خطابي

ما عاقني خجلي عن العليا ولا ... سدل الخمار بلمتي ونقابي

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ١/ ٢٥٠

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت ... صعب السباق مطامح الركاب

بل صولتي في راحتي وتفرسي ... في حسن ما أسعى لخير مآب

ومما قالته **ترثي** أبنتها وكان موتها في رمضان:

طافت بشهر الصوم كاسات الردى ... سحرا وأكواب الدموع تدور

ومضى الذي أهوى وجر عني الأسى ... وغدت بقلبي جذوة وسمير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتي ... نار لها بين الضاوع زفير

آني ألفت الحزن حتى أنني ... لو غاب عني ساءني التأخير

قد كنت لا أرضي التباعد برهة ... كيف التصبر والبعاد دهور." (١)

"بليت عظامك والأسى يتجدد ... والصبر ينفد والبكا لا ينفد

يا غائبا لا يرتحى لإيابه ... ولقائه دون القيامة موعد

ما كان أحسن ملحدا ضمنته ... لو كان ضم أباك ذاك الملحد

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي ... هيهات أين من الحزين تجلد

٦٧ قال ابن الأحنف يرثي ابنه:

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى ... أجاب الأسى طوعا ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه ... سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقالت أعربية **ترثي** ولدها:

يا قرحة القلب والأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد

لما رأيتك قد أدرجت في كفن ... مطيبا للمنايا آخر الأبد

أيقنت بعدك أني غير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

قال أعرابي يرثي ابنه:

بني لئن ضننت جفون بمائها ... لقد قرحت مني عليك جفون

دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت ... وللنفس منها دافن ودفين

قال العتبي يرثي بعض أولاده:

---

(١) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لويس شيخو ٣٢٢/١

أصبحت بخدي للدموع رسوم ... أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحمد في المواطن كلها ... إلا عليك فإنه مذموم." (١)

"حتى يمر بنا في قعر مظلمة ... لحد ويلبسنا في واحد كفنا

يا أطيب الناس روحا ضمه بدن ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا

لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا

٤٦ قال الحسن بن هانئ في الأمين:

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوي المنية ناشر

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

لئن عمرت دور بمن لا أحبه ... لقد عمرت ممن أحب المقابر

ومات ابن لأعرابي فاشتد حزنه عليه وكان الأعرابي يكنى به فقيل له لو صبرت لكان أعظم لثوابك. فقال:

بأبي وأمي من عبأت حنوطه ... بيدي وفارقني بماء شبابه

كيف السلو وكيف أنسى ذكره ... وإذا دعيت فإنما أدعى به

وقال آخر يرثي أخاه:

أخ طالما سرني ذكره ... فقد صرت أشجى إلى ذكره

وقد كنت أغدو إلى قصره ... فقد صرت أغدو إلى قبره

٤٧ قالت الخنساء ترثي أخاها:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجري الجوادا ... ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما ... د ساد عشيرته أمردا

يحمله القوم ما غالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا." (٢)

"جموع الضيوف إلى بابه ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وقالت أخت الوليد ابن طريف ترثي أخاها المذكور:

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢/٤٥

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣/٤١

فتى لا يريد العز إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

فقدناه فقدان الربيع فليتنا ... قديناه من ساداتنا بألوف

خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف

عليك سلام الله وقفا فإنني ... أرى الموت وقاعا بكل شريف

قال ابن معتوق يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب:

حزني عليه دائم لا ينقضي ... وتصبري مني علي تعذرا

وا رحمتاه لصارخات حوله ... تبكي له ولوجهها لن تسترا

ملقى على وجه التراب تظنه ... داود في المحراب حين تسورا

لهفي على الهاوي الصريع كأنه ... قمر هوى من أوجه فتكورا

لهفي على تلك البنان تقطعت ... لو أنها اتصلت لكانت أبحرا

لهفي على العباس وهو مجندل ... عرضت منيته له فتعثرا

لحق الغبار جبينه ولطالما ... في شأوه لحق الكرام وغبرا

٤٨ وقال الأصمعي:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير

وقال الصفدي:." (١)

"لجنة أم لنار ... إلى ممالك مالك

وأنت لا بد يوما ... بعد التكاهل هالك

قال أبو العتاهية في وصف الموت:

كأن الأرض قد طويت عليا ... وقد أخرجت مما في يديا

كأني صرت منفردا وحيدا ... ومرتهنا لديك بما عليا

كأن الباكيات علي يوما ... ولا يغني البكاء علي شيا

ذكرت منيتي فنعين نفسي ... ألا أسعد أخيك يا أخيا

قال ابن المعتز عند موته:

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤٢/٣

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك ... خانتك بعد طول الأمن دنياك

مرت بنا سحرا طير فقلت لها ... طوباك يا ليتني إياك طوباك

إن كان قصدك شرقا بالسلام على ... شاطئ الفرات أبلغي إن كان مثواك

من موثق بالمنايا لا فكاك له ... يبكي الدماء على إلف له باكي

أظنه آخر الأيام من عمري ... وأوشك اليوم أن يبكي له باكي

وما أجود قول ابن أبي زمنين:

الموت في كل حين ينشر الكفنا ... ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها ... وإن توشحت من أبوابها الحسنا

أين ال أحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

تبكي المنازل منهم كل منسجم ... بالمكرمات وترثي البر والمننا." (١)

"عليك مني سلام الله ما صدحت ... على غصون أراك الدوح ورقاها

قال أبو فراس الحمداني يرثي جابر بن ناصر الدين:

الفكر فيك مقصر الآمال ... والحرص بعدك غاية الجهال

لو كان يخلد بالفضائل فاضل ... وصلت لك الآجال بالآجال

لو كنت تفدى لافتدتك سراتنا ... بنفائس الأرواح والأموال

أو كان يدفع عنك بأس أقبلت ... صرعا تكدس بالقنا العسال

أعزز على سادات قومك أن ترى ... فوق الفراش مقلب الأوصال

والسمر عندك لم ترق صدورها ... والخيل واقفة على الأطلال

والسابغات مصونة لم تبتذل ... والبيض سالمة مع الأبطال

وإذا المنية أقبلت لم يثنها ... حرص الحريص وحيلة المحتال

ما للخطوب وما لأحداث النوى ... أعجلن جابر غاية الإعجال

لما تسربل بالفضائل وارتدى ... برد العلى واعتم بالإقبال

وتشاهدت صيد الملوك لفضله ... وأرى المكارم من مكان عال

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٣٠/٤

أأبا المرجي غير حزني دارس ... أبدا عليك وغير قلبي سال

ولئن هلكت فم ا الوفاء بهالك ... ولئن بليت فما الوداد ببال

لا زلت مغدوق الثرى مطروقه ... بسحابة مجرورة الأذيال

وحجبن عنك السيئات ولم يزل ... لك صاحب من صالح الأعمال

قالت هند بنت معبد **ترثي** خالد بن نضلة:

أأميم هيهات الصبا ذهب الصبا ... وأطار عني الحلم جهل غرابي." (١)

"أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر

أما تعلمين الخبر أن لست لاقيا ... أخي إذ أتى من دون أثوابه القبر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فتى كان يعطي السيف في الحرب حقه ... إذا هتف الداعي ويشقى به الجزر

وسخى بنفسي أنني سوف أغتدي ... على إثره يوما وإن نفس العمر

وقال أيضا فيه:

تطاول ليلي لم أنمه تقلبا ... كأن فراشي حال من دونه الجمر

فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان مني في تذكره العذر

أحقا عباد الله أن لست لاقيا ... بريدا طوال الدهر ما لألأ العفر

فتى إن هوى استغنى يخرق في الغنى ... فإن قل مالا لا يؤدبه الفقر

فليتك كنت الحي في الناس باقيا ... وكنت أنا الميت الذي غيب القبر

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... إذا السنة الشهباء قل بها القطر

كأن لم يصاحبنا بريد بغبطة ... ولم تأتنا يوما بأخباره السفر

ولما نعى الن ا عي بريدا تغولت ... بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر

عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة دارت بهامته الخمر

إلى الله أشكو في بريد مصيبتي ... وبثي أحزانا تضمنها الصدر

قالت الخنساء **ترثي** أخاها صخرا:

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٤/٥١

قذى بعينك أم بالعين عوار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذكراه إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار." (١)

"كان لابن عمار ابن يقال معن فمات فقال يرثيه:

يا موت مالك مولعا بضراري ... إني عيك وإن صبرت لزاري

تعدو علي كأنني لك واتر ... وأؤل منك كما يؤل فراري

نفس البعيد إذا أرادت قريبة ... ليست بناجية مع الأقدار

والمرء سوف وإن تطاول عمره ... يوما يصير لحفرة الحفار

لما علا عظمي به فكأنه ... من حسن بنيته قضيب نضار

فجعتني بأعز أهلي كلهم ... تعدو عليه عدوة الجبار

هلا بنفسي أو ببعض قرابتي ... أوقعت أو ما كنت بالمختار

قالت هند بنت عتبة ترثي أبها وأخويها:

من حس لي الأخوين كال ... غصنين أو من راهما

قرمان لا يتظالما ... ن ولا يرام حماهما

ويلي على أبوي وال ... قبر الذي واراهما

لا مثل كهلي في الكهو ... ل ولا فتى كفتاهما

قال أعرابي يرثي ابنه وكان وقع صريعا في الحرب:

حسين لا خير في الدنيا ومن فيها ... إذا أنت خليتها في من يخليها

نعى النعاة حسينا لي فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من صنيعته ... ما كل آلائه يا قوم أحصيها

نروي الرماح بأيدينا فنوردها ... بيضا ونصدرها حمرا أعاليها." (٢)

"الباب الثالث عشر في المراثي

قالت الفرعة المرية ترثي أخاها مسعود بن شداد

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥٣/٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥٧/٤

يا عين جودي لمسعود بن شداد ... بكل ذي عبرات شجوه بادي

شهاد أندية رفاع أبنية ... شداد ألوية فتاح أسداد

نحار راغية قتال طاغية ... حلال رابية فكاك أقياد

فوال محكمة نقاض مبرمة ... فراج مبهمة حباس أوراد

حلال ممرعة حمال معضلة ... قراع مفظعة طلاع أنجاد

جماع كل خصال الخير قد علموا ... زين القرين وخطل الظالم العادي

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد

قال أبو مالك يرثي أبا نضر والده لما قتل

زال عنا السرور إذ زلت عنا ... وازدهانا بكاؤنا والعويل

ورأينا القريب منا بعيدا ... وجفانا صديقنا والخليل

ورمانا العدو في كل وجه ... وتجنى على العزيز الذليل

يا أبا النضر سوغ أبكيك ما عشت سويا وذاك مني قليل

حملت نعشك الملائكة الأبرار إذ ما لنا إليه سبيل

غير أني كذبتك الود لم تقطر جفوني دما و أنت قتيل

رضيت مقلتي بإرسال دمعي ... وعلى مثلك النفوس تسيل." (١)

"حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر **ترثي** وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يليه موطنه ... أبعد حمص تغر المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النفع نيران

وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٢٥/٥

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان

ألان فوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان

يا من لذلة قوم بعد عزهم ... أحال حالهم جور وطغيان

بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لهالك الأمر واستهوتك أحزان

يا رب أم وطفل حيل بينهما ... كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت ... كأنما هي ياقوت ومرجان

يقودها العلج عند السبي مكرهة ... والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان." (١)

"٦-هند بنت معبد من بني أسد

المناسبة

كان جدها ينادم النعمان فسكر وأمر بقتله مع عمرو بن مسعود فقالت **ترثيهما** من قصيدة: (من الطويل)

ألا بكر الناعي بخير بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

المناسبة

وقالت في الرثاء: (من الكامل)

أميم هيهات الصبا ... وأطار عني الحلم جهل غرابي

أين الأولى بالأمس كانوا جيرة ... أمسوا دفين جنادل وتراب

ماتوا ولو أني قدرت بحيلة ... لأحدث صرف الموت عن أحبابي

ما حيلتي إلا البكاء عليهم ... إن البكاء سلاح كل مصاب

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥/٢٤٧

المناسبة

وقالت ترثي ابن عمها خالد بن حبيب:

أمس بواكيك مللن البكا ... وشر عهد الناس عهد النسا

فابن حبيب فابكيا خالدا ... لجفنة ملأى وزق روى

وابن حبيب فابكيا خالدا ... لطعنة يقصر عنها الإسا

إن تبكيا لا تبكيا هينا ... وما بما مسكما من خفا

إذ يخرج الكاعب من خدرها ... يومك لا تذكر فيه الحيا

أحلى من التمر وأحمى من الجمر ... وأبى عند جد الإبا." (١)

"فاصطبار أو عزاء حسن ... كل نصر بعد ضر يرتجى

أصبحت ليلى تغل كفها ... مثل تغليل الملوك العظما

وتقيد وتكبل جهرة ... وتطالب بقبيحات الخنا

قل لعدنان هديتم شمروا ... لبني مبغوض تشمير الوفا

يا بني تغلب سيروا وانصروا ... وذروا الغفلة علكم والكرى

واحذروا العار على أعقابكم=وعليكم ما بقيتم في الدنا

المناسبة

قالت ترثي غرثان أخا زوجها الذي صرعه بنو تغلب: (من البسيط)

لما ذكرت غريثا زاد بي كمدي ... حتى هممت من البلوى بإعلان

تربع الحزن في قلبي فذبت كما ... ذات الرصاص إذا أصلي بنيران

فلو تراني والأشجان تقلقني ... عجبت براق من صبري وكتماني

لا در در كليب يوم راح ولا ... أبي لكيز ولا خيلي وفرساني

عن ابن روحان راحت وائل كثبا ... عن حامل كل أثقال وأوزان

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٢٨

وأسلموا المال والأهلين واغتنموا ... أرواحهم فكبا زند بن روحان

فتى ربيعة طواف أماكنها ... وفارس الخيل في روع وميدان

يا عين فابكي وجودي بالدموع ولا ... تمل يا قلب أن تبكي بأشجان

فذكر غرثان مولى الحي من أسد ... أنسى حياتي بلا شك وأنساني." (١)

"١١- أم الأغر البكرية

ترجمتها هي بنت ربيعة أخت كليب وائل الذي قتله جساس أخو جليلة بنت مرة، فكان قتله سبب اشتعال حرب البسوس بين بكر وتغلب، وقد مكثت أربعين سنة. ولا نعرف أم الأغر إلا من خلال ما ذكر من ندبها لغرثان بن روحان الذي قتله بنو تغلب.

المناسبة

كان بنو تغلب قد قتلوا غرثان أخا البراق زوج ليلى العفيفة، فقالت أم الأغر **ترثيه** وتحرض بني بكر على الأخذ بثأره: (من الوافر)

ألا فابكي أعيني لا تملي ... فلي بمصابنا أبدا عويل

فلا سلمت عشيرتنا وعادت ... إذا صرع ابن روحان النبيل

إذا رحتم وخلفتهم هبلتهم ... لغرثان فلا راح القبيل

فرحتم بالغنائم حين رحتم ... وبان بموته الغنم الجليل

تركتم ذا الحفاظ وذا السرايا ... راءكم، أضلكم الدليل

فقال لنويرة وكليب مهلا ... أقيما إن خزيكما طويل." (٢)

"١٤- أم ناشرة التغلبية

ترجمتها كان لها ولد من زوجها سابق اسمه ناشرة، تبناه همام بن مرة البكري أخو جساس وجليلة.

ولم يرد لها ترجمة في الأعلام.

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٣٣

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٣٥

أقدم ناشرة التغلبي على قتل متبنيه هما بن مرة البكري انحيازا إلى قومه التغلبيين، فقالت أمه تقرعه (من الطويل)

ألا ضيع الأيتام طعنة ناشره ... أناشر لازالت يمينك وتره

قتلت رئيس الناس بعد رئيسهم ... كليب ولم نشكر وأني لشاكرة

١٥- سليمى بنت المهلهل

ترجمتها

هي سليمى بنت عدي بن ربيعة التغلبي الملقب بالمهلهل. كان أبوها من أبطال العرب بالجاهلية. وكان ميالا إلى اللهو والشرب ولكنه انقطع عنهم ليثأر لأخيه كليب.

ومازال حتى مات مأسورا حوالي عام ٥٣١ م.

المناسبة

قالت سليمى **ترثي** أباها: (من الطويل)

أعيني جودا بالدموع السوافح ... على فارس الفرسان في كل صافح

أعيني أن تغن الدموع فأوكفا ... دما بارفضاض عند نوح النوائح

ألا تبكيان ، لمرتجى عند مشهد ... يثير مع الفرسان نقع الأباطح

عديا أخا المعروف في كل شتوة ... وفارسها المرهون عند التكافح

رمته بنات الدهر حتى انتظمنه ... بسهم المنايا إنها سر رائح." (١)

"وقد كان يكفي كل وغد مواكل ... ويحفظ أسرار الخليل المناصح

كأن لم يكن في الحي حيا ولم يرح ... إليه عفة الناس أوكل رائح

ولم يدعه في النكب كل مكبل ... لفك إسار أودعي عند صالح

بكيتك إن ينفع وما كنت بالتي ... ستسلوك يا ابن الأكرمين الجحاجح

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٣٩

المناسبة

وقالت سليمى بنت مهلهل تندب أباها **وترثيه**: (من الكمال)

منح الرقاد لحادث أضنااني ... ووني العزاء فعادني أحزاني

لما سمعت بنعي فارس تغلب ... أعني مهلهل قاتل الأقران

كفكفت دمعي في الرداء تخاله ... كالدر إن قارنته بجمان

جزعا عليه وحق ذاك لمثله ... كهف اللهيف وغيثة اللهفان

والمرتجى عند الشدائد إن غدا ... دهر حرون معضل الحدثان

والمستغيث به العباد ومن به ... يحمي الذمار وجورة الجيران

لهفي عليه إن توسط معضل ... حصن العشيرة ضارب بجران

لهفي عليكم إذا اليتيم تخاذلت ... عنه الأقارب أيما خذلان

فاذهب إليك فقد حويت من العلى ... يا ابن الأكارم أرجع الراجحان

فلأبكينك ما حييت وما جرت ... هوجاء معطفة بكل مكان." (١)

"١٦- الهيفاء بنت صبيح القضاعية

ترجمتها

لم نعثر لها على ترجمة بين الأعلام.

المناسبة

قالت **ترثي** زوجها نوفلا التغلبي: (من البسيط)

أبكي وأبكي بإسفار وإظلام ... على فتى تغلبي الأصل ضرغام

لهفي عليه وما لهفي بنافعة ... إلا تكفي فرسان وأقوام

قل للحجيب لحاك الله من رجل ... حملت عار جميع الناس من سام

أيقتل ابنك بعلي يا ابن فاطمة ... ويشرب الماء؟ ذا أضعاث أحلام

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٠

والله ما زلت أبكه وأندبه ... حتى تزورك أخوالي وأعمامي
بكل أسمر لدن الكعب معتدل ... وكل أبيض صافي الحد قمقام
المناسبة
وقالت تفتخر بأبيها (من البسيط)

الخليل تعلم يوم الروع إن هزمت ... أنا بن عمرو لدى الهيجاء يحميها
لم يبد فحشا ولم يهدد لمعظمة ... وكل مكرمة يلفى يساميها
المستشار لأمر القوم يحزبهم ... إذا الهناة أهم القوم ما فيها
لا يرهب الجار منه غدرة أبدا ... وإن ألمت أمور فهوا كافيها." (١)
"١٧-كرمة بنت ضلع
ترجمتها
هي أم مالك بن زيد فارس بني بكر في حرب البسوس.

المناسبة
كانت الرجال في الحرب بقولها منشدة مع الحرب بقوم (من مجزوء الرجز)

نحن بنت طارق ... نمشي على النمارق
مشي القطي البارق ... والمسك في المفارق
والدر في المخانق ... أن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق ... فراق غير وامق
عرس المولي طالق ... والعار فيه لاحق

١٨-زينب اليشكرية
ترجمتها
أبوها مهرة بن الرائد اليشكري، وزوجها كالم بن فند.

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤١

المناسبة

انخرط أبوها وزوجها في حرب البسوس بين بكر وتغلب وقتلا جميعا فقالت **ترثيهما**:

أتاحتكم الدنيا لمنتهش القنا ... كأن لها دينا بذلك آلت

أناخت عليكم خيل يوم كريهة ... فما إن تملوها ولا هي ملت

تحمحم خيل بعد تقدمت ... مصارعكم فيها من الذل حلت

على مالك بن الفند أرزاه حسرة ... تجدد لي حزنا إذا قالت ولت

أراني كسرب حيل عنه أليفه ... قوافزه في مهمه الخبت ضلت." (١)

"١٩ – أم قرفة

ترجمتها

كان زوجة لحذيفة بن بدر الفزاري. قتل قيس بن زهير العبسي ولها قرفة وحمل ديته إلى أبيه فرضي بها. وكانت عزيزة الجالب أنفة فأنكرت فعل زوجها.

المناسبة

لما علمت أم قرفة بأن زوجها حذيفة بن بدر قد قبل دية ولدها قرفة من قاتلة ساءها ذلك فقالت **ترثيه** وتعير زوجها لقبوله الدية: (من الوافر)

حذيفة لا سلمت من الأعادي ... ولا وقيت شر النائبات

أيقتل قرفة قيس فترضى ... بأنعام ونوق سارحات؟

أما تخشى إذا قال الأعادي: ... حذيفة قلبه قلب البنات

فخذ ثأرا بأطرف العوالي ... وبالبيض الحداد المراهفات

وإلا خلني أبكي نهاري ... وليلي بالدموع الجاريات

لعل منيتي تأتي سريعا ... وترميني سهام الحادثات

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٢

فذاك أحب من بعل جبان ... تكون حياته أراد الحياة

فيا أسفي على المقتول ظلما ... وقد أمسى قتيلا في الفلاة

ترى طير الأراك ينوح مثلي ... على أعلى الغصون المائلات؟

وهل تجد الحمائم مثل وجدي ... إذا رميت بسهم من شتات

فيا يوم الرهان فجعت فيه ... بشخص جاز عن حد الصفات

ولا زال الصباح عليك ليلا ... ووجه البدر مسود الجهات." (١)

"ويا خيل السباق سقيت سما ... مذابا في المياه الجاريات

ولا زالت ظهورك مثقلات ... بصمان الجبال الراسيات

لأن سباقكم ألقى علينا ... هموما لا تزال إلى الممات

٢٠- تماضر بنت الشديد السلمية

ترجمتها كانت زوجة لزهير بن جذيمة ملك غطفان العبسي من عيلان فمضر. قتل ولدها مالك بن زهير العبسي على يد حذيفة نفسه يوم الهباءة من أيام رب داحس والغبراء، ثم قتل في الواقعة نفسها.

المناسبة

قالت ترثي ولدها مالكا: (من الوافر)

كأن العين خالطها قذاها ... لحزن واقع أفنى كراها

على ولد وزين الناس طرا ... إذا ما النار لم تر من صلاها

لئن حزنت بنو عبس عليه ... فقد فقدت به عبس فتاها

فمن للضيف إن هبت شمال ... مزعزعة يجاوبها صداها

أسيدكم وحاميكم تركتم ... على الغبراء منهدما رحاها

ترى الشم الجحاجح من بغيض ... تبدد جمعها في مصطلاها

فيتركها إذا اضطربت بطعن ... وينهبها إذا اشتجرت قناها

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٣

حذيفة لا سقيت من الغوادي ... ولا روتك هاطلة نداها

كما أفجعتني بفتى كريم ... إذا وزنت بنو عبس وفاها

فدمعي بعده أبدا هطول ... وعيني دائم أبدا بكاها." (١)

"٢١- سلمى ابنة مالك بن بدر الذبيان

ترجمتها

عمها: حذيفة بن بدر الذبياني الذي قتل يوم الهباءة من أيام حرب داحس والغبراء.

عاشت حتى ظهور الإسلام، وأسلمت ثم ارتدت، وقتلت قرب الطائف.

المناسبة

قالت **ترثي** أباها مالكا الذبيان، وقد قتل في حرب داحس والغبراء:) من الطويل)

ولله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم أن جرى فرسان

فليتهما لم يشربا قط قطرة ... وليتهما لم يجريا لرهان

أحل به أمس الجنيدب نذره ... فأي قتيل كان في غطفان

إذا سجعت بالرقمين حمامة ... أو الرس فابكي فارس الكتفان

٢٢- سمية زوجة شداد العبسي خالة عنترة

ترجمتها

عرف أنها خالة عنترة بن شداد العبسي.

المناسبة

قالت **ترثي** زوجها شدادا العبسي: (من المتقارب)

جفاني الكرى وأنا في الغسق ... وساعدني الدمع لما اندفق

لفقد همام مضى وانقضى ... وقد زاد مني عليه القلق

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٤

فمن بعد شداد يحمي الحريم ... إذا الحرب قامت وسال العرق؟

ومن يردع الخيل يوم الوغى؟ ... ومن يطعن الخصم وسط الحدق؟

ومن يكرم الضيف في أرضه ... ومن للمنادي إذا ما زعق؟

لقد صرت من بعده في ضنى ... وقلبي لأجل الفراق احترق." (١)

"٢٣- هند بنت حذيفة بن بدر

ترجمتها

أخوها حصن بن حذيفة بن الفزاري الذبياني، قتل يوم وقعة حاجر بين ذبيان وعبس.

المناسبة

قالت الشاعرة ترثي أخاها حصنا، وتحرض قومها على الأخذ بثأره من عبس: (من الطويل)

تطاول ليلي للهموم الحواضر ... وشيب رأسي يوم وقعة حاجر

لعمري وما عمري علي بهين ... ولا حالف بر كآخر فاجر

لقد نال كرز يوم حاجر وقعة ... كفت قومه أخرى الليالي الغوابر

فلله عيناه من رأى مثله فتى ... تناوله بالرمح كرز بن عامر

فيا لبني ذبيان بكوا عميدكم ... بكل رقيق الحد أبيض باتر

وكل رديني أصم كعوبة ... ينوء بنصل كالعقيقة زاهر

وكل أسيل الخد طاو كأنه ... ظليم وجرداء النسالة ضامر

فإن أنتم لم تصبحوا القول غارة ... يحدث عنها وارد بعد صادر

وترموا عقيلا بالتي ليس بعدها ... بقاء فكونوا كالإماء العواهر." (٢)

"عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم

فإن يك غالته المنايا وريبها ... فقد وكان معطاء كثير التراحم

المناسبة

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٥

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٦

وقالت ناجية بنت ضمضم **ترثي** أباها: (من مجزوء الكامل)

الواهب المال التلاد ... لنا ويكفينا العظيمة

ويكون مدرهنا إذا ... نزلت مجلحة ذميمة

واحمر آفاق السماء ... ولم تقع في الأرض ديمة

وتعذر الآكال حتى ... كان أحمدها الهشيمة

لا ثلة ترعى، ولا ... إبل، ولا بقر مسيمة

ألفيته مأوى الأرامل ... والمدفعة اليتيمة

والدافع الخصم الألد ... إذا تفوضح في الخصومة

بلسان لقمان بن عاد ... وفصل خطبته الحكيمة

ألجمتهم بعد التدافع ... والتجاذب في الحكومة." (١)

"٢٦- الجيداء بنت زاهر الزبيدية

ترجمتها

لم تترجم كتب الأعلام للجيداء ويبدو أن زوجها من ذبيان.

المناسبة

قالت **ترثي** زوجها خالد بن محارب الزبيدي وقد قتله عنترة العبسي:

يا لقومي قد قرح الدمع خدي ... وجفاني الرقاد من عظم وجدي

كان لي فارس سقاه المنايا ... عبد عبس بجوره والتعدي

بدر تم هوى إلى الأرض لما ... رشقته السهام من كف عبد

ورماني من بعد أنصار جندي ... في هموم أكابد الوجد وحدي

يا قتيلا بكت عليه البواكي ... في جبال الفلا وفي أرض نجد

كان مثل القضيب قدا ولكن ... قده صرف دهره أي قد

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٨

يا لقومي من يكشف الضيم عني ... ويراعي من بعد خالد عهدي

٢٧- العوراء بنت سبيع الذبيانية

قالت ترثي أخاها عبد الله: (من مجزوء الكامل)

أبكي لعبد الله إذ ... حشت قبيل الصبح ناره

طيان طاوي الكشح لا ... يرخي لمظلمة إزاره

يعصي البخيل إذا أراد ... المجد مخلوعا عذاره." (١)

"٢٨- زينب الغطفانية

قالت في فرسها الشقراء: (من الطويل)

إذا حنت الشقراء هاجت لي الهوى ... وذكرني للحرتين حنينها

شكوت إليها نأي قومي وهجرهم ... وتشكو إلي أن أصيب جنينها

٢٩- حليمة الحضرية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما ورد في المناسبة وهي من بني عبس.

المناسبة

قالت حليمة ترثي زوجها:) من الطويل)

يقر لعيني أن أرى لمكانه ... ذرى عقدات الأجرع المتفاود

وأن أرد الماء الذي شربت به ... سليمى وإن مل السرى كل واحد

وألصق أحشائي ببرد ترابه ... وإن كان مخلوطا بسم الأساود

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٤٩

قالت في الموضع نفسه: (من الطويل)

لقد كنت أخشى لو تمليت خشيتي ... عليك الليالي مرها وانفتالها

فأما وقد أصبحت في قبضة الردى ... فشأن المنايا فلتصب من بدالها." (١)

"٣٠- دختنوس ابنة لقيط بن زرارة

ترجمتها

سميت على اسم ابنة كسرى.

تنتمي إلى بني دارم من تميم. كان زوجها عمرو بن عمرو بن عدس. شهاب يوم (شعب جبلة) قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة، وكان يوما شديدا بين عبس وذبيان. توفيت نحو عام ٣٠ قبل الهجرة.

المناسبة

قالت ترثي أباها وقد قتل يوم شعب جبلة بين عبس وذبيان: (من مجزوء الكامل)

بكر النعي بخير ... خندف كهلها وشبابها

وأضرها لعدوها ... وأفكها لرقابها

وقريعها ونجيبها ... عند الوغى وشهابها

ورئيسها عند الملوك ... وزين يوم خطابها

وأتمها نسبا إذا ... رجعت إلى أنسابها

فرع عمود للعشيرة ... رافع لنصابها

ويعولها ويحوطها ... ويذب عن أحسابها

ويطا مواطن للعدو ... وكان لا يمشى بها

فعل المدل من الأسود ... لحينها وتبابها

كالكوكب الدري في ... ظلماء لا يخفى بها

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥٠

عبث الأغر به ... وكل منية لكتابها

فرت بنو أسد فرار ... الطير عن أربابها

لم يحفظوا حسبا ولم ... يأووا لفيء عقابها." (١)

"المناسبة

قالت ترثي أباها الذي كان بنو عامر يضربونه بعد موته:) من الطويل)

ألا يا لها الويلات ويلة من هوى ... بضرب بني عبس لقيطا وقد قضى

لقد عفروا وجها عليه مهابة ... وما تحفل الصم الجنادل من ثوى

فلو أنكم كنتم غداة لقيتم ... لقيطا ضربتم بالأسنة والقنا

عذرتم ولكن كنتم مثل ظبية ... أضاءت لها القناص من جانب الشرا

فما ثأره فيكم ولكن ثأره ... شريج أأرته الأسنة أم هوى

فإن تعقب الأيام من فارس تكن ... عليكم حريقا لا يرام إذا سما

لنجزيكم بالقتل قتلا مضعفا ... وما في دماء الخمس يا مال من بوا

ولو قتلتنا غالب كان قتلها ... علينا من العار المجدع للعلا

لقد صبرت كعب وحافظت ... كلاب وما أنتم هناك لمن رأى

المناسبة

قالت دختنوس الدرامية تفتخر بثبات قومها في الحرب والضرب يوم شعب جبلة: (من الطويل)

لعمري لقد لاقت من الشق دارم ... عناء وقد راحت حميدا ضرابها

فما جبنوا بالشعب إذا صبرت لهم ... ربيعة يدعي كعبها وكلابها

عصوان بسيوف الهند واعتقلت لهم ... براكاء موت لا يطير غرابها." (٢)

"٣١- أم ربيعة بن مكدم

ترجمتها كنيتها أم سنان اشتهرت بحادثة ولدها ربيعة بن مكدم فارس بني كنانة من مضر، إذا أصبت بسهم

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥١

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥٣

وهو يحمي الظعن وفيهن أمة فشدت على جرحه عصابة فكر راجعا يقاتل والجرح ينزف حتى مات وهو متكئ على رمحه. وكان مصرعه حوالي عام ٦٢ قبل الهجرة.

المناسبة

حين لحق ربيعة بن مكدم بالظعائن جريحا، انتهى إلى أمه فقال: اجعلي على يدي عصابة، فشدت العصابة على يده وهي تقول: (من الرجز)

إن بنو ثعلبة بن مالك ... مرزأ أخيارنا كذلك

من بين مقتول وبين هالك ... ولا يكون الرزء إلا ذلك

٣٢- أم عمرو بنت مكدم

ترجمتها

لا نعرف عنها سوى ما جرى من واقعة أخيها الذي حمى ظعن النساء حيا وميتا.

المناسبة

قالت **ترثي** أخاها ربيعة بن مكدم (من البسيط)

ما بال عينك منها دمع مهراق ... سحا فلا عازب عنها ولا راقي." (١)

"٣٥- عمرة بنت دريد بن الصمة

ترجمتها

نعرفها من خلال أبيها الذي مر بنا ذكره من قبل وهو: دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن. شجاع وبطل عمر طويلا وأدك الإسلام ولم يسلم. قتل في جيش المشتركين عام ٨ هـ.

المناسبة

قالت عمرة **ترثي** أباها (من الوافر)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥٤

لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العناق

جزى عنا الإله بني سليم ... وعقتهم بما فعلوا عقاق

وأسقانا إذا سرنا إليهم ... دماء خيارهم يوم التلاق

فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقي

ورب كريمة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثاق

ورب منوه بك من سليم ... أجبت وفد دعاك بلا رماق

فكان جزاؤنا منهم عقوقا ... وهما ماع منه مخ ساقي

عفت آثار خيلك بعد أين ... فذي بقر إلى فيف النهاق

المناسبة

وقالت عمرة **ترثي** أباها أيضا) من البسيط)

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا ... وظل دمعي على الخدين ينحدر

لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تأتمر

إذا لصحبهم غبا وظاهرهم ... حيث استقر نواهم جحفل ذفر." (١)

"٣٧- سعدي بنت الشمردل الجهنية

ترجمتها

لم تعرف لها ترجمة ولاسيما بتعد المدعوين بالشمردل في الجاهلية والإسلام.

المناسبة

قالت سعدى **ترثي** أخاها أسعد بن الشمردل: (من الكامل)

أمن الحوادث والمنون أروع ... وأبيت ليلي كله لا أهجع

وأبيت مجلبة أبكي أسعدا ... ولمثله تبكي العيون وتهمع

وتبين العين الطليحة أنها ... تبكي من الجزع الدخيل وتدمع

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥٧

ولقد بدا لي قبل فيما قد مضى ... وعلمت ذاك لو أن علما ينفع

أن الحوادث والمنون كلاهما ... لا يعتبان ولو بكى من يجزع

ولقد علمت بأن كل مؤخر ... يوما سبيل الأولين سيتبع

ولقد علمت لو أن علما نافع ... أن كل حي ذهب فمودع

أفليس فيمن قد مضى لي عبرة ... هلكوا وقد أيقنت أن لن يرجعوا

ويل أم قتلى بالرصاف لو أنهم ... باعوا الرجاء لقومهم أو متعوا

كم من جميع الشمل ملتئم الهوى ... كانوا كذلك قبلهم فتصدعوا

فلتبك أسعد فتية بسباسب ... أقووا وأصبح رأدهم يتمرع

جاد ابن مجدعة الكمي بنفسه ... ولقد يرى أن المكر الأشنع

ويل أمه رجلا يليذ بظهره ... إبلا ونسال الفيافي أروع

يرد المياه حضيرة ونغيضة ... ورد القطاة إذا اسمأل التبع." (١)

"٤١- السلكة أم السليك

ترجمتها

عرفت من خلال شخصية ولدها السليك، وهو ابن عمير السعدي التميمي. من الشعراء الصعاليك في الجاهلية: كان فتاكا عداء أسود، قتل نحو عام ٦٠٥ م، و ١٧ ق. هـ. فرثته أمه.

المناسبة

قالت أم السليك ترثي ولدها: (من مجزوء المديد)

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك؟

أمريض لم تعد ... أم عدو ختلك؟

أم تولى بك ما ... غال في الدهر السلك

والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٥٩

أي شيء حسن ... للفتى لم يك لك؟

كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

طال ما قد نلت في ... غير كد أملك

إن أمرا فادحا ... عن جوابي شغلك

سأعزي النفس إذ ... لم تجب من سألك

ليت قلبي ساعة ... صبره عنك ملك

ليت نفسي قدمت ... للمنايا بدلك." (١)

"وأرينا من لا يؤدي أمانة ... ولا يحفظ الأسرار حين يغيب

ألهفا بما ضيعت ودي، وما هفا ... فؤادي بمن لم يدر كيف يثيب؟

وقالت تحاور خليلة لها: (من الطويل)

ولم أنتبه حتى وقفت بغية ... من الغي ثم انجاب عني غطائيا

فأقصرت عما تعلمين ولا أرى ... أخاغية عنها انتهى كانتهائيا

٤٣- هند بنت أسد الضابية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبة.

المناسبة

قالت ترثي أخاها: (من الطويل)

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى ... فتى كان زينا للمواكب والشرب

يلوذ به الجاني مخافة ما جنى ... كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٦٣

تظل بنات العم والخال حوله ... صوادي لا يروين بالبارد العذب

يهلن عليه بالأكف من الثرى ... وما من قلى يحثى عليه من الترب." (١)

"٤٤ – مارية بنت الديان

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبة.

المناسبة

قتل الجاهليون مرة بن عاهان أحد سادة قومها وأشرافهم، فقالت ترثيه، وتحرض قومها على الباهليين: (من الكامل)

قل للفوارس لا تئل أعيانهم ... من شر ما حذروا وما لم يحذر

التاركين أبا الحصين وراءهم ... والمسلمين صلاءة بن العنبر

لما رأيت الخيل قد طافت به ... شنجت شمالك في عنان الأشقر

ولقد بكيت على شبابك حقبة ... حتى كبرت وليت أن لم تكبر

يا معشر الأبناء إن فزتم بها ... فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر

فأبوكم قرو شرى كهلانكم ... وعمودكم صلب كريم المكسر

٤٥– ليلى بنت سلمة

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبتين.

المناسبة

قالت ترثي أخاها: (من الطويل)

أقول لنفسي في خفاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٦٦

ألا تفهمين الخبر أن لست لاقيا ... أخي إذ أتى من دون أكفانه القبر

وكنت أرى بينا به بعض ليلة ... فكيف يبين دون ميعاده الحشر

وهون وجدي إنني سوف أغتدي ... على أثره يوما طال بي العمر

فتى كان يعطي السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقي به الجزر

فتى كان يدينه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر." (١)

"فتى لا يعد المال ربا ولا ترى ... له جفوة إن نال مالا ولا كبر

فنعم مناخ الركب كان إذا انبرت ... شمال وأمست لا يعرجها ستر

ومأوى اليتامى الممحلين إذا انتهوا ... إلى بابه شعثا وقد قحط القطر

المناسبة

وقالت ترثي أخاها أيضا: (من الطويل)

سقى الله قبرا لست زائر أهله ... ببيشة إذ ما أدركته المقادر

تضمن خرقا كالهلال ولم يكن ... بأول خرق ضمنته المقابر

نعاه لنا الناعي فلم نلق عبرة ... بلى حسرة تبيض منها الغدائر

كأني غداة استعلنوا بنعيه ... على النعش يهفو بين جنبي طائر

لعمري لما كان ابن سلمة عاجزا ... ولا فاحشا يخشى أذاه المجاور

نأتنا به ما إن قلبنا شبابه ... صروف الليالي والجدود العواثر

٤٦- ليلى ابنة مرداس

ترجمتها

هي ليله بنت مرداس العنبرية زوجة سالم بن قحافة العنبري.

وكان زوجها كريما يهب الجمال لسائليه، ويقول لزوجته: هاتي حبلا. قالت له مرة: لم يبق عندي حبل ثم رمت إليه بخمارها.

المناسبة

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٦٧

أنشدها زوجها سالم أبياتا ينهاها بها أن تعذله على العطاء، فأجابته: (من الطويل)

حلفت يمينا يا ابن قحفان بالذي ... تكفل بالأرزاق في السهل والجبل

تزال حبال محصدات أعدها ... لها ما مشى منها على خفه جمل

فأعط ولا تبخل لمن جاء طالبا ... فعندي لها خطم وقد زالت العلل." (١)

"أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بني جرم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي كربة صادي

نعم الفتى ويمين الله قد علموا ... يخلو به الحي أو يغدو به الغادي

هو الفتى يحمد الجيران مشهده ... عند الشتاء وقد هموا بإخماد

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر بعد ما تغلي بإزباد

والسابئ الزق للأضياف إن نزلوا ... إلى ذراه وغيث المحوج الجادي

لاه ابن عمك لا أنساك من رجل ... حتى يجيء من القبر ابن مياد

٤٨- وهيبة بنت عبد العزى

ترجمتها

هي وهيبة بنت العزى بن عبد قيس، شاعرة جاهلية قتل زوجها زيد بن مية، وكان في جوار الزبرقان بن بدر فنظمت أبياتا تذكر فيها الزبرقان بعار القعود عن الأخذ بثأره.

المناسبة

قالت ترثي زوجها وتوبخ الزبرقان بن على عدم الأخذ بثأره: (من الوافر)

متى تردوا عكاظ توافقوها ... بأسماع مجادعها قصار

أجيران ابن مية خبروني ... أعين لابن ميةَ أو ضمار

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٦٨

تجلل خزيها عوف بن كعب ... فليس لخلعها منه اعتذار

فإنكم وما تخفون منها ... كذات الشيب ليس لها خمار." (١)

"٤٩- العوراء اليربوعية

ترجمتها

امرأة من يربوع بن حنظلة بن تميم.

المناسبة

قالت تهجو يزيد بن الصعق: جوابا له على شعر نظمه فيها من هذه القافية: (من الوافر)

قعيدك يا يزيد أبا قبيس ... أتنذر كي تلاقينا النذورا

وتوضع مجمر الركبان أنا ... وجدنا في مراس الحرب خورا

ألم تعلم ... قعيد

يا يزيد

بأنا نقمع الشيخ الفجورا

ونفقأ ناظريه ولا نبالي ... ونجعل فوق هامته الذرورا

فأبلغ إن عرضت بني كلاب ... فإنا نحن أقعصنا بجيرا

وضرجنا عبيدة بالعوالي ... فأصبح موثقا فينا أسيرا

أفخرا في الخلاء بغير فخر ... وعند الحرب خوارا ضجورا؟

٥٠- عاصية البولانية

ترجمتها

لم تعرف بغير انتسابها إلى بولان من قبيلة طيء القحطانية، وبما قالت في المناسبة.

المناسبة

قالت ترثي قومها وكانوا قتلوا في غزاة: (من الطويل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٧٠

أعاصي جودي بالدموع السواكب ... وبكي لك الويلات قتلى محارب

فلو أن قومي قتلتهم عمارة ... من السروات والرؤؤس الذوائب

صبرنا لما يأتي به الدهر عامدا ... ولكنما أثآرنا في محارب

قبيل لئام إن ظهرنا عليهم ... وإن يغلبونا يوجدوا شر غالب." (١)

"٥٢- زينب بنت مالك القيسية

ترجمتها

هي أخت عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة. وكان فارس قيس واحد أبطال العرب في الجاهلية.

المناسبة

كان يزيد بن عبد المدان القحطاني قد أسر أخويها ثم من عليهما فأطلقهما.

فقالت **ترثيه** حين نعي: (من المقارب)

بكيت يزيد بن عبد المدان ... خلت به الأرض أثقالها

شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها

فككت أسارى بني جعفر ... وكندة إذ نلت أقوالها

ورهط المجالد قد جللت ... فواضل نعماك أجبالها

وقالت **ترثيه** أيضا: (من المتقارب)

سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم

رماح من العز مركوزة ... ملوك إذا برزت تحكم

ولامها قومها على رثائها ليزيد فقالت: (من الطويل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٧١

ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريما يمانيا

ومالي لا أبكي يزيد وردني ... أجر جديدا مدرعي وردائيا؟." (١)

"٥٣- زرقاء اليمامة

ترجمتها

يقال إن اسمها عنز، وهي من بني جديس، من أهل اليمامة، كانت حادة البصر وذكروا من أخبارها أن حسان بن تبع الحميري غزا جديس فحذرت قومها وأنذرتهم بوصول جيشه فلم يصدقوها، فاجتاحهم عدوهم.

المناسبة

قالت تحذر قومها من عدوهم وأنه آت مختبئا وراء الشجر: (من البسيط)

خذوا حذركم يا قوم ينفعكم ... فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر

إني أرى شجرا من خلفها بشر ... وكيف تجتمع الأشجار والبشر؟

ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم ... فإن ذلك منكم فاعملوا ظفر

ضموا طوائفكم من قبل داهية ... من الأمور التي تخشى وتنتظر

فقد زجرت سنيح القوم باكرة ... لو كان يعلم ذاك القوم إذ بكروا

إني أرى رجلا في كفه كتف ... أو يخصف النعل خصفا ليس يعتسر

فغوروا كل ماء قبل ثالثة ... فليس من بعده ورد ولا صدر

وعاجلوا القوم عند الليل إذ رقدوا ... ولا تخافوا لهم حربا وأن كثروا

وغوروا كل ماء دون منزلهم ... فليس من دونه نحس ولا ضرر

٥٤- ذبية بنت بيشة الفهمية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبة.

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٧٣

المناسبة

قالت **ترثي** قومها الذين قتلوا يوم (صورة) : (من الطويل)

ألا إن يوم الشر يوم بصورة ... ويوم فناء الدمع لو كان فانيا

لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا ... بجرعة بطن الفيل من كان باكيا

قتلتم نجوما لا يحول ضيفهم ... ولا يذخرون اللحم أخضر ذوايا

عماد سمائي أصبحت قد تهدمت ... فخري سمائي لا أرى لك بانيا." (١)

"٥٦- الخنساء بنت زهير بن أبي سلمى

ترجمتها

شهرتها بأبيها زهير بن أبي سلمى شاعر المعلقة المشهورة التي جاء فيها:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا

لا أبالك

يسأم

المناسبة

قالت **ترثي** أباها: (من الوافر)

وما يغني توقي الموت شيئا ... ولا عقد التميم ولا الغضار

إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم ... كما من قبل لم يخلد قدار

٥٧- جمعة بنت الخس

ترجمتها

هي أخت هند بنت الخس المشهورة بفصاحتها ونباهتها في سوق عكاظ، وستلي ترجمتها. المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٧٤

قالت في الموعظة والحكمة: (من الطويل)

أشد وجوه القول عند ذوي الحجا ... مقالة ذي لب يقول فيوجز

وأفضل غنم يستفاد ويبتغي ... ذخيرة عقل يحتويها ويحرز

وخير خلال المرء صدق لسانه ... وللصدق فضل يستبين ويبرز

وإنجازك الموعد من سبب الغنى ... فكن موفيا بالوعد وتنجز

ولا خير في حر يريك بشاشة ... تعطي من خلف ع‍ليك ويلمز." (١)

"فغادر معقلا وآخاه حصنا ... عفير الوجه ليس بذي انتهاض

المناسبة

وقالت تبكي زوجها بشر بن عمرو وقد قتل يوم قلاب: (من الوافر)

أعاذلتي على رزء أفيقي ... فقد أشرقتني بالعذل ريقي

فلا وأبيك آسى بعد بشر ... على حي يموت ولا صديق

وبعد الخير علقمة بن بشر ... إذا نزت النفوس إلى الحلوق

ومال بنو ضبيعة بعد بشر ... كما مال الجذوع من الحريق

منت لهم بوائلة المنايا ... بجنب قلاب للحين المسوق

فكم بقلاب من أوصال خرق ... أخي ثقة وجمجمة فليق

ندامي للملوك إذا لقوهم ... حبوا وسقوا بكاسهم الرحيق

هم جدعوا الأنوف وأرغموها ... فما ينساغ لي من بعد ريقي

المناسبة

وقالت في ندب النساء لبشر: (من الوافر)

وبيض قد قعدن وكل كحل ... بأعينهن أصبح لا يليق

أضاع قدورهن مصاب بشر ... وطعنة فاتك فمتى تفيق؟

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٧٦

المناسبة

وقالت ترثي قومها الذين قتلوا يوم قلاب: (من الكامل)

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

الضاربون بحومة نزلت ... والطاعنون وخيلهم تجري." (١)

"قوم إذا ركبوا سمعت لهم ... لغطا من التأبيه الزجر

من غير ما فحش يكون بهم ... في منتج المهرات والمهر

إن يشربوا يهبوا وإن يذروا ... يتواعظوا عن منطق الهجر

لا قوا غداة قلاب حتفهم ... سوق العتير يساق للعتر

هذا ثنائي ما بقيت لهم ... وإذا هلكت وجنني قبري

الخالطون لجينهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر

المناسبة

قالت ترثي أخاها طرفة حين قتل بأمر عمرو بن هند: (من الطويل)

عددنا له خمسا وعشرين حجة ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما انتظرنا إيابه ... على خير حال لا وليدا ولا قحما

المناسبة

وقالت ترثي زوجها بشر بن عمرو: (من الطويل)

وإن بني الحصن استحلت دماءهم ... بنو أسد حار بها ثم والبه

هم جدعوا الأنف الأشم فأوعبوا ... وجبوا السنام فالتحوه وغاربه

عميلة بواه السنان بكفه ... عسى أن تلاقيه من الدهر نائبه

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٠

وقالت تقرع بني أسد قاتلي بشر: (من الوافر)

أ‌لا لا تفخرن أسد علينا ... بيوم كان حينا في الكتاب

فقد قطعت رؤوس من قعين ... وقد نقعت صدور من شراب

وأردينا ابن حسحاس فأضحى ... تجول بشلوه نجس الكلاب." (١)

"المناسبة

وقالت الخرنق في يوم قلاب: (من الكامل)

سمعت بنو أسد الصياح فزادها ... عند اللقاء مع النفار نفارا

ورأت فوارس من صليبة وائل ... صبروا إذا نقع السنابك ثارا

بيضا يحززن العظام كأنما ... يوقدن في حلق المغافر نارا

المناسبة

وقالت الخرنق تندب زوجها **وترثيه**: (من الطويل)

ألا ذهب الحلال في القفرات ... ومن يملأ الجفنات في الحجرات

ومن يرجع الرمح الأصم كعوبه ... عليه دماء القوم كالشقرات

المناسبة

وقالت تصف خروجه للصيد: (من السريع)

يا رب غيث قد قرى عازب ... أجش أحوى في جمادى مطير

سار به أجرد ذو ميعة ... عبلا شواه غير كاب عثور

فألبس الوحش بحافاته ... والتقط البيض بجنب السدير

ذاك وقدما يعجل البازل ال ... كوماء بالموت كشبه الحصير

يبغي عليهما القوم إذا أرملوا ... وساء ظن الألمعي القرور

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨١

آب وقد غنم أصحابه ... يلوي على أصحابه بالبشير

المناسبة

وقالت حين طرد عمرو بن هند ابن مرثد: (من الوافر)

ألا من مبلغ عمرو بن هند ... وقد لا تعدم الحسناء ذاما

كما أخرجتنا من أرض صدق ... ترى فيها لمغتبط مقاما." (١)

"المناسبة

وقالت ترثي عبد عمرو: (من الوافر)

ألا هلك الملوك وعبد عمرو ... وخليت العراق لمن بغاها

فكم من والد لك يا ابن بشر ... تأزر بالمكارم وارتداها

بنى لك مرثد وأبوك بشر ... على الشم البواذخ من ذراها

٦٠- مية بنت ضرار الضبية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في مناسبات القصائد.

المناسبة

قالت ترثي أخاها قبيصة وكان أحد فرسان العرب المشهورين:

أنعي قبيصة للأضياف إن نزلوا ... وللطعان إذا خام العواوير

ما بات من ليلة مذ شد مئزره ... قبيصة بن ضرار وهو موتور

ولا على ريبة يوما يزن بها ... ولا فقيرا وما بالفقر تعيير

لا تعرف الكلم العوراء مجلسه ... ولا يذوق طعاما وهو مستور

الطاعن الطعنة النجلاء عن عرض ... كأنها قبس بالليل مسعور

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٢

التارك القرن مصفرا أنامله ... تحت العجاجة يسفي فوقه المور

المناسبة

وقالت ترثي أخاها: (من الكامل)

لا تبعدن وكل شيء ذاهب ... زين المجالس و الندي قبيصا

يطوي إذا ما الشح أبهم فضله ... بطنا من الزاد الخبيث خميصا

وكأنه صقر بأعلى مربأ ... من كل مرتبأ تراه شخيصا

يسر الشتاء وفارس ذو قدمة ... في الحرب إن حاص الجبان محيصا." (١)

"المناسبة

وقالت مية ترثي أخاها، وتذكر كرمه وشجاعته:

لتجر الحوادث بعد امرئ ... بوادي أشائين أذلالها

كريم ثناه وآلاؤه ... وكافي العشيرة ما غالها

تراه على الخيل ذا قدمة ... إذا سربل الدم أكفالها

وخالت وعولا أشارى بها ... وقد أزهق الطعن أبطالها

ولم يمنع الحي رث القوى ... ولم تخف حسناء خلخالها

٦١ - جمل الضبابية

ترجمتها

لم يترجم لها في كتب التراجم. وهي من بني كلاب.

المناسبة

قالت جمل تصف القتال الدائر بين قبيلتها من بني كلاب وأعدائهم: (من الوافر)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٤

أميمة لو رأيت غداة جئنا ... بحزم كراء ضاحية نسوق

مشينا شطرهم ومشوا إلينا ... كمشي معاجل فيه زهوق

كأن النبل وسطهم جراد ... تكفنه ضحى ريح خريق

فألقينا القسى وكان قتلا ... وضرب الهام كلا ما يذوق

وأما المشرفي فكان حتفا ... وأما المازني فلا يليق

بكل قرارة غادرن خرقا ... من الفتيان مختلق رقيق

وقد كلح المسافر فاستقلت ... فويق لثاتهم فالقوم روق

فأشبعنا الضياع وأشبعونا ... وأضحت كلها بشم نفوق

وأبكينا نساءهم وأبكوا ... نساء ما يسوغ لهن ريق

يعاوين الكلاب بكل فجر ... وقد صحلت من النوح الحلوق." (١)

"٦٣ – وجيهة بنت أوس الضببية

ترجمتها

لم تترجم لها سوى مناسبة النص.

المناسبة

قالت الشاعرة تحن إلى ديارها في الجنوب: (من الطويل)

وعاذلة هبت بليل تلومني ... على الشوق لم تمح الصبابة من قلبي

فمالي إن أحببت أرض عشيرتي ... وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنب

فلو أن ريحا بلغت وحي مرسل ... حفي لناجيت الجنوب على النقب

فقلت لها أدي إليهم رسالتي ... ولا تخلطيها طال سعدك بالترب

فإني إذا هبة شمالا سألتها ... هل ازداد صداح النميرة من قرب

٦٤– أم قيس الضبية

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٥

ترجمتها

لم تترجم لها سوى المناسبة، ولعل زوجها يدعي سعدا، وولدها المرثي ضبة بن سعد.

المناسبة

قالت ترثي ولدها المدعو بابن سعد (من البسيط)

من للخصوم إذا جد الضجاج بهم ... بعد ابن سعد ومن للضمر القود

ومشهد قد كفيت الغائبين به ... في مجمع من نواصي القوم مشهود

فرجته بلسان غير ملتبس ... عند الحفاظ وقلب غير مزؤود

إذا قناة امرئ أزرى بها خور ... هز ابن سعد قناة صلبة العود

المناسبة

وقالت ترثي ابنا لها: (من الكامل)

يا سيف ضبة لا يعضك بعده ... أبدا فتى بجماجم الأقران

جاء الفوارس جانبين جواده ... وأقام فارسه فتى الفتيان." (١)

"٦٥- ريطة بنت عاصية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبة.

المناسبة

قالت ترثي أخاها عمرا وكان شجاعا كريما (من البسيط)

يا لهف نفسي لهفا دائما أبدا ... على ابن عاصية المقتول بالوادي

إذا جاء ينفض عن أصحابه طفلا ... مشي السبنتى أمام الأيكة العادي

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٧

المناسبة

وقالت ترثيه: (من البسيط)

شبت هذيل وبهز بينها ترة ... فلا تبوخ ولا يرتد صاليها

إن ابن عاصية المقتول بينكما ... خلى علي فجاجا كان يحميها

المانع الأرض ذات العرض خشيته ... حتى تمنع من مرعى مجانيها

وليلة يصطلي بالفرث جازرها ... حيرى جمادية قد بت تسريها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... من القريس ولا تسري أفاعيها

كانت هذيل تمنى قتله سلما ... فقد أجيبت فلا تعجل أمانيها." (١)

"٦٨- زوجة أبي العاج الكلبي

ترجمتها

لم تعرف لها ترجمة سوى ما جاء في المناسبة.

المناسبة

هجاها زوجها الشيخ فأجابته شعرا: (من المتقارب)

شنئت الشيوخ وأبغضتهم ... وذلك من بعض أفعاليه

ترى زوجة الشيخ مغبرة ... وتمسي لصحبته قالية

فلا بارك الله في عرده ... ولا في عظام استه البالية

٦٩- زهراء الكلبية

ترجمتها: لم ترد لها ترجمة.

المناسبة

مات زوجها فقالت ترثيه: (من الطويل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٨٨

تأوهت من ذكرى ابن عمي ودونه ... نقا هائل جعد الثرى وصفيح

وكنت أنام الليل من ثقتي بها ... وأعلم أن لا ضيم وهو صحيح

فأصبت سالمت العدو ولم أجد ... من السلم بدا والفؤاد جريح." (١)

"فماذا عساكم أن تقولا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة ... فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا؟

٧٢- امرأة طائية

المناسبة

قالت ترثي زوجها: (من الطويل)

تأوب عيني نصبها واكتئابها ... ورجيت نفسا راث عنها إيابها

أعلل نفسي بالمرجم غيبه ... وكاذبتها حتى أبان كذابها

ألهفي عليك ابن الأشد لبهمة ... أفر الكماة طعنها وضرابها

متى يدعه الداعي إليه فإنه ... سميع إذا الآذان صم جوابها

هو الأبيض الوضاح لو رميت به ... ضواح من الريان زال هضابها

٧٣- أم جميل بنت أمية

المناسبة

قالت تبدي إعجابها بزوجها: (من مجزوء الكامل)

زين العشيرة كلها ... في البدو منها والحضر

ورئيسها في النائبات ... وفي الرحال وفي السفر

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٠

ورث المكارم كلها ... وعلا على كل البشر

ضخم الدسيعة ماجد ... يعطي الجزيل بلا كدر." (١)

"٧٤- أم بسطام بن قيس الشيباني

ترجمتها

اسمها ليلى بنت الأحوص، وكان ولدها بسطام بن قيس سيد بني شيبان أغار على بني ضبة فقتل، يوم الشقيقة.

المناسبة

قالت ليلى **ترثي** ولدها بسطام، وقد قتل في الحرب (يوم الشقيقة) : (من الطويل)

لتبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل ... فقد بان منها زينها وجمالها

إذا ما غدا فيها غدوا وكأنهم ... نجوم سماء بينهن هلالها

فلله عينا من رأى مثله فتى ... إذا الخيل يوم الروع هب نزالها

عزيز مكر لا يهد جناحه ... وليث إذا الفتيان زلت نعالها

وحمال أثقال وعائذ محجر ... تحلل لديه كل ذاك رحالها

سيبكيك عان لم يجد من يفكه ... وتبكيك فرسان الوغى ورجالها

وتبكيك أسرى طالما قد فككتم ... وأرملة ضاعت وضاع عيالها

مفرج حومات الخطوب ومدرك ال ... حروب إذا صالت وعز صيالها

تغشى بها حينا كذالك ففجعت ... تميم بها أرماحها ونبالها

فقد ظفرت منا تميم بعثرة ... وتلك لعمري عثرة لا تقالها

أصيبت به شيبان والحي يشكر ... وطير يرى أرسالها وحبالها." (٢)

"٧٥- زينب بنت فروة بن مسعود الشيباني

ترجمتها

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٢

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٣

هي بنت فروة بن مسعود بن عامر الشيباني، قتل أبوها فروة في وقعة (عين أباغ) وكانت بين مناذرة الحيرة وبين غساسنة الشام.

المناسبة

شهد فروة بن مسعود الشيباني وقعة عين أباغ وقتل فيها، فقالت ابنته زينب **ترثيه**: (من الوافر)

(بعين أباغ) قاسمنا المنايا ... فكان قسيمها خير القسيم

وقالوا ماجدا منكم قتلنا ... كذاك الرمح يكف بالكريم

٧٦- زينب بنت فروة التميمية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى مناسبة ما ورد من شعرها:

المناسبة

كانت أمها أعجمية فقالت تفخر بها: (من الطويل)

وإن ابنة الدهقان كسرى تنولت ... بطعن الكماة واختلاس المعابل

ولم يحتطب أمي على غير ثلة ... ولم يحتطب إلا بطعن المقاتل

إلى الموردات الموت والمصدراته ... أولات المنون كالقني الذوابل

فطارت لوادي الزند لا واهي القوى ... ولا برم نكس كثير الغوائل

من اللابسات الريط زهراء لم تبت ... تحش مع الآماء وقد المراجل

ولم ير في أفناء مرة مثلها ... ولا عند قيسي غنيمة قافل

المناسبة

وقالت زينب بنت فروة في بنتيها: (من الطويل)

وقائله يا ليت أني شهدتهم ... أجل لا ولكن في العديد المؤخر

ولو شهدت يوم الكنيسة بذهم ... جمال رجال في الكنيسة حضر

كأن جلابيبا عليهن قنعت ... شماريخ عر في سحاب كنهور." (١)

"٨٠- كبشة الزبيدية

ترجمتها

هي كبشة بنت معد يكرب الزبيدي أخت الفارس الجاهلي والإسلامي المشهور عمرو بن معد يكرب الزبيدي اليمني.

المناسبة

قتل عبد الله أخو الشاعرة فقالت تعير أخاها عمرا لقعوده عن الأخذ بثأره من بني مازن: (من الطويل)

وأرسل عبد الله إذ حان يومه ... إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكرا ... وأترك في بيت بصعدة مظلم

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم ... وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم

فإن أنتم لم تثأروا واتديتم ... فمشوا بآذان النعام المصلم

ولا تردوا إلا فضول نسائكم ... إذا ارتملت أعقابهن من الدم

جدعتم بعبد الله آناف قومه ... بني مازن إن سب ساقي المحزم

٨١- أم صريع الكندية

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى ما جاء في مناسبتي النصين.

المناسبة

قالت **ترثي** قومها الذين قتلوا في وقعة جيشان: (من الطويل)

سقى مستهل الغيث أجداث فتية ... بجيشان ولينا نحورهم الدما

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٤

صلوا معمعان الحرب حتى تخرموا ... مقاحيم إذهاب الكماة التقحما

هوت أمهم ماذا بهم يوم صرعوا ... بجيشان من أسباب مجد تصرما

ولما اكفهرت من عليهم سحابة ... إذا برقت بالموت أمطرت الدما." (١)

"أبوا أن يفروا والقنا قي نحورهم ... ولم يبتغوا من رهبة الموت سلما

ولو أنهم فروا لكانوا أعزة ... ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

المناسبة

ونشزت على زوجها مرة فقالت: (من الوافر)

كأن الدار يوم تكون فيها ... علينا حفرة ملئت دخانا

فليتك في سفين بني عباد ... طريدا لا نراك ولا ترانا

وليتك غائب بالهند عنا ... وليت لنا صديقا فاقتنانا

ولو أن النذور تكف منه ... لقد أهديتها مئة هجانا

٨٢- صفية الباهلية

المناسبة

قالت **ترثي** أخاها: (من البسيط)

عشنا جميعا كغضني بانة سمقا ... حينا على خير ما تنمى له الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما ... وطاب قنواهما واستنضر الثمر

أخنى على واحد ريب الزمان وما ... يبقي الزمان على شيء ولا يذر

فاذهب حميدا على ما كان من أثر ... فقد ذهبت وأنت السمع والبصر

وما رأيتك في قوم أسر بهم ... إلا وأنت الذي في القوم تشتهر

كنا كأنجم ليل بينا قمر ... يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر." (٢)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٧

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٨

"٨٣- جنوب الهذلية

ترجمتها

لم تعرف لها ترجمة سوى ما جاء في مناسبات القصائد التي نسبت إليها.

المناسبة

قالت **ترثي** أخاها عمرا ذا الكلب الهذلي: (من البسيط)

كل امرئ بمحال الدهر مكذوب ... وكل من غالب الأيام مغلوب

وكل قوم وإن عزوا وإن سلموا ... يوما طريقهم في الشر دعبوب

بينا الفتى ناعم راض بعيشته ... سيق له من نوادي الشر شؤبوب

يلوي به كل يوم لية قذفا ... فالمنسمان معا دام ومنكوب

وكل من غالب الأيام من أحد ... مود فمدركه الشبان والشيب

أبلغ بني كاهل عني مغلغلة ... والقوم من دونهم سعي ومركوب

والقوم من دونهم أين ومسبغة ... وذات ريد بها رضع وأسلوب

أبلغ هذيلا وأبلغ من يبلغها ... عني حديثا وبغض القول تكذيب

بأن ذا الكلب عمرا خيرهم حسبا ... ببطن شريان يعوي حوله الذيب

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب

والتارك القرن مصفرا أنامله ... كأنه من رجيع الجوف مخضوب

تمشي النسور إليه وهي لاهية ... مشي العذارى عليهم الجلابيب

والمخرج الكاعب العذراء مذعنة ... في السبي ينفح من أردانها الطيب

فلن تروا مثل عمرو ما خطت قدم ... وما استحنت إلى أوطانها النيب." (١)

"المناسبة

وقالت أيضا **ترثي** أخاها عمرا: (من البسيط)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٩

يا ليت عمرا وما ليت بنافعة ... لم يغز فهما ولم يهبط بواديها

شبت هذيل وفهم بيننا إرة ... ما إن تبوخ وما يرتد صاليها

وليلة يصطلي بالفرث جازرها ... يختص بالنفر المثرين داعيها

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى الصباح ولا تسري أفاعيها

أطعمت فيها على جوع ومسغبة ... شحم العشار إذا ما قام باغيها

المناسبة

وقالت جنوب الهذلية تندب مصرع أخيها في بني فهم وتشيد بمكارمه: (من المتقارب)

سألت بعمرو أخي صحبه ... فأفظعني حين ردوا السؤالا

فقالوا أتيح له نائما ... أعز السباع عليه أحالا

أتيح له نمرا أجبل ... فنالا لعمرك من منالا

فأقسم يا عمرو ولو نبهاك ... إذا نبها إذا منك أمرا عضالا

إذا نبها غير رعديدة ... ولا طائشا رعشا حين صالا

إذا نبها ليث عريسة ... مفيدا نفوسا وخيلا ومالا

هزبرا فروسا لأعدائه ... هصورا إذا لقي القرن صالا

هما مع تصرف ريب المنون ... من الأرض ركنا ثبيتا أمالا

هما يوم حم له يومه ... وقال أخوفهم بطلا وفالا

وقالوا قتلناه في غارة ... بآية أنا ورثنا النبالا

فهلا إذا قبل ريب المنون ... وقد كان فذا وكنتم رجالا." (١)

"٨٧- بنت حكيم بن عمرو العبدية

المناسبة

قالت ترثي أباها وتحرض قومها على الأخذ بثأره: (من الطويل)

أيرجو ربيع أن يؤوب وقد ثوى ... حكيم وأمسى شلوه بمطبق

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٠

فإن كنتم قوما كراما فعجلوا ... له جرأة من بأسكم ذات مصدق

فإن لم تنالوا نيلكم بسيوفكم ... فكونوا نساء في الملاء المخلق

وقولوا ربيع ربكم فاسجدوا له ... فما أنتم إلا كمعزى الحبلق

٨٨- أم ثواب الهزانية

المناسبة

عقها ولدها المتزوج من امرأة ماكرة فقالت فيه وفي زوجته: (من البسيط)

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه ... أم الطعام ترى في جلده زغبا

حتى إذا آض كالفحال شذبه ... أباره ونفى عن متنه الكربا

أنشا يمزق أثوابي يؤدبني ... أبعد شيبي يبغي عندي الأدبا؟

إني لأبصر في ترجيل لمته ... وخط لحيته في وجهه عجبا

قالت له عرسه يوما لتسمعي ... رفقا فإن لنا في أمنا أربا

ولو رأتني في نار مسعرة ... ثم استطاعت لزدات فوقها حطبا." (١)

"٨٩- أروع بنت الحباب

المناسبة

مات أبوها فقالت ترثيه: (من الكامل)

قل للأرامل واليتامى قد ثوى ... فلتبك أعينها لفقد حباب

أودى ابن كل مخاطر بتلاده ... ولنفسه بقيا على الأحساب

الراكبين من الأمور صدورها ... لا يركبون معاقد الأذناب

٩٠- آمنة بنت عتيبة اليربوعية

ترجمتها

أبوها عتيبة بن شهاب اليربوعي التميمي.

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٤

كان فارس بني تميم، وقتل يوم خو بين ربيعة وتميم، وكنية ابن مية وابنته آمنة.

المناسبة

كان أبو آمنة فارس بني تميم ولما قتل في يوم خو قالت **ترثيه**: (من الوافر)

تروحنا من اللعباء عصرا ... فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

على مثل ابن مية فانعياه ... تشق نواعم البشر الجيوبا

وكان أبو عتيبة شمريا ... فلا تلقاه يدخر النصيبا

ضروبا للكمي إذا اشمعلت ... عوان الحرب لا ورعا هيوبا." (١)

"٩١- ابنة حذاق الحنفي

المناسبة

قتل أبوها فقالت **ترثيه**: (من الطويل)

أعيني جواد بالدموع على الصدر ... على الفارس المقتول في الجبل الوعر

فأن يقتلوا حذاق وابن مطرف ... فإن لدينا حوشبا وأبا الجسر

تبصرت فتيان اليمامة هل أرى ... حذاقا وعيني كالحجاة من القطر

تعاوره أسياف قوم تعودوا ... قراع الكماة لا خنوس ولا ضجر

فيا لهفي أن لا تكون لقيتهم ... بصحراء لا ضيق المكر ولا وعر

فإن لم إنل من دوس ثأري بفتية ... مصاليت لم يكسرهم حدث الدهر

فإن قريشا كان مقتل حاذق ... بأيدهم فاطلب به قاتل الحجر

ففي قتلهم مثل الذي نال من حظى ... بقتل حذاق في العلاء وفي الذكر

٩٢- عمرة الخثمية

ترجمتها

لا ترجمة لها سوى ما جاء في مناسبة النص.

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٥

وخثعم قبيلة من أنمار من كهلان القحطانية.

المناسبة

قالت ترثي ابنيها: (من الطويل)

أبى الناس إلا أن يقولوا هما هما ... ولو أننا اسطعنا لكان سواهما

بنيا عجوز حرم الدهر أهلها ... فليس لها إلا الإله سواهما

لقد زعموا أني جزعت عليهما ... وهل جزع إن قلت وا بأباهما

هما أخوا ... في الحرب

من لا أخاله

إذا خاف يوما نبوة فدعاهما." (١)

"هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

شهابان منا أوقدا ثم أخمدا ... وكان سنى للمدلجين سناهما

إذا نزلا الأرض المخوف بها الردى ... يخفض من جأشيهما منصلاهما

إذا استغينا حب الجميع إليهما ... ولم ينأ من نفع الصديق غناهما

إذا افتقرا لم يجثما خشية الردى ... ولم يخشى رزءا منهما مولياهما

لقد ساءني أن عنست زوجتاهما ... وأن عريت بعد الوجى بعد فرساهما

ولن يلبث العرشان يستل منهما ... خيار الأواسي أن يميل غماهما

٩٣- امرأة عرابية

المناسبة

قالت الأعرابية أم عمرو ترثي ولدها عمرا: (من الكامل)

يا عمرو مالي عنك من صبر ... يا عمرو يا أسفي على عمرو

لله يا عمرو وأي فتى ... كفنت يوم وضعت في القبر

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٦

أحثو التراب على مفارقه ... وعلى غضارة وجهة النضر

حين استوى وعلا الشباب به ... وبدا منير الوجه كالبدر

ورجا أقاربه منافعه ... ورأوا شمائل سيد غمر

وأهمه همي فساوره. .. وغدا مع الغادين في السفر

تعدو به شقراء سامية ... مرطى الجراء شديدة الأسر." (١)

"أو كنت مقتدرا على عمري ... آثرته بالشطر من عمري

قد كنت ذا فقر له فعدا ... ورمي علي وقد رأى فقري

لو شاء ربي كان متعني ... بابني وشد بأزره أزري

بنيت عليك بني أحوج ما ... كنا إليك صفائح الصخر

لا يبعدنك الله يا عمري ... إما مضيت فنحن بالإثر

هذي سبيل الناس كلهم ... لا بد سالكها على سفر

أو لا تراهم في ديارهم ... يتواقعون وهم على ذعر

والموت يوردهم مواردهم ... قسرا فقد ذلوا على قسر

٩٤- امرأة **ترثي** أباها قالت: (من الطويل)

ألا فاقصري عن دمع عينك لن تري ... أبا مثله تنمى إليه المفاخر

وقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق إذا يندبه وقواصر

٩٥- سبيعة بنت الأحب

ترجمتها

لم ترد لها ترجمة سوى مناسبة القصيدة.

المناسبة

قالت سبيعة لابنها خالد تعظم له حرمة مكة المكرمة، وتنهاه عن البغي فيها: (من مجزوءالكامل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٧

أبني لا تظلم بمك ... ة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني ... ولا يـغـرنك الغرور

ابني من يظلم بمكة ... يلق أنواع الشرور." (١)

"٩٦- أميمة بنت أمية

ترجمتها

هي أمية بنت أمية بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

المناسبة

قالت ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية، ومن قتل من قومها يوم عكاظ وهو اليوم الرابع من أيام حرب الفجار: (من مجزوء الوافر)

أبى ليلي أن يذهب ... ونيط الطرف بالكوكب

ونجم دونه الأهوا ... ل بين الدلو والعقرب

وهذا الصبح لا يأتي ... ولا يدنو ولا يقرب

بفقد عشيرة منا ... كرام الخيم والمنصب

أحال عليهم دهر ... حديد الناب والمخلب

فحل بهم وقد أمنوا ... ولم يقصر ولم يشطب

وما عنة إذا ما حل ... من منجى ولا مهرب

ألا يا عين فابكيهم ... بدمع منك مستغرب

فإن أبك فهم عزي ... وهم ركني وهم منكب

وهم أصلي وهم فرعي ... وهم نسبي إذا أنسب

وهم مجدي وهم شرفي ... وهم حصني إذا أرهب

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٠٩

وهم رمحي وهم ترسي ... وهم سيفي إذا أغضب

فكم من قائل منهم ... إذا ما قال لم يكذب." (١)

"٨٩- خالدة بنت هاشم بن عبد مناف

ترجمتها

يترجم لها نسبها القرش فأبوها هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ينتهي إلى فهر وهو قريش.

المناسبة

كان هاشم قد سافر إلى الشام في تجارة، فمات في غزة من أرض الشام فقالت خالدة **ترثي** أباها: (من الخفيف)

عين جودي بعبرة وسجوم ... واسفحي الدمع للجواد الكريم

عين واستعبري وسحي وحمي ... لأبيك المسود المعلوم

هاشم الخير ذي الجلالة والحمد وذي الباع والندى والصميم

وربيع للمجتدين ومزن ... ولزاز لكل أمر جسيم

شمري نماه للعز صقر ... شامخ البيت من سراة الأديم

شيظمي مهذب ذي فضول ... أبطحي مثل القناة وسيم

صادق البأس في المواطن شهم ... ماجد الجد غير نكس ذميم

غالبي مشمر أحوذي ... باسق المجد مضرحي حليم

المناسبة

وقالت خالدة **ترثي** أباها هاشما: (من الوافر)

بكت عيني وحق لها بكاها ... وعاودها إذا تمسي قذاها

أبكي خير من ركب المطايا ... ومن لبس النعال ومن حذاها

أبكي هاشما وبني أبيه ... فعيل الصبر إذ منعت كراها

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١١

وكنت غداة أذكرهم أراها ... شديدا سقمها باد جواها

فلو كانت نفوس القوم تفدى ... فديتهم

وحق لهم فداها."

"٩٩- سبيعة بنت عبد شمس

ترجمتها

هي سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والمطلب عمها. ولم ترد لها ترجمات غير ما ورد في المناسبة

المناسبة

قالت ترثي عمها المطلب بن عبد مناف:

أعيني جودا على المطلب ... بوبل وماء له منسكب

أعيني واسحنفرا واندبا ... حليف الندى وقريع العرب

أخا الجواد والمجد والمعضلات ... إذا انقطع الدر بعد الحلب

وأكدى المساميح والمنعمون ... من أهل الفعال وأهل الحسب

المناسبة

وقالت تذكر الطوي وهي البئر التي حفرها عبد شمس بأعلى مكة عند البيضاء:

إن الطوي إذا ذكرتم ماءها ... صوب السحاب عذوبة وصفاء

١٠٠- عاتكة بنت عبد المطلب

ترجمتها

من عمات النبي صلى الله عليه وسلم. شاعرة، اختلف في إسلامها وكانت يوم وقعة بدر مع مشركي قريش.

المناسبة

يوم عكاظ يوم معدود من أيام حرب الفجار في الجاهلية، وقد كان لكنانة وقريش على هوازن من قيس عيلان: قالت عاتكة تفخر بالانتصار: (من م جزوء الكامل)

سائل بنا في قومنا ... وكفاك من شر سماعه

قيسا وما جمعوا لنا ... في مجمع باق شناعه

فيه السنور والقنا ... والكبش ملتمع قناعه

بعكاظ يمشي الناظرين ... إذا هم لمحوا شعاعه

فيه قتلنا مالكا ... قسرا وأسلمه رعاعه

ومجندلا غادرنه=بالقاع تنهشه ضباعه." (١)

"المناسبة

قالت عاتكة بنت عبد المطلب **ترثي** أباها قبل وفاته: (من المتقارب)

أعيني جواد ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام

أعيني واستعبرا واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالتدام

أعيني واستخرطا واسجما ... على رجل غير نكس كهام

على الجحفل الغمر في النائبات ... كريم المساعي وفي الذمام

على شيبة الحمد واري الزناد ... وذي مصدق بعد ثبت المقام

وسيف لدى الحرب صمصامة ... ومردي المخاصم عند الخصام

وسهل الخليفة طلق اليدين ... وفي عدملي صميم لهام

تبنك في باذخ، بيته ... رفيع الذؤابة صعب المرام

١٠١- صفية بنت عبد المطلب

ترجمتها

هي صفية القرشية عمة النبي صلى الله عليه وسلم، كانت شاعرة باسلة، أسلمت قبل الهجرة. شهدت مصرع أخيها حمزة في معركة أحد. ماتت في المدينة المنورة سنة ٢٠ هجرية.

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١٤

قالت تفخر على قريش: (من الوافر)

ألا من مبلغ عني قريشا ... ففيم الأمر فينا والإمار؟

لنا السلف المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار

وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار

المناسبة

قالت تبكي أباها قبيل وفاته: (من الوافر)

أرقت لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصعيد

ففاضت عند ذلكم دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد." (١)

"على رجل كريم غير وغل ... الفضل المبين على العبيد

على الفياض شيبه ذي المعالي ... أبيك الخير وارث كل جود

صدوق في المواطن غير نكس ... ولا شخب المقام ولا سنيد

طويل الباع أروع شيظمي ... مطاع في عشيرته حميد

رفيع البيت أبلج ذي فضول ... وغيث الناس في الزمن الجرود

كريم الجد ليس بذي وصول ... يروق على المسود والمسود

عظيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثة أسود

فلو خلد امرؤ لكريم مجد ... ولكن لا سبيل إلى الخلود

لكان مخلدا أخرى الليالي ... لفضل المجد والحسب التليد

ومن شعرها الإسلامي

المناسبة

قالت ترثي أخاها حمزة شهيد معركة أحد: (من الطويل)

أسائل عن أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١٥

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضرة ومسيري

على أسد الله الذي كان مدرها ... يذوب عن الإسلام كل كفور

فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبع تقتادني ونسور

أقول وقد أعلى النعي عقيرتي ... جزى الله خيرا من أخ ونصير." (١)

"المناسبة

وقالت ترثي الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: (من الطويل)

ألا يا رسول الله وكنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

١٠٢- برة بنت عبد المطلب

ترجمتها

من بنات عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن لها شهرة أختيها صفية وعاتكة. ولم يذكر شيء عن إسلامها.

المناسبة

بكت أباها بهذه الأبيات، وقيل إنها قالتها بطلب منه قبيل موته: (من المتقارب)

أعيني جودا بدمع درر ... على ماجد الخيم والمعتصر

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١٦

على ماجد الجد واري الزناد ... جميل المحيا عظيم الخطر

على شيبة الحمد ذي المكرمات ... وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الحلم والفضل في النائبات ... كثير المفاخر جم الفخر

له فضل مجد على قومه ... منير يلوح كضوء القمر

أتته المنايا فلم تشوه ... بصرف الليالي وريب القدر." (١)

"١٠٣- أميمة بنت عبد المطلب

ترجمتها

هي بنت عبد المطلب بن هاشم، ولم تكن لها شهرة أخواتها.

المناسبة

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبل وفاته) : (من الطويل)

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد ... وساقي الحجيج والمحامي عن المجد

ومن يألف الضيف الغريب بيوته ... إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى ... فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد

أبو الحارث الفياض خلى مكانه ... فلا تبعدن إذا كل حي إلى بعد

فإني لباك ما بقيت وموجع ... وكان له أهلا لما كان من وجدي

سقاه ولي الناس في القبر ممطرا ... فسوف أبكيه وإن كان في اللحد

فقد كان زينا للعشيرة كلها ... وكان حميدا حيثما كان من حمد

١٠٤-أم حكيم البيضاء

ترجمتها

من بنات عبد المطلب بن هاشم لم تشتهر كأخواتها.

لمناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١٧

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبيل وفاته) : (من الوافر)

لا يا عين جودي واستهلي ... وبكي ذا الندى والمكرمات

ιا يا عين ويحك أسعفيني ... بدمع من دموع هاطلات

وبكي خير من ركب المطايا ... أباك الخير تيار الفرات." (١)

"١٠٥- أروى بنت عبد المطلب

ترجمتها

من بنات عبد المطلب بن هاشم، امرأة فاضلة وشاعرة دخلت في الإسلام وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب ١٥ هجرية.

المناسبة

قالت ترثي أباها (بطلب منه قبل وفاته) : (من الوافر)

بكت عيني وحق لها البكاء ... على سمح سجيته الحياء

على سهل الخليفة أبطحي ... كريم الخيم شيمته العلاء

على الفياض شيبه ذي المعالي ... أبيك الخير ليس له كفاء

طويل الباع أبيض شيظمي ... أعز كان غرته ضياء

أقب الكشح أروع ذو فضول ... له المجد المقدم والسناء

أبي الضيم أبلح هبرزي ... قديم المجد ليس به خفاء

ومعقل مالك وربيع فهد ... وفيصلها إذا التمس القضاء

وكان هو الفتى كرما وجودا ... وبأسا حين تنسكب الدماء

إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذي رأي مصيب ... عليه حين تبصره البهاء

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١١٨

قالت أروى ترثي أباها عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: (من البسيط)

عيني جواد بدمع غير ممنون ... وأهملا إن دمع العين يشفيني

إني نسيت أبا أروى وذكرته ... من غير ما بغضة مني ولا هون

ما زال أبيض مكراما لأسرته ... رحب المحاسن في خصب وفي لين

من آل عبد مناف إن مهلكه ... ولو لقيط رغوب الدهر يعصيني

من الذين متى ما تغش ناديهم ... تلق الخضارمة الشم العرانين." (١)

"١٠٦- أم الفضل بنت الحارث الهلالية

ترجمتها

هي أم عبد الله بن العباس ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم:

المناسبة

قالت وهي ترقص ابنها عبد الله صغيرا: (من الرجز)

ثكلت نفسي وثكلت بكري ... إن لم يسد فهرا وغير فهر

بالحسب الواقي وبذل الوفر ... حتى يوارى في ضريح القبر

١٠٧- ضباعة بنت عامر القشيرية

ترجمتها

شاعرة صحابية، كانت زوجة هشام بن المغيرة في الجاهلية وقد مات قبيل البعثة النبوية.

أما هي فعمرت وماتت نحو ١٠ هجرية.

المناسبة

كانت ترقص ابنها المغيرة وتقول: (من الرجز)

نمى به إلى الذرى هشام ... قرم وآباء له كرام

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٢٠

جحاجح خضارم عظام ... من آل مخزوم هو النظام

والهامة العلياء والسنام

المناسبة

قالت **ترثي** زوجها هشام بن المغيرة: (من الوافر)

إنك لو وألت إلى هشام ... أمنت وكانت في حرم مقيم

كريم الخيم خفاف حشاه ... ثمال لليتيمة واليتيم

ربيع الناس أروع هبرزي ... أبي الضيم ليس بذي وصوم

أصيل الرأي ليس بحيدري ... ولا نكد العطاء ولا ذميم." (١)

"١١٠- سارة القريظية

ترجمتها

امرأة يهودية من بني قريظة كانوا مقيمين بوادي ذي حرض، وذاع مكرهم وفحشهم، فأغار عليهم أبو جبيلة الغساني وقتل كبراءهم وأشرفهم.

ولم يعرف عن الشاعرة سوى ما جاء في المناسبة.

المناسبة

قالت سارة **ترثي** قتلى قومها: (من الوافر)

بنفسي أمة لم تغن شيئا ... بذي حرض تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتهم ... سيوف الخزرجية والرمح

رزئنا والرزية ذات ثقل ... يمر لأجلها الماء القراح

ولو أذنوا بحربهم لحالت ... هنالك دونهم حرب رداح

١١١- خولت بنت ثابت

ترجمتها

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٢١

هي أخت حسان بن ثابت شاعر الأنصار.

المناسبة

قالت تبدي ولعها بعمارة بن الوليد المخزومي: (من المديد)

يا خليلي نابتي سهدي ... لم تنم عيني ولم تكد

فشرابي ما أسيغ وما ... أشتهي ما بي إلى أحد

كيف تلحوني على رجل ... آنس تلتذه كبدي

مثل ضوء البدر صورته ... ليس بالزميلة الكند

من بني آل المغيرة لا ... خامل نكس ولا جحد

نظرت يوما فلا نظرت ... بعده عيني إلى أحد." (١)

"لكن قاتله من لا يعاب به ... من كان يدعى قديما بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن يكون لهم ... مكارم الدين والدنيا بلا لدد

يا أم كلثوم إبكية ولا تدعي ... بكاء معولة حرى على ولد

١١٥- أعرابية من بني عبد ود

المناسبة

كان خالد بن الوليد قدم عليهم ليحطم ودا وهو صنم لهم فقاموا يدرؤون عنه فضرب خالد فتى منهم فقتله فقالت أمه **ترثيه**: (من البسيط)

يا قرحة القلب والأحشاء والكبد ... يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد

لما رأيتك قد أدرجت في كفن ... مطيبا للمنايا آخر الأبد

أيقنت بعدك أني غير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد." (٢)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٢٤

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٢٧

"١١٧-أروى بنت الحارث

ترجمتها

هي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب القرشية كان مقامها في المدينة، وعاشت إلى أيام معاوية بن أبي سفيان: شاعرة فصيحة وجريئة. توفيت عام ٥٠ هجرية.

المناسبة

قالت تجيب هند بنت عتبة على شعرها الذي جاء فيه:

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد ذات سعر

وجاءت أبياتها من الرجز أيضا:

يا بنت جبار كثير الكفر ... خزيت في بدر وغير بدر

صبحك الله قبيل الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر

بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري

رام شبيب وأبوك غدري ... فخضبا منه ضواحي النحر

هتك وحشي حجاب الستر ... ما للبغايا بعدها من فخر

ونذرك السوء فشر نذر

المناسبة

وقالت ترثي عليا رضي الله عنه: (من الوافر)

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا

رزينا خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا

من لبس النعال أو احتذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا

ولا والله لا أنسى عليا ... وحسن صلاته في الراكعينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا." (١)

"١١٨-هند بنت أثاثة بن عباد

ترجمتها

هي هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف. شاعرة قرشية اشتهرت في الجاهلية. أسلمت بعد معركة بدر. تزوجت بعد يوم خيبر من أبي جندب. توفيت نحو سنة ١٠ هجرية.

المناسبة

قالت ترثي النضر بن الحارث بن عبد الطلب: (من الطويل)

لقد ضمت العفراء مجددا وسؤددا ... وحلما أصيلا وافر اللب والعقل

عبيدة فأبكيه لأضياف غربة ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذل

وبكيه للأقوام في كل شتوة ... إذا احمر آفاق السماء من المحل

وبكية للأيتام والريح زفزف ... وتشتيت قدر طالما أزبدت تغلي

فإن تصبح النيران قدمات ضوءها ... فقد كان يذكيهن بالحطب الجزل

لطارق ليل أو لملتمس القرى ... ومستنبح أضحي لديه على رسل." (٢)

"١١٩- قتيلة بنت النضر بن الحارث

ترجمتها

أبوها النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن مناف. كان صاحب لواء المشركين بموقعة بدر. أسر فأمر الرسول بقتله لفرط إساءته إلى الإسلام. وقد أسلمت ومدحت النبي صلى الله عليه وسلم.

المناسبة

قالت ترثي أباها النضر بن الحارث، وتعاتب في قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من الكامل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٣٢

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٣٣

يا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق

مني عليك وعبرة مسفوحة ... جادت بواكفها وأخرى تخنق

هل يسمعن النضر إن ناديته ... بل كيف يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تمزق

صبرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد يا خير صنو كريمة ... في قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

لو كنت قابل فدية لفديته ... بأعز ما يفدى به من ينفق

المناسبة

قيل إن قتيلة بنت النضر بعد أن أسلمت حسن إسلامها، ومدحت النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة منها هذا البيت: (من البسيط)

الواهب الألف لا يبغي بها بدلا ... إلا الإله ومعروفا بما اصطنعا." (١)

"وقالت تعيره أيضا: (من الوافر)

ولما أن رأيت الخيل قبلا ... تباري بالخدود شبا العوالي

صرمت حباله وصددت عنه ... بعظم الساق ركضا غير آل

على ربذ القوائم أعوجي ... شديد الأسرى منكمش التوالي

المناسبة

وقالت تعير قابضا وتعذر عبد الله أخا توبة: (من الطويل)

دعا قابضا والموت يخفق ظله ... وما قابض إذا لم يجب بنجيب

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٣٤

وآسى عبيد الله ثم ابن أمه ... ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

المناسبة

وقالت ليلى الأخيلية **ترثي** حبيبها توبة: (من البسيط)

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف إذا تدعى والجار

وتوب للخصم إن جاروا وإن عدلوا ... وبدلوا الأمر نقضا بعد إمرار

إن يصدروا الأمر تطلقه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار

المناسبة

وقالت ليلى في توبة: (من الطويل)

فتى لم يزال يزداد خيرا لدن مشى ... إلى أن علاه الشيب فوق المسايح

تراه إذا ما الموت حل بورده ... ضروبا على أقرانه بالصفائح." (١)

"شجاع لدى الهيجاء ثبت مشايح ... إذا انحاز عن أقرانه كل سابح

فعاش حميدا لا ذميما فعاله ... وصولا لقرباه يرى غير كالح

المناسبة

قالت ليلى الأخيلية **ترثي** توبة بن الحمير: (من الطويل)

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت منه توائل

ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقى ... صدور العوالي واستشال الأسافل

ونعم الفتى يا توب كنت لخائف ... أتاك لكي يحمي ونعم المنازل

ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى يا توب حين تفاضل

أبى لك ذم الناس يا توب إنما ... لقيت حمام الموت والموت عاجل

ولا يبعدنك الله يا توب إنما ... كذاك المنايا عاجلات وآجل

ولا يبعدنك الله يا توب والتقت ... عليك الغوادي المدجنات الهواطل

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٣٨

المناسبة

وقالت لما قتل توبة: (من الطويل)

نظرت وركن من عماية دوننا ... وبطن الركايا أي نظرة ناظر

لآنس إن لم يقصر الطرف منهم ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصري

فوارس أجلي شأوها عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر

فآنست خيلا بالرقي مغيرة ... سوابقها مثل القطا المتواتر

قتيل بني عوف ويثبر دونه ... قتيل بني عوف قتيل لعامر

تبادره أسيافهم فكأنما ... تصادرن عن حامي الحديدة باتر

من الهند وانيات في كل قطعة ... دم زل عن إثر من السيف ظاهر." (١)

"كأن سنا ناريهما كل شتوة ... سنا البرق يبدو للعيون النواظر

المناسبة

وقالت ليلى الأخيلية تستبكي على توبة: (من الطويل)

لتبك العذارى من خفاجة كلها ... إلى الحول صيفا دائبات ومربعا

على ناشئ نال المكارم كلها ... وما انفك حتى استفرغ المجد أجمعا

المناسبة

ومما قالت في رثاء توبة: (من البسيط)

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد فجعت به ... ماذا أجن به في الحفرة الرجم

من كل صافية صرف وقافية ... مثل السنان وأمر غير مقتسم

ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشئم

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٣٩

وقالت **ترثي** توبة، وتعتبر: (من الطويل)

وآليت أرثي بعد توبة هالكا ... وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... أذا لم تصبه في الحياة المعاير

وما أحد حي وإن عاش سالما ... بأخلد ممن غيبته المقابر

ومن كان مما يحدث الدهر جازعا ... فلا بد يوما أن يرى وهو صابر

وليس لذي عيش عن الموت مذهب ... وليس على الأيام والدهر غابر

ولا الحي مما يحدث الدهر معتب ... ولا الموت إن لم يصبر الحي ناشر

وكل شباب أو جديد إلى بلى ... وكل امرئ يوما إلى الله صائر." (١)

"وكل قريبي ألفة لتفرق ... شتاتا وإن ضنا وطال التعاشر

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

فآليت لا أنفك أبكيك ما دعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر

قتيل بني عوف فيا لهفتا له ... وما كنت إياهم عليه أحاذر

ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر

المناسبة: وقالت ليلى الأخيلية تذكر توبة **وترثيه**: (من الطويل)

أيا عين بكي توبة بن الحمير ... بسح كفيض الجدول المتفجر

لتبك عليه من خفاجة نسوة ... بماء شؤون العبرة المتحدر

سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

كأن فتى الفتيان توبة لم يسر ... بنجد ولم يطلع من المتغور

ولم يرد الماء السدام إذا بدا ... سنا الصبح في بادي الحواشي المنور

ولم يغلب الخصم الألد ويملأ ... الجفان سديفا بوم نكباء صرصر

ولم يعل بالجرد الجياد يقودها ... بسرة بين الأشمسات فأيصر

وصحراء موماة يحار بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسر

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٤٢

يقودون قبا كالسراحين لاحها ... سراهم وسير الراكب المتهجر

فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مجاج بقيات المزاد المغبر

ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاظي البضيع كرة غير أعسر

ممر ككر الأندري مثابر ... إذا ماونين ملهب الشد محضر." (١)

"أرسل إليها توبة مرة يقول:

عفا الله هل أبين ليلة ... من الدهر لا يسرى إلي خيالها

فأجابته:

وعنه عفا ربي وأحسن حاله ... عزيز علينا حاجة لا ينالها

وقالت ترثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أبعد عثمان ترجو الخير أمته ... وكان آمن من يمشي على ساق

خليفة الله أعطاهم وخولهم ... ما كان من ذهب جم وأوراق

فلا تكذب بوعد الله وارض به ... ولا توكل على شيء بإشفاق

ولا تقولن لشيء سوف أفعله ... قد قدر الله ما كل امرئ لاق

وقالت تهجو النابغة الجعدي، وكان قد هجاها بسبب تفضيلها لغيره عليه في الشعر: (من الطويل)

أنابغ لم تنبغ ولم تك أولا ... وكنت صنيا بين صدين مجهلا

أنابغ إن تنبغ بلؤمك لا تجد ... للؤمك إلا وسط جعدة مجعلا

تعيرني داء بأمك مثله ... وأي نجيب لا يقال له هلا." (٢)

"فتى لا يعد الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنا وسيوف

ولا الخيل إلا كل جرداء شطبة ... وكل حصان باليد غروف

فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من ساداتنا بألوف

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٤٣

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٥٠

ومازال حتى أزهق الموت نفسه ... شجا لعدو أو لجا لضعيف

حليف الندى إن عاش يرضى به الندى ... وإن مات لا يرضى الندى بحليف

فإن يك أرداه يزيد بن مزيد ... فيا رب خيل فضها وصفوف

فيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهر ملح بالكرام عنيف

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس همت بعده بكسوف

ولليث فوق النعش إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقوف

بكت تغلب الغلباء يوم وفاته ... وأبرز منها كل ذات نصيف

يقلن وقد أبرزن بعدك للورى ... معاقد حلي من برى وشنوف

كأنك لم تشهد مصاعا ولم تقم ... مقاما على الأعداء غير خفيف

ولم تشتمل يوم الوغى بكتيبة ... ولم تبد في خضراء ذات رفيف

دلاص ترى فيها كدوحا من القنا ... ومن ذلق يعجمنها بحروف

وطعنة خلس قد طعنت مرشة ... على يزني كالشهاب رعوف

ومائدة محمودة قد علوتها ... بأوصال بختي أحذ عليف

المناسبة

وقالت الفارعة **ترثي** أخاها الوليد بن طريف: (من المتقارب)

ذكرت الوليد وأيامه ... إذا الأرض من شخصه بلقع." (١)

"١٥- فاطمة بنت الأحجم الخزاعية

ترجمتها

لم يرد في ترجمتها سوى خبر إسلامها وأنها من الصحابيات، وكانت من أكمل قومها أدبا، وأجرئهم لسانا.

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٦٠

قالت تبكي من قومها الجراح الخزاعي: (من الكامل)

يا عين بكي عند كل صباح ... جودي بأربعة على الجراح

قد كنت لي جبلا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي ... أمشي البراز وكنت أنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... منه، وأدفع ظالمي بالراح

وأغض من بصري وأعلم أنه ... قد بان حد فوارسي ورماحي

وإذا دعت قمرية شجنا لها ... يوما على فنن دعوت صباحي

أمست ركابك يا ابن ليلى بدنا ... صنفين بين مخايض ولقاح

ولقد تظل الطير تخطف جنحا ... منها لحوم غوارب وصفاح

ومطوح قفر دعوت نعامه ... قبل الصباح بضمر أطلاح

وخطيب قوم قدموه أمامهم ... ثقة به، متخمط تياح

جاوبت خطبته فظل كأنه ... لما نطقت مملح بملاح

المناسبة

قالت **ترثي** إخوة لها:." (١)

"المناسبة

ونسب إليها قولها: (من الكامل)

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

المناسبة

وقالت فاطمة **ترثي** أباها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم: (من الكامل)

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٦٤

والأرض من بعد النبي كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكيه مضر وكل يماني
وليبكه الطود الأشم وجوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه ... صلى عليك منزل القرآن

١٧- ابنة عقيل بن أبي طالب
ترجمتها
أبوها عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أخوه علي بن أبي طالب. كان حكيم الجاهلية إلى أن أسلم بعد صلح الحديبية. شهد عزوة مؤتة وثبت يوم حنين. والى معاوية بن أبي سفيان ووفد عليه: توفي ٦٠ هجرية. ولم يترجم لابنة عقيل هذه سوى ما جاء في مناسبة وقعة كربلاء بعد مقتل الحسين:
المناسبة
قالت في وقعة كربلاء بعد مقتل الحسين بن علي عليه السلام: (من البسيط)
ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

المناسبة
وقالت بعد كربلاء: (من الخفيف)

عيني إبكي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي ... قد أصيبوا، وخمسة لعقيل." (١)

"١٩- عاتكة بنت زيد ترجمتها: هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية. شاعرة صحابية حسناء تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق وقتل عنها، ثم تزوجها عمر بن الخطاب فقتل عنها، فتزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها وتزوجها الحسين بن علي فقتل عنها وقد رثت هؤلاء جميعا.

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٦٦

المناسبة

قالت **ترثي** عبد الله بن أبي بكر الصديق، وقد قتل عنها في الطائف: (من الطويل)

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمى في الهياج وأصبرا

إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت يترك الرمح أحمرا

وآليت لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفعك جلدي أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامه أيكة ... وما طرد الليل الصباح المنورا

رزئت بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصرا

المناسبة

وقالت **ترثي** زوجها الثاني عمر بن الخطاب: (من الخفيف)

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملي على الأمين النجيب

فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهاج والتثويب

عصمة الناس والمعين على الد ... هر وغيث المحروم والمحروب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب

المناسبة

وقالت تندد بفعلة (فيروز) أبي لؤلؤة الذي اغتال عمر **وترثي** عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من الطويل)

وفجعني فيروز لا در دره ... بأبيض تال للكتاب منيب

رؤوف على الأدنى غليظ على العدى ... أخي ثقة في النائبات مجيب

متى ما يقل لا يكذب القول فعله ... سريع إلى الخيرات غير قطوب." (١)

"المناسبة

وقالت في رثاء عمر: (من الرمل)

من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طول السهد

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٦٨

جسد لفف في أكفانه ... رحمة الله على ذاك الجسد

فيه تفجيع لمولى غارم ... لم يدعه الهم يمشي بسبد

المناسبة

وقالت **ترثي** عمر أيضا: (من الكامل)

منع الرقاد فعاد عيني عود ... مما تضمن قلبي المعمود

يا ليلة حسبت علي نجومها ... فسهرتها والشامتون هجود

قد كان يسهرني حذارك مرة ... فاليوم حق لعيني التسهيد

أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائح وصعيد

المناسبة

ولما قتل عنها الزبير بن العوام قالت **ترثيه**: (من الكامل)

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع القردد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدي

إن الزبير لذوبلاء صادق ... سمح سجيته كريم المشهد

هبلتك أمك أن قتلت لمسلما ... حقت عليك عقوبة المتعمد

المناسبة

ثم تزوجها الحسين بن علي، فقتل عنها، فقالت **ترثيه**: (من الخفيف)

وحسينا فلا نسيت حسينا ... أقصدته أسنة الأعداء." (١)

"٢٢- سكينة بنت الحسين

المناسبة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٦٩

كانت زوجة مصعب بن الزبير، فلما قتل عنها قالت: (من الطويل)

فإن تقتلوا الماجد الذي ... يرى الموت إلا بالسيوف حراما

وقبلك ما خاض الحسين منية ... إلى القوم حتى أوردوه حماما

٢٣- زينب بنت العوام

ترجمتها

هي زينب بنت العوام بن خويلد الأسدية القرشية شاعرة صحابية. أخت الزبير بن العوام، وزوجة حكيم بن حزام. قتل أبيها عبد الله يوم الجمل، وقتل أبوها فرثتهما. كانت وفاتها نحو ٤٠ هجرية.

المناسبة

فالت ترثي أخاها الزبير، وأبيها عبد الله وقد قتل يوم الجمل: (من الطويل)

أعيني جودا بالدموع فأشرعا ... على رجل طلق اليدين كريم

زبير وعبد الله يدعى لحادث ... وذي خله منا وحمل يتيم

قتلتم حواري النبي وصهره ... وصاحبه فاستبشرا بجحيم

وقد هدني قتل ابن عفان قبله ... وجادت عليه عبرتي بسجوم

وأيقنت أن الدين أصبح مدبرا ... فماذا تصلي بعده وتصومي؟

وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما ... أصيب ابن أروى وابن أم حكيم؟." (١)

"ليث الليوث علينا باسل شرس ... وفي الحرب هيوب الصدر جياض

المناسبة

وقالت في الزواج من الشيوخ: (من المتقارب)

فقدت الشيوخ وأشياعهم ... وذلك من بعض أقواليه

ترى زوجة الشيخ مغمومة ... وتمسي لصحبته قاليه

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٧١

فلا بارك الله في عرده ... ولا في غصون استه الباليه

٢٧- امرأة أبي ثوم الجعفية

ترجمتها

هي امرأة عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وكنيته أبو ثور. وكان فارس اليمن وصاحب الغارات، دخل في الإسلام وارتد مع المرتدين ثم رجع إلى الإسلام وشهد اليرموك والقادسية، وهو شاعر شجاع وحكيم. توفي غازيا مجاهدا، سنة ٢١ هجرية.

المناسبة

قالت امرأته **ترثيه**: (من الطويل)

لقد غادر الركب الذين تحملوا ... بروذة شخصا لا ضعيفا ولا غمرا

فقل لزبيد بل لمذحج كلها ... فقدتم أبا ثور سنانكم عمرا

فإن تجزعوا لا يغن ذلك عنكم ... ولكن سلوا الرحمن يعقبكم صبرا." (١)

"٢٩- أم حكيم، جويرية بنت قارظ

ترجمتها

كانت زوجة لعبد الله بن عباس وحين دخل بسر بن أرطاة قائد معاوية بن أبي سفيان المدينة ليخضعها بعد فتنة عثمان فجعها بولديها، وتركها ذاهلة اللب تبكيهما بأشعار محزنة.

المناسبة

قالت وقد فجعت بولديها: (من مجزوء الكامل)

ألا يا من سبى الأخوي ... ن أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها ... وتستسقي فما تسقى

فلما استيأست رجعت ... بعبرة واله حرى

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٧٦

تتابع بين ولولة ... وبين مدامع تترى

المناسبة

قالت **ترثي** طفليها وقد أرداهما الطاغية بسر بن أرطاة ذبحا: (منالبسيط)

يا من أحس بإبني اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بإبني اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مزدهف

يا من أحسن بإبني اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مختطف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودجي طفلي مرهفة ... مشحوذة وكذاك ا لإثم يقترف

حتى لقيت من أرومته ... شم الأنوف لهم في قومهم شرف

فالآن ألعن بسرا حق لعنته ... هذا لعمر أبي بسر هو السرف

من دل والهة حيرى مولهة ... على حبيبين قد أرداهما التلف." (١)

"٣٣- أم خالد النميرية

المناسبة

قالت **ترثي** ولدها، وكان قد توفي في بعض الغزوات، ودفن في الغربة: (من الطويل)

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه ... أتتنا برياه فطاب هبوبها

أتتنا بمسك خالط المسك عنبر ... وريح خزامى باكرتها جنوبها

أحن لذكراه إذا ما ذكرته ... وتنهل عبرات تفيض غروبها

حنين أسير نازح شد قيده ... وإعوال نفس غاب عنها حبيبها

وقالت أم خالد في رثائه: (من الطويل)

وكيف يساوي خالدا أو نياله ... خميص من التقوى بطن من الخمر

٣٤- أعربية مفجوعة

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٧٨

المناسبة

قالت أعرابية ترثي ابنها الذي فوجئت بمصرعه: (من الخفيف)

ختلته المنون بعد اختيال ... بين صفين من قنا ونصال

في رداء من الصفيح جديد ... وقميص من الحديد مذال

كنت أخباك لاعتداء يد الده ... ر ولم تخطر المنون ببال." (١)

"٣٥- أم سنان بنت جشمة

ترجمتها

امرأة من عرب اليمن، وكانت تقيم في المدينة أيام ولاية مروان ابن الحكيم عليها لمعاوية بن أبي سفيان، جاءت معاوية تشتكي من ظلم مروان، وكانت من أنصار علي بن أبي طالب فأذكرها معاوية بعض شعرها في تأييد علي فلم تنكر.

المناسبة

كان من قولها في تأييد علي بن أبي طالب: (من الكامل)

عزب الرقاد فمقتلي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد

ي آل مذحج لا مقام فشمروا ... إن العدو لآل أحمد يقصد

هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عم محمد ... إن يهدكم بالنور منه تهتدوا

مازال مذ شهر الحرب مظفرا ... والنصر فوق لوائه ما يفقد

المناسبة

قالت أم سنان ترثي عليا رضي الله عنه: (من الكامل)

إما هلكت ... أبا الحسين

فلم تزل

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٨٢

بالحق تعرف هاديا مهديا

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفا كما ... أوصى إليك بنا فكنت وفيا." (١)

"٣٩- هند بنت يزيد الأنصارية

ترجمتها

امرأة صحابية ممتازة بحسن الرأي وجود البيان كانت من أنصار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومن المشجعات على قتال معاوية بن أبي سفيان. كانت مع حجر بن عدي في مناوأة معاوية والدعوة ضده، فلما قتل معاوية حجر بن عدي رثته مرارا.

المناسبة

قالت **ترثي** حجر بن عدي بعد مصرعه على يد معاوية في مرج عذراء من قرى دمشق عام ٥١ هجرية: (من الوافر)

ترفع أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حجرا يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير

تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسديد

وأصبحت البلاد لها محولا ... كأن لم يحيها برق مطير

ألا يا ليت حجرا مات موتا ... ولم ينحر كما نحر البعير

ألا يا حجر حجر بني عدي ... تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عديا ... وشيخا في دمشق له زئير

يرى قتل الخيار عليه حقا ... له من شر أمته وزير

فإن يهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير

المناسبة

وقالت تبكي حجر بن عدي: (من السريع)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٨٣

دموع عيني ديمة تقطر ... تبكي على حجر ولا تفتر

لو كانت القوس على أسرة ... ما حمل السيف له الأعور." (١)

"٥٤- أخت عمرو الأشدق

ترجمتها

أخوها عمر بن سعيد بن العاص الأموي القرشي. لقب بأشدق لفصاحته. قتله عبد الملك بن مروان لطمعه بالخلافة سنة ٧٠ هجرية. وهي زوجة الوليد ولم يحدد المرجع أي وليد من خلال نسبه.

المناسبة

قالت ترثي أخاها الذي قتله عبد الملك بن مروان: (من الطويل)

أيا عين جودي بالدمع على عمرو ... عشية أوتينا الخلافة بالقهر

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل ... وكلكم يبني البيوت على الغدر

وما كان عمرو عاجزا غير أنه ... أتته المنايا بغتة وهو لا يدري

كأن بني مروان إذا يقتلونه ... خشاش من الطير اجتمعن على صقر

لحا الله دنيا تعقب الذل أهلها ... وتهتك ما بين القرابة من ستر

ألا يا لقومي للوفاء وللغدر ... وللمغلقين الباب قسرا على عمرو

فرحنا وراح الشامتون عشية ... كأن على أعناقهم فلق الصخر

٥٥- زينب بنت الطثرية

ترجمتها

أخوها يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطثرية وهي أمة وإليه، نسب. شاعر مطبوع ومقدم عند بني أمية قتل في موقعة بينه وبين بني حنيفة يوم الفلج قرب اليمامة وكان مقتله عام ١٢٦ هجرية. وعرفت صاحبة الترجمة من خلال مناسبة رثائها لأخيها يزيد.

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٨٧

المناسبة

قالت ترثي أخاها: (من الطويل)

أرى الأثل من وادي العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهي القميص كواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله." (١)

"٥٧- عفراء بنت الأحمر الخزاعية

المناسبة

أحبت ابن عمها الحارث الخزاعي وأحبها، ومنعا من الزواج على تقاليد العرب في منع زواج المحبين، فمرض الحارث وكتب إليها شعرا يعلمها بأنه سوف يموت إن لم تكتب له رسالة تقوم مقام العيادة (الزيارة) فأجابته شعرا: (من الطويل)

كفيت الذي تخشى وصرت إلى المنى ... ونلت الذي تهوى برغم الحواسد

ووالله لولا أن يقال تظننا ... بي السوء ما جانبت فعل العوائد

٥٨- عمرة بنت مرداس

ترجمتها

أمها الشاعرة المشهورة بالخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث الشريد من بني سليم، وأبوها مرداس بن أبي عامر السلمي، وهي شاعرة كأمها. رثت أخويها يزيد الذي قتل بثأر، والعباس الذي مات بالشام عام ١٦ هجرية وكان لها ابن اسمه الأقيصر بن نشبة مات غلاما حدثا. توفيت عمرة عام ٤٨ هجرية.

المناسبة

قالت ترثي أخاها يزيد: (من الطويل)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٩٥

أعيني لم أختلكما بخيانة ... أبى الدهر والأيام أن أتصبرا

وما كنت أخشى أن أكون كأنني ... بعير إذا ينعى أخي تحسرا

ترى الخصم زورا عن أخي مهابة ... وليس الجليس عن أخي بأزورا

المناسبة

وقالت في أخيها العباس وقد مات بالشام سنة ١٦ هجرية: (من الطويل)

لتبك ابن مرداس على ما عراهم ... عشيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم ... فكان إليه فضلها وحلالها

ومعضلة للحاملين كفيتها ... إذا أنهكت هوج الرياح طلالها." (١)

"إذ نحن بالأتم نرعاه ونسكنه ... جول فوارسها كالبحر يضطرب

كأن ملقى المساحي من سنابكها ... بين الخبو إلى سعر إذا ركبوا

فيها الذلول وفيها كل معترض ... يفني ضغينته التعداء والخبب

قبا تنازعها الأرسان قافلة ... لا حققات ولا ميل ولا ثلب

المناسبة

وقالت **ترثي** أخاها يزيد أيضا: (من المتقارب)

أجد ابن أمي ألا يؤوبا ... وكان ابن أمي جليدا نجيبا

تقيا نقيا رحيب المقام ... كميا صليبا لبيبا خطيبا

حليما أريبا إذا ما بدا ... سديد المقالة صلبا دريبا

وحسناء في القول منسوبة ... تكتشف عن حاجبيها السبيبا

فشد بمنطقة مقصرا ... فدارت به تستطيف الركوبا

تشف سنابكها بالعرى ... وتطرح بالطرف منها العيوبا

فلما علاها استمرت به ... كما أفرغ الناضحان الذنوبا

وأجرى أجاريها كلها ... ومن كل جري تلاقي نصيبا

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/١٩٨

أتى الناس من بعد ما أملحوا ... فقال: وجدتم مكانا خصيبا

فساروا إليه وقالوا: استقم ... فلم يجدوه هلوعا هيوبا

بقوم إذا أفزعوا مسكوا ... وأدرك منهم ركوب ركوبا

وطعنة خلس تلافيتها ... كعط النساء الرداء الحجوبا

وحوارء في القوم مظلومة ... كأن على دفتيها كثيبا." (١)

"٩٣- لبانة بنت ريطة بن علي

كانت من أجمل النساء تزوجها محمد الأمين، ولم يبن بها، وقتل فقالت ترثيه:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على سيد فجعلت به ... أرملني قبل ليلة العرس

يا فارسا بالعراء مطرحا ... خانته قواده مع الحرس

من للحرب التي تكون بها ... إن أضرمت نارها بلا قبس

من لليتامى إذا هم سغبوا ... وكل عان وكل محتبس

أم من لبر أم من لفائدة ... أم من لذكر الإله في الغلس

٩٤-محبوبة جارية المتوكل

كان للمتوكل جارية اسمها (قبيحة) . كتبت بالمسك على خدها؟ (جعفر) قال المتوكل: فما رأيت شيئا أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد. وطلب المتوكل من علي بن الجهم أن يقول في ذلك شعرا. فبادرت محبوبة من فورها تقول: (من الطويل)

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا

لئن كتبت في الخد سطرا بكفها ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه ... مطيع له فيما أسر وأظهرا

ويا من هواها في السريرة جعفر ... سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا." (٢)

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٢٠٠

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٢٣٩

"أن تميز الصحيح والمنحول من شعر النساء.

وقد [يمسك] لسان امرأة في مصيبتها زمنا إلى الحول إذا فجعت بحبيبها، فلا تقول شيئا مع قدرتها على القول؛ لأنها لا تسلو ولا تفيق، ولا تريد أن تسلو ولا تفيق، كامرأة مالك بن عمرو الغساني، فلما زوجوها بعد زوجها الأول نطقت **ترثيه** ليلة عرسها؛ فكان شعرها طلاقها من بعلها الثاني!

ومن نادر الشعر في مراثي النساء أبيات تروى لامرأة من بني الحارث بن كعب كان لها طفلان من عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان عبيد الله هذا عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن، فوجه معاوية إلى اليمن بسر بن أرطأة فأرشد على الطفلين، فوارتهما أمهما تحت ذيلها، فأخذهما وذبحهما تحت عينيها؛ فكانت تقول في رثائهما وندبهما أبياتا، منها:

يا من أحس بنيي اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بنيي اللذين هما ... سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من أحس بنيي اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

ولا أبلغ في البلاغة ولا أحسن حكاية لصوت البكاء والندب من قولها "بنيي" فهاتان الياءان المشددتان تعصران الدموع عصرا وتصوران غصص العبرات مترددة في حلق الباكية أبدع تصوير.

ولم يكن نساء العرب يقلن في الغزل ووصف الهوى إلا قليلا، لمكان المرأة بينهم وشدة الغيرة فيهم، ثم لا يكون غزلهن إلا عفيفا، كهذه الأبيات التي رواها ثعلب لامرأة من العرب* تقول فيها تصف خلوة مع حبيبها:

وبتنا خلاف الحي لا نحن منهم ... ولا نحن بالأعداء مختلطان

وبتنا يقينا ساقط الطل والندى ... من الليل بردا يمنة عطران

نذود بذكر الله عنا من الصبي ... إذا كان قلبانا بنا يردان**

وهذا المصراع الأخير من أبدع الكنايات ومن أبلغ البلاغة العربية.

فلما تحضر العرب ونشأت طبقة الشعراء العشاق، وبدأ عصر القيان النادبات المغنيات -مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن في طبقتهن- فشا الغزل في شعر النساء، وكان يندر بعد ذلك أن تظهر الشاعرة المتفحلة التي تجري على سنة العربيات، كليلى بنت طريف الشاعرة [الفارسة] التي كانت في أواسط القرن الثاني للهجرة، وكانت تسلك في رثاء أخيها الوليد بن طريف الشيباني الخارجي مسلك الخنساء في رثاء صخر، ولها الأبيات الطائرة التي منها هذا البيت البليغ المشهور في كتب النحاة:

---

* قلت: هي أم ضيغم البلوية.

** قلت: الرواية المشهورة:

إذا كان قلبانا بنا يجفان.." (١)

"وعزاني الناس، فكنت فيهم كالمأسور بينهم: لا أتمنى إلا أن يدعوني فأنجو على وجهي، ولا أرى إلا أنهم يجرعونني الوجود غصصا كما تجرعت الفقد غصة غصة؛ إلى أن تفرقوا مع سواد الليل فانكفأت إلى الدار، فإذا كل شيء قد تغير ولمسه الموت لمسة، وإذا الدار نفسها كالعين المقروحة من آثار البكاء: ما ثم شيء إلا ليطالعني بأن مسراتي قد ماتت!

ولاح الصبح لعيني الساهرتين صبحا فاترا تبينت فيه الخجل، كأنه يقول: "لم أطلع لك" فانسللت من البيت، وذهبت أمشي في دنيا هي الكآبة المضيئة سخرت الأقدار منها بإظهارها في هذا الضوء مظهر وجه العجوز المتصابية في زينة لا تزيدها إلا قبحا!

ومضيت على وجهي لا غاية لي، أضرب في كل جهة كأنما أريد أن أهرب من نفسي! وما خطر لي قط أني يوم جديد، بل كنت عند نفسي لا أزال. أمس، وتغير عندي الزمان والمكان: فأحدهما ساعة موت لا تترك ما فيها، والآخر قبر ميتة لا يرد ما فيه.

آه من الوقت الذي ينتهي فيه الموجود ليعذبنا بالتذكر أنه كان موجودا.

قال المسكين ثم أعادتني قدماي إلى البيت لأرى طفلتي –وما كنت رأيتها– ولقد كانت ولادتها أول الحياة لها، وأول الحياة لي أيضا، إذ لولاها لانتحرت غير شك.

يا ويلتا! لم تلتق عيني بعين الطفلة حتى انفجرت تبكي. أتبكين لي يا ابنتي أم علي؟

أهذا بكاؤك أيتها المسكينة، أم هو صوت قلبك اليتيم؟

أصوتك أنت، أم هي روح أمك تصرخ **ترثي** لي، وتتوجع لفرط ما قاسيت!

يا ابنتي، إنما أنت الحقيقة الصغيرة التي خرجت لي من كل تلك الخيالات الشعرية الجميلة، خيالات الأيام السعيدة التي مرت!

يخلق المواليد من اللحم والدم! وأراك أنت يا مسكينة، خلقت من اللحم والدم والدموع!

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٤٨/٣

بقية حياة ماتت! فهل معنى ذلك إلا أنك بقية موت يحيا؟

مسكينة، مسكينة؛ لو أن نواميس العالم متغيرة لشيء لتغيرت من أجل بؤسك." (١)

"قوة تخرج سلاحها بنفسها، لأن مخلوقها عزيز لم يوجد ليؤكل، ولم يخلق ليذل.

قوة تجعل الصوت نفسه حين يزمجر، كأنه يعلن الأسدية العزيزة إلى الجهات الأربع.

قوة وراءها قلب مشتعل كالبركان، تتحول فيه كل قطرة دم إلى شرارة دم ولئن كانت الحوافر تهيئ مخلوقاتها ليركبها الراكب، إن المخالب والأنياب تهيئ مخلوقاتها لمعنى آخر.

لو سئلت ما الإسلام في معناه الاجتماعي؟ لسألت: كم عدد المسلمين؟

فإن قيل: ثلاثمائة مليون. قلت: فالإسلام هو الفكرة التي يجب أن يكون لها ثلاثمائة مليون قوة.

أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون؟ إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه.

والغني اليوم في الأغنياء الممسكين عن إخوانهم، وهو وصف الأغنياء باللؤم لا بالغنى.

كل ما يبذله المسلمون لفلسطين، يدل دلالات كثيرة، أقلها سياسة المقاومة.

كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك. فافتحوا أنتم أيديكم ...

كانوا يرمون بأنفسهم في سبيل الله غير **مكترثين**، فارموا أنتم في سبيل الحق بالدنانير والدراهم.

لماذا كانت القبلة في الإسلام إلا لتعتاد الوجوه كلها أن تتحول إلى الجهة الواحدة؟

لماذا ارتفعت المآذن إلا ليعتاد المسلمون رفع الصوت في الحق؟

أيها المسلمون! كونوا هناك. كونوا هناك مع إخوانكم بمعنى من المعاني.

لو صام العالم الإسلامي كله يوما واحدا وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها.." (٢)

"تمرين –١٨

الأبيات الآتية بعضها من الوافر والآخر من الكامل، فزن كلا وبين نوع عروضه وضربه وما طرأ على حشوه:

قال أبو فراس:

إنا إذا اشتد الزما ... ن وناب خطب وادلهم

ألفيت حول بيوتنا ... عدد الشجاعة والكرم

وقال إسحاق الموصلي:

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١٣٨/٢

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢١١/٢

كان افتتاح بلائي النظر ... فالحين سبب ذاك والقدر

قد كان باب الصبر مفتتحا ... فاليوم أغلق بابه النظر

وقال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال حبيب:

فسوف يزيدكم ضعة هجائي ... كما وضع الهجاء بني تميم

وقال الشاعر:

ألا ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

قال حسان:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل." (١)

"فكان قائله يحكي ما كان، حتى ظهر الإمام الجوزي والواعظ شمس الدين فنظما منه الحكم والمواعظ، ويصاغ معرب بعض الألفاظ على وزن واحد وقافية واحدة ولا تكون قافيته إلا مردوفة ساكنة الآخر وقبله حرف لين ساكن، ووزنه:

مستفعلن فاعلاتن ... مستفعلن مستفعلان

ومثاله:

قم يا مصلي تضرع ... قبل أن يقولوا كان وكان

مستفعلن فاعلاتن ... مستفعلن فعلان

للبر تجري الجواري ... في السحر كالأعلام

٧- المواليا: وهو من الفنون التي لا يلزم فيها مراعاة قوانين العربية، وهو من البسيط، لولا أن له أضربا تخرجه عنه.

وقد ذكروا في سبب نشأته أن الرشيد لما نكب البرامكة أمر ألا يرثوا بشعر، فرثتهم جارية بهذا الوزن، جعلت تنشد وتقول: يا مواليا، ليكون ذلك منجاة لها من الرشيد؛ لأنها لا ترثيهم بالشعر المنهي عنه.

وهو في الاصطلاح ثلاثة أنواع:

رباعي وهو ما كان أشطر بيتيه مصرعة مثل قول جارية البرامكة:

---

(١) أهدى سبيل إلى علمي الخليل محمود مصطفى ص/٤٤

يا دار أين الملوك أين الفرس ... أين الذين رعوها بالقنا والترس

قالت تراهم زمم تحت الأراضي الدرس ... سكوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

وأعرج: وهو ما اختلف مصرع منه عن الثلاثة الباقية؛ مثل قول بعضهم في الوعظ:

يا عبد ابكي على فعل المعاصي ونوح ... هم فين جدودك أبوك آدم وبعده نوح

دنيا غرورة تجي لك في صفة مركب ... ترمي حمولها على شط البحور وتروح." (١)

"وقد أطلعتهن بكل ارض ... بدورا لا يفارقن التماما

فلم أعدم وايها حسودا ... كما لا تعدم الحسناء ذاما

تم الاختيار من شعر ابن تقي ويليه نبذة من اشعار النساء

من اشعار النساء

هند بنت يزيد الانصارية ترثي أخا لها:

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى ... فتى كان زينا للكواكب والشهب

يلوذ به الجاني مخافة ما جنى ... كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب

تظل بنات العم والخال حوله ... صوادي لا يروون بالبارد العذب

وقالت أم خالد النمرية:

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه ... أتتنا برياه فطاب هبوبها

أتتنا بمسك خالط المسك عنبر ... ريح خزامى باكرتها جنوبها

احن لذكراه إذا ما ذكرته ... وتنهل عبرات تفيض غربها

حنين أسير نازح شد قيده ... وأعوال نفس غاب عنها حبيبها

وأنشد ثعلب لام الضحاك المحاربية وكانت تحب رجلا من الضباب حبا شديدا:

يا أيها الراكب الغادي لطيته ... عرج أبثك عن بعض الذي أجد

ما عالج الناس من وجد تضمنهم ... إلا ووجدي به بعض الذي أجد

حسبي رضاه واني في مسرته ... ووده آخر الأيام اجتهد

وقالت:

هل القلب إلا لاقى الضبابي خاليا ... لدى الركن أو عند الصفا يتحرج

---

(١) أهدى سبيل إلى علمي الخليل محمود مصطفى ص/١١٤

وأعجلنا قرب الفراق وبيننا ... حديث كتشجيج المريضين مزعج

حديث لو أن اللحم يشوى بحره ... غريضا اتى أصحابه وهو منضج

وانشد الزبير بن بكار لحليمة المضرية من بني عبس وقد انشدها المبرد لنبهان العبسي وهو أشبه:

يقر لعيني أن أرى لمكانه ... ذرى عقدات الأجرع المتفاود

وان ارد الماء الذي شربت به ... سليمى وان مل السرى كل واحد

وألصق أحشائي ببرد ترابه ... وان كان مخلوطا بسم الاساود

وقالت الفارعة بنت شداد اخاها مسعود بن شداد:

يا عين بكي لمسعود بن شداد ... بكاء ذي عبرات شجوه بادي

من لا يذاب له شحم السديف ولا ... يجفو العيال إذا ماضن بالزاد

ولا يحل إذا ما حل منتبذا ... يخشى الرزية بين المال والنادي

قوال محكمة نقاض مبرمة ... فتاح مبهمة حباس أوراد

قتال مسغبة وثاب مرقبة ... مناح مغلبة فكاك أقياد

خلال ممرعة فراج مفظعة ... حمال مضلعة طلاع انجاد

حمال ألوية شهاد أندية ... شداد اوهية فراج اسداد

جماع كل خصال الخير قد علموا ... زين القرين نكال الظالم العادي

أبا زرارة لا تبعد فكل فتى ... يوما رهين صفيحات وأعواد

هلا سقيتم بني جرم أسيركم ... نفسي فداؤك من ذي كربة صادي

نعم الفتى ويمين الله قد علموا ... يحلو به الحي أو يغدو به الغادي

هو الفتى يحسد الجيران مشهده ... عند الشتاء وقد هموا بإخماد

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها ... مثعنجم بعدما تغلي بأزباد

والسابئ الزق للاضياف أن نزلوا ... إلى ذراه وغيث المحوج الغادي

خبر جميل السدوسي

قال احمد بن أبي داود كان جميل بن تميم السدوسي بشاطئ الفرات اجتمع عليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه. فبدد جمعه، وظفر به فحمله موثقا إلى باب المعتصم. قال احمد: فما رأيت أحدا عاين الموت فما هاله، ولا شغله عما كان يح=جب عليه

فعله مثله، فإنه لما مثل بين يدي المعتصم، فأحضر السيف والنطع، وأوقف بينهم، تأمله المعتصم وكان جميلا وسيما، فأوجب أن يعلم اين لسانه من منظره، فقال: تكلم يا تميم.

فقال أما إذا أذنت يا أمير المؤمنين، فأنا أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، جبر الله بك صدع الدين، لم بك شعث المسلمين، وأوضح بك سبيل الحق، وأخمد بك الشهاب الباطل. أن الذنوف تخرس الألسن الفصيحة، وتعيي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، ساء الظن، ولم يبق إلا عفوم أو انتقامك، وارجو أن يكون أقربهما مني وأضرعهما إلى أسبقهما بك، وأولاهما بكرمك، ثم أنشد:

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث ما أتلفت." (١)

"وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلمت وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول هيه يا خناس، ويومئ بيده.

وما فتئت تبكي صخرا قبل الإسلام وبعده حتى عميت، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المسرة وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا، فقال: الحمد الله الذي شرفني بقتلهم، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها، وتوفيت سنة ٢٤هـ.

شعرها: أغلب علماء الشر على أنه لم تكن امرأة قبل الخ=نساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضل ليلى الأخيلية عليها لم ينكر أنها ارثى النساء وكان شار يقول لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر العف فيه لقيل وكذلك الخنساء فقيل تلك التي غلبت الفحول، ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها:

قذى بعينيك أم بالعين عوار ... أمة ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

لولا أن أبا بصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت أنك اشعر من بالسوق، وسئل جرير من أشعر الناس قال أنا لولا الخنساء، قيل فبم فضلتك قال بقولها:

إن الزمان (وما يفنى له عجب) ... أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس

إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها **ترثي** أخاها صخرا:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٢٨

ألا تبكيان الجريء الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا

رفيع العماد طويل النجا ... د ساد عشيرته أمردا." (١)

"إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم انتمى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

وإذن ذكر المجد ألفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

ومن قولها **ترثيه** أيضا:

ألا يا صخر إن أبكيت عيني ... فقد أضحكتني زمنا طويلا

دفعت بك الخطوب وأنت حي ... فمن ذا يدفع الخط الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل ... رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومن بديع قولها:

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا ... ونائحة تنوح ليوم نحس

هما كلتاهما تبكي أخاها ... عشية رزئه أو غب أمس

وما يبكين مثل أخي ولكن ... أسلي النفس عنه بالتأسي

فقد ودعت يوم فراق صخر ... أبي حسان لذاتي وأنسي

فيا لهفي عليه ولهف أمي ... أيصبح في الضريح وفيه يمسي

(٣) الخطيئة

هو أبو بكر جرول الحطيئة العبسي، نشأ كما قال الأصمعي جشعا سؤولا ملحفا دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلا قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين، وعاش الحطيئة مدة في الجاهلية وجاء

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١٤٠/٢

الإسلام فأسلم ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاش متنقلا في القبائل يمدح تارة ويذم تلك أخرى، وينتسب إلى عس طورا وطورا إلى ذهل ويهجو." (١)

"أين الملوك ذووا التيجان من يمن ... وأين منهم أكاليل وتيجان

وأين ما شاده شداد في إرم ... وأين ما ساسه في الفرس ساسان

وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عاد وشداد وقحطان

أتى على الكل أمر لا مرد له ... حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك ... كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمان على دارا وقاتله ... وأم كسرى فما آواه إيوان

كإنما الصعب لم يسهل له سبب ... يوما ولا ملك لدنيا سليمان

فجائع الدهر أنواع منوعة ... وللزمان مسرات وأحزان

وللحوادث سلون يسلهلها ... وما لما حل بالإسلام سلون

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له ... هوى له أحد وانهد ثهلان

أصابها العين في الإسلام فارتزأت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن أركان البلاد فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه ... أبعد حمص تغز المرء أوطان." (٢)

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ١٤١/٢

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٨٦/٢

"وقال السيدة تماضر الخنساء المتوفاة سنة ٢٤ هـ

قذى بعينك أم بالعين عوار ... أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذاكرة إذا خطرت ... فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي خناس على صخر وحق لها ... إذ رابها الدهر إن الدهر ضرار

لا بد من ميتة في صرفها عبر ... والدهر في صرفه حول وأطوار

يا يخر وراد ماء قد تواردة ... أهل الموارد في ورده عار

وإن صخرا لحامينا وسينا ... وغن صخرا إذا نشتوا لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلى بيته الجار

مثل الرديني لم تنفد شبيبته ... كأنه تحت طي البرد أسوار

طلق اليدين بفعل الخير معتمد ... ضخم الدسعية بالخيرات أمار

حمال ألوية هباط أودية ... شهاد أندية للجيش جرار

وقالت أعرابية ترثي ابنها

أيا ولدي قد زاد قلبي تلهبها ... وقد حرقت مني الشؤون المدامع

وقد أضرمت نار المصيبة شعلة ... وقد حميت مني الحشا والأضالع

وأسأل عنك الركب هل تخبرونني ... بحالك كيما تستكن المضاجع

فلم يك فيهم مخبر عنك صادق ... ولا فيهم من قال إنك راجع

فيا ولدي غبت كدرت عيشتي ... فقلبي مصدوع وطرفي دامع

وفكري مسقوم وعقلي ذاهب ... ودمعي مسفوح وداري بلا قع." (١)

"إن قيل على "توحيدة" الحسن التي ... قد غاب بدر جمالها المستور

قلبي وجفني واللسان وخالقي ... راض وباك شاكر وغفور

متعت بالرضوان في خلد الرضا ... ما ازنيت لك غرفة وقصور

وسمعت قول الحق للقوم داخلوا ... دار السلام فسعيكم مشكور

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٣٩١

هذا النعيم به الأحبة تلتقي ... لا عيش إلا عيشه المبرور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي عائشة هانم تيمور

ألا يا موت ويحك لم تراع ... حقوقا للطروس ولا اليراع

تركت الكتب بالكية بكاء ... يشيب الطفل في عهد الرضاع

ولم تهب الفضائل والمعالي ... وطول السعي في خير المساعي

ولم يمنعك مما رمت نثر ... ولا شعر ولا حسن ابتداع

نراك تجود بالأرزاء حتى ... عددنا البخل من كرم الطباع

فذب يا قلب لا تك في جمود=وزد دمع لا تك في امتناع

ولا تبخل علي وكن جموما ... فكنز العلم أمسى في ضياع

سنبقى بعد عائشة حيارى ... كسرب في الفلاة بغير راع

لقد فقدت ولم تفقد علاها ... وهل شمس تغيب بلا شعاع

هي الدر المصون ببطن أرض ... وقد كانت كذلك في قناع

هي البحر الخضم ومات سمعنا ... بأن البحر يدفن في التلاع

لها القدح المعلى في العوالي ... وفي نشر المعارف طول باع

فيا شمس المحامد غبت عنا ... وخلفت البكاء لكل ناع

ويا خير النساء بلا خوف ... وقدوتنا بلا أدنى نزاع

لقد أحييت ذكر نساء مصر ... وجددت العلا بعد انقطاع

وشدت صروح طهر باذخات ... محصنة كتحصين القلاع." (١)

"وسأل (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - أحد أولاد (زهير) : "ما فعلت الحلل التي كساها (هرم) أباك؟ "، قال: "قد أبلاها الدهر". قال عمر: ولكن الحلل التي كساها أبوك (هرما) لم يبلها الدهر". ويروى عنه أيضا أنه قال لبعض ولد (هرم) : "أنشدني بعض مدح (زهير) أباك، فأنشده". فقال: "إنه كان ليحسن فيكم المدح". قال: "ونحن والله كنا لنحسن له العطية". قال: "قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم".

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٢/٣٩٤

وقيل: لم يترك (زهير) من آل (أبي حارثة) وهوجد (هرم) غنيا ولا فقيرا إلا مدحه.

موت زهير

كان (زهير) قد رأى في منامه في آخر عمره أن آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده (كعب) . ثم قال: "إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه". هم توفي قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام بسنة. فلما بعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - خرج إليه ولده (كعب) بقصيدته (بانت سعاد) المشهورة، وأسلم.

وروي أيضا أنه رأى في منامه أن سببا تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس يمسكونه. وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه. فأوله بنبي آخر الزمان، فإنه واسطة بين الله وبين الناس، وإن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه. فأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره.

وكانت وفاته سنة (٦٣١) لميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام.

ولما مات (زهير) قالت أخته (خنساء) **ترثيه**:

وما يغني توقي المرء شيئا، ... وعلا عقد التميم ولا الغضار

إذا لاقى منيته فأمسى ... يساق به، وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يوم، ... كما من قبل لم يخلد قدار

الكلام على شعره

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء - كما قدمنا - وكما أن امرأ القيس امتاز بتلطيف المعاني، وابتداع الأساليب، واستنباط الأفكار، فقد امتاز (زهير) بما نظمه من منثور الحكمة البالغة، وكثرة الأمثال وسني المدح، وتجنب وحشي الكلام، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ.

وكان لزهير أخلاق عالية، ونفس كبيرة، مع سعة صدر وحلم وورع. فرفع القوم منزلته وجعلوه سيدا. وكثر ماله واتسعت ثروته. وكان مع ذلك عريقا في الشعر.

قال ابن الأعرابي: "لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعرا، وخاله شاعرا، وأخته (سلمى) شاعرة، وأخته (الخنساء) شاعرة، وابناه (كعب) و (بجير) شاعرين، وابن ابنه (المضرب بن كعب) شاعرا. ولهذا قال الأخطل: "أشعر الناس قبيلة (بنو قيس) ، وأشعر الناس بيتا آل (أبي سلمى) ، وأشعر الناس رجلا ف رجل في قميصي". يعني نفسه.

وكان لشعره تأثير كثير في نفوس العرب. وهو واسطة عقد الفحول من شعراء الطبقة الأولى.

وكان (عمر بن الخطاب) جالسا مع قوم يتذاكرون أشعار العرب إذ أقبل (ابن عباس) فقال عمر: "قد جاءكم أعلم الناس بالشعر". فلما جلس قال: "يا ابن عباس، من أشعر الناس؟ ". قال: "زهير بن أبي سلمى"، قال: "فهل تنشد شيئا تستدل به على ما قلت؟ "، قال: نعم، امتدح قوما من (غطفان) يقال لهم (بنو سنان) فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من أحد ... قوم، لأولهم يوما إذا قعدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

ومن محاسن شعر زهير قوله:

ولا تكثر على ذي الضغن عتبا، ... ولا ذكر التجرم للذنوب

ولا تسأله عما سوف يبدي، ... ولا عن عيبه لك في المغيب

متى تك في صديق أو عدو ... تخبرك الوجوه عن القلوب

قال ابن الأعرابي: "أم أوفى التي ذكرها (زهير) في شعره كانت امرأته فولدت منه أولادا ماتوا، ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى وهي أم ابنيه (كعب) و (بجير) ، فغارت من ذلك وآذته، فطلقها، ثم ندم، فقال فيها:

لعمرك (والخطوب مغيرات، ... وفي طول المعاشرة التقالي)

لقد باليت مظعن أم أوفى، ... ولكن أم أوفى ما تبالي." (١)

"ابن سعد عنه نحوه.

أشعار صفية عمته عليه السلام

وأخرج الطبراني عن عروة قال: قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها **ترثي** رسول الله صلى الله عليه وسلم

لهف نفسي وبت كالمسلوب ...

أرقب الليل فعلة المحروب

من هموم وحسرة أرقتني ...

ليت أني سقيتها بشعوب

حين قالوا إن الرسول قد أمسى ...

---

(١) رجال المعلقات العشر مصطفى الغلاييني ص/٠٣.

وافقته منية المكتوب

حين جئنا لآل بيت محمد ...

فأشاب القذال أي مشيب

حين رينا بيوته موحشات ...

ليس فيهن بعد عيش غريب

فعراني لذاك حزن طويل ...

خالط القلب فهو كالمرعوب

وقالت أيضا:

ألا يا رسول الله كنت رخاءنا ...

وكنت بنا برا ولم تك جافيا." (١)

"عمرة النجارية

(٢١ - ٩٨ هـ = ٦٤٢ - ٧١٦ م)

عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة بن عدس، من بني النجار: سيدة نساء التابعين.

فقيهة، عالمة بالحديث ثقة. من أهل المدينة. صحبت عائشة أم المؤمنين، وأخذت الحديث عنها.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمرة، فاكتبه، فاني خشيت دروس العلم وذهاب أهله (١) .

عمرة بنت الخنساء

(٠٠٠ - نحو ٤٨ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٦٨ م)

عمرة بنت مرداس بن أبي عامر السلمي. أمها الخنساء: شاعرة كأمها. كان لها أخوان (يزيد، والعباس) فقتل يزيد بثأر قيس بن الأسلت، ومات العباس في الشام (سنة ١٦ هـ فجعلت **ترثيهما** وتندبهما، فأشبه حديثها حديث أمها من قبلها. وقد اختار أبو تمام بعض شعره عمرة في ديوان الحماسة (٢) .

عمرة بنت النعمان

---

(١) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ٣/٥٥

(٠٠٠ - ٦٧ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٧ م)

عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية: امرأة المختار الثقفي. كانت من ذوات الأدب والحسب والنسب. ولما قتل " المختار " جئ بها إلى مصعب ابن الزبير، فسألها عما تقول في زوجها، فأثنت عليه، فحبسها مصعب وكتب إلى أخيه عبد الله أنها تزعم نبوة المختار، فأمره بقتلها، فقتلها ليلا، بين الكوفة

---

(١) تهذيب التهذيب ١٢: ٤٣٨ ودول الإسلام ١: ٥٠ وخلاصة تهذيب الكمال ٤٢٥ وطبقات ابن سعد ٨: ٣٥٣.

(٢) التبريزي ٣: ٦٩ والدر المنثور ٣٥٢.." [١]

"الكاهن = عوف بن عامر

الكاهن = سلمة بن أسحم

الكاهن (سطيح) = ربيع بن ربيعة

الكاهنة = طريفة بنت الخير

كاي (البلجيكي) = هنري كسلز (١٣٢١)

كايتاني = ليونه كايتاني

كب

كبريت = محمد بن عبد الله ١٠٧٠

الكبسي = القاسم بن محمد ١٢٠١

الكبسي = الحسن بن يحيى ١٢٣٨

الكبسي = محمد بن إسماعيل ١٣٠٨

الكبسي = حسين بن محمد ١٣٦٧

ابن أبي كبشة = يزيد بن جبريل

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٧٢/٥

كبشة بنت رافع

(٠٠٠ - بعد ٥ = ٠٠٠ - بعد ٦٢٦ م)

كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، الأنصارية الخدرية: صحابية شاعرة. هي أم " سعد بن معاذ " عاشت في الجاهلية وصدر الإسلام. ومات ابنها " سعد " سنة ٥ هـ فندبته بقولها: ويل أم سعد سعد صرامة وجدا وسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك. فقال: كل نادبة تكذب إلا نادبة سعد! (١) .

كبشة

(٠٠٠ - نحو ٢٠ هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٤٠ م)

كبشة بنت معدي كرب الزبيدي: شاعرة صحابية. أورد لها أبو تمام (في الحماسة) بياتا **ترثي** بها أخا لها اسمه " عبد الله " وتحرض أخاها الثاني " عمرو ابن معدي كرب " على الأخذ بثأره.

وقيل أراد عمروأخذ الدية، فقالت

---

(١) الإصابة: كتاب النساء، ت ٩١٢.." (١)

"والغرباء ممن يرد إلى المدينة وليس لهم من جار ومعين، ومن أهل مكة كذلك.

فهو توثيق وتتمة لعمل "هاشم".

ونجد هذه الدعوة الإنسانية في مساعدة الجار والفقير في الشعر: في مثل قول الشاعر:

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم ... وجاراتهم غرثى يبتن خمائصا١

وهو بيت يمثل المثل الجاهلية العليا التي تجسمت في الجوار وفي المروءة والإحسان والحمية وأمثال ذلك.

ونجد مثل هذه النزعة في قول الشاعر:

هنالك إن يستحبلوا المال يحبلوا ... وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

وفي قول "الخرنق بنت هفان" **ترثي** زوجها "عمرو بن مرثد" وابنها "علقمة بن عمرو" وأخويه حسان

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٢١٨/٥

وشرحبيل، حيث قالت في جملة ما قالته:

والخالطين نحيتهم بنضارهم ... وذوي الغنى منهم بذي الفقر٢

والنحيت الدخيل في القوم، والنضار الخالص النسب٣. فهم قوم كرام، لم يفرقوا بين الدخيل والأصيل، ولا بين الغني والفقير، فنال الدخيل ما عند الأصيل، وشارك ذو الفقر والمدقعة الغني في ماله، وهو أعز شيء عند الإنسان، لأنه أبى أن يستأثر به، وجاره فقير ليس عنده ما يسد حاجته.

فمجتمعهم مجتمع "خليط، و"الخليط: القوم الذين أمرهم واحد"، والمشارك الحقوق. وفي الحديث: الشريك أولى من الخليط. والخليط أولى من الجار.

وأراد بالشريك: المشارك في الشيوع٤.

ونجد فكرة مساعدة الفقير، والاستهانة بالمال بإنفاقه على المعوزين، والإنعام به على الفقراء، في أبيات أخرى في مثل:

---

١ الأمالي للقالي "٢/ ١٥٨".

٢ الأمالي للقالي "٢/ ١٥٨".

٣ ويروى لحاتم الطائي، تاج العروس "١/ ٥٩١" "نحت".

٤ تاج العروس "٥/ ١٣٢"، "خلط".." (١)

"يستأجرون النادبات ليندبن الموتى١.كما كان الرومان يتبعون هذه السنة.

وكلمة "الرثاء" من الكلمات الجاهلية وهي تعني بكاء الميت وتعديد محاسنه، ونظم الشعر فيه، ويقال للمرأة النواحة، والتي ترثي بعلها أو غيره من الأقارب والأعزاء ممن يكرم عندها "الرثاءة" و"الرثاية"٢. وأما "المناحة"، فهي اجتماع النساء في مناحة لإظهار حزنهن على الميت. ويقال للاجتماع "نياحة" أيضا. والكلمة من الكلمات الجاهلية كذلك٣. ويفهم كثير من الناس من كلمة "مأتم" المصيبة وإظهار الحزن والنوح والبكاء، وليس هو كذلك، وإنما "المأتم" في عرف أهل اللغة المجتمع يجتمع فيه النساء في حزن أو فرح في خير أو شر، ويطلق على اجتماعات الرجال والنساء٤.

وفي الشعر الجاهلي أبيات يحث فيها الشعراء أهلهم ويوصونهم بالبكاء وبالنوح عليهم إذا ماتوا. فقد ذكروا أن طرفة بن العبد خاطب ابنة أخيه معبد بهذا البيت:

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٨٥/٩

فإن مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبده

وذكروا أن الشاعر حازم بن أبي طرفة الحارث بن قيس الشداخ الكناني، وهو شاعر جاهلي أوصى ابنته لما شعر بدنو أجله بأن تبكي والدها وأن تندبه وتذكر محامده وفعاله، وذلك في هذين البيتين:

بنية إن الموت لا بد لاحق ... بشيخك ماضي الأنام المودع

فإن قمت تبكيني فقولي أبو الندى ... ومأوى رجال بائسين وجوع٦

أما الشاعر لبيد، فقد أوصى ابنته بهذه الوصية لما حضرته الوفاة:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟

---

١ قاموس الكتاب المقدس "٢/ ٢٠٠".

٢ تاج العروس "١٠/ ١٤٤".

٣ تاج العروس "٢/ ٢٤٣"، "نوح".

٤ تاج العروس "٨/ ١٧٩".

٥ بلوغ الأرب "٣/ ١٠١".

٦ الآمدي المؤتلف "ص١٠٠".." (١)

"ودعوى الأخباريين هذه فيها نظر، والشعر المذكور والقصص الذي يورده أهل الأخبار يحتاج إلى إثبات. وقد رأينا كثيرا منه تعمله معامل الوضع، وقد ثبت وضعه، وليس بمستبعد أن يكون ما ذكره هؤلاء هو من هذا القبيل. وضعه خصوم تميم للطعن فيها، وإلحاق مثلبة بها، ثم روجه وأشاعه الطالبون لمثالب القبائل من العرب، وقد كانوا يبحثون عن أمثال هذه السقطات، وهم جماعة لهم رأي في الدين وفي السياسة معروف مشهور.

وفي بعض الأخبار أن "دختنوس" كانت ابنة "لقيط بن زرارة التميمي"، وأنها كانت تحت "عمرو بن عدس" سماها أبوها "دختنوس" باسم ابنة كسرى، وأن البيتين اللذين ينسبهما أهل الأخبار إلى "حاجب" ويزعمون أنه قالهما حين نكح ابنته وهما:

يا ليت شعري عنك دختنوس ... إذا أتاها الخبر المرموس

أتسحب الذيلين، أم تميس؟ ... لا بل تميس، إنها عروس

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٥٣/٩

لم يكونا لحاجب، بل كانا من رجز "لقيط" وقد قالهما يوم شعب جبلة عند موته، وجعلت بنو عامر يضربونه، وهو ميت، وقد رووهما على هذه الصورة:

يا ليت شعري اليوم دختنوس ... إذا أتاها الخبر المرموس

أتحلق القرون، أم تميس؟ ... لا بل تميس إنها عروس.

وذكروا أن "دختنوس" أخذت ترثي أباها بأبيات ذكروها. وليس في كل هذه القصة أية إشارة إلى تزوج لقيط بابنته، بل هي تنص على أن زوجها كان "عمرو بن عدس". وأن قصة زواج "حاجب" بابنته قصة مصنوعة.

وقد أشار أهل الأخبار إلى نوع آخر من الزواج قالوا له: "نكاح الخدن" وقد أشير إليه في القرآن الكريم ﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان﴾ ، ومعناها اتخاذ أخلاء في السر، وذلك باتخاذ الرجل

---

١ بلوغ الأرب "٢/ ٢٣٥".

٢ الأغاني "١٠/ ٣٨"، تاج العروس "٤/ ١٤٧"، "دختنوس".

٣ الأغاني "١٠/ ٣٨"، بلوغ الأرب "٢/ ٢٣٥ وما بعدها".

٤ النساء، الآية ٢٥، المائدة، الآية ٥، الأنعام، الآية ١٥١.." (١)

"قد كتبت بهذه الطريقة حسب. وسبب عدم وصول هذه الصحف إلينا، أنها من مادة سريعة العطب، لذلك لم تتمكن من المحافظة على حياتها فذهبت مع أهلها، وقد يعثر على شيء منها مدفون تحت الأرض بصورة يمكن أن يستفاد منها كما استفيد من المسند المنقوش على الحجر.

وورد أن رجلا قال لابن عباس: "معاشر قريش، من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يبعث محمد -صلى الله عليه وسلم- تجمعون منه ما اجتمع، وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن أمية. قال: فممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، قال: فممن أخذه ابن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قال: فممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل الحيرة، قال: فممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طارئ طرأ عليهم من اليمن من كندة. قال: فممن أخذه ذلك الطارئ؟ قال: الخفلجان بن الوهم كاتب الوحي لهود، عليه السلام"١.

وذكر بعض العلماء أن أول من وضع الخط العربي وألف حروفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم، كانوا

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢١٧/١٠

نزولا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها، وسموها الروادف، وهي: ثخذ ضظغ٢.

وذكر بعض أهل الأخبار أن "كلمن" كان رئيس ملوك مدين الذين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، وقد هلكوا يوم الظلة، فقالت ابنة كلمن **ترثي** أباها:

كلمن هدم ركني ... هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الـ ... حتف نارا وسط ظله

جعلت نار عليهم ... دراهم كالمضمحله٣

---

١ المزهر "٢/ ٣٤٩".

٢ حكمة الإشراق "٦٤"، "ستة أشخاص من طفيم"، نزهة الجليس "٢/ ٦٣".

٣ نزهة الجليس "٢/ ٦٣"، المزهر "٢/ ٣٤٨".

كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحله." (١)

"تسعى فولت هاربة. فقال لها نساء الحي: ما الذي كان ابنك متأبطا له؟ فقالت: تأبط شرا! وقيل: إنه رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت أبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فرمى به، فإذا هو الغول. فقال له قومه: ما كنت متأبطا يا ثابت؟ قال: الغول. قالوا: لقد تأبطت شرا، فسمي بذلك. وإنه قال في ذلك:

تأبط شرا ثم راح أو اغتدى ... يوائم غنما أو يشيف على ذحل

وقيل سمي بهذا البيت. قال رجل لتأبط شرا: "بم تغلب الرجال وأنت دميم ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شرا، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت"١. وقيل إنما سمي "تأبط شرا"، لأن أمه رأته وقد تأبط جفير سهام وأخذ قوسا، فقالت له: هذا تأبط شرا، أو تأبط سكينا فأتى ناديهم فوجأ بعضهم، فسمي به لذلك، وكان لا يفارقه سيفه. قتلته هذيل في رواية، وقالت أخته **ترثيه**:

نعم الفتى غادرتم برخمان ... بثابت بن جابر بن سنان

وكانت تسمى "ريطة". وذكر أن أمه هي التي رثته. وقد ذكر في أشعار هذيل٢.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٦٤/١٥

وكان سبب قتله، أنه خرج غازيا في نفر من قومه، إذ عرض لهم بيت من هذيل، بين صدى جبل، فأراد مهاجمته، فمنعه من كان معه من مباغتته، لخروج ضبع اعتافوا منه، فلم يبال بتشاؤمهم، فلما قارب البيت رآه غلام، فهرب إلى الجبل، فهجم تأبط شرا مع جماعته على البيت، فقتلوا شيخا وعجوزا،

---

١ الأغاني "٢١/ ١٤٦"، شرح حماسة أبي تمام "١/ ٥٧"، السيوطي، شرح شواهد "١/ ٥٢".

٢ تاج العروس "٥/ ١٠٠"، "أبط" قال مليح الهذلي:

ونحن قتلنا مقبلا غير مدبر ... تأبط ما ترهق بنا الحرب ترهق

اللسان "٧/ ٢٥٤"، "أبط".

ويل أم طرف قتلوا برخمان ... بثامت بن جابر بن سنان

الشعر والشعراء "١/ ٢٢٩"، "دار الثقافة"، الأغاني "١٨/ ٢٠٩"، "بولاق"، المغتالين "٢١٥"، الخزانة "١/ ٦٦".." (١)

"الوفاء وشهر هذا الذي يريد أن يحمله على الغدر تشهيرا يدرك عاره كل من في عكاظ.

٤- معاظمة في المصائب:

أيام حوزة والأثل وملحان، ذهبت بوالد الخنساء عمرو بن الشريد وبأخويها صخر ومعاوية، فطفقت الخنساء تبكي قتلاها ولا تزداد على الأيام إلا إعظاما لمصيبتها، فقرحت أجفان الناس بما بكت على هؤلاء وخاصة أخاها صخرا.

انحدرت هذه الشاعرة العظيمة إلى عكاظ تسجل فيها رسميا أنها أعظم العرب مصيبة، فليس أحد أصيب بما أصيبت، فكانت تنزل كل عام على هودج سومته لتلفت إليها الأنظار، وجرت على هذه العادة أعواما.

ثم كانت وقعة بدر التي انتصف فيها الإسلام من مناوئيه، وقتل فيها من أعدائه صناديد قريش: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. "فأقبلت هند بنت عتبة **ترثيهم**، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وقد." (٢)

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٠٩/١٨

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني ص/٢٩٧

"وعلى أي حال، فلم ينس أصحابنا الأخباريون أن يختلقوا تعليلا للاسم، فهي "يثرب" نسبة إلى "يثرب بن قانية بن مهلائيل من ولد سام بن نوح" أو "يثرب بن قائد بن عبيل بن مهلائيل"، هو أول من نزل بها عند تفرق ذرية نوح، على زعم، وهي من الثرب بمعنى الفساد، أو **الترثيب** أي المؤاخذة بالذنب، على زعم آخر، هي نسبة إلى رئيس العماليق الذين نزلوا بها بعد أن طردوا منها بني عبيل، من ولد سام كذلك، على زعم ثالث، بل إن هناك رواية رابعة -تنسب إلى ابن عباس- وتذهب إلى أن يثرب في الأصل إنما كان اسما لابن عبيل، الذي هو أول من نزل المدينة١.

وأما اسم المدينة، والذي جاء في القرآن الكريم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ ٢ ويقول: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ ٣ ويقول: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة﴾ ٤، فهو اسم شرفها به المصطفى -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حتى وإن رأى البعض أن الاسم مأخوذ

---

١ وفاء الوفا ١/ ٨، ١٠٩-١١٠، خلاصة الوفا ص٧، ١٥٥، الاشتقاق ٢/ ٣٥٠، البكري ٤/ ١٣٨٩، ياقوت ٥/ ٤٣٠، تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٨٦، أحمد بن عبد الحميد العباسي: عمدة الأخبار في مدينة المختار ص٤١-٤٢، مروج الذهب ٢/ ١٢٧، أنساب الأشراف للبلاذري ص٦، عبد القدوس الأنصاري: المرجع السابق ص١٧٧.

٢ تفسير روح المعاني ١١/ ٩-١٢، تفسير المنار ١١/ ١٣-٢٢، تفسير الطبري ١٤/ ٤٤٠-٤٤٥، تفسير البحر المحيط ٥/ ٩٢-٩٣، الكشاف ٢/ ٢١١-٢١٢، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٥-٤٤٧، تفسير القرطبي ٨/ ٢٤٠-٢٤١، وانظر الآية الكريمة: سورة التوبة ١٠١.

٣ سورة التوبة: آية ١٢٠، وانظر: تفسير الطبري ١٤/ ٥٦١-٥٦٤، تفسير القرطبي ٨/ ٢٩٠-٢٩٢، تفسير البحر المحيط ٥/ ١١٢-١١٣، تفسير روح المعاني ١١/ ٤٥-٤٧، تفسير المنار ١١/ ٧٤-٧٦، تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٧-٤٤٨، الكشاف ٢/ ٢١٩-٢٢٠، في ظلال القرآن ١١/ ٢٨٣٨-٢٨٣٩.

٤ سورة الأحزاب: آية ٦٠، وانظر: تفسير البيضاوي ٢/ ٢٥٢، تفسير روح المعاني ٢٢/ ٩٠-٩١، تفسير الجلالين "نسخة على هامش البيضاوي" ٢/ ٢٥٢، تفسير الطبرسي ٢١/ ١١٤-١٢٠، تفسير الطبري ٢٢/ ٤٧-٤٨ "طبعة الحلبي"، تفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٥-٢٤٧ "دار الكتب المصرية" تفسير الفخر

الرازي ٢٥/ ٢٣٠-٢٣١، الدرر المنثور في التفسير بالماثور ٥/ ٢٢٢-٢٢٣ الكشاف ٣/ ٢٧٤، تفسير أبي السعود ٣/ ٢١٩، في ظلال القرآن ٢٢-٢٨٨٠-٢٨٨١، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩١-٣٩٢.." (١)

"أقبلت من مكة، فإني لأسير إذ غمزني غامز من خلفي، فالتفت فإذا المختار. فقال لي: يا شيخ ما بقي في قلبك من حب ذاك الرجل -يعني عليا - قلت: إني أشهد الله أني أحبه بسمعي وقلبي، وبصري، ولساني، قال: ولكني أشهد الله أني أبغضه بقلبي، وسمعي، وبصري، ولساني، قال: قلت: أبيت والله إلا تثبيطا عن آل محمد وتريبثا ١ لحراق المصاحف - أوقال: خراق، أو أحدهما يشك أبو داود - فقال سويد: والله لا أحدثمكم إلا شيئا سمعته من علي بن أبي طالب - سمعته يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا - أو قولوا له خيرا - في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختل١ف. قلنا: فنعم ما رأيت. قال فقيل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما، ويملي الآخر. ففعلا، وجمع الناس على مصحف. قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل"٢، ٣.

---

١ في الأصل: "ترثيثا"، والصواب ما أثبته، ومعناه: تثبيطا، كما ي النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٨٢) .

٢ يعني لو ولي قبل إنفاذ الجمع لجمعه.

٣ المصاحف (٢٨-٢٩ العلمية) .." (٢)

"عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقى لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقا أو شيئا كان لهم، ولا أخذت منهم حقا أو شيئا كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما عصيبا. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على

---

(١) دراسات في تاريخ العرب القديم محمد بيومى مهران ص/٣٨٦

(٢) فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن عبد الله غبان الصبحي ٣٦٤/١

الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجمر فنشى وقتر فقال: أي عمه أما **ترثين** لابن أخيك من هذا (١)؟ وتؤخذ العمة بهذا المشهد المؤثر، وتلتفت إلى عمر طالبة منه أن يستمر في الكلام واسمعوه يقول وكأنه يرسم لوحة فنية رائعة للعدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام لكي يجعلها تفجر الخير والنعيم على الجميع قال: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا أبدا. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه (٢) وجاء في رواية: إنها قالت لهم: .. أنتم فعلتم هذا بأنفسكم، تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا (٣)

. تلاشي المعارضة الجماعية لبني أمية:

وسرعان ما تلاشت السمة الجماعية لمعارضة بني أمية بعد ما رأوا من جد عمر إزاء أموال الأمة وقالوا: ليس بعد هذا شيء (٤). ومن ثم أخذ كل منهم يسعى على إنفراد ليسترد ما يستطيع استرداده من الأموال، ولكن عمر الذي وقف تجاه رغباتهم مجتمعين، أحرى به الآن أن يتصدى لكل واحد منهم على انفراد ويعلمه أن حق الأمة لا يمكن أن يكون موضع مساومة في يوم من الأيام (٥).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ١١٧.

(٢) الكامل في التاريخ (٣/ ٢٧٠).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ٢٧١).

(٤) عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ٥٨، ٥٩، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز صـ١١٩.

(٥) ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر صـ١١٩.." (١)

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة علي محمد الصلابي ٥٣/١